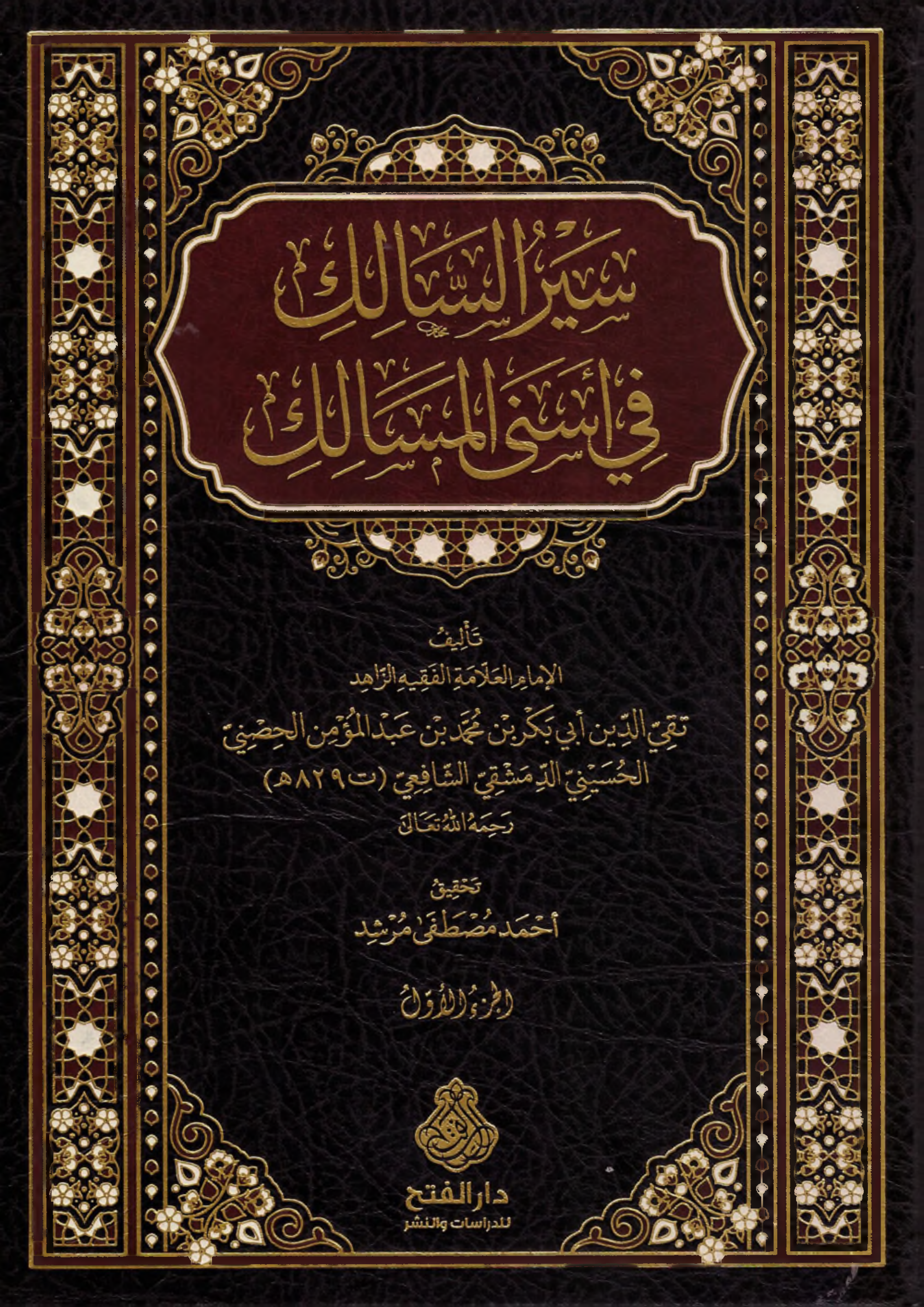

سير السالك
في أسنى المسالك
تأليف
الإمام العلامة الفقيه الزاهد
تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني
الحسيني الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٩هـ)
رحمه الله تعالى
تحقيق
أحمد مصطفى مرشد
الجزء الأول
دار الفتح
للدراسات والنشر

بيانات الإيداع في دائرة المكتبة الوطنية بالمملكة الأردنية الهاشمية

الشافعي، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي.

سير السالك في أسنى المسالك، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي،
تحقيق: أحمد مصطفى مرشد، عمان، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٢٣م.

٥٥٢ ص، قياس القطع : ١٧×٢٤ سم.

الواصفات: الصحابة/ التابعون/ الصفوة/ التراجم/ السنة النبوية.

التصنيف العشري (ديوي) : ٢٣٩,٥

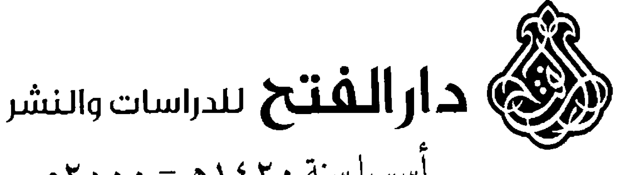
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٢٣/١١/٥٩٤٤)

الرقم المعياري الدولي (ISBN) : ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-٦٧٦-٢



الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ

١٤٤٥هـ = ٢٠٢٤م



أسسها سنة ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م

د. إياد أحمد الغوج

رقم الهاتف : ٦٤ ٣٥ ٦١ ٥١ ٦ (٠٠٩٦٢)

رقم الجوال : ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)

ص.ب : ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن

البريد الإلكتروني : info@daralfath.com

الموقع الإلكتروني : www.daralfath.com

سير السالك في أسنى المسالك

تأليف

الإمام العلامة الفقيه الزاهد

تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني
الحسيني الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٩هـ)

تحقيق

أحمد مصطفى مرشد

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من أحصى بِلُطْفِهِ الخَلَائق عددًا، وجعلهم بمشيئته طرائق قددًا، كلٌّ يعْمل على شاكلته فِي عاجلته؛ لآجلته، صلي على صفوتك من أنبيائك، الوَاقِف على سر حَقِيقَة أنبائك، سيدنَا مُحَمَّد خَاتم رِسَالَة الرسَالَة، المُنْتَخب من أكْرم عنصر وأطيب سلالةٍ، وعَلى آله الجامعين لمكارم الأخْلَاق، وصَحبه الحائزين من الفضل مرتبَة الِاسْتِحْقَاق، مَا تزينت الطروس بسطور مدائح ذوي المفاخر، وتعطرت حدائق الأوراق بنشر أزاهر المآثر[1].

وبعد،

فلا تخفى أهمية كتب التراجم والطبقات في كونها تسجيلًا لحياة الأفراد الممتازين على اختلاف ميادين بروزهم، ودرجات تفوقهم، حين تعتبر كتب التاريخ العام تسجيلًا لأطوار الدول، وحياة الملوك، ولذا فلن تجد في الثانية ما تجده في الأولى من اهتمام بحياة الشعوب والأفراد في تفاصيلها الدقيقة، وجوانبها المتنوعة، كبيان معارفهم، ووصف عاداتهم ومعتقداتهم.

وهي مع ذلك لا تهمل الأحداث التاريخية في عصر المترجم لهم، وإن أوردتها في إشارات عجلى وإيماءات سريعة، قد تكون غاية في الأهمية للمؤرخ العام.

---

(١) مقتبس من مقدمة الإمام المؤرخ محمد أمين بن محب الدين الحموي لكتابه المسمى: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (١: ٢).

وكتابنا «**سير السالك في أسنى المسالك**» مما يصدق عليه اعتباره ضمن كتب التراجم؛ لأنه يترجم فعلًا لفئة خاصة من الناس تجمعها صفات الزهد والسلوك مع حسن العبادة والتأله، وتتميز تراجمه بدقة الوصف وإمتاعه، مع قدرة فائقة على إيراد التفاصيل الدقيقة والمعاني البديعة.

إن الله عز وجل ـ وله المِنَّة العُظْمَى ـ أكمل هَذَا الدّين وتممه حكمًا، وأشَارَ إِلَى ذَلِك فِي كِتَابه المنزل على خير مُرْسل حتمًا يقينًا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فلم يبْق بعد الكَمَال غَايَة تَراد، ولَا حكم يُوجب، ولَا فَرِيضَة تزاد.

والدّين المشار إليه: مَا شَرعه سيدنَا رَسُول الله صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا شَرعه بِأَمْر الله تعالى ووحيه، وكشف بِإِذْنِهِ عَن حَقِيقَة أوامره وَنَهْيه، يُعْلم ذَلِك مُبينًا مشروحًا من قَوْله تَعَالَى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤][(١)].

فلما تكفل الله عز وجل بحفظ هذا الدين الذي أنزله على خاتم أنبيائه ورسله، هيّأ الله عز وجل لنبيه ﷺ أصحابًا ـ هم صفوة الخلق وخيرته بعد الأنبياء ـ وجعلهم وزراء له وأنصارًا وأتباعًا[(٢)]، فحملوا الأمانة من بعده ﷺ، فأدّوها ورعوها حق رعايتها، وجاهدوا في الله حق جهاده، وسار التابعون لهم بإحسان على طريقتهم ومنهجهم إلى يوم الدين.

---

(١) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي (١٥٠).

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٣٦٠٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ».

فلما ظهرت البدع وكثر من ابتدع، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أنّ فيهم زهادًا وعبادًا، انفرد خواص السنة الحافظون قلوبهم عن طوارق الفتنة، فهم ودائع مدد الله وخزائن أسراره، إليه يرجعون، وبه يهيمون، وعليه يتوكلون، وإلى غيره لا يلتفتون.

وهم رضي الله عنهم على مشارب وأطوار، منهم: المُتحلِّي بالتجرّدِ عن الآثار، ومنهم: المتطيلس بطليسان الذلِّ لله والانكسار، ومنهم: الذين سلكوا طريق الفقر والافتقار، واشتهروا باسم الصوفية والفقراء[١]. وهذا المشرب الأخير هو موضوع كتابنا الذي نقدمه الآن.

«فقد تشرف ناظري، وانبسط فكري وخاطري، بالنظر والتأمل في مواضع من هذا التأليف الفائق، والأنموذج الرائق، فإذا هو لسان التحقيق، وعين التدقيق؛ قد جمع فيه مؤلفه من المنقول عُراه، ومن المعقول ذراه، لم أجد في هذا القصد من نسج على منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله، بل ولا تشبث بأسبابه وأذياله، فعينُ الله تعالى على همة تكلفت بهذا المؤلف الرفيع، وحرسُ الله تعالى على قريحة سمحت بهذا الجمع والوضع المنيع، فجزى الله تعالى مؤلفه بكل جميل، وأتحفه بمزيد فضله الجزيل»[٢].

فها هو بين أيديكم أيها القرّاء الكرام في مشارق الأرض ومغاربها كتاب «**سير السالك في أسنى المسالك**» أقدمه اليوم بعد أن ظل حبيس الأدراج ما يزيد على ستة قرون من تاريخ هذه الأمة المباركة، وقد جمعتُ ما استطعت جمعه من نسخه، فتم

---

(١) من مقدمة الدكتور مجدي محمد إبراهيم لكتاب «مراقة الأنفاس» (١٧٤).

(٢) من كلمات الشيخ عبد القادر المرشدي في تقريظه لأحد مصنفات الإمام المناوي، رحمهما الله تعالى. انظر: «إعلام الحاضر والبادي» لتاج الدين محمد (ق٢٣: أ) نسخة الحرم المكي.

لنا خمسُ نسخٍ ما بين كاملة وناقصة، وبذلت في خدمته ما أفاض الكريم على عبده الضعيف؛ فلم يضنّ عليه بجهد ولا وقت؛ حتى يخرج في أبهج حلة وأحسن صورة.

وقد قدَّمتُ له بدراسةٍ تحتوي على فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الإمام الفقيه تقي الدين الحصني رحمه الله تعالى.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب.

فالحمد لله أولًا وآخرًا على ما منّ سبحانه وأسدى إليّ من عظيم نعمه، ووافر عطاياه، ثم على ما منّ به عليّ من سلوك سبيل طلب العلم، والأخذ من ميراث النبي ﷺ، الذي من أخذ به أخذ بحظ وافر، فله الحمد والشكر على ذلك كثيرًا، ظاهرًا وباطنًا، كما أسأله سبحانه المزيد من فضله.

وعرفانًا بالجميل ووفاءً لأهل الفضل، وعملًا بقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وتأسيًا بهدي الحبيب محمد ﷺ في رد الجميل إلى أهله في قوله: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**»[1].

وقديمًا قال الشاعر فأجاد:

فَلَو كانَ يَستَغنِي عَنِ الشُّكرِ ماجِدٌ ... لِعِــزّةِ مُلــكٍ أو عُلُــوِّ مَكانِ

لَـما أمَـرَ الله الـعِـبادَ بشُـكـرِهِ ... فَقال: اشكُرُوا لِي أيُّها الثَّقَلانِ[2]

- أشكر بعد الله والديَّ الكريمين، امتثالًا لقول الحق سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، جزاهما الله عني خيرًا وأحسن لهما العاقبة، بعد طول عمر وحسن عمل.

---

(١) «جامع الترمذي» (١٩٥٥). وقال: «هذا حديث حسن».

(٢) «عيون الأخبار» (٣: ١٦١) والبيت من الطويل، وهو للشاعر كلثوم بن عمر العتابي.

ـ كذلك لا أنسى من جعل الله بيني وبينها مودة ورحمة، زوجتي الكريمة: أم مصطفى وسارة، بنت محمد رجب، بارك الله لها ولوالديها، وجعلها قرة عين لي في الدنيا والآخرة، فكم صبرت على بُعدي عنها وانشغالي، فكانت نعم الزوجة، بارك الله لها وأحسن إليها.

ـ وكذلك لا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الإخوة الأفاضل الذين شاركوني في نسخ الكتاب ومقابلته وضبطه، وحل الإشكالات الموجودة في نصه، وهم: الأستاذ: مصطفى كامل، والأستاذ: كرم مسعود، وفقهم الله جميعًا.

ولا أنسى شكر السادة الأفاضل **بدار الفتح** المباركة، بداية من مديرها فضيلة الدكتور: **إياد أحمد الغوج** حفظ الله مهجته، وأدام بهجته؛ الذي أبدى اهتمامه البالغ بهذا العمل، وأكثر من السؤال عنه وتتبع أطواره، حتى وصل إلى مراحله الأخيرة، وتكبد في سبيل ذلك جهودًا عظيمة.

وكذلك الإخوة الكرام في هذا الدار؛ فقد قاموا بعمل عظيم في مراحل التصحيح والمراجعة والمراقبة والإخراج، باجتهاد ودأب حثيثَيْن، دون فتور أو ملل في خدمة هذا العمل العظيم.

وإلى الله أتوجه أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين أينما كانوا، وأن يثيب كل من ساعد في إخراجه خير ما يجزي الصالحين. وهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، فله الحمد والفضل، وما كان فيه من خطأ فمني، **وقد قال المزني**: «لو عورض كتاب سبعين مرةً لوُجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتاب صحيحًا غير كتابه»[1].

«جعلنا الله ممن تكلف الجهد في حفظ السنن ونشرها، وتمييز صحيحها من سقيمها، والتفقه فيها، والذب عنها، إنه المانّ على أوليائه بمنازل المقربين، والمتفضِّل

---

(١) رواه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١: ١٤).

على أحبابه بدرجة الفائزين. والحمد لله رب العالمين، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبع رشده»[1].

وختامًا: أسأل الله تعالى الذي منّ بإتمامه أن يَمُنّ بقبوله، وأن ينفع به، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

وكتب

أَحْمَدمُصْطَفَىٰمُرْشِد

في مصر بلد الأزهر الشريف

حفظه الله من كل مكروه وسوء

(١) مقتبس من كلام الحافظ ابن حبان في خاتمة كتابه «الثقات» (٩: ٢٩٧).

الفصل الأول
ترجمة الإمام تقي الدين الحصني
(٧٥٢-٨٢٩هـ)[1]
رحمه الله تعالى

المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ومولده

هو العارف بالله، المنقطع إليه، زاهد دمشق في زمانه، الأمّار بالمعروف، النهّاء عن المنكر، الشديد الغيرة لله[2]، الإمام العالم، الناسك العابد، التقي الزاهد، الشيخ الصالح، الفقيه الورع، الحسيب النسيب، بقية السلف الصالحين[3]، تقي الدين، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن[4] بن حَريز بن مُعلّى بن موسى بن حريز بن سعيد

---

(١) انظر ترجمته في: «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٦)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦)، و«درر العقود الفريدة» للمقريزي (١: ١٤٢)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨)، و«كنوز الذهب في تاريخ حلب» (١: ٤٩٠)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨١)، و«نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦)، و«الأنس الجليل» (٢: ١٧٤)، و«سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (١: ٨٨)، و«شذرات الذهب» (٩: ٢٧٣)، و«البدر الطالع» (١: ١٦٦)، و«منادمة الأطلال» (٣٠١)، و«الزيارات بدمشق» لمحمود العدوي (٧٢-٧٣)، و«الأعلام» للزركلي (٢: ٦٩)، و«معجم المؤلفين» (٣: ٧٤)، و«هدية العارفين» (١: ٢٣٦)، و«معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١: ١١٠)، و«معجم تاريخ التراث الإسلامي» لبلوط (١: ١٣٩).

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨٣).

(٣) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٤) في «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤): «أبو بكر بن محمد بن عبد الله».

ابن داود بن قاسم بن علي بن علوي ـ بفتح المهملة واللام؛ اسم بلفظ النسب ـ ابن ناشب ـ بنون ثم معجمة ـ بن جَوْهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبد الله بن عمر بن موسى بن يحيى بن علي الأصغر بن محمد التقي بن حسن العسكري بن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب التقي الحسيني الحصني ثم الدمشقي الشافعي، ويُعرَف بالتقي الحصني[١].

ـ مولده:

وُلِد في قرية (الحصن)[٢]، في أواخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة[٣].

المبحث الثاني: نشأته وحياته ورحلاته

قَدِم الشيخ تقي الدين الحصني إلى دمشق؛ وسكن المدرسة البادرائية، وبدأ في طلب العلم، فأخذ عن المشايخ الموجودين، وجَدَّ في الطلب حتى بلغ في العلم مبلغًا حسنًا، ثم اشتغل بالتدريس، وأَحَبَّه الطلبة، وصاروا يخرجون معه إلى أماكن النزهة.

وقد تزوَّج الشيخ عدة نساء[٤]، ثم إنه أقبل على العبادة قبل الفتنة[٥]، وتخلَّى عن النساء، وانجمع عن الناس مع المواظبة على الاشتغال بالعلم، وبعد الفتنة زاد

---

(١) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨١)، والحصني نسبةً إلى (الحِصْن)، وهي قرية من قرى حوران، وهذا هو ما ذكره معظم من ترجموا للمؤلف. وانظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٣).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٣: ٧٤).

(٣) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٤) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٥) يعني: فتنة تيمورلنك. انظر: «منادمة الأطلال» (٣٠١).

تقشُّفه وإقباله على الله عزَّ وجلَّ وانجماعه عن الناس[١]، ومع ذلك فقد كثر أتباعه، واشتهر اسمه، وامتنع من مكالمة أكثر الناس، لا سيما مَن يتخيَّل فيه شيئًا، وأطلق لسانه في الأمراء والقضاة ونحوهم من أرباب الولايات[٢].

قال ابن قاضي شهبة: «وله في الزهد والتقلُّل من الدنيا حكايات، لعل أنه لا يوجد في تراجم كبار الأولياء أكثر منها، ولم يتقدَّموه إلا بالسبق في الزمان»[٣].

وقال الغزي: «وعمل في آخر عمره مواعيد بالجامع الأموي، وهرع إليه الناس، وكنت من جملة مَن سَمِعه، ويتكلَّم بكلام حَسَن مقبول منقول عن السلف الصالح، كالحارث المحاسبي، وبشر الحافي، والجُنَيد، والسَّرِي، والشِّبلي، ومشاهير أئمة الصوفية رضي الله عنهم»[٤].

هذا، وكان الشيخ قد سكن بالشاغور[٥] عند مسجد المزاز عدة سنين بعد الفتنة إلى وفاته[٦].

وأصابه في آخر عمره وَقْرٌ في سَمْعه، وضعف في بصره.

وقام في آخر حياته بعمارة رباط داخل باب الصغير، وساعَدَه الناس في ذلك بأموالهم وأنفسهم، ثم شرع في عمارة خان السبيل في محلة المصلى، وفرغ من عمارته في مدة قريبة، ولم يَبقَ فيه عند وفاته إلا تَتِمّات.

---

(١) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨)، و«الزيارات بدمشق» للعدوي (٧٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦).

(٣) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦).

(٤) «بهجة الناظرين» (١٧٠).

(٥) الشاغور؛ بالغين المعجمة: محلّة بالباب الصغير من دمشق مشهورة، وهي في ظاهر المدينة. انظر: «معجم البلدان» (٣: ٣١٠)، و«مراصد الاطلاع» (٢: ٧٧٤).

(٦) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩).

ـ رحلاته:

أما رحلاته فقد رحل الشيخ أول أمره إلى دمشق، وبها كان معظم إقامته.

كما رحل إلى القدس، وسكن فيها مدة، وألَّف فيها بعض مؤلَّفاته.

كما رحل أيضًا إلى حلب في سنة عشرين وثمانِ مئة[١].

المبحث الثالث : أخلاقه وصفاته

كان رحمه الله تعالى عابدًا، تقيًّا، زاهدًا، وَرِعًا، وكان خفيف الروح منبسِطًا، وله نوادر، وقد حُبِّبَت إليه العُزلة عن الناس في أُخرَيات حياته، ومع ذلك كان خفيف الروح، ولذا كان الطلبة يخرجون معه إذا خرج إلى أماكن النزهة، وكان يَحُثُّهم على الانبساط واللعب، وذلك مع الدين المتين والتحرُّز في أقواله وأفعاله[٢].

قال الغزي: «وكان رحمة الله عليه من المهابة والأنس الكثير ما لا يَخفَى لمن له فطنة أنه وليّ الله في زمانه»[٣].

قال ابن خطيب الناصرية: «وكان إمامًا فاضلًا، آمِرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، يحتقر أبناء الدنيا ويَسُبُّهم، وكان معظَّمًا عند الدماشقة إلى غاية ما يكون، وكانت ترِد المراسيم الشريفة من السلطان بألا يعترض عليه أحد، ولا يخالفه في أمرٍ بمعروف، ولا نهيٍ عن منكر»[٤].

قال زين الدين الملطي: «وكان من أجَلِّ فقهاء الشافعية، وله علم وعمل وصلاح مشهور، وخير وعِفّة وديانة، بل كان من الأولياء، وكان دائمًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشدِّدًا في ذلك»[٥].

---

(١) انظر: «الرد المنتخب» (٢: ٧٧٧).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» (٢: ٧٧٧).

(٥) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦).

المبحث الرابع : طلبه العلم

قَدِم الإمام تقي الدين من قريته الحصن التي وُلِد بها إلى بلده الثاني دمشق، وسكن المدرسة البادرائية التي أنشأها نجم الدين عبد الله بن محمد البادرائي، وبدأ في الجد والاجتهاد، فنهَلَ من علماء عصره الكبار، وظل مواظبًا على طلب العلم، حتى بلغ فيه مبلغًا حسنًا، فبرع في الفقه والأصول والزهد والعقيدة، وكتب الكثير بخطه مع خَلْوته[١]، وتذكر المصادر أنه تَشارَك هو والعز بن عبد السلام المقدسي في الطلب[٢].

وقد عاش الشيخ في حي الشاغور بدمشق سنين عدة، بالقرب من مسجد المزاز، وتزوَّج عدة نساء، وذلك قبل أن يُقبِل على العبادة والخلوة، وينزوي عن الناس، وله في الزهد حكايات عدة.

المبحث الخامس : شيوخه

جلس رحمه الله بين يدَي العلماء ينهَل من علمهم، ويستفيد من بحر جُودهم، فقد رحل رحمه الله عدة رحلات، وأخذ العلم على يد عدد من المشايخ من كبار علماء عصره، فأفاد منهم، ونهَل من مَعِينهم، ومن أبرزهم:

١ـ **الإمام نجم الدين أبو العباس،** أحمد بن عثمان بن عيسى المعروف بابن الجابي، أخذ الفقه عن الشرف الغزي، والعماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، والحديث عن البهاء الإخميمي، وبرع في الفروع والأصول، ودرَّس وأفتى، وكان سريع الإدراك، حسَن المناظرة، يتوقد ذكاءً، تُوفي سنة (٧٨٧هـ)[٣].

---

(١) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩). (٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨٢).

(٣) انظر ترجمته في: «توضيح المشتبه» (٣: ٣٥)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٤٧)، و«الدرر الكامنة» (١: ٢٣٥).

٢ـ **الإمام صدر الدين أبـو الفضل**، سليـمان بن يوسف بن مفـلح الباسوفـي، أخذ الأصول عن البهاء الإخميمي، ولازَمَ العماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، وولي الدين المنفلوطي، ثم حُبِّب إليه الحديث، فأخذ في السماع، ورحل إلى حلب والقاهرة، وكان سريع الحفظ، قوي الذاكرة، درس في العزيزية وغيرها، تُوفي سنة (٧٨٩هـ)[١].

٣ـ **الإمام شمس الدين أبو عبد الله**، محمد بن سليمان الصرخدي، أخذ الفقه عن ابن قاضي شهبة، والعماد الحسباني، والنحو عن أبي العباس العنابي، وكان أجمع أقرانه للفنون، ولسانه دون قلمه، وصنَّف تصانيف بديعة، منها: «**شرح المختصر**»، و«**مختصر المهمات**»، و«**مختصر التمهيد**» للإسنوي، تُوفي سنة (٧٩٢هـ)[٢].

٤ـ **الإمام شرف الدين أبو البقاء**، محمود بن محمد بن أحمد البكري، أخذ عن والده، والتاج السبكي، والشمس ابن قاضي شهبة، وبرع في الأصول والنحو، والمعاني والبديع، ولازَم الإفتاء والتدريس، وتخرَّج به خَلْق كثير من فقهاء البادرائية وغيرها، تُوفي سنة (٧٩٥هـ)[٣].

٥ـ **الإمام شهاب الدين أبو العباس**، أحمد بن صالح بن أحمد البقاعي، أخذ عن الحافظ المزي، والنور الأردبيلي، وأبي البقاء السبكي، والبهاء الإخميمي، وغيرهم، وبرع في الفقه وغيره، وانتهت إليه رئاسة الشافعية بدمشق، وله: «**حل المختصر**»،

---

(١) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (٢: ١١)، و«الرد الوافر» (١٠٠)، و«السلوك لمعرفة دول الملوك» (٥: ٢٠٣)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٥٢).

(٢) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (١: ١٢٨)، و«الدرر الكامنة» (٥: ١٩١)، و«سلم الوصول» (٣: ٢٩٦).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٨١).

و«**المنهاج**»، كلاهما في الأصول، و«**التمييز**» في الفقه، و«**العمدة**»، تُوفي سنة (**٧٩٥هـ**)[١].

٦ـ **الإمام بدر الدين أبو عبد الله**، محمد بن أحمد بن مكتوم، أخذ الفقه عن العماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، وحفظ «**التنبيه**» و«**الحاوي**»، وأخذ النحو عن أبي العباس العنابي، وبرع فيه حتى تولَّى مشيخته بالناصرية، وتُوفي سنة (**٧٩٧هـ**)[٢].

٧ـ **الإمام شرف الدين أبو الروح**، عيسى بن عثمان بن عيسى الغزي، أخذ الفقه عن التاج السبكي، والجمال الإسنوي، والعماد الحسباني، والشمس ابن قاضي شهبة، وغيرهم، ودرَّس وأفتى، وولي القضاء وصنَّف التصانيف، ومنها: «**شرح المنهاج الكبير**»، و«**مختصر الروضة**»، و«**الجواهر والدرر**»، و«**الرد على المهمات**»، وتُوفي سنة (**٧٩٩هـ**)[٣].

المبحث السادس: تلاميذه

كما ذكرنا في صفاته: أن الإمام تقي الدين كان له تلاميذ يخرج معهم إلى النزهات، ويَحُثُّهم على الانبساط، وكانت له معهم نوادر، ولم نجد ممن ترجم له ذكر أسماء تلاميذه، غير أنهم صرَّحوا باسم ابن أخيه الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن حسن بن محمد الحصني، وأنه تفقَّه على عمِّه، وانتفع به انتفاعًا كبيرًا،

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٤٤)، و«الدر الكامنة» (١: ١٦٣)، و«بهجة الناظرين» (٢١٢)، و«سلم الوصول» (١: ١٥٢).

(٢) انظر ترجمته في: «إنباء الغمر» (١: ٥٠٢)، و«الدرر الكامنة» (٥: ٧٨)، و«شذرات الذهب» (٨: ٥٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٥٩)، و«الدرر الكامنة» (٤: ٢٤١)، و«البدر الطالع» (١: ٥١٥).

ولزم طريقته في العبادة والتجرُّد، وقام في عمارة المدرسة البادرائية، وولي التدريس بها، ولم يقبض منها شيئًا مقابل ذلك، ودرس أيضًا بالمدرسة الشامية، وتوفي سنة (٨٣٤هـ).

وقال الإمام الغزي: «واجتمعت به مرّات، وكان يحبني، ولي منه منزلة، وترحَّم على والدي، وعمل في آخر عمره مواعيد بالجامع الأموي، وهرع إليه الناس، وكنت في جملة من سمعه»[١].

المبحث السابع: ثناء العلماء عليه

قال ابن خطيب الناصرية: «الشيخ الإمام تقي الدين القدوة الرجل الصالح العالم»[٢].

وقال ابن قاضي شهبة: «الإمام العالم الرباني الزاهد الورع... والحاصل أنه ممن جمع بين العلم والعمل»[٣].

وقال الغزي: «الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد الرباني العابد الوَرِع تقي الدين بقية السلف الصالحين»[٤].

وقال السخاوي: «وترجمه بعضهم: بالإمام العلامة الصوفي العارف بالله تعالى، المنقطع إليه، زاهد دمشق في زمانه، الأمّار بالمعروف، النهّاء عن المنكر، الشديد الغيرة لله»[٥].

---

(١) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٢) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٦-٧٧٧).

(٣) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٤) «بهجة الناظرين» (١٦٨-١٦٩).

(٥) «الضوء اللامع» (١١: ٨٣).

وقال العدوي: «الإمام العالم الرباني الزاهد الورع العابد القانت العامل الولي»(١).

وقال زين الدين الملطي: «وكان من أجَلِّ فقهاء الشافعية، وله علم وعمل وصلاح مشهور، وخير وعِفّة وديانة، بل كان من الأولياء، وكان دائمًا في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مشدِّدًا في ذلك، وشهرته تُغنِي عن مزيد التعريف به»(٢).

وقال الشيخ ابن حجر في «**فتاويه**»(٣): «فإن قلت: أتقول بمنع خروج النساء إلى المساجد والمواعيد وزيارة القبور غير قبر النبي ﷺ؟ قلت: كيف لا أقول به وقد صار متفَقًا عليه؛ لعدم شرط جَواز الخروج في زمنه ﷺ، وهو التُّقى والعفاف. وقد ذكر ذلك من المتقدِّمين الشيخان الإمامان الزاهدان الوَرِعان الشيخ تقي الدين الحصني، وشيخنا علاء الدين محمد بن محمد بن محمد النجاري، تغمَّدَهما الله برحمته».

المبحث الثامن : مؤلَّفاته

إن مما يُبيِّن مكانة العالم بين أقرانه آثارَه التي يُخَلِّفها بعد موته شاهِدةً على فعاله، وتمكُّنه مما يخوض فيه من أصناف العلوم، والناظر في جريدة مؤلَّفات الإمام الحصني يلمح فيها ما يلي مما يجدر التنبيه إليه، والوقوف عليه.

لقد عاش الحصني طَوال حياته منهمِكًا بالعلم تعلُّمًا، وتعليمًا، وتصنيفًا، وانصرف إلى طلب العلم في فترة مبكرة من حياته وهو لا يزال طفلًا؛ توفيقًا من الله تعالى، مما كان له الأثر الكبير في نبوغه العلمي.

لقد أثرى الإمام الحصني المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنَّفات العلمية الفائقة الحُسن في بابها، وقد تنوَّعت هذه المؤلفات في شتى العلوم والمعارف.

---

(١) «الزيارات» (٧٢).
(٢) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦).
(٣) «الفتاوى الفقهية الكبرى» (١: ٢٠٢).

قال ابن قاضي شهبة: «والحاصل أنه ممن جمع بين العلم والعمل... وقد كتب بخطه كثيرًا قبل الفتنة وبعدها»(١).

وقال ابن حجر: «وجمع تواليف كثيرة في الزهد والفقه»(٢).

وقال الغزي: «وسكن في القدس مدة، وصنَّف فيها بعض تصانيفه، واشتهر اسمه»(٣).

وقال سبط ابن العجمي: «صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والتفسير والتصوف وغير ذلك»(٤).

وقال زين الدين الملطي: «وله عدّة تصانيف جليلة في الفقه»(٥).

وقال الشوكاني: «وله في التصوف مصنفات»(٦).

أولًا: مؤلفاته في العقيدة

١ـ «دفع شُبَه مَن شَبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد»(٧)، مجلد.

٢ـ «شرح أسماء الله الحسنى»(٨)، مجلد.

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤: ٧٦-٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٢) «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤). (٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «كنوز الذهب في تاريخ حلب» (١: ٤٩٠).

(٥) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦). (٦) «البدر الطالع» (١: ١٦٦).

(٧) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

ثانيًا: مؤلفاته في التفسير

٣ـ «**التفسير**»[١]، وهو تفسير آيات متفرقات[٢]، مجلد.

ثالثًا: مؤلفاته في الحديث

٤ـ «**تلخيص أحاديث الإحياء**»[٣]، مجلد.

٥ـ «**شرح الأربعين النووية**»[٤]، مجلد.

٦ـ «**شرح صحيح مسلم**»[٥]، ثلاثة مجلدات.

رابعًا: مؤلفاته في الفقه

٧ـ «**آداب الأكل والشرب**»[٦].

٨ـ «**جواب في الرد على ابن تيمية في مسألة شد الرحال للزيارة**»[٧].

٩ـ «**الفوائد**» في الفقه[٨].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٢) جاء في «معجم المفسرين» (١: ١١٠): «آيات متفرقة من أول القرآن إلى سورة الأنعام».

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥).

(٥) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٦) انظر: «هدية العارفين» (١: ٢٣٦)، وذكر بروكلمان أن له نسخة في مكتبة برلين برقم (٥٤٦٨).

(٧) رسالة في مجموع بمكتبة بشير أغا برقم (١٤٢).

(٨) ذكر بروكلمان أن له نسخة بمكتبة جامعة هايدلبرج برقم (zs vi 221). انظر: «ذيل تاريخ الأدب العربي» (٢: ١١٢).

١٠ـ «**القواعد**»[١] في القواعد الفقهية، في مجلدين[٢].

١١ـ «**تلخيص المهمات**»[٣]، في مجلدين[٤].

١٢ـ «**شرح التنبيه**»[٥]، في خمسة مجلدات[٦].

١٣ـ «**شرح النهاية**»[٧].

١٤ـ «**شرح الهداية**»[٨].

١٥ـ «**كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**»[٩]، مجلد.

١٦ـ «**كفاية المحتاج في حل المنهاج**»[١٠]، في خمسة مجلدات.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٢) في «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة: «مجلد».

(٣) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) قال ابن حجر في «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤): «في مجلد».

(٥) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٦) نسخه منتشرة بمكتبة آيا صوفيا بأرقام (١٢١٠-١٢١١-١٢١٢-١٢١٣).

(٧) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ٢٠٢٢)، وقد ذكر حاجي خليفة أنه شرح لهداية المرغيناني الحنفي، والظاهر أنه سهو.

(٩) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ١٦٢٥)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(١٠) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

خامسًا: مؤلفاته في الزهد والسلوك

١٧ـ «الأسباب المهلكات والإشارات الواضحات في مناقب المؤمنين والمؤمنات وما لهم من الكرامات»[١].

١٨ـ «أهوال القبور»[٢]، مجلد.

١٩ـ «أهوال القيامة»[٣].

٢٠ـ «تأديب القوم»[٤]، مجلد.

٢١ـ «تنبيه السالك على مظانِّ المهالك»[٥]، ستة مجلدات.

٢٢ـ «قمع النفوس ورقية المأيوس»[٦]، مجلد.

سادسًا: مؤلفاته في السيرة والتاريخ والتراجم

٢٣ـ «المولد»[٧] في السيرة[٨].

---

(١) انظر: «تاريخ الأدب العربي» (٢: ١١٧).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨٢)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«هدية العارفين» (١: ٢٣٦).

(٣) انظر: «منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨٢)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٦) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٧) انظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٥)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) له نسخة بجامعة الإمام برقم (٢٥٢٤)، وتقع في ثلاث ورقات.

٢٤ـ «**سير السالك في أسنى المسالك**» في تراجم الرجال، وهو كتابنا، وسيأتي الكلام عليه في الفصل الثاني.

٢٥ـ «**سير السالكات المؤمنات الخيرات**»[١] في تراجم النساء، مجلد.

المبحث التاسع : ذريته

لم يُخلف الشيخ تقي الدين الحصني إلا بنات، وقد تزوَّج إحداهن ابنُ أخيه، واسمه: محمد بن حسن بن محمد الحصني، أبو عبد الله، المعروف بشمس الدين؛ ومنه تفرعت الأسرة المعروفة ببني تقي الدين الحصني، وقد اشتهر أفراد تلك الأسرة بالنسبة إلى عمهم؛ لجلالة قَدرِه، وهذه الأسرة معروفة بدمشق إلى وقتنا الحاضر، وقد خرج منها علماء وفضلاء.

المبحث العاشر : وفاته

تُوفي الشيخ تقي الدين الحصني رحمه الله يوم الثلاثاء قُبَيل المغرب رابع عشر جُمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانِ مئة للهجرة[٢]، وذلك بخلوته بجامع المزاز بالشاغور في دمشق.

وصلَّى عليه بالمُصلَّى تلميذه وابن أخيه الإمام شمس الدين محمد بن حسن الحصني، كما صُلِّي عليه بحلب صلاة الغائب[٣].

وكانت جنازته مشهودة، وحضرها الخاص والعام، حتى بعض من كانت بينه وبينهم خلافات ومشاحنات.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٢) «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«الزيارات» للعدوي (٧٣).

(٣) «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧).

وكان دفنه يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس.

وقد دُفن بالقُبَيْبَات[١] في أطراف العمارة على جادّة الطريق عند البوابة نهاية محلة الميدان[٢]، عند والدته[٣]؛ لأنها كانت من محلة الميدان، وعلى قبره تابوت، وهو معلوم، وقبره يُزار مشهور، ويُتبَرَّك به[٤]، وخُتم عند قبره ختمات كثيرة، وصلّى عليه أُممٌ ممن فاتتهم الصلاة على قبره، ورُؤِيَت له منامات صالحة في حياته وبعد موته[٥].



---

(١) القُبَيْبَات: محلة جليلة بظاهر مسجد دمشق. انظر: «معجم البلدان» (٤: ٣٠٨).

(٢) انظر: «بهجة الناظرين» (١٧٠).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٤) انظر: «الزيارات» للعدوي (٧٣).

(٥) انظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٥).

الفصل الثاني
التعريف بالكتاب

المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب

سمَّى المصنِّف كتابه في مقدمته ـ على طريقته المعهودة بالاحتفال بعناوين مصنَّفاته والتنوُّق فيها ـ اسمًا مسجوعًا، متخيَّر الألفاظ، دالًّا على المراد دلالةً مجازية، فقال: «وقد سَمَّيت كتابي هذا: **بسير السالك في أسنى المسالك**»، كما هو مُثبَت بداخل جميع النُّسَخ وعلى صفحة غلافها.

وقد ذكره المؤلِّف في كتابه «**كفاية الأخيار**»[1]، فقال: «والذي لا إله غيره ما عمل عامل على جهل إلّا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وهذه زيادة خارجة عن الفن الذي نحن فيه، فمن أراد من هذه المناداة فعليه بكتاب **سير السالك في أسنى المسالك**، والله أعلم».

ولم يختلف الذين ذكروا الكتاب في أن اسمه: «**سير السالك في أسنى المسالك**».

ومنهم الذين ترجموا للمؤلفِ رحمه الله:

ـ كابن قاضي شهبة في «**طبقات الشافعية**»[2]، والغزي في «**بهجة الناظرين**»[3]، وحاجي خليفة في «**سلم الوصول**»[4]، و«**كشف الظنون**»[5]، وابن العماد في «**شذرات الذهب**»[6]، وابن بدران في «**منادمة الأطلال**»[7].

---

(١) «كفاية الأخيار» (١٤٨).
(٢) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).
(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).
(٤) «سلم الوصول» (١: ٨٨).
(٥) «كشف الظنون» (٢: ١٠١٣).
(٦) «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٤).
(٧) «منادمة الأطلال» (٣٠٢).

فثبت أن هذا هو اسمه.

ولا يُعكِّر على ذلك ما جاء في «**الضوء اللامع**»[١]، و«**سلم الوصول**»[٢] من أن اسمه: «**سير السالك على مَضارِّ المسالك**»، فلعله سهوٌ، سببه: اتفاق عنوان هذا الكتاب مع عنوان آخر للمؤلف نفسه، هو: «**تنبيه السالك إلى مظانِّ المهالك**»[٣].

ولا يُعكِّرُ على ذلك أيضًا ما جاءَ في القطعة الصغيرة المصوَّرة من جامعة الإمام من أن عنوانه: «كتاب في تفريق وتمييز السبيل»، فهذا بلا شكٍّ لا يَقدحُ فيما سبق؛ لأنه ذُكِرَ على جهةِ الوصف، لا على جهة تقرير اسمه كما هو ظاهِر من عبارته.

وأيضًا: قد جاء على غلاف نسخة دار الكتب المصرية في تسمية الكتاب: «**سير السالك (إلى) أسنى المسالك**»، فالظاهر أنه مكتوب بخطٍّ حديث، إضافةً إلى أن صفحة العنوان والمقدمة فيها العنوان بالاسم الأول الصحيح.

وجاء في صفحة عنوان النسخة التركية: «**سير السالك إلى أشرف الممالك**»، وهذا عنوان لم يَرِد في شيء من المصتادر التي وقفنا عليها، وهو مع ذلك يخالف ما نص عليه المؤلف في المقدمة على تسمية الكتاب بـ«**سير السالك في أسنى المسالك**»، وكذا إحالته إليه في عددٍ من كتبه بالاسم نفسه، فتبيَّن أن العنوان المذكور على هذه النسخة خطأ بلا شك.

المبحث الثاني : نسبة الكتاب إلى مؤلفه

لا ريب في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام التقي الحصني رحمه الله تعالى، وذلك لعدَّة دلائل، منها:

أولًا: ثبوت اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلِّفه على صفحة العنوان في جميع النسخ.

---

(١) «الضوء اللامع» (١١ : ٨٢). (٢) «سلم الوصول» (١ : ٨٨).

(٣) قيد التحقيق، ويخرج عن دار الفتح العامرة بحول الله وقوته.

ثانيًا: أحال المصنف فيه إلى كتابه: «**قمع النفوس**»، وأحال في كتابَيه الآخرَين «**كفاية الأخيار**» و«**سير السالكات**» إلى كتابنا هذا.

ثالثًا: نسبَه إليه كلُّ مَن ترجموا له، بداية من التقي ابن قاضي شهبة[1]، والغزي[2]، وابن العماد[3]، وحاجي خليفة[4]، وغيرهم[5].

رابعًا: تصريح ناسخ نسخة جامعة الإمام بالإمام التقي الحصني في المقدمة.

خامسًا: اتفاق أسلوب الكتاب وطريقة العرض فيه مع غيره من كُتب الإمام الثابتة المعروفة، كـ«**قمع النفوس**» و«**تنبيه السالك**»، مما يؤكِّد ثبوت هذا الكتاب للإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

سادسًا: عدم وجود أية نسبة للكتاب لغير الإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

وهذه الدلائل كافية لإثبات نِسبة الكتاب إلى مُؤلِّفه رحمه الله.

المبحث الثالث: منهج المؤلف

تمهيد:

اعتنى المسلمون بعلم التاريخ عنايةً فائقة، ولا يُعلَم أمةٌ من الأمم اعتنَت بالتاريخ مقدارَ عناية المسلمين به، **ومما زاد من أهميته: اتصاله برجال الحديث، فقد بدأت المصنفات المتعلقة بأحوال الرجال في وقت مبكر، وذلك للتحقق من معرفة رُواة الحديث وعدالتهم وضبطهم**، ثم تنوَّعَت كُتب التاريخ وتعدَّدت، فمنها ما جاء لدراسة التاريخ على السنين، كما فعل الإمام ابن جريرٍ الطبريّ، وابن الأثير الجزريّ، وابن

(١) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٢) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٣) «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٤).

(٤) «كشف الظنون» (٢: ١٠١٣)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٥) «منادمة الأطلال» (٣٠٢).

كثير، وغيرهم، ومنهم مَن درس سيرة النبي ﷺ على حِدة، كابن إسحاق، وابن هشام، والمقدسي، وغيرهم، ومنهم من درس تاريخ الأنبياء عليهم السلام، وتاريخ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ومنهم من صنَّف كتبًا في التاريخ تناولت مجموعات خاصةً كالخلفاء، كما فعل السيوطيّ، والوزراء، والقُرّاء، والنحاة، والأطباء، وغيرهم.

ومنهم من قَصد بتأليفه ذِكر أعلام الصالحين، وترتيب طبقاتِهم من النُّسّاك ومحَجَّتهم، من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم، ممن عرف الأدلة والحقائق، وباشَر الأحوال والطرائق، وساكَن الرياض والحدائق، وفارَق العوارض والعلائق، وتبرَّأ من المتنطِّعين والمتعمِّقين، ومن أهل الدعاوي من المتسوِّفين من الكسالى والمتثبِّطين المتشبِّهين بهم في اللباس والمقال، والمخالِفين لهم في العقيدة والفِعال، كالإمام أبي نُعَيم الأصبهاني في «**حلية الأولياء**»، ثم تلاه بعد ذلك الإمام ابن الجوزي الحنبلي في «**صفة الصفوة**»، فسار على درب أبي نُعَيم رحمهما الله تعالى، مع استدراكات وملاحظات سجَّلها ابن الجوزي على أبي نُعَيم في «مقدمته».

ثم جاء الإمام تقي الدين الحصني الشافعي، فتناول مادة «**صفة الصفوة**»، وجعلها في «**سير السالك**»، إلا أنه لم يقتنِصها مجردة، بل تفاعل معها وعلَّق عليها، وكانت له غضبة محمودة على بعض الأحداث التي يرويها.

منهج المؤلف:

- بدأ المصنف كعادة المؤلفين بمقدمة للكتاب، يذكر فيها سبب تأليفه، فقال: «اعلم وفَّقك الله، أنِّي لمّا رأيت لفظ (السبيل) موضوعًا بالاشتراك، ولم يتمسَّك بالسويِّ منه إلّا ذاك وذاك، أجمعت أمري على الفرقان بين الحقِّ والباطل، وتمييز الموفِّي من المماطل، وها أنا أذكر سبب الاشتباه؛ ليحصل لكلِّ مَن وُفِّق الانتباه».

فكأنه لكثرة ما عَمَّ وانتشر في زمانه من الاشتباه والخلط في أمور الشريعة قرَّر أن يكتب هذا المصنَّف الرائق؛ ليُبيِّن فيه الحقائق، ويُوضِّح فيه الأمور، ويضع كل شيء في نِصابه، فقال: «سببه أنّ الدعاة إلى الله تعالى وإلى سبيله فرقتان باعتبار الزمان، وإلّا فهما في الحقيقة واحدة:

فرقةٌ رسمت نفسها بالفقهاء، وأخرى بالفقراء، بل بالأولياء، فتبعهم الخلق؛ لأنّهم القادة، وما علموا أنهم عن الصِّراط السويِّ حادوا، وسلكوا سُبل العادة، لهم أحوال وأقوال غريبة عجيبة، كما ترى خلَلها ظاهرًا لا يَخفى إلّا على أكْمهَ لا يعرف القمرا».

ثم مضى المؤلف يذكر صورًا وأمثلة من انحراف الفقهاء والفقراء في زمانه، واشتد عليهم - كعادته - في اللَّوم والتقريع والتوبيخ.

فكان يقول: «ترى الفقيه منهم ينثر من فيه دُرَرًا، ويشير بفِعله القهقرى... وترى الصوفيَّ قد صفا قلبه للمَزبَلة، فيُظهِر زهدًا، ولو جاءه نقيرٌ من غُلولٍ قَبِله، أيُّ مصيبةٍ أعظم من هذا... وَيحَك! بل وَيلَك! أتدري خطاب مَن هذا؟ أتدري نهي مَن هذا؟ ... وَيحَك! اتَّخذتَ أعزَّ التجارة، وجعلتَه وسيلةً للمزبلة، خِبْتَ في صفقتك هذه وخَسِرت... وَيحَك! اتخذته لغرضك الفاسد من طلب المال والجاه، والارتفاع على الأقران، وصرف وجوه الناس إليك...».

ومثل هذا كثيرٌ في ثنايا الكتاب، وفي تعاليقه على عشرات المواضع التي يذكرها.

ويترجَّح عندي: أنَّ سبب شدة المصنِّف على مَن حوله من الفقهاء هو ما رآه من سوء فعالهم وأقوالهم التي لطالما ذكرها وأشار إليها في كتابنا هذا.

فقد رآهم يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل، ورآهم يدخلون على الظالمين ويسارعون في خدمتهم والتذلل لهم، ورآهم يستحلون أكل أموال الناس بالباطل،

ويجورون في الأحكام، ويتقربون إلى السلاطين والأمراء بشتى السبل، إلى غير ذلك مما ضيق عليه أرضهم، فآثر الإنعزال عن الناس، والمكوث وحيدًا أغلبَ الوقت، والانجماع عنهم، والخَلوة وحده، وهذا ما أكَّده الإمام السخاوي بقوله: «أقبَل على ما خُلِق له، وتخلَّى عن النساء، وانجمع عن الناس، مع المواظبة على الاشتغال بالعلم والتصنيف، ثم بعد الفتنة زاد تقشُّفه وزُهده، وإقباله على الله تعالى وانجماعه... ثم ازداد بعد الفتنة تقشُّفه وانجماعه، وكثرت مع ذلك أتباعه، حتى امتنع من مكالمة الناس، وصار يُطلِق لسانه في القضاة وأصحاب الولايات»(١).

ـ ثم مضى المصنِّف يتكلم عن موافقة القول للعمل وما يتعلَّق به، وشحن لذلك ما استطاع من أدلة الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وكذلك ما رآه وسمعه عن أهل زمانه في هذا الباب.

ـ ثم مضى في تراجم الصحابة رضي الله عنهم، فبدأ بالعشرة المبشَّرين بالجنة، ثم مَن بعدهم من الصحابة، ثم التابعين وتابِعِيهم، وهكذا، يراعي في كل ذلك ترتيب «**صفة الصفوة**».

ـ ثم ختم التراجم بذِكر بعضٍ من أهل زمانه، رأى أن يُلحِقَهم بتراجم «صفة الصفوة»، ويذكر شيئًا مما عُرف عنهم من الكرامات، ثم ذكر ثلاث قواعد رأى أنه ينبغي تدبُّرها والعمل بها جميعًا، وأنه متى اختلَّ شيءٌ منها لا يتم له الأمر، وهي:

القاعدة الأولى: أن تتعلَّم من العلوم الشرعية ما يصحِّح لك جميع المعاملات، وذلك من باب آداب قضاء الحاجة إلى نهاية الجنايات.

القاعدة الثانية: الجوع.

القاعدة الثالثة: الخمول.

---

(١) «الضوء اللامع» (١١: ٨٢-٨٣).

ـ ثم ختم كتابه بذِكر مسألة (السماع)، وما يتعلق بها ويؤدي إليها، وأول من أظهره ونشره وتكلَّم فيه، فأطال فيها النفس، وذكر أدلة الفريقين، وبيَّن ما فيها، وأظهر الإشكال الواقع في فهمها، ثم انتصر لقول المانعين، واستدل لكل ما يقول من الكتاب والسنة واللغة والشعر، وأجاب عن أدلة المُجِيزين، وبيَّن الإشكال الواقع في فهمها، وقد صاحَب كلَّ ذلك بعضُ شدة كما هي عادته من أول الكتاب.

المبحث الرابع: القيمة العلمية لكتاب «سير السالك»

هذا الكتاب على الحقيقة ليس من إنشاء مؤلِّفه، إنما هو مختصر وملتقَط من «**صفة الصفوة**»، إلا أن هذا لا يقلِّل أبدًا من مكانة «**سير السالك**»، وهذا **للأسباب التالية**:

١ـ كون مؤلِّفه قد أبدع في إيجازه وإخراجه بصورة مستوفية للغرض، مفيدة للباحث.

٢ـ أضاف إليه تعليقات وفوائد مهمة، تفرَّد بها دون غيره.

٣ـ أَلَمَّ بأركان الترجمة وأصولها الرئيسة؛ إذ حوى في غالب التراجم اسم المترجَم له، وكنيته، ولقبه، ونسبه، ووفاته، ومُوجَزًا عن حياته، وبعض أقواله، مع ذِكر شيوخه الذين درس عليهم، أو روى عنهم، وبعض مؤلَّفاته، وغير ذلك بعبارة وجيزة إيجازًا غير مُخِلّ.

٤ـ سعى المؤلف في التقليل من الإسهاب، والتركيز على ما أراد من ذكر حياة الصالحين وضرب الأسوة بهم.

٥ـ لم تَخلُ التراجم من ذِكر بعض الفوائد التي رُوِيت عن الصالحين الذين ترجم لهم.

٦ـ القيمة العلمية لمُختصر الكتاب، وهو الإمام الفقيه الشافعي، تقي الدين الحصني، صاحب المصنَّفات المشهورة في الفقه والسلوك.

فكل هذا وغيره مما يُرسِّخ مكانة هذا السِّفر النفيس، وقيمته العلمية.

المبحث الخامس: المآخذ عليه

إن أي عمل بَشري مهما كان لا بُدَّ أن يعتريه بعض النواقص، وما بيَّنته فيما سبق من قيمته العلمية، وما في الكتاب من محاسن لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات عليه، ورأيت أن أُنبِّه على أهمها، فأقول:

١ـ إن كتاب «**سير السالك**» يعتبر مختصرًا لـ«**صفة الصفوة**» لابن الجوزي، من أول التراجم إلى نهايتها، وقد نقل عنه تراجم كاملة دون تغيير في لفظها، وهذا لا يخفى على أي باحث، ومع ذلك لم يذكر هذا الكتاب - أعني: «**صفة الصفوة**» ـ لا من قريب ولا من بعيد، لا بالصراحة ولا بالإشارة، ولم يُشِر أبدًا أنه اختصر كتابه من «**صفة الصفوة**».

٢ـ أنه يستدل أحيانًا بأحاديث شديدة الضعف، وقد تكون موضوعة، مثل:

ـ «أوَّل من ناح وغنَّى إبليس».

ـ «ما اتَّخذ الله وليًّا جاهلًا، ولو اتَّخذه لعلَّمه».

ـ «من جلس إلى قينةٍ يستمع منها صُبَّ في أُذنَيه الآنك»، وقد بَيَّنت حُكم هذه الأحاديث في مواضعها.

٣ـ أحيانًا ينسب بعض الألفاظ إلى مصدر من المصادر، ولا تكون فيه.

٤ـ شدة المؤلف التي لازَمَته من أول الكتاب إلى نهايته، كان يمكن التقلُّل منها في بعض المواضع، وقد بيَّنّا سابقًا سبب هذه الشدة.

هذه أبرز الأمور التي ظهرت خلال دراستي للكتاب، وهي لا تقلِّل أبدًا من قيمة الكتاب ومكانته، ولا تُضعِف الثقة به، وذلك لقِلَّتها إذا ما قِيست بمحاسنه، والحسنات يُذهِبن السيئات، ولله دَرُّ القائل[1]:

ومَن ذا الذي تُرضَى سَجاياهُ كُلُّها كَفَى المَرءَ نُبلًا أن تُعَدَّ مَعايِبُه

---

(١) البيت من الطويل، وهو ليزيد بن محمد المهلبي. وانظر: «زهر الآداب» (١: ٥٥)، و«جمهرة الأمثال» (٢: ٢٢٦)، و«شرح المقامات» (٢: ٢١٥).

المبحث السادس: أثره في الكتب اللاحقة

لم أقف على مَن نقل عن المؤلف في كتابه هذا إلا الإمام برهان الدين البقاعي رحمه الله، المتوفَّى سنة (٨٨٥هـ) في كتابه: «**إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذِّكر**»، فقد نقل عنه مواضع كثيرة، راجع منها على سبيل المثال: (**٦٣-٦٤-٨٦-٨٨-٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٥-٩٨-١٠٢-١٠٤-١٠٨-١١٠**).

ولعل عدم اشتهار الكتاب واعتماد العلماء عليه راجِعٌ إلى وجود أصله - أعني: «**صفة الصفوة**» - وانتشاره، مع شهرة مؤلِّفه التي فاقت وعمَّت أرجاء البلاد.

المبحث السابع: الأصول الخطية المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذا المصنف على خمسة أصول، أصلان كاملان، وثلاثة أصول ناقصة، وإليك وصفها:

أولًا: الأصول الكاملة

الأصل الأول: ورمزه: «د».

وهو من محفوظات دار الكتب المصرية حرسها الله تعالى برقم حفظ (**١٤٧٩** تاريخ تيمور).

وهو أصل تامٌّ نفيس مُتقَن، وذلك لأنه مُقابَل على أصول أخرى، ويقل فيه التصحيفات والتحريفات.

كتب النص بالمداد الأسمر، وكذا العناوين الرئيسة والفرعية.

يقع في (**٣٥٤** صفحة)، ومسطرته: (**٢٥** سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من تسع كلمات إلى أربع عشرة كلمة.

جاء على الغلاف بخط حديث: «سير السالك إلى أسنى المسالك، لتقي الدين

الحصني أبي بكر بن محمد الدمشقي الحسيني الشافعي المتوفى سنة (٨٢٩هـ)، أوله: الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم... إلى آخره. كذا في «**كشف الظنون**».

ترجم فيه العباد الصالحين، وبدأه بذكر الصحابة فالتابعين، ثم سائر العباد، وصدَّره بمقدمة في المواعظ والحث على التقوى، وهي صفحة (**٥٣**)، وختمه بخاتمة في ذلك تَعرَّض فيها لحُكم السماع، وهي من صفحة (**٣٣٢**) إلى آخر الكتاب». انتهى.

وجاء في الصفحة التالية فهرس لتراجم الكتاب، وكتب فيه: «رتَّبنا في هذا الفهرس أسماء المترجمين على حروف المعجم؛ لأن المؤلف لم يرتبهم عليها، بل بدأ بذِكر العُبَّاد من الصحابة فالتابعين، ثم سائر العُبَّاد.

وقد استطرد في المقدمة لذكر بعضهم، ثم أعادهم في مواضعهم، فأشَرنا في هذا الفهرس إلى الموضِعَين، وأول هذه التراجم صفحة (**٥٣**)».

وقد وقع فهرس الأعلام المترجَم لهم في تسع وعشرين صفحة.

جاء على صفحة العنوان: «هذا كتاب سير السالك في أسنى المسالك، لتقي الدين الحصني أبي بكر بن محمد الدمشقي، الحسيني الشافعي، المتوفَّى سنة تسع وعشرين وثمان مئة، ومختصر ه المسمى بالمختار.

وله شرح صحيح مسلم، والتنبيه، والمنهاج، وتلخيص المهمات، وأهوال القبور، وقمع النفوس، وتفسير آيات متفرقات، وشرح الأسماء الحسنى، وسير السالك».

وجاء في قيد الفراغ: «وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة ـ أعاد الله تعالى علينا من بركات مؤلِّفها - في تمام شهر شعبان سنة خمسٍ وعشرين وألف، وقد نقلت هذه النسخة عن نسخةٍ تاريخها: رابع عشر صفر، سنة ثلاث وسبعين

وثمانِ مئة، وهي كُتِبت عن نسخة كُتِبت عن نسخة المصنِّف رحمه الله تعالى.

وكان مدة كتابتها تسعة أيام، مع توعُّك الجسد بالأسقام، مما يحصل لي من جفاء القوم اللئام، قابَلَهم الله بما يستحقون من الآثام».

جاء على صفحة العنوان تملُّكٌ نصُّه: «ملكه الشيخ الكيالي ابن الشيخ... الكيالي الرفاعي الشافعي، عفا الله ... آمين».

وجاءت عدة تَملُّكات أخرى غير واضحة.

ولقد تميَّز الأصل بأنه مقابَل على أصول أخرى، ويظهر ذلك من التصحيحات الكثيرة المنقولة على حواشيه، مع بعض التعليقات التي كان يضعها الناسخ؛ لما يرى من مناسبتها للنص، كأن تكون بيانًا لمعنى غير واضح، أو تعليقًا على شيء.

وتميز كذلك بأنه خالٍ عن الآفات، سليمًا عمّا يعيبه ممّا يصيب الأصول القديمة عادة من تفكُّكٍ وتمزُّقٍ وأرَضةٍ، أو رطوبة تؤثِّر على حِبره أو ورقه، عدا بعض البقع القليلة التي لم تُؤثر على سلامة النص ووضوحه، والتحريف في بعض الأعلام.

الأصل الثاني: ورمزه: «ق».

وهو من محفوظات مكتبة قرة جلبي، التابعة للمكتبة السليمانية بإستانبول، برقم حفظ (٢٦٩).

وهو أصل تامٌّ نفيس مُتقَن، من أنفَس أصول الكتاب، لأنه منسوخ عن أصل المصنف، كما صرَّح به في عددٍ من حواشيه.

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكذا العناوين الرئيسة والفرعية.

يقع الأصل في (٢٠٦ لوحة)، ومسطرته: (٢٥ سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من تسع كلمات إلى ثلاث عشرة كلمة.

جاء على صفحة العنوان: «كتاب سير السالك إلى أشرف الممالك، تصنيف الإمام الفاضل العالم الزاهد، أبو الفضائل، السيد الشريف الحسيب النسيب، الشيخ تقي الدين الحصني رحمه الله، اللهم نوِّر قبره، آنِس وحشته، طيِّب تُربَته، حرِّم على النار مُهجَته، واغفر لنا وله، آمين».

لم يَرِد قيد فراغ في هذا الأصل المبارك، إلا أن المتأمل فيه يرى أنه من منسوخات القرن العاشر، والله أعلم.

جاء على صفحة العنوان هذه الأبيات:

يا رَبِّ ما زالَ لُطفٌ مِنك يَشمَلُني ... عَفوًا بلا عَملٍ منِّي أُقدِّمُه
فكَيفَ تُعرِضُ عنِّي بَعدَ مَسألَتِي ... وقَد تَجَدَّدَ بِي ما أنتَ تَعلَمُه
فاصرِفهُ عَنِّي كَما عَوَّدتَنِي كَرمًا ... إنِّي ببابِك يا مَولايَ ألثُمُه
إن لم تَكُن راحِمًا شَيبِي ومَسكَنَتِي ... فمَن سِواكَ لهَذا العَبدِ يَرحَمُه[1]

في جمادى الأولى سنة خمس...»، وجاءت عدة تملُّكات أخرى غير واضحة.

وجاء على الأصل ختم وقف خاص بالمكتبة، وفيه: «وقف حسين الشهير بقرة جلبي زاده».

وجاء في اللوحة التي تليها: بعض أسماء السادة التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد تميَّز الأصل بأنه منسوخ عن أصل المصنِّف، ويظهر ذلك في التعليقات التي كان يضعها الناسخ على حواشيه، كأن ينقل شيئًا ثم يقول: «هكذا في نسخة المصنف»، أو يُترك الموضع بياضًا، ويقول: «بياض! هكذا في نسخة المصنف».

وتميَّز الأصل كذلك بأنه خالٍ عن الآفات، سليم عمّا يعيبه ممّا يصيب الأصول

(١) بعض الكلمات غير واضحة بسبب الترميم، وقد أتممتها من المصادر.

القديمة عادةً من تفكُّكٍ وتمزُّقٍ وأَرَضةٍ، أو رطوبة تؤثِّر على حِبره أو ورقه عدا بعض البقع القليلة التي لم تؤثر على سلامة النص ووضوحه.

ثانيًا: الأصول الناقصة

الأصل الأول: ورمزه «س».

وهو قطعة ضمن مجموع محفوظ بمكتبة وطنية باريس برقم حفظ **(٤٥٩١)**.

يقع المجموع كاملًا في **(١٢٤** لوحة).

ويتكون المجموع من عدد من الرسائل وقعت قبل رسالتنا، وهي على النحو التالي:

الرسالة الأولى: «رسالة في فضائل آل عثمان».

الرسالة الثانية: «فضائل الشام».

الرسالة الثالثة: «سير السالك في أسنى المسالك»، ووقع كذلك عددٌ من الرسائل بعد رسالتنا.

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكُتبت العناوين الفرعية بالمداد الأحمر.

يقع في **(٢٧** لوحة)، ومسطرته: **(٢٢** سطرًا).

جاء ذكر العنوان مع نسبته للمؤلف الحصني وذكر بعض المسائل.

وهذه القطعة تَعدِل قريبًا من ثُلث المجلد الأول من الكتاب.

لم يَرِد قيد فراغ في هذه الرسالة، ولا في المجموع كله، ولكن الظاهر أنه من منسوخات القرن العاشر تقريبًا.

لم تَسلَم الرسالة من الآفات والرطوبة والترميم، وكل هذا تسبَّب بطمس كثيرٍ من العبارات، وعدم وضوحها.

الأصل الثاني ورمزه: «ج».

وهو قطعة صغيرة ضمن مجموع محفوظ بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، برقم حفظ (٦١٥٤).

يقع المجموع كاملًا في (١٢٨ لوحة)، ومسطرته: (٢١ سطرًا).

ويتكون المجموع من عدد من الرسائل هي على النحو التالي:

الرسالة الأولى: «رسالة أيها الولد» لحجة الإسلام الغزالي، وتبدأ من اللوحة الأولى إلى اللوحة (١١/ أ).

الرسالة الثانية: «رسالة الكشف والتبيين عن غرور الخلق أجمعين» للإمام الغزالي، وتبدأ من اللوحة (١١/ ب) إلى اللوحة (٢٦/ أ).

الرسالة الثالثة: «أبيات من كلام الإمام الغزالي»، وتبدأ من اللوحة (٢٦/ أ) إلى اللوحة (٢٦/ ب).

الرسالة الرابعة: «الحصن الحصين» للإمام الغزالي، وتبدأ من اللوحة (٢٧/ أ) إلى اللوحة (٤٦/ ب).

الرسالة الخامسة: «أقرب الطرق إلى الله» للإمام نجم الدين البكري، وتبدأ من اللوحة (٤٧/ أ) إلى اللوحة (٤٩/ ب).

الرسالة السادسة: «كيمياء السعادة» للإمام الغزالي، وتبدأ من اللوحة (٥٠/ أ) إلى اللوحة (٥٧/ ب).

الرسالة السابعة: «سراج القلوب في مقامات العوام والخواص»، وتبدأ من اللوحة (٥٨/ أ) إلى اللوحة (٦٥/ ب).

الرسالة الثامنة: «**كتاب في تفريق وتمييز السبيل**» **لأبي بكر الحسني الحصني الشافعي** ـ وهي كتابنا ـ وتبدأ من اللوحة (٦٥/ ب) إلى اللوحة (٧٣/ أ).

الرسالة التاسعة: «مناقب الإمام الغزالي»، وتبدأ من اللوحة (٧٣/ ب) إلى اللوحة (٧٩/ ب).

الرسالة العاشرة: «زيد العلمين وثمرة العملين وطريق النجارة في الدارين»، وتبدأ من اللوحة (٨٠/ أ) إلى اللوحة (٩٢/ ب).

الرسالة الحادية عشرة: «قواعد العقائد» للإمام يحيى بن أبي بكر الحنفي، وتبدأ من اللوحة (٩٣/ أ) إلى اللوحة (١١٢/ ب).

الرسالة الثانية عشرة: «تحفة الإخوان والخلان في بعض آداب أهل العرفان» للإمام شهاب الدين أبي البركات، وتبدأ من اللوحة (١١٣/ أ) إلى اللوحة الأخيرة (١٢٨/ أ).

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكُتبت العناوين الفرعية بالمداد الأحمر.

تقع في ثمانِ لوحات، ومسطرتها: (٢١ سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من عشر كلمات إلى ثلاث عشرة كلمة.

وجاء العنوان كالتالي: «كتاب في تفريق وتمييز السبيل لأبي بكر الحسني الحصني الشافعي، تغمَّده الله بالرحمة والرضوان ونفعنا والمسلمين ببركاته، آمين».

وتعدل هذه القطعة قدرًا يسيرًا من المجلد الأول، يقل عن الربع.

لم يَرِد قيد فراغ في هذه الرسالة، ولا في المجموع كله، ولكن الظاهر أنه من منسوخات القرن الحادي عشر تقريبًا.

الأصل الثالث: ورمزه «ل».

وهي قطعة محفوظة بجامعة ليبزج بألمانيا برقم حفظ (٦٩٣).

وهي قطعة صغيرة تبدأ من أول مسألة السماع إلى نهاية الكتاب.

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكُتبت العناوين الفرعية بالمداد الأحمر.

تقع في (١٨ لوحة)، ومسطرتها: (٢١ سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من تسع إلى عشر كلمات.

جاء على صفحة العنوان: «من كتاب سير السالك في أسنى المسالك، تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة، الرحلة القدوة، الزاهد العابد، الورع المحقق، مفتي المسلمين، صدر المدرِّسين، لسان المتكلمين، قامع المبتدعين، شيخ النحاة والمحدِّثين، الشريف الحسيب النسيب، نجل سيد المرسلين، ولي الله أبي الصدق، أبي بكر الحسيني الحصني الشافعي، تغمَّده الله تعالى برحمته، وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه، آمين».

وجاء في قيد الفراغ: «والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، سيدنا محمد سيد السابقين واللاحقين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وآل كلٍّ وسائر الصالحين، ورضي الله تعالى عن سادتنا أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ووافق الفراغ من تعليقها: نهار الأربعاء ثالث وعشرين ربيع الآخر، من شهور سنة ستٍّ وعشرين وتسع مئة.

قُوبِلَت على أصلها المنقولة منه، فصحَّت ووافقت بحسب الطاقة.

وصلى الله على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وآله وسلم».

جاءت بعض الأبيات والنقول والفوائد على صفحة العنوان، وجاءت بعض التعليقات والنقول والمطالب على حواشي الأصل.

لم يَرِد قيد فراغ في هذا الأصل، إلا أن المتأمل فيه يرى أنه من منسوخات القرن العاشر، والله أعلم.

تميَّزت هذه القطعة بأنها خالية من الآفات، سليمة ممّا يعيبها من تفكُّكٍ وتمزُّقٍ وأرضةٍ، أو رطوبة تؤثِّر على حبرها أو ورقها.

المبحث الثامن : منهج التحقيق

جهدت في ضبط نصّ الكتاب، من خلال التأمل الشديد في أصوله، والرجوع إلى «الأصل»[1] الذي نقل منه المصنف، وتخريج النصوص والأقوال المنقولة قدر الاستطاعة، وعلَّقت على بعض المواضع تعليقًا مختصرًا أحيانًا، ومسهبًا في قليلٍ من المواضع، مشيرًا إلى المصادر لمن أراد أن يتوسَّع في البحث.

ويمكن اختصار منهج العمل في الأمور التالية:

أولًا: نسخنا الكتاب نَسخًا دقيقًا متقَنًا، ثم نسَّقنا فقراته، ووضعنا علامات الترقيم المناسبة.

ثانيًا: قابَلنا الكتاب كاملًا على نُسَخه التي وقفنا عليها، ثم بعد الضبط أعَدنا المقابلة مرةً ثانيةً على النسخة (ق)، ووضعنا ترقيمها بين معقوفين [].

ثالثًا: اتبعنا منهج النصِّ المختار في إثبات النص، حيث هو الأنسب في مثل هذه الحالة.

رابعًا: أثبتنا في النصِّ كلَّ ما يُعِين على تجلِيته وإيضاحه، من تقسيمه إلى فقرات، مع تحديد بداية الأسطر ونهايتها، وغير ذلك.

خامسًا: وضعنا الآيات التي ذكرها المصنف بالرسم العثماني المعروف، مع عزوها بجوارها.

سادسًا: خرَّجنا الأحاديث تخريجًا متوسطًا، فإذا كان الحديث في «**الصحيحَين**»، أو في أحدهما اكتفينا بذلك، ولم نتوسَّع إلا لحاجة، مع نقل أحكام العلماء على الأحاديث.

سابعًا: عزونا الآثار والنقول التي ذكرها المصنف إلى أصحابها من مصادرها

---

(١) أعني: «صفة الصفوة».

الأصلية، فإن لم نقف على المصادر الأصلية، عزَوناها لمصادر أخرى وسيطة تنقل عنها.

ثامنًا: خرَّجنا الأبيات الشعرية المذكورة.

تاسعًا: عرَّفنا بمعاني الكلمات الغريبة، واستعنا في ذلك بالرجوع إلى المصادر المعتمدة، من قواميس لغوية ومعاجم فقهية.

عاشرًا: قمنا بترقيم التراجم؛ ليسهل الرجوع إليها.

حادي عشر: وضعنا بعض العناوين المتعلقة برؤوس الأعلام بين معقوفين.

ثاني عشر: وضعنا مقدمةً علميةً للكتاب في فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب.

ثالث عشر: وضعنا في نهاية الكتاب فهارس علميةً اشتملت على الآتي:

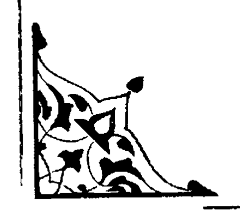
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الآثار الموقوفة.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأشعار.
- فهرس البلدان والأماكن.
- فهرس المحتويات.

وبعد، فهذا جهدنا المتواضع الذي قمنا به في خدمة هذا الكتاب، والتعليق عليه، راجين من الله عزَّ وجلَّ الذي منَّ علينا بإخراجه على هذا النحو أن يتقبَّله منا، إنه جوادٌ كريم.






نماذج من صفحات
المخطوطات المعتمدة في التّحقيق




تاريخ ١٤٦٩

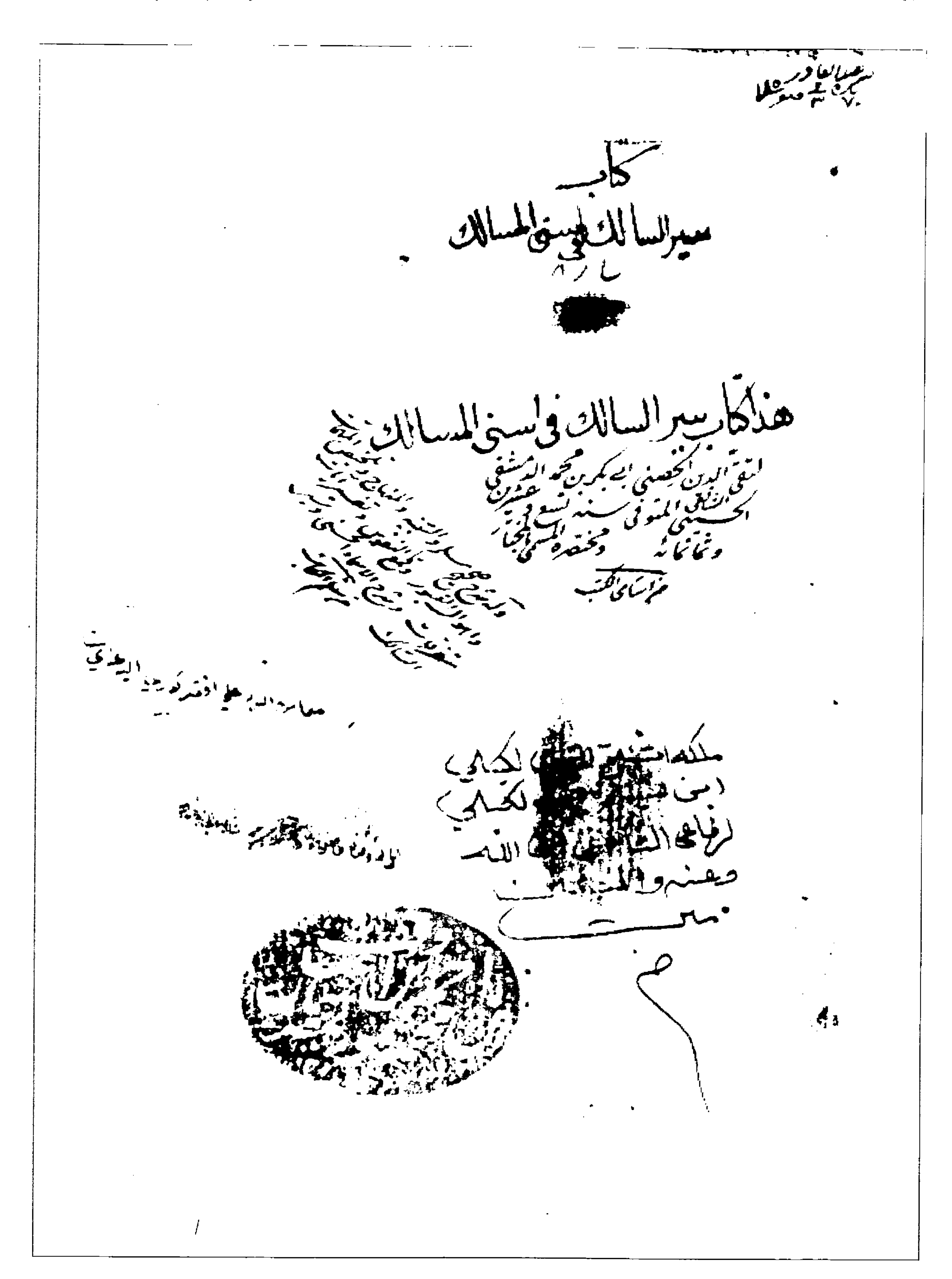
سير السالك إلى أسنى المسالك

لتقي الدين الحصني أبي بكر بن محمد الدمشقي الحسيني (الشافعي) المتوفى سنة ٨٢٩ أوله الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم الخ. كذا في كشف الظنون.

ترجم فيه العباد الصالحين وبدأه بذكر الصحابة فالتابعين ثم بسائر العباد. وصدره بمقدمة في المواعظ والحث على التقوى وهي إلى ص ٥٥ وختمه بخاتمة في ذلك تعرض فيها لحكم السماع وهي من ٢٢٢ إلى آخر الكتاب.

كتبت النسخة سنة ١٠٢٥

صورة الغلاف من النسخة (د)



صفحة الغلاف من النسخة (د)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم بنور الايجاد وجعلها دليلاً على [illegible]

لذوي البصائر الى يوم الميعاد واوضحها باختلاف صفاتها وذواتها

[illegible] الآلهات قد ظهر على صفحات وجهه دلالات لسان العناد

وشرع [illegible] اختاره لنفسه وارسل به رسله وانزل به كتبه وفيها منهج

لكل [illegible] ارشاد فبلغوا ما امروا بلا تكلف ولا اجر مع مفاتيح كنوز الارض

والرضى من العيش بالسواد فسبحان من منّ علينا بهم وله المنة المطلقة

انه لطيف بالعباد صلى الله عليهم وعلى اصحابهم والتابعين [illegible]

واحبابهم صلاة متصلة بلا نفاد [illegible] كذلك [illegible] نفس

وحسن انقياد فهذا [illegible] لكل من رضي بالله ربا [illegible]

[illegible] وان يكون [illegible]

[illegible] سلعة النفاق بل ظهرت اعلام [illegible]

[illegible] له مصداق [illegible]

[illegible] فيه اعلم وفقك الله اني لما رأيت لفظ

[illegible] موضوعا بالاشتراك ولم [illegible]

منه الا ذاك وذلك اجمعت امري على الفرقان بين الحق

والباطل [illegible] الباطل وها انا اذكر سبب الاقتباس

ليحصل لكل من ذوق الانتباه سببه ان الدعاء الى الله تعالى [illegible]

سبيله فرقنا [illegible] الزمان والا [illegible]

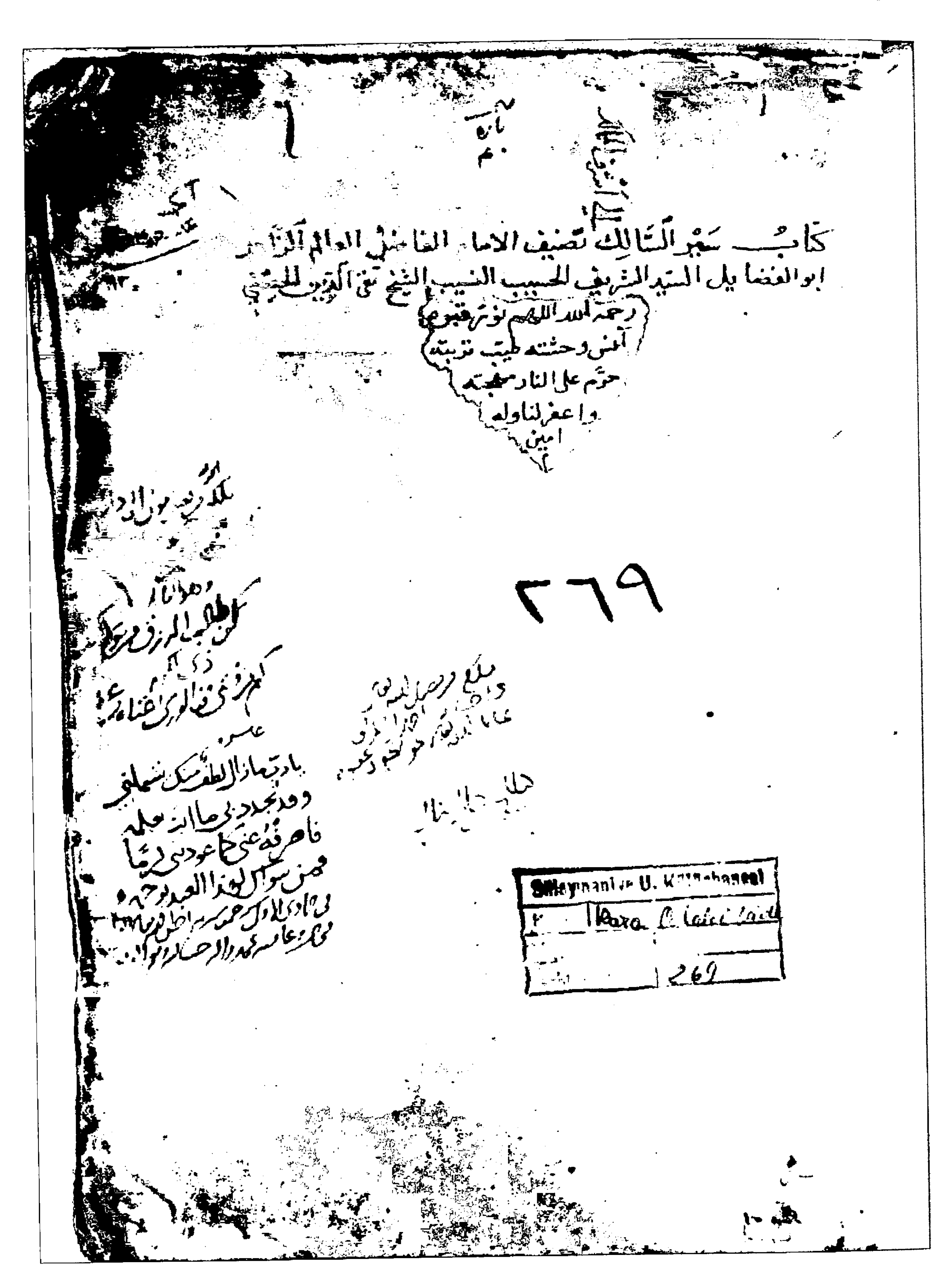
الصفحة الأولى من النسخة (د)

من رواية ابن مسعود رضي الله عنه ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها
وفي رواية ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وفي هذه الرواية اشارة الى ان العمل
المشوب يكون سببا للخلود في النار فعليك بتحقيق الاخلاص في الطاعات ومع
الاخلاص فاحذر ان تعتمد في السلامة على العمل فانه لا يغني عنك شيئا وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انا رسول الله وما ادري ما يفعل بي يشير
صلى الله عليه وسلم الى السابقة فلا يعتمد الانسان على عمله فيكون ذلك
سببا لاهلاكه بل يعتمد على فضل الله الكريم ورحمته انه الفعال لما يريد ويبتهل اليه
في تثبيته على ما اولى من الخيرات انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وغفر الله لي
ولاحبابي ولكل المسلمين امين وصلى الله على سيد السابقين واللاحقين وعلى جميع
الانبياء والمرسلين وآل الكل وساير الصالحين ورضي الله عن اصحاب رسول الله
اجمعين وعن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل وكفى امين

وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة اعاد
الله تعالى علينا من بركات مولفها في تمام شهر شعبان
سنة خمس وعشرين والف وقد نقلت هذه
النسخة عن نسخة تاريخها رابع عشر
صفر سنة ثلاث وسبعين
وثمانمائة وهي كتبت
عن نسخة كتبت
عن نسخة
المصنف
[illegible]

[illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة (د)



صفحة العنوان من النسخة (ق)

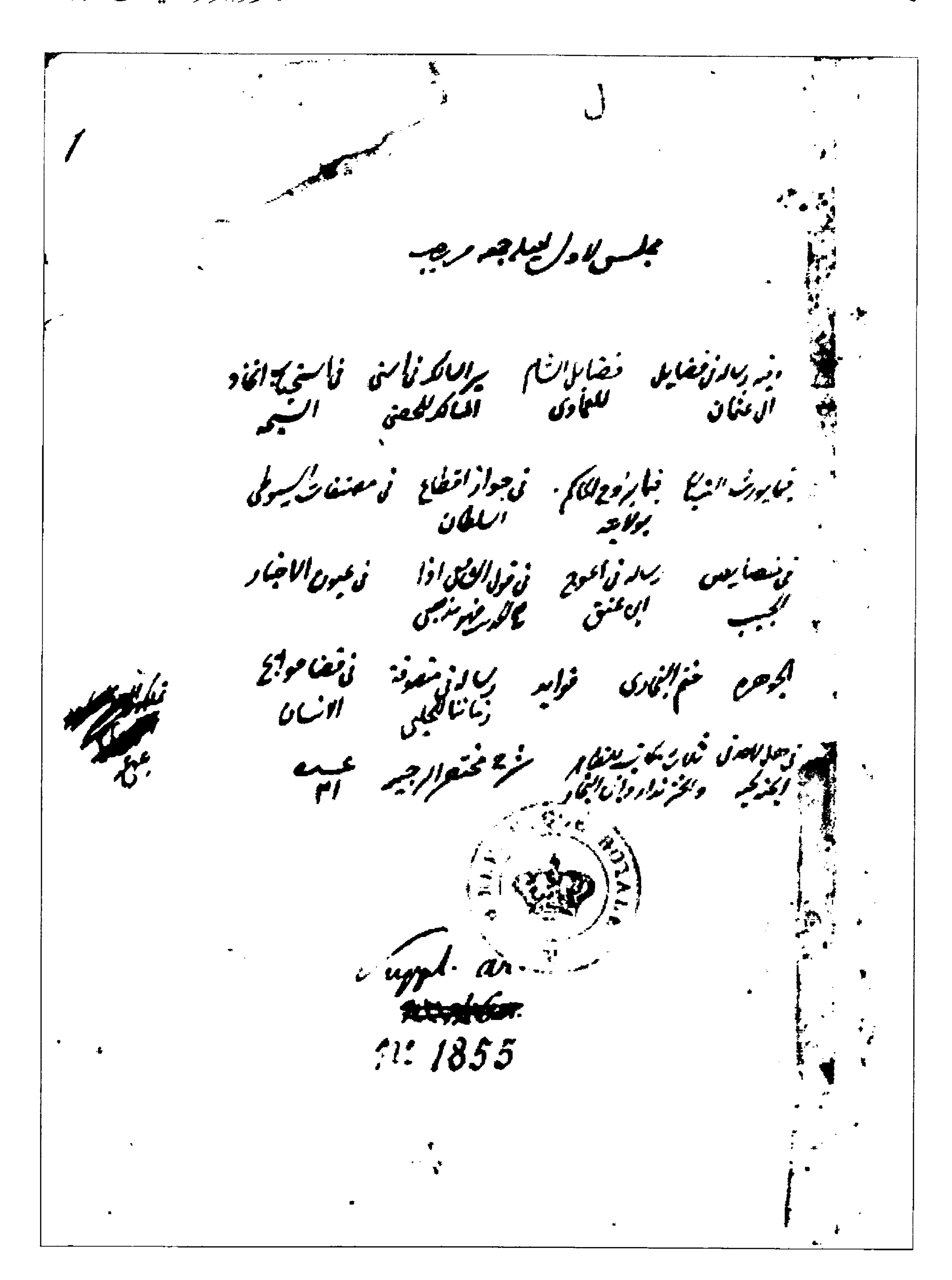
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي نقل الموجودات من ظلمة العدم بنور الإيجاد
وجعلها دلائل لذوي البصائر إلى يوم المعاد وأوضحها
باختلاف صفاتها وذواتها فلا يزيغ عنها إلا هالك [illegible]
على صفحات وجهه وفلتات لسانه العناد وشرع شرعا اختاره
لنبيه وأرسل به رسله وأنزل به كتبه وفيها منهج كل خير ورشاد
فبلغوا كما أمروا بلا كلف ولا أجر مع [illegible] مفاتيح كنوز الأرض
والرضى من العيش بالسداد فسبحان من من على أنبيائه وله
المنة المطلقة إنه لطيف بالعباد صلى الله عليهم وعلى أصحابهم
وأنصارهم وأتباعهم وأحبابهم صلاة متصلة بلا نفاد وسلم
كذلك بطيب نفس وحسن انقياد وبعد فهذا زمان يحق
لكل من رضي بالله ربا [illegible] أن يندب نفسه وأن
تكون [illegible] رمسه [illegible] كلام الخلان [illegible]
[illegible] بل ظهرت أعلام الشقاق وما أدركه من
[illegible] الأمور [illegible] العيش
ما لا خير فيه. واعلم وفقك الله أني لما رأيت لفظ السبيل
موضوعا بالاشتراك ولم يتمسك بالسوي منه إلا ذاك وذاك
أجمعت أمري على [illegible] الباطل وتمييز [illegible]
من الباطل وها أنا أذكر سبب الاشتباه ليحصل لكل من
[illegible] الانتباه [illegible] أن الدعاة إلى الله وإلى سبيله [illegible]
باعتبار الزمان [illegible] واحدة [illegible]
[illegible] بالأولياء [illegible]
وما علموا أنهم عن الصراط السوي حادوا وسلكوا سبل العادة
[illegible] وأقوال [illegible] عجيبة [illegible] لا [illegible]
[illegible]

الصفحة الأولى من النسخة (ق)

الاجماع لعد اختلافهم في مفردات هذه الامور لا و الاحلاف حادثة بين
النظار من الفقها واما الصدر الاول فلا تجد عندهم خلافا في منع كل
واحد منها علي انفراده ولهذا كان عمر رضي الله عنه اذا سمع الدف وهو
الغربال الذي يشبه صوته صوت البعير اعمل الدرة الا ان يكون ثم عرس
وتسكت الصحابة رضي الله عنهم عنه علي ذلك فهو اجماع منهم ومعلوم
ان الضرب بالدرة فيه اذا وهو حرام بالاجماع فلولا اعتقادهم المنع من
ذلك لما سكتوا له رضي الله عنهم ومن المعلوم انهم كانوا ينكرون علي حتي
الامور التي هي دون ذلك الا تري انه لما طلع علي المنبر وقال يا ايها
الناس الا تسمعون فقال سلمان الفارسي لا نسمع فقال عمر ولم فقال انك
قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك ثوبان فقال عمر لا تعجل ثم نادي يا عبد الله
فلم يجبه احد فقال يا عبد الله بن عمر فقال لبيك فقال انشدك الله
عز وجل الثوب الذي اتزرت به اهو لك فقال اللهم نعم فقال سلمان
الان قل نسمع ولا شك ان امر عمر رضي الله عنه من امر الله عز وجل لقوله
عليه الصلاة والسلام اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر ولقوله
سبحانه وتعالي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والله
الغفور التواب واليه المرجع والماب والله اعلم بالصواب ❖
[illegible] انك ايها الطالب الاريب والسالك اللبيب اذا
نظرت في هذا الخلق وجدت عجبا وهو اقبالهم علي هذه القران التي
وصفها الله عز وجل بما وصف به ابليس حتي لو فقد احدهم نعلا وجد له
مشقة شديدة حتي لا يسعه الا ان يشكو ويجد لشكايته اعوانا كثيرة
يا سفوا لاسفه ويحزنوا لحزنه ولا تري احدا منهم يحزن ولا يا سف لما
فاته من زمانه وتضييع اوقات المجالسات مع الكرام الكتبة ومجالسة
الصحابة والمنعم عليهم بل لا يخطر له انا جليس من ذكرني وينتفع هذا
الكانس بمجالسة من حارب الله عز وجل ورسوله واي شي اعجب من
هذا ما تري الشخص يدفع الي البياع درهما فينقصه حبة فيشوش عليه ذلك

وبتاول

الصفحة الأخيرة من النسخة (ق)



غلاف النسخة (س) وهي مجموع

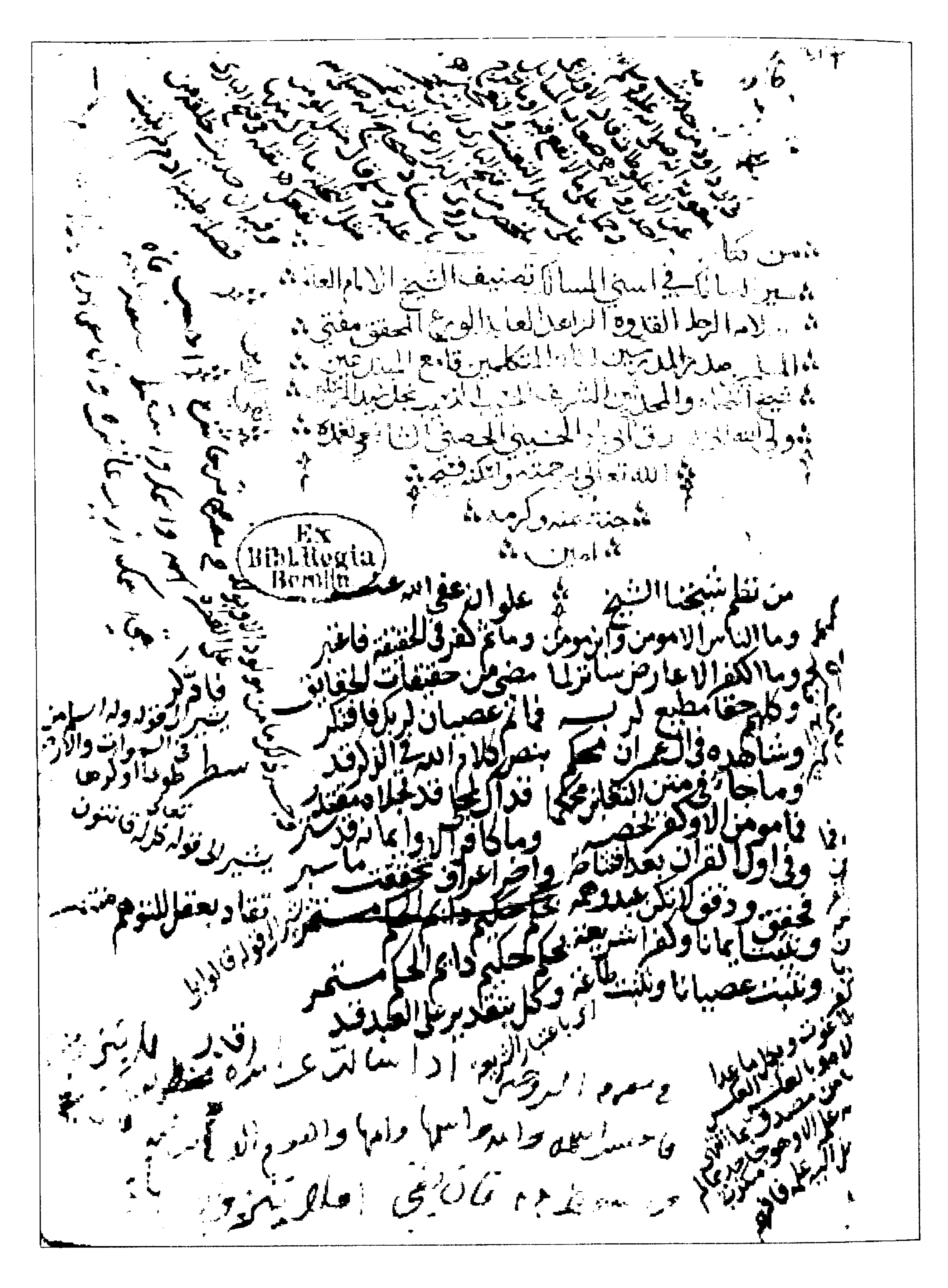
تصنيف الشيخ الامام العالم العامل
ووحيد عصره تقي الدين السيد الحصني
الشافعي رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله

الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم بنور الايجاد وجعلها دليلا لذوي
البصاير الى يوم المعاد وشرع شرعا اختاره لنفسه وانزل به كتابه العظيم
وفيه كل خير ورشاد فتلقاه بالقبول من سبقت له العناية وحقق الانقياد
ومال عن هديه اهل الغي والجهالة والالحاد واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة اعدها ذخيرة ليوم المعاد واصلي واسلم على سيد الاولين
والاخرين واكرم السابقين واللاحقين صلاة متصلة بلا انفاد
اعلم وفقنا الله تعالى الكريم لمرضاته واذاقنا برد مناجاته ان لفظ
السماع في زماننا هذا موضوع بالاشتراك وبه يتمسك كل [illegible]
منه الاذان وذاك والكلام الان في السماع الذي اتخذه فرقة
اهل البطالة وزينه الشيطان باحبولة الجهالة ان السماع قد شاع
وذاع وانتشر به الخلاع في طايفة رسمت نفسها بالصوفية تزعم انه تحصل
لها فيه اوجاد سماوية وحالات رحمانية وفي التحقيق انما هي نزعات شيطانية
وغوايل نفسانية يعرف ذلك من ينظر في الايات القرانية وبحث ونزه
في السنة الصحيحة المحمدية قال [illegible] ابو القاسم الجنيد قدس الله روحه
رايت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشيء قال نعم في وقتين
في وقت السماع وفي وقت النظر فاني ادخل عليهم به وقال الامام العلامة
النووي رضي الله عنه من راى شيخا يدعي حالة مع الله عز وجل

الصفحة الأولى من النسخة (س)

الصفحة الأخيرة من النسخة (س)



صفحة العنوان من النسخة (ل)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن

فصل في السماع اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق
انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم قد علمت ايها السالك مما
تقدم احوال القوم قولا وفعلا فما وجدت مما هم عليه مما هو
خارج عن القران والاذكار التي صفات الرحمن او ما هو خارج
عن الصوم والصلاة ونحوهما مع الخوف من عدم قبولها فاذا
كانت هذه طريقة اصحاب سيدات السابقين واللاحقين وقد
تلقوه عن افضل الخلق بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وهم رضي الله عنهم تلقوه عن امين اهل الارض صلى الله عليه وسلم
وتلقاه عليه افضل الصلاة والسلام عن امين اهل السما وامين
السما جابه عن من اوجد الاشيا من العدم فمن اين تلقا هذه
المحدثات اهلها عافانا الله عز وجل مما يودي الى الضلاله والى
اعتقادها بسبب الهوى والجهاله ثم اعلم رحمك الله ان مسلة
السماع لم يزل الناس يلهجون بها قديما وحديثا وكل احد من الناس
يتكلم في ذلك على حسب معتقده ولا شك ان الاعتقاد انما
ينشا من ملابسة ما يتلقاه الشخص عن شيخه الذي يرى له
فضلا وعلما وما لا حتى يجعل ذلك دينا وليس على المرء اشد من
مفارقته ما يعتقد انه دين ويرى ضرب السيوف اهون عليه
من مفارقة ما يعتقده قربة الى مولاه لا سيما الغلاة في ذلك
والمتعمقين تنبيه ثم اعلم رحمك الله عز وجل ان السماع الذي
كان يتعاطاه اهل الولايه والصدق انما هو القران لا تهم

كانوا

الصفحة الأولى من النسخة (ل)

وفي هذه الرواية اشارة الى ان العمل المشوب يكون
سببا للخلود في النار فعليك بتحقيق الاخلاص
في الطاعات ومع الاخلاص فاحذر ان تعتمد في السلامة
على العمل فانه لا يغني عنك شيئا ولهذا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لرسول الله
وما ادري ما يفعل بي يشير صلى الله عليه وسلم
الى السابقة لئلا يعتمد الانسان على عمله فيكون
ذلك سببا لاهلاكه بل يعتمد على فضل الله عز وجل
ورحمته انه الفعال لما يريد ويبتهل اليه في التثبيت
على ما اولى من الخيرات انه على ما يشا قدير وبالاجابة
جدير وغفر الله لي ولاحبابي ولكل المسلمين امين
والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
سيدنا محمد سيد السابقين واللاحقين وعلى جميع
الانبيا والمرسلين وال كل وساير الصالحين
ورضي الله تعالى عن سادتنا اصحاب
رسول الله اجمعين وعن التابعين
لهم باحسان الى يوم الدين والله اعلم
وحسبنا الله تعالى والمنة
ونعم وصلى الله على من لا نبي بعده
الوكيل سيدنا محمد واله وسلم
الاربعا ثالث وعشرين شهر ربيع الاخر

الصفحة الأخيرة من النسخة (ل)

محل المشاهدة كما ان الارواح محل المحبة والقلب محل الايمان
والسر ما لك عليه اشراف وللسر سر ما لا اطلاع عليه
لغير الحق والسر الطف من الروح والروح من القلب والله اعلم
بالصواب واليه المرجع والمآب تم الكتاب بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه ومحبيه
وحزبه اجمعين
آمين
امين
ام

ويليه كتاب في تعريف وتمييز السبيل لابي بكر
الحسني الحصني الشافعي تغمده الله
بالرحمة والرضوان ونفعنا
والمسلمين ببركاته
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العامل المحقق المدقق المسلك ذو
الفوايد المفيدة والتصانيف الحميدة محيي السنة وحافظ
الملة تقي الدين ابو الصدق ابو بكر الحسني الحصني الشافعي
اعلم وفقك الله تعالى اني لما رايت لفظ السبيل موضوعا
بالاشتراك ولم يتمسك بالسوي منه الا ذاكره وذاكر احمد

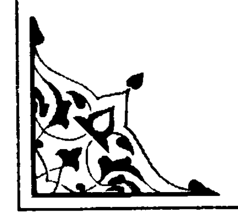
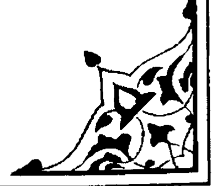
الصفحة الأولى من النسخة (ج)

اما اذا كانت لامر ديني كهجران الشخص لبدعة فيه او تظاهر
بفسق من شرب الخمر واكل حشيش وقطع مصانعة من
محتسب واتباعه وعريف سوق ونقبا وقضاة الرشوة هـ
والمترددين الي الظلمة واعوانهم وما اشبه ذلك فهولا هجرانهم
ليس بحرام قطعا بل هو مندوب اليه وعلي ذلك جري السلف
رضي الله عنهم بل مجالستهم علي سبيل التودد من المحرمات
ومذهب ابن عباس ومن تبعه انه من الكبائر وعزاه القاضي
عياض الي المحققين قال سعيد بن المسيب راس الناس بعين
من اهل المدينة النظر الي اعوان الظلمة من غير الانكار عليهم هـ
بالقلب يبطل الاعمال الصالحة قال العلما اذا كان هذا النظر بمجرده
يبطل الاعمال الصالحة فكيف بالمسالمة فكيف بالمحبة
فكيف بالموادة فكيف بالمواكلة فكيف بالزيارة فكيف بالمزاورة
وفي الترمذي وابن ماجه ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال استعيذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله
وما جب الحزن قال جب تستغيث منه جهنم كل يوم اربعمائة
مرة اعد للقرا الذين يزورون الجورة وفي رواية الترمذي
يزورون ودخل بعض الكتبة علي سفيان الثوري رحمة الله
عليهم فاعرض عنه فقال يا مولاي ما لك تعرض عني فقال
له اني بك وقد دعيت مع فلان وفلان فلا يبقي من لاق لهم
دواة ولا بري لهم قلما الا اتي به ثم يومر بهم الي النار فقال
ان لي عيالا واخشي ان تركت ذلك ضاعت عيالي فقال انظروا

الي




النّصّ المحقّق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد، وعلى آلِه وصَحْبِه وسلِّم[1].

الحمدُ لله الذي فلَق[2] الموجوداتِ من ظلمةِ العدمِ بنورِ الإيجاد، وجعلها دليلًا لذوي البصائرِ إلى يومِ المعاد[3]، وأوْضَحَها باختلافِ صِفاتِها وذواتِها، فلا يزيغُ عنها إلّا هالِكٌ قد ظَهرَ على صفحاتِ وجْهِه وفلتاتِ لِسانِه العناد، وشرَّعَ شرعًا اختارَهُ لنفسِه وأرسلَ به رُسلَه، وأنزل به كُتُبَه، وفيها[4] منهجُ كلِّ خيرٍ ورشاد، فبلَّغوا كما أُمِرُوا بلا تكلُّفٍ ولا أجرٍ مع دَفْع[5] مفاتيح كنوز الأرض، والرضا من العيش بالسداد، فسبحان مَنْ مَنَّ علينا بهم، وله المِنّةُ المُطلَقة، إنّه لطيفٌ بالعباد[6].

صلَّى الله عليهم وعلى أصحابِهم وأنصارِهم وأتباعِهم وأحبابِهم، صلاةً مُتَّصلةً بلا نفاد، وسلَّم كذلك بطيب نفسٍ وحُسن انقياد.

---

(١) قوله: «وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» ليس في (س)، وفي (د): «وبه ثقتي»، وجاء في (ج): «قال الشيخ الإمام العالم العامل المحقق المدقق المسلك، ذو الفوائد المفيدة والتصانيف الحميدة، محيي السنة، وحافظ الملة، تقي الدين أبو الصدق، الحسني الحصني الشافعي».

(٢) في (د): «خلق». (٣) في (د): «الميعاد».

(٤) في حاشية (س): «قوله: (وفيها) راجع إلى الشريعة، وإن ذكرت بصيغة المذكر».

(٥) «دفع» ليس في (د).

(٦) في حاشية (س): «قلت: خطبة المصنف (الحمد لله الذي خلق ..) قد ذكرها في غالب كتبه، كـ«قمع النفوس» و«شرح الغاية» و«المنهاج» وغيرها، فراجِعه تعرف». وانظر: «كفاية الأخيار» (٨)، و«قمع النفوس» (لوحة ١: ب ـ نسخة جامعة الرياض) يسَّر الله إتمامه.

وبعدُ[١]،

فهذا زمانٌ يَحِقُّ لكلِّ مَن رضي بالله ربًّا رِضًا قلبيًّا أن تذوبَ[٢] نفسُه، وأن يكونَ تحفتَه فيه[٣] رَمسُه، أو[٤] يهجر كلامَ الخلّاق، وتَرُوج سِلعةُ النفاق، بل ظهرت أعلامُ الشِّقاق[٥]، وما أذكره من بعدُ بالحَرِيِّ[٦] له مِصداق:

ألا مَـوتٌ يُبـاعُ فأشْـتَريهِ[٧]   فهـذا العيشُ مـا لا خيـرَ فيهِ[٨]

اعلم[٩] **وفَّقك الله** أنِّي لَمّا رأيتُ لفظَ (السبيل) موضوعًا بالاشتراك، ولم يتمسَّك بالسويِّ منه إلّا ذاك وذاك؛ أجمعت أمري على الفُرقانِ بين الحقِّ والباطل، وتمييز المُوفِّي[١٠] من المُماطِل، وها أنا[١١] أذكر سببَ الاشتباه؛ ليحصلَ لكلِّ[١٢] مَن وُفِّق الانتباه.

سببُه أنّ الدعاةَ إلى الله تعالى وإلى سبيله فِرقتان باعتبار الزمان[١٣]، وإلّا فهما في الحقيقة[١٤] واحدة؛ فرقةٌ رسمت نفسَها بالفقهاء، وأخرى بالفقراء، بل بالأولياء، فتبعهم[١٥] الخلق؛ لأنّهم القادة، وما علموا أنّهم عن الصِّراط

---

(١) «وبعد» ليس في (د).
(٢) في (د): «يذب».
(٣) «فيه» ليس في (د).
(٤) في (ق) و(د): «أوه».
(٥) في (س): «النفاق».
(٦) في (د): «بالجري».
(٧) في (د): «فاشتراه».
(٨) البيت من الوافر، وهو للوزير المهلبي. وانظر: «مقاتل الطالبيين» (٨)، و«نشوار المحاضرة» (٧: ٢٥٣)، و«يتيمة الدهر» (٢: ٢٦٦)، و«التذكرة الحمدونية» (٥: ٧١).
(٩) في (ق): «واعلم»، ومن أول المقدمة إلى هنا ليس في (ج).
(١٠) في (ق): «الموافي».
(١١) قوله: «وها أنا» في (س) و(ج): «وهنا».
(١٢) في (د): «بكل».
(١٣) في (س): «باعتبار عرف الزمان».
(١٤) في (ق) و(ج): «بالحقيقة».
(١٥) في (د): «تبعهم».

السويِّ حادوا، وسلكوا سُبلَ[١] العادة[٢]، لهم أحوالٌ وأقوالٌ غريبةٌ عجيبة[٣]، كما ترى خللَها ظاهِرًا لا يخفى إلّا على أكْمَهَ لا يعرف القمرا[٤].

ترى الفقيهَ منهم[٥] ينثر مِن فيه دُررا، ويُشير بفِعْلِه القهقرى، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]. [٣/أ]

وترى الصوفِيَّ قد صفا قلبُه للمزبلة، فيُظهر[٦] زهدًا، ولو جاءه نقيرٌ من غُلول قَبِلَه، أيُّ مصيبةٍ أعظمُ من هذا؟! إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

ويْحَك! بَلْ ويْلَك! أتَدْري خِطابَ مَن هذا؟ أتَدْري نَهْيَ مَن هذا؟

فإن كُنتَ لا تَــدرِي فتِلكَ مُصِيبةٌ وإن كُنتَ تَدري فالمُصِيبةُ أعظَمُ[٧]

وقد سمَّيت كتابي هذا:

بـ[٨] «**سيرِ السّالكِ في أسنَى المَسالِكِ**».

---

(١) في (ج): «سبيل». (٢) في (د): «وسلكوا السبيل».

(٣) في (د): «لهم أحوال غريبة عجيبة».

(٤) مقتبس من بيت من البسيط قاله ذو الرمة يمدح عمر بن هبيرة:

وقد بَهَرتَ فلا تَخفَى على أحَدٍ إلّا على أحَدٍ لا يَعرِفُ القَمَرا

انظر: «ديوان ذي الرمة» (٢: ١١٦٣)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (١: ٢٨٠)، و«مجمع الأمثال» (٢: ٤٠٤)، و«التذكرة الحمدونية» (٧: ٥٣).

(٥) «منهم» ليس في (ق) و(ج). (٦) في (د): «فينظر».

(٧) البيت من الطويل. انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» (٣: ١١٨).

(٨) الباء ليست في (ق).

وطلبتُ[١] من الحكيمِ[٢] فيهِ المعونة، وأن يكونَ حُسنُ القصدِ فيه مَؤُنة، اللَّهمَّ اغْفِر لي ولأحبّائِي ولكل المسلمين، آمين.

وصلَّى الله على سَيِّدِ السابِقينَ واللاحِقِين.



(١) قوله: «وطلبت» تكرر مرتين في (ق).

(٢) في (س): «الحليم».

فَصْلٌ

نذكر فيه شيئًا من كلام الحكيم؛ إذ فيه تِرياقُ[١] كلِّ قلبٍ سليم، وزيادةُ نورٍ وبركةٍ لكلِّ قلبٍ سليم، هو كما قال الصادِقُ[٢] عليه الصلاةُ والسلام: «**فيه نبأُ ما قبلَكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم**[٣]**، هو الفصل، ليس بالهَزْل، مَن ترَكهُ من جبّارٍ قصمَه الله، ومَنِ ابتغى الهُدى في غيره أضَلَّه الله، وهو حبلُ الله المتين، وهو الذِّكرُ الحكيم، وهو الصراطُ المستقيم، هو الذي لا تزيغُ به الأهواء، ولا تلتبسُ به الألْسنة، ولا يشبعُ**[٤] **منه العلماء، ولا يَخلَقُ على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبُه، هو الذي لم تنتهِ الجنُّ إذ سمِعَته حتَّى قالوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١-٢]، **مَن قال به صَدَق، ومَن عَمِلَ به؛ أُجِر، ومن حَكَمَ به عدل، ومن دُعِيَ إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم**»[٥].

وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**إنّ القرآنَ يأتي صاحبَه يومَ القيامةِ حين ينشقُّ**[٦] **عنه قبرُه كالرجلِ الشاحب، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرِفُك،**

---

(١) في (س) و(د) و(ج): «درياق».

(٢) قوله: «وزيادةُ نورٍ وبركةٍ لكلِّ قلبٍ سليم، هو كما قال الصادِق» غير واضح في (س) بسبب الرطوبة.

(٣) قوله: «وحُكمُ ما بينكم» ليس في (س).

(٤) في (د): «تشبع».

(٥) «جامع الترمذي» (٢٩٠٦)، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال».

(٦) في (د) و(س): «يشق».

[٣/ب] فيقول: أنا صاحبُك القرآنُ الذي أظمأْتُكَ في الهواجِر[١] ، وأسهرتُ ليلَك، وإنّ كلَّ تاجرٍ من وراء تجارته، وإنّي[٢] لك اليومَ من وراء كلِّ تجارة، فيُعطى المُلكَ بيمينِه، والخُلدَ بشِمالِه[٣]، ويُوضَعُ على رأسه تاجُ الوَقار»[٤].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

ويحك! اتَّخذتَ أعزَّ التجارة، وجعلته وسيلةً للمزبلة، خِبْتَ في صفقتك هذه وخسرت.

ويحك! اتَّخذت القرآنَ والعلمَ معيشة، هذه نصيحتُكَ لِمَن هو صفةُ الربّ! ألم يقل سبحانه وتَعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

ألم يقل الصادقُ عليه أفضلُ الصلاة والسلام: «الدينُ النصيحةُ»، قلنا: لِمَن يا رسولَ الله؟ قال: «لله، ولكتابِه، ولرسولِه، ولأئمّة المسلمين وعامَّتِهم»[٥]؟

ألم يقل العلماءُ: النصيحةُ لكتابِ الله تبارَكَ وتعالى: التصديقُ بما فيه، والوقوفُ مع أحكامِه، والاعتبارُ بمواعظه، والتفكُّرُ في عجائبه، والعملُ بمُحكَمِه، والتسليمُ بمُتَشابِهِه[٦]، ونشرُ عُلومِه، والدعاءُ إليه، والخشوعُ عند تلاوتِه، والذبُّ عنه لأقاويلِ المُحَرِّفينَ وتعرُّضِ الطاعنين... إلى غيرِ ذلك[٧].

---

(١) في (ق) و(د): «أظمأتك بالهواجر». (٢) في (د): «إني» بدون الواو.

(٣) في (د): «بيساره».

(٤) «مسند أحمد» (٢٣٠٠٠)، قال الهيثمي في: «مجمع الزوائد» (٧: ١٥٩): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، وحسَّنه البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦: ٣٣٠).

(٥) «صحيح مسلم» (٥٥). (٦) في (د): «لمتشابهه».

(٧) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٣: ٩٤)، و«التعيين في شرح الأربعين» (١: ١٠٤).

ويحك! اتخذته لغرضك الفاسدِ من طلبِ المالِ والجاه، والارتفاع على الأقران وصرفِ وجوهِ الناسِ إليك، ألم يقلِ الصادقُ ﷺ: «**مَن تعلَّم عِلمًا ممّا**[1] **يُبتغَى به وجهُ الله تعالى لا يتعلَّمهُ**[2] **إلّا ليُصيبَ به عَرَضًا من الدنيا لم يجد**[3] **عَرفَ الجنّةِ يوم القيامة**»[4]؟ رواه أبو داود من رواية أبي هريرةَ رضي الله عنه بإسنادٍ صحيح.

ألم يقل عليه الصلاةُ والسلام: «**مَن طلبَ العلمَ ليُماريَ به السفهاء، أو يُكاثِرَ به العلماء، أو يصرِفَ به**[5] **وجوهَ الناسِ إليه؛ فليتبوَّأ مَقعدَه من النار**»[6]؟ رواه الترمذيُّ من رواية كعب بن مالك، وقال: «**أدخلَه النارَ**»[7].

ألم يقل الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]؟

ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]/ ؟ [٤/أ]

أَوَّهْ[8]! مثلُ هذا لا يَزجُرُك، فبأيِّ حديثٍ بعد هذا تُؤمِن؟ لعلَّك فُتِنتَ وأنت لا تشعر!

---

(١) في (ق) و(س): «ما». (٢) في (ق): «يعلمه».
(٣) في (ج): «يجده».
(٤) «سنن أبي داود» (٣٦٦٤)، وانظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٦: ٢٤١٠).
(٥) «به» ليس في (د).
(٦) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١: ٢٣٧)، و«اقتضاء العلم العمل» للخطيب (١٠١).
(٧) «جامع الترمذي» (٢٦٥٤)، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تُكلِّم فيه من قِبَل حفظه».
(٨) في (س): «أواه».

ويحك[١]! حامِلُ القرآنِ ينبغي أن يرفعَ نفسَه عن كلِّ ما نهى الله عنه؛ إجلالًا له، وأن يكونَ مُترفِّعًا[٢] على الجبابِرةِ والجُناةِ[٣] من أهل هذه[٤] المزبلة، وأن يكونَ[٥] مُتواضعًا للصالحينَ وأهلِ الخيرِ والمساكين، وأن يكون متخشِّعًا ذا سكينةٍ ووقار، عكستَ القَضِيّة، أيُّ شيءٍ أعظمُ من هذه البَلِيّة!

هذا الفاروقُ رضي الله عنه يقول: «يا معشرَ القُرّاء، ارفعوا رؤوسَكُم، فقد وضحَ لكم الطريق، واستبِقُوا الخيرات، ولا تكونوا عيالًا على الناس»[٦].

هذا عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه يقول: «ينبغي لحامِلِ القرآنِ أن يُعرَفَ بليلِه إذ الناسُ نائمون، وبنهاره إذ[٧] الناسُ مُفطِرون[٨]، وبحزنه إذ الناسُ يفرحون، وببكائه إذ الناسُ يضحكون، وبصمتِه إذ الناسُ يخوضونَ[٩]، وبخشوعه إذ الناسُ يختالون»[١٠].

هذا الحسنُ رضي الله عنه يقول: «إنّ مَن كان قبلكُم رأوا القرآنَ رسائلَ من ربِّهِم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل، ويُنفِّذونها بالنهار»[١١].

هذا الفُضَيلُ العارِفُ بالله، ذو العلومِ العظيمة، والأحوالِ الجسيمةِ يقول:

---

(١) في (ق): «ويحكم».
(٢) في (س): «مرتفعًا».
(٣) في (د) و(ج): «والجفاة».
(٤) «هذه» ليس في (ج).
(٥) «يكون» ليس في (ق).
(٦) «مسند ابن الجعد» (١٩٢١)، و«شعب الإيمان» (٢: ٤٢٩).
(٧) في (ق): «إذا» وكذا في المواضع التالية.
(٨) في (د): «مفرطون».
(٩) في (س): «يخرصون».
(١٠) في (س): «يحتالون». وانظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٥٨٤)، و«الزهد» لأبي داود (١٧٣).
(١١) انظر: «التبيان» للنووي (٥٤).

«ينبغي لحامِلِ القرآنِ ألّا يكونَ له حاجةٌ إلى أحدٍ مِن[١] الخلفاءِ فمَن دُونَهُم»[٢].

وقال: «حامِلُ القرآنِ حامِلُ رايةِ الإسلام، لا ينبغي له أن يلهُوَ مع مَن يلهو، ولا يسهو مع مَن يسهو، ولا يلغو مع مَن يلغو[٣]؛ تعظيمًا لحقِّ القرآن»[٤].

وَيحَك! بمَن اقتديت؟ لعلَّك سلكتَ سبيلَ أهلِ الكتابِ واغتررتَ بالأمانيّ، وقلت: سيُغفَر لي! ألم تعلم أنّ هذه صِفةُ أهل الكتاب؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وَيحَك! يقول الله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ﴾[٥]، فتُعرِض، ثمَّ يقول[٦]: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ فلا تعقل!

قال ابنُ الأعرابيّ: «الخَلْفُ؛ بتسكين اللام، للطّالح[٧]، وبفتحها[٨] للصّالح»[٩]، وقال ابنُ جرير: «الأكثرُ مجيئُها بالسكونِ في الذمّ، وبالفتح في الخير، وقد تُحرَّكُ في الذمّ، وتُسَكَّنُ في الخير»[١٠]. [٤/ب]

---

(١) «من» مثبت من (س) و(د).
(٢) «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٣: ١١١).
(٣) من قوله: «ولا يسهو» إلى هنا سقط من (س).
(٤) «حلية الأولياء» (٨: ٩٢).
(٥) في (ق): «وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ» بدون قوله: «خَيۡرٞ».
(٦) قوله: «ثم يقول» في (ج): «فيقول».
(٧) في (س): «الطالح».
(٨) في (د): «والخلف بفتحها».
(٩) في (س): «الصالح»، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٢: ٥٧٦)، و«تفسير القرطبي» (٧: ٣١٠)، و«حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٦: ١٦٦).
(١٠) «تفسير الطبري» (١٣: ٢٠٩).

وقوله تعالى: ﴿عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾، العَرَضُ: متاعُ الدنيا، والأدنى: العالَمُ الأدنى[1]، وهي هذه الدارُ الفانية[2].

فاليهودُ ورِثُوا التوراة، فقرؤوها وضيَّعوا العملَ بما فيها، وخالَفوا حُكمَها؛ يرتشونَ في حُكم الله تعالى ويقولون: سيُغفر لنا ذنوبَنا[3]، يتمنَّونَ على الله الأباطيل[4].

وَيحَك! هذه أمنيةٌ، زَلَّ فهمُك، ألم تسمع قولَ الصادِق ﷺ: «**الكيِّسُ مَن دانَ نفسَه، وعملَ لما بعدَ الموت، والعاجِزُ مَن أتبعَ نفسَه هواها، وتمنَّى على الله**»[5]، ومعنى[6] «دانَ نفسَه»: حاسَبَها[7].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾، هذا إخبارٌ عن حرصهم على الدنيا، واجترائِهم[8] على الرِّشَى والذنوب، إذا لاحَ لهم شيءٌ من الدُّنيا أخَذُوهُ حَلالًا كانَ أو حَرامًا، ويتمنَّونَ على الله المغفرة، وإن وجَدوا مِن الغَدِ مثلَه أخذوه.

قال أهلُ التفسير: كانت بنو إسرائيلَ لا يقضون قاضيًا إلَّا ارتشى في الحُكم،

---

(١) قوله: «العالم الأدنى» ليس في (د) و(ج).

(٢) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (٢: ٤٢٢)، و«تفسير البغوي» (٢: ٢٤٤).

(٣) في (ق) و(س): «ستغفر ذنوبنا».

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٢: ٢٤٤)، و«لباب التأويل في معاني التنزيل» (٢: ٢٦٥).

(٥) «جامع الترمذي» (٢٤٥٩)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢٦٠)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

(٦) قوله: «ومعنى» ليس في (س).

(٧) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» (١٠: ٣٣٢٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» (٣: ١٧٦)، و«شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٥: ٢٣).

(٨) في (س): «واجتراهم».

فيُقال له[١]: ما لك ترتشي؟ فيقول: سيُغفَرُ لي، فيَطعنُ عليه الآخرون، فإذا ماتَ أو نُزِعَ ووُلِّي غيرُه ممَّن كان يَطعنُ عليه فيرتشي أيضًا[٢].

وقوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ ٱلْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، أي: ألّا يقولوا على الله الباطل، وهو تمنّي المغفرة مع الإصرار[٣].

وَيحَك! بل ويلك! سلكتَ سَنَنَ الذين من قبلك شِبرًا بشِبر، كأنّي بك وقد انسلختَ ممّا علَّمك الله، أو أمِنتَ[٤] أن يُصيبَكَ ما أصابَ بلعام بن باعورا[٥] المذكورَ في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦] الآية.

قال ابنُ عبّاسٍ[٦] رضيَ الله عنهما: «كان من بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيّين، وقيل: من مدينة بلقاء»[٧]، وقصَّتُه على ما ذكره ابنُ عبّاسٍ وغيره: أنّ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ لمّا قَصَدَ حربَ الجبّارين، ونزلَ أرضَ كنعانَ من الشام، أتى قومُ بلعامَ إليه، وكان عنده الاسمُ الأعظم، فقالوا: إنّ موسى رجلٌ

---

(١) «له» ليس في (ق).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٢٩٦).
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٢٩٦).
(٤) في (د) و(س): «أفأمنت».
(٥) قوله: «ابن باعورا» ليس في (ق) و(س).
(٦) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٣٠١)، و«تفسير القرطبي» (٧: ٣١٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥: ٢٢١).
(٧) البَلقاء: كَورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يُضرَب المثل، ومنها: قرية الجبّارين التي أراد الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾. انظر: «معجم البلدان» (١: ٤٨٩)، و«مراصد الاطلاع» (١: ٢١٩).

حديد، ومعه جنودٌ كثيرة، وقد جاءَ يُخرِجُنا من بلادنا، وأنت مجابُ الدعوة، [٥/أ] فادعُ الله أن يردَّهُم عنّا. فقال: ويلَكم! نبيُّ الله ومعه الملائكةُ والمؤمنون، كيف أدعو عليهم وأنا أعلمُ من الله ما أعلم، وإنّي إن فعلتُ ذلك ذهبَ ديني ودُنياي؟

فألحُّوا عليه، فقال: حتَّى أؤامرَ[١] ربِّي، وكان لا يدعو حتَّى ينظُرَ ما يُؤمَرُ به في المنام، فآمَر[٢] في الدعاءِ فنُهيَ عنه، فقال لهم[٣]: قد نُهِيتُ عنه، فأهدَوا إليه هديّة، فقَبِلها، ثمَّ راجَعوه، فقال: حتَّى أؤامرَ رِّبي، فآمَر[٤] فلم يَجرِ إليه شيء، فقالوا: لو كره ربُّكَ الدعاء لنهاكَ كالمرّةِ الأولى، ثمَّ لم يَزالوا يتضرَّعونَ إليه حتَّى فتَنوه[٥]، فركِبَ أتانًا[٦] وتَوجَّهَ إلى جبلٍ[٧] يرى العسكرَ منه، يقال له: حسبان[٨]، فربَضَت به في الطريق، فنَزَلَ عنها وضربها، فقامت، فركِبَها فلم تَسِر به كثيرًا حتَّى رَبَضَت، فضربها، فأُذِنَ لها بالكلام؛ حُجّةً عليه، وقالت: يا بلعام، أين تذهب؟ ألا ترى الملائكةَ أمامي ترُدُّني؟

فخلَّى سبيلَها، ثمَّ انطلق، حتَّى إذا أشرفَ عليهم جعلَ يدعو، فلا يَدْعُو عَلَيْهِم بِشَرٍّ[٩] إلّا صرفَ الله به لسانَه إلى قومِه، ولا يَدْعُو لقومِه بخيرٍ[١٠]

---

(١) في (د): «أومر»، وكتب فوقها: «أُوامِر». (٢) في (د): «فوامر».
(٣) «لهم» ليس في (د). (٤) في (س): «فواملا»، وفي (د): «فوامر».
(٥) قوله: «حتى فتنوه» ليس في (س).
(٦) الأتان: أنثى الحمار. انظر: «لسان العرب» (١٣: ٦)، و«المصباح المنير» (١: ١٥٠)، و«تاج العروس» (٣٤: ١٥٤).
(٧) في (س): «رجل». (٨) في (ق): «حبان».
(٩) كذا في حاشية (س)، وفي (د) و(ق) و(س): «بشيء».
(١٠) «بخير» ليس في (د).

إلّا صرفَ الله به لسانَه إلى بني إسرائيل، فقال له قومُه: إنّما تدعو لهم وعلينا، فقال: هذا ما لا أملك، هذا شيءٌ قد غلبَ الله عليه، واندلعَ لسانُه على صدره، فقال لهم: قد ذهبَ منِّي الآن[١] الدنيا والآخرة، فلم يبقَ إلّا المكر، جَمِّلوا النساء، وأعطوهنَّ السِّلَع، ثمَّ أرسِلوهنَّ إلى العسكر؛ ليَبِعن[٢]، ومُرُوهنَّ ألّا تمنعَ امرأةٌ نفسَها من رجلٍ أرادها[٣]، فلو زنا[٤] واحدٌ منهم[٥] كُفيتُموهم، ففعلوا، فمرَّت امرأةٌ من الكنعانيِّينَ برجلٍ من عُظماء بني إسرائيل، فأخذ بيدِها حينَ أعجبَته، وأقبلَ على موسى عليه السلام، وقال: إنّي[٦] أظُنُّكَ تقول: هذه حرامٌ عليك؟ قال: أجل، لا تَقرَبها. قال[٧]: فوالله[٨] لا نُطيعُكَ في هذا، فدخلَ بها قُبَّتَه، فوقعَ عليها، فأرسلَ الله تعالى على بني إسرائيلَ الطاعونَ في الوقت[٩].

وكان ابنُ العيزار بن هارونَ[١٠] صاحِبَ أمر موسى عليه السلام، وكان رجلًا أُعطيَ بسطةً في الخَلْقِ وقوّةً في البطش، وكان غائبًا حين صنعَ ذلك الرجلُ بالمرأة، فجاءَ والطاعونُ يحوش بني إسرائيل، فأُخبِرَ الخبر، فأخذَ حربتَه وكانت من حديد، فدخلَ القُبّةَ فوجدهُما مُتضاجِعَين، فانتظَمَهُما بحربته، ثمَّ خرجَ بهما رافعهما إلى السماء، والحربةُ قد أخذها بذراعَيه واعتمدَ بمرافقه على خاصرته، وجعلَ يقول: اللهمَّ هكذا نفعلُ بمَن يعصيك.

---

(١) في (س): «الآن مني».
(٢) في (س): «يبعن».
(٣) في (س): «أراد».
(٤) قوله: «فلو زنا» ليس في (س).
(٥) «منهم» ليس في (ق) و(س).
(٦) «إني» ليس في (س).
(٧) في (س): «فقال».
(٨) في (س): «والله».
(٩) انظر: «تفسير الطبري» (١٣: ٢٦٢).
(١٠) يسمى: فنحاص بن العيزار.

[٥/ب] ورُفِعَ الطاعون، فحُسِبَ مَن هَلَكَ من وقتِ زَنَيا إلى قتلهما فوجَدوهُ[١] سبعينَ[٢] ألفًا في ساعةٍ من النهار[٣]، فانظُر ويحكَ ما صَنَعَتِ الرِّشوة.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]، أي: خَرَجَ كما تَسلخُ الحيّةُ جِلدَها[٤].

﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ أي: أدركهُ.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ * وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾، أي: منزلتَهُ[٥] بتلكَ الآيات[٦].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «لَرفعناه بعَمله بها»[٧]، فدلَّ على أنّ المقصودَ من العلمِ العمل، ولهذا قال بعضُ السلف: «إنّ من علامةِ الشقاوة أن يُرزَقَ الشخصُ العِلم، ويُحرَمَ العمل»[٨].

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، أي: سَكَنَ إلى الدنيا ومالَ إليها، يُقال: أخلَدَ وخَلَد، قاله[٩] الزجّاج[١٠]، والأرضُ هنا عبارةٌ عن الدنيا[١١].

---

(١) «فوجدوه» ليس في (س).

(٢) في (س): «سبعون».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٣٠١-٣٠٢)، و«تفسير القرطبي» (٧: ٣١٩-٣٢٠).

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» (١: ٥٦٦-٥٦٧)، و«تفسير القرطبي» (٧: ٣٢١)، و«تفسير الجلالين» (٢٢١).

(٥) «منزلته» ليس في (د).

(٦) انظر: «تفسير السمرقندي» (١: ٥٦٧)، و«تفسير الجلالين» (٢٢١).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٣: ٢٦٨)، و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٣: ٦١٠).

(٨) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٨٧)، و«طبقات الأولياء» (٣٠٠).

(٩) في (س): «قال».

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٢: ٣٩١).

(١١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣: ٢٦١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥: ١٦٢٠)، و«تفسير البغوي» (٣: ٣٠٤).

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: انقادَ لِما دعاهُ إليه الهوى[١]، قال عطاءٌ: «أرادَ الدنيا»[٢]، قال بعضُ العلماء: «هذه أشدُّ آيةٍ على العلماء؛ لأنّه آتاهُ الله تعالى العِلمَ والحِكمة، فسكنَ إلى الدنيا[٣] واتِّباعِ[٤] الهوى»[٥].

فانظُر حُبَّ المالِ وحبَّ الشرفِ ماذا صنعَ بمَن كان يجلسُ في حلقته اثنا عشرَ ألفَ مِحبَرة.

قال بعضُ العلماء: «وما يَسلَمُ من هاتَين الخَلَّتَين[٦] إلّا مَن عَصمَه الله تعالى»[٧]، وقد جاء في الحديث من رواية ابن[٨] كعب بن مالكٍ رضي الله عنه، عن أبيه، أنّه عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام، قال: «**ما ذئبان جائعان**»[٩]، وفي رواية: «**ضاريان أُرسِلا في غنمٍ**»[١٠]، وفي رواية: «**زريبة غنم، بأفسَدَ لها من حِرصِ المرءِ على المال والشرف لِدينه**»[١١]، رواه الترمذيّ[١٢]، وقال: «حديثٌ[١٣] حسنٌ صحيح».

---

(١) في (س): «انقاد لها ومال إليها بالهوى». (٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٣٠٤).

(٣) قوله: «إلى الدنيا» ليس في (س). (٤) في (ق) و(س): «واتبع».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٣٠٤). (٦) في (س): «الحالتين».

(٧) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (٢: ٤٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣: ٣٠٤).

(٨) «ابن» مثبت من المصادر الحديثية.

(٩) «جامع الترمذي» (٢٣٧٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٧٩٦)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(١٠) «المعجم الكبير» للطبراني (١٨٩)، و«حلية الأولياء» (٧: ٨٩).

(١١) قوله: «والشرف لدينه» ليس في (س)، والحديث في «المعجم الأوسط» (٧٧٢)، و«حلية الأولياء» (٧: ٨٩)، و«مسند الشهاب» (٨١١).

(١٢) «جامع الترمذي» (٢٣٧٦). (١٣) «حديث» ليس في (ق) و(د) و(ج).

وفي(١) هذا الحديث من(٢) المثال(٣) ما يُرشِدُ إلى أنّ حُبَّ(٤) هذَين الشيئَين لا يُبقِي لِمَن اتَّصفَ بهما شيئًا من الدين، ولهذا كان بعضُ العلماءِ العامِلين رحمةُ الله عليه يقول: «في هذا الحديث من المثال(٥) ما يحمِلُني على أن آتِيَ بالشهادتَين في اليومِ والليلةِ مِئتَي مرّة».

ثمَّ يقول: «ذِئبان ضاريان أُرسِلا بالأمن في زريبةٍ مُحوَّطٍ(٦) عليها، وليس لها راعٍ يَذُبّ(٧)، أيُبقِيانِ منها شيئًا؟ لا والله الذي تقومُ السماءُ والأرضُ بأمره».

وَيحَك! ألم تسمع قولَ الصادِق: **«إنّ أوّل الناس يُقضَى عليه يومَ القيامة رجلٌ استُشهِد، فأُتِي به، فعرَّفهُ الله تعالى نِعمَه فعَرَفها، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استُشهِدت، قال: كذبت، ولكنَّكَ قاتلت لأن يُقال: جريء، وقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلقِيَ في النار، ورجلٌ تعلَّمَ العِلمَ وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرَّفهُ نِعمَه فعَرَفَها، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العِلمَ وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنَّك تعلَّمت ليُقال: عالِمٌ، وقرأتَ القرآن ليُقال: هو قارئ، وقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلقِيَ في النار، ورجلٌ وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأُتِيَ به فعرَّفهُ نِعَمَه، فعَرَفَها، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحبُّ أن يُنفَقَ فيها إلّا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنَّك** [٦/أ]

(١) في (س): «في» بسقوط الواو.
(٢) «الحديث من» ليس في (د).
(٣) قوله: «من المثال» ليس في (ج)، وفي (س): «من المال».
(٤) موضعها كلمة غير واضحة في (س).
(٥) في (س): «من المال».
(٦) في (ق) و(د) و(س): «في محوط».
(٧) قوله: «يذب» ليس في (س)، وفي (د): «يدب».

فعلتَ ليُقال: هو جَواد، وقد قِيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه، ثمَّ أُلقيَ في النار»[١]. رواه مسلم.

وَيحَك! ألقيتَ نفسكَ في مهلكةٍ عظيمة، أيُّ شيءٍ أعظمُ من هذا! تُقْرَعُ بالكذب على رُؤوسِ الأشهاد، ثمَّ تُسحَبُ على وجهك إلى النار، خِبتَ[٢] وخسِرت إن نزلَ بك هذا الأمر.

وَيحَك! آثَرتَ حُبَّ ما يُرديكَ[٣] على حُبِّ الله تعالى ورسولِه[٤]، ألم يقل الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال العلماءُ: «كفى بهذا حُجّةً على خطرِ مَن هذه حالُه؛ إذ قُرِّعَ[٥] مَن كان مالُه وأهلُه وولدُه أحبَّ إليه من الله ورسوله؛ إذ[٦] وعَدَهم بالتربُّص»[٧].

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، أي: بعذابه[٨]، ثمَّ فسَّقَهم بتمام الآية، وأعلَمَهم أنّهم ممَّن ضلَّ ولم يَهدِه[٩] الله تعالى.

---

(١) «صحيح مسلم» (١٩٠٥).
(٢) «خبت» ليس في (س).
(٣) يرديك: أي: يهلكك. انظر: «العين» (٨: ٦٧)، و«الصحاح» (٦: ٢٣٥٥)، و«لسان العرب» (١٤: ٣١٦).
(٤) في (ج): «ورسول».
(٥) في (س): «فزع».
(٦) في (د): «إذا».
(٧) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢: ١٨).
(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» (١: ٢٥٨)، و«تفسير البغوي» (١: ١٣٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥: ٣٩٢).
(٩) في (س): «يهده».

وكأنّي بك يا مغرورُ وقد قلت: والله، إنّهُما أحبُّ إليَّ من ذلك، ولم تكتفِ بكذِبِك في ذلك حتّى أقسمتَ بربِّك كاذبًا.

إن برهانَ كذبك في هذه الدعوى لَمِن أوضح الأدلة، بل الدليلُ الدالُّ يُنادي عليك بعدم المحبّة أصلًا، بل أفعالُكَ وأحوالُكَ دالّةٌ على بُغضِك لرسول الله ﷺ.

وها أنا أذكُرُ من الأدلّة ما يُبيِّنُ البيانَ الواضحَ أنّك مُبغِضٌ له وإن ادَّعيتَ خلافَ ذلك، فهي خديعةُ نفسٍ أمّارةٍ[1] قد دلَّسَت[2] عليك، والحجّةُ قائمةٌ على تكذيبك.

هذا عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه يقول: «إنّ أُناسًا[3] كانوا يُؤخَذونَ بالوَحيِ في عَهدِ رَسولِ الله ﷺ، وإنّ الوحيَ قد انقطع، وإنّما نأخُذُكم الآن بما ظهرَ لنا من أعمالكم، فمَن أظهَرَ لنا خيرًا أمَّنّاهُ وقرَّبناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه على سريرَتِه، ومن أظهرَ لنا سوءًا لم نأمَنهُ ولم نُصَدِّقه وإن قال: إنّ سريرتَه حسنة»[4]، رواه البخاريُّ. / [٦/ب]

هذا أبو هريرةَ رضي الله عنه يُخبِرُ عن الصادقِ عليه الصلاةُ والسلامُ أنّه قال: «**آيةُ المُنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وعدَ أخلَف، وإذا اؤتُمِنَ خان**»[5]، رواه الشيخان، وفي رواية: «**وإن صامَ وصلَّى وزعمَ أنّه مُسلِم**»[6]، والأدلّةُ على ذلك كثيرةٌ جدًّا.

---

(١) في (ج): «أمارة بالسوء».
(٢) في (س): «دلت».
(٣) في (ج): «ناسًا».
(٤) «صحيح البخاري» (٢٦٤١).
(٥) «صحيح البخاري» (٣٣)، و«صحيح مسلم» (٥٩).
(٦) «صحيح مسلم» (٥٩).

وفي مسلم: «**أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالصًا**»، والرابعةُ: «**وإذا خاصمَ فجَر**»[١]، وللعلماءِ رحِمَهُم الله تعالى في تفسيرِ ذلك اختلافٌ، وليس هذا موضعَه[٢].

ومنها: حَملُه على منافقِي زمانِه ﷺ، ومن إجراءِ اللفظِ على عُمومِه، وظاهِرُه جَعلُهُ من المُشْكَلات.

وَيحَكُم! بل وَيلَكُم! إنّ هذه الخصالَ التي[٣] شَهِدَ بها رسولُ الله ﷺ على النفاقِ أخفُّ[٤] خصالِكم.

وَيحَكُم! إنّكم اتَّخذتُم آياتِ الله هُزُوًا، يقول[٥] الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أي: تعلمونَ أنّكم مُبطِلون[٦].

والأكلُ بالباطلِ أنواع؛ قد[٧] يكونُ بالغصب، والنهب، واللهو كالقمار، وأُجرةِ المُغنِّي، وغيرِها[٨]، ويكونُ[٩] بالرِّشوةِ والخيانة[١٠]؛ يقول الله تعالى:

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٨).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١: ٩١)، و«إكمال المعلم» (١: ٣١٣)، و«المفهم» (١: ٢٥٠)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ٤٦).

(٣) كذا في حاشية (د)، وأشار أنها في نسخة، وفي (ق) و(د) و(س): «الذي».

(٤) كأنه كتب فوقها في (د): «هي».

(٥) في (س): «ويقول».

(٦) انظر: «تفسير الرازي» (٥: ٢٨٠)، و«تفسير البيضاوي» (١: ١٢٧).

(٧) «قد» ليس في (ق) و(د).

(٨) في (د): «وغيرهما».

(٩) «ويكون» ليس في (س).

(١٠) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (١: ٢٨٩)، و«تفسير البغوي» (١: ٢١٠)، و«الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية» (١: ١٧٧-١٧٨).

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

هذه فريضةُ الله العليمِ[١] الحكيم، تأخذونَ ما فرَضَه[٢] الله تعالى ترشون[٣] به[٤] مَن[٥] نصَّ القرآنُ في غير موضعٍ على أنّه حارَبَ الله ورسولَه، يَبيتُ أحدُكم مُتفكِّرًا فيما يُرضي مَن حارَبَ الله ورسولَه، وأظهرَ الشِّقاقَ وسفكَ دماءَ العلماءِ والصالحينَ الذين يأمرونَ بالقسط، وإن كان فيه غضبُ الله تعالى وغضبُ رسولِه ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

وَيحَك[٦]! تَرِدُ عليك الحكومةُ تتعلَّقُ بأحد أولادِ رسول الله ﷺ وخَصمُه فيها محارِبٌ له ﷺ تقضِي لمُحارِبه بالباطل وتترك: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وَيحَك! إنّ أهلَ الكتابِ مع تحريفهم التوارةَ والإنجيلَ لم يرضوا بفعلك، إنّ أحدًا من مُلُوكِهم إذا طلبَ منه حكمًا يقول: لا أجدُ في كتابي هذا، فيرشيه حتَّى يحكُمَ له، وأنت[٧] ترشي بمال مَن جعله الله تعالى له، وتحكُم له[٨] بالباطل، أيُّ دليلٍ أدلُّ على فساد طويَّتِكَ من هذا؟

[٧/أ] لعلَّك تقول: إنّي لَأعلمُ أنّ القرآنَ حقٌّ، ولكنّي أرتكبُ هذا المحذور؛ لأنّ فيه مصلحةَ دُنياي ودفعَ أعدائي، إنّها زلّة، وهل جَهِلَ أهلُ الكتابِ أنّ القرآنَ حقٌّ؟!

---

(١) «العليم» ليس في (د).
(٢) في (س): «فرض».
(٣) في النسخ: «ترشوا».
(٤) «به» ليس في (ق).
(٥) في النسخ: «لمن».
(٦) «ويحك» ليس في (س) و(د).
(٧) في (د): «وأن».
(٨) «له» ليس في (د).

هذا كلامُ ربِّنا[1] يَنطِقُ بأنّهم يعرفونهُ: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٠]، والعلمُ: هو الذي لا يحتملُ النقيض[2].

وَيحَكم! دَرَستُم الشريعةَ حتَّى كادت تَظهرُ أعلامُ الكُفر!

وَيحَكم! أين فِعلُكُم هذا من أقوامٍ كان لهم أمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن مُنكَر، ثمَّ صُنِعَ بهم ما أخبرَ الله تعالى عنهم؛ ففي حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه، أنه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «إنّ[3] **أوَّلَ ما دَخَلَ النقصُ على بني إسرائيل أنّه كان الرجلُ يَلقَى الرجل، فيقول: يا هذا، اتَّقِ الله ودَع ما تصنع؛ فإنّه لا يَحِلُّ لك، ثمَّ يلقاهُ من الغد وهو على حاله فلا يَمنعُه ذلك أن يكونَ أكِيلَهُ وشَرِيبهُ وقَعِيده، فلمّا فعلوا ذلك ضربَ الله قلوبَ بَعضِهم ببعضٍ**»، ثمَّ قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾[4]... إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

ثمَّ قال: «**كلا، والله لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على يد[5] الظالم، ولتأطُرُنَّه[6] على الحقِّ أطرًا، ولتقصُرُنه على الحقِّ قصرًا،**

---

(١) في (د): «الله».

(٢) انظر: «البحر المحيط» للزركشي (١: ٧٥)، و«تاج العروس» (٣٣: ١٢٧).

(٣) «إن» ليس في (ق).

(٤) قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ ليس في (س).

(٥) في (ق): «يدي».

(٦) في (د) و(س): «ولتطرنه».

أو[١] **ليَضرِبَنَّ الله[٢] قلوبَ بعضِكم ببعضٍ[٣]، ثم ليلعنكم كما لعنهم»**[٤]، رواه أبو داود والترمذيّ، وقال: «حسنٌ».

وَيحَكم! إنّكم تُعينُوهم على المعاصي بالمعاصي، أين صنيعُكم من صنيعِهم، خِبتُم وخسِرتُم إن دُمتُم على ذلك.

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: **«ما من نبيٍّ بعثه الله في أُمَّتِهِ قبلي إلّا كان له من أُمَّتِهِ[٥] حوارِيُّون وأصحابٌ يأخذون بسُنَّتِه، ويَقتَدُونَ بأمره، ثمَّ إنّها تَخلُفُ من بعدهم[٦] خُلوفٌ يقولونَ ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمَرون، فمَن جاهَدَهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهَدَهُم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهُم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراءَ ذلك من الإيمان حبّةُ خردل»**[٧]، رواه مسلم.

وَيحَكم! إنّكم تُتعِبُونَ أنفُسَكُم وفِكرَكُم فيما تُحِبُّونه[٨]، وإن كان فيه غضبُ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

وَيحَكم! أما علِمتُم أنّ المعاصيَ بريدُ الكفر[٩]؛ لأنّ العبدَ إذا فعلَ المعصيةَ

---

(١) في (س): «و». (٢) لفظ الجلالة ليس في (د) و(س).
(٣) في (س) و(د): «على بعض».
(٤) «جامع الترمذي» (٣٠٤٨)، و«سنن أبي داود» (٤٣٣٦).
(٥) في (س): «أمتي». (٦) في (د): «يعدهم».
(٧) «صحيح مسلم» (٥٠).
(٨) في (ج): «يحبونه».
(٩) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٦٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ٣٠٨)، و«شرح النووي على مسلم» (١١: ٢٩)، و«العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام» لابن العطار (٣: ١٥٨٤).

نُكِتَ(١) في قلبه نُكتةٌ سوداء، ثمَّ لم يَزَل كذلك حتَّى يَكمُلَ سوادُه، ويَتوالَى [٧/ب] عليه الختمُ والقفلُ والطبعُ والران(٢)، قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وَيحَك! إذا كنتَ يا مغرور، بل يا مُعانِدَ النصوص، الشيطانُ آخِذٌ بناصيتك كيف شاء في حال صِحَّتكَ وكمالِ عقلكَ وفَهمِك، ما تقولُ وما يُقالُ لك، كيف حالُك في طَواعِيتِه إذا تداعتِ الأسقامُ والآلامُ في جسمك واختلَّ عقلُكَ؟! حتَّى لو جلسَ إليك ولدُكَ ومالُكَ الذي هو أحبُّ الأشياءِ إليك لا شعورَ لك بذلك، هل أنت للشيطانِ أطوعُ أم لا؟

مع أنّه يقول لجُنده(٣): شُدُّوا أيدِيَكُم(٤) به(٥)؛ فإنّه إن فاتَكُم في هذه الحالةِ لا تدركونهُ أبدًا.

ثمَّ يأتون(٦) إليك في صورةِ أصلٍ وفرعٍ وحاشيةٍ وصديق، وشيخٍ ومُرَبّ، ويُحَسِّنُونَ لك ما لا قُدرةَ لك على دَفعِه حالَ كمالِ عقلكَ وصحّةِ فهمِك، ويكون قد سَبَقَهُم بالموتِ على التوحيدِ مَن سَبَقَت له العناية، فيَحثِي(٧) على رأسه التراب، ويقول: وَيحَكم! كيف فاتَكُم هذا؟

---

(١) في (س): «نكث»، كذلك في الموضع التالي.

(٢) لعله يشير رحمه الله إلى حديث في «جامع الترمذي» (**٣٣٣٤**): «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زِيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله».

(٣) «لجنده» ليس في (ج).

(٤) في (ق) و(س): «يدكم».

(٥) «به» ليس في (س).

(٦) في (س) و(ق) و(د): «يأتوا».

(٧) في (س): «فحثى».

اللهمَّ إنّا نعوذُ بك من شَرِّه وشَرِّ[1] جُندِه، وندرأُ بك في نُحورِهِم يا أرحمَ الراحمين.

لعلَّكَ غَرَّكَ نقرُكَ للصلاةِ التي لا تَذكرُ الله فيها إلّا قليلًا، وَيحَك! هذه صلاةُ المنافقِ بشهادةِ الصادِقِ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام[2].

لعلَّك غرَّكَ التلفُّظ بالإتيان[3] بالشهادَتَين، ويحك، ما أحمقكَ! هذه أُمُّ الدرداء رضي الله عنها قالت: دخلَ عليَّ[4] أبو الدرداءِ رضي الله عنه مُغضَبًا، فقلت: ما أغضبَك؟ فقال: «والله ما أعرفُ فيهم من أمرِ أُمّةِ[5] محمَّدٍ ﷺ إلّا أنّهم يُصَلُّون جميعًا»[6]، رواه البخاريُّ.

هذا أنسٌ رضي الله عنه يقول: «إنّكم لَتعمَلونَ أعمالًا هي أدقُّ في أعيُنِكم من الشَّعر، وإنّا كُنّا لنَعُدُّها على عهد النبيِّ ﷺ من المُوبِقات»[7]، رواه البخاريّ، ورَواه الإمامُ أحمدُ من حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ[8].

---

(١) في (د): «ومن».

(٢) لعله يشير رحمه الله إلى حديث في «صحيح مسلم» (٦٢٢): «عن العلاء بن عبد الرحمن، أنه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة، حين انصرف من الظهر، وداره بجنب المسجد، فلما دخلنا عليه، قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال: فصلوا العصر، فقمنا فصلينا، فلما انصرفنا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنَي الشيطان قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلّا قليلًا».

(٣) في (س): «الإتيان».

(٤) «عليّ» ليس في (ق) و(د) و(ج).

(٥) «أمة» مثبت من المصادر.

(٦) «صحيح البخاري» (٦٥٠).

(٧) «صحيح البخاري» (٦٤٩٢).

(٨) «مسند أحمد» (١٠٩٩٥).

وقال أنسٌ رضي الله عنه: «ما من شيءٍ كنتُ أعرِفهُ على عهدِ النبيِّ ﷺ إلّا أصبَحتُ له مُنكِرًا، إلّا أنِّي أرى شهادتَكم هذه ثابتةً، فقِيلَ له: يا أبا حمزة، فالصلاةُ؟ فقال: قد فُعِلَ فيها ما رأيتُم»(١).

وفي لفظ: أنّ ثابتًا البُنانيَّ قال: سمعتُ أنسًا يقول: «ما أعرفُ شيئًا ممّا كنتُ أعهَدُه على عهدِ النبيِّ ﷺ غيرَ شهادةِ أن لا إلهَ إلّا الله، فقلت: يرحمُكَ الله، فالصلاةُ؟ فقال: أليس قد صنعتُم(٢) في الصلاةِ ما أرى»(٣).

وقيل لعبدِ الله بن بُسْرٍ(٤) صاحبِ رسولِ الله ﷺ: كيف حالُنا من حالِ مَن كان(٥) قبلَنا؟ [٨/أ]

فقال: «سبحانَ الله، لو نُشِروا مِن القُبُورِ ما عَرَفُوكُم، إلّا أن يجدوكُم قيامًا تُصَلُّون»(٦).

وروى أبو نُعَيمٍ أنّ جارًا لجابرٍ رضي الله عنه قَدِمَ من سفر، فجاءهُ جابرٌ فسلَّم عليه، فجعل يُحدِّثُ جابرًا عمّا أحدَثَ الناس، فجعل جابِرٌ يَبكِي، ثمَّ يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ الناسَ دخلوا في دينِ الله أفواجًا، وسيَخرُجونَ منه أفواجًا**»(٧).

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٧١٨).
(٢) في (د): «ضيعتم».
(٣) «مسند أحمد» (١٣٨٦١)، و«مسند ابن الجعد» (٣٠٧٦)، وانظر: «صحيح البخاري» (٥٢٩-٥٣٠).
(٤) في (س) و(د): «بشر».
(٥) «كان» ليس في (د).
(٦) «المعجم الأوسط» (٤٧٣)، و«مسند الشاميين» (٩٩٦)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٧١٧).
(٧) «مسند أحمد» (١٤٦٩٦) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧: ٢٨١): «رواه أحمد، وجار جابر لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وَيحَك! إذا كان هذا القولُ في أقوامٍ هُم في خيرِ القرونِ بشهادةِ الصادق[١] ﷺ، فما الظَّنُّ بأقوامٍ هُم في شرِّ القُرُونِ!

هذا الحسنُ البصريُّ رضي الله عنه يقول: «واللهِ لقد رأيتُ سبعين بدريًّا[٢] لباسُهُم الصوف، لو رأيتُموهم لَقُلتُم: مجانين، ولو رأوا خِيارَكُم لقالوا: ما لهؤلاءِ من خَلاقٍ ـ أي: نصيب[٣] ـ ولو رأوا شِرارَكُم لقالوا: لا يُؤمِنُ هؤلاءِ بيَومِ الحِساب»[٤].

ودخلَ المسجدَ يومَ الجمعة، فلمّا جلسَ دَمَعَت عيناه، فقيل له: يا أبا سعيد، ما يُبكيك؟ فقال: «أرى قولًا ولا أرى فعلًا[٥]، أرى رجالًا ولا أرى عقولًا، دخلوا ثمَّ خرجوا، حرَّموا ثمَّ استحلُّوا، إنّما دينُ أحدِهم لعقةٌ على لسانه، ولو سألته هل يُؤمِنُ بيوم الحساب؟ لقال: نعم، كذَبَ ومالكِ يومِ الدين، ما هذه أخلاقُ المؤمنين، إنّ من أخلاقِ المؤمِنينَ قوّةً في الدين، وعطاءً في حقٍّ[٦]، ونهيًا عن شهوة، وتَحرُّجًا عن طمع، ونشاطًا في هُدًى، لا يَحِيفُ على مَن يُبغِض، لا يَجْمَحُ بهِ[٧] الغَيظُ..»، إلى آخر ما قال[٨].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٥٢)، و«صحيح مسلم» (٢٥٣٣).

(٢) جاء بعدها في «حلية الأولياء»: «أكثر».

(٣) انظر: «العين» (٤: ١٥١)، و«غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (١: ٢٣)، و«جمهرة اللغة» (١: ٦١٩)، و«الصحاح» (٤: ١٤٧١)، و«لسان العرب» (١٠: ٩٢).

(٤) «حلية الأولياء» (٢: ١٣٤).

(٥) جاء بعدها في «الإبانة الكبرى» لابن بطة: «معرفة بلا يقين».

(٦) في (ج): «في حق الله».

(٧) في النسخ: «في»، والمثبت موافق لما في «الإبانة».

(٨) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٨٦٤).

وَيحَك! هذا الحسنُ يتألَّى[١] بأنّ أهلَ زمانِه الذي هُم في خير[٢] القرون أنّهم لا يؤمنون بيومِ الحساب، مع ما هم عليه من أعمال البرّ، وأنت على العكس من أعمالِهم، تُجهِدُ[٣] نَفْسَكَ[٤] وخيلَكَ ورَجِلَكَ في رضا مَن حاربَ الله ورسولَه بمالِ مَن جعله الله تعالى له في كتابه، وتخضعُ لهم خضوعَ الكلبِ الجائع، وتُظهِرُ شَممًا[٥] على وصيّةِ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ تدَّعِي الإيمانَ بيومِ الحساب.

كَذَبتَ يا عدوَّ الله وعدوَّ رسولِه، قد ظهرَت أماراتُ بُغضِكَ شرعَ رسول الله ﷺ إذ أنت ساعٍ في دَرْسِه[٦]، هذا كلامُ ربِّنا ينطقُ بعدم إيمانك، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛ أي: بظاهِرِهم وباطِنِهم[٧].

فقولُه تعالى: ﴿فَلَا﴾؛ يعني: ليس الأمرُ كما يزعمونَ من الإيمان[٨]، ثمَّ لا يَرضَونَ بحُكمِك، هذا كلامُ ربِّنا ينطقُ بنفيِ/ إيمانِك يا معانِدًا للنُّصوص[٩]. [٨/ب]

---

(١) في (ج): «يتأتى».
(٢) في (ق): «خبر».
(٣) في (س): «تجاهد».
(٤) في (ق) و(س): «بنفسك».
(٥) الشَّمَم: ارتفاع في الأنف. انظر: «المحيط» (٢: ١٥٣)، و«الصحاح» (٥: ١٩٦٢)، و«لسان العرب» (١٢: ٣٢٧)، و«المصباح المنير» (١: ٣٢٣)، و«تاج العروس» (٣٢: ٤٧٦).
(٦) الدرس: دَرَسَ الرسم يدرس دُروسًا، أي: عفا، والمعنى هنا: ذهاب الأثر. انظر: «الصحاح» (٣: ٩٢٧)، و«المحكم» (٨: ٤٤٩)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢: ١٣٣)، و«القاموس المحيط» (٥٥٤).
(٧) انظر: «تفسير الرازي» (١٠: ١٢٨)، و«تفسير البيضاوي» (٢: ٨٢)، و«الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية» (١: ١٥٨).
(٨) انظر: «تفسير الطبري» (٨: ٥١٨)، و«تفسير الرازي» (١٠: ١٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٥: ٢٦٦).
(٩) في (ج): «يا معاند النصوص».

ثمَّ استأنفَ سبحانَه القَسَم، فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: اختلفَ والتبسَ عليهم حُكمُه[1]. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾[2]؛ أي: ضيقًا[3]. ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛ أي: ينقادوا لأمرك انقيادًا[4].

وأنت، ويلكَ! تُظهِرُ الضيقَ من أحكامٍ هي نصوص، وتُعادي وتُقاطِعُ مَن أراد تنفيذَها، وتُوالِي وتُناصِرُ مَن ظهرَ عليه إرادةُ إبطالِها وإهدارِها.

أي عدوَّ الله، يقولُ الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ الآية، هذه الآيةُ مُنطبِقةٌ عليك[5] إن اعتُبِرَ خُصوصُ السَّببِ أو عمومُ اللفظ.

هذا سفيانُ الثوريُّ[6] رحمه الله تعالى كان يطوفُ بالبيت، فأقبلَ الرشيدُ يُريدُ الطواف، فقطعَ سفيانُ الطواف، ثمَّ تلا هذه الآية، وكذلك صَنَعَ ابنُ أبي رَوّادٍ[7]، قاتلَكُم الله ما أجرأكُم على الله وعلى رسوله[8].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨: ٥١٨)، و«تفسير الرازي» (١٠: ١٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٥: ٢٦٦).

(٢) قوله تعالى: «﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾» ليس في (ق) و(د).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨: ٥١٨)، و«تفسير الرازي» (١٠: ١٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٥: ٢٦٩).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٥: ٢٦٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣: ٦٩٥).

(٥) «عليك» ليس في (س).

(٦) تأتي ترجمته برقم (٧).

(٧) انظر: «كفاية الأخيار» (٣٧٦).

(٨) في (ج): «ورسوله».

يا لِلمُسلمين[١]، اسمعوا، فإذا سَمِعتُم فعُوا، إنّ حكايتي هذه لا تكادُ تُصَدَّق، ووالله لولا أنِّي تحقَّقتُها بنفسي ما كنت أُصدِّق:

اتَّفقَ أنّ بعض نُوّابِ دمشقَ خرجَ على سلطان مصر، وتَقوَّى بأخذ أموال المُسلمين، وحَسَّنَ له ذلك بعض[٢] مَن[٣] كان[٤] يتردَّد إليه ـ مِمَّن يَزعُم أنّه[٥] ـ من الفُقهاء والفُقراء، فبرزَ نحو جهةِ حماة، ثمَّ عَطَف على مدينةِ طرابلس بعضُ أعوانه، وقالوا: إنّكم علينا[٦]، وبادَرُوا[٧] إلى الجامع المعمورِ بذِكرِ الله تعالى بها[٨]، فوجَدُوا الغُزاةَ الذين حَبَسُوا أنفسَهُم في الجامع لأجل الغَزاة، يريدونَ بذلك أن تكونَ كلمةُ الله تعالى هي العُليا، حتَّى بلغَنِي أنّ فيهم مَن لا يخرجُ في غيرِ الغَزاةِ إلّا لأجل قضاءِ الحاجة، يعني: البول والغائط[٩]، مع ما هو عليه من التلاوةِ والصَّومِ والصلاة، ومُذاكرةِ العلم، فسفَكُوا دماءَهُم ودماءَ مَن وجدوا من العُلماء، وهي أمارةٌ ظاهرةٌ على فسادِ طَوِيّاتِهم[١٠].

فلمّا قضَوا إربَهم من هذا الفعلِ الخبيث، وأقبَلُوا على دمشقَ الذي أحلَّ الله العزيزُ بها ما أحلَّ من غَضَبِه؛ خرجَ إلى هؤلاء القلف[١١] كبارُ العُلماءِ والقُرّاء، وتلقَّوهم يهنئونهم[١٢] بالفتح والنُّصرة، وهم مع ذلك راكبينَ في السُّروج

(١) في (س): «بالمسلمين».
(٢) «بعض» مثبت من (د).
(٣) في (س): «ممن».
(٤) «كان» ليس في (ق) و(د).
(٥) قوله: «ممن يزعم أنه» ليس في (ق).
(٦) قوله: «بعضُ أعوانه، وقالوا: إنَّكُم علينا» ليس في (س).
(٧) في (س): «وبادر».
(٨) «بها» ليس في (س).
(٩) «والغائط» مثبت من (د).
(١٠) في (د): «طواياهم»، وفي (س): «أمارة ظاهرة على كفرهم».
(١١) «القلف» ليس في (س).
(١٢) في (س) و(د): «يهنوهم».

المُفضَّضة المَطليّةِ بالذهب، وعلى أكفالِ خيلِهم كنائسُ[١] الذهبِ والفضّة، وبين أيديهم آلاتُ اللهو المُجمَعُ على تحريمها مع كونِها من الفضّة [٩/أ] ، ومُغشّاةً بالذهب، وبين أيديهم الكلاب، ثمَّ لم يَرتَضُوا[٢] بأن يكونَ هؤلاء الفقهاءُ قريبًا منهم، بل جعَلُوهم مع الكلابزية؛ تحقيرًا لهم، وقصدًا[٣] في إهانةِ[٤] هذه الشريعة، لعلَّهم يتمكَّنون[٥] من إظهار ما هو كامِنٌ في نفوسهم الخبيثة، ثمَّ لم يَلبَث هؤلاء الذين يزعمونَ أنّهم فُقهاءُ حتَّى بادَروا بإتحافِهم بكلِّ نوعٍ من الأطعمةِ والأشربةِ والملابسِ السَّنِيّة، فأيُّ دليلٍ أدلُّ على بُغضِهم لهذه الشريعةِ من هذا؟! إنّا لله وإنّا إلَيهِ راجِعُون.

ثمَّ أعجبُ من هذا أنّ أكبرَ مَن لاقَى هذه الطائفةَ المارقةَ اجتمعنا به[٦] في مكانٍ على غير ميعاد، فشرعَ يُظهِرُ سلوكًا وحُرقةً[٧] على الدِّين، وهذا[٨] من أعجبِ العَجب، فقلتُ: لا إله إلّا الله، إنّما تميَّزَ المؤمنُ على المنافقِ بأنّ المؤمنَ لسانُه وقلبُه واحد، والفعلُ دليلٌ لذلك[٩]، والمنافقُ[١٠] فِعلُه يُخالِفُ قولَه، فانخنس، ولله المِنّة.

ثمَّ إنّي تَفَكَّرتُ[١١] في أمرِ هَؤُلاءِ وفي فِعلِهم، وعرضتُ على نفسي من أيِّ[١٢] الفِرَق هم؟ فوجدتُهُم أشبهَ شيءٍ بطائفةٍ خبيثةٍ وهي المُرجِئة، واعتقادُهُم أنّهم

---

(١) في (س): «كبائش»، وفي (د): «كنابش».
(٢) في (د): «يرضوا».
(٣) في (د): «وقصدوا».
(٤) في (س): «أهان».
(٥) في (س): «يتمكنوا».
(٦) «به» ليس في (س) و(د).
(٧) في (س): «وخرقة».
(٨) في (س): «وهو».
(٩) في (ج): «ذلك».
(١٠) في (ق): «والمنافع».
(١١) في (ق): «فكرت».
(١٢) «أي» ليس في (س).

يقولون: إنّ[١] الإيمان لا يضرُّ معه معصية، كما أنّ الكُفرَ لا ينفعُ معه طاعة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، قبَّحهُم الله على هذا القياسِ الفاسد؛ فإنّه أنتجَ غضبَ الله عليهم، ولَعْنَهم وإعدادَ[٢] عذابِ النار لهم، وليس لمقدِّمات هذا القياسِ إلّا هذه النتائج[٣].

وَيحَك! لعلَّك داخلٌ في[٤] الذين نبَّأ[٥] الله بأنّهم أخسَرونَ[٦] أعمالًا؛ لأنّهم ضلَّ سعيُهُم في الحياة الدنيا وهم يَحسَبونَ أنّهم يُحسِنونَ صُنعًا[٧]؛ فإنّه سبحانه وتعالى نبّه على أسبابِ المهالكِ والخُسران، على أنّ أبا الليث السمرقنديَّ قال: «إنّها مُطلَقةٌ»، وأجرى حُكمَها على أقوامٍ يلهونَ بالرقص، فما بالُ أقوامٍ يلهونَ بأخذ أموال مَن جعلها[٨] الله تعالى لهم، وحَمْلِها[٩] إلى أقوامٍ حارَبوا الله ورسوله، وأهانوا شريعةَ الله تعالى ورسوله[١٠].

وَيحَك! أمِنتَ أن تموتَ على هذه الحالةِ الرذيلة، فتُحشَرَ معهم، ألم يقرع سمعَكَ قولُ الصادق ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَن أحَبَّ**»[١١]؟

لعلَّك[١٢] غرَّتكَ نفسُكَ بأنّك تحبُّ الله ورسولَه، كذبت، إنّ أفعالَك عكسُ مُدَّعاك، وكأنّي بك تُجادِلُ في ذلك مع أفعالِك هذه القبيحة.

---

(١) «إن» ليس في (ج).
(٢) في (د): «وأعد لهم».
(٣) في (س): «القبائح».
(٤) في (س): «مع».
(٥) في (ج): «أخبر».
(٦) كذا في (ج)، وفي باقي النسخ: «أخسرين».
(٧) مقتبس من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].
(٨) في (ق) و(س) و(ج): «جعله».
(٩) في (س): «وحللها».
(١٠) قوله: «وأهانوا شريعةَ الله تعالى ورسوله» ليس في (س).
(١١) «صحيح البخاري» (٦١٦٩)، و«صحيح مسلم» (٢٦٤٠).
(١٢) «لعلك» ليس في (ج).

وَيحَك! إنّ الجذعَ في عينك وأنت لا تشعُر، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

[٩/ب] وَيحَك! إنّ في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ما يُذهِبُ الرُّقادَ ويُذيبُ الفؤادَ.

وَيحَك! أهلكتَ نفسَكَ وأهلَك، بل أهلكتَ الناسَ جميعًا؛ لأنَّ بكَ الاقتداء، أنت[١] مشؤومٌ على نَفسِكَ وعلى غيرِك؛ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

يا هذا، ألم يُحرِقْكَ خطابُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، وملاطفةُ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]. وفيه إشارةٌ لطيفةٌ بأنّه سُبحانه وتعالى عادَى إبليسَ في أبينا، ونحن نتَّخِذهُ وذريَّتَه أولياء، أيُّ شيءٍ ألطَفُ من هذه المعاتبة، وأيُّ جفاءٍ أعظمُ من هذا الجفاء؟

وبعدَ هذا[٢] الجَفا إن جِئتَ مُعتَذِرًا ... إلــى حِمانا تَجد عَفــوًا وغُفرانا[٣]

فسُبحانه ما أعزَّه! وما أحلَمه! يُمهِلُ ويَحلُمُ ولا يَعجَل، نعم، إنّما يَعجلُ مَن يخافُ الفَوت، فعليك يا هذا بتَركِ سُبل[٤] المهالك، والتحوُّلِ إلى **أسنى المسالك**، ولا تتعاظَم ما اجترَأت[٥]، فعدمُ[٦] مؤاخذتِكَ عاجلًا دليلٌ على عَطفِه عليك.

---

(١) «أنت» ليس في (د). (٢) في «الجواهر الثمينة»: «ذاك».
(٣) انظر: «الجواهر الثمينة في محاسن المدينة» (٤٧).
(٤) في (س) و(د): «سبيل». (٥) في (س) و(د): «اجتريت».
(٦) في (د): «بعدم».

أين ذنبُك مِمَّنْ قتلَ مئةً ونأى بصدره نحو أهل الجِنان[١]؟ أين ذنبُكَ ممَّن جعلَ له نِدًّا وعَبَدَ الأوثانَ؟

للهُ أفرَحُ بتوبة عبده ممَّن ضلَّ بعيرُه، وأخطأ من شدَّةِ فرَحِه، فنزَّلَ نفسَه منزلةَ الرحمن[٢]، فسُبحانَ ربِّنا الحَنّانِ المَنّان[٣].

اللهمّ، يا حَسَنَ التجاوز، يا واسعَ المغفرة، أذِقنا بَردَ عفوِك وحلاوةَ مغفرتِك، إنّك على ما تشاءُ قدير، وبالإجابة جدير، وصلَّى الله على البشير النذير.

واعلم رحِمَكَ الله أنّ في بعض ما ذكَرتُه كفايةً لمَن كان له قلبٌ أو ألقَى السَّمعَ وهو شهِيد[٤]، ولو شئتَ أن أذكرَ ممّا ذكرتهُ نحو مجلَّدات لكنتُ بسبيلٍ من ذلك، ولكن أردتُ الإشارةَ إلى ذلك على سبيلِ الاختصار.

ولنَختم هذا الفصلَ بمسألةٍ قَلَّ من الناس مَن يعرِفها، ومَن عرَفها فعمله بها في غاية العزّة، فعليك **أيُّها السالِكُ** بالحزمِ فيما صحَّت فيه السُّنّةُ الشريفة، وإيّاك وطُرُقَ الضلالة، ولا تغترَّ بكثرة الهالكين، والزم طُرُقَ الهُدى ولا يضرُّكَ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٦٦). (٢) في (ق): «الرحمة».

(٣) يشير رحمه الله إلى ما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٧٤٤): عن الحارث بن سويد، قال: دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض، فحدثنا بحديثين؛ حديثًا عن نفسه، وحديثًا عن رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام، فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

(٤) قوله: «أو ألقى السمع وهو شهيد» مثبت من (د).

قلّةُ السالكين، وهي أنّ السلامَ ورَدَّهُ هل هو مشروعٌ في حقِّ كلِّ مسلم، أم مختصٌّ بناسٍ دون[1] آخرين؟

والجواب: أنّ المسلمَ الذي ليس بمشهورٍ بفسقٍ ولا بدعةٍ يُسَلَّمُ عليه، ويجبُ عليه الردُّ إذا سَلَّمَ عليه مَن هو مثله.

أمّا المبتدعةُ[2]، ومَنِ اقترف ذنبًا عظيمًا ولم يتُب منه كهؤلاء الظلمة من الحُكّام، وغيرِهم ممَّن يأكُلُ أموالَ الناس بالباطل، كالمَكَسةِ وقُضاة الرِّشى وأتباعهم، ومَن يأكل جَوامِكَ[3] الوظائف الدينيةِ بغيرِ استحقاق، كالطلبةِ وأصحابِ وظائفِ القراءة والمُدرِّسين الذين ليسوا أهلًا للوظيفة وأتباعِهم، وشهودِ القسم، والذين[4] يعاملونَ الناس بالخداع كالسُّوقة، ومن يَتزيّا بزيِّ القوم وليس منهم، حتَّى إنّ العلماءَ نصُّوا على أنّ الشخصَ إذا أُعطيَ عطاءً بناءً على أنّه سالك، وهو يعلمُ من نفسه أنّه لم يلحق بالقوم؛ يَحرُمُ عليه تناولُه[5]، فهؤلاء لا يُسَلَّمُ عليهم، وإذا سَلَّم أحدٌ منهم لا يُرَدُّ عليه، كذا قاله البخاريُّ وغيرُه من العلماء.

واحتجَّ أبو عبد الله البخاريُّ وغيرُه من العلماء على ذلك بقصة كعب بن

---

(١) في (د): «دون أناس». (٢) في (د) و(ج): «المبتدع».

(٣) الجامكية: هي كلمة أعجمية فارسية، تعريب جامكي، مركبة من (جامه) أي: قيمة، ومن (كي) أداة النسبة في تلك اللغة، ومعناها: رواتب خدام الدولة، كما ذكر صاحب «الألفاظ الفارسية المعربة» (٤٥)، وعرفها ابن عابدين بأنها: ما يُرَتَّب في الأوقاف لأصحاب الوظائف، وهي كالعطاء، إلا أن العطاء سنوي، والجامكية شهرية، كما في حاشيته «رد المحتار على الدر المختار» (٤: ٤٣٤).

(٤) في (ق): «الذين» بدون الواو.

(٥) من قوله: «حتى إن العلماء نصوا على أن» إلى هنا ليس في (س).

مالكٍ رضي الله عنه[١] حين تخلَّف هو وصاحباه مُرارةُ بنُ ربيعةَ العامريُّ وهلالُ بنُ أميّةَ الواقفيُّ[٢] عن غزوة[٣] تبوك.

وفي القصّة: «ونهى[٤] رسولُ الله ﷺ عن كلامنا»[٥].

قال البخاريُّ: وقال عبدُ الله بنُ عمر: «لا تُسلِّموا على شربة الخمر»[٦].

وهذا زيادٌ أخو أبي بكرةَ لأُمِّه لمّا انتمى إلى أبي سفيانَ أنكرَ عليه أخوهُ أبو بكرةَ رضي الله عنه، واسم أبي بكرة: نُفَيع، وهجرَهُ بسبب ذلك، وحلفَ لا يكلِّمهُ أبدًا، وهذه القصّةُ في مسلم[٧].

وقصَّةُ[٨] عائشةَ رضي الله عنها مع ابن الزبير[٩] غيرُ خافيةٍ على مَن له درايةٌ بذلك، وغيرُ ذلك[١٠] من هُجران السلف، حتَّى[١١] إنّ أحدَهم[١٢] كان إذا وجدَ صاحبَهُ في مقبرةٍ يضحك؛ يتألَّى[١٣] ألّا يُحدِّثه[١٤] أبدًا، ويقولُ: تضحك في موضع[١٥] البكاء، ومثلُ ذلك وأشباهُهُ أشهرُ من أن يُذكَر، وأكثرُ من أن يُحصَر،

---

(١) انظر: «كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار» (٣٨١-٣٨٢).

(٢) قوله: «هو وصاحباه مُرارةُ بنُ ربيعةَ العامريُّ وهلالُ بنُ أميَّةَ الواقفيُّ» ليس في (س).

(٣) «غزوة» ليس في (س).

(٤) في (د): «نهى» بدون الواو.

(٥) «صحيح البخاري» (٤٤١٨)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦٩).

(٦) «صحيح البخاري» باب من لم يسلم على من اقترف ذنبًا، ولم يرد سلامه، حتى تتبين توبته، وإلى متى تتبيَّن توبة العاصي (٨: ٥٧).

(٧) «صحيح مسلم» (٦٣).

(٨) في (ق): «وقضية».

(٩) «صحيح البخاري» (٦٠٧٣).

(١٠) قوله: «وغير ذلك» في (ج): «وقد بلغ».

(١١) «حتى» ليس في (ج).

(١٢) في (د): «أحدكم».

(١٣) في (ج): «يحلف».

(١٤) في (ق): «يحدث».

(١٥) في (ج): «محل».

والآيةُ فيها أبلغُ كفايةٍ لِمَن أراد الخير، والاغترارُ بما[١] عليه فُقهاءُ السوء، وصوفيّةُ الجهل جهلٌ وتغيير، بل طمسٌ لما مرّ، وهو فسادٌ كبير، والله أعلم.

وهذا عند السلامةِ من الظلمة، أمّا إذا اضطرَّ إلى السلامِ عليهم بأن دخلَ عليهم، وخافَ أن يترتَّبَ مفسدةٌ في دينه أو دنياه أو غيرهما إن لم يُسلِّم أتى بلفظ السلام لا يقصدُ[٢] التحيّة، بل ينوي أنّ السلامَ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، ويحذفُ الخبر، معنى ذلك: الله عليكم رقيبٌ، كذا صرَّحَ به العلماءُ قديمًا وحديثًا[٣]. [١٠/ب]

وممَّن صرَّحَ بنقله عن العلماء: الإمامُ العلّامةُ العبدُ الصالحُ أبو بكرٍ ابنُ العربيِّ المالكيُّ[٤] رحمة الله تعالى عليه[٥]، مع أنّ في «**صحيح مسلم**»[٦] من رواية أبي هريرةَ رضي الله عنه أنّه عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخُلُوا الجنّةَ حتَّى تُؤمِنوا، ولا تُؤمِنوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموهُ تحابَبتُم؟ أفشوا السلامَ**».

فانظُر ما بين هذَين المقامَين: أمرٌ بالسلامِ الذي هو سببُ المحبّةِ التي هي باعتبارِ اللفظ شرطٌ للإيمان، وعند التجرُّؤِ على حدودِ الله تعالى لا يُقصد بالتحيّة، بل التخويفُ بكونِه تعالى رقيبًا على هذا المُتعَدِّي.

---

(١) في (س): «والاغترار بأخذ ما»، وفي (د): «والاعتذار بأخذ ما».

(٢) في (س) و(ج): «بقصد».

(٣) انظر: «فتح الباري» (١١: ٤٠)، و«عمدة القاري» (٢٢: ٢٣٦).

(٤) «المالكي» ليس في (د)، وكتب في حاشية «ق»: «ليس هو ابن العربي المشهور بالشيخ الأكبر».

(٥) «المسالك في شرح موطأ مالك» (٧: ٥١٤-٥١٥).

(٦) «صحيح مسلم» (٥٤).

فعليكَ يا هذا بالعلم، ولا تغترَّ[١] بفعل الجهلةِ كهؤلاء المتصوِّفةِ على غير علم، ولا تغترَّ بكثيرٍ من طلبةِ العلمِ الذين لا يعتنونَ بالعمل[٢]؛ فإنّهم من[٣] الأشقياءِ كما نصَّ عليه بعضُ السلفِ كما قدَّمناه.

وممّا يتعلَّقُ بما نحنُ[٤] **فيه**: مسألةُ الهجرانِ[٥]، وهو حرامٌ فوق ثلاثةِ أيّام؛ ففي «**الصحيحين**»[٦] من حديثِ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثِ ليال، يلتقيانِ فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا، وخيرُهُما الذي يبدأُ بالسلام**».

وفي «**صحيح مسلم**»[٧] من روايةِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**تُعرَضُ الأعمالُ في كلِّ اثنَين وخميس، فيَغفِرُ الله**[٨] **لكلِّ امرئٍ لا يُشركُ بالله شيئًا، إلّا امرًا كانت بينه وبين أخيه شَحْناء، فيقول: اترُكوا هذَين حتَّى يصطلِحا**[٩]».

وعن حدردٍ[١٠] الأسلميِّ الصحابيِّ رضي الله عنه، أنّه سَمِعَ سيِّدَ الأوَّلين والآخِرين رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَن هجرَ أخاهُ سنةً فهو كسَفْكِ دَمِه**»[١١]. رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح، والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ، ومحلُّها إذا كانت الهجرةُ؛ لغرضٍ دنيويٍّ.

---

(١) قوله: «ولا تغتر» غير واضح في (س) بسبب الرطوبة.
(٢) في (ق) و(ج): «بالعمل بالعلم».
(٣) «من» ليس في (ج).
(٤) في (س): «يجيء».
(٥) في (ج): «مسألة هجران المسلم».
(٦) «صحيح البخاري» (٦٠٧٧)، و«صحيح مسلم» (٢٥٦٠).
(٧) «صحيح مسلم» (٢٥٦٥).
(٨) قوله: «الله» ليس في (س).
(٩) في (د): «يصطلحان».
(١٠) في (د): «حورة».
(١١) «سنن أبي داود» (٤٩١٥).

أمّا إذا كانت لأمرٍ دينيٍّ كهجرانِ الشخص؛ لبدعةٍ فيه، أو تظاهُرٍ بفسق؛ مِن شُرب خمر، وأكل حشيش، وقطع مصانعةٍ من محتسِبٍ وأتباعه، وعريفِ سوقٍ ونُقباء قُضاةِ الرِّشى[١]، والمتردِّدينَ إلى الظلَمةِ وأعوانِهم، وما أشبَهَ ذلك، فهؤلاءِ هجرانُهم ليس بحرامٍ قطعًا، بل هو مندوب[٢]، وعلى ذلك جرى السلفُ رضي الله عنهم، بل مُجالسَتُهُم على سبيلِ التودُّدِ من المحرَّمات، [١١/أ] وهل هو من الكبائر؟ فيه خلافٌ:

ـ مذهبُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما ومَن تبعهُ: أنّه من الكبائر، وعزاهُ القاضي عياضٌ إلى المحقِّقين[٣]، قال أبو داودَ بعد أن ذكرَ أحاديثَ الهجران: «وإذا كان ذلك لله فليسَ من هذا في شيءٍ»[٤].

قال سعيدُ بنُ المسيَّب رأسُ التابِعينَ من أهلِ المدينة: «النظرُ إلى أعوانِ الظلَمةِ من غيرِ الإنكار عليهم بالقلبِ جديرٌ بأنْ[٥] يُبطِلَ الأعمالَ الصالحةَ»[٦].

قال العلماءُ: «إذا كان هذا النظرُ بمجرَّدِه يُبطِلُ الأعمالَ الصالحةَ[٧]، فكيف بالمُسالَمة، فكيف بالمُجالَسة، فكيف بالمُوادَدة، فكيف بالمُؤاكَلة، فكيف بالزيارة، فكيف بالمُؤازرة[٨]!».

---

(١) في (ج): «الرشوة».
(٢) في (ج): «مندوب إليه».
(٣) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٥٥).
(٤) «سنن أبي داود» (٤: ٢٧٩).
(٥) قوله: «جدير بأن» ليس في (ق) و(د) و(ج).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦)، و«مرآة الزمان» (١٠: ١٨)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٣٧٨).
(٧) قوله: «قال العلماءُ: إذا كان هذا النظرُ بمجرَّده يُبطِلُ الأعمالَ الصالحةَ» ليس في (س).
(٨) في (ج): «بالمزاورة».

وفي الترمذيِّ وابنِ ماجه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**استعِيذوا**[١] **بالله من جُبِّ الحزن**»، قالوا: يا رسولَ الله، وما جُبُّ الحزن؟ قال: «**جُبٌّ تستغيثُ منه جهنَّمُ كلَّ يومٍ أربعَ مئة مرّة، أُعِدَّ للقُرّاءِ الذين يؤازِرونَ الأُمراءَ الجَوَرة**»[٢]، وفي روايةِ الترمذيّ: «**يزورون**»[٣].

ودخلَ بعضُ الكَتَبةِ على سفيانَ الثوريِّ رحمةُ الله عليه، فأعرضَ عنه، فقال: «يا مولاي، ما لَكَ تُعرِضُ عني؟ فقال له: كأنّي بكَ وقد[٤] دُعِيتَ مع فُلانٍ وفُلان، فلا يَبقى مَن لاقَ[٥] لهم دواة، ولا بَرَى لهم قلمًا إلّا أُتِيَ به، ثمَّ يُؤمَرُ بهم إلى النار، فقال: إنّ لي عيالًا، وأخشى إن تركتُ[٦] ذلك ضاعت عيالي، فقال: انظُروا إلى هذا الأحمق، يظنُّ أنّه إذا عصى الله رَزَقَه، وإذا أطاعه لا[٧] يرزقه!».

رضي الله عنه، ما أعلمَهُ وما أنورَ قلبَهُ وما أخصرَ كلامَهُ وما أكثرَ نُبلَه، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وفي حديث كعبِ بن عُجرةَ رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَن دَخَلَ على الظلَمة وصدَّقهُم في كَذِبِهِم وأعانَهُم على ظُلمِهِم؛ فليسَ منِّي ولستُ منه،**

---

(١) في (د): «أستعيذ».

(٢) «جامع الترمذي» (٢٣٨٣)، و«سنن ابن ماجه» (٢٥٦) قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب».

(٣) لم أجد هذه اللفظة عند الترمذي، وهي في «سنن ابن ماجه» (٢٥٦).

(٤) «وقد» ليس في (د).

(٥) جاء في «تاج العروس» (٢٦: ٣٦٨): «لاقَ الدّواة، يَليقُها لَيْقَة، ولَيْقًا، وألاقَها إلاقَةً، وَهِي أغْربُ: جعلَ لَهَا لِيَقَةً، أو أصْلَحَ مِدادَها».

(٦) في (س): «يركب».

(٧) في (س): «لم».

ولا يَرِدُ عليَّ الحوض، ومَن لم يدخُل عليهم ولم يصدِّقهُم ولم يُعِنهُم فهو منِّي وأنا منه، وسيَرِدُ عليَّ الحوضَ»[١].

إذا عرفتَ هذا أيُّها **السالكُ في أسنى المسالك** فعليكَ بحديث سُوَيد بن الحارث، وحديث أبي هريرةَ رضي الله عنهما؛ أمّا حديثُ سُويد، فهو أنّه قال: وفَدتُ على رسول الله ﷺ سابعَ سبعةٍ من قومي، فلمّا دخلنا عليه وكلَّمناهُ[٢] أعجبهُ ما رأى من سَمْتِنا وزِيِّنا، فقالَ عليه أفضلُ الصلاة والسلام: «**ما أنتُم؟**»، [١١/ب] قلنا: مؤمنون، فتبسَّمَ عليه الصلاةُ والسلام، وقال: «**إنّ لكلِّ شيءٍ حقيقة، فما حقيقةُ قولِكُم وإيمانِكم؟**».

قلنا: خمسَ عشرةَ[٣] خصلةً، خمسٌ[٤] منها أمَرَتنا رُسُلُكَ أن نُؤمنَ بها، وخمسٌ مِنها[٥] أمَرَتنا رُسُلُك أن نعملَ بها، وخمسٌ منها تخلَّقنا بها في الجاهلية، ونحنُ عليها الآن إلّا أن تكرَهها مِنّا.

قال[٦]: «**فما الخمسُ التي أمَرتكُم بها رُسُلي أن تؤمنوا بها؟**». قلنا: أمَرَتْنا رُسُلُكَ أن نؤمنَ بالله وملائكتِهِ وكُتبِهِ ورسولِهِ والبعثِ بعد الموت.

قال: «**فما الخمسُ التي أمَرتكُم رُسُلي أن تعملوا بها؟**». قلنا: أمَرَتْنا رُسُلُكَ أن نقولِ جميعًا: لا إله إلّا الله محمَّدٌ رسولُ الله، وأن نُقيمَ الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونحجَّ البيتَ مَن استطاعَ إليه سبيلًا، ونصومَ رمضان، فنحنُ على ذلك.

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٢١٢)

(٢) في (د): «وكلمنا».

(٣) في (د): «خمس عشر»، وهو خطأ.

(٤) في (س): «خمسة».

(٥) «منها» ليس في (د).

(٦) في (د): «فقال ﷺ».

قال: «**فما الخمسُ التي تخلَّقتُم بها في الجاهلية؟**». قُلنا: الشكرُ عند الرخاء، والصبرُ عند البلاء، والصدقُ في مواطن اللقاء، والرضا بمواقع القضاء، وتركُ الشماتةِ إذا حلَّت بالأعداء.

فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ وقال: «**أُدَباء، عُلماء، عقلاء، فُقهاء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، بخصالٍ ما أشرَفَها وأنبَلها وأعظم ثوابها**».

ثمَّ قال رسولُ الله ﷺ: «**وأنا أُوصيكُم بخمس خصال، فتُكمِلُ**[1] **لكم عشرين خصلةً**»، قلنا: أوصِنا يا رسول الله، فقال: «**إن كُنتُم كما تقولون فلا تجمعوا**[2] **ما لا تأكُلُون، ولا تبنوا**[3] **ما لا تسكنون، ولا تنافَسوا في شيءٍ غدًا عنهُ تزولون، وارغبوا فيما غدًا عليه تَقدَمونَ وفيه تُجازون، واتَّقوا الله الذي إليه تُرجَعون وعليه تُعرَضون**»، رواه أبو نُعَيمٍ في «**الحلية**»[4]، والبيهقيُّ في كتاب «**الزهد**»[5]، والخطيبُ في «**تاريخه**»[6].

وأمّا حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه فإنّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله يُحِبُّ من خَلْقهِ الأصفياءَ الأخفياءَ الأتقياءَ الشعثةَ رؤوسُهم، المغبَرّةَ وجوهُهم، الخَمصة بُطونُهم، الذين إذا استأذنوا على الأُمراء لم يُؤذَن لهم، وإن خَطَبُوا المنعَّماتِ لم يُنكَحوا، وإن غابوا لم يُفقَدوا، وإن طَلَعُوا لم يُفرَح بطلعتِهم، وإن مرِضُوا لم يُعادوا، وإن ماتوا لم يُشهَدوا**»، قيل: يا رسول الله، كيف لنا برجلٍ منهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**ذاك أويس**»، قالوا: وما صفتُهُ؟ فذكر ﷺ

---

(١) في (د): «تكمل» بدون الفاء.
(٢) في (س): «تجمعون».
(٣) في (س): «تبنون».
(٤) «حلية الأولياء» (٩: ٢٧٩-٢٨٠).
(٥) «الزهد الكبير» للبيهقي (٣٥٣).
(٦) في (س): «والخطيب في تاريخه والبيهقي في كتاب الزهد».

[١٢/أ] صفةَ[١] ذاته، ثمَّ قال: «رامٍ ببصره إلى موضع سجوده، واضِعٌ يمينَه على شماله، يتلو القرآن، يبكي على نفسه، ذو طِمرَينِ[٢]، لا يُؤبَهُ له[٣]، متَّزِرٌ بإزار صوفٍ ورداءِ صوف، مجهولٌ في أهل الأرض، معروفٌ في أهل السماء، لو أقسمَ على الله لأبرَّ قَسَمهُ[٤]، ألا وإنّ تحتَ منكبِهِ الأيسرِ لمعةً بيضاء، ألا وإنّه إذا كان يوم القيامة قيلَ للعباد: ادخلوا الجنّة، ويقالُ لأويس: قف واشفع، فيُشَفِّعُهُ الله تعالى في مثلِ ربيعةَ ومُضَر، يا عُمَر، وأنت يا عليٌّ، إذا أنتما لقيتُماهُ فاطلُبا منه الدعاء، واسألاه أن يستغفرَ لكما الله[٥]»، فكانا يطلُبانِهِ عشرَ سنين لا يَقدِرانِ عليه، فلمّا كان في آخِرِ[٦] السنةِ التي تُوفِّيَ فيها عمرُ رضي الله عنه قامَ على جبلِ[٧] أبي قُبَيس وقال[٨] بأعلى صوتِه: يا أهلَ الحجيجِ من اليمن[٩]، أفيكُم أُوَيسٌ؟ فقال شيخٌ: إنّا لا ندري ما أُوَيس، ولكنَّ ابنَ أخٍ لي يُقال له: أُوَيس، وهو أخمَلُ ذِكرًا وأقلُّ مالًا وأهونُ أمرًا أن نرفعَهُ[١٠] إليك، وإنّه لَيَرعى إبِلَنا، حقيرٌ بين أظهُرِنا، فعَمَّى[١١] عليه عمرُ رضي الله عنه[١٢] كأنّه لا يُرِيدُه، وقال: أين[١٣] ابنُ أخيك هذا؟ أبِحَرَمِنا[١٤] هو؟ قال: نعم، قال: وأين يُصاب؟ قال: بأراكِ عرفات، فرَكِبَ عمرُ وعليٌّ رضي الله عنهما سِراعًا إلى عرفات، فإذا هو قائمٌ يُصلِّي إلى شجرة، والإبلُ حوله ترعى،

---

(١) «صفة» ليس في (د).
(٢) في (س): «ظهرين»، وفي (د): «وطمرين».
(٣) «له» ليس في (س)، وفي (د): «لا يؤبه به».
(٤) في (س): «لأبره».
(٥) لفظ الجلالة ليس في (د).
(٦) في (ق): «أواخر».
(٧) «جبل» ليس في (ق) و(س).
(٨) في (ق): «وقاله».
(٩) «من اليمن» ليس في (س).
(١٠) في (س): «ترفعه».
(١١) في (س): «فغمى».
(١٢) في (د): «فعمى عمر رضي الله عنه عليه».
(١٣) «أين» ليس في (س).
(١٤) في (س): «أتحرمنا».

فشدّا حمارَيهما، ثمَّ أقبلا إليه[1] وقالا: السلامُ عليك ورحمة الله، فخفَّفَ أُوَيسٌ الصلاة، ثمَّ قال: وعليكُما السلامُ ورحمةُ الله وبركاته، قالا: مَن الرجلُ؟ قال: راعي إبل، وأجيرُ قوم، قالا: لسنا نسألُك عن ذلك، ما اسمُكَ؟ قال: عبدُ الله، قالا: قد عَلِمنا أنّ أهل السَّماوات وأهل الأرض[2] كلُّهم عَبِيدُ الله عزَّ وجلّ، فما اسمُك الذي سمَّتكَ أُمُّكَ[3]؟

فقال: يا هذان، ما تُريدانِ مني؟ فقالا: قد وصفَ لنا محمَّدٌ ﷺ أُوَيسًا القرنيّ، وقد عرَفنا الصُّهوبةَ والسُّهولة، وأخبَرَنا أنّ تحتَ مَنكِبِكَ الأيسر لمعةً بيضاء، فأوضِحْها لنا، فإن كانت بك فأنت هو، فأوضَحَ مَنكِبَه، فإذا اللمعة، فابتَدَراهُ يُقبِّلانه، وقالا: نشهد أنّك أُوَيسٌ، فاستَغفِر لنا يغفر الله لنا، قال: ما أَخُصُّ باستغفاري[4] نفسي ولا أحدًا من وَلدِ آدم، ولكنَّه في البَرِّ والبحر، في المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، يا هذان، قد شَهَرَ الله لكُما حالي، وعرَّفَكُما أمري/، [١٢/ب] فمن أنتما؟

قال عليٌّ: أمّا هذا فهو عمرُ أميرُ المؤمنين، وأمّا أنا فعليُّ بنُ أبي طالب، فاستوى أُوَيسٌ قائمًا وقال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله تعالى وبركاته، وأنت يا ابنَ أبي طالب، فجزاكُما الله عن هذه الأُمّةِ خيرًا، قالا: وأنت جزاكَ الله عن نفسِك خيرًا.

فقال له عمرُ رضي الله عنه: مكانَكَ يرحمكَ الله حتَّى أدخُلَ مكّةَ وآتيك بنَفقةٍ من عطائي، وفَضلِ كسوةٍ من ثيابي، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لا ميعادَ بيني وبينك،

(١) «إليه» ليس في (د).
(٢) في (ق) و(س): «والأرض» بدون «أهل».
(٣) قوله: «الذي سمتك أمك» ليس في (د).
(٤) في (ق): «استغفاري».

لا أراكَ بعد اليوم تعرفني، ما أصنعُ بالنفقة؟ ما أصنعُ بالكُسوة؟ أما ترى نَعلَيَّ مَخصوفَتين[١]؟ متى تراني أُبْلِيهِما؟ أما تراني أخذتُ من رعايتي أربعةَ دراهم؟ متى تراني آكلها[٢]؟

يا أميرَ المؤمنين، إنّ بين يديَّ ويدَيك عقبةً كَؤدًا، لا يجاوزها إلّا كلُّ ضامرٍ مُخِفٍّ مهزول، فأخِفَّ رَحِمَكَ الله، فلمّا سَمِعَ عمرُ رضي الله عنه ذلك ضربَ بدُرَّته الأرض، ثمَّ نادى بأعلى صوته: ألا ليت أُمَّ عمرَ لم تَلِد عُمر، يا ليتها كانت عاقرًا لم تعالِج حَملَها[٣]، ألا مَن يأخُذُها بما فيها ولها!

ثمَّ قال: يا أميرَ المؤمنين، خُذ أنتَ هاهنا، حتَّى آخذ أنا هاهنا؛ فولَّى عُمرُ ناحيةَ مكّة، وساقَ أُوَيسٌ إبلَه[٤]، والله أعلم.

وسَمِعَ رجلٌ أويسًا وهو يقول: اللهمَّ إنّي أعتذِرُ إليك من كلِّ كبدٍ جائعةٍ؛ فإنّه ليس في بيتي من الطعامِ إلّا ما في بطني، وليس في بيتي شيءٌ من الرِّياش[٥] إلا ما على ظهري[٦]. وعلى ظهره خِرقةٌ تَردَّى بها.

فقال[٧] له: كيف أصبحت، أو[٨] كيف أمسيت؟ فقال: أصبحتُ أُحِبُّ الله عزَّ وجلّ، وأمسَيتُ أحمَدُ الله عزَّ وجلّ، وما تسألُ عن حال رجلٍ إذا أصبحَ

---

(١) في (ق): «مخصوفتان». (٢) في (ق): «آكلهما».

(٣) «حملها» ليس في (د).

(٤) «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٨٤-٦٨٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٥: ٢٧٧-٢٨٨).

(٥) الرياش: اللباس الحسن أو الفاخر. انظر: «العين» (٦: ٢٨٣)، و«المحيط» (٢: ١٧٨)، و«الصحاح» (٣: ١٠٠٨)، و«المحكم» (٨: ١٠٣)، و«لسان العرب» (٦: ٣٠٩).

(٦) في (ق): «ظاهري». (٧) في (ق): «وقال».

(٨) في (د): «و».

ظنَّ أنّه لا يُمسي، وإذا أمسى ظنَّ أنّه لا يُصبِح، إنّ الموتَ وذِكرَهُ لم يَدَع لمؤمنٍ فرحًا، وإنّ حقَّ الله تعالى في مال المُسلِم لم يَدَع له في ماله فضّةً ولا ذهبًا، وإنّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ لم يَدَع للمؤمن صديقًا؛ نأمُرُهم بالمعروف فيشتمونَ أعراضَنا، ويَجِدونَ على ذلك أعوانًا من الفاسقين، والله لقد رَموني بالعظائِم[1]، وأيمُ الله، لا أدَعُ أن أقومَ لله فيهم بحقِّه[2]، والله أعلم.

يا هذا، إنّ في حديثِ سُوَيدٍ من الإشارات ما يُحقِّق لك سبيلَ النجاة، فالزَم[3] ما أُنبِّهُكَ عليه، واضرع إلى ربِّك في تيسير ذلك، فالكلُّ منه وإليه.

إنّ في قوله ﷺ: «**إنّ لكلِّ قولٍ حقيقةً**»[4]/ ما يُرشِدُ إلى أنّ الدعاوى [١٣/أ] المتعلِّقةَ بالظاهر والباطن لا بُدَّ لها من برهانٍ؛ يشهدُ لصِحَّتِها، ثمَّ على تقديرِ وجودِ ما يشهدُ في الظاهر، فلا بُدَّ من تحقيق هذه الأمور في الباطن، ولهذا قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إن كنتُم كما تقولون فلا تَجمَعُوا ولا تبنُوا، وارغبوا...**»، إلى قوله: «**وعليه تُعرَضُون**»، فذَكَرَ الأماراتِ الدالّةَ على تحقيق الإيمان القلبيّ، وختم ﷺ ذلك بقوله: «**وعليه تُعرَضون**»، إشارةً إلى المراقبة، ويشهدُ لهذا قولُه تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وقولُه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

(١) كذا في المصادر، وفي النسخ: «بالعظام».
(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٦٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠-٣١)، و«السير» للذهبي (٤: ٣٠).
(٣) في (س): «والزم».
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٠٤٢٣)، و«تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر (٦٣٢)، و«حلية الأولياء» (١٠: ١٩٢)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (٩٧٠).

فإذا أنت جمعتَ ما لا تأكُل، وبنيتَ ما لا تسكُن، ونافستَ فيما أنت عنه زائلٌ، ولم ترغَب فيما أنت عليه غدًا قادمٌ[١]، ولم تتَّقِ مَن أنت إليه راجعٌ وعليه تُعرَض؛ دلَّ ذلك على كَذِبك؛ لأنّ «إنِ»[٢] الشرطيّةَ تخلَّفَت هي وشرطُها[٣] وجزاؤها، وهذا موطنٌ يحتاجُ مَن أرادَ أن ينزلَه بعد التضلُّع من العلوم إلى الحزم والعزم، **وعلى قدر أهلِ العزمِ تأتي العزائم**[٤]، **اللَّهُمَ وفِّق**[٥].

وأمّا حديثُ صُهَيب؛ ففيهِ من الصفات ما لا يقدرُ على تعاطيها إلّا ذاك وذاك[٦]، ولهذا كان جزاؤُها حبُّ الله تعالى.

وَيحَك! إنّ مدلولَ هذه الكلِمةِ لا تَدريه فضلًا عن[٧] ذَوقِه، متى صفيت؟ كلُّك[٨] كدرٌ، متى أخفيتَ نفسك، إنّك لم تَزَل ساعيًا[٩] في إظهارها ولو بزوال دينك، متى اتَّقيتَ فلم يَرَكَ الله تعالى حيثُ نهاك، ولم يفقدكَ حيثُ أمرك، متى شعَّثتَ رأسَكَ وغبَّرتَ وجهَكَ له، متى أخمَصْتَ بطنَك له، وآثرتَ بقُوتِك، إنّك كالبهيمةِ ساعٍ في تَسمينِ نَفْسِكَ التي هِي[١٠] سببُ ذبحك وأنت لا تشعر.

---

(١) في (س) و(د): «تقدم».
(٢) «إن» ليس في (س) وموضعها بياض.
(٣) في (ق): «وشروطها».
(٤) صدر بيت من الطويل، لأبي الطيب المتنبي، وعجزه:

وتأتـي على قدرِ الكـرام المكارمُ

انظر: «ديوان المتنبي» (٣٧٤)، و«يتيمة الدهر» (١: ٤٣)، و«شرح ديوان المتنبي» للواحدي (٢٧٤)، و«بغية الطلب» (١: ٢٤٣).
(٥) قوله: «اللهم وفق» ليس في (س).
(٦) في (د): «وذلك».
(٧) في (س): «من».
(٨) في (س): «لك».
(٩) في (ق): «ساعٍ».
(١٠) في (ق) و(س): «الذي هو».

إنّك إذا ذكرتَ استئذانك على الأمراء، بل على أتباعِهِم، وخطبتَ المنعَّمات؛ استصغرتَ نفسك، عكس المطلوبِ منك، إنّك إذا اطَّلعتَ على قومٍ ولم ترَ منهم بشاشةً استصعرتَ[1] نفسك ومَقتَّهُم، ورُبَّما وقعتَ فيهم وخالفتَ ربَّك، إنّك إذا مَرِضتَ ولم يَعُدْكَ مَن في طبقَتِك وجدتَ في نفسك، وإن عادكَ مَن هو في عينك أكبرُ منك سُرِرتَ ولو كان مُحاربًا، بئسَ الصفاتُ صفاتُك، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

إنّ في قوله: «لا يجاوزها إلّا كلُّ ضامرٍ مُخِفٍّ مهزُول، فأخِفَّ» ما يُنبِّه على [١٣/ب] حمل النفس على الجوع؛ إذ هذا شأنُ المُضَمَّر، وعلى ترك الأثاث.

وبالجملة فكلُّ ما مرَّ يُرشِدُ إلى ترك الأسباب التي تقتضي الإخلادَ في الأرض، وتَحمِلُ على تَعاطي الأسباب التي فيها رِضا ربِّ الأرباب[2]، وهي صفاتُ المُنعَمِ عليهم، ولهذا قال عليه أفضلُ الصلاة والسلام: «**كادوا من فقهِهم أن يكونوا أنبياءَ**».

وقد ماتَ بين مكّة والمدينةِ سبعونَ نبيًّا بالقمل والجوع، وأحوالُ أهلِ الصُّفّةِ غيرُ خافية، وناهيكَ بشَرَفِهِم أن أنزلَ الله تعالى على نبيِّه سيِّد السابقينَ واللاحقين: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) في (ق): «استصغرت»، وهي إشارة عن الكبر. قال الزمخشري في «الفائق في غريب الحديث» (٢: ٢٩٨): «والصّعار: المتكبر الذي يصعِّر خدَّه زهوًا». وانظر: «المجموع المغيث» (٢: ٢٧١)، و«النهاية في غريب الحديث» (٣: ٣١)، و«لسان العرب» (٤: ٤٥٦).
(٢) قوله: «التي فيها رضا ربِّ الأرباب» في (د): «التي أمر فيها ربّ الأرباب».

جرَّدوا أفعالَهُم وأقوالَهُم له، ومحَوْا ما سواه، فيا من مَنَّ[١] عليهم؛ مُنَّ علينا من فضلك، إنّك أنت الوهّاب.

ثمَّ هاهُنا تنبيهٌ مهمٌّ عظيمُ الوَقعِ عند **السالكِ الصادق**؛ إذ فيه معرفةُ قَدرِ سُلوكه، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[٢] [العصر: ١-٣]، أخبرَ الله سبحانه وتعالى بأنّ[٣] الإنسانَ لفي خُسرٍ إلّا مَن اتَّصَفَ[٤] بهذه الصفات.

وهـذه السورةُ[٥] هـي[٦] ميزانُ الأعمال، يَـزِنُ المؤمـنُ بها عملَهُ ونفسَه، فيتبيَّن[٧] له بها ربحُهُ من[٨] خُسرانه، ولهذا قال الشافعيّ: «لو فكَّر الناسُ كلُّهُم فيها لكَفَتْهم»[٩].

ثمَّ قبلَ الكلام في الصفات تعلم أنّ في اللفظ فائدةً مهمّةً تتعلَّقُ بصناعة العربيّة تقتضي تأكيدَ الخُسران، وهي أنّ الشيءَ إذا كان ممّا يُعتَنى به يُؤكَّدُ «باللام»، فإن كانت العنايةُ به أشدَّ جيءَ[١٠] بـ«إنّ» الثقيلة، فإن كان الأمرُ في غاية الاهتمام به جِيءَ مع «اللام» و«إنّ» بالقَسَم، وفي الآية الكريمةِ القسَمُ و«إنّ» و«اللام».

---

(١) «منَّ» ليس في (س).
(٢) الآية الأخيرة ليست في (س).
(٣) في (س): «إن».
(٤) في (ق): «انصف».
(٥) في (س): «الصورة».
(٦) «هي» ليس في (س) و(ق).
(٧) في (س): «فيبين».
(٨) في (س): «و».
(٩) انظر: «تفسير ابن كثير» (١: ٢٠٣)، و«نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢٢: ٢٣٤)، و«التحرير والتنوير» (٣٠: ٥٢٨).
(١٠) بعدها في (س) كلمة غير واضحة كأنها: «أكد».

إذا عرفتَ هذا فأوّلُ الصفات: الإيمان، ولعلَّك يا هذا قد قُلت: هذه صفةٌ يسيرة؛ لأنّ الإيمانَ إمّا لغةً؛ وهو التصديقُ[١]، أو شرعًا؛ وهو: اعتقادٌ بالجَنان، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان[٢].

بل كأنّي بك وقد قلت، بل اعتقدتَ أنّك مؤمنٌ إيمانًا قلبيًّا حقًّا؛ لأنّ الغرضَ معك **أيُّها السالِكُ الصادق**، وها أنا أذكرُ لك آيةً ومثالًا، فاعرضهما على سَرِيرَتِك، فأنتَ حاكمُ نفسك، / وكُن قوّامًا على نفسك بالقسط كما أمركَ مَن يعلمُ حقائقَك [١٤/أ] ودقائقَك، فإن طابَقَ اعتقادُكَ ما أذكره فلِلَّهِ دَرُّكَ من **سالك**، وقد أخذت والله[٣] في **أسنى المسالك**، وإلّا فعليك[٤] بالإنابة[٥] إلى عالِمِ الغيبِ والشهادة، وإيّاك أن تغترَّ بشهادَتِها، وتزكيةِ تلبيس إبليس لها، فتكونَ قد أبدلتَ النَّفِيسَ[٦] بالخسيس، وخالفت: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وأطعتَ لِمَن ﴿يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقبل ذِكرِ الآية والمثال[٧] أذكرُ لك نكتةً حسنةً عن بعض السالكينَ بصدق، وهو: أنّه ريَّضَ نفسَه حتّى اطمأنّت إلى حبسها[٨]، وجدّ اجتهادها يسابقُ بذلك الموت، فقعدَ مُدّةً في خلوته في جدٍّ واجتهادٍ في العبادة، فاتَّفقَ أنّه ثارَ غزاةٌ في ناحيتِه، فطالبَته نفسُه بذلك، وقالت: هذا هو الجهادُ الأكبر، فألَحَّت نفسه عليه

---

(١) انظر: «تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل» (٣٨٩)، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢: ٨٨).

(٢) قوله: «وعمل بالأركان» ليس في (س) و(د)، وانظر: «الإيمان الأوسط» (١٨١).

(٣) في (س) و(د): «وقد والله أخذت».

(٤) في (ق): «عليك».

(٥) في (س): «بالأمانة».

(٦) في (ق): «التفليس».

(٧) في (س): «وإلا مثال».

(٨) في (س): «حبيبها».

في الخروج من خلوته، فقال: والله لك دسيسة، اللهُمَّ أطلِعني على دسيسةِ هذه الخبيثة(١)، فأطلعَه الله تعالى على أنّها سَئِمَت(٢) من السجن، فقمَعَها بتوفيق الله تعالى، ثمَّ طالبَتهُ بالجهادِ ثانيًا، فسألَ الله تعالى، فأطلعَه أنّها إذا خرجَت ابتدرَ الناسُ إليه وقبَّلوا يدَه، وطلبوا منه الدعاءَ والتمسوا بركتَه، فقمعها عن ذلك بتوفيق الله تعالى، ثمَّ طالبته ثالثًا(٣)، فما وجد شيئًا ممّا فيه نقصٌ، فقال: تخرُجي بشرط أن تكوني في أوَّل القوم وأوَّل مَن يستشهد. فقالت برغبة: نعم، فقال: والله لك دسيسةٌ عظيمة، وإلّا لَما قَدِمت على هذه المخاطرة، اللهمَّ أنتَ خلقتَها وبرأتَها وقلتَ سبحانك: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ـ أمّارةٌ: فعّالةٌ(٤) ـ مَن لي بمعرفة أمرك، ثمَّ توجَّه إلى الله تعالى بصدقٍ فأطلعهُ الله تعالى على أنّها يُثنَى عليها، ويقال: خَرَجَت من خلوتها، فكانت أوَّلَ قادمٍ على العدوِّ وأوَّلَ شهيد، فقال: أوَّه! تُرائينَ حتَّى بعدَ الموت، فلِلَّه درُّه من مريدٍ صادق.

إذا عرفتَ هذا فالآيةُ الكريمة: قولُه سبحانهُ وتعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، وتأسَوا بمعنى: تَجزَعوا أو تَحزَنوا(٥)، ونَبرَأها؛ يعني: الأنفسَ والمصائبَ(٦). [١٤/ب]

(١) في (س): «الخبيث». (٢) في (س): «سمت».

(٣) «ثالثًا» ليس في (ق) و(س).

(٤) انظر: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين» (٣: ٢٥١).

(٥) انظر: «تفسير الرازي» (٢٩: ٤٦٨)، و«تفسير السمرقندي» (٣: ٤٠٩)، و«التحرير والتنوير» (٢٧: ٤١١).

(٦) انظر: «تفسير الرازي» (٢٩: ٤٦٧)، و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٨: ٦٢)، و«السراج المنير» للشربيني (٤: ٢١٣).

فبالله عليك، إذا جاءتكَ نازلةٌ في نفسك ولو بفقد حبيبتَيك[١] أو أحدِ أطرافِك تأسى أم لا؟

بالله لو جاءك مالُ البحرين تُحِسُّ من نفسك بالسرور أم لا؟ أم بدونِ ذلك ترقُصُ طربًا! أُفٍّ لك من كاذبٍ مخدوع، ما أجرأكَ على دعواك أنّك مؤمنٌ إيمانًا قلبيًّا! والله لو كنتَ كذلك لتلذَّذتَ بالمِحَن كما تلذَّذتَ بالمِنَح، ولقلت:

وبما شِـئتَ في هواكَ اختَبِرْني   فنَعِيمِي يا سـيِّدِي في رِضاكا[٢]

وأمّا المثالُ فهو: لو كان لكَ في منزلكَ من الأطعمة والأشربة والملبس ما يحمي ماء[٣] وجهك عن طَلِبَة الناس، ثمَّ خرجتَ تُريدُ الصلاة، فجاءَت جائحة، فاجتاحَت المنزلَ بما فيه، فجئتَ[٤] فوجَدتَه على تلك الهيئة، هل تأسى[٥]، أو حدثَ لك[٦] مثلُ ذلك بعد أن كنتَ لا تجدُ عَشاءَ نفسِك، فضلًا عن عَشاءِ عيالك، هل تفرحُ بذلك أم لا؟

ولَعَمري إنّ المدَّعين[٧] لكثيرون، وإنّ النازلينَ هذه المنزلةَ لقليلٌ ما هُم.

نَزَلُوا بمَكّةَ في قَبائِلِ هاشِـمٍ[٨]   ونَزَلْـتَ بالبَيداءِ أبعَـدَ مَنزِلِ[٩]

---

(١) في (س): «حبيبك»، وحبيبتاه: عيناه. انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩: ٣٧٧)، و«مشارق الأنوار» (١: ١٧٥)، و«الإفصاح عن معاني الصحاح» (٥: ٢٨٣)، و«فتح الباري» (١: ١٠١).

(٢) انظر: «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣: ١٥٩٣)، وفيه: «فاختياري ما كان فيه رضاكا». وفي (د): «فنعيمي ما كان فيه رضاكا».

(٣) «ماء» ليس في (ق) و(س).

(٤) «فجئت» ليس في (س).

(٥) في (س): «تيأس»، وفي (ق): «تأس».

(٦) «لك» ليس في (س).

(٧) في (ق) و(د): «المدعيين».

(٨) في بعض المصادر: «قبائل نوفل».

(٩) البيت من الكامل، وهو لعمر بن أبي ربيعة كما في «ديوانه» (٣٢٠)، وبدون نسبة في: =

يا هذا المخدوعُ المغرور، قد والله ظهرَ لك الحقُّ من الباطل، فهل أنت مُوَفٍّ أم مُماطل، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، ألا وإنّ في قول هذا الملك سبحانَه وتعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٥٥]، ما يحملُ النفسَ على تحقيقِ الإيمانِ القلبيِّ دون الإيمانِ العلميّ، والإيمانُ القلبيُّ من قَبيل[١] الأحوال الذَّوقيّةِ الذي يتعجَّبُ منها[٢] صاحبُ الإيمان العلميِّ.

وسببُ ذِكري لهذه الآية نكتةٌ عجيبةٌ تحطُّ على فائدةٍ عظيمة، وهي: أنّ شخصًا من أقرانِ مشايخي، وكان ذا[٣] علم، وجُلُّ معرفتِه الكتابُ[٤] والسُّنّة، وكان له توجُّهٌ وتخشُّع، وأمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن منكر، وكنت أقولُ في نفسي: لا بأسَ بهذا، وكنت قد حَلَتْ لي العُزلة، فلا أجتَمِعُ إلّا بأفرادٍ من أصحابي في بعض الأحيان، فاعترَضَني هذا العالِمُ المتوجِّهُ يومًا، وأظهرَ لي توجُّعًا وحزنًا، فقلت: ما سببُ ذلك؟

فقال: إنّ ولدي مات، وقد وجدتُ عليه، ولا صبرَ لي، فقلت: يا هذا، إنّك مِمَّن يحبُّ السُّنّة، والصبرُ أليَقُ بك، وذكرت[٥] له حديثَ أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا ماتَ ولدُ العبد قال الله تعالى للملائكة: قَبَضتُم ولدَ عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتُم ثمرةَ فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمِدَك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنُوا له** [١٥/أ]

= «طبقات الفقهاء» (١٢٤)، و«الأنساب» للسمعاني (١٣: ٢٠٥)، و«العاقبة في ذكر الموت» (١٧٧)، و«وفيات الأعيان» (١: ٧٣)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٢: ١٤).

(١) في (س): «قبل».
(٢) في (ق): «منه».
(٣) في (ق) و(س): «ذو».
(٤) في (د): «للكتاب».
(٥) في (ق): «وذكر».

بيتًا في الجنّة، وسمُّوهُ بيتَ الحمد»[١]. وهذا الحديثُ رواه الترمذيّ، وقال: «إنّه حسنٌ غَرِيبٌ[٢]».

فقال لي: أعرفُ هذا الحديثَ وأمثاله[٣]، وذكرَ فيه فوائدَ من حيثُ صناعةُ الحديث، فقلت له[٤]: أنت مؤمنٌ بالقرآنِ إيمانًا قلبيًّا؟ فقال: سبحانَ الله، فقلت: ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤]؟ فقال: أعرفُ هذا وأمثالَه، فقلت: فآمِن، فقال: ما لي قوّة، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ثمَّ قلت له[٥]: يا هذا، إنّ إيمانَكَ إيمانٌ علميٌّ[٦]، وقد غرَّك ما تحفظُ من العلم، واعتقادُك في[٧] نفسك أنّك سالِكٌ وهم، وقد عرفتُ من أين أُتيتَ؟ فقال: من أين؟ قلت: قلبُكَ فارغٌ عن الله سبحانه وتعالى، يا هذا، ألم يبلُغك قصّةُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؟ قال: وما هي؟ قلت: كان رضي الله عنه جالسًا يومًا وحولَه أصحابُه، وإلى جانبِه ثلاثةُ أولادٍ له كالبُدور، فنظرَ إلى أصحابه، وهم ينظرونَ إلى أولاده، فقال: لعلَّكُم تَعجَبونَ من حُسنِهِم؟ فقالوا: وكيف لا نَعجَبُ من حُسنِهِم وهم كالدنانيرِ المُنقوشة[٨]؟ والعربُ تضربُ المَثلَ بالدينار[٩] المنقوش؛ لأنّه لا شيءَ عندهم أحسنَ منه، فقال عبدُ الله رضي الله عنه: والله لفَراغُ

(١) «جامع الترمذي» (١٠٢١).
(٢) في (س): «حسن صحيح»، وفي (ق) و(د): «إنه حسن».
(٣) «وأمثاله» ليس في (ق).
(٤) «له» ليس في (س).
(٥) قوله: «ثم قلت له» ليس في (س).
(٦) في (د): «عملي».
(٧) قوله: «واعتقادك في» غير واضح في (س).
(٨) في (ق) و(د): «المنقشة».
(٩) في (ق): «بالدنانير».

يدي من تربيتهم أحبُّ إليَّ من بقائِهِم. رضي الله عنه وأرضاه[١].

فهذا لَعَمري هو الإيمانُ القلبيّ، وكأنّه[٢] رضي الله عنه لمّا آثَرَ حُبَّ الله تعالى على ما سواه خشيَ أن يكونَ ما هو[٣] فتنةٌ ـ وهو الولدُ ـ سببًا لانقطاعه عن هذه المرتبة السَّنيّة، فتألَّى بمحبوبه بما تألَّى، وتأسَّى بالحبيب حيثُ قال حبيبُ الحبيب: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، حَفِظَ آدابَ الحضرةِ ولم يصدَّه ﷺ بما رأى من آياتِ ربِّه عن حبيبه صادٌّ، ولهذا قال بعضُ السلفِ رضي الله عنهم: «إنّما سُمِّيَت المحبّةُ محبّةً لأنّها تمحو من القلبِ ما سوى المحبوب»[٤].

وقال محمَّدُ بنُ الفضل: «المحبّةُ سقوطُ كلِّ محبّةٍ[٥] من القلب، إلّا محبّةَ الحبيب»[٦].

وقال السيدُ الجليلُ العارفُ بالله، المتَّفَقُ على توثيقه وجلالته، عبدُ الله بن المبارك: «مَن أُعطِيَ شيئًا من المحبّةِ ولم يُعطَ مثلَه من الخشيةِ فهو مخدوعٌ»[٧].

[١٥/ب] يا هذا، قد والله تحقَّقتُ من هذا، أين أنت من الله!/ فما أخوفَني عليك أن تدخُلَ في سلك: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

وَيحَك! إنّ المقتَ هو البغضُ الشديدُ[٨]، أو أشدُّ البغض على خلافٍ فيه

(١) انظر: «كفاية الأخيار» (١٦٦).

(٢) في (س): «وكان».

(٣) بعدها في (د): «فيه».

(٤) انظر: «روضة المحبين» (٢٠)، و«مدارج السالكين» (١: ٤٦٦)، و«بريقة محمودية» (١: ٥٢).

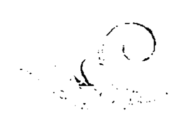
(٥) في (س): «محب».

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨٩)، و«موسوعة فقه القلوب» (٢: ١٧٨٣).

(٧) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٩١).

(٨) انظر: «تفسير السمعاني» (٥: ٤٢٥)، و«تفسير البغوي» (٨: ١٠٨)، و«تفسير ابن عطية» (٥: ٣٠١).

بين العلماء[1]، واعلم أنّ المحبّة لها أمارات تُبيِّنُ من بكى ممَّن تَباكَى، ولنا عودةٌ في تحقيق ذلك إن شاءَ الله تعالى، واللهُ أعلم.



(١) انظر: «العين» (٥: ١٣٢)، و«تهذيب اللغة» (٩: ٧٠)، و«المحيط» (١: ٤٦٧)، و«الصحاح» (١: ٢٦٦)، و«لسان العرب» (٢: ٩٠).

الصفة الثانية
عمل الصالحات

وفي الألف واللام[١] من العُمومِ والإطلاقِ ما لا قُدرةَ لأحدٍ عليه إلّا مَن وفَّقَه الله تعالى وأقدَرَه، فإن كان هذا مرادًا؛ فلا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون إلى ما[٢] وقعنا فيه من الخُسران.

وعلى تقدير ألّا يكونَ ذلك مرادًا فنعتبرُ عمَلَكَ **أيُّها السالكُ الصادقُ** بجزئيةٍ[٣] من العبادات، وبفرضها الصلاة، فنقول: الصلاةُ لها شروطٌ وأركانٌ وأبعاضٌ وهيئاتٌ على ما هو مذكورٌ في كُتُب الفِقه.

فالشروطُ والأركانُ لا بُدَّ منها، ومن كلِّ واحدٍ منها لصحّةِ الصلاة.

وللصلاة أيضًا مُفسِداتٌ لا بُدَّ من انتفائِها أيضًا لصحّةِ الصلاة، فلا بُدَّ من معرفة ذلك.

وأمّا الأبعاضُ فهي التي تُجبَرُ بالسَّهْو[٤]، ولا تَبطُلُ الصلاةُ بفَقدِها، وأمّا الهيئاتُ فهي من باب التتِمّة للصلاة، ولا سجودَ في تَركِها عند الشافعيّة[٥].

---

(١) «واللام» ليس في (س).
(٢) في (س): «راجعون لما».
(٣) في (د): «مجزية».
(٤) في حاشية (ق): «لعله: سجود السهو».
(٥) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» (٢: ٣٣٦)، و«المجموع» (٤: ١٢٥)، و«حاشيتا قليوبي وعميرة» (١: ٢٢٩).

ثمَّ للصلاةِ أمورٌ أُخرى، اعتنى الشارعُ ﷺ بها[١]، وحرَّضَ على الإتيانِ بها؛ منها: الخشوع، وناهيكَ به أنّ الله تعالى قد أثنى على فاعليه، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، حتَّى إنّ بعضَ العُلماءِ ذهبَ إلى أنّ الخشوعَ لا بُدَّ منه في الصلاة، وإلّا فلا تصحُّ[٢].

والخشوعُ هو قطبُ البدن وما احتوى عليه، واتَّفقوا على أنّ محلَّه القلب[٣]، وللعُلماء رضي الله عنهم في حدِّه ضوابطُ كلٌّ ينطقُ بما فُتِحَ عليه.

فمنهم مَن قال: «الخشوعُ: قيامُ القلب بين يدي الحقِّ بهم مَجموعٍ»[٤].

وقال بعضُهم: «الخشوعُ ذبولٌ يَرِدُ على القلب عند اطِّلاع الربِّ»[٥].

وقال[٦] بعضهم: «مِن شرط الخشوع في الصلاة ألّا يَعرِفَ مَنْ عن يمينه ولا مَنْ عن شماله»[٧].

وفي السُّنّة الشريفة أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ رأى رجلًا يعبثُ في لحيته في صلاتِه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لو خَشَعَ قلبُ هذا لخَشَعَت جوارحُه**»[٨].

---

(١) «بها» ليس في (ق).

(٢) انظر: «نهاية المطلب» (٢: ٢٠٦-٢٠٧)، و«فتح الباري» (٢: ٢٢٦).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (٢: ١٠٠)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٢٧٦)، و«بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية» (٢: ٨٨).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٧٥)، و«فتح الباري» (٢: ٢٢٦).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٧٦).

(٦) في (ق): «قال» بسقوط الواو.

(٧) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٧٦).

(٨) «حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٠)، وضعَّفه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢: ٣٩٩-٤٠٠)، وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (١٧٨)، والصحيح أنه من قول ابن المسيب. انظر: «مصنف عبد الرزاق» (٣٣٠٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦٧٨٧).

[١٦/أ] ثمَّ عدمُ الخشوعِ سببُه الخواطِر، وهي خطابٌ يَرِدُ على الضمائر، وهذا الخطابُ يكون تارةً من قِبَلِ الحقِّ سبحانه وتعالى، وهو خاطرُ حقّ، وإنّما يُعلَمُ صِدقُه بموافقة العلم، وتارةً يكون من قِبَلِ النفس، وتارةً يكون بإلقاءِ الشيطان، ويُقالُ للذي من قِبَلِ النفس: هاجسٌ، وللذي من قِبَلِ الشيطان: وسواسٌ.

والفرقُ بينهما أنّ الذي من قِبَلِ الشيطان أكثرُه يدعو إلى المعاصي، والذي من قِبَلِ النفس يدعو إلى اتِّباع الشهوة، وإلى ما هو من أوصاف النفس[١]، فإذا غَلَبَ على المُصلِّي غيرُ خاطر الحقِّ سَهَا، فيدخُلُ في سلك: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، وفي سلك: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم: ٥٩].

وقد ذمَّ الله تعالى الذين سَهَوا عن الصلاة، وذلك على وجهَين:

أحدُهما: أن يُؤخِّروها عن وقتها[٢].

والثاني: ألّا يُكمِلُوا واجباتِها من الطهارة والطمأنينة والخشوع وغير ذلك[٣]، كما صحَّ أنّه عليه الصلاة والسلام قال: «**تلك صلاةُ المنافق[٤]، يَرقُب، حتَّى إذا كانت الشمسُ بين قرنَي شيطانٍ قامَ فنقرَ أربعًا لا يذكرُ الله تعالى فيها إلّا قليلًا**»[٥]، فوصفَ النبيُّ ﷺ بأنّ المنافقَ يُؤَخِّر ولا يَذكُر الله تعالى إلّا قليلًا[٦].

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ١٩٧).

(٢) في (د): «أوقاتها».

(٣) انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١٢: ٨٤٦٢)، و«تفسير السمعاني» (٦: ٢٨٨-٢٩٩)، و«تفسير الرازي» (٣٢: ٣٠٥).

(٤) قوله: «تلك صلاة المنافق» تكرر في (ق) مرتين.

(٥) «صحيح مسلم» (٦٢٢).

(٦) قوله: «فوصف النبي ﷺ بأن المنافق يؤخر ولا يذكر الله تعالى إلّا قليلًا» ليس في (س).

وأمّا قولُه تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ فقد قالت طائفةٌ من السلف[١]: إضاعَتُها تأخيرُها عن وقتها، وإضاعةُ حقوقها[٢].

قالوا: وكانوا يُصلُّون، ولو تركوها لكانوا كفارًا[٣]؛ فإنّه صَحَّ أنّه عليه الصلاة والسلام قال: «**ليسَ بين العبد وبين الشرك إلّا تَركُ الصلاة**»[٤]، وقال: «**العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمَن تَرَكَها فقد كَفَر**»[٥].

وفي الحديث: «**إنّ العبدَ إذا أكملَ الصلاةَ صعدت ولها برهانٌ كبرهان الشمس، وتقول[٦] له: حَفِظَكَ الله كما حفظتني، وإذا لم يُكمِلها فإنّها تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوب، ويُضرَبُ بها وجهُ صاحبِها، وتقول له: ضيَّعكَ الله كما ضيَّعتَني**»[٧].

فيا وَيحَ مَن أفضَلُ عبادةِ بدنِه تدعو عليه بالضياع!

وفي السُّنّة الشريفة في «**السنن**»[٨]: أنّه عليه الصلاةُ والسلام قال: «**إنّ**

---

(١) قول ابن مسعود والنخعي وسعيد بن المسيب والقاسم بن مخيمرة وعمر بن عبد العزيز. وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٧: ٤٠٦).

(٢) انظر: «التفسير البسيط» (١٤: ٢٧٠)، و«تفسير البغوي» (٥: ٢٤١)، و«زاد المسير» (٣: ١٣٨).

(٣) انظر: «تفسير السمعاني» (٣: ٣٠٢)، و«تفسير البغوي» (٥: ٢٤١)، و«نظم الدرر» (١٢: ٢٢٤).

(٤) «سنن الدارمي» (١٢٦٩)، و«تعظيم قدر الصلاة» (٨٨٨).

(٥) «جامع الترمذي» (٢٦٢١)، و«سنن ابن ماجه» (١٠٧٩)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٦) في (د): «ونقول».

(٧) «مسند أبي داود الطيالسي» (٥٨٦)، و«المعجم الأوسط» (٣٠٩٥)، و«الترغيب في فضائل الأعمال» لابن شاهين (٤٢).

(٨) «سنن أبي داود» (٧٩٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦١٥).

العبدَ لينصرفُ من صلاتِه ولم يُكتَب له إلّا نِصفُها، إلّا ثُلُثُها، إلا رُبُعُها، إلا خُمُسُها»، حتَّى قال: «**إلّا عُشرُها**»[١].

وقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «ليس لك من صلاتك إلّا ما عَقِلتَ»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، هم الذين يشتغلونَ عن إقامة الصلاة كما أمرَ الله ورسولُه بنوعٍ من أنواع الشهَوات[٣]. [١٦/ب]

وفي السُّنَن: أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «**لا يقبلُ الله صلاةَ مَن لا يُقيم صُلبَه**[٤] **في الركوع والسجود**»[٥]، ونهى عن نقرٍ كنقر الغُراب[٦].

ورأى عليه الصلاةُ والسلامُ رجلًا يُصلِّي ولا يُتِمُّ ركوعَه وسجودَه، فقال: «**لو متَّ لمِتَّ على غيرِ الفِطرة التي فطرَ الله عليها محمَّدًا ﷺ**»[٧].

واعلم أنّ هذه الآفاتِ التي تحصلُ في الصلاة إنّما هي من تَعاطي الفَضَلات التي هي سببُ دواعي الخواطر المُهلِكات، ولو اقتصدَ العبدُ لَما اعتاضَ عن[٨] القُرب بالصدِّ.

---

(١) «شرح مشكل الآثار» (٣: ١٣٦) (١١٠٣).

(٢) انظر: «كشف اللثام» (١: ١٣٧)، و«موارد الظمآن» (٢: ٤٤٠).

(٣) انظر: «تفسير السمعاني» (٣: ٣٠٢)، و«تفسير البغوي» (٥: ٢٤١).

(٤) «صلبه» ليس في (د).

(٥) «جامع الترمذي» (٢٦٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٧٠٣)، و«سنن أبي داود» (٨٥٥)، و«سنن ابن ماجه» (٨٧٠)، قال الترمذي: «حديث أبي مسعود حديث حسن صحيح».

(٦) «مسند أحمد» (١٥٥٣٣).

(٧) «مصنف عبد الرزاق» (٢: ٣٦٨)، وهو من قول حذيفة.

(٨) في (ق): «غير».

ولَعَمري، أعظمُ المصائب عدمُ المبالاة بما يريشه ويغذِّيه[١]، ولهذا قال الصادِقُ ﷺ: «**مَن لم يُبالِ[٢] من أين مطعمُه ومشربُه لم يُبالِ الله من أيِّ بابٍ أدخلَه[٣] النارَ**»[٤].

وَيحَك يا مغرور! إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن الأمور التي اعتنى بها الشارِعُ ﷺ ما جاءَ في حديث عمرَ رضي الله عنه الطويل، وهو مقامُ الإحسان، لَما قالَ جبريلُ للصّادقِ ﷺ[٥]: فأخبِرني عن الإحسان قال: «**أن تَعبُدَ الله كأنّك تراه، فإن لم تكُن تراهُ فإنّه يراك**»[٦]. وحديثُ عمر رضي الله عنه رواه مسلم.

وفي «**معجم الطبرانيِّ**»[٧]: «**إذا صلَّيتَ فصَلِّ صلاةَ مُوَدِّع، واعبُد الله كأنّك تراهُ، فإن لم تكُن تراهُ فإنّه يراك**».

وفيه[٨] إشارةٌ لطيفة، وهي: أنّ مَن اطمأنَّت نفسُه إلى أنّ هذه آخِرُ صلاتِه أتى بها على أكمل حالٍ وأقوَم[٩].

---

(١) في (ق) و(س): «ويغديه». (٢) في (س) و(ق): «يبالي».

(٣) كتب فوقها في (ق): «الله».

(٤) «أخبار الشيوخ وأخلاقهم» للمروذي (٢٠٥)، و«تاريخ أصبهان» (١: ٣٩٩)، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٥٣٦): «أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث ابن عمر، قال ابن العربي في «عارضة الأحوذي شرح الترمذي»: إنه باطل لم يصح ولا يصح».

(٥) في النسخ: «لما قال الصادق ﷺ لجبريل»، والمثبت هو الصحيح الموافق لما في الرواية.

(٦) «صحيح البخاري» (٥٠)، و«صحيح مسلم» (٨).

(٧) «المعجم الأوسط» (٤٤٢٧). (٨) في (س): «وهي».

(٩) انظر: «لمعات التنقيح» (٨: ٤٥٠)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (٢: ١٠٠).

قال: وقد اختَلَفَ[١] أئمّةُ الهُدى الذين[٢] حَفِظَ الله تعالى بهم الدين، وجعلَ الرحمةَ تتنزَّلُ[٣] عند ذِكرِهم: هل هذا مقامُ الإحسانِ تضمَّنَ مقامَ المراقبة فقط، أم تضمَّنَ مقامَ المراقبة والمعرفة؟

وعلى التقدير الثاني فما هو مقامُ المعرفة، والأوْلى أنّ الأوَّل مقام[٤] المعرفة[٥]، وهو قولُه ﷺ: «**كأنّك تراه**»، والثاني مقامُ المراقبة، وهو الذي تنطبقُ عليه الأدلّة، مثلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ومثلُ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩]، ومثلُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]... إلى غير ذلك.

وبالجملة[٦] فهُما مقامانِ جليلان، وناهيكَ بتسميتِهما من هذَين الكريمَين بالإحسان، وبالندب إليهما من سيِّد السابقين واللاحقين، ولا بُدَّ للمُصلِّي من معرفة حقيقةِ كلٍّ منهما؛ ليعلَمَ أنّه تحتَ أمر سيِّد الأوَّلين والآخِرين، أم تحتَ أمر الأمّارة بالسوء، عافانا الله منها.



---

(١) في (ق): «اختلفت».
(٢) في (ق): «الذي»، وفي (س): «التي».
(٣) في (س): «تنزل».
(٤) في (ق): «كمقام».
(٥) قوله: «وعلى التقدير الثاني فما هو مقامُ المعرفة، والأولى أنّ الأول مقام المعرفة» ليس في (س).
(٦) في (س): «فالجملة».

[المراقبة]

أمّا المراقبةُ فهي عبارةٌ عن عِلم العبد باطِّلاع الربِّ سبحانه وتعالى عليه، [١٧/أ] واستدامةِ هذا العلم، فمتى غَفلَ عن هذه الحالة فهو بمَعزِلٍ عنها[١].

وقيل: المراقبةُ خُلوصُ السرِّ والعلانيةِ لله بسياسة العلم[٢].

وقيل: المراقبةُ ألّا يوافِقَ العبدُ غيرَ ربِّه، وما أصعبَ ذلك، فلا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العَظيمِ.

ثمَّ[٣] هذا إذا تجرَّدَت المراقبةُ، فإن انضمَّ إلى ذلك الحياءُ فيا فوزَ مَن رُزقَ ذلك، والحياءُ هو: ذوبانُ الحشا؛ لاطِّلاع المولى[٤]، فبالله يا سالك، هل أنت كذلك، أم مُوَلٍّ لا مُصَلٍّ[٥].

وأمّا المعرفةُ فهي على لسان العُلماء: العلم، فكلُّ معرفةٍ علمٌ، وكلُّ علمٍ معرفةٌ[٦]، ومنهم مَن قال: العلمُ لا يستدعي سَبْقَ جهل، بخلاف المعرفة، ولهذا يُقالُ لله تعالى: عالمٌ، ولا يُقال: عارِفٌ.

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ٣٠٩)، و«بريقة محمودية» (٣: ١٤٩).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٣١).

(٣) «ثم» غير واضحة في (د).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية (١: ٣٧٠).

(٥) في (ق) و(س): «مصلي»، وفي (د): «مولي لا مصلي».

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٧٧).

وأمّا عندَ القوم فقَلَّ مَن حَدَّها، نعم؛ أكثَروا في صفات العارف، وقد حَدَّها أبو الطيِّب السّامريِّ[١] فقال: «طُلوعُ الحقِّ على الأسرار بمواصَلة الأنوار»[٢]، وقيل: أمواجٌ تَغُطّ، وترفعُ وتَحُطُّ[٣].

وأمّا صفاتُ العارِف فقال بعضُهم: «هو محوٌ لاستهلاكِه[٤] في وجوده، واستغراقه في شهوده، مختطَفٌ عن إحساسه»[٥].

قال ابنُ عطاء: «للمعرفة ثلاثةُ أركان: الهيبة، والحياء، والأُنس»[٦].

وقال الأستاذُ أبو عليٍّ الدقّاق: «أماراتُ المعرفة: حصولُ الهيبة من الله، فمَن ازدادت معرفتُه ازدادت هيبتُه»[٧].

واعلم أنّ الهيبةَ مقامٌ صعبٌ يدركه مَنْ مَنَّ الله تعالى عليه به، **ولقد مَنَّ الكريمُ عليَّ به في بعض صَلَواتي**، فكنتُ لا أقدِرُ على الاستمرار على نَصْب قامَتي، فإذا صرتُ إلى فوق حدِّ أقَلِّ الركوع خِفتُ بُطلانَ صلاتي، فأستعملُ الشريعةَ المُطهَّرة، وأعودُ إلى انتِصابي، وكنتُ أظنُّ أنّي لو دُمتُ على ذلك لسقطت.

---

(١) هو: محمد بن الفرخان بن روزبه أبو الطيب الدوري، ويعرف بالفرخاني، قَدِمَ بغداد، وحدَّث بها عن أبيه وعن أبي خليفة الفضل بن الحباب وغيرهما أحاديث منكرة، وروى عن الجنيد بن محمد، وأبي العباس بن مسروق، حكايات في التصوف، روى عنه يوسف بن عمر القواس، وأبو القاسم بن السوطي، تُوفي سنة ستين وثلاث مئة أو قريبًا منها.
انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٤: ٢٨١)، و«الأنساب المتفقة» (٥٥)، و«المؤتلف والمختلف» لابن القيسراني (٦٤)، و«تاريخ الإسلام» (٢٦: ٢٢٠).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨١).

(٣) في (س): «وتخفض». وانظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨٢).

(٤) في (س): «استهلاكه». (٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٧٨).

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨١). (٧) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٧٧).

واعلم أنّ المعرفةَ صفةٌ عظيمة، فإنّ اللذةَ والسرورَ وطِيبَ الوقت والنعيمَ الذي لا يُمكن التعبيرُ عنه إنّما هو في[1] معرفة الله تعالى، ولهذا قال بعضُ الشيوخ[2]: كنتُ[3] في حالةٍ إن كان أهلُ الجنّة[4] في مثلِ تلك[5] إنّهم لفي عيشٍ طيِّب، وليسَ في الدنيا نعيمٌ يُشبه نعيمَ الآخرةِ إلّا نعيمَ المعرفة[6]؛ ولهذا كان عليه الصلاةُ والسلامُ يقول: «**أرِحنا بالصلاة يا بلال**»[7]، وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**حُبِّبَ إليَّ من دُنياكُم[8] النساءُ والطِّيب، وجُعِلَت قُرّةُ عيني في الصلاة**»[9].

ولم يَقُل: حُبِّبَ إليَّ ثلاثٌ كما يَرويه بعضُ الناس، كذا[10] رواهُ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه.

وقُرّةُ العين: إنّما تحصلُ بحصول المحبوب المطلوب، وليسَ للقلب سرورٌ ولذّةٌ تامّةٌ إلّا في معرفة الله تعالى، ولا يحصُلُ ذلك إلّا بالإعراض عمّا [١٧/ب] سواه، وهذا في الحقيقة هو لا إله إلّا الله، والله أعلم.

قال السيدُ الجليلُ أبو القاسم الجُنيدُ رحمةُ الله عليه: «أشرفُ كلمةٍ في

---

(١) «في» ليس في (س).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٢٨: ٣١)، و«إغاثة اللهفان» (١: ٧٢)، و«الداء والدواء» (١٢١)، و«لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي (٣٢٤).

(٣) «كنت» ليس في (س).

(٤) من قوله: «إنما هو في معرفة الله» إلى هنا سقط من (د).

(٥) في (د): «ذلك».

(٦) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٢: ١٥٢٢).

(٧) «سنن أبي داود» (٤٩٨٦).

(٨) بعدها في (س) بياض بمقدار كلمة.

(٩) «مسند أحمد» (١٢٣١٥)، و«سنن النسائي» (٣٩٣٩).

(١٠) «كذا» ليس في (س).

التوحيدِ ما قالهُ الصدِّيقُ رضي الله عنه: سُبحانَ[١] مَن لم يجعل لخَلقِه[٢] سبيلًا إلى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته»[٣].

واعلم أنّ في كلام المحبوب ما يحملُ النفسَ الزكيّةَ على دأبها في الأعمال الصالحة، بل فيه ما يُشَوِّقُ إلى العمل، والآياتُ في ذلك كثيرة، فمنها قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، أيُّ منزلٍ أطيبُ من هذا وألذُّ من هذا وأطيب، بل «كلُّ الصَّيْد في جَوفِ الفَرا»[٤].

---

(١) «سبحان» ليس في (س). (٢) في (د): «إلى خلقه».

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٦٥).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٦٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٧٩)، و«عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ» (٣: ٢٢٥)، و«الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية» (٣: ١١٧٦)، و«المقاصد الحسنة» (٨٢٦)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٦٨)، و«كشف الخفاء» (٢: ١٤٣)، قال الميداني: «قال ابن السكيت: الفَرا: الحمار الوحشي، وجمعه: فراء. قالوا: وأصل المثل أن ثلاثة نَفَرٍ خرجوا متصيِّدين، فاصطاد أحدُهم أرنبًا، والآخر ظبيًا، والثالث: حمارًا، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه، فقال الثالث: كُلُّ الصَّيدِ في جوف الفَرا، أي هذا الذي رُزِقتُ وظَفِرتُ به يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظَمُ من الحمار الوحشي.
وتألَّفَ النبيُّ ﷺ أبا سُفيانَ بهذا القول، حين استأذن على النبي ﷺ، فحُجِبَ قليلًا ثم أُذِنَ له، فلما دخل قال: ما كِدتَ تأذَنُ لي حتى تأذنَ لحجارة الجلهمتين، قال أبو عبيد: الصواب: الجلهتين، وهما جانبا الوادي، فقال ﷺ: يا أبا سفيان، أنتَ كما قِيل: كل الصيد في جوف الفَرا، يتألَّفه على الإسلام.
وقال أبو العباس: معناه إذا حَجَبتُكَ قنع كل محجوب. يضرب لمن يُفَضَّل على أقرانه». وانظر: «جمهرة الأمثال» (٢: ١٦٣)، و«الأمثال» للهاشمي (١: ١٨٨)، و«مجمع الأمثال» للميداني (٢: ١٣٦).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦]، أيُّ نعيمٍ أعظمُ من هذا؟

لقد شوَّقَت هذه الصفةُ أقوامًا، حتَّى تَلَهَّبَت منهمُ القلوب، واحتَرَقَت منهمُ الأحشاء، وتقَطَّعَت منهمُ الأكباد، ولولا تَسَلِّيهم بقول حبيبهم: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ [العنكبوت: ٥] لماتوا[1] شَوقًا من ساعَتِهِم، فسُبحانَ مَنْ مَنَّ عليهم ووهبَهُم، **اللهمَّ هَبْ لنا ممّا[2] وهبتَهُم، إنّك أنت الوهّاب.**

ونختِمُ هذه الصفةَ بهذه الآية الكريمة، وهي قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠].



---

(١) قبلها في (س): «وهو».

(٢) في (د): «ما».

الصفة الثالثة

التواصي بالحق

اعلم أنّ الحقَّ عمودُ الدين، وذروةُ سنامِه، وهو قطبُ سعادة الدنيا والآخرة، وبـه جـاءَ التنزيلُ خبرًا وأمـرًا، قـال الله تعـالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩]... إلى غير ذلك.

ثمَّ الحقُّ هو ضدُّ الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، ثمَّ لفظُ الحقِّ يَندَرِجُ تحتَه ما لا نهايةَ له من الأنواع، ولا يكادُ يُحصَر، وإقامتُه بالقولِ تارةً وبالفِعلِ أُخرى، وبالاعتقادِ مرّةً، وبالكلِّ أُخرى، وكذا ينَدَرِجُ تحتَ ضدِّه ما لا يكادُ يُحصَر، ومَن يَقدِرُ على إقامة[1] الأوَّل وهجران الثاني! إنّا لله فيما وقعنا فيه من الخُسران.

ثمَّ الانقيادُ إلى الحقِّ مع طمأنينة النفس بالتسليم القلبيِّ لا يكادُ يوجدُ إلّا في ذاك وذاك[2]، وقليلٌ ما هُم؛ لأنّ النفسَ بطبعها تجري في ميدان المخالفة، فإن لم تكن عنايةُ عنانها مُحْكَمة[3] بتوفيقٍ من بارئها، وإلّا فراكبُ مَتنِ جوادِها يركضُ في ميدان الهوى وهو لا يشعر، فيَضِلُّ سعيُه مع الأخسرينَ أعمالًا، وهو يَحسَبُ أنّه يُحسِنُ صُنعًا. [١٨/أ]

---

(١) في (د): «إقامته».

(٢) قوله: «يوجد إلا في ذاك وذاك» في (د): «يوجد إلا في ذلك».

(٣) «محكمة» ليس في (س)، وفي (ق): «محكم».

ولهذا نصَّ القرآنُ على الأمر بإقامة الحقِّ في غير موضع، فتارةً يذكره مطلقًا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، إلى(١) غير ذلك(٢).

وتارةً يذكره بسبب(٣) متعلَّق الشخص، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وتارةً بالنسبة إلى الشخص نفسه، كقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، إلى غير ذلك.

ثمَّ سعادةُ الدارَين في إقامة الحقّ، وشقاوتُهما في عدم إقامته ومخالفةِ أمره سبحانه وتعالى، ومخالفةِ رسوله ﷺ، وهو سببُ هلاك مَنْ قبلَنا من الأُمم، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال بعضُ العُلماء: الفِتنةُ هنا: الكُفرُ(٤)، عافانا الله الكريمُ من ذلك.

وفي الحديث من روايةِ عائشةَ رضي الله عنها، أنّ قريشًا أهمَّهُم شأنُ المخزوميّة التي سَرَقَت، فقالوا: من يُكلِّم فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئُ عليه إلّا أُسامةُ بنُ زيدٍ حِبُّ رسول الله ﷺ! فكلَّمَه أُسامة، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله تعالى؟ ثمَّ قامَ فاختطب، ثمَّ قال: إنّما أهلكَ(٥) الذين من قَبلِكُم أنّهم كانوا إذا سرقَ فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا**

(١) في (ق): «و».
(٢) قوله: «﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إلى غير ذلك» ليس في (س).
(٣) في (س): «لسبب».
(٤) انظر: «تفسير الماتريدي» (٧: ٦٠٢)، و«تفسير السمرقندي» (٢: ٥٢٧).
(٥) في (د): «هلك».

عليه الحدّ، وَايْمُ[١] **الله، لو أنّ فاطمةَ بنتَ محمَّدٍ سَرَقَت لقطعتُ يَدَها**»، رواه البخاريُّ ومُسلِم[٢].

وفي رواية: فتَلَوَّنَ وجهُ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ أمَرَ بتلك المرأةِ فقُطِعَت يَدُها[٣].

وَيحَك! هذا سيِّدُ السابقينَ واللاحقين يُقسِمُ بالله إنّ ابنتَه التي هي بَضعةٌ منه لو سَرَقَت أقامَ عليها الحدَّ[٤]؛ ليُشَرِّع لك ذلك، ويُخبِرَك[٥] بأنّ سببَ هلاكِ الأُمَم قبلك ما أخبر به، وأنت لا تنقادُ لا بظاهرك ولا بباطنك، وتَدَّعي في كلِّ وقتٍ أنّك على الحقّ، وتُحبُّ الحقّ، كَذَبت، بل والله إنّك لَترتَكِبُ العظائمَ ولا تُبالي، إمّا لجَهلِك بها، أو لاتِّباعك العادة، ثمَّ تعتقدُ في نفسِك أنّك تُحِبُّ[٦] الحقّ، كذبتَ أيُّها المغرور، أنت لو سَرَقتَ ما يُوجِبُ قطعَ يَدِكَ تجدُ في نفسكَ حلاوةَ إيمانٍ بَذلِها مع هَتكِكَ بين الخلائق؟

وَيحَك! إنّ فيكَ ثلاثين ألف وصفٍ رديءٍ أنت منها في خسران، لعلَّك والله لا تَعُدُّ[٧] منها ثلاثَ مئة خصلة، بل مئةً، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

[١٨/ب] وقولُه تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]،/ هذه الصيغةُ[٨] تقتضي المُفاعلة، وهي المشاركةُ في التعاون، حتى لو أمرَ واحدٌ بالحقِّ وآخَرُ ساكتٌ كان الساكِتُ واقعًا في الخُسران.

---

(١) في (ق): «ويم».
(٢) «صحيح البخاري» (٣٤٧٥)، و«صحيح مسلم» (١٣١٥).
(٣) «صحيح البخاري» (٢٣٥٩)، و«صحيح مسلم» (١٦٨٨).
(٤) كذا في (د)، وفي (ق) و(س): «الحق»، وفي هامش (س): «لعله: الحد».
(٥) كأنها في (ق): «ومخبرك».
(٦) في (د): «محب».
(٧) في (د): «تعتد».
(٨) في (ق): «الصفة».

وهذه الآيةُ تدلُّ لِمَن ادَّعى أنّ مَن سَكَتَ[1] عن إعانة مَن نهى عن السوء داخلٌ في الذين ظَلَمُوا في قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وَيحَك! إنّ سببَ هلاكِكَ وهلاكِ غيرِك عدمُ المبالاةِ بإقامة الحقّ، هذا رسولُ الله ﷺ يقول: لَمّا وقَعَت بنو إسرائيلَ في المعاصي نهَتهُم علماؤُهُم فلم يَنتهوا، فجالَسُوهُم في مجالِسِهم وواكَلوهم وشارَبوهم، فضربَ الله قلوبَ بعضهم ببعض، ولعَنَهُم على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مريمَ؛ ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون، فجلسَ رسولُ الله ﷺ وكان مُتَّكئًا، فقال: «**لا والذي نفسي بيده، حتّى تَأْطُرُوهُمْ على الحقِّ أطرًا**»[2].

وفي حديثِ الصدِّيقِ في قوله: يا أيُّها الناس، إنّكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ الناس إذا رأوا الظالمَ فلم يأخُذوا على يديه أوشكَ أن يَعُمَّهم الله بعقابٍ منه**»[3]، رواه الترمذيُّ والنسائيُّ وأبو داودَ بأسانيدَ صحيحة.

وفي الحديثِ من روايةِ حذيفة، أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «**والذي**

---

(١) في (س): «يسكت».

(٢) «جامع الترمذي» (٣٠٤٧)، و«مسند أحمد» (٣٧١٣)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٣) «جامع الترمذي» (٢١٦٨)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٠٩٢)، و«سنن أبي داود» (٤٣٣٨)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٠٥).

نفسي بيده، لتأمُرُنّ بالمعروف، ولتَنهَوُنَّ عن المُنكَر، أو ليُوشِكنَّ الله أنْ[١] يبعثَ عليكُم عقابًا منه، ثمَّ تدعُونَه فلا يُستجابُ لكم»[٢]، رواه الترمذيُّ وحسَّنَه.

لعلَّك رَكِبتَ هوى نفسك، وظَنَنتَ[٣] أنّك تُحِبُّ الحقّ، إنّ الهوى أعظمُ حجابٍ بينك وبين الحقِّ.

ها أنا أضربُ لك مثلًا[٤] يُظهِرُ لك دسيسةَ الهوى، وأنت حاكِمْ نفسَك، أنت كثيرًا ما ترى ما يفعلُ الظَلَمةُ برعاياهُم، وبالشريعة المُطهَّرة، وتجدُ في نفسِك من ذلك شِدّة، ثُمَّ لو[٥] أنّ أحدًا[٦] منهم فعلَ بك أو بولَدِكَ عُشرَ ما يُفعَلُ في غيرِكما هل تَجدُ حُرقةً[٧] وغمًّا مثل غمِّكَ للشريعةِ أو أشدَّ من ذلك، أم يكون غمُّكَ لهذا العُشر أعظم، بل لو[٨] أصابَ جارَكَ أمرٌ لم يُصِبك[٩] سُرِرتَ إذ أخطأكَ وسلِمت، بئس الجارُ أنت، بل بئس المؤمنُ أنت، هذا رسولُ الله ﷺ يقول: **«المؤمنونَ في تَوادِّهِم وتراحُمِهِم كالجسد الواحد، إذا اشتكى[١٠] عضوٌ تَداعى له سائرُ الجسدِ بالحُمَّى والسَّهَر»**[١١].

[١٩/أ] بالله الذي/ يعلمُ حقائقَكَ ودقائقَك، هل تجدُ في نفسِك حُرقةً على غريبٍ مُلقًى في الطرُقات كما تَجِدُها على ولدك؟

---

(١) «أن» ليس في (ق) و(س). (٢) «جامع الترمذي» (٢١٦٩).
(٣) في (س): «وطبقت».
(٤) قوله: «ها أنا أضرب لك مثلًا» غير واضح في (س).
(٥) «لو» ليس في (س). (٦) في (س): «الواحد».
(٧) في (س): «حرفة». (٨) «لو» ليس في (ق).
(٩) في (ق) و(د): «يصيبك». (١٠) في (س): «شكى».
(١١) «صحيح مسلم» (٢٥٨٦).

بالله لو رأيتَ ولدًا صغيرًا عريانًا تُرعَدُ فرائصُه من المرض والبرد تجدُ في نفسِك حُرقةً عليه كما تَجِدُها في حقِّ ولدِكَ؟

لا حول ولا قوّةَ إلّا بالله من دعوى مَحبّةِ رسولِ الله ﷺ، ودعوى ذَوقِ طعمِ الإيمانِ القلبيِّ بكلامه[١].

وَيحَك! تدَّعي دعوى تقطعُ في نفسِك بكذِبها، ثمَّ إذا عُوتِبتَ في ذلك تجدُ في نفسك[٢] حرجًا، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

لقد عرفتُ من أين أُتِيت؛ إنّك تعلَّمت لتقولَ[٣] لا لتعمَل، فأنتَ غائبُ القلب، وماذا يُدرِكُ البصيرُ مع طمس البصيرةَ!

ماذا يفهمُ القلبُ إذا لم يجاوز الكلامُ السمعَ؟ كيف يكون جسمٌ في[٤] حَيِّـزَين في أوانٍ واحدٍ؟ إنّ هذا بحكم العقل من المُحال.

قال مجاهدٌ رضي الله عنه: «القلبُ لا يُحدِّثُ نفسَه بشيءٍ غائبٍ لا يتصوَّره»[٥].

هذا سَفَهٌ؛ تصديقٌ بلا تصوُّر! هذا جهلٌ، علمٌ على غيرِ ما هو به، هذا عينُ الجهل، فكيف[٦] يكون[٧] علمًا اعتقادًا مع ذلك؟ هذا جهلٌ مركَّب.

---

(١) «بكلامه» ليس في (د).
(٢) قوله: «بكذبها، ثمَّ إذا عُوتِبتَ في ذلك تجدُ في نفسك» ليس في (د).
(٣) في (س): «ليقل».
(٤) «في» ليس في (ق).
(٥) في (د): «يتصور»، وانظر: «تفسير الثعالبي» (٥: ٢٩٢).
(٦) «فكيف» ليس في (س).
(٧) في (س): «فيكون».

وَيحَك! بل ويلَك! تدَّعي أنّك تستمعُ القولَ فتتَّبعُ أحسنَه، كذبتَ يا مطموسَ البصيرة، إنّك لم تَزَل تتجرَّأ على مخالفة الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾[١] [الأعراف: ٢٠٤].

قال وهْبُ بنُ مُنبِّه: «مِن أدبِ الاستماع: سكونُ الجوارح، وغضُّ البصر، والإصغاءُ بالسمع، وحضورُ القلب[٢]، والعزمُ على العمل بما يسمع، وذلك هو الاستماعُ كما يُحِبُّ[٣] الله تعالى، فبعدمِ[٤] سُكون الجوارح يشغلُ قلبَه، وبعدم غضِّ البصر يلهو قلبُه بما يرى، وبعدم إحضار قلبه لا يَعقِلُ ما يسمع[٥]، وبعدم العزم على العمل لا ثمرةَ لذلك»[٦].

فأوَّل ما أدَّب الله تعالى به خلقَه أن يُقدِّموا الإرادةَ والعزمَ على طلب[٧] الفَهم عنه، ثمَّ يَسمَعُوا[٨] بإحضار عُقُولهم، ونيّاتُهم في ذلك أن يَفهموا عنه فيَعمَلوا له بما يَفهمونَ عنه، وقد قال بعض السلف: «إنَّ من علامة الشَّقاوة أن يُرزَقَ الشخصُ العلم، ويُحرَمَ العملَ»، كما مَرَّ[٩].

وَيحَك! بل ويلَك! أيُّ مصيبةٍ أعظمُ من الشَّقاوة، أيُّ فتنةٍ[١٠] أعظمُ من أن يقولَ العبد: قال الله تعالى، ثمَّ يتعاطى خلافَ ذلك؟!

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ ليس في (د).
(٢) في (ق) و(د): «العقل».
(٣) في (ق): «يجب».
(٤) في (ق): «فعدم».
(٥) من قوله: «وبعدم غض البصر» إلى هنا ليس في (س).
(٦) انظر: «تفسير القرطبي» (١١: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧: ٣١٧).
(٧) في (ق): «الطلب».
(٨) في (د): «يستمعوا».
(٩) قوله: «كما مر» ليس في (د).
(١٠) قوله: «أعظم من الشقاوة، أي فتنة» ليس في (ش).

إنّ الشخصَ لا يكادُ يتعقَّل ذلك، دعوى حقٍّ واعتقادٌ مُطابِق، ومُخالَفةٌ ظاهِرة، وحرجٌ[1] عند طلب الحقّ، أمورٌ مُتضادّةٌ لو صَدَرَت من مختلٍّ لقيل: لا إله إلّا الله، انظروا إلى هذا يفعلُ أمورًا مُتضادّةً ويظنُّ أنّه مُصيب.

[١٩/ب]

العجبُ من قائلِ هذا في حقِّ زائلِ العقل كالبهيمة، ولا يَعجَبُ من صُنعه الذي فيه هذا الاختلافُ وهو لا يشعر، هذا لَعَمري أشدُّ جنونًا ممَّن يعجبُ منه، والعجبُ منه أشدُّ عجبًا من فعلِ البهيمة، هذا عينُ الطرد، مَفتونٌ لا يشعر، أو يشعرُ ولا يتحوَّل.

فإن كُنتَ لا تَـدرِي فتِلكَ مُصِيبةٌ　　وإن كُنتَ تَدرِي فالمُصِيبةُ أعظَمُ[2]

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: «أوَّلُ العلمِ الاستماع، ثمَّ الفَهم، ثمَّ الحِفظ، ثمَّ العمل، ثمَّ النشرُ»[3].

وَيحَك! بل وَيلَك! لقد ضلَّ بسببِك خلقٌ كثيرٌ تفعلُ الأمورَ المحرَّمةَ بالإجماعِ مع الإشارةِ إليك بالعلم، فيقولون: لولا أنّ له وجهًا لَما فعلَه، أنت ساعٍ في درس الشريعة، قاتَلَك الله، أتَهدِمُ ما بناهُ سيِّدُ الأوَّلينَ والآخرين، أخِفْتَ أن يكونَ قد حافَ عليك رسولُ ربِّ العالمين؟ هذا جزاؤُه منك أن[4] أخذَ بحُجُزَتِك عن النار[5]؟

---

(١) في (ق): «وخرج».　(٢) سبق الكلام عليه في أول الكتاب.
(٣) انظر: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص: ٣٤)، و«تفسير القرطبي» (١١: ١٧٦).
(٤) قوله: «منك أن» ليس في (د).
(٥) لعله يشير رحمه الله إلى حديث في «صحيح البخاري» (٦٤٨٣)، و«صحيح مسلم» (٢٢٨٤): «مثلي كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفَراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحَّمن فيها، قال: فذلكم مثَلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، تقحَّمون فيها».

بئسَ العبدُ أنت، أتتكَ آياتُ ربِّكَ فلم تَرْعَها حقَّ رِعايَتِها، وتدَّعي الإيمانَ القلبيَّ بها، قاتلَك الله أنّى تُؤفَك.

لقد ذمَّ الله تعالى قومًا من بني إسرائيلَ ابتَدَعوا رهبانيّةً لم يُؤمَروا بها، فما رَعَوها حقَّ رعايتها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

فذمَّهُم الله تعالى بتركِ رعايةِ ما لم يَفترِض ولم يُوجِب عليهم، فكيف بمن ضيَّعَ رعايةَ حقوقِ الله تعالى الواجبة التي يُوجِبُ تضييعُها غضبَه وعقابَه.

قال الزمخشريّ: «قال وهب: قال الله عزَّ وجلَّ فيما يعيبُ به بني إسرائيل: «تفقهون لغير الدين، وتعلمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة»[(١)].

وَيلَكَ يا ظالمَ[(٢)] القلب، أيُّ عِتابٍ أعظمُ من هذا! بل أيُّ مُصيبةٍ أعظمُ من مُصيبَتِكَ! تجعلُ أشرفَ الأشياء وعينَ الطاعة عينَ المعصية، إنّا لله وإنّا إليه راجعون من هذه المصيبة الجسيمة[(٣)].

وَيلَك! أما تَخشَى سوءَ عاقبة الغفلة والاغترار، فكأنِّي بكَ وقد شاهدتَ سوءَ غفلتِكَ واغترارِكَ فنَدِمتَ ولاتَ[(٤)] حين مناص، فانظُر بأيِّ بدنٍ تقفُ بين يدَيه، وبأيِّ جوابٍ صوابٍ تؤدِّيه إليه[(٥)]، فعليكَ بتقوى الله تعالى في السرِّ والعلانية؛ فإنَّه سبحانه وتعالى لا تَخفَى عليه خافية.

---

(١) «تفسير الزمخشري» (١: ٦٩).
(٢) في (ق): «ظلم».
(٣) «الجسيمة» ليس في (س).
(٤) في النسخ: «فندمت حين لات».
(٥) قوله: «وبأي جواب صواب تؤديه إليه» في (د): «وبأي جواب تؤديه».

لعلَّك تظنُّ في نفسك أنّك على تقوى، هيهاتَ! إنّ التقوى لَمِن أعزِّ المطالب، ودعواها من غير معرفة ماهيَّتها لَمِن أعظم المصائب، أنا أذكرُ لك[(١)] ما التقوى بعد إصغائكَ إلى أمر الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾... وإلى[(٢)] قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ [٢٠/أ] ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وجدتَ هيبةَ الأمر؟ عَرَفتَ قَدْرَ الآمِر؟ لعلَّك قَرَعَ سَمعَكَ اللفظُ فقط، إن كان كذلك لا تنتفعُ بما هنالك، اصغِ، عِ، غِبتَ عن وجودك بمعرفة المُخاطِب، أم قلبُكَ في ميدان اللهو غائب، إن كان كذلك فلا فائدةَ في ذِكرِ المسؤول عنه.

أنا أضربُ لك مثلًا تعرف الحقَّ على نفسِك، بالله عليك، إذا بَعَثَ أميرُ البلد يتطلَّبُك، وتحقَّقتَ أنّه طالِبُكَ لا محالة، وأنّ طالبَك لا بُدَّ له منك، كيف حالُك في خوفك منه[(٣)]، لا سيَّما وقد علمتَ أنه يُوقِعُ بك الفعلَ[(٤)] لا مَحالة، وأنّ الفعلَ إذهابُ عضوٍ من أعضائك، أو إذهابُ[(٥)] نفسك، كيف يكون خوفُك منه؟

هل وجدتَ مثلَ ذلك في نفسك خوفًا من الله تعالى؟ فأين الصدقُ في دعوى التقوى، وهي من ثمرة الخوف؟ وهذا يدلُّ على خلخلة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[(٦)] [التوبة: ١٣].

نذكرُ لك التقوى، عسى بذِكرها ترجعُ على نفسِكَ باللوم، وتقول لها: ما عِلمتُكِ يا غدارةُ شَمَمتِ رائحةَ التقوى فضلًا عن ذَوقِه، ومن أين لك ذلك؟

---

(١) «لك» ليس في (ق).
(٢) في (س): «إلى» بدون الواو.
(٣) «منه» ليس في (س).
(٤) في (س): «العقل».
(٥) في (د): «أو ذهاب».
(٦) قوله تعالى: «﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾» ليس في (س).

إنّ التقوى لوَصفٌ عظيمٌ، وناهيكَ به قولُ ربِّ العالمين: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد جاءَ في خبر: «**عليك بتقوى الله؛ فإنّه جِماع كلِّ خيرٍ**»[١]، ولهذا جُعِلَ القيامُ بالتقوى مِفتاحَ كلِّ خيرٍ في الدنيا والأُخرى، ولأهلها أُعِدَّت الجنّة، أُعِدَّت للمتقين[٢].

فهل ترى فيها موضعًا لغير المُتَّقين، ولأهلها جُعِلَ الأمرُ في الآخرة، ولأهلها وُعِدَ قَبولُ الأعمال، ووُسِمَ[٣] أهلُها بالولاية، ورُفِعَ عنهُمُ الحزنُ والخوفُ يومَ الحزن والإخافة، وجُعِلَ لأهلها المخرجُ من كلِّ ما ضاقَ[٤] على العباد، ولهم ضمانُ[٥] الرزق من غير الوجوه التي يحتَسِبُونَها... إلى غيرِ ذلك من الآياتِ والأخبار[٦].

ولمّا كانتِ التقوى في المرتبة المُنيفة كان جزاؤُها هذه المِنحَ الشريفة، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]؛ أي: ضربَ قلوبَهُم بأنواع المِحَنِ والتكاليف الصعبة[٧] لأجلِ[٨] التقوى[٩]؛ أي:

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١٠٠٠)، و«المعجم الصغير» للطبراني (٩٤٩)، و«الآداب» للبيهقي (٨٣٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤: ٢١٥): «ورجال أحمد ثقات، وفي إسناد أبي يعلى: ابن أبي سليم، وهو مدلس».

(٢) قوله: «أُعِدت للمتقين» في (ق): «تلك الجنة اعتدت للمتقين».

(٣) في (د): «ورسم».

(٤) في (د): «من كل مضاق».

(٥) في (س): «ضمن».

(٦) «والأخبار» ليس في (د).

(٧) «الصعبة» ليس في (د).

(٨) في (ق): «لأهل».

(٩) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥: ١٣٣)، و«فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٤: ٤٥٢).

لتثبت فتظهر تقواها[١]، ويُعلَمَ أنّهم مُتَّقونَ؛ لأنّ حقيقةَ التقوى لا تُعلَمُ إلّا عندَ المِحَنِ والشدائدِ والاصطبارِ عليها.

قال ابنُ عطاء: «التقوى لها ظاهرٌ وباطن، فالظاهرُ مُحافظةُ الحدود، والباطنُ النيّةُ والإخلاص»[٢].

[٢٠/ب]

ومَن يَقدِر على الإخلاص؛ لأنّ[٣] الرياءَ أخفى من دبيب النملةِ السوداء في الظُّلمة الظَّلماءِ على الصخرة[٤]، كما قاله رسولُ الله ﷺ، خرَّجهُ الإمامُ أحمدُ والطبرانيّ، وفي رواية ابن حبّانَ والدارقطنيّ: «اتَّقوا هذا الشِّركَ؛ فإنّه أخفى من دبيب النمل»[٥]، يعني: الرياء[٦].

وقال[٧] طَلْقُ بنُ حبيبٍ حين سأله بكرٌ المُزَنيُّ عن التقوى؟ فقال: «العملُ بطاعة الله على نورٍ من الله، مخافةَ عقاب الله»[٨].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٩: ٥٠٨).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩).

(٣) في (د): «إن».

(٤) «حلية الأولياء» (٨: ٣٦٨)، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة» (١٠٤).

(٥) «مسند أحمد» (١٩٦٢٢)، و«الأدب المفرد» (٧١٦)، قال ابن القيسراني في «تذكرة الحفاظ» (٤٢١-٤٢٢): «رواه يحيى بن كثير أبو النضر البصري، عن الثوري، عن أبي إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن أبي بكر الصديق. ويحيى هذا يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وليس هذا بيحيى بن كثير بن درهم، ذاك ثقة كُنيته أبو غسان، وهذا يقال له: أبو النضر».

(٦) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١: ١١٣)، و«فتح الباري» لابن رجب (١: ١٤٦)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (٣: ١٥٥)، و«اللامع الصبيح» للبرماوي (١: ٢٧٦).

(٧) في (س): «قال».

(٨) انظر: «تاريخ الإسلام» (٧: ١٢١)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٤: ٤١١)، و«البداية والنهاية» (٩: ١٠١).

ومن أين يجدُ القلبُ النورَ وهو مُنغمِرٌ في بِحارِ الشهوات، ومَحجوبٌ عن لَذاذة الطاعاتِ بارتكاب المُخالَفات، بل غالِبُ المتعبِّدة المُجِدَّةِ[١] لاهيةٌ في أعمالها، وأقلُّ درجاتهم عدمُ لَذاذة المُناجاة.

وقال بعضهم: «التقوى مُجانبةُ ما يُبعِدُكَ عن الله»[٢]، وقال بعضُهم: «الوقوفُ مع الله تعالى»[٣]، وقِيل غيرُ ذلك.

وللتقوى علامات، منها: الاشتياقُ إلى مُفارقةِ الدنيا، ومُصادقةُ قولِه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٤] [الأنعام: ٣٢].

ومنها: أن تَهُون على قلبه أعراضُ الدنيا، وقال ذو النون رحمةُ الله تعالى عليه: «التقيُّ مَن لا يُدنِّس ظاهرَه بالمُعارَضات، ولا باطنَه بالمُعاملات»[٥].

وقال بعضُهم: «يُستَدَلُّ على التقوى بثلاث خصال: بحُسنِ التوكُّلِ فيما لم يُنَل، وحسنِ الرضا فيما نِيل، وحسنِ الصبر على ما قد فاتَ»[٦].

وقال بعضُهم: «التّقيُّ مثلُ[٧] فلانٍ اشترى أربعينَ جرّةً دُهنًا، فخرجت[٨] فأرةٌ من أحدها ولم يَدرِ أيها، فأراقَها كلَّها»[٩].

---

(١) «المجدة» ليس في (ق).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٤٧)، و«سير السلف الصالحين» (١٢١٨)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧١).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ١٤٤).

(٤) انظر: «شرح البخاري» للسفيري (١: ٤٦٤).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣).

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٢).

(٧) «مثل» ليس في (س). (٨) في النسخ: «فخرج».

(٩) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣-٢٧٤).

ومن ذلك أنّ أبا حنيفةَ رحمهُ الله تعالى كان لا يجلسُ في ظلِّ شجرةٍ لغريمٍ له، ويقول: كلُّ قرضٍ جرَّ نفعًا فهو ربًا[١]. لله دَرُّه من فقيهٍ مُتَّقٍ، رضي الله عنه.

ودخلَ أبو يزيدَ الجامع، فغرزَ عصاهُ في الأرض، فسقطَت على عصا شيخ، فوقَعَت، فانحنى الشيخُ وأخذَ عصاه وذهب، فلمّا فرغَ أبو يزيدَ لَحِقَ الشيخَ إلى بيته واستحلَّه، وقال: كان السببُ في انحنائكَ عصاي[٢].

ومن ذلك أنّ[٣] إبراهيمَ بنَ أدهمَ باتَ ليلةً تحتَ الصخرةِ ببيت المقدس، فلمّا كان بعضُ الليل نزلَ ملَكان، فقال أحدُهما لصاحبه: مَن هاهنا؟ فقال الآخر: إبراهيم، فقال: الذي حطَّ الله درجةً من درجاته؟ فقال: لِمَ؟ فقال: لأنّه اشترى من البصرة التمرَ[٤] فوقَعَت تمرةٌ[٥] على تَمْرِه من تمر[٦] البائع[٧].

قال إبراهيم: فمَضيتُ إلى البصرة واشتريتُ من ذلك البائع[٨] تمرًا، وأوقعتُ تمرةً على تمرِه، ورَجَعتُ إلى بيت المقدس، وبِتُّ في الصخرة، فلمّا كان بعضُ الليل أتى مَلَكان[٩] ونزلا[١٠] من السماء،/ فقال أحدُهما لصاحبه: مَنْ هاهُنا؟ فقال: إبراهيمُ[١١] بنُ أدهم، فقال: الذي ردَّ التمرةَ[١٢] إلى مكانِها فردَّ الله درجتَه[١٣]. [٢١/أ]

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٣٠)، و«بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية» (٤: ٢٠٥).
(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٣٠).
(٣) «أن» ليس في (س).
(٤) في (س): «الثمر».
(٥) في (س): «ثمر»، وكذا في المواضع الآتية.
(٦) «تمر» ليس في (د).
(٧) في (ق) و(د): «البياع».
(٨) في (ق) و(د): «البياع».
(٩) قوله: «أتى ملكان» ليس في (د).
(١٠) في (ق) و(د): «نزلا».
(١١) «إبراهيم» ليس في (ق) و(س).
(١٢) في (د): «الثمرة».
(١٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٣٠-٢٣١)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣١٠).

وفي هذا المعنى أمورٌ كثيرةٌ لا تكادُ تُحْصَر؛ منها: أنّ عمرَ رضي الله عنه أُتيَ بمِسك، فأمرَ أن يُقسَّم بينَ المُسلمين، فسَدَّ أنفَه، فقيلَ له في ذلك، فقال: وهل يُنتَفَعُ إلّا بريحِه[1]؟

ومن ذلك ما صنعَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضي الله عنه لمّا جاءَ غلامُه بطعام، فأكلَ منه لُقمةً، فقال الغلام: أتدري ما هو؟ فقال: الصدِّيق: ما هو؟ فقال: تكَهَّنتُ في الجاهليّةِ وما أُحسِنُ الكَهانة، إلّا أنّي خدعتُه، فلَقِيَني فأعطاني، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخلَ الصدِّيقُ يدَه، فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنه[2].

وفي رواية: فجعلَ يتقيَّأُ[3] فلا تخرُج اللقمة، فقيلَ له[4]: كلُّ هذا لأجل لقمةٍ؟ فقال: لو لم تخرُج إلّا بنفسي لأخرجتُها؛ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كلُّ جسدٍ نبتَ على حرامٍ فالنارُ أولى به**»، خشيتُ أن ينبتَ شيءٌ من جسدي من هذه اللقمة[5].

ألا إنّ مدارَ التقوى على معرفةِ الحلالِ والحرام، وإلّا فالشخصُ في النارِ وهو لا يشعر، ولَعَمري إنّ مَن لا يعرفُ الحلالَ والحرامَ لم يَزَل في الحرامِ ولو في عباداتِه، وهو يَحسبُ أنّه يُحسِنُ صُنعًا، وهو قد خَسِرَ الدنيا والآخرة، وقد دسَّ الشيطانُ عليهِ مصائبَ أخرَجَهُ بها من الدِّين[6]، وهو يظنُّ أنّه **سالكٌ إلى الله تعالى**، وهو سالكٌ[7] سبيلَ الخُسْران.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٤٢). (٣) في (د): «يتقايأ».

(٤) في (س): «فقيل لك في ذلك».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣١)، و«المنتظم» (٤: ٦٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٥).

(٦) في «إنارة الفكر» للبقاعي: «الدنيا». (٧) في (س): «سالك إلى».

ولقد وقعَ لي مع جماعةٍ من ذلك أمورٌ:

فمن ذلك: أنِّي خرجتُ يومًا من بيتي أُريدُ الصلاةَ في الصفِّ الأوَّل في الأقصَى، فحانَت منِّي التفاتة، فوجدتُ شخصًا عليه أمراطٌ شَعثة، فقلتُ في نفسي: هذا شخصٌ عليه آثارُ الجُوع، فلو جلستُ إليه ووانَستُه[١] بالكلامِ وبالبرِّ لكانَ نِعمَ الرأي، فلمّا دنوتُ منه فإذا بشخصٍ[٢] حَسنِ الوجه، كثيرِ الذِّكر، فسمعتُ من ذِكره، فإذا فيه خللٌ[٣]، فقلت: لو صحَّحْتَ هذا الذِّكرَ لكان أجملَ بك، فأجابَني بجوابٍ ضاقَ ذَرعي منه، فراوَدتُه على التوجُّه إلى الطريقِ المُوصِلِ إلى الله[٤]، فأبى أن يكونَ إلّا على ضلالِه القديم، فبِتُّ تلك الليلةَ حزينًا مرعوبًا، أجدُ في نفسي رجفانًا[٥] مِمّا اعتراني من معرفتي بما[٦] صنعَ الشيطانُ بهذا وأمثالِه.

فعليكَ **أيُّها السالكُ** بالعلم؛ فإنّ[٧] به النجاة، وإلّا فأنتَ هالِكٌ لا محالة، وإيّاكَ والضجرَ من طلبه؛ فإنّ النفسَ الأمّارةَ لا حظَّ لها في المجاهدة، إنّما حَظُّها [٢١/ب] في الشهواتِ والارتياحِ في ميدان الغَفلاتِ التي تُورِثُ الندامةَ والخسران[٨].

ولقد رأيتُ ناسًا[٩] كثيرًا تَركوا العلمَ لصُعُوبَته، فأخذوا في العبادةِ على جهل، وزيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهُم، فأصبَحُوا خاسِرين، واعتَقدُوا قُربةَ ما حرَّمَ الله عليهم فأصبَحُوا هالِكين.

---

(١) في «إنارة الفكر»: «وواسيته». (٢) في (ق): «شخص».
(٣) في «إنارة الفكر»: «علل». (٤) قوله: «الموصل إلى الله» ليس في (س).
(٥) كتب في حاشية (د): «رجفانًا: اضطرابًا شديدًا».
(٦) في «إنارة الفكر»: «ما». (٧) في (س): «فإنه».
(٨) في (ق): «والحسرات». (٩) «ناسًا» ليس في (د).

ولقد والله وقفتُ على خطراتٍ في السلوك يكونُ الشخصُ في سجدةٍ واحدةٍ في أوَّلها في مقام المعرفة ـ وناهيكَ به من مقامٍ ـ ثمَّ يكونُ في آخر السجدة كافرًا، وهو يظنُّ في تلك الحالة أنّه ترقَّى إلى المقام الأعلى والمنزل الأسنى، وقد وهَى إلى أسفل السافلين.

قال السيِّدُ الجليلُ العارفُ بالله تعالى أبو يزيدَ طيفورٌ البسطاميُّ ـ وهو من القُدماء، ماتَ بعد المئتين[١]ـ: «عملتُ في المجاهدةِ ثلاثينَ سنة، فما وجدتُ شيئًا أشدَّ عليَّ من العلم ومتابعته»[٢]، وكان لا يتحرَّكُ إلّا بكتابٍ أو سُنّة، حتَّى قال يومًا: أُريدُ أن أسألَ الله شيئًا، ثمَّ قال: لا أسألُ شيئًا لم يسأله رسولُ الله ﷺ[٣].

فانظُر[٤] يا جاهِلُ في تَبَحُّر هذا في العِلمِ كيفَ جدَّ في طلب العِلمِ حتَّى في الأمور التي هي في جانب النفي[٥] خوفًا من أن يقعَ في مخالفة سُنّة.

وقال السيِّدُ الجليلُ العارِفُ بالله تعالى أبو القاسم الجنيد: «الطرقُ كلُّها مَسدودةٌ على الخَلْق، إلّا مَن اقتفى أثرَ رسولِ الله ﷺ، واتَّبَعَ سُنَّته، ولزمَ طريقتَه؛ فإنّ طُرُقَ الخيرات مفتوحةٌ كُلُّها عليه، وعِلمُنا هذا مضبوطٌ بالكتاب والسُّنّة»[٦].

---

(١) سنة إحدى وستين، وقيل: أربع وستين ومئتين. انظر: «المنتظم» (١٢: ١٦٦)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٥٣١)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١١٠).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٧٠)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٤).

(٣) في (د): «لم يسأله الله»، وانظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٥٧).

(٤) في (ق): «انظر».

(٥) في (س): «النقي».

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٣٢)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٧٩)، و«إنارة الفكر» للبقاعي (٨٨-٨٩)، و«البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣: ١٥٥٤).

وَيحَك يا جاهل! تأخُذُ أخسَّ الأشياء وهو الجهل، وتجعله وسيلةً إلى أشرف المطالب، لا أجهلَ منك ولا أحمق[١].

وَيحَك! تركبُ[٢] هواكَ وتزعمُ أنّك مُصيبٌ، إنّها فتنةٌ وأيُّ فتنة، لقد ذمَّ الله تعالى الذين اتَّبعوا أهواءَهُم بغير علم، فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، أتظنُّ أنّ[٣] هواكَ في كثرة العبادة من الصوم والصلاة وأنواع العبادة مُوصِل، إن هو إلّا عينُ الطرد، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

قال الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه وأرضاه: «أصولُ السُّنّة عندنا: التمسُّكُ بما كان عليه أصحابُ رسولِ الله ﷺ، والاقتداءُ[٤] بهم، وتَركُ البِدَع، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وليست[٥] السُّنّةُ قياسًا ولا تُضرَبُ لها الأمثال، ولا تُدرَكُ بالعقول والأهواء؛ إنّما/ هي الاتِّباعُ وتَركُ الهوى»[٦]. [٢٢/أ]

وقال عبدُ الله بنُ مسعود رضيَ الله عنه: «عليكُم بالأمر الأوَّل»[٧].

وقال السيِّدُ الجليلُ ضِرارُ بنُ عمرو[٨] رضي الله عنه: «إنّ قومًا تركوا العلمَ ومجالسةَ أهل العلم، واتَّخذوا محاريب، وصلَّوا وصامُوا؛ حتَّى يَبِسَ جلدُ

---

(١) في (د): «ولا أحمق منك».
(٢) في (ق) و(د): «ترتكب».
(٣) في (س): «أن في».
(٤) في (ق) و(د): «في الاقتداء».
(٥) في (ق): «وليس».
(٦) «أصول السنة» لأحمد بن حنبل (١٤-١٧).
(٧) قوله: «وقال عبد الله بن مسعود: عليكم بالأمر الأولَ» ليس في (س). انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٦٩).
(٨) في (ق) و(س) و(د): «عمر»، والصواب ما أثبت.

أحدِهم على عظمه، خالَفوا فهَلَكُوا، والذي لا إلهَ غيرُه، ما عَمِلَ عاملٌ على جهلٍ إلّا كان ما يُفسِدُ أكثرَ ممّا يُصلحُ»[١].

وليس المُرادُ علماءَ زمانِنا الذين اتَّخذوا العِلمَ مأكلةً، وترقُّوا به إلى مُجالسةِ هذه الظَّلَمة؛ فإنّهم أفسقُ الفُسّاق، وأوثَقُ عُرى النِّفاق، دينُ أحدِهم لَعقةٌ على لسانه، قاتَلَهُم الله تعالى، ما أفسَدَهُم لهذه الشريعةِ المُطهَّرة!

الفقيه مثلُ طاوسَ رضي الله عنه؛ صانَ العلمَ وعلِمَ؛ ليعمَل، مشى إليه سُلَيْمانُ بنُ عبد الملك فاستأذنَ عليه فأذِنَ له، فلمّا دَخَلَ لم يَقُم له، ولم يعبأ به، فلمّا انصرف قيل له: مشى إليك أميرُ المؤمنين فلم تَلوِ عليه!

فقال: «أردتُ أن يُعلَمَ أنّ لله رجالًا يَزهَدونَ فيما لدى سليمان، وليسَ مطلَبُهُم سوى الله، ولا يخافونَ غيرَه، ولا يرجونَ إلّا إيّاه»[٢].

وقال مالِكُ بنُ أنسٍ رضي الله عنه: بعثَ المنصورُ خلفي وخلفَ ابنِ طاوس، فدخلنا عليه، فإذا هو جالسٌ على نطعٍ قد بُسِطَت، وفُرُشٍ قد نُضِدَت، وبين يدَيه جَلاوِزةٌ بأيديهمُ السيوفُ يَضرِبُونَ الأعناق، فأومأ إلينا أن اجلسا، فجَلَسنا، فأطرقَ عنّا طويلًا[٣]، ثمَّ رفعَ رأسَه والتفتَ إلى ابنِ طاوس، وقال: حدِّثني عن أبيك. فقال[٤]: سمعتُ أبي يقول[٥]: «إنّ أشدَّ الناسِ عذابًا يومَ القيامة رجلٌ

---

(١) انظر: «تلبيس إبليس» (٢٨٧).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٢٧)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٦٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٢).

(٣) كتب فوقها في (د): «أرخى عينيه ينظر إلى الأرض».

(٤) في (س): «قال».

(٥) بعدها في (د) و(ق): «قال رسول الله ﷺ»، والسياق المثبت موافق لما في المصادر.

أشرَكَه الله في مُلكِه فأدخلَ عليه الجَورَ في حُكمِه»، فأمسكَ المنصورُ ساعةً[١].

قال مالكٌ: فضمَمتُ ثيابي مَخافةَ أن يَنضَحَني دمُه، واسودَّ ما بيننا وبينه، ثمَّ قال: يا ابنَ طاوس، ناوِلنِي هذه الدواة، فأمسكَ عنه، ثمَّ قال: ناوِلنِي هذه الدواة، فأمسكَ عنهُ[٢]، ثمَّ قال: ما يشغَلُكَ أن تُناوِلنِيها؟ فقال: أخافُ أن تكتُبَ بها معصيةً فأكونَ شريكَكَ فيها، فلمّا سَمِعَ ذلك قال: قُوما عنِّي، فقالَ ابنُ طاوس: ذلكَ ما كُنّا نبغي منذُ اليوم.

قال[٣] مالكٌ: فما زِلتُ أعرِفُها لابن طاوس وأعرفُ فضلَه[٤].

وقال بِشرُ بنُ السَّريّ: بينما الحَجّاجُ جالسٌ في الحِجْرِ إذ دَخَلَ رجلٌ من أهلِ اليمنِ يُريدُ الطوافَ بالبيت، فوكَّلَ الحَجّاجُ به بعضَ أعوانه، وقال: إذا فرغَ من طوافِه فائتِني به، فلمّا فرغَ أتاهُ به، فقال: أنت من أين؟

قال: رجلٌ من اليمن، قال: فلكَ عِلمٌ بمحمَّدِ بنِ يوسفَ؟ قال: نعم، قال: [٢٢/ب] فأخبرني عنه، قال: لقد تَركتُه سمينًا عريضًا، قال: وَيلَك! ليس عن هذا أسألُك، قال: فعمَّ تسألني؟ قال: عن سيرته وطُعمَتِه؟ فقال[٥]: فأجوَرُ السِّيرةِ[٦] وأخبثُ الطُّعم، وأعدى العُداةِ على الله وعلى أحكامِه. فغَضِبَ الحَجّاج، وقال: وَيلَك! أما عَلِمتَ أنّه أخي، قال: بلى، قال: فما خِفتَ مني؟ فقال: يا حجّاج، أما عَلِمت

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» (٢: ٥١١). (٢) «عنه» ليس في (ق).

(٣) في (د): «فقال».

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» (٢: ٥١١)، و«مرآة الجنان» (١: ٢١٧)، و«قلادة النحر» (٢: ١٠٧).

(٥) في (س): «قال».

(٦) في النسخ: «السير»، والمثبت موافق لما في المصادر.

أنّ الله عزَّ وجلَّ ربِّي، واللهِ[١] لهوَ أمنعُ لي منك[٢] أكثرُ منكَ لأخيك[٣].

قال بعضُ العلماء: لله[٤] دَرُّه من رجل، تمسَّكَ بقولِه سبحانَه وتعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وصَدَقَ مع الله فلم يَخَف غيرَه، وقالَ الحقَّ في مَواطِن الهَلَكة، رضي الله عنه.

واجتمعَ أبو حازمٍ رضي الله عنه بسليمانَ بنِ عبد المَلِك يومًا ـ وكان عندَه الزهريُّ ـ فقال سليمان: يا أبا حازم، ما لَنا نكرَه الموتَ؟

قال[٥]: لأنّكم خرَّبتُم آخرتَكُم، وعَمَّرتُم دُنياكُم، فأنتم تكرهونَ[٦] الانتقالَ[٧] من العُمرانِ إلى الخراب. قال: صَدَقت، فكيفَ القُدومُ على الله تعالى؟ قال[٨]: أمّا المُحسِنُ فكالغائب يَقدَمُ على أهلِه[٩]، وأمّا المُسيءُ فكالآبِقِ يَقدَم[١٠]، فبكى سليمان، ثمَّ قال: ليتَ شِعري، ما لنا عند الله تعالى!

فقال: اعرض نفسكَ على كتاب الله تعالى تَعلَمُ ما لكَ عند الله[١١]، فقال: أين أجدُ ذلك؟ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، فقال سليمان: فأينَ رحمةُ الله تعالى؟ فقال[١٢]: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

---

(١) في (د): «وهو».
(٢) في (د): «لهو مانعي منك».
(٣) انظر: «قمع النفوس» (١٧٨).
(٤) قوله: «لله» ليس في (ق).
(٥) في (د): «فقال».
(٦) في (ق) و(د): «فتكرهون».
(٧) في (س): «النقلة».
(٨) في (د): «فقال».
(٩) جاء بعدها في «المنتظم»: «مسرورًا».
(١٠) جاء بعدها في (د): «على مولاه»، وفي «المنتظم»: «على أهله محزونًا».
(١١) قوله: «تعلم ما لك عند الله» ليس في (د).
(١٢) في (س): «قال».

[الأعراف: ٥٦]، فقال: ما تقولُ فيما نحنُ فيه؟ فقال: اعفِني، قال سليمان: نصيحةً تُلقِيها.

فقال[١] أبو حازم: إنّ أُناسًا[٢] أخذوا هذا الأمرَ عَنوةً عن غيرِ مُشاورةٍ من المسلمين، ولا اجتماعٍ من رأيهم، فسَفَكُوا فيه الدماءَ على طلبِ الدُّنيا[٣]، ثمَّ ارتَحَلوا عنها، فليتَ شِعري ما قالوا وما قيلَ لهم!

فقالَ بعضُ جلسائِه: بئسَ ما قُلت يا شيخ! قال أبو حازم: كذَبتَ، إنّ الله تعالى أخذَ ميثاقه[٤] على العلماء؛ ليُبَيِّنُنَّه للناس ولا يكتمونَه، فقال له[٥] سليمان: اصحبنا تُصِب مِنّا ونُصِب منك، فقال: أعوذُ بالله من ذلك، قال: ولِمَ؟

قال: أخافُ أن أركنَ إليكم شيئًا قليلًا فيُذيقني الله[٦] ضِعفَ الحياةِ وضِعفَ الممات، ثمَّ قال: اتَّقِ الله أن يَراكَ حيثُ نهاك، وأن يَفقدَكَ حيثُ أمرك.

فقال سليمان: يا غُلام، هاتِ[٧] مئةَ دينار، ثمَّ قال: خُذها[٨]، فقال: لا حاجةَ لي فيها؛ إنّي أخافُ أن تكونَ لِما سمعتَ من كلامي، فكأنَّ سليمانَ أُعجِبَ بأبي حازم، فقال الزهريّ: إنّه لَجاري منذ ثلاثين سنةً ما كلَّمتُه قطّ، فقال أبو حازم: إنّك نسيتَ الله فنسيتَني، ولو أحببتَ الله/ لأحببتَني، فقال الزهريّ: [٢٣/أ] أتشتُمني؟ فقال سليمان: بل أنتَ شتمتَ نفسَك، أما عَلِمتَ أنّ للجارِ على جارِه حقًّا؟

---

(١) في (س): «قال».
(٢) في (ق) و(س): «ناسًا».
(٣) قوله: «على طلب الدنيا» ليس في (ق) و(س).
(٤) «ميثاقه» ليس في (ق) و(د).
(٥) «له» ليس في (س).
(٦) لفظ الجلالة ليس في (س) و(د).
(٧) «هات» ليس في (ق) و(س).
(٨) في (س): «خذهما».

فقال أبو حازم: إنّ بني إسرائيلَ لمّا كانوا على الصوابِ كانت الأُمراءُ يحتاجونَ إلى العُلماء، وكانت تَفِرُّ بدينِها من الأُمراء، فلمّا رأى[1] ذلك قومٌ من أذلّةِ الناس تعلَّموا ذلك العلم، وأتوا به إلى الأُمراءِ فاستغنَت[2] بهم عن العلماء، واجتمعَ القومُ على المعصيةِ فسقَطوا وانتكَسوا، ولو كان علماؤُنا يصونونَ عِلمَهُم لكانت الأُمراءُ لم تَزَل تأتيهم[3].

فقال الزهريّ: كأنّكَ إيّاي تُريدُ وبي تُعرِّضُ[4]، فقال: هو ما تسمعُ[5]، والله أعلم.

أشارَ أبو حازمٍ رحمة الله عليه إلى لَعنِهم على لسانِ الأنبياء كما وردَ في القرآن، وحذَّرَنا منه سيِّدُ السابقِين واللاحقِين ﷺ، ففي[6] حديثِ عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال[7]: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنّ أوّلَ ما دخلَ النقصُ على بني إسرائيلَ أنّهُ[8] كانَ الرجلُ يَلقَى الرجل، فيقول: يا هذا، اتَّقِ الله ودع ما تصنع؛ فإنّه لا يَحِلُّ لك، ثمَّ يَلقاهُ من الغد وهو على حالِه، فلا يمنعه ذلك أن يكونَ أكِيلَه وشرِيبَه وقعِيدَه، فلمّا فعلوا ذلك ضَرَبَ الله قلوبَ بعضِهم ببعض،** ثمَّ قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝ تَرَىٰ

---

(١) «رأى» ليس في (ق). (٢) في (د): «فاستغنوا».
(٣) في «المنتظم»: «تهابهم». (٤) قوله: «وبي تعرض» ليس في (د).
(٥) انظر: «المنتظم» (٨: ٣٣-٣٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٧-٣٨٨)، و«مرآة الزمان» (١٠: ١٥٠-١٥١).
(٦) في (د): «في». (٧) في (س): «فقال».
(٨) في (ق): «أن».

كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[١]، إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

ثم قال عليه الصلاةُ والسلام: «**كلّا**[٢] **والله، لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على الظالم، ولتأطرنَّه**[٣] **على الحقِّ أطرًا**[٤]**، ولتقصرُنَّه على الحقِّ قصرًا، أو ليَضرِبَنَّ الله بقلوبِ بَعضِكُم**[٥] **على بعض، ثمَّ ليلعنَكُم كما لعَنَهُم**»، رواه أبو داود[٦]، والترمذيّ، وقال: «حسنٌ»[٧].

ولفظُ الترمذيّ: «**لمّا وقَعَت بنو إسرائيلَ في المعاصي نَهَتهُم عُلماؤُهُم فلم ينتهوا، فجالَسوهُم في مجالسهِم، وواكَلوهُم وشارَبوهُم، فضَرَبَ الله قلوبَ بعضهم ببعض، ولعَنَهُم** ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾»، فجلسَ رسولُ الله ﷺ وكان مُتَّكِئًا، فقال: «**لا والذي نفسي بيدِه حتَّى تُطروهُم**[٨] **على الحقِّ أطرًا**»[٩]. ومعنى تُطرُوهُم: تعطِفُوهُم على الحقِّ عَطفًا[١٠].

ويحَكُم، بل ويلَكُم يا فُقهاءَ السوء! إنّكُم لا تُنكِرونَ البتّة، بل تُعينُوهم

---

(١) قوله تعالى: «﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۞ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾» ليس في (س).

(٢) في (س): «بلى».

(٣) في (د): «ولتطرونه».

(٤) في (د): «إطراءً».

(٥) في (ق) و(س): «بعضهم».

(٦) «سنن أبي داود» (٤٣٣٦-٤٣٣٧).

(٧) في «جامع الترمذي»: «حسن غريب».

(٨) في «جامع الترمذي»: «تأطروهم».

(٩) «جامع الترمذي» (٣٠٤٧)، و«سنن أبي داود» (٤٣٣٦).

(١٠) انظر: «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة» (٣: ٢٨٤).

[٢٣/ب] وتُعطُوهم أموالَ اليَتامَى ظُلمًا وتُقوُّوهم على معاصي الله تعالى، وعلى إهدارِ الشريعة وطمسِها، أيُّ لعنٍ يُناسبُ حالَكُم؟!

إنّا لله وإنّا إليه راجعون فيما قد حلَّ بالشريعةِ المُطهَّرة منكم، تَتحقَّقُونَ ما هُم عليه من شُربِ الخُمورِ والاشتغال بآلات اللهو المُجمَعِ على تحريمِها، وأخذِ المُكوس، وقَهرِ الناس على أموالِهم، وسَفكِ الدماء، والرِّشوة على تركِ القصاص ممَّن استوجَبَه بجناية، واعتقادِهم أنّ دارَ الإسلام دارُ قهرٍ وغَلَبة، إلى غير ذلك من المصائب العِظام، ومع تحقُّقِكُم ذلك لو عُوتِبتُم[١] في ذلك لوجَدتُم في أنفسِكُم حرجًا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[٢] [النساء: ٦٥]، ألا لعنةُ الله على الظالمين الذين يصدُّونَ عن سبيلِ الله ويَبغُونَها عِوَجًا، والله أعلم.



(١) في (س): «عوقبتم».
(٢) قوله تعالى: «﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾» ليس في (س)، وبعدها: «الآية».

ومن جملة العلماء الذين يصدعون بالحق

[ابن أبي ذئب]

[١] محمد، المشهور بابن أبي ذئبٍ(١).

قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله تعالى: «إنّه كان(٢) يُشبِهُ سعيدَ بنَ المُسيَّب»(٣)، ولم يُخلِّف(٤) ببلاده وغيرِها مثلُه.

ولمّا حجَّ المنصورُ دعاه، فقال له: ناشدتُكَ بالله، ألستُ أعمَلُ(٥) بالحقّ؟ ألستَ تراني أعدِلُ؟

فقال ابنُ أبي ذئب: أمّا إذا ناشدتَني بالله تعالى فأقول: اللَّهُمَّ لا؛ ما أراكَ تَعدِل، وإنّك لَجائر، وإنّك لتَستَعمِلُ الظَّلَمةَ وتَدَعُ أهلَ الخير.

قال إبراهيمُ بنُ يحيى وعيسى بنُ عليّ: فظَنَنّا أنّه سيُعاجِلُه، فجَعلنا نكفُّ ثيابَنا مخافةَ أن يُصيبَنا دمُه، وجزعَ أبو جعفرٍ واغتمّ، وقال: قُم واخرُج(٦)، رضي الله عنه.

---

(١) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٧: ٣٩٠)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٨٦)، و«العبر في خبر من غبر» (١: ١٧٧).

(٢) «كان» ليس في (س) و(ق).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (٣: ٥١٥)، و«طبقات الحنابلة» (١: ١٦١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٨٦).

(٤) في (د): «يتخلف».

(٥) في (د): «ألست ذا عمل».

(٦) في (د): «فاخرج». وانظر: «مرآة الزمان» (١٢: ٢٩٦-٢٩٧).

ومن العلماء الذين يصدعون بالحق

[عبد الله العُمَريُّ]

[٢] عبدُ اللـه العُمريُّ[١].

كان سَكنُه مدينةَ رسولِ الله ﷺ، وماتَ في القرن الثاني، أنكرَ على الرشيدِ ولم يَسعَ[٢] إليه.

قال أبو قُدامةَ السرخسيُّ[٣]: وقفَ العُمريُّ للرشيدِ على الطريق[٤]، وذكرَ له ما ذكر، فقال له هارون: نعم يا عمُّ[٥]، نعم يا عمُّ[٦].

وكان يأوِي المقابر، ولا يُرى إلّا وحدَه، فقِيلَ له في ذلك[٧]، فقال: ما

---

(١) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٧: ١٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١١)، و«تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٥: ٢١٢).

(٢) في (د): «يسمع».

(٣) عبيد الله بن سعيد بن يحيى بن برد مولى بني يشكر، أبو قدامة السرخسي، سمع ابن عيينة ويحيى بن سعيد، مات سنة إحدى وأربعين ومئتين.
انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» (٥: ٣٨٣)، و«الثقات» لابن حبان (٨: ٤٠٦)، و«رجال صحيح البخاري» (١: ٤٦٤)، و«طبقات الحنابلة» (١: ١٩٨).

(٤) في (د): «طريق».

(٥) قوله: «نعم يا عم» ليس في (د).

(٦) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٣٧٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٧: ١٥٧).

(٧) قوله: «فقيل له في ذلك» ليس في (س).

رأيتُ أوعظَ من قبر، ولا أسلمَ من الوحدة، فقيلَ له: قد جاءَ في الوحدة، فقال: لا تُفسِدُ إلّا جاهلًا[١].

وقال سعيدُ[٢] بنُ سُليمانَ رضي الله عنه: كنت بمكّةَ وإلى جانبي العُمريّ، وقد حجَّ الرشيد، فقال للعُمريِّ إنسانٌ: هذا أميرُ المؤمنينَ يَسعَى قد أُخليَ لهُ المَسْعَى، فقال العُمريُّ للرجُل: لا جزاكَ الله عنِّي خيرًا، كلَّفتَني أمرًا كنتُ غنيًّا عنه، ثمَّ قامَ فأقبلَ هارونُ من المروةِ إلى الصفا، فصاحَ به: يا هارون، فلمّا سَمِعَ[٣] نَظَرَ إليه، قال: لبيكَ يا عمّ، قال: ارقَ الصَّفا وانظر[٤]، فلمّا رقاهُ[٥]، قال: ارمِ بنظَرِكَ إلى[٦] البيت، قال: قد فعلت، قال: كم هُم[٧]؟ قال: ومَن يُحصِيهم؟ قال: فكَم [٢٤/أ] في الناس مثلُهُم؟ قال: خلقٌ لا يُحصيهم إلّا الله تعالى، قال: اعلم أيُّها الرجلُ أنّ كلَّ واحدٍ منهم يُسألُ عن خاصّةِ[٨] نفسِه، وأنت وحدَكَ تُسألُ عنهم كُلِّهم، فانظر كيف تكون؟

قال[٩]: فبكى هارونُ وجلس، وجَعَلوا يُعطونَه مِنديلًا للدموع، ثمَّ قال العُمريّ: وأُخرى أقولُها لك، قال: قُل يا عمُّ.

قال: والله إنّ الواحدَ ليُسرِفَ في مالِه فيستحقُّ الحَجْرَ عليه، فكيفَ بمَنْ أسرفَ في مال المسلمين!

ثمَّ مَضَى وهارونُ يبكي رضي الله عنه وجزاهُ الله تعالى عن هذه الطويّةِ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).
(٢) في (د): «سعد».
(٣) «سمع» ليس في (ق) و(س).
(٤) «وانظر» ليس في (ق) و(د).
(٥) في «المنتظم»: «رقيه».
(٦) «إلى» ليس في (د).
(٧) «هم» ليس في (س).
(٨) في «المنتظم»: «حاجة».
(٩) «قال» ليس في (س).

خيرًا[١]، وتقبَّلَ الله بُكاءَ هذا الخليفةِ الذي لم يَمُجَّ قلبُه كلامَ الحقّ، وقاتَلَ[٢] الله[٣] أُمراءَ زمانِنا هذا، ما أبغضَهُم لِمَن يدعُوهُم إلى الله وإلى رسولِه.

ولَقيَ الرشيدَ مرّةً أُخرى، فأخذَ بلِجامِ فَرسِه، فأهوَت إليه الأجناد، فكفَّهُم عنه الرشيد، فقال: يا هارون، قد فعلتَ وفعلت، فجعلَ يسمعُ منه ويقول: مقبولٌ منكَ يا عمُّ، على الرأسِ والعين[٤].

ومن كلامِه النافع أنْ سألَهُ رجلٌ أن يَعِظَه، فأخَذَ حصاةً[٥] من الأرض، وقال: «زِنةُ هذه من الوَرَعِ يدخلُ قلبَك خيرٌ لك من صلاةِ أهلِ الأرض»[٦]، والله أعلم.

* * *

[عبدُ العزيز بنُ أبي رَوّادٍ رضي الله عنه]

[٣] **ومنهم**: عبدُ العزيز بن أبي رَوّاد[٧].

وهو سيِّدٌ جليل، وكان بمكّةَ[٨]، وكان عالِمًا عابدًا، وكان يومًا[٩] يطوفُ بالبيت، فأقبلَ الرشيدُ نحوَه، فقطعَ الطواف، وتلا هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

---

(١) انظر: «المنتظم» (٩: ٩٩)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٧)، و«مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» (٣٩٥).

(٢) في (د): «وقائل».

(٣) لفظ الجلالة ليس في (د).

(٤) انظر: «المنتظم» (٩: ١٠٠).

(٥) في (س): «عصاة».

(٦) انظر: «مرآة الزمان» (١٣: ٢٩).

(٧) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ٢٣١)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٩٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٨: ٢٩٢).

(٨) «وكان بمكة» ليس في (د).

(٩) «يومًا» ليس في (ق) و(س).

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[١] [المجادلة: ٢٢]، الآية[٢].

قال يوسفُ بنُ أسباط: بَينا هُو[٣] يطوفُ بالبيت[٤] إذ طعنَه المنصورُ في خاصِرَته بأصبعِه، فالتفتَ إليه وقال: قد علمتُ أنّها طعنةُ[٥] جبّار[٦].

وَيحَكم يا عُلماءَ السوء! هذا كلامُ ربِّنا ينطقُ عليكم بالحقِّ في نفي وجدان الإيمانِ لمن وادَدَ الظَّلَمة، فكيفَ بمن وازَرَهُم وأعانَهُم على ظُلمِهِم بدفعِ[٧] أموال اليتامى ظُلمًا[٨] والضُعفاء، إنّا لله وإنّا إليه راجعون في هذه المُصيبة الجسيمة.

قال شقيقٌ البلخيّ: «ذهبَ بَصَرُ عبد العزيز عشرينَ سنةً لم يَعلَم به أهلُه ولا ولده، فتأمَّلَه ابنُه ذات يوم، فقال له: يا أبتِ[٩] قد ذَهَبَت عينُكَ؟ فقال: نعم يا بُنيّ، الرضا عن الله عزَّ وجلَّ أذهَبَ عينَ أبيكَ منذ عشرينَ سنةً»[١٠]، رضي الله عنهم، ورَضُوا عنه.

تُوفِّيَ بمكّةَ سنة تسعٍ وخمسين ومئة، رحمةُ الله تعالى عليه، والله أعلم./ [٢٤/ب]

(١) قوله تعالى: «﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾» ليس في (س).
(٢) انظر: «كفاية الأخيار» (٣٧٦).
(٣) في النسخ: «بيناه».
(٤) «بالبيت» ليس في (د).
(٥) في «المنتظم»: «إصبع»، واللفظة مثبتة في «مرآة الزمان»، و«الوافي بالوفيات».
(٦) انظر: «المنتظم» (٨: ٢٣١)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٩٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٨: ٢٩٢).
(٧) في (س): «لدفع».
(٨) «ظلمًا» ليس في (ق) و(د).
(٩) في (ق): «فقال: يا آبه».
(١٠) انظر: «مرآة الزمان» (١٢: ٢٩٤).

[الفضيل بن عياض رضي الله عنه]

[٤] **ومنهم**: الفُضَيلُ بنُ عياضٍ رحمةُ الله عليه[١].

كان[٢] مُقِيمًا بمكّة، فلمّا حجَّ الرشيدُ قال ابنُ الربيع: قال لي أميرُ المؤمِنين: قد حاكَ[٣] في نفسي[٤] شيءٌ فانظُر لي رجُلًا أسألُه، فقلت: هنا سُفيانُ بنُ عُيَينة، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعتُ البابَ فقال: مَن؟

قلت: أجِب أميرَ المُؤمنين، فخرجَ مُسرِعًا، وقال: يا أميرَ المؤمنين، لو أرسَلتَ إليَّ أتيتُك، فقال الرشيد: خُذ لِما جِئناكَ له رحِمَكَ الله، فحدَّثَه[٥] ساعة، ثمَّ قال له: أعليكَ[٦] دَين؟ فقال: نعم، فقال: يا أبا العبّاس، اقضِ دَينه[٧]، فلمّا خرَجنا، فقال[٨]: ما أغنى صاحِبُكَ شيئًا، فانظُر لي رجُلًا أسأله.

فقلت: هنا عبدُ الرزّاق، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعتُ الباب، فقال: مَن؟ فقلت: أجِب أميرَ المُؤمِنين، فخَرَجَ مُسرعًا، فقال: يا أميرَ المُؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ أتيتُك، فقال: خُذ لِما جِئناك، فحادَثَه ساعة، ثمَّ قال له: عليك دَينٌ؟ فقال: نعم، فقال: يا أبا العبّاس، اقضِ دَينَه، فلمّا خَرجنا، قال: ما أغنى صاحبُكَ شيئًا، انظُر لي رجُلًا أسأله.

قلت: هنا **الفُضَيلُ بنُ عِياض**، قال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائمٌ يُصلِّي

(١) انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٤: ٤٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٢١)، و«التاريخ المعتبر في أنباء من غبر» (٣: ١١٠).

(٢) في (ق) و(د): «وكان».

(٣) في (ق) و(د): «حك».

(٤) «نفسي» ليس في (د).

(٥) في (س) و(د): «فحدث».

(٦) في (ق) و(س): «عليك».

(٧) في (د): «اقضه».

(٨) في (د): «قال».

يتلو آيةً من القرآن يُردِّدُها، فقال: اقرَع الباب، فقرعتُه، فقال: مَن هذا؟ قلتُ[١]: أجِب أميرَ المُؤمنين، فقال: ما لي ولأمير المؤمنين، فقلت: سبحانَ الله، أما عليكَ طاعتُه؟! فنزلَ وفتح، ثمَّ ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ[٢] المصباح، ثمَّ التجأ إلى زاوية، فدَخَلنا، وجعلنا نجولُ عليه بأيدينا، فسَبَقَت كفُّ الرشيد قَبلِي إليه، فقال الفُضَيل: يا لها من يدٍ ما ألينَها إن نَجَت غدًا من عذاب الله تعالى، فقلتُ في نفسي: ليُكلِّمَنَّه الليلةَ بكلامٍ نقيٍّ من قلبٍ تقيٍّ، فقالَ له[٣] الرشيدُ[٤]: خُذ لِما جِئناكَ له[٥] رحمك الله تعالى.

فقال: إنّ عمرَ بنَ عبد العزيز لمّا وُلِّيَ الخلافةَ دعا سالمَ بنَ عبد الله، ومحمَّدَ بنَ كعبٍ القرظيّ، ورجاءَ بنَ حَيْوة، فقال: إنّي ابتُلِيتُ بهذا البلاء، فأشِيروا عليّ، فعدَّ الخلافةَ بلاءً، وعدَدتَها أنت وأصحابُك نعمةً.

فقال[٦] له سالِم: إن أردتَ النجاةَ غدًا من عذاب الله فصُم عن[٧] الدنيا، وليكُن إفطارُك منها الموتُ.

وقال له محمَّدٌ القرظيّ: إن أردتَ النجاةَ من عذابِ الله فليَكُن كبيرُ المُسلِمينَ عندك أبًا، وأوسَطُهُم أخًا، وأصغرُهُم ولدًا، فوَقِّر أباك، وأكرِم أخاك، وتحنَّن على ولدِك.

وقالَ له رجاءٌ[٨]: إن أردتَ النجاةَ غدًا من عذابِ الله تعالى فأحِبَّ للمُسلمينَ ما تُحبُّ لنفسِك، واكرَه لهم ما تكرَه لنفسِك، ثمَّ مُت إن[٩] شِئت. [٢٥/أ]

---

(١) في (د): «فقلت».
(٢) في (س): «فأنهى».
(٣) «له» ليس في (س).
(٤) كذا في (د)، وفي (ق) و(س): «الرجل».
(٥) «له» ليس في (د).
(٦) في (ق) و(د) و(س): «وقال».
(٧) «عن» ليس في (ق) و(س).
(٨) في (س): «رجاء بن حيوة».
(٩) في (س) و(د): «إذا».

وإنّي أقول: إنّي أخافُ عليكَ أشدَّ الخوفِ يومًا[١] تزِلُّ فيه الأقدام، فهل معك مَن يُشيرُ عليكَ بمثل هذا؟

فبكى الرشيدُ حتَّى غشي، فقلت له[٢]: ارفق بأمير المؤمنين؟ فقال: يا ابنَ أُمِّ[٣] الربيع، تقتُلُه أنت وأصحابُكَ وأرفقُ به أنا؟!

ثمَّ أفاقَ الرشيد، وقال له[٤]: زِدنِي رَحِمَكَ الله تعالى.

فقال: يا أميرَ المُؤمنين، بلَغَني أنّ عاملًا لعمرَ بنِ عبد العزيز شُكِيَ إليه، فكتبَ إليه عمر: يا أخي، اذكر طول سَهرِ أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإيّاك أن يُنصرَفَ بكَ من عند الله فيكونَ آخرَ العهد وانقطاع الرجاء، قال: فلمّا قرأ الكتابَ طوى البلادَ حتَّى قَدِمَ على عمرَ بنِ عبد العزيز، فقال له: ما أقدَمَك؟ فقال: خلعتَ قلبي بكتابك، لا أعودُ إلى ولايةٍ أبدًا[٥] حتَّى ألقى الله تعالى، فبكى الرشيدُ بُكاءً شديدًا، ثمَّ قال: زِدنِي.

ثُمَّ قال[٦]: يا أميرَ المُؤمنين، إنّ العباس عم المصطفى ﷺ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أمِّرْني على إمارة، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إنّ الإمارةَ حسرةٌ وندامةٌ يومَ القيامة، فإن استطعتَ ألّا تكون أميرًا فافعل**»[٧]، فبكى هارونُ[٨] بُكاءً شديدًا، وقال له: زِدنِي[٩].

فقال: يا حَسَنَ الوجه، أنت الذي يسألُكَ الله تعالى عن هذا الخَلقِ يومَ

---

(١) في (د) و(ق): «يوم».
(٢) «له» ليس في (س).
(٣) «أم» ليس في (س).
(٤) في (س): «لي».
(٥) «أبدًا» ليس في (س) و(د).
(٦) في (ق) و(س): «فقال».
(٧) «حلية الأولياء» (٨: ١٠٥).
(٨) في (د): «الرشيد».
(٩) انظر: «تذهيب تهذيب الكمال» (٧: ٣٤٨).

القيامة، فإن استطعتَ أن تَقِيَ هذا الوجهَ من النار فافعل، وإيّاك أن تُصبِحَ وتُمسيَ وفي قلبك غِشٌّ لأحدٍ من رعيَّتِك؛ فإنّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَن أصبَحَ غاشًّا لَهُم لَم يَرَحْ رائِحةَ الجَنّةِ**»[١]، فبكى هارونُ وقال: عليك دَينٌ؟

قال: نعم؛ دَينٌ لربِّي عزَّ وجلّ، فالويلُ لي إن ساءلَني، والويلُ لي إن ناقَشَني، والويلُ لي إن لم أُلهَم[٢] حُجَّتي.

قال: إنّما أعني دَين العباد.

فقال: إنّ ربِّي لم يأمُرني بهذا؛ أمَرَني أن أوحِّدَه وأُطيعَ أمرَه، فقال عزَّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[٣] [الذاريات: ٥٦-٥٨]، فقال له الرشيد: هذه ألفُ دينارٍ خُذها فأنفِقها على عيالك، وتقوَّى بها على عبادتكَ.

فقال: سُبحانَ الله! أنا أدلُّكَ على طريق النجاةِ وأنت تُكافِئُني بمثلِ هذا؟ وفَّقَكَ الله.

ثمَّ صَمَتَ فلم يُكلِّمنا، فخَرَجنا من عنده، فلمّا صِرنا بالباب قال الرشيد: إذا دلَلتَني على رجلٍ فدُلَّني على مثل هذا[٤]، فدَخَلَت عليه امرأةٌ من نسائه، [٢٥/ب] وقالت: يا هذا، قد رأيتَ ما نحنُ فيه من ضِيقِ الحال، فلو قبِلتَ هذا المالَ فتفرَّجْنا[٥] به؟

---

(١) «صحيح مسلم» (١٤٢). (٢) في (د): «يلهمني».

(٣) قوله تعالى: «﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾» ليس في (س) وموضعها في (س): «إلى قوله: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾».

(٤) بعدها في «الحلية»: «هذا سيد المسلمين». (٥) في (س): «فتفرحنا».

فقال لها: مَثَلي ومَثَلُكُم كمَثَلِ قومٍ كان[١] لهم بعيرٌ يأكلونَ من كسبه، فلمّا كبرَ نحروه وأكلوا[٢] لحمَه.

فلمّا سَمِعَ هارونُ الكلام قال[٣]: ندخُل، فعسى أن يقبلَ المال، فلمّا عَلِمَ الفُضَيلُ خَرَجَ وجَلَسَ في السَّطحِ على باب الغرفة، فجاءَ الرشيدُ فجَلَسَ إلى جنبه[٤]، فجعلَ يكلِّمُه فلا يُجيبُه، فبينا نحن كذلك إذ خَرَجَت جاريةٌ سوداء، فقال: يا هذا، قد آذَيتَ الشيخَ منذ الليلة[٥]، فانصرِف رَحِمَكَ الله. فانصرفنا. ذكرتُ ذلك مُلخَّصًا[٦].

توفِّي الفُضيلُ[٧] بمكّةَ رحمه الله سنةَ سبعٍ وثمانين ومئة، رحمةُ الله عليه.

ومن كلامِهِ البليغِ النافعِ لمَن كان له قلبٌ: الزَم طرقَ الهُدى[٨]، ولا يضرُّكَ قلّةُ السالكين، وإيّاكَ وطرقَ الضلالة، ولا تغترَّ بكثرةِ الهالِكين[٩]. واللهُ أعلم.

❊ ❊ ❊

[طاوس]

[٥] **ومنهم**: طاوس[١٠].

وكان جليلًا عظيمَ العلم والخوف، وكان إذا مرَّ إلى الصلاة فرأى الرؤوسَ

---

(١) «كان» ليس في (د).
(٢) في (ق) و(د): «فأكلوا».
(٣) في (ق) و(د): «فقال».
(٤) قوله: «إلى جنبه» ليس في (د).
(٥) قوله: «منذ الليلة» ليس في (د).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٠٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٨: ٤٤٠-٤٤٢)، و«مرآة الزمان» (١٣: ١٠٧-١٠٩)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٧: ٣٤٦).
(٧) «الفضيل» ليس في (د).
(٨) في (ق): «المهدي».
(٩) انظر: «الأذكار» للنووي (١٦٠)، و«الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» (٤: ١٨٣).
(١٠) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٣٦).

المَشويّةَ لم يتعَشَّ تلك الليلةَ من خوفِ[١] النار[٢].

قال الصلتُ بنُ راشد[٣]: «كنت عند طاوس، فسأله سلم بنُ قتيبةَ عن شيء، فزَبرَه وانتهرَه، فقلت له: إنّه صاحِبُ خُراسان، قال: ذاكَ أهونُه عليَّ[٤]، وكان طاوسُ باليمن، ومحمَّدُ بنُ يوسفَ أخو الحجّاجِ عاملًا عليها، فمرَّ أخو الحَجّاج وأيُّوبُ بنُ يحيى عليه وهو ساجدٌ، وكان أخو الحَجّاج موكبًا[٥]، وكان في غَداةٍ باردة، فأمَرَ بساجٍ[٦] أو طيلسانٍ فطُرِحَ عليه، فلم يَرفَع رأسَه حتَّى فرَغَ من حاجته، فَلَمَّا سَلَّمَ نَظَرَ فَإِذَا السَّاجُ عَلَيْهِ فَانْتَفَضَ[٧]، ولم ينظُر إليه ومضى إلى منزله»[٨].

قال الصنعاني: «دخلَ طاوسُ ووهبُ بنُ مُنبِّهٍ على محمَّدِ بن يوسفَ ـ أخي الحَجّاج، وكان عاملًا علينا ـ في غداةٍ باردة، فقعدَ طاوسُ على الكرسيّ، فقال أخو الحَجّاج: يا غُلام، هَلُمَّ ذلك الطَّيْلَسانَ فألقِه على طاوس، فألقَوه عليه، فلم يَزَل يُحرِّكُ كتِفَيه حتَّى ألقاه عنه، فغَضِبَ أخو الحَجّاج، فقال وهبٌ: والله إن كنتَ لغَنِيًّا أن تُغضِبَه علينا، لو أخذتَه فبِعتَه وأعطَيتَ ثمنَه المساكين، فقال:

(١) قوله: «من خوف» في (د): «خوفًا».

(٢) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٢١٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٢).

(٣) الصلت بن راشد، سَمِعَ طاوسًا ومجاهدًا، روى عنه جرير بن حازم وأبان بن يزيد وحماد ابن زيد. انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» (٤: ٣٠١)، و«الثقات» لابن حبان (٦: ٤٧١)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٣٤).

(٤) قوله: «فقلت له: إنه صاحب خراسان، قال: ذاك أهوَنه عليّ» ليس في (س).

(٥) في (س): «مركبًا».

(٦) في (د): «بتاج».

(٧) قوله: «فلما سلم نظر فإذا الساج عليه فانتفض» في النسخ: «فلما نظر إليه انتفض».

(٨) «الزهد» للإمام أحمد (٢٢٠٤)، و«المعرفة والتاريخ» (١: ٧٠٩)، و«تهذيب الكمال» (١٣: ٣٦١)، و«البداية والنهاية» (٩: ٢٤٢).

أخشى أن يُقالَ بعدي[(١)]: أخذَه طاوسُ[(٢)].

رضي الله عنه، خَشيَ أن يُقتَدَى به في الأخذ من الأُمراءِ فتركَه؛ لئلّا يُقتدَى به»[(٣)].

ويلَكُم يا فُقهاءَ زمانِنا !يا فُقهاءَ السوء! ويا سُعاةً في هَدمِ الشريعة، تأخُذونَ أموالَ مَن جعلَها[(٤)] الله تعالى لهم في القرآنِ فتُعطُونَه لِمَن حاربَ الله ورسولَه وسعَى في الأرض فسادًا، استعِدُّوا لِما تَوَعَّدَكُم الله تعالى عليه، لاحَت بسببِ [٢٦/أ] أفعالِكم أعلامُ هَدمِ الشريعة، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. والله أعلم.

* * *

[إبراهيم الحربي رضي الله عنه]

[٦] **ومنهم**: إبراهيمُ الحربيُّ[(٥)].

وُلِد في القرن الثاني[(٦)]، وكان إمامًا في علومٍ عديدة، وكان زاهدًا في الدنيا عكسَ عَبيد الخَمّارين[(٧)].

قال الرازيّ: «جاءَ رجلٌ من أصحابِ المُعتضِد إلى إبراهيمَ الحربيِّ بعشرةِ آلاف دِرهَمٍ من عند المعتضدِ يسألُه تَفرِقتَها، فردَّه، فانصرفَ الرسولُ ثمَّ عاد،

(١) «بعدي» ليس في (ق).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٥٦: ٣١١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٢).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢: ١٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٣٦).

(٤) في (ق): «جعله».

(٥) انظر ترجمته في: «طبقات الحنابلة» (١: ٨٦)، و«المنتظم» (١٠: ١٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢١: ١٠١).

(٦) وُلِد سنة ثمانٍ وتسعين ومئة. انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٨٦).

(٧) في (س): «الخمامين».

فقال: إنّ أميرَ المُؤمنينَ يسألُكَ أن تُفرِّقَها في جيرانِك، فقال: هذا لم نَشتَغل[١] بجَمعِه، فلا نَشغَلها بتَفرِقَته، قُل لأمير المؤمنين: إن تَرَكَنا[٢] وإلّا تَحوَّلنا من جِواره»[٣]. رضي الله عنه.

مَرِضَ فعادَه بعضُ إخوانِه، فقالت له ابنتُه: يا عمّ، نحنُ في أمرٍ عظيم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهرُ والدهرُ ما لنا طعامٌ إلّا كسرةٌ[٤] يابسةٌ وملح، ورُبَّما عَدِمنا المِلح، وبالأمس قد وجَّهَ إليه المعتضِدُ ألفَ دينارٍ فلم يأخُذها[٥]. والله أعلم.

* * *

[سفيان الثوري رضي الله عنه]

[٧] ومنهم: سفيانُ الثوريُّ[٦].

لما حجَّ المهديّ قال: لا بُدَّ لي من سُفيانَ الثوريّ، فوَضَعوا لي الرصدَ حولَ البيت، فأخَذُوني[٧] بالليل فجئتُه[٨]، فقال: لأيِّ شيءٍ لا تأتينا[٩] فنستشيرَكَ في أمرِنا[١٠]، فما أمَرتَنا صِرنا إليه، وما نَهيتَنا عنه انتهينا؟

فقلت له: كم أنفقتَ في سفرك هذا؟ قال: لا أدري، قلت: فما عُذرُكَ غدًا إذا وقفتَ بين يَدَي الله تعالى فسألكَ عن ذلك. رضي الله عنه.

---

(١) في (س): «تشتغل». (٢) في (د): «تركتنا».
(٣) انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٨٨)، و«المنتظم» (١٢: ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥١٣).
(٤) في (س): «كسر». (٥) انظر: «تاريخ الإسلام» (٢١: ١٠٥).
(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٦: ٤٠١)، و«تاريخ جرجان» (٢١٦)، و«طبقات الفقهاء» (٨٤)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٣٨٦).
(٧) في (س): «فأخذوه». (٨) في (س): «فجاءه».
(٩) في (س): «لا تأتنا». (١٠) في (ق) و(د): «أمورنا».

[ابن السمّاك رضي الله عنه]

[٨] **ومنهم**: ابنُ السمّاك[١].

قال للرشيد: يا أميرَ المؤمنين، إنّك تموتُ وحدَك، وتُحاسَبُ وحدَك، وإنّك لا تَقدَم إلّا على نادمٍ[٢] مشغول، ولا تُخَلِّف إلّا مغبونًا[٣] مغرورًا، وإنّك وإيّانا في دارِ سفر، وجيرانِ ظَعنٍ[٤]، فلا ترضَ لنفسكَ إلّا بما يرضى به[٥] الله عنك[٦]. واللهُ أعلم.

وقال أبو حازمٍ[٧] لسُليمانَ بنِ عبد الملك: اعلم أنّ هذا الأمر لم يَصِل إليك إلّا بمَوتِ مَن كان قبلك، وهو خارجٌ عنكَ بمثلِ ما صارَ إليك، ثمَّ قال له: نَزِّه ربَّكَ في عظَمَتِه عن أن يراكَ حيثُ نَهاك، أو يَفقِدَكَ حيثُ أمَرَك، إنّما أنت سوقٌ، فما نفقَ عنكَ يُحمَلُ إليك من خيرٍ وشرّ، فاختَر لنفسكَ أيَّهما شئتَ.

قال له[٨] سليمان: لِمَ لا تأتينا[٩]؟ قال: وما أصنعُ بإتيانِك؟ إن أدنَيتَني فتَنتَني، وليس عندي مالٌ أخافُك عليه، ولا عندكَ مالٌ أرجوكَ عليه.

قال: فارفَع إلينا حاجَتَك. قال[١٠]: قد رَفعتُها إلى من هو أقْدَرُ منك عليها، فما أعطاني منها قَبِلت، وما منعَني رَضِيت، / فمَن ذا الذي يستطيعُ أن يُنقِصَ [٢٦/ب]

---

(١) انظر ترجمته في: «مرآة الزمان» (١٣: ٥١)، و«وفيات الأعيان» (٤: ٣٠١)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٣٦٧).

(٢) في «مختصر تاريخ دمشق»: «قادم».

(٣) في «تاريخ دمشق»: «يخلف إلا جاهل».

(٤) في (ق): «طعن».

(٥) «به» ليس في (د).

(٦) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» (٢٧: ٢٠)، و«البداية والنهاية» (١٠: ٢١٧).

(٧) في (د): «حاتم».

(٨) «له» ليس في (د).

(٩) في (ق): «تأتنا».

(١٠) في (د): «فقال».

عن كثيرٍ ما قُسِمَ له، أو يزيدَ ما قُسِمَ له[١]. فبكى سليمانُ بكاءً شديدًا.

فقال رجلٌ من جلسائِه: أسأتَ إلى أمير المؤمنين، فقال أبو حازم: اسكُت؛ فإنّ الله أخذَ ميثاقَ الذين أُوتُوا الكتابَ لَيُبيِّنُنَّه للناس ولا يكتمُونَه، فلمّا فارَقَه وصارَ إلى منزله بعثَ إليه بمالٍ فرَدَّه، وقال للرسول: قُل لأمير المؤمنين: والله ما أرضاه لك، فكيف أرضاه لنفسي[٢]؟! واللهُ أعلم.

ويلكُم يا فُقهاءَ السوء! تكتُمُونَ كتابَ الله، وتدرسُونَ شريعتَه، وتأخذونَ أموالَ الضعفاء والمساكين، وتعطُونَها[٣] لِمَن حاربَ الله ورسولَه، وتَسعَونَ في الأرض فسادًا، وتقولون: إنّكم قَوّامونَ بالحقّ، كَذَبتُم يا فسَدةَ الشريعة، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

[عمرو بن عُبَيد رضي الله عنه]

[٩] **ومنهم**: عمرو بن عُبَيد[٤].

دَخَلَ على المنصورِ فقرأ عليه: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾؛ حتَّى بَلَغ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١-١٤]، لِمَن فعَلَ مثلَ فِعالِهِم، فاتَّقِ الله؛ فإنّ ببابِكَ نيرانًا تأَجَّجُ لا يُعمَلُ فيها بكتابٍ ولا سُنّة، وأنت مسؤولٌ عمّا اجترَحُوا، وليسوا مسؤولينَ عمّا اجترَحْت، فلا تُصلِح دُنياهُم بفساد[٥] آخِرَتك.

---

(١) قوله: «أو يزيد ما قسم له» ليس في (س).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٩٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٣٤)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٤٢٣).

(٣) في النسخ: «وتعطونه».

(٤) انظر ترجمته في: «مرآة الزمان» (١٢: ١٦٨)، و«إكمال تهذيب الكمال» (١٠: ٢١٤).

(٥) في (د): «فساد».

فقال سليمانُ بنُ مجالد[١]: أعميتَ أميرَ المؤمنين، فقال عمرٌو: ويلَكَ يا ابن مجالد! أما[٢] كفاكَ أن خَزَنتَ نصيحتَكَ عن أمير المؤمنينَ حتَّى أردتَ أن تَحُولَ بينه وبين نصيحتِه، اتَّقِ الله يا أميرَ المؤمنين؛ فإنّ هؤلاء اتَّخذُوكَ سُلَّمًا إلى شَهَواتهم، فأنتَ كالماسِك بالقرن[٣] وغيرُك يَحلُبُ؛ فإنّ هؤلاء لن[٤] يُغنُوا عنك من الله شيئًا[٥]. والله أعلم.

* * *

[الأوزاعي رضي الله عنه]

[١٠] ومنهم: الأوزاعيُّ رضي الله عنه[٦].

قال للمنصورِ في بعض كلامِه: أما عَلِمتَ أنّه كان بيد رسولِ الله ﷺ جريدةً يابِسةً يَستاكُ بها، ويردَعُ[٧] بها الناس، فأتاهُ جبريلُ عليه السلام، فقال: يا محمَّد، ما هذه الجريدةُ؟ اقذِفها، لا تملأ قلوبَهُم رعبًا[٨].

فكيف بمن سفكَ دماءَ المسلمين، وشقَّقَ أبشارَهُم، وانتهبَ أموالَهُم، إنّ المغفورَ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ دعا إلى القصاص من نفسه[٩] بخَدشةٍ خَدَشَها أعرابيًّا من غيرِ تَعمُّد، فقال له جبريلُ عليه السلام: إنّ الله لم يَبعَثكَ

---

(١) في النسخ: «مخالد» في الموضعين.
(٢) في (س): «ما».
(٣) في المصادر: «كالآخذ بالقرنين».
(٤) في النسخ: «لم».
(٥) انظر: «مرآة الجنان» (١: ٢٦٣).
(٦) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٧: ٦٢)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٤١٢)، و«وفيات الأعيان» (٣: ١٢٧).
(٧) في (س): «ويرع».
(٨) «حلية الأولياء» (٦: ١٣٧).
(٩) في (س): «نفسه الشريفة».

جبّارًا[١] تكسِرُ قلوبَ رعيَّتك[٢].

يا أميرَ المؤمنين، لو أنّ ثوبًا من النارِ صُبَّ على مَن في الأرض لأجَنَّهُم، فكيف بمَن يَتقَمصُهُ[٣] وحدَه، ولو أنّ ذَنوبًا من نارٍ صُبَّ على مَن في الأرض لأجَنَّهُم، فكيف بمَن يتجرَّعُه وحدَه، ولو أنّ حلقةً من سلاسلِ جهنَّم وُضِعَت على جبلٍ لذاب، فكيف بمن يَتسلسَلُ فِيها، ويُرَدُّ/ فاضِلُها على عاتِقِه[٤]. والله أعلم. [٢٧/أ]

* * *

[مالك بن دينار رضي الله عنه]

[١١] ومنهم: مالكُ بنُ دينار[٥].

رأى المهلَّبَ يومًا يجرُّ أذيالَه، ويتبَختَرُ في أذيالِ خُيَلائه[٦]، فناداه أن ارفَع ثَوبَك[٧]، فقال له المهلَّب: أوَما تعرِفُني؟

قال مالك: بلى إنّي أعرِفك، أوَّلُكَ نُطفةٌ مَذِرة[٨]، وآخِرُكَ جيفةٌ قَذِرة، وأنت فيما بين ذلك تَحمِلُ العَذِرة[٩]. والله أعلم.

---

(١) «جبارًا» ليس في (س).

(٢) «مستدرك الحاكم» (٧٩٤٣)، و«شعب الإيمان» (٧٠٢٤).

(٣) في (ق): «تقمصه».

(٤) في حاشية (د): «موضع الرداء من المنكب». وانظر: «المستطرف في كل فن مستظرف» (٩٠).

(٥) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٠٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٣٩٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٢).

(٦) في (س): «خيلاته».

(٧) في (د): «صوتك».

(٨) كتب فوقها في (د): «فاسدة».

(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٠٢-٣٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٢١٧).

ودخلَ ابنُ السمّاكِ[١] على هارونَ الرشيد، فقال له: أتُحِبُّ الله؟ قال الرشيد: نعم، قال: أفَتَعصِيه؟ قال: نعم، قال: كذبتَ والله في حبِّكَ إيّاه؛ لو أحببتَه ما عصيتَه[٢]. والله أعلم.

ودخلَ بلالٌ أميرُ البصرةِ المَقبرةَ لأجلِ جنازة، فنظرَ إلى جماعةٍ وُقوف، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مالكُ بنُ دينارٍ يُذكِّرُ الناس، فقال لوصيف: اذهب إليه، وقل له[٣]: ليرتَفِع إلينا إلى المقبرة، فأدَّى الوصيفُ الرسالة، فصاحَ به مالِك، وقال: ما لي إليه[٤] حاجةٌ فأُجيبه، فإن يكن له حاجةٌ فليَجِئ إلى حاجةِ نفسِه.

فلمّا دَفَنوا ميِّتَهم قامَ بلالٌ بمَن معه إلى حلقةِ مالكِ بن دينار، فلمّا دنا منها نزلَ ونزلَ مَن معه، ثمَّ جاءَ يَمشِي إلى الحلقةِ حتَّى جلس، فلمّا رآه مالكُ بنُ دينارٍ سكت، فأطالَ السكُوت، فقال له بلال: يا أبا يحيى، ذَكِّرنا، فقال له: نسيتَ شيئًا فأُذَكِّرك؟

قال: فحَدِّثنا، فقال: أمّا[٥] هذا فنَعَم، ثمَّ قال: قَدِمَ علينا مِن قَبلِكَ أميرُ البصرة، فماتَ فدفنّاه، ثمَّ أُتِينا بزَنجِيٍّ فدَفنّاه إلى جَنبِه[٦]، فوالله ما أدري أيَّهما كان أكرمَ على الله.

فقال بلال: يا أبا يحيى، ما الذي جرَّأكَ[٧] علينا، وما الذي أسْكَتَني[٨] عنك، إلّا أنّك[٩] لم تأخُذ من دراهِمِنا شيئًا، أما والله لو أخذتَ من دراهِمِنا شيئًا ما

---

(١) في «الشهب اللامعة»: «الفضيل بن عياض».
(٢) انظر: «الشهب اللامعة في السياسة النافعة» (٢٠).
(٣) «له» ليس في (س).
(٤) «إليه» ليس في (د).
(٥) في (ق): «أمَّ».
(٦) في (س): «جانبه».
(٧) في (س): «أجرأك».
(٨) في (ق) و(د): «سكتني».
(٩) في (د): «لأنك».

اجترأتَ عليَّ هذه الجرأة. فأفادَني هذا الحديثُ علمًا، ألا فاتّقوا دراهِمَهُم[١]، والله أعلم.

ودخلَ الشيخُ نصرٌ المقدسيُّ دمشق، فجاءَه سلطانُها وهو جالسٌ في الجامع، فسلَّمَ عليه فلم يَردَّ عليه السلامَ[٢] ولم يلتفت إليه.

ودخل ابنُ عبدِ السلام مِصر، فكلَّم سُلطانَها كلامًا غليظًا، فقِيل له: ألم تَخَف؟ فقال: نظَرتُ في عظمةِ الله تعالى فوجَدتُه في عيني أحقرَ من قِطٍّ[٣].

هكذا كانوا رحمةُ الله عليهم[٤] وأرضاهُم، وكانوا إذا طَلَبوا[٥] العلمَ طلبوه للعمل، فكانوا كلَّما ازدادوا علمًا ازدادوا خوفًا من خوفِ البُعد، متمسِّكينَ بالأخبار، فمنها قولُه عليه الصلاةُ والسلام: «**مَن ازدادَ علمًا ولم يزدَد هُدًى**[٦] **لم يزدَد من الله إلّا بُعدًا**»[٧].

ومن ذلك حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه ـ وهو في «**صحيح مسلم**»[٨] ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ أوّلَ الناس يُقضَى يومَ القيامةِ عليه،** [٢٧/ب] **وذَكرَ ثلاثة، منهم: رجلٌ تعلَّم العِلمَ وعلَّمَه، وقرأ القُرآن، فأتى به فعرَّفَه نِعَمَه فعرَفَها، قال: فماذا عَمِلتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، فقال: كذبتَ، ولكنَّك تعلَّمتَ ليُقال: عالِمٌ، وقرأتَ ليُقال: قارئٌ، وقد**

---

(١) انظر: «سراج الملوك» (٣٧).
(٢) «السلام» ليس في (ق) و(س).
(٣) انظر: «رفع الإصر عن قضاة مصر» (٢٤٠).
(٤) في (س): «رحمهم الله».
(٥) «طلبوا» ليس في (د).
(٦) في «الفردوس»: «في الدنيا زهدًا».
(٧) «الفردوس بمأثور الخطاب» (٥٨٨٦)، والحديث ضعيف، وعند ابن حبان موقوف على الحسن. انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (٧٢)، و«كشف الخفاء» (٢: ٢٧٥).
(٨) «صحيح مسلم» (١٩٠٥).

قِيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وَجهِه حتَّى أُلقِيَ في النار».

وعن أبي هريرةَ أيضًا[١] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن تعلَّمَ علمًا ممّا يُبتغَى به وجهُ الله تعالى لا يتعلَّمه إلّا ليُصيبَ به عَرَضَ[٢] الدنيا لم يَجِد عَرفَ الجنّةِ يومَ القيامة**»[٣]، يعني: رِيحَها[٤]. رواه أبو داودَ وغيرُه بإسنادٍ صحيح.

وفي رواية: «**مَن تَعلَّمَ علمًا يُنتفَعُ به في الآخرةِ يريدُ به عرَضًا من الدنيا لم يَرَح رائحةَ الجنّة**»[٥].

وعن أنسٍ رضي الله عنه، وكذا عن حذيفةَ رضي الله عنهما، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن طلب العلمَ لِيُمارِيَ به السفهاء، أو لِيُكاثِرَ به العلماء، أو يَصرِفَ به وجوهَ الناس إليه؛ فليتبوَّأ مَقعَدَه من النار**»[٦]. رواه الترمذيُّ من روايةِ كعبِ بن مالك، وقال: «**أدخَلَه النارَ**»[٧].

وعن أبي الدَّرْداءِ[٨] رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أشَرُّ[٩] الناس**

---

(١) «أيضًا» ليس في (ق) و(س). (٢) في (ق): «غرض».

(٣) «سنن أبي داود» (٣٦٦٤)، و«سنن ابن ماجه» (٢٥٢)، وصحَّحه المناوي في «كشف المناهج والتناقيح» (١: ١٦٥).

(٤) انظر: «الصحاح» (٤: ١٤٠٠)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ٢١٧)، و«القاموس المحيط» (٨٣٦)، و«تاج العروس» (٢٤: ١٣٤).

(٥) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٦).

(٦) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١: ٢٣٧).

(٧) «جامع الترمذي» (٢٦٥٤)، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تُكلِّم فيه من قِبَل حفظه».

(٨) في (س): «وعن أبي هريرة»، وفي (ق) و(د): «وعن أُبي»، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج.

(٩) في النسخ: «أشد»، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج.

عذابًا يومَ القيامةِ عالِمٌ لا يُنتفَعُ بعِلمِه»[١].

وقال ﷺ: «**شِرارُ الناسِ شرارُ العلماء**»[٢].

وقال عليٌّ رضي الله عنه: «يا حَمَلَةَ العلم، اعمَلوا به؛ فإنّما العالِمُ مَن عمل بما عَلِم، ووافَقَ علمُهُ عَملَه، وسيكون أقوامٌ يَحمِلُون العلمَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهم، يُخالِف عَملُهم عِلمَهم، وتُخالِفُ سريرتُهم علانيتَهم، يجلسون[٣] حِلَقًا يُباهي بعضُهم بعضًا، حتَّى إنّ الرجلَ لَيغضَبُ[٤] على جليسِه أن يجلسَ إلى غيرِه ويَدعَه، أولئك لا تَصعَدُ أعمالُهم في مجالِسِهم تلك إلى الله تعالى»[٥].

وعن حمّادِ بنِ سلمة: «مَن طلب الحديثَ لغيرِ الله مَكرَ الله به»[٦].

وروى الحافِظُ أبو نُعَيم، أنّه لمّا أُسرِيَ برسول الله ﷺ قال: «**مررتُ بأقوامٍ تُقرَضُ[٧] شِفاهُهم[٨] بمقاريضَ من نار، كلَّما قُرِضَت وفَّت[٩]، فقلت: مَن هؤلاء يا أخي[١٠] يا جبريلُ؟ فقال: خطباءُ من أمَّتك يقولون ما لا يفعلون**»[١١].

والآثارُ والأخبارُ والآياتُ في ذلك كثيرة، ومن **جُملَتِها**: قولُه سبحانه وتعالى:

---

(١) في (س): «به»، والحديث في «سنن الدارمي» (٢٦٨)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١: ٦٢٧).
(٢) «مسند البزار» (٢٦٤٩)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٤٢).
(٣) في (د): «يجلون».
(٤) في (س): «لغضب».
(٥) «سنن الدارمي» (٣٩٤)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١٢٣٤).
(٦) «حلية الأولياء» (٦: ٢٥١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١١٥٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٥٠).
(٧) في (ق): «تقرظ».
(٨) في (ق) و(د): «مشافرهم».
(٩) «وفت» موضعها بياض في (س).
(١٠) قوله: «يا أخي» ليس في (د).
(١١) «حلية الأولياء» (٢: ٣٨٦).

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، والمَقتُ أشدُّ البُغض[1]، عافانا الله تعالى من ذلك، إنّه وليُّ ذلك، واللهُ أعلم.

(١) انظر: «تفسير السمعاني» (٥: ٤٢٥)، و«تفسير البغوي» (٨: ١٠٨)، و«تفسير ابن عطية» (٥: ٣٠١).

الصفة الرابعة
التواصي بالصبر

اعلم أنّ الصبرَ زمامُ سائر الخصال، وزعيمُ الغُنْم والظَّفر بغايات المطلوب، ومِلاكُ كلِّ فضيلة، وبه يُنالُ كلُّ خيرٍ ومَكرُمة، ألم تَسمَع قولَه تعالى: ﴿وَتَمَّتْ [٢٨/أ] كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [السجدة: ٢٤].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: «لمّا أخذوا برأسِ الأمرِ جَعَلَهُم الله تعالى رُؤوسًا»[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

قال العُلماء: «مُعظمُ الوظائف التي ذَكَرَ الله تعالى ورسولُه جَعَلَ لها جزاءً معلومًا لِمَن أقامَ بها إلّا الصبر، فإنّ القائمَ به جزاؤُه بغير حساب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]»[٢].

قال عليٌّ رضي الله عنه: «كلُّ مُطِيعٍ يُكالُ له كيلًا ويُوزَنُ له وزنًا إلّا الصابرونَ؛ فإنّه يُحثى عليهم[٣] حثيًا»[٤].

قال أهلُ التفسير: «يُؤتَى بأهل البلاء، فلا يُنصَبُ لهم ميزان، ولا يُنشَرُ

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦: ٣٧٢). (٢) انظر: «قوت القلوب» (١: ١٣٣).

(٣) في (ق): «عليه».

(٤) انظر: «تفسير السمعاني» (٤: ٤٦٢)، و«تفسير البغوي» (٧: ١١١)، و«تفسير القرطبي» (١٥: ٢٤١).

لهم ديوان، ويُصَبُّ عليهم الأجرُ صَبًّا بغير حساب، حتَّى يتمنَّى أهلُ العافيةِ في الدنيا أنَّ[١] أجسادَهُم تُقرَضُ بالمقاريضِ ممّا يذهبُ به أهلُ البلاء من الفضل»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]، والآياتُ في الصبر باعتبار الأمر به[٣] وبيانِ فضيلته كثيرةٌ.

وأمّا الأخبارُ فكثيرةٌ جدًّا، منها:

- قولُه ﷺ: «**من يَستَعفِف[٤] يُعِفُّه الله، ومَن يَستَغنِ يُغنِه الله، ومَن يَتصبَّر يُصَبِّره الله، وما أُعطيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر**»[٥]، رواه البخاريُّ ومُسلِمٌ.

- وعن صُهَيبِ بنِ سنانٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنّ أمرَه كلَّه خيرٌ له، وليس ذلك لأحدٍ إلّا للمؤمن[٦]، إن أصابَته سرّاءُ فشَكَرَ كان خيرًا له[٧]، وإن أصابَته ضرّاءُ فصَبَرَ كان خيرًا له**»[٨]. رواه مسلمٌ.

- وعن أبي مالكٍ الحارثِ بن عاصمٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الطُّهورُ شَطرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزان، وسُبحانَ[٩] الله[١٠]**

---

(١) «أنَّ» ليس في (د).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٧: ١١١)، و«تفسير الرازي» (٢٦: ٤٣١).

(٣) في (د): «الأمرية».

(٤) في (د): «يستعف».

(٥) «صحيح البخاري» (١٤٦٩)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٣).

(٦) في (د): «للمؤمنين».

(٧) قوله: «كان خيرًا له» ليس في (س) و(د).

(٨) «صحيح مسلم» (٢٩٩٩).

(٩) من هنا لنهاية الحديث ليس في (س).

(١٠) لفظ الجلالة ليس في (د).

والحمدُ لله تملآنِ ـ أو تملأُ ـ ما بين السَّماواتِ والأرض، والصلاةُ نور، والصدقةُ بُرهان، والصبرُ ضياءٌ[١]**، والقرآنُ حُجّةٌ لكَ أو عليك، كلُّ الناس يَغدُو فبائعٌ نفسَه فمعتقُها أو مُوبِقُها»**[٢]. رواه مُسلِم.

هذا حديثٌ عظيمٌ اشتملَ على مُهِمّاتٍ ينبغي الاعتناءُ بها؛ فإنّ بها سعادةَ الأولى والأخرى.

أمّا كونُ الطُّهورِ شَطرَ الإيمان[٣] ففي ذلك ما يُؤَكِّدُ الاعتناءَ به، وقد اختَلفَ العُلماءُ في معنى ذلك هنا، فقيل: لأنّ الأجرَ فيه ينتهي تَضعِيفُه إلى نصفِ أجرِ الإيمان، ويا لها من فائدة.

وقيل: إنّ معناه: أنّ الإيمانَ يَجُبُّ ما قبلَه من الخطايا، وكذا الوضوء، إلّا أنّ الوضوءَ/ لا يصحُّ إلّا مع الإيمان، فصارَ لتوقُّفِه على الإيمان في معنَى الشطر. [٢٨/ب]

وقيل: المُرادُ بالإيمان هنا: الصلاةُ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والطهارةُ شرطٌ في صحّة الصلاة، فصارَت كالشطر، وقيلَ غيرُ ذلك[٤].

والطُّهورُ بضمِّ الطاء عند الأكثرين، ويجوزُ فتحُها، واللهُ أعلم.

وأمّا معنى: «**والحمدُ لله تملأُ الميزانَ**»، أي: عِظَمُ أجرِ هذه الكلمةِ يملؤه[٥]، والله أعلم[٦].

---

(١) قوله: «والصبر ضياء» ليس في (د). (٢) «صحيح مسلم» (٢٢٣).

(٣) «الإيمان» ليس في (ق).

(٤) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٤٧)، و«المسالك في شرح موطأ مالك» (٢: ٧٥-٧٦)، و«شرح النووي على مسلم» (٣: ١٠٠).

(٥) في (س): «يملاؤه».

(٦) انظر: «فيض القدير» (١: ٤٨٤)، و«مرعاة المفاتيح» (٢: ٢)، و«ذخيرة العقبى» (٢١: ٣٨٦).

وأمّا معنى: «**وسُبحانَ الله والحمدُ لله**[١] **تملآنِ ـ أو تملأُ ـ ما بينَ السَّماواتِ والأرض**»، فقيل: لو قُدِّرَ ثوابُهُما جِسمًا لملأ ما بين السَّماواتِ والأرض، وسَبَبُ فَضلِهما ما اشتملَتا عليه[٢] من التنزيهِ لله تعالى بقوله: سُبحانَ الله، والتفويضِ[٣] والافتقارِ إلى الله تعالى بقوله: والحمدُ لله[٤]، والله أعلم.

وأمّا كونُ «**الصلاةُ نورٌ**» فلأنّها تَمنَعُ من المعاصي، وتَنهَى عن الفحشاءِ والمُنكَر، وتَهدِي إلى الصواب، كما أنّ النورَ يُستضاءُ به، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إنّا لله وإنّا إليهِ راجعونَ على مُصيبتنا[٥] بسببِ صَلاةٍ لا تَنْهى عن الفحشاءِ والمنكر[٦]، كم من فاحشةٍ ومُنكَرٍ ترتكِبُه[٧] حتَّى في نفس الصلاة، وأَقَلُّه جَوَلانُ الفِكر، وهو سببُ إعراضِ الله تعالى عن العبد؛ لأنّ العبدَ إذا كبَّرَ ورفعَ[٨] يدَيه فقد كبَّرَ عظيمًا، وجعلَ رَفعَ يدَيه إشارةً إلى أنّ ما ثَمَّ[٩] إلّا الله، فإذا جالَ فِكرُه بسبب نَظرِه أو غيرِ ذلك تَحوَّلَ عن تلكَ الصفة، فجاءَ[١٠] الإعراض، فعُوقِبَ به، ثمَّ إنّه مع ذلك تدعُو عليه صلاتُه بالضياع، فيأتي بالصلاةِ على أنّها نورٌ فينعَكِسُ عليه ظُلمةً.

---

(١) من قوله: «تملأ الميزان» إلى هنا ليس في (د).
(٢) «عليه» ليس في (د).
(٣) «والتفويض» ليس في (س).
(٤) انظر: «فيض القدير» (١: ٤٨٤).
(٥) في (د): «مصيبات».
(٦) قوله: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون على مصيبتنا بسبب صلاةٍ لا تنهى عن الفحشاء والمنكر» ليس في (ق).
(٧) في (ق): «نرتكبه».
(٨) في (س): «رفع» بدون الواو.
(٩) في (س) و(د): «تم».
(١٠) في (د): «في».

لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله، من حالٍ يَدَّعي الشخصُ أنّه بها في الحضرةِ وهو مطرودٌ ممقوت[١]، فإذا كانَ الشخصُ في حال عبادَتِه مطرودًا، فكيف حالُه في غيرِها، فهو في ظُلمة الظلمة.

وقيل: معنى: «**والصلاةُ نورٌ**»، أي: يكونُ أجرُها نورًا لصاحِبِها يومَ القيامة.

وقيل: لأنّها سببٌ لإشراقِ أنوار المعارفِ وانشراحِ القلب، ومُكاشَفات الحقائق بفراغ[٢] القلب، وإقباله إلى الله بظاهِرِه وباطنِه[٣]، ولَعَمري هذه الصلاةُ التي يُطفِئُ نورُها نورَ النار.

أخبَرَني بعضُ أصحابي ـ وكان من أقرانِ مشايخي، وكان له فضلٌ، وزادَ على أصحابه بكَثرةِ العبادةِ من الحجِّ والمُجاورةِ وغيرِها ـ قال: جلستُ يومًا في الجامعِ الأقصى، فتلوتُ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فحاكَ في صدري شيءٌ ممّا أرى من هذه الصلاةِ التي نأتي[٤] بها، وتصدرُ مع ذلك أمورٌ، فلقِيتُ شخصًا، [٢٩/أ] وكان ذلك من العُلماءِ بالكتاب والسُّنّة، وله مجاهَدات، قال: فجلستُ إليه، وذكرتُ له ذلك، فأطرقَ الشيخُ ساعةً، ثمَّ رفعَ رأسَه، والتفتَ إليّ، وقال لِي[٥]: صَدقَ الله العظيم، ثمَّ قال: إنّ الصلاةَ التي هي صلاة ـ وعَنَى بذلك إليَّ ـ الصلاةُ التي ذكَرَها الله تعالى، ولهذا قال عبدُ الله[٦] بنُ مسعودٍ

---

(١) في (د): «وممقوت».
(٢) في (ق) و(د): «لفراغ».
(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣: ١٠١)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٣: ٧٣٩-٧٤٠)، و«حاشية السيوطي على سنن النسائي» (٥: ٦).
(٤) في (ق): «تأتي».
(٥) «لي» ليس في (ق) و(س).
(٦) قوله: «عبد الله» ليس في (د).

رضي الله عنه: «مَن لم تأمُره الصلاةُ بالمعروف[١]، وتنهاهُ عن المُنكر؛ لم يَزدَدْ بها[٢] من الله إلّا بُعدًا»[٣].

إنّا لله وإنّا إليه راجعون من صلاةٍ نزدادُ بها بُعدًا، أيُّ فتنةٍ أعظمُ من هذه[٤]!

وقيل: معنى: «**الصلاةُ نورٌ**»، أي: نورٌ ظاهرٌ على وجه المُصلِّي يومَ القيامة، ويكونُ على وجهِه في الدُّنيا بَهاء، بخلافِ مَن لم يُصلِّ[٥]. والله أعلم.

وأمّا كونُ «**الصدقة بُرهان**» قيل: معناه: يُفْزَعُ إليها كما يُفزَعُ[٦] إلى البراهين.

والبُرهانُ هو: الدليلُ والحُجّة[٧].

فكأنّ العبدَ إذا سُئِلَ يومَ القيامةِ عن مَصرِف مالِه كانت الصدقةُ برهانًا في جواب السؤال، فيقول: تصدَّقتُ به.

وقيل: إنّ المُتصدِّقَ يُوسَمُ بعلامةٍ يُعرَفُ بها، فتكونُ بُرهانًا له عن حالِه، ولا يُسألُ عن مصرِف مالِه، ويكونُ هذا بهذا المعنى مُخَصِّصًا لعموم[٨]: «**لا تَزِلُّ قَدَمٌ عن قَدَمٍ حتَّى[٩] يُسألَ عن ثلاثٍ أو أربع، منها: وعن ماله ممّا اكتسبَه، وفيما أنفقَه**»[١٠].

---

(١) «بالمعروف» ليس في (ق) و(س).

(٢) «بها» ليس في (ق).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٦: ٤٦٥).

(٤) في (س): «هذا».

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣: ١٠١)، و«المفاتيح في شرح المصابيح» (١: ٣٤٦)، و«حاشية السيوطي على سنن النسائي» (٥: ٦).

(٦) كأنها في (س): «يقرع».

(٧) انظر: «النهاية» (١: ١٢٢)، و«تاج العروس» (٥: ٤٦٤).

(٨) «لعموم» ليس في (ق).

(٩) «حتى» ليس في (س)، وفي حاشية (ق): «لعله سقط هنا».

(١٠) «جامع الترمذي» (٢٤١٧)، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن صحيح».

وقيل: الصدَقةُ حُجّةٌ على إيمانِ فاعِلها؛ فإنّ المُنافِقَ يَمتَنِعُ منها؛ لكَونه لا يعتقدُها، فمن تصدَّقَ استُدِلَّ بصَدقَتِه على صِدقِ إيمانِه[1]. والله أعلم.

وأمّا قوله ﷺ: «والصبرُ ضِياءٌ» فمعناه: الصبرُ المحبوبُ في الشرع، وهو: الصبرُ على طاعةِ الله تعالى، والصبرُ عن معصيةِ الله تعالى، وكذا الصبرُ على النائباتِ وأنواعِ المَكارِه في الدنيا.

والمراد: أنّ الصبرَ محمودٌ لا يزالُ صاحبُه مُستضيئًا مُهتدِيًا مُستمرًّا على الصواب، والله أعلم.

واعلم أنّ في الصبرِ أحاديثَ سنُورِدُ بعضَها بعد ذِكرِ حدِّ الصبر، وللقوم عباراتٌ في الصبر[2]:

قال ابنُ عطاء: «هو الوقوفُ مع البلاءِ[3] بحُسن[4] الأدب».

وقال رُوَيم[5]: «تَرْكُ الشكوى من أَلَم البلوى».

وقال بعضُهم: «هو الغنى في البلوى بلا ظُهُور الشكوى».

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣: ١٠١)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٣: ٧٤٠)، و«تحفة الأحوذي» (٩: ٣٥٠).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٣)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ٣٢٨)، و«عدة الصابرين» (١٦)، و«مدارج السالكين» (٢: ١٥٧)، و«سبل الهدى والرشاد» (١: ٤٧٦).

(٣) كذا في المصادر، وفي النسخ: «الوقوف مع الله».

(٤) في (د): «مع حسن».

(٥) في (د): «بعضهم»، وهو: رُوَيم بن أحمد بن يزيد بن رويم، يكنى: أبا محمد، وهو من أهل بغداد من جِلّة مشايخهم، كان فقيهًا على مذهب داود الأصبهاني، وكان مُقرئًا، فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد، مات سنة ثلاث وثلاث مئة. انظر ترجمته في: «سير السلف الصالحين» (١١١٣)، و«الأعلام» للزركلي (٣: ٣٧).

وقال بعضُهم: «هو المُقامُ مع البلاء بحُسنِ الصحبة كالمُقام مع العافية».

وقال بعضُهم: «هو تَلقِّي بلائِه بالرحبِ والدعةِ».

[٢٩/ب] وقال الخَوّاص: «الصبر: الثباتُ على أحكام الكتاب والسُّنّة».

وقال بعضُهم[1]: «الصبر: هوَ[2] حبسُ النفسِ عندَ وُرودِ المَصائبِ المُؤلِمة الكريهة».

وقال بعضُهم: «الصبر: عبارةٌ عن ثباتِ باعِث الدينِ في مُقابَلةِ باعِث الشهوة، وتَركُ الأفعالِ المشتَبِهات[3]»، وقيل غيرُ ذلك.

وعندي أنّ الصبرَ حملُ النفس على تنفيذ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٤]، حتَّى يَنتَهيَ إلى حالةٍ يَجِدُ فيها حلاوةَ المِحَنِ كما يجدُ حلاوةَ المِنَح.

ويُقال أيضًا: معاكسةُ النفسِ فيما تُحِبُّ.

قال عيسى عليه الصلاةُ والسلام: «إنّكم لا تُدرِكُونَ ما تُحِبُّونَ[4] إلّا بالصبرِ على ما تَكرهُون»[5].

واعلم أنّ الصبرَ من أخلاقِ الأنبياء، فمَنْ أكرمَه الله تعالى بكرامةِ[6] الأنبياء أدخَلَه الجنّة، وقد جاءَ في الحديثِ من روايةِ أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال[7]

---

(١) «بعضهم» ليس في (د). (٢) «هو» ليس في (ق) و(س).

(٣) في (س): «المشبهات». (٤) في (س): «تحسبون».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ٤٥٢)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٣٦٥)، و«مرآة الزمان» (٢: ٣١٨).

(٦) في (د): «بكرامات». (٧) في (ق): «قال: سمعت».

رسول الله ﷺ: يقولُ الله تعالى[١]: «**إذا ابتَلَيتُ عبدي بحبيبتَيه فصبرَ عوَّضتُه منهما**[٢] **الجنّةَ**»[٣]، يُريد: عينَيه[٤]، رواه البُخاريّ.

ـ وعن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابنُ عبّاسٍ[٥] رضي الله عنهما: ألا أُرِيكَ امرأةً من أهل الجنّة؟ قلت: بلى، قال: هذه[٦] المرأةُ السوداء، أتت النبيَّ ﷺ فقالت: إنّي أُصرَع، وإنّي أتكَشَّف[٧]، فادعُ الله لي، قال: «**إن شِئتِ صَبَرتِ ولكِ الجنّة، وإن شِئتِ دَعَوتُ الله لكِ أن يُعافيَك**»، فقالت: أصبِر، فادعُ الله لي[٨] ألّا أتكَشَّف، فدعا لها[٩]. رواه البخاريُّ ومسلم.

ـ وعن أبي سعيد الخدريِّ وأبي هريرةَ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما يُصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَب، ولا هَمٍّ ولا حَزن، ولا أذًى ولا غَمّ، حتَّى الشوكةُ يُشاكُها، إلّا كَفَّرَ الله بها من خطاياه**»[١٠]. رواه البخاريُّ ومسلم. والوَصَب: المرضُ[١١].

---

(١) قوله: «يقول الله تعالى» ليس في (ق) و(س).

(٢) في (س): «منها»، وفي (د): «عنهما».

(٣) «صحيح البخاري» (٥٦٥٣).

(٤) انظر: «شرح صحيح البخارى» لابن بطال (٩: ٣٧٧)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٤: ١٣٤٣)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠: ١١٦).

(٥) في (د): «عنان».

(٦) «هذه» ليس في (د).

(٧) في (د): «أنكشف».

(٨) «لي» ليس في (س).

(٩) «صحيح البخاري» (٥٦٥٢)، و«صحيح مسلم» (٢٥٧٦).

(١٠) «صحيح البخاري» (٥٦٤١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٧٣).

(١١) انظر: «المحيط» (٢: ٢٣٦)، و«الصحاح» (١: ٢٣٣)، و«النهاية» (٥: ١٩٠)، و«لسان العرب» (١: ٧٩٧)، و«القاموس المحيط» (١٤١)، و«تاج العروس» (٤: ٣٤٣).

ـ وفي روايةٍ لهما: «**ما من مُسلمٍ يُصيبُه أذى شوكةٌ فما فوقَها إلّا كَفَّرَ الله بها سيئاتِه كما تَحُطُّ الشجرةُ ورَقَها**»[1].

ـ وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من يُرِدِ الله به خيرًا يُصَب**[2] **منه**»[3]، رواه البخاري، ويجوزُ في الصاد الفتحُ والكسر.

ـ وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**إذا أرادَ الله بعبدِه الخيرَ عَجَّلَ له العُقوبةَ في الدنيا، وإذا أرادَ بعبدِه الشرَّ أمسَكَ عنه بذنبِه حتَّى يُوافِيَ**[4] **يومَ القيامة**»[5].

ـ وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**إنّ عِظمَ**[6] **الجزاءِ**[7] **مع عِظَمِ البلاء، وإنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهُم، فمَن رَضيَ فله الرِّضا، ومَن سَخِطَ فلَه السُّخطُ**»[8]، رواه الترمذيّ، وقال: «حديثٌ حسنٌ».

[٣٠/أ] ـ وفي «**صحيحِ مُسلم**»: مات ابنٌ لأبي طلحةَ من أُمِّ/ سُلَيم، فقالت لأهلِه[9]: لا تُحَدِّثُوا أبا طلحةَ بابنه حتَّى أكونَ أنا أُحدِّثُه، فجاء، فقرَّبَت له عَشاءً[10] فأكَلَ وشَرِب، ثمَّ تَصنَّعَت له أحسنَ[11] ما كانت تصنعُ قبلَ ذلك، فوقعَ بها، فلمّا رَأت أنّه قد شَبِعَ وأصابَ منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيتَ لو أنّ قومًا أعاروا عاريَتَهم أهلَ بيت، فطلبوا عاريَتَهم، أَلَهُم أن يمنَعُوهم؟ قال: لا.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٦٤٨)، و«صحيح مسلم» (٤: ١٩٩١).
(٢) في (د): «يصيب».
(٣) «صحيح البخاري» (٥٦٤٥).
(٤) «يوافق» ليس في (د).
(٥) «جامع الترمذي» (٢٣٩٦).
(٦) في (ق): «أعظم».
(٧) قوله: «الجزاء» تكرر مرتين في (د).
(٨) «جامع الترمذي» (٢٣٩٦).
(٩) في «صحيح مسلم»: «لأهلها».
(١٠) في (س): «عيشًا».
(١١) في (د): «أحسنت».

قالت: فاحتَسِب ابنَك، قال: فغضِب، ثمَّ قال: تركتِيني حتَّى تلطَّخت، ثمَّ أخبرتيني بابني. فانطلَقَ حتَّى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَه بما كان منها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**بارَكَ الله لكُما في ليلتِكما**»، فحَمَلَت، قالت: وكان رسولُ الله ﷺ في سَفَرٍ وهي معه، وكان رسولُ الله ﷺ إذا أتى المدينةَ لا يَطرُقُها طروقًا، فدَنَوا من المدينة، فضَرَبَها المخاضُ[1]، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلقَ رسولُ الله ﷺ، قال: يقولُ أبو طلحة: إنّك لتَعلَمُ[2] يا ربِّ أنّه يُعجِبُني أن أخرُجَ مع رسولِ الله ﷺ إذا خَرَج، وأدخُلَ معه[3] إذا[4] دَخَل، وقد احتبستُ بما ترى.

تقول أُمُّ سُلَيم: يا أبا طلحة، ما أجِدُ الذي كنتُ أجِد، انطَلِق، فانطَلَقنا، وضَرَبَها[5] المخاضُ حين قَدِمنا، فولَدَت غُلامًا، فقالت لي أُمِّي: يا أنس، لا يُرضِعه أحدٌ حتَّى تَغدو به على رسول الله ﷺ، فلمّا أصبَحَ احتَمَلتُه فانطلَقتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: «**أمعَه شيءٌ؟**»، قال: نعم، تمرات، فأخذَه النبيُّ ﷺ، ثمَّ أخذَها من فِيه فجعَلَها في فِي الصبيِّ، ثمَّ حنَّكَه وسمّاه: عبد الله[6].

- وفي روايةِ البخاريِّ[7]: قال ابنُ عُيينة: فقال رجلٌ من الأنصار: فرأيتُ تسعةَ أولادٍ كلُّهم قد قرأ[8] القرآن[9]، يعني: من أولادِ عبدِ الله المولود.

---

(١) في (س): «الطلق».
(٢) في (د): «تعلم».
(٣) قوله: «وأدخل معه» ليس في (د).
(٤) في (س): «إذ»، وفي (د): «وإذا».
(٥) في (د): «فضربها».
(٦) «صحيح مسلم» (٢١٤٤).
(٧) في (ق) و(د): «للبخاري».
(٨) في (د): «قرأو».
(٩) «صحيح البخاري» (١٣٠١).

- وعن معاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**من كَظَمَ غيظًا وهو قادِرٌ على أن يُنفِذَه دعاه الله على رُؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامة حتَّى يُخيِّرَه من الحُورِ ما شاءَ**»[١]، رواهُ أبو داود، والترمذيّ، وقال: «حديثٌ[٢] حسنٌ»[٣].

- وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما يَزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسِه وولَدِه ومالِه حتَّى يَلقَى الله تعالى وما عليه خطيئةٌ**»[٤]، رواه الترمذيّ، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»[٥].

واعلم أنّ الأخبارَ والآياتِ في الصبر كثيرة، ويَكفي في شرَفِه قولُ الله تعالى في حقِّ أيُّوبَ عليه الصلاةُ والسلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٦] [ص: ٤٤].

[٣٠/ب] وقد عَلِمتَ أنّ «نِعْمَ» من أفعالِ المدح، وناهيكَ شَرَفًا أنّ الصبرَ أثمَرَ ثناءَ ربِ العالمين، ثمَّ الصبرُ يختلفُ باختلاف طَبَقات الناس.

فالصبرُ للمُريد[٧] هو الاستعانةُ[٨] بالله، ولهذا[٩] قال يُوسُفُ عليه الصلاةُ والسلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، يعني: غير[١٠] الصابرين.

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٠٢١)، و«سنن أبي داود» (٤٧٧٧).
(٢) «حديث» ليس في (د).
(٣) في (س): «حديث حسن صحيح».
(٤) «جامع الترمذي» (٢٣٩٩).
(٥) الحديث سقط كله من (س).
(٦) قوله تعالى: «﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾» ليس في (ق).
(٧) في (س): «المريد».
(٨) في (ق): «الاستغاثة».
(٩) من قوله: «في حق أيوب عليه الصلاة والسلام» إلى هنا ليس في (د).
(١٠) «غير» ليس في (س) و(ق).

والتصَبُّرُ للعارف(١)، وهو السكون، كما قال يعقوبُ عليه الصلاةُ والسلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، أي: لا شَكوى فيه(٢).

وأمّا الاصطِبارُ فهو حالُ سيِّدِ السابقينَ واللاحقين محمَّدٍ ﷺ، كما في قوله: ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥].

والصَّبّارُ(٣) هو: الذي يمرُّ به البلاءُ فيَرى اختيارَ الله في ذلك، فيَشكُرُه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣]، يَصبِرُ ويَشكُرُ في الصبر.

قال بعضُ أهل التفسير في قولِه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾(٤) [الرعد: ٢٤]، أي: صَبَرتُم علينا فوصَلتُم إلينا.

قِيلَ للسيِّدِ الجليلِ الفُضَيل: ما رأسُ الدِّين؟ قال: العقل، قيل له(٥): وما رأسُ العقل؟ قال: الحِلم، قيل له(٦): وما رأس الحِلم(٧)؟ قال: الصبر.

وقد قيل: الصبرُ من الإيمان بمنزلةِ الرأس من الجسد، ويُروَى عن عليٍّ رضي الله عنه(٨)، وقد رواهُ بعضُهم حديثًا: قال بعضُ العارفين: «الصبرُ ثَمرةُ اليَقين».

---

(١) في (س): «المعارف».

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٣: ١٦)، و«تفسير القرطبي» (٩: ١٥١)، و«تفسير البيضاوي» (٣: ١٥٨).

(٣) في (د): «والصابر».

(٤) في (د): «﴿صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ﴾».

(٥) «له» ليس في (ق).

(٦) «له» ليس في (ق) و(س).

(٧) قوله: «قال: الحلمُ، قيل: وما رأس الحلم» ليس في (ق).

(٨) انظر: «الزهد» لوكيع (١٩٩)، و«أدب الدنيا والدين» (٧٤)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٢).

قال السيِّدُ الجليلُ أبو القاسم الجُنَيد: «يقول الله تعالى: لو أنّ ابنَ آدمَ قَصَدَني في أوَّل المصائبِ لرأى منِّي العجائب، ولو انقطعَ إليَّ في أوَّل النوائب لشاهدَ منِّي الغرائب، ولكنَّه انصرَفَ إلى إشْكالِه فرُدَّ في إشْغالِه»[١].

قال عمرٌو المكِّيّ: «مَن صَبَرَ على رُؤية العوض يكونُ صبرُه مَشوبًا، ومن صَبَرَ على رُؤية المِنّة يكونُ متلذِّذًا بالبلاء كما يكونُ متلذِّذًا بالنعمة»[٢].

قال بعضُهم: «علامةُ الصبر ثلاثة: تركُ الشكوى، وصِدقُ الرِّضا، وقَبولُ القضاء بحلاوة القلب»[٣].

وعن عبد الله بن المبارك أنّه قال: «لا تجزَع من الهُموم؛ فإنّها بمنزلةِ ضيفٍ نَزَلَ فأحسِنْ صُحبَتَه حتَّى يَرتَحِلَ وهو عنك راضٍ».

وسُئِلَ عبدُ الله بنُ مباركٍ: متى يجوزُ للعبد أن ينفيَ[٤] الأسبابَ[٥] عن نفسه؟ قال: إذا كان في التدبيرِ كأصحابِ القُبور، فما دامَ يتحرَّكُ منه عِرقٌ واحدٌ فليسَ له ذلك[٦].

كان لمحمَّد بن حامدٍ الترمذي[٧] صديقٌ نُقِبَ بَيتُه وذُهِبَ بمتاعه، فجاءَه

---

(١) انظر: «قوانين حكم الإشراق» (١٥٢). (٢) انظر: «تفسير السلمي» (١: ٨٩).

(٣) انظر: «ذم الهوى» (٦٢)، و«بريقة محمودية» (٣: ٨٠)، و«طبقات الصوفية» للسلمي (٢٢٣).

(٤) في (د): «يتقي». (٥) كذا في المصادر، وفي النسخ: «الأشياء».

(٦) انظر: «تهذيب خالصة الحقائق» (٤٢٨).

(٧) «الترمذي» ليس في (ق)، وهو: أبو بكرٍ محمد بن حامد بن محمد بن إسماعيل بن خالد الترمذي، من أعيان مشايخ خراسان وأطهرهم خلقًا وأحسنهم سياسةً، لقي المشايخ ببلخ، مثل: أحمد بن خضرويه ومَن دونه، وله أصحاب ينتمون إليه. انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» (٢١٧).

وذكرَ له(١) ذلك، فقال: كان المُتقدِّمُونَ يَفرَحُونَ بمثل هذا(٢)، حتَّى إنّ فرَحَهُم يَحملهم على أن(٣) يتصدَّقُوا بالباقي.

وسُئِلَ السَّريُّ(٤) عن الصبرِ فجَعَلَ يتكلَّمُ فيه، فدَبَّ على رِجلِه عقرب، فجَعَلَت تَضربُه بإبرَتِها، فقيلَ له: ألا تَدفَعها عن نَفسِكَ؟ فقال: أسْتَحيِي [٣١/أ] من الله أن أتكلَّمَ في حالٍ ثمَّ أُخالِفُ ما أتكلَّمُ فيه(٥).

قال(٦) الأصمعيّ: أُصيبَت امرأةٌ من الأعراب بابنٍ لها، فأحسَنَتِ العزاءَ والصبرَ عليه، فقيل له: ما رأيناكِ جَزِعتِ على ابنك؟

فقالت: إنّ القلبَ يحترق، والكبدَ(٧) ينقطعُ(٨)، ولكن(٩) آثَرتُ طاعةَ الله على محبّةِ الشيطان(١٠).

وقال الفُضَيل: «الصبرُ في السرّاءِ نعمةُ التفضيل، وفي الضرّاء نعمةُ التطهير، فكُن في السرّاءِ عبدًا شَكورًا، وفي الضرّاء عبدًا صَبُورًا».

قيل ليحيى بن معاذٍ رضي الله عنه: إنّ(١١) قومًا يغتابونك(١٢)، قال: مَهْ، إن غَفَرَ الله تعالى لي فلا تَضُرُّني غِيبتُهم، وإن عذَّبَني فأنا شرٌّ ممّا قالوا.

---

(١) «به» ليس في (د). (٢) في (ق) و(د): «بمثله».
(٣) «أن» ليس في (س). (٤) في (س): «الثوري».
(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٧). (٦) «قال» تكرر مرتين في (د).
(٧) في النسخ: «والقلب»، والمثبت موافق لما في المصادر.
(٨) في (ق) و(س): «يتقطع». (٩) «ولكن» ليس في (د).
(١٠) انظر: «تهذيب خالصة الحقائق» للفريابي (١: ٤٢٨).
(١١) «إن» ليس في (س). (١٢) في (ق): «يغتابوك».

ابتُلِيَ رجلٌ بالعَمى فصبَر، ولم يَنقَطع عن الخروجِ إلى المسجد، فخرجَ ليلةً مُمطرةً[1]، فقالت له امرأتُه: لِمَ لا تُصلِّ في البيت؟ فقال: أخرُجُ إلى المسجدِ لكي أُؤدِّيَ شُكرَ يَدَيَّ ورِجلَيّ، فلمّا أصبَحَ أصبَحَ بصيرًا، فقال: نِعم الربُّ ربِّي، شكرتُه فجازاني بما هو أهلُه.

لله دَرُّه من رجلٍ صبورٍ شكور.

قال عبدُ الله البصريّ: «وَقَفَ رجلٌ على الشِّبليّ، فقال: أيُّ صبرٍ أشدُّ على الصابر؟ قال: الصبرُ في الله؟ قال: لا، قال: الصبرُ لله؟ قال: لا، قال: الصبرُ مع الله؟ قال: لا، قال: فأيُّ شيء؟ قال: الصبرُ عن الله، فصرخَ الشِّبليُّ صرخةً كادَت رُوحُه تذهبُ»[2].

والصبرُ عنكَ فمَذمُومٌ[3] عَواقِبُه ... والصَّبرُ في سائرِ الأشياءِ مَحمودُ[4]

وقال بعضُهم: المُصِيبةُ بالصَّبرِ أعظَمُ المُصِيبَتَينِ[5].

قال بعضُهم:

ويَمنَعُني الشَّكوَى إلى الناسِ أنّني ... عَلِيلٌ ومَن أشكو إليه عَلِيلُ

ويَمنَعُنِي الشَّكوَى إلى الله أنّه[6] ... عَلِيمٌ بما ألقاهُ قَبلَ أقُولُ

---

(١) في (ق): «مطيرة».

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٤)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٨٠)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ٣٢٧).

(٣) في (س): «محمود».

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٨٠).

(٥) انظر: «أدب الدنيا والدين» (٢٩٨).

(٦) كأنها في (س): «أنني».

واعلم رَحِمَكَ الله عزَّ وجلَّ أيُّها المُصابُ أنّ هاهُنا دقيقةً تَرقى بها بعد الصبرِ إلى مقام الرِّضا، وإلّا فأنتَ مطرود، وهي أنّ الجزَعَ الحاصِلَ عند[١] المصيبةِ بشَيءٍ ممّا يُبتَلَى به المرءُ مِن[٢] مالٍ أو غيرِه إنّما[٣] هو لأجلِ احتياجِه إليه؛ لأجلِ انتفاعِه به وقتَ حاجته، ولا شكَّ ولا ريبَ أنّ ما يُبتلَى به المرء مِن[٤] فَقْدِ مالٍ أو ولدٍ ونحوه فهو مُدَّخَرٌ له، يجده[٥] في أشدِّ أوقات احتياجِه إليه، وإذا كانَ الأمرُ كذلك فينبغي السرورُ بذلك.

فإذا مَنَّ الله عليكَ بالسرور فحَقِّق ذلك، وإيّاك أن[٦] تُدلِّس[٧] عليكَ النفسُ وتقول: طُوبى لك! صَبَرتَ أيُّها المُصابُ على مُصيبَتِك، ثمَّ تَرقَّيتَ إلى مقام الرضا، وتلقَّفتَ مواقعَ القدَرِ تلقُّفًا، الحمدُ لله على ذلك/ وعلى كلِّ حال. [٣١/ب]

فإذا أنت جارَيتَ نفسَك في ذلك وقطعتَ بأنّ الأمرَ كذلك فأنا أُنبِّهُكَ على أمرٍ يُظهِرُ لك تلبيسَ النفسِ عليك، فإن اطمأنَّت نفسُكَ إلى[٨] ما أُنبِّهُكَ فاحمَدِ الله عزَّ وجلَّ على هذا الخير، وإلّا فارجِع؛ فإنّ إظهارَ ما ليسَ أنت عليه علامةُ مَقتِكَ؛ إذ هذا[٩] شأنُ المُتزيِّن بما ليس فيه، **وتَزيُّن المرء**[١٠] **بما ليسَ فيهِ**[١١] **هُو**[١٢] **سببُ سقوطِ العبد مِن عينِ الله عزَّ وجل.**

ونفرِضُ لك أنّك أُصِبتَ في ولدِكَ مثلًا، فنقولُ لك: بالله الذي يعلمُ حقائقَكَ

---

(١) في (د): «عن».
(٢) قوله: «المرء من» في (د): «المؤمن».
(٣) في (د): «وإنما».
(٤) قوله: «المرء من» في (د): «المؤمن».
(٥) «يجده» ليس في (س).
(٦) «أن» ليس في (د).
(٧) في (س): «تدنس».
(٨) في (د): «على».
(٩) في (ق): «هو».
(١٠) قوله: «بما ليس فيه، وتزيُّن المرء» ليس في (س).
(١١) «فيه» ليس في (د).
(١٢) في (س): «وهو».

ودقائقَكَ لو كنتَ تَقدِرُ على إحيائه أكُنتَ تُحييه؟ فإن اطمأنَّت نفسُك إلى عدمِ إحيائِه بصدقٍ فللَّهِ دَرُّكَ من صَبورٍ راضٍ، ذُقتَ والله طعم: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وإلّا فلا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم[1] من هذه الدعوى الكاذبة حتَّى على الله عزَّ وجلّ، هذه المصيبةُ التي أنتَ عليها أعظمُ مِن[2] سبَبِها، فعليكَ بالإنابة؛ فإنّه جوادٌ كريمٌ، والله أعلم.

واعلم رَحِمَكَ الله تعالى أنّ في هذه السورةِ الكريمة[3] وعيدًا شديدًا؛ لأنّه تعالى حَكَمَ بالخُسران على جميعِ النّاس، إلّا مَن أتى بهذِه الصفات الأربع، وهي: الإيمان، والعملُ الصالح، والتواصي بالحقّ، والتواصي بالصبر، فدلَّ على أنّ النجاةَ مُعلَّقةٌ بمجموعِ هذه الأمور الأربعة، وأنّه كما يلزمُ المكلَّفَ تحصيلُ ما يخصُّ نفسَه، يلزمه ذلك في حقِّ غيرِه[4] بأمور، منها:

ـ الدعاءُ إلى الدين والنصيحة، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المُنكَر، وأنْ يُحبَّ لغيره ما يُحبُّ لنفسه؛ لأنّ التواصيَ بالحقِّ يَدخُلُ فيه[5] سائرُ الدِّين من علمٍ وعَمَلٍ وغَيرِهِما، والتواصي بالصبرِ يَدخُلُ فيه حَملُ النفس على مشقّةِ التكليف في القيام بما يجب، وفي اجتنابِ ما يَحرُم، والإقدامُ على المكروه، والإحجامُ عن المُراد، وكلاهما فيه مشاقٌّ شديدةٌ إلّا مَن وُفِّق.

أذاقَنا الله الكريمُ طعمَ فَهمِ كلامه، والعملَ به، إنّه على ما يشاءُ قدير، وبالإجابةِ جدير.

---

(١) قوله: «العلي العظيم» ليس في (د).
(٢) «من» ليس في (د).
(٣) يقصد: سورة العصر.
(٤) في (س): «غيره».
(٥) «فيه» ليس في (د).

ولسائلٍ أن يقولَ[١]: ما الحِكمةُ في إتيانِه سُبحانه وتعالى بصيغةِ الماضي في قولِه تعالى: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣] دونَ الإتيانِ بالمضارعِ، كقولِه: ويتواصَونَ بكذا؟

والجواب: حتَّى لا يقع أمرًا؛ لأنَّ الغرضَ مدحُهُم بما يَصدرُ عنهم في الماضي، وذلك يفيدُ ترغيبَهُم إلى الثباتِ عليه في المستقبل[٢]، والله أعلم.



---

(١) قوله: «أن يقول» ليس في (د).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٣٢: ٢٨٢).

فصل مهم

[٣٢/أ] يَعرفُ به السالِكُ خديعةَ النَّفْس، وطولَ ما لَبَّسَته عليه، وليس الكلامُ مع العامِّيِّ الذي هو خائض، بل سابِح، بل غارِقٌ في بحار الجهل، يتخبَّطه أصاغرُ المَرَدة؛ لأنّ مَن[١] عَجَزت هِمَّتُه عن إتقانِ بابِ العِباداتِ مع كَثرة وقوعِه في[٢] المُعاملات التي لا بُدَّ لكلِّ أحدٍ من تعاطيها، وكذا مع مَن جَهِلَ أحكامَ الزوجيّة حتَّى يُحسِنَ يُعاشرُ بالمعروف، وكذا مع مَنْ تركَ تعلُّمَ أسباب الضمان التي هي أكثرُ وقوعًا[٣] من القَطْر، وكذا مع من جَهل طُرُقَ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنكَر، وكذا مع[٤] مَن جَهل ما يَجبُ عليه أن يتعاطاه وأن يتركَه من سائرِ الوجوه الشرعيّة باعتبارِ الظّاهِر والباطِن، وغير ذلك ممّا لا يكادُ يُحصى ولا يُحصر[٥]، إلى غيرِ ذلك ممّا يجبُ فيه الإظهار، وما يجبُ فيه الكِتمان، وما يُكرَه وما يُستحَبّ، وغيرِ ذلك من الأمورِ المهمّةِ في الدِّينِ التي[٦] حثَّ عليها[٧] الكتابُ والسنّة، ومَن حادَ عنها؛ فقد شَرَّعَ شرعًا فصارَ من الأخسَرِين.

وأكثرُ أهل زمانِنا هذا من فُقراء الزوايا والرُّبَطِ على ذلك، وقد أحدَثوا

---

(١) «من» ليس في (د).
(٢) «في» ليس في (د).
(٣) «وقوعًا» ليس في (س) و(ق).
(٤) «مع» ليس في (س).
(٥) قوله: «ولا يحصر» ليس في (د).
(٦) في (ق) و(د): «الذي».
(٧) في (ق): «عليه».

ما لم يُنَزِّل به من سُلطانٍ[١]، وتَقوَّلُوا[٢] على الله ورسولِه ما لم يَكُن، وزَيَّنَ لهم[٣] الشيطانُ أعمالَهُم فاسترسَلوا فيها، حتَّى بَقِيَت لهم مَلَكةً، حتَّى لو أوردَ شخصٌ آيةً أو خبرًا[٤] ظاهر الدلالة، أو نصَّ على بُطلان ما ارتكبوه واعتادوه لَما قَبِلُوه، وإن قَبِلُوه ظاهرًا فقلوبُهُم غيرُ مؤمنةٍ به، نعوذُ بالله من مُضِلَّات الفِتَن ما ظَهَرَ منها وما بَطَن.

وكان سببُ وقوع هذه[٥] الأخباث[٦] في هذه المصائب طائفةٌ وسَمُوا[٧] أنفُسَهم بأنّهم حَمَلةُ الشريعة، وبهم يُقامُ الدين، غَلَبَت عليهم شَهوةُ ما يُؤدِّي إلى المِيض[٨] من المآكل اللذيذة التي هي في بُطُونهم نارٌ، وكذا[٩] المُستحسَناتُ من المألوفات، فسَكَتُوا عمّا أمرَ الله تعالى بإظهاره من الآيات البيِّنات، واشتروا[١٠] به ثمنًا قليلًا، أولئك لهم عذابٌ أليمٌ[١١].

فإذا حَصَلَت لك العناية، وسَلِمتَ **أيُّها السالكُ** من صفاتِ هاتَين الطائفتَين الخبيثتَين، وتعلَّمتَ ما يجبُ عليك تَعلُّمه، وسارعتَ إلى القيامِ بوظائفِ ما عَلِمت، حينئذٍ ذكرتُ لكَ ما أرجو من الله تعالى أن يُبيِّن[١٢] لك أنّك مخدوعٌ

(١) قوله: «من سلطان» في (س): «سلطانًا»، وفي (د): «سلطان».

(٢) في (س) و(د): «ويقولوا».

(٣) «لهم» ليس في (د).

(٤) بعدها في (ق): «هو».

(٥) في (ق): «هذا».

(٦) في (س): «الأخبار».

(٧) كذا في (ق)، وفي (د): «رسموا».

(٨) في حاشية (د): «الميض: جمع ميضة، أي: المستراح».

(٩) في (س): «كذا» بدون الواو.

(١٠) في (د): «فاشتروا».

(١١) انظر: «إنارة الفكر» للبقاعي (٨٩-٩٠).

(١٢) في (س): «يتبين».

مع نفسِك، وقد غرَّتكَ[١] حتَّى لا تشعُر؛ لأنّك معذورٌ[٢]؛ لأنك قد دلَّست[٣] عليك حبّ رسول الله ﷺ حتَّى قطعتَ في نفسكَ بمحبَّته القلبيّة، ولو قيل: [٣٢/ب] لا تُحِبُّه محبّةً صادقة لوجدتَ في نفسِكَ شيئًا؛ لأنّ نفسكَ هي التي دلَّسَت[٤] عليك محبَّتَه، فهذه أيضًا ممّا غرَّتكَ به.

فإذا سَمِعتَ بشخصٍ قد قِيلَ عنه: إنّهُ شيخٌ في هذه الطريقة، وله معارفُ وأحوالٌ سَنيّة، ولاحَت عليه أعلامُ اقتفاءِ[٥] أثر[٦] خير البريّة؛ أسرعتَ التوجُّهَ إليه، وأقبلتَ بقالَبِكَ وقلبِكَ[٧] إليه، فتجدُ من ذلك الشيخِ أمورًا تَظهَرُ أنّها في قالبِ الرَّحمة والشفقة، فتحلو لك مع أنّها ممقوتةٌ شرعًا عند العارفِ بالله وبرسولِه.

وسببُ حلاوتِه عندك أنّ الشيطان تخلَّى عنك في تلكَ الحالةِ من وسوَسةِ الفِكْرِ المُتعِب، فظنَنتَ أنّ ذلك حلاوةُ إيمانٍ وتحسينُ رحمان، وإنّما ذلك خديعةُ شيطان.

ثمَّ إنّك أيُّها المغرورُ لم يَزَل بك[٨] الشيطانُ والنفسُ الخداعةُ في تَحَبُّبِ[٩] تلك الأمور حتَّى صارَت لك ملَكةً[١٠]، ثمَّ ماتَ أقرانُكَ الذين هم صُلَحاءُ زمانِك، فانتَهَت المَشيَخةُ إليك، فسَلَكتَ سَنَنَ[١١] مَن اعتقدتَ أنّه وسيلةٌ

---

(١) في (س): «عدتك».
(٢) في (د): «مغرور».
(٣) في النسخ: «دست»، ولعل الصواب ما أثبت.
(٤) في (ق): «دست».
(٥) «اقتفاء» غير واضح في (د).
(٦) في (د): «آثار».
(٧) في (ق): «في قلبك».
(٨) «بك» ليس في (س).
(٩) كذا في (س)، وفي (ق) و(د): «تجنب».
(١٠) في (س): «مدكه».
(١١) في (س): «سير».

إلى الله، وإنّما هو سببُ هلاك المُريد، إنّا لله وإنّا إليه راجعون في هذهِ المَصائِب العِظام الجِسام.

إذا عَرَفتَ ذلك **أيُّها السالكُ المخدوعُ** بأنّه يسيرُ في **أسنَى المسالك** فحينئذٍ أنشُدُكَ الله الذي يعلمُ حقائقَكَ ودقائقَك، وهل تعرفُ معنى هذا الإنشاد، فإن عرفتَه وذُقتَ طعمَ معناه ذَوقًا قلبيًّا، حينئذٍ لا تُخدَعُ[١] فيما بينك وبين ما ناشدتُكَ به، وتعترفُ بأنّكَ مخدوعٌ مع نفسك، فإذا علمتَ خديعَتَها وتلبيسَها جاءَت العناية، وسَلَكتَ بمَنِّ الله تعالى وفَضلِه سبيلَ الرعاية، فرُعِيتَ وهُدِيت.

فأول[٢] شيءٍ أذكُرُه لك أيُّها المُتقشِّفُ الهارِبُ من نفسه إلى ربِّه، الذي[٣] مَضَت عليه أيام، بل شهورٌ وأعوامٌ، هل غابَت عنك شمسُ يوم حَفِظتَ فيه جوارِحَكَ ممّا كرِهَه الله عزَّ وجلَّ ونَهَى عنه، وقُمتَ فيه بما أوجَبَ الله[٤] عليك وافتَرَضَه في ظاهِرِكَ وباطِنِكَ في حقِّكَ وحقِّ غيرِكَ؟

فإن خدَعَتكَ وقالت: نعم، وهو بعيد، وهو[٥] من جُملةِ خديعةِ النفس إن ادَّعَت ذلك، فيُقالُ لك: فهذا لسانُك، تعلمُ أنّك لم تتكلَّم بكلمةٍ فيها سخطُ الله تعالى، أو سَكَتَّ عن كلمةٍ أوجَبَها الله تعالى، وكذلك يُقالُ لك في حقِّ سَمعِكَ وبَصَرِكَ وخُطاكَ وحركة يَدِكَ وجميعِ جوارِحِكَ.

فلو خَدَعتكَ نفسُكَ وقالت: قد مضى عليَّ يومٌ[٦] كذلك[٧]، فهل أنت

---

(١) في هامش (س): «لعله: تجزع».
(٢) «فأول» ليس في (ق) وموضعها بياض.
(٣) في (ق) و(س): «التي».
(٤) لفظ الجلالة ليس في (س).
(٥) «وهو» ليس في (د).
(٦) قوله: «عليّ يوم» ليس في (س) وموضعها بياض، ومكتوب على الحاشية: «لعله: عليك يوم».
(٧) في (د): «كذا».

[٣٣/أ] مستمرٌّ يا مخدوعُ على ذلك في جميعِ أيامِ[١] خَلواتكَ واجتماعكَ مع أقرانك، ويُقالُ لك: بالله، هل وجدتَ خِفّةَ سعيِكَ إلى المسجدِ الجامع؟ وهل هذه الخفّةُ تَجدُها عند سعيِكَ إلى المسجدِ الخفيِّ؟

وعلى تقدير وُجودِكَ لذلك مرّةً أو مرارًا، فهل تجدُ تلك الخفّةَ عند مَن إذا مَرَرتَ عليهم ويعرفونَ منكَ ما كان مكروهًا، هل تجدُ تلك الخفّةَ الحاصلة عند مَن يرى أنّك مُستجابُ الدعوةِ أم لا؟

فأين الخطوةُ الخالصة، تبًّا لك، ما أجهَلَكَ بغرَّتك! سَلَّمنا لك أن حَفِظتَ جوارِحَكَ بعد تقريرِكَ[٢] مع نفسِكَ أنّ الله مُطَّلعٌ عليك، فيا خسارَتكَ إن كُنتَ كاذبًا حتَّى على الله تعالى، يا ليتَكَ تركتَ هذا السلوكَ المُهلِك، سلَّمنا[٣] حمايةَ الله تعالى لك من آفاتِ جوارِحِك، فهل مضى على قلبك يومٌ وأنت حَذِرٌ من اطِّلاعِ الله تعالى على ما أضمَرَ قلبُك، وحَرَستَ هواك، فلم تَخطُر بقلبِكَ خطرةٌ يكرهُها الله تعالى من الرياءِ والتصنُّع؟

بالله لو دَخَلَ عليك مَن تَترجّاه، ووجَدَكَ على هيئة المُتوجِّه، هل تَجِدُ في نفسكَ حَلاوةَ دُخُوله عليكَ وأنت في هذه الحالة أو[٤] لا تَجِدُ ذلك؟

فهل تَجِدُ في نفسِكَ[٥] عدمَ كراهيةِ ذلك؟ مع أنّا قد ضَرَبنا عن مؤاخَذَتِكَ بما حَصَلَ في ضَميرِكَ من العُجب وسُوءِ الظنّ، وغير ذلك من الآفاتِ التي

---

(١) «أيام» ليس في (ق). (٢) في (س): «تقديرك».
(٣) «سلمنا» غير واضح في (د)؛ بسبب الرطوبة. (٤) في (د): «و».
(٥) قوله: «حلاوة دخوله عليك وأنت في هذه الحالة أو لا تجدُ ذلك؟ فهل تجدُ في نفسك» ليس في (س).

قد تَخفَى عن السرِّ[١] الخفيّ، فإن كنتَ لا تعرفُ ذلك فكيفَ[٢] تَدَّعي عدمَ خَديعةِ نفسِكَ به، والعِلمُ بالشيءِ فرعُ تَصوُّرِه[٣].

لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله من أفعال المُفتَرين، وهُم يَظنُّونَ بغرَّتهم أنّهم إليه بها[٤] واصِلُون، **فأين السالِكُ** الخالِصُ من[٥] آفات الجوارحِ وذُنوبِ الضمائر.

بل واللهِ لو جَلستَ إلى شخصٍ تعتقدُ في نفسِكَ أنّه يرى أنّكَ من الصادقين في السلوكِ فلَم يَهشَّ لك، وأظهرَ لقرينِكَ[٦] المَودّةَ أكثرَ منكَ؛ لوجدتَ في نفسِك، ولو راسَلَك شخصٌ فيه لَتَبعتَه[٧]، وعلى تقديرِ ألّا تُراسِلَه لم تَجِد في نفسِكَ كراهيةَ ذِكره بذلك[٨].

بل أنا خائفٌ عليك أن تُظهِرَ الكَراهةَ وقلبُكَ لا يَجِدُ موافَقةَ اللفظ، فيا لها من فِتنة، المُتجاهِرونَ بالمعاصي خيرٌ منكَ؛ لأنّهم يَرَونَ التقصيرَ في جانب الله تعالى، وأنت ترى التقصيرَ في جانب نفسِك، فأنت عبدُها وتَدَّعي أنّ حُكمَكَ عليها، هذه قضيّةٌ كُلُّها بَلِيّة[٩].

تُب يا مَن خَسِرَ أعزَّ الأشياء، إنّ هذه لَصفقةٌ خاسرة، فيا مغرور، أنت تزدادُ بسلوكِكَ كثرةَ الذنُوب/ والبُعدَ عن المحبوب، ارجِع إلى نفسك، وقُل: تعالَي [٣٣/ب] أُحاكمكِ أنتِ من حين البلوغ إلى هذا الأوان سَلِمتِ من الآفاتِ والخَطَراتِ؟

---

(١) في (د): «السير».
(٢) «فكيف» ليس في (د).
(٣) في (س): «لصوره».
(٤) «بها» ليس في (د).
(٥) في (س): «من».
(٦) في (ق): «لقرنك».
(٧) في (د): «لتبعنه».
(٨) «بذلك» ليس في (د).
(٩) في (س): «بينة».

هيهاتَ هيهات، إنّ السلامةَ من ذلك فرعُ[١] العلمِ بكتاب الله تعالى وسُنّةِ رسولِه ﷺ؛ لأنّ الطاعةَ ودفعَ المخالفةِ لا تُعلَمُ إلّا بهما، فمن أينَ النجاةُ! لأنّ[٢] الطاعةَ سبيلُ النجاة، والعلمُ هو الدليل، فمَن لا عِلمَ له لا طاعةَ له، ومَن لا طاعةَ له لا ورَعَ له، ومن لا ورَعَ له لا تقوَى له، ومن لا تقوى له لا مُحاسَبةَ له لنفسه، ومن لا مُحاسَبةَ له لنفسه فلا خوفَ له، ومَن لا خوفَ له لا مُبالاةَ له، ومن لا مُبالاةَ له لا مَعرِفةَ له، ومن لا مَعرِفةَ له فهو غارِقٌ في بحرِ الجَهالات، تَغُطُّه الأمواجُ تارة، وترفعُه أُخرى، ومَنْ هذه حالُه[٣] كيفَ تَسلَمُ جوارِحُه من الشبُهات والتَّبِعات؟ وكيف يَخلو ضميرُه عن السوء والخَطَرات؟ هيهاتَ هيهات هيهات[٤]، ما يَسَعُنا إلّا حِلمُ مُوجِدِ[٥] الكائِنات، والله أعلم.

وإذا تحقَّقتَ من نَفْسِكَ وقُوعَكَ في بعضِ هذه الآفات فبادِر بالإنابةِ إلى عالم الطَّوِيّات، واجأرْ[٦] إليه في حِندِسِ الظُّلُمات، وإيّاكَ مع عِلمِكَ بما أنتَ عليه أن تُنَصِّبَ نفسَكَ شيخًا مُربِّيًا، فتكون قد تعاطيتَ سببَ مَقتِك، وما يُدريكَ أنّ الله عزَّ وجلَّ قد اطَّلَعَ عليك وعلى سريرَتِكَ التي هي خلافُ لفظِكَ وسَمْتِكَ وزِيِّكَ فقال: اذهَب لا غَفَرتُ لك، فتَهلِك هلاكَ الأبد[٧].

ولقد كان السلفُ رضي الله عنهم يهرُبُونَ[٨] ممّا هو دونَ ذلك؛ خوفًا ممّا أشَرنا إليه؛ للآياتِ والأخبار الدالّة على ذلك.

---

(١) في (س): «قرع».
(٢) «لأن» ليس في (س).
(٣) في (س): «حالته».
(٤) كذا في (س) و(د)، وفي (ق): «هيهات هيهات».
(٥) في (س): «موجب».
(٦) في (س): «واجرأ»، وفي (د): «والجأ».
(٧) قوله: «فتهلك هلاك الأبد» ليس في (س).
(٨) في (س): «يهبون».

قال سفيان: «جلسنا[١] إلى عُبَيدِ الله[٢] بن عمر، فقال: ما أنا أهلٌ لأُحَدِّث[٣]، ولا أنتُم أهلٌ لأن تُحدَّثُوا، وما مَثلي ومَثلُكم إلّا كما قال الأوَّل: افتُضِحُوا فاصطَلَحُوا، لو أدرَكَنا عمرُ لأوجَعَنا ضربًا»[٤].



(١) في (د): «جلست». (٢) في (ق): «عبد الله».

(٣) في (د): «لأن أحدث».

(٤) هنا آخر ما في النسخة (س)، والأثر في: «العزلة» للخطابي (٩٣)، وفيه: «قال: سفيان بن عيينة: جلسنا إلى عبيد الله بن عمر فأحطنا به، فنظر إلينا فقال: شِنتُم العلم وذهبتم بنوره، لو أدركَني وإياكم عمر رضي الله عنه لأوجَعَنا ضربًا.

قال المظفري: وزادني غير عمرو: ما أنا أهل لأن أحدِّث، ولا أنتم أهل لأن تُحدَّثوا، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال الأول: افتضحوا فاصطلحوا». وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٨: ١٦٧).

فصل مهم

كثيرُ النفع عَظيمُ الوَقع، يَشتَمِلُ على ذِكر الأحباب وصفات ذَوي الألباب، ترى أحوالَهُم عجبًا، وترقُصُ من عُذوبةِ كلامِهم طَرَبًا، ويُنادي السالِكُ الصادقُ عند ذِكرِ صِفاتِهم: وا حربا.

* * *

[أبو بكر الصدِّيق]

[١٢] فأوَّلُ ما نبدأُ بذِكر رأس الأولياء: الصدِّيقُ رضي الله عنه وأرضاه[١].

وإنّما بدأتُ به؛ لأنّ اسمي باسم كُنيته، وأرجو ممَّن كَساهُ هذه الخِلعةَ السَّنيّةَ أن أكونَ صادقًا في محبَّته.

قال عمير بن إسحاق: خَرَجَ أبو بكرٍ رضي الله عنه وعلى عاتِقِه عباءة، فقالَ له رجلٌ: أرِني أكُفَّك، فقال: إليكَ عنِّي، لا تَغرَّني[٢].

[٣٤/أ] وَيحَك يا مخدوع! إذا كان هذا رأسُ الأولياء يَفزَعُ أن يُغَرَّ/ بمثل هذه الجزئيّة، فكيف حالُ مَن تُقبَّلُ يَدُه[٣] ويُحمَلُ مَتاعُه، ويُكرَمُ بأنواع كراماتِ أهل الجهالات؟

---

(١) انظر ترجمته في: «التاريخ الأوسط» (١: ٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٨٩)، و«وفيات الأعيان» (٣: ٦٤).

(٢) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٥٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٧)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٧).

(٣) في (د): «متاعه».

تنبّه[١] فكَأنِّي بكَ وقد شقَّ عليك أن يراكَ الناسُ في سوقٍ[٢] تشتري حاجَتك، وكأنِّي بكَ وقد اشتَرَيتَها، فبادَرَ أحدٌ لحَملِها فسُرِّيَ عنك ما كنت تجدُ من أَلَمٍ أن تُرَى أنّك حامِلُها، قبَّحَكَ الله على هذه الطَّويّة[٣]، فلو رأوا منك معصيةً كيف كان حالُكَ؟ هذه خجلتُكَ من المخلوقين، ولا تستحي من الخالق، وتغتَرُّ بأنّك على الطريقة وأنت مُبايِنٌ لها، بل فاسقٌ مطرودٌ على الحقيقة؛ لأنّ هذه صفةُ إبليس: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٤] [النحل: ٢٣]، القرآنُ ناطِقٌ بأنّ مَن تدَّعي محبَّتَه لا يُحبُّك، والأمرُ عليك معكوسٌ يا منكوسُ ظُلمةً فوقَ ظُلمة، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال عطاءُ بنُ السائب: «لمّا استُخلِفَ أبو بكرٍ رضي الله عنه أصبحَ غادِيًا إلى السوقِ وعلى رقَبَتِه أثوابٌ يَتَّجِرُ فيها، فلقِيَه عمرُ وأبو عُبَيدةَ رضي الله عنهما، فقالا: أين تُريدُ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ؟ قال: السوق، قالا: تصنعُ ماذا وقد[٥] وُلِّيتَ أمرَ المُسلمينَ؟ فقال[٦]: فمِن أين أُطعِمُ عيالي؟ فقال: انطلِق حتّى يُفرَضَ لك شيءٌ، ففُرِضَ له بُردانِ إذا أخلَقَهُما وضَعَهُما وأخذَ مِثلَهُما، وظهرًا[٧] إذا سافَر، ونفقةً على أهلِه كما كان يُنفِقُ قبلَ أن يُستَخلَف، فقال رضي الله عنه: رَضِيتُ»[٨].

---

(١) في (د): «تنبيه». (٢) في (د): «السوق».

(٣) في حاشية (ق): «بالفتح وتشديد الياء ضمير».

(٤) في النسخ: «إن الله لا يحب المتكبرين». (٥) في (د): «قد» بسقوط الواو.

(٦) في (ق): «قال». (٧) في حاشية (ق): «أي: جملًا».

(٨) انظر: «تلبيس إبليس» (٢٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٧)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٦).

وقيل: لمّا أصبحَ أخذَ رِزمةَ[١] متاعِه ودَخَلَ السوق، فكَرِه المسلمونَ ذلك، وقالوا: كيف تفعلُ ذلك وقد أُقِمتَ لِخِلافةِ النبوّة؟ فقال: لا تَشغَلوني عن عيالي؛ فإنّي إن أضَعتُهُم كنتُ لِما سِواهُم أضيَع، ففَرَضُوا له[٢].

وكان يقول: «أيُّها الناس، إنّما أنا مُتَّبِعٌ ولستُ بمُبتَدِع، فإن أحسنتُ فأعينُوني، وإن زِغتُ فقَوِّمُوني»[٣].

وَيحَك يا أحمق! هذا رأسُ الأولياء يقول: فإن زِغتُ فقوِّمُوني، وأنت ويلكَ يا مغرورُ[٤] مُنغَمِرٌ[٥] في الخَطَرات الشيطانيّة، ولو قادَكَ شخصٌ بآيةٍ من كتابِ الله لحَرِجَ[٦] صدرُك، كذبتَ في إيمانِك بالله، فضلًا عن طاعَتِك وسُلُوكِك.

وقال رضيَ الله عنه يومًا في خُطبَته: «إنّما أنا بشرٌ، ولستُ[٧] بخيرٍ من أحدٍ منكُم، فراعُوني، فإن رأيتُمُوني استقَمتُ فاتَّبِعُوني، وإن رأيتُمُوني زِغتُ فقوِّمُوني، واعلموا أنّ لي شيطانًا يَعْتَرِينِي[٨]، فإذا رأيتُمُوني غَضِبتُ فاجتَنِبُوني»[٩].

وخطبَ رضي الله عنه يومًا، فقال: «أمّا بعد؛ فإنّي أُوصِيكُم بتَقوى الله، وأن تُثنُوا عليه بما هو أهلُه، وأن تَخلِطُوا الرغبةَ بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف[١٠]

---

(١) في حاشية (ق): «الرِّزمة؛ بكسر الراء: ما يُحمل على الظهر من الثياب، وقيل: الرزمة الثياب المجموعة وغيرها، والفتح لغة فيه».

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» (٣: ٦٥)

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٩٨)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٦)، و«وفيات الأعيان» (٣: ٦٦).

(٤) قوله: «يا مغرور» ليس في (ق).

(٥) «منغمر» ليس في (د).

(٦) في (د): «لخرج».

(٧) في (ق): «فلست».

(٨) في (ق): «يقربني».

(٩) انظر: «المنتظم» (٤: ٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٨)، و«تاريخ الخلفاء» (٥٨).

(١٠) في (ق): «الإلحاق».

بالمسألة، فإنّ الله أثنى على زكريّا وأهلِ بيتِه، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي [٣٤/ب] ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثمَّ اعلَموا عبادَ الله، أنّ الله قد ارتَهَنَ بحقِّه أنفُسَكُم، وأخَذَ على ذلك مواثيقَكُم، واشترى منكُمُ القليلَ الفانيَ بالكثيرِ الباقي، وهذا كتابُ الله فيكُم، لا تَفنَى عجائبُه، ولا يُطفَأُ نُورُه، فصدِّقوا قولَه، وانتَصِحُوا لكتابِه، واستَضيئوا منه ليومِ الظُّلمة، وإنّما خَلَقَكُم لعبادَتِه، ووكَّلَ بكُم الكِرامَ الكاتبِينَ يَعلَمُونَ ما تَفعَلون.

ثمَّ اعلَموا عبادَ الله أنّكُم تَغدُونَ وتَروحُونَ في أجَلٍ قد غُيِّبَ عنكُم عِلمُه، فإن استَطَعتُم أن تنقضيَ الآجالُ وأنتُم في عملٍ فافعَلوا، ولن تَستَطيعُوا ذلك إلّا بالله، فتسابَقوا[1] في مَهَلِ آجالِكم قبلَ أن[2] تَنقضي آجالُكُم، فتَرُدَّكُم إلى أسوأ[3] أعمالِكُم.

إنّ أقوامًا جعلوا أحوالَهُم لغيرِهم، ونسوا[4] أنفُسَهم، فأنهاكُم أن تكونوا أمثالَهُم، الوحا الوحا[5]، النجا النجا[6]، إنّ وراءكُم طالبًا حثيثًا[7]، أمرُه سريع»[8]، والله أعلم.

---

(١) في (د): «فسابقوا».
(٢) «أن» ليس في (د).
(٣) في (د): «سوء».
(٤) في (ق): «دنسوا».
(٥) في حاشية (ق): «الوحاء: بمعنى السرعة». انظر: «جمهرة اللغة» (١: ٢٣١)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢: ١٩).
(٦) في حاشية (ق): «النجاء: بمعنى السرعة أيضًا». انظر: «المحكم» (٧: ٥٥٧)، و«لسان العرب» (٣: ١٢٣).
(٧) في حاشية (ق): «حثيث: بمعنى السرعة. أي: سريع في سريع». انظر: «المحيط» (١: ١٥٧)، و«الصحاح» (١: ٢٧٨).
(٨) انظر: «المنتظم» (٤: ٦٩-٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٩)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٣: ١٠٧).

قال سيفُ بنُ عمر: «كان سببَ موتِ الصدِّيق وفاةُ رسولِ الله كمدًا عليه، فما زالَ جسمُه يَضْوِي[1] حتَّى ماتَ»[2]، والكَمَد: الحزنُ المكتُومُ[3].

ولمّا عادَه الناسُ في مرضه قالوا له: ألا ندعو لك طبيبًا ينظُرُ إليك؟ فقال: قد نَظَرَ إليّ، قالوا: وما قال لك؟ قال: إنّي فعّالٌ لما أُريد[4].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ماتَ أبو بكرٍ وعليه ثوبٌ فيهِ[5] ثلاثَ عشرةَ رُقعةً بعضُها من أدَم، أي: من[6] جِلدٍ[7].

وكان رضي الله عنه يقولُ عن لسانه: «هذا الذي أورَدَني المَوارِدَ»[8]، ويقول: «ليتني شجرةٌ تُعضَد»[9].

وسأل عمرُ رضي الله عنه امرأةَ[10] الصدِّيقِ عمّا كان يعملُ في بيتِه، فأخبَرَته بقيامه بالليل وغيره، وكان يتوضَّأُ ويَجلِس، ويَضَعُ رأسَهُ على رُكبَتَيه، فإذا كان

---

(١) في (د): «يجري»، وفي (ق): «يحري».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٩٩)، و«تاريخ الخلفاء» (٦٥)، و«سمط النجوم» (٢: ٤٦٥).

(٣) انظر: «الصحاح» (٢: ٥٣١)، و«لسان العرب» (٣: ٣٨١)، و«القاموس المحيط» (٣١٥)، و«تاج العروس» (٩: ١١٣).

(٤) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ١٩٠)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٣: ١١٩)، و«تاريخ الخلفاء» (٦٦).

(٥) قوله: «ثوب فيه» ليس في (ق).

(٦) «أي: من» ليس في (د).

(٧) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١: ١٩٥).

(٨) انظر: «الزهد» لوكيع (٥٥٦)، و«إحياء علوم الدين» (٣: ١١١)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٦).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٩٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٣٩).

(١٠) في (د): «لامرأة»، وفي (ق): «لمرأة».

وقتُ السَّحَرِ رَفَعَ رأسَه وتنفَّسَ الصعَداء، فنشُمُّ في البيت روائحَ كبدٍ مشويّة، فبَكى عمر، وقال: أنَّى لابن الخطّاب بكبدٍ مشويّة[1]!

وكان رضي الله عنه يقول: إني واللهِ لا أدَعُ أمرًا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يصنعُه إلّا صنعتُه، وإنّي أخشَى إن تركتُ شيئًا من أمرِه أن أزِيغَ[2].

قال أبو عمرانَ الجَونيّ: «قال الصدِّيق: لَوِدتُ أنّي شعرةٌ في جنب عبدٍ[3] مؤمنٍ»[4].

ولمّا مَرِضَ مَرَضَه الذي ماتَ فيه قال لعائشةَ رضي الله عنها: «يا بُنيّة، انظُري ما زادَ في مال[5] أبي بكرٍ منذ وُلِّينا هذا الأمرَ ورُدِّيه على المُسلمين، فوالله ما نِلنا[6] من أموالِهم إلّا ما أكَلنا في بُطونِنا من جَرِيش الطعام[7]، ولَبِسنا على ظُهُورِنا من خَشِن ثيابِهم، فنَظَرَت فإذا بكَرٌ وجَرْدٍ/ قطيفةٍ لا تُساوي [٣٥/أ] خمسةَ دراهم، فلمّا جاءَت الخلافةُ[8] إلى عمر، قال عبدُ الرحمن بنُ عوف: أتَسلُبُ هذا ولدَ أبي بكرٍ؟ قال عمر: ورَبِّ الكعبةِ لا يتأثَّمُ بها أبو بكرٍ في حياتِه وأتَحمَّلُها بعد موته، رَحِمَ الله أبا بكر، لقد كلَّفَ مَن بعدَه تعبًا[9].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١: ١٩٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٧٢٦)، و«صحيح مسلم» (١٧٥٩).

(٣) «عبد» ليس في (د).

(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٥٦٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٣٩).

(٥) «في مال» ليس في (د). (٦) في «المعارف»: «نابنا».

(٧) جريش الطعام: غليظه، وجرشت الشيء: إذا لم يُنعم دَقّه، وملح جريش: لم يطيب. انظر: «الرياض النضرة» (١: ٢٠١).

(٨) «الخلافة» ليس في (ق).

(٩) انظر: «المعارف» (١: ١٧١)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ٧٠).

وقد ذكرتُ جملةً مفيدةً تتعلَّقُ بذلك في كتاب: «**قمع النفوس**»، وهو كتابٌ كثيرُ النفع، عَظيمُ الوقعِ إن شاءَ الله تعالى.

توفِّيَ رضي الله عنه في جُمادى الآخرة سنةَ ثلاثَ عشرةَ من الهجرة، وعمرُه ثلاثٌ وستُّونَ سنة، رضي الله عنه[١]، وقد اقتصَرنا على نقطةٍ من سيرَتِه، واللهُ أعلم.

❊ ❊ ❊

[عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

[١٣] **ومنهم**: أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه[٢].

وهو أوَّلُ مَن سُمِّي أميرَ المؤمنين، وهو من المُهاجرينَ الأوَّلين، وصلَّى إلى القِبلَتَين، وشَهِدَ بدرًا وبيعةَ الرضوانِ وجميعَ المشاهدِ كُلِّها[٣] مع رسول الله ﷺ، وأعزَّ الله به الإسلام، وتُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو عنه راضٍ[٤].

وكان سبب إسلامِه رضي الله عنه أنّه خرجَ يومًا يتعرَّضُ للنبيِّ ﷺ، فوجدَه قد سبقَه إلى المسجد، قال عمر: فقُمتُ خلفَه ﷺ، فاستفتحَ سورةَ الحاقّة، فجعلتُ أعجَبُ من تأليفِ القرآن، قال: فقلت: هذا والله[٥] شاعِرٌ كما قالت

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» (٣: ٦٥)، و«طبقات علماء الحديث» (١: ٧٨)، و«تاريخ ابن الوردي» (١: ١٣٦).

(٢) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١١٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٩)، و«المنتظم» (٤: ٣٢٩).

(٣) «كلها» ليس في (ق).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١١٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٩)، و«المنتظم» (٤: ٣٢٩).

(٥) في (د): «والله هذا».

قريش، فلمّا قرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، قلت: كاهنٌ، فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٢-٤٣]، قال: فوقعَ الإسلامُ في قلبي كلَّ موقع[١].

وفي روايةِ أنَس: خرجَ عمرُ مُتقلِّدًا السيف، فلَقِيَه رجلٌ من بني زهرة، فقال: أين تَعمِدُ يا عمرُ؟ قال: أُريدُ أن أقتُلَ محمَّدًا، فقال: فكيفَ تأمَنُ من بني زهرةَ وبني هاشمٍ وقد قتلتَ محمَّدًا؟ فقال له عمر: ما أراكَ إلّا قد صبأتَ وتركتَ دينَكَ الذي كنت عليه، قال: أفلا أدُلُّكَ على العجب؟ إنّ أُختَكَ وخَتنكَ[٢] قد صَبَوَا[٣]، وتَركا دينَك، فمَشى عمرُ حتَّى أتاهُما وعندهُما خبّاب، فلمّا سَمِعَ خبّابٌ حِسَّ عمرَ توارَى في البيت، فدَخَلَ عليهما فقال: ما هذه الهينمةُ[٤] التي سَمِعتُها عندكم؟ وكانوا يقرؤون ﴿طه﴾ [طه: ١]، فقالا: ما عدا حديثنا[٥] تحدَّثناه بيننا، فقال: لعلَّكُما قد صَبوتُما، فقال له خَتَنُه: أرأيتَ يا عمرُ إن كان الحقُّ في غيرِ دينكَ؟ فوثَبَ عمرُ على خَتنِه فوطِئَه وطئًا شديدًا، فجاءَت أُختُه فدفَعَته عن زوجِها، فنفَحَها نفحةً بيده فدمَّى وجهها، فقالت: وهي غَضبَى: يا عمر، إن كان الحقُّ في غير دينكَ؛ أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله وأشهدُ أنّ محمَّدًا رسولُ الله، فلمّا

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠١)، و«مرآة الزمان» (٣: ١١٤).

(٢) في حاشية (ق): «أي: زوج أختك». (٣) في «التبصرة»: «صبآ».

(٤) الهينمة: الصوت الخفي، وهو شبه قراءة غير بينة. انظر: «العين» (٤: ٦٠)، و«الصحاح» (٥: ٢٠٦٢)، و«النهاية» (٥: ٢٩٠)، و«لسان العرب» (١٢: ٦٢٣)، و«القاموس المحيط» (١١٧٢).

(٥) في (ق): «حديثًا».

[٣٥/ب] تَبيَّنَ[1] عُمرُ[2]؛ قال: أعطوني هذا الكتابَ الذي عندكُم فأقْرَأهُ ـ وكان عمرُ يقرأُ الكُتبَ ـ فقالت أختُه: إنّك رجس، ولا يمسُّه إلّا المطَّهرون، فقُم واغتَسِل[3] أو توضَّأ، فقامَ فتوضَّأ[4]، ثمَّ أخذَ الكتابَ فقرأ: ﴿طه﴾، حتَّى أتى إلى قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، فقالَ عمر: دلُّوني على محمَّدٍ ﷺ.

فلمّا سَمِعَ خبّابٌ قولَ عمرَ خَرَج، فقال: أبشِر يا عمر؛ فإنّي واللهِ أرجو[5] أن تكونَ دعوةُ رسول الله ﷺ لك ليلةَ الخميس: «**اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلامَ بعمرَ بن الخطاب، أو بعمرِو بن هشام**»، قال: ورسولُ الله ﷺ في الدار التي في أصل الصَّفا، فانطلقَ عمرُ حتَّى أتى الدارَ وعلى بابها حمزةُ وطلحةُ وناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فوَجِلَ القومُ منه، فلمّا رأى حمزةُ وجَلَهُم من عمر، قال حمزة: إن يُرِد الله به خيرًا يُسلم، وإن يُرِد غيرَ ذلك يَكُن قتلُه علينا هيِّنًا[6].

قال: والنبيُّ ﷺ داخِلَ يُوحَى إليه، فخَرَجَ رسولُ الله ﷺ حتَّى أتى عمر، فأخذَ بمجامعِ ثَوْبه وحمائِلِ سَيْفِه، فقال: «**أما أنت مُنتَهٍ يا عمرُ حتَّى يُنزِلَ الله بك من الخِزي والنكال ما أنزَلَ بالوليدِ بن المُغيرة، اللهُمَّ اهدِ عمرَ بنَ الخطّاب، اللهُمَّ أعِزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطّاب**»، فقال عمر: أشهد أن لا إلهَ إلّا الله وأنّك رسولُ الله، وقال: اخرُج يا رسولَ الله[7].

---

(١) في «التبصرة»: «يئس».
(٢) «عمر» ليس في (د).
(٣) في (ق): «فاغتسل».
(٤) في (د): «وتوضأ».
(٥) في (ق): «أرجو الله».
(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٢٦٧).
(٧) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ٤٢٢-٤٢٣)، و«المنتظم» (٤: ١٣٣-١٣٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٢).

وفي رواية: فأخذَ رسولُ الله ﷺ بمَجامِع ثَوْبِه، فما تَمالَكَ أن وقَعَ على رُكبَتَيه، فلمّا أسْلَم كبَّرَ أهلُ الدّارِ تكبيرةً سَمِعَها أهلُ المسجد.

ثمَّ قال عمر: يا رسول الله، ألَسْنا على الحقِّ إنْ مِتْنا وإنْ حَيينا، قال: «**بلى والذي نفسي بيده، إنّكُم على الحقِّ إن مِتُّم وإن حَيِيتُم**»[١]، فقلت: فَفِيمَ[٢] الاختفاء؟ والذي بعَثَكَ بالحقِّ لنخرُجَنَّ[٣]، فأخرَجناه في صَفَّين؛ حمزةُ في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديدٌ كَكَديد الطحين حتَّى دَخَلنا المسجد، قال: فنَظَرَت إليَّ قريشٌ وإلى حمزة، فأصابَهم كآبةٌ لم يُصِبهُم مثلُها، فسمّاني رسولُ الله ﷺ يومئذٍ: الفاروق[٤].

قال صُهَيبٌ رضي الله عنه: لمّا أسلمَ عمرُ رضي الله عنه جَلَسنا حولَ البيت حِلَقًا، وطُفنا وانتَصَفنا ممَّن غَلَّظَ علينا.

وحصلَ له رضي الله عنه بدعوةِ النبيِّ ﷺ من الإيمان، ما إذا سَلَكَ فجًّا سَلَكَ الشيطانُ فجًّا غيرَه، كما جاءَ في «**الصحيحين**»[٥]، وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**أشَدُّ أُمَّتي في أمر الله عمر**»[٦].

---

(١) «حلية الأولياء» (١: ٤٠)، و«دلائل النبوة» لأبي نعيم (١٩٢).

(٢) في (د): «ففيما». (٣) في (د): «لتخرجن».

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٢٧٢).

(٥) «صحيح البخاري» (٣٢٩٤)، و«صحيح مسلم» (٢٣٩٦).

(٦) «جامع الترمذي» (٣٧٩١)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨١٨٥)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٤). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وانظر: «سمط النجوم العوالي» (٢: ٤٩٤)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٠٣)، و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (١: ٢٠٣).

قال بعضُهم: «كانت[١] دِرّةُ عمرَ أهيبَ من سيفِ الحَجّاج»[٢].

[٣٦/أ] وكان تَخافُه ملوكُ فارسَ والروم وغيرُهم، ولمّا وُلِّيَ بقيَ على حالِه قَبلَ الولايةِ في لِباسِه وزِيِّه وأفعالِه وتواضُعِه، يسيرُ مُفرَدًا في حَضَرِهِ وسَفَرِهِ بلا حرسٍ ولا حُجّاب، لم تُغيِّره الإمارة، ولم يَستَطِل على مؤمنٍ بلسانه، ولا حابَى أحدًا في الحقِّ؛ لمَنزِلَته، لا يَطمَعُ الشريفُ في حَيفِه، ولا يَيأسُ الضعيفُ مِن عَدلِه، ولا يخافُ في الله لومةَ لائم، نَزَّلَ نفسَه من مال الله تعالى منزلةَ رجُلٍ من المُسلمين، وكان وقّافًا عندَ كتاب الله تعالى، ولم يَزَل مُقتَفِيًا آثارَ النبوّةِ رضوانُ الله عنه.

قالت له حفصةُ رضي الله عنها: لو لَبِستَ ثوبًا هو ألينَ من ثَوبِك، وأكلتَ طعامًا أطيبَ من طعامِك، فقد وسَّعَ الله تعالى من الرزق وأكثرَ من الخير، فقال: إنّي سأُخاصِمُك إلى نَفسِك، أما[٣] تَذكُرينَ ما كان رسولُ الله ﷺ يَلقَى من شدّةِ العيش؟ فما زال يُذكِّرها حتّى أبكاها[٤].

وفي رواية: يا بُنيّة، كيف رأيتِ عيشَ رسول الله ﷺ، قالت: واللهِ يُقيمُ الشهرَ لا يُوقَدُ في بيتِه سراج، ولا يَغلي له قِدر، ولقد كانت له[٥] عباءةٌ يَجعَلُها غطاءَه وغطاءَنا[٦].

---

(١) «كانت» غير واضحة في (د)؛ بسبب الترميم.

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٢٨٠)، و«وفيات الأعيان» (٣: ١٤)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣١٤).

(٣) في (د): «ما».

(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٦٦٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٢٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٦).

(٥) «له» ليس في (ق).

(٦) في «الرياض النضرة»: «غطاء ووطاء».

فقال: كيف كان عيشُ صاحبِه؟ قالت: مثلُ ذلك، قال: فما تَقولِينَ في ثلاثةِ أصحابٍ مضى اثنانِ على طريقةٍ واحدة، وخالفَهُما الثالث، أفيَلحَقُ بهما؟ قالت: لا، فقال: أما والله لَأُشارِكَنَّهُما في مثل عَيشِهما الشديد؛ لَعلِّي أُدرِكُ عَيشَهما الرخيَّ[١].

وقال في قضيّةٍ أُخرى: «إنّه مضى لي صاحِبان عَمِلا عَمَلًا وسَلَكا طريقًا، إنّي إن عَمِلتُ بغير عَمَلِهما سُلِكَ بي غيرُ طَريقِهما»[٢].

قال ولدُه عبدُ الله: «لَبِسَ عمرُ قميصًا جديدًا، ثمَّ دَعا بالشفرة ثمَّ قال: مُدَّ يا بُنيَّ كُمَّ القميص، وألصِق يدكَ بأطراف أصابعي، ثمَّ اقطَع، فقطَعتُ كما قال، ثمَّ قلت: إنّه لو سَوَّيتَه؟ فقال: يا بُنيّ، دَعه هكذا، رأيتُ رسول الله ﷺ قد فعَل، فما زالَ عليه حتَّى تَقَطَّع، وربَّما كانت الخيوطُ تنتَثِرُ على قدميه»[٣].

قال قتادة: «كان عمرُ يلبسُ وهو أميرُ المؤمنينَ جُبّةً من صوفٍ مُرقَّعة، بعضُها من أدَم، ويَطُوفُ في الأسواق وعلى عاتِقِه الدِّرّةُ يُؤدِّبُ الناسَ بها، ويَمُرُّ بالنّكثِ والنوى فيَلتَقطَه[٤] ويُلقيه في منازل الناس؛ ليُغزَلَ ثانيةً»[٥].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٣٧).

(٢) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٣٨).

(٣) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٣٨)، و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (٢: ٥٧٠).

(٤) في (د): «فيلقطه».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٠٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة (٢: ٣٦٧-٣٦٨).

والنكث: الغزلُ المنقوض، سواءٌ كان من القُطن أو الأكسية[١].

وقال أنسٌ: «لقد رأيتُ بين كَتِفَي عمرَ أربعَ رِقاعٍ في قميصٍ»[٢].

وقال الحسن: «خَطَبَ عمرُ الناسَ وهو خليفةٌ وعليه إزارٌ فيه اثنا عَشَرَ رُقعةً»[٣].

وكان رضي الله عنه يأكُلُ خُبزَ الشَّعِير، ويَأتَدِمُ بالزَّيت، ويَلبَسُ المَرقُوع، ويَخدِمُ نفسَه.

[٣٦/ب] قال ابنُ أبي مُلَيكة: «بينا عُمَرُ وُضِعَ له طعامٌ فقيلَ له: هذا عُتبةُ بنُ فَرقَدٍ بالباب، فأذِنَ له، فلمّا دَخَلَ وجَدَ بين يدَيهِ طَعامًا وزَيتًا، فقال: أَصِبْ مِن هَذا، فذهبَ يأكُلُ فإذا هُوَ بطَعامٍ جَشبٍ[٤] لا يستطيعُ أن يُسِيغَه، فقال له عُتبة: هَل لَكَ في طعامٍ يُقالُ له: الحُوّارَى[٥]، قال عمر: وَيلَك! ويَسعُ ذلك المُسلمينَ؟ قال: لا والله، فقال: يا عُتبةُ[٦]، أفأَرَدتَ أن آكُلَ طَيِّباتي في حياتي الدنيا وأستمتعَ بها؟»[٧].

---

(١) انظر: «مجمل اللغة» (٨٨٤)، و«مقاييس اللغة» (٥: ٤٧٥).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٢٦٨).

(٣) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٦)، و«مختصر منهاج القاصدين» (٣٢٧).

(٤) في «تاريخ دمشق»: «خشب».

(٥) الخبز الحُوّارى؛ بضم الحاء وتشديد الواو: الذي نُخِل مرّة بعد مرة. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١: ٤٥٨).

(٦) في (د): «يا أبا عتبة».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٢٩٥-٢٩٦)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٥)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٢٦٨).

والجَشبُ: الغليظ، يعني الخَشن[١].

وفي رواية: فقال عمر: سَمِعتُ الله[٢] عَيَّرَ أقوامًا، فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[٣] [الأحقاف: ٢٠].

وكان يقول: «إيّاكَ واللحمَ؛ فإنّ له ضَراوةً[٤] كضراوةِ الخمر»[٥].

وكان يقول: «لا تَنخُلُوا الدقيقَ فإنّه كلَّه طعامٌ»[٦].

وجَعَلَ مرّةً يأكُلُ ويقول لجُلسائه: «لتأكُلوا، فجَعَلنا نعتذرُ[٧]، فقال: ما لَكُم لا تأكُلُونَ؟ فقلنا: لا نأكُله؛ لأنّهُ كان خشِنًا»[٨].

قالت حفصةُ رضي الله عنها: «دَخَلَ عمر فقَدَّمتُ[٩] إليه مرقةً باردة، وصببتُ عليها زيتًا، فقال: إدامان في إناءٍ واحد! لا أذوقُه أبدًا حتَّى ألقَى الله تعالى»[١٠].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٧: ٤٤)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (١: ٢٧٢)، و«لسان العرب» (١: ٢٦٦).

(٢) قوله: «سمعت الله» ليس في (د).

(٣) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» (١٨: ٣٢٨)، و«حياة الصحابة» (٢: ٥٦٥)، و«تزكية النفوس» (٦٠).

(٤) في حاشية (ق): «الضراوة؛ بالفتح: عادة وممارسة، أي: عادة كعادة الخمر في إفساد المال والإسراف فيه». انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٥: ٣٤٦)، و«تهذيب اللغة» (١٢: ٤٠)، و«الصحاح» (٦: ٢٤٠٨).

(٥) انظر: «الزهد» للمعافى (٢٦٢)، و«الآداب الشرعية والمنح المرعية» (٢: ٤٣٠).

(٦) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٧).

(٧) في (ق) و(د): «نعذر».

(٨) في (د): «لأنه خشن». وانظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٧).

(٩) في (د): «فقدمنا».

(١٠) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٧).

قال عبدُ الله ابنُه: «دَخَلَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ[١] ونحنُ على مائدة، فأوسَعتُ له عن صدر المجلس، فقال: بسم الله، ثمَّ أخذ بيده لُقمةً[٢]، ثمَّ ثنَّى بأُخرى، ثمَّ قال: إنّي لأجِدُ طعمَ دَسَمٍ غيرِ[٣] دَسَم اللحم، فقال عبدُ الله: يا أميرَ المُؤمنين، إنّي خَرَجتُ إلى السوق أطلبُ السَّمينَ فوجدتُهُ غاليًا، فاشتريتُ بدرهمٍ من المهزول، وجعلتُ عليه سَمْنًا.

فقال عمرُ رضي الله عنه: ما اجتَمَعا عند رسول الله ﷺ إلّا أكَلَ أحَدَهُما وتصدَّقَ بالآخَر، فقال ولدُه عبدُ الله: يا أميرَ[٤] المُؤمنين، فلن يَجتَمِعا عندي أبدًا إلّا فعلتُ ذلك»[٥].

ولمّا فتَحَ العراقَ وحُمِلَت إليه خزائنُ كِسرى، قال له صاحبُ بيتِ المال: «ألا نُدخِلُه بيتَ المال؟ فقال: لا والله، ولا يَأوي تحتَ سقفٍ حتَّى أُقَسِّمَه، فكَشَفُوا عَنِ الأموالِ فرأى منظرًا عظيمًا من الذَّهَبِ والجَوهَر، فقال: إنّ الذي أدَّى هذا لَأمين، فقالوا: أنت أمينُ الله، وهم يُؤَدُّونَ إليك ما أدَّيتَ إلى الله، فإذا زِغتَ زاغُوا، فقَسَّمَه ولم يأخُذ منه لنفسِهِ شَيئًا»[٦].

قال ابنُ أبي كثير: «قال عمرُ رضي الله عنه: لو نادى مُنادٍ من السماء: يا أيُّها الناس، لا يَدخُلُ النارَ إلّا رجلٌ واحد، لَخِفتُ أن أكُونَ أنا ذَلكَ الرجُل»[٧].

---

(١) «عمر» ليس في (ق).

(٢) قوله: «ثم أخذ بيده لقمة» في (ق): «ثم ضرب بيده في لقمة».

(٣) قوله: «دسم غير» ليس في (د). (٤) في (د): «أينه يا أمير».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٠٢)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٧).

(٦) «معرفة السنن والآثار» (١٣١٩٦)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦: ٥٨١).

(٧) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٣)، و«البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣: ١٢٦٥).

قال عبدُ الله بنُ عامرٍ رضي الله عنه قال: «رأيت عمرَ أخَذَ تِبنةً من الأرضِ وقال: يا لَيتَنِي كُنتُ هذه التِّبنة، لَيتَنِي لَم أُخلَق، ليتَ أُمِّي لَم تَلِدنِي، لَيتَنِي لَم أكُن شَيئًا، لَيتَنِي كُنتُ نَسيًا مَنسِيًّا»[1]. [٣٧/أ]

قال عبدُ الله بنُ عيسى: «كان في[2] وجهِ عمرَ خطَّانِ أسودان من البكاء»[3].

قال الحسن: «كان عمرُ يبكي في وِردِه حتى يَخِرَّ على وجهه، ويبقى في بيتِه أيّامًا يُعادُ من الخوف»[4].

قالت أمُّ سلمة: دخلَ عليَّ عبدُ الرحمن بنُ عوف، فقال: يا أمَّه، قد خشيتُ أن يُهلِكَني كثرةُ مالي، فقالت: يا بُنيّ، تصدَّق؛ فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ مِن أصحابي مَن لا يراني بعدَ أن أُفارقَه**»، فخرج عبدُ الرحمن، فلَقِي عمرَ فأخبره بذلك، فجاء عمر، فدخلَ عليها، فقال: بالله، أنا منهم؟ قالت: لا، ولن أقولَ لأحدٍ بعدك[5].

وفي رواية: فأتاها يشتدُّ وهو مُسرِع، فقال لها: أنشُدُك بالله، أنا منهم؟ فقالت: لا، ولن أبرِّئَ بعدك أحدًا أبدًا[6].

---

(١) انظر: «المنتظم» (٤: ١٤١)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٢٧٠)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٣).

(٢) في (د): «على».

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٣٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٧)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٧٧).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٣٢)، و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (٢: ٦١٦).

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٢: ٨٤٨-٨٤٩)، و«الجامع الصحيح للسنن والمسانيد» (٢: ٣٠٩).

(٦) انظر: «الاستيعاب» (٢: ٨٤٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٠٧)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٤).

وقرأ يومًا: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، حتَّى بلغ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، فخرَّ مغشيًّا عليه، وبقي أيامًا يُعاد(١).

قال أنس: «رأيتُ عمرَ دخل حائطًا، فسمعته من وراء الجدار وهو يقول: واللهِ لتتقِيَنَّ بُنَيَّ(٢) الخطاب أو ليُعذِّبنَّك، ما صنعت كذا، ما صنعت كذا، ثم يضرب ظهرَه بالدِّرّة»(٣).

قال سلمةُ بنُ سعيد: «أُتِي عمرُ بمال، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عوف: يا أميرَ المؤمنين، لو حبستَ هذا المالَ في بيت المال لنائبةٍ أو أمرٍ(٤) يحدث؟ فقال: أعصي الله العامَ مخافةَ قابلٍ؟ أُعِدُّ لهم تقوى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ويكون فتنةً على مَن بعدي»(٥).

وأُتي بمِسك، فأُمِرَ به فقُسِّمَ بين المسلمين، فسَدَّ أنفه، فقيل له في ذلك؟ فقال: وهل يُنتفَع إلّا بريحه(٦)؟

ودخل يومًا على زوجتِهِ فوجد معها ريحَ المِسك، فقال: ما هذا؟ فقالت(٧): إنّي بِعتُ مِسْكًا من بيتِ المال، ووَزَنتُ بيدي، فلمّا وزنتُ مسحتُ أصبعي

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ١٨٤)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٥).
(٢) في (د): «يا بن».
(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١١)، و«ذم الهوى» (٤١)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٦).
(٤) في (د): «وأمر».
(٥) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٦).
(٦) انظر: «الرياض النضرة» (٢: ٣٧٨).
(٧) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

في قِناعي، فقال: ناوِلنِيه، فأخذه فصبَّ عليه الماء، فلم يَزَل يَدلُكه في التراب ويصبُّ عليه الماء حتى ذهب رِيحُه.

وكان إذا قِيلَ له: اتَّقِ الله. فَرِحَ وشَكرَ قائِلَه، وكان يقول: رحم الله امرًا أهدَى إلَينا عُيُوبَنا(١).

قال زيدُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه: «رأيتُ على عمرَ مُرَقَّعةً فيها سبعَ عشرةَ رُقعةً، فانصرَفتُ إلى بيتي باكيًا، ثمَّ عُدتُ في طَريقِي فوجدت عمرَ وعلى عاتِقِه قِربةُ ماءٍ وهو يتخلَّل الناس، فسِرتُ معه حتَّى صبَّها في بيت عجوزٍ»(٢).

قال طلحة: «خرج عمرُ ليلةً في سواد الليل، فدخل بيتًا، ثمَّ دخل بيتًا آخر، فلمّا أصبح طلحةُ ذهب إلى / ذلك البيت، فإذا بعجوزٍ عمياءَ مُقعَدة، فقال لها: [٣٧/ب] ما هذا الرجلُ يأتيكِ؟ فقالت: إنّه يتعاهَدُني منذُ كذا وكذا، يأتيني بما يُصلِحُني، ويُخرِجُ عنِّي الأذى»(٣).

قال زيدُ بنُ أسلم: «طاف عمرُ ليلةً، فإذا بامرأةٍ في دارٍ لها(٤) وحولَها صبيانٌ يبكون، وإذا قِدرٌ على النار قد مَلَأتها ماءً، فدنا عمرُ من الباب، ثمَّ قال: يا أمةَ الله، ما بكاءُ هؤلاء الصبيان؟ فقالت: من الجوع، قال: فما هذه القِدرُ التي

---

(١) انظر: «صيد الخاطر» (٦٩)، و«مختصر منهاج القاصدين» (١٥٧)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٨٠).

(٢) بعدها في (د): «عمياء»، وانظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٨٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٠٥-١٠٦)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٨١)، و«البداية والنهاية» (٧: ١٣٥).

(٤) في (د): «في دارها».

على النار؟ فقالت: أُعلِّلُهم حتَّى يناموا، وأُوهِمُهم[١] أنّ فيها شيئًا، فجلس عمرُ يبكي، ثمَّ جاء إلى دار الصدقة وأخذ غِرارةً وجعل فيها شيئًا[٢] من دقيقٍ وسمنٍ وشحمٍ وتمرٍ وثيابٍ ودراهمَ حتَّى ملأ الغِرارة، ثمَّ قال: يا أسْلَم، احمِل عليّ، قلت: يا أميرَ المؤمنين، أنا أحمله عنك، قال: لا أُمَّ لك يا أسلم، أنا أحمِلُه؛ لأنِّي المسؤولُ عنه[٣] في الآخرة.

قال: فحمله على عاتقه حتَّى أتى منزلَ[٤] المرأة، وأخذ القِدرَ، وجعل فيها دقيقًا وشيئًا من شحمٍ وتمر، وجعل يُحرِّكُه بيده، وينفخُ تحت القِدر، وكانت لحيتُه كَثّة، فرأيت الدخانَ يخرج من خَلَلِ لحيته حتَّى طبخ لهم، ثم جعل يَغرِف بيده ويُطعِمُهم حتَّى شَبِعوا، ثمَّ خرج رضي الله عنه»[٥].

وكان رضي الله عنه يصوم الدهرَ ويقوم الليلَ[٦].

قال ليثُ بنُ أبي سُلَيم: «بلغني أنّ عمرَ رضي الله عنه عُوتِبَ في جهده نهارًا في أمور الناس، وفي اجتهاده ليلًا في أمور آخِرَته، فقال: إن نمتُ نهاري ضاعت الرعيّة، وإن نِمتُ ليلي ضيَّعتُ نفسي، فكيف بالنوم معهما؟»[٧].

وكان رضي الله عنه يحبُّ الصلاةَ في كبِدِ الليل، يعني: وسطه[٨].

---

(١) في (ق): «وأوهم». (٢) «شيئًا» ليس في (د).

(٣) في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: «عنهم».

(٤) «منزل» ليس في (د).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٥٢)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٨٢).

(٦) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ٤٢٨)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٧٧).

(٧) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٨٤).

(٨) انظر: «مرآة الزمان» (٥: ٣٧٧)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٣).

ومناقِبُه رضي الله عنه كثيرةٌ، وقد ذكرت جملةً منها في كتابي[١] «**قمع النفوس**»، يشتمل على فوائد.

طعنَه أبو لؤلؤةَ في صلاة الصبح، ثمَّ طار بسكِّينٍ ذاتِ طرفَين لا يمرُّ على أحدٍ يمينًا وشمالًا إلّا طعنه، حتَّى طعن ثلاثةَ عشر، مات منهم سبعة، فلمّا رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه بُرنسًا[٢]، فلمّا ظنَّ أنّه مأخوذ نحر نفسَه[٣].

قال الشعبيّ: «قُبِضَ عمرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين سنةً»[٤].

قال ابنُه عبدُ الله: «قال لي: ضع خَدِّي على الأرض، فقلت: فخِذِي والأرضُ سواءٌ، فقال: ضع خدِّي بالأرض لا أُمَّ لك، ويلي وويل أمِّي إن لم يغفر الله[٥] لي. حتَّى فاضت نفسُه رضوان الله عليه»[٦].

توفِّي في ذي الحجة سنةَ ثلاثٍ وعشرين، رضي الله تعالى عنه وأرضاه[٧].

---

(١) في (ق): «كتاب».

(٢) البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دراعة كان أو ممطرًا أو جبة، وقيل: البُرنُس: كُمّة طويلة كان النُّسّاك يلبسونها في صدر الإسلام. انظر: «العين» (٧: ٣٤٣)، و«جمهرة اللغة» (٢: ١١٢٠)، و«الصحاح» (٣: ٩٠٨)، و«لسان العرب» (٦: ٢٦).

(٣) انظر: «المحن» (٦٥-٦٦)، و«المنتظم» (٤: ٣٢٩)، و«البداية والنهاية» (٧: ١٣٧).

(٤) انظر: «الأخبار الطوال» (١٣٩)، و«المستخرج من كتب الناس للتذكرة» (٢: ٤٧٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٤٦٣).

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ق).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٤٤٥)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٢٨٢).

(٧) انظر: «الأخبار الطوال» (١٣٩)، و«المستخرج من كتب الناس للتذكرة» (٢: ٤٧٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٤٦٣).

[عثمان بن عفّان رضي الله عنه]

[١٤] ومنهم: عثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه[١].

ولم يَزَل هذا اسمَه في الإسلام والجاهليّة، ويُكنى: أبا عبد الله وأبا عمر[٢].

[٣٨/أ] وهو أوَّلُ مَن هاجر إلى أرض الحبشة فارًّا/ بدينه ومعه زوجتُه رُقيّةُ بنتُ رسول الله ﷺ، ثمَّ تابَعه الناسُ[٣]، وكان رسولُ الله ﷺ يتوكَّف[٤] خبرَهما، فقَدِمت امرأةٌ من قريشٍ من أرض الحبشة، فسألها رسولُ الله ﷺ عنها؟ فقالت: رأيتُها، فقال ﷺ: «**على أيِّ حالٍ؟**»، قالت: رأيتُها وقد حَمَلها على حمارٍ وهو يَسُوقها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**صَحِبَهُما الله، إن كان عثمانُ لأوَّلَ مَن هاجر إلى الله تعالى بعد لُوطٍ عليه السلام**»[٥].

---

(١) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٤٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٢٩).

(٢) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٤٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٢٩).

(٣) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٤٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٢٩).

(٤) التوكف: التوقع والانتظار، وفي حديث ابن عمير: «أهل القبور يتوكفون الأخبار»، أي: ينتظرونها ويسألون عنها، وفي «التهذيب»: أي يتوقعونها، فإذا مات الميت سألوه: ما فعل فلان وما فعل فلان؟ يقال: هو يتوكف الخبر، أي: يتوقَّعه، ونقول: ما زلت أتوكفه حتى لقيته. انظر: «المحكم» (٧: ١٥١)، و«لسان العرب» (٩: ٣٦٤).

(٥) قوله: «بعد لوط» ليس في (د)، وانظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣١٩٧)، و«سير السلف الصالحين» (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٣٠).

وخصَّه الله تعالى بكثرةِ الحياء، وبأنّه أصدقُ الأمّةِ حياءً[١]، رواه أنسٌ عن النبيِّ ﷺ، ذكره البغويُّ في «**الحسان**»[٢].

وقَبِلَ وصيّةَ رسول الله ﷺ في عدم نزع القميص، قالت عائشةُ رضي الله عنها: قال رسولُ الله لعثمانَ ذاتَ يوم: «**إنّ الله تعالى لعلَّه يُقمِّصُكَ قميصًا، فإن أرادوك**[٣] **على خلعه فلا تخلعه**»، ثلاثًا.

رواه أبو حاتمٍ[٤]، والترمذيّ، وقال: «حسنٌ غريبٌ»[٥].

قال ابنُ مَهديّ: «كان لعثمانَ شيئانِ ليسا لأبي بكرٍ وعمر: صبرُه نفسَه[٦] حتَّى قُتِلَ مظلومًا، وجمعُه المُصحَفَ»[٧].

قال شدّادُ بنُ أوسٍ رضي الله عنه: «لمّا اشتدَّ الحصارُ بعثمانَ يوم الدار أشرف على الناس، فقال: يا عبادَ الله، قال: فرأيتُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه خارجًا من منزله مُعتمًّا بعمامةِ رسول الله ﷺ، مُتقلِّدًا سيفَه، أمامَهُ الحسنُ وعبدُ الله بنُ عمرَ في نفرٍ من المهاجرين والأنصار، رضي الله عنهم أجمعين، حتَّى حمَلوا على الناس وفرَّقُوهم، ثمَّ دخلوا على عثمان، فقال له: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين، إنّ رسولَ الله ﷺ لم يلحق هذا الأمرَ حتَّى ضرب

---

(١) «مسند أحمد» (١٣٩٩٠)، و«جامع الترمذي» (٣٧٩٠)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨١٨٥)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٤)، وانظر الكلام عليه في: «علل الدارقطني» (١٢: ٢٤٨) (٢٦٧٦)، و«الأحكام الوسطى» (٣: ٣٣٩)، و«البدر المنير» (٧: ١٩٠).

(٢) «مصابيح السنة» للبغوي (٤٧٨٧).

(٣) في (ق): «أرادوا».

(٤) «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٦: ٣٧٢).

(٥) «جامع الترمذي» (٣٧٠٥).

(٦) في (د): «على نفسه».

(٧) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٢٥٠)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٣٢).

بالمُقبلِ المُدبِر، وإنّي والله لا أرى[١] القومَ إلّا قاتِلِيك فمُرنا فلنُقاتل.

فقال عثمان: أنشُدُ الله رجلًا رأى لله حقًّا، وأقرَّ أنّ لي عليه حقًّا، أن يُهرِيق في سببي ملء[٢] مِحجَمةٍ من دم، أو يُهرِيق فيَّ دمَه، فأعاد عليه القول، فأجابَه بمثل ما أجابه، قال: فرأيت عليًّا خارجًا من الباب وهو يقول: اللهمَّ إنّك تعلم أنّا بذلنا المجهود، ثمَّ دخل المسجد، فاقتحَمُوا عليه الدارَ»[٣].

وكان أبو هريرةَ رضي الله عنه معه، فرُمِيَ رجلٌ، فقال له أبو هريرةَ رضي الله عنه: الآن طابَ الضِّراب، قَتلُوا منّا رجلًا، فقال عثمانُ رضي الله عنه: عزمتُ عليك يا أبا هريرةَ إلّا رميتَ سيفَك؛ فإنّما تُراد نفسي، وسأقِي المؤمنين بنفسي، قال أبو هريرة: فرَمَيتُ بسيفي لا أدري أين هو / إلى الساعة[٤]. [٣٨/ب]

قال هارونُ بنُ يحيى: «إنّ عثمانَ لمّا ضُرِبَ والدمُ يسيل على لحيته، قال: لا إلهَ إلّا أنت سبحانك إنّي كنتُ من الظالمين، رضي الله عنه»[٥].

قال مُحمدُ بنُ سيرين: «كان عثمانُ رضي الله عنه يُحيِي الليلَ كلَّه بركعة، يجمع فيها القرآنَ»[٦].

وعن مَولاةٍ لعثمان، قالت: «كان عثمانُ يصوم الدهرَ»[٧].

---

(١) في (ق) و(د): «لأرى». (٢) «ملء» ليس في (د).

(٣) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٦٨).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١٠٤٦)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (١٩: ٤٥٦).

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٧٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٤٠١).

(٦) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٦٧١)، و«المحن» (٩١)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٧٥).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٤٣)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٦: ١٦٧).

وعن الزبيرِ بنِ عبد الله عن جَدَّتِه قالَت: «كانَ عُثمانُ يَصومُ الدَّهر[١]، ويَقومُ اللَّيلَ إلّا هَجعةً مِن أوَّلِه»[٢].

عن شُرَحبيلَ بنِ مُسلم، قال: «كان عثمانُ يُطعِمُ الناسَ طعامَ الإمارة[٣]، ويأكل الخلَّ والزيتَ»[٤].

وعن عبد الله بنِ شدّاد قال: «رأيت عثمانَ يومَ الجمعة يَخطُبُ وهو يومئذٍ أميرُ المؤمنين، وعليه ثوبٌ قيمتُه أربعةُ دارهمَ أو خمسة»[٥].

قال أبو الفُرات: «كان لعثمانَ عبد، فقال له: إنّي كنت عَركتُ أُذنَك، فاقتصَّ منِّي، فأخذ بأُذُنه، فقال: اشدُد، يا حبَّذا قصاصٌ في الدنيا لا في الآخِرة»[٦].

قال رضي الله عنه: «أنا[٧] بين الجنّةِ والنار، ولا أدري إلى أيَّتِهما يُؤمَر بي لاخترتُ أن أكون رمادًا قبل أن أعلمَ إلى أيَّتِهما أصِير»[٨].

كان رفيقًا رحيمًا، زاهدًا مُتعبِّدًا، خوّافًا، متتبِّعًا آثار النبوّة، يُضيِّق على نفسِه ويوسِّع على الناس.

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «قَحَطَ الناسُ في زمنِ[٩] أبي بكرٍ رضي الله

---

(١) قوله: «وعن الزبير بن عبد الله عن جدَّته قالت: كان عثمان يصوم الدهر» ليس في (ق).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦٦١١)، و«حلية الأولياء» (١: ٥٦)، و«سير السلف الصالحين» (١٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١١٣).
(٣) في (د) و(ق): «الإمرة».
(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٦٨٤)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٤٣٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ٦٤).
(٥) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٤٤).
(٦) انظر: «تاريخ واسط» (١٨٤).
(٧) في (د): «إني».
(٨) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٦٨٦).
(٩) في (ق): «زمان».

عنه، فقال الصدِّيق: لا تُمسُون حتَّى يُفرِّج الله عنكم، فلمّا كان من الغدِ جاء البشيرُ إليه، فقال: قَدِمت لعثمانَ ألفُ راحلة بُرًّا وطعامًا، قال: فغدا التجّارُ على عثمان، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم وعليه ملاءةٌ قد خالَفَ بين طرفَيها على عاتقَيه، فقال لهم: ما تريدون؟ فقالوا: بلغَنا أنّك قَدِم لك ألفُ راحلة، بِعْنا حتَّى نُوسِّعَ به على فقراءِ المدينة، فقال لهم: ادخلوا، فدخلوا، فإذا ألفُ وِقرٍ قد صُبَّ في دارِه، فقال لهم: كم تُربِحُوني على شرائي من الشام؟ فقالوا: العشرةُ اثنَي عشر، قال: قد زادوني، قالوا: العشرةُ بأربعةَ عشر، قال: قد زادوني، قالوا: العشرةُ خمسةَ عشر، قال: قد زادوني، قالوا: مَن زادك ونحن تُجّارُ المدينة؟

قال: قد زادَني بكلِّ درهمٍ عشرةً، عندكم زيادة؟ قالوا: لا، قال: فأُشهِدُكُم مَعشَرَ التجّارِ أنّها صدقةٌ على فقراءِ المَدِينة»[١].

عن عثمانَ التَّيمِيِّ قال: قلت: «لأغلِبَنَّ[٢] الليلةَ على المَقام، فلما صلَّيتُ العَتمةَ تخلَّصت إلى المقام حتَّى قمت فيه، فبينا أنا قائمٌ إذا رجلٌ وضع يدَه على كتفي، فإذا هو عثمانُ رضي الله عنه، قال: فبدأ بأمِّ القرآنِ حتَّى ختم، فرَكَعَ وسَجَد، ثم أخذ نعلَيه، فلا أدري صلَّى قبل[٣] ذلك شيئًا أم لا»[٤]. [٣٩/أ]

وله مناقبُ كثيرةٌ[٥]، ذكرنا جملةً منها في «**قَمعِ النُّفوسِ**».

ويومَ قُتِلَ كانَ صائمًا رضي الله عنه، وهُوَ يَقرأُ[٦] في المُصحَف، ودُفِنَ

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٤٣-٤٤).

(٢) في (ق): «لأعلين».

(٣) في (د): «قبلي».

(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٧٧)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٤٢).

(٥) في (ق): «غزيرة».

(٦) في (د): «يقرأ القرآن».

بالبقِيع، وسنُّهُ تسعون، وقيل: خَمسٌ وتِسعُون، وقيلَ غير[1] ذلك، وعاش في الخلافةِ اثنتَي عَشرةَ[2] سنة، رضي الله عنه[3].

* * *

[علي بن أبي طالب رضي الله عنه]

[١٥] **ومنهم: عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه[4].**

ولم يَزَل ذلك اسمَه في الجاهليّة والإسلام[5].

وكُنيتُه: أبو الحسن، وكنّاه رسولُ الله ﷺ: أبا ترابٍ[6]، وكان أحَبَّ الأسماء إليه؛ لأنّه عليه الصلاةُ والسلامُ دخل على فاطمة، فقال: «**أين ابنُ عمِّك؟**»، قالت: هو ذا مضطجعٌ في المسجد، فوجَدَه رسولُ الله ﷺ وقد سقط رداؤُه عن ظهره، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يمسحُ الترابَ عن ظهره، ويقول: «**اجلِس أبا تراب**»[7]، قال زيدُ بنُ أرقم: هو أوَّلُ مَن أسلم. خرَّجه الإمامُ أحمدُ[8]، والترمذيُّ[9] وصحَّحه، يعني: بعدَ خديجة.

---

(١) قوله: «وقيل غير ذلك» في (د): «وغير ذلك».

(٢) في (ق) و(د): «اثني عشر».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٤)، و«مرآة الجنان» (١: ٧٧)، و«البداية والنهاية» (٧: ١٨٣).

(٤) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦: ١٩١)، و«المتفق والمفترق» (٣: ١٦٢٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١١٥).

(٥) في (د): «في الإسلام والجاهلية».

(٦) «صحيح البخاري» (٤٤١)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٩)، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٥)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٨٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٤٤).

(٧) «صحيح البخاري» (٣٧٠٣)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٩).

(٨) «مسند أحمد» (١٩٣٢٥).

(٩) «جامع الترمذي» (٣٧٣٥).

فإن قيل: فعن ابن عبّاس، أنّ أوَّلَ مَن أسلم أبو بكرٍ رضي الله عنه، **والجواب**: أنّ أبا بكر أوَّلُ مَن أظهر الإسلام، وهو أوَّل مَن صلَّى[١]، يعني: عليًّا[٢]. خرَّجه الترمذيّ.

وأجمَعوا على أنّه صلَّى إلى القبلتَين، وهاجر، وشهد بدرًا والحديبية، وبيعةَ الرضوان، وشهد المَشاهدَ كلَّها إلّا تبوك؛ استخلَفه رسولُ الله ﷺ فيها على المدينة، وهو بابُ دار العلم[٣].

قِيل لعبد الله بن عيّاشٍ الزرقيّ: أخبِرْنا عن عليٍّ؟ قال: «كان إذا فَزِعَ[٤] فَزِعَ[٥] إلى[٦] ضِرْسٍ من حديد، قيل: وما ضِرسٌ من حديد؟ قال: قراءةُ القرآن، وفِقهٌ في الدين، وشجاعةٌ وسماحةٌ»[٧]. خرَّجه الإمامُ أحمد.

وكان من شأنه اتِّباعُ السنّة، وكان شديدًا في دين الله تعالى.

قال عليٌّ رضي الله عنه: إذا حدَّثتكم حديثًا عن رسولِ الله ﷺ فوالله لأنْ أخِرَّ من السماء أحَبُّ إليَّ مِن أن أكذِبَ عليه[٨]. رواه الشيخان.

---

(١) في (د): «أسلم». (٢) «جامع الترمذي» (٣٧٣٤).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١٠٩٦-١٠٩٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٤٨٣)، و«الوافي بالوفيات» (٢١: ١٧٨).

(٤) في (د): «قرع» في الموضعين.

(٥) كذا في (ق) و«فضائل الصحابة»: «إذا فزع، فزع»، وفي «السنة» للخلال (٢: ٣٤٢) (٤٥٠): «إذا قرع، قرع»، وكذا في «الرياض النضرة» (٣: ٢٠٠)، وانظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢: ١٦١)، و«الغريبين في القرآن والحديث» (٤: ١١٢٤)، و«الفائق» (٣: ٣١٩)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ٤٤٤).

(٦) في (د): «على».

(٧) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٩٧٥)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢٠٠).

(٨) «صحيح البخاري» (٦٩٣٠)، و«صحيح مسلم» (١٠٦٦).

وكان رضي الله عنه كثيرَ التعبُّد، له وقفةٌ في الصلاة يُرى فيها العجب، قال معاويةُ لضرار الصدائيّ: صِف لِي عليًّا؟ فقال: اعفِني يا أميرَ المؤمنين، قال: لتَصِفَنَّه، قال: أمّا إذ[1] لا بدَّ من وصفه فإنّه كان والله بعيدَ المَدَى، شديدَ القُوَى، يقول فصلًا، ويَحكُم عدلًا، يتفجَّر العلمُ من جوانبه، وتنطق الحكمةُ من نواحيه[2]، يَستوحِشُ من الدنيا وزهرتها، ويأنَس إلى[3] الليل ووحشتِه، كان غزيرَ العَبرة، طويلَ الفكرة، يعجبه من اللباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خَشُن، كان فينا كأحَدِنا، [٣٩/ب] يُجِيبُنا إذا سألناه، ويُنبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقُربه منّا لا نكاد نُكلِّمه هيبةً له، يُعظِّمُ أهلَ الدين، ويُقرِّبُ المساكين، لا يَطمَعُ القويُّ في باطله، ولا ييأسُ الضعيفُ من عَدلِه.

وأشهد لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليلُ سُدولَه وغارت نجومُه، قابضًا على لحيته يتمَلملُ تَملمُلَ السليم، ويبكي بُكاءَ الحزين، ويقول: يا دنيا، غُرِّي غيرِي، إليَّ تعرَّضتِ أم إليَّ تَشوَّفت، هيهات هيهات، قد طلَّقتُك ثلاثًا لا رجعةَ لي فيك، فعُمرُك قصير، وخَطرُك طويل، آهٍ آهٍ من قلّةِ الزاد وبُعدِ السفر ووحشةِ الطريق.

فبَكى معاوية، وقال: رَحِمَ الله أبا الحسن، كان والله كذلك، واختنَقَ بالبكاء هو والقوم، ثمَّ قال لضِرار: كيف حُزنُك عليه؟ فقال: حُزنُ مَن ذُبِحَ ولدُها في حَجرِها، فلا ترقأعَبرتُها، ولا تسكن حسرتُها، والله أعلم[4].

---

(١) في (ق): «إذا». (٢) في (د): «نواصيه».

(٣) في (ق): «في».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٨٤)، و«الاستيعاب» (٣: ١١٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١١٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ٤٤٥).

قال له رسولُ الله ﷺ: «**يا عليّ، كيف أنت إذا زهد الناسُ في الآخرة، ورغِبوا في الدنيا، وأكلُوا التراثَ أكلًا لَمًّا، وأحَبُّوا**[1] **المالَ حبًّا جمًّا، واتَّخَذوا دينَ الله دَغَلًا، ومالَ الله دِوَلًا؟**».

قلت: أتركُهم وما اختاروا، وأختار الله ورسولَه والدارَ الآخرة، وأصبِرُ على مصيبات الدنيا وبَلواها حتَّى ألحقَ بك إن شاء الله تعالى، قال: «**صدَقت، اللهمَّ افعل ذلك به**»[2]. أخرجَه الحافِظُ الثَّقفيُّ في «**الأربعين**»[3].

قال عليُّ بنُ أبي ربيعة: «جاء التيّاحُ إلى عليٍّ رضي الله عنه، قال: يا أميرَ المؤمنين، امتلأ بيتُ المال من صفراءَ وبيضاء[4]، قال: الله أكبر، فقام مُتوكِّئًا[5] على ابن التيّاح، حتَّى قام على المال، فنُودِي في الناس، فأعطى جميعَ ما في بيت مال المسلمين[6]، وهو يقول: يا صفراءُ يا بيضاءُ[7] غُرِّي غيري، ها وها، حتَّى ما بَقِي منهُ[8] دينارٌ ولا درهم، ثم أمر بنَضحِه، وصلَّى فيه ركعتَين[9]. أخرجه الإمامُ أحمدُ وغيرُه.

قولُه: ها وها: هاك وهاك.

---

(١) في (د): «وحبوا».

(٢) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢١٠)، و«سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» (٣: ٥٩).

(٣) قوله: «في الأربعين» ليس في (د)، وانظر: «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» (١٢١).

(٤) في (د): «بيضاء وصفراء».

(٥) في (د): «متكئًا».

(٦) في (د): «المال للمسلمين».

(٧) في (د): «يا بيضاء يا صفراء».

(٨) «منه» ليس في (د).

(٩) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٨٨٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٢٠٤).

قال يومًا رضي الله عنه: «والله لقد رأيتُني مع رسولِ الله ﷺ وإنّي لأربطُ الحجرَ على بطني من الجوع، وإنّ صدقتي اليومَ لأربعون ألفًا، وفي رواية: أربعون ألفَ دينارٍ»[١]، رواه الإمامُ أحمد.

قال الإمامُ أحمد: قال أبو السَّوّار: «رأيتُ عليًّا اشترى ثوبَين غليظَين، فخيَّر قَنبرَ في أحدهما، واشترى ثوبًا بثلاثةِ دراهمَ»[٢].

قال عبدُ الله بنُ أبي[٣] الهُذَيل: «رأيتُ عليًّا خَرجَ وعليهِ قَميصٌ غَلِيظٌ دارس[٤]، إذا مَدَّ كُمَّ قَمِيصِه بَلغَ الظُّفر، وإلا فهو إلى نِصفِ الساعدِ»[٥]. [٤٠/أ]

قال أبو سعيدٍ الأزديّ: «رأيتُ عليًّا في السوق وهو يقول: مَن عندهُ قميصٌ صالِحٌ بثلاثةِ دراهم، فقال له[٦] رجل: عندي، فجاء به فأعجبه، فأعطاه ثمَّ لَبِسه[٧]، فإذا هو يَفضُلُ عن أطرافِ أصابعه، فأمرَ به فقُطِع ما فَضَلَ عن أطراف أصابعه»[٨].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «اشترى عليٌّ قميصًا بثلاثة دراهم وهو خليفة، وقطع كُمَّه من موضع الرُّسغَين، وقال: الحمدُ لله الذي هذا من رِياشِه»[٩].

---

(١) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٩٢٧)، و«حديث أبي الفضل الزهري» (٤٨٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٩)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢١١).

(٣) «أبي» ليس في (د).

(٤) «دارس» مثبت من المصادر، وفي بعضها: «قميص غليظ رازي».

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١١١٢)، و«الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة» (٢: ٢٥١)، و«الرياض النضرة» (٣: ٢١١)، و«الوافي بالوفيات» (٢١: ١٨٠).

(٦) «له» ليس في (د).

(٧) في (د): «فأعطاه فلبسه».

(٨) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٩١٢)، و«حلية الأولياء» (١: ٨٣).

(٩) «المجالسة وجواهر العلم» (٢٦٨).

دخلوا عليهِ يومًا فوجَدُوه مؤتزرًا[١] بعباءةٍ مُتحجِّرًا بعقال، وهو يَهْنَأ بَعِيرًا[٢].
يَهنَأ: يطلي بالهناء، وهو: القَطِران[٣].

قال عليُّ بنُ الأرقم: قال أبي: «لقد رأيتُ عليًّا يبيع سيفًا في السوق، ويقول: مَن يشتري منِّي هذا السيفَ[٤]؟ فوالذي فلق الحبّةَ لطالَ ما كشفتُ به الحروبَ عن وجهِ رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثَمنُ إزارٍ ما بِعتُه»[٥].

قال هارونُ بنُ عنترة: قال أبي: «دخلتُ على عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فوجدته يُرعدُ تحت شَملٍ[٦] قطيفة، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، إنّ الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتِك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسِك ما تصنع! فقال رضي الله عنه: ما أرزَؤُكم[٧] مالَكم، وإنّها لقطيفَتِي التي خرجتُ بها من منزِلي، أو من المدينة[٨].

قوله: أرزؤُكم[٩]؛ أي: أصِيبُ منكم[١٠].

وكان جهازُ فاطمةَ رضي الله عنها خميلةً ووسادةً من أدَمٍ حَشوُها ليفٌ ورَحَيَينِ وجَرَّتَين[١١].

---

(١) في (د): «متوزرًا». (٢) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٨٩١).
(٣) انظر: «معالم السنن» (٤: ١٢٧)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١٢٣).
(٤) «السيف» ليس في (د). (٥) «حلية الأولياء» (١: ٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١١٩).
(٦) في «صفة الصفوة» و«مرآة الزمان»: «سمل».
(٧) في (ق): «أرزاكم»، وفي (د): «أرذاكم».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٩)، و«مرآة الزمان» (٦: ٤٤٦)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢٢٠).
(٩) في (د): «أرذاكم». (١٠) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢٢٠).
(١١) «مسند أحمد» (٨١٩)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٤٧).

قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لِفاطِمةَ رضي الله عنها ذاتَ يَوم: واللهِ لَقَد سَنَوتُ حتى لقد اشتَكَيتُ صَدرِي، وقَد جاءَ الله أباكِ بسَبي، فاذهَبي فاستَخدِميه[١]، فقالَت: وأنا واللهِ قَد طَحَنتُ حتى مَجِلَت يَداي، ثمَّ أتيا رسولَ الله ﷺ، فقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: يا رَسولَ الله، لَقَد سَنَوتُ حتى اشتَكَيتُ[٢] صَدرِي، وقالَت فاطِمةُ رضي الله عنها: وقَد طَحَنتُ حتى مَجِلَت يَداي، وقَد جاءَكَ[٣] الله بسَبيٍ وسَعةٍ فأخدِمنا، فقالَ ﷺ: «**واللهِ لا أُعطِيكُما وأدَعُ أهلَ الصُّفّةِ تَطوَى بُطونُهم، لا أجِدُ ما أُنفِقُ عَلَيهم، ولَكِنِّي أبيعُهُ وأُنفِقُ عَلَيهم**»، فرَجَعا، فأتاهُما النَّبيُّ ﷺ وقَد دَخَلا فِي قَطِيفَتِهِما، إذا غَطَّت رُؤوسَهُما انكشفت أقدامُهُما، وإذا غَطَّت أقدامَهُما انكشفت رُؤوسُهُما، فثارا، فقالَ ﷺ: «**مَكانَكُما**»، ثُمَّ قال: «**ألا أُخبِرُكُما بخَيرٍ مِمّا سَألتُمانِي؟**»، قالا: بَلَى.

قال: «**كَلِماتٌ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبريلُ عليه السلامُ**»، فقال: «**تُسَبِّحانِ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ عَشرًا، وتَحمَدانِ عَشرًا، وتُكَبِّرانِ عَشرًا، وإذا أوَيتُما إلى فِراشِكما فسَبِّحا ثَلاثًا وثَلاثِين، واحمَدا ثَلاثًا وثَلاثِين، وكَبِّرا أربَعًا وثَلاثِينَ**». [٤٠/ب]

قالَ عليٌّ رضي الله عنه: فما تَرَكتُهُنَّ مُنذُ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ الله ﷺ، فقيل: ولا لَيلةَ صِفِّينَ؟ فقال: ولا لَيلةَ صِفِّينَ[٤]. أخرجه الإمامُ أحمد.

قولُها: مَجِلَت[٥]: نَفِطَت[٦] من العمل[٧].

وفي رواية البخاريّ: «**إذا أخذتُما مضاجِعَكما فكبِّرا أربعًا وثلاثين، وسبِّحا**

(١) في حاشية (د): «أي: اطلبي منه خادمًا».
(٢) في (ق): «اشتكوت».
(٣) في (د): «جاء».
(٤) «مسند أحمد» (٨٣٨).
(٥) في (د): «مجلت يداي».
(٦) في (د): «تقطعت».
(٧) انظر: «لمعات التنقيح» (٨: ٥٩١)، و«نيل الأوطار» (٥: ٣٥١)، و«تحفة الأحوذي» (٩: ٢٥٠).

ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادمٍ يَخدُمكما»[١]، والله أعلم.

قال أبو مطرف: رأيت عليًّا مُؤتَزرًا بإزار، مرتديًا[٢] برداء، ومعه دِرّةٌ كأنّه أعرابيٌّ بدويّ، حتَّى بلغ سوقَ الكرابيس[٣]، فقال: يا شيخ، أحسِن بيعي في قميصٍ بثلاثةِ دراهم، فلمّا عرَفَه لم يشترِ منه شيئًا، فأتى آخر، فلمّا عرَفَه لم يشترِ منه شيئًا، فأتى غلامًا حدَثًا فاشترى منه قميصًا بثلاثةِ دراهم، ثمَّ جاء أبو الغلامِ فأخبرَه، فأخذَ أبوه دِرهمًا، ثمَّ جاء به إلى عليٍّ رضي الله عنه، فقال: هذا[٤] الدِّرهَمُ يا أميرَ المؤمنين، فقال: ما شأنُه؟ فقال: كان القميصُ ثمنَ[٥] درهمَين، فقال: باعَنِي رضائي وأخذ رضاه[٦]. خرَّجه أحمدُ[٧] وغيرُه.

والكرباس: ثوبٌ غليظٌ[٨].

واشترى يومًا تمرًا بدرهم، فحمَله في مِلحفَتِه، فقيل له: يا أميرَ المؤمنين، ألا نَحمِلُه عنك؟ فقال: «أبو العيالِ أحقُّ بحَمِلِه»[٩].

قال زاذان: «رأيتُ عليًّا يمشي في الأسواق، فيُمسِك الشُّسُوعَ بيده، فيُناوِل الرجلَ الشِّسع، ويُرشِدُ الضالّ، ويُعِين الحَمّالَ على الحمولة، وهو يقرأ هذه

---

(١) «صحيح البخاري» (٣١١٣). (٢) في (ق) و(د): «مرتدًا».
(٣) بعدها في (د): «فجاء إلى رجل». (٤) في (د): «خذ هذا».
(٥) في (د): «بثمن». (٦) «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (٩٦).
(٧) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٨٧٨).
(٨) انظر: «الصحاح» (٣: ٩٧٠)، و«لسان العرب» (٦: ١٩٥)، و«المصباح المنير» (٢: ٥٢٩)، و«القاموس المحيط» (٥٧٠).
(٩) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٩١٦)، و«الأدب المفرد» (٥٥١).

الآية: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، ثمَّ يقول: هذه الآيةُ نزلَت في ذَوي القُدرةِ من الناس»[١]. أخرجَه الإمامُ أحمد.

قال: «إنّ[٢] أخوَفَ ما أخافُ اتِّباعُ الهوى وطولُ الأمل، أمّا[٣] اتِّباعُ الهوى، فيَصُدُّ عن الحقّ، وأمّا طُولُ الأمل فيُنسِي الآخرة، ألا وإنّ الدنيا قد ترحَّلَت مُدبِرة، ألا وإنّ الآخرةَ قد ترحَّلَت مُقبلة، ولكلٍّ واحدةٍ بنون، فكونوا من أبناءِ الآخرة، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا؛ فإنّ اليومَ عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل، واعلموا أنّكم مَيِّتون ومُبعَثون، ومَوقوفون على أعمالِكم، ومَجزِيُّون بها، فليَكُن همُّكم لِما بعد الموت»[٤].

قال بِشر: «رأيتُ أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالبٍ في المنام، فقلت: عِظنِي، فقال: ما أحسنَ عَطفَ الأغنياءِ على الفقراء؛ طلبًا لثوابِ الله تعالى، وأحسنُ من ذلك تِيهُ الفقراءِ على الأغنياءِ ثقةً بالله»[٥].

[٤١/أ] قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في قولِه تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، قال: آجَرَ عليٌّ نفسَه، يسقي نخلًا بشيءٍ من شعيرٍ ليلةً حتَّى أصبح، فلمّا أصبحَ قبضَ الشعيرَ فطحن منه، فجعلوا منه شيئًا ليأكلوه، يُقال له: الحريرةُ[٦]؛ دقيقٌ بلا دُهن، فلمّا تمَّ إنضاجُه أتى مسكينٌ

---

(١) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٤٩٧-١٠٦٤).

(٢) في (ق): «إني». (٣) في (د): «فأما».

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٤٩٥)، و«الزهد» لأبي داود (١٠٦).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٥٦٣)، و«التدوين في أخبار قزوين» (١: ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (١٤: ٣٥٦).

(٦) في (د): «الخزيرة».

فأطعَمُوه إيّاه، ثم صنَعوا الثُّلثَ الثاني، فلمّا تمَّ إنضاجُه جاء يتيمٌ فسأل فأطعَمُوه إيّاه، ثم صنَعُوا الثُّلثَ الثالِث، فلمّا تمَّ إنضاجُه أتى أسيرٌ فأطعَمُوه إيّاه، وطوَوْا يومهم، فنزلت هذه الآيةُ(١).

قال السُّدِّيّ: قال أبو أراكةَ(٢): صلَّيتُ مع عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه الصبح، فلمّا سلَّم انفتلَ عن يمينِه، ثمَّ مكث كأنّ عليه كآبة، حتَّى إذا كانت الشمسُ على حائط المسجدِ قِيدَ رُمحٍ قال وقَلب يدَه: لقد رأيتُ أصحابَ رسول الله ﷺ، فما أرى شيئًا اليومَ(٣) يُشبِهِهم، لقد كانوا يُصبِحون شُعثًا غُبرًا، بين أعيُنِهم أمثالُ رُكَب المِعزى، لقد(٤) باتوا والله سُجَّدًا وقيامًا، يتلون كتابَ الله تعالى يُراوِحون بين جِباهِهم وأقدامهم، فإذا أصبَحوا فذكَروا(٥) الله مادُوا كما تَمِيدُ الشجرُ في يومِ الرِّيح، وهَمَلَت أعينُهم حتَّى تَبلَّ ثيابَهم، والله لكأنّ القومَ باتوا غافلين، فما رُئِي مُفتَرًّا يَضحَك حتَّى ضربَه ابنُ مُلجَم(٦).

ضربه عبدُ الرحمن بنُ مُلجَمٍ(٧) بالكوفةِ يوم الجمعة لثلاثَ(٨) عشرةَ بَقِيَت من رمضان، وقيل: ليلة إحدى وعشرين سنةَ أربعين، فبَقِي الجمعةَ والسبت، ومات ليلةَ الأحد، وقيل: يوم الأحد، ودُفِنَ في وقتِ السَّحَر، ومات وعُمرُه قيل: ثلاثٌ وستون، وقيل: خمسٌ وستون، وقيل غيرُ ذلك.

---

(١) انظر: «مناقب علي» لابن المغازلي (٣٢٠).

(٢) في (د): «أبو راكة».

(٣) «اليوم» ليس في (ق).

(٤) في (د): «قد».

(٥) في (ق): «فذكر».

(٦) انظر: «مقتل علي رضي الله عنه» لابن أبي الدنيا (٦)، و«المجالسة وجواهر العلم» (١٤٦٦)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٥٠٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٤).

(٧) قوله: «ضربه عبد الرحمن بن ملجم» ليس في (د).

(٨) في (د): «لثالث».

رضي الله عنه وأرضاه[١]، وله مَناقِبُ كثيرةٌ[٢] ذكرنا بعضَها في «**قمع النفوس**»، والله أعلم.

* * *

[طلحة بن عُبَيد الله رضي الله عليه]

[١٦] ومنهم: أبو مُحمد، طلحةُ بنُ عُبَيد الله التيميُّ القرشيُّ[٣].

يجتمعُ مع رسولِ الله ﷺ في مُرّةَ بن كعب، ويجتمع مع الصدِّيقِ في كعب ابن سعد، وكان يُلقَّبُ بـ: طلحةَ الخَير؛ لقَّبه رسولُ الله ﷺ، وبطلحةَ الجُود[٤].

وكان سبب إسلامِه أنّه حضر سوقَ بُصرى من الشام، فإذا راهبٌ في صومعةٍ يقول: سَلُوا أهلَ هذا المَوسِم أفيهم أحدٌ من أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، قال: هل ظهر أحمدُ بعدُ؟ قال: قلت: ومَن أحمدُ؟ قال: ابنُ عبد الله بن عبد المُطَّلب، وهذا شهرُه الذي يَخرُج فيه، وهو آخِرُ الأنبياء، ومَخرَجُه الحرم، ومُهاجَرُه إلى نخلٍ وحَرّةٍ[٥] وسِباخ، فإيّاك أن تُسبَقَ إليه.

قال طلحة: فوقَع في قلبي قَولُه، فخرَجت مُسرعًا حتَّى قَدِمت مكّة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم؛ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الله تَنبَّأ[٦]، وقد تَبِعه/ [٤١/ب]

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٥: ١٤٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٥).

(٢) «كثيرة» ليس في (ق).

(٣) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (١: ٣٢٧)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ١٤١)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٤٥).

(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣٧٢)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٤٥).

(٥) في (د): «وجرة».

(٦) في (ق): «نبيًّا».

ابنُ أبي قحافة، قال: فخرجت حتَّى دخلتُ على أبي بكرٍ رضي الله عنه، فقلت: أتَبِعت هذا الرجلَ[١]؟ قال: نعم؛ فانطَلِق إليهِ فاتَّبِعهُ؛ فإنّه يدعو إلى الحقّ، وأخبَرَه طلحةُ بقول الراهب، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بذلك.

فلمّا أسلم أبو بكرٍ وطلحةُ أخذهما نوفلُ بنُ خُوَيلد، وشدَّهما في حبلٍ واحد[٢]، فلذلك سُمِّيا القَرِينَين[٣].

وأسلَم أخُوهُ ـ أعنِي طلحة ـ وهو عثمانُ رضي الله عنه.

بَرَكَ طلحةُ للنبيِّ ﷺ يومَ أحدٍ؛ لأنّه عليه الصلاة والسلام كان عليه دِرعان، فنهض على صخرةٍ فلم يستطع، فبَرَكَ له طلحة، فصعد رسولُ الله ﷺ على ظَهرِه حتَّى صعد على الصخرة.

قال الزبير: فسَمِعتُ رسولَ الله ﷺ: «**أوجَبَ طلحةُ**»[٤]. أخرجه الإمامُ أحمد، والترمذيُّ وصحَّحه.

وقالت[٥] عائشةُ رضي الله عنها: لمّا كان يومُ أحُدٍ كُسرِت رَباعيةُ النبيِّ ﷺ وشُجَّ وجهُه، وعلاه الغَشي، فجعل طلحةُ يَحمِله[٦] ويرجع القهقرى، وكلَّما أدركه أحَدٌ من المشركين قاتَل دونه حتَّى أسندَه إلى الشِّعب.

---

(١) في (د): «هذا الرجل ﷺ».

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٢١٤)، و«سير السلف الصالحين» (٢١٨)، و«المنتظم» (٥: ١١٢)، و«أسد الغابة» (٢: ٤٦٨).

(٣) «مستدرك الحاكم» (٥٥٨٦).

(٤) «مسند أحمد» (١٤١٧)، و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٢٨٨)، و«جامع الترمذي» (١٦٩٢).

(٥) في (د): «قالت».

(٦) في (ق): «يحتمله».

وكان الصدِّيقُ رضي الله عنه إذا ذُكِرَ يومُ أحُدٍ قال: ذلك كلُّه يومُ طلحة، وجدنا فيه بضعًا وسبعين أو أقلَّ أو أكثرَ بينَ طعنةٍ وضربةٍ ورمية، وقد[1] قُطِعَت أصبعُه، وجدناه في بعض تلك الحِفارِ[2] وقد نزف، فأصلَحنا من شأنه، ثمَّ مسح رسول الله ﷺ جسدَه، وقال: «**اللهمَّ اشفِه وقَوِّه**»، فقام صحيحًا، فرجع إلى مُبارَزة العدوّ، وكانت يدُه قد[3] شُلَّت؛ لأنّه وقى بها رسولَ الله ﷺ[4].

وشهد المشاهِدَ كلَّها، وهو أحدُ العشرةِ المَشهود لهم بالجنّة، وَكانَ لَهُ رِقّةٌ ورحمةٌ وصدقةٌ[5].

قال الحسن: «باع طلحةُ أرضًا له بسبعِ مئة ألف، فبات أرِقًا من مخافةِ ذلك المال، ثمَّ قال: إنّ رجلًا تَبِيتُ هذه عندَه في بيتِه لا يدري ما يطرقُه من أمر الله لَغَرِيرٌ بالله، فبات ورُسُلُه تختلف في سِكَك المدينة، فما أسحَرَ وعنده منها درهمٌ»[6].

وكان رضي الله عنه لا يدَعُ أحدًا من بني تميمٍ عائلًا[7] إلّا كفاه مُؤنةَ عياله، ويزوِّج أياماهُم، ويُخدِم عائِلَهُم، ويقضي دَينَ غارمهم[8].

وكان يرسل إلى عائشةَ رضي الله عنها إذا جاءت غَلَّتُه كلَّ سنةٍ عشرةَ آلاف، ولقد قضى صبيحةَ يومٍ ثلاثين ألفَ درهم[9].

---

(١) في (د): «ولما».
(٢) في (د): «الجفار».
(٣) «قد» ليس في (د).
(٤) انظر: «المنتظم» (٥: ١١٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٥٢-٢٥٤).
(٥) قوله: «وكان له رقة ورحمة وصدقة» ليس في (ق).
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٧).
(٧) «عائلًا» ليس في (د).
(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥: ١٠٢)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٥٠).
(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥: ١٠٢)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٥١)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٦٢).

قالت امرأةُ طلحةَ سُعدَى بنتُ عوف: «لقد تصدَّق طلحةُ يومًا بمئة ألف، فلم يحبِسه عن الرَّواحِ إلى المسجد إلّا أنِّي جمعتُ له بينَ طرَفَي ثوبه، رضي الله عنه»[١].

قالت: ودخل عليَّ يومًا وهو مُغتَمّ، فقلت: ما[٢] شأنُك؟ فقال: المالُ الذي عندي قد كرَبَني، فقلت: وما عليك، اقسِمْه، فقسَمَه حتَّى ما بقي منه درهم، وكان أربعَ مئة ألف، رضي الله عنه. [٤٢/أ]

هكذا كانوا رضي الله عنهم، تأتيهم هذه الأموالُ العظيمةُ في الكثرة والحِلّ، فيبَرُّون بها، ويقعدون شُعثًا غُبرًا[٣] جياعًا.

وأنتم ويحَكم عكسُهم، لا جَرَمَ أنّه بين أيديكم حسرةٌ في الدنيا، وعذابٌ في الآخرة، تتناولونه من وجهه ومن غير وجهه[٤]، وتكنزونه مخافةَ الفقر، وتنسون: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٢٨].

قُتِلَ طلحة يوم الجمل في جمادى الآخرة سنةَ ستٍّ وثلاثين، وقع في حلقه سَهم فقال: بسم الله، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ودُفِنَ بالبصرة وهو ابنُ ستِّين، وقيل: أربع وستِّين، وقيل غيرُ ذلك[٥]، والله أعلم.

* * *

---

(١) «حلية الأولياء» (١: ٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٧)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١١:٢٠٢).

(٢) في (د): «وما».

(٣) «غبرًا» ليس في (ق).

(٤) قوله: «ومن غير وجهه» في (د): «وغير وجهه».

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٢٢١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٧)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٤٨).

[الزبير بن العوام رضي الله عنه]

[١٧] **ومنهم**: الزبيرُ بنُ العوّام[١].

وهو قرشيٌّ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في قُصَيٍّ بن كلاب[٢]، ولم يزَل ذلك اسمَه في الجاهليّة والإسلام.

أسلم وهو ابنُ ثمانِ سنين، وقيل: وهو ابنُ ستَّ عشرةَ سنة، وقيل: اثنتي[٣] عشرةَ سنة[٤].

قال أبو الأسود: لمّا أسلم الزبيرُ كان عمُّه يُعلِّقُه في حصير ويُدخِّنُ عليه بالنار، ويقول له: ارجع إلى الكفر، فيقول له الزبير: لا أكفر أبدًا[٥].

وهو أوَّلُ مَن سلَّ سيفًا في سبيل الله تعالى، قاله ابنُ المُسيَّب[٦].

وسببه: أنّه كان بمكّةَ إذ سمعَ نغمةً[٧] أنّ[٨] النبيَّ ﷺ قد قُتِل، فخرج عُريانًا ما عليه شيءٌ، بيده السيفُ مُصلَتًا، فتلقّاه النبيُّ ﷺ، فقال: «**ما لك يا زبيرُ؟**»، قال: سمعتُ أنّك قد قُتِلت، قال: «**فما كنتَ صانعًا؟**»، قال: أردت والله أنْ أستعرِض أهلَ مكّة، فدعا له النبيُّ ﷺ[٩].

---

(١) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢١٩)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٢٥)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٧١).

(٢) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٧١).

(٣) في (ق) و(د): «اثني».

(٤) انظر: «تهذيب التهذيب» (٣: ٣١٨).

(٥) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٧٣)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٥: ٤٧)، و«الوافي بالوفيات» (١٤: ١٢٢).

(٦) انظر: «مرآة الزمان» (٦: ٢١٩).

(٧) في (ق) و(د): «نعمة».

(٨) «أن» ليس في (د).

(٩) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٢٦٠)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢٤٦٩)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦: ٥٩٧)، و«دلائل النبوة» (٥٦٢).

وفي روايةٍ بعد قوله «أستعرض أهلَ مكّة»: وأُجري دماءهم كالنهر، ولا أترك أحدًا منهم إلّا قتلتُه[١]، حتى أقتلَهم عن آخرهم. فضحك النبيُّ ﷺ وخلع رداءه وألبسه إيّاه[٢].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، الآية، وذلك أن خُبَيبًا[٣] أخرجه المشركون ليقتلوه، فقال: دعوني حتى أصلِّيَ ركعتَين، فتركوه حتَّى صلَّى ركعتَين، ثمَّ قال: لولا أن تقولوا: جزع، لزدت، وأنشأ يقول:

ولَستُ أُبالي حينَ أُقتَلُ مُسلِمًا ... على أيِّ جنبٍ كان لله[٤] مَصرَعي[٥]

فصلَبوه حيًّا ثم قال: اللهمَّ إنّك تعلم أنه ليس حوالَيَّ أحدٌ يُبلِّغُ رسولكَ بمُقامِي، فأبْلِغْهُ سَلامِي، ثمَّ رموهُ بسَهْمٍ وطَعَنوه برُمح، فبلغ النبيَّ ﷺ خبرُه، فقال/ [٤٢/ب] عليه الصلاةُ والسلام: «**أيُّكم يحتمل خُبَيبًا من خَشَبَتِه وله الجنّة؟**»، فقال الزبير: أنا وصاحبي المقداد، فخرجا يسيران الليلَ والنَّهارَ حتَّى وافَيا المكان، فإذا حول الخشبة أربعون رجلًا نيامًا، وإذا هو رطبٌ لم يتغيَّر منه شيءٌ بعد أربعين يومًا، فحمله الزبيرُ على فرسه وسار[٦]، فلَحِقَه سبعون منهم، فقذَف خُبَيبًا فابتلعَته الأرض، وقال: وما جرَّأكم علينا يا معشرَ قريش، ثم رفع العمامةَ عن رأسه، وقال: أنا الزبيرُ بنُ العوّام وأمِّي صفيّةُ بنتُ عبد المطلب، وصاحبي

---

(١) قوله: «إلا قتلته» ليس في (د).
(٢) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢: ٧٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٩).
(٣) في (ق): «حبيبًا».
(٤) في بعض المصادر: «في الله».
(٥) من الطويل. وخبر مقتل خبيب بن عدي رضي الله عنه في: «صحيح البخاري» (٧٤٠٢).
(٦) «وسار» ليس في (د).

المقدادُ بنُ الأسود أسدانِ رابِضان، إن شِئتُم ناضَلتُكم، وإن شِئتُم نازَلتُكم، وإن شِئتُم انصرفتُم، فانصرَفوا، فقَدِموا على رسول الله ﷺ وعنده جبريل، فقال: يا مُحمَّد، إنّ الملائكةَ تُباهِي بهذَينِ مِن أصحابِك، ونزل قولُه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِى نَفۡسَهُ﴾ الآية(١).

وهذا أحدُ أقوالٍ خمسةٍ في سبَبِ نُزُولِها، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ والضحّاك(٢).

وقيل: نزلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قاله عليٌّ وابنُ عمر، وقيل: في صهيب، وقيل: في المهاجرين والأنصار، وقيل: في الأنصار فقط(٣).

شهد الزبيرُ بدرًا والحديبيةَ والمشاهدَ كلَّها، وهو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنّة، وهاجَر الهجرتَين(٤)، رضوانُ الله عليهم أجمعين.

قال فيه حسانُ أبياتًا، منها:

أقـامَ علـى عَهـدِ النَّبـيِّ وهَديِـه ... حَوارِيُّـه والقَـولُ بالفِعـلِ يُعدَلُ
أقـامَ علـى مِنهاجِـهِ وطَرِيقِـهِ ... يُوالِـي وَلِيَّ الحـقِّ والحـقُّ أعْدَلُ
فكَـمْ كُربـةٍ ذَبَّ الزُّبَيـرُ بسَـيفِهِ ... عن المُصطَفَى واللهُ يُعطِي ويُجزِلُ(٥)

قال عروة: أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحةَ الجمل، فقال: «يا بُنيّ،

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٧٩-٢٨٠).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٤: ٢٣١).
(٣) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٨٠).
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٣٣٢)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٩٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٤: ١٢١).
(٥) من الطويل، وانظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٨١)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٥٠٠).

ما من عضوٍ إلّا وقد جُرِحَ مع رسولِ الله ﷺ حتّى انتهى ذلك إلى فَرجِه»(١). خرَّجه الترمذيُّ وحسَّنَه.

وكان رضي الله عنه في النهاية من الورع، قال له ولدُه عبدُ الله: ما يمنعك أن تُحدِّثَ عن رسولِ الله ﷺ كما يُحدِّثُ عنه أصحابُه؟ قال: أما والله لم أفارقه منذُ أسلمت، ولكنِّي سمعتُه يقول: «**مَن كذب عليَّ مُتعَمِّدًا فليتبوَّأ مَقعدَهُ من النار**»(٢). أخرجه البخاريُّ(٣).

ومعنى: يتبوَّأ: ينزل منزِلتَهُ(٤) منها، يقال: بوَّأه الله منزلًا، أي: أسكنَه إيّاه، والمَباءة: المنزل، وقيل غيرُ ذلك(٥).

وكان له حُنوٌّ وشفقةٌ وصدقة، قالت أمُّ درّة: «بعث الزبيرُ إلى عائشةَ رضي الله عنها بغِرارَتَينِ تبلغ الواحدة منهما(٦) ثمانِينَ ومئة ألفِ درهمٍ»(٧).

قال كعبُ بنُ مالك: «كان للزبير ألفُ مملوكٍ يُؤدُّون إليه الخَراج، فما كان يدخلُ بيتَه منها درهمٌ واحدٌ،/ [٤٣/أ] كان يتصدَّق بذلك كلِّه»(٨). أخرجه غيرُ(٩) واحدٍ من أئمّةِ الحديث.

---

(١) «جامع الترمذي» (٣٧٤٦). (٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٣٣٤).
(٣) «صحيح البخاري» (١١٠)، و«صحيح مسلم» (٣).
(٤) في (ق): «منزلة». (٥) انظر: «شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٥: ٨٥).
(٦) قوله: «الواحدة منهما» مثبت من «الرياض النضرة».
(٧) «درهم» ليس في (د)، وانظر: «الزهد» لهناد بن السري (٦١٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«الرياض النضرة» (٤: ٢٨٥)، و«التحبير لإيضاح معاني التيسير» (٤: ٥٦٠).
(٨) انظر: «كتاب الأربعين في إرشاد السائرين» (٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٩)، و«المعرفة والتاريخ» (٣: ٣١١).
(٩) «غير» ليس في (د).

وعن جُوَيرية[١]، قالت: باع الزبيرُ دارًا له بستِّ مئة ألف، فقيل: غُبِنتَ. قال: كلّا والله، لتعلمَنَّ أنِّي لم أُغبَن هي في سبيل الله. أخرجه صاحِبُ «**الصفوة**»[٢].

قُتِلَ رضي الله عنه يوم الجمل.

قال أبو عمرٍ: شهد الزبيرُ يوم الجمل، فقاتل فيه ساعة، فناداه عليٌّ وانفرد به، فذكَّره أنّ رسول الله ﷺ قال له وقد وجدهما يضحكان بعضهما إلى بعض: «**أما إنّك ستُقاتِلُ عليًا وأنت ظالِم**»[٣]، فذكر الزبيرُ ذلك وانصرَفَ عن القتالِ راجعًا إلى المدينةِ نادمًا، مُفارِقًا للجماعةِ التي خرج فيها[٤]، فأتبعه ابنُ جُرموزٍ فقتله بموضعٍ يُعرَفُ بوادي السباع، وجاء برأسِه إلى عليٍّ[٥]، فقال عليٌّ رضي الله عنه: «بَشِّر قاتِلَ ابنِ صفيّةَ بالنار»[٦]، وقيل غيرُ ذلك[٧].

قُتِلَ[٨] يومَ الخميس لعشرٍ خَلَون من جُمادى الآخرة سنةَ ستٍّ وثلاثين، وفي ذلك اليوم كانت وقعةُ الجمل، واختُلِفَ في عمره، فقيل: سبعٌ وستُّون، وقيل: ستٌّ وستُّون، وقيل غيرُ ذلك[٩]، وكان له عشرون ولدًا؛ أحدَ عشرَ ذَكرًا[١٠].

---

(١) في (د) و(ق): «جويرة».

(٢) «صفة الصفوة» (١: ١٣٠).

(٣) «مسند أبي يعلى» (٦٦٦)، و«مستدرك الحاكم» (٥٥٧٣)، وانظر في الكلام عليه: «علل الدارقطني» (٤: ٢٤٦) (٥٤١)، و«المغني عن الحفظ والكتاب» (٢: ٥٢٧) (٩٤)، و«مجمع الزوائد» (٧: ٢٣٥) (١٢٠٢٨).

(٤) في (ق) و(د): «منها».

(٥) انظر: «التحفة اللطيفة» (١: ٣٥٦-٣٥٧).

(٦) «مسند أحمد» (٦٨١)، و«الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (١٩٦).

(٧) «الاستيعاب» (٢: ٥١٥)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٢٢).

(٨) في (ق): «توفي».

(٩) انظر: «تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» (١: ١٢٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٤١٨)، و«البداية والنهاية» (٥: ٣٤٤).

(١٠) انظر: «الرياض النضرة» (٤: ٢٩١).

[عبد الله بن الزبير رضي الله عنه]

[١٨] ومنهم: عبدُ الله بنُ الزبير[١].

ويكنَّى أبا بكر، وأمُّهُ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ الصدِّيق، رضي الله عنه.

وهو أوَّلُ مَولودٍ وُلِدَ في الإسلام، أتوا به النبيَّ ﷺ، فأخذ ﷺ تمرةً فلاكها ثمَّ أدخلها في فيه، فأوَّلُ ما دخل في بطنه ريقُ النبيِّ ﷺ[٢]. قالت أسماء: «ثمَّ مسحه وصلَّى عليه، وسمّاهُ عبدَ الله»[٣].

كان رضي الله عنه كثيرَ الصومِ والصلاة، كان إذا صلَّى كأنّه عُودٌ من الخشوع[٤]. قاله مُجاهِدٌ.

وكان إذا سجد يُطوِّلُ حتَّى تنزلَ العصافيرُ على ظهره لا تَحسِبُه إلّا جِذْمًا. قاله يحيى بن وثاب[٥]. والجِذم: أصلُ الشيء، والجِذمة: القطعةُ من الحبل، ونحوه[٦].

قال ابنُ المنكدر: «لو رأيتَ ابنَ الزبير يُصلِّي كأنّه غصنُ[٧] شجرةٍ تَصفِقُه الريحُ»[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ٢٣)، و«المنتظم» (٦: ١٣٧).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«البداية والنهاية» (٨: ٣٣٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٥٨).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٥٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩١).

(٤) انظر: «الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ١٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

(٦) انظر: «جمهرة اللغة» (١: ٤٥٤)، و«الصحاح» (٥: ١٨٨٣).

(٧) «غصن» ليس في (د).

(٨) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠٣٧)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٣٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

قال عمرُ بنُ قيس: قالت أمِّي: دخلتُ على ابن الزبير بيتَه وهو يُصلِّي، فسقطت حيّةٌ من السقف على ابنه، ثم تطوَّقت على بطنه وهو نائمٌ، فصاح أهلُ البيت، ولم يزالوا بها حتَّى قتلوها، وابنُ الزبير يُصلِّي ما التفتَ ولا عَجِل، ثمَّ فرغَ بعدما قُتِلَتِ[1] الحيّة، فقال: ما بالُكم؟ فقالت زوجتُه: رحمك الله، أرأيت إن كُنّا هُنّا عليك، أيَهُونُ عليك ابنُك[2]؟

قال مُحمدُ بنُ حُميد: كان ابنُ الزبيرِ يُحيِي الدهرَ أجمع، ليلةً قائمًا حتَّى يُصبِح، وليلةً راكعًا حتى يُصبِح، وليلةً ساجدًا حتَّى يصبح[3]. [٤٣/ب]

كان رضي الله عنه يصومُ يومَ الجمعة، فلا يُفطِر إلّا ليلةَ الجمعةِ الأخرى، ويصومُ بالمدينةِ فلا يُفطِرُ إلّا بمكّة، ويصوم بمكّةَ فلا يفطر إلّا بالمدينة، وأوَّلُ ما يُفطِرُ عَلَى لَبَنِ لِقحةٍ[4].

قالت أمُّه أسماء: «كان صوّامًا بالنهارِ قوّامًا بالليل، وكان يُسمَّى: خادِمَ المسجد»[5].

قال وهبُ بنُ كَيسان: «ما رأيت ابن الزبير يعطِي قطُّ لرغبةٍ ولا لرهبةٍ سلطانًا ولا غيره».

---

(١) قوله: «بعد ما قتلت الحية» في (د): «من بعد ما قتلوا الحية».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢-٣٠٣)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٩: ٦١)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٢).

(٣) انظر: «مختصر قيام الليل» (٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٣).

(٥) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٣)

قُتِلَ في أيّام عبد الملك بن مروانَ سنةَ ثلاثٍ وسبعين، وعمرُه ثلاثٌ وسبعون سنةً، وقيل غيرُ ذلك، وصُلِبَ بعد قتله بمكّة، وحاصرَه[١] الحجّاجُ الخبيثُ بمَن معه.

قال له رجلٌ من قريش: يا عبدَ الله، ألا نفتحُ لك الكعبةَ[٢] فتدخلها؟ فقال: واللهِ لو وَجدُوكم تحت أستارِ الكعبة لقتلوكم، وهل حرمةُ المسجدِ إلّا كحُرمةِ البيت؟ ثمَّ شدَّ عليه أصحابُ الحَجّاج الخبيث، فقال: أين أهلُ مِصرَ؟ فقالوا: هؤلاء من هذا الباب، أحدِ أبواب المسجد، فقال لأصحابِه رضي الله عنه وعنهم: اكسروا أغمادَ سُيوفِكم، ولا تميلوا عنِّي، ثمَّ حمل عليهم وحملوا عليه، وكان يضرب بسيفَين، فلحق رجلًا فضربَه بالسيف فقطع يدَه، وانهزموا[٣]، وجعل يضربُهم حتَّى أخرجَهم من بابِ المسجد، ثمَّ دخل عليه أهلُ حمص، فشدَّ عليهم وجعلَ يَضرِبُهم حتَّى أخرجَهم من بابِ المسجد، ثمَّ دخل عليه أهلُ الأردن من بابٍ آخر، فجعل يضربهم حتَّى أخرجَهم من بابِ[٤] المسجد، فأقبل عليه حجرٌ من باب الصفا فوقعَ بين عينَيه، فنكس رأسه، فاجتمعوا عليه، ولم يزالوا يضربونَه حتَّى قتلوه ومَولِيَّته جميعًا، فلمّا قُتِلَ كبَّر عليه أهلُ الشام[٥].

فقال عبدُ الله بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «المُكبِّرون عليه يومَ وُلِدَ خيرٌ مِن المُكبِّرين عليه يَومَ قُتِلَ»[٦].

---

(١) في (د): «حاصره» بسقوط الواو.
(٢) في (د): «باب الكعبة».
(٣) في (د): «فانهزموا».
(٤) «باب» ليس في (ق).
(٥) «المعجم الكبير» للطبراني (١٣: ٩٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ٢٣١-٢٣٢)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٤).
(٦) انظر: «الاستيعاب» (٣: ٩٠٩)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٥)، و«فوات الوفيات» (٢: ١٧٤).

قال مجاهدٌ: كنت مع ابنِ عُمر، فمرَّ على ابن الزبير وهو مَصلوبٌ، فوقف عليه فقال: رحمك الله؛ فإنّك كنت صوّامًا قوّامًا وَصُولًا للرحم، وإنّي لأرجو ألّا يُعذِّبَك الله، فبلغ ذلك الحَجّاج، فأنزله[1] عن جذعِه، ثمَّ أرسل إلى أمِّه أسماءَ[2] بنتِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ، رضي الله عنه، فأبَت أن تأتِيه، فأعاد عليها الرسول، إمّا أن تأتيني أوْ لأبعَثنَّ إليك مَن يَسحَبُكِ بقُرونِك، فأبَت، وقالت: والله لا آتِيكَ حتَّى تبعثَ إليَّ مَن يسحبني بقروني، فقال الخبيث: أرُونِي سَبْتِيَّتي[3]، فأخذ نعلَيه، ثمَّ انطلق حتَّى دخل عليها، فقال: كيف رَأَيْتِنِي[4] قد صنعتُ بعدوِّ الله؟

فقالت رضي الله عنها: رأيتُك أفسدتَ عليهِ دُنياه، وأفسدَ عليك آخرتَك، بلغَني أنّك تقول له: يا ابنَ ذاتِ النِّطاقَين؛ أمّا أحدُهما فكنت[5] أرفعُ بهِ طَعامَ [٤٤/أ] رسولِ الله ﷺ وطعامَ أبي بكر من الدَّواب، وأما الآخرُ فنِطاقُ المرأةِ التي لا تَستَغنِي عنه، أما إنّ رسولَ الله ﷺ حدَّثنا «**أنّ في ثقيفَ كذّابًا ومُبِيرًا**»، فأمّا الكذّابُ فرأيناه، وأمّا المُبيرُ فلا إخالُك إلّا إيّاه، فقام عنها ولم يُراجِعها. أخرجه مُسلِم[6]. والكذّاب: المُختارُ بنُ عُبَيدٍ الثقفيُّ[7]، والله أعلم.

* * *

(١) في (د): «فأرسل فأنزله».
(٢) «أسماء» ليس في (د).
(٣) النعال السبتية: هي التي تتخذ من جلود البقر المدبوغة بالقرظ. وسميت بذلك؛ لأن شعرها سبت عنها أي: أزيل. وقيل: لأنها انسبتت بالدباغ أي لانت. انظر: «الصحاح» (١: ٢٥١)، و«النهاية في غريب الحديث» (٢: ٣٣٠)، و«لسان العرب» (٢: ٣٦).
(٤) في (ق): «رأتني».
(٥) في (ق): «كنت».
(٦) «صحيح مسلم» (٢٥٤٥).
(٧) «الثقفي» ليس في (د)، وانظر: «مختصر تاريخ دمشق» (٥: ١٤٣).

[عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه]

[١٩] ومنهم: عبدُ الرحمن بنُ عوف[١].

وكنيتُه: أبو مُحمَّد.

وهو قرشيٌّ[٢]، يجتمع مع رسول الله ﷺ في كلاب بنِ مُرّة، وكان اسمُه في الجاهلية عبدَ عمرٍو، وقيل: عبدُ الحارث، فسمّاه رسولُ الله ﷺ: عبدَ الرحمن الصادِقَ البارَّ[٣]، ذكره الدارقطنيُّ.

أسلم قديمًا قبل أن يدخلَ رسولُ الله ﷺ دارَ الأرقم[٤].

قال ابنُ الضحّاك: وهاجَر الهجرتَين[٥]، وصلَّى رسولُ الله ﷺ خلفه في غزوةِ تبوكَ الركعةَ الأخيرة، وكانت صلاةَ الصبح، والعادةُ أنّه لا يموت نبيٌّ حتَّى يُصلِّيَ خلف رجلٍ صالحٍ من أمَّته[٦].

وكان بارًّا رحيمًا، جاء يومًا بأربعةِ آلاف درهم صدقةً إلى النبيِّ ﷺ، وقال: كان عندي ثمانية، أمسكتُ أربعةَ آلاف لنفسي وعيالي، وأربعةً أُقْرِضُها[٧] ربِّي عزَّ وجلّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**بارك الله لك فيما أمسكتَ وفيما أعطيت**»،

---

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٢٤٧)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٤٠١).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٢٤٧)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٤٠١).

(٣) «مسند أحمد» (٢٦٥٥٩)، و«مستدرك الحاكم» (٥٣٥٧).

(٤) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٣: ٣٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٣١).

(٥) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٤٠١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٠١)، و«مرآة الزمان» (٥: ٢٨٦).

(٦) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٣١).

(٧) في (د): «أقرضتها».

ونزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، نزلت فيه، وفي عثمانَ رضي الله عنهما. قاله الواحِديُّ[١] وابنُ الجوزيِّ[٢].

شهد المَشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وثبت[٣] مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد، وهو أحَدُ العشرةِ المشهود لهم بالجنّة[٤].

قال عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه: رأيت النبيَّ ﷺ في منزل فاطمةَ والحسنُ والحسينُ يبكيان جوعًا ويتضوَّران، فطلع عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ بصحيفةٍ فيها حَيسٌ ورغيفان بينهما إهالة، فقال رسول الله ﷺ: «**كفاك الله[٥] أمرَ دنياك، وأمّا[٦] آخِرَتُك فأنا لها ضامِنٌ**». أخرجه الحافِظُ أبو القاسم في «**الأربعين**» في الطِّوال.

وكان رضي الله عنه شديدَ الخوف.

قال سعدُ بنُ إبراهيم: قال أبي: «أُتِي عبدُ الرحمن بطعام، وكان صائمًا، فقال: قُتِلَ مصعبُ بنُ عمير، وهو خيرٌ منِّي، فكُفِّنَ في بُرْدةٍ إن غُطِّيَ رأسُه؛ بدت رِجْلاه، وإن غُطِّيَ رجلاه؛ بدا رأسُه، وقُتِلَ حمزةُ وهو خيرٌ منِّي، فلم [٤٤/ب] يوجد له ما يُكفَّن فيه إلّا بُرْدةٌ، ثمَّ بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسِطَ».

وقال: «أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكونَ حسناتُنا قد عُجِّلَت لنا، ثمَّ جعل يبكي حتَّى ترك الطعامَ». أخرجه البخاريُّ[٧].

وعَن نَوفَل بنِ أبان، قال: أُتِيَ عبدُ الرحمنِ بصحيفةٍ فيها خبزٌ ولَحمٌ، فلمّا

(١) «أسباب النزول» للواحدي (٨٩).
(٢) «زاد المسير» (١: ٢٣٨).
(٣) في (د): «وثبت رضي الله عنه».
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٢٤٧).
(٥) لفظ الجلالة ليس في (ق).
(٦) في (د): «وأمر».
(٧) «صحيح البخاري» (١٢٧٥).

وُضِعَت بكى عبدُ الرحمن، فقُلنا: يا أبا عبدِ الرحمن ما يُبكيك؟ فقال: مات[١] رسولُ الله ﷺ، ولم يشبع هو وأهلُ بيته من خُبزِ الشَّعير، ولا[٢] أرانا أُخِّرنا لما هو خيرٌ لنا[٣].

قال المِسوَرُ بنُ مَخرمة: باع عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ أرضًا له بأربعين ألف دينار، فقسمه في أمَّهاتِ المُؤمِنينَ وفقراء المسلمين، وتصدَّق مرّةً بأربعين ألفًا من الدَّراهِم، ثُمَّ بأربعين ألفَ دِينار، ثمَّ خمس مئة فرسٍ في سبيل الله[٤]، ثمَّ وردت لهُ قافلةُ تجارةٍ من الشام، فحمَلها إلى رسول الله ﷺ، فدعا له بالجنّة.

قال طلحةُ بنُ عبد الرحمن بن عوف: كان أهلُ المدينة عيالًا على عبد الرحمن بن عوف؛ ثلثٌ يُقرِضُهم[٥]، وثُلثٌ يقضي دَينَهم، وثُلثٌ يَصِلُهم[٦].

قال عروةُ بنُ الزبير: أوصى عبدُ الرحمن بخمس مئة ألف دينارٍ في سبيل الله[٧]. أخرجه الفضائليّ.

قال جعفرُ بنُ برقانٍ[٨]: بلغني عن عبد الرحمن بن عوف أنّه أعتق ثلاثين ألفًا، وأعتق في يومٍ ثلاثين عبدًا[٩].

---

(١) في (ق): «هلك». (٢) في (د): «ولو».
(٣) «حلية الأولياء» (١: ٩٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٣٣).
(٤) «مسند إسحاق بن راهويه» (١٧٥٥)، و«الزهد» للإمام أحمد (١٠٩٧).
(٥) في (د): «يقرض».
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٢٩٤)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣١٢).
(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ١٣٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٢٩٩)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٠).
(٨) في النسخ: «برقاد»، والمثبت موافق لما في المصادر.
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٣٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣١٣).

وكُلُّ هذا المال من بركةِ دعوةِ النَّبيِّ[١] ﷺ، وكان فقيرًا[٢] مع عِفَّة.

قال: لمّا قدِمتُ المدينةَ آخَى رسولُ الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال لي سعدٌ: إنّي أكثرُ الأنصار مالًا، فأقسم لك نصفَ مالِي، وانظر أيَّ[٣] زَوجَتَيَّ هَوِيت، فأنزِلُ لك عنها، فإذا حلَّت تزوَّجتَها[٤]، فقلت: لا حاجةَ لي في ذلك، هل من سوق تجارةٍ؟ قيل: سوقُ بني قَيْنُقاع، فغدَوت إليه.

قال الراوي: فما لبث أن جاء وعليه أثرُ صُفرة، فقال رسول الله ﷺ: «**تزوَّجتَ؟**»، قال: نعم، قال: «**ومَن؟**»، قال: امرأةً من الأنصار، قال: «**فكم سُقتَ؟**»، قال: زِنةَ نواةٍ[٥] من ذهب، أو نواةً من ذهبٍ[٦]، فقال ﷺ: «**أولِم ولو بشاةٍ**»[٧]. أخرجه البخاري.

قال الزهريّ: «كان عامّةُ ماله من التجارة»، قال عثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه: «مالُه حلالٌ».

قال أنسٌ رضي الله عنه: «بَينا عائشةُ رضي الله عنها في بيتها إذ سمعت صوتًا رَجَّت منه المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا:/ عيرٌ قَدِمت لعبد الرحمن بن عوفٍ [٤٥/أ] من الشام، وكانت سبعَ مئة راحلة، فقالت عائشةُ رضي الله عنها: أما إنّي سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**رأيتُ عبدَ الرحمن بن عوف يدخل الجنّةَ حبوًا**»، فبلغَه ذلك، فأتاها فسألها عمّا بلغَه، فحدَّثَته، فقال: فإنّي أُشهِدُكِ أنّها بأحمالها[٨]

---

(١) «صحيح البخاري» (٥١٥٥)، و«صحيح مسلم» (١٤٢٧).
(٢) في (د): «فقرًا».
(٣) في (د): «إلى أي».
(٤) في (د): «تزوجها».
(٥) في (د): «نواية».
(٦) قوله: «أو نواة من ذهب» ليس في (د).
(٧) «صحيح البخاري» (٢٠٤٨).
(٨) في (د): «بأحملها».

وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عزَّ وجلَّ»[١].

وكان يومًا صائمًا، فأُتيَ بطعام، فذكر أصحابَ رسول الله ﷺ وضِيقَ عَيشِهم، فلم يَزَل يبكي، وترك الطعام، ثمَّ جعل يقول: قد خشِيتُ[٢] أن تكونَ حسناتُنا عُجِّلَت لنا من بَسْطِ الدُّنيا[٣].

تُوفِّي رحمه الله تعالى سنةَ اثنين وثلاثين، ودُفن بالبقيع وهو ابنُ اثنين وسبعين سنةً، وقيل غيرُ ذلك، والله أعلم.

هكذا كانوا رضي الله عنهم تأتيهم الدنيا بأهونِ سَعي، ثمَّ يُحَرِّمُونَ أنفسَهم ويَبرُّون بها رجاءَ ما عندَ الله.

وأنتم يا سَفلةُ يا أبناءَ المزبلة يجمع أحدُكم هذا المالَ الخبيثَ بكَدٍّ وتعب، ومَشقّةِ أسفار، وغيرها، ويُضَيِّعُ بسببِها دِينَه، حتَّى إنّ صَلاتَهُ تَلعَنُه، ويحرص على تحصيلها ولو بذهاب راحتِهِ وتشتُّتِه، ولا يتوقَّف فيمَن يُعامِلُه، سواءً كان بَرًّا أو فاجرًا، ولا يعرف العقدَ الصحيحَ من الفاسِد، ويُكوِّرُ نفسَه في نارِ المُخالَفات، ويَبذُل من هذا المالِ الخبيثِ جُمَلًا في وُجوهِ المَعاصِي والشَّهَوات، ويتلذَّذ بإعطاءِ الظَّلَمةِ والتقرُّب إلى خَواطِرِهم، وإن كانَ فيه[٤] غضبُ الربِّ وغضبُ رسولِه ﷺ، ويمرُّ على الضعيفِ والضعيفة، واليتيمِ واليتيمة، والزَّمِنِ والزَّمِنة، ويرى مِن حالِه ما يَهُدُّ قَلبَ مَن ذاقَ طَعمَ لا إلَهَ إلّا الله، فلا يلوي عليه، وربَّما أغضى عنه، ولا ينظر بعينه الملأى من الحرامِ إلَيه.

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٢٦٤)، و«حلية الأولياء» (١: ٩٨).

(٢) في (د): «خشينا».

(٣) «الجهاد» لابن المبارك (٩٦).

(٤) في (د): «في».

قاتَلَكم الله، ما أجهلَكم وأحبَّكم فيما يُرضِي الشيطان ويُغضِبُ الرحمن! فكأنِّي بأحدكم وقد سُلَّت نَفسُه الخبيثةُ سَلًّا عنيفًا، ووُضِعَ عليه خِرقة، ودُسَّ في قبرٍ مُظلِم، فجاءه مُنكَرٌ ونَكيرٌ عليهما من الله السلام، وشمّا بطنَك فوجدا فيه لُقمةً من الحرام، فنفخا فيه نفخةً فالتهبَ جسمُك نارًا.

وقد ذكرت جُمَلًا ممّا يتعلّق بذلك في كتاب «**قمع النفوس**»، وهو ممّا لا يُستغنَى عنه، فعليك بتحصيله؛ فإنّه مُفيد، والله أعلم.

* * *

[سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه][١]

[٢٠] ومنهم: سعدُ بنُ أبي وقّاص.

ولم يَزَل اسمُه سعدًا[٢] في الجاهليّة والإسلام، ويُكنَّى: أبا إسحاق، أسلم قديمًا بعد ستّةٍ هو سابعُهم، وهو ابنُ سبعَ[٣] عشرةَ سنةً[٤].

وهو أوَّلُ مَن رمى بسهمٍ في سبيل الله تعالى من العرب[٥]، وهو قُرَشيٌّ يجتمع مع رسول الله ﷺ في كلاب بنِ مُرّة[٦].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٣: ١٠١)، و«معجم الصحابة» لابن قانع (١: ٢٤٧)، و«الرياض النضرة» (٤: ٣١٩).

(٢) «سعدًا» ليس في (د).

(٣) في (ق) و(د): «تسع».

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ١٠٣).

(٥) «مسند أحمد» (١٤٩٧)، و«مصنف عبد الرزاق» (١٦٣١٠)، و«مسند الحميدي» (٧٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٩٣٨٩).

(٦) انظر: «أسد الغابة» (٢: ٤٥٢).

[٤٥/ب] وهو الذي قال للنبيِّ ﷺ: مَن أنا يا رسولَ الله؟ قال: «**سعدُ بنُ مالك بن وُهَيب بن عبد مناف**»[(١)].

ولم يَزَل مُلازِمًا رسولَ الله ﷺ إلى أن تُوفِّي وهو عنه راضٍ، وكان مُستجابَ[(٢)] الدعوة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**اللهمّ استجب لسعدٍ إذا دعاك**»[(٣)]. أخرجه الترمذيّ.

وكان قد قال للنبي ﷺ: ادعُ لي أن[(٤)] يستجيبَ الله دعائي، فقال: «**يا سعد، إنّ الله تعالى لا يستجيب دعاءَ عبدٍ حتَّى يُطيِّبَ طُعمتَه**»، فقال: يا رسولَ الله، ادعُ لي أن يُطيِّبَ طُعمَتي؛ فإنّي لا أقوى إلّا بدعائك، فقال: «**اللهمّ أطب طُعمةَ سعدٍ**»، فكان رضي الله عنه يرى السنبلةَ من القمح في حشيشِ دوابّه، فيقول: رُدُّوها من حيث حصدتُموها[(٥)].

قال سعد: يا ربّ، إن لي صغارًا فأخِّر عنّي الموت، فأُخِّر عنه عشرين سنة[(٦)].

وشكا أهلُ الكوفة سعدَ بنَ مالكٍ إلى عمر، فقالوا: لا يُحسِنُ الصلاة، فقال سعد: أمّا أنا فكنت أصلِّي بهم صلاةَ رسول الله ﷺ، أركد[(٧)] في الأولَيين، وأُخفِّف في الأُخرَيَين[(٨)].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ١٠١)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٣: ٤).

(٢) في (د): «مجاب».

(٣) «جامع الترمذي» (٣٧٥١)، و«مستدرك الحاكم» (٤٣١٤).

(٤) «أن» ليس في (ق).

(٥) قوله: «حصدتموها» ليس في (ق). وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٣٤٠)، و«الرياض النضرة» (٤: ٣٢٣).

(٦) في (ق) و(د): «عشر سنين». وانظر: «دلائل النبوة» (٦: ١٦١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٣٥٠)، و«المنتظم» (٥: ٢٨١).

(٧) في (د): «أركض».

(٨) في (ق): «الأخيرين».

فقال عمرُ رضي الله عنه: ذلك الظنُّ بك يا أبا إسحاق، فبعث عمرُ رجالًا يسألون عنه في مساجد الكوفة، فلا يأتون مسجدًا إلّا أثنَوا خيرًا، حتَّى أتوا مسجدًا من مساجد بني عبس، فقال رجلٌ يقال له أبو سَعدة: اللهمَّ إنَّه[١] كان لا يسير بالسريّة، ولا يَعدِل في القضيّة، ولا يَقسِم بالسويّة، فقال سعدٌ رضي الله عنه: اللهمّ إن كان كاذبًا فأطِل عُمرَه، وأطِل فَقرَه، وعرِّضه للفتن.

قال جابرُ بنُ سَمرة: فأنا رأيته بعد أن قد[٢] سقطَ حاجباه على عينَيه من الكِبَر وإنّه ليتعرَّضُ للجواري في الطرق[٣] فيغمِزُهنّ، فإذا قيل له: كيف أنت يا أبا سَعدة؟ قال: شيخٌ كبيرٌ مَفتونٌ أصابتني دعوةُ سعد[٤].

وكانت آيِسة[٥] تُشرِفُ[٦] عَلَيه في وُضُوئِه، فنَهاها فلَم تَنتَه، فقال: شاهَ وجْهُك، فلَمْ تَزَل شوهاءَ[٧].

ودخل عليه مولًى لابنِه عُميرٍ يَشتَكِي ضَربَه حتَّى أدماه، فنهاهُ عن ضَربِه، وأمَرَهُ فيهِ بمعروف، فأغلظ له القول، فقال: أجرَى الله دمَك في عَقِبِك، فقتلَه المُختارُ[٨]، وكان مَشهورًا بإجابة الدعوة، وتُخاف دعوتُه رضي الله عنه[٩].

---

(١) «إنه» ليس في (د). (٢) «قد» ليس في (د).

(٣) في (د): «الطريق». (٤) «صحيح البخاري» (٧٥٥).

(٥) كذا في (ق)، وفي (د): «آسية»، ولعلها: «ابنته» كما في «الرياض النضرة» (٤: ٣٢٤).

(٦) في (د): «تشرق».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» (٢٠: ٣٤٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٣٤٤)، و«الرياض النضرة» (٤: ٣٢٤)، و«السير» (١: ١١٧).

(٨) انظر: «الرياض النضرة» (٤: ٣٢٤).

(٩) انظر: «تاريخ بغداد» (١: ٤٧٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٣٥٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٢٩٤).

جمع رسولُ الله ﷺ له يومَ أُحُدٍ بين أبَوَيه، فكان يقولُ له: «**ارمِ فداك أبي وأمِّي**»[١].

قال سعدٌ: كان رجلٌ من المشركين قد أحرَقَ المسلمين، فقال لي النبيُّ ﷺ: «**ارمِ فِداك أبي وأمي**»، فنزعتُ له بسهمٍ ليس فيه نصل، فأصبتُ[٢] جبهتَه، فسقط وانكشفت عورتُه، فضحك رسولُ الله ﷺ حتَّى رأيتُ نواجِذَه[٣].

[٤٦/أ] شهد رضي الله عنه بدرًا والحديبيةَ والمشاهدَ كلّها، وهو أَحَدُ العشرة المَشهود لهم بالجنّة، وصبر مع رسول الله ﷺ في ضِيق العيش.

قال: إني لأوَّلُ العرب رمى سهمًا في سبيل الله، ولقد كنّا نغدو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ إلّا ورقَ الحَبَلةِ[٤]، وهذا السَّمُر، حتى إن كان أحدُنا لَيَضعُ كما تضعُ الشاةُ ما لهُ[٥] خِلْط[٦]. رواه الشيخان.

وكان لم يَزَل زاهدًا، قال عامرٌ: بَينا سعدٌ في إبله جاءه ابنُه عمر، فلمّا رآه قال: أعوذُ باللهِ مِن شَرِّ هذا[٧] الراكِبِ[٨]، فقال له: نزلتَ في إبِلِك، وتركت الناس يَتَنازَعُون في[٩] المُلك؟ فضرب سعدٌ صَدرَه، وقال: اسكت، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ الله تعالى يُحِبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ**»[١٠]، أخرجه مُسلِم. والمراد: غِنى النفس[١١].

---

(١) «صحيح البخاري» (٦١٨٤)، و«صحيح مسلم» (٢٤١١).

(٢) في (د): «فأصيبت».

(٣) «صحيح مسلم» (٤٢).

(٤) في (د): «الحيلة».

(٥) «له» ليس في (ق).

(٦) «صحيح البخاري» (٥٤١٢)، و«صحيح مسلم» (٢٩٦٦).

(٧) «هذا» مثبت من المصادر الحديثية.

(٨) في (ق): «الركب».

(٩) «في» ليس في (ق).

(١٠) «صحيح مسلم» (٢٩٦٥).

(١١) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١: ٢٤٨)، و«شرح النووي على مسلم» (١٨: ١٠٠)، و«شرح المشكاة» للطيبي (١٠: ٣٣٢٧).

وكان رضي الله عنه حريصًا على البِرِّ والصدقة واقتفاء أثر النبوّة.

مات بالعقيقِ على عشرة أميالٍ من المدينة، وحُمِلَ على أعناق الرجال إلى المدينة، ثمَّ صلَّى عليه أزواجُ النبيِّ ﷺ، ووصَّى أن يُكفَّن في جُبّةِ صوفٍ له كان لقي بها المشركين يوم بدر، فقال: أُخبِّئُها لهذا. فكُفِّن فيها[١].

قال الواقديّ: «وكان ذلك سنةَ خمسٍ وخمسين، وقيل غير ذلك، وعمرُه بضعٌ وسَبعون سنة، وقيل: بضعٌ وثمانون، وقيل غيرُ ذلك»[٢].

* * *

[سعيد بن زيد رضي الله عنه]

[٢١] **ومنهم: سعيدُ بنُ زيدٍ**[٣].

ولم يَزَل ذلك اسمَه في الجاهليّة والإسلام، وكان سعيدًا اسمًا ومعنًى.

ويكنَّى: أبا الأعور، وهو قرشيٌّ عدويٌّ[٤]، يَجتمع مع رسول الله ﷺ في كعبِ بن لؤيّ، ويُنسَب إلى عديِّ بنِ كعب، وعمرُ بنُ الخطّاب ابنُ عمِّ أبيه، وأسلَمَ قديمًا، وقبل إسلام عمر، وهو أحدُ العشرة المشهودِ لهم بالجنّة[٥].

---

(١) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١: ١٣٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٢٣٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٨٢).

(٢) انظر: «البدء والتاريخ» (٥: ٨٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٢٩٣)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٣: ٦٣).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٦)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٣: ٦٢)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٢٣٦).

(٤) «عدوي» ليس في (د).

(٥) انظر: «أسد الغابة» (٢: ٢٣٥-٢٣٦)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٣٧-٣٣٩)، و«شجرة النور الزكية» (٢: ٩٠).

وكان أبوه زيدٌ يَطلبُ دِينَ الحَنِيفِيَّة دِينَ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ قبل أن يُبعَثَ رسول الله ﷺ، وكان لا يذبح للأنصاب، ولا يَأكُلُ المَيتةَ ولا الدَّم، وخرج يطلب الدِّينَ هو وورقةُ بنُ نوفل، فتنصَّر ورقة، وأبى هو التنصُّر، فقال لَهُ الراهِب: إنك تَطلُبُ دِينًا ما هو على الأرضِ اليَوم، قال: وما هو؟ قال: دِينُ إبراهيمَ؛ كان يعبد الله وحدهُ[١] ولا يُشرِكُ به شيئًا، ويُصلِّي إلى الكعبة، فكان زيدٌ على ذلِكَ حتَّى ماتَ[٢].

وكان سَعِيدٌ[٣] رضي الله عنه مُستجابَ الدَّعوة، خاصَمتهُ أروَى في بَعضِ دارِه، فقال: دَعُوها وإياها؛ فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن أخَذَ شِبرًا مِن الأرضِ بغَيرِ حَقٍّ طُوِّقَهُ[٤] في سَبعِ أرَضِين يوم القِيامةِ**»[٥]، اللهمّ إن كانَت كاذبةً فأعمِ بصرَها، واجعَل [٤٦/ب] قبرَها في دارِها.

قال مُحمَّدُ بنُ زيد: فرَأيتُها عَمْياءَ تَلتمِسُ الجُدُر، تقول: أصابَتنِي دَعوةُ سَعِيدِ بنِ زَيد، فبَينَما هي تَمشِي في الدّارِ إذ مَرَّت على بئرٍ في الدّار، فوَقَعَت فِيها، فكانَت قَبرَها. أخرجه مُسلِمٌ[٦].

وكان سعيدٌ زاهدًا[٧]، لمّا أرسل عمرُ رضي الله عنه إلى أبي عُبيدةَ يقول له: أخبِرني عن خالدٍ وعن فلان، وعن سَعِيد، فأثنى خيرًا، ثمَّ قال: وأمّا سعيد فما عهدت إلّا أنّ السؤددَ ما زاده إلّا زهدًا في الدنيا ورغبةً في الآخرة[٨].

---

(١) «وحده» ليس في (د).

(٢) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٣٧)، و«شجرة النور الزكية» (٢: ٩٠).

(٣) في (ق): «سعد».

(٤) في (د): «طوق».

(٥) «صحيح البخاري» (٣١٩٨)، و«صحيح مسلم» (١٦١٠).

(٦) «صحيح مسلم» (١٦١٠).

(٧) في (د): «ذا زهدٍ».

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ٦٨)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٤٢).

تُوفِّيَ بالعقيق رضي الله عنه وحُمِل إلى المدينة، ونزل في[١] حُفرته سعدٌ وابنُ عمر، سنةَ خمسين، أو إحدى وخمسين، وكان يومَ مات ابنُ بضعٍ وسبعين سنة[٢].

* * *

[أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه]

[٢٢] **ومنهم:** أبو عبيدةَ بن الجرّاح رضي الله عنه[٣].

واسمُه عامِر، ولم يَزَل ذلك اسمَه في الجاهليّة والإسلام، وكنيتُه: أبو عبيدة، وبها اشتهر، ولقَّبه رسولُ الله ﷺ بأمين هذه الأمّة[٤].

وهو قرشيٌّ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في فهرِ بنِ مالك.

أسلَم قديمًا وهاجَر إلى الحبشة، شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا، وهو ابنُ إحدى وأربعين سنةً، وما بعدها من المشاهد كلِّها، وشهد بيعةَ الرضوان، وثبت معه يومَ أُحُد.

وقَتل أباه يومَ بدرٍ كافرًا، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، الآية[٥].

---

(١) «في» ليس في (د).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٣٧)، و«مرآة الزمان» (٧: ٢٤٤)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٤٥٣).

(٣) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٤٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٢٧)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٤).

(٤) انظر: «المعارف» (١: ٢٤٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٢٧)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٤).

(٥) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٥١٥٢)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ١٠٠)، و«أدب الدنيا والدين» (١٤٨).

وهو أحدُ العشرةِ المشهودِ لهم بالجنّة[١]، كان رضي الله عنه يَسيرُ في العسكر ويقول: «ألا رُبَّ مُبَيِّضٍ لثيابه مُدنِّسٍ[٢] لدينه، ألا رُبَّ مُكرِمٍ لنفسه وهو لها مُهِينٌ، بادِرُوا السيئاتِ القديماتِ بالحسناتِ الحادِثات»[٣].

وكان رضي الله عنه زاهدًا، قال عروةُ بنُ الزبير: لمّا قَدِم عمرُ بنُ الخطّاب الشامَ تَلقّاه أمراءُ الأجنادِ وعلماءُ أهل الأرض، فقال عمر: «أين أخي؟ قالوا: مَن؟ قال: أبو عُبَيدة، قالوا: يأتيك الآن، فلمّا أتاه نَزلَ[٤] فاعتنقه، ثم دخل بيته، فلم يرَ فيه إلّا سيفَه وتُرسَه ورَحْلَه، فقال له عمر: ألا اتَّخَذت ما اتَّخذ أصحابُك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا يُبلِّغُني المَقِيلَ»[٥]. وفي رواية: فقال عمر: «غرَّتنا الدنيا كلَّنا غيرَك يا أبا عبيدةَ»[٦].

وقد تقدَّم لك عيشُ عمرَ وما كان عليه من الضيق، رضي الله عنهم.

ودخل إنسانٌ على أبي عبيدةَ وهو يبكي، فقال: ما يُبكيك؟ فقال: يُبكيني أنّ رسولَ الله ﷺ ذكر يومًا ما يفتح الله على المسلمين حتَّى ذكرَ الشام، فقال: [٤٧/أ] «**إن يُنسَأ في أجلك يا أبا عبيدةَ فحسبُك من الخدم كذا، وحسبُك من الدوابِّ كذا**»، وقد امتلأ بيتي ومَربَطِي، وكيف ألقى رسولَ الله ﷺ بعد هذا، وقد أوصانا ﷺ:

---

(١) انظر: «المعارف» (١: ٢٤٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٢٧)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٤).

(٢) في (ق): «ومدنس».

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٦٢١)، و«الزهد» للإمام أحمد (١٠٢٦)، و«الزهد» لأبي داود (١١٦).

(٤) «نزل» مثبت من المصادر.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٣٨)، و«مرآة الزمان» (٥: ٢٨٧).

(٦) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٥٣).

«**إنّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي مَن لَقِيَني على الحال التي**[١] **فارَقَنِي عليها**»، رواه الإمامُ أحمد[٢].

وكان مُتواضعًا جدًّا، بعث ملكُ الروم إليه: إنّا نُرِيدُ[٣] أنْ نُرسِلَ إليكَ رَجُلًا منّا يعرض عليك الصلح، ويدعوك إلى النَّصَف، فقال: ابعثوا، فبعثوا رجلًا طويلًا أحمرَ أزرق، فلمّا دنا من المسلمين لم يعرف أبا عبيدةَ من القوم، ولم يَدرِ أهو فيهم أم لا، ولم يرَ هيئةَ[٤] مكان أميرٍ من الأمراء، فقال: يا معشرَ العرب، أين أميرُكم؟ فقالوا: هذا ذا، فنَظَر، فإذا هو بأبي عُبَيدةَ جالِسًا عليه الدرع، وهو مُمسِكٌ الفرس، وبيده أسهُمٌ يُقلِّبُها[٥] وهو جالِسٌ على الأرض، فقال له: أنت أميرُ هؤلاء؟ قال: نعم، فقال: ما يُجلِسُك على الأرض، أرأيت إن كنتَ جالسًا على وسادة، أو كان تحتك بساط، أكان ذلك واضِعَك عند الله، أو هل يُبعِدُك من الإحسانِ؟

فقال له أبو عبيدة: إن الله لا يستحيي من الحقّ، لأصدُقَنَّك، ما أصبحت أملِكُ إلا سَيفِي وفَرَسِي وسِلاحِي، ولقد احتجتُ أمسِ إلَى نَفَقةٍ فاقترضتُ[٦] مِن أخِي هَذا ـ يعني: معاذَ بنَ جبل ـ ولو كان عندي بساطٌ ما كنتُ لأجلس عليه وأُجلِسَ أخي المسلم الذي لا أدري لعلَّه خيرٌ منِّي منزلةً عند الله تعالى على الأرض، ونحن عبادُ الله، نمشي على الأرض، ونجلس عليها، ونأكلُ عليها، ونَضطَجِعُ عَلَيها، وليس ذلك بناقِصِنا عند الله تعالى، بل تَعظُمُ بِهِ أُجُورُنا وتُرفَعُ به درجاتُنا، فهلُمَّ حاجتَك التي جئتَ لها[٧]، والله أعلم.

---

(١) في (ق): «الذي».
(٢) «مسند أحمد» (١٦٩٦).
(٣) قوله: «إنا نريد» في (د): «أبا يزيد».
(٤) في «الرياض النضرة»: «يرهبه».
(٥) في (د): «يقبلها».
(٦) في (د): «واقترضت».
(٧) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٥٥).

ولمّا وجَّهَه عمرُ رضي الله عنه إلى الشام تَلقّاه في جنوده وهو على قَلوصٍ مُكتنِفَها بعَباءة، خِطامُها من شَعر، لابِسٌ سلاحَه، مُتَنكِّب قوسَه، وكان لا يزالُ همُّهُ أمرَ المُسلِمين.

قَحَطَ الناسُ في خلافة عمر، وأبو عبيدةَ يومئذٍ بالشام، فكتب إليه عمر: الغَوثَ الغَوث، أدرِك المسلمين، فكتب أبو عبيدة: قد أتَتكَ العيرُ أوَّلُها عندك وآخرُها بالشّام[١].

تُوفِّي رضي الله عنه في طاعُونِ عَمواس بالأردن من الشّامِ ـ وفيها قبرُه ـ سنة ثمانِ عشرةَ في خلافة عمر، وهو ابنُ ثمانٍ وخمسين سنة، وصلى عليه معاذُ بنُ جبل، رضي الله عن الصحابة أجمعين[٢].

* * *

[حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه]

[٢٣] **ومنهم**: حمزةُ بنُ عبد المُطَّلِب رضي الله عنه وأرضاه[٣].

ويكنَّى: أبا عمارة، وهو عمُّ رسول الله ﷺ، ولمّا أسلم عَزَّ بِهِ رسولُ الله ﷺ والمسلمون[٤].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤ : ٣٥٧).

(٢) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (١٥٥)، و«صفة الصفوة» (١ : ١٣٩)، و«وفيات الأعيان» (٧: ٢١٤).

(٣) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (١ : ٣٦٩)، و«صفة الصفوة» (١ : ١٤٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٣: ١٠٤).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (١ : ٣٦٩)، و«صفة الصفوة» (١ : ١٤٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٣ : ١٠٤).

قال مُحمدُ بنُ كعبٍ القرظيّ: نال أبو جهلٍ من رسولِ الله ﷺ، فبلغ [٤٧/ب] حمزة، فدخل المسجدَ مُغضَبًا، وضرب رأسَ أبي جهل بالقوس ضربةً أوضحته(١).

وكان من حُماة الدين، وَصُولًا للأرحام، قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: وقف رسولُ الله ﷺ على حمزةَ حيث استُشهد، فنظر إليه وقد مُثِّل به، فقال رسولُ الله ﷺ: «**رحمةُ الله عليك؛ فإنّك كنتَ كما عَلِمتُ فَعُولًا للخيرات، وَصُولًا للرحم، أما والله لأُمثِّلَنَّ بسبعين منهم مكانَك**»، فنزل جبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ والنبيُّ ﷺ واقِفٌ بعدُ بخواتيم سُورةِ النَّحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، إلى آخر السورة، فصبر النبيُّ ﷺ وأمسك عمّا أراد(٢).

قال جابرُ بنُ عبد الله: كتب معاويةُ إلى عامله بالمدينة أن يُجرِيَ عينًا إلى أُحُد، فكتب إليه: إنّها لا تجري إلّا على قبور الشهداء، فكتب معاويةُ أن أنفِذها، قال: فسمعتُ جابرًا يقول: فرأيتُهم يُخرَجون على أعناق الرجال كأنّهم رجالٌ نُوَّم، حتَّى أصابت المِسحاةُ قدمَ حمزةَ رضي الله عنه، فانبعث دمًا(٣). والله أعلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٣: ٩)، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٤٨٧٨)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٦٧٣).

(٢) انظر: «تفسير ابن المنذر» (٢: ٤٤٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٩٣٧)، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٣: ٢١٨).

(٣) انظر: «المنتظم» (٣: ١٨٣)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٢).

[زيد بن حارثة رضي الله عنه]

[٢٤] **ومنهم**: زيدُ بنُ حارثة[١].

ويُقال له: زيدُ الحِبُّ[٢]، وأمُّه سُعدى، زارت قومًا[٣] وزيدٌ مَعها، فأغارت خيلٌ في الجاهليّة، فأخذت زيدًا وهو يومئذٍ غلام، فوافَوا به سوقَ عكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيمُ بنُ حزام لعمَّته خديجةَ بنتِ خويلدٍ رضي الله عنها بأربعِ مئةِ درهم، فلمّا تزوَّجها رسولُ الله ﷺ وهبَته له ـ وكان يُكنَّى أبا أسامةَ ـ فلمّا فقدَه أبوه حارثةُ أنشد فيه أبياتًا مُحزِنةً، ومن جملتها[٤]:

فإن هبَّــتِ الأرْواحُ[٥] هيَّجنَ ذِكرَهُ ... فيا طُولَ ما حُزنِي عليك ويا وَجَلِ[٦]

فحجَّ ناسٌ من كعب، فرأوا زيدًا فعرفوه وعرفهم، فقال: أبلِغوا أهليَ هذه الأبياتَ، من جملتها:

فكُفُّوا عن الوَجدِ الذي قد شَجاكُمُ ... ولا تُعمِلُوا في الأرضِ نَصَّ الأباعِرِ

فإنّـي بحَمـدِ الله فـي خَيـرِ أُسرةٍ[٧] ... كِــرامِ مَعَــدٍّ كابِــرًا بعــدَ كابِــرِ[٨]

فلمّا رجعوا أعلَموا أباه، فخرج أبوه حارثةُ وأخوه كعبٌ بفِدائه، فقَدِما مكّة، فسألا عن رسول الله ﷺ، فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا: يا ابنَ هاشم،

---

(١) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٣)، و«أسد الغابة» (٢: ١٢٩).

(٢) في (ق): «الخيل».

(٣) في «تلقيح فهوم أهل الأثر»: «قومها».

(٤) البيت من الطويل، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١: ٢٤٨)، و«الطبقات الكبرى» (٣: ٤١).

(٥) كذا في المصادر، وفي (ق) و(د): «الأرياح».

(٦) في (د): «ويا وجدي».

(٧) في (د): «أسوة».

(٨) البيتان من الطويل، وانظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٤١)، و«الاستيعاب» (٢: ٥٤٤).

يا ابنَ سيِّدِ قَومِه، أنتم أهلُ حَرَمِ الله تعالى وجيرانه، تَفُكُّون[١] العانيَ وتُطعِمون الأسير، جئناك في ابنِنا، فامنُن علينا وأحسِن إلينا في فدائه، فإنّا سنرفع لك في الفداء، قال: «**ما هو؟**»، قالوا: زيدٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**فهلّا غيرُ ذلك؟**»، فقالوا: وما هو؟ قال: «**أدعُوه**[٢] **وخيِّروه، فإن اختارَكم فهو لكم بلا فداء، وإن اختارني فواللهِ ما أنا بالذي أختار على مَن اختارَني أبدًا**»، فقالوا: زِدتَنا[٣] على النَّصَف وأحسَنت، فدعاه، فقال: «**هل تعرف هؤلاء؟**»، قال: نعم، هذا أبي، وهذا عمِّي، قال: «**فأنا مَن قَد عَلِمتَ ورأيتَ صُحبَتي لك، فاختَرني أو اختَرهما**»، فقال زيد: ما أنا بالَّذِي أختارُ عَلَيكَ أحدًا، أنتَ مِنِّي بمَكانِ الأبِ والعمّ، فقالا: وَيحَك يا زَيدُ! أتَختارُ العُبُودِيّةَ على الحُرِّيّةِ وعلى أبِيكَ وعمِّك وأهلِ بَيتِك؟! [٤٨/أ]

قال: نعم، إنّي قد[٤] رأيتُ من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا، فلما رأى رسولُ الله ﷺ ذلك أخْرَجَهُ إلى الحِجر، وقال: «**يا مَن حَضَر، اشهَدُوا أنّ زيدًا ابنِي**»، فلمّا رأى أبوه وعمُّه ذلك منه طابَت أنفُسُهما وانصَرفا، فدُعِيَ زيدٌ مِن ثَمَّ ابنَ مُحمَّدٍ حتَّى جاء الله بالإسلام[٥].

قال الزُّهرِيّ: «أوَّلُ مَن أسلم زيدٌ»[٦].

قال أهلُ السِّيَر: وشهد زيدٌ بدرًا، وأُحُدًا، والخندق، والحديبية، وخيبر، وخرج أميرًا في سبع سرايا، ولم يُسمَّ أحدٌ من الصحابةِ في القرآنِ باسمه غيرُه[٧].

---

(١) في (د): «تكفون».
(٢) في (ق): «أودعوه».
(٣) في (د): «أردتنا».
(٤) «قد» ليس في (د).
(٥) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧-٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٣-١٤٤).
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٣٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٤)، و«أسد الغابة» (٢: ١٣٠).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٤).

قُتِلَ رضي الله عنه في غزوةِ مُؤتةَ في جمادى الأولى سنةَ ثمانٍ، وهو ابنُ خمسٍ وخمسين سنة، بكى عليه رسولُ الله ﷺ حتَّى انتحب، والله أعلم[1].

* * *

[سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه][2]

[٢٥] ومنهم: سالمٌ مَولى أبي حُذيفةَ رضي الله عنه[3].

قال ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما: كان سالمٌ يَؤُمُّ المهاجرين من مكّةَ إلى المدينة؛ لأنّه أقرَؤُهم، وفيهم: أبو بكرٍ وعمرُ[4].

قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه: لو استخلَفتُ سالمًا مولى أبي حذيفة، فسألني عنه ربِّي: ما حمَلَك على هذا؟ لقُلت: ربّ، سمعتُ نبيَّك ﷺ يقول: «**إنّه يُحِبُّ الله عزَّ وجلَّ حقًّا من قلبه**»[5].

قال أحمدُ بنُ عبد الله: «استُشهِد سالمٌ مولى أبي حذيفةَ باليمامة، أخذ اللواءَ بيمينه فقُطِعت، ثمَّ تناولها بشماله فقُطِعت، ثمَّ اعتنقَ اللواء، وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، إلى أن قُتِلَ»[6]، والله أعلم.

---

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٢: ٣٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٣٦٨).
(٢) ترجمة الصحابي سالم مولى أبي حذيفة ليست في (د).
(٣) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ١٨٩)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٧١٣)، و«المنتظم» (٤: ٩٠).
(٤) «صحيح البخاري» (٧١٧٥).
(٥) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢: ٧٤٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٧٧).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٧٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٣٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٥).

[عبد الله بن جحش رضي الله عنه]

[٢٦] ومنهم: عبدُ الله بنُ جحش[١].

أسلم قبل دُخولِ رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، وهاجَر إلى أرضِ الحبشةِ الهجرةَ الثانيةَ[٢].

وبَعثَه رسولُ الله ﷺ في[٣] سريّةٍ إلى نخلة، وفيها سُمِّي أمير المؤمنين، فهو أوَّلُ مَن دُعِيَ بذلك[٤].

قال سعيدُ[٥] بنُ المسيَّب: قال رجلٌ: سَمِعتُ عبدَ الله بنَ جَحشٍ يقولُ قَبلَ يَوم أُحُدٍ بيوم: اللهمَّ إنّا[٦] لاقَوا هَؤُلاءِ غَدًا، وإنّي أُقسِمُ عَلَيكَ لمّا يَقتُلُوني، ويَبقُرُوا بَطنِي، ويَجدَعُونِي[٧]، فإذا[٨] قلت: لِمَ فُعِلَ بكَ ذَلِكَ؟ فأقُول: اللَّهُمَّ فِيك، فلما التَقَوا فُعِلَ به ذلك[٩]، فقالَ ذلك الرجلُ الذي سَمِعَه: أمّا هَذا فقَدِ استُجِيبَ لَه، وأعطاهُ الله تَعالى ما سَألَهُ في جَسَدِه في الدُّنيا، وأنا أرجُو أن يُعطَى ما سَألَ [٤٨/ب] في الآخِرة[١٠].

قال إسحاقُ بن سعد بنُ أبي وقاص: حدَّثني أبي: أنّ عبدَ الله بنَ جحشٍ

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٢٢)، و«الاستيعاب» (٣: ٨٧٧).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٥)، و«أسد الغابة» (٣: ٩٠)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ١٨٦).
(٣) «في» ليس في (د).
(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦٥١٣)، و«أسد الغابة» (٤: ٦٥٦)، و«مرآة الزمان» (٣: ١٩٢).
(٥) في (د): «سعد».
(٦) «إنا» مثبت من المصادر، وفي بعض المصادر: «إذا».
(٧) في (د): «ويخدعوني».
(٨) في (د): «وإذا».
(٩) انظر: «الثبات عند الممات» (١٠٥).
(١٠) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٦)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٨٤- ٢٨٥).

رضي الله عنه قال له يومَ أُحُد: ألا ندعو الله، فخَلَوا في ناحية، فدعا عبدُ الله، فقال: يا ربِّ إذا لقيتُ العدوَّ غدًا فلقِّنِي رجلًا شَدِيدًا بأسُه، شديدًا حَردُه، أقاتِلُه فيك ويُقاتِلُني، ثُمَّ يَأخُذُني فيجدَعُ[1] أنفِي وأُذُنِي، فإذا لَقِيتُكَ غَدًا قُلت: يا عبدَ الله، مَن جدعَ[2] أنفك؟ فأقول: فيك وفي رَسُولِك، فتقول: صدقت، قال سعدٌ[3]: فلقيتُهُ آخِرَ النَّهار وإنَّ أُذُنَه وأنفَه لَمُعلَّقتان في خيطٍ[4].

قُتِلَ عبدُ الله بنُ جحشٍ يوم أُحُد، قَتَلهُ أبو الحكم بنُ الأخنَس، ودُفِنَ هو وحَمزةُ في قبرٍ واحد، وكان عُمرُ عبدِ الله يَومَ قُتِلَ بضعًا وسبعين سنةً رضي الله عنه وأرضاه[5]. والله أعلم.

* * *

[عتبة بن غزوان رضي الله عنه]

[٢٧] ومنهم: عتبةُ بنُ غزوانَ[6].

يُكنَّى: أبا عبد الله.

هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانيةَ وشهد بدرًا[7]، واستَعمَلَهُ عمرُ رضي الله عنه على البَصرة، وهو الذي بصَّرها[8]، ولم يُعبَد فيها صنمٌ ولا غيرُه إلّا الله.

---

(١) في (د) و(ق): «فيجذع». (٢) في (ق): «جذع».

(٣) في (ق): «سعيد».

(٤) انظر: «معجم الصحابة» للبغوي (١٥١٨)، و«حلية الأولياء» (١: ١٠٨)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤٠٤٧).

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٣: ٨٧٩).

(٦) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١٠٢٦)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٦).

(٧) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١٠٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٦)، و«أسد الغابة» (٣: ٤٦١).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٦)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧).

خطب يومًا عتبة، فحمدَ الله تعالى وأثنى عَلَيه، ثمَّ قال: أمّا بَعدَ حَمدِ الله؛ فإنّ الدُّنيا آذَنَت بصَرم، وولَّت حَذّاء[١]، ولم يَبقَ منها إلّا صُبابةٌ كصُبابة الإناء يتصابُّها صاحبُها، وإنّكم مُنقلِبون منها إلى دارٍ لا زَوالَ لها، فانقلِبوا[٢] بخيرِ ما يحضُرنَّكم[٣]؛ فإنّه قد ذُكِر لنا أنّ الحَجرَ يُلقى من شَفةِ جهنَّم فيَهوِي فِيها سَبعِين عامًا، ما يُدرِكُ لَها قَعرًا، والله لتُملأَنّ[٤]؛ أفَعَجِبتُم؟

والله لقد ذُكِرَ لنا: أنّ ما بين مِصراعَي الجنّةِ مَسيرةَ أربعين عامًا، وليأتِيَنَّ عليه يومٌ[٥] كَظِيظ الزحام، ولقد رأيتُني وأنا سابعُ سبعةٍ مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ إلّا ورقَ الشَّجَر، حتَّى قَرِحَت أشداقُنا، وإنّي التقَطتُ بُردةً فشقَقتُها بيني وبين سعدٍ يأتزِر[٦] بنِصفِها وآتَزِرُ بنصفها، فما أصبحَ منّا أحدٌ اليومَ إلّا أصبحَ أميرَ مِصرٍ من الأمصار، وإنّي أعوذ بالله أن أكونَ في نفسي عظيمًا وعند الله صغيرًا، وإنّها لم تكن نبوّةٌ إلّا تناسَخَت حتَّى تكونَ عاقِبتُها مُلكًا، وستكون وستَرونَ الأمرَ بعدنا. أخرجه مُسلِمٌ[٧] وحدَه، والله أعلم.

قلت: في قوله: «وإنّها لم تكن نبوّةٌ إلّا تناسَخَت حتَّى تكونَ مُلكًا»، إشارةٌ لطيفة، وهو الشخصُ وإن كان صادقًا فيما يَفعَلُه من الطّاعات، فلا يأتي به في صورةٍ يتأتَّى منها نوعُ ولاية؛ لأنّها ستَصِلُ بعد ذلك إلى خروجِها عَن الطّاعة، وتكون ولايةً وفتنة، ولقد رأينا ذلك وشاهدناه وتحقَّقناه، وهو مَوجودٌ في زمانك هذا.

فأنتَ تُشاهِدُ رِباطاتٍ وزوايا ومدارِسَ وغيرَها بُنِيَت لإنشاءِ الخَيرِ والعِلم، وحِفظِ الشَّريعةِ والطريقة، فبادَرَ ولدُ الشيخ مع جَهلِه، بَل قلّة دِينه، بل تَظاهُرِه/ [٤٩/أ]

---

(١) قوله: «وولت حذاء» غير واضح في (د). (٢) في بعض المصادر: «فانتقلوا».

(٣) في بعض المصادر: «ما بحضرتكم» و«ما يحضركم».

(٤) في (ق): «لتملأنه». (٥) في (د): «يومٌ له».

(٦) في (د): «يتزر». (٧) «صحيح مسلم» (٢٩٦٧).

بالمعاصي أن وثب، فأقام نفسَه مقامَ أبيهِ أو شيخِه، واتَّخذ ذلك المكانَ مَلعبةً ومأوى الفسقةِ من طلبة الجهل، وتَردُّد الظَّلَمةِ الذين يُشاهَد منهم بُغضُ رسولِ الله ﷺ.

ومِصداقُه: أنّك إذا أفدتَهُ[1] بحديثٍ عنه ﷺ على خلافِ هواه وجدتَ مِنهُ نُفرةً وتَغيُّظًا، ولَو قَدرَ عَلى إزهاقِ نَفسِكَ لفعل، فالحذرَ الحذرَ من مُحدَثاتٍ تكون في صورة القُربة، وتجرُّ إلى ما ذَكرنا.

ولا تغترَّ ببحثِ بعضِ المُتفقِّهة من جهةِ أنّا نفعل ما فيه البرُّ والخير، وما حدث بعدَ ذلك فليس من صَنيعِنا، فهذا إنّما يَصدُر ممَّن لا درايةَ له بأفعالِ الصحابةِ وقولِهم، والتابعين لهم بإحسان، نعوذ بالله من خديعةِ النفس الأمّارة والشيطان، والله أعلم.

قَدِمَ عتبةُ على عُمرَ فردَّه إلى البصرةِ واليًا، فمات في الطريقِ سنةَ سبعَ عشرة، وقيل: خمسَ عشرة، وهو ابنُ سبعٍ وخمسين سنة[2]، وقيل: خمسٍ وخمسين[3]، والله أعلم.

* * *

[مصعب بن عُمَير رضي الله عنه]

[٢٨] ومنهم: مُصعبُ بنُ عُمَيرٍ[4].

---

(١) في (ق): «قدته».

(٢) قوله: «وقيل:خمس عشرة، وهو ابن سبع وخمسين سنة» ليس في (د).

(٣) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ٢٩٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٦).

(٤) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٧)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٨٩).

يكنَّى: أبا مُحمَّدٍ.

دخل على رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، فأسلم وكتم إسلامَه، وكان يتردَّد إلى رسول الله ﷺ سرًّا، فلمّا علموا به حبسوه، فلم يَزَل محبوسًا حتَّى خرج إلى أرض الحبشةِ في الهجرةِ الأولى، ثمَّ خرج في الهجرةِ الثانية[١].

وكان قبل الإسلامِ من أنعَمِ الناس عيشًا، فلمّا أسلم زَهِدَ في الدنيا حتى[٢] تحشَّف جِلدُه تحشُّفَ الحيّة[٣].

قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه: نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى مُصعبِ بن عُمَيرٍ مُقبلًا وعليه إهابُ كبشٍ قد تنطَّقَ به، فقال النبيُّ ﷺ: «**انظُروا إلى هذا الرجل؛ قد نوَّر الله قلبَه، لقد رأيتُه بين أبوَين يَغذُوانِه بأطيبِ الطعامِ والشراب، فدعاه حبُّ الله ورسولِه إلى ما ترون**»[٤].

الإهاب: الجلدُ مربوطٌ في وسطه.

وَيحَكُم يا سفلة! إنّ أحدَكم يرى الذبحَ أهونَ عليه[٥] من تَغيير زِيِّه، قلبُ أحدِكم مَحشوٌّ من كلِّ فتنة، لو علم الكلبُ ما انطوى عليه قلبُه لَما بالَ عَلَيه، يا عبيدَ الشَّيطان، سَلَكتُم سبيلَهُ ومع ذلك تُظهِرون، بل تظنُّون، بل تعتقدون أنّكم سالكون[٦] سبيلَ الرحمن، كذبتُم والله في زَعمِكم، ولو رَجعتُم إلى الله ولو

---

(١) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٧)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٨٩).

(٢) «حتى» ليس في (ق).

(٣) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٥: ٢٥٥٦)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٧)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٨٩).

(٤) «الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية» لأبي نعيم الأصبهاني (٤٥)، و«حلية الأولياء» (١: ١٠٨)، و«مسند الفاروق» (٣: ١٠٩).

(٥) في (د): «عليه أهون».

(٦) في النسخ: «سالكين».

لحظةً لنادَيتُم على أنفُسِكم بكلِّ مُصيبة، إلّا أنّ الجهلَ حِجابٌ كثيف[1]، وعادةٌ قد حُكِّمَت، فلا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله.

يا معشرَ الصادقين، تأسَّوا بمَن بهم تُقامُ الحُجّة، ودَعُوا أهلَ الشهوات والشُّبُهات، واللهُ أعلم.

قال خَبّاب: هاجَرنا مع رسولِ الله ﷺ، فوجَب أجرُنا على الله عزَّ وجلّ، فمنّا مَن مضى ولم يأكل من أجرِه شيئًا؛ منهُم مُصعبُ بنُ عُمَير، قُتل يومَ أُحُد، فلم نجد شيئًا نُكفِّنه به إلّا نَمِرة، كُنا إذا غطَّينا بها رأسَهُ خَرَجَت رِجلاه، وإذا غطَّينا رجلَيه خرجت[2] رأسُه، فأمرَنا رسول الله ﷺ أن نُغطِّيَ بها رأسَه، ونجعل على رِجلَيهِ إذخِرًا، ومنا مَن أينَعَت له ثمرتُه، فهو يَهْدِبُها[3]. أخرجه البخاريُّ[4] ومُسلِم[5]. [٤٩/ب]

حَملَ مُصعَبٌ اللواءَ يومَ أُحُد، فلمّا جال المسلمون ثبت به مُصعَب، فأقبل ابنُ قَمِئةَ اللعينُ فضربَ يدَه اليمنى فقَطَعَها، فأخذ اللواءَ باليسرى، فضربَها فقطعَها، فضمَّهُ بعَضُدَيهِ[6]، وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فحملَ عليه الثالثةَ بالرمح فأنفَذَه منه[7].

قال عبدُ الله بنُ فضلٍ[8]: فأخذ اللواءَ مَلَكٌ على صورةِ مُصعب، فجعلَ النبيُّ ﷺ يقول لهُ[9] في آخر النهار: «**تقدَّم يا مُصعَبُ**»، فالتفت إليه الملَك، فقال: لستُ بمُصعَب، فعرفَ رسولُ الله ﷺ أنّه ملَكٌ أُيِّدَ به[10].

---

(١) في (ق): «كشف».
(٢) في (ق): «خرج».
(٣) في (د): «يهزبها».
(٤) «صحيح البخاري» (٤٠٨٢).
(٥) «صحيح مسلم» (٩٤٠).
(٦) في (ق): «بصدره».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٨)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٩٠).
(٨) في (د): «فضيل».
(٩) «له» ليس في (ق).
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٨)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٩٠).

قُتِلَ رضي الله عنه وهو ابنُ أربعينَ سنةً أو يزيدُ شيئًا[١]، والله أعلم[٢].

* * *

[عُمَير بن أبي وقاص رضي الله عنه]

[٢٩] ومنهم: عُمَيرُ بنُ أبي وقّاصٍ[٣]، أخو سعدٍ رضي الله عنهما.

عن عامرِ بن سعد، عن أبيه، قال: رأيتُ أخي عُمَيرَ بنَ أبي وقّاصٍ قبل أن يعرضنا رسولُ الله ﷺ للخروج إلى بدرٍ يتوارَى، فقلت: ما لك يا أخي؟

قال: إنّي أخاف أن يراني رسولُ الله ﷺ، فيستَصغِرَني فيردَّني، وأنا أُحِبُّ الخروجَ، لعلَّ الله تعالى يرزقني الشهادة، قال: فعُرِض على رسول الله ﷺ فاستصغرَه فردَّه، فبكى عُمَير، فأجازه رسولُ الله ﷺ، قال سعدٌ: وكنت أعقِدُ له حمائلَ سيفه من صِغَرِه، فقُتِلَ ببدرٍ وهو ابنُ سِتّةَ عشرَ سنة، قتله عمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ[٤].

* * *

[عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

[٣٠] ومنهم: عبدُ الله بنُ مَسعود[٥].

ويُكَنَّى: أبا عبد الرحمن.

---

(١) انظر: «المنتظم» (٣: ١٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٨)، و«أسد الغابة» (٤: ٤٠٦).

(٢) قوله: «قُتل رضي الله عنه وهو ابن أربعين سنةً أو يزيد شيئًا، والله أعلم» ليس في (د).

(٣) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٣: ١٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٤: ٦٠٢).

(٤) انظر: «المنتظم» (٣: ١٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٩).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٨: ١٩٧).

أسلَم قَبلَ دُخولِ رسولِ الله ﷺ دارَ الأرقم، وهاجَرَ إلى الحبشة، وشهد بدرًا والمشاهِدَ كلّها، وكان صاحِبَ رسولِ الله، ووسادِه وسِواكِه ونَعلَيه وطَهورِه في السفر[١].

وكـان يُشـبِهُ النبيَّ[٢] ﷺ في هَـديِه[٣] ودَلِّه وسَـمْتِه[٤]، وكانَ قَلِيلَ اللَّحمِ قَصِيرًا[٥].

قال عبدُ الله: كنتُ غُلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعُقبةَ[٦] بن أبي مُعَيط، فجاء النبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ رضي الله عنه، وقَد فرّا[٧] مِنَ المُشرِكِين، فقالا: «**يا غلام، هل عندك من لبنٍ تسقينا[٨]؟**»، فقلت: إنّي مُؤتَمَن، ولَستُ ساقِيَكُما، فقال النبيُّ ﷺ: «**هل عِندَكَ من جَذَعةٍ لم يَنزُ عَليها الفحلُ؟**»، قلت: نعم، فأتَيتُهما[٩] بها، فاعتقَلَها النبيُّ ﷺ ومسح الضرعَ ودعا فحَفل، ثمَّ أتاه أبو بكرٍ بصَخرةٍ مُنقَعِرة، فاحتلب فيها[١٠]، فشرب [٥٠/أ] أبو بكر، ثم شربت، ثمَّ قال للضرع: «**اقلص**»، فقلص، قال: فأتيته بعد ذلك فقلت: علِّمني من هذا القول، فقال: «**إنّك لَغُلامٌ مُعلَّمٌ[١١]**»، فأخذت من فِيهِ سَبعِينَ سُورةً لا يُنازِعُني فيها أحد[١٢].

كان ابنُ مَسعودٍ رضي الله عنه يجتني سِواكًا من أراك، وكان دقيقَ الساقَين،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٨: ١٩٧).

(٢) في (د): «بالنبي».

(٣) في (د): «زيه».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٨: ١٩٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٨: ١٩٨).

(٦) في (ق): «لعتبة».

(٧) كذا في المصادر، وفي النسخ: «نفرا».

(٨) في (د): «فتسقينا».

(٩) في (د): «وأتيتهما».

(١٠) «فيها» ليس في (د).

(١١) في (ق): «تعلم».

(١٢) «مسند أحمد» (٤٤١٢)، و«صحيح ابن حبان» (٦٥٠٤)، و«مسند بن أبي شيبة» (٣٨٨).

فجَعَلَت الريحُ تكفؤُهُ[١]، فضحك القومُ منه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مِمَّ تضحكون؟**»، قالوا: يا رسولَ الله، من دِقّةِ ساقَيه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لَهُما أثقلُ في الميزانِ من أُحُد**»[٢].

قال زيدُ بنُ وهب: «أقبلَ ابنُ مَسعودٍ ذاتَ يومٍ وعمرُ جالِس، فقال: كُنَيفٌ مُلِئَ فِقهًا»[٣].

قال تميمُ بنُ حذلم[٤]: قال: «جالَستُ أصحابَ رسول الله أبا بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهم، ما رأيتُ أحدًا أزهدَ في الدنيا ولا أرغبَ في الآخرة ولا أحبَّ إليَّ أن أكونَ في مِسلاخِه منك يا عبدَ الله بنَ مسعود»[٥].

قال مسروق: «قال رجلٌ عند عبدِ الله بنِ مسعود: ما أحبُّ أن أكونَ من أصحابِ اليمين، بل أكونُ من المُقرَّبين أحَبُّ إليّ، فقال عبدُ الله: لكن هنا رجلٌ وَدَّ أنّه إذا مات لا يُبعَث، يعني نفسَه»[٦].

قال الحسن: قال عبدُ الله بنُ مسعود: «لو وقفتُ بين الجنّةِ والنار، فقيل لي: اختَر نُخَيِّرُكَ[٧] من أيِّهما تكون أحبَّ إليك أو تكونُ رمادًا؛ لاخترت أن أكونَ رمادًا»[٨].

---

(١) في (د): «تكف أذياله رضي الله عنه».

(٢) «مسند أحمد» (٣٩٩١)، و«حلية الأولياء» (١: ١٢٧).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٤٥).

(٤) في (ق): «خذلم».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٢)، و«معجم الصحابة» للبغوي (١٤١١)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٤: ٦٢).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٣)، و«مرآة الزمان» (٦: ٨).

(٧) «نخيرك» مثبت من المصادر.

(٨) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (٩: ١٠٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٣٣).

قال أبو وائل: قال عبدُ الله: «وددتُ أنّ الله غفر ذنبًا من ذنوبي وأنَّهُ[١] لا يُعرَف نَسَبي»[٢].

قال زيدُ بنُ وهب: «بكى ابنُ مسعودٍ حتَّى رأيتُه أخذ بكفِّه من[٣] دموعه، فقال به هكذا»[٤].

قال أبو ثابت: خرج ابنُ مَسعودٍ ذاتَ يوم، فاتَّبَعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجةٌ؟ قالوا: لا، ولكن أَرَدنا أن نمشيَ معك، فقال: ارجعوا؛ فإنّه ذِلّةٌ للتابع، وفتنةٌ للمتبوع[٥]. والله أعلم.

وَيحَك! بل وَيلَك يا مخدوع، هذا عبدُ الله بنُ مَسعودٍ مع جَلالَتِه وعِظَمِ قَدرِه يخاف على نفسه الفتنة، وأنت يا فاسدَ المُخيِّلةِ مع جَهلِك وغَرقِكَ في بحر الشهوات والشُّبهات لا تُحِسُّ بذلك، بل تفرح بمثل ذلك، بل تغضب على مَن مشى مع غيرك، قاتَلَك الله تعالى، ما أبلَهَك[٦] وأحمَقكَ؛ إنّا لله وإنّا إليه راجعون من فقهاءِ السوء وفقراءِ الرِّجس.

قال إبراهيمُ التيميُّ: قال الحارثُ بنُ سُوَيد: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «لو تعلمون ما أعلمُ من نفسي حَثَيتُم على رأسي الترابَ»[٧].

---

(١) في النسخ: «وأنا».

(٢) انظر: «المعرفة والتاريخ» (٢: ٥٤٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٣).

(٣) «من» ليس في (د).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٣)، و«مرآة الزمان» (٦: ٨).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٦٣١٤)، و«مرآة الزمان» (٦: ٩)، و«الرياض النضرة» (٣: ٩٦).

(٦) في (ق): «أبلمك».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٣)، و«مرآة الزمان» (٦: ٩).

كان رضي الله عنه لم يَزَل يُؤثِرُ ثوابَ الآخرة على شهواتِ النفس، قال عبدُ الله بنُ المبارك: قال الحسن: قال الأحوص: دخلنا على ابن مسعودٍ وعندَه بنون له؛ ثلاثةُ غلمان كأنّهم الدنانيرُ حُسنًا، فجعَلنا نتعجَّب من حُسنِهم، [٥٠/ب] فقال لنا: كأنّكم تَغبِطوني بهم؟ قلنا: إي والله بمثل هؤلاءِ يُغبَطُ المرءُ المُسلِم، فرفع رأسَه إلى سقف بيتٍ له صغيرٍ قد عشَّش فيه خُطّافٌ وباض[١]، فقال: والذي نفسي بيده، لأن أكونَ نَفضتُ يدي من تراب قبورِهم أحَبُّ إليَّ من أن يَسقُطَ عُشُّ هذا الخطّافِ ويَنكسِرَ بيضُه[٢].

قال قَيسُ بنُ جُبَير: قال عبدُ الله: «حبَّذا المكروهان؛ الموتُ والفقر، وأيمُ الله، إن هو إلّا الغنى والفقر، وما أبالي بأيِّهما بُلِيت، إنّ حقَّ الله في كلٍّ منهما واجِب؛ إن كان الغنى إنّ فيه العطف، وإن كان الفقرُ إنّ فيه الصبرَ»[٣].

قال الحسن: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «ما أبالي إذا رجعت إلى أهلي على أيِّ حالٍ أراهم؛ بسرّاءَ أم بضرّاء، وما أصبحت على حالٍ فتمنَّيتُ أنِّي على سواها»[٤].

قال ابنُ الوليد: كان عبدُ الله بنُ مسعود يقول: «إنّكم في مَمرِّ الليل والنهار في آجالٍ مَنقوصةٍ[٥] وأعمالٍ مَحفوظة، والموتُ يأتي بغتةً، فمَن زرع خيرًا فيُوشِك أن

---

(١) «وباض» ليس في (د).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٧١)، و«الثبات عند الممات» (٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٤).

(٣) انظر: «شعب الإيمان» (١٢: ٣٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٤)، و«مرآة الزمان» (٦: ٩).

(٥) في (د): «منقوضة».

يحصدَ رغبةً، ومَن زرع شرًّا فيُوشِكُ أن يحصدَ ندامةً، ولكلِّ زارعٍ مِثلُ ما زرع، لا[١] يَسبِقُ بطيءٌ بحظِّه، ولا يُدرِكُ حريصٌ ما لم يُقدَّر له، فمَن أُعطِيَ خيرًا الله أعطاه، ومَن وُقِيَ شرًّا فالله[٢] وَقاه، المُتَّقون سادة، والفقهاءُ قادة، ومُجالَستُهم زيادة»[٣].

المراد: الفقهاءُ الذين بهم يُقامُ الدين، وبمُجالستهم يُزهَدُ في الدنيا، ويُرغَبُ في الآخرة، أحوالُهم توافِقُ أقوالَهم، كلَّما ازدادوا علمًا ازدادوا زُهدًا وتقلُّلًا في الدنيا، يرى أحدُهم[٤] الموتَ أهونَ عليه من مُجالَسةِ غنيّ، يفرحون بالفقراءِ أكثرَ ممّا يفرحون بالغنيّ، يَبِيتون خُمصَ[٥] البُطون؛ لإيثارهم بقُوتِهم، ويتحمَّلون مَضضَ البردِ بإدفاء غَيرِهم.

صفَوا بقلوبهم مع محبوبهم، لا يَطرَبُون بغير كلامه، يَمِيدون عند سماعِه حتَّى يبقى الجليسُ لا يشعر بجليسه، إذا سَمِعَ[٦] أحدُهم نغمةَ آلةٍ وَجدَ في نفسِه ضيقةً وكراهية، حتَّى يكاد يَقيءُ ما يجد من كراهية[٧] ذلك، ويُردِّدُ[٨] أحدُهم الآيةَ طول ليله فيُسفِرُ وهو لا يشعر، لهم في حالة الترديدِ[٩] أحوالٌ غرائبُ لا تُدرَكُ بالقالِ ولا بالقيل، إنّما هي أحوالٌ سَنِيّة، وتاراتٌ مَرضيّة، كلُّ ذلك ثمرةُ تَقفِّي أثرِ سيدِ البريّة ﷺ ومُجِّدَ وكُرِّم.

---

(١) في (د): «ولا».	(٢) في (د): «الله».

(٣) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٨٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٧٦)، و«مرآة الزمان» (٦: ٩).

(٤) «أحدهم» ليس في (د).

(٥) الخمص: خلاء البطن من الطعام. انظر: «العين» (٤: ١٩١)، و«تهذيب اللغة» (٣: ٣٤)، و«الصحاح» (٣: ١٠٣٨)، و«النهاية» (٢: ٨٠)، و«لسان العرب» (٧: ٢٩).

(٦) «سمع» ليس في (د).	(٧) في (د): «كراهيته».

(٨) في (د): «يردد» بدون الواو.	(٩) في (د): «التردد».

قال عبدُ الرحمنِ بنُ زيد: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «مَن لم تأمره الصلاةُ بالمعروفِ وتنهاه عن المنكر لم يَزدَد بها من الله[١] إلّا بُعدًا»[٢].

قال عمرو[٣] بنُ ميمون: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «طافَ الشيطانُ بأهلِ مجلس ذِكرٍ ليَفتِنَهم، فلم يستطع أن يُفرِّقَهم، فأتى على [٥١/أ] حلقةٍ يذكرون الدنيا، فأغرى بينهم حتَّى اقتتلوا، فقام أهلُ الذِّكر فحجزوا بينهم فتفرَّقوا»[٤].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال موسى بنُ أبي عيسى المدنيّ: قال عبدُ الله بنُ مسعود: «من اليقينِ أن لا تُرضِي الناسَ بسَخطِ الله، ولا تحمَدنَّ أحدًا على رِزق الله، ولا تلومَنَّ أحدًا على ما لم يُؤتِك الله؛ فإنّ رزقَ الله لا يسوقه حِرصُ الحريص، ولا يَردُّه[٥] كراهيةُ الكاره، وإنّ الله بقِسطِهِ وحكمهِ وعلمِهِ جعل الرَّوحَ والفرحَ في اليقين والرِّضا، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشكِّ والسخط»[٦].

قال مُرّة: قال ابنُ مسعود: «ما دمتَ في صلاةٍ فأنت تَقرعَ بابَ المَلِك، ومَن يقرعُ بابَ المَلِك يُفتح له»[٧].

وهذا مَن هو في الصلاة، أما مَن هو في خَطَراتِ النفس فهو مُعرِضٌ عنه، ومَن هو مُعرِضٌ عنه مطرود، فضلًا عن أن يُفتَحَ له، نعوذ بالله من أسباب الطرد.

قال الحسنُ بنُ سعدٍ وعبدُ الرحمن، قالا: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «إنّي

---

(١) قوله: «من الله» ليس في (د).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٦).
(٣) في (ق) و(د): «عمر».
(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٥٥)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٦).
(٥) في (د): «يدركه».
(٦) انظر: «الزهد» لهناد بن السري (١: ٣٠٤).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٦)، و«حياة الصحابة» (٤: ١١٠).

لأحسبُ الرجلَ ينسى العلمَ كان يَعلَمُه بالخطيئة يَعملها»[١].

قال إبراهيمُ بنُ عيسى: قال ابنُ مسعود: «كونوا ينابيعَ العلم، مصابيحَ الهدى، أحلاسَ البيوت، سُرُجَ الليل، جُدُدَ القلوب، خُلقانَ الثياب، تُعرَفون في أهل السماء، وتَخفَون على أهل الأرض»[٢].

وقال: «ليس العلمُ بكثرةِ الرواية، ولكنَّ[٣] العلمَ الخشيةُ»[٤].

وقال: «لا يبلغُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى يَحِلَّ بذِروَتِه، ولا يحلُّ بذِروَته حتَّى يكونَ الفقرُ أحبَّ إليه من الغنى، والتواضُعُ أحبَّ إليه من الشرف، وحتَّى يكونَ حامِدُه وذامُّه سواءً»[٥].

وقال: «إنَّ الرجلَ لَيخرجُ من بيتِه ومعه دِينُه، فيرجع وما معه شيءٌ، يأتي الرجلَ لا يملك له ولا لنفسه ضَرًّا ولا نفعًا فيُقسِمُ له بالله إنّك لَذَيتَ[٦] وذَيت، فيرجعُ وما رجع من حاجتِه بشيء، ويسخط الله عليه»[٧].

---

(١) قوله: «يعملها» ليس في (د)، والأثر في: «مسند الدارمي» (٣٨٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٣١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١: ٦٩١).

(٢) «مسند الدارمي» (٢٦٣)، و«التبصرة» لابن الجوزي (٢: ٢٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٦-١٥٧).

(٣) في (ق): «لكن».

(٤) انظر: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (٣٨)، و«إحياء علوم الدين» (١: ٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٧).

(٥) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٦٣)، و«شعب الإيمان» (٧: ١٩٤).

(٦) في (ق) و(د): «كذيت».

(٧) انظر: «العلل ومعرفة الرجال» للإمام أحمد (٢: ١٤٥) (١٨١٦)، و«الزهد» لهناد (٢: ٥٥٥)، و«أخبار الشيوخ وأخلاقهم» (٢١٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٧).

وقال[١]: «لو سَخِرتُ من كلبٍ لَخَشِيتُ أن أُحوَّلَ كلبًا»[٢].

وقال: «الحقُّ ثقيلٌ والباطلُ خَفيف، ورُبَّ شهوةٍ تُورِثُ حزنًا طويلًا»[٣].

وقال: «يُؤتى بالعبد يومَ القيامة فيُقال له: أدِّ أمانتَك، فيقول: مِن أينَ يا ربُّ، قد ذهبت الدنيا، فتُمثَّل على هيئتها يومَ أخذها في قعرِ جهنَّم، فينزل[٤] فيأخذها، فيضعها على عاتقِه، فيصعدُ بها، حتَّى إذا ظنَّ أنّه خارجٌ بها هوَت به، وهَوى في أثَرِها أبدَ الآبدِينَ»[٥].

وقال: «لا يُقلِّدنَّ أحدُكم دِينَه رجلًا، فإن آمَن آمَن، وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بدَّ مُقتَدين فاقتدوا بالميِّت[٦]؛ فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنةُ»[٧].

قلت: صدقَ رحمةُ الله تعالى عليه؛ لقد أدركتُ رجالًا يُشار إليهم في هذه الطريقة، فكنت أرى أمورًا مُستحسَنةً أكاد أقطع، بل أقطع بأنّها النهاية، فلمّا [٥١/ب] فتح الله بالنظرِ في سيرةِ أصحاب سيِّدِ الأوَّلين والآخرين والتابعين لهم بإحسانٍ وجدتُها بدعة، بل فيها ما هو زَندقةٌ[٨]، فراجَعت بعضَ مُريدِيهِ فوجدتُه لا يرجع، وما ذاك إلّا لجَهلِه، فحمدتُ الله تعالى على ما مَنَّ به من الهِداية، ولهُ المِنّة[٩].

---

(١) «وقال» ليس في (د).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٧٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١: ٤٩٦).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٨).

(٤) «فينزل» ليس في (د).

(٥) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (٤: ٤٨٢)، و«حلية الأولياء» (٤: ٢٠١)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦: ٤٧١).

(٦) في (د): «بالموت».

(٧) انظر: «المخلصيات» (٢: ٣١١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١٨٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٩).

(٨) انظر: «إنارة الفكر» للبقاعي (٩٠).

(٩) قوله: «وله المنة» ليس في (ق).

قال ابنُه عبدُ الرحمن: يا أبا عبد الرحمن[١]، علِّمني كلماتٍ جوامعَ نوافع، فقال له: «اعبدِ الله لا تُشرك به شيئًا، وزُل مع القرآنِ حيثُ زال، ومَن جاءك بالحقِّ فاقبَل مِنه، وإن كانَ بَعِيدًا بغيضًا، ومَن جاءَك بالباطِلِ فارْدُد عَلَيه، وإن كانَ حبيبًا قريبًا»[٢].

ولّاهُ عمرُ رضي الله عنه قضاءَ الكُوفةِ وبيتَ مالِها، ودام على ذلك صدرًا من خلافةِ عثمانَ رضي الله عنه، ثمَّ صارَ إلى المَدِينة، فمات بها سنةَ ثِنتَين وثلاثين، ودُفِنَ بالبَقِيع وهو ابنُ بضعٍ وستِّين سنة، رضي الله عنه وأرضاه[٣]، واللهُ أعلم.

* * *

[المِقداد بن عمرو رضي الله عنه]

[٣١] ومنهم: المِقدادُ بنُ عمرٍو[٤].

شهد بدرًا وأُحُدًا، والمشاهدَ كلَّها مع سيِّد الأوَّلين والآخرين ﷺ، وهو أوَّلُ مَن عدا فرسُه في سبيلِ الله تعالى[٥].

قال طارقُ بنُ شهاب: قال عبد الله: لقد شَهِدتُ من المِقدادِ بن الأسودِ مشهدًا لَأن أكونَ أنا صاحبَه أحبُّ إليَّ ممّا عدل به، أتى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: والله[٦] يا رسولَ الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى:

---

(١) قوله: «يا أبا عبد الرحمن» ليس في (د).

(٢) «مسند ابن الجعد» (٢٢٣٤)، و«حلية الأولياء» (١: ١٣٤).

(٣) انظر: «المعارف» (١: ٢٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٩).

(٤) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ١٤٣)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٦).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ١٤٣)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٦).

(٦) قوله: «والله» ليس في (د).

﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[١] [المائدة: ٢٤]، ولكِنّا نُقاتِل عن يمينِك وعن يسارِك، ومن بين يديك ومن خلفك، فرأيتُ النبيَّ ﷺ أشرقَ وجهُه، وسَرَّه ذلك[٢].

قال أنسٌ رضي الله عنه: بعث النبيُّ ﷺ المِقدادَ على سريّة، فلما قَدِمَ قال له: «**أبا مَعبد، كيف وجدتَ الإمارةَ؟**»، قال: كنتُ أُحمَل وأُوضَعُ حتَّى رأيتُ أنّ لي على القومِ فضلًا، فقال: «**هو ذاك، فخُذ أو دَع**»، قال: والذي بعثك بالحقِّ لا أتأمَّرنَّ[٣] على اثنين أبدًا[٤].

مات بالجُرف، وهو ثلاثةُ أميالٍ من المدينة، حُمِلَ على رقابِ الرجالِ ودُفِنَ بالبقيع، وصلى عليه عثمانُ رضي الله عنهُ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين، وهو ابنُ سبعين سنةً أو نحوها، رضي الله عنه[٥]، واللهُ أعلم.

* * *

[خبّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه]

[٣٢] ومنهم: خبّابُ بنُ الأَرَتِّ[٦].

سُبِي فبِيعَ بمكّة، فاشترَتهُ أمُّ أنمار، وأسلم قبل دخولِ النبيِّ ﷺ دارَ الأرقم، وكان يُعذَّب في الله عزَّ وجلَّ بمكّة ليرجع عن دينه.

---

(١) في (ق) و(د): «اذهب».
(٢) «صحيح البخاري» (٣٩٥٢).
(٣) في (د): «لا تأمرني».
(٤) «حلية الأولياء» (١: ١٧٤)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٣).
(٥) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ٣٧١)، و«المنتظم» (٥: ٤٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٠).
(٦) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ١٦٠)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٣٠-٣٣١)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٣: ١١٦).

وشهد بدرًا والحديبيةَ والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ[١].

قال طارقُ بنُ شِهاب[٢]: «كان خَبّابٌ من المهاجرين الأوَّلين، وكان ممَّن يُعذَّبُ في الله[٣]، لقد أوقَدوا على ظهره نارًا، فما أطفأها إلّا وَدَكُ[٤] ظَهرِه»[٥].

[٥٢/أ] توفِّي/ بالكوفةِ سنةَ سبعٍ وثلاثين، وهو ابنُ ثلاثٍ وسبعين سنةً، وصلَّى عليه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه[٦].

❋ ❋ ❋

[صُهَيب الرومي رضي الله عنه]

[٣٣] ومنهم: صُهَيبُ بنُ سِنان[٧].

سُبِيَ وهو غلامٌ، فنشأ بالروم، ثمَّ بِيعَ بمكّة، فاشتراه عبدُ الله بنُ جُدعانَ[٨] فأعتقَه، وأسلم قديمًا، وكان من المُستضعَفين المُعذَّبين في الله تعالى، ثم هاجَرَ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٦٠)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٣١)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٣: ١١٦).

(٢) قوله: «ابن شهاب» ليس في (د).

(٣) قوله: «في الله» ليس في (د).

(٤) الودك: دسم اللحم ودهنه. انظر: «تهذيب اللغة» (١٢: ٢٦٢)، و«الصحاح» (٤: ١٦١٣).

(٥) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٣٣٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦١).

(٦) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦١)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٤: ١٦٩).

(٧) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٢)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (١: ٤٥٨).

(٨) في (ق) و(د): «جذعان».

إلى المدينة، وشهد بدرًا والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وهو من السابقين الأوَّلين[١].

قال سعيدُ بنُ المُسيَّب: «أقبل صُهَيبٌ مُهاجِرًا نحو النبيِّ ﷺ، فاتَّبعَه نفرٌ من قريش، فنزل عن راحلته، وانتثلَ ما في كنانته، ثمَّ قال: يا معشرَ قريش، لقد علمتم أنِّي من أرماكم رجلًا، وأيمُ الله، لا تَصِلُونَ إليَّ حتَّى أرمِيَ بكلِّ سهمٍ معي في كنانتي، ثمَّ أضربُ بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، افعلوا ما شِئتُم، وإن شئتم دَللتُكم على مالي وثيابي بمكّة، وخلَّيتُم سبيلي، قالوا: نعم، فلمّا قَدِم على رسول الله ﷺ المدينةَ قال: «**رَبِحَ البيعُ أبا يَحيَى، رَبِحَ البيعُ أبا يحيى**»، ونزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، الآية[٢].

قال: ما غزا رسولُ الله ﷺ غزوةً أوَّل الزمانِ وآخرَه إلّا كنتُ فيها[٣] عن يمينِه أو شِمالِه، ولا خافوا أمامهم ولا ما[٤] وراءَهُم إلّا كنت وراءَهم، وما جعلتُ رسولَ الله ﷺ بيني وبين العدوِّ قطُّ حتَّى تُوفِّي رسولُ الله ﷺ[٥].

توفِّي بالمدينةِ في شوّالٍ سنةَ ثمانٍ وثلاثين، وهو ابنُ سبعين سنة[٦].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٢)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (١: ٤٥٨).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ٢٢٨)، و«المنتظم» (٥: ١٥٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٢).

(٣) «فيها» ليس في (د).

(٤) «ما» ليس في (د).

(٥) «مستدرك الحاكم» (٥٧٠٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٥١)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٨٧).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ٢١٧)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«قلادة النحر» (١: ٣١٨).

[عامر بن فُهَيرة رضي الله عنه]

[٣٤] ومنهم: عامرُ بنُ فُهَيرة[١].

مولى أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه، اشتراه وأعتقه، وأسلمَ قبل دخولِ رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، وكان من المُستضعَفين، يُعذَّب بمكّةَ ليرجعَ عن دينِه، وشهد بدرًا وأُحُدًا[٢].

قالت عائشةُ رضي الله عنها: «لمّا لحق رسولُ الله ﷺ وأبو بكر[٣] بغارٍ في جبل ثَور، فمكَثا فيه ثلاثَ ليالٍ، ويرعى عليهما عامرٌ مِنحةً من غنم، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةً مِنَ العشاء، فيَبيتان في رِسلٍ، وهو لبنُ مِنْحَتِهِمَا حتَّى ينعق[٤] بها عامرُ بنُ فُهَيرةَ بغَلَس في كلِّ ليلةٍ من تلك الليالي الثلاث، ولم يكن مع رسول الله ﷺ حين هاجَرَ من مكّةَ إلى المدينة إلا أبو بكر وعامرٌ ورجلٌ من بني الدِّيلِ دليلُهم»[٥].

قُتِل يومَ بئرِ معونةَ سنةَ أربع من الهجرة، وهو ابنُ أربعين سنةً، طعنه جبّارُ بنُ سلمى فأنفَذَه، فقال عامرٌ: فُزتُ والله[٦]، فقال جبّارٌ الذي قتله: ما قولُه: فُزتُ والله؟ قالوا: الجنّة، فأسلَم جبّار، ولم يُوجَد جسدُ عامِر، قال عروةُ بن الزبير: «يرون أنّ الملائكةَ دفنَته»[٧]، واللهُ أعلم. [٥٢/ب]

---

(١) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٢: ٧٩٦)، و«المنتظم» (٣: ٢١١)، و«أسد الغابة» (٣: ٣٢).
(٢) في (ق): «وشهد أحدًا»، وانظر: «الاستيعاب» (٢: ٧٩٦)، و«المنتظم» (٣: ٢١١)، و«أسد الغابة» (٣: ٣٢).
(٣) في (د): «أبو بكر».
(٤) في (د): «ينفق».
(٥) «صحيح البخاري» (٥٨٠٧).
(٦) قوله: «والله» ليس في (د).
(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٦: ١٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٣)، و«مرآة الزمان» (٣: ٣٠٣).

[بلال بن رباح رضي الله عنه]

[٣٥] **ومنهم**: بلالُ بنُ رباح[١].

مولى الصدِّيق رضي الله عنهما، واسمُ أمِّه: حمامة.

أسلمَ قديمًا، فعذَّبه قومُه وجعلوا يقولون له: ربُّك اللاتُ والعُزَّى، وهو يقول: أحَدٌ أحَد، فأتى عليه الصدِّيقُ رضي الله عنه فاشتراه بسبع أواقٍ، وقيل: بخمسٍ وأعتقَه، فشهد بدرًا والحديبيةَ والمشاهِدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وهو أوَّلُ مَن أذَّن لرسول الله ﷺ[٢]، كان يُؤذِّنُ له حضرًا وسفرًا[٣].

قال مُجاهِد: «أوَّلُ مَن أظهر الإسلامَ سبعة: رسولُ الله ﷺ، وأبو بكرٍ رضي الله عنه، وبلال، وخبّاب، وصُهَيب، وعمّار، وسُمَيّةُ أمُّ عمّار[٤]، فأمّا رسولُ الله ﷺ، فمنعه عمُّه، وأبو بكرٍ منعه قومُه، وأُخِذَ الآخَرونَ فألبَسُوهم أدرُعًا[٥] من حديد، ثمَّ صَهرُوهم في الشمس حتَّى بلغ الجَهدُ[٦] كلَّ مَبلغ، فأعطَوهم ما سألوا، فجاء إلى كلِّ رجلٍ منهم قومُه بأنطاعِ الأدَم فيها الماء، فألقَوهم فيه وحملوا بجوانبه، إلّا بلال؛ فإنّه هانت عليه نفسُه في الله حتَّى مَلُّوه، فجعلوا في عُنقه حبلًا، ثم أمَرُوا صبيانَهم أن[٧] يشتدُّوا به بين أخشَبَي مكة، فجعل بلالٌ يقول: **أحَدٌ أحَدٌ**»[٨].

وفي رواية: جعل الصبيانُ يطوفون به شِعابَ مكّة، وهو يقول: **أحَدٌ أحَدٌ**،

---

(١) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٣).

(٢) قوله: «وهو أول من أذَّن لرسول الله ﷺ» ليس في (د).

(٣) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٣).

(٤) في (ق) و(د): «عامر».

(٥) في (د): «أذراعًا».

(٦) في (د): «منهم».

(٧) «أن» ليس في (د).

(٨) انظر: «المنتظم» (٤: ٢٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٣-١٦٤)، و«أسد الغابة» (١: ٢٤٥).

وكان بلالٌ لأميّةَ بن خلف، وكان أميّةُ يُخرِجُه وقتَ الظهيرة[١]، فيطرحه على ظَهرِه في بَطحاءِ مكّة، ثمَّ يأمر بالصخرةِ العظيمةِ فتُوضَعُ على صدره، ثمَّ يقول له: لا تزالُ هكذا حتَّى تموتَ أو تكفرَ بمُحمَّدٍ وتعبدَ اللّاتَ والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: **أَحَدٌ أَحَدٌ**[٢].

وكان رضي الله عنه هو الذي يلي نفقةَ رسولِ الله ﷺ، فقال له شخصٌ: كيف كان نفقةُ رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان له شيءٌ إلّا وكنتُ[٣] أنا الذي ألِي ذلك منذُ بَعَثَه الله تعالى حتَّى تُوفِّي، وكان[٤] إذا أتاه الرجلُ المُسلِمُ فرآه عاريًا يأمرني[٥] فأنطلق فأستقرِض[٦] وأشتري البُردةَ فأكسوه وأُطعِمه، ودخل ﷺ يومًا، فوجد[٧] عندي صُبرةً من تمر، فقال: «**ما هذا يا بلالُ؟**»، قلت: يا رسولَ الله، ادَّخَرتُه لك ولضِيفانِك، فقال: «**أما تخشى أن يكونَ له بخارٌ في النار؟ أنفِق بلال، ولا تَخشَ[٨] من ذي العرش إقلالًا**»[٩].

قال عبدُ الله بنُ بُرَيدة[١٠]: سمعت أبي يقول: أصبحَ النبيُّ ﷺ فدعا بلالًا، فقال: «**بمَ سبَقتَني؟ ما دخلتُ الجنّةَ قطُّ إلّا سمعتُ خَشْخَشتك أمامي، إنّي دخلتُ الجنّةَ البارحة فسمعتُ خَشخَشَتك**»، قال: ما أحدَثتُ إلّا تَوضَّأتُ وصلَّيتُ ركعتَين، فقال رسولُ الله ﷺ: «**بهذا**»[١١].

---

(١) في (د): «الظهر».
(٢) انظر: «الكامل في التاريخ» (١: ٦٦٣)، و«الرياض النضرة» (١: ١٣٣).
(٣) قوله: «إلا وكنت» ليس في (ق).
(٤) في (د): «فكان».
(٥) في (د): «يأمر».
(٦) في (ق): «فأستعرض».
(٧) في (ق): «فوجدني».
(٨) في (ق): «تخشى».
(٩) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٦٠٤٠)، و«المعجم الأوسط» (٢٥٧٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٤٩).
(١٠) في (د): «يزيد».
(١١) «جامع الترمذي» (٣٦٨٩)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

قال إبراهيمُ التيميّ: «لمّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ أذَّن بلالٌ ورسولُ الله ﷺ لم [٥٣/أ] يُقبَر، فكان إذا قال: أشهدُ أنّ مُحمَّدًا رسولُ الله، انتَحبَ الناسُ في المسجد، فلمّا دُفِنَ رسولُ الله ﷺ قال له[١] الصدِّيقُ رضي الله عنه: أذِّن، فقال: إن كنتَ أعتقتَني لأن أكونَ معك فسبيلُ ذلك إليك، وإن كنت أعتقتَني لله فخَلِّني ومَن أعتقتَني له، فقال: ما أعتقتُك إلّا لله تعالى، فقال: إنّي لا أؤذِّنُ لأحدٍ بعد رسولِ الله ﷺ، قال: فذاك إليك، فأقام حتَّى خرجَت بُعوثُ الشام، فسار معهم حتَّى انتهى إليها»[٢].

وفي رواية: فقال له أبو بكر: ما كنتُ أراك يا بلالُ تدَعُنا على هذا الحال، لو أقمتَ معنا فأعَنتَنا!

فقال: إن كنتَ أعتقتَني لله تعالى فدَعني أذهب إليه، وإن كنتَ ممّا أعتقتَني لنفسك فاحبِسني عندك، فأذِن له، فخرج إلى الشام ومات بها، رضي الله عنه[٣].

واختُلِف أين مات؛ فقيل: بدمشق، وقيل: بحَلَب سنةَ عشرين، وقيل: سنةَ ثماني[٤] عشرة، وهو ابنُ بضعٍ وستِّين سنةً، والبعضُ ما بين الثلاثة والعشرة، أو ما بين الاثنين والعشرة[٥]، وقيل غيرُ ذلك، والله أعلم.

* * *

---

(١) «له» ليس في (د).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٤٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٣٤).

(٣) «الجهاد» لابن المبارك (١٠٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٥٠).

(٤) في (د): «ثمان».

(٥) انظر: «معرفة الصحابة» لابن منده (٢٦٧)، و«المستخرج من كتب الناس» (٢: ٤٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٤٣٥).

[عمّار بن ياسر رضي الله عنه]

[٣٦] ومنهم: عمّارُ[١] بنُ ياسرٍ[٢].

أسلمَ قديمًا، وكان من المُستضعَفين الذين يُعذَّبون بمكّة ليرجعوا عن دينهم، وأحرَقَه المشركون بالنار، وشهد بدرًا، ولم يشهدها ابنُ مؤمِنَين غيرُه[٣]، وشهد أُحُدًا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ[٤].

وسمّاه النبيُّ ﷺ: الطيِّبَ المُطيَّب، ولمّا أحرَقَه المشركون كان رسولُ الله ﷺ يُمِرُّ يدَه على رأسه ويقول: «**يا نارُ كوني بردًا وسلامًا على عمّارٍ كما كُنتِ على إبراهيمَ**»[٥].

وكان عمّارٌ رضي الله عنه طويلَ الصمت، طويلَ الحزن والكآبة، وكان عامّةُ كلامه: «عائذًا بالله من فتنة»[٦].

قُتِلَ بصفِّين رضي الله عنه مع عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ودُفِنَ هناك سنةَ سبعٍ وثلاثين، وهو ابنُ ثلاث، وقيل: أربعٍ وتسعين[٧] سنة، رضي الله عنه[٨].

---

(١) في (د): «عامر».

(٢) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١١٤١)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٦).

(٣) قوله: «ولم يشهدها ابنُ مؤمنَين غيره» مضروب عليه في (د).

(٤) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٦).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٣٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٧)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٥٢).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١: ١٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٧).

(٧) في (ق): «وسبعين».

(٨) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٨٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٣٥٤)، و«المنتظم» (٥: ١٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٨).

[زيد بن الخطاب رضي الله عنه]

[٣٧] **ومنهم**: زيدُ بنُ الخطّاب[١].

أخو عمرَ رضي الله عنهما، وهو أسَنُّ من عمر، أسلم قديمًا قبل عمر، شهد بدرًا والمشاهِدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ[٢].

قال له عمرُ يومَ أحُد: «أقسمتُ عليك إلّا لبستَ درعي، فلبسها ثمَّ نزعها، فقال له عمر: ما لك؟ فقال: أريد بنفسي ما تريد بنفسك»[٣]، يعني: الشهادة، فتركاها جميعًا.

[٥٣/ب] حمل زيدٌ رايةَ المسلمين يومَ اليمامة،/ وقد انكشف المسلمون حتَّى غلبت حَنِيفةُ على الرجال، فجعل زيدٌ يقول: «أمّا الرجالُ فلا رِجال، ثمَّ جعل يصيح بأعلى صوته: اللهمّ إنّي أعتذر إليك من فِرار أصحابي، وأبرَأ إليك ممّا جاء به مسيلمة، وجعل يَشُدُّ بالرايةِ يتقدَّمُ بها في نحر العدو، ثمَّ ضارَبَ بسيفه حتَّى قُتل، ووقعت الراية، فأخذها سالمٌ مولى أبي حذيفة، فقال المسلمون: يا سالم، إنّا نخافُ أن نُؤتى مِن قِبَلِك، فقال: بئسَ حامِلُ القرآن أنا إن أوتِيتُم من قِبَلي[٤].

والله أعلم.

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ١٦٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٠٣)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٦٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٦٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٠٣)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٦٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٦٥).

(٤) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٥٠٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٨)، و«أسد الغابة» (٢: ١٣٤).

[عثمان بن مَظعون رضي الله عنه]

[٣٨] ومنهم: عثمانُ بنُ مظعون[١].

يُكنَّى: أبا السائب.

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، وهاجَرَ إلى الحبشة الهجرتَين[٢].

وحرَّم الخمرَ في الجاهلية، وقال: «لا أشربُ شيئًا يُذهِبُ عقلي، ويُضحِكُ بي مَن هو أدنى منِّي، ويحملني على أن أُنكِحَ كريمتي مَن لا أريد»[٣].

وشهد بدرًا، وكان متعبِّدًا، قالت عائشةُ رضي الله عنها: دخلتُ على امرأةِ عثمانَ بنِ مظعونٍ وهي باذلةُ الهيئة، فسألتها: ما شأنُك، فقالت: إنّ[٤] زوجي يقوم الليل ويصوم النهار، فدخل النبيُّ ﷺ، فذكرتُ له ذلك، فلقي رسولُ الله ﷺ عثمان، فقال: «**يا عثمان، إنّ الرهبانيّة لم تُكتَب علينا، أفما لك[٥] فيَّ أسوة، فوالله إنّي أخشاكم لله، وأحفظكم لحدودِه**»[٦].

مُـرِّض عثمانُ فـي بيت أمِّ العلاء، فلمّا تُوفِّـي دخـل رسولُ الله ﷺ فقلت:

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٣: ٣٩٣)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٩).

(٢) انظر: «معجم الشعراء» (٢٥٤)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٩).

(٣) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٩)، و«أسد الغابة» (٣: ٤٩٥)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٩٧).

(٤) «إن» ليس في (ق).

(٥) في (د): «فمالك».

(٦) في (ق): «لحدوده لأنا»، والرواية في: «مسند أحمد» (٢٥٨٩٣)، و«معجم الصحابة» للبغوي (١٧٨٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٩: ٣٨).

رحمةُ الله عليك أبا السّائِب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال لي النبيُّ ﷺ: **«وما يُدريك أنّ الله أكرمه؟»**.

فقلت: لا أدري بأبي أنتَ وأمي يا[1] رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أمّا عثمان فقد جاءه واللهِ اليقين، واللهِ إنّي لأرجو له الخير، واللهِ ما أدري وأنا رسولُ الله ما يُفعَلُ بي»**، قالت: فوالله لا أُزكِّي أحدًا بَعدَه، فأحزَنني ذلك، فنمتُ فرأيت[2] لعثمانَ عينًا تجري، فجئتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبَرتُه، فقال: **«ذاك عملُه»**. انفرد بإخراجه البخاريُّ[3].

تُوفِّي في شعبانَ على رأسِ ثلاثينَ شهرًا من الهجرة[4]، وقبَّل رسول الله ﷺ خدَّهُ[5]، وسمّاه: السلف الصالِح[6]، وهو أوَّلُ مَن دُفِنَ بالبقيع، رضي الله عنه[7].

* * *

[سعد بن مُعاذ رضي الله عنه]

[٣٩] ومنهم: سعدُ بنُ مُعاذ[8].

---

(١) «يا» ليس في (ق).
(٢) في (ق): «فأريت».
(٣) «صحيح البخاري» (٢٦٨٧).
(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٣٩٦).
(٥) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤: ١٩٥٤).
(٦) ورد في «الاستيعاب» (٣: ١٠٥٣): «لما توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: الحق بالسلف الصالح عثمان بن مظعون»، ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧: ٣٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٧).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٦٩)، و«أسد الغابة» (٣: ٤٩٥).
(٨) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٣: ٤٢٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧١)، و«أسد الغابة» (٢: ٢٢١)، و«مرآة الزمان» (٣: ٣٥٦).

يكنَّى: أبا عمر.

أسلم على يد مصعب بن عُمَير[١]، فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل، وهي أوَّلُ دارٍ أسلَمَت من الأنصار، وشهد بدرًا وأُحُدًا، وثبت مع النبيِّ ﷺ يومئذ، ورُمِي يوم الخندق، فانفجر كَلْمُه بعد ذلك، فمات منه[٢].

[٥٤/أ] قالت عائشةُ رضي الله عنها: «خرجتُ يومَ الخندقِ أقفُو أثرَ الناس، فسمعتُ وئيدَ[٣] الأرضِ من ورائي، فالتفتُّ فإذا سعدُ بنُ مُعاذ، فجلَستُ إلى الأرض، فمرَّ سعدٌ وهو يَرتَجِز[٤]»:

لَبِّـث قَلِيـلًا يُـدرِكُ الهَيجـا حَمَـل ... ما أحسَنَ المَوتَ إذا جاءَ[٥] الأجَل

قالت عائشةُ رضي الله عنها: وعليه دِرعٌ قد خرجت منه أطرافُه، فأنا أتخوَّف على أطرافه، قالت: فاقتحَمتُ حديقةً، فإذا فيها نفرٌ من المسلمين وفيهم عمرُ بنُ الخطّاب، فقال عمر: ما جاء بك، والله إنّك لجريئة، وما يُؤمنك أن يكونَ تحوُّزٌ أو بلاءٌ؟

قالت: فما زال يُلومُني حتَّى تمنَّيتُ أنّ الأرضَ انشقَّت فدخلتُ فيها.

فقال طلحة: وَيحَك يا عمرُ! إنّك قد أكثرت منذُ اليوم، وأين التحوُّزُ والفرارُ إلّا إلى الله؟

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٤٢٠)، و«الاستيعاب» (٢: ٦٠٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧١)، و«أسد الغابة» (٢: ٢٢١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٣: ٣٥٦).

(٣) في (د) و(ق): «وبيد».

(٤) «صحيح ابن حبان» (٧٠٢٨).

(٥) في كثيرٍ من المصادر: «حان».

قالت: ويرمي سعدًا رجلٌ من المشركين يُقال له: ابنُ العَرِقة بسهم، فقال: خذها وأنا ابنُ العَرِقة، فأصاب أكحلَه، فدعا الله تعالى سعدٌ، فقال: اللهمّ لا تُمِتني حتَّى تَشفِيَني[١] من قُرَيظة، وكانوا مَواليَه وحُلفاءَه في الجاهليّة، فرقَأ كَلْمُه، وبعث الله تعالى الريحَ على المشركين، فكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويًّا عزيزًا، فلَحِق أبو سفيانَ ومَن معه بنجد، ورجعت بنو قُرَيظة، فتحصَّنوا في صَياصِيهم.

ورَجَعَ رسولُ الله ﷺ المدينة، وأمَرَ بقُبّةٍ من أدَم فضُرِبَت على سعد بن معاذٍ في المسجد.

قالت: فجاءَ جبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ وعلى ثناياه النَّقع، فقال: أوَقَد وضَعتُم السلاحَ! فوالله ما وضَعَتِ الملائكةُ السلاحَ بعد، اخرُج إلى بني قُرَيظةَ فقاتِلهُم، قالت[٢]: فلَبِسَ رسولُ الله ﷺ لأمَتَه، وأذَّن في النّاسِ بالرحيل، قالت: فأتاهُم رسولُ الله ﷺ وحاصَرَهُم خمسًا وعشرينَ ليلة، فلمّا اشتدَّ حصرُهم واشتدَّ البلاءُ عليهم، قيل لهم: انزلوا على حُكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لُبابة بنَ عبد المنذر، فأشارَ أنّه الذبح.

فقالوا: ننزلُ على حُكم سعدِ بن معاذ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ إلى سعد، فحُمِلَ على حمارٍ على إكافٍ من لِيف، وحَفَّ به قومُه، فجَعَلوا يقولون: يا أبا عمر، حلفاؤُكَ ومَواليك، ومَن قد عَلِمت، ولا يَرجِعُ إليهم شيئًا، حتَّى إذا دَنا من دُورِهم التفتَ إلى قومه، فقال: قد آنَ لي ألّا أُباليَ في الله لومةَ لائم، فقال له رسولُ الله ﷺ: «احكُم فيهم»، فقال: إنّي أحكُمُ فيهم أن يُقتَلَ[٣] مُقاتِلُهم، وتُسبى[٤] ذَراريهم،

---

(١) في (د): «تشفني».

(٢) «قالت» ليس في (د).

(٣) في (د): «نقتل».

(٤) في (د): «ونسبي».

[٥٤/ب] وتُقسَّم[١] أموالُهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد حكَمتَ فيهم بحُكم الله وحُكم رسوله**»، قالت: ثمَّ دعا الله عزَّ وجلَّ سعدٌ، فقال: اللهُمَّ، إن كنتَ أبقيتَ على نبيِّكَ من حربِ قريشٍ شيئًا فأبقِني لها، وإن كنت قطعتَ الحربَ بينه وبينهم فاقبِضني إليك، فانفَجرَ كَلْمُه، وقد كان برَأ.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: فحضَرَه رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمر، وصلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، ودُفِنَ بالبقيع، رضوانُ الله تعالى عليه.

وكان رجُلًا جسيمًا جَزلًا، جَعَلَ المنافقونَ وهم يمشونَ خلفَ[٢] سريره يقولون: لم نَرَ كاليومِ رجُلًا أخفَّ مِنه، وقالوا: أتَدرُونَ لِمَ ذاك؛ لِحُكمِه في بَنِي قُرَيظة، فذُكِرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**والَّذِي نَفسِي بيَدِه، لقد كانَت المَلائِكةُ تَحمِلُ سَرِيرَه**»[٣].

وفي «**الصحيحين**»[٤]: «**اهتزَّ عرشُ الرحمن سبحانَه وتعالى لموت سعدٍ رضي الله عنه**».

ماتَ في شوّال سنةَ خَمسٍ من الهِجرة، وهو ابنُ سبعٍ وثلاثين سنة، رضي الله عنه، والله أعلم[٥].

* * *

(١) في (د): «ونقسم».
(٢) في (د): «حول».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧١-١٧٣).
(٤) «صحيح البخاري» (٣٨٠٣)، و«صحيح مسلم» (٢٤٦٦).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧١).

[قتادة بن النعمان رضي الله عنه]

[٤٠] **ومنهم**: قتادةُ بنُ النعمان[١].

شَهِدَ العَقَبَةَ مع السبعين، وكان من الرماة، وشَهِدَ بدرًا وأُحُدًا[٢].

ورُمِيَت عينُه فسالَت، فقال: هذا ما ترى يا رسولَ الله، فقال عليه الصلاةُ والسلام: «**إن شِئتَ صَبَرتَ ولك الجنّة، وإن شِئتَ رَدَدتُها ودَعَوتُ الله[٣] لك فلم تَفقِد منهما[٤] شيئًا**»، فقال: يا رسولَ الله، والله إنّ الجنّةَ لجزاءٌ جزيلٌ وعطاءٌ جليل، ولكنِّي رجُلٌ مُبتلًى بحُبِّ النساء، وأخافُ أن يَقُلن: أعور، فلا يُرِدنَني، ولكن تردُّها وتسألُ الله تعالى لي الجنّة، فقال: «**أفعلُ يا قتادة**»، ثمَّ أخَذَها رسولُ الله ﷺ، وأعادَها إلى مَوضِعها، فكانت أحسنَ عينَيه إلى أن مات، ودعا له بالجنّة[٥].

ودَخَلَ ابنُ قتادةَ على عُمرَ بن عبدِ العزيز، فقال له عمر: مَن أنت يا فتى؟ فقال:

أنا ابنُ الذي سالَت على الخَدِّ عَينُه ... فرُدَّت بكَفِّ المُصطَفَى أحسَنَ الرَّدِّ

فعادَت كَما كانَت لأحسَنِ حالِها ... فيا حُسنَ ما عَينٍ ويا طِيبَ عائِدِ[٦]

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٢٧٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٤)، و«أسد الغابة» (٤: ٨٩).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٢٧٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٤)، و«أسد الغابة» (٤: ٨٩).

(٣) لفظ الجلالة ليس في (د). (٤) في (د): «منها».

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢: ٨٢)، و«الطبقات الكبرى» (٣: ٤٥٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٣٦٤)، و«أعلام النبوة» (١٠٨).

(٦) قوله: «ويا طيب عائد» في (د): «ويا حسن ما ردد»، والبيتان من بحر الطويل.

فقال عمر: بمثل هذا فليَتوسَّل إلينا المُتوسِّلون[١].

شَهِدَ قتادةُ مع رسول الله ﷺ المشاهدَ كلَّها، وكانت معه يومَ الفتح رايةُ بني ظفر[٢].

تُوفِّي سنة ثلاثٍ وعشرين، وهو ابنُ خمسٍ وستِّين، وصلَّى عليه عمرُ رضي الله عنه[٣]، والله أعلم.

* * *

[عاصم بن ثابت رضي الله عنه]

[٤١] **ومنهم: عاصمُ بنُ ثابتٍ**[٤].

يُكنَّى: أبا سُليمانَ.

شَهِدَ بدرًا وأُحُدًا، وثَبَتَ مع رسول الله ﷺ حين ولَّى الناس، وبايَعَه على الموت، وكان من الرماة[٥].

قَتلَ يومَ أُحُدٍ من أصحاب لواء المشركينَ مُسافِعًا والحارث، فنَذَرَت أُمُّهُما سُلافةُ أن تشربَ في مخِّ عاصمٍ الخمر، / [٥٥/أ] وجعلت لِمَن جاء برأسه مئةَ ناقة، فقَدِم ناسٌ من هُذَيل على رسول الله ﷺ، فسألوه أن يوجِّه معهم مَن يُعلِّمُهم، فوجَّه معهم[٦] عاصمًا في جماعة، فقال لهم المشركون: استأسِروا؛ فإنّا لا نريد

---

(١) انظر: «بحر الدموع» (١١٢-١١٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٤)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٦٤).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣: ٤٥٣)، و«مستدرك الحاكم» (٣: ٣٣٤)، و«الاستيعاب» (٣: ١٢٧٦).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٦٤).

(٤) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ١٧٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ٢٥٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١: ٤٦٢).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ٢٥٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١: ٤٦٢).

(٦) «معهم» ليس (د).

قتلكم، وإنّما نريد أن نُدخِلَكم مكّةَ ونُصيبَ بكم ثَمنًا، فقال عاصمٌ: لا أقبلُ جِوارَ مُشرك، وجعل يقاتِلُهم حتَّى فَنِيت نَبلُه، ثمَّ طاعَنَهم حتى انكسر رمحُه، فقال: اللهمّ إنّي حَمَيتُ دينَك أَوَّلَ النهار، فاحمِ لحمي آخرَه، فجرحَ رجُلَين وقتل واحدًا، وقتلوه، وأرادوا أن يحتزُّوا رأسَه، فبعث الله الدَّبرَ[١] فحمَته، ثم بعث الله سيلًا في الليلِ فحَمَلَه، وذلك يومَ الرجيع[٢].

وفي رواية: بعث رسولُ الله ﷺ عاصمَ بنَ ثابتٍ وزيدَ بن الدَّثِنةِ وخُبَيبَ بنَ عديٍّ ومرثدَ بنَ أبي مرثدٍ إلى بني لحيانَ بالرجيع، فقاتَلُوهم حتَّى أخذوا لأنفسهم أمانًا، إلّا عاصم؛ فإنّه أبى، وقال: لا أقبل اليوم عهدًا من مشرك، ودعا عند ذلك، فقال: اللهمَّ إنّي[٣] أحمي لك اليوم دِينَك؛ فاحمِ لي لحمي، فجعل يُقاتل، وهو يقول:

مـا عِلَّتـي وأنـا جَلـدٌ نابـلُ	والقَـوسُ فِيهـا وتَـرٌ عُنابِـلُ
إن لم أقاتلكـم فأُمِّي[٤] هابِلُ[٥]	المَـوتُ حَـقٌّ والحَيـاةُ باطِـلُ
وَكُلُّ مـا حَـمَّ الإلَـهُ نـازِلُ	بالمَـرءِ والمَـرءُ إلَيـهِ آيِـلُ[٦]

فلمّا قتلوه كان في قَلِيبٍ لهم، فقال بعضُهم لبعض: هذا الذي آلَت فيه المكيّةُ

---

(١) الدبر: جماعة النحل. قال الأصمعي: لا واحد لها، ويجمع على دُبور. انظر: «الصحاح» (٢: ٦٥٢)، و«المحكم» (٩: ٣١٤)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢: ٣٣)، و«لسان العرب» (٤: ٢٧٥).

(٢) انظر: «المنتظم» (٣: ٢١٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٣-١٧٤).

(٣) «إني» ليس في (د).

(٤) في (ق) و(د): «فإني».

(٥) هابل: أي: ثاكل. انظر: «المحكم» (١: ١٨٤)، و«لسان العرب» (٤: ٥٩٥)، و«تاج العروس» (١٣: ١٠٥)، وورد في كثيرٍ من المصادر مكان صدر هذا البيت:

تـزل عـن صفحتهـا المعابـل

(٦) الأبيات من بحر الرجز، وانظر: «مغازي الواقدي» (١: ٣٥٥)، و«سيرة ابن هشام» (٢: ١٧٠).

وهي سُلافة، فأرادوا أن يحتزُّوا رأسَه ليذهبوا به إليها، فبعث الله عزَّ وجلَّ رِجْلًا من دَبر، فلم يستطيعوا أن يحتَزُّوا رأسَه[١]، رضي الله عنه[٢]، والله أعلم.

* * *

[حارثة بن النعمان الأنصاري رضي الله عنه]

[٤٢] **ومنهم**: حارثةُ بنُ النعمان الأنصاريُّ[٣].

يُكنَّى: أبا عبد الله.

شهد بدرًا والمشاهِدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ[٤].

قال الواقديّ: كانت له مَنازِلُ قريبةٌ من منازِلِ رسول الله ﷺ بالمدينة، فكان كلَّما أحدثَ النبيُّ ﷺ أهلًا تحوَّل له حارثةُ عن منزلٍ بعد منزل، حتَّى قال رسولُ الله ﷺ: «**لقد استحيَيتُ من حارثةَ ممّا يتحوَّلُ لنا عن منازِله**»[٥].

كُفَّ بصرُ حارثة، فجعَل خَيطًا مِن مُصَلّاهُ إلى بابِ حُجرَتِه، ووضع عنده مِكتَلًا[٦] فيه تمرٌ وغيرُه، فكان إذا سَلَّمَ المِسكِين أخذ من ذلك التَّمر، ثمَّ أخَذَ على ذلك الخيطِ حتَّى يأخذَ إلى باب الحجرة، فيناوِلُه[٧] المسكينَ.

---

(١) من قوله: «ليذهبوا به إليها» إلى هنا ليس في (د).

(٢) «سنن سعيد بن منصور» (٢٨٣٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٥٧٥-٥٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٤).

(٣) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٧٩)، و«الاستيعاب» (١: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٧)، و«أسد الغابة» (١: ٤٢٩).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (١: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٧)، و«أسد الغابة» (١: ٤٢٩).

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٧)، و«مرآة الزمان» (٧: ٢١٩).

(٦) في (د): «مكيلًا».

(٧) في (د): «فيناول».

فكان أهلُه يقولون: نحن نكفيك، فيقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول[١]: «**إنّ مُناولةَ المسكينِ تَقِي ميتةَ السُّوء**»[٢]. [٥٥/ب]

قالت عائشةُ رضي الله عنها: قال رسولُ الله ﷺ: «**نِمتُ فرأيتُني في الجنة، فسَمِعتُ صوتَ آدمِيٍّ يقرأ، فقلت: مَن هذا؟ قالوا: حارثةُ بنُ النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كَذاكَ البِرّ، كَذاكَ البِرُّ**[٣]**، وكان أبرَّ الناس بأمِّه**»[٤].

توفِّي في خلافة معاويةَ رضي الله عنه[٥]، والله أعلم.

* * *

[مُعاذ بن عَفراء رضي الله عنه]

[٤٣] ومنهم: مُعاذُ بنُ عَفراءَ[٦].

وعَفراءُ أمُّه، وأبوه: الحارثُ بنُ رفاعة، شهد العقبتَين وبدرًا[٧].

قال عبد الرحمن بنُ أبي ليلى: «كان معاذُ بنُ عفراءَ لا يَدعُ شيئًا إلّا تصدَّق به، فلمّا وُلِدَ لَهُ استشفَعَت امرأتُه بأخواله، فكلَّموه، وقالوا: إنّك قد أعيَلتَ[٨]،

(١) «المعجم الكبير» (٣٢٢٨)، و«شعب الإيمان» (٣١٨٨)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٥٦).
(٢) «الطبقات الكبرى» (٣: ٤٨٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«البداية والنهاية» (٨: ٥٦-٥٧).
(٣) في (ق) و(د): «البر كذاك البر».
(٤) «السنن الكبرى» للنسائي (٨١٧٦)، و«مسند أحمد» (٢٥١٨٢).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧٨).
(٦) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٥: ٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ١٢٦).
(٧) «بدرًا» ليس في (د)، وانظر: «المنتظم» (٥: ٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ١٢٦).
(٨) في (د): «أعليت»، وفي «المنتظم»، و«صفة الصفوة»: «أعلت».

فلو جمَعتَ لولدك، قال: أبَت[١] نفسي إلّا أن أستَتِرَ بكلِّ شيءٍ أجِدُه من النار، فلمّا مات ترك أرضًا إلى جنب أرضِ رَجل، وعليه مُلاءةٌ صَفراءُ ما تساوي ثلاثةَ دراهم، قال عبدُ الرحمن: ما تسرني[٢] الأرضُ بمُلاءتي هذه، فاحتاج إليها جارُ الأرض، فاشتراها بثلاث مئةِ ألفٍ»[٣].

قال مُحمَّدُ بنُ سيرين: سمعتُ أفلحَ مولى أبي أيوب قال: «كان عمرُ يأمر بحُلَلٍ تُنسَج لأهل بدرٍ يُتنوَّق فيها، فبعث إلى مُعاذ بن عَفراءَ حُلّة، فقال معاذٌ لأفلح: بِع هذه الحُلّة، فبعتُها لهُ[٤] بألفٍ وخمس مئة، ثمَّ قال: اذهب فابتَع لي بها أرِقّاء، فاشتريت له خمسَ رقاب، ثمَّ قال: والله إن امرًا اختارَ قِشرَين يلبسهما على خمسِ رقابٍ يعتِقها لَغَبِينُ الرأي، اذهبوا فأنتم أحرارٌ»[٥].

توفِّي بعد قتل عثمانَ رضي الله عنه[٦]، والله أعلم.

* * *

[أُبي بن كعب رضي الله عنه]

[٤٤] ومنهم: أُبيُّ بنُ كعب[٧].

يكنَّى: أبا المنذر.

---

(١) في (د): «آليت على». (٢) في (د): «تسترني».
(٣) انظر: «المنتظم» (٥: ٧٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ١٢٧).
(٤) «له» ليس في (د).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«حياة الصحابة» (٢: ٥٨١).
(٦) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١٤٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨).
(٧) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧: ٣٠٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٩).

شهد العقبةَ مع السبعين، وبدرًا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ[١]، وكان يكتبُ له الوحي، وهو أحدُ الذين حفظوا القرآنَ كلَّه على عهدِ رسول الله ﷺ، وأحَدُ الذين كانوا يُفتُون على عهده عليه الصلاة والسلام، قال له[٢] رسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله عزَّ وجلَّ أمَرَني أن أقرأ عليك**: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البينة: ١]»، قال: وسَمّاني لك؟ قال: «**نعم**»، فبكى[٣]. رواه الشيخان.

وكان رضي الله عنه يختم القرآنَ في ثمانِ ليالٍ[٤].

قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه في حقِّه: «هذا سيِّدُ المسلمين»[٥].

قال لعمر: ما لك لا تستعمِلني؟ قال: «أكرَه أن تُدنِّسَ دينَك»[٦].

من كلامه النافع: «ما من عبدٍ ترك شيئًا لله عزَّ وجلَّ إلّا أبدَلَه الله عزَّ وجلَّ ما هو خيرٌ منه من حيث لا يحتسب، وما تهاوَنَ عبدٌ فأخذَه من حيث لا يصلُح إلّا أتاه الله تعالى بما/ هو أشَدُّ[٧] عليه من حيث لا يحتسب»[٨]. [٥٦/أ]

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧: ٣٠٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٩).

(٢) «له» ليس في (د).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٨٠٩)، و«صحيح مسلم» (٧٩٩).

(٤) انظر: «مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر» (١٥٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١: ٧٤).

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٢٦٧-٢٦٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧: ٣٣٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٩).

(٦) انظر: «كنز العمال» (٥: ٧٥٩).

(٧) «أشد» ليس في (ق).

(٨) «الزهد» لوكيع (٣٥٥)، و«الزهد» لهناد بن السري (٢: ٤٦٦)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٥٣).

قال يومًا لرسولِ الله ﷺ: ما جزاءُ الحُمّى؟ قال: «**تجري الحسناتُ على صاحبِها ما اختلَج عليهِ قَدَم، أو ضَربَ**[١] **عليهِ عِرقٌ**»، فقال أُبَيّ: اللهمَّ إنّي أسألك حُمّى لا تمنعني خروجًا في سبيلِك، ولا خروجًا إلى بيتِك ولا مسجدِ نبيِّك، فلم يُمسِ أُبيٌّ قطُّ إلّا وبه حُمّى[٢].

قال رضي الله عنه: «إنّ اقتصادًا في سبيلٍ[٣] وسُنّةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيلٍ وسُنّةٍ»[٤]، رضي الله عنه، والله أعلم.

* * *

[أبو طلحة رضي الله عنه]

[٤٥] ومنهم: أبو طلحةَ[٥].

واسمُه: زيدُ بنُ سهل.

شَهِد العقبةَ مع السبعين، وبدرًا والمشاهِدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وكان من الرُّماة، وهو أنصاريٌّ[٦].

وكان أحَبُّ أمواله إليه بَيرُحاء، وكانت مُستقبِلةَ المسجد، فكان النبيُّ ﷺ

---

(١) قوله: «قدمُ أو ضرب» ليس في (د).

(٢) «المعجم الأوسط» (٤٤٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥٤٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٥٥).

(٣) في (د): «سبيل الله».

(٤) «الزهد» للإمام أحمد (١٠٩٣)، و«الزهد» لأبي داود (١٨٩)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٥٣).

(٥) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ٥٦٤)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٣٧)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٢١٨).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٨٠)، و«أسد الغابة» (٢: ١٣٧)، و«مرآة الزمان» (٦: ٤٠).

يدخلها، ويشرب من ماءٍ فيها طيِّب، قال أنس: فلمّا نزلَت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال أبو طلحة: يا رسول الله، إنّ الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، وإنّ[١] أحبَّ أموالي إليَّ بيرُحاء، وإنّها صدقةٌ لله أرجو بِرَّها وذُخرَها عند الله، فضَعْها يا رسولَ الله حيث أراك الله، فقال النبيُّ ﷺ: «**بخ، ذاكَ مالٌ رابح، ذاكَ مالٌ رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلَها في الأقرَبين**»، فقال أبو طلحة: أفعلُ يا رسول الله، قال: فقسَّمَها أبو طلحةَ في أقارِبِه وبني عمِّه[٢].

وبَيرُحاء: بستانٌ فيه عَينٌ[٣].

قال أنس: كان أبو طلحةَ بين يدَي رسول الله ﷺ، وكان يرفع رأسَه من خَلفِه ينظر مَواضِعَ نَبلِه، فتطاول أبو طلحةَ يَقِي رسولَ الله ﷺ ويقول: يا رسولَ الله، نَحرِي دون نَحرِك[٤].

قال رسولُ الله ﷺ يومَ حُنَين: «**مَن قتلَ قتيلًا فله سَلَبُه**»، فقتل أبو طلحةَ يومئذٍ عشرين رجلًا، وأخذ أسلابَهم[٥].

لمّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ صام فلم يفطر إلّا في سفرٍ أو مرضٍ[٦] حتَّى تُوفِّي، قال أنسٌ رضي الله عنه: سرد أبو طلحةَ الصومَ بعد رسولِ الله ﷺ أربعين عامًا[٧].

---

(١) في (د): «وأنا».
(٢) «صحيح البخاري» (١٤٦١).
(٣) انظر: «مشارق الأنوار» (١: ١١٥)، و«النهاية في غريب الحديث» (١: ١١٤)، و«لسان العرب» (٢: ٤١٢)، و«تاج العروس» (٦: ٣١٠).
(٤) «مسند أحمد» (١٢٠٤٣)، وأصل الحديث في «صحيح البخاري» (٣٨١١)، و«صحيح مسلم» (١٨١١).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٩٨٨)، و«شرح معاني الآثار» (٥١٩٣).
(٦) في (د): «في مرض».
(٧) قوله: «أربعين عامًا» ليس في (د).

توفِّي سنة أربع وثلاثين، وهو ابنُ سبعينَ سنة، وصلى عليه عثمانُ[١]، وهذا التاريخُ يُخالِف ما رواه أنس، والله أعلم.

* * *

[عبد الله بن رَواحة رضي الله عنه]

[٤٦] **ومنهم**: عبدُ الله[٢] بنُ رَواحةَ[٣].

يُكنَّى: أبا مُحمَّد.

وهو أحدُ النُّقباءِ الاثني عشر، شهد العقبةَ مع السبعين، وبدرًا، وأُحُدًا، والخندق، والحديبية، وخيبرَ[٤]، وعُمرةَ القضيةِ.

قال أبو الدرداء[٥]: «لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم الشديدِ الحرّ، حتَّى إنّ الرجلَ لَيضَعُ يدَه/ على رأسِه من شدّة الحرّ، وما في القوم صائمٌ إلّا رسولُ الله ﷺ وعبدُ الله بنُ رَواحةَ»[٦]. رواه الشيخان. [٥٦/ب]

بكى يومًا، فبكت امرأتُه، فقال: ما يُبكيكِ؟ قالت: رأيتُك بكيت، فبكيتُ

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٤٢٦)، و«المنتظم» (٥: ٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨١).

(٢) في (ق): «عبد الرحمن».

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٢)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٦٥).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٢)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٦٥).

(٥) في (د): «أبو داود».

(٦) «صحيح البخاري» (١٩٤٥)، و«صحيح مسلم» (١١٢٢).

لبكائك[١]، فقال: إنّي أُنبِئتُ أنّي وارِد، ولم أُنبأ أنّي صادِرٌ[٢].

قال عروةُ بنُ الزبير: «لمّا تَجهَّز الناسُ للخروجِ إلى مؤتة، ثمَّ مضَوا حتَّى نزلوا أرضَ الشام، بلغهم: أنّ هرقلَ نزلَ بأرضِ مآب[٣] في أرضِ البلقاءِ في مئةِ ألفٍ من الروم، وانضمَّت إليهم المُستعرِبةُ مِن لخمٍ وجُذام وبَهراء في مئة ألف، فأقاموا ليلتَينِ ينظرونَ في أمرِهم، وقالوا: نكتبُ إلى رسولِ الله ﷺ فنُخبِره بعدَدِ عَدُوِّنا، فشجَّعَ عبدُ الله بنُ رواحةَ الناس، ثمَّ قال: والله يا قومُ إنّ الذي تكرهون[٤] لَلَّذي[٥] خرجتم إليه[٦] تطلبون الشهادة، ولا نقاتل الناسَ بعدّةٍ ولا قوّةٍ ولا كثرة، إنّما نقاتلهم لهذا الدين الذي أكرَمَنا الله تعالى به، فانطلِقوا فإنّما هي إحدى الحُسنيَين؛ إمّا ظُهور، وإمّا شهادة، فقال الناس: قد والله صدقَ ابنُ رَواحة، فمضى الناس.

فلمّا أُصيب جعفرُ بنُ أبي طالب دعا الناس: يا عبدَ الله بنَ رواحة، يا عبدَ الله ابنَ رواحة، وهو في جانِب العَسكَرِ ومعه ضلعُ جملٍ ينهشُه ـ ولم يكُن ذاقَ طَعامًا قبل ذلك بثلاثٍ ـ فرمى بالضلع، ثمَّ قال: وأنتَ مع الدنيا، ثمَّ تَقَدَّمَ فقاتَل، فأُصِيبَت أصبعُه، فجعل يقول:

هَل أنــتِ إلا إصبَــعٌ دَمِيتِ ... وفِي سَـبِيلِ الله مــا لَقِيتِ[٧]

---

(١) قوله: «رأيتك بكيت فبكيت لبكائك» في (د): «رأيتك تبكي بكيت لبكائك».

(٢) «الزهد» لوكيع (٣٢)، و«الزهد» للإمام أحمد (١١١١)، و«الزهد» لهناد بن السري (٢٢٧).

(٣) في (ق): «بارب»، وفي (د): «مآرب»، قال ياقوت في «معجم البلدان» (٥: ٣١): «مآبُ: بعد الهمزة المفتوحة ألف، وباء موحدة، بوزن معاب، وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء». وانظر: «مراصد الاطلاع» (٣: ١٢١٦).

(٤) في (ق): «الذين يكرهون».

(٥) في (ق) و(د): «الذي».

(٦) في (د): «له».

(٧) في (د): «ما لقيتي».

ثُمَّ قال: يا نفسُ، إلى أيِّ شيء تَتُوقِين؟ إلى فلانة؟ هي طالقٌ ثلاثًا، وإلى فلانٍ وفلانٍ ـ غِلمانٍ ـ وإلى مَعجَفٍ ـ حائطٍ له ـ هو لله ورسوله، ولم يَزَل حتَّى قُتِلَ رضي الله عنه»[1]، والله أعلم.

* * *

[أبو دُجانة رضي الله عنه]

[٤٧] **ومنهم**: أبو دُجانةَ[2].

واسمُه: سِماك.

شهد بدرًا وأُحُدًا، وثبت مع النبيِّ ﷺ، وبايَعه على الموتِ[3].

قال أنسٌ رضي الله عنه[4]: أخذ رسولُ الله ﷺ سيفًا يومَ أُحُد، فقال: «**مَن يأخذ هذا السيفَ؟**»، فأخذه قومٌ، فجعلوا ينظرون إليه، فقال ﷺ: «**مَن يأخذُه بحَقِّه؟**»، فأحجمَ القوم، فقال أبو دُجانة: أنا آخُذُه بحقِّه، فأخذه، ففلقَ به هامَ المشركين[5].

دخل زيدُ بنُ أسلمَ على أبي دُجانةَ وهو مريضٌ، فرأى وجهَه يتهلَّل، فقيل له: ما لوَجهِك يَتهلَّل؟ فقال: ما من عملي من شيءٍ أوثَقُ عندي من اثنتَين[6]:

---

(١) «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ٤٨١).

(٢) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٧١)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٤٣٥)، و«المنتظم» (٤: ٩١).

(٣) انظر: «المعارف» (١: ٢٧١)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٤٣٥)، و«المنتظم» (٤: ٩١).

(٤) بعدها في (ق): «قال».

(٥) «مسند أحمد» (١٢٢٣٥)، و«سنن سعيد بن منصور» (٢٨٧٧)، و«مسند البزار» (٩٧٩).

(٦) في (د): «اثنين».

إحداهُما: أنِّي لا أتكلَّم فيما لا يعنيـني، **والأخـرى**: كان قلـبي للمسـلمين سليمًا[(١)].

قُتِلَ يومَ اليمامة، رضي الله عنه[(٢)].

❊ ❊ ❊

[عُمَير بن الحمام رضي الله عنه]

[٤٨] **ومنهم**: عميرُ بنُ حُمام[(٣)].

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: انطلقَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه حتَّى سبقوا [٥٧/أ] المشركين إلى بدر، فدنا المشركون، فقال النبيُّ ﷺ: «**قُومُوا إلى جَنَّةٍ عرضُها السَّماواتُ والأرضُ**»، فقال: نعم، بخٍ بخ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما يَحمِلُكَ علَى قَولِك: بَخٍ بَخ؟**»، قال: لا والله يا رَسُولَ الله، إلا رجاءَ أن أكُونَ مِن أهلِها. فقال: «**فإنّك من أهلها**»، قال: فأخرَج تمراتٍ من قَرنِه، فجَعلَ يَأكُل مِنهُنّ، ثمَّ قال: لَئِن أنا حَيِيتُ حتَّى آكُلَ تَمراتِي هذه لَحَياةٌ طَويلة.

قال: فرمَى بما كانَ مَعَهُ من التَّمر، ثمَّ قاتَلَهم حتَّى قُتِلَ رضي الله عنه[(٤)].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «الجامع» لابن وهب (٣١٩)، و«المنتظم» (٤: ٩١-٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٤).

(٢) انظر: «المنتظم» (٤: ٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٤).

(٣) في «الثقات»: «الحمام»، انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٢٩٩)، و«الثبات عند الممات» (١١٥)، و«المنتظم» (٣: ١٤٠).

(٤) «صحيح مسلم» (١٩٠١).

[معاذ بن جبل رضي الله عنه]

[٤٩] ومنهم: معاذُ بنُ جبلٍ[١].

ويكنَّى: أبا عبدِ الرحمن[٢].

أسلم وهو ابنُ ثماني عشرةَ سنة، وشهد العقبةَ مع السبعين، وبدرًا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وأردفه رسولُ الله ﷺ خلفَه[٣].

لمّا وُلِّي عمرُ رضي الله عنه جعل في صُرّةٍ أربعَ مئة دينار، وقال للغلام: اذهب بها إلى أبي[٤] عُبيدةَ بن الجرّاح، وتلبَّث ساعةً حتَّى تنظرَ ما يصنع، فذهب بها الغلام، وقال: يقول لك أميرُ المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله[٥] ورحمه، ثمَّ قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعةِ إلى فلان، وبهذه الخمسةِ إلى فلان، حتى أنفذ الأربعَ مئة، فرجع الغلامُ فأخبره.

ثمَّ وجده قد أعَدَّ مثلَها لمعاذ، قال: اذهب بها إلى معاذ، وتلبَّث ساعةً حتَّى تنظرَ ما يصنع، فذهب بها إليه، وقال له: يقول لك أميرُ المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله تعالى ووصله، تعالي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلانٍ بكذا، وإلى بيت فلانٍ بكذا، فاطَّلعَت امرأةُ معاذ، فقالت: ونحن والله

---

(١) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٤٤)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٢٣٢).

(٢) انظر: «المعارف» (١: ٢٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٤٤)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٢٣٢).

(٣) انظر: «المنتظم» (٤: ٢٦٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٥)، و«أسد الغابة» (٤: ٤١٨).

(٤) قوله: «أبي» ليس في (د).

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ق).

مساكين، فأعطِنا، ولم يَبقَ في الخرقة إلّا ديناران، فَدَحَا بهما إليها، فرجع الغلامُ إلى عمر فأخبره بذلك، فقال: إنّهم إخوةٌ بعضُهم من بعضٍ[١].

قال يحيى بنُ سعيد: «كان تحت معاذٍ زوجتان، فإذا كان في نوبةِ إحداهما لم يشرب في بيت الأخرى الماءَ ولم يتوضَّأ، وكان يتهجَّد من الليل ويقول: اللهمَّ قد نامت العيونُ وغارت النجوم، وأنتَ حيٌّ قيُّومٌ، اللهمَّ طلبي الجنّةَ بطيءٌ، وهربي من النار ضعيف، اللهمَّ اجعل لي عندك هُدًى تُؤدِّه إليَّ يوم القيامة، إنّك لا تُخلِفُ الميعادَ»[٢].

قال كعبُ بنُ مالك: كان معاذٌ سَمحًا، لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه، قالَ له رَجُل: علِّمني، قال: وهل أنت مُطيعي؟ قال: إنّي على طاعتك لَحريص، قال: صُم وأفطِر، وصَلِّ ونَم، واكتَسِب ولا تَأثَم[٣]، ولا تَموتَنَّ إلّا وأنت مُسلِم، وإيّاكَ ودَعوةَ المَظلُوم[٤].

قال لابنه: يا بُنيّ، إذا صليتَ فصَلِّ صلاةَ مُودِّع، لا تظنَّ أنّك تعود إليها أبدًا[٥].

قال مُحمَّدُ بنُ سيرين: «أتى رجلٌ معاذًا ومعه أصحابُه يُسلِّمون عليه ويدعونه، [٥٧/ب] فقال: إنّي مُوصيك بأمرَين، إن حفظتَهما حُفِظت؛ إنّه لا غِنى بك عن نصيبك من الدُّنيا، وأنتَ إلى نصيبِك من الآخرةِ[٦] أفقَر، فآثِر نَصِيبَك من الآخِرةِ على

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٥٦٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ٤٣٦)، و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (١: ٣٦٨).
(٢) انظر: «أسد الغابة» (٤: ٤٢٠)، و«مرآة الزمان» (٥: ٢٩٥).
(٣) قوله: «وصل ونم، واكتسب ولا تأثم» في (ق): «ونم واكسب ولا تأثم».
(٤) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٠١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٨).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٨٨).
(٦) في (ق): «الدنيا».

نَصِيبِكَ من الدُّنيا حتَّى تنتَظِمَه انتظامًا، فيزول معك أينما زُلتَ»[١].

لمّا مات أبو عُبَيدةَ في طاعونِ عَمواس استخلف معاذًا، فاشتدَّ الوجَع، فقال الناسُ لمعاذ: ادعُ الله تعالى أن يرفعَ عنا هذا الرجز، فقال: إنّه ليس برِجز، ولكنَّه دعوةُ نبيِّكم، وموتُ الصالحين قبلَكم، وشهادةٌ يخصُّ بها[٢] الله تعالى مَن شاء منكم، أيُّها الناس، أربعُ خلالٍ مَن استطاع ألّا يُدرِكَه شيءٌ منها ولا تدركَه، قالوا: وما هنَّ؟ قال: يأتي زمانٌ يظهر فيه الباطل، ويصبح الرجلُ على دِينٍ ويُمسي على آخر، ويقول الرجل: والله ما أدري على ما أنا. لا يعيش على بصيرة، ولا يموت على بصيرة، ويُعطى الرجل من المالِ ـ مالِ الله ـ على أن يتكلَّم بكلام الزور الذي يُسخِط الله تعالى، اللهمَّ آت آلَ مُعاذٍ نصيبَهم الأوفى من هذه الرحمة، فطُعِن ابناه، فقال: كيف تجدانِكما؟ فقالا: يا أبانا ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، فقال: وأنا ستجداني إن شاءَ الله من الصابرين، ثم طُعِنَت امرأتاه فهلكتا، وطُعِنَ هو في إبهامه، فجعل يمسُّها بفِيه، ويقول: اللهمَّ إنها صغيرةٌ فبارِك فِيها؛ فإنّك تبارك في الصغير، حتَّى هَلكَ[٣].

ولمّا حضرَتهُ الوفاة قال: انظروا أصبَحنا؟ فقيل: لا، حتَّى أتى بعضُ ذلك فقيل له: أصبحت، فقال: أعوذُ باللهِ من ليلةٍ صباحُها النار، مرحبًا بالموت، مرحبًا بزائرٍ مُغِبٍّ[٤]، حبيبٌ جاءَ على فاقة، اللهمَّ إنّي كنتُ أخافُك، وإنّي اليومَ أرجوك، اللهمَّ إنّك تعلم أنِّي لَم أكن أحبُّ الدُّنيا وطولَ البقاء فيها[٥] لكَرْيِ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٨٩).
(٢) في (د): «يخص الله تعالى بها».
(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٥٨٨)، و«تاريخ دمشق» (٥٨: ٤٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٩-١٩٠).
(٤) في (د): «مغيب».
(٥) «فيها» ليس في (د).

الأنهارِ وغَرسِ الأشجار، ولكن للظَّمَأِ في الهواجر، ومكابَدةِ السّاعات، ومُزاحمة العلماءِ بالرُّكَب عند حِلَقِ الذِّكر[١].

قال أبو إدريسَ الخولانيّ: قال معاذٌ: «إنّ من ورائكم فِتنًا يَكثُر فيها المال، ويُفتَتحُ القرآنُ حتَّى يقرأه المؤمنُ والمنافق، والصغيرُ والكبير، والأحمرُ والأسود، فيُوشِكُ قائلٌ أن يقول: ما لي أقرأ على الناس فلا يتبعوني عليه، فما أظنُّهم يتبعوني عليه حتَّى أبتدع غيرَه، إيّاكم وإيّاكم وما ابتُدِع[٢]؛ فإنّ ما ابتُدِعَ ضلالة، وأحذِّركُم زَيغةَ الحكيم؛ فإنّ الشيطانَ يقول على فمِ الحكيم كلمةَ الضلالة، وقد يقولُ المنافِقُ كلمةً، فاقبَلوا الحقَّ؛ فإنّ على الحقِّ نورًا، قالوا: وما يُدرينا رحمك الله أنّ الحكيمَ قد يقولُ كلمةَ الضلالة؟ قال: هي كلمةٌ تُنكِرونها منه، وتقولون: ما هذه؟ فَلَا يُثْنِيكُمْ[٣] فَإِنَّهُ يُوشِكُ[٤] أَنْ يَفِيءَ وَيُرَاجِعَ[٥] بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ»[٦]. [٥٨/أ]

قلت: وفي هـذه الكَلـماتِ حِكَـمٌ يعرفـها حقَّ مَعرِفَتِها مَن خامَرَ قلبَه حبُّ رسول الله ﷺ بسبب تَقفِّي أثَرِه، ورَغِبَ قلبُه حِينَ يَرى أنّه قد أخذ في بُنَيّاتِ الطَّرِيق، بخلافِ مَن لم يكن له إلمامٌ بكتابٍ ولا سنّة، بل أخذ الطريقَ عن المُتعمِّقِين في السلوك ببدعة: «أخبَرني قلبي عن ربِّي»، فإنّ هؤلاء ومَن نحا[٧] نحوَهم ضُلّالٌ جُهّال.

وأيُّ دليلٍ أدَلُّ على بدعَتِهم من ذلك؟ فإنّ الله تعالى أمر بالردِّ إليه وإلى

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠١١)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٤٨١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ٤٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩٠).

(٢) قوله: «وما ابتدع» ليس في (د).

(٣) في (ق): «فلا ينبئكم».

(٤) قوله: «فإنه يوشك» مثبت من المصادر.

(٥) في (ق): «ويرجع».

(٦) «سنن أبي داود» (٤٦١١)، و«المستدرك» للحاكم (٨٤٢٢)، و«الشريعة» للآجري (٩٠).

(٧) في (د): «ينحو».

رسوله، والردُّ إليه سبحانه وتعالى الردُّ إلى كتابه، وإلى رسوله الردُّ إلى سُنَّته، عافانا الله الكريم من مُضِلّاتِ الفتن ما ظهر منها وما بطن، والله أعلم[١].

اتَّفق المؤرِّخون أنّ مُعاذًا ماتَ في طاعونِ عَمواس بناحية الأردن من الشام سنةَ ثماني[٢] عشرة، واختُلِف في عمره، فقيل: ثمانٍ وثلاثون، وقيل: ثلاثٌ وثلاثون، وقيل: أربعٌ وثلاثون[٣]، رضي الله عنه.

* * *

[أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه]

[٥٠] **ومنهم: أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ**[٤].

ويُكنَّى: أبا يحيى[٥].

وكان من النُّقَباء، وشهد العقبةَ الأخيرةَ مع السبعين، ولم يشهد بدرًا، وشهد أُحُدًا، وجُرِح يومئذٍ سبعَ جِراحات، وثبت يومئذٍ مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس، وشهد الخندقَ والمَشاهِدَ بعدها مع رسول الله ﷺ[٦].

---

(١) انظر: «إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر» للبقاعي (٩١).

(٢) في (د): «ثمان».

(٣) انظر: «المعارف» (١: ٢٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٤٤)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٢٣٢).

(٤) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (١: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩١)، و«تهذيب الكمال» (٣: ٢٤٦).

(٥) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩١)، و«تهذيب الكمال» (٣: ٢٤٦).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩١).

ووقع له كرامةٌ في زمن رسول الله ﷺ، قال أنسٌ رضي الله عنه: كان أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ وعبّادُ بنُ بشرٍ عند رسول الله ﷺ في ليلةٍ ظلماءَ حِندِس، فتحدَّثا عنده، حتَّى إذا خرجا أضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا في ضوئها، فتفرَّق بهما الطريق، فأضاءت لكلِّ واحدٍ منهما عصًا، فمشى في ضوئها[1]. أخرجه البخاريُّ.

تُوفِّي أُسَيدٌ في شعبانَ سنةَ عشرين، رضي الله عنه[2]، والله أعلم.

* * *

[سعد بن عُبادة رضي الله عنه]

[٥١] **ومنهم**: سعدُ بنُ عُبادةَ[3].

ويُكنَّى: أبا ثابتٍ.

وهو أحدُ النقباء، شهد العقبةَ مع السبعين، والمَشاهِدَ كلَّها إلّا بدرًا؛ فإنّهُ تهيَّأ للخروج فلُدِغ، فأقام، وكان جَوادًا، وكانت جَفنتُه تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه[4].

قال مُحمَّدُ بنُ سيرين: «كان أهلُ[5] الصُّفّة إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل،

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٥).

(٢) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩١).

(٣) انظر ترجمته في: «معجم الصحابة» للبغوي (٣: ١٣)، و«المتفق والمفترق» (٢: ١١٢١)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٦).

(٤) انظر: «معجم الصحابة» للبغوي (٣: ١٣)، و«المتفق والمفترق» (٢: ١١٢١)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٦).

(٥) في (د): «كان من أهل».

والرجل بالرجلَين، والرجلُ بالخمسة، فأمّا سعدُ بنُ عبادةَ فكان ينطلق بثمانين كلَّ ليلةٍ»(١).

مات بحورانَ من أرض الشام لسنتَين ونصفٍ من خلافة عمرَ رضي الله عنه(٢).

* * *

[جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه]

[٥٢] ومنهم: جعفرُ بنُ أبي طالبٍ(٣).

وكان أسنَّ من أخيه عليٍّ رضي الله عنهما.

ويُكنَّى: أبا عبد الله(٤). / [٥٨/ب]

أسلَمَ قديمًا وهاجَرَ إلى أرض الحبشةِ في الهجرةِ الثانية، فلم يَزَل بها حتَّى قَدِمَ على النبيِّ ﷺ وهو بخيبر سنة سبع، فقال رسولُ الله ﷺ: **«ما أدري بأيِّهما أنا أفرَحُ؛ بقدوم جعفرٍ أو بفتح خَيبَر»**(٥).

قالت أمُّ سلمة: «لمّا نزلنا أرضَ الحبشة جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ النجاشيّ، أمِنّا على دينِنا، وعبَدْنا الله تعالى لا نُؤذَى، فلمّا بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشيِّ فينا رَجُلَين جَلْدَين، وأن يُهدُوا إلى النجاشيِّ هدايا ممّا يُستَطْرَفُ من متاع

---

(١) انظر: «المنتظم» (٤: ١٩٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩١).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٢)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٥: ٢٢٤)، و«الكاشف» (١: ٤٢٩).

(٣) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٢١)، و«المستخرج من كتب الناس للتذكرة» (١: ٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩٥)، و«أسد الغابة» (١: ٣٤١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٥)

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٢٠٦)، و«المستدرك» للحاكم (٤٢٤٩).

مكّة، فجمعوا[١] ولم يتركوا من بطارقته إلّا أهدَوا له، ثمَّ بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وقالوا لهما: ارفعوا إلى كلِّ بطريقٍ هديَّتَه قبل أن تُكَلِّموا النجاشيَّ فيهم، ثم قَدِّموا إلى النجاشيِّ هداياه، ثم سَلُوه أن يُسلِّمهم إليكما قبل أن يُكلِّمَهم، فخرجا.

فلمّا قَدِما على النجاشيِّ دفعا إلى كلِّ بطريقٍ هديَّتَه، وقالا: قد صبأ إلى بلد الملك منّا غِلمانٌ سفهاءُ فارَقوا دينَهم وقومهم[٢]، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدينٍ مُبتدَع، وقد بعثنا إلى الملِك فيهِم بأن يُسلِّمَهم إلينا ولا يُكلِّمَهم، فإنّ قومَهم أعلى بهم عينًا.

قالـوا: نعـم، ثمَّ قرَّبوا هدايا النجاشيّ، فقَبِلها ثـم كلَّماه، فقـالا: أيُّها الملك، إنّه صبأ إلى بلدك مِنّا غِلمانٌ سُفَهاء، فارَقُوا دينَ قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدينٍ مُبتدَعٍ لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم.

فقالت بطارقتُه: صدَقُوا فأسلِمْهم إليهما، فغضب النجاشيّ، ثمَّ قال: لا ها الله[٣]، لا أسلِّمهم إليهما[٤]، ولا أكاد قومًا جاوَرُوني ونزلوا بلادي، واختاروني على مَن[٥] سواي حتَّى أدعوَهم فأسألَهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان سلَّمتُهم إليهما[٦]، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهم، وأحسَنتُ جِوارَهم ما جاوروني.

---

(١) جاء بعدها في «صفة الصفوة»: «له أدما كثير».
(٢) في (ق): «قومهم» بدون الواو.
(٣) في (ق): «لا هايم الله».
(٤) في (ق): «إليهم».
(٥) «من» ليس في (ق).
(٦) في (ق): «إليهم».

ثم أرسل إلى أصحابِ رسول الله ﷺ، فلمّا جاءَهم رسولُه اجتمعوا، ثمَّ قال بعضُهم لبعض: ما تقولون للرجل؟

فقالوا: نقول والله ما عَلِمنا وما أمرَنا به نبيُّنا ﷺ، كان في ذلك ما هو كائن.

فلمّا جاؤوا دعا النجاشيُّ أساقِفتَه فنشروا مصاحفَهم حولَه، سألهم، فقال: ما هذا الدينُ الذي فارَقتُم فيه قومَكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دينٍ آخرَ من هذه الأمم، وكان المُتكِّلمُ جعفر، فقال: أيُّها الملك، كنّا قومًا أهلَ جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيءُ الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيف، حتَّى بعث الله تعالى إلينا رسولًا مِنّا، نَعرِفُ نَسَبَه [٥٩/أ] وصِدقَه وأمانتَه وعفافَه، فدعانا إلى الله تعالى وحدَه، نعبدُه، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤُنا من دونه من الحجارة والأوثان.

وأمرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلةِ الرحم، وحُسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكلِ مال اليتيم، وقذف المُحصَنة، وأمرَنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدَّقناه وآمَنّا به، فعبَدنا الله وحدَه لا نشركُ به شيئًا، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحلَلنا ما أحلَّ لنا.

فعدا علينا قومُنا، فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليَردُّونا إلى عبادةِ الأوثان، وأن نستَحِلَّ ما كنّا نستحلُّ من الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلدك، فاخترناك على ما سواك، ورَغِبنا في جوارك، ورَجَونا ألّا نُظلَمَ عندك أيُّها الملك.

فقال النجاشيّ: هل معك ممّا جاء به عن الله عزَّ وجلَّ؟ فقال جعفر: نعم، فقال: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]، فبكى النجاشيُّ

حتَّى أخضَلَ[١] لِحيَتَه، وبكت أساقفتُه حوله حتى أخضَلوا مصاحِفَهم.

ثمَّ قال النجاشيّ: إنّ هذا والذي جاء به موسى لَيخرُجُ من مشكاةٍ واحدة، انطلِقوا، فوالله لا أسلِّمُهم إليكما أبدًا.

فلمّا خرجوا قال عمرُو بنُ العاص: والله لآتينَّهُ غدًا، وأعيبُهم عنده بما يستأصل به خضراءَهم، فقال له عبدُ الله بنُ أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلَين فينا: لا تفعل؛ فإنّ لهم أرحامًا، فقال: والله لأُخبِرَنَّه أنّهم يزعمون أنّ عيسى عبد، ثمَّ غدا عليه الغد، فقال له: أيُّها الملك، إنّهم يقولون في عيسى قولًا عظيمًا، فأرسِل إليهم فاسألهُم عمّا يقولون؟ فقال بعضُهم لبعض: ما تقولون؟ فقالوا: نقولُ[٢] ما قال الله تعالى فيه، وما جاء به نبيُّنا كائنًا[٣] مَن كان.

فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا ﷺ: هو عبدُ الله وروحُه وكلمتُه، ألقاها إلى مريمَ العذراء البتول، قال: فضرب النجاشيُّ يدَه إلى الأرض، فأخذ منه عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى بنُ مريم ما قلت هذا العودَ، ثمَّ قال: اذهبوا فأنتم شيومٌ بأرضي[٤] ـ والشيوم: الآمنون[٥] ـ رُدُّوا عليهما هداياهما؛ لا حاجةَ لنا بها، فوالله ما/ أخذ الله تعالى منّي الرشوةَ حين ردَّ عليَّ مُلكي»[٦]. [٥٩/ب]

وفي رواية: فقال لنا جعفرٌ: «أنا خطيبُكم اليوم، لا يتكلَّم منكم أحدٌ، فلمّا انتهينا بدَرَنا مَن عنده، فقالوا: اسجُدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلّا لله عز وجلّ،

---

(١) في (د): «خضلت». (٢) بعدها في (ق): «والله».

(٣) في (د): «كائن».

(٤) «مسند أحمد» (١٧٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩٥-١٩٧).

(٥) انظر: «المحكم» (٨: ١٠٩)، و«لسان العرب» (١٢: ٣٣٢)، و«تاج العروس» (٣٢: ٤٩٠).

(٦) «صفة الصفوة» (١: ١٩٧).

فذكر نحو الحديث المُتقدِّم، فقال النجاشيّ: ومرحبًا بكم وبمَن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنّه رسولُ الله، وأنّه الذي بشَّر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتَّى أُقبِّل نعلَه، رضي الله عنه»[١].

قال أبو هريرة: «كان جعفرٌ يُحِبُّ المساكين، ويجلس إليهم، ويُحدِّثُهم ويُحدِّثونه، وكان رسولُ الله ﷺ يُسمِّيه: أبا المساكين، رضي الله عنه»[٢].

قُتِلَ بمؤتةَ سنةَ ثمانٍ من الهجرة[٣]، قال ابنُ عمر: «وُجِدَ فيما أقبل من بدن جعفر ما بين مَنكِبَيه تسعين ضربةً ما بين طعنةٍ برمحٍ وضربةٍ بسيف، نعاه وزيدًا رسولُ الله ﷺ قبل أن يجيءَ خبرُهما وعيناه تَذرِفانِ»[٤]، والله أعلم.

وقُطِعَت يداه يوم غزوة مؤتة، فجعل الله تعالى له جناحَين يَطيرُ بهما، وقال رسولُ الله ﷺ: «**رأيتُ جعفرًا يطير في الجنّةِ مع الملائكة**»[٥]. رواه الترمذيّ.

* * *

[سلمان الفارسي رضي الله عنه]

[٥٣] ومنهم: سلمانُ الفارسيُّ[٦].

يُكنَّى: أبا عبد الله[٧].

---

(١) «مسند أبي داود الطيالسي» (٣٤٤).

(٢) «جامع الترمذي» (٣٧٦٦)، و«سنن ابن ماجه» (٤١٢٥)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٧).

(٥) «جامع الترمذي» (٣٧٦٣).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣١٨)، و«المعارف» (١: ٢٧٠)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٥٧)، و«البدء والتاريخ» (٥: ١١٠).

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣١٨).

من أصبهانَ من قريةٍ يُقال لها: جيّ[١]، وقيل: من رامهرمز[٢].

سافرَ يَطلُبُ الدِّينَ مع قوم، فغدَروا[٣] به، فباعوه من اليهود، ثمَّ كُوتِب، فأعانَهُ رسولُ الله ﷺ في كتابته، أسلَمَ مَقدَمَ النبيِّ ﷺ المدينة، ومَنَعَه الرِّقُّ من شهودِ بدرٍ وأُحُد، وأوَّلُ غَزاةٍ غزاها الخندق، وشهد ما بعدها، وكان رضي الله عنه وقّافًا مع الحقِّ[٤].

قال العتبيُّ[٥]: «بُعِثَ إلى عمرَ رضي الله عنه بحُلَل، فقسمتُها، فأصاب كلَّ رجلٍ ثوبٌ، ثمَّ صعد عمرُ[٦] المنبرَ وعليه ثوبان، فقال: أيُّها الناس، ألا تَسمَعُون؟ فقال سلمان: لا نسمع، فقال عمر: ولِمَ يا أبا عبدِ الله؟ قال: إنّك قَسَمتَ علينا ثوبًا ثوبًا، وعليك ثوبان، فقال: لا تَعجَل، ثمَّ نادى: يا عبدَ الله، فلم يُجِبه أحدٌ، فقال: يا عبدَ الله بنَ عمر، فقال: لبَّيك يا أميرَ المؤمنين، فقال: نَشدتُك الله، الثوبُ الذي ائتزرتُ به أهو لك؟ فقال: اللهمَّ نعم، فقال سلمان: الآن قُل نسمع»[٧].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣١٨)، و«الاستيعاب» (٢: ٦٣٤).

(٢) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٣٢٧).

(٣) في (ق): «فعدوا».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٩)، و«أسد الغابة» (٢: ٢٦٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٢-٥٠٣).

(٥) هو: محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الرحمن العتبي، من أهل البصرة، كان صاحب أخبار وراوية للآداب، وكان من أفصح الناس، حدَّث عن: أبيه، وعن سفيان بن عيينة، وروى عنه: أبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، وإسحاق بن محمد النخعي، وغيرهم، وقَدِم بغداد وحدَّث بها، فأخذ عنه غير واحد من أهلها، توفي سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين.
انظر: «المعارف» (٥٣٨)، و«تاريخ بغداد» (٣: ٥٦٢)، و«المنتظم» (١١: ١٤١)، و«وفيات الأعيان» (٤: ٣٩٨)، و«العبر» (١: ٣١٧).

(٦) في (ق): «على».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٣-٢٠٤).

ولمّا آخَى رسولُ الله ﷺ بينه وبين أبي الدرداء زار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء مُبتذلةً[١]، فقال لها: ما شأنُك؟ فقالت: إن أخاكَ أبا الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا، فلمّا جاء [٦٠/أ] أبو الدرداء قَرَّب له طعامًا، ثمَّ قال: كُل؛ فإنّي صائم، فقال: ما أنا بآكلٍ حتَّى تأكل، فأكل، فلمّا كان الليلُ ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم، فنام، فلمّا ذهب ليقوم فقال له: نَم، فنام، فلمّا كان آخرُ الليل قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصلَّيا، فقال: إنّ لنَفسِك عليك حقًّا، ولربِّك عليك حقًّا، ولضيفك عليك حقًّا، وإنّ لأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتيا رسولَ الله ﷺ، فذكرا ذلك عندَهُ[٢]، فقال: «**صَدَقَ سلمانُ**»[٣]، انفرد به البخاريُّ.

وزار سلمانُ أبا الدرداء في يوم جمعة، فقيل: هو نائمٌ، فقال: ما له؟ قالوا: إنّه إذا كانت ليلةُ الجمعة أحياها، ويصوم يومَ الجمعة، فأمَرهم[٤] فصَنَعُوا طعامًا، فقال له: كُل، فقال: إنّي صائمٌ، فلم يَزَل به حتَّى أكل، ثمَّ أتيا النبيَّ ﷺ فذكرا[٥] ذلك، فقال النبيُّ ﷺ لأبي الدرداء: «**أعُوَيمِر، سلمانُ أعلمُ منك**»، ثلاثَ مرّات، وهو يضرب بيده الكريمة على فخذ أبي الدرداء: «**لا تَخُصَّ ليلةَ الجمعة بقيامٍ من بين الليالي، ولا تَخُصَّنَّ يومَ الجمعة بصيامٍ من بين الأيام**»[٦].

قال الحسن: «كان سلمانُ أميرًا على زهاء ثلاثين[٧] ألفًا من المسلمين، وكان

---

(١) في (ق): «متبذلة».

(٢) «عنده» ليس في (ق).

(٣) «صحيح البخاري» (١٩٦٨).

(٤) في (د): «فأمرهم سلمان».

(٥) في (ق): «فذكر».

(٦) «مصنف عبد الرزاق» (٧٨٠٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦٠٥٦).

(٧) في (د): «ثمانين».

عطاؤُه خمسةَ آلاف، وكان يخطب على الناس في عباءةٍ يفترش بعضَها ويلبس بعضها، ويأكل من سَفِيف يدَيه»[١].

ومعنى «عطاؤُه» يعني: الذي يدخله، فكان يتصدَّق به، ويعمل الخُوصَ ويأكل، وكان يُعطَى مع الخمسة كارةً من ثيابٍ فيتصدَّق بها أيضًا.

قال ابنُ ابنه: «كان سلمانُ يستظلُّ بالفَيء حَيثُما[٢] دار، ولم يكن له بيتٌ، فقال له رجلٌ: ألا نبني لكَ بيتًا تستظلُّ به من الحَرِّ وتسكن فيه من البَرد؟ فقال له سلمان: نعم، فلمّا أدبرَ صاح به سلمان، فقال: كيف تَبنِيه؟ فقال: أبنِيهِ إن قمتَ فيه أصاب رأسَك، وإن اضجَعتَ أصابَ رِجلَيك، فقال سلمان: نعم»[٣].

ونكح امرأة، فلمّا كان ليلة البناء بها ـ أي: الدخول ـ مشى معه أصحابُه حتَّى أتى بيتَ امرأتِه، فلمّا بلغ البيتَ قال: ارجعوا آجَرَكم الله، ولم يُدخِلهم، فلما نظر إلى البيت وهو مُنجَّد، يعني[٤]: مُنَضَّدٌ بالأمتعة، قال: أمحمومٌ بيتُكم أم تحوَّلَتِ الكعبةُ في كِندة؟ فلم يدخل حتَّى نُزِع كلُّ سترٍ في البيت غيرَ سترِ الباب، فلمّا دخل رأى متاعًا كثيرًا، فقال: لِمَن هذا المتاع[٥]؟ فقالوا: متاعُك ومتاعُ امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ، أوصاني ألّا يكون/ متاعي [٦٠/ب] من الدنيا إلّا كزادِ الراكب[٦]، ورأى خدَمًا، فقال: لِمن هذا الخدمُ[٧]؟ قالوا:

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨١٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢١: ٤٣٤)، و«المنتظم» (٥: ٢٥).

(٢) في (ق) و(د): «ما».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٤).

(٤) «يعني» ليس في (د).

(٥) «المتاع» ليس في (د).

(٦) «مسند أحمد» (٢٣٧١١)، و«سنن ابن ماجه» (٤١٠٤)، و«مستدرك الحاكم» (٧٨٩١).

(٧) «الخدم» ليس في (د).

خدمُك وخدمُ امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ، أوصاني ألّا أُمسِكَ إلّا ما أنكِح، أو أُنكِح، فإن فعلتُ فبَغَين[١] كان عليَّ مثلُ أوزارِهنَّ من غير أن ينقصَ من أوزارهن شيءٌ.

ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته: هل أنتنَّ مُخلِّياتٌ بيني وبين امرأتي؟ قلن: نعم، فخَرَجن، فذهب إلى الباب وأجافَه وأرخى الستر، ثمَّ جاء وجلس عند امرأته، فمسح بناصيتها ودعا لها[٢] بالبركة، فقال لها[٣]: هل أنت مُطيعَتي في شيءٍ آمُرُكِ به؟ فقالت: جلستَ مَجلِسَ مَن يُطاع، فقال[٤]: فإنّ خليلي أوصاني إذا اجتمعتُ إلى أهلي أن أجتمعَ على طاعةِ الله تعالى، فقام وقامت إلى المسجد، فصلَّيا ما بدا لهما، ثم خرجا، فقضى منها ما يقضي الرجلُ من امرأته.

فلما أصبح غدا عليه أصحابُه، فقالوا: كيف وجدتَ أهلَك؟ فأعرَضَ عنهم، ثم أعادُوا عليه، فأعرَضَ عنهم، ثمَّ أعادُوا عليهِ[٥] فأعرضَ عنهُم، ثمَّ قال: إنّما جعل الله تعالى السترَ والجدارَ والأبوابَ؛ لِتواريَ ما فيها، حسبُ امرئٍ منكم أن يسألَ عمّا ظهرَ له، فأمّا ما غاب عنه فلا يسألَنَّ عن ذلك، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**المُحدِّثُ عن ذلك كالحِمارَين يتسافَدانِ في الطريق**»[٦].

قال أبو قلابة: «دخلَ رجلٌ على سلمان، فوجده يَعجِن، فقال: ما هذا؟ فقال: بعَثْنا الخادِمَ في عمل، فكرهنا أن نجمعَ عليه عَملَين»[٧].

---

(١) «فبغين» ليس في (د).
(٢) «لها» ليس في (ق).
(٣) «لها» ليس في (د).
(٤) في (ق): «قال».
(٥) «عليه» ليس في (ق).
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢١: ٤٢٨-٤٢٩).
(٧) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٤١)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٤).

قال النعمانُ بنُ حُمَيد: «دخلت مع خالي على سلمانَ بالمدائن وهو يعمل الخُوص، فسمعته يقول: أشتري خُوصًا بدرهم، فأعمله فأبيعه بثلاثة، فأُعِيد درهمًا فيه، وأُنفِقُ درهمًا على عيالي، وأتصدَّق بدرهم، ولو أنّ عمرَ بنَ الخطّاب نهى عنه لما انتهيت»[١].

كان له غلامٌ، فقال لسلمان: كاتِبنِي، فقال: ألك شيءٌ؟ قال: لا، قال: فمِن أين؟ قال: أسأل الناس، فقال: أتُريدُ[٢] أن تُطعِمَني غُسالةَ الناس[٣].

كان سلمانُ رضي الله عنه أميرًا بالمدائن، فجاء[٤] رجلٌ من الشامِ ومعه حِملُ تِبن، وعلى سلمانَ عباءة، فقال لسلمان: تعالَ احمِل هذا، وهو لا يعرفه، فحمل سلمانُ التبن، فرآه الناسُ فعَرفوه، فقالوا: هذا الأميرُ[٥]، فقال: لم أعرِفك، فقال له سلمان: لا، حتَّى أبلغَ منزلَك، وفي رواية: نَويتُ فيه نيّة، فلا أضَعُه حتَّى أبلغَ بيتَك.

[٦١/أ] قال عبدُ الله بنُ بُرَيدة: «كان سلمانُ إذا أصاب شيئًا اشترى به لحمًا، ثمَّ دعا المُجَذَّمِينَ[٦] فأكلوا معه»[٧].

أتاه أبو قُرّة فأُخبِر أنّه في المبقلة، فتوجَّه إليه فلقِيَه ومعه زِنبيلٌ فيه بَقلٌ، قد أدخل عصاه في عُروةِ الزِّنبيل وهو على عاتِقه[٨].

قال يحيى بنُ سعيد: «كتب أبو الدرداء إلى سلمان: هلمَّ إلى الأرض المُقدَّسة، فكتب إليه سلمان: إنّ الأرضَ لا تُقدِّسُ أحدًا، وإنّما يُقدِّس الإنسانَ عملُه، وقد

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٦)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١: ٥٤٧).
(٢) في (ق): «تريد».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٦).
(٤) في (د): «جاء».
(٥) في (د): «هذا أمير المؤمنين».
(٦) في (س): «المجذومين»، وفي «الطبقات الكبرى»: «المحدثين».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٦)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٥١٩).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٦)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٥).

بلغني أنّك جُعِلتَ طبيبًا؛ فإن كنت تُبرِئُ[١] فنعِمّا[٢] لك، وإن كنت مُتطبّبًا[٣] فاحذَر أن تقتلَ إنسانًا فتدخل النار، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنَين فأدبَرا نظر إليهما، وقال: مُتطبِّب، ارجِعا إليّ، أعِيدا عَلَيَّ[٤] قَضِيَّتَكُما»[٥].

قال أبو عثمانَ النهديُّ[٦]: «قال سلمانُ الفارسيّ: ثلاثٌ أعجَبنَني حتَّى أضحكنَني: مُؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبه، وغافِلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحِكٌ مِلءَ[٧] فيه لا يدري أساخِطٌ عليه ربُّ العالمين أم راضٍ عنه.

وثلاثٌ أحزنَّني حتَّى أبكينَني: فراقُ الأحبّةِ مُحمَّدٍ وحزبه، وهولُ المَطلَع، والوقوفُ بين يدَي ربِّي عزَّ وجلَّ لا أدري إلى جنّةٍ أو إلى نار»[٨].

قال ميمونُ بنُ مهران: «جاء رجلٌ إلى سلمانَ الفارسيّ، فقال: أوصِني، فقال: لا تتكلَّم، قال: ما يستطيع مَن عاشَ في الناس ألّا يتكلَّم، قال: فإن تكلَّمت فتكلَّم بحقٍّ أو اسكت، قال: زِدني، قال: لا تغضب، قال: إنّه لَيغشاني ما لا أملِكه، قال: فإن غضبت فاملك لسانَك ويدَك، قال: زِدني، قال: لا تُلابسِ الناس، قال: ما يستطيع مَن عاش في الناس ألّا يُلابِسَهم، قال[٩]: فإن لابستَهم فاصدُقِ الحديثَ وأدِّ الأمانةَ»[١٠].

---

(١) «تبرئ» ليس في (د).
(٢) في (د): «فنعم».
(٣) في (د): «مطبيًا».
(٤) «عليّ» مثبت من المصادر.
(٥) في (د): «أعيدا قصتكما»، وانظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (٨٣٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١: ١٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٠٨).
(٦) في (د): «المهدي».
(٧) في (د): «ملأ».
(٨) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٣٧)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٠٧)، و«شعب الإيمان» (١٠١٦٩).
(٩) من قوله: «لا تلابس الناس» إلى هنا ليس في (د).
(١٠) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» (١٠: ٥٢)، و«تهذيب الكمال» (١١: ٢٥٤).

قال عاصِمٌ الأحول: قال سلمان: «إنّ العبدَ إذا كان يدعو[1] الله في السرّاء، فنزلَت به الضرّاء فدعا، قالت الملائكة: صَوتٌ مَعروفٌ من آدميٍّ ضعيف، فيشفعون له، وإذا كان لا يدعو في السرّاء، فنزلت به الضرّاءُ قالت الملائكة: صوتٌ مُنكَرٌ من آدميٍّ ضَعيف، فلا يشفعون له».

قال مُوَرِّقٌ العِجليّ: لمّا حضرت الوفاةُ سلمانَ بكى، فقيل له: ما يُبكِيك؟ فقال: عَهِدَ إلينا رسولُ الله ﷺ، فقال: «**لِيَكن بلاغُ أحدِكم كزادِ الراكب**»[2]، فلمّا مات نظروا في بيته لم يَروا فيه إلّا إكافًا ووِطاءً ومتاعًا قُوِّمَ بنحوٍ من عشرين درهمًا.

وفي رواية: فجَزِع، فقيل له: ما يُجزعك ولك سابقةٌ في الخير؛ شهدتَ مع رسولِ الله ﷺ مغازيَ حسنةً وفتوحًا[3] عظامًا؟ فقال: يُحزِنُني أنّ حبيبَنا رسولَ الله ﷺ عهد إلينا/ حين فارَقَنا، فقال: «**لِيَكفِ المُؤمنَ كزادِ الراكب**»[4]، [٦١/ب] فهذا الذي أحزنني، فجُمِعَ مالُه فكان قيمتُه خمسةَ عشرَ درهمًا[5].

وفي رواية: «**لِيَكن بُلغةُ أحدِكم مثلَ زادِ الراكب**»[6]، وحولي هذه الأساوِدُ[7]، وإنّما حولَه إجّانةٌ أو جفنةٌ أو مِطهَرة.

تُوفِّي رضي الله عنه بالمدائن في خلافةِ عثمان، فقيل: مات سنة ثنتين وثلاثين، وكان من المُعمَّرين، أدرك حَواريَّ عيسى بنِ مريمَ عليه الصلاةُ والسلام، وعاش

(١) قوله: «إن العبد إذا كان يدعو» في (د): «إذا كان العبد يدعو».
(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٥٧)، و«شعب الإيمان» (٩٩٠٩)، و«حلية الأولياء» (١: ١٩٦).
(٣) في (د): «وفتوحات». (٤) «حلية الأولياء» (١: ١٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٠).
(٥) «درهمًا» ليس في (ق).
(٦) «المعجم الكبير» للطبراني (٦: ٢٦١)، و«حلية الأولياء» (١: ١٩٦).
(٧) في (د): «الأساودة».

مئتَين وخمسين سنةً، ويُقال: أكثر، وجرى لـه أمـورٌ حـين طلب الدِّينَ لا نُطوِّل بذكرها[١].

❊ ❊ ❊

[أبو موسى الأشعري رضي الله عنه]

[٥٤] **ومنهم**: أبو موسى الأشعريُّ[٢].

واسمُه: عبدُ الله بنُ قيس، أسلم بمكّةَ وهاجَرَ إلى أرض الحبشة[٣]، ثُمَّ قَدِمَ[٤] مَعَ أهلِ السَّفِينَتَين، ورَسُولُ الله ﷺ بخَيبَرَ[٥]، وبَعضُهم[٦] يُنكِرُ هِجرَتَه إلى الحَبَشة[٧].

قال أبو موسى: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غَزاةٍ ونحن ستّةُ نفرٍ على بعيرٍ نَتَعَقَّبُهُ[٨]، فنُقِبت أقدامُنا ونُقِبَت قدمي، وسقطَت أظفاري، فكنّا نَلُفُّ على أرجُلِنا الخِرَق.

---

(١) انظر: «تاريخ أصبهان» (١: ٧٤)، و«تاريخ بغداد وذيوله» (١: ١٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١١).

(٢) انظر ترجمته في: «البدء والتاريخ» (٥: ١٠٢)، و«المنتظم» (٥: ٢٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١١).

(٣) انظر: «البدء والتاريخ» (٥: ١٠٢)، و«المنتظم» (٥: ٢٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١١).

(٤) «قدم» ليس في (د) و(ق)، وهو مثبت من المصادر.

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ١٠٥)، و«الاستيعاب» (٤: ١٧٦٣)، و«تاريخ دمشق» (٣٢: ١٨).

(٦) قال ابن سعد في «الطبقات» (٤: ١٠٥): «قال أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم قال: ليس أبو مُوسى من مُهاجرة الحبشة، وليس له حِلف في قريش»، وانظر: «المنتظم» (٥: ٢٥١)، و«أسد الغابة» (٥: ٣٠٦)، و«السير» (٢: ٣٨٣).

(٧) قوله: «ثم قَدِم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر، وبعضهم يُنكِر هجرته إلى الحبشة» ليس في (ق).

(٨) في (ق): «يعتقبه».

قال أبو بردة: فحدَّث أبو موسى بهذا الحديث، ثمَّ كره ذلك، وقال: ما كنتُ أصنع بأن أذكرَه، قال: كره أن يكونَ شيءٌ من عمله أفشاه»[١].

قال: «إنّي لَأغتسل في البيت المُظلِم فما أُقِيمُ صُلبي حتَّى آخُذَ ثوبي؛ حياءً من ربِّي عزَّ وجلَّ»[٢].

جمع الذين قرؤوا القرآن فإذا هم قريبٌ من ثلاثِ مئة، فعظَّم القرآن، وقال: «إنّ هذا القرآنَ كائنٌ[٣] لكم أجرًا، وكائنٌ عليكم وزرًا، فاتَّبِعوا القرآن، ولا يتبعنَّكم؛ فإنّه مَن اتبَع القرآنَ هبط به على رياض الجنة، ومَن اتَّبَعه القرآنُ يَزُخُّ[٤] في قفاه، فقذفه في النار»[٥].

قال أبو إدريس: «صام أبو موسى حتَّى عاد كأنّه خَلال، فقيل له: لو أجمَمتَ[٦] نَفسَكَ؟ فقال: أيهات؛ إنّما يَسبِقُ من الخيل المُضَمَّرةُ، ثمَّ يقول لامرأته إذا خرج من منزله: شُدِّي رَحلَك[٧]، فليس على جسر جهنَّم مَعبَرٌ»[٨].

---

(١) «صحيح البخاري» (٤١٢٨)، و«صحيح مسلم» (١٨١٦).

(٢) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١١٠٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٢).

(٣) في (د): «كان».

(٤) في (ق) و(د): «زج». والمثبت موافق لما في المصادر.

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٨٢١)، و«سنن الدارمي» (٣٣٧١)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٥٧)، و«تاريخ بغداد» (١٥: ٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٢).

(٦) في (د): «أحممت».

(٧) في (ق) و(د): «رجلك».

(٨) في (د): «معين»، وانظر: «شعب الإيمان» (١٠١٨٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٣).

تُوفِّي سنةَ اثنين وخمسين[١]، وقيل غيرُ ذلك، ودُفِنَ بمكّةَ[٢]، وقيل: بالثويّةِ[٣] على ميلَين من الكوفة[٤]، والله أعلم.

* * *

[عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما]

[٥٥] **ومنهم:** عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنهما[٥].

ويُكنَّى: أبا عبد الرحمن.

أسلم بمكّةَ مع أبيه قبل البلوغ، وهاجَرَ مع أبيه إلى المدينة[٦]، وعُرِض على رسولِ الله ﷺ يومَ بدرٍ فرَدَّه[٧]، ويومَ[٨] أحُدٍ فردَّه لصِغَره، وعُرِضَ يومَ الخندق فأجازه؛ لأنّه بلغ خمسَ عشرةَ سنةً[٩].

قال ابنُ عمر: كان الرجلُ في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على النبيِّ ﷺ، فرأيت في النوم كأنّ مَلَكَين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ١١٦)، و«أسد الغابة» (٥: ٣٠٤).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٧٦٤).

(٣) انظر: «الأماكن» للحازمي (١٤٦)، و«معجم البلدان» (٢: ٨٧)، و«مراصد الاطلاع» (١: ٣٠٢)، و«الروض المعطار في خبر الأقطار» (١٥١).

(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤: ١٧٤٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٤).

(٥) انظر ترجمته في: «مشاهير علماء الأمصار» (٣٧)، و«المنتظم» (٦: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٤).

(٦) قوله: «وهاجر مع أبيه إلى المدينة» ليس في (د).

(٧) قوله: «يوم بدر فرده» ليس في (د). (٨) في (د): «يوم» بدون الواو.

(٩) انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (٣٧)، و«المنتظم» (٦: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٤).

[٦٢/أ] مَطويّةٌ كطيِّ البئر، وإذا قرنان، وأرى[١] فيها ناسًا قد عَرفتُهم، فجعلت أقول: أعوذُ بالله من النار، فقصَصتُها على حفصة، فقصَّتها على رسول الله ﷺ، فقال: «**نِعمَ الرجلُ عبدُ الله، لو كان يُصلِّي من الليل**»، فكان عبدُ الله لا ينام بعدُ من الليل[٢] إلا قليلًا[٣]. ذكره الشيخان.

قلت: وفيه فائدةٌ جليلة، وهي أنّ قيامَ الليل يَقِي النار، عافانا الله تعالى منها، والله أعلم.

قال طاوس: «ما رأيت رجلًا أورعَ من ابن عمرَ رضي الله عنهما»[٤].

قال نافع: «سأله رجلٌ عن مسألة، فطأطأ رأسَه[٥] ولم يُجِبه حتَّى ظنَّ الناسُ أنّه لم يسمع مسألتَه، فقال له الرجل: يرحمك الله تعالى، أما سمعتَ مسألَتي؟

فقال: بلى، ولكنَّكم ترون أنّ الله ليس يسألنا عن ما تسألونا عنه، اترُكنا يرحمك الله حتى نتفهَّم في مسألتك، فإن كان لها جوابٌ عندنا وإلّا أعلَمْناك أنّه لا عِلمَ لنا بها»[٦].

وسُئِلَ عن مسألة فقال: لا عِلمَ لي بها، فلمّا أدبرَ السائل قال لنفسه: سُئِلَ ابنُ عمرَ عمّا لا عِلمَ له به[٧] فقال: لا عِلمَ لي به[٨].

---

(١) كأنها في (د): «وإذا».
(٢) قوله: «بعد من الليل» ليس في (د).
(٣) «صحيح البخاري» (١١٢٢)، و«صحيح مسلم» (٢٤٧٩).
(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠٦٦)، و«المعرفة والتاريخ» (١: ٤٩١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١١٥).
(٥) قوله: «فطأطأ رأسه» ليس في (د).
(٦) قوله: «بها» ليس في (د)، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٦٧).
(٧) «به» ليس في (د).
(٨) «سنن الدارمي» (١٨٥)، و«المستدرك» للحاكم (٦٣٧٨).

قالت عائشةُ رضي الله عنها: «ما رأيتُ أحَدًا ألزمَ للأمرِ الأوَّلِ من عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما»[1].

كان يقول: لقِيتُ أصحابي على أمر، وإنّي أخاف إن خالفتهم ألّا ألحق بهم[2].

وكان[3] ابنُ عمر إذا اشتدَّ عَجبُه بشيءٍ من ماله قرَّبه لربِّه عزَّ وجلّ، فكأنَّ رقيقَه قد عرفوا ذلك منه، فربَّما شمَّر أحدُهم فيَلزَم المسجد، فإذا رآه على تلك الحالة الحسَنةِ أعتقه، فيقول له أصحابُه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلّا أن يخدعوك، فيقول: مَن خدعنا بالله انخدعنا له[4].

قال: «خطرت لي هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فتذكَّرتُ ما أعطاني الله تعالى، فما وجدتُ شيئًا أحبَّ إليَّ من جارِيَتي رُمَيثة، فقلت: هي حُرّةٌ لوجه الله تعالى، فلولا أعود في شيءٍ جعلتُه لله تعالى لنكحتها، فأنكَحَها نافِعًا»[5].

قال نافعٌ: «كان لا يُعجِبه شيءٌ من ماله إلّا خَرَّجَ منهُ لله تعالى».

قال ميمونُ بنُ مهران: «أتَت ابنَ عمرَ اثنان وعشرون ألفَ دينارٍ في مَجلس، فلم يَقُم حتى فرَّقها»[6].

---

(١) «المستدرك» للحاكم (٦٣٦٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٦).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢١٦).

(٣) في (د): «كان» بدون الواو.

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٩٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٩٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٧).

(٥) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (٢: ٢٤٠)، و«المنتظم» (٦: ١٣٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٦).

(٦) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠٦٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٧).

ودُفِعَ له في نافع عشرةُ آلافٍ أو ألفُ دينار، فقِيل: يا أبا عبد الرحمن، فما تَنتظِرُ[١] أن تبيعَ؟ قالَ: فهلّا ما هو خيرٌ من ذلك؟ هو حُرٌّ لوجه الله عزَّ وجلَّ[٢].

قال أبو بكر بن حفص: «كان عبدُ الله بنُ عمرَ لا يأكل طعامًا إلّا وعلى خِوانه يتيمٌ»[٣].

نزل يومًا[٤] بالجحفة وهو شاكٍ، فقال: أشتَهِي حيتانًا، فلم يجدوا إلّا حوتًا واحدًا، فأخذَته امرأتُه، فصنعَته ثمَّ قرَّبَته إليه، فأتى مسكينٌ حتَّى وقف عليه، فقال له عبدُ الله: خذ هذه[٥]، فقال أهلُه: سبحان الله، قد عنَّيتَنا، ومعنا زادٌ نُعطِيه، [٦٢/ب] فقال: إنّ عبدَ الله يُحبُّه»[٦]، أشار رضي الله عنه إلى الآية.

قال نافعٌ: «اشتكى، فاشتُرِيَ له عنقودُ عِنَبٍ بدرهم، فجاء مسكينٌ فقال: أعطُوهُ إيّاه، فاشتراهُ إنسانٌ بدرهم، ثمَّ جاء به إليه، فجاءه المسكينُ يسأل، فقال: أعطوهُ إياه، فاشتراه منهُ بدرهم، فأرادَ أن يرجعَ فمُنِع، ولو علم رضي الله عنه بذلك العُنقود ما ذاقَه»[٧].

قال ميمونُ بنُ مِهران: «عُوتِبَت امرأةُ عبد الله بن عمر، فقيل لها: ما تتلطَّفين بهذا الشيخِ؟ فقالت: فما أصنَع؟ لا نصنع له طعامًا إلّا دعا إليه مَن يأكله، ثمَّ أرسَلَت

---

(١) في (د): «فانتظر».

(٢) انظر: «الثقات» لابن حبان (٥: ٤٦٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٧).

(٣) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٥٥)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٩٩).

(٤) «يومًا» ليس في (د). (٥) في (ق): «خذه».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٩٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٤٣)، و«مختصر منهاج القاصدين» (٣٨).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢١٨)، و«مرآة الزمان» (٩: ١٢٠).

إلى قومٍ من المساكين كانوا يجلسون بطريقِه إذا خرج من المسجد، فأطعَمَتهُم، وقالت لهم: لا تجلسوا بطريقِه، فلمّا جاء إلى بيته قال[1]: أرسِلُوا إلى فلانٍ وفلان، وكانت امرأتُه أرسلت إليهم بطعام، وقالت: إذا دعاكم فلا تأتُوه، فقال رضي الله عنه: أردتُم ألّا أتعشَّى الليلة؟ فلم يتعشَّ تلك الليلة»[2]، رضي الله عن ذلك الوجه.

قال ميمون: جاء رجلٌ إلى عبد الله بن عمر يستكسيه إزارًا، وقال: قد تَخرَّقَ[3] إزاري، فقال له: اقطع إزارَك ثم اكتَسِه، فكَرِهَ الرجلُ ذلك، فقال له عبدُ الله: وَيحَك! اتَّقِ الله ولا[4] تكُونَنَّ من القوم الذين يجعلون ما رزَقَهم الله تعالى في بطونهم وعلى ظُهورهم، وقال: لا خيرَ إلّا فيما يبقى نفعُه غدًا.

وجاء سائلٌ يسأله، فقال لابنه: أعطِه دينارًا، فلمّا انصرف قال له[5] ابنُه: تقبَّل الله مِنك يا أبتاه، فقال: لو علمتُ أنّه تَقبَّل منِّي سجدةً واحدةً أو صدقةَ درهمٍ لم يكن غائبٌ أحبَّ إليَّ من الموت، أتدري ممَّن يُتقبَّل؟ إنّما يَتقبَّلُ الله مِن المُتَّقين[6].

قال وُهَيبٌ: «باع ابنُ عمرَ جملًا، فقيل له: لو أمسَكتَه؟ فقيل: لقد[7] كان مُوافِقًا، ولكنَّه أذهب شُعبةً من قلبي، فكَرِهت أن أشغلَ قلبي بشَيءٍ»[8].

قال نافع: «كان ابنُ عمرَ يُحيِي الليلَ صلاةً، ثمَّ يقول: يا نافعُ، أسحَرْنا؟ فأقول:

---

(١) في (د): «قالوا».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٩٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٤٩).

(٣) في (ق): «تحرق».

(٤) في (د): «لا».

(٥) «له» ليس في (د).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٩)، و«مرآة الزمان» (٩: ١٢٠).

(٧) «لقد» ليس في (د).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

لا، فيُعاوِد[1] الصلاة، ثم يقول: يا نافعُ أسحَرْنا؟ فأقول: نعم، فيقعد ويستغفِر ويدعو حتَّى يُصبِح، وكان يُغفِي إغفاءةَ الطير، وكان يُحيِي ما بين الظهر والعصر»[2].

وكان إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[3] [الحديد: ١٦] بكى حتَّى يَغلِبَه البكاءُ[4].

قال مجاهدٌ: قال عبدُ الله بنُ عُمر: «لا يُصِيب عبدٌ شيئًا من الدنيا إلّا نقصَ من درجاتِه عند الله تعالى وإن كان عليه كريمًا»[5].

قال جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنهما: «أدرَكنا أحُدًا، وما رأينا أحَدًا إلّا قد مالت به الدنيا ومال بها، إلّا عبدُ الله بنُ عمر»[6].

وأثنى عليه شخصٌ فقال: «أنا عبدٌ من عبادِ الله تعالى، أرجوه وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتَّى تُهلِكوه»[7]. [٦٣/أ]

قال مجاهدٌ: قال لي عبدُ الله بنُ عمر: «أحِبَّ في الله وأبغِضْ في الله، وعادِ في الله؛ فإنّك لن تنالَ ولايةَ الله تعالى إلّا بذلك، ولا يَجِد رجلٌ طعمَ الإيمان

---

(١) في (د): «فيعيد».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٢٠)، و«مرآة الزمان» (٩: ١٢٠).

(٣) قوله تعالى: «﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾» ليس في (ق).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٠٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

(٥) انظر: «الزهد» لهناد بن السري (٥٥٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠)، و«مرآة الزمان» (٩: ١٢١).

(٦) انظر: «المعرفة والتاريخ» (١: ٤٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

(٧) انظر: «جامع معمر بن راشد» (٢٠٥٢٣)، و«حلية الأولياء» (١:٣٠٧)، و«صفة الصفوة» (١:٢٢١).

وإن كثرت صلاتُه وصيامُه حتَّى يكونَ كذلك، وصارَت مؤاخاةُ الناس في أمرِ الدنيا، وإن ذلك لا يُجزِئُ عن أهلِه شيئًا»[١].

كان له أدعيةٌ حسنةٌ، منها ما ذكَره عبدُ الله بنُ سبرة، قال: «كان ابنُ عمرَ إذا أصبح قال: اللهمَّ اجعلني من أعظَمِ عبادك نصيبًا في كلِّ خيرٍ تَقسِمه الغداة، ونورٍ تَهدِي به، ورحمةٍ تنشرها، ورزقٍ تبسطه، وضُرٍّ تكشفه، وبلاءٍ تدفعه، وفتنةٍ تصرفها»[٢].

كان سببُ موته زَجّةَ رُمحٍ أصابته من أصحاب الحَجّاج حين دخلوا الحرم بالسلاح، فلمّا مَرِض عاده الحَجّاج، وقال: لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقَه، فقال عبدُ الله: أنت الذي أصبتَني، فقال الحَجّاج: كيف؟ قال: يوم أدخَلتَ حرمَ الله تعالى السلاحَ[٣].

قال نافعٌ: «ثمَّ عادَه الحَجّاجُ فغمَّض عينَهُ[٤]، فكلَّمه الحَجّاجُ فلم يُكَلِّمه»[٥].

مات بمكّةَ سنةَ أربعٍ وسبعين، وقيل: سنةَ ثلاث، وهو ابنُ أربعٍ وثمانين سنة، رضي الله عنه وأرضاه[٦]، والله أعلم.

* * *

(١) «المعجم الكبير» (١٣٥٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢١)، وورد في «تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي (٣٩٦) موقوفًا على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تاريخ واسط» (٩٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

(٣) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٧١٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢١).

(٤) «عينه» ليس في (ق).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٢٢).

(٦) انظر: «المعارف» (١: ١٨٦)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٣: ٤٧٩)، و«البدء والتاريخ» (٥: ٩١).

[أبو ذرٍّ الغِفاري رضي الله عنه]

[٥٦] ومنهم: أبو ذرٍّ الغِفاريُّ[١].

وفي اسمه خلافٌ مُنتشِر، المشهور: جُندبٌ، وقيل: بُربُر؛ بضمِّ الباء المُوحَّدة، وقيل غيرُ ذلك[٢].

وكان يَتعبَّد قبلَ مَبعَثِ رسول الله ﷺ بمكّة قديمًا[٣].

قال خفّافٌ: «كان أبو ذرٍّ شجاعًا، ينفرد وحدَه فيقطعُ الطريق، ويُغِيرُ على الصِّرمِ كأنّه السبُع، ثمَّ إنّه قُذِفَ في قلبه الإسلام، وسمع بالنبيِّ ﷺ فأتاه، قال أبو ذرّ: فتضعَّفتُ[٤] رجلًا من أهل مكّةَ فقلت: أين هذا الرجلُ الذي تدعوه الصّابِئ؟

فأشار إليّ، وقال: الصابئ، فمال عليَّ أهلُ الوادِي بكلِّ مَدَرةٍ وعَظْمٍ حتَّى خَرَرتُ مَغشِيًّا عليّ، فارتفَعتُ حينَ ارتفَعتُ كأنِّي نُصبٌ أحمر، ثمَّ أتيتُ زمزمَ فشَرِبتُ من مائها، وغَسلتُ عنِّي الدم، ودخلتُ بين الكعبةِ وأستارِها، فلبثتُ ثلاثِينَ بين يومٍ وليلةٍ ما لي طعامٌ إلّا ماءُ زمزم، فسَمِنتُ حتَّى تكَسَّرت عُكَنُ بطني، وما وجدت في كبدي سُخفةَ جوع، فلمّا اجتمعت بالنبيِّ ﷺ فقال لي: **«ارجع إلى قومِكَ حتى يأتيَك أمري»**، فقلت: والذي نفسي بيده، لأصرُخَنَّ بها بين ظهرانَيهِم،

---

(١) انظر ترجمته في: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (١: ١٨٥)، و«الإكمال في رفع الارتياب» (١: ٢٥٧)، و«توضيح المشتبه» (١: ٤١٤)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٧: ١٠٥).

(٢) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (١: ١٨٥)، و«الإكمال في رفع الارتياب» (١: ٢٥٧)، و«توضيح المشتبه» (١: ٤١٤)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٧: ١٠٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٢٣).

(٤) في (د): «فتضيفت».

فخرجتُ حتى أتيت المسجد، فنادَيتُ بأعلى صوتي: أشهد أن لا إلهَ إلّا الله وأنّ مُحمَّدًا رسولُ الله، وثار القومُ فضربوني حتَّى أضجَعُوني، وأتى العبّاسُ فأكبَّ عليّ، فقال: ويلَكم! ألستم تعلمون أنّه من غِفار، وأنّ طريقَ تجارتِكم إلى الشام [٦٣/ب] -يعني: عليهم- فأنقَذَني منهم[١]، ثمَّ عُدتُ من الغدِ بمِثلِها، وثاروا وضَربُوني، فأكبَّ العبّاسُ عليَّ فأنقذَني، ورجَعتُ إلى بلادي»[٢].

فأقام بها حتى مَضَت بدرٌ وأُحُدٌ والخندق، ثمَّ قَدِم المدينة.

قال سفيانُ الثوريّ: «قام أبو ذرٍّ عند الكعبة، فقال: يا أيُّها الناس، أنا جُندبٌ الغفاريّ، هلمُّوا[٣] إلى الأخ الناصِحِ الشفيق، فاكتنَفهُ الناس، فقال: أرأيتُم لو أنّ أحدَكم أراد سفرًا، أليس[٤] يتَّخِذُ من الزادِ ما يبلغه؟ قالوا: بلى، قال: فسَفرُ طريقِ الآخرة[٥] أبعدُ ما تريدون، فخُذوا ما يُصلِحُكم، قالوا: وما يُصلِحُنا؟ قال: حَجّةٌ لعظائم الأمور، صوموا يومًا شديدًا حرُّه ليومِ النشور، ثمَّ[٦] صَلُّوا ركعتَين في سوادِ[٧] الليل لوحشة القبور، كلمةُ خيرٍ تقولها أو كلمةُ سوءٍ تسكت عنها لوقوف يومٍ عظيم، تصدَّق بمالك[٨] لعلَّكَ[٩] تنجُو من عسيرها، اجعل الدنيا مَجلسَين: مجلسًا في طلب الحلال، ومجلسًا في طلبِ الآخرة، الثالِثُ يضرُّك ولا ينفعك، ثمَّ نادَى بأعلى صوتِه: يا أيُّها الناس، قد قتَلَكم حِرصٌ لا تُدرِكونه أبدًا»[١٠].

---

(١) «منهم» ليس في (د).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٣-٢٢٥).

(٣) في (ق): «هلم».

(٤) في (د): «ليس».

(٥) في (د): «القيامة».

(٦) «ثم» ليس في (ق).

(٧) في (د): «ظلام».

(٨) في (د): «بمال».

(٩) «لعلك» مثبت من المصادر.

(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (١: ١٦٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٦)، و«مرآة الزمان» (٥: ٤٩١).

قال مُحمَّدُ بن واسع: «رحل[١] رجلٌ إلى أُمِّ أبي ذرٍّ من البصرة بعد موته، فسألَ[٢] عن عبادته، فقالت: كان نهارُه أجمعَ في ناحيةٍ يتفكَّرُ»[٣].

وقالَ[٤] عبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى: قال أبو ذرّ: «والله لو تعلمون ما أعلمُ ما انبسَطتُم إلى نسائكم، ولا تَقارَرتُم على فُرُشِكم، والله لوَدِدتُ أنّ الله عزَّ وجلَّ جعلني شجرةً تُعضَد ويُؤكَل ثمرُها»[٥].

قال جعفرُ بنُ سليمان: «دخلَ رجلٌ على أبي ذرّ، فجعلَ يُقلِّب بصره في بيته، فقال: أين متاعُك[٦]؟ قال: إنّ لنا بيتًا نُوجِّه إليه صالحَ مَتاعِنا، فقال: إنّه لا بدَّ لك من متاعٍ ما دمت هنا؟ فقال: إنّ صاحِبَ المنزلِ لا يدعنا فيه»[٧].

قال ابنُ المُنكَدِر: «بعث حبيبُ بنُ مَسلمةَ[٨] - وهو أميرُ الشام - إلى أبي ذرٍّ بثلاثِ مئةِ دينار، فقال: استعِن بها على حاجَتِك، فقال أبو ذرّ: ارجِع بها إليه، أما وجدَ أحدًا أغرَّ بالله عزَّ وجلَّ منّا؟ ما لنا إلّا ظلٌّ نتوارَى به، وثُلّةٌ من الغنم تروحُ علينا، ثمَّ إنّي لأتخوَّفُ الفضلَ»[٩].

وبَينا هو بين أصحابِه إذ جاءت ابنتُه وعليها صوفٌ، سفعاءُ[١٠] الخدَّين، ومعها

---

(١) في (د): «دخل».
(٢) في (ق): «يسأل».
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٥).
(٤) في (د): «قال».
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٦٨٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٦٤).
(٦) في (ق): «متاعكم».
(٧) «شعب الإيمان» (١٠١٦٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٢١١).
(٨) في (د): «سلمة».
(٩) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٦٨٩)، و«الزهد» للإمام أحمد (٧٩٤)، و«حلية الأولياء» (١: ١٦١).
(١٠) في (د): «شعفاء».

قُفّة، فقالت: يا أبتاه، زعم الحرّاثون والزرّاعون أن أفلُسَك[١] هذه بهرجة، قال: يا بُنيّةُ، ضَعِيها؛ فإنّ أباكِ أصبحَ بحَمدِ الله تعالى ما يَملِك صفراءَ ولا بيضاءَ إلّا أفلُسَه هذه[٢].

ولمّا حضرَته الوفاةُ بكت أمُّ ذرّ، فقال لها[٣]: وما يُبكِيكِ[٤]؟ فقالت: وما لي لا أبكي وأنت تموتُ بفلاةٍ من الأرض، وليس معنا ثوبٌ يَسَعُك كفنًا، فقال: لا تبكي وأبشِري؛ فإنّي سمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَموتُ بين امرَأينِ مُسلِمَين ولدانِ أو ثلاثةٌ فيَصبِرانِ ويَحتَسِبانِ فيَريانِ النارَ أبدًا**»[٥]. [٦٤/أ]

وإنّي سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لنَفرٍ أنا فيهم: «**لَيمُوتَنَّ رجلٌ منكم بفلاةٍ من الأرضِ يشهَدُه عِصابةٌ من المؤمنين**»، وليس من أولئك النفرِ أحدٌ إلّا وقد ماتَ في قريةٍ وجماعة، وإنّي أنا الذي أموتُ بالفلاة، والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبت، فانظُري الطريق، فقلت: أنّى وقد ذهب الحاجُّ وتقطَّعَت الطرقُ؟

فقال: انظري، فكُنتُ أشتدُّ إلى الكثِيب، فأقوم عليه، ثمَّ أرجع إليه فأُمَرِّضُه، قالت[٦]: فبينا أنا كذلك إذا أنا برجالٍ على رَواحِلِهم كأنّهم الرَّخَم، فألَحتُ بثوبي فأسرَعوا إليَّ، ووضعوا السياطَ في نُحورِها يَستَبِقون إليّ، فقالوا: ما لكِ يا أمةَ الله تعالى؟ فقُلت: امرًا من المسلمين تُكفِّنونَه يموت، فقالوا: ومَن هو؟ قلت: أبو ذرّ، قالوا: صاحبُ رسولِ الله ﷺ؟ قلت: نعم، قالت: ففَدَّوهُ بآبائهم وأمَّهاتِهم، وأسرَعُوا إليه حتّى دخَلُوا عليه، فسلَّموا عليه، فرَحَّب بهم،

---

(١) في (د): «أفلستك». (٢) «حلية الأولياء» (١: ١٦٤).
(٣) «لها» ليس في (ق). (٤) في (د): «يبكيكي».
(٥) «مسند أحمد» (٢١٥٠٥)، و«المستدرك» للحاكم (٥٤٧٠).
(٦) «قالت» ليس في (ق).

وقال: أبشِروا؛ فإنّي سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ كذا وكذا[١]، وذكر[٢] ما ذَكرَه لامرأته، ثمَّ قال: واللهِ لو كان عندي ثوبٌ يَسعُني كفنًا أو لامرأتِي لم أُكفَّن إلّا في ثوبٍ هو لي أو لها، وإنّي أنشُدُكم الله تعالى لا يُكفِّنُني منكم رجلٌ كان أميرًا، ولا عريفًا، ولا بريديًّا، أو نقيبًا، وليس في القومِ أحدٌ إلّا وقد قارَفَ من ذلك شيئًا، إلّا فتًى من الأنصار، فقال: أنا أكفِّنُك في رِدائي هذا، وفي ثوبَين من غَزلِ أُمِّي، فقال: أنت تُكفِّنُني، فكفَّنَه الأنصاريُّ[٣].

وذكر ابنُ إسحاقَ في «**المغازي**»: أنّ أبا ذرٍّ مات بالرَّبَذة سنةَ اثنين وثلاثين، وصلَّى عليه ابنُ مسعودٍ مُنصرَفَه من الكوفةِ رضي الله عنه[٤].

* * *

[حُذيفة بن اليَمان رضي الله عنه]

[٥٧] **ومنهم**: حُذَيفةُ بنُ اليَمان[٥].

ويُكنَّى: أبا عبد الله[٦].

قال إدريسُ الخولانيّ: «سمعت حذيفةَ يقول: كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنت أسألُه عن الشرِّ؛ مخافةَ أن يُدرِكَني»[٧].

---

(١) «وكذا» ليس في (ق). (٢) «وذكر» ليس في (د).
(٣) «مسند أحمد» (٢١٥٠٥)، و«صحيح ابن حبان» (٦٦٧١).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٢٩).
(٥) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٣)، و«بغية الطلب» (٥: ٢١٤٧).
(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٣)، و«بغية الطلب» (٥: ٢١٤٧).
(٧) «صحيح البخاري» (٧٠٨٤)، و«صحيح مسلم» (١٨٤٧).

قال أبو عمّار: قال حذيفة: إنّ الفتنةَ تُعرَضُ على القلوب، فأيُّ قلبٍ آنَسَ بها نُكِتَت نكتةٌ سوداء، فإن أنكرَها نُكِتَت بيضاء، فمَن أحبَّ منكم أن يَعلم أصابته الفتنةُ أم لا فلينظر؛ فإن كان يرى حرامًا كان يراه حلالًا، أو يرى حلالًا كان يراهُ[1] حرامًا فقد أصابته الفتنة.

قال همّام: قال حُذَيفة: «ليأتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ لا ينجو فيه إلّا مَن دعا بدعاءٍ / كدعاءِ الغَرِيق»[2]. [٦٤/ب]

قال ابنُ ابنِه: كان يقول جَدِّي: ما من يوم أقرَّ لعيني ولا أحبَّ لنفسي من يومٍ آتي أهلي فلا أجد عندهم طعامًا، ويقولون: ما نقدِرُ على قليلٍ ولا كثير، وذلك أنِّي سمعت رسولَ الله يقول: «**إنّ الله تعالى أَشَدُّ حِميةً للمُؤمِنِ من الدُّنيا من المَريضِ أهلَهُ من**[3] **الطَّعام، واللهُ عَزَّ وجَلَّ أَشَدُّ تَعاهُدًا للمُؤمِنِ بالبَلاءِ من الوالِدِ لوَلَدِهِ بالخَير**»[4].

قال سفيان: قال حُذيفة: «إنّ الرَّجُلَ لَيَدخُلُ المدخَلَ[5] الذِي يَجِبُ عليه أن يَتَكَلَّمَ فيه لله فلا[6] يَتَكَلَّم، فلا يَعُودُ قَلبُهُ إلى ما كانَ[7] أبَدًا»[8].

قال عمارة: قال حُذيفةُ[9]: «إيّاكُم ومواقفَ الفِتَن؟ قيل: وما مواقفُ الفِتَن

---

(١) في (ق): «يرى».
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧١٤٥)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٧٤).
(٣) «من» مثبت من المصادر.
(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٠٠٤)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٧٧).
(٥) في (ق): «الرجل». (٦) في (ق) و(د): «ولا».
(٧) في (د): «إلى مكانه».
(٨) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لابن أبي الدنيا (٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٤).
(٩) «حذيفة» ليس في (ق).

يا أبا عبد الله؟ قال: أبوابُ الأمراء، يدخلُ أحدُكُم على الأمير فيُصدِّقُه بالكذب، ويقولُ ما ليسَ فيه»[١].

قال يومًا: «والله لوددتُ أنّ لي إنسانًا يكونُ في مالي، ثمَّ أُغلِقُ عليَّ بابًا فلم يدخُل عليَّ أحدٌ حتَّى ألحَقَ بالله عزَّ وجلَّ»[٢].

قال الأعمش: «بكى حُذيفةُ في صلاته، فلمّا فرَغَ التفت، فإذا رجلٌ خلفَه، فقال: لا تُعلِمَنَّ بهذا أحدًا»[٣].

ولمّا[٤] مَرِضَ دَخَلَ عليه بعضُ أصحابِه في مرضه الذي مات فيه، فسَمِعَه يقول: لولا[٥] أنِّي أرى أنّ هذا اليومَ آخرُ يومٍ من الدنيا، وأوَّلُ يومٍ من الآخرة لم أتكلَّم به، اللهُمَّ إنّك تعلمُ أنِّي كنت أُحِبُّ الفقرَ على الغِنَى، وأُحِبُّ الذِّلّةَ على العزّ، وأُحِبُّ الموتَ على الحياة، حبيبٌ جاءَ على فاقة، لا أفلحَ مَن نَدِم، ثمَّ مات رحمه الله تعالى[٦].

قال خالدُ بنُ الربيع العبسيّ: «أتينا حُذيفةَ وقد ثَقُل، فدَخَلنا عليه جوفَ الليل، فقال لنا: أيُّ ساعةٍ هذه؟ قلنا: جوفُ الليل، أو آخرُ الليل، ثمَّ قال: أعوذُ بالله من صباحٍ إلى النار، ثمَّ قال: أجِئتُم بأكفانٍ؟ قُلنا: نعم، قال: فلا تَغلُوا بأكفاني؛ فإنّه إن

---

(١) «جامع معمر بن راشد» (٢٠٦٤٣)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٧٧)، و«شعب الإيمان» (٨٩٦٥).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٨٠٢)، و«الزهد» لهناد بن السري (٢: ٥٨٢)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٧٨).

(٣) انظر: «المنتظم» (٥: ١٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٤)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢١٣).

(٤) في (ق): «لما».

(٥) في (د): «ولولا».

(٦) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٨٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٢٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٤).

يَكُن لصاحِبكُم عند الله خيرٌ فإنّه يُبدَّلُ[(١)] بكسوتِه كسوةً خيرًا منها، وإلّا فيُسلَبُ سلبًا»[(٢)].

ماتَ رضي الله عنه بعد قتل عثمانَ بأشهرٍ[(٣)].

* * *

[أبو الدحداح رضي الله عنه]

[٥٨] **ومنهم:** أبو الدحداح[(٤)].

واسمُه: ثابتٌ[(٥)].

شَهِدَ أُحُدًا، وقُتِلَ يومئذ[(٦)].

قال يومئذٍ والمسلمونَ أوزاع: يا معشَرَ الأنصار، إليَّ إليّ، إن كان محمَّدًا ﷺ قد مات فإنّ الله حيٌّ لا يَموت، فقاتِلُوا عن دينكم، فنَهَضَ إليه نَفَرٌ من قريش، فجعلَ يحمِلُ بمَن معه، فقُتِلَ ومَن كانَ معه[(٧)].

---

(١) في (د): «يبذل».

(٢) «الأدب المفرد» (٤٩٦)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٨٢).

(٣) انظر: «التاريخ الأوسط» (١: ٨٠)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٥).

(٤) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٤: ١٦٤٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٣٠٥)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٠٦).

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٦٤٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٣٠٥)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٠٦).

(٦) انظر: «الاستيعاب» (١: ٢٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٥).

(٧) انظر: «الاستيعاب» (١: ٢٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٥).

قال عبدُ الله بنُ مسعود: لمّا نَزَلَت[١]: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥]؛ قال أبو الدَّحداح الأنصاريّ: وإنّ الله لَيُريدُ منّا القَرضَ؟ قال: «**نعم**»، قال: أرِني يدَكَ يا رسولَ الله، فناولَه يدَه الكريمةَ ﷺ، فقال: إنّي أقرَضتُ ربِّي حائِطي. [٦٥/أ]

قال ابنُ مسعود: وفيه ستُّ مِئةِ نخلة، وكانت أُمُّ الدحداح فيه وعيالُها، قال: فجاءَ إليها، فنادى: يا أُمَّ الدَّحداح، قالت: لبَّيك، قال: اخرُجي من الحائط، فقد أقرَضتُه ربِّي عزَّ وجلَّ[٢]، فعَمَدَت إلى صِبيانِها فأخرَجَت ما في أفواههم، ونَفَضَت[٣] ما في أكمامهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**كَم مِن عِذقٍ رَداحٍ في الجنّةِ لأبي الدحداح**»[٤]. رضي الله عنه.

❊ ❊ ❊

[أبو الدرداء رضي الله عنه]

[**٥٩**] **ومنهم**: أبو الدرداء[٥].

عُوَيمِرُ بنُ زيد[٦].

---

(١) قوله: «لما نزلت» في (د): «تلا رسول الله ﷺ».

(٢) «مسند البزار» (٢٠٣٣)، و«مسند أبي يعلى الموصلي» (٤٩٨٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٦٤).

(٣) في (د): «ونقضت».

(٤) «مسند أحمد» (١٢٤٨٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٦٣)، و«المستدرك» للحاكم (٢١٩٤)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٩٦٥) بمعناه.

(٥) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٦٨)، و«طبقات الفقهاء» (٤٧)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٢).

(٦) انظر: «المعارف» (١: ٢٦٨)، و«طبقات الفقهاء» (٤٧)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٢).

واختَلَفوا هل شَهِدَ أُحُدًا أم لا[١].

وشَهِدَ مع رسول الله ﷺ مشاهدَ كثيرة[٢].

قال ميمونُ بنُ مِهران: قال أبو الدرداء: «ويلٌ للذي لا يَعلمُ مرّةً، ولو شاءَ الله تعالى علَّمَه، وويلٌ للذي يعلمُ ولا يعمَل سبعَ مرّاتٍ»[٣].

قالت أُمُّ الدرداء: قال أبو الدرداء: «تَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من قيامِ ليلةٍ عند الله تعالى»[٤]، قيل لها: ما كان عَمَلُ أبي الدرداء؟ قالت: التفكُّرُ والاعتبار[٥].

والتَّفَكُّرُ سِرُّ القلبِ في ميدان الاعتبار، وهو سِراج القلب، فإذا قعد التفكُّر فلا إضاءةَ للقلب[٦].

قال الحسن: قال أبو الدرداء: «اغدُ عالِمًا أو متعلِّمًا أو متَّبِعًا، ولا تكُن الرابعَ فتَهلِكَ.

قيل للحسن: وما الرابع؟ قال: المُبتَدِعُ»[٧].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣٩١)، و«الاستيعاب» (٣: ١٢٢٧)، و«المنتظم» (٥: ١٧)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٣٩٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٤٠)، و«أسد الغابة» (٤: ١٩).

(٣) «الزهد» للإمام أحمد (٧٦٤)، و«الزهد» لوكيع (٢١٧)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٦٢٣).

(٤) «الزهد» للإمام أحمد (٧٤٦)، و«الزهد» لهناد بن السري (٢: ٤٦٨)، و«الزهد» لأبي داود (١٩٩).

(٥) «السنن الكبرى» للنسائي (١١٨٥٠)، و«الزهد» للإمام أحمد (٧٢٠).

(٦) قوله: «والتَّفكُّر سِرُّ القلب في ميدان الاعتبار، وهو سراج القلب، فإذا قعد التفكر فلا إضاءة للقلب» ليس في (ق).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٤٠)، و«الآداب الشرعية» (٢: ٣٥).

قال يومًا: «يا حبَّذا نومُ الأكياس وإفطارُهم، كيف تُغبَنون بسَهرِ الحَمقى وصومِهم ولَمِثقالُ ذرّةٍ من بِرٍّ مع تَقوى ويقينٍ أعظم[1] وأفضلُ وأرجحُ من أمثالِ الجبال من عبادة المُغتَرِّينَ»[2].

قال يومًا: «أخوَفُ ما أخافُ أن يُقالَ لي يومَ القيامة: يا عُوَيمِر، أعلِمتَ أم جَهِلتَ؟ فإن قلت: عَلِمت، لا تبقى آيةٌ آمِرةٌ أو زاجرةٌ إلّا أُخِذتُ بفريضَتِها الآمرة، تقول: هل ائتمَرتَ؟ والزاجرة: هل ازدجَرتَ؟ أعوذُ بالله تعالى من عِلمٍ لا يَنفَع، ونفسٍ لا تَشبَع، ودُعاءٍ لا يُسمَع»[3].

قالت أُمُّ الدرداء: «دَخَلَ يومًا مُغضَبًا، فقلت: ما لَكَ؟ فقال: والله ما أعرفُ فيهم شيئًا من زمَنِ محمَّدٍ ﷺ إلّا أنّهم يُصَلُّونَ جميعًا»[4].

قلت: ليتَ شِعري، لو رأى عُلماءَ زمانِنا عَبيدَ مَن حارَبَ الله ورسولَه ماذا[5] كان يقول؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قال حِزامُ بنُ حكيم: قال أبو الدرداء: «لو تعلمونَ ما أنتم راؤون بعد الموت لَما أكَلتُم طعامًا على شَهوة، ولا شَرِبتُم شرابًا على شَهوة، ولا دَخَلتُم بيتًا تَستَظِلُّونَ فيه، ولَخَرَجتُم إلى الصُّعُداتِ تَضرِبونَ صُدورَكُم، وتبكونَ على أنفُسِكُم، ولوَدِدتُ أنِّي شجرةٌ تُعضَدُ ثمَّ تُؤكَلُ»[6].

---

(١) كذا في المصادر، وفي النسخ: «أعلم».

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (٧٣٨)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١١).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢١٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤١).

(٤) «مسند أحمد» (٢١٧٠٠)، و«شعب الإيمان» (٤: ٣٣٧).

(٥) في (د): «إذا».

(٦) «الزهد» للإمام أحمد (٧٤٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١٦).

وكان يقول: «ويلٌ لكلِّ جَمّاعٍ فاغرٍ فاه[١] كأنّه مجنون، يرى ما عندَ الناس ولا يرى ما عنده، لو يستطيعُ لوَصَلَ الليلَ بالنهار، ويلَه من حسابٍ غليظٍ وعذابٍ شديد، أُحِبُّ الموتَ وتكرهونَه، وأُحِبُّ السقَمَ وتكرهُونَه، وأُحِبُّ الفَقرَ وتكرهُونَه، أينَ الذين أمَّلُوا بعيدًا، وجَمَعوا كثيرًا، وبَنوا شديدًا، فأصبحَ أملُهم غرورًا، وأصبحَ جمعُهم بُورًا، وأصبَحَت بُيوتُهم قبورًا»[٢]. [٦٥/ب]

قال معاويةُ بنُ صالح: قال أبو الدرداء: «إذا أصبَحَ الرَّجُلُ اجتَمَعَ هَواهُ وعَمَلُهُ[٣]، فإن كانَ عَمَلُهُ[٤] تَبَعًا لِهَواهُ فيَومُهُ يَومُ سُوء، وإن كانَ هَواهُ تَبَعًا لِعَمَلِهِ فيَومُهُ يَومٌ صالِح»[٥].

قال محمَّدُ بنُ سعدٍ الأنصاريّ: قال أبو الدرداء: «استعيذوا بالله تعالى من خُشوعِ النفاق، قالوا: كيف؟ قال: أن يُرى الجسدُ خاشعًا والقلبُ ليسَ بخاشعٍ»[٦].

قلت: وهذا[٧] قد كَثُرَ في مُتَعبِّدي زمانِنا، لا سيَّما عند مُجالسةِ بعضِهم ببعض، فأمّا[٨] إذا جَلَس أحدُهم عند مَن له ثروةٌ أو جاه فهو في النفاقِ الصِّرف، عافانا الله تعالى[٩] من ذلك، والله أعلم.

---

(١) في (ق): «فاغر فوه»، وفي (د): «فاعر فوه».
(٢) «الزهد» للإمام أحمد (٧٦٩)، و«الزهد» لأبي داود (٢٤١)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١٦).
(٣) في (ق): «وعلمه». (٤) في (ق): «علمه».
(٥) «المجالسة وجواهر العلم» (٤: ٥٣١).
(٦) «الزهد» للإمام أحمد (٧٦٢)، و«شعب الإيمان (٩: ٢٢٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧: ٢٤٣).
(٧) في (د): «وهكذا». (٨) في (د): «أما».
(٩) في (د): «فنعوذ بالله».

قال جُبَيرُ بنُ نُفَير: «فُتِحَت قُبرصُ، وفُرِّقَ بين أهلها، فبَكَى بعضُهم إلى بعض، فرأيتُ أبا الدرداء جالسًا وحدَه يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يُبكيكَ في يومٍ أعزَّ الله تعالى فيه الإسلامَ وأهلَه؟

فقال: وَيحَك يا جُبَير! ما أهونَ الخلقَ على الله عزَّ وجلَّ إذا تركوا أمرَه، بينا هي أُمّةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ لهم المُلكُ تَرَكُوا أمرَ الله تعالى فصاروا كما ترى»[١].

قال قتادة: قال أبو الدرداء: «يا ابنَ آدم، إنّما أنت أيام، كلَّما ذهبَ يومٌ ذَهَبَ بعضُك، ابنَ آدم، إنّكَ لم تَزَل في هَدمِ عُمركَ من يوم ولَدَتكَ أُمُّكَ»[٢].

قال مُحمَّدُ بنُ كعب: «نَزَلَ أضيافٌ على أبي الدرداء في ليلةٍ قَرّة؛ أي: باردةٍ[٣]، فأرسَلَ إليهم بطعام سُخنٍ[٤]، ولم يُرسِل إليهم ما يتدثَّرونَ[٥] به، فقال بعضُهم: أرسَلَ إلينا الطعام، فما هَنَأنا مع القُرّ، فتوجَّه أحدُهم حتَّى أقامَ على باب أبي الدرداء، فرآه جالسًا وامرأتَه وليس عليهما[٦] من الثياب إلّا ما يُذكَر، فقال: ما أراكَ إلّا بِتَّ بنحو ما بِتنا؟ فقال أبو الدرداء: إنّ لنا دارًا ننتقل إليها قَدَّمنا لُحُفَنا وفُرُشَنا إليها، ولو لَقِيتُ عندنا منها شيئًا لأرسلناه إليك، وإنّ بين أيدينا عَقبةً كؤودًا المُخِفُّ فيها خيرٌ من المُثقِل، أفَهِمتَ ما أقول؟ قال: نعم»[٧].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢١٧)، و«ذم الهوى» (٢١١)، و«البداية والنهاية» (٧: ١٥٣).

(٢) «شعب الإيمان» (١٠١٨٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ١٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٤).

(٣) انظر: «الصحاح» (٢: ٧٨٩). (٤) «سخن» ليس في (ق).

(٥) الدِّثار: كل ما طرحته عليك من كساء أو غيره. انظر: «الصحاح» (٢: ٦٥٥)، و«لسان العرب» (٤: ٢٧٦)، و«القاموس المحيط» (٣٩٠) و(١١: ٢٧٢).

(٦) في (ق): «عليها».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٤٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٤٨٣).

قال يومًا: «نِعمَ صَومَعةُ المرءِ المسلم بيتُه؛ يَكفُّ لسانَه وبصرَه، وإيّاكُم ومجالسَ الأسواق؛ فإنّها تُلهي وتُلغي»[١].

قال معاويةُ بنُ قرّة: «لمّا اشتكى أبو الدرداءِ دَخلَ عليه أصحابُه، فقالوا لهُ[٢]: ما تَشتَكي؟ قال: ذُنُوبي، قالوا: فما تَشتَهي؟ قال: الجنّة، قالوا: أفلا ندعو لك طبيبًا؟ قال: هو الذي أضجَعَني»[٣].

[٦٦/أ] قالت له أُمُّ الدرداء: «إن احتجتُ بعدكَ آكُلُ الصدقةَ؟ قال: لا، اعمَلي وكُلي، قالت[٤]: فإن ضَعُفتُ عن العمل؟ قال: التَقِطي السُّنبُلَ ولا تأكُلي الصدقةَ»[٥].

قال أبو مسلم: «جِئتُ أبا الدرداء وهو يَجُودُ بنفسه، فقال: ألا رجلٌ يعمَلُ لمثلِ مَصرعِي هذا! ألا رجلٌ يعملُ لمثل يومي هذا! ألا رجلٌ يعملُ لمثل ساعتي هذه! ثمَّ قُبِضَ رضي الله عنه»[٦].

قيل عنه: «إنّه كانَ يدفَعُ الدنيا عنه براحَتَيه[٧] ونحره»[٨].

قال ثابتٌ: «خَطَبَ يزيدُ بنُ معاويةَ الدرداء، فردَّه أبو الدرداء، فخَطبَها شخصٌ

---

(١) «الزهد» لوكيع (٢٥١)، و«شرح السنة» للبغوي (١٢: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٥).

(٢) «له» ليس في (ق).

(٣) «الزهد» لأحمد بن حنبل (٧١٦)، و«المجالسة وجواهر العلم» (٥٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١٨).

(٤) في (ق): «قال».

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠٦٧١)، و«المنتظم» (٥: ١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٦).

(٦) انظر: «وصايا العلماء» لابن زبر الربعي (٥٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ١٩٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٦).

(٧) في (د): «براحته».

(٨) «الزهد» للإمام أحمد (٧١٤)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١٠).

من ضُعفاءِ المسلمينَ فأنكَحه، فسارَ ذلك في الناسِ أنّ يزيدَ خَطَبَ إلى أبي الدرداء فردَّه، وخَطَبَ إليه رجلٌ من ضُعَفاء المُسلمينَ فأنكَحَه[١]، فبَلَغَه، فقال أبو الدرداء: إنّي نظرتُ للدرداءِ، ما ظنُّكُم[٢] بالدرداءِ إذا قامَت على رأسِها الخِصيان، ونَظَرَت في بيوتٍ يلتَمِعُ فيها بَصَرُها، أين دينُها منها يومئذٍ؟»[٣].

كان رضي الله عنه إذا رأى جنازةً قال: «اغدُوا فإنّا رائِحون، ورُوحوا فإنّا غادون، موعظةٌ بليغة، وغَفلةٌ سريعة، كفى بالموت واعظًا؛ يذهبُ الأوَّلُ ويبقى الآخِرُ لا حلمَ له»[٤]، أي: لا عقل.

تُوفِّيَ بدمشقَ سنةَ اثنتَين[٥] وثلاثين في خلافةِ عثمان، وقيل غيرُ ذلك، رضي الله عنه[٦].

* * *

[عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما]

[٦٠] ومنهم: عبدُ الله بن عَمرِو بن العاصي[٧].

---

(١) من قوله: «أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء» إلى هنا ليس في (د).

(٢) في (د): «أظنكم».

(٣) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٧٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٢).

(٤) في (د): «لا حلم لي»، وانظر: «حلية الأولياء» (١: ٢١٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٥٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٤).

(٥) في (ق): «اثنين».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٦).

(٧) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٨٦)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٣٣٨)، و«المنتظم» (٦: ٤٧).

أسلَمَ قبل أبيه[١].

واستأذنَ رسولَ الله ﷺ في كتابةِ ما يَسمعُ منه، فأذِنَ له ﷺ، فكان عالمًا مُتعبِّدًا، رضي الله عنه، يقومُ الليلَ ويصومُ النهار[٢].

قال أبو كثير[٣]: قال عبدُ الله بن عَمرِو بن العاصِ[٤]: «إنّكم تُجمَعُونَ فيُقال: أين فقراءُ هذه الأُمّةِ ومساكينُها؟ قال: فتبرزون، فيقول: ما عِندَكُم؟ فتقولون: يا ربَّنا، ابتُلينا فصَبَرنا، وأنتَ أعلَم، ووليَّتَ الأموالَ والسلطانَ غيرَنا، قال: فيُقال: صَدَقتُم، قال: فيدخلونَ الجنّةَ قبلَ سائرِ الناسِ بزمان، وتبقى شِدّةُ الحسابِ على ذَوي الأموال»[٥].

قال ابنُ أبي مُلَيكة: قال عبدُ الله: «لو تعلَمونَ حقَّ العلم لسَجَدتُم حتَّى تنقَصِفَ ظهورُكُم، ولصَرَختُم حتَّى تنقطعَ أصواتُكُم، فابكوا، فإن لم تجِدوا البُكاءَ فتباكوا»[٦].

قال يَعلى بنُ عطاء: قالت أُمِّي: «كنتُ أصنَعُ الكُحلَ لعبد الله؛ لأنّه كان يقومُ بالليلِ فيُطفِئُ السراج، ثمَّ يبكي[٧] حتَّى رَسَعَت[٨] عيناه»[٩].

---

(١) انظر: «المعارف» (١: ٢٨٦)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٣٣٨)، و«المنتظم» (٦: ٤٧).

(٢) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٢)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٤٥).

(٣) في (د): «أبو بكر». (٤) في (د): «العاصي».

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٧١٥)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٨٩).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٥٣)، و«بريقة محمودية» (١: ١٣٤).

(٧) قوله: «ثم يبكي» ليس في (د).

(٨) في (ق): «رصعت»، وفي (د): «رضعت». ورسعت عيناه أي تغبرت وفسدت والتصقت أجفانها.

(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ٢٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٣)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ١٦٥).

وكان يقول: «لأن أدمعَ دمعةً من خَشيةِ الله عزَّ وجلَّ أحبُّ إليَّ مِن[١] أن أتصدَّقَ[٢] بألف دينارٍ»[٣].

ولمّا حَضَرَته الوفاة قال: قد خَطَبَ إليَّ ابنتي رَجُلٌ من قريش، وكان منِّي إليه شبيهٌ بالوعد، فوالله لا ألقى الله بثُلُثِ النفاق، اشهَدوا أنِّي قد زَوَّجتُها إيّاه، ثمَّ تُوفي[٤].

قيل: ماتَ بالشام سنةَ خمسٍ وستين، وهو ابنُ اثنتين وسبعين سنةً، [٦٦/ب] وقيل: ماتَ بمكّة، وقيل: بالطائف، وقيل: بمصر، رضي الله عنه[٥].

* * *

[سعيد بن عامر الجُمَحي رضي الله عنه]

[٦١] **ومنهم**: سعيدُ بنُ عامرٍ الجُمَحيُّ[٦].

أسلَمَ قبل خيبر، وشَهِدَها مع رسول الله ﷺ وما بَعدَها[٧].

قال له عمرُ رضي الله عنه في زمن خلافته: إنّي أستَعمِلُكَ على أرض كذا وكذا، فقال: لا تَفتِنِّي يا أميرَ المؤمنين، فقال: والله لا أدَعُكَ، قلَّدتُمُوها في عُنُقي وتتركُوني. **فعَدَّ سعيدٌ رضي الله عنه الولاية فتنةً.**

(١) «من» ليس في (ق). (٢) في (د): «تصدق».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٥٣).

(٤) انظر: «المنتظم» (٦: ٤٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٤).

(٥) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٣٣٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٧).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ١٥٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٢٩٢)، و«الاستيعاب» (٢: ٦٢٤).

(٧) انظر: «الاستيعاب» (٢: ٦٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٤).

ثمَّ قال له عمر: ألا نَفرضُ لك رزقًا؟ فقال سعيد: جعلَ الله تعالى في عطائي ما يكفيني دونَه، أو فضلًا على ما أريد، وكان إذا خَرَجَ عطاؤُه ابتاعَ لأهلِه قُوتَهُم، وتصدَّقَ ببقيَّته، فتقولُ له امرأته: أين فضلُ عطائكَ؟ فيقول: قد أقرَضتُه، فأتاه ناسٌ، فقالوا: إنّ لأهلِكَ عليك حقًّا، ولأصهاركَ عليك حقًّا، فقال: ما أنا بمُستأثرٍ عليهم ولا بمُلتمسٍ رضا أحدٍ من الناس لطلَبِ الحُور العِين، وما أنا بمتخلِّفٍ عن العنقِ الأوَّل بعد أن سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يجمَعُ الله عزَّ وجلَّ الناسَ للحساب، فيجيءُ فُقراءُ المؤمنينَ فيَزِفُّونَ كَما يزف الحَمام، فيُقالُ لهم: قِفوا عند الحساب، فيقولون: ما عندنا حساب، ولا آتَيتُمونا شيئًا، فيقولُ ربُّهم عزَّ وجلّ: صَدَقَ عبادي، فيُفتَحُ لهم بابُ الجنّةِ فيدخُلونَها قبلَ الناس بسبعينَ عامًا**».

فبَلَغَ عمرَ أنّه يَمُرُّ به كذا وكذا لا يُدخَّن في بيتِه، فأرسَلَ إليه عمرُ بمال، فصرَّرَه صُرَرًا فتصدَّقَ به يمينًا وشمالًا، وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لو أنّ حُورًا أطلَعَت أُصبُعًا من أصابِعِها لوَجدَ ريحَها كلُّ ذِي رُوحٍ**»[1]، أفأنا أدعُهُنَّ لَكُنّ، والله لأنتُنَّ أحرى أن أدَعَكُنَّ لهنَّ مِنهنَّ لَكُنَّ[2].

قال مالكُ بنُ دينار: «لمّا أتى عمرُ الشامَ طافَ بكُورِها، فنَزَلَ بحضرة حِمص، ثمَّ أمَرَ أن يكتُبُوا فُقَراءَهُم، فرُفِعَ إليه الكتاب، فإذا فيه سعيدُ بنُ عامرٍ الجُمَحيُّ أميرُها، فعجبَ عمر، وقال: كيف يكون أميرُكم فقيرًا، أين عطاؤُه؟!

فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، إنّه لا يُمسِكُ شيئًا، فبكى عمر، ثمَّ صَرَفَ له ألفَ دينارٍ وبعث بها إليه، وقال: أقرِئوهُ مِنِّي السلام، وقُولوا له: يستعينُ بها

---

(١) «المعجم الكبير» (٥٥١١).

(٢) «لكن» ليس في (د). وانظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٤-٢٥٥).

على حاجته، فلمّا جاءَ الرسولُ نَظَر، فإذا هي دنانير، فجَعَلَ يسترجِع، فقالت له امرأتُه: ما شأنُك، أماتَ أميرُ المؤمنين؟ قال: أعظَم، قالت: فظَهَرت آيةٌ؟ قال: أعظَم، قالت: فأمرٌ من أمر الساعة؟ قال: بل أعظَمُ من ذلك، قالت فما شأنُكَ؟ قال: الدنيا، الفتنةُ دَخَلَت عليّ، قالت: فاصنَع فيها ما شئت، قال: عندكِ عَونٌ[1]؟ قالت: نعم، فصَرَّ الدنانيرَ صُرَرًا، ثمَّ جَعَلَها في مِخلاة، ثمَّ اعترضَ [٦٧/أ] جيشًا من جُيوشِ المُسلمين، فأمضاها كلَّها، فقالت له امرأتُه: رَحِمَكَ الله تعالى، لو كنتَ حَبَستَ منها شيئًا نستعينُ به[2].

وشَكَى أهلُ الحمص مِنهُ إلى عمرَ رضي الله عنه أمورًا، منها: أنّه لا يخرجُ إلينا حتَّى يَتَعالى النهار، فقال: والله إنّي لأكرَه ذِكرَه؛ إنّه ليسَ لأهلي خادِمٌ، فأعجِنُ عجينَهُم، ثمَّ أجلسُ حتَّى يختَمِر، ثُمَّ أخبِزُ خُبزي، ثمَّ أتوضَّأُ ثمَّ أخرجُ إليهم، فقال عمر: الحمدُ لله الذي لم يُفَيِّلْ[3] فِراسَتي، فبَعثَ إليه بألف دينار، وقال: استَعِن بها على أمرك، فقالت: امرأتُه: الحمدُ لله الذي أغنانا عن خِدمَتِك، فقال لها: فهل لك في خيرٍ من ذلك؟ ندفَعُها إلى مَن يأتينا بها أحوجَ ما نكونُ إليها، فدَعا رجُلًا من أهلِه يثقُ به، فصرَّرَها صُرَرًا[4]، ثمَّ قال: انطَلِق بهذه إلى أرملةِ آل[5] فلان، وإلى يتيمِ آل فلان، وإلى مسكينِ آل فلان، فبَقِيَت منها ذَهَبيّة، فقال: أنفِقي هذه، ثمَّ عادَ إلى عمله، فقالت: ألا تَشتَري[6] لنا خادمًا، ما فعلَ ذلك المالُ؟ فقال: سيأتيك أحوجَ ما تكونِين»[7].

---

(١) في (د): «حرير»، وليس في (ق)، والمثبت من المصادر.

(٢) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٦).

(٣) كذا في المصادر، وفي النسخ: «يخط». (٤) في (ق): «صرارًا».

(٥) «آل» ليس في (د). (٦) في (ق): «نشتري».

(٧) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٣٤-٤٣٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٦-٢٥٧).

ماتَ في خلافة عمرَ رضي الله عنه[١].

* * *

[الحكم بن عمرو رضي الله عنه]

[٦٢] **ومنهم: الحَكَمُ بنُ عمرٍو**[٢].

صَحِبَ رسولَ الله ﷺ حتَّى قُبِضَ[٣]، ثمَّ تحوَّلَ إلى البصرة، فولّاه زيادُ بنُ أبي سفيانَ خُراسان، فخرجَ إليها، وفتحَ الله عليهم، وأصابوا أموالًا عظيمةً.

فكتبَ إليه زيادٌ: أمّا بعد، فإنّ أميرَ المؤمنين كَتَبَ إليَّ أن أصطَفِيَ الصفراءَ والبيضاء، فلا تَقسِم بين الناس ذهبًا ولا فضّة، فكَتَبَ إليه: سلامٌ عليك، أمّا بعد، فإنّكَ كتبتَ تذكرُ كتابَ أمير المؤمنين، وإنّي وجدتُ كتابَ الله تعالى قبلَ كتابِ أمير المؤمنين، وإنّه والله لو كانت السماواتُ والأرضُ رَتْقًا على عبدٍ[٤] فاتَّقى الله عزَّ وجلَّ لجعلَ له منها فرَجًا ومَخرَجًا، والسلامُ عليك، ثمَّ قال للناس: اغدُوا على فَيئِكُم فاقتَسِمُوه[٥].

ولم يَزَل حاكمًا على خُراسانَ حتَّى مات سنةَ خمسين رضي الله عنه[٦].

---

(١) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٧).

(٢) انظر ترجمته في: «المحبر» (٢٩٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٧٠٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٣).

(٣) انظر ترجمته في: «المحبر» (٢٩٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٧٠٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٣).

(٤) في (د): «عبد الله».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٦٠)، و«أسد الغابة» (١: ٥١٧)، و«مرآة الزمان» (٧: ١٧٩).

(٦) انظر ترجمته في: «المحبر» (٢٩٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٧٠٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٣).

[واثِلة بن الأسقع رضي الله عنه]

[٦٣] **ومنهم**: واثِلةُ بنُ الأسقع[١].

وكان من أهل الصُّفّة[٢]، وبايعَ رسولَ الله ﷺ على ما أحبَّ وكَرِهَ وما أطاقَ.

قال واثِلة: كُنّا أصحابَ الصُّفّةِ في مسجدِ رسول الله ﷺ، وما فينا رجلٌ له ثَوبٌ، ولقد اتخَذَ العَرقُ في جُلُودِنا طُرُقًا من الغبارِ إذ خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال: «**لِيُبشِر فُقراءُ المهاجِرين**» ثلاثًا[٣].

فلمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ خَرَجَ واثِلةُ إلى الشام، فماتَ بها سنةَ خمسٍ وثمانين، وهو ابنُ ثمانٍ وتسعين سنةً[٤].

* * *

[معاوية بن معاوية الليثي رضي الله عنه]

[٦٤] **ومنهم**: معاويةُ بنُ معاويةَ الليثيُّ[٥].

قال أنسُ/ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «**كنّا مع رسولِ الله ﷺ، فطَلَعَت الشمسُ** [٦٧/ب]

---

(١) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٣٠٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٢: ٣٤٣)، و«أسد الغابة» (٤: ٦٥٢).

(٢) «رجال صحيح مسلم» (٢: ٣٠٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٢: ٣٤٣)، و«أسد الغابة» (٤: ٦٥٢).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٧٠)، و«حلية الأولياء» (٢: ٢٢).

(٤) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ٤٢٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٢: ٣٦٥)، و«المنتظم» (٦: ٢٦٦).

(٥) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١٤٢٤)، و«المنتظم» (٣: ٣٧٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٢)، و«أسد الغابة» (٥: ٢٠٦)، و«مرآة الزمان» (٤: ١٩٢).

بضياءٍ وشُعاع نورٍ لم نَرَها طَلَعَت فيما مضى، فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ، فقال: «**يا جبرِيلُ، ما لي أرى الشمسَ اليومَ طَلَعَت بضياءٍ وشعاعِ نورٍ لم نَرَها طَلَعَت فيما مضى؟**»، قال: ذاك لأنَّ معاوية بن معاوية ماتَ بالمدينةِ اليوم، فبَعث الله[1] إليه سبعِينَ ألفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عليه، قال: «**وفِيمَ ذاك؟**»، فقال: كان يُكثِرُ قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، ليلًا ونهارًا، وفي مَمشاهُ وقِيامِه وقُعودِه، فهل لك يا رسولَ الله أن أقبِضَ لك الأرضَ حتَّى تُصلِّيَ عليه؟ قال: «**نعم**»، فصلَّى عليه ثمَّ رَجَعَ»[2]، رضي الله عنه.

* * *

[عمران بن حُصَين رضي الله عنه]

[٦٥] ومنهم: عمرانُ بنُ حُصَينٍ[3].

ويُكنَّى: أبا نجيدٍ.

أسلَمَ قديمًا، وغزا مع رسول الله ﷺ غزواتٍ[4]، ولم يَزَل في بلاد قَومه، ثمَّ تحوَّلَ إلى البصرةِ ومَرِض بها، فسقى[5] بطنُه، فبقي ثلاثين سنةً على سريرٍ

---

(١) لفظ الجلالة مثبت من المصادر الحديثية.

(٢) «مسند أبي يعلى» (٤٢٦٧)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٧٠٣٢)، و«شعب الإيمان» (٤: ١٥٤). قال الهيثمي في «المجمع» (٩: ٣٧٨) (١٦٠١٤): «رواه أبو يعلى، وفيه العلاء بن زيدل أبو محمد الثقفي، وهو متروك».

(٣) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٣٠٩)، و«المنتظم» (٥: ٢٥٣)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٨-١٠٩).

(٤) انظر: «المعارف» (١: ٣٠٩)، و«المنتظم»(٥: ٢٥٣)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٨).

(٥) في (ق): «فشفي».

مثقوب، فكان يُعرَضُ عليه الكيُّ فيتَأبَّى، حتَّى كان قبلَ وفاته بسنتَين فاكتوى[١].

قال قتادة: قال مُطرِّفٌ: «أرسل إليَّ عمرانُ[٢] بنُ حُصَينٍ في مرضه أنّه كان يُسلِّمُ على الملائكة، فإن عِشتُ فاكتُم عليّ، وإن مِتُّ فحدِّث به إن شئتَ»[٣].

وفي رواية: «أشعَرتَ أنّه كان تُسَلِّم عليَّ الملائكة؟ فلمّا اكتويتُ انقطَعَ التسليم، فقلت: أمِن قِبَلِ رأسِكَ كان يأتيكَ التسليم، أم من[٤] قِبَلِ رِجلَيك؟ فقال: من قِبَلِ رأسي، فقلت: إنّي لأرى[٥] ألّا تموتَ حتَّى يعودَ ذلك، فلمّا كان بعد ذلك قال لِي[٦]: أشَعَرتَ أنّ التسليمَ عادَ إليّ؟ ثمَّ لم يلبَث يسيرًا حتَّى ماتَ»[٧].

ماتَ بالبصرة قبلَ وفاة زياد بن أبي سفيان، وكانت وفاةُ زيادٍ في سنة ثلاثٍ وخمسين، رضي الله عنه[٨].

* * *

[أبو هريرة رضي الله عنه]

[٦٦] **ومنهم:** أبو هريرةَ رضي الله عنه[٩].

وفي اسمه خلافٌ منتشِر.

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ٢٨٨). (٢) في (د): «عمر».
(٣) «مسند أحمد» (١٩٨٥٤)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٤).
(٤) في (د): «ممن». (٥) في (د): «لا أدري».
(٦) «لي» ليس في (د).
(٧) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٤).
(٨) انظر: «المعارف» (١: ٣٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٤).
(٩) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٤٠٣)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤: ١٨٤٦)، و«المستخرج من كتب الناس» (٣: ١١).

وكانت له هِرّةٌ صغيرة، فكُنِّي بها، وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وهو بخَيبَر، فسارَ إليه إليها، ثمَّ قَدِمَ مع رسولِ الله ﷺ إلى المدينة[١].

وأبَقَ غلامٌ له في الطريق، قال[٢]: فلمّا قَدِمتُ على رسول الله ﷺ فبَينا أنا عنده إذ طلعَ الغلام، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**هذا غُلامُكَ؟**»، فقلت: هو حُرٌّ لوجه الله عزَّ وجلَّ[٣].

وصَحِبَ رسولَ الله ﷺ، ولم يَشتَغِل بزَرعٍ ولا تجارة.

قال مجاهدٌ: كان أبو هريرة يقول: «والله إن كنتُ لأعتَمِدُ بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشُدُّ الحَجرَ على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجونَ منه، فمَرَّ أبو بكرٍ رضي الله عنه فسألتُه عن آيةٍ في كتاب الله تعالى/ ، ما سألتُه إلّا ليستَتبِعَني، فلَم يَفعَل، ثمَّ مَرَّ عليٌّ[٤] عمر، فسألتُه عن آيةٍ فِي[٥] كتاب الله تعالى ما سألتُه إلّا ليستَتبِعَني، فلم يَفعَل. [٦٨/أ]

فمرَّ أبو القاسم ﷺ، فعَرَفَ ما في وجهي وما في نفسي، فقال: «**يا أبا هريرة**»، فقلت: لبيكَ يا رسولَ الله، فقال: «**الحَق**»، فتَبِعتُه، فدَخَل، واستأذنتُ، فأُذِنَ لي، فوجدَ لبنًا في قَدَح، فقال: «**من أين لكم هذا اللبنَ؟**»، فقالوا: أهداه لنا فُلانٌ، فقال: «**أبا هريرة**»، فقلت: لبيكَ يا رسولَ الله، فقال: «**انطلِق إلى أهل الصُّفّةِ**»، قال: وأهلُ الصُّفّة أضيافُ الإسلام لم يأوُوا إلى أهلٍ ولا مال، إذا جاءَت رسولَ الله ﷺ هديةٌ أصابَ منها، وبعثَ إليهم منها، وإذا جاءَته الصدقةُ أرسلَ بها إليهم ولم يُصِب منها.

---

(١) انظر: «المعارف» (١: ٢٧٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٦)، و«الإصابة» (٧: ٣٤٩).

(٢) «قال» ليس في (ق).

(٣) «صحيح البخاري» (٢٥٣١).

(٤) «عليّ» ليس في (ق).

(٥) في (ق): «من».

قال: فأحزَنَني ذلك، وكنتُ أرجو أن أُصيبَ منه شربةً أتقوَّى بها بقيّةَ يومي وليلتي، فقلت: أنا الرسول، فإذا جاءَ القومُ كنتُ أنا الذي أُعطِيهم، فما يَبقَى لِي[1] من هذا اللبن؟ ولم يَكُن لي من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله بُدّ، فانطلقتُ فدعوتُهُم، فأقبَلوا فاستأذَنوا، فأُذِنَ لهم، فأخَذوا مجالِسَهُم من البيت، ثمَّ قال ﷺ: «**أبا هريرة، خُذه فأعطِهم**»، فأخذتُ القدَحَ، فجعلتُ أُعطيهم، فيأخُذُ الرجلُ القدحَ[2] فيَشرَبُ حتَّى يَروَى، ثمَّ يَرُدُّ القدح، وأُعطيه الآخر، فيشربُ حتَّى يَروَى، ثمَّ يردُّ القدح، حتَّى أتيتُ على آخرِهم، ودفعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأخَذَ القدحَ فوضعَه في يده وقد بقيَ فيه فضلة، ثمَّ رَفَعَ رأسَه الكريم، فنَظَرَ إليَّ وتبسَّم، فقال: «**أبا هريرة**»، فقلت: لبيكَ يا رسولَ الله، قال: «**بقِيتُ أنا وأنت**»، فقلت: صدقتَ يا رسولَ الله، قال: «**فاقعُد واشرَب**»، قال: فقعدتُ وشربتُ[3]، ثمَّ قال: «**اشرَب**»، فشربت، فما زالَ يقول: «**اشرب**» وأشرب، حتَّى قلت: والذي بعَثَكَ بالحقِّ ما أجدُ لها فيَّ مَسلَكًا، قال: «**ناوِلنِي القدحَ**»، فردَدتُه إليه فشَرِبَ من الفَضلة». انفردَ بإخراجه البخاريُّ[4].

قال أبو هريرة: «إن كنت لأتبَعُ الرجلَ أسأله عن الآيةِ من كتاب الله تعالى لأنا أعلمُ بها منه ومن عشيرَتِه، ما أتبَعُه إلّا ليُطعِمَني القبضةَ من التمرِ أو السفّةَ من السَّويقِ أو الدقيق أسُدُّ بها جُوعي[5]، فأقبَلتُ مع عمرَ بن الخطاب ذاتَ ليلةٍ أحدِّثُه حتَّى بلغَ بابَه، فأسنَدَ ظهرَه إلى الباب واستقبَلَني بوجهه، وكُلَّما فرغتُ [٦٨/ب] من حديثٍ حدَّثتُه بآخر، حتَّى إذا لم أرَ شيئًا انطلَقت، فلمّا كان بعد ذلك لَقِيَني، فقال:

---

(١) «لي» ليس في (د).

(٢) بعدها في (د): «وأعطيه الآخر».

(٣) في (ق): «فشربت».

(٤) «صحيح البخاري» (٦٤٥٢).

(٥) في (د): «جوعتي».

يا أبا هريرة[١]، أما إنّه لو كان في البيت شيءٌ لأطعَمناك، رضي الله عنهما»[٢].

قال أبو رافع: قال أبو هريرة: «ما أحدٌ من الناس يُهدِي إليَّ هديةً إلّا قَبلتُها، فأمّا أن أسألَ فلَم أكُن لأسألَ».

قلت: كان رضي الله عنه حالُه كما اشتهرَ من الفقرِ والصبرِ والصِّدقِ في ذلك، وكانت هداياهُم هدايا، وأمّا زمانُنا هذا فهداياهُم رِشًى[٣] في صورةِ الهدية، عافانا الله من قلبِ حقائق الأمور الشرعيّة، والله أعلم.

قال عكرمة: «كان أبو هريرةَ يُسبِّحُ كلَّ يومٍ اثنتَي عشرةَ ألفَ تسبيحة، ويقول: أُسبِّحُ بقدر دِيَتي»[٤]، وكان له خيطٌ فيه ألفُ عقدة، فلا ينامُ حتَّى يُسبِّح به[٥].

قال محمد[٦] بنُ سيرين: قال أبو هريرة: «لقد رأيتُني أُصرَعُ بين منبرِ رسول الله ﷺ وبين حُجرةِ عائشةَ رضي الله عنها، فيقولُ الناس: إنّه لمَجنون، وما بي من[٧] جنون، ما بي إلّا الجوعُ»[٨].

قال أبو عثمان النهديّ: «كان أبو هريرةَ وامرأتُه وخادمُه يعتَقِبونَ الليلَ

---

(١) في (ق): «يا أبا هر».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٢٢).

(٣) «رشى» ليس في (ق).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٣٦٣)، و«المنتظم» (٥: ٣١٥).

(٥) انظر: «البداية والنهاية» (٨: ١١٢)، و«عدة المريد الصادق» (٢٥٢)

(٦) «محمد» ليس في (ق).

(٧) «من» ليس في (د).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٧٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٣١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٩).

أثلاثًا؛ يُصلِّي هذا[١]، ثمَّ يُوقِظُ هذا يُصلِّي، ثمَّ يُوقِظُ الآخرَ»[٢].

ولّاه مروانُ على المدينةِ فأقبَلَ يومًا في السوق وهو حاملٌ حُزمةَ حطب، وكان في الطريقِ ابنُ أبي مالك القُرَظيّ، فقال له أبو هريرة: أوسِع الطريق، فقال له: أصلَحَكَ الله تعالى، يكفي هذا، فقال: أوسِع الطريقَ للأمير، والحُزمةُ عليه[٣].

قال أبو المتوكل: «كانت لأبي هريرةَ خادمة[٤]، فرَفَعَ عليها السوطَ يومًا، ثمَّ قال: لولا القصاصُ لأغشيتُكِ به، ولكنَّني[٥] سأبيعُكِ مِمَّن يُوفِّيني ثَمنَك، اذهبي فأنتِ[٦] لله عزَّ وجلَّ»[٧].

قال عطاءُ بنُ أبي رباح: قال أبو هريرة: «ما وجَعٌ أحَبُّ إليَّ من الحُمَّى؛ لأنّها تُعطي كلَّ مِفصَلٍ قِسطَه من الوجع، وإنّ الله تعالى يُعطِي كلَّ مِفصَلٍ قسطَه من الأجر»[٨].

لمّا مَرِضَ بكى في مرضه، فقيل له: ما يُبكيكَ؟ فقال: إنّه ما أبكي على دُنياكُم هذه، ولكنِّي أبكي على بُعدِ سفري وقلّةِ زادي، وإنّي أصبَحتُ في صعودٍ مُهبِطٍ على جنّةٍ ونار، لا أدري إلى[٩] أيِّهما يُؤخَذُ بي[١٠].

---

(١) قوله: «يصلي هذا» تكرر مرتين في (ق). (٢) «صحيح البخاري» (٥٤٤١).

(٣) «الزهد» لأبي داود (٢٨٤)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٨٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٣٧٣).

(٤) في (ق) و(د): «خادم». (٥) في (د): «ولكني».

(٦) في (د): «فأنتي حرة».

(٧) «الزهد» للإمام أحمد (٩٩٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٩).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٦٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٢٣).

(٩) «إلى» ليس في (ق).

(١٠) انظر: «المنتظم» (٥: ٣١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٢٤).

وفي رواية: يُبكِيني بُعدُ المسافة، وقلّةُ الزاد، وعَقبةٌ كؤود، المهبطُ منها إلى الجنّةِ أو النارِ.

وَيحَك يا مغرور! هذا كلامُ مَن فنِيَت نفسه وجسده في الله عزَّ وجلّ، وهو يشتكي قلّةَ الزاد، وأنت يا مغرورُ قد فَنِيَت نَفسُك وجَسَدُك [٦٩/أ] في المخالفات، وسلوك طريق الفساد، لم تَزَل.

وَيحَك! تَدأب في تَحسِين الدهان مع العباد وقد حِيلَ بينك وبين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، والله أعلم.

توفِّي أبو هريرةَ بالمدينة، وقيل: بالعقيق، سنةَ سبعٍ[١]، وقيل: ثمانٍ[٢]، وقيل: تسعٍ وخمسين[٣]، في آخرِ خلافة معاوية، وله ثمانٍ وسبعون سنةً[٤]، رضي الله عنه.

* * *

[العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه]

[٦٧] ومنهم: العلاءُ بنُ الحضرميِّ[٥].

---

(١) وهو قول خليفة بن خياط وهشام بن عروة وعلي بن المديني. انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٧٧٢)، و«أسد الغابة» (٥: ٣٢١)، و«معرفة القراء الكبار» (٢٢).

(٢) وهو قول الهيثم بن عدي وأبي معشر ويحيى بن بكير. انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ٣٤٠)، و«تاريخ دمشق» (٦٧: ٣٩٠)، و«العبر» (١: ٤٦).

(٣) «مستدرك الحاكم» (٦١٥٧).

(٤) وهو قول ابن إسحاق والواقدي وأبي عبيد. انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٧٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٠)، و«تاريخ الإسلام» (٤: ٣٥٧).

(٥) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٠)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٧١).

أسلَمَ قدِيمًا، وولّاه رسولُ الله ﷺ البحرَين، ثمَّ عزلَه، وولّاها أبانَ بنَ سعيدٍ[١]، فلمّا وُلِّي الصدِّيقُ رضي الله عنهُ أعاد العلاءَ إلى البحرين[٢].

قال سهمُ بنُ مِنجاب: «غزَونا مع العلاء بن الحضرميِّ دارِين، فدعا بثلاث دعوات، فاستُجِيب له فيهنّ، نزلنا منزلًا، فطلب[٣] الماءَ ليتوضَّأ فلم يجده، فقال: اللهمَّ إنّا عبيدُك وفي سبيلك، نقاتل عدوَّك، اللهمَّ اسقنا غيثًا نتوضَّأ منه ونشرب، فإذا توضَّأنا لم يكن لأحدٍ فيه نصيبٌ غيرَنا، فسِرنا قليلًا، فإذا نحن بماءٍ قد أقلعت عنه السماء، فتوضَّأنا منه، وتزوَّدنا، وملأت إداوتي، وتركتُها مكانَها حتى أنظر هل استُجِيب له أم لا، فسِرنا قليلًا، فقلتُ لأصحابي: نسيتُ إداوتي، فجئتُ إلى ذلك المكان فكأنّه لم يُصِبه ماءٌ قطُّ.

ثمَّ سِرنا حتى أتينا دارِين والبحرُ بيننا وبينهم، فقال: يا عليمُ يا حليم، يا عليُّ يا عظيم، إنّا عبيدُك وفي سبيلك، نقاتل عدوَّك، اللهمَّ فاجعل لنا إليهم سبيلًا، فتقحَّم البحرَ فخضنا ما يبلغ لُبودَنا، فخرجنا إليهم، فلمّا رجع أخذَه وجعُ البطن، فمات، فطلبنا ماءً نُغسِّله فلم نجده[٤]، فكفَّنّاه في ثيابه ودفَنّاه، وسِرنا غيرَ بعيد، فإذا نحن بماءٍ كثير.

فقال بعضُنا لبعض: لو رَجَعنا فاستخرجناه ثمَّ غسلناه، فرجعنا فطلبناه فلم نجده، فقال رجلٌ من القوم: إنّي سمعتُه يقول: يا عليُّ يا عظيم، يا حليمُ يا

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٠).

(٢) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٠)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٧١).

(٣) في (د): «تطلب».

(٤) في (ق): «نجد».

عليم، اخفِ عليهم موتي، أو كـلمةً نحوها، فلا يطَّلِع على عورتي أحدٌ، فرجَعنا وتركناه»(١).

قـال عـمرُو بـنُ ثابت: «دَخَلَت في أُذُنِ رَجُلٍ مـن البصرة حصاة، فعالجَتها الأطباءُ فلم يقدروا عليها، حتَّى وصلَت إلى صِماخه، فأسهَرَت لَيلَه، ونغَّصَت عيشَ نهارِه، فأتى رجلًا من أصحابِ الحسنِ فشكى ذلك إليه، فقال: وَيحَك! إن كان شيءٌ ينفعك الله تعالى به فدعوةُ العلاء التي دعا بها في البحر وفي المَفازة، فقال: وما هي؟

فقال: يا عليُّ يا عظيم، يا حليمُ يا عليم، فدعا بها، فوالله ما بَرِحنا حتَّى خرَجَت من أذنه وله طنينٌ حتَّى حكَّت الحائط، وبرئ»(٢).

❊ ❊ ❊

[عُمَير بن سعد رضي الله عنه]

[٦٨] **ومنهم: عُمَيرُ بنُ سعد**(٣).

[٦٩/ب] صَحِبَ رسولَ الله ﷺ(٤).

وولّاه عمرُ حمص، فمكثَ حولًا لا يأتيه خَبرُه، فقال عمرُ لكاتِبه: اكتب إليه،

---

(١) انظر: «الدعاء» للضبي (٧٨)، و«الزهد» للإمام أحمد (٩٥١)، و«المستغيثين بالله تعالى» (١٥٤-١٥٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٠)، و«العدة للكرب والشدة» (٨١).

(٣) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٣٠٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧١)، و«أسد الغابة» (٣: ٧٩١).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧١).

فوالله ما أراه إلّا قد خاننا، إذا جاءك كتابي هذا فأقبِل، وأقبِل بما جَبَيتَ من فيء المسلمين، فلمّا بلغَه الكتابُ أخذ عُمَيرٌ جِرابَه، فجعل[1] فيه زادَه وقَصعتَه وعلَّق إداوَتَه وأخذ عَنَزتَه، ثمَّ أقبل يمشي من حِمص حتى دخل المدينةَ وقد شَحَبَ لونُه، واغبَرَّ وجهُه وطالت شعرَتُه، فدخل على عمر، فقال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته[2]، فقال عمر: ما شأنُك؟

فقال عُمَير: ما ترى من شأني؟ ألست تراني صحيحَ البدن، ظاهِرَ الدم، معي الدنيا أجُرُّها بقرنها؟ قال عمر: وما معك؟ وظنَّ أنّه قد جاء بمال، فقال: معي جرابي، أجعَلُ فيه زادي، وقَصعَتِي آكلُ فيها وأغسِل فيها ثيابي ورأسي، وإداوتي[3] أحمل فيها وَضُوئي وشرابي، وعَنَزتي أتوكَّأ عليها وأجاهِدُ بها عدوًّا إن عَرضَ لِي، فوالله ما الدنيا إلّا تَبعٌ لمتاعي.

فقال عمر: جئتَ تمشي؟ قال: نعم، قال: أما كان لك أحدٌ يتبرَّع لك بدابّةٍ تركبها؟ فقال: ما فعلوا، وما سألتُهم، فقال: بئس المسلمون خرَجتَ من عندهم، فقال عُمَير: اتَّقِ الله تعالى يا عمر، قد نهاك الله تعالى عن الغِيبة، وقد رأيتُهم يُصَلُّون الغداة.

فقال له عمر: فأيُّ شيء صنعتَ؟ فقال: وما سُؤالُك يا أميرَ المؤمنين؟ فقال عمر: سبحان الله، فقال عُمَير: أما إنّي لولا أخشى أن أغُمَّك ما أخبرتُك، لمّا أتيت البلدَ جمعتُ صُلَحاءَ أهلها، فولَّيتُهم جبايةَ فَيئِهم، حتَّى إذا جمعوه وضعتُه مَواضِعَه، ولو نالك منه شيءٌ لأتيتُك به، فقال: ما جئتنا بشيءٍ؟ قال: لا والله، فقال عمر: جدِّدوا لعُمَيرٍ عهدًا، فقال: إنّ ذلك شيءٌ لا عَمِلتُه لكَ[4]

(١) في (د): «جعل».
(٢) «وبركاته» ليس في (د).
(٣) في (د): «وإدواتي».
(٤) «لك» مثبت من المصادر.

ولا لأحَدٍ بعدَك، والله ما سلِمت، لقد قلت لنصرانيّ: أخزاك الله تعالى، فهذا ما عرَّضتَني له يا عمر، وإنّ أشقى أيّامي يومُ خُلِّفتُ معك، ثمَّ استأذنَه فأذِن له، فرجع إلى منزله، وبينه بين المدينة أميال.

فقال عمر: ما أراه إلّا قد خانَنا، ثمَّ بعث رجلًا بمئة دينار، وقال: انطلِق حتى تنزلَ به كأنّك ضيفٌ، فإن رأيت أثرَ شيءٍ فأقبِل، وإن رأيت حالًا شديدًا فادفَع المئةَ دينار، فانطلق الرجل، فوجدَ عُمَيرًا يَفلِي قيمصَه في جَنبِ حائط، فسلَّم عليه الرجل، فقال له عُمَير: انزل رحمك الله تعالى، فنَزل، ثمَّ سأله[1]، فقال: من أين جئت؟ قال: من المدينة، قال: فكيف تركتَ أميرَ المؤمنين؟ قال: صالحًا، فقال[2]:/ كيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين، فقال: أليس يُقِيم الحدودَ؟ [٧٠/أ] قال: بلى، ضَربَ ابنًا له على فاحشة، فمات من ضربه[3]، فقال: اللهمَّ أعِن[4] عمر؛ فإنّي لا أعلمُه إلّا شديدًا حُبُّه لك.

فنزل به الرجلُ ثلاثةَ أيّامٍ وليس لهم إلّا قُرصةٌ من شعير يُطعِمُونه إيّاها ويَطوون، حتَّى أتاهم الجَهد، فقال له عميرٌ: قد أجَعتَنا، فإن رأيت أن تتحوَّلَ عنا فافعل، فأخرج الرجلُ الدنانِيرَ ودفعها[5] إليه، وقال: بعث بها أميرُ المؤمنين إليك، فاستَعِن بها، فصاحَ وقال: لا حاجةَ لي فيها، فرَدَّها إليه، فقالت له امرأتُه: إن احتَجتَ إليها وإلّا فضعها مواضِعَها.

---

(١) في (د): «سائله». (٢) في (د): «قال».

(٣) قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٨: ٦): «جاء عن الشعبي عن يحيى بن أبي كثير وهو شيء منقطع أن عمر ضرب ابنه حدًّا، فأتاه وهو يموت فقال: يا أبتِي، قتلتَنِي، فقال له: إذا لاقيت ربك فأخبِره أن عمر يقيم الحدود.

وليس في هذا الخبر ما يقطع به على موته لو صحَّ، وحديث ابن عمر أصح».

(٤) في (ق): «أعز». (٥) في (ق): «فدفعها».

فقال عميرٌ: والله[١] ما لي شيءٌ أجعلها فيه، فشقَّت المرأةُ أسفل درعها، فأعطَته خِرقة، فجعلَها فيها، ثمَّ خرج فقسَّمها بين أبناءِ الشهداء والفقراء، ثمَّ رجع والرسولُ يظنُّ أنه يعطيهِ منها شيئًا، ثمَّ قال عُمَير: أقرئ أميرَ المؤمنين منِّي السلام.

فرحل إلى عمر، فقال له عمرُ[٢]: ما رأيتَ؟ فقال: رأيت حالًا شديدًا، فقال: فما[٣] صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري، فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابِي فلا تضعه من يدك حتَّى تُقبِل، فأقبَل، فدخل على عمر، فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير[٤]؟

فقال: صنعتُ ما صنعتُ[٥]، وما سؤالُك عنها؟

فقال له عمر: أنشدُك لَتُخبِرَنِّي ما صنعتَ بها؟ فقال: قدَّمتُها لنفسي، فقال عمر: رحمك الله، ثمَّ أمر له بوَسقٍ من طعامٍ وثوبَين، فقال: أمَّا الطعامُ فلا حاجةَ لي فيه، وقد تركت في المنزل صاعَين من شعير، إلى أن آكُلَ ذلك قد جاء الله بالرِّزق، ولم يأخذ الطعام، وأما الثوبان فإنّ أمَّ فلانٍ عارية، فأخذَهما ورجع إلى منزله، فلم يَلبَث حتَّى مات، فبلغ ذلك عمر، فشقَّ عليه وترحَّم عليه، وخرج يمشي ومعه المَشّاؤون، ثمَّ قال عمر: وَدِدت لو أنّ رجلًا مثلَ عُمَيرٍ أستعين به في أعمال المسلمين[٦]، رضي الله عنهما.

❊ ❊ ❊

---

(١) قوله: «والله» ليس في (د).
(٢) «عمر» ليس في (د).
(٣) في (ق): «ما».
(٤) قوله: «فقال له عمر» ليس في (ق).
(٥) بعدها في (ق): «فقال».
(٦) «المعجم الكبير» للطبراني (١٠٩)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٤٧-٢٤٨).

[أبو جُهَيم الأنصاري رضي الله عنه]

[٦٩] ومنهم: أبو جُهَيمٍ[١] الأنصاريُّ[٢].

واسمُه: عبدُ الله[٣].

قال ابنُ غزيّة: «كان لا يُجالِسُ الأنصار، وإذا قيل له في ذلك قال: الناسُ شرٌّ من الوحدة»[٤].

وكانَ يقول: لا أؤُمُّ أحدًا، وكان أعبدَ الناس وأشدَّهم اجتهادًا، وكان لا يفارِقُ المسجدَ[٥].

* * *

[شدّاد بن أوس رضي الله عنه]

[٧٠] ومنهم: شدّادُ بنُ أوسٍ[٦].

يُكنَّى: أبا يعلى[٧].

---

(١) في «صفة الصفوة»: «جهم».

(٢) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩: ٣٥٥)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ٢٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٦).

(٣) انظر: «أسماء من يعرف بكنيته» (٣٦)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٣٤٦).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٦).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٦).

(٦) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٣٢٨)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٨٥).

(٧) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٣٢٨)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٨٥).

وكانت له عبادةٌ واجتهادٌ.

قال أسدُ بنُ وداعة: «كان إذا دخل الفراشَ يتقلَّب على فراشه، لا يأتيه [٧٠/ب] النوم، ثمَّ يقوم فيصلِّي حتَّى يُصبِح، ثمَّ يقول: اللهمَّ إنّ النارَ أذهبَت منِّي النوم»[١].

وفي رواية: «كان إذا أوى إلى فراشه كأنّه حبّةٌ على مِقلًى، فيقول: اللهمَّ إنّ النارَ أسهرَتني، ثمَّ يقوم إلى الصلاة»[٢].

قال زيادُ بنُ ماهك: كان شدّادٌ يقول: «إنّكم لم تَرَوا من الخير إلّا أسبابَه، ولم تَرَوا من الشرِّ إلّا أسبابَه، الخيرُ كلُّه بحَذافيرِه في الجنّة، والشرُّ كلُّه بحَذافيرِه في النار، وإنّ الدنيا عَرَضٌ حاضِر، يأكل منها البَرُّ والفاجر، والآخرةُ وعدٌ صادِقٌ يَحكُمُ فيها مِلكٌ قاهِر، ولكلٍّ بَنُون، فكونوا من أبناءِ الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا»[٣].

قال محمودُ بنُ الرَّبِيع: قال شدّادٌ لمّا حَضَرَته الوفاة: «إنّ أخوفَ ما أخاف على هذه الأمّة الرياءُ والشهوةُ الخفيّة»[٤].

قال أبو الدرداء: «إنّ لكلِّ أمّةٍ فقيهًا، وإنّ فقيهَ هذه الأمّةِ شدّادُ بنُ أوس»[٥].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٦٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٤١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٥٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

(٣) «شعب الإيمان» (٦٤١٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٦٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٤٨).

(٤) انظر: «الزهد» لأبي داود (٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٦٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٤١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

مات شدّادٌ بفلسطين سنةَ ثمانٍ وخمسين، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنةً، رضي الله عنه[١].

❊ ❊ ❊

[أنس بن مالك رضي الله عنه]

[٧١] ومنهم: أنسُ بنُ مالكٍ[٢].

أمُّه أمُّ سُليم.

ذهبت به أمُّه إلى رسول الله ﷺ حين قَدِم المدينة، فكان يخدمه، وكان له من العمر حينئذٍ تسعُ سنين، وقيل: ثمانٍ، وقيل: عشرٌ.

قال أنسٌ: فخَدَمتُه تسعَ سنين، فما قال لشيءٍ قطُّ صنعتُه: أسأتَ، أوْ[٣] بئس ما صنعت[٤].

قال أنسٌ: قالت أمي: يا رسولَ الله، خُوَيدِمُك، ادعُ الله له، فقال: «**اللهمَّ أكثِر مالَه وولدَه، وأطِل عُمرَه، واغفر ذنبَه**»[٥].

قال أنسٌ: «فدَفنتُ من صلبي مئةً غيرَ اثنَين، أو قال: مئةً واثنين، وإنّ ثمرتي لتحمل في السنة مرَّتَين، ولقد بَقِيت حتَّى سئمتُ الحياة، وأنا أرجو الرابعةَ»[٦].

---

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ١٨٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

(٢) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٤)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٦٥)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٦٥).

(٣) في النسخ: «أم».

(٤) «مسند أحمد» (١٢٢٥١).

(٥) في (د): «ذنوبه»، والحديث في «صحيح البخاري» (٦٣٣٤)، و«صحيح مسلم» (٦٦٠).

(٦) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٠٤)، و«مرآة الزمان» (٩: ٤٥٦).

قال ابنُه عبدُ الله: «كان أنسٌ يُطيلُ القيامَ في الصلاةِ حتَّى تَقطُرَ[١] قدماه دمًا»[٢].

قال أبو غالب: لم أرَ أحدًا أضَنَّ بكلامه من أنس[٣].

ماتَ بالبصرةِ سنةَ اثنَتَين[٤] وتِسعِين، وهو ابنُ تسع وتِسعِين، وقيل غيرُ ذلك، وغسَّله مُحمَّدُ بنُ سيرين، وهو آخِرُ مَن مات من الصحابةِ بالبصرة[٥]، رضي الله عنه.

* * *

[أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه]

[٧٢] ومنهم: أبو سعيدٍ الخُدريُّ[٦].

واسمُه: سعدٌ[٧].

شهدَ الخندقَ وما بعدها، حفظَ من رسول الله ﷺ عِلمًا جَمًّا، أصبح يومًا وليس عنده طعامٌ وقد ربط حَجرًا على بطنه من الجوع، فقالت له امرأتُه: لو[٨]

---

(١) في (ق) و(د): «تفطرت».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٣٦٣)، و«المنتظم» (٦: ٣٠٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٨).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٢٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٨).

(٤) في (ق): «اثنين».

(٥) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ٤)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٦٥)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٦٥).

(٦) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٦٨)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٩٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٥٠).

(٧) انظر: «المعارف» (١: ٢٦٨)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٩٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٥٠).

(٨) «لو» مثبت من المصادر.

أتيتَ النبيَّ ﷺ، فقد أتاه فلانٌ فسأله فأعطاه، وأتاه فلانٌ فسأله فأعطاه؟ فقلت: لا، حتَّى لا أجدَ شيئًا، فطلبتُ فلم أجد شيئًا، فأتيت النبيَّ ﷺ وهو يخطب، فأدركتُ [٧١/أ] من قوله: «**مَن يستَغنِ يُغنِه الله، ومَن يَستَعفِف يُعفَّه الله**»[١]، قال: فما سألت أحدًا بعده، وما زال الله عزَّ وجلَّ يرزقنا حتَّى ما أعلم أهلَ بيت من الأنصارِ أكثرَ أموالًا منّا، رضي الله عنه[٢].

❊ ❊ ❊

[عبد الله بن سلام رضي الله عنه]

[٧٣] ومنهم: عبدُ الله بنُ سلام[٣].

يُكنَّى: أبا يوسفَ.

وكان اسمُه: الحصين، فلمّا أسلم سمّاه رسولُ الله ﷺ: عبدَ الله، وهو من وَلدِ يوسفَ بنِ يعقوبَ عليهم الصلاةُ والسلام[٤].

قال عبدُ الله: لمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ انجفل الناسُ إليه، فكُنت فيمن أتى، فلمّا أثبتُّ وَجهَه عَرفتُ أنّه غيرُ وجهِ كذّاب، فسمِعتُه يقول: «**يا أيُّها النّاس، أفشُوا السلام، وصِلوا الأرحام، وأطعِموا الطعام، وصلُّوا بالليلِ والناسُ نِيام؛ تَدخُلوا الجنّةَ بسلام**»[٥].

---

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٧٧٥٢). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٩).

(٣) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٦٢)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٣٤٤) و«صفة الصفوة» (١: ٢٨١).

(٤) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٣٤٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨١)، و«أسد الغابة» (٣: ١٦٠).

(٥) «سنن ابن ماجه» (٣٢٥١)، و«سنن الدارمي» (٢٦٧٤).

قال أبو بُردةَ[١] بن أبي موسى: «قَدِمتُ المدينة، فأتيت عبدَ الله بنَ سلام، فإذا رجلٌ مُتخشِّع، فجلست إليه، فقال: يا ابنَ أخي، إنّك جلست إلينا، وقد حانَ قيامُنا، فتأذنُ؟»[٢]، رضي الله عنه، ما أحسنَ أدبه.

توفِّي بالمدينة سنةَ ثلاثٍ وأربعين.

❊ ❊ ❊

[سُهَيل بن عمرو رضي الله عنه]

[٧٤] ومنهم: سُهَيلُ بنُ عمرٍو[٣].

هو الذي تولَّى المُصالحةَ على[٤] القضيّة التي كانت[٥] بالحديبية، وأقام على دينه إلى الفتح، ولم يكن أحدٌ من كُبراءِ قريشٍ الذين تأخَّر إسلامُهم فأسلموا يوم فتح مكة أكثرَ صلاةً ولا صومًا ولا صدقةً، ولا أقبلَ على ما يَعنِيه من أمرِ الآخرة منه، حتَّى لقد شَحَبَ لونُه، وكان كثيرَ البكاء، رقيقًا عند قراءةِ القرآن[٦].

لقد رُئِيَ يختلفُ إلى معاذِ بنِ جبلٍ حتَّى يُقرِئَه القرآنَ وهو بمكّة، حتَّى خرج معاذٌ من مكّة، فقال له ضِرارُ بنُ الخطّاب: يا أبا يزيد، تختلف إلى هذا الخزرجيِّ يُقرِئُك القرآن، ألا يكون اختلافُك إلى رجلٍ من قومك من قريشٍ؟ / فقال: يا ضرار، هذا الذي صنع بنا ما صنع حتَّى سَبَقَنا كلَّ السبق، إنّي أختَلِف [٧١/ب]

---

(١) في (د): «بريدة».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٩: ١٣٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٢).

(٣) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٢: ٦٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٦)، و«أسد الغابة» (٢: ٣٢٨).

(٤) في (د): «عن».

(٥) في (د): «كتبت».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٨٦-٢٨٧)، و«أسد الغابة» (٢: ٣٢٩).

إليه، فقد وضع الإسلامُ أمرَ الجاهليّة، ورفعَ الإسلامُ قومًا كانوا لا يُذكَرون، فليتَنا كنّا مع أولئك فتقدَّمنا[١].

قال الحسن: «صدق، لا يجعل الله تعالى عبدًا أسرعَ إليه كعبدٍ أبطأ عنه»[٢].

خرج سُهَيلٌ إلى الشام مُرابِطًا، فمات في طاعون عمواس سنة ثمانِ عشرة، رضي الله عنه[٣].

* * *

[أبو أُمامة الباهلي رضي الله عنه]

[٧٥] **ومنهم**: أبو[٤] أُمامةَ الباهليُّ[٥].

واسمُه: صُدَيٌّ[٦].

قال للنبي ﷺ: مُرني بعملٍ آخذُه عنك ينفعني الله تعالى به، قال: «**عليك بالصوم؛ فإنّه لا مِثلَ له**»[٧]، فكان هو وامرأتُه وخادِمُه لا يُلْفَوْنَ إلّا صيامًا، ثم قال

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٣: ٥٤)، و«المنتظم» (٤: ٢٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٧).

(٢) انظر: «مرآة الزمان» (٥: ٢٨٤)

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٨٧)، و«أسد الغابة» (٢: ٣٢٩).

(٤) في (د): «أبا».

(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٥٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٧).

(٦) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٥٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٧).

(٧) «سنن النسائي» (٢٢٢٠).

لرسول الله ﷺ: إنّك قد أمَرتَنِي بأمر، وأرجو أن يكونَ الله تعالى قد نفعَني به، فمُرنِي بأمرٍ آخرَ ينفعني الله تعالى، فقال: «**اعلم أنّك لا تسجد لله تعالى سجدةً إلّا رفع الله تعالى لك بها**[1] **درجةً**»، أو[2] قال: «**حَطَّ عنك بها خطيئةً**»[3].

كان رضي الله عنه يُحِبُّ الصدقة، ويُعطي الدنانيرَ والدراهمَ والفلوس، حتى البصلة ونحوها، ولا يقف به سائلٌ إلّا أعطاه ما تهيَّأ له، حتَّى يضع في يدِ أحدهم البصلة، قالت امرأتُه: فأصبَحنا ذاتَ يومٍ وليس في بيته شيءٌ من الطعام لذلك، وليس عنده إلّا ثلاثةُ دنانير، فوقف سائلٌ فأعطاه دينارًا، ثمَّ آخَر فأعطاه دينارًا، ثمَّ آخر فأعطاه الثالث، قالت: فغَضِبت، وقلت: لم يَبقَ لنا شيءٌ، فاستلقى على فراشه، وأغلقتُ عليه بابَ البيت، فلمّا أذَّن الظهرُ جئتُه فأيقَظتُه، فراحَ إلى المسجد صائمًا، فاستقرَضتُ شيئًا اشتريت به عشاءً، فهيَّأت له سراجًا وعَشاءً، ووضعت مائدة، ودنوتُ[4] من فراشه لأُمهِّده، فرفعت المرفقةَ فإذا بذَهب، فقلت في نفسي: ما صنعَ إلّا ثقةً بما جاء به، فعَددتُها فإذا هي[5] ثلاثُ مئة دينار، فتَركتُها على حالها حتى انصرف عن العشاء.

قالت: فلما دخل ورأى ما هيَّأتُ له حمد الله تعالى وتبسَّم في وجهي، وقال: هذا خيرٌ من غيره، فجلس وتعشَّى، فقلت: يغفر الله تعالى لك، جئتَ بما جئت [٧٢/أ] به ثمَّ وضعتَه بموضع مَضيَعة، فقال: وما ذاك؟ فقلت: ما جئت به من الدنانير[6]،

---

(١) «بها» ليس في (ق). (٢) في (د): «و».

(٣) «مسند أحمد» (٢٢١٩٦)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٨٤٨٠)، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ١٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٨).

(٤) كذا في المصادر، وفي النسخ: «وذفرت».

(٥) في (د): «هن». (٦) في (د): «الدنيا».

ورفعت[١] المِرفقةَ عنها، ففَزِع[٢] لما تحتها، فقال: وَيحَكِ! ما هذا؟ فقلت: لا علم لي به، إلّا أني وجدته على ما ترى، قالت: فكَثُر فزعُه[٣].

* * *

[تميم الداري رضي الله عنه]

[٧٦] **ومنهم**: تميمُ بنُ أوسٍ الدّارِيّ[٤].

وَفَد على رسول الله ﷺ في جماعة من الداريِّين مُنصرَفَه من تبوكَ فأسلم[٥].

قال ابنُ سيرين: «كان تميمٌ الدّاريُّ يَقرَأُ القُرآنَ في رَكعةٍ»[٦].

قال مسروقٌ: قال لي رجلٌ من أهل مكّة: «هذا مقامُ أخيكَ تميم، صلَّى ليلة حتى أصبح أو كَرُبَ أن يُصبِحَ يقرأ آيةً ويُردِّدها ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١] الآية»[٧].

قال يزيدُ بنُ عبد الله: «قال رجلٌ لتميمٍ الداريّ: ما صلاتُك بالليل؟ فغضب غضبًا شديدًا، ثمَّ قال: واللهِ لَركعةٌ أصلِّيها في جوفِ اللَّيلِ في سِرٍّ أحبُّ إليَّ من أن أُصلِّيَ الليلَ كلَّه ثمَّ أقُصَّه على الناس، فغضب الرجل، ثمَّ قال: الله أعلمُ بكم

---

(١) في (د): «ودفعت». (٢) في (د): «ففرغ».

(٣) انظر: «كرامات الأولياء» للالكائي (٩: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٨).

(٤) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٩١)، و«الاستيعاب» (١: ١٩٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١: ٥٢).

(٥) انظر: «المعارف» (١: ٢٩١)، و«المنتظم» (٥: ١٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٩).

(٦) «الزهد» لنعيم بن حماد (١: ٤٥٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٩١).

(٧) «السنن الكبرى» للنسائي (١١٨٣٣)، و«مسند ابن الجعد» (١١٠)، و«الزهد» لأبي داود (٣٧٩).

يا أصحابَ رسول الله ﷺ، إن سألناكم عنَّفتُمُونا، وإن لم نسألكم أخفيتُمونا، فأقبل عليه تميم، ثمَّ قال: أرأيتُك لو كنتَ مؤمنًا قويًّا وأنا مؤمنٌ ضعيفٌ، أشَاطِيَّ أنْتَ[1] على ما أعطاكَ الله عزَّ وجلّ، ولكن خذ من دينك لنفسك، ومِن نفسِكَ لدينِكَ حتَّى تستقيمَ على عبادةٍ تُطيقُها»[2].

قال صفوانُ بنُ سُلَيم: «قام تميمٌ الداريُّ في المسجد بعد أن صلَّى العشاء يمرُّ بهذه الآية: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، فما خرج منها حتى سَمِعَ أذانَ الصبح»[3].

قال مُحمَّدُ بنُ المنكدر: قال أبي: «نام تميمٌ ليلةً لم يَقُم يتهجَّد فيها حتَّى أصبح، فقام سنةً لم ينَم فيها؛ عقوبةً للذي صنع»[4]، رضي الله عنه.

* * *

[عبد الله بن عباس رضي الله عنهما]

[٧٧] ومنهم: عبدُ الله بنُ العبّاس بن عبد المطلب[5].

---

(١) كذا في بعض المصادر، وورد أيضًا: «أكنت ساطيًا علي بقوتك فتقطعني». وجاء في النسخ: «أشاطك أنا».

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (١١٠٦)، و«الزهد» لهناد (٥٠٣)، و«شعب الإيمان» (٥: ٣٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٩٠).

(٤) «شعب الإيمان» (٢٩٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١: ٧٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٠).

(٥) انظر ترجمته في: «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٧٤)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٢: ٢٩٣)، و«البداية والنهاية» (٨: ٢٩٥).

وُلِد في الشِّعبِ وبنو هاشِمٍ مَحصورون قبل خروجهم بيسير، وذلك قبل الهجرة بثلاثِ سنين، وتُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً[1].

وكان رضي الله عنهُ حَبرَ هذه الأمة، ويُسمَّى البحر؛ لغزارةِ عِلمِه، وكان يُفتِي في عَهدِ الصدِّيقِ والفاروقِ رضي الله عنهما، ويُشاوِرانِه مع أهل بدر. [٧٢/ب]

دعا له رسولُ الله ﷺ، فقال: «**اللهمَّ فقِّهه في الدين، وعَلِّمه التأويلَ**»[2].

قال ابنُ عبّاس: «رأيتُ جبريل مرَّتَين»[3].

قال عكرمة: قال ابنُ عبّاس: «لمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ قلتُ لرجلٍ من الأنصار: هلُمَّ فلنسأل أصحابَ رسول الله ﷺ؛ فإنّهم اليوم كثيرٌ، فقال: واعَجبًا لك يا ابنَ عبّاس، أترى الناسَ يفتَقِرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَن فيهم؟

قال: فتركت ذاك، وأقبلت أسألُ أصحابَ رسول الله عن الحديث، فإن كان لَيبلُغني الحديثُ عن الرجلِ فآتي بابَه وهو قائِل، فأتوسَّد التراب، فيخرجُ فيراني، فيقول: يا ابنَ عمِّ رسول الله، ما جاء بك، ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتِيَك، فأسألُه عن الحديث، فعاشَ ذلك الرجلُ الأنصاريُّ حتَّى رآني وقد اجتمع الناسُ حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقلَ منِّي»[4].

---

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٧٤)، و«البداية والنهاية» (٨: ٢٩٥).

(٢) «صحيح البخاري» (١٤٣)، و«صحيح مسلم» (٢٤٧٧)، وانظر: «المنتظم» (٦: ٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٤).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٠٦١٥)، و«المعرفة والتاريخ» (١: ٥١٩).

(٤) «سنن الدارمي» (٥٩٠)، و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٩٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٦).

قال ابنُ بُرَيدةَ: «شَتمَ رجلٌ ابنَ عبّاس، فقال له: إنّك لَتشتُمني وفيَّ ثلاثُ خصالٍ، إنّي لَأعلمُ الآيةَ من كتابِ الله عزَّ وجلّ، ولَوددت أنّ جميعَ الناس يعلمون منها ما أعلم، وإنّي لَأسمعُ بالحاكم من حُكّامِ المسلمين يَعدِل في حكمه فأفرح به، ولعلّي لا أُقاضي[1] إليه أبدًا، وإنّي لأسمعُ بالغيثِ قد أصاب البلدَ من[2] بلادِ الإسلام فأفرح به وما لي من سائمةٍ»[3]، رضي الله عنه.

قال الضحّاك: قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «يا صاحِبَ الذنب لا تأمن سوءَ عاقبته، ولَما يَتبَعُ الذنبَ أعظمُ من الذنب إذا عَمِلتَه؛ قِلّةُ حيائك ممَّن على اليمين والشمال وأنت على الذنبِ أعظمُ من الذنب، وفرحُك بالذنبِ إذا ظَفِرتَ به أعظمُ من الذنب، وحزنُك على الذنبِ إذا فاتك أعظمُ من الذنب إذا ظَفِرتَ به، وخوفُك من الريح إذا حرَّكَت سِترَ بابِك وأنت على الذنب ولا يَضطرِبُ فؤادُك من نظرِ الله تعالى إليك أعظمُ من الذنب إذا عملته»[4].

قال ابنُ أبي مُلَيكة: «صَحِبتُ ابنَ عبّاسٍ من مكّةَ إلى المدينة، فكان إذا نزل قامَ شطرَ [٧٣/أ] الليل يُرتِّل، ويُكثِر في ذلك التسبيحَ»[5].

قال أبو رجاء: «كان هذا الموضِعُ من ابن عبّاسٍ مجرى الدموع كأنّه الشِّراكُ البالي»[6].

---

(١) في (د): «أقضي». (٢) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة واحدة.

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٠٦٢١)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٢١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٢٤)، و«ذم الهوى» (١٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٨).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧: ٢٤٤)، و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٨٤٠)، و«شعب الإيمان» (٣: ٤١٦).

(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٥٢٢)، و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٨٤٣)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٢٩).

قال طاوس: «ما رأيت أحدًا كان أشدَّ تعظيمًا لحُرُمات الله عزَّ وجلَّ من ابن عباس، والله لو أشاء إذا ذكرتُه أن أبكيَ لبَكيت»[1].

قال سِماكٌ: «سقط في عينَي ابنِ عبّاسٍ الماء، فذهب بصرُه، فأتاه هؤلاء الذين ينقبون[2] العيون، فقالوا: خَلِّ بيننا وبين عينَيك نسيلُ[3] ماءَهما، ولكنَّك تُمسِكُ عن الصلاةِ خمسةَ أيّامٍ لا تُصلِّي[4]، فقال: لا والله ولا ركعةً واحدةً؛ إنّي حُدِّثتُ أنّه «**مَن ترك صلاةً واحدةً مُتعمِّدًا لقي الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غضبانُ**»[5].

قال عكرمة: قال ابنُ عبّاس: «لَأن أعولَ أهلَ بيتٍ من المسلمين شهرًا أو جمعةً، أو ما شاء الله تعالى، أحبُّ إليَّ من حَجّةٍ بعد حجّة، ولَطبقٌ بدانِقٍ أُهديه إلى أخٍ في الله أَحَبُّ إليَّ من دينارٍ أنفقه في سبيل الله عزَّ وجلَّ»[6].

قال الضحّاك: قال ابنُ عبّاس: «لمّا ضُرِبَ الدينارُ والدرهمُ أخذه إبليسُ ووضعه[7] على عينه، وقال: أنت ثمرةُ قلبي، وقرّةُ عيني، بك أُطغي وبك أُكفِّر، وبك أُدخِلُ النار، رضيت من ابن آدم بحبِّ الدنيا أن يعبدني»[8].

توفِّي بالطائف سنةَ ثمانٍ وستِّين، وهو ابنُ إحدى وسبعين سنة.

---

(١) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢: ٩٥٠)، و«أخبار مكة» للفاكهي (١٤٨٧)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٢٩).

(٢) في (ق): «يتفقرون».

(٣) في (د): «نشيل».

(٤) في (د): «تصلّ».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٩٨)، و«البداية والنهاية» (٨: ٣٠٥).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٨).

(٧) في (د): «فوضعه».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٢٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (ص: ٤٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٨).

قال ميمونُ بنُ مِهران: «شَهِدتُ جَنازةَ ابن عبّاس، فلمّا وُضِعَ لِيصلَّى عليه جاء طائرٌ أبيضُ حتَّى دخل في أكفانه، فالتُمِس فلم يوجد، فلمّا سُوِّي عليه الترابُ[١] سمعنا صوتًا ولا نرى شخصًا: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ * ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً * فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي * وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

ولمّا بلغ جابرًا رضي الله عنه موتَه ضرب بإحدى يدَيه الأخرى، وقال: قد أُصِيبَت هذه الأمّةُ بمصيبةٍ لا تُرتَق، رضي الله عنه وأرضاه»[٢].

* * *

[الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما]

[٧٨] ومنهم: الحسنُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما[٣].

ويكنَّى: أبا مُحمَّد.

وُلِدَ في النصف من رمضانَ سنةَ ثلاثٍ من الهجرة، وأذَّن رسولُ الله ﷺ في أُذُنه[٤].

قال البَراء: رأيتُ رسول الله ﷺ واضعًا الحسنَ على عاتِقِه، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ[٥] إنّي أُحِبُّه، فأحِبَّه**»[٦]. أخرجه الشيخان.

---

(١) «التراب» ليس في (ق).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٨٩)، و«مرآة الزمان» (٨: ٤٥٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٧٥).

(٣) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٤٠٣)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ١٩)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ٦٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٩٩). (٥) في (ق): «الله».

(٦) «صحيح البخاري» (٣٧٤٦)، و«صحيح مسلم» (٢٤٢٢).

قال الحسن: «إنّي لأستحيي من ربِّي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته، فمشى عشرينَ مرّةً من المدينة على رِجلَيه»[1]. [٧٣/ب]

وفي روايةِ عليِّ بنِ زيد: حجَّ الحسنُ خمسَ عشرةَ حجّةً ماشيًا، وإن النجائبَ لَتُقاد معه[2]، وسَمِعَ رجلًا يسألُ رَبَّهُ أن يرزقَه عشرةَ آلاف، فبعث الحسنُ بها إليه.

وخرج من ماله مرَّتَين، وقاسَمَ الله تعالى مالَه ثلاثَ مرّات، حتى إن كان لُيعطي نعلًا ويُمسِكُ نعلًا[3].

مرض رضي الله عنه أربعين يومًا، وكان مسمومًا[4]، قال له أخوه الحُسَينُ وهو يَجُود بنفسه: يا أخي، مَن تـتَّهمُ لنقتُلَه؟ فقال الحسـن: إن يكن الذي أظنُّ فاللهُ أشدُّ بأسًا وأشدُّ تنكيلًا، وإلّا يكن فما أحِبُّ أن يُقتَلَ فيَّ بريءٌ. ثمَّ قضى رضي الله عنه.

تُوفِّي رضي الله عنهُ لخمسِ ليالٍ خَلَون من ربيع الأوَّل سنةَ خمسين، ودُفِن بالبقيع، رضي الله عنه[5].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٦٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٠)، و«البداية والنهاية» (٨: ٣٧).

(٢) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٠).

(٣) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٠).

(٤) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٢٦)، و«صـفة الصـفوة» (١: ٣٠١)، و«تهـذيب الأسـماء واللغات» (١: ١٥٨).

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٢٦)، و«صـفة الصـفوة» (١: ٣٠١)، و«تهـذيب الأسـماء واللغات» (١: ١٥٨).

[الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما]

[٧٩] **ومنهم**: الحُسَينُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما[(١)].

وُلِد في شعبانَ سنةَ أربعٍ من الهجرة[(٢)]، قال رسولُ الله ﷺ عنه وعن الحسن: «**هذانِ ابناي، فمَن أحبَّهما فقد أحبَّني**»[(٣)].

قال عُبَيدُ بنُ عُمَير: «حجَّ الحسينُ خمسًا وعشرين حجّةً ماشيًا ونَجائِبُه[(٤)] تُقادُ معه»[(٥)].

قُتِل الحسينُ يومَ الجمعة يومَ عاشوراء، في المُحرَّمِ سنة إحدى وستين، وهو ابنُ ستٍّ وخمسين سنةً وخمسةِ أشهر، وقيل: ابنُ ثمانٍ وخمسين، رضي الله عنه[(٦)].

* * *

[عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما]

[٨٠] **ومنهم**: عبدُ الله بنُ الزُّبَير بن العوّام[(٧)].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٤٠٣)، و«مقاتل الطالبيين» (٨٤)، و«الاستيعاب» (١: ٣٩٢).

(٢) انظر: «مقاتل الطالبيين» (٨٤)، و«الاستيعاب» (١: ٣٩٢)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ١٢).

(٣) «جامع الترمذي» (٣٧٦٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٧١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٤) في (د): «وجنائبه».

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٣٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠١).

(٦) انظر: «مقاتل الطالبيين» (٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠١).

(٧) انظر ترجمته في: «معجم الصحابة» لابن قانع (٢: ١٢٦)، و«الاستيعاب» (٣: ٩٠٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

يكنَّى أبا بكر[١].

أُمُّه أسماءُ بنتُ الصدِّيق، رضي الله عنهم، وهو أوَّلُ مولودٍ وُلِد للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة، وأذَّن الصِّديقُ رضي الله عنه في أذنه، وحنَّكه رسولُ الله ﷺ بتمرةٍ بعد أن وضعه في حجره، ودعا له وبرَّكَ عليه[٢].

قال مجاهدٌ: «ما كان بابٌ من العبادة يعجز عنه الناسُ إلّا تَكَلَّفَهُ[٣] عبدُ الله ابن الزبير، ولقد جاء سيلٌ طبَّقَ البيت، فجعل ابنُ الزبير يطوف سِباحةً»[٤].

قال عمرُو[٥] بنُ دينار: «رأيت ابنَ الزبير يصلِّي في الحِجرِ مُخافِضًا بصرَه، فجاء حَجرٌ قُدامَهُ[٦] فذهب ببعض ثوبه، فما انفَتلَ»[٧].

قال مجاهدٌ: «كان ابنُ الزبير إذا أقام في الصلاة كأنّه عودٌ من الخشوع»[٨].

قال يحيى بنُ وثّاب[٩]: «كان ابنُ الزبير يسجد حتى تنزلَ العصافيرُ على ظَهرِه لا تحسبُه إلّا جِذمَ حائطٍ»[١٠].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

(٣) في (ق): «وكلفه».

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«الكامل في التاريخ» (٣: ٤٠٨).

(٥) في (ق): «عمر». (٦) في (ق): «مدافه»، وفي (د): «مذافه».

(٧) «الزهد» لأبي داود (٣٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٩) في (د): «وتاب».

(١٠) «الزهد» للإمام أحمد (١١١٤)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٣: ٥١٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

قال ابنُ المُنكَدِر: «لو رأيتَ ابنَ الزبير يُصلِّي كأنه غصنُ شجرةٍ تَصْفِقُها الريحُ»[١].

قال عمرُ بنُ قيس: «دَخَلَت أمِّي على ابنِ الزبير بيتَه، فإذا هو يُصلِّي، فسقطَت حيّةٌ من السقفِ على ابنه هاشم، فتطوَّقَت على بطنه وهو نائمٌ، فصاح أهلُ البيت: الحيّة، ولم يزالوا بها حتَّى قتلُوها، ولم يلتَفِت ولا عَجِل، فلمّا فرغ، قال: ما [٧٤/أ] بالكم؟ قالت أمُّ هاشم: رحمك الله تعالى، أرأيت إن كنّا هُنّا عليك يهون عليك ابنُك؟ فقال: وَيحَكِ ما كانت التفاتةٌ لو التفتُّها مُبقيةً من صلاتي»[٢].

قال محمدُ بنُ حُميد: «كان ابنُ الزبير يُحيي الدهرَ أجمع؛ ليلةً قائمًا حتَّى يصبح، وليلةً يحييها راكعًا حتى الصباح، وليلةً ساجدًا حتى الصباح»[٣].

قال مسلمُ بنُ نياقٍ المكِّيّ: «ركع ابنُ الزبير يومًا ركعةً، فقرأتُ البقرةَ وآل عمران والنساء والمائدة وما رفعَ رأسَه»[٤].

وحَدَّثَ[٥] جمعٌ كثيرون أنّه كان يُواصِلُ الصيامَ سبعًا، يصومُ يومَ الجمعة ولا يُفطِر إلّا ليلة الجمعة، ويصوم بالمدينة ولا يُفطِر إلّا بمكّة، ويصوم بمكّةَ ولا يُفطِر إلّا بالمدينة[٦].

---

(١) «الزهد» للإمام أحمد (١٠٣٧)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٣٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٦٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢-٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٣) انظر: «مختصر قيام الليل» (٤٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«أسد الغابة» (٣: ١٣٨).

(٥) في (ق): «وحد».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦٢).

قالت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ الصدِّيق، رضي الله عنها: «كان ابنُ الزبير قَوّام الليل صَوّام النهار، وكان يسمَّى حمامةَ المسجد»[١].

قال وهبُ بنُ كَيسان: «كتب إليَّ ابنُ الزبير: أمّا بعدُ، فإنّ لأهل التقوى علاماتٍ يُعرَفون بها، ويَعرفونها من أنفُسِهم: مَن صبَرَ على البلاء، ورَضِيَ بالقضاء، وشكرَ النَّعماء، وذلَّ لحكم[٢] القرآن، وإنّما الإمامُ كالسوق ما نفق فِيهَا حُمِل إليها، إن نفق الحقُّ عنده حُمِل إليه، وجاءه أهلُ الحقّ، وإن نفق الباطِلُ عنده جاءه أهلُ الباطل»[٣].

حدَّث هشامُ[٤] بنُ عروةَ عن أبيه، قال: «لمّا كان الغداةُ التي قُتِل فيها ابنُ الزبير دخل على أمِّه أسماءَ بنتِ أبي بكر، وهي ابنةُ مئة سنةٍ لم يسقط لها سِنٌّ، فقالت: يا عبدَ الله، ما فعَلتَ في حَربِك؟ قال: بَلَغُوا مكان كذا وكذا، وضَحِك، ثمَّ قال: إنّ في الموت لَراحةً، فقالَت أسماء: يا بُنيّ، لعلَّك تَتمَنّاهُ لي[٥]، ما أحبُّ أن أموتَ حتَّى آتِيَ على أحد طرفَيك، إمّا أن تَملِكَ فتَقَرَّ بذلك عيني، وإمّا أن تُقتَلَ فأحتَسِبَك، ثمَّ ودَّعها، فقالت له[٦]: يا بُنيّ، إيّاك أن تُعطِيَ خَصلةً من دينك مخافةَ القتل، وخرج عنها وهو يقول:

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣).

(٢) في (د): «ودل بحكم».

(٣) انظر: «الزهد» لأبي داود (٣٧٦)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٣٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣).

(٤) في (د): «هاشم».

(٥) «لي» ليس في (ق).

(٦) «له» ليس في (د).

ولَســـتُ بمُبتاعِ الحَياةِ[١] بسُــبّةٍ ... ولا مُرتَقٍ من خَشيةِ المَوتِ سُلَّما[٢]

ثمَّ قال: واللهِ ما لقيتُ زحفًا قطُّ إلّا في الرعيلِ الأوَّل، ثمَّ حَملَ عليهم فأصابَته آجُرّةٌ في مَفرَقِه حتَّى فَلَقَت رأسَه، فقال:

ولَسنا على الأعقابِ تَدمَى كُلومُنا ... ولَكِن على أقدامنا يَقطُرُ الدمُ[٣] [٧٤/ب]

قُتِلَ يومَ الثلاثاء لسبعَ عشرةَ خلت من جُمادى الأولى سنةَ ثلاثٍ وسبعين، وهو ابنُ اثنَين وسبعِين سنةً، رضي الله عنه.

***

[المِسوَر بن مَخرَمة رضي الله عنه]

[٨١] ومنهم: المِسوَرُ بنُ مَخرَمة[٤].

يكنَّى: أبا عبد الرحمن.

قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثمانِ سنين[٥].

احتَكرَ في زمانِ عُمرَ طعامًا، فرأى سحابًا من سحاب الخريف فكرهه، فلمّا أصبح أتى السوق فقال: مَن جاءني وَلَّيتُه، يعني: عقد بيعه، فبلغ ذلك عمر،

(١) قوله: «ولست بمبتاع الحياة» في (ق): «ولست بمتاع».

(٢) البيت من الطويل، وهو للحصين بن الحمام المرّي. وانظر: «تاريخ الطبري» (٦: ١٩١)، و«الاستيعاب» (٣: ٩٠٨)، و«تاريخ دمشق» (٢٨: ٢٣٢).

(٣) البيت من الطويل. وانظر: «أخبار مكة» للفاكهي (١٦١٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣٠)، و«المستدرك» للحاكم (٦٣٣٩).

(٤) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٤٢٩)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٥: ٣٥٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

(٥) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

فأتاه بالسوق، فقال: أجُنِنتَ يا مسورُ؟ فقال: لا والله يا أميرَ المؤمنين، ولكنِّي رأيتُ سحابًا فكَرِهتُه، فكرهت ما ينفع الناس، وكرهتُ أن أربح فيه، فقال عمر: جزاك الله تعالى خيرًا[١].

وكان مِسورٌ لا يشرب من الماء الذي يُوضَع في المسجد، ويكرهه، ويرى أنه صدقةٌ، وكان يصوم الدهرَ[٢].

توفِّي سنةَ أربعٍ وستِّين، وهو ابنُ اثنتَينِ وستِّين[٣]، رضي الله عنه[٤].

وهؤلاء كلُّهم من الصحابة، رضي الله عنهم وأراضاهم، ورَضِي عنّا بهم.

وقُطبُهم الصدِّيقُ رضي الله عنه، وناهيك به من صِدِّيق، ولا غروَ أنّ بِنتَه أُمَّنا أمَّ المؤمنين عائشة[٥] رضي الله عنها شابَهَته فيما حصل[٦] له من حُسنِ الصحبة، وكيف لا وقد جُبِلا على حُسن التأسِّي بسيِّد السابقين واللاحقين، فتأسَّى بهم مَن سبَقَت له العناية.

وإنّ الأُلَى[٧] بالطَّفِّ[٨] مِن آلِ هاشِمٍ تَأَسَّوا فسَنُّوا لِلكِرامِ التَّأَسِّيا[٩]

---

(١) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

(٢) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

(٣) قوله: «وهو ابن اثنتين وستين» ليس في (ق).

(٤) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

(٥) ترجم لها المؤلف في كتابه «سير السالكات» برقم (٣).

(٦) في (د): «جعل». (٧) في النسخ: «الأولى».

(٨) الطَّفّ؛ بفتح أوَّله، وتشديد ثانيه: هو بناحية العراق، من أرض الكوفة، والصحيح أنه على فرسخين من البصرة. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد» (٣: ٨٩١)، و«معجم البلدان» (٤: ٣٥)، و«مراصد الاطلاع» (٢: ٨٨٨).

(٩) البيت من الطويل، وهو منسوب لسليمان بن قتة. انظر: «الأغاني» (١٩: ١٢٩)، و«الطبقات =

قال عطاءٌ: «بعث معاويةُ إلى عائشةَ رضي الله عنها بطَوقٍ من ذهبٍ فيه جَوهرٌ قُوِّمَ بمئة ألف، فقسَمَته بين أزواج النبيِّ ﷺ»[١].

قال مُحمَّدُ بنُ المنكدر: قالت أمُّ دُرّةَ ـ وكانت تخدم عائشةَ رضي الله عنها ـ قالت: «بعث إليها ابنُ الزبير بمالٍ في غِرارتَين أراه ثمانين ومئة ألف، فدعت بطَبقٍ وهي يومئذٍ صائمة، فجلست تَقسِمه بين الناس، فأمسَت وما عندها من ذلك درهم، فلمّا أمسَت قالت: يا جارية، هلُمِّي فِطرِي، فجاءتها بخبزٍ وزَيت، فقالت لها أمُّ درّة: أما استطعتِ ممّا قَسمتِ أن تشتري لنا بدرهمٍ لحمًا نُفطِر عليه؟ فقالت: لا تُعنِّفيني، لو كنتِ ذكَّرتِني لَفعَلتُ»[٢].

لله درُّها، نَسِيَت نفسها من شدّة حرصِها على الخير، والناسُ اليومَ عكسُ ذلكَ؛ يَنسَون الضعفاء، إنّا لله وإنّا إليه راجعون في مصيبةٍ ألَمَّت بنا.

قال عروة: «لقد رأيت عائشةَ رضي الله عنها تَقسِم سبعين ألفًا وهي تَرقَع دِرعَها»[٣].

قال عروة: «كانت عائشةُ رضي الله عنها تَسرُدُ الصومَ»[٤].

قال أبو عبد الرحمن القاسم: «كانت عائشةُ رضي الله عنها/ تصومُ الدهرَ ولا تفطر إلّا يومَ أضحى أو يومَ فِطر»[٥]. [٧٥/أ]

= الكبرى» (٢: ٨٩)، و«تاريخ الطبري» (٦: ١٥٦)، و«معجم ديوان الأدب» (٤: ٢٤٤)، و«التذكرة الحمدونية» (٢: ٤٦٢).

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).

(٤) انظر: «الصيام» للفريابي (١٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩).

(٥) انظر: «الصيام» للفريابي (١٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٥).

قال القاسم: «كنتُ إذا غدَوتُ أبدأ ببيتِ عائشةَ رضي الله عنها، أُسَلِّمُ عليها، فغدَوتُ يومًا فإذا هي قائمةٌ تُسبِّحُ وتقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، وتدعو وتبكي، وتُردِّدها حتَّى مَلِلتُ القيام، فذهَبتُ إلى السوق لحاجتي، ثم جئت فإذا هي قائمةٌ كما هي تُصلِّي وتبكي»(١).

قالت: «مَن سرَّه أن يَسبِقَ الدائِبَ المجتهدَ فليَكُفَّ عن الذنوب»(٢).

قال ذَكوانُ حاجِبُ عائشةَ رضي الله عنها: «جاء عبدُ الله بنُ عبّاسٍ يستأذِنُ على عائشة، فجِئتُ وعند رأسِها ابنُ أخيها عبدُ الله بنُ عبد الرحمن، فقُلت: هذا ابنُ عبّاس، فقالت: دعني من ابن عبّاس، فقال لها: يا أمّاه، إنّ ابنَ عبّاسٍ من صالِحي بَنِيكِ يُسلِّم عليك، وكانت إذ ذاك شاكيةً، فقالت: ائذن له إن شئت، فأدخلتُه، فلمّا جلس قال: أبشِري، فما بينك وبين أن تَلقَي مُحمَّدًا ﷺ والأحبّةَ إلّا أن تخرج الروحُ من الجسد، كنتِ أحبَّ نساءِ رسولِ الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ(٣)، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يُحبُّ إلّا طيِّبًا، وسقطَت قِلادتُك يومَ الأبواء(٤)، فأصبح رسولُ الله ﷺ حتَّى يُصبِحَ في المنزل، وأصبحَ الناسُ ليس معهم ماءٌ، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، فكان ذلك في سبيلِك، وما أنزل الله لهذه الأمّةِ من الرخصة، وأنزل الله عزَّ وجلَّ براءتَك(٥)، جاء بها الروحُ الأمينُ عليه السلام، فأصبح ليس مَسجِدٌ من مساجد الله تعالى

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٥-٤٠٦).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٤٩٥٠)، و«شعب الإيمان» (٦٩٢٨).

(٣) قوله: «إلى رسول الله ﷺ» ليس في (د).

(٤) «صحيح البخاري» (٣٣٤)، و«صحيح مسلم» (٣٦٧).

(٥) «صحيح البخاري» (٧٥٤٥)، و«صحيح مسلم» (٢٧٧٠).

يُذكَر فيه الله تعالى إلّا يُتلَى فيه آناءَ الليلِ وآناءَ النَّهار، فقالت: دعني منك يا ابنَ عبّاس، فوالذي نفسي بيدِه، لوَدِدتُ أنِّي كنت نسيًا منسيًّا»[١].

تُوفِّيت رضي الله عنها ليلةَ الثلاثاء لسبعَ عشرةَ مَضت من رمضانَ سنةَ ثمانٍ وخمسين، وهي ابنةُ ستٍّ وستِّين سنةً[٢]، كذا قاله الواقديُّ.

وقال غيرُه: تُوفِّيت[٣] سنةَ سبعٍ وخمسين، وأوصَت أن تُدفَن بالبقيعِ مع صواحِبِها، وصلَّى عليها أبو هريرةَ، وهو خليفةُ مَروانَ بالمدينة، وقيل غيرُ [٧٥/ب] ذلك رضي الله عنها[٤].

وقد وقع لأمِّ شَرِيكٍ[٥] ضرَّتِها شيءٌ عجيبٌ، يحمل[٦] المرءَ على حُسن التوكُّل، قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «وقع في قلب[٧] أُمِّ شريكٍ الإسلامُ وهي بمَكّةَ فأسلَمَت، وكانت[٨] تدخل على نساء قريش سِرًّا، فتدعوهنَّ وتُرَغِّبُهُنَّ في الإسلام، حتَّى ظهر أمرُها لأهل مكّةَ فأخذوها، وقالوا: لولا قومُك لفَعَلنا بك وفعَلنا، ولكنّا نُسيِّرُك إليهم، قالت: فحَمَلُوني على بعيرٍ ليس تحتي شيءٌ، ثمَّ تركوني ثلاثًا لا يُطعِموني ولا يَسقُوني، وكانوا إذا نزلوا منزلًا أوثَقُوني في الشمس واستظَلُّوا هم، وحبَسُوني عن الطعام والشراب.

فبينا هم قد نزلوا منزلًا وأوثَقُوني بالشمس إذا أنا بأبرَد شيءٍ على صدري،

---

(١) «مسند أحمد» (٢٤٩٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٠٧٨٣).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٨٨٥). (٣) في (ق): «توفت».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٢٢).

(٥) ترجم لها المؤلف في «سير السالكات» ترجمة رقم (١٠).

(٦) في (د): «يحسن». (٧) في (د): «قليب».

(٨) في (د): «فكانت».

فتناوَلتُه فإذا هو دَلوٌ من ماءٍ، فشربتُ منه قليلًا، ثم نُزِعَ مني ورُفِع، ثم عاد فتناوَلتُه، فشربت منه، ثمُّ رُفع، ثم عاد فتناوَلتُه، ثمَّ رُفِعَ، مرارًا، ثمَّ نزلَ[١] فشربتُ حتى رَويت، ثم أفَضْتُ سائِرَه على جسدي وثيابي، فلمّا استيقَظُوا إذا هم بأثَرِ الماء، ورَأوني حسنةَ[٢] الهيئة، فقالوا: انحَلَلتِ فأخذتِ سِقاءَنا فشربتِ؟ فقلت: لا والله، ولكنَّه كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: إن كنتِ صادقةً لَدينُك خيرٌ من ديننا، فلمّا نظروا إلى أسقِيَتِهم؛ وجدوها كما تركوها، فأسلَموا عند ذلك، وأقبَلَت إلى النبيِّ ﷺ فوَهَبَت نفسَها له بغَيرِ مَهر، فقَبِلَها ودخل عليها ﷺ، ورَضِيَ عنها»[٣].

وفي معنى هذه القصّة: ما وقع لأمِّ أيمن[٤]، واسمُها بركةُ، رضي الله عنها، وهي مولاةُ رسولِ الله ﷺ وحاضِنتُه، وَرِثَها من أبيه، فأعتَقَها حين تزوَّج خديجة رضي الله عنها، فتزَوَّجَت عُبَيدَ بنَ زيد، فولدت له أيمن، ثمَّ تزوَّجها زيدُ بنُ حارثةَ بعد النبوّة، فولَدَت له[٥] أسامةَ رضي الله عنه[٦].

خرجت أمُّ أيمن مهاجِرةً إلى رسول الله ﷺ من مكّةَ إلى المدينة، وهي ماشيةٌ ليس معها زادٌ[٧]، وهي صائمةٌ في يومٍ شديدِ الحرّ، فأصابَها عطشٌ شديدٌ حتَّى كادت تموتُ من شدّةِ العطش، وهي بالرَّوحاء/ أو قريبًا، فلمّا غابت الشمسُ [٧٦/أ] قالت: إذا أنا بحَفِيفِ[٨] شيءٍ فوق رأسي، فرفَعت رأسي فإذا أنا بدَلوٍ من السماء

(١) في (ق): «ترك». (٢) في (د) و(ق): «حسن».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٦٦)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣٠).

(٤) ترجم لها المؤلف في «سير السالكات المؤمنات» ترجمة برقم (١٢).

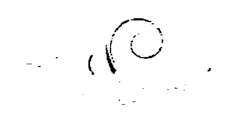
(٥) «له» ليس في (د).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤: ٢٧٨)، و«المنتظم» (٤: ٣٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣١).

(٧) في (ق): «ماء». (٨) في (د): «بخفيف».

مُدلَّى برِشاءٍ أبيض، قالت: فدنا منِّي، حتى إذا كان بحيثُ أستَمكِن منه تناولتُه فشَربتُ منه حتَّى رَوِيت، فلقد كنت بعد ذلك في اليومِ الحارِّ أطوفُ في الشمسِ كي أعطشَ فما عطشتُ بعدها»[١].

وَحَضَرَت أُحُدًا، وكانت تَسقِي الماءَ وتُداوي الجرحى، وشهِدَت خَيبَر، وتوفِّيت في[٢] آخرِ خلافةِ عثمانَ، رضي الله عنهما[٣].



(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٦٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣١).

(٢) «في» ليس في (ق).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٢)، و«أسد الغابة» (٦: ٣٠٤).

[مطلب في التابعين][1]

واعلَم أنّهُ لمّا انقَرضَ أصحابُ رسول الله ﷺ خَلَفهم أقوامٌ سبقت لهم العناية، فسَلَكُوا سبيلَهم، وتَقفَّوا آثارَهم، فحدا بهم حادي الشوق، فلَم يَزالُوا يترقَّون إلى فوق، فصاروا بذلك نجومًا يُهتدَى بهم، وسُرُجًا يُستضاءُ بهم، ولهذا سُمُّوا بالتابعين.

* * *

[محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما]

[٨٢] **فمنهم**[2]: مُحمَّدُ بنُ عليٍّ بن أبي طالب، رضي الله عنهما[3].

وهو ابنُ الحنفيّة[4].

له كلامٌ بديعٌ، قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال مُحمَّد: «إنّ الله عزَّ وجلَّ جَعلَ الجنَّةَ ثمنًا لأنفُسِكُم، فلا تَبيعُوها بغَيرِها»[5].

---

(١) ورد على هامش (د).

(٢) في (د): «ومنهم».

(٣) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢١٦)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٦)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ١٧٤).

(٤) انظر: «المعارف» (١: ٢١٦)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٦)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ١٧٤).

(٥) انظر: «المنتظم» (٦: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٤).

قال عثمانُ المُؤدِّب: قال مُحمَّدُ بنُ الحنفية: «مَن كَرُمَت عليه نفسُه لم يكن للدنيا عنده قَدرٌ»[١].

قال عليُّ بنُ الحسين: «كتب ملِكُ الروم إلى عبد الملك بن مروانَ يتهدَّده[٢]، ويَحلِفُ له لَيحمِلَنَّ إليه مئةَ ألفٍ في[٣] البرّ، ومئة ألفٍ في البحر، أو يؤدِّي إليه الجزية، فسُقِط في روعه[٤]، فكتب إلى الحَجّاج: أنِ اكتب إلى ابنِ الحنفيّة، فتهدَّدْه وتواعَدْه، ثمَّ أعلِمْني بما يَرُدُّ إليك، فكتب الحجّاجُ إليه بكتابٍ شديد.

فكتب إليه ابنُ الحنفيّة: إنّ لله تعالى في كل يوم وليلةٍ[٥] ثلاثَ مئة وستِّين نظرةً إلى خَلقِه، وإنّي[٦] أرجو أن ينظرَ الله عزَّ وجلَّ إليَّ نظرةً يمنَعُني بها منك، قال: فبَعثَ الحجّاجُ بكتابِه إلى عبد الملك، فكتب عبدُ الملكِ إلى ملك الرومِ نُسختَه، فقال ملكُ الروم: ما خَرجَ هذا منك، ولا أنت كتبتَ به، ولا خرجَ إلّا من بيتِ نبوّةٍ»[٧].

مات في سنة إحدى وثمانين وله خمسٌ وستُّون سنةً، ودُفِنَ بالبَقِيع، رضي الله عنه[٨].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٧٦)، و«المنتظم» (٦: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٤).

(٢) في (د): «يتهدد له».

(٣) في (د): «من».

(٤) في (ق): «ذرعه».

(٥) قوله: «في كل يوم وليلة» ليس في (ق).

(٦) في (ق): «وأنا».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٥).

(٨) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ١٧٤).

[سعيد بن المسيب رضي الله عنه]

[٨٣] **ومنهم**: سعيدُ بنُ المُسيَّب[١].

يكنَّى: أبا مُحمَّد[٢].

وُلِدَ لسنتَين من خلافة عمرَ[٣].

انتهى في العلمِ إلى أن قال: ما بَقِي أحدٌ أعلمُ بكلٍّ قضاءٍ قضاهُ رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ / رضي الله عنهما منِّي[٤]. [٧٦/ب]

كان رضي الله عنه يَسرُدُ الصومَ[٥]، قاله يزيدُ بنُ حازم.

قال بُردٌ مولى سعيد: «ما نُودِيَ بالصلاةِ منذُ أربعين سنةً إلّا وسعيدٌ في المسجد»[٦].

قال عبدُ المنعمِ بنُ إدريس عن أبيه، قال: «صلَّى سعيدٌ الغداةَ بوُضوءِ العَتمةِ خمسين سنةً»[٧].

قال عبيدُ الله بنُ مُحمَّد: قال سعيدُ بنُ المُسيَّب: «ما أكرَمَت العبادُ نفسَها بمثلِ طاعةِ الله عزَّ وجلّ، ولا أهانت نفسَها بمثلِ معصيةِ الله عزَّ وجلّ، وكفى بالمؤمِنِ نُصرةً من الله عزَّ وجلَّ أن يرى عَدُوَّه يعمل بمعصيةِ الله تعالى»[٨].

---

(١) انظر: «التاريخ الأوسط» (١: ٢١٦)، و«المعارف» (١: ٤٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٢) انظر: «التاريخ الأوسط» (١: ٢١٦)، و«المعارف» (١: ٤٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ١١٩)، و«المنتظم» (٦: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (١٠: ١٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٥) انظر: «الصيام» للفريابي (١٠٢)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٦٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٤: ٢٧٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٦٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٦٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦)، و«البداية والنهاية» (٩: ١٠٠).

قال أبو عيسى الخراسانيّ: قال سعيدُ بنُ المُسيَّب: «لا تَملَؤوا أعينَكم من أعوان الظَّلَمة إلّا بالإنكار من قُلوبِكم؛ لكيلا تَحبَطَ أعمالُكم الصالحةُ»[١].

وقال: «مَن استغنَى بالله عزَّ وجلَّ افتقرَ إليه الناسُ»[٢].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال سعيدٌ: «إنّ الدنيا نَذْلة، وهي إلى كلِّ نَذْلٍ أمْيَل، وأنذلُ منها مَن أخَذَها بغير حقِّها، وطلبها بغير وجهها، ووَضَعها في غير سبيلِها»[٣].

مات بالمدينة وهو ابنُ أربعٍ وثمانين سنة، على خلافٍ فيه[٤]، رضي الله عنه.

* * *

[عُروة بن الزبير رضي الله عنهما]

[٨٤] **ومنهم**: عُروةُ بنُ الزُّبَير بن العوام[٥].

أمُّهُ أسماءُ بنتُ الصدِّيق رضي الله عنه[٦].

قال ابنُه هشامٌ: «كان أبي يَسرُدُ الصوم، ولقد مات يومَ مات وهو صائمٌ»[٧].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٧٠)، و«إحياء علوم الدين» (٢: ١٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٢) انظر: «معجم ابن المقرئ» (٢٠٥)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٧٠).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٣)، و«طبقات الفقهاء» (٥٧)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٢٧).

(٥) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٥: ١٩٤)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٠٥)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ١١٦).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٥: ١٩٤)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٠٥)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ١١٦).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٦٦)، و«المنتظم» (٦: ٣٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٠).

قال مالكُ بنُ أنس: «رأى عروةُ رجلًا يُصلِّي فخفَّف، فدعاه، فقال: أما كانت لك إلى ربِّك حاجةٌ؟ إنّي لأسأل الله تعالى في صلاتي حتَّى أسألَه المِلحَ»(١).

قال هشامٌ: قال أبي: «إذا جعل أحدُكم لله شيئًا فلا يجعل له ما يستحيي أن يجعلَه لكريمِه، فإنّ الله عزَّ وجلَّ أكرَمُ الكُرَماء، وأحقُّ مَن اختِيرَ له»(٢).

قال ابن شَوذَب: «كان عروةُ إذا كانَ أيّامُ الرُّطَبِ ثَلَمَ حائِطَه، فيَدخُلُ النّاسُ فيأكُلُون، ويَحمِلُون، وكانَ إذا دَخَلَهُ رَدَّدَ هَذِهِ الآيةَ فيه حتى يَخرُجَ منه: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، حتَّى يخرجَ»(٣).

وخرج برِجلِه أكَلة، فبعث إليه الوليد بالأطبّاء، فأجمع رأيُهم على أنّهم إن لم يَنشُروها قتلَته.

فقال: شأنُكم بها، فقالوا: نسقِيك شيئًا؛ لئلّا تُحِسَّ بما يُصنَعُ بك؟

فقال: لا، شأنُكم بها، فنَشرُوها، فما حَرَّك عضوًا عن عضو، وصبَر، فلمّا صار القدمُ بأيديهم دعا بها، فقَبَّلها، ثم قال: أما والذي حملني عليكِ إنّه يعلم أنّي ما مشيتُ بك إلى حرامٍ قطُّ، أو إلى معصية(٤)، ويومَ / قُطِعَت كان صائمًا. [٧٧/أ]

ودخل أكبرُ وَلدِه إصطبلَه فرَفَسَته دابَّتُه فقتَلَته، فما سُمِعَ منه شيءٌ حتَّى قَدِمَ المدينة، فقال: اللهمَّ إنّه كان أطرافٌ أربعةٌ فأخَذتَ واحدًا وَبقَّيتَ لي ثلاثةً، فلك الحمد، وكان لي بنون أربعة، فأخَذتَ(٥) واحدًا، وَبقَّيْتَ لي ثلاثة، فلك

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٠). (٢) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (٢: ٢٤١).

(٣) انظر: «المعرفة والتاريخ» (١: ٥٥٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٥٩)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٣٣).

(٤) انظر: «تجريد الأسماء والكنى» (٢: ٣١). (٥) بعدها في (ق): «لي».

الحمد، وأيمُ الله، لَئِن أخذتَ فلقد[١] أبقيت، ولئن ابتَلَيتَ لطالما عافَيت[٢].

قال مَسلَمةُ بنُ مُحارِب: «لقد قُطِعَت رجلُه ولم يَدَع تلك الليلةَ وِردَه»[٣].

تُوفِّي سنةَ أربعٍ وتسعين فِي ناحِيةِ الفُرع، ودُفِنَ هنالك[٤]، رضي الله عنه[٥].

* * *

[القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق]

[٨٥] **ومنهم**: القاسِمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنهم[٦].

يُكنَّى: أبا محمَّد، كان حافظًا للسنّة[٧].

قال ابنُ أبي الزِّناد[٨]: قال أبي: ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بالسُّنّةِ من القاسم بن محمَّد[٩].

قال حمّادُ بنُ زيد: قال أيّوب: سمعتُ القاسمَ يُسألُ بمِنًى فيقول: لا أدري، لا أعلم، فلمّا أكثَروا عليه فقال: والله ما نعلمُ كلَّ ما تسألونا عنه، ولو عَلِمنا ما

---

(١) «فلقد» مثبت من المصادر. (٢) «حلية الأولياء» (٢: ١٧٩).

(٣) انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (ص: ١٠٥)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٣٣).

(٤) في (د): «هناك».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٠).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٢)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٧: ١٥٧)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢١٧).

(٧) «للسنة» ليس في (د). وانظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٨)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧: ١١٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢١٧).

(٨) في (ق): «الزياد».

(٩) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٧: ١٥٧)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧: ١١٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢١٧).

كتَمنا، ولا حلَّ لنا أن نَكتُم، ولأن يعيشَ الرجلُ جاهلًا بعد أن يَعرِفَ حقَّ الله تعالى خيرٌ له من أن يقولَ ما لا يعلم[١].

وما كان القاسِمُ يُجيبُ إلّا في الشيءِ الظاهر، وكانت الدنيا عليه أهونَ من ذَرّة.

قال وهيبٌ: قال أيوب: ما رأيتُ رجلًا أفضلَ من القاسم، ولقد تَركَ مئةَ ألفٍ وهي له حلالٌ[٢].

وقال مرّةً: رأيتُ عليه رِداءً قد صُبِغَ بشيءٍ من زَعفَران، ويدعُ مئةَ ألفٍ لم[٣] يتَلَجلَج في نفسِه منها شيءٌ[٤].

قال سفيان: اجتمعوا إلى القاسم في صدقةٍ فقَسَمَها[٥] وهو يصلِّي، فجعلوا يتكلَّمون، فقال ابنه: إنّكُم اجتمَعتُم إلى رجلٍ والله ما نالَ منها درهمًا ولا دانِقًا، فأوجَزَ الصلاة، ثمَّ قال[٦]: يا بُنيّ، قل فيما عَلِمتَ.

قال سفيان: صَدَقَ ابنُه، ولكنَّه أراد تأدِيبَه في النطق وحِفظِه[٧].

---

(١) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (ص: ٨٩٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ١٧٥).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٩: ١٦٧)، و«المنتظم» (٧: ١٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥١)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٣٢٦).

(٣) في (د): «ما».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٨٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ١٨٤)، و«المنتظم» (٧: ١٢٣)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢١٨).

(٥) في (د): «قسمها».

(٦) قوله: «ثم قال» في (د): «فقال».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ١٨٣)، و«المنتظم» (٧: ١٢٣).

تُوفِّي وهو ابنُ سبعين سنةً أو اثنتَين وسبعينَ[١]، وكان قد ذهبَ بصرُه، توفِّي سنة ثمانٍ ومئة[٢].

قال رجاءُ بنُ أبي سلمة: مات بين مكّة والمدينة حاجًّا أو معتَمِرًا، قال لابنه: إيّاك أن تقول: كان وكان، رضي الله عنه[٣].

❊ ❊ ❊

[سالم بن عبد الله بن عمر]

[٨٦] ومنهم: سالمُ بنُ عبد الله بن عمرَ بن الخطّاب[٤].

يُكنَّى: أبا عمرَ[٥].

كان أشبَهَ أولاد أبيه به[٦]، وكان مُتواضِعًا.

قال حنظلة: رأيتُ سالمَ بنَ عبدِ الله بنِ عمر يخرجُ إلى السوق، فيشتري / [٧٧/ب] حوائجَ نفسِه، وزَحَمَه رجلٌ، فقال له سالِم: بعضُ هذا رَحِمَكَ الله تعالى، فقال له الرجل: ما أراكَ إلّا رَجُلَ سوء، فقال له سالمٌ: ما أحسَبُكَ أبعَدتَ[٧].

---

(١) في (ق): «وتسعين».

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢٢٢).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٨٤)، و«المنتظم» (٧: ١٢٤). وفي «حلية الأولياء»: «فقال لابنه: سنَّ عليَّ التراب سَنًّا، وسَوِّ عليَّ قبري، والحق بأهلك، وإياك أن تقول: كان وكان».

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٩)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٤: ١١٥).

(٥) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٤: ١١٥)، و«الثقات» لابن حبان (٤: ٣٠٥).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٤: ٣٠٥)، و«المنتظم» (٧: ١١٣).

(٧) انظر: «المنتظم» (٧: ١١٤).

قال مالِكٌ: لم يكن أحدٌ في زمان سالمٍ أشبهَ بمن مضى من الصالحينَ في الزهد والقَصدِ في العيش منه؛ كان يَلبَسُ الثوبَ بدرهمَين[١].

قال ابنُ أبي سارة: رأيتُ سالمًا قَدِمَ علينا حاجًّا، فصلَّى العشاء، ثمَّ قامَ إلى ناحيةٍ ممّا يلي بابَ بني سهمٍ في الصلاة، فلم يَمِل يمينًا ولا شمالًا حتَّى طَلَعَ الفجر، ثمَّ جلسَ فاحتَبَى بثَوبِه[٢].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: دخلَ هشامُ بنُ عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم، فقال: يا سالم، سَلنِي حاجةً. فقال له: إنّي لأستَحِي من الله عزَّ وجلَّ أن أسألَ في بيت الله تعالى غيرَ الله.

فلمّا خَرَجَ خَرَجَ في إثره، فقال: الآن قد خرَجتَ، فسَلني، فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا، فقال له سالمٌ: ما سألتُ مَن يملكُها، فكيف أسألُ مَن لا يملكها[٣]؟

توفِّي في ذي الحجّة سنة ستٍّ ومئة[٤]، وقيل: سنةَ ثمانٍ، رضي الله عنه[٥].

* * *

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٥٥)، و«المنتظم» (٧: ١١٤)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٩٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٢).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٦٤).

(٤) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٤: ١١٥)، و«الثقات» لابن حبان (٤: ٣٠٥)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٢٥٨).

(٥) انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٠: ٤٥٦).

[علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب]

[٨٧] **ومنهم**: عليُّ بنُ الحسين بن عليِّ بن أبي طالب[١].

وهو عليٌّ الأصغرُ؛ فإنّ الأكبرَ قُتِلَ مع الحُسين.

وكان يُكنَّى: أبا الحسن[٢].

وأشهرُ ألقابه زَينُ العابدين[٣]، وسببُ لَقبِه بذلك أنّه كان في محرابه قائمًا في تَهجُّده، فتمثَّلَ له الشيطانُ في صورة ثعبانٍ ليَشغَلَه عن عبادته، فلم يَلتَفِت إليه، فجاءَ إلى إبهامِ رِجلِه فالتَقَمَها، فلم يَلتَفِت إليه، فآلَمَه فلم يَقطَع صلاتَه، فلمّا فرَغَ منها كشفَ الله عزَّ وجلَّ أنّه الشيطان، فسَبَّه ولطَمَه، وقال: اخسَأ يا ملعون، فذهب، وقامَ إلى إتمامِ وِردِه، فسَمِعَ صوتًا[٤] ولا يَرى قائلَه: أنت زينُ العابدين، ثلاثًا، فظَهَرَ ذلك واشتهر.

وكان يُلقَّبُ أيضًا بسيِّد العابدين، وبالزكيّ، وبالأمين.

قال عبدُ الرحمن بنُ حفصٍ القُرشيّ: كان عليُّ بنُ الحسين إذا توضَّأ اصفرّ، فيقول له أهلُه: ما هذا الذي يعتادُكَ عند الوضوء؟ فيقول: أتدرونَ بين يدَي مَن أُريدُ أن أقوم[٥]؟

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٦٠)، و«المنتظم» (٦: ٣٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٣٨٦).

(٢) في (ق): «أبا الحسين»، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٦٠)، و«المنتظم» (٦: ٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٣)، و«وفيات الأعيان» (٣: ٢٦٦).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٦٠)، و«وفيات الأعيان» (٣: ٢٦٦).

(٤) «صوتًا» ليس في (ق).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٧٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٣٩٠).

قال عبدُ الله بنُ أبي سُلَيمان: كان عليُّ بنُ الحسين إذا مشى لا يُجاوِزُ يَدَيه فخذَيه ولا يَخطِرُ بيده، وكان إذا قامَ إلى الصلاةِ أخذَته الرِّعدة، فقيل له: ما لَك؟ فقال: ما تدرونَ بين يدَي مَن أقوم، ومَن / أُناجي؟ رضي الله عنه[1]. [٧٨/أ]

وَيحَك يا شيخُ يا مرائي[2]! ما أحمَقَك وأجهَلَك! إنّ هذا شيءٌ لم تَشَمَّ له رائحةً، بل أنت تَجُولُ حالَ وُقوفِكَ في الصلاةِ بروحِكَ الخبيثة في المَزبَلة ومَواطِنِ الهَلَكة، قبَّحَ الله تعالى مَن يَعبُد هواه، ويدَّعي عبادةَ الله الحليم العليم.

قال أبو نوحٍ الأنصاريّ: وقَعَ حريقٌ في بيتٍ فيه عليُّ بنُ الحسين وهو ساجد، فجَعلُوا يقولونَ له: يا ابنَ رسولِ الله، النارَ، يا ابنَ رسولِ الله، النارَ[3]، فما رَفَعَ رأسَه حتَّى أُطفِئَت النار، فقيل له: ما الذي ألهاكَ؟ فقال: النارُ الأُخرى[4].

قال سفيان: جاءَ رجلٌ إليه، فقال له: إنّ فُلانًا قد آذاكَ ووقعَ فيك، فانطَلَقَ وهو يرى أنّه سينتَصرُ[5] لنفسه، فلمّا أتاه قال له: يا هذا، إن كان ما قُلتَ[6] فيَّ حقًّا فغَفَرَ الله تعالى لي، وإن كان ما قُلتَ فيَّ باطلًا فغَفَرَ الله تعالى لك[7].

وكان يقول: اللهُمَّ إنّي أعوذُ بك أن تَحسُنَ في لوامع العيونِ عَلانِيَتي، وتَقبُحَ سريرتي[8].

وكان يقول: إنّ قومًا عَبَدُوا الله تعالى رهبةً، فتلك عبادةُ العبيد، وآخرينَ

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٧٨).

(٢) في (ق): «مربي».

(٣) «النار» ليس في (د).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٧٧)، و«المنتظم» (٦: ٣٢٨).

(٥) في (د): «سيستنصر».

(٦) في (د): «قلته».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٤).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٤٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٤).

عَبدُوا الله تعالى رغبةً، فتلك عبادةُ التجّار، وقومًا عَبدُوا الله تعالى شُكرًا، فتلك عبادةُ الأحرار[١].

وكان رضي الله عنه لا يُحِبُّ أن يُعِينَه أحدٌ على طُهورِه[٢]، وكان يَستَقي الماءَ على ظَهرِه، فإذا قامَ بالليلِ بدأ بالسواك، ثمَّ يتوضَّأ، ثمَّ يأخذُ في صلاتِه، وكان يَقضي ما فاتَه من صلاةِ النهار بالليل، وكان لا يَدَعُ صلاةَ الليلِ سفرًا وحضرًا، ويقول: عَجِبتُ للمُتكبِّر الفَخُور الذي كان بالأمس نُطفةً ثمَّ غدًا جِيفة، وعَجِبتُ كلَّ العَجَبِ لمن شكَّ في الله تعالى وهو يرى خَلقَه، وعَجِبتُ كلَّ العَجَبِ لمن أنكرَ النشأةَ الأُخرى وهو يرى النشأةَ الأُولى، وعَجِبتُ كلَّ العَجَبِ لمن عَمِلَ لدار الفناء وتركَ دارَ البقاء.

وكان إذا أتاه سائلٌ رَحَّبَ به، وقال: مرحبًا بمَن يَحمِلُ زادَنا إلى الآخرة[٣].

وكان رضي الله عنه له معاملاتٌ سِرِّيّةٌ، فكان يُبَخَّل، فلمّا مات وجدوه يُقيتُ مئةَ أهل بيتٍ بالمدينة[٤].

وكان يَحمِلُ جرابَ الخُبزِ على ظَهرِه بالليل فيتصدَّق به، ويقول: إنّ صدقةَ السرِّ تُطفِئُ غضبَ الربّ، فلمّا مات فغسَّلُوه جعلوا ينظرونَ إلى آثارِ سوادٍ[٥] في ظَهرِه، فقالوا: ما هذا؟ فقِيل: كان يَحمِلُ جربَ الدقيقِ ليلًا على ظهرِه يُعطيه فقراءَ أهلِ المدينة[٦].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٤).

(٢) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٢٨).

(٣) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٢٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٦).

(٥) في (ق): «سود».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٥-١٣٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٥).

[٧٨/ب] قال سفيان: أرادَ عليُّ بنُ الحسين الخروجَ في حجٍّ أو عمرة، فاتَّخَذَت له سُكَينةُ بنتُ الحُسين سُفرةً أنفقَت عليها ألفَ درهم، أو نحوَ ذلك، فلمّا كان بظَهرِ الحَرّة؛ قسَمها على المساكين[١].

كان له غلامٌ أُعطِيَ فيه ألفَ دينار، فقال سعيدُ بنُ مرجانة: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَن أعتقَ رقبةً مؤمنةً أعتقَ الله تعالى بكلِّ إرْبٍ منها إرْبًا منه من النار حتَّى يُعتَقَ باليدِ اليدُ، وبالرجل الرجلُ، وبالفَرج الفَرجُ**»[٢]، فقال له عليُّ بنُ الحسين: أنت سمعتَ هذا من أبي هريرةَ؟ فقال سعيدٌ: نعم، فقال للغلام: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى[٣].

قال طاوس: رأيتُ عليَّ بنَ الحسين ساجدًا في الحِجر، فقلت: رجلٌ صالحٌ من أهل بيتٍ طيِّب، لأسمَعَنَّ ما يقول، فأصغَيتُ فسَمِعتُه يقول: عُبَيدُكَ بفِنائِك، مسكينُكَ بفِنائِك، سائِلُك بفِنائِك[٤]، فقيرُكَ بفِنائِك، فواللهِ ما دعوتُ بهِنَّ في كَربٍ إلّا كُشِفَ عنِّي[٥].

قال أبو جعفر: كان عليُّ بنُ الحسين يصلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعة، وتهيجُ الريحُ فيسقطُ مغشيًّا عليه[٦].

كان له ولدٌ اسمُه محمدٌ، قال: أوصاني أبي فقال: لا تصحَبَنَّ خمسةً ولا تُحادِثهُم ولا تُرافِقهُم في طريق، فقلت: فداكَ يا أبتِ[٧]، مَن هؤلاء الخمسة؟

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٥١٧)، و«صحيح مسلم» (١٥٠٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٥).

(٤) قوله: «سائلك بفنائك» ليس في (ق).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٨٠)، و«المنتظم» (٦: ٣٢٩).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٧).

(٧) في (ق): «يا أبه».

فقال: لا تَصحَبَنَّ فاسِقًا؛ فإنّه يبيعُكَ بأكلةٍ فما دونَها، فقلت: يا أبَت[١]، وما دونها؟ قال: يطمعُ فيها ثمَّ لا ينالُها.

قلت[٢]: ومَن الثاني؟ قال: البخيلُ؛ فإنّه يقطعُ بك في حالةٍ[٣] أحوجَ ما كنتَ إليه، قلت: ومَن الثالثُ؟ قال: الكذّابُ؛ فإنّه بمنزلة السراب يُبعِدُ منك القريب، ويُقرِّبُ منك البعيد، قلت: ومَن الرابعُ؟ قال: الأحمق؛ فإنّه يريدُ أن ينفعَكَ فيضرُّك، قلت: ومَن الخامس؟ قال: لا تَصحَبَنَّ قاطِعَ رحمٍ؛ فإنّي وجدتُه ملعونًا في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضِعَ[٤].

تُوفّي بالمدينة سنةَ أربعٍ وتسعين، وقيل غيرُ ذلك، ودُفِنَ بالبقيع وهو ابنُ ثمانٍ وخمسين سنةً[٥].

قال محمَّدُ بنُ حاطبٍ[٦]: قال أبي: جاءَ نفرٌ إلى عليِّ بنِ الحسين من أهل العراق، فقالوا في أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم، فلمّا فرَغُوا قال لهم: ألا تُخبِروني أنتم المهاجرونَ الأوَّلون الذين أُخرِجُوا من ديارهم وأموالهم يبتغونَ فضلًا من الله ورضوانًا، ويَنصُرونَ الله ورسولَه أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا.

قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٧] [الحشر: ٩]؟، قالوا: لا. [٧٩/أ]

فقال: أمّا أنتم فقد تبرَّأتُم أن تكونوا من أحد هذين الفريقَين، ثمَّ قال: أشهَدُ

(١) في (ق): «يا أبه».
(٢) في (د): «فقلت».
(٣) في (ق): «ماله».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٧).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).
(٦) في (د): «خطاب».
(٧) في (ق) و(د): «الذين» بدون الواو.

أنّكم لستُم من الذين قال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(١) [الحشر: ١٠]، اخرُجُوا، فعَل الله عزَّ وجلَّ بكم(٢). رضي الله عنه وأرضاه.

* * *

[عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة]

[٨٨] **ومنهم**: عُبَيدُ الله بنُ عبد الله بن عتبةَ بن مسعود(٣).

وكان بحرًا في العلم كما قاله الزهريُّ(٤).

قال أبو الزِّناد: قال أبي: كُنتُ أرَى عُمَرَ بنَ عَبدِ العَزيزِ في إمارَتِهِ يَأتِي عُبَيدَ الله ابنَ(٥) عَبدِ الله بنِ عُتبة، فرُبَّما حَجَبَه، ورُبَّما أذِنَ لَه، رضي الله عنه(٦).

وكان يُعظِّمُ العلمَ، رضي الله عنه وأرضاه.

ولمّا تُوفِّي كان قد ذهبَ بصرُه(٧)، تُوفِّيَ بالمدينة سنةَ ثمانٍ وتسعين، ويُقال: سبعٍ وتسعين(٨)، والله أعلم.

---

(١) قوله: «﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾» ليس في (ق).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٦)، و«النهي عن سب الأصحاب» للمقدسي (١٣)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٩).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ٢٥٠)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٨٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٤٧٥).

(٤) انظر: «طبقات الفقهاء» للشيرازي (٦٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).

(٥) قوله: «عبيد الله ابن» مثبت من المصادر.

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).

(٧) انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (١٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٢٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).

[بِشر بن سعيد]

[٨٩] **ومنهم**: بشرُ بنُ سعيدٍ[١]، مولى الحضرميِّين.

وكان من العُبّاد المُنقطِعين، وأهلِ الزُّهد في الدنيا[٢].

قال مالكٌ: ماتَ بِشرٍ ولم يَدَع كفنًا، قال: ماتَ رجلٌ من بني أُميّةَ من مُترَفِيهم يومَ مات بشرٌ، فقال عمرُ بنُ عبد العزيز: إذا كان المَدخَلان واحدًا فعَيشُ فلانٍ أحبُّ إلينا؛ يعني: بِشرٌ. فقال مُزاحم: إنّك لا تزالُ توغَرُ من أخيك، فقال: إذا رأيتُ الحقَّ قُلتُه، رضي الله عنه[٣].

* * *

[زياد بن أبي زياد]

[٩٠] **ومنهم**: زيادُ بنُ أبي زياد[٤]، وكان مولًى.

قال مالكٌ: كان زيادٌ عابدًا معتزلًا، لا يزال يذكرُ الله عزَّ وجلّ، ويَلبَسُ الصوف، ولا يأكُلُ اللحم[٥].

قال مُحمَّدُ بنُ المُنكَدِر: سمعتُ زيادًا وهو يُخاطبُ نفسَهُ في المسجد، ويقول: اجلسي، أينَ تُريدين، أين تذهبين، أتخرُجِين إلى أحسنَ مِن هذا المسجدِ[٦]؟

---

(١) انظر ترجمته في: «المعارف» لابن قتيبة (١: ٤٤٧)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١: ١٠).

(٢) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (١: ٤٤٧).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٩).

(٤) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٢٣٧)، و«المنتظم» (٧: ٩١).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٢٣٩)، و«المنتظم» (٧: ٩١).

(٦) من قوله: «اجلسي» إلى هنا ليس في (ق).

تريدين أن تُبصرِي دارَ فُلانٍ ودارَ فُلان، ما لَكِ من الطعام إلّا هذا الخبزَ والزيت، وما لَكِ من الثياب إلّا هذَين الثوبَين، وما لَكِ من النساء إلّا هذه العجوز، أفتُحبِّينَ أن تَموتي؟ فقالت: أنا أصبِرُ على هذا العيش[1]. رضي الله عنه.

❊ ❊ ❊

[علي بن عبد الله بن العباس]

[٩١] ومنهم: عليُّ بنُ عبد الله بن العبّاس بن عبد المُطَّلب[2].

وكان أجملَ قرشيٍّ على وجه الأرض، وأكثرَ صلاة، وكان يُقالُ له: السجّاد[3].

قال الأوزاعي: كان عليُّ بن[4] عبدِ الله بنِ العبّاس يَسجُدُ كلَّ يومٍ ألفَ سَجدة[5].

كان سَكنُه المدينة، وتُوفِّي بالشامِ سنةَ سبعَ عشرةَ ومئة، ويُقال: ثمانِ عشرةَ[6]، رضي الله عنه.

❊ ❊ ❊

[محمد بن علي بن الحسين]

[٩٢] ومنهم: محمَّدُ بنُ عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم[7].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٢٤٠)، و«المنتظم» (٧: ٩١).
(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ٢٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦١).
(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٣١٣).
(٤) قوله: «علي ابن» ليس في (ق).
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٠٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٤٨).
(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٥: ١٦٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٤١).
(٧) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٥: ٣٤٨)، و«حلية الأولياء» (٣: ١٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦١).

واسمُ ولدِه جعفر. [٧٩/ب]

قال يومًا: الصواعقُ تُصيبُ المؤمنَ وغيرَ المؤمن[١]، ولا تُصيبُ الذاكرَ[٢].

قال يومًا: الغِنى والعِزُّ يَجُولانِ في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكانٍ فيه[٣] التوكُّلُ أوطنا[٤].

وقال: ما دَخَلَ قلبَ امرئٍ[٥] شيءٌ من الكِبر إلّا نَقصَ من عقله مثلُ ما دخل من ذلك؛ قَلَّ أو كَثُر[٦].

قال شريكٌ: قال جابرٌ الجُعفيّ: قال مُحمَّدُ بنُ عليّ: يا جابر، إنّي لَمحزون، وإنّي لَمُشتغلُ القلب، قلت: ولِم؟

قال: يا جابر، إنّه مَن دَخَلَ قلبَه خالِصُ دِينِ الله تعالى شغلَه عمّا سواه، يا جابر، ما الدنيا وما عسى أن تكونَ؟ هل هي مركبٌ ركبتُه، أو ثوبٌ لبستُه، يا جابر، إنّ المؤمنين لم يطمئِنُّوا إلى الدنيا لبقاءٍ فيها، ولم يأمَنوا قُدُومَ الآخرة عليهم، ولم يَصُمَّهُم عن ذِكر الله تعالى ما سَمِعُوا بآذانهم من الفتنة، ولم يَعمِهِم عن نور الله تعالى ما رأوا بأعيُنِهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار[٧].

إنّ أهلَ التقوى أيسَرُ أهل الدنيا مؤونةً، وأكثرُهم لك مَعونةً، إن نسيتَ

(١) قوله: «وغير المؤمن» ليس في (د).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٢).
(٣) «فيه» ليس في (د).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٢)، وفيهما: «أوطناه».
(٥) في (ق): «أمر».
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٢).
(٧) في (د): «الأسرار».

ذكَّرُوك، وإن ذَكَرتَ أعانُوك، قَوّالينَ بحقّ، قوامينَ بأمر الله تعالى، فأنزِل الدنيا كمنزلٍ نَزَلتَ به وارتحَلتَ منه، أو كمالٍ[١] أصبتَه في منامِكَ فاستيقَظتَ وليس معك منه شيءٌ، فاحفَظِ الله عزَّ وجلَّ ما استرعاكَ من دينه وحِكمَتِه[٢].

وكان يقول: سلاحُ اللئام[٣] قبيحُ الكلام[٤].

وكان يقول: والله، لَموتُ عالِمٍ أحبُّ إلى إبليس من موتِ سبعينَ عابدًا[٥].

وكان إذا ضحك يقول: اللهُمَّ لا تَمقُتني[٦].

وقال: كان لي أخٌ عظيمٌ في عيني، وكان الذي عظَّمَه في عيني صِغَرُ الدنيا في عينه[٧].

قال أبو حمزة: قال محمَّدُ بنُ عليّ: ما من عبادةٍ أفضلُ من عفّة بطن، وإنّ أسرعَ الخير ثوابًا البِرّ، وأسرعَ الشرِّ عقوبةً البَغي، وكفى بالمرء عيبًا أن يُبصِرَ من الناس ما يَعمَى عليه من نفسه، وأن يأمُرَ الناسَ بما لا يستطيعُ التحوُّلَ عنه، وأن يُؤذِيَ جليسَه بما لا يعنيه[٨].

وكان رضي الله عنه كثيرَ البِرّ، كثيرَ الرحمة.

قال الأسودُ بنُ كثير: شَكَوتُ إليه الحاجةَ وجفاءَ الإخوان، فقال: بئسَ

---

(١) في (د): «أو كما».
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨٢).
(٣) في (ق) و(د): «الليالي»، والتصويب من المصادر.
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٦٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٤٠٨)، وصوابها: «سلاح اللئام قبح الكلام».
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٢).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٦٣).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٦٣).
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٤: ٢٩٣).

الأخُ أخٌ يرعاكَ غنيًّا ويقطعكَ فقيرًا، ثمَّ أعطاني كيسًا فيه سبعُ مئةِ درهم، وقال لي[١]: استَنفِق هَذِه، فإذا نَفِدَت فأعلِمنِي[٢].

تُوفِّي سنةَ سبعَ عشرةَ ومئة، وقيلَ غيرُ ذلك، وهو ابنُ ثلاثٍ وسبعين سنةً، وقيل غيرُ ذلك، وأوصى أن يُكفَّنَ في قميصه الذي كان يُصلِّي فيه[٣]، رضي الله عنه. [٨٠/أ]

❊ ❊ ❊

[عمر بن عبد العزيز]

[٩٣] **ومنهم**: عمرُ بنُ عبد العزيز بن مروانَ[٤].

ويُكنَّى: أبا حفصٍ.

أُمُّه أُمُّ عاصمٍ بنتُ عاصمِ بن عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنهم[٥].

قال محمَّدٌ المروزيّ: أخبرَني أبي، قال: لمّا دَفَنَ عمرُ بنُ عبد العزيز سليمانَ ابنَ عبد الملك وخَرَجَ من قبره سَمِعَ للأرض هدّةً أو رجّةً، فقال: ما هذه؟

فقيل: هذه مَراكبُ الخلافة يا أميرَ المؤمنين قُرِّبَت إليك لتركَبَها، فقال: ما لي ولها؟ نَحُّوها عنِّي، قرِّبوا لي[٦] بَغلَتي، فرَكِبَها، فجاءَه صاحبُ الشرطة يسيرُ

(١) «لي» ليس في (د).

(٢) «الإخوان» لابن أبي الدنيا (١٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٤).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٦٤).

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ٣٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ١١٤).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٣٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ١١٤-١١٥).

(٦) في (د): «إليّ».

بين يدَيه بالحربة، فقال: تنحَّ عنِّي، وما لي ولك، إنّما أنا رجلٌ من المسلمين، فسارَ وسارَ معه الناسُ حتَّى دَخَلَ المسجد، فصعد المنبر، واجتمع الناسُ إليه، فقال: أيُّها[1] الناس، إنّي قد ابتُلِيتُ بهذا الأمر من غير رأيٍ كان منِّي فيه، ولا طلبةٍ له، ولا مشورةٍ من المسلمين، وإنّي قد خَلَعتُ ما في أعناقِكُم من بَيعَتي، فاختارُوا لأنفُسِكُم، فصاحَ المسلمونَ صيحةً واحدةً: قد اخترناكَ يا أميرَ المؤمنين ورضيناك، فلِ أمرَنا باليُمن والبركة.

فلمّا هَدأت الأصواتُ ورَضِيَ به الناسُ جميعًا حَمِدَ الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه، وصلَّى على النبيِّ ﷺ، وقال: أُوصيكُم بتقوى الله عزَّ وجلَّ؛ فإنّ تقوى الله تعالى خَلَفٌ من كلِّ شيء، وليس من تقوى الله تعالى خَلَف، فاعمَلوا لآخرتكم؛ فإنّ مَن عَمِلَ لآخرتِه كفاهُ الله تعالى أمرَ دُنياه، وأصلِحُوا سرائِرَكُم يُصلِح الله الكريمُ لكم علانيَتَكُم، واذكُروا الموت، واحشُدوا له الاستعدادَ قبلَ أن يَنزِلَ بكم؛ فإنّه هادِمُ اللذّات، وإنّ مَن لا يذكُرُ من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلامُ أبًا حيًّا لمُعرِقٌ له في الموت[2].

وإنّ هذه الأُمّةَ لم تَختَلِف في ربِّها عزَّ وجلّ، ولا في نبيِّها ﷺ، ولا في كتابها، إنّما اختَلَفَت في الدينارِ والدِّرهَم، وإنّي والله لا أُعطي أحدًا باطلًا، ولا أمنعُ أحدًا حقًّا.

ثمَّ رَفَعَ صوتَه حتَّى أسمَعَ الناس، فقال: يا أيُّها الناس، مَن أطاعَ الله فقد وجَبَت طاعتُه، ومَن عصى الله تعالى فلا طاعةَ له، أطيعُوني ما أطَعتُ الله تعالى، فإذا عَصَيتُ فلا طاعةَ لي عليكم.

---

(١) في (ق): «يا أيها».

(٢) كذا في المصادر، وفي حاشية (د)، وأشار أنه في نسخة، وفي (ق) و(د): «في البيت».

ثمَّ نَزَلَ فدَخَل، فأمرَ بالستُور فهُتِكَت، والثيابِ التي كانت تُبسَطُ للخُلفاء فحُمِلَت، وأمرَ ببيعها وإدخالِ أثمانِها في بيتِ مال المسلمين، ثمَّ ذَهَبَ يَتبوَّأ مَقيلًا. [٨٠/ ب]

فأتاه ابنُه عبدُ الملك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما تريدُ أن تصنعَ؟ قال: أي بُنيّ، أقِيل، قال: تَقِيلُ ولا تَرُدُّ المظالم؟ قال: أي بُنَيَّ إنّي سَهِرتُ البارحةَ في أمر عمِّكَ سُليمان، فإذا صلَّيتُ الظُّهرَ رَددتُ المظالم، فقال: يا أميرَ المؤمنين، مَن لك أن تعيشَ إلى الظهر، ومن أين لك بقاءُ هذه النيّة؟

قال: ادنُ مني، فدَنا منه، فالتَزَمَه، وقبَّلَ بين عينَيه، وقال: الحمدُ لله الذي أخرجَ مِن صُلبي من يُعينُني على ديني.

فخرجَ ولم يَقِل، وأمَرَ مُناديًا ينادي: ألا مَن كانت له مظلمةٌ فليَرفَعها، فقامَ إليه رجلٌ ذِمِّيٌّ من أهل حمص، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أسألُكَ كتابَ الله عزَّ وجلّ، قال: وما ذاك؟ قال: العبّاسُ بنُ الوليد بن عبد الملك اغتَصَبَني أرضي، والعبّاسُ جالسٌ، فقال له: يا عبّاس، ما تقول؟

فقال: أقطَعَنِيها أميرُ المؤمنين الوليدُ بنُ عبد الملك، وكتبَ لي بها سِجِلًّا، فقال عمر: ما تقولُ يا ذميُّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أسألُكَ كتابَ الله عزَّ وجلّ، فقال عمر: كتابُ الله عزَّ وجلَّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ من كتاب الوليد، فاردُد عليه يا عبّاسُ ضَيعتَه، فرَدَّ عليه، وجَعَلَ لا يَدَعُ شيئًا ممّا كان في يد أهل بيته من المظالم إلّا رَدَّها مَظلِمةً مَظلِمةً، فلمّا بلَغَت الخوارجَ سيرةُ عمرَ وما ردَّ من المظالم اجتمعوا، وقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتلَ هذا الرجل[1].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٥: ٣٥٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٥).

ولهذا تتمّةٌ ذكرتُها في كتاب «**قمع النفوس**» مع أمورٍ أُخَر.

قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل رضي الله عنه: يُروَى في الحديث: «**أنّ الله تعالى يبعثُ على رأس كلِّ مئة عامٍ من يُصحِّح لهذه الأُمّة دينَها**»[١]، فنَظَرنا في المئة الأولى فإذا هو عمرُ بنُ عبد العزيز، ونظرنا في المئة الثانية فنراهُ الشافِعيَّ[٢].

قال مالكُ بنُ دينار: «لمّا وُلِّيَ عمرُ بنُ عبد العزيز قالت رِعاءُ الشاءِ على رُؤوس الجبال: مَن هذا الخليفةُ الصالحُ الذي قد قامَ على الناس؟ فقِيل لهم: وما عِلمُكُم بذلك؟ فقالوا: إنّه إذا قامَ خليفةٌ صالحٌ كَفَّ الذئابُ والأسدُ عن شياتِنا[٣].

قال عبدُ الله بنُ مسلمةَ[٤]: قال أبي: دخلتُ على عُمرَ بن عبد العزيز وعنده كاتِبٌ يكتب، وشَمعةٌ تَزهَر، وهو ينظُرُ في أمور المسلمين، فلمّا خَرَجَ الرجلُ أُطفِئَت الشمعة، وجيءَ بسِراج، فدنوتُ منه، فرأيتُ عليه قميصًا فيه رُقعةٌ قد طبَّقَت ما بين كتفَيه، فنظرَ في أمري[٥].

[٨١/أ] قال / رجاءُ بنُ حيوة: كان عمرُ بنُ عبد العزيز مِن أعطَرِ الناس وألبَسِهم، فلمّا استُخلِفَ قوَّموا ثيابَه باثنَي عشرَ درهمًا، كُمَّتَه[٦]، وعمامتَه، وقميصَه، وقباءَه، وقرطبَه، وخُفَّيه، ورداءَه[٧]. رضي الله عنه.

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩١)، و«معرفة السنن والآثار» (٤٢٢)، قال السخاوي: «سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، وكذا صحَّحه الحاكم». انظر: «المقاصد الحسنة» (٢٠٣).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٣٨-٣٣٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٤).

(٣) في (ق): «شاتنا»، وانظر: «سير السلف الصالحين» (٨٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٧).

(٤) في (د): «مسلم».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٣٢٣).

(٦) في (د): «كميه».

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٠٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٨).

دَخَلَ مسلمةُ بنُ عبد الملك على عمرَ بن عبد العزيز يعودُه في مرضه، فإذا عليه قميصٌ وَسِخٌ، فقال لفاطمةَ بنت عبد الملك: يا فاطمة، اغسِلي قميصَ أميرِ المؤمنين، فقالت: نفعلُ إن شاءَ الله تعالى، ثمَّ عادَه فإذا القميصُ على حالِه[١]، فقال: يا فاطمة، أَلَم آمُرْكُم أن تغسِلُوا قميصَ أمير المؤمنين؛ فإنّ الناسَ يعودُونَه؟ فقالت: والله ما له قميصٌ غيرُه[٢].

بكى يومًا فبكَى أهلُ الدار، فقالت له زوجتُه: ممَّ[٣] بكيت؟

قال: ذكرتُ مُنصَرَفَ القومِ من بين يدَي الله عزَّ وجلّ؛ فريقٌ في الجنّة، وفريقٌ في السعير، ثمَّ صرخَ وغُشِيَ عليه[٤].

قال هاشمٌ: لمّا كانت الصرعةُ التي هلكَ فيها عمر دَخَلَ عليه مَسلَمةُ بنُ عبد الملك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنّك أقفَرتَ[٥] أفواهَ وَلدِكَ من هذا المال، وتركتَهُم عَيلةً لا شيءَ لهم، فلو أوصَيتَ إليَّ بهم، وإلى نُظَرائي من أهل بيتك؟

فقال: أسنِدوني، ثمَّ قال: أمّا قولُك: إنّي أقفَرتُ أفواهَ ولدي من هذا المال، فوالله إنّي ما منعتُهُم حقًّا هو لهم، ولم أُعطِهِم ما ليسَ لهم، وأمّا قولُك: لو أوصيتُ بهم، فإنّ وصِيِّيَ ووَلِيِّيَ فيهم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، بَنِيَّ أحدُ رجُلَين؛ إمّا رجلٌ يتّقي الله تعالى فسيجعلُ الله عزَّ وجلَّ

---

(١) «حاله» ليس في (ق).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٥٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٨).

(٣) في (د): «لم».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٨).

(٥) كذا في (ق) و(د)، و«حلية الأولياء» (٥: ٣٣٣)، وفي «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم (١٠١)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٣٠٠): «فغرت»، وفي «المنتظم» (٧: ٧٠): «أفقرت».

له مَخرجًا، وإمّا رجلٌ مُكِبٌّ على المعاصي؛ فإنّي لم أكن مُقوِّيه على معاصي الله عزَّ وجلّ، ثم بعثَ إليهم وهُم بضعة عشر ذَكرًا، فنظرَ إليهم، فذَرَفَت عيناه، ثمَّ قال: بنفسي الفتيةُ التي تركتُهُم عَيلةً لا شيءَ لهم؛ فإنّي بحَمدِ الله تعالى قد تركتُهُم بخير.

أي بَنِيّ، إنّ أباكم بين أمرَين؛ بين أن تستَغنُوا ويدخُلَ[1] أبوكُم النار، أو تفتَقِرُوا ويدخلَ أبوكم الجنّة، فكان[2] أن تفتَقِرُوا ويدخلَ الجنّة أحبَّ إليه من أن تستَغنُوا ويدخلَ النار، قوموا[3] عصمَكُم الله عزَّ وجلَّ[4].

[٨١/ ب] قال القاسمُ بنُ غزوان: كان عمرُ بنُ عبدِ العزيز يتمثَّل بهذه الأبيات:

أَيَقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائِمُ ... وكَيفَ يُطِيقُ النَّومَ حَيرانُ هائِمُ
فلَو كُنتَ يَقظانَ الغَداةِ[5] لَحرَّقَت[6] ... مَحاجِرَ عَينَيكَ الدموعُ السَّواجِمُ
بل أصبَحتَ فِي النَّومِ الطَّويلِ وقَددَنَت ... إلَيكَ أُمُورٌ مُفظِعاتٌ عَظائِمُ
نَهارُكَ يا مَغرُورُ سَهوٌ وغَفلَةٌ ... ولَيلُكَ نَومٌ والرَّدَى لَكَ لازِمُ
يَغُرُّكَ ما يَفنَى وتُشغَلُ بالمُنَى ... كَما غُرَّ باللَّذّاتِ فِي النَّومِ حالِمُ
وَتُشغَلُ فِيما سَوفَ تكرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ فِي الدُّنيا تعيشُ البَهائِمُ
فَلا أنتَ فِي الأيقاظِ يَقظانُ حازِمٌ ... ولا أنتَ فِي النُّوّامِ نائمٌ سالِمُ[7]

---

(١) في (ق): «وبين أن يدخل». (٢) في حاشية (د): «جوابهم له أنا».

(٣) قوله: «تفتقرُوا ويدخل الجنّة أحبُّ إليه من أن تستغنُوا ويدخل النار، قوموا» في (د): «نفتقر وتدخل الجنة أحبُّ إلينا من أن نستغني وتدخل النار، فقال لهم: قوموا».

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٠٥)، و«حلية الأولياء» (٥: ٣٣٣)، و«المنتظم» (٧: ٧٠).

(٥) في (د): «الفؤاد». (٦) في (د): «لخرقت».

(٧) البيت الأخير مثبت من (د)، والأبيات من بحر الطويل. وانظر: «الزهد» لابن أبي الدنيا (٤٥٧)، و«حلية الأولياء» (٥: ٣٢٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٥: ٢٤٤).

قال أبو سُلَيمٍ الهُذَليّ: خَطَبَ عمرُ بنُ عبد العزيز، فقال:

أمّا بعدُ،

فإنّ الله تعالى لم يَخلُقكُم عبثًا، ولم يَدَع من أمرِكُم شيئًا سُدًى، وإنّ لكم معادًا[١]، فخابَ وخسرَ مَن خرجَ من رحمةِ الله عزَّ وجلّ، وحُرِمَ الجنّةَ التي عرضُها السماواتُ والأرض، واشترى قليلًا بكثير، وفانيًا بباقٍ، وخوفًا بأمن، ألا ترونَ أنّكم في أسلافِ الهالِكين؟! وسيَخلُفُها بعدكم الباقون كذلك، حتَّى تُرَدَّ إلى خيرِ الوارِثين، في كلِّ يومٍ وليلةٍ تُشَيِّعونَ غاديًا ورائحًا إلى الله عزَّ وجلّ، فقد قضى نحبَه وانقضى أجلُه؛ حتَّى تُغيِّبوه في صدعٍ من الأرض في بطنِ صَدع، ثمَّ تَدَعُونَه غيرَ مُمَهَّدٍ ولا مُوَسَّد، قد خلعَ الأسبابَ، وفارقَ الأحباب، وسكنَ التراب، وواجَه الحساب، مُرتَهِنًا بعملِه، فقيرًا إلى ما قدَّم، غنيًّا عمّا ترك، فاتَّقوا الله عزَّ وجلَّ قبل نُزولِ الموت، وأيمُ الله، إنّي لأقول[٢] لكم هذه المقالةَ وما أعلمُ عند أحدٍ منكُم من الذنوبِ ما أعلَمُ عندي، وقد سبقَ في علمِ الله عزَّ وجلَّ كتابٌ ناطقٌ، وسنةٌ عادلةٌ، أمر[٣] فيها بطاعتِه[٤]، ونهى فيها عن مَعصيَتِه، ثمَّ وضعَ طرفَ ردائه على وَجهِه، فبكى وشَهِقَ وبكى الناسُ.

وكانت آخِرَ خطبةٍ خطَبَها[٥].

تُوفِّي لعشرِ ليالٍ بَقِينَ من رجب سنةَ إحدى ومئة، وهو ابنُ تسعٍ وثلاثين سنةً وستّةِ أشهر، وكانت خلافتُه سنتَين وخمسةَ أشهر، ومات بدَير سِمعانَ[٦]،

---

(١) في (ق): «معاذًا».
(٢) في (ق) و(د): «لا أقول».
(٣) في (ق): «له».
(٤) في (ق): «طاعته».
(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» (٨٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٠).
(٦) في حاشية (د): «من أعمال المَعَرَّة من لواء ولاية حلب، وقبره مشهور هناك».

ودُفِنَ هناك[١]، رحمة الله عليه، ورضي الله عنه.

* * *

[عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهم]

[٩٤] **ومنهم**: عامِرُ بنُ عبد الله بن الزبير بن العوّام[٢]، رضي الله عنه.

قال مالكٌ: كان عامرٌ يقفُ مَوضِعَ الجنائز ويدعو وعليه قطيفةُ فَرو، فربَّما سقطَت عنه وما يَشعُر[٣].

وقال مالكٌ أيضًا: «ربَّما خَرَجَ عامرٌ مُنصرِفًا من العتمةِ مِن مَسجِد رسول الله ﷺ، / [٨٢/أ] فيَعرِضُ له الدعاءُ قبل أن يَصِلَ إلى منزله، فيرفَعُ يديه، فما يزالُ كذلك حتَّى يُنادَى بالصبح، فيَرجِعُ إلى المسجد، فيُصلِّي الصبحَ بوُضوء العَتمة»[٤].

وكان له إيثارٌ وأيُّ إيثار، كانت تأتيه البَدرةُ وفيها عشرةُ آلاف، فيعطيها[٥]، فما يُصلِّي العَتمةَ وعنده منها درهمٌ[٦].

وكان رضي الله عنه يتحيَّنُ العُبّادَ وهم سجود؛ كأبي حازم، وصفوانَ ابنِ سُليم، وسليمانَ بن سحيم[٧]، وأشباهِهم، فيأتيهم بالصُّرّة وفيها الدنانيرُ والدراهم، فيضعُها عند نِعالهم، يُحِسُّونَ بها ولا يشعرونَ بمكانه، فيُقالُ له: ما

---

(١) انظر: «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (١٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧١).

(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٦)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٤٣).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٤٤).

(٥) في (ق): «فيعطها».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣).

(٧) في (ق): «سجيم».

يمنعكَ أن تُرسِلَ بها إليهم؟ فيقول: أكرهُ أن يتمعَّر وجهُ أحدِهم إذا نظرَ إلى رسولي وإذا لَقِيَني[١].

قال عبّاسُ بنُ المغيرة: «كان عامرٌ[٢] إذا شَهِدَ جنازةً وقَفَ على القبر، فقال: ألا أراكَ ضيِّقًا، ألا أراكَ مُظلِمًا، إن سلمتُ لأتأهَّبَنَّ لك أُهبَتك، فأوَّل شيءٍ تراهُ عيناه من ماله يتقرَّب به إلى رَبِّه»[٣].

قال مُصعَبُ بنُ عبد الله: «سَمِعَ عامرٌ المؤذِّنَ وهو يَجُودُ بنفسه، ومنزِلُه قريبٌ من المسجد، فقال: خُذُوا بيدي، فقيل له: إنّكَ عليل، فقال: أسمَعُ داعيَ ربِّي، فلا أُجِيبه، فأخذوا بيده، فدَخَلَ في صلاةِ المغرب، فركعَ مع الإمامِ ركعةً ثمَّ مات»[٤].

توفِّي سنة أربعٍ وعشرين ومئةٍ[٥]، رضي الله عنه.

* * *

[أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رضي الله عنه]

[٩٥] ومنهم: أبو بكر بنُ[٦] محمَّد بن عمرو بن حزم[٧].

ولّاه عمرُ بنُ عبد العزيز إمارةَ[٨] المدينة[٩].

---

(١) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣).

(٢) «كان عامر» ليس في (ق).

(٣) انظر: «جمهرة نسب قريش وأخبارها» (٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣).

(٤) انظر: «جمهرة نسب قريش وأخبارها» (٢٢١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٢٢٠).

(٦) «ابن» ليس في (د).

(٧) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).

(٨) في (ق): «إمرة».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).

قالت امرأتُه: ما اضطجعَ أبو بكرٍ على فراشه منذُ أربعينَ سنةً بالليل[١].

توفِّي سنة عشرين ومئة، وهو ابنُ أربعٍ وثمانين سنةً[٢]، رضي الله عنه.

❋ ❋ ❋

[محمد بن كعب القُرَظي رضي الله عنه]

[٩٦] ومنهم: مُحمَّدُ بنُ كعب القُرَظيُّ[٣].

يُكنَّى: أبا حمزة[٤].

قال عبدُ الله بنُ المبارك: قال موسى بنُ عبدة: قال محمَّدُ[٥] بنُ كعب: «إذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ بعبدٍ خيرًا جعلَ له ثلاثَ خصال: فِقهًا في الدين، وزهادةً في الدنيا، وبصرًا بعيوبه»[٦].

قال عبدُ الله بنُ وهب: قال محمَّدُ بنُ كعب: «لَأن أقرأ في لَيلَتِي حتَّى أُصبح: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، لا أزيدُ عليهما، وأتردَّدُ فيهما، وأتَفَكَّر، أَحَبُّ إليَّ من أن أهُذَّ القرآنَ أو أنثُرَه»[٧].

قالت له أُمُّه: «يا بُنيّ، لولا أنِّي أعرِفُكَ صغيرًا طيِّبًا، وكبيرًا طيِّبًا، لظننتُ

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٤٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).

(٣) انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (١: ٢١٦)، و«رجال صحيح البخاري» (٢: ٦٧٥)، و«حلية الأولياء» (٣: ٢١٢).

(٤) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (١: ٢١٦)، و«الكنى والأسماء» للإمام مسلم (١: ٢٤٣).

(٥) «محمد» ليس في (د).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢١٣).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢١٤).

أنّك أحدثتَ ذنبًا مُوبِقًا؛ لِما أراكَ تصنعُ بنفسك في الليلِ والنهار، فقال: يا أُمّاه، وما يُؤمِّنُني أن يكون الله عزَّ وجلَّ قد اطَّلَعَ عليَّ وأنا في بعض ذنوبي فقال: اذهب لا أغفر لك، مع أنّ عجائبَ القرآن تَرِدُ بي على أمورٍ حتَّى إنّه لينقضيَ الليلُ ولم أفرُغ من حاجتي»[١]. [٨٢/ب]

قال الواقديّ: «مات سنةَ سبعَ عشرة، أو ثمانِ عشرةَ ومئة، وقيل غيرُ ذلك»[٢].

كان يقُصُّ على أصحابه، فسقطَ المسجدُ عليه وعليهم، فقَتَلَهُم رحمةُ الله عليهم أجمعين[٣].

* * *

[أبو عمرو بن حِماس[٤]]

[٩٧] ومنهم: أبو عمرو بنُ حِماس[٥].

قال مالكٌ رضي الله عنه: «كان يونسُ[٦] ـ يعني: ابنُ حِماس ـ من العُبّاد، أو من خيار الناس، فأقبلَ ذات يومٍ وهو رائحٌ من المسجد، فلَقِيَتهُ امرأة، فوقَعَ

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢١٤).

(٢) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٤٥٩)، و«رجال صحيح البخاري» (٢: ٦٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٥).

(٤) حِماس: قال ابن ماكولا في «الإكمال» (٢: ٥٠٠): «حِماس؛ بالسين المهملة، فهو حماس بن عمرو الليثي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، روى عنه ابنه أبو عمر»، وفي «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧: ٢٥٧): «بكسر المهملة والتخفيف، وآخره مهملة».

(٥) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ١٦٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٥).

(٦) قال ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١: ٣٧٥): «وقد اختُلِف علينا في اسمه؛ فقيل: يوسف ابن يونس، وقيل: يونس بن يوسف».

في نفسه منها، فقال: اللَّهُمَّ إنّك جعَلتَ بصري نعمةً، وقد خشِيتُ أن يكون نِقمةً عليَّ[1]، فاقبِضه إليك، فعَمِي، فكان يروحُ إلى المَسجدِ يقودُه ابنُ أخٍ له، فإذا استقبلَ به الأسطوانةَ استقبلَ الصبيُّ يلعبُ مع الصبيان، فإذا نابَته[2] حاجةٌ حصَبه، فأقبَلَ إليه، فبَينا هو ذاتَ يومٍ ضَحوةً في المسجد إذ أحَسَّ في بطنه بشيء، فحَصَبَ الصبيّ، فشُغِلَ مع الصبيانِ حتَّى خافَ الشيخُ على نفسِه، فقال: اللهُمَّ إنّك كنت جعلتَ لي بصرًا نعمةً، وخشيتُ أن يكونَ لي نقمةً، فسألتُكَ فقبَضتَه إليك، وقد خشِيتُ الفضيحةَ، فرُدَّه إليّ، فانصرَفَ إلى منزلِه صحيحًا يمشي، قال مالكٌ: فرأيتُه أعمى، ورأيته صحيحًا»[3].

قال محمَّدُ بنُ طلحة: «كان أبو عمرٍو متعبِّدًا مجتهِدًا يُصَلِّي الليل، وكان بعد رَدِّ بصرِه يصومُ الدهر»[4]، رضي الله عنه.

* * *

[محمد بن المنكدر]

[٩٨] **ومنهم: محمَّدُ بنُ المُنكَدِر**[5].

وكان مذكورًا بالصلاحِ والعبادة.

قال الحارثُ الصوّاف: قال محمَّدُ بنُ المنكدِر: «كابَدتُ نفسي أربعين سنةً حتَّى استقامت»[6].

---

(١) في (ق): «عليّ نقمة». (٢) في (د): «أنابته».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٥)، و«أسماء شيوخ مالك» لابن خلفون (٣٩٣).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٥).

(٥) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٨).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٥١).

قال سفيان: «كان يقومُ من الليلِ يُصَلِّي، وكان له جارٌ مُبتلًى، فكان يرفَعُ صوتَه من الليلِ يَصيح، فكانَ محمَّدٌ يرفعُ صوتَه بالحمد، فقِيلَ له في ذلك، فقال: يرفعُ صوتَه بالبلاء، وأرفعُ صوتي بالنعمة»[١].

وكان ليلةً يُصلِّي فاستبكَى، فكَثُرَ بكاؤُه حتَّى فزِعَ له أهلُه، وسألوه ما الذي أبكاه؟ فاستعجَمَ عليهم[٢]، فتمادَى في البكاء، فأرسَلوا إلى أبي حازم، فأخبَروه بأمره، فجاءَ فوجدَه يَبكي، فقال: يا أخي، ما الذي أبكاكَ؟ قد رُعتَ أهلَك. فقال: إني مَرَّت بي آيةٌ من كتابِ الله عزَّ وجلّ، فقال: ما هي؟ فقال: قولُه عزَّ وجلّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، / فبكى أبو حازمٍ معه، [٨٣/أ] واشتدَّ بكاؤُه، فقال بعضُ أهلِه لأبي حازم: جِئناك لتُفرِّجَ عنه فزِدتَه، فأخبَرَهُم ما الذي أبكاهُما[٣].

كان لمحمَّدٍ ابنٌ وكان يُمسِكُ المصحفَ له، قال ابنُه: فمَرَّت مَولاةٌ له فكَلَّمَها فضحكَ إليها، ثمَّ أقبَلَ يقول: إنّا لله إنّا لله، حتَّى ظنَنتُ أنّه حدثَ شيءٌ، فقلت: ما لَكَ؟ فقال: أما كان لي في القرآن شُغلٌ حتَّى كلَّمتُها[٤].

قال أبو معشر: «بَعثَ مُحمدُ بنُ المُنكَدِرِ إلى صَفوانَ بنِ سُلَيمٍ[٥] بأربَعِينَ دِينارًا، ثمَّ قال لبَنيه: يا بَنِيّ، ما ظنُّكُم برجُلٍ فرَّغ صفوانَ لعبادةِ ربِّه عزَّ وجلَّ؟»[٦].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٣٥٥).

(٢) «عليهم» ليس في (د).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٩).

(٥) كذا في المصادر، وفي النسخ: «صفوان بن سليمان».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٥٥).

قال جعفرُ بنُ سليمان: «كان مُحمدُ بنُ المُنكدِرِ يضعُ[١] خدَّه على الأرض، ثمَّ يقول لأُمِّه: ضعِي قدَمَكِ على خدِّي»[٢].

قال سفيانُ بنُ عُيينة: قال محمدُ بنُ المُنكَدِر: «الفقيهُ يَدخُلُ بين الله عزَّ وجلَّ وبين عبادِه، فليَنظُر كيف يَدخُل»[٣].

قال عِكرِمة: «جَزِعَ محمَّدُ بنُ المُنكَدِرِ عند الموت، فقيلَ له: لِمَ تجزَع؟ فقال: أخشى آيةً من كتاب الله عزَّ وجلّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾، فإنِّي أخشى أن يَبدُوَ لي من الله تعالى ما لم أكُن أحتَسِب، فما زالَ صفوانُ يُهَوِّنُ عليه الأمرَ[٤] حتَّى لكأنَّ في وجهِه المصابيحُ»[٥].

تُوفِّي محمدُ بنُ المُنكدِرِ بالمدينةِ الشريفةِ سنةَ ثلاثين أو إحدى وثلاثين ومئة، رضي الله عنه[٦].

* * *

[عمر بن المنكدر]

[٩٩] **ومنهم**: عمرُ بنُ المُنكَدِر، أخو محمَّد[٧].

قالت له أُمُّه: «يا عمر، إنِّي أشتهي أن أراكَ نائمًا، فقال: يا أُمّاه، واللهِ إنَّ الليل

---

(١) في (د): «يضيع».
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٥٧).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٩).
(٤) في (د): «الأمور».
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٦٧).
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٠).
(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٨٥).

لَيرِدُ عليَّ فيَهُولُني فينقضي[1] عنّي، وما قضيتُ[2] منه إرْبِي»[3].

قال سالمٌ أبو بسطام: «كان عمرُ بنُ المنكدِرِ لا ينامُ الليلَ يُكثِرُ البكاءَ على نفسه، فشَقَّ ذلك على أُمِّه، فقالت لأخيه محمَّد: إنّ الذي يصنعُ عمرُ يشُقُّ عليّ، فلو كلَّمتَه في ذلك فاستعانَ عليه بأبي حازم، فقالا له: إنّ الذي تصنع يَشُقُّ على أُمِّك، فقال: كيف أصنع؟ إنّ الليلَ إذا دخلَ عليَّ هالَني فأستَفتِحُ القرآنَ، وما تنقضي نَهمَتِي فيه، قالا: فالبكاء، قال: آيةٌ من كتاب الله عزَّ وجلَّ أبكَتني، قالا: وما هي؟ قال: قولُه عزَّ وجلّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾»[4].

قال عبدُ الرحمن بنُ حفص: «بَعَثَ بعضُ الأمراءِ إلى عمرَ بن المنكدِرِ بمال، فجاءَه الرسول، فوضَعه بين يدَيه، فجَعَلَ عمرُ ينظرُ إليه ويبكي، ثمَّ جاءَ / أخوه [٨٣/ب] أبو بكر، فلمّا رأى عمرَ يبكي جلسَ يبكي لبكائه، ثمَّ جاءَ محمَّدٌ فجلسَ يبكي لبكائهما، فاشتدَّ بكاؤُهُم جميعًا، فبكى الرسولُ لبكائهم، ثمَّ أرسلَ إلى صاحبه فأخبرَه، فأرسلَ ربيعةَ يستعلِمُ البكاء، فلمّا جاء ذَكرَ ذلك لمُحمَّد، فقال محمد: سَلْه؛ فهو أعلَمُ ببُكائه، فاستأذنَ عليه ربيعة، فقال: يا أخي، ما الذي أبكاكَ من صِلة الأمير؟ فقال: إنّي والله خشيتُ أن تغلبَ الدنيا على قلبي، فلا يكون للآخرة فيه نصيبٌ، فذلك الذي أبكاني، ثمَّ أمَرَ بالمالِ فتصدَّقَ به على فقراءِ أهلِ المدينة، فجاءَ ربيعةُ فأخبرَ الأمير بذلك فبكى، وقال: هكذا والله يكون أهلُ الخير»[5]، رضي الله عنه.

---

(١) في (د): «فيقضي». (٢) في (د): «ينقضي».

(٣) «مختصر قيام الليل» للمروزي (٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٨٥).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٨٥).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٠).

[سعد بن إبراهيم]

[١٠٠] ومنهم: سعدُ بنُ إبراهيم.

يُكنَّى: أبا إسحاق(١).

وُلِّيَ قضاءَ المدينةِ الشريفة(٢).

قال شُعبة: «كان سعدٌ يصومُ ويقرأُ القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلة، وسرَدَ الصومَ أربعين سنةً»(٣).

قال مِسعَر: «قيل لسعد: مَن أفقَهُ أهلِ المدينة؟ قال: أتقاهُم لربِّه»(٤).

قال ابنُه: «كان أبي يحتَبي، فما يَحُلُّ حَبوتَه حتَّى يقرأ القرآن، وكان إذا كانت ليلةُ إحدى وعشرين، وثلاثٍ وعشرين، وخمسٍ وعشرين، وسبعٍ وعشرين، وتسعٍ وعشرين لم يُفطر حتَّى يَختِمَ القرآن، وكان كثيرًا إذا أفطرَ يُرسِلُني إلى المساكين فيأكلونَ معه»(٥)، رضي الله عنه.

تُوفِّي بالمدينةِ الشريفةِ سنةَ سبعٍ وعشرين ومئة، وهو ابنُ اثنَتين(٦) وسبعِين سنةً(٧). رضي الله عنه.

* * *

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (١: ٣٨٤).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

(٦) في (د): «اثنين».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

[ربيعة بن أبي عبد الرحمن]

[١٠١] **ومنهم**: ربيعةُ بنُ أبي عبد الرحمن[١].

واسمُ أبي عبد الرحمن: فَرُّوخ.

ويُكنَّى ربيعةُ: أبا عثمان، وهو شيخُ مالكٍ[٢].

قال ابنُ زيد: «مَكَثَ ربيعةُ دهرًا طويلًا عابدًا يُصلِّي الليلَ والنهارَ»[٣].

طَلَبَ السَّفّاحُ ربيعةَ إلى الأنبار ليُولِّيَه، فلم يَقبَل، وعَرَضَ عليه العطاءَ فلَم يَقبَل[٤].

قال سفيان: «كان ربيعةُ يومًا جالسًا، فغطَّى رأسَه، ثمَّ اضطجعَ وبَكى، فقيل له: ما يُبكِيك؟ فقال: رياءٌ ظاهر، وشهوةٌ خفيّةٌ»[٥].

قال يومًا: «لقد رأيتُ مشيَخةَ المدينة وإنّ لهم لغَدائر، وعليهم المُمَصَّر والمُوَرَّد، في أيديهم المَخاصر، وفي أيديهم آثارُ الحِنّاء في هيئة الفِتيان، ودِينُ أحدهم أبعدُ من الثُّريّا إذا أُريدَ على دينِه»[٦].

توفِّي ربيعةُ بالأنبار، وقيل: بل رجع إلى المدينةِ فمات بها، وذلك في سنة ستٍّ وثلاثين ومئة.

قال مالكٌ: «ذَهَبَت حلاوةُ الفقهِ منذُ مات ربيعةُ»[٧]، رضي الله عنه.

---

(١) انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (٣: ٢٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٢).

(٢) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٣: ٢٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٤١٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٣). (٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٥٩).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٤)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٤٢٣).

[صفوان بن سليم]

[١٠٢] ومنهم: صفوانُ بنُ سُلَيم.

[٨٤/أ] يُكنَّى: أبا عبد الله(١).

قال أبو حازم: «عادَلَني صفوانُ إلى مكّة، فما وضَعَ جنبَه إلى المَحملِ حتَّى رجعَ»(٢).

قال سليمانُ بنُ سالم: «كان صفوانُ في الصيفِ يُصلِّي بالليل في البيت، فإذا كان الشتاءُ يُصلِّي(٣) في السطح؛ لئلّا ينام»(٤).

قال أنسُ بنُ عياض: «رأيتُ صفوان، ولو قِيل له: غدًا القيامة، ما كان عندَه مزيدٌ على ما هو عليه من العبادة»(٥).

قال أبو علقمة: «كان صفوانُ لا يكادُ يَخرجُ من مسجدِ رسول الله ﷺ، فإذا أرادَ أن يخرُجَ بكى، وقال: أخافُ ألّا أعودَ إليه»(٦).

قال محمَّدُ بنُ أبي منصور: «إنّ صفوانَ أعطى الله عزَّ وجلَّ عهدًا ألّا يَضَعَ جنبَه على فراشٍ حتَّى يَلحَقَ بربِّه، قال: فبَلَغَني أنّه عاشَ بعد ذلك أربعين سنةً لم

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٣) في (ق): «صلى».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٢٩).

يَضَع جنبَه، فلمّا نَزَلَ به المَوتُ قيل له: رَحِمَكَ الله تعالى، ألا تضطَجِع؟ فقال: ما وفَّيتُ لله عزَّ وجلَّ بالعهد إذًا، فأُسنِد، فما زالَ كذلك حتَّى خَرَجَت نفسُه»[١].

قال: ويقولُ أهلُ المدينة: «إنّه نُقِبَت جَبهتُه من كثرةِ السُّجود»[٢].

قال أبو مروان: «انصرَفتُ مع صفوانَ من العِيدِ إلى منزِله، فجاءَ بخُبزٍ يابس، فجاءَ سائلٌ، فقامَ إلى كُوّة، فأخذَ منها شيئًا فأعطاه، فاتَّبَعتُ ذلك السائلَ لأنظُر ما أعطاه، فإذا هو يقول: أعطاه الله تعالى أفضلَ ما أعطى أحدًا من خَلقِه، فقلت: وما أعطاك؟ فقال: أعطاني دينارًا»[٣].

قال سُفيان: «جاءَ رجلٌ من أهلِ الشام، فقال: دُلُّوني على صفوانَ؛ فإنّي رأيتُه دَخَلَ الجنّة، فقلت: بأيِّ شيءٍ؟ فقال: بقمِيصٍ كساه لإنسان، قال بعضُ إخوانِ صفوان، فسألتُ صفوانَ عن قصّةِ القميص، فقال: خرَجتُ من المسجدِ في ليلةٍ باردة، وإذا رجلٌ عريان، فنزَعتُ قميصي فكسوتُه إيّاه»[٤].

قال أبو كَثيرِ بنُ يحيى: «قَدِمَ سليمانُ بنُ عبد الملك المدينةَ وعمرُ بنُ عبد العزيز عاملُهُ عليها، فصلَّى بالناسِ الظهر، ثمَّ فتحَ بابَ المقصورة، واستندَ إلى المحرابِ بوَجهِه، فنَظَرَ إلى صفوانَ من غيرِ معرفة، فقال: يا عمر، مَن هذا الرجل، ما رأيتُ سَمْتًا أحسنَ منه؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، هذا صفوانُ بنُ سُلَيم.

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٦٦).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٥)، و«تهذيب الكمال» (١٣: ١٩٠).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٣١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٥).

فقال: يا غُلام، كِيسٌ فيه خمسُ مئة دينار، فأُتِيَ بكيسٍ فيه ذلك، فقال لخادِمه: ترى هذا الرجلَ القائمَ يُصلِّي؟ فأثبَتَه الغلام، ثمَّ خرجَ إليه بالكيس، فلمّا نَظَرَ إليه صفوانُ ركعَ وسجد، ثمَّ سلَّمَ وأقبَلَ عليه، فقال: ما حاجتُكَ؟

[٨٤/ب] قال: أمرَني[١] أميرُ المؤمنين، وهو ذا[٢] ينظرُ إليك وإليَّ أن أدفعَ إليك هذا الكيس، وفيه خمسُ مئةِ دينار، وهو يقول لك: استَعِن به على زمانِكَ وعلى عيالِك، فقال صفوانُ للغلام: ليس أنا الذي أُرسِلتَ إليه، فقال الغلام: ألستَ صفوانَ؟ فقال: بلى، فقال: إليك أُرسِلتُ.

فقال: اذهب[٣] فاستَثبِت، فإذا أثبتَّ فهلُمّ، فقال الغلام: فأمسِك الكيسَ معك وأذهَبُ، فقال: لا؛ إذا أمسكتُه فقد أخذتُه، ولكن اذهب فاستَثبِت، فولَّى الغلام، وأخذَ[٤] صفوانُ نعلَيه وخرج، فلم يُرَ بها حتَّى خرجَ سليمانُ من المدينة»[٥].

ذُكِرَ للإمام أحمدَ بنِ حنبلٍ صفوانُ وقلّةُ حديثِه، وأشياءُ خُولِفَ فيها، فقال: «هذا رجلٌ إنّما كان يُستَشفَى بحديثِه، ويُستَنزَلُ القطرُ بذِكرِه»[٦].

قال ابنُ أبي حازم: «دخلتُ أنا وأبي نسأل عنه ـ يعني: صفوان ـ وهو في مُصلّاه، فما زالَ به أبي حتَّى رَدَّه إلى فِراشه، فأخبَرَتني مولاتُه أنّه ساعةَ خرَجتُم مات»[٧].

تُوفِّي صفوانُ بالمدينةِ سنة اثنتَين[٨] وثلاثين ومئة[٩]، رضي الله عنه.

---

(١) «أمرني» ليس في (د). (٢) في (د): «إذا».

(٣) في (د): «فاذهب». (٤) في (د): «فأخذ».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٣٠).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٣٦٥).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٥).

(٨) في (د): «اثنين». (٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٦).

[سليمان بن دينار الأعرج]

[١٠٣] **ومنهم**: أبو حازمٍ سليمانُ بنُ دينارٍ الأعرجُ[١].

قال عبدُ الرحمن بنُ زيد بن أسلم: «ما رأيتُ أحدًا الحكمةُ في فِيهِ أقربَ من أبي حازم»[٢].

قال ثوابةُ بنُ رافع: قال أبو حازم: «ما مضى من الدنيا فحُلمٌ، وما بقي فأمانِيّ»[٣].

قال محمَّدُ بنُ مُطرِّف: قال أبو حازم[٤]: «لا يُحسِنُ عبدٌ فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ إلّا أحسَنَ الله تعالى ما بينَه وبين العباد، ولا يُعوِّر ما بَينه وبين الله عزَّ وجلَّ إلّا عَوَّر الله تعالى ما بينَهُ وبين العباد، ولَمُصانعةُ وجهٍ واحدٍ أيسَرُ من مُصانعةِ الوجوه كلِّها، إنّك إذا صانَعتَ هذا الوجهَ حَسُنَت الوجوه[٥] كلُّها إليك، وإذا أفسَدتَ ما بينك وبينه شنفتك[٦] الوجوهُ كلُّها»[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٦)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٤٤١).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٢٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٢٥).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٣٨)، و«تاريخ دمشق» (٢٤: ٣٤٩)، و«المنتظم» (٨: ٣٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٩٦).

(٤) من قوله: «قال أبو حازم: ما مضى من الدنيا» إلى هنا ليس في (د).

(٥) قوله: «حسنت الوجوه» ليس في (ق).

(٦) في (ق): «شنقتك»، وفي «الحلية»: «شنأتك».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٣٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٦).

وقال: «إذا رأيتَ الله عزَّ وجلَّ يُتابِعُ نِعَمَه عليك وأنت تعصِيه فاحذَر»[١].

وقال: «كلُّ نعمةٍ لا تُقرِّبُ من الله عزَّ وجلَّ فهي بَليّة»[٢].

وقال: «نعمةُ الله تعالى فيما زُوِي عنّي من الدنيا أفضلُ من نعمته عليَّ فيما أعطاني منها، إن وُقِينا شرَّ ما أُعطِينا لم نُبالِ بما فاتَنا»[٣].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال أبو حازم: «إن كان يُغنِيكَ من الدنيا ما يَكفِيك فأرِني[٤] عيشًا[٥] يَكفيك، وإن كان لا يُغنيكَ ما يكفيك فليسَ شيءٌ يَكفيكَ»[٦].

قال مُحمَّدُ بنُ إسحاقَ المَوصليّ، قال أبو حازم: «إنّ بضاعةَ الآخرة كاسدة، فاستَكثِروا منها في أوانِ كسادها؛ فإنّه لو قد جاءَ يومُ نِفاقِها لم يَصِل منها إلى كثيرٍ ولا قليلٍ»[٧].

[٨٥/أ] قال عبدُ الرحمن بنُ جَرِير: قال أبو حازم: «عند تصحيح الضمائر تُغفَرُ الكبائر، وإذا عَزمَ العبدُ على ترك الآثام أتته الفُتُوح»[٨].

قال محمَّدُ بنُ مُطرِّف: قال أبو حازم: «ما في الدنيا شيءٌ يَسُرُّك إلّا وقد لزقَ به شيءٌ يَسُوءك»[٩].

وكان يمرُّ على الفاكهة فيقول: موعِدُكِ الجنّةُ[١٠].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٦). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٦).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٧). (٤) في (د): «فأدني».
(٥) في (ق) و(د): «عيش»، والصواب ما أثبتناه.
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٧). (٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٩).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٩). (٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٩).
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).

وقال: «وجدتُ الدنيا شيئَين؛ شيئًا يأتي أجَلُه قبل أجَلي فأُغلَب عليه[1]، وشيئًا يأتي أجَلي قبل أجَلِه فأموتُ وأُخَلِّفه لمن بعدي، ففي أيِّ هذَين أعصي ربِّي عزَّ وجلَّ[2]؟

قال حفصُ بنُ مَيسرة: قال أبو حازم: «واعجبًا لقومٍ يعمَلونَ لدارٍ يرحَلونَ عنها كلَّ يومٍ مرحلة، ويَدَعونَ أن يعمَلوا[3] لدارٍ يرتَحِلونَ إليها كلَّ يومٍ مرحلةً»[4].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال أبو حازم: «لو أنّ أحدَكم قِيل له يَضَعُ ثوبَه على هذا الهدف حتَّى يُرمَى لَقال: ما كنتُ لأفعَلَ أن أخرِقَ ثوبي، وهو يَخرِقُ دينَه، ولوَدِدتُ أنّ أحدَكم يُبقِي على دينه كما يُبقِي على نَعلِه»[5].

وقال: «يَسيرُ الدنيا يَشغَلُ عن كثيرِ الآخرة»[6].

وقال: «ما أحبَبتَ أن يكون معك في الآخرةِ فقَدِّمه اليوم، وما كَرِهتَ أن يكونَ معك في الآخرةِ فاترُكه اليوم، وكلُّ عملٍ تكرَه أن تموتَ من أجلِه فاترُكه، ثمَّ لا يَضُرُّكَ متى متَّ»[7].

وقال: «شيئان إذا عَمِلتَ بهما أصَبتَ خَيرَي الدنيا والآخرة، لا أُطَوِّلُ[8] عليك، قيل: وما هما؟ قال: تَحمِلُ ما تكرَه إذا أحبَّه الله عزَّ وجلّ، وتترُكُ ما تُحِبُّ إذا كَرِهَه الله عزَّ وجلَّ»[9].

---

(١) قوله: «فأغلب عليه» ليس في (ق).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٣) في (ق): «يعملون».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٨) في (د): «أطيل».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩١).

وقال[١] محمَّدُ بنُ يحيى المازِنيّ: قال أبو حازم: «رَضِيَ الناسُ من العملِ بالعلم، ومن الفِعل بالقَول»[٢].

رأى أبو حازمٍ ابنَ عمر، وأنسَ بنَ مالك، وقيل: إنّه رأى أبا هريرةَ رضي الله عنهم[٣].

تُوفِّي في سنة أربعين ومئة في خلافةِ المنصور[٤]، رضي الله عنه.

* * *

[جعفر بن محمد بن علي بن الحسين]

[١٠٤] **ومنهم**: جعفرُ بنُ محمَّد بن عليٍّ بن الحسين رضي الله عنهم.

ويُكنَّى: أبا عبد الله[٥].

وكان مشغولًا بالعبادةِ عن حُبِّ الرياسة[٦].

قال أبو المِقدام: «كنت إذا نظرتُ إلى جعفرٍ عَلِمتُ أنّه من سُلالةِ النبيِّينَ»[٧].

قال لسُفيان: «إذا حَزَبَكَ أمرٌ من سلطانٍ أو غيرِه فأكثِر من لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله؛ / فإنّها مِفتاحُ الفرَج، وكنزٌ من كنوزِ الجنّة»[٨]. [٨٥/ب]

---

(١) في (د): «قال».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩١).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩١).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩١).
(٥) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٢)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٢١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩١).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩١).
(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩١).
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٣).

وقال لسُفيانَ الثوريّ: «لا يتمُّ المعروفُ إلّا بثلاثةٍ؛ بتَعجيلِه، وتَصغيرِه، وسَترِه»[١].

قال المِقدامُ الرازيّ: «وَقَعَ الذبابُ على المَنصور، فذبَّه عنه، فعاد، فذبَّه حتَّى أضجَرَه، فدخلَ جعفرُ بنُ محمَّد، فقال لـه المنصور: يا أبا عبد الله، لِمَ خَلقَ الله عزَّ وجلَّ الذبابَ؟ فقال: ليُذِلَّ به الجبابرة»[٢].

كان رجلٌ من السوادِ يلزمُ جعفرًا، ففقدَه، فسألَ عنه، فقال له رجلٌ: إنّه نَبطيٌّ. يُريدُ أن يَضَعَ منه، فقال جعفرٌ: أصلُ الرجلِ عقلُه، وحَسَبُه دينُه، وكَرَمُه تقواه، والناسُ في آدَمَ مُستوُون[٣].

قال سفيانُ الثوريّ: «سمعتُ جعفرًا الصادِقَ يقول: عزَّت السلامةُ حتَّى لقد خَفيَ مَطلَبها[٤]، فإن تَكُ في شيءٍ فيُوشكُ أن تكون في الخُمول، فإن طُلِبَت في الخمولِ ولم توجَد فيُوشكُ أن توجدَ في التخلّي، وليس كالخُمول، فإن طُلِبَت في التخلِّي ولم توجَد؛ فيُوشكُ أن توجدَ في الصمت، فإن طُلِبَت في الصمتِ ولم تُوجَد فيُوشكُ أن توجدَ في كلام السلف الصالح، ومن وجَدَ في نفسِه خلوةً فليَشتَغِل بها»[٥].

قال الليثُ بنُ سعد: «حَجَجتُ سنةَ ثلاثَ عشرةَ ومئة، فأتيتُ مكّة، فلمّا صلَّيتُ العصرَ رَقِيتُ أبا قُبيس، فإذا أنا برجلٍ جالسٍ وهو يدعو، فقال: يا رب

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٢).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٣).

(٤) في (د): «مطالبها».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٣).

يا رب، حتَّى انقطعَ نَفَسُه، ثمَّ قال: يا ربّاه، يا ربّاه، حتَّى انقطعَ نَفَسُه، ثمَّ قال: ربِّ ربّ، حتَّى انقطعَ نَفَسُه، ثمَّ قال: يا الله يا الله، حتى انقطع نَفَسُه، ثم قال: يا حي يا حي، حتى انقطع نَفَسُه، ثم قال: يا أرحمَ الراحمين، حتَّى انقطعَ نَفَسُه[١]، ثمَّ قال: اللهُمَّ إنِّي أشتَهي من هذا العنبِ فأطعِمنِيه، اللهُمَّ إنّ بُردَيَّ قد خَلِقا.

قال الليث: فوالله ما استتمَّ كلامَه حتَّى نظرتُ إلى سلّةٍ مملوءةٍ عنبًا، وليس على وجهِ[٢] الأرض يومئذٍ عنبٌ، وبُردَين موضوعَين[٣]، فأرادَ أن يأكُل، فقلت: أنا شريكُك، فقال: ولِم؟ فقلت: لِأنّك كنتَ تدعُو وأنا أُؤمِّن، فقال لي: تقدَّم وكُل، ولا تُخبِّئ منه شيئًا، فتقدَّمتُ فأكلتُ[٤] شيئًا لم آكُل مثلَه قطّ، وإذا عِنَبٌ لا عُجْمَ له، فأكَلتُ حتَّى شَبِعت والسلّةُ لم تنقُص شيئًا، ثمَّ قال: خُذ أحَبَّ البُردَين إليك، فقلت: أمّا البُردانِ [٨٦/أ] فأنا غنيٌّ عنهما، فقال لي: تَوارَ عنِّي حتَّى ألبَسَهُما، فتوارَيتُ عنه فائتزَرَ بأحدِهما وارتدى بالآخر، ثمَّ أخذ البُردَين اللذَين كانا عليه فجعَلَهُما على يدِه فاتَّبَعتُه، حتَّى إذا كان بالمسعى لقيَه رجلٌ، فقال له: اكسُنِي كساكَ الله تعالى يا ابنَ رسول الله، فدفَعَهُما إليه، فلحِقتُ الرجل، فقلت: مَن هذا؟ فقال: جعفرُ بنُ مُحمَّد، قال الليث: فطلبتُه لأسمعَ منه، فلم أجِده»[٥].

تُوفِّي بالمدينةِ سنةَ ثمانٍ وأربعين ومئة[٦]، رضي الله عنه.

* * *

(١) بعدها في (ق): «سبع».

(٢) «وجه» ليس في (د).

(٣) في (د): «موضعين».

(٤) في (ق): «وأكلت».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤).

[ابن أبي ذُؤَيب]

[١٠٥] **ومنهم**: محمَّدُ بنُ عبد الرحمن، ويُعرَفُ بابن أبي ذُؤَيبٍ[١].

وكان من أورَع الناس، وكان يُصلِّي الليلَ أجمع، وأخبَرَ أخوه كان يصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا، فوَقَعَت الرجفةُ بالشام، فقَدِمَ رجلٌ من أهل الشام فحدَّثَه عن الرجفة، وكان يومَ إفطارِه، فقلت له: قُم فتَغدَّى، قال: دعه اليوم، فسَردَ الصومَ من ذلك اليومِ إلى أن مات، وكان يتَعشَّى بالخُبزِ والزيت، وله طيلَسانٌ وقميصٌ يَشتُو فِيه ويَصِيف، ويحفَظُ حديثَه كلَّه[٢].

وحجَّ أبو جعفر، فدعاه فقال: نَشَدتُكَ بالله، ألستُ أعملُ بالحقّ، ألستَ تراني أعدِلُ؟ فقال ابنُ أبي ذُؤَيب: أما إذ نشدتَني بالله عزَّ وجلّ فأقول: اللهُمَّ لا؛ ما أراكَ تَعدِل، وإنّك لَجائرٌ، وإنّك لَتستَعمِلُ الظلَمةَ وتدعُ أهلَ الخير، قال جلساؤُه: فظننّا أنّ أبا جعفرٍ سيُعاجِلُه، فجعلنا نكُفُّ إلينا ثيابَنا؛ مخافةَ أن يُصيبَنا من دمِه، فجزِعَ أبو جعفرٍ واغتمّ، وقال: قُم فاخرُج[٣].

كان رضي الله عنه فقيهًا صالحًا، يأمُرُ بالمعروفِ ويَنهَى عن المنكر، قال الإمامُ أحمد: «كان يُشبِه سعيدَ بنَ المُسيَّب»[٤].

قيل لأحمد: خَلَفَ مثلُه ببلاده؟ قال: لا، ولا بغيرِها[٥].

وكان مُقيمًا بالمدينة، فأقدَمَه المهديُّ بغداد، فحدَّثَ بها، ثمَّ رَجعَ يُريدُ المدينة،

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٦٠٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٦٠١).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥). (٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥).

فمات بالكوفةِ سنةَ تسعٍ وخمسين ومئة، وهو ابنُ تسعٍ وسبعين سنةً[١]، رضي الله عنه.

* * *

[مصعب بن ثابت]

[١٠٦] **ومنهم**: مُصعبُ بنُ ثابت[٢].

قال الزبيرُ بنُ بكّار: «كان مُصعَبُ من أعبَدِ أهل زمانه، صامَ خمسين سنةً»[٣].

قال يحيى بنُ مسكين: «ما رأيتُ أحدًا قطُّ أكثرَ ركوعًا وسجودًا من مصعب، كان يُصلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعة، ويصومُ الدهرَ»[٤].

تُوفِّي سنة[٥] سبعٍ وخمسين ومئة[٦]، رضي الله عنه.

* * *

[مالك بن أنس إمام دار الهجرة]

[١٠٧] **ومنهم**: مالكُ بنُ أنس بن أبي عامر الأصبَحيُّ[٧].

[٨٦/ب] قال مَعنُ / بنُ عيسى: «كان مالكُ بنُ أنسٍ إذا أرادَ أن يُحدِّثَ بحديثِ رسول الله ﷺ اغتَسَلَ وتبخَّر، وإذا رَفَعَ أحدٌ صوتَه عنده قال: اغضُض من

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٦٠٤).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٦١٨).

(٣) «جمهرة نسب قريش وأخبارها» (١١٦).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥).

(٥) في (د): «في سنة».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥).

(٧) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٦: ٣١٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٨).

صوتك، فإنّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، فمَن رَفَعَ صوتَه عند حديثِ رسول الله ﷺ فكأنّما رَفَعَ صوتَه فوقَ صوتِ رسولِ الله ﷺ»[١].

قيل لمالك: ما تقولُ في طلبِ العلم؟ قال: حَسَنٌ جميل[٢]، ولكن انظر الذي يلزمُكَ من حين تُصبِحُ إلى حين تُمسِي فالزَمه[٣].

قال ابنُ مهديّ: «سألَ رجلٌ مالكًا عن مسألةٍ؟ فقال: لا أُحسِنُها، فقال الرجلُ[٤]: إنّي ضربتُ إليك من كذا وكذا؛ لأسألَك عنها، فقال له مالكٌ: فإذا رَجعتَ إلى مكانِكَ فأخبِرهم أنّي قلت: لا أُحسِنُها»[٥].

قال أبو عبدِ الله: «ومَن مِثلُ مالكٍ مُتَّبِعٌ لآثار مَن تقدَّمَ مع عقلٍ وأدبٍ»[٦].

قال ابنُ أبي أُوَيس: «اشتكى مالكٌ أيّامًا يسيرةً، فسألتُ بعضَ أهلِنا عمّا قال عند الموت؟ فقال: تَشَهَّدَ ثمَّ قال: لله الأمرُ من قبلُ ومن بعد»[٧].

تُوفِّي صبيحةَ أربعَ عشرةَ من شهرِ ربيعٍ الأوَّل سنةَ تسعٍ وسبعين ومئةٍ في خلافة هارونَ الرشيد، ودُفِنَ بالبقيعِ وهو ابنُ خمسٍ وثمانين سنةً[٨].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧). (٢) «جميل» ليس في (ق).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٣١٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٧).

(٤) «الرجل» ليس في (ق).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٧).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ١٣٠).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ١٣٠).

وقال مصعبُ الزبيريُّ: «مات في صفر»[١]، رضي الله عنه.

* * *

[عبد الله بن عبد العزيز العمري]

[١٠٨] ومنهم: عبدُ الله بنُ عبد العزيزِ العمريُّ[٢].

ويُكنَّى: أبا عبد الرحمن[٣].

وكان مُتعبِّدًا، وسكنَ المقابر، وتركَ مجالسةَ الناس، فسُئِلَ عن فعلِه، فقال: لم أرَ أوعظَ من قبر، ولا آنسَ من كتاب، ولا أسلَمَ من الوحدة، فقيل له: قد جاءَ في الوحدة؟ فقال: لا تُفسِدُ إلّا جاهلًا[٤].

قال أبو المُنذِر إسماعيلُ بنُ عمر[٥]: سمعت العمريَّ يقول: «مِن غَفلَتِكَ عن نَفسِكَ إعراضُكَ عن الله عزَّ وجلَّ بأن ترى ما يُسخِطُه فتجاوِزُه ولا تأمُر ولا تَنهى؛ خوفًا ممَّن لا يَملِكُ ضرًّا ولا نفعًا»[٦].

وقال: «مَن تركَ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المُنكَر من مخافةِ المخلوقينَ نُزِعَت منه هيبةُ الله عزَّ وجلّ، فلو أمر بعضَ ولدِه أو بعضَ مواليه لاستخفَّ به»[٧].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧).

(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١١).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).

(٥) بعدها في (ق) و(د): «قال».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).

ورأى العمريُّ رجلًا من آلِ عليٍّ يَخطُر، فأسرعَ إليه، فأخذَ بيدِه، وقال: يا هذا، إنّ الذي أكرمَكَ الله عزَّ وجلَّ به لم تكن هذه مِشيتُه، فترَكَها الرجلُ بعد[١].

وخرج العمريُّ إلى الرشيد ليَعِظَه، فلمّا نَزَلَ الكوفةَ رَجَفَ [٨٧/أ] العسكرُ حتَّى لو كان نزلَ بهم مئةُ ألفٍ من العدوّ ما زادوا على هَيبَته، ثمَّ رَجَعَ ولم يَصِل إليه[٢].

وله أمرٌ بمعروفٍ للرشيد بمكّة[٣]، ذكرناه من قبل.

قال أبو يحيى الزهريّ: قال العمريُّ عند موته: «بنعمةِ ربِّي أُحَدِّث، إنّي لم أُصبِح أملِكُ إلّا سبعةَ دراهمَ من لِحاءِ شجرٍ فتلتُه بيديّ، وبنعمةِ ربِّي أُحدِّث، لو أنّ الدنيا أصبَحَت تحتَ قدمَيّ لا يمنَعُني من أخذِها إلّا أن أُزيلَ قدَمي عنها ما أزَلتُها»[٤].

قال إسماعيلُ المُؤدِّب: «جاءَ رجلٌ إلى العمريّ فقال: عِظني، فأخذَ حصاةً من الأرض، فقال: زِنةُ هذه من الورع يَدخُلُ قلبَك خيرٌ لك من صلاةِ أهل الأرض، قال: زِدني، قال: كما تُحبُّ أن يكونَ الله عزَّ وجلَّ لك غدًا فكُن له اليوم»[٥].

تُوفِّي بالمدينةِ سنةَ أربعٍ وثمانِينَ وهو ابنُ ستٍّ وستِّين سنةً[٦].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩)، و«مرآة الزمان» (١٣/ ٢٨).

(٣) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١٣).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١٥).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٩).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩).

[موسى بن جعفر]

[١٠٩] ومنهم: موسى بنُ جعفرِ بن محمَّدِ بن عليٍّ بن الحسين[١].

كان يُدعَى العبدَ الصالحَ؛ لأجل عبادتِه واجتهاده وقيامه بالليل، وكان كريمًا حليمًا، إذا بَلَغَه عن رجلٍ أنّه يُؤذيه بَعَثَ إليه بمال[٢]، رضي الله عنه.

قال شقيقٌ البلخيّ: «خرجتُ حاجًّا في سنة تسعٍ وأربعين ومئة، فنَزَلتُ القادسيّة[٣]، فبينا أنا انظُرُ إلى الناسِ في زينَتِهم وكَثرَتِهم، فنظرتُ إلى فتًى حَسَنِ الوجه، ثيابُه من صوف، مشتمِلٌ بشملة، في رِجلَيه نعلان، وقد جلسَ مُنفرِدًا، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفيّة يريدُ أن يكونَ كَلًّا على الناس في طريقهم، والله لأمضِيَنّ إليه ولأُوَبخَنَّه.

فدنوتُ منه، فلمّا رآني مُقبلًا قال: يا شقيق، ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ثمَّ تَركَني ومضى، فقلتُ في نفسي: إنّ هذا لَأمرٌ عظيم، قد تكلَّم بما في نفسي، ونَطَقَ باسمي، وما هذا إلّا عبدٌ صالح، ولأسألَنَّه أن يُحالِلَني، فأسرعتُ[٤] في أثرِه فلَم ألحَقه، وغابَ عن عينَيَّ، فلمّا نزلت[٥] واقصة وإذا به يُصلِّي وأعضاؤُه تضطربُ ودموعُه تجري، فقلت: هذا صاحبِي أمضي إليه وأستحِلُّه، فصَبَرتُ حتَّى جلس، وأقبلتُ نحوه.

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٤١٧).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩).

(٣) تقع الآن في دولة العراق، جنوب مدينة النجف، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين المسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة (١٦هـ). انظر: «معجم البلدان» للحموي (٤: ٢٩١)، و«أطلس الخليفة عمر بن خطاب رضي الله عنه» للمغلوث (٧٧).

(٤) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة. (٥) في (ق): «نزلنا».

فلمّا رآني مُقبلًا قال: يا شقيق، اتلُ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ثمَّ تَرَكَني[١] ومضى، فقلت: إنّ هذا الفتى لَمِنَ الأبدال[٢]، وقد تكلَّم على سِرِّي مرَّتين، فلمّا نَزَلنا بالا[٣] إذا بالفتى قائمٌ يُصلِّي على البئر، [٨٧/ب] وبيده ركوةٌ يريدُ أن يَستَقي، فسقطت الركوةُ من يده في البئر وأنا أنظرُ إليه، فرأيته قد رَمَقَ إلى السماء، وسمعته يقول:

أنتَ رَبِّــي إذا ظَمِئتُ مِن[٤] الما ءِ وقُوتِــي إذا أَردتُ الطَّعامـا[٥]

اللَّهُمَّ سَيِّدِي ما لِي سِواها فلا تُعدِمنِيها.

قال شقيقٌ: فوالله لقد رأيتُ البئرَ قد ارتفعَ ماؤُها[٦]، فمَدَّ يدَه فأخذَ الركوةَ وملأها ماءً وتوضَّأ وصلَّى ركعات، ثمَّ مال إلى كثيبِ رملٍ فجعلَ يقبضُ بيده ويطرحه في الرَّكوةِ ويحرِّكُه ويشرب، فأقبلتُ إليه وسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ السلام.

فقلت: أطعِمنِي من فضلِ ما أنعَمَ الله عزَّ وجلَّ عليك، فقال: يا شقيق، لم تَزَل نعمةُ الله عزَّ وجلَّ عَلينا ظاهرةً وباطنة، فأحسِن ظَنَّكَ بربِّك، وناوَلني الركوة،

---

(١) في (د): «وتركني».

(٢) قال الخليل في «العين» (٨: ٤٥): «والأبدال: قوم يقيم الله بهم الدين وينزل الرزق، أربعون بالشام وثلاثون في سائر البلدان، إذا مات واحد منهم يقوم مقامه مثله ولا يُؤبَه لهم». وانظر: «التوقيف على مهمات التعاريف» (٣٦)، و«كشافات اصطلاحات الفنون والعلوم» (١: ٨٧)، و«تاج العروس» (٢٨: ٦٥).

(٣) في «صفة الصفوة»: «رمالًا»، وفي «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن»: «زبالًا»، وفي «مرآة الزمان»، و«منهاج السنة النبوية»: «زبالة».

(٤) في بعض المصادر: «إلا».

(٥) البيت من الخفيف، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٠٠)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٥٥).

(٦) في (د): «ماؤه».

فشربتُ منها، فإذا سَوِيقٌ وسُكَّر، فوالله العظيم ما شربتُ قطُّ ألذَّ منه، ولا أطيَبَ ريحًا، فشَبِعتُ ورَوِيت، وأقمتُ أيّامًا لا أشتهي طعامًا ولا شرابًا.

ثمَّ لم أرَه حتَّى دَخَلنا مكّة، فرأيتُه ليلةً إلى جَنبِ قُبّة الشرابيِّ في نصفِ الليل يُصلِّي بخشوعٍ وأنينٍ وبُكاء، فلم يَزَل كذلك حتَّى ذهبَ الليل، فلمّا رأى الفجرَ في[1] مُصَلّاه فسبَّحَ الله عزَّ وجلّ، ثمَّ قامَ فصلَّى الغداة، وطافَ بالبيتِ أسبوعًا، وخرج، فتَبِعتُه، فإذا له غاشيةٌ ومَوالٍ[2]، وهو على خلافِ ما رأيتُه في الطريق.

ودارَ الناس به من حَولِه يُسلِّمون عليه، فقُلتُ لبعضِ مَن رأيتُه يَقرُبُ منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بنُ جعفرِ بن محمَّد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم، فقلت: قد عَجِبتُ أن تكونَ هذه العجائبُ إلّا لمِثلِ هذا السيِّد[3].

وُلِدَ موسى بالمدينةِ الشريفة سنةَ ثمانٍ وعشرين ومئة، وقيل: تِسعٍ وعِشرين ومئة[4]، وأقامَ بها إلى أيّام الرشيد، فقَدِمَ الرشيدُ المدينة، فحمَلَه معه، وحبَسَه ببغدادَ إلى أن تُوفِّي بها لخمسٍ بَقِينَ من رجب في سنة ثلاثٍ وثمانينَ ومئة[5].

هؤلاء المذكورون نُزّالُ المدينة الشريفة، ولهم أسماءٌ مشهورةٌ كما ذكرنا، وكان فيها عُبّادٌ لا تُعرَفُ أسماؤُهم.

* * *

---

(١) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٢) في (ق) و(د): «وموالي».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٠٠).

(٤) قوله: «وقيل تسع وعشرين ومئة» ليس في (ق).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٠١).

[عابد من أهل المدينة]

[١١٠] عابدٌ من رُعاة المدينة.

قال نافعٌ: «خرجتُ مع ابن عمرَ في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب، فوضَعُوا له سُفرةً لهم، فمرَّ بهم راعٍ[١]، فقال له عبدُ الله: هلُمَّ يا راعِ فأصِب من [٨٨/أ] هذه السُّفرة، فقال: إنّي صائمٌ، فقال: في مثلِ هذا اليوم الشديدِ حَرُّه وأنت في هذه الشِّعاب في آثارِ هذه[٢] الغنَم؟ فقال الراعي: أُبادِرُ أيّامي الخالية.

فعَجِبَ ابنُ عمرَ منه، ثمَّ قال: هل لك أن تَبيعَنا شاةً من غنمِكَ ونُطعِمَك من لحمها ما تُفطِرُ عليه ونُعطيكَ ثمنَها؟ فقال: إنّها ليست لي، فقال عبدُ الله: فما عسيتَ أن يقولَ لك مولاك إن قُلت: أكلها الذئبُ؟ فمضى الراعي وهو يقول: فأين الله، فلم يَزَل ابنُ عمرَ يقول: قال الراعي: فأين الله؟ فلمّا قَدِمَ المدينةَ بَعَثَ إلى سيِّدِه، فاشترى منه الراعي فأعتَقَه ووهَبَ له[٣] الغنم[٤].

* * *

[عابد آخر]

[١١١] آخرُ.

قال محمَّدُ بنُ سُوَيد: قَحطَ أهلُ المدينة، وكان فيهم رجلٌ صالحٌ ملازمٌ لمسجدِ رسول الله ﷺ، فبينا[٥] هم في دُعائهم إذا أنا برجُلٍ عليه طِمرانِ خَلَقان،

(١) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمتين. (٢) في (ق): «هذا».
(٣) في (د): «ووهبه».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٨)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٣٧).
(٥) في (د): «فبينما».

فصلَّى ركعتَين أوجَزَ فيهما، ثمَّ بَسَطَ يدَيه إلى الله عزَّ وجلّ، فقال: يا ربّ، أقسَمتُ عليك إلّا أمطَرتَ علينا، فلم يرُدَّ يدَه، ولم يقطَع دعاءَه حتَّى تَغشَّت بالغيمِ وأُمطِروا، حتَّى صاحَ أهلُ المدينة: الغرق، فقال: يا ربِّ إن كُنتَ تَعلمُ أنّهم قد اكتفَوا فارفَع[1] عنهم، فسَكَن.

وتَبِعَ الرجلُ صاحبَ المطر حتَّى عَرفَ موضعَه، ثمَّ بكَّرَ عليه، فنادى، يا أهلَ البيت، فخرجَ الرجل، فقال: قد أتيتُكَ في حاجة، قال: وما هي: قال: تخصُّني بدعوة، فقال: سبحانَ الله! أنت أنت، وتسألني أن أخصَّك بدعوة، ما الذي رأيت؟ فأخبَرَه، فقال: ورأيتني؟ قال: نعم، فقال: أطَعتُ الله عزَّ وجلَّ فيما[2] أمَرَني ونهاني، فسألتُه فأعطاني[3]. رحمة الله عليه.

آخرُ المذكورينَ من أهل المدينة.



(١) في (د): «فادفع».

(٢) في (ق): «كما».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٠٤).

[ذكر المصطفين من طبقات أهل مكة من التابعين ومن بعدهم]

وأمّا عُبّادُ الله من أهل مكّة شرَّفَها الله العظيم وعظَّمَها.

❊ ❊ ❊

[عُبَيد بن عمير]

[١١٢] **فمنهم: عُبَيدُ بنُ عُمَير**[١].

قال مجاهدٌ: قال عُبَيدُ بنُ عُمَير: «ما المُجتهدُ فيكُم إلّا كاللاعب فيمن مضى»[٢].

وقال: «إذا أعظَمَكُم هذا الليلُ أن تُكابِدوه، وبَخِلتُم بالمالِ أن تُنفِقُوه، وجَبُنتُم عن[٣] العدوِّ أن تُقاتلوه، فأكثِروا من ذِكرِ الله عزَّ وجلَّ»[٤].

وقال[٥]: «إنّ أهلَ القبورِ يتَلَقَّونَ الميِّتَ كما يُتلقَّى الراكِبُ يسألونه، فإذا سألوه ما / فعَلَ فلانٌ؟ فإن كان قد مات فيقول: ألَم يأتِكُم؟ فيقولون: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ذُهِبَ به إلى أُمِّه الهاوية»[٦]. [٨٨/ب]

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ٢٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٢).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٢).

(٣) في (د): «على».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٦٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٢).

(٥) في (د): «قال».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٢).

رأى عُبَيد بن[1] عُمَير أبا ذرّ، وأُبَيَّ بنَ كعب، وعبدَ الله بنَ عمر، وابنَ عبّاس، وعائشة، وغيرَهم من الصحابة رضي الله عنهم[2].

* * *

[مجاهد بن جبير]

[١١٣] ومنهم: مجاهدُ بنُ جُبَير[3].

يُكنَّى: أبا الحجّاج[4].

قال: «مَن أعزَّ نَفسَه أذَلَّ دِينَه، ومَن أذَلَّ نَفسَه أعَزَّ دِينَه»[5].

وقال: «عرضتُ القرآنَ على ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما ثلاثَ عرضات، أُوقِفُه[6] على كلِّ آية، أسألُه فيما أُنزِلَت، وكيف كانت»[7].

وقال: «إنّ القرآنَ يقول: إنّي معك ما اتَّبعتَني، فإذا لم تَعمَل بي اتَّبعتُك»[8].

قال الأعمش: قال مجاهدٌ: «كان بالمدينة أهلُ بيتٍ ذوو[9] حاجة، وعندَهُم

(١) قوله: «عبيد ابن» مثبت من المصادر. (٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٢).

(٣) كذا ورد في النسختين وبعض المصادر، والمشهور: «مجاهد بن جبر»، وانظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٦٦)، و«حلية الأولياء» (٣: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٥) قوله: «ومن أذَلَّ نفسه أعَزَّ دينه» ليس في (ق)، وانظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٦) في (ق): «أقفه».

(٧) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٢٢٢٣)، و«حلية الأولياء» (٣: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٩) في (د) و(ق): «ذو».

شاةٌ، فأصابوا شيئًا، فقالوا: لو بَعثنا هذا الرأسَ إلى مَن هو أحوجُ منّا، فبَعَثُوا به، فلم يَزَل يدورُ بالمدينةِ حتَّى رَجَعَ إلى أصحابِه»(١).

قال الأعمش: كتَبَ مجاهدٌ فقال: «القلبُ هكذا، وبسطَ كفَّه، فإذا أذنَبَ الرجلُ ذنبًا، قال هكذا ـ وعقد أُصبعًا - ثمَّ أذنب، وعقد اثنين(٢)، ثمَّ ثلاثًا، ثمَّ أربعًا، ثُمَّ رَدَّ الإبهامَ عَلَى الأصابِعِ، فِي الذَّنبِ الخامِس، يُطبَعُ عَلَى قَلبِه.

قالَ مُجاهِدٌ: فأيُّكُم يَرَى أنّهُ لَم يُطبَع عَلَى قَلبِهِ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، إنّ ذُنُوبَ الفكرة لأكثَرُ من القَطر»(٣).

تُوفِّي بمكّة سنةَ اثنتَين(٤) ومئة وهو ساجدٌ، وقيل: سنةَ ثلاثٍ ومئة، رحمة الله تعالى عليه.

قال ابنُ جُرَيج: وعمرُه ثلاثٌ وثمانون(٥) سنة(٦).

* * *

[عطاء بن أبي رباح]

[١١٤] ومنهم: عطاءُ بنُ أبي رباح(٧)، وكان مولًى.

ويُكنَّى: أبا محمَّد(٨).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٤). (٢) في (ق): «اثنتين».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٤).

(٤) في (د): «اثنين». (٥) في (د): «وثمانين».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٤).

(٧) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٤).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٤).

قال إبراهيمُ الحربيّ: «كان عطاءُ بنُ أبي رباحٍ عبدًا أسود لامرأةٍ من مكّة، وكان أنفه كأنّه باقِلّاء، فجاءَ سليمانُ بنُ عبدِ الملك أميرُ المؤمنين إلى عطاءٍ هو وابناه، فجَلَسُوا إليه وهو يُصلِّي، فلمّا صلَّى ما زالوا يسألونَه عن مناسِكِ الحجِّ وقَفاهُ إليهم، ثمَّ قال سليمانُ لابنَيه: قُوما، فقاما، فقال: يا بَنِيّ، لا تَنِيَا في طلب العلم؛ فإنّي لا أنسى ذُلَّنا بين يدَي هذا العبدِ الأسود»(١).

قال سَلَمةُ بنُ كُهَيل: «ما رأيتُ أحدًا يُريدُ بهذا العلمِ وجهَ الله عزَّ وجلَّ غيرَ هؤلاء الثلاثة: عطاء، وطاوس، ومجاهد»(٢).

قال عمرُ بنُ ذَرّ: «ما رأيتُ مثلَ عطاءٍ قَطّ، ما رأيتُ عليه قميصًا قطّ، ولا رأيت عليه ثوبًا يُساوي خمسةَ دراهمَ»(٣).

[٨٩/أ] قال الأوزاعيّ: «ما رأيتُ أحدًا أخشَعَ لله من عطاء، ولا أطوَلَ حزنًا من يحيى بن أبي كثير»(٤).

قال يَعلى بنُ عُبَيد: «دخلنا على محمَّد بن سُوقة، فقال: أُحدِّثُكم بحديثٍ لعلَّه ينفعُكُم؛ فإنّه قد نَفعَني.

ثمَّ قال: قال لنا عطاءُ بنُ أبي رباح: يا بَنِي أخي، إنّ مَن كان قبلَكُم كانوا يَكرهونَ فُضولَ الكلام، وكانوا يَعدُّونَ فضولَه ما عدا كتاب الله عزَّ وجلَّ أن تقرأه، أو تأمُرَ بمعروف، أو تنهى عن مُنكَر، أو تنطِقَ بحاجتِكَ في معيشتِكَ التي لا بُدَّ لك منها، أتُنكرون أنّ عليكم حافظينَ، كرامًا كاتبينَ، عن اليمين وعن الشمال

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٧٥).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٥). (٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٥).

قعيد، ما يلفظ من قولٍ إلّا لديه رقيبٌ عتيد، أما[١] يستحيي أحدُكُم أن لو نُشِرَت صحيفتُه التي أملَى[٢] صدر نهاره كان أكثرَ ما فيها ليسَ من أمر دينه ولا دنياه»[٣].

قال ابنُ أبي ليلى: «حجَّ عطاءٌ سبعينَ حجّةً»[٤].

قال ابنُ جُرَيج: «كان عطاءٌ بعدما كبرَ وضعفَ يقومُ إلى الصلاة، فيقرأُ مئتَي آيةٍ من البقرة وهو قائمٌ ما يزولُ منه شيءٌ ولا يَتحرَّكَ»[٥].

ماتَ بمكّةَ سنةَ خمسَ عشرةَ ومئة، وقيل غير ذلك، وهو ابنُ ثمانٍ وثمانين سنةً، وقيل غيرُ ذلك[٦]، رحمة الله عليه.

❋ ❋ ❋

[عبد الله بن عُبَيد بن عُمَير]

[١١٥] ومنهم: عبد الله بن[٧] عُبَيد بن عُمَير[٨].

كان يقول: «الإيمانُ قائد، والعملُ سائق، والنفسُ حَرُون، فإذا وَنَى قائِدُها لم تَستَقِم لِسائِقِها[٩]، ولا يَصلُحُ هذا إلّا مع هذا حتَّى تَقُومَ على الخير؛ الإيمانُ بالله مع العمل لله، والعملُ لله مع الإيمان بالله عزَّ وجلَّ»[١٠].

---

(١) في (د): «ما».
(٢) في (ق): «أمل».
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٣١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٥).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٧) قوله: «عبد الله ابن» ليس في (ق).
(٨) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٩) في (ق): «لقائدها».
(١٠) «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (٨٦)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٥٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٦).

وقال(١): «لا ينبغي لمَن أخذَ بالتقوى وزُيِّنَ(٢) بالورع أن يَذِلَّ لصاحب الدنيا»(٣).

قال: «بَعَثَ سليمانُ بنُ داودَ عليهما الصلاةُ والسلامُ إلى مارِدٍ من مَردةِ الجِنّ، فأُتيَ به، فلمّا كان على باب سليمانَ أخذَ عودًا فذرعَه بذراعه، ثمَّ رمى به وراءَ الحائط، فوقع بين يدَي سليمان، فقال: ما هذا؟ فأُخبِرَ بما صنعَ المارد، فقال: أتَدرون ما أرادَ؟ فقالوا: لا، فقال: يقول: اصنَع ما شئتَ؛ فإنّك تصيرُ إلى مثل هذا من الأرض»(٤).

تُوفِّي في سنة ثلاث عشرة ومئة بمكّة، وكان صالحًا(٥)، رحمة الله عليه.

* * *

[محمد بن طارق المكي]

[١١٦] **ومنهم**: محمَّدُ بنُ طارق(٦).

قال محمَّدُ بنُ فضيل: «رأيتُ ابنَ طارقٍ في الطواف، فحَزَرُوا(٧) طوافَه ذلك الزمان، فإذا هو يطوفُ في اليوم والليلة عشرةَ فراسخ، وكان يطوفُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ سبعين أسبوعًا»(٨).

قال ابنُ عيينة: سمعتُ ابن شُبرمة يقول: «لو اكتفى أحدٌ بالتراب / [٨٩/ب] لكفى ابنَ طارقٍ كفٌّ من ترابٍ»(٩).

---

(١) في (د): «قال» بدون الواو.
(٢) في (د): «وزن».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٦) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤١٧).
(٧) في (ق): «فحرروا».
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٨٢)، و«المنتظم» (٨: ١٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٨).

[وُهَيب بن الورد]

[١١٧] **ومنهم**: وُهَيبُ بن الورد[١].

وهو مولى.

ويُكنَّى: أبا أُميّة، واسمُه: عبدُ الوهّاب، فصُغِّرَ وُهَيب[٢].

قال سفيانُ بنُ عيينة: قال لي[٣] وهيبٌ: «بَينا أنا واقفٌ في بطن الوادي إذا أنا برجلٍ قد أخذ مَنكِبي، وقال: يا وُهَيب، خَفِ الله تعالى بقدرته عليك، واستَحي[٤] منه؛ لقُربِه منك، فلم أرَ أحدًا»[٥].

قال بِشرُ بنُ الحارث: «أربعةٌ رفعهم الله عزَّ وجلَّ بطِيب المَطعَم: وُهَيبُ بنُ الورد، وابنُ أدهم، ويوسفُ بنُ أسباط، والخَوّاصُ»[٦].

قال زُهَيرُ بنُ عبّاد: «كان وُهَيبٌ والفُضَيلُ وابنُ المُبارك جُلوسًا، فذكروا الرطَب، فقال وُهَيب: وقد جاءَ الرطَب؟ فقال ابنُ المبارك: رَحِمَك الله تعالى، هذا آخِرُه، أوَلَم تأكُله؟ قال: لا، قال: ولِم؟ قال وُهَيب: بلَغَني أنّ عامّةَ أجِنّة[٧] مكّةَ من الصوافي والقطائع، فكرهتُها.

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨).

(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨).

(٣) «لي» ليس في (د).

(٤) في (د): «واستح».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨)، و«تهذيب الكمال» (٣١: ١٧١)، و«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» (٦: ٢١٠).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٢٨٩).

(٧) في (ق): «أحبة»، وفي (د): «أجبة».

فقـال ابنُ المباركِ: يرحمُكَ الله تعالى، أوَليسَ قـد رُخِّصَ في الشراء[١] من السوق إذا لـم تعرف الصوافـي والقطائع منـه، وإلّا ضـاقَ علـى الناس خُـبزُهم؟ أوَليسَ عامّةُ[٢] ما يأتي من قمح مصرَ إنّما هو من الصوافي والقطائع، ولا أحسَبُكَ تستغني عن القمح، فسَهُلَ عليك. فصَعِقَ وُهَيب.

فقال الفضيلُ لابن المبارك: ما صنعتَ بالرجل؟ فقال ابنُ المبارك: ما عَلِمتُ أنّ كلَّ هذا الخوفِ قد أُعطِيَه، فلمّا أفاقَ قال: يا ابنَ المبارك، دعني من ترخيصك، لا جَرَمَ لا آكُلُ من القمح إلّا كما يأكُلُ المضطرُّ من الميتة، فزَعَموا أنّه نحلَ جسمه حتَّى ماتَ هزلًا»[٣].

وقيل لوهيب: ألا تشربُ من زمزم، قال: بأيِّ دلوٍ[٤]؟

قال عمارة: قال وُهَيب: يقول الله تعالى: «وعزَّتي وجلالي وعظمتي، ما من عبدٍ آثَرَ هـواي علـى هـواه إلّا أقلَلتُ[٥] همومَه، وجمعتُ عليه ضَيعتَه، ونـزعتُ الفقرَ من قلبه، وجعلتُ الغنى بين عينَيه، وتَجَرتُ له من وراء كلِّ تاجر، وعزَّتي وجلالي ما من عبدٍ آثَرَ هواه على هواي إلّا أكثَرتُ همومَه، وفرَّقتُ عليه ضَيعتَه، ونزعتُ الغنى من قلبه، وجعلتُ الفقرَ بين عينَيه، ثمَّ لا أُبالي في أيِّ وادٍ منها[٦] هلكَ»[٧].

---

(١) في (د): «الشري».
(٢) «عامة» ليس في (ق).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨)، و«إكمال تهذيب الكمال» (١٢: ٢٦٨).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٩).
(٥) في (د): «قللتُ».
(٦) قوله: «في أي وادٍ منها» في (د): «في أي أوديتها».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٩).

قال يومًا: «عجبًا للعالِم، كيف تُجيبه دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك، وقد عَلِمَ أنّ له في القيامة رَوعاتٍ ووقفات، ثمَّ غُشِي عليه»(١).

وحلفَ ألّا يراه الله عزَّ وجلَّ ضاحكًا حتَّى يعلمَ ما يأتي به رُسُلُ الله [٩٠/أ] عزَّ وجلّ، فسمعوه عند الموت يقول: وفَّيتَ له، ولم أوفِّ(٢) لك(٣).

قيل: أيَجِدُ طعمَ العبادة مَن يَعصِي الله عزَّ وجلّ؟ قال: لا، ولا مَن يَهُمُّ بالمعصية(٤).

قال وُهَيب: «بَلَغَني أنّ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ قال: يا ربّ، أخبِرني عن آية رِضاكَ عن عبدك؟ فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: إذا رأيتَني أُهيِّئ له طاعتي، وأصرِفُه عن معصيتي، فذاكَ آيةُ رِضايَ عنه»(٥).

قال محمَّدُ بنُ يزيد: سمعتُ وُهَيبًا يقول: «ضُرِبَ لعلماءِ السوءِ مثلًا، فقيل: إنّما مَثَلُ عالِم(٦) السوء كمَثَلِ الحَجر في الساقية، فلا هو يَشرَبُ الماء، ولا هو يُخلِّي الماءَ إلى الشجرِ فيحيا به»(٧).

قال محمَّدُ بنُ رَزِين: سمعتُ وُهَيبًا يقول: «إنَّ العبدَ لَيَصمُت، فيجتمعُ له لبُّه»(٨).

وسَمِعتُه يقول: «لا تَكُن هِمّةُ أحدِكم في كثرة العمل، ولكن لتكن همَّتُه في إحكامِهِ وتَحسِينِه؛ فإنّ العبد قد يُصلِّي وهو يَعصي الله عزَّ وجلَّ في صلاته، وقد

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٢) في (د): «أُف».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٦) في (د): «علماء».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).

يصومُ وهو يَعصي الله عزَّ وجل في صيامِه، ولو قُمتَ قيامَ هذه السارية ما نَفَعَكَ حتَّى تنظُرَ ما يدخلُ في بطنك حلالٌ أو حرامٌ[١]؟

قال بِشرُ بنُ الحارث: كان وُهَيبُ تَبِينُ[٢] خُضرةُ البقل من بطنه من الهُزال[٣]، وكان إذا أُتِيَ بقُرصه يبكي حتَّى يبلَّه[٤]، وكان رضي الله عنه مشغولًا بالتعبُّد عن الرواية[٥].

مات في[٦] سنة ثلاثٍ وخمسين ومئة[٧]، رحمةُ الله عزَّ وجلَّ عليه.

* * *

[عبد العزيز بن أبي رَوّاد]

[١١٨] **ومنهم**: عبدُ العزيز بنُ أبي رَوّاد[٨].

وكان مولى[٩].

قال شقيقٌ البلخيّ: «ذَهَبَ بَصَرُ عبد العزيزِ عشرين سنةً لم يَعلَم به أهلُه ولا ولدُه، فتأمَّلَه ابنُه ذات يومٍ فقال له: يا أبت، ذَهَبَت عيناك؟ فقال: نعم يا بني، الرضا عن الله عزَّ وجلَّ أذهَبَ عينَي أبيكَ منذ عشرين سنة»[١٠].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٢) في «المنتظم»: «تتن».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٦) «في» ليس في (د).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٨) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ١٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).
(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

قال شُعَيبُ بنُ حرب: «جلستُ إلى عبد العزيز خمسَ مئةِ مجلس، فما أحسبُ صاحبَ الشمالِ كتب شيئًا»[١].

قال عبدُ العزيز: كان يُقال: «في رأسِ كلِّ إنسانٍ حكمةٌ آخِذٌ بها مَلَك، فإن تَواضَعَ لربِّه رفعَه، وقال: انتعِش رَحِمَكَ الله، وإن تكبَّرَ قمعَه، وقال: اخسأ خسأكَ الله عزَّ وجلَّ»[٢].

قال محمَّدُ بنُ يزيدَ بن خُنَيس: «قال رجلٌ لعبد العزيز: كيف أصبحتَ؟ فبكى، وقال: أصبحتُ في غفلةٍ عظيمةٍ عن الموت، مع ذنوبٍ كثيرةٍ قد أحاطَت بي، وأجَلٍ يُسرِعُ كلَّ يومٍ في عُمري، ولست[٣] أدري على ما أُهجَم، ثمَّ بكى»[٤].

قال سالمٌ القدّاح: / «سمعتُ عبدَ العزيز يقول لرجل: مَن لم يَتَّعِظ بثلاثٍ لم يَتَّعِظ بشيء: الإسلام، والقرآن، والشيبُ»[٥]. [٩٠/ب]

تُوفِّي بمكّةَ سنة تسعٍ وخمسين ومئة[٦].

* * *

[سفيان بن عيينة]

[١١٩] ومنهم: سفيانُ بنُ عُيَينة[٧].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

(٣) في (ق): «ومؤمل لست».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

(٧) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٥٤).

يُكنَّى: أبا محمَّد[١].

وُلِدَ بالكوفة، وسكنَ مكّة، وُلِدَ سنة سبعٍ ومئة[٢].

قال له أبوه لمّا بلغَ خمسَ عشرةَ سنةً: «يا سفيان، قد انقطَعَت شرائعُ الصِّبَا، فاحتفظ من الخير تكن[٣] من أهله، ولا يغُرَّنَّك مَن اغترَّ بالله فمَدَحَكَ بما يعلم الله عزَّ وجلَّ خلافَه منك؛ فإنّه ما من أحدٍ يقولُ في أحدٍ الخيرَ إذا رضي إلّا وهو يقول الشرَّ فيه مثلَ ذلك إذا سخط، فاستأنِس بالوحدة من جُلَساءِ السوء، لا تقل: أُحسِنُ ظنِّي بك إلى غير ذلك، ولن يسعدَ بالعلماءِ إلّا مَن أطاعهم.

قال سفيان: فجعَلتُ وصيّةَ أبي قِبلةً أمِيلُ معها، ولا أميلُ عنها»[٤].

قال صامِتُ بنُ معاذ: سمعتُ سفيانَ يقول: «مَن تزيَّنَ للناس بشيءٍ يعلم الله عزَّ وجلَّ منه غيرَ ذلك شانَهُ الله عزَّ وجلَّ»[٥].

قال سفيان: «أرفَعُ الناسِ منزلةً مَن كان بين الله عزَّ وجلَّ وبين عبادِه، وهُم الأنبياءُ والعلماء»[٦].

قال بَقِيّة: قال سفيانُ بنُ عُيَينة: «أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى عليه الصلاة والسلام: إنّ أوَّلَ مَن مات إبليس، وذلك أنّه عَصاني، وإنّما أعُدُّ مَن عصاني من الموتى»[٧].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٥٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٥).

(٣) «تكن» مثبت من المصادر.

(٤) انظر: «المنتظم» (١٠: ٦٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٥)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٨٦).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٥).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٥).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٠٤).

قال موسى بنُ إسماعيل: قال ابنُ عُيَينة: «أصابَتنِي ذاتَ يوم رِقّةٌ فبكَيت، فقلت في نفسي: لو كان بعضُ أصحابِنا لرَقَّ معي، ثمَّ غفوت، فأَتاني آتٍ في منامي فرفَسَني، وقال: يا سفيان، هذا أجرُكَ[١] ممَّن أحبَبتَ أن يراك»[٢].

قال حَرمَلةُ بنُ يحيى: «أخذَني سفيان، فأقامني في ناحية، فأخرَجَ من كُمِّه رغيفَ شعير، وقال لي: دَع يا حرملةُ ما يقولُ الناس، هذا طعامي منذ ستِّين سنةً»[٣].

وقال سفيان: «لولا أنّ الله طأطأ[٤] من ابنِ آدم بثلاثٍ ما أطاقَه شيءٌ، وإنّهنَّ فيه، وإنّه لو تابَ مع ذلك: الفقر، والمرض، والموتُ»[٥].

قال إسحاقُ بنُ أبي إسرائيل: قال سفيان: «كان يُقال: اسلُكُوا سبيلَ الحقّ، ولا تَستَوحِشوا من قلّة أهلها»[٦].

قال ابنُ الأشعث[٧]: قال سفيان: «كان يُقال: أشدُّ الناس حَسرةً يوم القيامة ثلاثةٌ: رجلٌ كان له عبدٌ فجاءَ يومَ القيامة أفضلَ عملًا منه، ورجلٌ له مالٌ فلم يتصدَّق منه، فماتَ فوَرِثَه غيرُه فتصدَّقَ منه، ورجلٌ عالِمٌ لم يَنتَفِع بعلمه، فعلَّم [٩١/أ] غيرَه فانتفعَ به»[٨].

قال منصورُ بنُ عمّار: «تكلَّمتُ في مجلسٍ وفيه سفيانُ بنُ عُيَينة، وفضيلُ بنُ عياض، وابنُ المبارك، فأمّا سفيانُ فتَغرغَرَت عيناه، ثمَّ نَشفَت الدموع، وأمّا ابنُ المبارك فسالَت دموعُه، وأمّا الفضيلُ فانتحب، فلمّا قام الفضيلُ وابنُ المبارك

(١) في (ق): «جزاؤك».
(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٤: ٢٤٥).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢٧٢).
(٤) في (ق) و(د): «طأ»، والمثبت موافق لما في «الحلية».
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢٧٧).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٠٦).
(٧) في (د): «الأشعب».
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢٨٨).

قلت لسفيان: يا أبا محمَّد، ما منعكَ أن يجيءَ منك ما جاءَ من صاحِبَيك؟ فقال: هكذا أكمَدُ للحزن، إنّ الدمعةَ إذا جَرَت استراحَ القلب»[١].

وسُئِلَ سفيانُ عن حَدِّ الرضا عن الله عزَّ وجلَّ؟ فقال: الراضي عن الله عزَّ وجلَّ لا يتمنَّى سوى المنزلة التي هو فيها[٢].

قال له عبدُ الله بنُ ثعلبة: «يا أبا محمَّد، وا حُزناه على الحزن، فقال له سفيان: يا عبدَ الله، هل حزنتَ قطُّ لعلم الله تعالى فيك؟ فقال عبدُ الله: آه تَركتَني لا أفرح»[٣].

أدركَ سفيانُ ستةً وثمانين نفسًا من أعلام التابعين[٤].

قيل: وُلِدَ سنةَ سبعٍ ومئة[٥].

قال ابنُ أخيه: «حَجَجتُ مع عمِّي سفيانَ آخرَ حجّةٍ حجَّها سنة سبعٍ وتسعين ومئة، فلمّا كُنّا[٦] بجمعٍ وصلَّى استلقى على فراشِه، ثمَّ قال: قد وافيتُ هذا الموضعَ سبعينَ عامًا، أقولُ في كلِّ سنة: اللهُمَّ لا تجعله آخرَ العهد من هذا المكان، وإنّي قد استحيَيتُ من الله عزَّ وجلَّ من كثرةِ ما أسأله ذلك، فرجَع، فتُوفِّي في السنة الداخلة يوم السبت أوَّلَ يومٍ في رجب سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة، ودُفِنَ بالحَجُون وهو ابنُ إحدى وتسعين سنةً»[٧]، رحمة الله تعالى عليه.

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٠٢).

(٢) انظر: «البيان» (٢: ١٥٩)، و«المجموع» (٣: ٢٥٨).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٢٤٦).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٠٧)، و«المنتظم» (١٠: ٦٦).

(٥) انظر: «المنتظم» (١٠: ٦٦).

(٦) في (د): «كان».

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٩٨)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٢٨٥)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٨٩).

[الفضيل بن عياض]

[١٢٠] ومنهم: الفضيلُ بنُ عياض[١].

يُكنَّى: أبا عليٍّ[٢].

وُلِدَ بخُراسانَ بكَورة أبِيوَرد[٣]، ثمَّ قَدِمَ الكوفةَ وهو كبيرٌ، فسَمِعَ بها الحديث ثمَّ تَعبَّد، ثمَّ انتقل إلى مكَّةَ فمات بها[٤]، رحمةُ الله تعالى عليه.

قال أحمدُ الخزاعيّ: قال الفُضَيل: «لو أنَّ الدنيا كلَّها بحذافيرِها جُعِلَت لي حلالًا لكنتُ أتقذَّرُها»[٥].

قال أبو الفضل الخزازُ[٦]: قال الفُضَيل: «أصلَحُ ما أكون أفقرُ ما أكون، وإنّي لأعصي الله عزَّ وجلّ، فأعرِفُ ذلك في خُلُقِ حِماري وخادمي»[٧].

وكـان يقول: «إذا لم تَقدِر علـى قيام الليل وصيام النهـار فاعلَم أنّك محرومٌ مكبَّلٌ، كبَّلتكَ خطاياك»[٨].

وقال: «لو خُيِّرتُ بين أن أعيشَ كلبًا أو أموتَ كلبًا ولا أرى يومَ القيامة، لاخترتُ / أن أعيشَ كلبًا أو أموتَ كلبًا ولا أرى يومَ القيامة»[٩]. [٩١/ب]

قال مهران: «سمعتُ الفُضَيلَ عشيّةَ عرفةَ بالموقف وقد حالَ بينه وبين الدعاء

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٨)، و«مرآة الزمان» (١٣: ١٠٤)، و«وفيات الأعيان» (٤: ٤٧)، و«العقد الثمين» (٥: ٤٤٩).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» (٤: ٤٧).

(٣) انظر: «مرآة الزمان» (١٣: ١٠٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٨).

(٦) في (د): «الحزاز».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٨).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩).

البكاء، يقول: وا سوأتاه، وا فضيحَتاه وإن عَفوتَ»[١].

قال عليُّ بنُ الحسن: «بلغ فُضَيلًا أنّ جريرًا يريد أن يأتيَه، فأقفلَ البابَ من خارج، فجاءَ جريرٌ، فرأى البابَ مُقفلًا فرجع، قال عليٌّ: فبَلَغَني ذلك، فأتيتُه، فقلت له: جريرٌ؟ فقال: ما يصنعُ بي؟ يُظهِرُ لي محاسنَ كلامه، وأُظهِرُ له محاسنَ كلامي، فلا يتزيَّن لي، ولا أتزيَّن له خيرٌ له»[٢].

قال أبو جعفر الحذّاء: «أخذَ الفضيلُ بيد سفيانَ بن عيينةَ في هذا الوادي، وقال له: إن كنت تظنُّ أنّه بَقيَ على وجه الأرض شرٌّ منِّي ومنك فبِئسَ ما تظنُّ»[٣].

وقال يومًا: «لو قيلَ لك: يا مُرائي، لغَضِبتَ وشقَّ عليك وشكوت، فتقول: قال لي: يا مُرائي، وعساه قال حقًّا، من حبِّكَ الدنيا تزيَّنتَ للدنيا، ثمَّ قال: اتَّقِ الله عزَّ وجلَّ أن تكونَ مُرائيًا وأنت لا تشعُر، تصنَّعتَ وتهيَّأتَ حتَّى عَرَفَك الناس، فقالوا: هو رجلٌ صالح، فأكرَموك، وقضَوا لك الحوائج، ووسَّعوا لك في المجلِس، وإنّما عرَفوكَ بالله عزَّ وجلّ، ولولا ذلك لهُنتَ عليهم»[٤].

قال الحسينُ بنُ زياد: «دخَلتُ على الفُضَيل يومًا، فقال لي: عساكَ ترى أنّ في ذلك المسجد ـ يعني: المسجد الحرام ـ رَجُلًا شَرًّا منك؟ إن كنت ترى فيه شرًّا منك فقد ابتُلِيتَ بعظيمٍ»[٥].

قال ابنُ الأشعث: «سمعتُ الفضيلَ يقول: ما يؤمنكَ أن تكونَ بارَزتَ الله عزَّ وجلَّ بعَمَلٍ مَقَتَكَ عليه، فأغلَق دونكَ أبوابَ المغفرة وأنت تَضحَك! كيف

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩). (٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩-٤٣٠).
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٠).

تُرى يكون حالُك؟ وأدركت أقوامًا يستحيونَ[١] من الله عزَّ وجلَّ في سوادِ الليل من طُولِ الهَجعة، إنّما هو على الجَنب، فإذا تحرَّك قال: ليس هذا لكِ، قُومي خُذي حظَّك من الآخرة»[٢].

قال محمَّدُ بنُ حسّانَ السمتيّ: «شهدتُ الفُضَيل وقد جلسَ إلى[٣] سفيانَ بن عُيَينة، فتكلَّم الفضيل، فقال: كنتم معشرَ العلماءِ سُرُجَ البلاد، يُستضاءُ بكم، فصِرتُم ظُلمةً، وكنتم نجومًا يُهتَدى بكم، فصِرتُم حَيرةً، ثمَّ لا يستحيِي أحدُكم أن يأخُذَ مالَ هؤلاء الظَّلَمة ثمَّ يُسنِدُ ظهرَه، ويقول: حدَّثَنا فلانٌ عن فلان، فقال سفيان: إن كنّا لسنا بصالحين فإنّا نُحِبُّهم»[٤].

[٩٢/أ] قال / بِشرٌ: قال الفُضَيل: «لأن أطلُبَ الدنيا بطَبلٍ ومزمارٍ أحَبُّ إليَّ أن أطلبها بالعبادة»[٥].

تُوفِّي بمكّةَ[٦] سنةَ سبعٍ وثمانين ومئة[٧]، رحمة الله تعالى عليه.

* * *

[الإمام الشافعي]

[١٢١] **ومنهم:** محمَّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ[٨].

---

(١) في (ق): «يستحون».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٠٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٠).

(٣) في (د): «إليه».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٠).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٠).

(٦) «بمكة» ليس في (د).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٣).

(٨) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥)، و«حسن المحاضرة» (١: ٣٠٣).

ويُكنَّى: أبا عبد الله(١).

وُلِدَ بغزّةَ سنةَ خمسين ومئة، وحُمِلَ إلى مكّة وهو ابن سنتَين(٢).

قال الحميديّ: قال الشافعيّ: «كنت يتيمًا في حِجرِ أُمِّي، ولم يكن معها ما تُعطِي المعلِّم، وكان المعلِّمُ قد رضيَ منّي أن أخلُفَه إذا قام، فلمّا ختمتُ القرآنَ دخلتُ المسجدَ، فكنت أُجالِسُ العلماء، فأحفَظُ الحديثَ والمسألة، فكنت أنظُرُ إلى العظم يلُوحُ فأكتب فيه الحديثَ والمسألة، وكانت لنا جَرّةٌ قديمةٌ، فإذا امتلأ العَظمُ طرحتُه في الجرّة»(٣).

قال عبدُ الله ابنُ الإمامِ أحمد: «قلت لأبي: أيُّ رجلٍ كان الشافعيُّ؛ فإنّي أسمَعُكَ تُكثِرُ من الدعاء له؟

فقال: يا بُنَيّ، كان الشافعيُّ كالشمسِ للدنيا، وكالعافية للناس، فانظُر هل لهذَين من خلفٍ أو عِوَضٍ؟»(٤).

قال يونسُ بنُ عبد الأعلى: «سمعتُ الشافعيَّ وقد حَضَرَ ميِّتًا، فلمّا سَجَّيناه نَظَرَ إليه، وقال: اللهُمَّ بغِناكَ عنه وفَقرِه إليك فاغفر له»(٥).

قال الربيعُ بنُ سُلَيمان: «سمعتُ الشافعيَّ يقول: ما أوردتُ الحقَّ والحُجّةَ على أحدٍ فقَبِلَها منِّي إلّا هِبتُه واعتقدتُ مَودَّتَه، ولا كابَرَني على الحقِّ أحدٌ ودافعَ

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥)، و«حسن المحاضرة» (١: ٣٠٣).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٦).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٤)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ١١).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

(٥) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ١٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

الحجّةَ إلّا سقطَ من عيني، ولا ناظَرَني أحدٌ فأحبَبتُ أن يُخطئَ وتكون عليه من الله عزَّ وجلَّ رعايةٌ وحفظٌ»[١].

قال الربيع: «سمعتُ الشافعيَّ يقول: أشدُّ الأعمال ثلاثةٌ: الجودُ من قِلّة، والورعُ في خَلوة، وكلمةُ الحقِّ عند مَن يُرجَى ويُخاف»[٢].

وسَمِعتُه يقول: «طلبُ العلم أفضلُ من صلاة النافلة»[٣].

قال الربيع: «كان الشافعيُّ قد جزّأ الليلَ ثلاثةَ أجزاء: الثلثُ الأوَّلُ يَكتُب، والثلثُ الثاني يُصلِّي، والثالثُ ينامُ»[٤].

وكان للشافعيِّ في رمضانَ ستُّون ختمةً يتلوها في الصلاة[٥].

قال الربيع: «سمعتُ الشافعيَّ وقد سألَه رجلٌ عن مسألةٍ[٦]، فقال: رُوِيَ فيها كذا وكذا عن النبيِّ ﷺ، فقال له السائل: يا أبا عبد الله، تقولُ به؟ فرأيتُ الشافعيَّ أُرعِدَ وانتفض، وقال: يا هذا، أيُّ أرضٍ تُقلُّني، وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني إذا رَويتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا فلم أقُل به؟ نعم على السمع والبصر»[٧]. [٩٢/ب]

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١١٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٤١١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٤١١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٧).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٣٤)، و«مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٧).

(٦) قوله: «عن مسألة» ليس في (د).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٠٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٨).

قال أبو بيان الأصبهانيّ: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم، فقلت: يا رسولَ الله، محمَّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ يقول: إنّه ابنُ عمِّك، هل نفَعتَه بشيءٍ؟ فقال: نعم، سألتُ الله عزَّ وجلَّ ألّا يُحاسِبَه، فقلت: بماذا يا رسول الله؟ فقال: إنه كان يُصلِّي عليَّ صلاةً لم يُصلِّ بمثلِ تلك الصلاة عليَّ أحد، فقلت: وما تلك الصلاةُ يا رسولَ الله؟ فقال: كان يُصلِّي عليّ: اللهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ كلَّما ذكرَه الذاكرون، وصلِّ على محمَّدٍ كلَّما غفلَ عنه الغافلون»[١].

قال المُزَنيّ: «دَخَلتُ على الشافعيِّ في علَّتِه التي مات فيها، فقلت: كيف أصبحتَ؟ فقال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا، ولكأسِ المَنِيّة شاربًا، ولسُوءِ عملي[٢] مُلاقيًا، وعلى الله عزَّ وجلَّ واردًا، فلا أدري رُوحي تصيرُ إلى الجنّةِ فأُهَنِّيها، أو إلى النار فأُعَزّيها»[٣].

تُوفِّي سنةَ أربعٍ ومئتين، وعاشَ أربعًا وخمسين سنةً[٤].

قال الربيع: «كُنّا جلوسًا في حلقةِ الشافعيِّ بعد موته بيسير، فوقَفَ علينا أعرابيٌّ فسلَّم، ثمَّ قال لنا[٥]: أين قمرُ هذه الحلقةِ وشَمسُها[٦]؟ فقلنا: تُوفِّي، فبكى بكاءً شديدًا، وقال: رحمه الله تعالى وغفر له، فلقد كان يفتَحُ ببيانه مُنغلِقَ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١: ١٨٨).

(٢) في (د): «أعمالي».

(٣) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ١١١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٠: ٣٣١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٨).

(٤) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٢٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٩).

(٥) «لنا» ليس في (د).

(٦) «وشمسها» ليس في (د).

الحجّة، ويَسُدُّ على خصمه واضحَ المَحجّة، ويغسلُ من العارِ وجوهًا مُسودّة، ويُوسِّعُ بالرأي أبوابًا مُنسَدّة، ثمَّ انصرفَ»[١].

* * *

[محمد المزين الصغير]

[١٢٢] **ومنهم:** محمَّدُ المزينُ الصغيرُ[٢].

أصلُه من بغداد، ولكنَّه أقام بمكّة[٣].

كان يقول: «الذنبُ بعد الذنب عقوبةُ الذنب، والحسنةُ بعد الحسنةِ ثوابُ الحسنة»[٤].

وقال: «مَن استغنى بالله أحوَجَ الله عزَّ وجلَّ الخلقَ إليه»[٥].

وقال: «المُعجَبُ بعملِه مستدرَجٌ، والمُستَحسِنُ لشيءٍ[٦] من أحوالِهِ مَمكورٌ به»[٧].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٤٣٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٩)، و«الوافي بالوفيات» (٢: ١٢٤).

(٢) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢٤: ٢٥١).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢٤: ٢٥١).

(٤) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢٤: ٢٥١).

(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٢).

(٦) في (د): «بشيء».

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٣).

صَحِبَ الجُنَيدَ وسهلًا[١]، وأقامَ بمكّة حتَّى مات.

توفِّي سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة[٢].

❊ ❊ ❊

[عابد أسود]

[١٢٣] ومنهم: عابدٌ أسودُ[٣].

قال ابنُ المبارك: «قَدِمتُ مكّة فإذا الناسُ قد قَحَطوا من المطر، وهم يَستَسقُونَ في المسجد الحرام، وإذا قِبَلِي غلامٌ أسودُ عليه قِطعتا خَيش، وهو يقول: إلهي، أخلَقَتِ الوجوهَ كثرةُ الذنوب ومساوئُ الأعمال، وقد مَنَعتَنا غيثَ السماءِ؛ لتؤدِّبَ الخلق، فأسألُكَ [٩٣/أ] يا حليمًا ذا أناة، يا مَن لا يعرفُ عبادُه منه إلّا الجميل، اسقِهم الغيثَ[٤] الساعة، قال ابنُ المبارك: فلم يَزَل يقُل: الساعةَ الساعة، حتَّى استوت بالغمام، وأقبَلَ المطرُ من كلِّ مكان، وجلسَ مكانه يُسبِّح، فأخذتُ أبكي.

فلمّا قامَ اتَّبعتُه حتَّى عَرَفتُ موضِعَه، فجئتُ إلى الفضيل، فقال: ما لي أراكَ كئيبًا، فقلت: سبَقَنا إليه غيرُنا، فتولّاه دونَنا، فقال: وما ذاك؟ فقَصَصتُ عليه القصّة، فصاحَ وسَقَط، فقال: وَيحَك يا ابنَ المبارك! خُذني إليه، فقلت: قد ضاقَ الوقتُ.

فلمّا كان من الغدِ صلَّيتُ الغداة، وخرجتُ أُريدُ الموضع، فإذا شيخٌ على الباب، فلمّا رآني عَرَفَني، وقال: مرحبًا يا أبا عبد الرحمن، ما حاجتُكَ[٥]؟ فقلت:

---

(١) يقصد: سهل بن عبد الله التستري. انظر: «مرآة الزمان» (١٧: ١٦٣).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٤: ٢٥١).

(٣) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٤).

(٤) «الغيث» ليس في (ق).

(٥) في (د): «ما حاجاتك».

احتجتُ إلى غلامٍ أسود، فقال: نعم عندي عِدّة، فاختَر أيَّهُم شئت، فصاحَ يا غُلام، فخرجَ غلامٌ جَلد، فقال: هذا محمودُ العاقبة أرضاه لك، فقلت: ليس هذا حاجتي، فما زالَ يُخرِجُ واحدًا بعد واحد، حتَّى خَرَجَ الغلام، فلمّا بَصُرتُه بَدَرَت عيناي، فقال: هذا؟ قلت: نعم، فقال: ليس إلى بيعه سبيلٌ، فقلت: ولِم؟

فقال: قد تبرَّكتُ بمَوضِعه، ولا يرزؤُني شيئًا، فقلت: ومن أين طعامُه، فقال: يَكسِبُ[1] من فَتلِ[2] الشريطِ نصفَ دانِقٍ أو أقلَّ أو أكثرَ فهو قُوتُه، فإن باعَه في يومِه وإلّا طوى، وأخبَرَني الغِلمانُ عنه أنّه لا ينامُ الليلَ الطويل، ولا يختلطُ بأحدٍ منهم، مهتمٌّ بنفسه، وقد أحبَّه قَلبي، فقلت: أنصَرفُ إلى سفيانَ والفُضَيل بلا حاجة؟

فقال: إنّ ممشاكَ عندي كثير، خُذه بما شِئت، فاشتريتُه، وأخذتُ نحوَ دار الفضيل فمشيتُ ساعةً، فقال لي: يا مولاي، قلت: لبَّيك، فقال: لا تَقُل لي: لبَّيك؛ فإنّ العبدَ أولى أن يُلبِّي من المولى، قلت: حاجَتُكَ يا حبيبي؟ فقال: أنا ضعيف البدن لا أُطيقُ الخدمة، فقلت: لا يراني الله عزَّ وجلَّ وأنا أستخدِمُك، وأشتري لك منزلًا، وأُزوِّجُكَ وأخدمُكَ أنا بنفسي، فبَكَى، فقلت: ما يُبكيكَ؟ فقال: لِمَ تفعل ذلك إلّا وقد رأيت بعض متَّصلاتي بالله عزَّ وجلّ، وإلّا لما اخترتَني من أولئكَ الغِلمان؟ فقلت له[3]: ليس بك حاجةٌ إلى هذا، فقال لي: سألتُكَ بالله عزَّ وجلَّ إلّا ما[4] أخبَرتَني.

فقلت: [٩٣/ب] بإجابةِ دعوتك، فقال لي: إنّي أحسَبُكَ إن شاءَ الله عزَّ وجلَّ رجلًا صالحًا، إنّ لله عزَّ وجلَّ خِيرةٌ من خلقه، لا يكشفُ شأنَهُم إلّا لمَن أحبَّ من عبادِه،

(١) في (د): «يكتسب».
(٢) في (ق): «قبل».
(٣) «له» ليس في (د).
(٤) «ما» ليس في (ق).

ولا يُظهِرُ عليهم إلّا مَن ارتضى، ثمَّ[1] قال: هل ترى أن تقفَ لي قليلًا؛ فإنّه قد بَقِيَت عليَّ ركعاتٌ[2] من البارحة، فقلت: هذا منزلُ الفُضَيل قريبٌ، فقال: لا، هنا أحبُّ إليّ، أمرُ الله عزَّ وجلَّ لا يُؤخَّر، فدَخَلَ المسجدَ فما زالَ يُصلِّي حتَّى أتى على ما أراد.

ثمَّ التفت إليَّ وقال: يا أبا عبد الرحمن، ألك حاجةٌ؟ قلت: ولِم؟ قال: لأنِّي أريدُ الانصراف، قلت: إلى أين؟ قال: إلى الآخرة، فقلت[3]: لا تَفعَل، دعني أُسَرُّ بك، فقال: إنّما كانت تطيبُ الحياةُ حيثُ كانت المعاملةُ بيني وبينه عزَّ وجلّ، فأمّا إذا اطَّلَعتَ عليها أنتَ[4] فسيَطَّلِع عليها غيرُك، فلا حاجةَ لي في ذلك، ثمَّ خرَّ لوجهه، وجَعَلَ يقول: إلهي، اقبِضني الساعةَ الساعة، فدنوتُ منه فإذا هو ميِّتٌ، فوالله ما ذكرتُه قطُّ إلّا طالَ حُزني، وصَغُرَت الدنيا في عيني.

وفي رواية: اللهُمَّ إذ شهَرتَني فاقبِضنِي إليك، فانحَشَرَ عليه أهلُ مكّةَ شرَّفَها الله عزَّ وجلَّ»[5].

* * *

[عابد آخر]

[١٢٤] عابدٌ آخرُ.

قال الخرّاز: «كنت بمكّةَ ومعي رفيقٌ وَرِع، فأقَمنا ثلاثًا لم نأكُل شيئًا، وكان بحذائنا فقيرٌ معه كُوَيزةٌ ورَكوةٌ مُغَطّاةٌ بقطعة خَيش، وربَّما كنت أراه يأكُلُ خبزَ

---

(١) «ثم» ليس في (د).
(٢) في (د): «ركعتان».
(٣) في (ق): «قلت».
(٤) «أنت» ليس في (د).
(٥) انظر: «المنتظم» (٨: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٥).

حُوارى، فقلت في نفسي: والله لأقولنَّ لهذا: نحن الليلةَ[١] في ضيافَتِك، فقلت له: فقال: نعم وكرامة، فلمّا جاءَ وقتُ العشاء جعلتُ أراعيه ولم أرَ معه شيئًا، فمسحَ يده على سارية، فوقَعَ على يده شيءٌ فناوَلَني، فإذا دِرهَمان لا تُشبِه الدراهم، فاشترينا خبزًا وإدامًا[٢].

فلمّا مضى لذلك مُدّةٌ جئتُ إليه وسلَّمت عليه، وقلت له: إنّي ما زلتُ أُراعيك، وأنا أحبُّ أن تُعرِّفني بما وصلتَ إلى ذلك، فإن كان يُبلَغُ بعملٍ حدِّثني؟ فقال: يا أبا سعيد، ما هو إلّا حرفٌ واحدٌ، قلت: وما هو؟ قال: تُخرِجُ قَدرَ الخلق من قلبك تَصِلُ[٣] إلى حاجتك»[٤].

* * *

[عابد آخر]

[١٢٥] عابدٌ آخر.

قال بنان المصريّ: «كنت بمكّةَ قاعدًا، وشابٌّ بين يدي، فجاءَه إنسانٌ وحَمَلَ إليه كيسًا فيه دراهم، فقال: لا حاجةَ لي فيه، فقال: فرِّقهُ على المساكين، ففرَّقَه، فلمّا كان العشاءُ رأيته في الوادي يطلُبُ ، فقلت: لو تركتَ شيئًا ممّا كان معك، [٩٤/أ] فقال: لم أعلَم أنّي أعيشُ إلى هذا الوقت»[٥].

* * *

(١) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمتين. (٢) في (د) و(ق): «وأدمًا».

(٣) «تصل» ليس في (د).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ١٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٦).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٦).

[سعيد بن السائب الطائفي]

[١٢٦] **ومنهم**: سعيدُ بنُ السائِب الطائفيُّ[١].

قال سفيان: «كان سعيدٌ لا تكادُ تجفُّ دموعُه، إنّما هي جاريةٌ دَهرَه؛ إن صلَّى فهو يبكي، وإن طافَ فهو يبكي، وإن قرأ في المصحف[٢] فهو يبكي، وإن لقيتَه في طريقٍ فهو يبكي.

قال سفيان: فحدَّثوني أنّ رجلًا عاتَبَه في ذلك فبكى، ثمَّ قال: إنّما ينبغي أن تَعذِلَني وتعاتبني على التقصيرِ والتفريط؛ فإنّهما قد استولَيا[٣] عليَّ»[٤].

قيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ أنتظِرُ الموتَ على غير عُدّة[٥].

* * *

[طاوس]

[١٢٧] **ومنهم**: طاوسُ[٦].

وهو من أهل اليمن، وتابِعيٌّ، وكان مولًى[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ٣٣٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥١)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٤٠٠).

(٢) قوله: «في المصحف» ليس في (د). (٣) في (د): «استويا».

(٤) انظر: «المنتظم» (٨: ٣٣٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥١).

(٦) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٤: ٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ١١٦).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ١١٦).

مرَّ برَوّاس بمكّة قد أخرجَ رأسًا، فلمّا رآه صَعِق، وكان إذا رأى رأسًا مشويًّا وهو ذاهبٌ إلى المسجد لم يتعشَّ تلك الليلة، ورُوِي: لم يُنعَش؛ بالنون[١].

ومرَّ برجلٍ في السَّحَرِ[٢] فوجدَه نائمًا، فقال: ما كنتُ أرى أحدًا ينامُ في السَّحَر[٣].

قال سفيان: «جاءَ ابنُ سليمانَ بن عبد الملك، فجلسَ إلى جنب طاوس، فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلسَ إليك ابنُ أمير المؤمنين فلم تَلتَفِت إليه! فقال: أردتُ أن يَعلَمَ أنّ لله عبادًا يَزهَدونَ فيما[٤] في أيديهم»[٥].

وقال: «ما رأيتُ أحدًا أشدَّ تنزُّهًا عمّا في أيدي الناس من طاوس»[٦].

قال الصلتُ بنُ راشد: «كنت عند طاوس، فسأله سلمُ بنُ قُتَيبةَ عن شيء، فزَبَرَه وانتهرَه، فقلت: هو صاحبُ خُراسان، فقال: ذاك أهونُ له عليَّ»[٧].

قال عبدُ الرزّاق: «قَدِمَ طاوسُ مكّة، فقَدِمَ أميرُ المؤمنين، فقيل لطاوس: إنّ من فضله ومِن ومِن، فلو أتيتَه، فقال: ما لي إليه حاجة، فقالوا: إنّا نخافُه[٨] عليك، فقال: ما[٩] هو كما تقولون»[١٠].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ١١٦).

(٢) كأنها في (ق): «المسجد».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٢).

(٤) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمتين.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٦)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٢٧).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٣).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٣).

(٨) في (د): «مخافة».

(٩) في (ق): «فما».

(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٣).

وكان إذا خَرَجَ من اليمنِ إلى مكّةَ لا يشربُ إلّا من ماءِ تلك المياهِ القديمةِ الجاهليّة[١]، وصلَّى هو ووهبُ بنُ مُنبِّهٍ اليمانيُّ الصبحَ بوضوءِ العَتمة أربعينَ سنةً[٢].

قال أبو سليمان الداراني: «كان طاوسُ يفترشُ فراشَه، ثمَّ يضطجع، فيتقلَّى كما تتقلَّى الحبّةُ في المِقلى، ثمَّ يَثِبُ فيُدرِجُه، ويستقبِلُ القبلةَ حتَّى الصباح، ويقول: طَيَّر ذِكرُ جهنَّمَ نومَ العابدين»[٣].

[٩٤/ب] قال معمر: قال ليثٌ: قال طاوس: «ما / من شيءٍ يتكلَّمُ به ابنُ آدمَ إلّا أُحصِيَ عليهِ حتَّى أَنِينُه في مرضِه»[٤].

قال أبو صالح المَكِّي: «دَخَلَ عليَّ طاوسُ يعودُني، فقلت: ادعُ لي، فقال: ادعُ لنفسِكَ؛ فإنّه يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاه»[٥].

أدركَ طاوسُ خلقًا من الصحابةِ منهم ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما[٦].

وقال[٧]: إنّه أدركَ خمسينَ من الصحابة رضي الله عنهم[٨].

تُوفِّيَ بمكّة قبل الترويةِ بيوم سنة ستٍّ ومئة، وعمرُه بضعٌ وتسعونَ سنةً[٩].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٣).

(٢) انظر: «المنتظم» (٧: ١١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٣) في (د): «العابد»، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٧).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٧) يعني: طاوس.

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٥).

قال شَوذبٌ: «شَهِدتُ جنازةَ طاوس، وهم يقولون: رَحِمَكَ الله تعالى يا أبا عبد الرحمن، حجَّ أربعينَ حجّةً رحمة الله عليه»[١].

*   *   *

[وهب بن مُنبِّه]

[١٢٨] **ومنهم: وهبُ بنُ مُنبِّهٍ**[٢].

يُكنَّى: أبا عبد الله[٣].

قال: «الإيمانُ عريان، ولباسُه التقوى، وزينَتُه الحياء، ومالُه الفقه»[٤].

وقال: قرأتُ في بعض الكتب: «أنّ مناديًا يُنادي من السماء الرابعةِ كلَّ صباح: أبناءُ الأربعينَ زَرعٌ قد دنا حصادُه، أبناءُ الخمسينَ ماذا قدَّمتُم وماذا أَخَّرتُم، أبناءُ الستِّينَ لا عُذرَ لكُم، ليتَ الخلقَ لم يُخلَقوا، وإن خُلِقُوا عَلِموا[٥] لماذا خُلِقوا، قد أَتَتكُم فخُذوا حِذرَكُم»[٦].

---

(١) انظر: «المعرفة والتاريخ» (١: ٧٠٦)، و«حلية الأولياء» (٤: ٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٥).

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٥٤٤).

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٥٤٤).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٣٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٥٥٠).

(٥) في (ق): «عملوا».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٦).

وقال: قرأتُ في التوراة: «أيُّما دارٍ بَنَتها الضعفاءُ[١] جُعِلَت عاقبتُها إلى الخراب، وأيُّما مالٍ جُمِعَ من غير حِلٍّ عاقبَتُه إلى الفقر»[٢].

قال الفضلُ بنُ أبي عبّاس: «كنت جالسًا عند وهبٍ فأتاه رجل، فقال: مرَرتُ بفلانٍ وهو يَشتُمُك، فقال: ما وجدَ الشيطانُ رسولًا غيرَك»[٣].

وقال وهبٌ: «الإيمانُ قائد، والعملُ سائق، والنفسُ بينهما حَرُون، فإذا قادَ القائدُ ولم يَسُق السائقُ لم يُغنِ ذلك شيئًا، وإذا ساقَ السائِقُ ولَم يَقُد القائِدُ لَم يُغنِ ذَلكَ شَيئًا[٤]، وإذا قادَ القائدُ وساقَ السائقُ اتَّبَعَته النفسُ طوعًا وكرهًا، وطابَ العملُ»[٥].

وقال: «أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ عليه الصلاةُ والسلام: هل تدري مَن[٦] أغفِرُ له ذنوبَه من عَبِيدي؟ قال: مَن هو يا ربُّ؟ قال: الذي إذا ذَكَرَ ذُنُوبَه ارتَعَدَت منها فرائصُه، فذلك العبدُ الذي آمُرُ ملائِكَتي أن يمحوا عنه ذُنوبه»[٧].

أدركَ وهبٌ جمعًا من الصحابة، منهم: جابرٌ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهم[٨].

ومات بصنعاءَ سنةَ عشرٍ ومئة، وقيل: أربعَ عشرة، رحمةُ الله تعالى عليه[٩].

---

(١) في «الحلية»: «بنيت بقوة الضعفاء».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٦).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٧١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٣٩٠).

(٤) قوله: «وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يُغنِ ذلك شيئًا» مثبت من (د).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٧).

(٦) في (ق): «لمن».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٦).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٦).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٥٥٦-٥٥٧).

[المغيرة بن حكيم الصنعاني]

[١٢٩] ومنهم: المُغيرةُ بنُ حكيمٍ الصنعانيُّ[١].

سافرَ إلى مكّة أكثر من خمسينَ سَفرًا حافيًا، مُحرِمًا، صائمًا، لا يتركُ صلاةَ السَّحَر في سَفرِه، فإذا كان السَّحَرُ نزل فصلَّى، ويَمضي أصحابُه، [٩٥/أ] فإذا صلَّى الصبحَ لَحِقَ متى ما لَحِق، وكان جُزؤُه القرآنَ كلَّه[٢].

أدرَكَ من الصحابة جمعًا، منهم: ابنُ عمرَ[٣]، وأبو هريرةَ، رضي الله عنهم وعنه[٤].

* * *

[عابد من أهل اليمن]

[١٣٠] عابدٌ من أهل اليمن[٥].

قال ذو النون: «وُصِفَ لي رجلٌ باليمن قد برزَ على الخائفين، وسَما على المُجتهِدين، وذُكِرَ لي باللُّبِّ والحكمة، فخرجتُ حاجًّا، فلمّا قضيتُ نُسُكي مضيتُ إليه؛ لأسمعَ من كلامِه وأنتفعَ بموعِظَته أنا وناسٌ كانوا معي يطلبونَ مثلَ طَلِبَتي، وكان معنا شابٌّ عليه سِيما الصالحينَ ومنظرُ الخائفين، وكان مِصفارًّ[٦]

(١) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٧: ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ٣٥٦).

(٢) انظر: «المنتظم» (٧: ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٨).

(٣) في (د): «عمر» بدون «ابن».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ٣٥٦).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٩). (٦) في (د): «صفار».

الوجهِ من غير سَقَمٍ من غير[(١)] مرض، أعمشَ العينَين من غير عَمَش، ناحلَ الجسم بلا سَقم، يُحِبُّ الخَلوة، ويأنَسُ بالوحدة، تراهُ أبدًا كأنّه قريبُ عهدٍ بمُصيبة.

فخرجَ إلينا، فجلسنا إليه، فبدأ الشابُّ بالسلامِ عليه، فأبدا له الشيخُ البِشرَ والترحيب، ثمَّ سَلَّمنا عليه، فقال الشابّ: إنّ الله عزَّ وجلَّ بمَنِّه وفضله قد جعلكَ طبيبًا لسَقام القلوب، ومُعالجًا لأوجاع الذنوب، وبي جُرحٌ نَغِلَ[(٢)]، وداءٌ قد استكمل، فإن رأيتَ أن تتلطَّفَ بي ببعضِ مَراهِمِك، وتُعالجَني برِفقِك.

فقال له الشيخ: سَل ما بدا لك يا فتى، فقال له الشابّ: ما علامةُ الخوف من الله عزَّ وجلَّ؟ فقال: أن يُؤمِّنَه خوفُه كلَّ خوفٍ غيرَ خَوفِه.

قال: متى يتبيَّنُ العبدُ خوفَه من الله عزَّ وجلَّ[(٣)]؟ قال: إذا نَزَّلَ[(٤)] نفسَه من الدنيا منزلةَ السقيم، فهو يَحتَمي عن أكلِ الطعامِ مخافةَ السَّقام، ويَصبِرُ على مَضَضِ كلِّ داءٍ مخافةَ طول الضَّنا، فصاحَ الفتى صيحةً، وبقي باهتًا ساعة.

ثمَّ قال: رَحِمَكَ الله عزَّ وجلّ، ما علامةُ المُحِبِّ لله عزَّ وجلَّ؟ فقال له[(٥)]: حبيبي، إنّ درجةَ الحُبِّ درجةٌ رفيعة، فقال: أنا أُحِبُّ أن تَصِفَها لي، قال: إنّ المُحبِّينَ لله عزَّ وجلَّ شقَّ لهم عن[(٦)] قُلوبِهم، فأبصَروا بنورِ القلوب عِزَّ جلالِ الله تعالى، فصارَت أبدانُهم دنياويّة، وأرواحُهُم حُجُبيّة، وعُقُولُهم سماويّة، تسرحُ بين

---

(١) قوله: «من غير» مثبت من المصادر.

(٢) في «الحلية»: «قد فعل»، والمثبت موافق لما في (ق) و(د) و«صفة الصفوة».

(٣) قوله: «فقال: أن يؤمِّنه خوفُه كلَّ خوفٍ غيرَ خوفه. قال: متى يتبيَّن العبد خوفَه من الله عزَّ وجلّ» ليس في (د).

(٤) في «الحلية»: «أنزل».

(٥) «له» ليس في (ق).

(٦) «عن» ليس في (د).

صفوف الملائكة، وتُشاهِدُ تلك الأمورَ باليقين، فعَبَدوُه بمبلغ استطاعتهم حبًّا له، لا طمعًا في جنّةٍ ولا خوفًا من نار.

فشهقَ الفتى وصاح صيحةً كانت فيها نفسُه، فأكبَّ الشيخُ عليه، وقال: هذا مَصرعُ الخائفين، وهذه درجةُ المجتهِدين»(١).

* * *

[عابد آخر وابنه من اليمن]

[١٣١] عابدٌ آخر / وابنُه باليمن. [٩٥/ب]

قال سلامة: «كنتُ باليمنِ في بعض مَخاليفِها، فإذا رجلٌ معه ابنٌ شابٌّ، فقال: إنّ هذا أبي، وهو من خيرِ الآباء، ولي بقَرٌ تأتيني مساءً فأحلُبُها، ثمَّ آتي به وهو في الصلاةِ فأُحِبُّ أن يكون عيالي يشربونَ فضلَه، فلا أزالُ قائمًا عليه والإناءُ في يدي وهو مُقبِلٌ على صلاتِه حتَّى يَطلُعَ الفجر.

فقلت للشيخ: ما يقول؟ فقال: صدقَ، وأثنى على ابنه، ثمَّ قال: إنّي لأُخبرُكَ بعُذري، إنّي إذا دخلتُ في الصلاةِ فاستفتَحتُ القرآنَ ذَهَبَ بي مذاهبَ وشَغَلَني، حتَّى ما أذكره حتَّى أُصبح، قال سلامة: فذكرتُ أمرَهُما لابن عُيينة، فقال: هذان يدفعُ الله تعالى بهما(٢) عن أهل الأرض»(٣).

* * *

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٦٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٩-٤٦٠).

(٢) في (د): «بهما البلاء».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٠).

[أبو هاشم الزاهد]

[١٣٢] **ومنهم:** أبو هاشمٍ الزاهدُ(١).

نَزِيلٌ(٢) بغدادَ.

كان سفيانُ الثوريُّ يجلسُ إليه، وقال: «ما زلتُ أُرائي ولا أشعُرُ إلى أن جالستُ أبا هاشم، فأخذتُ منه تركَ الرياء»(٣).

قال أبو هاشم: «إنّ الله عزَّ وجلَّ وسَمَ الدنيا بالوحشة؛ ليكونَ أُنسُ المريدينَ به دونها؛ وليُقبِلَ المُطيعون له بالإعراضِ عنها، وأهلُ المعرفةِ بالله عزَّ وجلَّ فيها مُستوحِشون، إلى الآخرةِ مُشتاقون»(٤).

ونَظَرَ يومًا إلى شَريكٍ القاضي وقد خرجَ من دار يحيى بن خالد، فبكى، وقال: أعوذُ بالله عزَّ وجلَّ مِن(٥) علمٍ لا ينفع(٦). رضي الله عنه.

❋ ❋ ❋

[أسود بن سالم]

[١٣٣] **ومنهم:** أسودُ بنُ سالمٍ(٧).

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٢)، و«المنتظم» (٨: ١٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٢) في (د): «نزل».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٢)، و«المنتظم» (٨: ١٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٢٥)، و«المنتظم» (٨: ١٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٥) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٢٥)، و«المنتظم» (٨: ١٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٧) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٠: ٢٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣)، و«الوافي بالوفيات» (٩: ١٤٩).

سكن ببغدادَ.

يُكنَّى: أبا محمَّد[١].

وكان عابدًا، صالحًا، ورِعًا، وكان بينَهُ وبين معروفٍ الكَرخيِّ مؤاخاةٌ ومودّةٌ[٢].

كان إذا سَمِعَ شيئًا من العرض على الله عزَّ وجلَّ يصرخ، ولم يَزَل مغشيًا عليه إلى الصباح[٣].

قال: «ركعتان أُصلِّيهما أحَبُّ إلَيَّ[٤] من الجنّةِ بما فيها، فقيل له: هذا خطأ، فقال: دعونا من كلامِكُم، رأيتُ الجنّةَ رضا نفسي، وركعتَين أُصلِّيهِما رضا ربِّي، ورضا ربِّي أحَبُّ إليَّ من رضا نفسي»[٥].

أدركَ سفيانَ بنَ عُيَينةَ وغيره، وتوفِّي سنةَ ثلاثَ عشرة، أو أربعَ عشرةَ ومئتين[٦].

رحمة الله تعالى عليه.

* * *

---

(١) انظر: «المنتظم» (١٠: ٢٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣)، و«الوافي بالوفيات» (٩: ١٤٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٣)، و«الوافي بالوفيات» (٩: ١٤٩).

(٤) «إلي» ليس في (ق).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٣)، و«مرآة الزمان» (١٤: ١٣٠)، و«الوافي بالوفيات» (٩: ١٤٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٩: ٣٢٦).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

[منصور بن عمار]

[١٣٤] **ومنهم:** منصورُ بنُ عَمّار بن كثير[١]، أبو السَّريِّ[٢].

أصلُه من خُراسان[٣]، وقال السلميّ: «هو من أهل مرو»، وقيل غير ذلك[٤].

سكنَ بغدادَ[٥]، وكان واعظًا، إذا وعظَ تَرى شيئًا عجبًا[٦].

قال السعدانيّ: «رأيتُ منصورًا في المنام بعد موتِه، فقلت: ما فعَلَ الله عزَّ وجلَّ بك؟ قال: وقفتُ بينَ يدَيه، فقال: أنت الذي كنت تُزَهِّدُ الناسَ في الدُّنيا[٧]، وتَرغَب فيها؟ قلت: قد كان ذلك، ولكن ما اتَّخذتُ مجلسًا إلّا وبدأتُ [٩٦/أ] بالثناء وثَنَّيتُ بالصلاة على نبيِّك، وثَلَّثتُ بالنصيحةِ لعبادك، فقال: صدقت، ضعوا له كُرسيًّا في سمائي يُمجِّدني بين ملائكتي كما مجَّدَني في أرضي بين عبادي»[٨]، رضي الله عنه.

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٩٣).

(٢) في (د) و(ف): «أبو السدي».

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٩٣).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٩٣).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٩٣).

(٧) في (ق): «الناس».

(٨) انظر: «المنتظم» (١١: ١٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤).

[ابن هارون الرشيد المعروف بالسبتي]

[١٣٥] **ومنهم**: وَلدُ الرشيدِ السبتيُّ.

ويقال: اسمُه أحمد[١].

قال أبو الفرج العابد: احتَجتُ إلى صانعٍ فأتيتُ السوق، فجعَلتُ أرمُقُ الصُّنّاع، فإذا شابٌّ مُصفَرٌّ وبين يدَيه زِنبيلٌ، ومَرٌّ وعليهِ جُبّةُ صُوفٍ ومِئزَر، فقلت له: تعمل؟ فقال: نعم، فقلت: بكَم؟ فقال: بدرهمٍ ودانِق، فقلت: قُم، فقال: بشرط، إذا كان وقتُ الصلاة خرجتُ وتطهَّرتُ وصلَّيتُ في المسجد جماعةً، فقلت: نعم.

فجِئنا المنزلَ فوافقتُه على ما ينقله من موضعٍ إلى موضع، فشدَّ وسطَه وجعلَ يعمل، ولا يُكلِّمُني حتَّى أذَّنَ الظهر، فقال: يا عبدَ الله، قد أذَّنَ. فقلت[٢]: شأنُك، فخرجَ فصلَّى، فلمّا جاءَ رَجَعَ عَمِلَ أيضًا عملًا جيِّدًا إلى العصر، فلمّا أذَّنَ قال: يا عبدَ الله، قد أذَّن. فقلت[٣]: شأنُك، فخرجَ فصلَّى ثمَّ رجع، فلم يَزَل يعمل إلى آخرِ النهار، فوزنتُ له أُجرتَه.

فلمّا كان بعد أيّامٍ احتجنا[٤] إلى عمل، فقالت زوجتي: اطلُب لنا ذلك الصانِعَ؛ فإنّه نصَحَنا، فجئتُ السوقَ فلم أرَه، فسألتُ عنه؟ فقالوا: لا نراه[٥] إلّا من سبتٍ إلى سبت، لا يجلس إلّا وحدَه في آخر الناس، فانصرفتُ.

فلمّا كان يومُ السَّبتِ أتيتُ السوقَ فصادَفتُه، فقلت: تعملُ؟ فقال: قد عَرفتَ الأجرة، فقام فعَمِلَ على النحوِ الذي كان عمل، فلمّا وزنتُ الأجرةَ زِدتُه، فأبى

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«الوافي بالوفيات» (٨: ١٤٣).

(٢) في (ق): «قلت».

(٣) في (ق): «قلت».

(٤) في (د): «احتجت».

(٥) في (د): «تراه».

الزيادة، فألححتُ عليه، فضَجِرَ وتركني ومضى، فغمَّني ذلك، فاتَّبعتُه وداريتُه حتَّى أخذ أجرتَه فقط.

فلمّا كان بعد مُدّةٍ احتجنا إليه، فمَضيتُ في يوم السبت[1]، فلم أجده، فسألتُ عنه، فقيل: عليلٌ، وقال لي مَن يخبر أمرَه: إنّما كان يجيءُ يومَ السبتَ يعملُ بدرهمٍ ودانِق، ويتقوَّت كلَّ يومٍ دانِقًا، وقد مَرِض، فسألتُ عن منزله، فوجدتُه في بيتٍ عجوز، فدخلتُ فوجدتُ تحت رأسه لبِنة، فسلَّمتُ عليه، وقلت: ألك حاجةٌ؟

قال: نعم إن قَبِلت، قلت: أقبَلُ إن شاء الله تعالى، قال: إذا أنا مِتُّ فبِع هذا المُرَّ، واغسل جُبَّتي والمِئزر، وكفِّني فيهما، وافتُق جَيبَ[2] الجُبّة؛ فإنّ فيها خاتمًا، ثمَّ انظُر يوم يَركَبُ الرشيد، فقِف في موضعٍ / يراكَ فكَلِّمه، وأرِه الخاتم، ثمَّ سلِّمه إليه، وليَكُن هذا بعد دفني. [٩٦/ب]

قلت: نعم، فلمّا ماتَ فعلتُ به ما أمرَني، ثمَّ نظرتُ اليوم الذي يركبُ فيه الرشيد، فجلستُ له، فلمّا مرَّ ناديته: يا أميرَ المؤمنين، لك عندي وديعة، ولوَّحتُ بالخاتم، فأمرَ بي[3] فحُمِلتُ إلى دارِه، فدعاني ونحَّى جميعَ مَن عندَه، وقال: مَن أنت؟ قلت: عبدُ الله بنُ الفرج، فقال: هذا الخاتَمُ من أين لك؟ فحدَّثته القصّة، فجعل يبكي حتَّى رحمتُه.

فلمّا آنسَ إليَّ قلت: يا أمير المؤمنين، مَن هو منك؟ قال: ابني، قلت: فكيف صارَ إلى هذه الحالة؟ فقال: وُلِدَ قبل الخلافة، فنشأ نُشوءًا حسنًا، وتَعلَّمَ القرآنَ

---

(١) في (د): «سبتٍ».
(٢) في (ق): «جنب».
(٣) في (د): «فأمرني».

والعِلم، فلمّا وُلِّيتُ الخلافةَ تركني ولم يَنَل من دُنيايَ شيئًا، فدفَعتُ هذا الخاتمَ[١] إلى أُمِّه، وهو ياقوت، ويساوي مالًا كثيرًا، وقلت: تدفعي هذا إليه، وكان بارًّا بأُمِّه، وسألتُه أن يكون معه لعلَّه يحتاجُ إليه يومًا من الأيّام، وتُوفِّيَت أُمُّه ولم أعرِف له خبرًا إلى أن أخبرَتني به.

ثمَّ قال: إذا كان الليلُ فاخرُج معي إلى قبرِه، فخرجنا وهو وحدَه يمشي، حتَّى أتينا قبرَه، فبكى بُكاءً شديدًا، فلمّا طَلَعَ الفجرُ قُمنا فرجع، ثمَّ قال: تَعاهَدني في الأيّام التي أزورُ قبرَه، فكنت أتعاهَدُه في الليلِ فيَزُورُه ثمَّ يَرجِع.

وفي رواية: قُل له: يُقرِئُكَ صاحبُ هذا الخاتم السلام، ويقول لك: لا تَموتَنَّ على سَكرَتِكَ هذه؛ فإنّك إن مِتَّ على سَكرَتِكَ هذه نَدِمت، فلمّا بلَّغتُه جعلَ يتقلَّبُ على البساط، ويقول: يا بُنيّ، نصحتَ أباكَ»[٢].

* * *

[معروف الكَرخي]

[١٣٦] ومنهم: معروفُ الكَرْخيُّ[٣].

يُكنَّى: أبا محفوظٍ[٤].

---

(١) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٢) انظر: «المنتظم» (٩: ٩٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«الوافي بالوفيات» (٨: ١٤٤).

(٣) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٩)، و«وفيات الأعيان» (٥: ٢٣١)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٣٣٩).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٩)، و«وفيات الأعيان» (٥: ٢٣١)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٣٣٩).

أقامَ الصلاةَ يومًا، ثمَّ قال لمحمَّدِ بن أبي توبة: تقدَّم فَصَلِّ بنا، فقال محمَّدٌ: إن صلَّيتُ بكم هذه لم أُصَلِّ بكم أُخرى، فقال معروفٌ: وأنت تُحدِّثُ[1] نفسَك أن تُصلِّي صلاةً أُخرى؟ **نعوذُ باللهِ عزَّ وجلَّ مِن طولِ الأملِ؛ فإنَّه يمنعُ خيرَ العمل**»[2].

وسأله شخص شيئًا يُفطِرُ عليه، فقال له معروفٌ: سِرُّ الله عزَّ وجلَّ أفشَيتَه، ثمَّ تأمُلُ[3] أن تعيشَ إلى الليل[4].

وكان يضربُ نفسَه، ويقول: يا نفس، كم تبكين، أخلِصي وتخلَّصي[5].

قال يحيى بنُ جعفر: «رأيتُ معروفًا يُؤذِّن، فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله؛ رأيتُ شعرَ لحيته وصدغه قائمًا كأنّه زرعٌ»[6].

[٩٧/أ] قال الجُنَيد: قال السَّرِيّ: «سألتُ معروفًا عن الطائعينَ لله بأيِّ شيءٍ قدَرُوا على الطاعة لله عزَّ وجلَّ؟ فقال: بخروج الدُّنيا من قلوبِهم، ولو كانت في قلوبهم ما صَحَّت لهم سجدةٌ»[7].

قال السَّريّ: «هذا الذي أنا فيه من بركاتِ معروفٍ؛ فإنّه انصرفَ من صلاةِ العيد، فرأيتُ معه صبِيًّا شَعثًا، فقلت: من[8] هذا؟ فقال: رأيتُ الصبيانَ يلعَبون وهو واقفٌ مُنكَسِر، فسألته: لِمَ لا تلعب؟ فقال: أنا يتيم.

---

(١) في (د): «محدث».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٩).

(٣) في (د): «وتؤمل».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٠).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٤٠٢).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٠).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٨٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٠).

(٨) في (د): «ما».

فقلت له: ما ترى أنّك تعمل معه؟ قال: لعلِّي أخلو فأجمَعُ له نوًى يشتري به جَوزًا يفرحُ به، فقلت له: أعطِنيه أُغيِّر من حاله، فقال لي: أوَتَفعَل؟ فقلت: نعم، فقال لي: خُذهُ أغنى الله عزَّ وجلَّ قلبَك، فسَوِيَت الدنيا عندي أقلَّ من كذا»(١).

قال أبو بكرٍ الزجّاج: «قيلَ لمعروفٍ في عِلَّتِه: أوصِ(٢)، فقال: إذا أنا مِتُّ فتَصَدقوا بقميصي هذا؛ فإنّي أُحِبُّ أن أخرجَ من الدنيا عريانًا كما دَخَلتُ إليها»(٣).

تُوفِّي في سنةِ مئتين، وقبرُه ظاهِرٌ ببغداد(٤).

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧١).

(٢) في (د): «أوصي».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٦٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٢).

(٤) في (ق) و(د): «بغداد». وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٤٠٥).
وقد دفن في مقبرة باب الدير، وقبره مشهور يزار، ويقصده العامة.
قال إبراهيم الحربي: قبر معروف الترياق المجرَّب، وقال أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن ابن محمد الزهري: سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج، ويقال: إنه من قرأ عنده مئة مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وسأل الله تعالى ما يريد، قضى الله له حاجته. وقال أبو عبد الله بن المحاملي: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، ما قصده مهموم إلا فرَّج الله هَمَّه.
قال الذهبي: البقاع المباركة يستجاب فيها الدعاء، كما أن الدعاء في المساجد وفي السَّحَر أفضل، ودعاء المُضطرِّ مُجابٌ في كلِّ مكان. وقال أيضًا: يريد إجابة دعاء المضطر عنده؛ لأن البقاع المباركة يُستجاب عندها الدعاء، كما أن الدعاء في السَّحَر مَرجُوٌّ، ودُبُر المكتوبات، وفي المساجد، بل دعاء المضطر مجاب في أي مكان اتفق، اللهم إني مضطر إلى العفو، فاعفُ عني.
انظر: «تاريخ بغداد» (١: ٤٤٥)، و«طبقات الحنابلة» (١: ٣٨٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٤٠٤)، و«السير» (٩: ٣٤٤).

[بشر بن الحارث]

[١٣٧] ومنهم: بِشرُ بنُ الحارث[١].

يُكنَّى: أبا نصرٍ[٢].

وُلِدَ سنةَ خمسين ومئة[٣].

قال أبو الحسين بنُ مُحمَّدٍ[٤] البغداديّ: «سمعتُ أبي يقول: زُرتُ بِشرَ بنَ الحارث، فقَعَدتُ معه مِليًّا، فما زادَني على كلمة، فقال: ما اتَّقى الله عزَّ وجلَّ مَن أحَبَّ الشُّهرة»[٥].

قال بشرٌ يومَ ماتت أختُه: «إنّ العبدَ إذا[٦] قَصَّرَ في طاعةِ الله عزَّ وجلَّ سلبَه مَن يُؤنِسه»[٧].

قال ابنُ أُختِ بشر: سَمِعتُ بشرًا يقول: «ما شَبِعتُ مُنذُ خَمسِينَ سَنةً»[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣٤٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ١٧٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٦٩).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣٤٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ١٧٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٦٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٦٩). وفي «السير»: «اثنتين وخمسين ومئة».

(٤) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٧٦).

(٦) في (د): «إن».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٣).

(٨) «الورع» للإمام أحمد (١٥)، و«مشيخة قاضي المارستان» (٣٨٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٤).

وقال[١] قَرابةٌ لبِشر: «قَدِمَ بشرٌ من عبادانَ[٢] ليلًا، أو من سفر، وهو مُؤتَزِرٌ بحصيرٍ»[٣].

وقال بشرٌ: «إنّي لأشتَهي شواءً منذ أربعين سنةً ما صَفِي لي درهَمُه»[٤].

وقال[٥]: «إنّي لأشتهي الباذنجانَ منذُ ثلاثين سنةً ما صَفَت لي حبَّتُه؛ يعني: ثَمنُه بحبّةٍ»[٦].

قال عمرُ ابنُ أخت بشر: «سمعتُ خالي يقول لأُمِّي: جَوفي[٧] وجِعٌ، وخواصِري تضربُ عليّ، فقالت له أُمِّي: ائذَن لي حتَّى أُصلِحَ لك[٨] قليلَ حسوٍ بكفٍّ دقيقٍ عندي تتحسّاه يَرُمُّ جوفَك، فقال لها: وَيحَك! أخافُ أن يقول لي ربِّي: من أين لك هذا الدقيقُ؟ فلا أدري أيَّ شيءٍ أقول له، فبَكَت أُمِّي، وبكى معها، وبكيتُ معهما»[٩].

قال رجلٌ لبشر: «ما لي أراكَ مغمومًا؟ فقال: ما لي لا أكونُ مغمومًا وأنا رجلٌ مطلوبٌ»[١٠].

---

(١) في (د): «قال».

(٢) تقع الآن في دولة إيران في الجنوب الغربي منها على الخليج العربي. انظر: «معجم البلدان» (٤: ٧٤)، و«بلدان الخلافة الشرقية» لكي لسترنج (٧٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٤).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ١٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٦: ١٠٧).

(٥) في (د): «قال».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٦: ١٠٧).

(٧) في (د): «فيّ».

(٨) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٩) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٥)، و«مرآة الزمان» (١٤: ٣٤٤).

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٥).

وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ عن مسألةٍ في الورع، فقال: أنا أستغفِرُ الله عزَّ وجلَّ؛ إنّي لا يَحِلُّ لي [٩٧/ب] أن أتكلَّمَ في الورع، أنا أكلتُ من غلّةِ بغداد، لو كان بشرُ بنُ الحارثِ صلح أن يجيبَك عنه؛ فإنّه كان لا يأكُلُ من غلّةِ بغداد، ولا من طعامِ السَّواد، يصلحُ أن يتكلَّمَ في الورع(١).

وجاءَ رجلٌ فسأل بشرًا عن مسألةٍ فأطرقَ مليًّا، ثمَّ رفع رأسه، ثمَّ قال: اللهُمَّ إنّك تعلمُ أنّي أخافُ أن أتكلَّم، اللهُمَّ إنّك تعلمُ أنّي أخافُ أن أسكُت، اللهُمَّ إنّي أخافُ أن تأخُذَني بين السكوتِ والكلام(٢)، ولو علمتُ أنّ رضاه أن أشُدَّ في رجلي حَجرًا، ثمَّ أُلقَى في البحرِ لفعلتُ(٣)، وإنّ الجوعَ يُصفِّي الفؤادَ ويُورِثُ العلم(٤).

ودخلَ بالمقبرة، فقال: «المَوتى داخلَ السور أكثرُ منهم(٥) خارج السور»(٦).

ومرَّ ومعَهُ(٧) رجلٌ، فتقدَّمَ يَشربُ من بئرٍ فجذبَه، وقال: من البئر الأُخرى، حتَّى جاوزَ ثلاثةَ آبار، فقال له الرجل: يا أبا نصر، أنا عطشان، فقال له بشرٌ: اسكت، فهكذا تُدفَعُ الدنيا(٨).

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ١٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٦).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٦).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٦)، و«تاريخ الإسلام» (١٦: ١٠٧).

(٥) في (د): «من».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٦).

(٧) في (ق): «معه» بدون الواو.

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٧).

قال إبراهيمُ الحربيّ: «سمعتُ بشرًا يقول: بحَسبِك أنّ أقوامًا تَحيا القلوبُ بذِكرِهِم، وإنّ أقوامًا أحياءَ تَعمَى الأبصارُ بالنظرِ إليهم»(١).

رَحَلَ رضي الله عنه إلى مكّةَ والكوفةِ والبصرة، وسَمِعَ من وكيعٍ ومالك بن أنس وخلقٍ كثير، غيرَ أنّه لم يَقصدِ الرواية(٢).

وتُوفِّي عشيّةَ الأربعاءِ لعشرٍ بَقِينَ من ربيعٍ الأوَّل، وقيل: لعشرٍ خَلَونَ من المُحرَّم سنةَ سبعٍ وعشرين ومئتين، وقد بلغَ من العمر خمسًا وسبعين سنةً(٣).

قال الحسنُ بنُ مروان: «رأيتُ بِشرًا في النوم، فقلت: يا أبا نصر، ما فعلَ الله تعالى بك؟ قال: غَفَرَ لي ولكلِّ مَن تَبِعَ جنازَتي، فقلت: ففيمَ العملُ؟ قال: افتَقِد الكسرةَ»(٤).

* * *

[الإمام أحمد بن حنبل]

[١٣٨] ومنهم: الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ(٥).

يُكنَّى: أبا عبد الله الشيباني.

جيءَ به من مَرْو حَملًا، فوُلِدَ في ربيعٍ الأوَّل سنةَ أربعٍ وستِّين ومئة.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٧).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٧).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٧)، و«الوافي بالوفيات» (١٠: ٩١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٨)، و«الوافي بالوفيات» (١٠: ٩١).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٨)، و«وفيات الأعيان» (١: ٦٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٦١).

قال أبو زُرعة[١]: «كان أحمَدُ يحفظُ ألفَ ألفِ حديث، فقيل له: وما يُدرِيكَ؟ فقال: ذاكَرتُه فأخَذتُ عليه الأبواب»[٢].

قال عبدُ الرزّاق: «ما رأيتُ أفقهَ ولا أورعَ من أحمدَ»[٣].

وقال ابنُ مهديّ: «ما نظرتُ إليه إلّا ذَكرتُ به سفيانَ الثوريَّ»[٤].

قال أبو بكرٍ المَرُّوذِيّ: «كنتُ مع أبي عبد الله نَحوَ أربعة أشهرٍ بالعسكر، ولا يدعُ قيامَ الليلِ وقراءةَ النهار، فما عَلِمتُ بختمةٍ خَتَمَها، كان يُسِرُّ ذلك»[٥].

باتَ عند الإمام أحمدَ طالبٌ، فجاءَ بالماءِ فوضعَه، فلمّا أصبحَ نظرَ[٦] في الماء، فإذا هو كما كان، فقال: سُبحانَ الله عزَّ وجلَّ / ، رجلٌ يَطلُبُ العلمَ ولا يكونُ له وِردٌ من الليل[٧]؟ [٩٨/أ]

قال عليُّ بنُ المَدينيّ: قال لي أحمد: «إنّي لأُحِبُّ أن أصحَبَك إلى مكّة، وما يمنعني من ذلك إلّا أنّي أخافُ أن أمَلَّكَ أو تَمَلَّني، فلمّا ودَّعتُه[٨] قلت له: يا أبا عبد الله، أوصِني بشيء، قال: نعم، ألزِمِ التقوى قلبَك، وانصُبِ الآخرةَ أمامك»[٩].

---

(١) في (ق) و(د): «قال: زرعة».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٢٩٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٦٧).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٢٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٦٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٩).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٠).

(٦) في (د): «فنظر».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٠).

(٨) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٠).

قال أبو داودَ السجِستانيّ: «مَجالسُ أحمدَ مَجالسُ الآخرة، لا يُذكَرُ فيها شيءٌ من الدنيا، ما رأيتُ أحمدَ ذَكرَ الدنيا قطُّ»[١].

ولمّا ماتت امرأتُه أُمُّ صالح قال لامرأةٍ عندهم: اذهَبي إلى فُلانة ابنةِ عمِّي فاخطِبيها، فأتَتها فأجابت، فلمّا رَجعَت إليه قال: كانت أُختُها تَسمَعُ كلامَكِ؟ قالت: نعم، ـ وكانت أُختُها بعينٍ واحدة ـ فقال: فاذهَبي فاخطِبي التي بعينٍ واحدة، فتزوَّجَها، وهي أُمُّ عبد الله، فأقامَ معها سبعًا، ثمَّ قالت له: يا ابنَ عمي، هل أنكرتَ شيئًا؟ قال: إلّا أنّ نعلَك هذه تَصُرُّ[٢].

قال ابنُ راهَوَيه: «خَرَجَ أحمدُ إلى عبد الرزّاق، فانقطَعَت به النفقة، فأكرَى نفسَه من بعض الحَمّالين إلى أن وافَى صنعاء، وقد كان أصحابُه عَرَضوا عليه المواساة، فلم يَقبَل من أحدٍ شيئًا، فبَلَغَ عبدَ الرزّاق، فدَمَعَت عيناه، ثمَّ أخذَ عشرةَ دنانيرَ واختلَى به، وقال: إنّه لا يجتمعُ عندنا الدنانير، وقد وجدتُ الساعةَ هذه العشرةَ الدنانيرَ فخُذها، فأرجو ألّا[٣] تُنفِقَها حتَّى يتهيّأ عندنا شيءٌ، فتبسَّمَ الإمامُ أحمد، وقال: يا أبا بكر، لو قَبِلتُ من الناسِ قَبِلتُ منك، ولم يَقبَل»[٤].

قال صالحٌ وَلدُ الإمام أحمد: «دَخَلتُ على أبي في أيّامِ الواثق، واللهُ أعلمُ في أيِّ حالةٍ نحن، وقد خرجَ إلى صلاةِ العصر، وكان له لِبْدٌ يجلسُ عليه، قد أتَت عليه سنونَ كثيرةٌ حتَّى بَلِي، فإذا تحتَه كتابٌ فيه: بلَغَني يا أبا عبد الله ما أنت فيه

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٨: ٧٥)، و«البداية والنهاية» (١٤: ٣٨٩).
(٢) انظر: «المنتظم» (١١: ٢٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٩٥).
(٣) في (د): «أن».
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٧٤)، و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١: ١٣١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨١).

من الضِّيق، وما عليك من الدَّين، وقد وجَّهتُ إليك بأربعةِ آلاف درهمٍ على يدَي فُلانٍ؛ لتَقضِيَ بها دَينَك، وتُوسِّعَ بها على عيالك، ولا هي من صدقةٍ ولا زكاة، وإنّما هي شيءٌ ورِثتُه من أبي.

فقرأتُ الكتابَ ووضعتُه، فلمّا دَخَلَ قلت: يا أبتِ[1]، ما هذا الكتابُ؟ فاحمَرَّ وجهُه، وقال: رفَعتُه منك، ثمَّ كتبَ جوابَه: وصلَ كتابُك إليَّ ونحن في عافية، أمّا الدَّينُ فإنّ الرجُلَ لا يُرهِقُنا، وأمّا عيالُنا ففي نِعمةِ الله[2] والحمدُ لله / [٩٨/ب]، فلمّا مَضت مُدّةٌ قال: لو كُنّا قَبِلناها كانت ذَهَبت»[3].

وحَمَلَ الحسنُ بنُ عبد العزيز من ميراثِه إلى الإمام أحمدَ ثلاثةَ أكياس، في كلِّ كيسٍ ألفُ دينار، فقال: يا أبا عبدِ الله، هذه مِن ميراثٍ حلال، فخُذها فاستَعِن بها على عيالِك، فقال: لا حاجةَ لي فيها، أنا في كفاية، فرَدَّها ولم يقبَل منها شيئًا[4].

قال المَرُّوذِيّ: «سمعتُ الإمامَ أحمدَ وهو يقول: إنّما هو طعامٌ دون طعام، ولباسٌ دون لباس، وإنّها أيامٌ قلائلُ»[5].

قال: وسَمِعتُه يقول: «أسَرُّ أيّامي إليَّ يومَ أُصبِحُ وليس عندي شيءٌ»[6].

قال صالحُ ابنُ الإمامِ أحمد: «رُبَّما رأيتُ أبي يأخذُ الكِسرة، فيَنفُضُ الغُبارَ

---

(١) في (ق): «يا أبة». (٢) لفظ الجلالة ليس في (ق).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٧٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٢).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٧٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٣٠٥).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٨١)، و«سير أعلام النبلاء» (١١: ٢١٥).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٢).

عنها، ثـمَّ يُصيِّرُها فـي قَصعةٍ ويَصُبُّ عليها ماءً حتَّى تبتَلّ، ثمَّ يأكُلُها بالملح، وما رأيته اشترى قطُّ رُمّـانًا ولا سَفرجَلًا ولا شيئًا مـن الـفاكهة، فأمّا غيرُ ذلك فما رأيتُه قطُّ اشتراه، وكان كثيرًا يأتَدِمُ بالخَلّ، وكان يُشترَى له شَحمٌ بدِرهَم، فكان يأكُلُ منه شهرًا، فلمّا قَدِمَ من عند المتوكِّل أدمَنَ الصوم، وجَعَلَ لا يأكُلُ الدسم، فتوهَّمتُ أنّه جعل على نفسِه إن سَلِمَ أن[1] يفعلَ ذلك، وكان إذا مشى في الطريق يَكرَه أن يَتبَعَه أحدٌ»[2].

قال المَرُّوذِيّ: «سمعتُ الإمامَ أحمدَ يقول: الخوفُ يَمنَعُني أن آكُلَ من الطعامِ والشراب، فما أشتَهِيه»[3].

وقال المَرُّوذِيُّ: «بالَ الإمامُ أحمدُ في مَوضِعِه[4] دمًا، فأرَيتُه عبدَ الرحمنِ المُتطَبِّب، فقال: هذا رجلٌ قد فتَّتَ الغمُّ أو الحزنُ كَبِدَه»[5].

قال ابنُه عبدُ الله: «كان أبي يُصَلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ مئةً وخمسين ركعةً[6]، وقد كان يَقرُبُ من الثمانين»[7].

وكان ساعةَ يُصلِّي عِشاءَ الآخِرةِ ينامُ نومةً خفيفةً، ثمَّ يقومُ إلى الصباحِ يُصلِّي[8].

---

(١) في (د): «أنه».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١ : ٤٨٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١١ : ٢٠٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١ : ٤٨٣)، و«مناقب الإمام أحمد» (٣٧٩).

(٤) في (ق): «مرضه». (٥) انظر: «صفة الصفوة» (١ : ٤٨٣).

(٦) في «صفة الصفوة» (١ : ٤٨٤): «كان أبي يصلي في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥ : ٣٠٠)، و«صفة الصفوة» (١ : ٤٨٤).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٩ : ١٨١)، و«صفة الصفوة» (١ : ٤٨٤).

وحجَّ ثلاثَ حجّاتٍ ماشيًا، وأنفقَ في بعض حَجّاتِه عشرين درهمًا[(١)].

ولمّا امتُحِنَ في زمنِ المُعتصم قال ميمونُ بنُ الأصبغ[(٢)]: «كنت ببغدادَ فسمعتُ ضجّةً، فقلت: ما هذا؟ فقال: أحمدُ يُمتَحَن، فدخَلت، فلمّا ضُرِبَ سوطًا قال: بسم الله، فلمّا ضُرِبَ الثاني قال: لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله، فلمّا ضُرِبَ الثالث قال: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق، فلمّا ضُرِبَ الرابع قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، فضُرِبَ تسعةً[(٣)] وعشرين سوطًا، وكانت تكّةُ أحمدَ حاشيةَ ثوبٍ فانقطَعَت، فنزَلَ السَّراويلُ إلى عانَتِه، فرمى أحمدُ بطَرفِه إلى السماء، وحرَّكَ شفتَيه، فما كان بأسرعَ مِن [٩٩/أ] أنّ السراويلَ لم تَنزِل.

فدَخَلتُ إليه بعد سبعةِ أيّام، فقلت: يا أبا عبد الله، رأيتُكَ تُحَرِّكُ شفتَيك، فأيُّ شيءٍ قلت؟ قال: قلت: اللهُمَّ إنّي أسألُكَ باسمكَ الذي ملأتَ به العرش، إن كنت تعلمُ أنِّي على الصواب فلا تَهتِك لي سترًا»[(٤)].

قال عبد الله بن الإمامِ أحمد: كنتُ كثيرًا أسمعُ أبي يقول: «رَحِمَ الله تعالى أبا الهيثم، عفا الله تعالى عن أبي الهيثم، غَفَرَ الله تعالى لأبي الهيثم، فقلت: يا أبتِ[(٥)]، مَن أبو الهيثم؟

فقال: لمّا أُخرِجَت السياطُ ومُدَّت يديَّ للعقابين[(٦)] إذا شابٌّ يجذِبُ ثَوبي،

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٤).

(٢) في (د): «الأصبع».

(٣) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ١١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١١: ٢٥٤).

(٥) في (ق): «يا أبه».

(٦) في (د) و(ق): «للقفايين»، وفي «صفة الصفوة»: «للعاقبين».

فقال لي: تَعرِفُني؟ قلت: لا، قال: أنا أبو الهيثم العَيّار، اللصُّ الطرّار[١]، مكتوبٌ في ديوانِ أمير المؤمنين أنِّي ضُرِبتُ ثمانيةَ آلافِ سوطٍ بالتفاريق، وصَبَرتُ في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعةِ الرحمن لأجل الدِّين، فضُرِبتُ ثمانيةَ عشرَ سوطًا بدلَ ثمانيةِ آلاف، فخرجَ الخادم، وقال: عفا عنه أميرُ المؤمنين»[٢].

قال سِنان: «بَلَغَني أنّ أحمدَ جعلَ المعتصمَ في حِلٍّ يومَ فتحَ بابل، أو فتحَ عموريّة، وقال: هو في حِلٍّ من ضَربِي»[٣].

وقال إبراهيمُ الحربيّ: «أحَلَّ أحمدُ مَن حَضَرَ ضَربَه، وكلَّ مَن شايَعَ فيه، والمعتصم، وقال: لولا أنّ ابن أبي دؤاد داعيةٌ لأحلَلتُه»[٤].

تُوفِّي رحمةُ الله عزَّ وجلَّ عليه سنة إحدى وأربعين ومئتين، وقد استكملَ سبعًا وسبعين سنةً[٥].

قال ابنُه عبدُ الله: «لمّا حَضَرَت أبي الوفاةُ جلستُ عنده ومعي الخِرقةُ؛ لأشُدَّ بها لحْيَيه، فجعلَ يغرقُ[٦] ثمَّ يُفِيق، ثمَّ يفتحُ عَينَيه[٧]، ويقول بيده هكذا، لا بعدُ

---

(١) الطرّار: السارق الذي يشقُّ كُمَّ الرجل ويأخذ ما فيه. انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» (٢: ٢٣٩)، و«طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية» (٧٨)، و«المصباح المنير» (٢: ٣٧٠)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» (٢٢٦)، و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» (١: ٩٤٧).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٥)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (٤٥٠)، و«مرآة الزمان» (١٤: ٢٣٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١١: ٢٥٧).

(٤) انظر: «المنتظم» (١١: ٤٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٦).

(٥) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤: ٢٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٧)، و«وفيات الأعيان» (١: ٦٤).

(٦) في (د): «يفرق».

(٧) في (د): «عينه».

لا بعد، فلمّا كان في الثالثة قلت: يا أبتِ[١]، أيُّ شيءٍ هذا قد لهجتَ به في هذا الوقت؟

قال: يا بُنيّ، إبليسُ لعنه الله عزَّ وجلَّ قائمٌ حِذائِي عاضٌّ على أنامِله يقول: يا أحمَد، فُتَّنِي، فأقول: لا بعد، حتَّى أموت»[٢].

وحُزِرَ مَن حضرَ جنازتَه من الرجالِ ثمانِ مئةِ ألف، ومن النساءِ ستينَ ألفًا، وقيل غيرُ ذلك[٣].

* * *

[أبو حمدون الطيب بن إسماعيل]

[١٣٩] ومنهم: أبو محمَّد الطيِّبُ[٤].

المعروفُ بأبي حمدون الدلّال[٥].

وكان أحدَ القرّاءِ المشهورين والزُّهّاد الصالحين.

صَحِبَ سُفيانَ بنَ عُيينةَ وغيرَه، قال فلانٌ: «سمعتُ أبا حمدون المُقرِئَ يقول: صلَّيتُ ليلةً فقَرأتُ، فأدغَمتُ حرفًا، فحَمَلَتني عيناي، فرأيتُ نورًا تلبَّب بي، وهو

(١) في (ق): «يا أبه».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٨٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٨).

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤: ٢٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٨)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٢: ٩٩).

(٤) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٠: ٤٩٣)، و«المنتظم» (١١: ٣٠٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٢)، و«اللباب في تهذيب الأنساب» (١: ٢٤٠)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٣٣).

(٥) في «تاريخ بغداد» و«المنتظم»: «اللآل».

يقول: بيني وبينك الله عزَّ وجلّ، قلت: من أنت؟ قال: أنا الحرفُ الذي أدغمتَني، [٩٩/ب] قلت: لا أعود، فانتبَهت، فما عدتُ أُدغِمُ[١] حرفًا»[٢].

وكان قد كُفَّ بصره، فقال له قائِدُه ليُدخِلَه المسجد: يا أستاذ، اخلَع نعلَيك، فقال: لِمَ؟ فقال: لأنّ فيهما أذًى، فاغتمَّ أبو حمدون، وكان من عبادِ الله الصالحين، فرفعَ يدَيه ودعا بدعواتٍ ومسح بها وجهَه، فردَّ الله عزَّ وجلَّ عليه بصره[٣].

قال أبو الحُسَين بنُ[٤] المُنادِي[٥]: «كان أبو حمدون من خيارِ الزُّهّاد المُشتهرين بالقرآن، وكان يقصدُ المواضعَ التي ليس فيها أحدٌ يُقرِئُ الناسَ فيُقرِئهم، حتَّى إذا حَفِظُوا انتقلَ إلى آخَرِينَ بهذا النعت، وكان يلتَقِطُ المنبوذَ كثيرًا»[٦].

* * *

[الحارث بن أسد المحاسبي]

[١٤٠] ومنهم: الحارثُ بنُ أسدٍ المحاسبيُّ[٧].

يُكنَّى: أبا[٨] عبد الله[٩].

---

(١) في (ق): «أدغمت».
(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣: ١٣٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٢).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٢).
(٤) «ابن» مثبت من المصادر.
(٥) في (د): «القادي».
(٦) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣: ١٣٨)، و«المنتظم» (١١: ٣٠٠-٣٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٣).
(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٣)، و«السير» (١٢: ١١٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٢٧٥)، و«الأعلام» للزركلي (٢: ١٥٣).
(٨) في (ق): «أبو».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٣)، و«السير» (١٢: ١١٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٢٧٥)، و«الأعلام» للزركلي (٢: ١٥٣).

قال الجُنَيد: «كنتُ كثيرًا أقولُ للمحاسبيّ: عُزلَتي أُنسي، فيقول: كم تقول أُنسي وعُزلَتي! لو أنّ نِصفَ الخلقِ تقرَّبوا منِّي ما وجدتُ بهم أُنسًا، ولو أنّ نصفَ الخَلقِ الآخر نأى عنِّي ما استوحَشتُ لبُعدِهم»[1].

وقال الجُنَيد: «كان المحاسبيُّ كثيرَ الضرّ، فاجتاز بي يومًا وأنا جالسٌ على بابِنا، فرأيتُ في وجهِه زيادةَ الضرِّ من الجوع، فقلت: يا عمّ، لو دخَلتَ إلينا نِلتَ من شيءٍ من عندنا، وعمدتُ إلى بيتِ عمِّي، وكان أوسعَ من بيتنا، لا يَخلو من أطعمة، فجئتُ بأنواعٍ كثيرةٍ من الطعام، فوضعتُه بين يدَيه، فمدَّ يده وأخذَ لقمةً فوضَعَها في فِيه، فرأيتُه يلُوكُها ولا يَزدَرِدُها، ثمَّ وثَبَ فخرجَ وما كلَّمَني.

فلمّا كان الغدُ لقِيتُه، فقلت: يا عمُّ، سرَرتَني ثمَّ نغَّصتَ[2] عليَّ! قال: يا بُنيّ، أمّا الفاقةُ فكانت شديدة، وقد اجتهدتُ في أن أنالَ من الطعامِ الذي قدَّمتَه، ولكن بيني وبين الله عزَّ وجلَّ علامةٌ إذا لم يكُن الطعامُ مَرضيًّا ارتَفَعَ إلى أنفي منه زُفورةٌ، فلم تَقبَله نَفسي، وقد رمَيتُ بتلك اللقمةِ في دِهلِيزِكم وخرجت»[3].

وقال الجنيد: «ماتَ أبو الحارث المحاسبيّ، وإنّ حارثًا لمُحتاجٌ إلى دانِقِ فضّة، وخَلَّفَ مالًا كثيرًا وما أخذَ منه شيئًا، وقال: أهلُ مِلَّتَين لا يتوارثان، وكان أبوه واقِفيًّا»[4].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٥٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٣)، و«السير» (١٢: ١١١).

(٢) في (ق): «نقضت».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٢٠٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«السير» (١٢: ١١٠)، والواقفية أو الواقفة: هم الذين يتوقفون في القرآن، فلا يقولون: مخلوق ولا غير مخلوق، وقد ذمَّهم مَن لا يُحصَى عددهم من الأئمة، كالإمام أحمد والشافعي وإسحاق بن راهويه وغيرهم. انظر: «السنة» لعبد الله بن أحمد =

لَقِيَ المحاسبيُّ يزيدَ بنَ هارونَ وطبقتَه، وتوفِّي سنةَ ثلاثٍ وأربعين ومِئَتَين[(١)].

***

[عبد الوهاب الورّاق]

[١٤١] ومنهم: عبدُ الوهّاب الورّاقُ[(٢)].

ويُكنَّى: أبا الحسن[(٣)].

قال ابنُه أبو بكر: «ما رأيتُ أبي ضاحكًا قطُّ إلّا تبسُّمًا، وما رأيتُه مازحًا، ولَقد رَآنِي مرّةً وأنا أضحكُ مع أُمِّي، فجعلَ يقولُ[(٤)]: صاحبُ قرآنٍ يضحكُ هذا [١٠٠/أ] الضحكَ؟»[(٥)].

قال أبو بكر المَرُّوذِيّ: سمعتُ الإمامَ أحمدَ يقول: «عبدُ الوهّاب رجلٌ صالحٌ، مثلُه يُوفَّقُ لإصابةِ الحقِّ»[(٦)].

صَحِبَ عبدُ الوهّابِ الإمامَ أحمد، قال أحمد: «إنِّي لأدعو الله عزَّ وجلَّ له، ومَن يَقوى على ما يَقوى عليه عبدُ الوهاب؟»[(٧)].

= (١: ١٦٤)، و«مقالات الإسلاميين» (٢: ٤٢٠)، و«الانتصار في الرد على المعتزلة» للعمراني (٢: ٥٤٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٢٠٦).

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«السير» (١٢: ١١٢).

(٢) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٢: ٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠٠).

(٣) انظر: «المنتظم» (١٢: ٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠٠).

(٤) قوله: «يقول» ليس في (ق).

(٥) انظر: «المنتظم» (١٢: ٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠١).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٥).

وقيل للإمامِ أحمد: مَن نسألُ بعدك؟ قال: سَلُوا[١] عبدَ الوهّاب[٢].

تُوفِّي سنةَ خمس، وقيل: إحدى وخمسين ومئتين[٣].

قال أحمدُ بنُ جعفرِ بن عاصم الحربيّ: «رأيتُ في المنامِ بِشرًا، فقلت: من أين يا أبا نصر؟ فقال: من عِلِّيين، فقلت: ما فعَلَ أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ قال: تركتُ الساعةَ أحمدَ وعبدَ الوهّابِ الوَرّاق بين يدَي الله عزَّ وجلَّ يأكُلان ويَشربان ويَتنعَّمان»[٤].

* * *

[السَّري السقطي]

[١٤٢] ومنهم: السَّرِيُّ السَّقَطيُّ[٥].

يُكنَّى: أبا الحسن[٦].

وهو خالُ الجُنَيد وأستاذُه[٧].

مرَّت جاريةٌ بالسَّرِيِّ ومعها إناءٌ[٨] فيه شيء، فسَقَطَ من يدِها فانكسر، فأخذَ

---

(١) في (ق): «اسألوا».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٥)، و«طبقات علماء الحديث» (٢: ٢٠٦).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠٠).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٥).

(٥) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٨)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ٨٥).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٨)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ٨٥).

(٧) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٢٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٨).

(٨) في (د): «الإناء».

سَرِيٌّ شيئًا من دُكّانه، فدفَعَه إليها بَدَلَ الإناء، فنظرَ إليه معروفٌ الكَرْخيُّ فأعجَبَه صُنعُه، فقال له الكَرْخيّ: بَغَّضَ الله عزَّ وجلَّ إليك الدنيا[1].

قال ابنُ أبي الورد: «دخلتُ على سَرِيٍّ وهو يبكي ودَورَقُه مكسورٌ، فقلت: ما لَكَ؟ قال: انكسرَ الدورق، فقلت: أنا أشتري لك بَدَلَه، فقال: تشتري بَدَلَه، وأنا أعرفُ من أين الدّانِقُ الذي اشتُرِي به، ومَن عَمِله، ومِن أين طينُه، وأيُّ شيءٍ أكَلَ عامِلُه حتَّى فرَغَ منه»[2].

قال سعيدُ بنُ عثمان: سمعتُ السَّرِيَّ يقول: «غَزَونا أرضَ الرُّوم، فمرَرتُ بروضةٍ فيها الخُبَّازَى وحَجرٌ منقورٌ فيه من ماء المطر، فقلتُ في نفسي: لئن[3] أكَلتُ يومًا حلالًا فاليوم، فنزلتُ عن دابَّتي، وجعلتُ آكُلُ من ذلك الخُبَّازَى، وشرِبتُ من ذلك الماء، فإذا هاتفٌ يهتف: يا سَرِيّ، فالنفَقةُ التي بلغتَ بها إلى هاهنا[4] من أين؟»[5].

قال: «إنّي لَأذكُرُ مجيءَ الناس إليّ، فأقول: اللهُمَّ هَب[6] لهم من العِلمِ ما يشغَلُهُم عنِّي؛ فإنّي لا أُريدُ مجيئَهُم، ولا أن يدخُلوا عليَّ»[7].

وكان يقول: «اللهُمَّ اشغل مَن يشغلني عنك بك»[8].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ١٥١).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٦).

(٣) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمتين.

(٤) في (ق): «إلى هنا».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٦).

(٦) في (د): «اشغل».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٦).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٦).

قال الجُنَيد: «وكان السَّرِيُّ يقول: الفوائدُ تَرُدُّ ظُلَمَ الليل، وكان يُدافِعُ أوَّله، فإذا غَلَبَه الأمرُ أخذَ في النحيب والبكاء»[١].

وكان يقول: «من أرادَ أن يَسلَمَ دِينُه ويستريحَ قلبُه وبدَنه[٢] ويَقِلَّ غمُّه فليعتزل الناسَ؛ لأنّ هذا زمانُ عُزلةٍ ووحدة»[٣].

وقال[٤] عُبدُوس: قال السَّرِيّ: «كلُّ الدنيا فُضولٌ[٥] إلّا خَمسَ[٦] خصال: خبزٌ يُشبِعُه[٧]، وماءٌ يُروِيه[٨]، وثوبٌ يستره، وبيتٌ يُكِنُّه، وعِلمٌ يستعمله»[٩].

وقال: «مَن لم يعرف قدرَ النِّعَمِ سُلِبَها من حيثُ لا يعلم، ومَن هانت عليه المصائبُ أحرَزَ ثوابَها»[١٠].

وقال: «قليلٌ في سُنّةٍ خيرٌ من كثيرٍ في بدعة، كيف يَقِلُّ عملٌ مع تقوى؟»[١١].

وقال: «أقوى القوّةِ غَلَبَتُكَ نَفسَك، ومَن عَجَزَ عن أدبِ نفسه كان عن أدبِ

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(٢) «وبدنه» ليس في (ق).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٥٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(٤) في (د): «قال».

(٥) في (د): «فضل».

(٦) قوله: «خمس» ليس في (ق).

(٧) كذا في المصادر، وفي (ق) و(د): «يقيته».

(٨) قوله: «وماء يرويه» مثبت من المصادر.

(٩) كتب على حاشية (د): «وعمل يحسنه»، وانظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٩)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٥).

(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(١١) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٢١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨١).

غيره أعجَز، ومن أطاعَ مَن فوقَه أطاعَه مَن دونَه، ومن خافَ الله عزَّ وجلَّ خافَه كلُّ شيء، **ومن علامة الاستدراجِ العمَى عن عيوب النَّفس**»(١).

وقال: «مَن تَزيَّنَ للناس بما ليس فيه سَقَطَ من عينِ الله عزَّ وجلّ، ولن يَكمُلَ رجلٌ حتَّى يُؤثِرَ دِينَه على شَهوتِه، ولن يَهلِكَ حتَّى يُؤثِرَ شَهوتَه على دِينه»(٢).

قال الجُنَيد: قال السَّريّ: «ما أُحِبُّ أن أموتَ حيثُ أُعرَف، أخافُ ألّا تقبَلني الأرضُ فأُفتَضَح»(٣).

وقال: «إنّي لأنظرُ إلى أنفِي كلَّ يومٍ مرَّتَين مخافةَ أن يَسوَدَّ وَجهِي»(٤).

وقال الجُنَيد: سمعتُ السَّريَّ يقول: «كنت بطَرَسُوس، وكان معي في الدار فتيانٌ متعبِّدون، وكان في الدار تَنُّورٌ يخبِزونَ فيه، فانكَسَرَ التنُّور، فعَمِلتُ لهم بَدَلَه من مالي، فتورَّعوا عن أن يَخبِزوا فيه»(٥).

وكان إذا فاتَه جزءٌ من وِردِه لا يُمكِنُه أن يقضِيَه أبدًا(٦).

قيل له: مَن العُبّاد؟ فقال: أكلُهُم أكلُ المرضى، ونومُهُم نومى الغَرقَى(٧).

وقِيلَ له: كَيفَ أنتَ؟ فأنشَأ يَقولُ(٨):

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٢١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ١٥١).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٨) قوله: «وقيل له: كيف أنت؟ فأنشأ يقول» ليس في (ق)، ومثبت من (د).

مَن لم يَبِت والحُبُّ حَشوُ فُؤادِه لم يَــدرِ كيفَ تَفتُّــتُ الأكبادِ[١]

وقال: «سَلَبَ الدنيا مِن أوليائه، وحَماها عَن أصفيائه، وأخرَجَها مِن قُلوبِ أهلِ وِدادِه[٢]؛ لأنّه لَم يَرضَها لَهُم»[٣].

وقال: «مِن النذالة[٤] أن يأكُلَ الرجلُ بدِينِه»[٥].

قال[٦] الجُنَيد: «ما رأيتُ أعبَدَ من السَّرِيِّ؛ أتَت عليه ثمانٍ وسبعون سنةً ما رُؤِيَ مضطجِعًا إلّا في الموت»[٧].

وقال: «صلَّى السَّرِيُّ ليلةً، ثمَّ جَلَسَ ساعةً، فمدَّ رِجلَه، فنُودِي: يا سَرِيّ، مَن جالَسَ المُلوكَ ينبغي أن يُحسِنَ الأدب»[٨].

قال أبو العباس المُؤدِّب: «دَخَلتُ على السريّ، فقال: العَجبُ من عصفور يجيء فيَقَعُ على هذا الرُّواق، فأكونُ قد أعدَدتُ له اللقمةَ فأفُتُّها في كَفِّي، فيسقُطُ على أطراف أناملي فيأكُل، فلمّا كان في وقتٍ من الأوقات سَقَطَ / على الرُّواق، [١٠١/أ]

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٢) قوله: «أهل وداده» موضعها بياض في (ق)، وهي مثبتة في المصادر، وجاء على حاشية (ق): «هكذا في نسخة المصنف بياض»، وغير واضحة في (د).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٩).

(٤) قال الجوهري في «الصحاح» (٥: ١٨٢٨): «النذالة: السفالة، وقد نَذُل بالضم فهو نذل ونذيل، أي: خسيس»، وانظر: «لسان العرب» (١١: ٣٣٧)، و«تاج العروس» (٢٩: ٢٠٥).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٩).

(٦) تكرَّر قوله: «قال» مرتين في (ق).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٨)، و«المنتظم» (١٢: ٦٧)، و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» (٢: ٣٥٥).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠١)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ٨٥).

ففَتَتُّ الخُبز، فلم يَسقُط على يدي، ففكَّرتُ في سِرِّي ما العلّةُ في وَحشتِه منِّي؟ فوجدتُني قد أكَلتُ مِلحًا طيبًا، فقُلتُ في سِرِّي: أنا تائِبٌ من الملحِ الطيِّب، فسقطَ على يدِي وأكلَ وانصرَف»(١).

وكان يقول: «إنّ في النفسِ لشُغلًا عن الناس، ودِدتُ أن يكونَ حزنُ الخَلقِ كُلِّهم عليَّ»(٢).

وقال مُحمَّدُ بنُ عليٍّ الحربيُّ: قال السَّرِيّ: «حَمِدتُ الله تعالى مرّةً، فأنا أستغفِرُ الله عزَّ وجلَّ من ذلك الحَمدِ منذ ثلاثين سنةً، قلت(٣): وكيف ذلك؟

قال: كان لي دُكّان، وكان فيه مَتاع، فوَقَعَ الحريقُ في سُوقِنا، فخَرَجتُ أتعرَّفُ خَبَرَ دكّاني، فلقِيتُ رجلًا، فقال: أبشِر؛ فإنّ دُكّانَكَ قد سَلِم، فقُلت: الحمدُ لله، ثمَّ فكَّرتُ فرأيتُها خطيئةً»(٤).

قال عبدُ الله البَزّار: سَمِعتُ السَّرِيَّ يقول: «لو أنّ رجلًا دخلَ بُستانًا فيه جميعُ ما خَلَقَ الله عزَّ وجلَّ من الأشجار، وعليها(٥) جميعُ ما خَلَقَ الله عزَّ وجلَّ من الأطيار، فخاطَبَه كلُّ طائرٍ منها بلُغَته، وقال: السلامُ عليك يا وَلِيَّ الله، فسَكَنَت نفسُه إلى ذلك، كان في يدَيها أسيرًا»(٦).

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٩).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٠).

(٣) كأنها في (د): «قالت».

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ١٥١).

(٥) في (د): «عليها» بدون الواو.

(٦) في (ق): «يسيرًا». وانظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠١)، وبعدها: «كانت في يدها أسيرًا».

وقال: «لو شَفَقَت هذه النفوسُ على أديانِها شَفَقَتَها على أولادها لَلاقَت السرور في مَعادِها»[١].

وقال[٢] الجنيد: «دخلتُ على السَّرِيِّ وهو في النَّزع، فجلستُ عند رأسه، ووضعتُ خدِّي على خدِّه، فدَمَعَت عيناي، فوقعَ دَمعِي على خدِّه، ففتحَ عَينَيه، وقال: مَن أنت؟ قلت: خادِمُكَ الجنيد، فقال: مرحبًا، فقلت: أيُّها الشيخ، أوصِني بوصيّةٍ أنتَفِعُ بها بعدك، فقال: إيّاك ومُصاحَبةَ الأشرار، وأن تنقَطِعَ عن الله عزَّ وجلَّ بصُحبةِ الأخيار»[٣].

تُوفِّي يوم الثلاثاءِ لستٍّ خَلَون من رمضانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين ومئتين، وقيلَ غيرُ ذلك[٤].

❊ ❊ ❊

[علي بن الموفق أبو الحسين العابد]

[١٤٣] ومنهم: عليُّ بنُ المُوفَّق أبو الحسين العابِد[٥].

قال محمَّدُ بنُ أحمدَ[٦] المهتدي: «سمعتُ عليَّ بنَ المُوفَّق ما لا أُحصيه يقول: اللهُمَّ إن كنتَ تعلَمُ أنِّي أعبُدُكَ خوفًا من نارِكَ فعذِّبنِي بها، وإن كنت

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٩٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠١).

(٢) في (ق): «قال» بدون الواو.

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٢)، و«طبقات الأولياء» (١٦٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٢)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ٨٥).

(٥) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٥: ٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٣٩).

(٦) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

تعلَمُ أنِّي أعبُدُكَ حبًّا منِّي لجنَّتِكَ وشوقًا إليها[١] فاحرِمنِيها، وإن كنت تعلمُ أنِّي أعبُدُكَ حبًّا منِّي لك وشوقًا إلى وجهكَ الكريم فأبِحنِيه، واصنَع بي ما شئتَ»[٢].

وقال: «خرجتُ يومًا لأؤذِّن، فأصبتُ قِرطاسًا، فوضعتُه في كُمِّي، وأقمتُ وصلَّيتُ ثمَّ قرأتُه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، يا عليّ، أتخافُ الفقرَ وأنا ربُّكَ!»[٣]. /

قال عبدُ الله الطيالسيّ: سمعتُ عليًّا يقول: «قامَ رجلٌ من إخوانِكم في ليلةٍ باردة، فلمّا تهيَّأ للصلاةِ إذا في يدَيه ورِجلَيه شِقاق، فبكى، فهتفَ به هاتفٌ من البيت: أيقَظناكَ وأنَمْنا غيرَكَ وتبكي علينا!»[٤].

قال عبدُ الباقي: «سمعتُ بعضَ مشايخنا يقول: قال لي عليُّ بنُ المُوفَّق: لمّا تمَّ لي ستُّونَ حجّةً خرجتُ من الطواف، وجلستُ تحت الميزاب، وجعلتُ أتَفَكَّرُ لا أدري أيَّ شيءٍ حالي عند الله تعالى، وقد كَثُرَ تردُّدي إلى هذا المكان، قال: فغلبَتني عيناي، فكأنّ قائلًا يقول: يا عليّ، أتدعو إلى بيتِك إلّا من تُحِبُّ؟ فانتبَهتُ وقد سُرِّي عنِّي ما كنتُ فيه»[٥].

تُوفِّي سنة خمسٍ وستِّين ومئتين[٦]، رحمةُ الله تعالى عليه.

---

(١) بعدها بياض في (د) بمقدار ثلاث كلمات.

(٢) انظر: «المنتظم» (٥: ٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«آثار البلاد وأخبار العباد» (٤٢٣).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٣٩)، و«طبقات الأولياء» (٣٤١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«طبقات الأولياء» (٣٤١).

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«طبقات الأولياء» (٣٤١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٤)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٤٠).

[أبو عبد الله جعفر البراثي]

[١٤٤] ومنهم: أبو عبد الله جعفر البراثيُّ[١].

قال سعيدُ بنُ صُبح: «سمعتُ أبا مريمَ يقول لأبي عبد الله البراثيّ: كم تَبكي كَمَّ هذا البكاء؟ فأخرجَ يدَه، وإذا على أصبعه شعرةٌ ملفوفةٌ فنَشَرَها، ثمَّ قال: إذا كان المَجازُ على مثل هذا فأيُّ[٢] قَدَم تثبُتُ على مثل هذا؟ ثمَّ بكى»[٣].

قال: «مَن زَهِدَ على حقيقةٍ كانت مؤنَتُه خفيفةً، ومَن لم يعرف ثوابَ الأعمال ثَقُلَت عليه جميعُ الأحوال»[٤].

وقال: «بالمعرفةِ هانت على العامِلِينَ العبادة، وبالرضا عن الله عزَّ وجلَّ في تدبيرِه زَهدوا[٥] في الدنيا، ورَضوا منها لأنفُسِهم بتقديره»[٦].

وقال: «مَن كَرُمَت نفسُه عليه رَغِبَ بها عن الدنيا»[٧].

وقال: «حَمَلَتنا المطامعُ على أسوءِ الصنائع، نَذِلُّ لِمَن لا يقدِرُ لنا على ضُرٍّ ولا نفع، ونخضعُ لِمَن لا يَملِكُ لنا رِزقًا ولا حياة، ولا موتًا ولا نُشورًا، فكيف أزعُمُ معرفةَ[٨] ربِّي حقَّ معرفتِه وأنا أصنعُ ذلك! هيهات هيهات[٩].

---

(١) انظر ترجمته في: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٢٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٢) في (ق): «فأنى».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٢٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٥) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٨) قوله: «معرفة» ليس في (ق).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٤-٥٠٥).

[أبو جعفر المحولي]

[١٤٥] **ومنهم**: أبو جعفرٍ المُحوِّليُّ[١].

وكان عابدًا عاملًا.

وكان يقول: «حرامٌ على قلبٍ مُحِبٍّ للدنيا أن يَسكُنَه الورعُ الخفيّ، وحرامٌ على نفسٍ عليها رَبّانيّةُ[٢] الناس أن تذوقَ حلاوةَ الآخرة، وحرامٌ على كلِّ عالمٍ لا يعملُ بعِلمِه أن يتَّخِذَه المتَّقونَ إمامًا»[٣].

وقال: «إذا جاعَ العبدُ صَفا بدنُه، ورقَّ قلبُه، وهَطَلَت دَمعَتُه، وأسرَعَت إلى الطاعةِ أطوارُه وجوارِحُه، وعاش في الدنيا كريمًا»[٤].

❊ ❊ ❊

[أبو بكر محمد بن مسلم القنطري]

[١٤٦] **ومنهم**: أبو بكر محمَّد[٥] بن مسلم القنطريُّ[٦].

وكان يُشَبَّه في الزهدِ والوَرَعِ والشغلِ عن الدُّنيا وأهلِها ببِشرٍ[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ١٤٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥).

(٢) في «صفة الصفوة»: «رئاسة».

(٣) انظر: «الزهد والرقائق» للخطيب البغدادي (٢٤)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٥٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٥).

(٥) جاء قبلها في (ق) و(د): «ابن».

(٦) انظر ترجمته في: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٣)، و«المنتظم» (٥: ٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

(٧) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

[١٠٢/أ] وكان قُوتُه شيئًا يسيرًا، إنّما كان يكتُبُ «**جامع سفيان الثوري**» لقومٍ لا يُشَكُّ في صَلاحِهم ببضعةَ عشرَ درهمًا، فمنها قُوتُه[١].

وكان له ابنُ أختٍ يلعبُ بالطيور، فدعا عليه، فما أمسى إلّا ميِّتًا[٢].

قال أبو بكرٍ المَرُّوذِيّ: «دخلتُ على أبي بكر بن مسلمٍ يومَ عيد، فوجَدتُ عليه قميصًا مرقوعًا، وقُدّامُهُ قَلِيلُ خَرنُوبٍ يَقرِضُهُ[٣]، فقال: يا أبا بكر، اليومُ عيدُ الفِطر وتأكلُ خَرْنوبًا؟ فقال لي: لا تنظر إلى هذا، ولكن انظر إلى هذا إن سألني[٤] من أين هو، أيّ شيءٍ أقول؟»[٥].

قَدِمَ الجنيدُ على أبي بكر[٦] محمَّدِ بن مسلم في نصف النهار، فقال: ما كان لك في هذا الوقتِ عملٌ يَشغَلُكَ عن المجيءِ إليَّ؟ قلت: إذا كانَ[٧] مَجِيئي إلَيكَ العملُ فما أعمَلُ[٨]؟

قال أبو بكر المَرُّوذِيّ: «سمعت أبا بكرِ بنَ مسلم يقول: الدنيا لأيِّ شيء تُراد؛ إن كان إنّما تُرادُ للذّة فلا كانت الدنيا ولا كان أهلُها، إنّما تُرادُ الدنيا أن يُطاعَ فيها»[٩].

---

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

(٣) في (د): «يقطرطه».

(٤) في (د): «سألني الله».

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥).

(٦) في (د) و(ق): «أبي بكر ابن».

(٧) «كان» مثبت من المصادر.

(٨) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٦).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٦).

تُوفِّي أبو بكرٍ يوم الثلاثاءِ لخمسٍ بَقِينَ من ذي الحجّةِ سنةَ ستِّين ومئتَين[١]، رحمة الله عليه.

* * *

[أبو بكر الشبلي]

[١٤٧] ومنهم: أبو بكرٍ الشِّبليُّ[٢].

واختُلِفَ في اسمِه، فقيل: دلفٌ، وقيل: جَحْدرُ بنُ دلف، وقيل: جعفر، وقيل غير ذلك[٣].

أصله خُراسانيٌّ، من أهل أشروسنة[٤]، من قريةٍ يُقال لها: «الشِّبلِيّة»[٥]، ومولِدُه بـ «سُرَّ مَن رأى»[٦].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٦)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

(٢) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (٢٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (٢٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).

(٤) في (ق) و(د): «أشروسية»، قال ياقوت الحموي في: «معجم البلدان» (١: ١٩٧): «أُشرُوسنة؛ بالضم ثم السكون، وضم الراء، وواو ساكنة، وسين مهملة مفتوحة، ونون، وهاء، أورده أبو سعد، رحمه الله، بالسين المهملة، وهذا الذي أوردته هاهنا هو الذي سمعته من ألفاظ أهل تلك البلاد، وهي بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند».

(٥) في (ق) و(د): «شبيلة».

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (٢٥٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).

وكان حاجِبَ[١] الموفَّق، وكان أبوه حاجِبَ الحُجّاب، فحضرَ الشِّبليُّ مَجلِسَ خيرٍ النسّاج فتابَ فيه[٢].

قال: «خَلَّفَ أبي ستّين ألف دينارٍ سوى الأملاك[٣]، فأنفَقتُ الكُلّ، وقَعَدتُ مع الفقراء»[٤].

قال أحمدُ الصفّار: «سُئِلَ الشِّبليّ: أيُّ شيءٍ أعجَبُ؟ قال: قلبٌ عَرَفَ ربَّه ثمَّ عصاه»[٥].

قال عليُّ بنُ المُثنَّى: «دخَلتُ على الشِّبليِّ في دارِه وهو يهيج ويقول:

عَلَى بُعدِكَ لا يَصبِرُ ... مَن عادَتُهُ القُربُ
وَلا يَقوَى عَلَى حَجبِك ... مَن تَيَّمَهُ الحُبُّ
فَإن لَم تَرَكَ العَينُ ... فقَد أبصَرَكَ القَلبُ[٦]

قال الشِّبليّ: «مجاهدةُ النفسِ بالنفسِ أفضلُ من مجاهدةِ الغَيرِ بالنفس»[٧].

قال الصفّار: «كنتُ عندَ الشِّبليّ، وكان يَذُمُّ الدنيا، فقال: يا مَن باعَ كلَّ شيءٍ بلا شيء، واشترَى لا شيءَ بكلِّ شيءٍ»[٨].

---

(١) في (ق) و(د): «صاحب».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).
(٣) قوله: «الأملاك» ليس في (ق).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠).
(٦) انظر: «المنتظم» (١٤: ٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٤: ١٩).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠). (٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠).

وسُئِل: ما الزهد؟ فقال: نِسيانُ الزهد[١].

وقال: «ليس مَن استأنسَ بالذِّكر كمن استأنسَ بالمذكور»[٢].

وقال: «لا تأمَن على نفسِكَ وإن مشيتَ على الماء حتَّى تخرُجَ من دار الغِرّة إلى دار الأمن»[٣].

وقال: «إذا وجدتَ قلبَكَ مع الله تعالى فاحذَر من نفسِك، وإذا وجَدتَ قلبَكَ مع نفسِك فاحذَر من الله عزَّ وجلَّ»[٤].

وقال: «أحبَّكَ الخلقُ لنَعمائِك، وأنا أُحِبُّكَ؛ لبلائك»[٥].

وسألَ جعفرُ بنُ نصير بكرًا الدينوريَّ، وكان يَخدُمه: ما الذي رأيتَ من الشِّبليِّ عند وفاته؟

فَقال: قال: عَلَيَّ دِرهَمٌ مَظلِمةٌ قَد تَصَدَّقتُ عَن صاحِبِهِ بألوف، فما على قلبي شُغلٌ أعظمُ منه، ثمَّ قال: وضِّئني للصلاة، ففعلت، فنسِيتُ تخليلَ لحيته، وقد أمسَكَ لسانَه، فقَبَضَ على يدي وأدخَلَها في لحيتِه ثمَّ مات، فبكى جعفر، وقال: ما تقولونَ في رجُلٍ لم يَفُته في آخرِ عُمرِه أدبٌ من آدابِ الشريعة[٦].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤١).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤١).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤١).
(٦) انظر: «الثبات عند الممات» (١٧٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٧٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤١)، و«طبقات الأولياء» (٢١٢).

صَحِبَ الجُنيدَ الشِّبليُّ وطبقته[١]، وتَفَقَّهَ على مذهب مالك[٢]، وكتب الحديثَ الكثيرَ[٣].

ولا يُعلَمُ له مُسندٌ إلّا حديثٌ واحدٌ من روايةِ أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**القَ الله تعالى فقيرًا، ولا تلقَه غنيًّا**»، قيل: يا رسولَ الله، كيف لي بذلك؟ قال: «**ما سُئِلتَ فلا تمنَع، وما رُزِقتَ فلا تخبَأ**»، قال: يا رسولَ الله، كيف لي بذلك؟ قال: «**هو ذاك، وإلّا فالنارُ**»[٤].

تُوفِّي الشِّبليُّ في ذي الحجّةِ سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاث مئة، وهو ابنُ سبعٍ وثمانين سنةً[٥]، واللهُ أعلم.

* * *

[خزرج أبو طالب الصوفي]

[١٤٨] **ومنهم**: خزرجٌ أبو طالبٍ الصوفيُّ[٦].

---

(١) في (د): «في طبقته». (٢) في (ق) و(د): «الشافعي».

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤١)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٢٧٣).

(٤) «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٢). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٥٤٥): «أخرجه الحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال، ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ: «مِتْ فقيرًا ولا تَمُت غنيًّا»، وكلاهما ضعيف».

(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٥٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٢).

(٦) انظر ترجمته في: «الأربعون في شيوخ الصوفية» للماليني (١٤٧)، و«تاريخ بغداد» (٩: ٣٠٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

قال ابنُ خفيف: «دَخَلَ أبو طالبٍ خزرج، فاعتلَّ علّةً، فكنتُ أخدُمُه، وأُقدِّمُ له[١] الطستَ[٢] في الليل مرارًا، وكنت في ذلك الوقت في حال الرياضة، وكنتُ لا أُفطِرُ إلّا على الباقِلّاء اليابس، فسَمِعَ أبو طالبٍ ليلةً كَسْرِي للباقلّاءِ بأسناني، فقال لي: ما هذا؟

فعرَّفتُه حالي، فبكى، وقال: الزَم هذا؛ فإنّي كنت كذلك حتَّى حَضَرتُ ليلةً مع أصحابِنا في دعوةٍ ببغداد، فقُدِّمَ[٣] إلينا جَمَلٌ مشويّ، فأمسَكتُ يدي، فقال لي بعض أصحابنا: كُل، فأكَلتُ لُقمةً، فأنا منذ أربعين سنةً إلى خَلف.

قال ابنُ خفيف: ثمَّ تماثَلَ وخرجَ إلى بعض النواحي، وجلسَ في رِباط، وسوَّدَ داخلَه وخارِجَه، وقال: هكذا[٤] جلوسُ أهل المصائب، فما[٥] خرجَ حتَّى مات»[٦]، رحمة الله تعالى عليه.

وَيحَك! يا سالِكَ سبيلِ الشيطان، وفي زَعمِكَ أنّك سالكٌ سبيلَ الرحمن، تُدعَى إلى ولائم الظَّلَمة وأعوانِهم، وتتضلَّع من مالِهم الخبيث، وقد تعاطَيتَ سببَ غضب الديّان، ما بينك وبين أن ترى في[٧] نفسك الحسرةَ إلّا أن[٨] تُفارِقَ نفسُك الخبيثةُ جسمَك الناشِئَ على أكلِ الحرام، إنّ لقمةً تتناولها مُبهَمةً من [١٠٣/أ] عينِ[٩] أموالِ الظَّلَمةِ لَمِن أعظمِ الحجاب، فتُب يا مَغرورُ من رَقدةِ الشَّهوات؛

---

(١) «له» ليس في (ق). (٢) في (ق): «الطشت».
(٣) في (د): «وقدم». (٤) تكرَّر قوله: «هكذا» مرتين في (د).
(٥) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.
(٦) انظر: «الأربعون في شيوخ الصوفية» للماليني (١٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).
(٧) «في» ليس في (د). (٨) في النسخ: «حتى».
(٩) في (ق): «غير».

فإنّها سِهامٌ جعلَتك غرضَها[١]، فلا تَنفكُّ[٢] بنَبلِها مُصابًا، والله أعلم.

* * *

[أبو إسحاق إبراهيم بن حماد]

[١٤٩] ومنهم: أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ حمّادٍ[٣].

قال الخَلّال: قال لنا القاضي الجراحيّ: «ما جئتُ إلى إبراهيمَ بن حمّادٍ قطُّ إلا وجدتُه قائمًا يصلِّي، أو جالسًا يقرأ»[٤].

وقال الخَلّال: قال أبو بكرٍ النيسابوريّ: «ما رأيتُ أعبَدَ منه»[٥].

أسنَد إبراهيمُ عن الحسَنِ بن عَرفةَ وخلقٍ كثير[٦].

وتُوفِّي في صفر سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مئة[٧]، واللهُ أعلم.

* * *

[أبو بكر أحمد النجاد]

[١٥٠] ومنهم: أبو بكرٍ أحمدُ النجّادُ[٨].

---

(١) في (د): «عرضتها». (٢) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦)، و«السير» (١٥: ٣٥).

(٤) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

(٧) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

(٨) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٥: ٣٠٩)، و«طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٢: ٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦)، و«تاريخ الإسلام» (٢٥: ٣٩٢).

قال أبو إسحاقَ الطبري: «كان أحمدُ يصومُ الدَّهر، ويُفطِرُ كلَّ ليلةٍ على رغيف، ويتركُ منه لقمةً، فإذا كان ليلةَ الجمعة تَصدَّقَ بذلك الرغيف، وأكَلَ تلك اللُّقَم»[١].

قال الحربيّ: قال النجّاد: «مَن نقرَ على ذنوبه؛ طال بكاؤُه، ومَن نقرَ على مطعَمه؛ طال جوعُه»[٢].

أسند النجادُ عن خلقٍ كثير، ومنهم: داودُ السجستانيُّ وخلقٌ لا يُحصَون، وكان يَمشي في طلب الحديثِ حافيًا[٣].

تُوفِّي سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثِ مئة، ودُفِنَ عند قبرِ بِشر بن الحارث[٤]، رحمةُ الله عليه، والله أعلمُ.

* * *

[جعفر الخلدي]

[١٥١] **ومنهم: جعفرٌ الخَلَديُّ**[٥].

يُكنَّى: أبا مُحمَّدٍ[٦].

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (٥: ٣٠٩)، و«طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٢: ٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦)، و«تاريخ الإسلام» (٢٥: ٣٩٣).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (٥: ٣٠٩)، و«المنتظم» (١٤: ١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٤) انظر: «تاريخ بغداد» (٥: ٣٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٥) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٤: ٢٥٣).

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٤: ٢٥٣).

حجَّ ستِّين حجّةً.

قال أبو عليٍّ بنُ المُثنَّى: «سمعتُ الخَلَديَّ يقول لرجل: كُن شريفَ الهمّة؛ فإنّ الهِمّةَ تبلُغُ بالرجالِ إلى المُجاهدات»[١].

سَمِعَ الخَلَديُّ الكثيرَ من الحديث، وجماعةً من المشايخ كالجُنَيد وغيره[٢].

وتُوفِّي يوم الأحد لتسعٍ خلون من رمضان، سنةَ ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة[٣]، والله أعلم.

* * *

[الآجري]

[١٥٢] ومنهم: الآجريُّ[٤].

وكان ثقةً دَيِّنًا عالمًا مُصنِّفًا.

سَمِعَ من خَلقٍ كثير، وحَدَّثَ ببغدادَ قبل سنة ثلاثين وثلاثِ مئة، ثمَّ انتقلَ إلى مكّة، فأقامَ بها إلى أن ماتَ في سنة ستِّين وثلاث مئة[٥].

قال محمودُ البرمكيّ: «لمّا وصلَ أبو بكرٍ الآجريُّ إلى مكّةَ استحسَنَها واستطابها، فهجَسَ في نفسه أن قال: اللهُمَّ أحيِني في هذهِ البلدة سنةً، فسَمِعَ

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٤: ٢٥٤).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٤) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٨).

هاتفًا يقول: يا أبا بكر، لِمَ سنة؟ ثلاثين سنةً، فلمّا كان في السنة الثلاثينَ سَمِعَ هاتفًا يقول: يا أبا بكر، قد وفَّينا بالعهد، فماتَ في تلك السنة[١]، والله أعلم.

* * *

[أبو الحسين محمد بن سمعون]

[١٥٣] ومنهم: أبو الحسين مُحمدُ بنُ سمعون[٢].

وكان يُلقَّبُ بالناطق بالحكمة[٣].

قال يومًا: «رأيتُ المعاصيَ نذالةً، فتركتُها مُروءةً، فاستحالَت دِيانةً»[٤].

وقال: «كلُّ مَن لم ينظُر بالعلم فيما لله عليه فالعلمُ حُجّةٌ لله عليه / ووبالٌ»[٥]. [١٠٣/ب]

وكان يقول: «احذَرُوا الصغائِرَ؛ فإنّ للنُّقَطِ الصغارِ آثارًا في الثوب النقيِّ»[٦].

وكان يقول: «احذَر أن ترى عملَك؛ فإنّك إن رأيتَه كنت ناظرًا إلى ما ليس إليك»[٧].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١:٥٤٨).

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٢:٩٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢:١٥٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١:٨)، و«صفة الصفوة» (١:٥٤٩).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (٢:٩٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢:١٥٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١:٨)، و«صفة الصفوة» (١:٥٤٩).

(٤) انظر: «تاريخ بغداد» (٢:٩٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢:١٥٦)، و«الأنساب» للسمعاني (٧:٢٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١:١٢)، و«صفة الصفوة» (١:٥٤٩).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١:١٢)، و«صفة الصفوة» (١:٥٥٠).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١:٥٥٠).

(٧) قوله: «وكان يقول: احذر أن ترى عملك؛ فإنّك إن رأيته كنت ناظرًا إلى ما ليس إليك» ليس في (د)، وانظر: «صفة الصفوة» (١:٥٥٠).

وكان يقول: «من الوقاحةِ تَمنِّيكَ مع تَوانِيك، استوفِ من نفسِك الحقوق، ثمَّ وَفِّها[١] الحظوظَ[٢] حسبَ ما يكفيها لا ما يُطغِيها»[٣].

قال أبو عليٍّ طلحةُ المُقرئ: سمعتُه يقول في معنى قولِه: «**لا يزالُ عبدِي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَّى أحِبَّه**»[٤] قال: «أُظهِرُ لهُ حُبِّي؛ لأنّه لم يَزَل مُحبًّا»[٥].

قال طلحة: «وسمعته يقول: الخيرُ كلُّه في هذا الزمانِ تَركُ[٦] ما الناسُ عليه، ومَصُّ النوى، وسَفُّ الرمل»[٧].

قال طلحة: «كنّا جُلوسًا عند أبي الحسين في مَجلِسِه، فجازَ[٨] قومٌ معهم كلابُ الصيد، فنَبَحَت عليها كلابُ الدَّرب، فقال: سبحانَ الله! حادَثَت هذه هذه، فقالت الأهليّة لكلاب الصيد: يا مساكين، رغبتم[٩] في نعيمِ المُلوك فسُوجِرتم، ولو قَنَعتُم بالمَنبُوذ مثلنا[١٠] كنتم مُخَلَّين[١١]، فقالت كلابُ الصيد: خَفِيَ عليكم حالُنا، نحن رأوا فينا آلةَ الخدمة فحبَسُونا على الخدمةِ وقاموا لنا بالكفاية.

قالت الأهليّة: فالواحدُ منكم إذا كبِرَ خُلِّيَ وصار معنا، فقالت كلابُ الصيد[١٢]: لأنّه قَصَّرَ فيما يَجِبُ عليه، وكلُّ مَن قَصَّرَ فيما يجبُ عليه طُرِدَ»[١٣].

---

(١) في (د): «وفيها».
(٢) «الحظوظ» مثبت من المصادر.
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٠)، و«مرآة الزمان» (١٨: ١٠٨)، و«تسهيل السابلة» (١: ٤٤٣).
(٤) «صحيح البخاري» (٦٥٠٢).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٠).
(٦) «ترك» ليس في (د).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٠).
(٨) في (د): «فجاء».
(٩) في (ق): «رعيتم».
(١٠) «مثلنا» ليس في (ق).
(١١) في (ق): «مخلايين».
(١٢) بعدها بياض في (د) بمقدر كلمة.
(١٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥١).

قـال أحـمدُ العلّاف: «حضرتُ أبا الحسين يومًا في مجلس الوعظ، وكان أبو الفتح القَوّاسُ جالسًا إلى جنب[١] الكُرسيّ، فنام، فأمسكَ أبو الحسين ساعةً حتَّى استيقظَ القوّاس، فقال له أبو الحسين: رأيتَ رسولَ الله ﷺ؟ قال: نعم، فقال أبو الحسين: أمسَكنا عن الكلام خوفًا أن تنزَعِجَ وتنقَطِعَ عمّا كُنتَ فيه»، أو كما قال[٢].

أسند أبو الحسين عن خلقٍ كثير، وتُوفِّي في النصفِ من ذي القعدة سنةَ سبعٍ وثمانين وثلاثِ مئة، ودُفِنَ في داره، ثمَّ نُقِلَ منها[٣].

قال محمَّدُ بنُ يوسف: أخبرَني أبي، قال: «كنتُ مع الذين أخرَجوه، وقد دُفِنَ في دارِه أربعينَ سنةً، فأُخرِجَ إلى قبرِ أحمدَ وأكفانُه تقعقَعُ[٤] كما دُفِن، رحمةُ الله تعالى عليه»[٥]. والله أعلم.

* * *

[عبد الصمد]

[١٥٤] ومنهم: عبدُ الصمد[٦].

---

(١) في (ق): «جنبه».

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ٩٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ١٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥١-٥٥٢).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢).

(٤) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢).

(٦) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣: ٣٢٩).

كان من أهلِ الزُّهدِ والصلاحِ، أمّارًا بالمعروفِ، نَهّاءً عن المنكر[١].

قال محمَّدُ بنُ الحسن[٢] المالكيّ: «جاءَ رجلٌ إلى عبد الصمد بمئة دينارٍ ليدفعَها لهُ[٣]، فقال: أنا غني عنها، فقال: ففرِّقها[٤] على [١٠٤/أ] أصحابكَ.

فقال: ضعها على الأرض، ففعَل، فقال عبدُ الصمد للجماعة: مَن احتاجَ[٥] منكُم إلى شيءٍ فليأخُذ قدرَ حاجَتِه، فتوزَّعها الجماعةُ على صفاتٍ مختلفةٍ من القِلّة والكثرة، ولم يَمَسَّها هو بيدِه، ثمَّ جاءه ابنُه بعد ساعة، فطلبَ منه شيئًا، فقال له: اذهب إلى البقّالِ فخُذ منه رُبعَ رطلٍ تمر»[٦].

قال أبو عليٍّ العَلّاف: قال لي عبدُ الصمد: «يا أبا عليّ، رأيتُ اليوم عجبًا، اجتزتُ ببعض الخرابات، فسمعتُ أنينًا، فدخلت، فإذا برجلٍ قد شَدَّ في عُنقِه حبلًا يريدُ خنقَ نفسِه، فزعقتُ عليه، وقلت: لا يَحِلُّ لك ذلك[٧]، فقال لي: فاعذُر، فقلت[٨]: ما شأنُكَ؟ قال: قامَرتُ في قتل نفسي، فقَمَرتُها وما أرى الغَدر، فنحَّيتُ الحبلَ من عُنقِه، وعَجِبتُ كيف لم يَستَجِز الغدرَ في هوى الشيطان، فكيف يُجَوِّزُ الغدرَ في رضا الله الرحمن»[٩].

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣: ٣٢٩).

(٢) في (د): «الحسين».

(٣) «له» ليس في (ق).

(٤) في (ق): «فرقها».

(٥) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«المنتظم» (١٥: ٥٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢)، و«البداية والنهاية» (١٥: ٥١٦).

(٧) «ذلك» ليس في (د).

(٨) في (د): «قلت».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٣).

وجاءَهُ[(١)] رجلٌ بدراهمَ وبيتُه فارغٌ من القوت، فقال له: يا هذا، بالله دَعني أتلذَّذُ بفَقري كما يتلذَّذُ الأغنياءُ بغناهُم[(٢)].

وكان يُحرِّضُ أصحابَه على الجِدّ، ويقول: هيه، قد فاتَتكُم الدنيا فلا تفوتكُم الآخرة[(٣)].

قال عبدُ الصمد: «كنتُ يومًا أمشِي في بعض الطرُق، وإذا بساعٍ قد أقبل، وقد بقي[(٤)] عليه من الطريق شيءٌ، والناسُ يستقبلونه بالتُّحَف، فقال له رجلٌ: أي فلان، مُتِ اليوم حتَّى تعيشَ أبدًا، فقلت لنفسي: هذا لكِ، مُوتي حتَّى تعيشي أبدًا»[(٥)].

أسند عبدُ الصمد عن النجّاد[(٦)].

قال الصَّيمريّ: «وكان عنده جُزءٌ من النجّاد، فأخذتُ من أبي بكرٍ البقال نُسخَتَه، ومضَيتُ أنا وأبو يَعلى بنُ المأمون إليه، فسلَّمنا عليه، وسألناه أن يَحضُرَنا في المسجد؛ لنسمعَ الجزءَ منه، وسبَقناهُ إلى المسجد، فدخلَ وسلَّم وصلَّى ركعتَين، ثمَّ جاءَ وجَلَسَ بين أيدينا، فقلت له: إنّما حضرنا لنسمعَ منك، فإن رأيتَ أن تَرتَفِعَ إلى صدر[(٧)] المَجلِس، فقال: هذا ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، وأنت رجلٌ من أهلِ العِلم، وما كنتُ لأرتفعَ عليكما في المجلس»[(٨)].

---

(١) في (ق): «وجاء».
(٢) في (د): «بغنائهم»، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).
(٤) في (ق): «وبقي».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٣).
(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«تاريخ الإسلام» (٢٧: ٣٤٤).
(٧) في (د): «ترتفع لصدر».
(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢).

تُوفِّي يوم الثلاثاء لسبعٍ بقينَ من ذي الحجّةِ سنةَ سبعٍ وسبعين وثلاثِ مئة، وكانت وفاتُه بدرب شماسٍ[1]، وقبرهُ ظاهرٌ بمقبرةِ الإمام أحمدَ رحمةُ الله تعالى عليه[2]. والله أعلم.

* * *

[عثمان بن عيسى الباقلاوي]

[١٥٥] ومنهم: عثمانُ بنُ عيسى الباقلاويّ[3].

وكان يُقالُ له: العابدُ الصَّمُوتُ؛ لإمساكه عن الكلام فيما[4] لا يَعنِيه[5].

[١٠٤/ب] وهو أحدُ الزهّاد[6] المتعبِّدين، مُنقطِعًا عن الخلق، مُلازمًا للخَلوة[7].

قال أبو أحمدَ بنُ عليٍّ الحافظ: سمعتُ بعضَ الشُّيُوخ الصالحين يقول: سَمِعتُ عثمانَ الباقلّاويَّ يقول: «إذا كان وقتُ غروبِ الشمس أحسَبُ روحي كأنّها تَخرُج؛ يَعني: لاشتغاله في تلك الساعةِ بالإفطارِ عن الذِّكر»[8].

---

(١) في (د): «شمامين».

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٣: ٢٠٧)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٦٩)، و«المنتظم» (١٥: ٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

(٤) في (د): «الذي».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

(٦) في (د): «الزاهدين».

(٧) قوله: «منقطعًا عن الخلق» ليس في (د)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٣: ٢٠٧)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٣: ٢٠٧)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

قال: وسمعتُه يقول: «أحَبُّ الناس إليَّ مَن تَركَ السلامَ عليَّ؛ لأنّه يَشغَلُني بكلامه عن الذِّكر»[١].

قال محمَّدُ بنُ عبد العزيز العباسيّ: حدَّثني أبي، قال: «مضيتُ مع خالي إلى عثمانَ الباقلّاويّ، فوجَدناه خارجًا من المسجدِ إلى دارِهِ وهو يُسَبِّح، فقال له خالي: ادعُ لي، فقال: يا أبا عبد الله، شَغَلتَني، انظُر ما تَظنُّه فيَّ فافعَله، وادعُ أنت لي، فقلت[٢] له أنا: بالله عزَّ وجلَّ ادعُ لي، فقال لي: رَفَقَ الله بك، فاستزَدتُه، فقال: الزمانُ يذهَبُ والصحائفُ تُختَمُ[٣].

وكان مَأواهُ المسجدَ، ما يَخرُجُ منه إلّا إلى الجمعة، صلَّى إمامُ المسجدِ يومًا بالحاقّة، فلمّا انتهى إلى قولِه تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥] صاحَ عثمانُ وسقطَ مغشيًّا عليه، فما بَقِيَ في المَسجِدِ أحَدٌ إلّا انتَحَب، وكان عثمانُ يأكُلُ من كَسبِ البَوادي[٤].

تُوفِّي يوم[٥] الجمعةِ لسبعٍ بَقينَ من رمضان، سنةَ اثنَتَين[٦] وأربعِ مئة. ودُفِنَ في مقبرةِ جامع المنصور[٧]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٣: ٢٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٥).
(٢) في (د): «فقال».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٥).
(٤) في «المنتظم» (١٥: ٨٧): «البواري»، وفي «صفة الصفوة» (١: ٥٥٥): «البوازي».
(٥) في (ق): «في يوم».
(٦) في (د): «اثنين».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٥).

[أبو أحمد عبيد الله الفرضي]

[١٥٦] ومنهم: أبو أحمد[١] عُبَيد الله[٢] الفَرَضيُّ[٣].

قال عليُّ بنُ أحمدَ بن مهدي: «اختلفتُ إلى الفَرَضيِّ[٤] ثلاثَ عشرةَ سنةً لم أرَه ضحكَ فيها، غير أنّه قَرأ كتابَ الانبساط، فأرادَ أن يَضحَكَ فغطَّى فمَه»[٥].

وكان قد اجتَمَعَت فيه أنواعُ الرئاسة؛ من علمٍ وقُرآنٍ وإسنادٍ وغير ذلك.

وكان أورعَ الخلق، وكانَ[٦] يبتدئ كلَّ يومٍ بتدريسِ القرآن، ويحضرُ عليه الشيخُ الكبيرُ ذو الهيئة[٧] فيُقَدِّمُ عليه الحدثَ لأجل سَبْقه، فإذا فرغَ وليَ قراءةَ الحديث بنفسه، فلا يَزالُ كذلك حتَّى يستنفد وقتَه، ثمَّ يضعُ الكتابَ بنفسه وينصرف، وكان يُطيلُ القعُودَ على حالةٍ واحدةٍ لا يتحرَّكُ ولا يُغيِّرُ شيئًا من هيئته، وكان يجلسُ مع أهلِه كذلك، أدرَكَ أبا بكرٍ بنَ الأنباريِّ[٨].

تُوفِّي يومَ الثلاثاءِ النصف من شوّال سنةَ ستٍّ وأربعِ مئة، وعمرُه اثنان وثمانون[٩]

---

(١) قوله: «أحمد» ليس في (ق) و(د). (٢) في «صفة الصفوة»: «عبد الله».

(٣) في (ق): «القرضي»، وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٢: ١١٣)، و«الأنساب» للسمعاني (١٠: ١٨٤)، و«المنتظم» (١٥: ١١٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٦).

(٤) في (د): «العرضي»، وفي (ق): «القرضي».

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ١١٣)، و«الأنساب» للسمعاني (١٠: ١٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٦).

(٦) «وكان» ليس في (د). (٧) في (ق): «الهيبة».

(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ١١٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٧).

(٩) في (ق): «وعمره اثنين وثمانين».

سنةً، ودُفِنَ في مقبرة جامع المدينة[1]. رحمةُ الله تعالى عليه. والله أعلم.

* * *

[أبو العباس أحمد الأبِيوَرْدِي]

[١٥٧] **ومنهم**: أبو العبّاس أحمدُ الأبِيوَرْدِيُّ[2].

وكان فقيهًا، فصيحًا، مُناظرًا، تَوطَّنَ بغداد[3]، ووَلِيَ [١٠٥/أ] القضاءَ بها على الجانب الشرقيّ، وكانت حلقتُه بجامعِ المنصور، وكان يصومُ الدهر، وغالبُ إفطارِه على الخُبزِ والمِلح، وكان فقيرًا يُظهِرُ المروءة، ومَكَثَ شَتوةً لا يملكُ جُبّةً يَلبَسُها.

وكان يقولُ لأصحابِه: بي علّةٌ تمنعني عن لبس المحشوّ، فكانوا يظنُّونَ أنّه يَعني المَرضَ[4]، وإنّما كان يَعني الفقر، ولا يُظهِرُه تَصوُّنًا ومروءةً[5].

ماتَ يومَ السبتِ السادس من جُمادَى الآخرة، سنةَ خمسٍ وعشرين وأربعِ مئة، ودُفِنَ بمقبرة باب حرب[6]، رحمةُ الله عليه، والله أعلم.

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ١١٣)، و«الأنساب» للسمعاني (١٠: ١٨٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٧).

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٦: ٢٠٢)، و«الأنساب» للسمعاني (١: ١٠٨)، و«المنتظم» (١٥: ٢٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٩: ١٤٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٤: ٨١).

(٣) في (د): «ببغداد».

(٤) في (د): «المرضى».

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٢٠٢)، و«الأنساب» للسمعاني (١: ١٠٨)، و«المنتظم» (١٥: ٢٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٩: ١٤٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٤: ٨١).

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٢٠٢)، و«الأنساب» للسمعاني (١: ١٠٨)، و«المنتظم» (١٥: ٢٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٩: ١٤٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٤: ٨١).

[أبو بكر محمد الدِّينَوَرِي]

[١٥٨] ومنهم: أبو بكرٍ مُحمَّدٌ[(١)] الدِّينَوَرِيُّ[(٢)].

سَكنُه الرُّصافةُ ببغداد، وكان زاهِدًا خَشِنَ العيش[(٣)].

وكـان أبـو الحسنِ القزوينـيُّ يقـول: «عَبرَ الدِّينَوَرِيُّ قنطرةً خلفَ مَـن بعده ورآه»[(٤)].

وكان شابٌّ يتَعاهَدُه الرمد، فأدخلَه بكارٌ على الشيخ، فوجدَه مستقبلَ القِبلةِ يُسبِّحُ[(٥)]، على رأسِه نِطعٌ[(٦)] كالطَّرحة، فقال له بكّارٌ: يا سيِّدي، هذا صبيٌّ يُحِبُّ الخير، وقد مَرِضَت عينُه فادعُ له، قال الشابّ: فدَعاني إليه، فأدخَلَ خِنصِرَه في فيه، ثمَّ مَسَحَ عيني، فبَقِيتُ بعد ذلك ستِّينَ سنةً لم تَرمَد عيني[(٧)].

تُوفِّي الدِّينوريُّ فـي شعبانَ سنةَ ثلاثين وأربعِ مئة[(٨)]. رحمة الله تعالى عليه، والله أعلم.

* * *

[أبو بكر بن أحمد العلبي]

[١٥٩] ومنهم: أبو بكر بنُ أحمدَ العلبيُّ[(٩)].

وكانَ يقرأُ القرآن، ويعملُ بيده، ولا يقبلُ من أحدٍ شيئًا، ويُقبلُ كلَّ ليلةٍ

---

(١) جاء بعدها في (ق): «ابن».

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٥) «يسبح» ليس في (ق).

(٦) في «صفة الصفوة»: «سطح».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٩) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٧: ١١٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٣٥: ٧٧).

إلى دجلة، فيأخُذُ في رَكوةٍ[١] ماءً يُفطِرُ عليه، ويَمشي في حوائج نفسِه، ولا يستعين بأحدٍ[٢].

وكان يَؤُمُّ بالنّاس، وكان إذا حجَّ يزورُ القبورَ بمكّة[٣]، ويجيءُ إلَى قبرِ الفُضَيل ويخطُّ بعصاه، ويقول: يا ربِّ هاهنا، فاتَّفَقَ أنّه خرجَ إلى الحجِّ في سنة ثلاثٍ وخمسٍ مئة فشَهِدَ عرفةَ مُحرِمًا، وتُوفِّي عشيّةَ ذلك اليومِ في أرض عرفات، فحُمِلَ إلى مكّة، وطِيفَ به حول البيت، ودُفِنَ يومَ النحرِ إلَى[٤] جانِب الفُضَيل بن عياض[٥]، رحمةُ الله تعالى عليه، والله أعلمُ.



---

(١) في (ق): «كوزة».

(٢) انظر: «المنتظم» (١٧: ١١٧-١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٣٥: ٧٧).

(٣) «بمكة» ليس في (د).

(٤) «إلى» ليس في (د).

(٥) انظر: «المنتظم» (١٧: ١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٣٥: ٧٨).

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

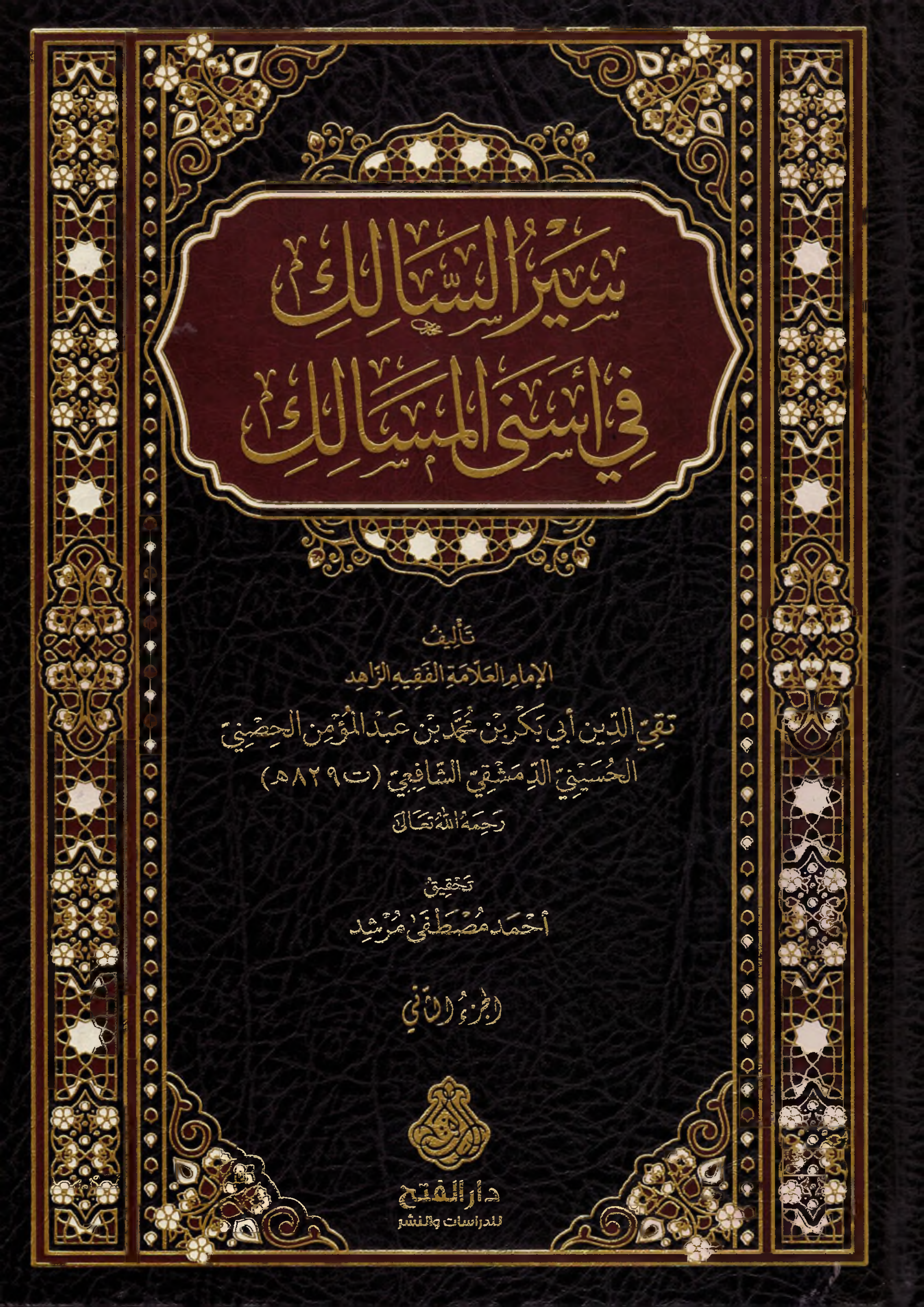
الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**




سير السالك
في أسنى المسالك
تأليف
الإمام العلامة الفقيه الزاهد
تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني
الحسيني الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٩هـ)
رحمه الله تعالى
تحقيق
أحمد مصطفى مرشد
الجزء الثاني
دار الفتح
للدراسات والنشر

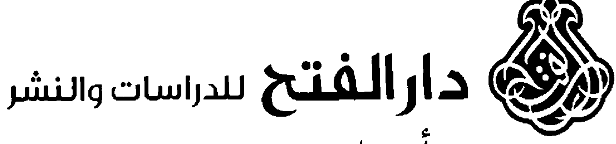
بيانات الإيداع في دائرة المكتبة الوطنية بالمملكة الأردنية الهاشمية

الشافعي، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي.
سير السالك في أسنى المسالك، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي،
تحقيق: أحمد مصطفى مرشد، عمّان، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٢٣م.
٦٧٢ ص، قياس القطع: ١٧×٢٤ سم.
الواصفات: الصحابة/ التابعون/ الصفوة/ التراجم/ السنة النبوية.
التصنيف العشري (ديوي): ٢٣٩,٥
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٥٩٤٤/ ١١/ ٢٠٢٣)
الرقم المعياري الدولي (ISBN): ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-٦٧٦-٢



الطَّبعَةُ الأولَى

١٤٤٥هـ = ٢٠٢٤م



أسسها سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م

د. إياد أحمد الغوج

رقم الهاتف: ٦٤ ٣٥ ٥١٦ ٦ (٠٠٩٦٢)
رقم الجوال: ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)
ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني: info@daralfath.com
الموقع الإلكتروني: www.daralfath.com

سير السالك في أسنى المسالك

تأليف

الإمام العلامة الفقيه الزاهد

تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٩هـ)

تحقيق

أحمد مصطفى مرشد

الجزء الثاني



دار الفتح
للدراسات والنشر

[أبو المعالي الصالح]

[١٦٠] **ومنهم**: أبو المَعالِي الصّالِح[١]، سَكنَ ببابِ الطّاق[٢].

قال محمودٌ المُقرئ[٣]: سمعتُ أبا المعالي الصالحَ يقول: «ضاقَ بي الأمرُ في رمضان، حتَّى أكلتُ فيه أربعينَ باقلًّا، فعزمتُ على المُضيِّ إلى رجلٍ من ذَوِي قرابَتي، فنَزلَ طائرٌ فجلسَ على مَنكِبي[٤]، وقال: يا أبا المَعالِي، أنا المَلَكُ[٥] الفُلانيّ، لا تَمضِ إليه، نحن نَأتِيكَ[٦] به، فبَكَّرَ الرجلُ إليّ»[٧].

وقال عبدُ الله المُقرئ: «كنتُ عند أبي المعالي/ فقيلَ له: جاءَ سعدُ الدولة [١٠٥/ب] شِحْنة[٨] بغداد، فقال: أغلِقوا الباب، فجاءَ فطَرقَ الباب، وقال: ها أنا قد نزلتُ عن دابَّتي، وما أبرحُ حتَّى تفتحَ لي، ففَتحَ له، فدخل، فجعلَ يُوبِّخُه على ما هو[٩] فيه، وسعدُ الدولة يَبكي بُكاءً كثيرًا، فانفَردَ ببعضِ أصحابِه فتابَ على يده»[١٠].

---

(١) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٧: ٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٣٤: ٢٤١).

(٢) انظر: «المنتظم» (١٧: ٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١).

(٣) في «المنتظم»: «مسعود بن شيرازاد المُقرِئُ».

(٤) في (د): «ركبتي».

(٥) في (د): «إن الرجل».

(٦) في (ق): «حنى يأتيك».

(٧) انظر: «المنتظم» (١٧: ٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١).

(٨) في (د): «صاحب»، والشِّحنة: لفظ تركي ـ فارسي معناه: رئيس الشرطة، أو هي الجماعة التي يقيمها الملك لضبط البلد، أو الرباط من الخيل. انظر: «تكملة المعاجم العربية» (٦: ٢٧٠).

(٩) «هو» ليس في (ق).

(١٠) انظر: «المنتظم» (١٧: ٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١-٥٦٢).

وكان أبو المعالي لا ينامُ إلّا جالسًا، ولا يَلبَسُ إلّا ثوبًا واحدًا شتاءً كان أو صيفًا، فإذا اشتدَّ البردُ عليه يَشُدُّ المِئزَر بين كتفَيه[1]. رحمةُ الله تعالى عليه.

* * *

[عابد مجهول]

[١٦١] عابدٌ مجهول[2].

قال إبراهيمُ الآجريُّ الكبير: «كنتُ يومًا قاعدًا على باب المسجد في يومٍ شاتٍ إذ مرَّ بي رجلٌ عليه خِرقَتان، فظنَنتُ أنَّه من السوّالين[3]، وقلتُ في نفسي: لو عَمِلَ هذا بيده لكان خيرًا له، فلمّا كان الليلُ أتاني مَلَكان، وأخذا بضَبعَيّ، ثمَّ أدخَلاني المسجدَ الذي كنتُ على بابه، فإذا رجلٌ نائمٌ عليه خِرقَتان، فكشفتُ عن وجهِه، فإذا هو الذي مرّ، فقالا لي: كُل لحمَه، فانتبَهتُ فزِعًا، وبَقِيتُ ثلاثين يومًا أقعُدُ على باب المسجدِ لا أقومُ إلّا لغرضٍ أنتظرُه لأستَحِلَّه، فلمّا كان بعد الثلاثين مرَّ على بابِ المسجد[4] والخِرقَتان عليه، فغَمَز، وغَمزتُ خلفَه، فلما خَشِيتُ أن يَفوتَني قلت: يا هذا، قف أُكَلِّمك، فالتفتَ إليّ، وقال: يا إبراهيم، وأنت[5] أيضًا ممَّن يغتابُ المؤمنينَ بقَلبِه؟ قال: فسقطتُ مغشيًّا عليّ، ثمَّ أفقتُ وهو عند رأسي، فقال: أتعودُ؟ قلت: لا، ثمَّ غاب عن عينَيّ، فلَم أرَه بعد ذلك»[6]، والله أعلم.

---

(١) انظر: «المنتظم» (١٧: ٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦٢)، و«تاريخ الإسلام» (٣٤: ٢٤١).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٥٦٥).

(٣) أي: الكثير السؤال.

(٤) من قوله: «لا أقومُ إلّا لغرضٍ أنتظره لأستحلَّه»، إلى هنا ليس في (د).

(٥) في (د): «أنت».

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (٧: ١٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦٥-٥٦٦).

[عابد آخر مجهول]

[١٦٢] عابدٌ آخرُ مجهول[١].

قال عبدُ الله الخلديّ: حدَّثنا الجُنَيد، قال: «أرِقتُ ليلةً، فرُمتُ السكونَ فما وجدتُه، ثمَّ اجتهَدتُ في قضاء وِردي فلَم أقدِر، فحرَصتُ على شيءٍ من دراسةِ القرآنِ فلَم أقدِر، ووقعَ لي انزعاجٌ شديد، فأخَذتُ ثوبي على كتفي وخرجت، وكان آخرَ الليل، فلمّا توسَّطتُ الدربَ عَثَرتُ بإنسانٍ مُلتَفٍّ في عباءة، فرَفعَ رأسَه، وقال: إليَّ الساعة، فقلت: سيِّدي، عن موعدٍ تقدَّم؟

قال: لا، ولكن سألتُ مُحرِّكَ القلوب أن يُحرِّكَ قلبَك، فقلت: قد فعَل، فهل من حاجةٍ؟ قال: نعم، قلت: ما هي؟ قال: يا أبا القاسم، متى يكونُ الداءُ دواءً، فقال[٢]: إذا خالَفَت النفسُ هواها صارَ داءُها دواءَها، قال: فتنفَّس، وقال: قد أجَبتُها بهذا الجواب الليلةَ سبعَ مرّات، فقالت: لا، أو أسمَعُه من جُنَيد، ها قد سمِعتِ منه، ثمَّ مضى فما رأيتُه بعد ذلك»[٣]، والله أعلم.

* * *

[عابد آخر مجهول]

[١٦٣] عابدٌ آخرُ مجهول[٤]./ [١٠٦/أ]

قال أبو السفر[٥] الصوفيّ: «رأيتُ في يومِ عيدٍ بعضَ مشايخنا وعنده خَلٌّ وهِندِبا، فاشتغلَ قلبي، ثمَّ دخلتُ على بعضِ أهل الدنيا، فأخبَرتُه، فدفعَ إليَّ

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٦٦).
(٢) في (د): «فقلت».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٦٦).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٦٨).
(٥) في (د): «أبو اليسر».

صُرّة دراهمَ له، فعُدتُ بها إليه، فقلت: جئتُ بهذه لتستعينَ بها، فقال: وما الذي رأيتَ من حالي؟ فقلت: رأيتُ عندك خَلًّا وهِندِبا، فقال: قُم، فوالله لا أكلِّمُكَ شهرًا، فخرجتُ فضَربَ في وجهي البابَ فسالَ الدم.

فأتيتُ الشِّبليّ، فقلت: يا أبا بكر، رجلٌ مشى في طاعةِ الله عزَّ وجلَّ فانفتحَ[١] وجهُه، ما سببُ ذلك؟ فقال: لعلَّه أرادَ أن يمشيَ[٢] إلى شيءٍ صافٍ فيُكَدِّرَه»[٣]، والله أعلم.

* * *

[عابد آخر مجهول]

[١٦٤] عابدٌ آخرُ مجهول[٤].

قال أبو الحسين بن سمعون[٥]: «اجتَزتُ يومًا على الفراتِ، فرأيتُ امرأةً تلتقطُ من ورق البَقل الذي يأتي على الماء، فقلت: لا شكَّ أن هذه فقيرة، فوقفتُ حتَّى رَجعَت فتَبِعتُها، فأتت[٦] إلى دارٍ ودخلَتها، فرجَعتُ إلى بيتي، فما استقرَّيتُ في المنزل حتَّى أتاني خادمٌ ومعه دنانيرُ ودراهم، فقال: ادفَع هذا إلى محتاج، فأخذتُه وقُمت، فأتيتُ بيتَ المرأة، فطرقتُ الباب، فخرجَ إليَّ رجلٌ من خَواصِّ مجلِسي المُلازِمين لي، فلمّا رآني قال: ما لَكَ؟

فقلت: جِئتُكُم بهذه الدنانيرِ تَستَعينُونَ بها على الوقت، فنَظرَ إليَّ مُغضبًا،

---

(١) في حاشية (د): «فانفج»، وأشار أنها في نسخة. (٢) في (د): «يأتي».
(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٧٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦٨-٥٦٩).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٦٩). (٥) في (د): «شمعون».
(٦) في (د): «فإذا هي أتت».

وقال: يا شيخ، تُحذِّرُنا منها وتأتينا بها؟ ثمَّ ردَّ البابَ في وجهي ودَخَل، فرجعتُ مُنكسِرًا إلى بيتي.

ثمَّ قلت في نفسي: لا بُدَّ أن أعودَ إليه فأعتَذِر، فأتيته اليومَ الثاني، فطَرقتُ الباب مرارًا فلم يُجِبني أحد، وإذا امرأةٌ من الجيرانِ تقول: ما لَكَ يا رجل؟ فقلت: ما فعَلَ أهلُ هذه الدار؟ فقالت: كان فيها رجلٌ مع والِدَته، وكُنّا نتبرَّكُ بهم[١]، فجاءَ بالأمسِ شيطانٌ فكلَّمَهُم بما كَرِهوا[٢]، فانتَقَلوا عنها.

قال: فقعدتُ وأنا شديدُ الحزن على ما فعَلت، وجعلتُ أتفقَّدُ مَجلِسي فلا أرى الرجل، فلمّا كانَ يومُ عرفة وأنا أتكلَّمُ على الناس رأيتُه في آخرِهم، فلمّا انقضى المجلسُ مضيتُ إليه وسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ السلام، وقال: لا تُعِد ما فات، ولا تَقُل شيئًا، ولولا أنّي[٣] أعتقدُ أنّ كلامَكَ دواءٌ لقلبي لم أحضُر مجلسَك، وإنّما غُيِّبتُ عنك؛ لأنّا انتقلنا إلى مكانٍ حتَّى لا تعرِفَه، فقلت: ما أتيتُ إلّا مُعتَذِرًا، وما أعود، ثمَّ فارَقتُه»[٤]، والله أعلم.

* * *

[سعدون المجنون]

[١٦٥] سعدونُ المجنون[٥].

قال يحيى بن أيوب: «خرَجتُ يومًا إلى مقابر خُراسان، ثمَّ جلستُ في موضعٍ أرى منه مَن يدخُل المقابر،/ فنظرتُ إلى رجلٍ يدخُلُ المقابرَ مُتقنِّعًا، [١٠٦/ب]

---

(١) في (د): «بهما».
(٢) في (د): «كرها».
(٣) «أني» ليس في (د).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٦٩)
(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ١١٩)، و«البداية والنهاية» (١٣: ٦٧٥).

يَجُولُ في المقابر، كلَّما رأى قبرًا محفورًا أو مُنخَسِفًا[1] وقف عليه وبكى، فقمتُ رجاءَ أن أنتَفِعَ به، فلمّا صِرتُ إليه إذا هو سعدون المعتوه، فقلت: يا سعدون، أيَّ شيءٍ تصنع؟

فقال: يا يحيى، هل لك في أن نجلسَ فنبكي[2] على هذه الأبدان قبل أن تَبلَى فلا يبكي عليها باكٍ.

ثمَّ قال: يا يحيى، البكاءُ من القُدوم على الله عزَّ وجلَّ أولى من البكاءِ على الأبدان، ثمَّ قال: يا يحيى، وإذا الصحُفُ نُشِرَت، ثمَّ صاحَ صيحةً شديدة، وقال: وا غَوثاهُ! ماذا يُقابلني في الصُّحُف؟

قال يحيى: فغُشِيَ عليّ، ثمَّ أَفَقت وهو جالسٌ يمسحُ وجهي بكُمِّه، ويقول: يا يحيى، مَن أشرَفُ منك لو مِتَّ»[3]، والله أعلم.

وكان سعدونُ صاحِبَ محبّة لله عزَّ وجلّ، صامَ ستِّين سنةً حتَّى جَفَّ دِماغُه، فسمّاه الناس: مجنونًا؛ لتردُّدِ قولِهِ في المحبّة، وغابَ عنّا زمانًا، فبينا أنا قائمٌ على حلقةِ ذي النون رأيتُه وعليه[4] جُبّةُ صوف، وعليها مكتوب: لا تُباعُ ولا تُشتَرى، فلمّا سَمِعَ كلامَ ذي النون صرخ، ثمَّ أنشأ يقول[5]:

ولا خَيرَ في شَكوَى إلى غَيرِ مُشتَكى ولا بدَّ من شَـكوَى إذا لم يَكُن صَبرُ

قـال ذو النون: «رأيتُ سعدونَ فـي المـقبرةِ فـي يومٍ حارٍّ وهو يُناجي ربَّه عزَّ وجلَّ بصوتٍ عال، ويقول: أَحَدٌ أَحَد، فاتَّبَعتُه فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام،

---

(١) في (د): «متخسفًا».
(٢) في (د): «تجلس فتبكي».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١ : ٥٧٠).
(٤) في (ق): «عليه» بدون الواو.
(٥) من الطـويل. وانظر: «عقـلاء المجانين» لابن حبيب النيسـابوري (٥٥)، و«صـفة الصـفوة» (١ : ٥٧٠)، و«مرآة الزمان» (١٣ : ١٣٦)، و«البداية والنهاية» (١٣ : ٦٧٥).

فقلت له: بحقِّ مَن تُناجِيه إلّا وقفتَ لي وقفةً، فقال لي: قُل وأوجِز، فقلت: أوصِني بوصيّةٍ أحفَظُها عنك، وتدعو لي بدعوة، فقال[١]:

يـا طالِـبَ العِلْـمِ هاهنا وهنا ... ومَعـدِنُ العِلْـمِ بيـنَ جَنبَيكا
إن كُنتَ تَبغِي الجِنانَ تَسكُنُها[٢] ... فـاذرِفِ الدَّمعَ فـوقَ خَدَّيكا
وقُـم إذا قـامَ كلُّ مُجتَهِـدٍ ... وادعُ لكَيمـا يَقـولَ لبَّيـكا

قال: ثمَّ مضى، وقال: يا غِياثَ المُستَغيثينَ أغِثني، قلت له: ارفُق بنَفسِك، فلعلَّه يَلحَظُكَ بلحظةٍ فيَغفِر لك، فنَفضَ يدَه من يدي، وغدا[٣] وهو يقول[٤]:

أنِسـتُ بـه فـلا أبغِي سِـواهُ ... مخافَـةَ أن أضِـلَّ فـلا أراهُ
فحَسبُك حَسرةً وضَنًى وسُقمًا ... بطَـرْدِكَ عـن مَجالِسِ أولِيـاهُ

واللهُ أعلم.

* * *

[بهلول آخر]

[١٦٦] بهلولٌ آخر[٥].

قال القاسمُ البغداديّ: سَمِعتُ الجُنَيدَ يقول: سمعتُ السَّريَّ السقطيَّ يقول:

---

(١) الأبيات من المنسرح. وانظر: «عقلاء المجانين» (٥٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧١)، و«مرآة الزمان» (١٣: ١٣٨).

(٢) في (ق): «تسكنه».

(٣) «وغدا» ليس في (د).

(٤) من الوافر. وانظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧١)، و«مرآة الزمان» (١٣: ١٣٧).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٢)، و«الوافي بالوفيات» (١٠: ١٩٤).

[١٠٧/أ] جُزتُ يومًا بالمقابِرِ فإذا ببهلولٍ قد دلَّى رِجلَيه في قبرٍ/ وهو يَلعَبُ بالتراب، فقلت: أنت هنا؟

فقال: نعم، أنا عند قَومٍ لا يُؤذُونَني، وإن غبتُ لا يَغتابونِي، فقلت: قد غلا السِّعر، فقال: والله ما أُبالِيَ، ولو كانَ كلُّ حبّة بمِثقال، إنّ علينا أن نَعبُدَه كما أمَرَنا، وعليه أن يَرزُقَنا كما وعَدَنا، ثمَّ ولَّى عنِّي، وأنشأ يقول[١]:

يــا مَــن تَمَتَّــعَ بالدُّنيــا وزِينَتِها ... ولا تَنــامُ عَــنِ اللَّــذّاتِ عَينــاهُ
أفنَيتَ عُمرَكَ فِيما لَســتَ تُدرِكُهُ ... تَقُــولُ للهِ مــاذا حِيــنَ تَلْقــاهُ

وفي رواية[٢]:

أُفٍّ للدُّنيــا فلَيسَــتْ لــي بدارٍ ... إنّمــا الرّاحــةُ فِــي دارِ القَــرارِ

قال الفضلُ بن الربيع: «حَجَجتُ مع الرشيد، فمرَرنا بالكوفة، فإذا بهلولٌ يَهذِي، فقلت: أُسكُت؛ فقد أقبلَ أميرُ المؤمنين، فسَكَت، فلمّا حاذاه قال: يا أميرَ المؤمنين، حدَّثنا أيمنُ بن نابل[٣]، قال: حدَّثَنا قُدامة، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ بمنًى على جَملٍ وتحتَه رَحلٌ[٤] رثّ، ولم يَكُن ثَمَّ طَردٌ ولا ضَرب[٥]، ولا إلَيكَ إلَيكَ»[٦].

---

(١) البيتان من البسيط، وانظر: «عقلاء المجانين» (٦٧)، و«الزهد الكبير» (٦٨١)، و«مرآة الزمان» (١٣ : ١٥٩).

(٢) من الرمل، وانظر: «صفة الصفوة» (١ : ٥٧٢)، و«مرآة الزمان» (١٣ : ١٥٩)، و«حسن التنبه» (١٠ : ٣٩).

(٣) في (د) و(ق): «نائل».

(٤) في «مسند المقلين»: «رجل».

(٥) «ولا ضرب» ليس في (د).

(٦) «جامع الترمذي» (٩٠٣)، و«المجتبى» (٣٠٨٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٣٥)، و«مسند المقلين» (١٨)، قال الترمذي: «حديث قدامة بن عبد الله حديث حسن صحيح».

[بهلولٌ آخر]

[١٦٧] بهلولٌ آخر.

يُقال له: أبو عليٍّ المَعتُوه(١).

قال خَلفُ بن سالم: «قلتُ لأبي عليٍّ المَعتُوه: ألكَ منزلٌ؟ قال: نعم، قلت: أين؟ قال: في دارٍ يَستوِي فيها العزيزُ والذَّليل، قلت: وأين هي؟ قال: المقابر، قلت: يا أبا عليّ، أفما تَستَوحِشُ في ظُلمة الليل؟ قال: إنِّي أُكثِرُ ذِكرَ ظُلمةِ القبر ووحشَتِه، فتَهُونُ عليَّ ظُلمة الليل، قلت: فربَّما رأيتَ شيئًا في المقابِر تُنكره؟ قال: ربَّما، ولكن في هَولِ الآخرةِ ما يَشغَلُ عن هَولِ المقابر»(٢).

قال الأشهَليّ: قلت: «يا أبَهْ، مثلُ هذا الكلامِ الصحيحِ الجيِّدِ يتكلَّم به مجنونٌ؟ قال: يا بُنيّ، هؤلاء قومٌ كان لهم فضلٌ ودِينٌ ومعونة، فزالَت عُقولُهم وبقيَ ذلك الفضل، فلَم يختَلِط فيما اختَلط»(٣)، والله أعلم.

* * *

[شعيب بن حرب]

[١٦٨] ومنهم: شُعَيبُ بن حرب(٤)، يُكنَّى: أبا صالح(٥).

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٣).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٣).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٣).

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣٢٠)، و«تاريخ بغداد» (١٠: ٣٣٠)، و«المنتظم» (١٠: ٣٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣٢٠)، و«تاريخ بغداد» (١٠: ٣٣٠)، و«المنتظم» (١٠: ٣٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥).

نَزلَ المدائنَ واعتزَلَ بها، ثمَّ خرجَ إلى مكّةَ فنزلَ بها إلى أن مات[١].

قال أبو حمدون[٢] المُقرئ: «ذهَبنا إلى شُعَيب بن حرب، وكان قاعِدًا على شَطِّ دجلة، وكان قد بنى له كُوخًا، وخُبزٌ له مُعلَّقٌ في شريط، يأخُذُ كلّ يومٍ رغيفًا يَبُلُّه ويأكله، فقال بيده هكذا، وإنّما كان جِلدًا وعظمًا، فقال: أرى هاهنا بعدُ لحمًا، والله لأعمَلَنَّ في ذَوبانِه حتَّى أدخلَ القبرَ وأنا عِظامٌ تَقعقَع، أريدُ [١٠٧/ب] أن أتسمَّنَ للدُّود والحيّات! فبلغَ أحمدَ بن حنبل قولُه، فقال: شُعَيبُ بن حربٍ حملَ على نفسه في الورع»[٣].

قال الحسنُ بن الصباح[٤]: سمِعتُ شُعيبًا يقول: «لا تجلِس إلّا مع أحدِ[٥] رَجُلَين؛ رجلٍ جلَستَ إليه يُعلِّمُكَ خيرًا فتَقبَلُ منه، أو رجلٍ تُعلِّمه خيرًا فيَقبلُ منك، والثالثُ اهرب منه»[٦].

وجاءَ رجلٌ إليه وهو بمكّة، فقال له: ما جاءَ بك؟ قال: جئتُ أُؤنِسُك، فقال: جِئتَ تُؤنِسُني وأنا أعالجُ الوحدةَ منذُ أربعِين سنةً[٧]!

قال محمَّدُ بن عيسى: سمعتُ شُعَيبًا يقول: «مَن أرادَ الدنيا فليَتهيّأ للذُّلِّ»[٨].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥).

(٢) في (ق) و(د): «قال شمعون».

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (١٠: ٣٣٠)، و«المنتظم» (١٠: ٣٩-٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥)، و«تهذيب الكمال» (١٢: ٥١٥).

(٤) في (د): «الصياح». (٥) «أحد» ليس في (د).

(٦) انظر: «المنتظم» (١٠: ٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥).

(٧) انظر: «المنتظم» (١٠: ٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥).

(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٠: ٣٣٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥).

قال عبدُ الله البزّازُ[١]: قال شُعَيبُ بن حرب: «لك أن تُطَيِّنَ الحائطَ من خارج، وليس لك أن تُجَصِّصَه، لعلَّه يخرجُ في الطريق»[٢].

قال عبدُ الله المخزومي: قال شُعيبُ بن حرب: «مَن طلبَ الرئاسة ناطَحَته الكِباش، ومن رَضيَ[٣] أن يكونَ ذَنَبًا أبى الله إلّا أن يَجعلَه رأسًا»[٤].

سَمِعَ شُعيبٌ من الثوريّ، وخَلقٍ كثير، وكان أحدَ المُنفرِدين بالزهد والتعبُّد، وتُوفِّي بمكّة سنةَ سبعٍ وتسعين ومئة[٥]، واللهُ أعلم.

* * *

[منصور بن زاذان]

[١٦٩] **ومنهم**: منصورُ بن زاذان[٦]، من أهل واسط[٧].

قال هشامُ بن حسّان: «كنت أصلِّي أنا ومنصورُ بن زاذانَ جميعًا، وكان يَختِمُ القرآنَ ما بين الظهر والعصر، ويَختِمه ما بين العِشاءَين، وكان يقومُ إلى

(١) في (د): «البزار»، في «الورع» للإمام أحمد: «محمد بن عبد الله البزار».
(٢) «الورع» للإمام أحمد، رواية المروزي (٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥).
(٣) في (د): «أبى».
(٤) «الجامع لأخلاق الراوي» (٧٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٧٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٢٢٦).
(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (١٠: ٣٣٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥).
(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣١١)، و«حلية الأولياء» (٣: ٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧)، و«السير» (٥: ٤٤١).
(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣١١)، و«حلية الأولياء» (٣: ٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧)، و«السير» (٥: ٤٤١).

عمودٍ فيصلِّي فيَختِم القرآن، وكان يبكي، فيمسحُ بعمامَتِه عينَيه، فلا يزالُ حتَّى يَبلَّها بدموعه»[١].

قال محمَّدُ بن إسحاقَ الحضرميّ: حدَّثَني شيخٌ من أهلِ واسط، وكان جارَ المنصور، قال: «رأيتُ منصورًا توضَّأ يومًا، فلمّا فرِغَ دَمعَت عيناه، ثمَّ جَعلَ يبكي حتَّى ارتفعَ صوتُه، فقلت: رَحِمَكَ الله تعالى، ما شأنُك؟

فقال: وأيُّ شيءٍ أعظمُ من شأني؛ أُريدُ أن أقومَ بين يدَي مَن لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، فلعلَّه أن يُعرِضَ عنِّي، قال: فأبكاني واللهِ بقولِه»[٢].

قال هشيم: «مكثَ منصورٌ يُصلِّي الفجرَ بوُضوءِ عِشاءِ الآخرة عشرينَ سنةً»[٣].

قال أبو عَوانة: لو قيلَ لمنصور: إنّك اليومَ ميِّتٌ أو غدًا، ما كان عنده مَزيدٌ في العبادة، ولو قيلَ له: إنّ مَلكَ الموتِ بالباب لَما كان عنده مَزيدٌ في العمل»[٤].

روى عن الحسنِ وابنِ سِيرين وعطاءٍ ونُظَرائهم[٥]، وتُوفِّي في الطاعون سنةَ إحدى وثلاثين ومئة[٦]، وقيل: تسعٍ وعشرين[٧]، واللهُ أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٥٤٤).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧). (٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧)، و«السير» (٥: ٤٤٢).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٥٤٣).

(٦) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٧: ٣٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٥٤٥).

(٧) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٦٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨).

[سيار بن دينار أبو الحكم العنبري الواسطي]

[١٧٠] **ومنهم**: سيّارُ بن دينار، أبو الحكم العنبريُّ الواسطيّ[١].

قال أبو جعفرٍ الأدبَميّ: قال سيّار: «الفرحُ بالدنيا والحزنُ بالآخرةِ لا [١٠٨/أ] يَجتَمِعان في قلبِ عَبدٍ[٢]؛ إذا سكنَ أحدُهما القلبَ خَرجَ الآخر»[٣].

قال عبد الحميد بن بيان: سمعتُ أبي يقول: «خرج سيّارٌ إلى البصرة، فقام يصلِّي إلى ساريةٍ في المسجدِ الجامع، وكان حَسنَ الصلاة، وعليه ثيابٌ جِياد، فرآه مالكُ بن دينار، فجلسَ إليه، فسَلَّم سَيّار، فقال له مالك: هذه الصلاة وهذه الثيابُ؟ فقال له سَيّار: ثيابي هذه ترفَعُني عندك أو تضَعُني؟ فقال: تضَعُك، فقال: هذا أَرَدتُ.

ثمَّ قال له: يا مالك، إنِّي لأحسَبُ ثَوبَيكَ هذَين قد أنزَلاكَ من نفسِك ما لم يُنزِلك من الله عزَّ وجلّ، فبكى مالك، وقال: أنت سَيّار؟ قال: نعم، فعانَقَه. وفي رواية: فجاءَ مالكٌ وقَعدَ بين يدَيه»[٤].

أسنَدَ سَيّارٌ عن طارق بن شِهاب، ويُقال: إنّ طارقًا من الصحابة[٥]، وروى عن الشعبيِّ ونُظرائِه[٦]، واللهُ أعلم.

---

(١) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٧: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨).

(٢) قوله: «عبد» مكررة في (ق).

(٣) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨).

(٤) انظر: «تاريخ واسط» (٨٧)، و«المنتظم» (٧: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨).

(٥) انظر: «معجم الصحابة» للبغوي (٣: ٤٢١)، و«الجرح والتعديل» (٤: ٤٨٥)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ٢٠١)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٥٥٨).

(٦) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨).

[مسلم بن سعيد الواسطي]

[١٧١] **ومنهم**: مُسلمُ[١] بن سعيدٍ الواسطيّ، ابنُ أخت منصور[٢].

قال يزيدُ بن هارون: «مَكثَ مسلمٌ أربعينَ سنةً لم يَضَع جَنبَه إلى الأرض، وبِتُّ عنده ليلة، فكان لا يكادُ ينام، إنّما هو قائمٌ وقاعدٌ»[٣].

وذَكَروا أنّه لم يَضع جَنبَه أربعِين عامًا، فظَنَنتُ[٤] أنّه يعني بالليل، فقيل: ولا بالنهار[٥]، والله أعلم.

* * *

[يزيد بن هارون]

[١٧٢] **ومنهم**: يَزيدُ بن هارون[٦]، ويُكنَّى: أبا خالد[٧].

قال ابنُ المَدِينيّ: «ما رأيتُ رجلًا قطُّ أحفَظَ من يزيدَ بن هارون. يَعني: في الحديث»[٨].

قال أحمدُ بن سِنان: «ما رأيتُ عالمًا قطُّ أحسنَ صلاةً من يزيد، يقومُ كأنّه

---

(١) في (ق): «المسلم».

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٩)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٢٩٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٢٩٠).

(٤) من قوله: «إلى الأرض، وبِتُّ عنده» إلى هنا ليس في (د).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩).

(٦) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٠: ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠)، و«السير» (٩: ٣٥٨).

(٧) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٠: ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠)، و«السير» (٩: ٣٥٨).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠)، و«السير» (٩: ٣٥٩).

أسطوانة، كان يُصلِّي بين المغربِ والعشاء، وبين الظهر والعصر، ولم[١] يَكُن يَفتُرُ[٢] من صلاةِ[٣] الليلِ والنهار»[٤].

قال محمَّدُ بن العبّاس[٥]: قال عاصمُ بن عليّ: «كان يزيدُ إذا صلَّى العتمة لا يزالُ قائمًا حتَّى يُصلِّي الغداةَ بذلك الوُضوء نَيِّفًا وأربعين سنةً»[٦].

قال محمَّدٌ الصائغُ[٧]: قال رجلٌ ليزيدَ بن هارون: «كم جُزؤُكَ؟ فقال: وأنامُ من الليل شيئًا! إذًا لا أنامَ الله عزَّ وجلَّ عينيَّ»[٨].

قال الحسنُ بن عرفة: «رأيتُ يزيدَ بن هارونَ بواسِط، وهو من أحسنِ الناس عينَين، ثمَّ رأيتُه بعينٍ واحدة، ثمَّ رأيتُه وقد ذَهبَت عيناه، فقُلت: يا أبا خالد، ما فعَلَت العينان الجميلتان؟ فقال: ذَهبَ بهما بُكاءُ الأسحار»[٩].

قال الربيعُ بن الحكم: سمعتُ يزيدَ يقول: مَن/ طَلبَ الرئاسةَ في غير [١٠٨/ب] أوانِها حرَمَه[١٠] الله تعالى إيّاها في أوانها»[١١].

قال حوثرة بن مُحَمَّد الْمنْقري[١٢]: «رأيتُ يزيدَ بن هارونَ في المنام بعد

---

(١) في (ق): «لم» بدون الواو.
(٢) «يفتر» ليس في (د).
(٣) في (ق): «الصلاة».
(٤) انظر: «المنتظم» (١٠: ١٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠)، و«السير» (٩: ٣٦٠).
(٥) في (د): «العباسي».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١)، و«تاريخ الإسلام» (١٤: ٤٥٧).
(٧) كأنها في (ق): «الصانع».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٧٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٤: ٤٥٧).
(٩) انظر: «المنتظم» (١٠: ١٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١)، و«تاريخ الإسلام» (٢٣: ٥٠٤).
(١٠) في (ق): «أحرمه».
(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١).
(١٢) في (ق): «جويرة بن محمد المقري».

موته بأربعِ ليال، فقلت: ما فعلَ الله عزَّ وجلَّ بك؟ فقال: تقَبَّلَ منِّي الحسنات، وتَجاوَزَ عن[1] السيئات، ووهَبَ لي التبعات، قلت: وما كان بعد ذلك؟ قال: وهل يكونُ من الكريم إلّا الكرمُ؟ غَفرَ لي ذنوبي وأدخَلَني الجنّة، قلت: فبِمَ نِلتَ ذلك؟ قال: بمجالس الذِّكر، وقَولي الحقّ، وصِدقي في الحديث، وطولِ قيامي في الصلاة، وصَبري على الفقر.

قلت: منكَرٌ ونكيرٌ حقٌّ؟ قال: إي والله، إي والله الذي لا إله إلّا هو، لقد أقعَداني وسألاني: مَن ربُّكَ؟ وما دينُكَ؟ ومَن[2] نبيُّكَ؟ فجعَلتُ أنفُضُ لحيَتي من التراب، فقلت: ومِثلي[3] يُسأل! أنا يزيدُ بن هارونَ الواسطيّ، وكنتُ في دارِ الدنيا سِتِّينَ سنةً[4] أُعَلِّمُ الناس، فقال[5] أحدُهُما: صَدَق، هو يزيدُ بن هارون، نَم نَومةَ العروس، فلا روعةَ عليك بعد اليوم»[6].

أسنَدَ يزيدُ عن حُمَيدٍ الطويل وغيرِه من طبقتِه في خَلقٍ كثير[7].

وكان مولِدُه سنةَ ثمانٍ عشرةَ ومئة[8]، وتُوفِّي سنةَ ستٍّ ومئتين[9]، وهو ابنُ سبعٍ أو ثمانٍ وثمانين سنةً[10]، رحمةُ الله تعالى عليه، والله أعلم.

* * *

---

(١) في (ق): «عني».

(٢) في (د): «وما».

(٣) في (ق): «مثلي».

(٤) قوله: «ستين سنة» ليس في (ق).

(٥) في (د): «قال».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٣٥١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١)، و«تاريخ الإسلام» (١٤: ٤٥٨).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢).

(٩) في (ق): «ست وثمانين».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٤: ٤٥٨).

[سويد بن غفلة]

[١٧٣] **ومنهم**: سُوَيد بن غفلة[١]، ويُكنَّى: أبا أُميّة[٢].

وهو كوفيّ، رَحلَ إلى رسول الله ﷺ، فوصلَ إلى المدينةِ وقد قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، فصَحِبَ الصِّدِّيقَ والفاروقَ وعثمانَ وعليًّا[٣].

قال عمرانُ بن مُسلِم: «كان سُوَيدٌ إذا قيلَ له: أُعطِيَ فُلان، ووُلِّيَ فلان، قال: حسبي كِسرَتي ومِلحِي»[٤].

وقال: «إنّ[٥] الملائكةَ تمشي أمامَ الجنازة، وتقول: ما قدَّمَ؟ ويقول الناس: ما تركَ؟»[٦].

وإنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أرادَ أن يَنسى[٧] أهلَ النار جعلَ لكلِّ واحدٍ منهم تابوتًا من نارٍ على قَدرِه، ثمَّ أقفَلَ عليهم بأقفالٍ من نار، فلا يضرب فيهم عِرقٌ إلّا وفيه من نار، ثمَّ يجعل ذلك التابوتَ في تابوتٍ آخرَ من نار، ثُمَّ يُضرِمُ بينَهما نارًا، ثمَّ يجعل ذلك في تابوتٍ آخر، ثمَّ يَقفِلُ بأقفالٍ من نار، ثمَّ يُضرِمُ بينهما نارًا[٨]، فلا يَرى أحدٌ منهم أنّ في النار غيرَه، عافانا الله الحكيمُ من ذلك[٩].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣)، و«الاستيعاب» (٢: ٦٧٩)، و«السير» (٤: ٦٩).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣)، و«الاستيعاب» (٢: ٦٧٩)، و«السير» (٤: ٦٩).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٦٨)، و«المنتظم» (٦: ٢٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٧٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٢: ٣٧٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٧٨).

(٥) «إن» ليس في (د).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣).

(٧) في (د): «يعذب».

(٨) قوله: «ثم يضرم بينهما نارًا» ليس في (د).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٧٦)، و«المنتظم» (٦: ٢٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣).

أسنَدَ سُوَيدٌ عن: أبي بكر، وعمر، وابنِ مَسعود، وبِلال، وغيرِهم[١]، رضي الله عنهم.

قال محمَّدُ بن سعد: ماتَ سُوَيدُ بن غَفَلَةَ وهو ابنُ ثمانٍ وعشرين ومئة سنة[٢]، في سنة/ إحدى أو اثنتَين[٣] وثمانِين[٤]، والله أعلم. [١٠٩/أ]

* * *

[الأسود بن يزيد]

[١٧٤] **ومنهم**: الأسودُ بن يزيدَ[٥]، يُكنَّى: أبا عمرو، وهو ابنُ أخي علقمةَ بن قيس[٦].

قال عبدُ الرحمنِ الأوديُّ[٧]: «كان الأسودُ بن يزيدَ يُجهِدُ نفسَه في الصومِ والعبادةِ حتَّى يَخضَرَّ جِلدُه ويَصفَرّ، وكان علقمةُ يقول له: ويحَك! لمَ تُعذِّب هذا الجسدَ؟ فيقول: إنّ الأمرَ جدّ، إنّ الأمرَ جدٌّ»[٨].

قال علقمةُ بن مَرثَد: «انتهى الزُّهدُ إلى ثمانيةٍ من التابعِين، منهم: الأسودُ بن يزيد، كان يَجتَهِدُ في العبادة، يصومُ حتَّى يَخضَرَّ ويَصفَرّ، فلمّا احتضرَ بكى، فقيل له: ما هذا الجَزَعُ؟

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤).
(٢) «الطبقات الكبرى» (٦: ٧٠).
(٣) في (د): «أو اثنين».
(٤) انظر: «الاستيعاب» (٢: ٦٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤).
(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤)، و«السير» (٤: ٥٠).
(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤)، و«السير» (٤: ٥٠).
(٧) في (ق) و(د): «الأودني».
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤).

فقال: وما لي لا أجزَع، وهل أحَقُّ منِّي بذلك؟ والله لو أُتيتُ بالمغفرةِ[١] من الله لأهمَّني الحياءُ منه ممّا صنعت، إنّ الرجُلَ ليكون بينه وبين الرجُل الذنبُ الصغيرُ فيغفر له، فلا يَزالُ مستحِيًا منه»[٢].

ولقد حجَّ الأسودُ ثمانين حجّة[٣].

قال حنشُ بن الحارث: «رأيتُ الأسودَ وقد ذَهبَت إحدى عينَيه من الصوم»[٤].

قال شُعبة: قال الحكم: «كان الأسودُ يصومُ الدهرَ»[٥].

أسنَدَ الأسودُ عن أبي بكر، وعمر، وعليّ، وابن مسعود، ومعاذ، وسلمان، وعائشة، وغيرِهم، ولم يَروِ عن عثمانَ شيئًا، رضي الله عنهم[٦].

وتُوفِّي بالكوفة سنةَ خمسٍ وسبعين، رحمةُ الله تعالى عليه[٧]، والله أعلم.

* * *

(١) في (ق): «المغفرة».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٠٣)، و«المنتظم» (٦: ١٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٣٦١).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٣٦٠).

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥).

[مسروق بن الأجدع]

[١٧٥] ومنهم: مسروقُ بن الأجدع[١]، سُرِقَ وهو صغير، ثمَّ وُجِدَ فسُمِّيَ مسروقًا[٢].

قال الأعمش: قال مسلم: قال مسروق: «بِحَسبِ امرئٍ من الجهلِ أن يُعجَب بعَمَلِه، وبِحَسبِ امرئٍ من العلم أن يَخشَى الله عزَّ وجلَّ»[٣].

قال الشعبيّ: قال مسروق: «إذا بَلَغَ أحدُكُم أربعينَ سنةً فليأخُذ حِذرَهُ من الله تعالى»[٤].

قال الشعبي: قال أبو إسحاق: «حجَّ مسروقٌ فلم يَنَم إلّا ساجدًا حتَّى رَجعَ»[٥].

قالت امرأةُ مسروق: «كان يُصلِّي حتَّى تَوَرَّمَت قدماه، فربَّما جلستُ خلفَه أبكي ممّا أراهُ يصنعُ بنفسه»[٦].

---

(١) في (ق) و(د): «الأجذع»، وانظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٧٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧: ٣٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥)، و«السير» (٤: ٦٣).

(٢) انظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم (١: ٣٩٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧: ٤٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧: ٤٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥)، و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١: ٨٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥)، و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١: ٨٧).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٧٩)، و«حلية الأولياء» (٢: ٩٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧: ٤٢٦).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٨١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧: ٤٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥).

وكان يُرخِي السترَ بينه وبين أهله، ثمَّ يُقبِلُ على صلاتِه ويُخلِّيهم ودُنياهُم، وليسَ في البيت قفِيزٌ ولا درهمٌ[١].

وكان يقول: «إنّ المرءَ لَحقِيقٌ أن يكونَ له مجالسُ يَخلو فيها ويتذكَّرُ ذُنوبَه ويستغفر»[٢].

قالت امرأتُه: «لمّا حضرته[٣] الوفاةُ بَكى، فقيل له: ما هذا الجَزَعُ؟ فقال: ما لي لا أجزع، وإنّما هي ساعةٌ ولا أدري أين يُسلَكُ بي؟ بين يديَّ طريقان لا أدري إلى الجنّةِ أمْ إلى النّار»[٤].

[١٠٩/ب]

قال الشعبيّ: «غُشيَ على مسروقٍ في يومٍ صائفٍ وهو صائم، فقالت له ابنَتُه: أفطِر، فقال: ما أردتِ بي؟ قالت: الرفق، قال: يا بُنيّة، أطلُبُ الرفقَ لنفسي في يومٍ كان مِقدارُه خمسين ألفَ سنة»[٥].

أسنَدَ مسروقٌ عن: عمر، وعليّ، وابنِ مسعود، وخَبّاب، وأُبَيّ، وزيدِ بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعائشة، وغيرِهم، رضي الله عنهم[٦]. ورأى الصِّدِّيق.

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٨٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧: ٤٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦).

(٣) في (ق): «احتضرته».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧: ٤٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٧: ٤٥٦).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٧: ٤٥٢).

وكان ابنُ المدينيِّ يقول: «لا أُقدِّمُ على مسروقٍ أحدًا من أصحابِ ابن مسعودٍ رضي الله عنهُ»(١).

ماتَ مسروقٌ بالكوفةِ سنةَ ثلاثٍ وستِّين(٢)، واللهُ أعلم.

* * *

[علقمة بن قيس]

[١٧٦] ومنهم: علقمةُ بن قيسٍ(٣)، يُكنَّى: أبا شبل، وهو عمُّ الأسود بن زيد(٤).

قال أبو ظَبيان: «أدركتُ ما شاء الله تعالى من أصحابِ النبيِّ ﷺ يَسألونَ علقمةَ ويَستَفتُونَه»(٥).

قال الأعمش: قال إبراهيمُ(٦): «كان عبدُ الله(٧) يُشَبَّهُ بالنبيِّ ﷺ في هَديِه ودَلِّه وسَمْتِه، وكان علقمةُ يُشَبَّه بعبد الله»(٨).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٨٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٧: ٤٥٥).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٨٨).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٨٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ١٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦)، و«السير» (٤: ٥٣).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٩٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ١٧٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦).

(٦) هو: إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى.

(٧) هو: عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ١٥٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ١٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦).

قال الأعمش: قال المُسيَّبُ بن رافع: «قيل لعلقمة: لو جلستَ فأقرأتَ الناسَ القرآنَ وحدَّثتَهُم؟ قال: أكرَه أن يُوطأ عقبي، وأن يُقال: هذا علقمة»[١].

وكان يكونُ في بيته يَعلِفُ غنمَه وَيَقُتُّ[٢] لهم[٣].

قال مالكُ بن الحارث: «قيل لعلقمة: ألا تخرُجُ فتحدِّث الناسَ؟ قال: أخرجُ فيَتَّبِعون عقبي، ويقولون: هذا علقمة؟ فقالوا: أفلا تدخُل على السلطان فيَنتَفِع بكَ وتَنتَفِع به[٤]؟ فقال: إنِّي لا أُصيبُ من دنياه شيئًا إلّا أصابَ من ديني مثله»[٥].

أسنَدَ علقمةُ عن عمر، وعثمان، وعليّ، وابن مسعود، وحذيفة، وأبي الدرداء، وعائشة، رضي الله عنهم، وغيرهم[٦].

وتُوفِّي بالكوفة سنةَ إحدى وستِّين، وقيل غير ذلك، وله تسعون سنةً[٧]، رحمة الله تعالى عليه.

* * *

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٨٩)، و«سير السلف الصالحين» (٨٣٩)، و«السير» (٤: ٥٩).

(٢) القت: الفصفصة وهي الرطبة من علف الدواب أو اليابس منه. انظر: «الصحاح» (١: ٢٦١)، و«المحكم» (٦: ١١٨)، و«لسان العرب» (٢: ٧١).

(٣) في (ق) و(د): «لهن». وانظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٠٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ١٨٢)، و«السير» (٤: ٥٩).

(٤) قوله: «فينتفع بك وتنتفع به» في (ق): «فينتفع به».

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٨٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ١٨١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٣٠١).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٣٠٧-٣٠٨).

[شقيق بن سلمة الأسدي]

[١٧٧] **ومنهم**: شقيقُ بن سَلَمةَ الأَسَدِيُّ[١]، يُكنَّى: أبا وائل[٢].

وكان له خُصٌّ من قَصَب، فكان يكون[٣] فيه وهو وفَرَسُه، فإذا غزا نَقضَه وتصدَّق به، فإذا رَجعَ أنشأ بناءَه[٤].

قال عاصم: «ما رأيتُ شقيقًا يلتفتُ في صلاةٍ ولا غيرها قطُّ»[٥]، وكان ينتفضُ انتفاضَ الطير[٦].

وكان إذا خلا نَشَج، ولو جُعِلَت له الدنيا على أن يفعلَ ذلك وأحدٌ يراه لم يفعل[٧]، وكان إذا جاءَهُ عطاءٌ أمسَكَ ما يكفي أهلَه وتَصَدَّقَ بما سواه[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٨٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦)، و«السير» (٤: ١٦١).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦)، و«السير» (٤: ١٦١).

(٣) «يكون» ليس في (د).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٠٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٧١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٩٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٧٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٩٩)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٤: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٨٥).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٠١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٧٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧).

قال عاصم: سمعتُه يقولُ وهو ساجد: «ربِّ اغفر لي، ربِّ اعفُ عنِّي، إن تعفُ تَطولًا[١] من فضلك، وإن تُعذِّبني / فعَدلٌ غيرُ ظالم. ثمَّ يَبكِي[٢] حتَّى أسمَعَ نَحِيبَهُ من وراءِ المسجد»[٣]. [١١٠/أ]

أدركَ شقيقٌ زَمنَ رسول الله ﷺ ولم يَلقَه، وسَمِعَ من عمر، وعثمان، وعليّ، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وابن عباس، وعائشة، وغيرهم من الصحابة[٤]، رضي الله عنهم[٥].

قال سعيدُ بن صالح: «كان شقيقٌ يَؤُمُّ جنائزنا وهو ابنُ مئةٍ وخمسين سنةً»[٦].

تُوفِّي في زمن الحجّاج بعد الجماجم[٧]، رحمةُ الله تعالى عليه.

* * *

(١) في (ق): «فطولًا»، وفي (د): «فتطولًا».

(٢) في (ق): «بكى».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٠٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٧٠)، و«صفة الصفوة» (١٨:٢).

(٤) قوله: «من الصحابة» ليس في (د).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٨٧).
ودير الجماجم: بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر للسالك إلى البصرة، وعند هذا الموضع كانت الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث التي كسر فيها ابن الأشعث، وقتل القراء، وكانت سنة (٨٢هـ) في شعبان في رواية الواقدي. وقال غيره: في سنة (٨٣ هـ). انظر: «تاريخ الطبري» (٦: ٣٤٦-٣٥٠)، و«معجم البلدان» (٢: ٥٠٣-٥٠٤).

[مُرّة بن شراحيل]

[١٧٨] **ومنهم**: مُرّة بن شراحيل، ويقال له: مُرّة الخير، ومُرّة الطيِّب[١]، سُمِّي بذلك؛ لعبادته[٢].

قال سفيانُ بن عيينة: قال عطاءُ بن السائب: «كان مُرّة يُصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعةً، فلمّا ثقلَ صلَّى أربعَ مئة ركعة، وكنت أنظرُ إلى مَبارِكِه كأنّها مَبارِكُ الإبل»[٣].

قال العَلاءُ بن عَبدِ الكَرِيمِ الأيامِيُّ[٤]: «كُنّا نأتي مُرّة، فيخرجُ إلينا، فنرى أثَرَ السجود في جَبهَتِه وكَفَّيه وقَدمَيه، فيجلسُ معنا هُنيّةً ثمَّ يقوم، فإنّما هو ركوعٌ وسجودٌ»[٥].

أسنَدَ مُرّة عن الصدِّيق، والفاروق، وعليّ، وابن مسعود، وغيرِهم، رضي الله عنهم[٦].

قال الغنويّ: «سَجدَ مُرّة حتَّى أكَلَ الترابُ جبهتَه، فلمّا ماتَ رآهُ رجلٌ من أهلِهِ في منامه ومَوضِعُ سجوده كهيئة الكوكب الدريِّ يلمَع، فقال له: ما هذا الذي أرى؟

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ١١٦)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠)، و«السير» (٤: ٧٤).

(٢) انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (١٦٤)، و«حلية الأولياء» (٤: ١٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٦٢)، و«المنتظم» (٥: ٢٧٦).

(٤) كذا في «حلية الأولياء» و«صفة الصفوة»، وفي (ق) و(د): «قال المعلى الأيامي».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٦٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠).

فقال: كسا موضعَ السجود بأكل التراب نُورًا، فقال: فما مَنزِلُكَ في الآخرة؟ قـال: خيرُ منزل، دارٌ لا ينتقلُ عنها أهلُها ولا يَموتونَ»(١)، رحمةُ الله تعالى عليه.

* * *

[ربعي بن حراش الغطفاني]

[١٧٩] **ومنهم**: رِبعيُّ بن حِرَاشٍ الغَطفانيّ(٢).

قال عبدُ الله العجليّ: حدَّثني أبي، قال: «كان يُقال: إنّ ربعيَّ بن حِراشٍ لم يَكذِب قطّ، وكان له ابنان عاصيان على الحَجّاج، فقيلَ للحَجّاج: إنّ أباهُما لم يَكذِب قطّ، لو أرسلتَ إليه فسألتَه عنهما؟ فأرسَلَ إليه، فقال: أين ابناكَ؟ فقال: هُما في البيت، قال: قد عَفَونا عنهما بصِدقِكَ»(٣).

قال أبو بكرٍ العابد: قال الحارثُ الغنويّ: «آلى رِبعيُّ بن حِرَاش ألّا يَضحَكَ حتَّى يعلمَ في الجنّةِ هو أو في النار، قال الغنويّ: فلقَد أخبَرَني غاسِلُه أنّه لم يَزَل مُبتَسِمًا على سريره ونحنُ نُغسِّله حتَّى فرَغنا منه»(٤).

أسنَدَ رِبعيٌّ عن عمر، وعليّ، وحذيفة، وغيرِهم، رضي الله عنهم(٥).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١)، و«تهذيب الكمال» (٢٧: ٣٨١)، و«البداية والنهاية» (١١: ٢٧٩).

(٢) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٢٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١)، و«السير» (٤: ٣٥٩).

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٩: ٢٠٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١-٢٢)، و«السير» (٤: ٣٦٠).

(٤) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٩: ٢٠٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٣٥٩).

تُوفِّي سنة إحدى ومئة، وقيل: سنة أربعٍ ومئة[١]، رحمةُ الله تعالى عليه.

* * *

[أخو رِبعي بن حراش]

[١٨٠] **ومنهم:** أخو رِبعيٍّ بن حراش[٢]، ولم يُعرَف اسمُه[٣].

قال رِبعيّ: «كُنّا ثلاثةَ إخوة، وكان أعبَدَنا وأصوَمَنا وأفضَلَنا/ الأوسطُ مِنّا، فغِبتُ غَيبةً ثمَّ قَدِمت، فقالوا: أدرِك أخاكَ؛ فإنّه في الموت، فخرَجتُ أسعى عليه، فانتهَيتُ إليه[٤] وقد قَضَى وسُجِّي، فقعدتُ عند رأسه أبكيه، فرفعَ يدهُ وكَشفَ الثوبَ عن وجهه، وقال: السلامُ عليكم، قلت: أي أخي، أحياةٌ بعد الموت؟

فقال: نعم، إنِّي لَقِيتُ ربِّي، فلقِيَني برَوحٍ ورَيحان، ورَبٍّ غيرِ غَضبان، وإنّه كَساني ثيابًا من سُندسٍ وإستبرَق، وإنِّي وجدتُ الأمرَ أيسَرَ ممّا تَحسَبونَ، ثلاثًا، فاعمَلوا ولا تَغترُّوا، ثلاثًا، إنِّي لَقِيتُ رسولَ الله ﷺ فأقسَم ألّا يَبرَحَ حتَّى آتِيَه، فعَجِّلُوا جهازي، ثمَّ طَفِئ، فكأنَّه[٥] أسرَع من حصاةٍ أُلقِيَت في ماءٍ»[٦].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢)، و«السير» (٤: ٣٦٢).

(٢) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٥٠)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ٤٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢).

(٣) هو: الربيع بن حراش، كما ذكره ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦: ١٤٩-١٥٠)، فقال في ترجمة مسعود بن حراش: «وهو أخو ربعي بن حراش»، ثم ترجم لأخيه فقال: وأخوه الربيع بن حراش الذي تكلم بعد موته، ومات قبل ربعي بن حراش».

(٤) قوله: «فانتهيت إليه» ليس في (د).

(٥) في (د): «ثم غطى وجهه»، وفي (ق): «ثم طفى مكانه».

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٥٠)، و«حلية الأولياء» (٤: ٣٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢).

[شريح بن الحارث القاضي]

[١٨١] ومنهم: شُرَيحُ بن الحارث القاضي[١]، يُكنَّى: أبا أُميّة[٢]، ولّاهُ عمرُ رضي الله عنه الكوفة[٣].

قال ابنُ سيرين: «سمعتُ شُريحًا يحلفُ بالله عزَّ وجلَّ ما تَركَ عبدٌ شيئًا لله عزَّ وجلَّ فوجَدَ فقدَه، قال ابنُ سيرين: ولا أرى شُريحًا حَلفَ إلّا على علمٍ»[٤].

قال عامر: قال ابنُ شُرَيح لأبيه: «إنّ بَينِي وبين قومٍ خصومة، فانظُر فإن كان الحقُّ لي خاصمتُهم، وإلّا فلا، فقَصَّ عليه القصّة، فقال: انطَلِق خاصِمهم، فتخاصَموا إليه، فقضى على ابنِه، فلما رجَعَ إلَى أهلِه قال[٥]: والله لو لم أتقدَّم إليك لَم أَلُمك، فضَحتَني! فقال: يا بُنيّ، والله لَأنتَ أحَبُّ إليَّ من ملء[٦] الأرض مثلهم، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ أعزُّ عليَّ منك، خَشِيتُ أن أُخبِرَكَ أنّ القضاءَ عليك، فتُصالِحَهم، فتذهب ببعض حقِّهم»[٧].

قال أبو حيّانَ التَّيميّ: «كان شُريحُ إذا ماتَ لأهلِه سِنَّورٌ أمرَ بها[٨] فأُلقِيَت[٩]

---

(١) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٢: ٧٠١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٣)، و«السير» (٤: ١٠٠).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٢: ٧٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٣).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٣٢)، و«الاستيعاب» (٢: ٧٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٣).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٣)

(٥) قوله: «فلما رجع إلى أهله» في (ق): «فقال: لَمّا رَجعَ إلى أهله».

(٦) في (د): «ملاء».

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٣).

(٨) «بها» ليس في (د). (٩) في (ق): «ألقيت».

في جَوفِ داره[١]؛ اتقاءً لأذى المسلمين»[٢].

أسنَدَ شُريحٌ عن عمر، وعليّ، وغيرِهما[٣].

وتُوفِّي في سنة ستٍّ وسبعين، وقيل: ثمان، وقد بلغ مئةً وثمانِ[٤] سنين[٥]، رحمةُ الله عليه، واللهُ أعلم.

* * *

[أُوَيس بن عامر القرني]

[١٨٢] **ومنهم**: أُوَيسُ بن عامرٍ القَرنيُّ[٦]، وقيل: أُوَيسُ بن أنيس، وقيل غيرُ ذلك[٧].

وهو الذي أمَرَ رسولُ الله ﷺ لعمر وعليٍّ رضي الله عنهما أن يستغفرَ لهما[٨]، وقد مرَّت نبذةٌ من سيرته وكلامِه النافع.

---

(١) في (ق) و(د): «جاره».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤).

(٤) في (د): «وثمانين».

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٢: ٧٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤). وفي «الاستيعاب»: «وهو ابن مئة سنة».

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٦١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥)، و«أسد الغابة» (١: ١٧٩)، و«السير» (٤: ١٩).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥).

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٦٢)، و«حلية الأولياء» (٢: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٦).

قال علقمة: «انتهى الزهدُ إلى ثمانيةٍ من التابعين، منهم: أُوَيسٌ القَرَنيُّ»[١].

ظنَّ أهلُه أنّه مجنون، فبَنَوا له بيتًا على باب دارهم، فكانت تأتي عليهم السنةُ والسنون لا يَرونَ له وجهًا، وكان طعامُه ممّا يَلتقطُ من النوى، فإذا أمسى باعَه لإفطارِه، فإن أصابَ حَشفةً حبَسَها لإفطارِه[٢].

[١١١/أ] قال هرمُ/ بن حيان: بلَغَني عن عمر أنّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ عن أُوَيس: «إنّه يدخلُ الجنّة بشفاعته مثلُ ربيعةَ ومُضَر»[٣]، قال هَرم: فلمّا بلَغَني ذلك قَدِمتُ الكوفة، فلم يَكُن لي همٌّ إلّا طَلِبَته، حتَّى سقطت[٤] عليه جالسًا على شطِّ الفرات يتوضَّأ، فعرفتُه بالنعت الذي وُصِفَ لي، فإذا رجلٌ نحيفٌ[٥] أشعثُ مَهيبُ المنظر، فسلَّمتُ عليه، فرَدَّ عليّ، ونَظرَ إليَّ، فمددتُ يدي لأُصافِحَه، فأبى أن يُصافِحَني.

فقلت له: رَحِمَكَ الله تعالى يا أُوَيسُ وغفرَ لك، كيف أنت، ثمَّ خَنقَتني العَبرةُ من رِقَّتي عليه؛ لما رأيتُ من حاله، حتَّى بكيتُ وبكى، فقال: وأنت حيّاك الله يا هَرم، كيف أنت يا أخي، ومَن دَلَّك عليَّ؟ قلت: الله، قال: لا إله إلّا الله، سُبحانَ ربِّنا إن كان وعدُ ربِّنا لمفعولًا، وقلت: ومن أين عرفتَ اسمِي وما رأيتُكَ قبل اليوم ولا رأيتني؟

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٢٣٩).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧).

(٣) «مسند أحمد» (٢٢٦٦٥)، و«سنن ابن ماجه» (٤٣٢٣)، دون ذكر أويس. وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨).

(٤) في (د): «سقط».

(٥) في (ق): «نحيل».

فقال: أنبأني العليمُ الخبير، عَرفَت روحي روحَكَ حين كلَّمَت نفسي نفسَك، إنّ المؤمنين يعرفُ بَعضُهُم[١] بعضًا، ويتحابُّونَ بروح الله عزَّ وجلَّ وإن لم يلتقوا، وإن نأت بهم الدارُ، وتفرَّقَت بهم المنازِل.

قلت: حدِّثني عن رسولِ الله ﷺ؟ قال: لَم أُدرِكهُ ﷺ، ولم يكن لي معه صُحبة، بأبي وأمي رسولُ الله ﷺ، ولكن رأيتُ رجالًا رأوه[٢]، ولستُ أفتَحُ على نفسي هذا البابَ أن أكونَ مُحَدِّثًا أو قاصًّا أو مُفتيًا، في نفسي شُغلٌ عن الناس.

فقلت: أي أخي، اقرأ عليَّ آياتٍ من كتاب الله عزَّ وجلَّ أسمعها منك، وأوصِني بوصيّةٍ أحفظُها عنك؛ فإنِّي أُحِبُّكَ في الله تعالى، فأخَذَ بيدي وقال: أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، قال ربِّي، وأحقُّ القول قول ربي عز وجل، وأصدَقُ الحديث حديثُ ربِّي عزَّ وجلّ، ثمَّ قرأ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٤٢].

فشَهَقَ شَهقةً، فظنَنتُ أنّه غُشِيَ عليه، ثمَّ قال: يا ابنَ حيّان، مات أبوكَ حيّان، ويُوشِكُ أن تموتَ أنت، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النار، وماتَ أبوكَ آدم، وماتت أُمُّكَ حواءُ يا ابن حيّان، وماتَ نوحُ نبيُّ الله عزَّ وجلّ، وماتَ إبراهيمُ خليلُ الله عزَّ وجلَّ[٣]، وماتَ موسى نَجِيُّ الله عزَّ وجلّ، ومات داودُ خليفةُ الله عزَّ وجلّ، وماتَ محمَّدٌ ﷺ وعلى جميع الأنبياء، وماتَ أبو بكرٍ/ خليفةُ رسولِ الله ﷺ، وماتَ أخي وصديقي عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه، فقلت له[٤]: رَحِمَكَ الله

---

(١) في (ق) و(د): «بعضها».

(٢) في (د): «رواه».

(٣) قوله: «وماتَ إبراهيمُ خليلُ الله عزَّ وجلَّ» ليس في (د).

(٤) «له» ليس في (د).

تعالى، إنّ عمر لم يَمُت، فقال: بلى، قد نعاهُ إليَّ ربِّي عزَّ وجلّ، ونعى إليَّ نفسي، وأنا وأنت في الموتى.

ثمَّ صلَّى على النبيِّ ﷺ، ودعا بدعواتٍ خِفاف، ثمَّ قال: هذه وصيَّتي إيّاك، كتابُ الله[1]، ونَعْيُ المُرسَلين، ونعيُ صالِح المؤمنين، فعليك بذِكر الموت، ولا يُفارِقَنَّ قلبَك طرفةَ عينٍ ما بَقِيت، وأنذِر قومَكَ إذا رجعتَ إليهم، وانصح للأُمّة جميعًا، وإيّاك أن تُفارِقَ الجماعةَ فتُفارِقَ دينَك وأنت لا تعلم فتدخلَ النار، ادعُ لي ولنفسك.

ثمَّ قال: اللهُمَّ إنّ هذا زَعمَ أنّه يُحبُّني فيك، وزارَني من أجلك، فعرِّفني وجهَه في الجنّة، واحفَظه ما دامَ في الدنيا حيًّا[2]، وأرضِه من الدنيا باليسير، واجعَله لما أعطيتَه من نِعَمِكَ من الشاكرين، واجزِه عنِّي خيرًا.

ثمَّ قال: السلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاتُه، لا أراكَ بعد اليوم، رَحِمَكَ الله؛ فإنِّي أكرَه الشهرة، والوحدةُ أحَبُّ إليَّ؛ لأنّي كثيرُ الغمِّ ما دُمتُ مع هؤلاء الناس، فلا تسأل عنِّي ولا تطلُبني، واعلم أنّك منِّي على بالٍ وإن لم أرَك وتراني، واذكُرني وادعُ لي؛ فإنِّي سأدعو لك وأذكُرُكَ إن شاء الله تعالى، فانْطَلِق أنت هاهنا حتَّى آخُذ أنا هاهنا، فحَرَصتُ على أن أمشيَ معه ساعةً فأبى عليّ، ففارَقتُه أبكي ويبكي، فجعلتُ أنظُرُ إليه، حتَّى دَخلَ بعضَ السكك، ثمَّ سألت عنه بعد ذلك وتَطلَّبتُه فلم أجد أحدًا يُخبِرُني عنه بشيء، وما أتت عليَّ جمعةٌ إلّا وأنا أراه في منامي مرّة أو مرَّتين[3]، والله أعلم.

---

(١) لفظ الجلالة غير موجود في (ق). (٢) «حيًّا» ليس في (د).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨).

قال بكرُ بن عيّاش: قال مغيرة: «كان أُوَيسٌ يتصدَّقُ بثيابه حتَّى يجلسَ عريانًا لا يجدُ ما يروحُ فيه إلى الجمعة»[١].

قال أصبَغُ بن زيد: «كان أويسٌ إذا أمسى يقول: هذه ليلةُ الركوع، فيركعُ حتَّى يُصبِح، وكان يقول: هذه ليلةُ السجود، فيسجُدُ حتَّى يُصبِح، وكان إذا أمسى تصدَّقَ بما في بَيتِه من الفَضلِ من الطعامِ والثياب، ثمَّ يقول: اللهُمَّ مَن ماتَ جوعًا فلا تُؤاخِذني به، ومن ماتَ عريانًا فلا تُؤاخِذني به»[٢].

قال الحسنُ بن عمرو[٣]: سَمِعتُ بشرًا يقول: «بَلَغَ من عُرِيِّ أُويسٍ أنّه جلس في قَوْصَرة»[٤].

قال النضرُ بن إسماعيل: «كان أويسٌ يَلتَقِطُ الكِسَرَ من المزابل، فيَغسلُها فيتصدَّقُ ببعضها، ويأكُلُ بعضَها، يقول: اللهُمّ/ إنِّي أبرأُ إليك من كلِّ كبدٍ جائعٍ»[٥]. [١١٢/أ]

قال أحمدُ بن أبي الحواريِّ: حدَّثنا أحمدُ بن عاصم، قال: قال هرمُ بن حيّانَ لأويس: «أوصِني، فقال: توسَّد الموتَ إذا نِمت، واجعله نُصبَ عَينَيكَ[٦] إذا قُمت، وادعُ الله عزَّ وجلَّ أن يُصلِحَ لك قلبَكَ ونيَّتك[٧]، فلن تُعالِج شيئًا أشدَّ

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١)، و«السير» (٤: ٣٠).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٨٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١).
(٣) في (د): «عمر».
(٤) انظر: «المنتظم» (٤: ٢٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١). والقوصرة: وعاء للتمر من قصب. وانظر: «المحيط» (١: ٤٤٢)، و«الصحاح» (٢: ٧٩٣)، و«الفائق في غريب الحديث» (٣: ١٨١).
(٥) انظر: «المنتظم» (٤: ٢٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١).
(٦) في (ق): «عينك».
(٧) «ونيتك» مثبت من المصادر.

عليك منهما، بينا قلبُك مُقبِلٌ إذا هو مُدبِر، ولا تَنظُر في صِغَر الخطيئة، ولكن انظُر إلى عَظَمةِ مَن عصَيتَ»[١]. واللهُ أعلم.

قولُه: «توسَّد الموتَ إذا نِمتَ، واجعَلهُ نُصبَ عينَيكَ[٢] إذا قُمت»، فيه إشارةٌ[٣] إلى أنّ مَن ماتَ كيف يَدَعُ شيئًا ممّا يُورِّثُ الإخلادَ إلى الدنيا؛ لأنّ مَن ماتَ لا حاجةَ له بشيءٍ من تَعلُّقاتها، ومَن جعلَ الموتَ نُصبَ عينه ماتت نفسُه عمّا سِواه لشُغله بهَولِه.

وفيه إشارةٌ إلى تحسينِ العبادة مع الجِدِّ والاجتهاد؛ ليكونَ ذلك آخرَ عهده[٤] بدار العمل، وزادًا إلى دار البقاء، وفَّقَنا الله تعالى لذلك بمَنِّه وكرَمِه.

قال ابنُ أبي الحواريِّ: سمعتُ أبا عبد الله النِّباجيَّ[٥] يقول: «زارَ هَرِمُ بن حيّانَ أُوَيسًا القَرَنيّ، فقال له هَرِم: يا أُوَيس، صِلنا بالزيارة، فقال: وصلتُكَ بما هو أنفَعُ لك من الزيارة واللقاء، بالدعاء بظهر الغيب؛ لأنّ الزيارةَ واللقاءَ يحصُلُ فيهما التزيُّنُ والرياءُ»[٦].

قال عبدُ الله بن سلمة: «غَزَونا أذرَبِيجانَ في زمنِ عمرَ رضي الله عنه ومعنا أُوَيس، فلمّا رَجَعنا مرض، فحمَلناه فلم يَستَمسِك فمات، فإذا قبرٌ محفورٌ وماءٌ

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٤٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١).

(٢) في (ق): «عينك».

(٣) في (ق): «الإشارة».

(٤) في (د): «عهد».

(٥) في «صفة الصفوة»: «الناجي». وهو: سعيد بن بريد النِّباجي أحد عباد الله الصالحين، وهذه النسبة «النِّباجي» إلى نِباج؛ قرية في بادية البصرة على النصف من طريق مكة. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٨)، و«الأنساب» للسمعاني (١٣: ٢٣)، و«بغية الطلب» (٩: ٤٢٨١)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٥٨٦).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١).

مسكوب، وكَفَنٌ وحَنوط، فغسَّلناه وكفَّنّاه وصلَّينا عليه، فقال بعضُنا لبعض: لو رَجَعنا فعلَّمنا قبرَه، فرَجَعنا فإذا لا قبرَ ولا أثرَ»[1]، والله أعلم.

* * *

[أبو عبد الرحمن السُّلمي]

[١٨٣] ومنهم: أبو[2] عبدِ الرحمن السُّلَميّ[3]، واسمُه عبدُ الله بن حبيب[4].

قال السَّبِيعِيّ: «أقرأ السُّلَميُّ القرآنَ في المسجد أربعين سنةً»[5].

قال الأعمش: قال شَمر: «أخذَ بيدي السُّلَميّ، فقال: كيف قُوَّتُكَ على الصلاة؟ فذكرتُ ما شاء الله تعالى أن أذكُرَه، فقال: كنتُ مِثلَكَ أُصَلِّي العشاء، ثمَّ أقومُ أُصلِّي، فأنا حين أُصَلِّي الفجرَ أنشَطُ منِّي أوَّلَ ما بدأت»[6].

قال عطاءُ بن السائب: «كان السُّلَميُّ يُؤتَى بالطعام إلى المسجد، فرُبَّما استقبَلوه به في الطريق، فيُطعِمُه المساكينَ، فيقولون: بارَكَ الله فيك، فيقول: / [١١٢/ب] وفيكُم، ويقول: قالت عائشةُ[7] رضي الله عنها: إذا تصدَّقتُم فرُدُّوا حتَّى يبقى لكم أجرُ ما تصدَّقتُم»[8].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٨٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢).

(٢) «أبو» ليس في (ق).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٧٢)، و«حلية الأولياء» (٤: ١٩١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣)، و«السير» (٤: ٢٦٧).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٧٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣).

(٧) «حلية الأولياء» (٤: ١٩٢).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣).

أسنَدَ عن عمر، وعثمان، وعليّ، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وغيرهم[١].

وكـان يُقرِئُ القرآنَ بالكوفةِ مـن خلافةِ عثمانَ إلى إمرة[٢] الحَجّاج، وقَدِمَ المدائنَ في حياة حذيفةَ[٣].

وتُوفِّي في[٤] سنةِ خمسٍ ومئة، وله تسعون سنةً[٥]، رحمة الله تعالى عليه.

* * *

[الربيع بن خُثَيم]

[١٨٤] ومنهم: الربيعُ بن خُثَيم[٦]، يُكنَّى[٧]: أبا يزيدَ[٨].

قال حمّادُ بن أبي سُلَيْمان: «كان عبدُ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه إذا نَظرَ إلى الربيع[٩] بن خُثَيم، قال: مرحبًا يا أبا يزيد، لو رآكَ رسولُ الله ﷺ لأحبَّكَ ولأوسعَ لك إلى جَنبه، ثمَّ يقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]»[١٠].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٧٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣).

(٢) في (د): «إمرة».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣).

(٤) «في» ليس في (د).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣)، و«السير» (٤: ٢٧١).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٧٠)، و«السير» (٤: ٢٥٨).

(٧) في (د): «قال: يكنى».

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٧٠).

(٩) «الربيع» ليس في (د).

(١٠) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٧٤).

قـال علقمةُ بن مَرثَد: «انتهى الزهدُ إلـى ثمانيةٍ مـن التابعين، منهم: الربيعُ بن خُثَيم»[١].

كان يقول: «أمّا بعد، فأعِدَّ زادَك، وخُذ جهازَك، وكن وصِيَّ نَفسِكَ»[٢].

وقيل له: ألا تُذَكِّر الناس؟ فقال: ما أنا عَن نَفسِي براضٍ فأتفرَّغ من ذَمِّها إلَى أن أذُمَّ الناس، إنّ النّاس[٣] خافوا الله على ذُنوبِ الناس، وأمِنُوهُ على ذُنُوبِهِم[٤].

ولمّا أصابَهُ الفالِجُ[٥] قـيل: لـو تداوَيتَ؟ فقـال: لقد عَرفتُ أنّ الدواءَ حقّ، ولكنِّي ذكرتُ عادًا وثمودَ وأصحابَ الرَّسّ، وقرونًا بين ذلك كثيرًا، كانت فيهم الأوجاع، وكان لهم الأطِبّاء، فما بقيَ المُداوِي والمُداوَى[٦].

قال إبراهيمُ التيميّ: «أخبَرَني مَن صَحِبَ الربيعَ بن خُثَيم عشرينَ عامًا ما سَمِعَ منه كلمةً تُعابُ»[٧]، وما رُؤِيَ مُتطوِّعًا في مسجدِ قَومِه[٨] إلّا مرّة[٩].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٢٣٩).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٧٤).

(٣) قوله: «إن الناس» ليست في (ق) و(د).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٧٣).

(٥) الفالج: شلل يصيب أحد شقي البدن، وربما كان في الشقين، فيبطل الإحساس والحركة.

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٧٣).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٣٥٤).

(٨) «قومه» ليس في (د).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٣٥٦).

قالت[1] سريتُه: «كان عملُه كلُّه سرًّا، إن كان الرجلُ ليَجِيء وقد نَشرَ المُصحَفَ فيُغطِّيه بثوبه»[2].

وكان يقول: «كلُّ ما لا يُبتَغى به وجهُ الله عزَّ وجلَّ يَضمَحِلُّ»[3].

قال عبدُ اللهِ بن مسروق: «أصابَ الرَّبيعَ حجرٌ في رأسِه فشَجَّه، فجعلَ يمسَحُ الدمَ عن وجهِه، ويقول: اللهُمّ اغفر له؛ فإنّه لم يَتعَمَّدني»[4].

وسُرِقَ لهُ فرسٌ أُعطِيَ فيهِ[5] عشرين ألفًا، فقيل له: ادعُ عليه، فقال: اللهُمَّ إن كان غنيًّا فاغفِر لَه، وإن كان فقيرًا فأغنِه[6].

قال عيسى بن فرُّوخ[7]: «كان الربيعُ إذا كان الليلُ ووجدَ[8] غفلةَ الناس خرجَ إلى المقابر، فيقول: يا أهلَ المقابر، كُنّا وكُنتُم، فإذا أصبحَ كأنّه نُشِرَ من قبرٍ»[9].

قال بشير: «بِتُّ عِندَ الربيعِ ذاتَ ليلة، فقامَ يُصلِّي، فمرَّ بهذه الآية: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]؛ الآية، فمَكثَ ليلتَه حتَّى أصبحَ ما يُجاوِزُها إلى غيرِها ببكاءٍ شديدٍ»[10]./ [١١٣/أ]

(١) في (د): «قال».

(٢) انظر: «المنتظم» (٦: ٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٣٥٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٣٥٥).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥).

(٥) في (ق): «فيها».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٨: ٣٥٨٠)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٤: ٣٣٣).

(٧) في (د) و(ق): «فروح».

(٨) في (د): «وجد».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥).

(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١١٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٨: ٣٥٧٥).

وكان يقول لأصحابه: «أتَدرُونَ ما الداءُ وما الدواء، وما الشفاء؟ فيقولون: لا، فيقول: الداءُ الذنوب، والدواءُ الاستغفار، والشفاءُ أن تتوبَ فلا تعود»[١].

قال رجلٌ من أسلم: «كان الربيعُ إذا سَجدَ فكأنّه ثوبٌ مطروح، فتجيءُ العصافيرُ فتقعُ عليه»[٢].

قال مالكُ بن دينار: قالت ابنةُ الربيع[٣]: «يا أبتاه[٤]، لا تنامُ، وأرى الناسَ ينامونَ؟ فقال: إنّ ذِكرَ جهنَّمَ لا يَدَعُني أن أنام، وإنِّي أخافُ البَيات، ومن خافَ البياتَ حُقَّ له ألّا ينام»[٥].

قال سفيان: قال رجلٌ من تَيمِ الله: «جالستُ الربيعَ سنِينَ، فما سألني عن شيءٍ ممّا فيه الدنيا، إلّا أنّه قال لي مرّة: أُمُّكَ حيّةٌ؟ كم لكُم مسجدٌ؟»[٦].

قال سعيدٌ الحارثي: «ضَربَ الربيعَ الفالِج، فطالَ به وجعُه، فاشتهى لحم دجاج، فكفَّ نفسَه أربعينَ يومًا رجاءَ أن تكفَّ فأبَت، فقالت له أُمُّه: سبحان الله، وأيُّ شيءٍ هذا فتَكُفَّ نفسكَ عنه؟ قد أحَلَّه الله تعالى لك. فأرسَلَت امرأتُه إلى السوق فاشترت له دجاجةً بدرهمٍ ودانِقَين، فذَبحَتها وشوَتْها، وخبَزَت له خُبزًا، وجَعلَت له صِباغًا، ثمَّ جاءَت به فوضَعَته بين يدَيه، فلمّا ذهبَ ليأكل قامَ سائلٌ بالباب، فقال: تصدَّقوا عليَّ باركَ الله تعالى فيكم، فكَفَّ الربيعُ عن الأكل، وقال

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٠٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٨: ٣٥٧٤).

(٣) في (د): «مالك».

(٤) في (د): «يا أبت».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٨: ٣٥٧٢).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٧).

لامرأته: خُذي هذا فادفَعِيه إلى السّائِل، فقالت امرأتُه: سُبحانَ الله! فقال: افعَلي ما آمُرُك، فقالت: أنا أصنعُ[١] ما هو خيرٌ له وأحَبُّ إليه، فقال: وما هو؟ قالت: نُعطِيه ثمنَ هذا وتأكُلُ أنت شهوتَك.

فقال: قد أحسَنت، ائتِني بثَمنه، قال: فجاءَت بثَمنِ الدجاجةِ والخبزِ والصباغ، فقال: ضَعِيه على هذا وادفَعِيه جميعًا[٢] إلى السائل»[٣].

قال سعيدُ بن معروف: «كان الربيعُ يَلبَسُ قميصًا سنبلانيًّا أراهُ ثمنَ ثلاثة دارهمَ أو أربعة، فإذا مَدَّ كُمَّه بلغَ ظُفرَه، وإذا أرسلَه بلغَ ساعدَه، فإذا رأى بياضَ القميص قال: أي عُبَيد، تَواضَع لربِّك، ثمَّ يقول: أي لُحَيمة، أي دُسَيمة، كيف تصنعانِ إذا سُيِّرَت الجبال، ودُكَّت الأرضُ دكًّا دكًّا[٤]، وجاءَ ربُّكَ والمَلَكُ صفًّا صفًّا»[٥].

قال حسنُ بن صالح: «قِيل: للربيع: لو جالَستَنا؟ فقال: لو فارَقَ ذِكرُ الموت قلبي ساعةً فسَدَ عليَّ»[٦].

قال بشرُ بن الحارث: قال الربيع: «أنا بعصافيرِ المسجدِ آنَسُ منِّي بأهلي[٧]، وكان[٨]/ يكنُسُ الحُشَّ بنفسه، فقيل له: إنّك تُكْفَى هذا؟ فقال: إنِّي أُحِبُّ أن آخُذَ بنصيبي من المهنة»[٩]. [١١٣/ب]

---

(١) في (د): «أنا أعطيه».
(٢) «جميعًا» ليس في (د).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٧).
(٤) قوله: «دكًّا» الثانية ليس في (ق).
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٨: ٣٥٧٤).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٨: ٣٥٧٨).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨).
(٨) في (د): «كان».
(٩) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٨٨)، و«حلية الأولياء» (٢: ١١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨)، و«بغية الطلب» (٨: ٣٥٧٨).

قال حفصُ بن عمر: قال الربيع: «إذا تكلَّمتَ فاذكُر سَمْعَ الله عزَّ وجلَّ إليك، وإذا صَمَتَّ فاذكُر عِلمَه بك، وإذا نظرتَ فاذكُر نظرَه إليك، وإذا تفكَّرتَ فاذكُر اطِّلاعَه عليك؛ فإنّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]»[١].

وكان يَبكِي حتَّى يَبُلَّ لحيتَه من دموعه، ثمَّ يقول: أدرَكنا أقوامًا كُنّا في جنبهم[٢] لُصوصًا[٣].

أسنَدَ الربيعُ بن خُثَيم عن ابن مسعودٍ وغيره[٤]، وتُوفِّي بالكوفة في ولايةِ عُبَيد[٥] الله بن زيادٍ[٦]، رحمة الله تعالى عليه.

* * *

[عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي]

[١٨٥] **ومنهم**: عمرُو بن عتبة بن فرقد السلميُّ[٧].

قال بشرُ بن الحارث: «كان عمرٌو يصلِّي والحَمامُ[٨] فوقَ رأسه، والسِّباعُ حولَه تُحرِّكُ أذنابَها»[٩].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩).

(٢) في (ق) و(د): «حياتهم».

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٨٩)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٧١).

(٥) في (د): «عبد».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٧٦).

(٧) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٠٦)، و«حلية الأولياء» (٤: ١٥٥)، و«تهذيب الكمال» (٢٢: ١٣٥).

(٨) في (ق) و(د): «والغمام».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠).

قال مولًى لعمرٍو: «استيقَظنا يومًا حارًّا في ساعةٍ حارّة، فطلَبنا عَمْرًا، فوجَدناه في جبلٍ وهو ساجدٌ وغمامةٌ تُظِلُّه، وكُنّا نخرجُ إلى الغزو، فلا نتحارَس[1]؛ لكثرة صلاته، ورأيتُه ليلةً يُصلِّي، فسَمِعنا زئيرَ الأسدِ فهَرَبنا، وهو قائمٌ يُصلِّي لم يَنصرف، فقلنا له: أما خِفتَ الأسدَ؟ فقال: إنِّي لأستَحي من الله عزَّ وجلَّ أن أخافَ شيئًا سواه»[2].

وكان يخرُجُ ليلًا فيَقِفُ على القبورِ فيقول: يا أهلَ القبور، قد طُوِيَت الصُّحُف، ورُفِعَت الأعمال. ثمَّ يبكي، ثمَّ يَصُفُّ قدمَيه حتَّى يُصبحَ فيَرجِع فيشهدُ صلاةَ الصبح[3].

ولمّا ماتَ دخلَ بعضُ أصحابِه على أُختِه، فقال: أخبِرينا عنه؟ فقالت: قامَ ليلةً فاستفتحَ «حم»، فأتى على هذه الآيةِ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ﴾ [غافر: ١٨]، فما جاوَزَها حتَّى أصبحَ[4].

ماتَ شهيدًا في غَزاة أذْرَبِيجان، وذلك في خِلافة عثمانَ رضي الله عنه[5].

* * *

(١) في (د): «نتحارش».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٥٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٠٧)، و«حلية الأولياء» (٤: ١٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١).

[عنبس بن عقبة الحضرمي]

[١٨٦] ومنهم: عَنبسُ[١] بن عقبةَ الحضرميُّ[٢]، روى عن ابن مسعود رضي الله عنه[٣].

قال يزيدُ بن حيّان: «كان عَنبَسُ بن عقبة[٤] يسجدُ حتَّى إنّ العصافيرَ ليَقَعنَ على ظهره، ويتزَلَّفنَ ما يَحسَبنَه إلّا جِذمُ حائطٍ»[٥].

* * *

[الفضل بن نزوان]

[١٨٧] ومنهم: الفضلُ بنُ[٦] نزوان[٧].

قال النعمانُ بن المنذر: «قال رجلٌ للفضل بن نزوان: إنّ رجلًا يقعُ فيك، فقال: لأغِيظَنَّ مَن أمَرَه، غَفرَ الله له، قيل له: من أمَرَه؟ قال: الشيطان»[٨]. رحمةُ الله تعالى عليه.

---

(١) في (ق): «عبيس».

(٢) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٠٨)، و«الثقات لابن حبان» (٥: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٠٨)، و«الثقات» لابن حبان (٥: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١).

(٤) قوله: «كان عنبس بن عقبة» في (ق): «كان عبيس».

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٠٨)، و«الثقات» لابن حبان (٥: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١).

(٦) قوله: «الفضل ابن» ليس في (د).

(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢).

[الحارث بن قيس الجعفي]

[١٨٨] **ومنهم**: الحارثُ بن قيس الجعفيُّ(١).

قال خيثمة: قال الحارث: «إذا كنت في أمر الآخرة فامكُث، وإذا كنت في أمر الدنيا فتوَخّ، وإذا همَمتَ بخيرٍ فلا تُؤخِّره،/ وإذا أتاكَ الشيطانُ وأنت تُصلِّي فقال: إنّك تُرائي، فزِدها طولًا»(٢). [١١٤/أ]

قال الأعمش: قال خَيْثمة: «لقد رأيتُ الحارثَ إذا اجتمعَ عنده رجُلان قامَ وتركَهما»(٣).

روى الحارثُ عن ابن مسعود، رضي الله عنه(٤).

* * *

[الشعبي عامر بن شراحيل]

[١٨٩] **ومنهم**: الشعبيُّ عامرُ بن شراحيل(٥)، يُكنَّى: أبا عمرو(٦).

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٤: ١٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢)، و«تهذيب الكمال» (٥: ٢٧٢).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢)، و«تهذيب الكمال» (٥: ٢٧٣).

(٤) انظر: «تهذيب الكمال» (٥: ٢٧٢).

(٥) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥: ٣٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١٤: ٢٨)، و«السير» (٤: ٢٩٤).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١٤: ٢٨)، و«السير» (٤: ٢٩٤).

قال ابنُ سيرين: «قَدِمتُ الكوفةَ وللشعبيِّ حلقةٌ[١] عظيمة، وأصحابُ رسولِ الله ﷺ يومَئذٍ كثيرٌ»[٢].

قال داودُ الأودِيّ: «قال لي الشَّعبيّ: قُم معي هاهنا حتَّى أُفِيدَك، فمَشَيتُ معه وقلت: أيَّ شيءٍ تُفيدُني؟ فقال: إذا سُئِلتَ عمّا لا تعلم فقُل: الله أعلَمُ؛ فإنّه عِلمٌ حَسَنٌ»[٣].

وقال: «لو أنّ رجلًا سافرَ من[٤] الشام إلى أقصى اليَمنِ فحَفِظَ كلمةً تنفعُه فيما يستقبلُ من عمره رأيتُ أنّ سفرَه لم يَضِع عليه»[٥].

وقال: «العلمُ أكثرُ من عددِ القَطر، فخُذ من كلِّ شيءٍ أحسَنَه»[٦].

أدرَكَ خلقًا كثيرًا من الصحابةِ رضي الله عنهم، منهم: عليّ، وسعدُ بن أبي وقّاص، وابنُ عمر، وابنُ عبّاس، وجابرُ بن عبد الله، وجابرُ بن سمرة، وأبو سعيد[٧] الخُدريّ، وعائشة، وأمُّ سلمة، وميمونة، وقال عن نفسه أنّه أدركَ خمسَ مئةٍ من الصحابة رضي الله عنهم[٨].

---

(١) في (ق): «خلقة».

(٢) في (د): «كثيرة»، وانظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣١٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥: ٣٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣).

(٤) في (ق): «إلى».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣)، و«تهذيب الكمال» (١٤: ٣٨).

(٧) في (د): «وأبي سعيد».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣-٤٤)، و«تهذيب الكمال» (١٤: ٢٩).

وتُوفِّي بالكوفة فجأةً سنة أربعٍ ومئة، وقيلَ غيرُ ذلك، وهو ابنُ سبعٍ وسبعين سنة، وقيل غيرُ ذلك[١]، رحمه اللهُ تعالى.

* * *

[سعيد بن جبير]

[١٩٠] **ومنهم:** سعيدُ بن جُبَير[٢]، يُكنَّى: أبا عبد الله، وهو مولًى[٣].

قال عبدُ الله بن مُسلِم: «كان سعيدٌ إذا قامَ إلى الصلاة كأنّه وتَدٌ»[٤].

قال أبو أيُّوب الأعرج: «كان سعيدٌ يبكي بالليل حتَّى عَمِش، وسمعتُه يُردِّدُ هذه الآيةَ بضعًا وعشرينَ مرّة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]»[٥].

وكان يختمُ القرآنَ في كلِّ ليلتَين[٦]، وكان يخرُجُ في كلِّ سنةٍ مرَّتَين؛ مرّة للحجّ، ومرّة للعمرة[٧].

قال أبو سنان: قال سعيد: «لدَغَتني عقرب، فأقسَمَت عليَّ أُمِّي أن أستَرقِي، فأعطيتُ الراقيَ يدي التي لم تُلدَغ، وكرهتُ أن أُحنِثَها»[٨].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤)، و«تهذيب الكمال» (١٤: ٣٩).
(٢) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤)، و«السير» (٤: ٣٢١).
(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤).
(٥) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٤: ٢٧٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٣٦٢).
(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٣٦٣).
(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤).
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٧٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤).

قال عطاءُ بن دينار: قال سعيد: «إنّ الخشية أن تَخشَى الله حتَّى تَحُولَ خشيَتُه[١] بينك وبين معصية الله، فتلكَ الخشية، والذِّكرُ طاعةُ الله عزَّ وجلّ، فمَن أطاعَ الله فقد ذَكَره، ومَن لم يُطِعه فليسَ بذاكر، وإن أكثَرَ التسبيحَ وتلاوةَ القرآن»[٢].

وقرأ القرآنَ في رَكعةٍ في الكعبة، وقرأ في الركعة الثانية بـ: «قل هو الله أحد»[٣].

[١١٤/ب] قال جعفر: «قيل لسعيد: مَن أعبَدُ الناس؟ قال: رجلٌ اجْتَرحَ[٤]/ من الذُّنُوب، فكلَّما ذَكرَ ذُنوبَه احتقرَ عملَه»[٥].

كان سعِيدٌ فيمن خرجَ على الحَجّاج من القُرّاء، فلمّا انهزمَ أصحابُ ابن الأشعث هربَ فلَحِقَ بمكّة، فأخذَهُ بعدَ مُدّة طويلةٍ خالدُ بن عبد الله، فبعثَ به إلى الحَجّاج، ولما سارَ به الرسولُ من مكّة ومضى ثلاثةُ أيّامٍ يصومُ نهارَها[٦] ويقومُ ليلَها[٧]؛ قال له الرسول: والله إنِّي لأعلمُ أنّك تذهبُ إلى مَن يقتلك، فاذهب، فقال له سعيد: إنّه سيعلَمُ الحَجّاجُ أنّك قد أخذتَني، فإن خلَّيتَ عنِّي خِفتُ أن يقتلك، ولكن اذْهَب بي إليه، فذهبَ به[٨]، فلمّا دَخلَ عليه قال له الحَجّاج: ما اسمُك؟ قال: سعيدُ بن جُبَير، فقال: بل شَقِيُّ بن كُسَير، أما والله لأبدلنَّكَ من دُنياكَ نارًا تلظَّى.

---

(١) «خشيته» ليس في (د).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٧٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٣٦٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥).

(٤) في (د) و(ق): «أخرج».

(٥) «الزهد» للإمام أحمد (٢٢٩١)، و«حلية الأولياء» (٤: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥).

(٦) في (د): «نهاره».

(٧) في (د): «ليله».

(٨) قوله: «فذهب به» ليس في (د).

قال له سعيد: لو عَلِمت أنّ ذلك إليك ما اتخذتُ إلهًا غيرك.

ثمَّ قال له الحَجّاج: ما تقولُ في رسول الله ﷺ؟ قال: نبيٌّ مصطفًى خيرُ الباقين وخيرُ الماضين، قال: فما تقولُ في الصدِّيق: قال: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، أعزَّ الله عزَّ وجلَّ به الدين، وجَمعَ به بعد الفُرقة.

وفي رواية: خليفةُ رسول الله ﷺ، مضى حميدًا، وعاش سعيدًا، مضى على منهاج نبيِّه ﷺ، لم يُغيِّر، ولم يُبدِّل.

قال: فما تقولُ في عمرَ؟ قال: فاروق، وخيرةُ الله تعالى من خَلقِه، أحبَّ الله عزَّ وجلَّ أن يُعِزَّ الدينَ بأحدِ رجلَين كان أحقَّهُما بالخيرة(١)، مضى على منهاج صاحِبَيه لم يُغيِّر ولم يُبدِّل.

قال: فما تقول في عثمانَ؟ قال: مُجهِّزُ جيش العُسرة، والمُشتري بيتًا في الجنّة، والمقتولُ ظُلمًا.

قال: فما تقول في عليٍّ؟ قال: أوَّلُهُم إسلامًا، وأكثرُهم هجرةً، تزوَّجَ بنتَ رسول الله ﷺ التي هي أحَبُّ بناته إليه.

قال: فما تقولُ في معاويةَ؟ قال: كاتِبُ وحْيِ رسول الله ﷺ.

قال: فما تقولُ في الخلفاء منذ كان رسولُ الله ﷺ وإلى الآن؟ قال: سيُجزَونَ بأعمالهم، لستُ عليهم بوكيل.

---

(١) يشير إلى ما أخرجه الإمام الترمذي في «جامعه» (٣٦٨١): عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم أعِزَّ الإسلام بأحَبِّ هذَين الرجلَين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب»، قال: وكان أحبهما إليه عمر. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر».

قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنت أعلَمُ بنفسك، قال: بُثَّ فيَّ بعِلمِك، قال: اعفِني، قال: لا عفى الله عنِّي إن أعفَيتُك، قال: إذًا يَسُؤكَ ولا يسرُّك، قال: بُثّ، قال: إنِّي لأعلَمُ أنّك مُخالِفٌ لكتاب الله، ترى من نفسك أمورًا تريدُ الهيبةَ وهي تُقحِمُكَ الهلاكَ، وستُرَدُّ غدًا فتعلم.

وفي روايـة: ظهرَ منك جَورٌ في حـدُودِ[1] الله تعالى، وجرأةٌ على معاصيه بقتل[2] أولياء الله عزَّ وجلّ. / [١١٥/أ]

قال: والله لأُقطِّعَنَّكَ قطعًا، ولأُفرِّقنَّ أعضاءكَ عُضوًا عُضوًا، قال: إذًا[3] تُفسِدُ عليَّ دنياي، وأُفسِدُ عليك آخِرتَك، والقصاصُ أمامك، قال: الويلُ لك من الله، قال: الويلُ لمَن زُحزِحَ عن الجنّةِ وأُدخِلَ النار، فقال: اذهبوا به فاضرِبوا عنقَه.

قال سعيد: إنِّي أُشهِدُكَ أنّي أشهدُ أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وأستَحفِظُكَ حتّى ألقاكَ يومَ القيامة، فلمّا ذهبوا به ليُقتَلَ تبسَّم، فقال له: ممَّ ضَحِكتَ؟ قال: من جُرأتِكَ على الله عزَّ وجلّ، ومن حِلم الله عزَّ وجلَّ عنك.

فقال الحَجّاج: أضجِعُوه للذبح، فقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، فقال الحجّاج: اقلِبُوا ظهرَه[4] إلى القِبلة، فقال سعيد: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، فقال اللعين: كُبُّوه على وجهه، فقرأ سعيدٌ رضي الله عنه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]؛ فقال: اذبَحوا[5] عدوَّ الله، فما أنزَعَه لآيات القرآن منذ اليوم، فذُبِحَ من

---

(١) في (ق): «حد».

(٢) في (د): «تقتل».

(٣) في (ق): «إذن».

(٤) في (د): «اقلبوه على ظهره».

(٥) في (ق): «اذبح».

قفاه، فبَلغَ ذلك الحسنَ بن أبي الحسن البصريّ، فقال: اللهُمّ يا قاصمَ الجبابرة، اقصِم الحَجّاج، فما بَقِيَ إلّا ثلاثًا حتَّى وقَعَ في جوفه الدودُ(١).

وقال خليفة: «شَهِدتُ مقتلَ ابن جُبَير، فلمّا بانَ رأسُه قال: لا إله إلّا الله، ثلاثًا، فلم يُتمَّ الثالثة»(٢).

قال يَعْلَى - كاتِبُ الحَجّاج -: «دخلتُ عليه يومًا بعدما قَتلَ سعِيدًا وهو في قُبّةٍ لها أربعةُ أبواب، فدخلتُ ممّا يلي ظهرَه، فسمعتُه يقول: ما لي ولسعيد بن جُبَير، فخرجتُ رُوَيدًا، وعَلِمتُ أنّه إن عَلِمَ بي قَتلَني، فلَم يَلبَث الحجّاجُ بعد ذلك إلّا يسيرًا»(٣).

وفي رواية: ما لي ولسعيد بن جُبَير، كلَّما أردتُ النوم أخذَ برِجلِي(٤).

قال عمرُو بن ميمون: قال أبي: «مات سعيدٌ وما على الأرض أحدٌ إلّا وهو محتاجٌ إلى عِلمِه»(٥).

أسنَدَ سعيدٌ عن عليّ، وابن عمر، وأبي هريرة، وغيرهم، وأكثَرُ رواياته عن ابن عبّاس(٦).

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥-٤٨)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٣٦٩-٣٧٣).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٨٣)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١٠: ٣٦٩)، و«السير» (٤: ٣٣٤).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٩١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٨)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٣٧٣).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٧٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٨).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٨)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٣٥٨).

وقُتِلَ في سنة أربعٍ وتسعين، وقيل: خمسٍ وتسعين[١]، وفي عمره ثلاثةُ أقوال: قيل: سبعٌ وخمسون، وقيل: تسعٌ وأربعون، وقيل: اثنان وأربعون[٢]، رحمةُ الله تعالى عليه.

* * *

[إبراهيم النخعي]

[١٩١] **ومنهم: إبراهيمُ النخعيُّ**[٣]، يُكنَّى: أبا عمران[٤].

قال الأعمش: «كان النخعيُّ يَتوَقَّى الشهرة، وكان لا يجلس إلّا إلى الأسطوان، وكان صَيرَفيَّ الحديث، وكنت إذا سمعتُ الحديثَ من بعض أصحابنا عرضتُه عليه»[٥].

قال سفيان: قال أبي: «سألتُه عن شيء، فجَعلَ يَتعَجَّب، ويقول: احتيجَ إليَّ!»[٦].

---

(١) انظر: «العلل» لابن المديني (١١٣)، و«الطبقات» لخليفة بن خياط (٤٩١)، و«التاريخ الكبير» (٣: ٤٦١)، و«الثقات» لابن حبان (٤: ٢٧٥) (٢٨٨٣).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٦٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٣٧٦)، و«السير» (٤: ٣٤١).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩)، و«تهذيب الكمال» (٢: ٢٣٣).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩).

(٥) انظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (١: ٢١)، و«حلية الأولياء» (٤: ٢١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩)، و«مرآة الزمان» (١٠: ١١٧).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٧١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (١: ٣١٩).

قال / منصور: «ما سألته عن مسألةٍ إلّا ورأيتُ الكراهيةَ في وجهه، يقول: أرجو أن يكون، وعسى»(١). [١١٥/ب]

قال ميمونُ أبو(٢) حمزة، قال إبراهيم(٣): «قد تكلَّمتُ، ولو وجدتُ بُدًّا ما تكلَّمت، وإنّ زمانًا أكُونُ(٤) فيه فقيهَ أهل الكوفة لَزمانُ سوءٍ»(٥).

وكان يقول: «كُنّا إذا حضرنا جنازة، أو(٦) سَمِعنا بميت عُرِفَ فينا أيّامًا؛ لأنّا(٧) قد عَرَفْنا أنّ الله عزَّ وجلَّ قد أنزلَ به أمرَه، صيَّره إلى الجنّةِ أو إلى النار، وإنّكم في جنائِزِكُم تتحدَّثونَ بأحاديث دُنياكم»(٨).

قال الأعمش: كنتُ عند إبراهيم وهو يَقرأُ في المصحف، فاستأذنَ عليه رجلٌ فغطَّى المُصحف، وقال: لا يرى هذا أنّي أقرأُ فيه كلَّ ساعةٍ»(٩).

قالت امرأتُه: «كان يصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا»(١٠).

قال ابنُ(١١) عَوْن: قالَ إبراهيم: «إن كانوا لَيَكرَهونَ إذا اجتمعوا أن يُخرِجَ الرجلُ أحسنَ حديثِه أو أحسنَ ما عنده»(١٢).

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٧١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩).

(٢) في (ق) و(د): «ابن».

(٣) قوله: «قال إبراهيم» مثبت من المصادر.

(٤) في (ق): «أن أكون».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩).

(٦) في (ق) و(د): «و».

(٧) في (ق) و(د): «لأنه».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩)، و«البداية والنهاية» (١٢: ٥٥٤).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩).

(١٠) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٧٦)، و«حلية الأولياء» (٤: ٢٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٠).

(١١) «ابن» ليس في (ق).

(١٢) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٠).

قال منصور: قال النخعيّ: «إذا رأيتَ الرجلَ يتهاوَنُ بالتكبيرة الأولى فاغسِل يدَكَ منه»[١].

قال الأعمش: «كان إبراهيمُ يتوقَّى الشهرة، وكان لا يجلسُ إلّا إلى أسطوانة[٢]، وكان يجلسُ[٣] مع القوم، فيجيءُ الرجلُ فيُوَسِّع، فإذا اضطرَّه المجلسُ إلى أسطوانةٍ قامَ، وجَهَدْنا أن يستندَ إلى ساريةٍ، فأبى رضي الله عنه»[٤].

قال الأعمش: قال إبراهيم: «إنِّي لأرى الشيءَ ممّا يُعاب، فما يمنعني من عَيبِه إلّا مخافةُ أن أُبتَلَى به»[٥].

قال عِمرانُ الخيّاط: «دَخَلنا على النخعيِّ نعودُه وهو يَبكِي، فقُلنا: ما يُبكِيكَ؟ فقال: أنتظِرُ مَلكَ الموت، ولا أدري يُبشِّرُني بالجنّةِ أم بالنار»[٦].

أدركَ جماعةً من الصحابة، منهم: أبو سعيدٍ الخُدري، وعائشةُ[٧] رضي الله عنهم.

وتوفِّي سنة خمسٍ وتسعين[٨] بالكوفة، وقيل غيرُ ذلك[٩]، وهو ابنُ تسعٍ

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢١٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٠).

(٢) قوله: «وكان لا يجلسُ إلّا إلى أسطوانة» ليس في (د).

(٣) في (د): «لا يجلس».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠)، و«البداية والنهاية» (١٢: ٥٥٤).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١)، و«تهذيب الكمال» (٢: ٢٣٥).

(٨) انظر: «تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» للربعي (١: ٢٢٦).

(٩) قال محمد بن سعد: وأجمعوا على أنه تُوفي في سنة ست وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك بالكوفة، وهو ابن تسع وأربعين سنة لم يستكمل الخمسين. وانظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٨٤).

وأربعين سنة[١]، وقيل غيرُ ذلك[٢]، رحمةُ الله تعالى عليه.

* * *

[إبراهيم بن يزيد التيمي]

[١٩٢] **ومنهم**: إبراهيمُ بن يزيدَ التَّيمِيُّ[٣]، يُكنَّى: أبا أسماء[٤].

كان إبراهيمُ التيميُّ إذا سَجدَ تَجِيءُ[٥] العصافيرُ فتستقرُّ[٦] على ظهره كأنّه جِذمُ حائط[٧].

قال الأعمشُ لإبراهيمَ التيميِّ: «بَلغَني أنّك تَمكُثُ شهرًا لا تأكلُ شيئًا[٨]، قال: نعم، وشهرين، وما أكلتُ منذ أربعينَ ليلةً[٩] إلّا حبّةَ عنبٍ ناوَلَنِيها أهلي ثمَّ لفظتُها»[١٠].

وقال: «ما عرضتُ عملي على قولي إلّا خشيتُ أن أكون مُكذِّبًا»[١١].

---

(١) «سنة» ليس في (ق)، وقال: يحيى بن سعيد القطان: مات إبراهيم وهو ابن نيف وخمسين سنة. وانظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٠٥).

(٢) قوله: «وقيل غير ذلك» ليس في (د). وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١)، و«السير» (٤: ٥٢٧).

(٣) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٥١)، و«تهذيب الكمال» (٢: ٢٣٢)، و«السير» (٥: ٦٠).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١)، و«تهذيب الكمال» (٢: ٢٣٢)، و«السير» (٥: ٦٠).

(٥) في (ق): «فتجيء».

(٦) في (ق): «فتنتقر».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢١٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٢٨٤).

(٨) في (ق): «شهيًا».

(٩) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

(١٠) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٤: ٢١٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١).

(١١) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١).

قال سفيان: «كم بينكم وبينَ القوم؟ أقبَلَت الدنيا عليهم فهَربوا منها، وأدبَرَت عنكم فاتَّبعتُمُوها»[١].

قال أبو بُكَيرٍ: قال التيمي: «ينبغي لمَن لم يَحزَن أن يخافَ أن يكونَ من أهل النار؛ لأنّ أهلَ الجنّة قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤][٢]، وينبغي لمَن لم يُشفِق أن يخافَ ألّا يكونَ/ من أهل الجنّة؛ لأنّهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦][٣]. [١١٦/أ]

تُوفِّي في حبس الحَجّاج، في سنة اثنتَين وتسعين، وكان سببُ حبسه أنّ الحَجّاجَ[٤] طَلبَ إبراهيمَ النَخَعِيّ، فجاءَ الطالب، فقال: أريدُ إبراهيم، فقال إبراهيمُ التيمي: أنا إبراهيم، وهو يعلَمُ أنّه أرادَ النخعي، فلم يستَحِلَّ أن يَدُلَّهُ عليه، فأمرَ الحَجّاجُ بحبسه في الدِّيماسِ[٥]، ولم يكن له ظلٌّ من الشمس، ولا كِنٌّ من البرد، وكان كلُّ اثنين في سلسلة، فتغيَّر لونُه، فجاءَتهُ[٦] أُمُّه فلم تعرفه حتّى كلَّمَها، فماتَ في السجن، فرأى الحَجّاجُ في منامه قائلًا يقول: ماتَ في هذه الليلة رجلٌ من أهل الجنّة، فلمّا أصبحَ قال: هل ماتَ الليلةَ أحدٌ بواسط[٧]؟

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢١٢)، و«السير» (٥: ٦١).

(٢) بعدها في (د): «قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢١٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٢).

(٤) قوله: «في سنة اثنتين وتسعين، وكان سببُ حبسه أنَّ الحجّاجَ» ليس في (د).

(٥) الديماس: بكسر الدال وإسكان الياء والسين في آخره مهملة: سجنٌ بناه الحجاج بواسط، ويُطلق على الحَمّام، ويُجمع على دماميس. وانظر: «تهذيب اللغة» (١٢: ٢٦٤)، و«المحكم» (٢: ٥٥٢)، و«العباب الزاخر» (١: ١٠٩).

(٦) في (ق): «فجاءت».

(٧) في (د): «بواسطة».

قالوا: نعم، إبراهيمُ التيميُّ ماتَ في السجن، فقال: حُلمٌ نزغةٌ[١] من نَزَغات الشيطان، فأمرَ به فأُلقِي على الكناسة[٢]، **رحمة الله تعالى عليه، وقاتَلَ الله الحَجّاج.**

* * *

[خُثَيمة بن عبد الرحمن]

[١٩٣] ومنهم: خُثَيمةُ بن عبد الرحمن[٣].

قال الأعمش: «وَرِثَ خُثَيمةُ بن عبد الرحمن مئتَي ألف درهم، فأنفَقَها على الفُقَراءِ[٤] والفُقَهاءِ»[٥].

وكان يصنعُ الطعامَ الطيِّبَ والخبيصَ ويدعو النخعيَّ ويدعونا معه، ويقول: كُلُوا، ما أشتهيه، ما صنعتُه إلّا[٦] من أجلِكُم[٧].

وكان يَصُرُّ الدراهم، فإذا رأى الرجلَ من أصحابه مُتخرِّقَ القميص أو الرداء، أو به خَلّةٌ[٨] تحيَّنه، فإذا خرجَ من الباب؛ خرجَ هو من بابٍ آخرَ حتَّى يلقاهُ فيُعطيهِ

(١) «نزغة» ليس في (د).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٨٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٢)، و«السير» (٥: ٦٢).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٨٦)، و«حلية الأولياء» (٤: ١١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٣)، و«السير» (٤: ٣٢٠).

(٤) في (د): «القراء».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١١٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٣).

(٦) «إلا» ليس في (د).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١١٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٣).

(٨) في (ق) و(د): «حاجة».

ويقول: اشترِ لكَ قميصًا، اشترِ رِداءً، اشترِ حاجةَ كذا[١].

وكان يقول: كان يُعجِبُهُم أن يموتَ الرجلُ عند خيرٍ يعمله؛ إمّا حجّ، وإمّا عمرة، وإمّا غزو، وإمّا صيامُ رمضانَ[٢].

قال الأعمش: قال خُثَيمة: «تقولُ الملائكة: يا ربّ، عبدُكَ المؤمن، تَزوِي عنه الدنيا وتُعرِّضُه للبلاء؟ فيقول سبحانه وتعالى: اكشفوا لهم عن ثوابه، فإذا رأوا ثوابَه قالوا: يا ربِّ لا يَضرُّه ما أصابَه في الدنيا»[٣].

وقد رُوِيَ هذا عن رسول الله ﷺ من رواية عمرو بن العاص[٤].

قال أبو الفرج بنُ الجَوزيِّ: «والصحيحُ أنّه من قول خُثَيمةَ»[٥].

أوصى أن يُدفنَ في مقبرة فُقراء قومه[٦].

أدركَ خُثَيمةُ عليَّ بن أبي طالب، وابنَ عمر، وابنَ مسعود، والنعمانَ بن بشيرٍ في جماعةٍ من الصحابة رضي الله عنهم[٧].

* * *

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١١٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٤٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٣).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١١٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٤٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٣).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١١٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٣).

(٤) «حلية الأولياء» (٤: ١٢٣).

(٥) «صفة الصفوة» (٢: ٥٣).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٤).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٤).

[عبد الرحمن بن الأسود النخعي]

[١٩٤] **ومنهم**: عبدُ الرحمن بن الأسود النخعيُّ[١]، يُكنَّى: أبا جعفر[٢]، وكان يدخلُ على عائشةَ رضي الله عنها[٣].

قال محمَّدُ بن إسحاق: «قَدِمَ علينا عبدُ الرحمن بن الأسود حاجًّا، فاعتلَّت إحدى قدمَيه، فقامَ يُصلِّي حتَّى الصبح على قَدَم، وصلَّى الصبحَ بوضوء العشاء. قال: وقَدِمَ علينا ليثُ بن أبي أسلم، فصَنعَ مثلَه»[٤]. [١١٦/ب]

* * *

[طلحة بن مصرف]

[١٩٥] **ومنهم**: طلحةُ بن مُصرِّفٍ[٥]، يُكنَّى: أبا عبد الله[٦]، وقيل: أبا مُحمَّد[٧].

وكان قراءُ[٨] الكوفةِ يقرؤون عليه القرآن، فلمّا رأى كَثرَتَهُم عليه كَرِهَ ذلك،

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٤)، و«السير» (٥: ١١).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٤).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٤).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ٢٣١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٤)، و«تهذيب الكمال» (١٦: ٥٣٢).

(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٥)، و«السير» (٥: ١٩١).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٥).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٥)، و«السير» (٥: ١٩١).

(٨) في (ق): «قارئ».

فمشى إلى الأعمش فقرأ عليه، فمالَ الناسُ إلى الأعمش، وتركُوا طلحة، وكان يقولُ في دعائه: اللهُمَّ اغفر لي ريائي وسُمعَتي[١].

قال الفُضَيلُ بن عياض: «بلغَني[٢] عن طلحة أنّه ضَحِكَ يومًا، فوثبَ على نفسه، وقال: فيمَ الضحكُ؟ إنّما يضحكُ[٣] مَن قطعَ الأهوال، وجازَ الصراط، آلَيتُ أن لا[٤] أفتَرَّ ضاحكًا حتَّى أعلمَ بما تقع الواقعة، فما رُؤِيَ ضاحكًا حتَّى صارَ إلى الله تعالى»[٥].

قال رجلٌ من تيم الله ـ وكان قد جالس الشعبيَّ ـ قال: «ما رأيتُ أحدًا أملَكَ للسانه من طلحةَ بن مُصرِّفٍ»[٦].

قال ليث: «حدَّثتُ طلحةَ في مرضه الذي ماتَ فيه أنّ طاوسًا كان يكرَه الأنين، فما سُمِعَ له أنِينٌ حتَّى ماتَ»[٧].

أدرَكَ طلحةُ من الصحابة: أنسًا، وعبدَ الله بن الزبير، وغيرهما[٨].

تُوفِّي سنةَ اثنتَي عشرة[٩] ومئة[١٠].

* * *

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٥)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٣٨٧).

(٢) «بلغني» ليس في (د).

(٣) في (د): «بضحك».

(٤) «لا» ليس في (د).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٥)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٣٨٨).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٦).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٦).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٦)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٣٨٧).

(٩) في (د): «اثني عشر».

(١٠) انظر: «التاريخ الكبير» (٤: ٣٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٦)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٣٨٨).

[زبيد بن الحارث اليامي]

[١٩٦] **ومنهم**: زُبَيدُ بن الحارِثِ اليامِيُّ[١]، يُكنَّى: أبا عبد الله[٢].

وكان له ولدان، فقسَّمَ عليه وعليهما الليلَ أثلاثًا، فكان يقومُ ثلثَه، ثمَّ يَضرِبُ بِرجلِه أحدَهما، فإن رأى منه كسلًا قال: نَم؛ فأنا أقومُ عنك، ثمَّ يَجيءُ إلى الآخر فيضرِبه برِجلِه، فإن رأى منه كسلًا قال: نم؛ فأنا أقومُ عنك، فيقومُ حتَّى يُصبِحَ[٣].

قال الأشجّ: «وحدَّثَني الْمُحَارِبِيُّ[٤] عن سفيان، قال: دَخلنا على زُبَيدٍ نعودُه، فقُلنا: شفاكَ الله تعالى، فقال: أستخِيرُ الله عزَّ وجلَّ»[٥].

قال وكيع: «كان زُبَيدٌ إذا كانت ليلةٌ مطيرةٌ أخذَ شعلةً من النار، فطافَ على عجائز الحيّ، وقال: أوَكَفَ عَلَيكُم[٦] بيتٌ؟ أتريدون نارًا؟ فإذا أصبحَ طافَ على عجائز الحيّ، وقال: ألكُم في السوق حاجة، أتريدونَ شيئًا[٧]؟

وقامَ ليلةً يتهجَّد، فعمَدَ إلى مِطهَرةٍ له، فغَمسَ يدَه فيها[٨]، فوجَدَ الماءَ باردًا بردًا[٩] شديدًا كاد يجمدُ من شدّة برده، فذكرَ زمهريرَ جهنَّمَ ويدُهُ في المِطهَرة، فتمَّ

---

(١) في (ق): «البامي»، ويام: اسم قبيلة من اليمن أضيف إليها مخلاف باليمن عن يمين صنعاء. انظر: «معجم البلدان» (٥: ٤٢٦)، انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٠٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٦)، و«السير» (٥: ٢٩٦).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٠٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٦)، و«السير» (٥: ٢٩٦).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٦).

(٤) في (ق): «البخاري».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٦).

(٦) وكَفَ البيتُ: هَطَل وقطَر، وكذلك السطْح، ومصدره: الوَكِيف والوَكْف. انظر: «الصحاح» (٤: ١٤٤١)، و«النهاية» (٥: ٢٢٠)، و«لسان العرب» (٩: ٣٦٣).

(٧) «حلية الأولياء» (٥: ٣١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٧)، و«المنتظم» (٧: ٢٢٢).

(٨) قوله: «فغمس يده فيها» ليس في (د).

(٩) «بردًا» ليس في (د).

إلى الصباح، فجاءَت الجاريةُ وهو على تلك الحال، فقالت: ما شأنُكَ يا سيِّدي، لم تُصلِّ الليلَ كما كنتَ، وأنت قاعدٌ هنا؟

فقال: ويحَك! أدخلتُ يدي في المِطهَرة فاشتدَّ عليَّ بَردُ الماء، فذكرتُ به الزمهرير، فوالله ما شَعرتُ بشدّة بَردِ يدي حتَّى وقَفتِ عليّ، فلا تتحدَّثي بهذا ما دُمتُ حيًّا، فما عَلِمَ[1] بذلك أحدٌ حتَّى مات، رحمةُ الله تعالى عليه[2].

[١١٧/أ] قال سفيان: قال زُبَيد: «يَسرُّني / أن يكونَ لي في كلِّ شيءٍ نيّة، حتَّى في الأكل والنوم»[3].

قال المنذرُ[4]: قال لي محمَّدُ بن سوقة: «لو رأيتَ طلحةَ وزُبَيدًا لعَلِمتَ أنّ وجوهَهما قد أخلَقهُما سهرُ الليل، وكانا والله لا يتوسَّدان[5] الفِراش»[6].

أدرَكَ زُبَيدٌ جماعةً من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابنُ عمر، وأنسٌ[7]، وتُوفِّي سنةَ اثنتَين[8] وعشرين ومئة[9].

* * *

---

(١) في حاشية (د): «أعلمت».

(٢) انظر: «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٦).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٧)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٥: ٣٨).

(٤) في (د): «منذر».

(٥) في (ق) و(د): «لا يتوسدا».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٧).

(٧) في (ق): «أنسًا»، انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٧).

(٨) في (د): «اثنين».

(٩) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٧).

[عون بن عبد الله الهذلي]

[١٩٧] **ومنهم: عونُ بن عبد الله الهُذَليُّ**(١).

قال سفيان: قال(٢) أبو هارون: «كان عَونٌ يُحدِّثُنا ولحيتُه تَرُشُّ بالدموع»(٣).

ويقـول: كفـى لك من الكِبر أن ترى لك فضلًا على مَن هو دونك(٤)، وما تفرَّغَ أحدٌ لعَيبِ الناس إلّا من غفلةٍ غَفَلها عن نفسه(٥)، والدنيا والآخرةُ في قلب ابن آدم ككِفَّتَي الميزان، تَرجُحُ إحداهُما بالأخرى(٦).

قـال المسعوديّ: قـال عـون: «ما أحَدٌ يُنزِلُ المَوتَ حَـقَّ مَنزِلَتِهِ إلّا عَبدٌ عَدَّ غَدًا(٧) لَيسَ(٨) من أجَلِه، كَم مِن مُستَقبِلٍ يومًا لا يَستَكمِلُه، وراجٍ يومًا لا يَبلُغُه، لو تنظرون إلى الأجَلِ ومَسِيرِه لَأبغَضتُم الأمَلَ وغُرُورَهُ»(٩).

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣١٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٧)، و«السير» (٥: ١٠٣).

(٢) «قال» ليس في (د).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٤٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٨).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٨).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٥١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٨).

(٧) قوله: «إلّا عَبْدٌ عَدَّ غَدًا» في (ق) و(د): «إلّا أعدَّ غَدًا».

(٨) في (ق): «لبس».

(٩) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٩٦٣)، و«حلية الأولياء» (٤: ٢٤٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ٧٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٩).

وقال المسعوديّ: «كان عَونٌ يقول في بُكائه: بأيِّ شيءٍ لم أعصِ ربِّي؟ وإنّما عصَيتُه بنِعمَته، وكم خطيئةٍ ذَهبَت شهوتُها وبَقِيَت تَبعَتُها، كيف أغفُلُ ولا يُغفَلُ عنِّي؟ وكيف أتهنَّى واليومُ الثقيلُ ورائي؟ وكيف لا يَطُولُ حزني ولا أدري ما يُفعَلُ بي[1]؟ وكيف أُحِبُّ دارًا ليست بداري؟ وكيف أجمَعُ لها وفي غيرها قَراري؟ وكيف تَعظُمُ رغبَتي فيها والقليلُ منها يَكفِيني؟ وكيف أوثِرُها وقد أضَرَّت بمن آثَرَها قبلي؟ وكيف لا أُبادِرُ بعملي[2] قبل أن يُغلَقَ بابُ تَوبَتي؟ وكيف لا يَكثُرُ بُكائي ولا أدري ما يُرادُ بي؟ هل تضرُّ غَفلَتي أحدًا سواي؟ هل يعملُ لي غيري؟ إن ضيَّعتُ فإنّما أُضيِّعُ حظِّي، كيف بي[3] إذ[4] أوقَفَني وساءَلَني، ثمَّ شهدتُ الأمرَ الذي أذهَلَني، وشُغِلتُ بنفسي عن غيري، وشابَ الوليدُ وهو أقلُّ ذنبًا منِّي، وانكدَرَت النجومُ وليست تُطلَبُ بما عندي، وحُشِرَت الوحوشُ ولم تَعمَل مثلَ عملي؟

اللهُمَّ فاغفِر[5] لي، واجعل طاعتَكَ هِمَّتي، ولا تفضَحني بسرائري، أنا[6] تائِبٌ إليك فاقبَل منِّي، ولا تجعلني لنار جهنَّم وقودًا بعد توحيدي وإيماني برحمتكَ»[7].

قال زيدٌ العَميّ: قال عون: «كان أهلُ الخير يَكتبُ بعضُهم إلى بعضٍ بهؤلاء الكلمات، ويكفي بها بعضُهم بعضًا: مَن عَمِلَ لآخِرَته كفاهُ الله عزَّ وجلَّ أمرَ دُنياه،

---

(١) قوله: «وكيف لا يطولُ حزني ولا أدري ما يُفعَلُ بي» ليس في (د).

(٢) كأنها في (د): «بعمل». (٣) «بي» ليس في (د).

(٤) في (ق): «إذا». (٥) في (د): «اغفر».

(٦) في (د): «فأنا».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٥٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٨).

ومَن أصلَحَ ما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ/ أصلَحَ الله عزَّ وجلَّ ما بينه وبين الناس، [١١٧/ب] ومَن أصلَحَ سريرتَه أصلَحَ الله[١] علانيتَه»[٢].

قال أبو معشر: «رأيتُ عَونًا في مجلسِ أبي حازمٍ يبكي، ويمسحُ وجهَه بدموعه، فقيل له: تمسَحُ وجهَك بدموعِك؟ قال: بَلغَني أنّه لا تُصيبُ دموعُ الإنسان مكانًا من جسده إلّا حرَّمَ الله عزَّ وجلَّ ذلك المكانَ على النار»[٣].

أدركَ عونٌ جماعةً من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: ابنُ عمر، وابنُ عبّاس، وأبو هريرة، رضي الله عنهم أجمعين[٤].

* * *

[أبو إسحاق السَّبِيعي]

[١٩٨] **ومنهم:** أبو إسحاقَ السَّبِيعيُّ، واسمُه: عمرو بن عبد الله[٥]، وُلِدَ في خلافةِ عثمانَ رضي الله عنه[٦].

قال مُغِيرة: «كنت إذا رأيتُ السَّبِيعِيَّ ذكرتُ به الضَّربَ الأوَّلَ»[٧].

قال العلاءُ العبديّ: «ضَعُفَ السَّبيعيُّ عن القيام، فكان لا يَقدِرُ أن يقومَ إلى

(١) لفظ الجلالة ليس في (ق).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٢٤٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٦٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٠).

(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٠)، و«السير» (٥: ٣٩٢).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٠)، و«السير» (٥: ٣٩٣).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٠)، و«تذكرة الحفاظ» (١: ٨٧).

الصَّلاةِ حتَّى يُقام، فإذا[1] أقاموه فاستَتَمَّ[2] قائمًا قرأ[3] ألفَ آيةٍ وهو قائم، وكان يقومُ الصيفَ كلَّه، فأمّا الشتاءُ فأوَّلُه وآخِرُه، وبين ذلك هَجعةً»[4].

أدركَ جمعًا من الصحابة، وأسنَدَ عن ثلاثةٍ وعشرين منهم، وسَمِعَ من عليّ، وابن عمر، وأسامة، وابنِ الزبير[5].

وتُوفِّي في سنة ثمانٍ وعشرين ومئة، وقيل غيرُ ذلك، وهو ابنُ ثمانٍ أو تسعٍ وتسعين سنةً، رضي الله عنه[6].

* * *

[عمرو بن مرة]

[١٩٩] ومنهم: عمرُو بن مُرّة[7]، من مراد[8].

قال شُعبة: «ما رأيتُ عَمرَو بن مُرّة في صلاةٍ إلّا وظَنَنتُ أنّه لا ينصرف حتّى يُستجابَ له»[9].

---

(١) في (ق): «فإذ». (٢) في (د): «استتم».

(٣) في (د): «وقرأ».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٠)، و«السير» (٥: ٣٩٧).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٠)، و«السير» (٥: ٣٩٣).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٠).

(٧) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦١)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢٢: ٢٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ١٩٦).

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦١)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢٢: ٢٣٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ١٩٦).

(٩) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢٢: ٢٣٥).

قال مِسعَر: «ما رأيتُ عَمرًا[١] يدعو قطُّ إلّا قلت: هذا يُستجابُ له»[٢].

قال العلاءُ بن المُسيَّبِ: قال عمرُو بن مُرّة: «مَن طَلبَ الآخرةَ أضرَّ بالدنيا، ومن طَلبَ الدنيا أضَرَّ بالآخرة، فأضِرُّوا بالفاني للباقي»[٣].

قال سلامُ بن مُسلم: «كنت أقرأُ على عمرِو بن مُرّة، فكنت أسمعه كثيرًا يقول: اللهُمَّ اجعَلنِي مِمَّن[٤] يَعقِلُ[٥] عَنكَ»[٦].

أسنَدَ عمرٌو عن عبد الله بن أبي أوفى، وعن خَلقٍ من كبارِ التّابِعِينَ[٧].

وتُوفِّي في[٨] سنة ست عشرة[٩] ومئة، وقيل غير ذلك[١٠].

* * *

[حبيب بن أبي ثابت الأسدي]

[٢٠٠] ومنهم: حبيبُ بن أبي ثابتٍ الأسديُّ[١١]، مولًى[١٢].

---

(١) في (ق): «عمروا».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦١).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦١).

(٤) في (ق): «من».

(٥) في (د): «ممن لا يغفل».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦١).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢٢: ٢٣٢).

(٨) «في» ليس في (د).

(٩) كذا في المصادر، وفي (ق) و(د): «سنة عشرة ومئة».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢٢: ٢٣٧).

(١١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٢٠)، و«حلية الأولياء» (٥: ٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٣٤٢).

(١٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٢٠)، و«حلية الأولياء» (٥: ٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٣٤٢).

قال أبو بكر بن عيّاش: رأيتُ حبيبًا ساجدًا، فلو رأيتَه قلت: ميِّتٌ؛ يَعني: من طول سجوده[١].

قال سفيان: قال حبيب: ما استقرضتُ من أحدٍ شيئًا أحَبَّ إليَّ من نفسي، أقولُ لها: أمهِلي حتَّى يجيءَ من حيثُ أُحِبُّ[٢].

أسنَدَ حبيبٌ عن ابن عمر، وابن عبّاس، وجابر، وأنس، وآخرين[٣].

وتُوفِّي سنةَ تسعَ عشرةَ ومئة[٤].

* * *

[منصور بن المعتمر السلمي]

[١١٨/أ] [٢٠١] **ومنهم**: منصورُ بن المُعتمِر السلميُّ[٥]، يُكنَّى: أبا عتّابٍ[٦]، كوفيٌّ[٧].

قال قُدامة: «دامَ منصورٌ أربعينَ سنةً يصومُ النهارَ ويقومُ الليل، وفي رواية: صامَ ستِّين سنةً»[٨].

وكان يَبكِي فتقولُ له أُمُّه: يا بُنيَّ، قتلتَ قتيلًا؟ فيقول: أنا أعلَمُ بما صنعتُ

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٣٤٢).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٢).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٢)، و«السير» (٥: ٢٨٩).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٢)، و«السير» (٥: ٢٩١).
(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٥)، و«السير» (٥: ٤٠٢).
(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٥)، و«السير» (٥: ٤٠٢).
(٧) انظر: «السير» (٥: ٤٠٢).
(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٥).

بنفسي، فإذا أصبحَ كحَّلَ عينَيه ودَهنَ رأسَه، وبرَّقَ شفتَيه، وخرجَ إلى الناس، فأخذه يوسفُ عاملُ الكوفة يريده على القضاء فامتَنَع، فجيءَ بالقَيد ليُقيَّد، فجاءه خصمان فقعدا بين يدَيه، فلم يسألْهُما ولم يُكلِّمْهُما، وقيلَ ليوسف: لو نَشَرتَ لحمَه لم يَلِ لك قضاءً، فخلَّى[١] عنه[٢].

قال العلاءُ العبديُّ[٣]: «كان منصورٌ يُصلِّي في سَطحِه، فلمّا ماتَ قال غلامٌ لأُمِّه[٤]: يا أُمّاه، الجذعُ الذي كان في آل فلانٍ ليس أراه، قالت: يا بُنيّ، ليس ذلك جذع، ذلك منصور، وقد مات»[٥].

وقال أبو بشر: «كانت جارةٌ لمنصور ولها ابنتان، وكانتا لا تصعدان السطحَ إلّا بعدما ينامُ الناس، فقالت إحداهُما ذات ليلة: يا أُمّاه، ما فعَلَت القائمةُ التي كنت أراها على سطح فلان؟ فقالت: يا بُنيّة، لم تكُن تلك قائمةً[٦]، إنّما كان منصورٌ يُحيي الليلَ كلَّه في ركعةٍ، لا يسجُدُ فيها ولا يركَع»[٧].

قال الأحوص: «كان منصورٌ إذا جاءَ الليلُ اتَّزرَ وارتدى إن[٨] كان صَيفًا، وإن كان شتاءً التحفَ فوقَ ثيابه، ثمَّ قام إلى مِحرابه، فكأنّه خشبةٌ منصوبةٌ حتّى يُصبِحَ»[٩].

---

(١) في (د): «فخل».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٥)، و«السير» (٥: ٤٠٦).

(٣) في (ق) و(د): «العبدوي»، وانظر ترجمته في: «المتفق والمفترق» (٣: ١٧٣٩) (١١١٧)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٧: ٢٦٧)، و«تهذيب التهذيب» (٨: ١٨٤).

(٤) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٥)، و«السير» (٥: ٤٠٦).

(٦) في (د): «دعامة».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٣).

(٨) كأنها في (ق): «إذا».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٦).

قال ابنُ قُدامة: «كان منصورٌ إذا رأيتَه[١] قلت: رجلٌ قد أُصيبَ بمُصيبة، مُنَكَّسَ الطرف، منخفضَ الصوت، رَطبَ العينَينِ[٢]، إن حرَّكتَه جاءَت عيناه بأربع، قالت له أُمُّه: ما هذا الذي تصنعُ[٣] بنفسِك، تبكي الليلَ عامة! لعلَّكَ يا بُنيَّ أُصيبَت نفسُك، لعَلَّكَ قَتَلتَ قَتِيلًا[٤]، فيقول: يا أُمّاه، أنا أعلمُ بما صنعتُ بنفسي»[٥].

قال سفيان: «إنّما كان الليلُ عند منصورٍ مَطيّةً من المطايا، متى شئتَ أصبتَه قد ارتَحلَه، وكان قد عَمِش من البكاء، ولو رأيتَه يُصلِّي لقلت: يموتُ الساعة، وصامَ وقامَ، فكان إذا أكلَ يُرَى الطعامُ في مَجراهُ»[٦].

أدرَكَ منصورٌ أنسَ بن مالك، وروى عنه، ورأى ابنَ أبي أوفى.

وروى عنه جماعةٌ من التابعين، كالأعمش والسختيانيِّ[٧]، وتُوفِّي في سنة اثنين وثلاثين ومئة[٨].

* * *

[ضرار بن مرة الشيباني]

[٢٠٢] **ومنهم**: ضِرارُ بن مُرّة الشيبانيُّ[٩]، يُكنَّى: أبا سنان[١٠]، كوفيّ.

---

(١) في (ق): «تراءيته».
(٢) في (ق): «العين».
(٣) في (د): «نصنع».
(٤) قوله: «لعلك قتلت قتيلًا» في (ق): «لقد قتل قتيلًا».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢:٦٦).
(٦) انظر: «البيان» (٢: ١٥٩)، و«المجموع» (٣: ٢٥٨).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ٥٤٧).
(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٦).
(٩) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٣٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٧)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ١٨٤).
(١٠) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٣٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٧)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ١٨٤).

بَكّاءٌ قد حَفرَ له/ قبرًا في بيته كان(١) يتعبَّد فيه(٢). [١١٨/ب]

قال الأجلَح: «قال ضرار: كان يقول: لا تجيئوني جماعةً، وليَجِئ الرجلُ وحدَه؛ فإنّكُم إذا اجتمعتم تحدَّثتُم، وإذا كانَ الرَّجُلُ وحدَه لم يَخلُ من أن يَدرسَ جُزأه، أو يذكر ربَّه»(٣).

قال الطنافسيّ: قال إسحاق: قال ضرار: «قال إبليس: إذا استمكَنَت من ابن آدم ثلاثٌ أصَبتُ منه حاجتي؛ إذا نسيَ ذنوبَه، أو أُعجِبَ بعمله، أو أُعجِبَ برأيه»(٤).

أسنَدَ ضرارٌ عن سعيد بن جُبَيرٍ وغيرِه(٥)، رحمه الله تعالى.

* * *

[سليمان بن مهران الأعمش]

[٢٠٣] ومنهم: الأعمش، واسمُه: سليمانُ بن مِهرانَ(٦)، أسديٌّ كوفيّ، يُكنَّى: أبا محمَّد(٧).

قال عيسى بن يونس: «ما رأينا في زمانِنا مثلَ الأعمش، ما رأينا الأغنياءَ

(١) في (د): «وكان».
(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٣٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٧).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٩١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٧).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٧).
(٥) انظر: «الثقات» لابن حبان (٦: ٤٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٧).
(٦) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٢: ٧٦)، و«السير» (٦: ٢٢٦).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٢: ٧٦)، و«السير» (٦: ٢٢٦).

والسلاطينَ في مجلسِ أحدٍ أحقرَ منهم في مجلس الأعمش، وهو مُحتاجٌ إلى درهمٍ»[١].

قال وكيع: «كان الأعمشُ قريبًا من[٢] سبعين سنةً لم تَفُته التكبيرةُ الأولى، واختلفتُ[٣] إلَيهِ قَرِيبًا مِن سَنتَينِ[٤]، فما رَأيتُهُ يَقضِي رَكعة»[٥].

قال يحيى القطّان: «كان الأعمشُ من النُّسّاك، وكان مُحافظًا على الصلاة في الجماعة، وعلى الصفِّ الأوَّل، قال يحيى: وهو علّامةُ الإسلام»[٦].

قال صالحُ الطائيّ: قال الأعمش: «إنِّي لأُحِبُّ أن أُعافى في إخواني؛ لأنّهم إن بُلُوا ابتُلِيتُ معهم، إمّا بالمواساة وفيها مؤونة، وإمّا بالخِذلان وفيه عارٌ»[٧].

قال سفيان: «لو رأيتَ الأعمشَ لقُلتَ: مسكين»[٨].

قال أبو بكر بن عيّاش: «دخلتُ على الأعمش في مرضِه الذي تُوفِّي فيه، فقلت: أدعُو لك طبيبًا؟ فقال: ما أصنعُ به؟ فوالله لو كانت نفسي في يدي لطرَحتُها، إذا أنا مِتُّ فلا تؤذِنَنَّ بي أحدًا، واذهب بي فاطرَحني في لَحدِي»[٩].

أدرَكَ الأعمشُ جماعةً من الصحابةِ رضي الله عنهم، ورأى أنسَ بن مالكٍ[١٠].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٢: ٨٨).
(٢) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة. (٣) في (د): «واختلف».
(٤) كأنها في (ق): «ستين».
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٢: ٨٨).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٢: ٨٨).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٨). (٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٨).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٨).
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (١٢: ٧٧).

قال ابنُ دُكينٍ ووكيع: «وُلِدَ الأعمشُ يومَ قُتِلَ الحُسَين، وذلكَ يومَ عاشوراء سنةَ ستِّين»[١].

وتُوفِّي سنةَ ثمانٍ وأربعين ومئة[٢]، وهو ابنُ ثمانٍ وثمانين سنةً، وقيل غيرُ ذلك[٣]، رحمه الله تعالى.

* * *

[أبو حيان يحيى بن سعيد التيمي]

[٢٠٤] **ومنهم:** أبو حيّان، يحيى بن سعيدٍ التيميُّ[٤]، سَمِعَ من الشعبيّ، وكان صالحًا[٥].

قال عبدُ الله بن إدريس: «ما رأيتُ الليلَ على أحدٍ من الناس أخفَّ منهُ على أبي حيّان، صَحِبناهُ مَرّة إلى مكّة، فكانَ إذا أظلمَ الليلُ فكأنّه مثلُ هذه الزنابيرِ إذا هُيِّجَت مِن عُشِّها»[٦].

* * *

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (١٢: ٨٧).

(٢) «ومئة» ليس في (ق)، وانظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٤٣).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (١٢: ٩٠).

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٣١: ٣٢٣)، و«إكمال تهذيب الكمال» (١٢: ٣١١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٣١: ٣٢٣).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٩).

[موسى بن أبي عائشة]

[٢٠٥] ومنهم: موسى بن أبي عائشةَ(١)، يُكنَّى: أبا بكرٍ، كوفيٌّ(٢).

[١١٩/أ] قال جريرُ بن عبد الحميد: «كنت إذا/ رأيتُ موسى ذكرتُ الله عزَّ وجلَّ لرؤيته، وكان بين عينَيه أثرُ السجود»(٣).

قال سفيان: قال عمرُو بن قيس: «ما رفعتُ رأسي بليلٍ قطُّ إلّا رأيتُ موسى قائمًا يُصلِّي، وكان يُدعَى المُتهجِّدَ؛ لشدّةِ تَغيُّر لونه»(٤).

رأى موسى سعيدَ بن جبير، وروى عنه الثوريُّ(٥).

* * *

[كرز بن وبرة]

[٢٠٦] ومنهم: كُرزُ بن وبرةَ(٦)، كوفيُّ الأصل، إلّا أنّه سكن جُرجان(٧).

قال محمَّدُ بن فُضَيل: قال أبي: «دخلتُ على كُرزٍ بيته، فإذا عنده مُصلّاة قد

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٩٠)، و«السير» (٦: ١٥٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٩٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٩٢).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٩).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٩٠).

(٦) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٩: ٢٧)، و«حلية الأولياء» (٥: ٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٠).

(٧) انظر: «الثقات» لابن حبان (٩: ٢٧)، و«حلية الأولياء» (٥: ٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٠).

ملأها تِبنًا، وبسطَ عليها كساءً من طول القيام، وكان يقرأُ في اليوم والليلة القرآنَ ثلاثَ مرّاتٍ[١]، وكان إذا خَرجَ يأمُرُ بالمعروف فيَضرِبُونَه حتَّى يُغشَى عليه»[٢].

قال شُبرُمة: «صَحِبنا كُرزًا، فكُنّا إذا نَزَلنا بالأرض فإنّما هو قائلٌ ببَصرِه هكذا ينظر، فإذا رأى بُقعة تُعجِبُه ذَهبَ فصلَّى فيها حتَّى يَرتَحِلَ»[٣].

قال أبو سليمانَ المُكتِب[٤]: «صَحِبتُ كُرزًا إلى مكّة، فكانَ إذا نزلَ دَرجَ ثيابَه في الرَّحل، ثمَّ تنحّى للصلاة، فإذا سَمِعَ رُغاءَ الإبل[٥] أقبَل، فاحتَبسَ يومًا، وانبَثَّ أصحابُه في طَلَبِه، فأصَبتُه في وهدةٍ يُصلِّي في ساعةٍ حارّة، وإذا سحابةٌ تُظِلُّه، فلمّا رآني أقبَلَ نحوي، وقال: يا أبا سليمان، لي إليك حاجة، قلت: وما هي؟

قال: اكتُم ما رأيت، قلت: لك ذلك، قال: أوْثِق[٦] لي، فحلفتُ ألّا أُخبِرَ أحدًا حتَّى يموتَ»[٧].

قال أبو داودَ الحفريّ: «دَخَلتُ على كُرزٍ بيتَه، فإذا هو يَبكي، فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: إن بابي لَمغلَق، وإن ستري لمُسبَل، ومُنِعتُ جُزئي أن أقرأه البارحة، وما هو إلّا من ذنبٍ قد أحدثتُه»[٨].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٠)، و«السير» (٦: ٨٤).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٠).
(٣) في (د): «نرتحل»، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٠).
(٤) جاء في «العلل ومعرفة الرجال» للإمام أحمد رواية ابنه عبد الله (٢: ٢٠): «وسألته عن شيخ روى عنه وكيع يُقال له: أبو سليمان المكتب؟ قال: لا أدري من هو»، وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٢: ٢٤٦).
(٥) بعدها في (د): «حارة».
(٦) في (د): «أثق».
(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٥٢٢).
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧١).

قال شُبرُمة: «سألَ كُرزٌ ربَّه عزَّ وجلَّ أن يُعطيَه الاسمَ الأعظمَ على ألّا يسألَ به شيئًا من الدنيا، فأعطاهُ ذلك، فسألَه أن يُقوِّيَه حتَّى يَختمَ القرآنَ في اليوم والليلةِ ثلاثَ مرّاتٍ»[1].

أسنَدَ كُرزٌ عن طاوسٍ وعطاءٍ وآخرين[2].

* * *

[أبو يونس القوي]

[٢٠٧] **ومنهم**: أبو يونس القويّ، واسمُه: الحسنُ بن يزيدَ العجليُّ[3].

قال إسماعيلُ بن زبانَ[4]: «إنّما سُمِّيَ القويَّ؛ لقوَّته على العبادة[5]، صلَّى حتَّى أُقعِد، وبكى حتَّى عَمِي، وصامَ حتَّى صارَ كالخَشَبة»[6].

قال البخاريُّ[7]: قال أبو عاصم: سَمِعَ أبو يونسَ من سعيد بن جُبَير وغيره[8].

* * *

(١) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٠٨)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٥٢٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧١).

(٣) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٦: ١٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٦: ٣٤٢).

(٤) كذا ورد في بعض المصادر، وفي (ق) و(د): «إسماعيل بن ريان»، وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ١٧١)، و«الثقات» لابن حبان (٨: ٩٢).

(٥) في «التاريخ الكبير» (٢: ٣٠٨): «إنما سُمي أبا يونس القوي لعبادته، قَدِم علينا فطاف في يوم واحد سبعين طوافًا».

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٦: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧١).

(٧) «التاريخ الكبير» (٢: ٣٠٨).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧١).

[عمرو بن قيس الملائي]

[٢٠٨] **ومنهم**: عمرُو بن قيسٍ الملائيُّ[(١)].

قال إسحاقُ بن خلف: «أقامَ عمرُو بن قيسٍ عشرين سنةً صائمًا، لا يعلَمُ به أهلُه، يأخُذُ غداءَه ويَمضي إلى الحانوت، فيتصدَّق بغدائه، وكان إذا حَضرَته[(٢)] / [١١٩/ب] الرِّقةُ يُحوِّلُ وجهَه إلى الحائط، ويقولُ لجلسائه: هذا الزكام، وإذا نظرَ إلى أهل السوق قال: ما أغفلَ هؤلاء عمّا أُعِدَّ لهُم»[(٣)].

قال أبو خالدٍ الأحمر: قال عمرٌو: «إذا بلغَك شيءٌ من الخير فاعمَل به ولو مرّة تكُن من أهلِه»[(٤)].

قال حفصُ بن غياث: قال أبي: «لمّا احتضرَ[(٥)] عمرٌو بكى، فقال له أصحابُه: علام[(٦)] تبكي من الدنيا؟ فوالله لقد كنتَ مُنَغَّصَ العيش أيّامَ حياتك! فقال: والله ما أبكي على الدنيا، إنّما أبكي خوفًا من أن أُحرَمَ خيرَ الآخرة»[(٧)].

قال سفيان: «إنّ عمرَو بن قيسٍ هو الذي أدَّبَني، علَّمَني قراءةَ القرآنِ والفرائض، وكنتُ أطلُبُه في سُوقه، فإن لم أجدهُ وجدتُهُ في بيته إمّا يُصلِّي وإمّا يقرأُ في المُصحَف كأنّه يُبادِرُ أمورًا تفوتُه، فإن لم أجده في بيته وجدتُه في بعض

(١) في (د): «عمرو بن إسحاق الملاوي»، وانظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٧٢)، و«تهذيب الكمال» (٢٢: ٢٠٠)، و«السير» (٦: ٢٥٠)

(٢) في (ق) و(د): «حضره».

(٣) انظر: «المنتظم» (٨: ٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٢).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٢).

(٥) في (د): «أحضر».

(٦) في (ق): «على ما».

(٧) انظر: «المنتظم» (٨: ٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٣).

مساجد الكوفةِ في زاويةٍ من زوايا المسجد كأنّه سارِقٌ قاعدًا يبكي، فإن لم أجدهُ وجدتُهُ في المقبرةِ قاعدًا ينوحُ على نفسه، فلمّا ماتَ عمرو[١] أغلَقَ أهلُ الكوفةِ أبوابَهم، وخرجوا لجنازته، فلمّا أخرَجوهُ إلى الجَبّانِ وكُبِّرَ عليه أربعُ تكبيراتٍ سَمِعُوا صائحًا: قد جاءَ المُحسِنُ[٢]، قد جاءَ المُحسِنُ عمرُو بن قيس، وإذا البريّةُ مملوءةٌ من طَيرٍ أبيض، لم يُرَ على خِلقَتِها وحُسنِها، فجعلَ الناسُ يتعجَّبونَ من حُسنِها وكَثرَتِها، فقال أبو حيان: من أيِّ شيءٍ تَعجَبُونَ؟ هذه ملائكةٌ جاءَت تَشهَدُ عمرًا»[٣].

قال عبدُ الله الجُعفيّ: «حَضَرنا جنازةَ عمرٍو، فحضَرَ قومٌ كثيرٌ عليهم ثيابٌ بيض، فلمّا صُلِّيَ عليه ذَهَبُوا فلم نَرَهُم»[٤].

سَمِعَ عمرٌو من عِكرِمةَ وعطاءٍ في آخرين من التابعين[٥].

وتُوفِّي بسجستانَ[٦]، ويُقال: بالكوفة، ويُقال: بالشام، ويُقال: ببغدادَ[٧].

* * *

---

(١) في (ق): «عمر».

(٢) قوله: «قد جاء المحسن» ليس في (د).

(٣) في (ق) و(د): «عمروا»، وانظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٣)، و«السير» (٦: ٢٥٠).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٣).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٣)، و«تهذيب الكمال» (٢٢: ٢٠٠).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٣)، و«تهذيب الكمال» (٢٢: ٢٠٣).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٣).

[مِسعَر بن كِدام]

[٢٠٩] **ومنهم**: مِسعَرُ بن كِدامٍ[١]، يُكنَّى: أبا سلمة[٢]، قال الثوريّ: «لم يكن في زمانه مثلُه»[٣].

قال محمَّدُ بن مِسعَر: «كان أبي لا ينامُ حتَّى يقرأ نِصفَ القرآن، فإذا فرَغَ[٤] من وِرْدِه لفَّ رِداءَه، ثمَّ هَجعَ عليه هُجَيعةً خفيفة، ثمَّ يَثِبُ كالرجُل[٥] الذي ضلَّ منه شيءٌ فهو يطلُبه، فإنّما هو السواكُ والطَّهور، ثمَّ يستقبلُ المِحرابَ كذلك إلى الفجر، وكان يجتَهدُ في[٦] إخفاء ذلك»[٧].

قال يحيى بن آدم: قال أبي: «لمّا حَضرَت مِسعَرًا الوفاةُ دخل عليه سفيانُ الثوريّ، فوجده جَزِعًا، فقال له: لم تَجزَع؟ فوالله لوددتُ أنّي ميِّتٌ الساعةَ، فقال مِسعَر: أقعِدوني، فأعادَ سفيان عليه الكلام، فقال: إنّك إذًا لواثقٌ بعَملِكَ يا سفيان، لكنِّي/ والله على شاهقةِ جبلٍ لا أدري أين أهبط، فبكى سفيان، وقال: أنت أخوَفُ لله منِّي»[٨]. [١٢٠/أ]

قال مصعبُ بن المقدام: «رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام وسفيانُ الثوريُّ

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٥)، و«السير» (٧: ١٦٣).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٥)، و«السير» (٧: ١٦٣).

(٣) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ١٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٥).

(٤) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

(٥) في (د): «كالرحل».

(٦) في (د): «على».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٥)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٦١٤).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢١٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٦).

آخِذٌ بيده وهما يَطوفان، فقال الثوري: يا رسولَ الله، مات مِسعَرٌ؟ فقال: نعم، واستبشَرَ به أهلُ السماء»[١].

أسنَدَ مِسعَر عن أعلام التابعين[٢]، وتُوفِّي بالكوفة سنةَ اثنين، وقيل: خمسٍ وخمسين ومئة[٣].

* * *

[داود بن نصير الطائي]

[٢١٠] ومنهم: داودُ بن نُصَيرٍ الطائيُّ[٤]، يُكنَّى: أبا سليمانَ[٥]، سَمِعَ الحديث، وتفقَّه ثمَّ اشتغلَ بالتعبُّد[٦].

قال أحمدُ بن أبي الحواريِّ: «حدَّثني بعضُ أصحابنا قال: كان داودُ الطائيُّ يُجالِسُ أبا حنيفة، فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان، أمّا الأداةُ فقد أحكمناها، قال: فأيُّ شيءٍ بَقِيَ؟ فقال: العمل، قال: فنازَعَتني نفسي إلى العزلة والوحدة، فقلت لها: حتَّى تَجلِسي فلا تُخطئي في مسألة، فكانَ يُجالِسُهم سنةً قبل أن

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٧: ٤٦٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٧: ٤٦٢).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٧: ٤٦٨).

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٦٧)، و«تهذيب الكمال» (٨: ٤٥٥)، و«السير» (٧: ٤٢٢).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٦٧)، و«تهذيب الكمال» (٨: ٤٥٥)، و«السير» (٧: ٤٢٢).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٦).

يعتزل، قال: وكانت المسألةُ تجيءُ وأنا أشدُّ شهوةً للجواب فيها من العطشان إلى الماء، فلا أُجِيبُ فيها، فاعتَزَلتُهُم بعد»[١].

قال أبو أسامة: «جئتُ أنا وابنُ عُيينةَ إلى داودَ الطائيّ، فقال: قد جِئتُما مرّة، فلا تعودا[٢] إليَّ»[٣].

قال محمَّدُ بن حاتمٍ البغداديّ: سمعتُ الحِمّانِيَّ يقول: كان بُدُوُّ توبةِ داود أنّه دَخلَ مقبرة، فسَمِعَ امرأةً عند قبر وهي تقول[٤]:

مُقِيمٌ إلى أن يَبعَثَ الله خَلقَهُ — لقاؤُكَ لا يُرْجى وأنتَ قَرِيبُ
تَزِيدُ بلًى فِي كُلِّ يومٍ وليلةٍ — وتُسلَى كَما تَبلَى وأنتَ حَبِيبُ

قال ابنُ أبي الحَواريِّ: حدَّثني محمَّدُ بن يحيى، قال داود: «ما أخرجَ الله عبدًا من ذُلِّ المعصية إلى التقوى إلّا أغناه بلا مال، وأعزَّه بلا عَشيرة، وآنسَهُ بلا بَشرٍ»[٥].

قال العبدريُّ[٦]: قال أبو بكرِ بن محمَّد: قال لي داود: «فِرَّ من النّاسِ كما تَفِرُّ من الأسدِ»[٧].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٦).

(٢) في (ق) و(د): «تعودان».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٦)، و«السير» (٧: ٤٢٤).

(٤) البيتان من الطويل. وانظر: «القبور» لابن أبي الدنيا (١٤٨)، و«المجالسة وجواهر العلم» (١: ٣٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٦).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٧).

(٦) في (د): «العبدوي».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٧).

قال عثمانُ الصوفيّ: «جاءَ أبو الربيعِ الأعرجُ إلى داودَ من واسط يَسمَعُ منه شيئًا ويراه، فأقامَ على بابِه ثلاثةَ أيّامٍ لا يَصِلُ إليه؛ لأنّه كان إذا سَمِعَ الإقامةَ خَرَج، فإذا سَلَّمَ الإمامُ وثَبَ فدَخلَ منزلَه.

قال: فصلَّيتُ في مسجدٍ آخر، ثمَّ جئتُ فجلستُ على بابِه، فلمّا جاءَ ليَدخُل قلت: ضَيفٌ رَحِمَك الله عزَّ وجلّ، قال: إن كنت ضيفًا فادخُل، فدخَلتُ فأقمتُ عنده ثلاثةَ أيّامٍ لا يُكلِّمُني، فلمّا كان بعد ثلاثٍ قُلت: رَحِمَك الله عزَّ وجلّ، أتيتُكَ من واسط، / وإنِّي أحبَبتُ أن تُزوِّدَني شيئًا، فقال: صُم عن[1] الدنيا، واجعَل فِطرَك الموت، قلت: زِدنِي، قال: فِرَّ من الناس فِرارَكَ من الأسد غيرَ طاعنٍ عَليهِم[2] ولا مفارقٍ لجماعتهم، فذهَبتُ أستزيده، فوثَبَ إلى المحراب، وقال: الله أكبر»[3]. [١٢٠/ب]

قال عبدُ الله بنُ إدريس: «قلت لداود: أوصِني، قال: أَقْلِل من معرفة الناس، قلت: زِدني، فقال: ارضَ باليسيرِ من الدنيا مع سلامةِ الدِّين كما رَضيَ أهلُ الدنيا مع فسادِ الدين، قلت: زِدني، قال: اجعَل الدنيا كيومٍ صُمتَه ثمَّ أفطِر على الموت»[4].

قال إسحاقُ السُّوليّ: «دخلتُ أنا وصاحبٌ لي على داودَ وهو على التراب، فقلت لصاحبي: هذا رجلٌ زاهد، فقال داود: إنَّما الزاهدُ مَن قَدرَ فترك»[5].

---

(١) «عن» مثبت من (د). (٢) في (ق): «ظاعن عنهم».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٧)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٧٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٧)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٧٨).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٧).

قال أبو بكرِ بنُ عُبَيد: «كان داودُ يُفطِرُ على الخُبزِ بالماء والمِلح، فأخذَ ليلةَ فِطرَه ينظر إليه، ومولاةٌ له سوداءُ تنظُرُ إليه[١]، فأخذَ[٢] شيئًا من تمرٍ على طبقٍ، فأفطر، ثمَّ أحيا ليلَهُ وأصبحَ صائمًا، فلمّا جاءَ وقتُ الإفطار أخذَ رغيفَهُ وملحًا وماءً.

قال الوليدُ بن عقبة: فحدَّثَني جارٌ له أنّه سمعه يُعاتِبُ نفسَه ويقول: اشتهَيتِ البارحةَ تمرًا فأطعَمتُك، واشتهَيتِ الليلةَ تمرًا؟ لا ذاقَ داودُ تمرًا ما دام في الدنيا»[٣].

قالت مولاةٌ لداود: «لو طبختُ لك دسمًا؟ قال: فافعَلي، فطَبخَت له شحمًا، ثمَّ جاءَته به، فقال: ما فعَلَ أيتامُ فلان؟ قالت: على حالهم، فقال: اذهَبي به إليهم، فقالت له[٤]: فديتُك، إنّما تأكُلُ هذا الخبزَ بالماء، فقال: إنِّي إذا أكلتُه كان في الحُشِّ[٥]، فإذا أكلَه هؤلاء كان عند الله تعالى مُدَّخَرًا»[٦].

قال صدقةُ الزاهِد: «خرجنا مع داودَ في جنازةٍ بالكوفة، فقَعدَ داودُ في ناحية، فجاءَ الناسُ فقَعَدوا قريبًا منه[٧]، فتكلَّم، فقال: مَن خافَ الوعيدَ قَصُرَ عليه البعيد، ومن طالَ أمَلُه ضَعُفَ عمَلُه، وكلُّ ما هو آتٍ قريب، واعلم يا أخي أنّ كلَّ ما يشغَلُكَ عن الله عزَّ وجلَّ فهو مَشؤوم، واعلم أنّ أهلَ القبورِ إنّما يَفرَحونَ بما يُقدِّمون، ويندَمونَ على ما يُخلِّفون، وأهلُ الدنيا يقتَتِلونَ ويتنافسونَ فيما عليه أهلُ القبورِ يَندَمون»[٨].

---

(١) «إليه» ليس في (د). (٢) في (ق): «فأخذت».
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٧).
(٤) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة. (٥) في (ق): «الحشد».
(٦) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٧: ٣٥١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٨).
(٧) «منه» ليس في (د).
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٨).

قال الحسنُ العبديّ: سمعتُ ابن أبي عَدِيٍّ[١] يقول: «صامَ داودُ الطائيُّ أربعين سنةً لم يَعلَم به أهلُه، وكان خزّازًا، كان يَحمِلُ غَداءَه معه فيتصدَّقُ به في الطريق، ويَرجِعُ إلى أهله ويُفطِرُ عشاءً وهم لا يعلمونَ أنّه صائمٌ»[٢].

[١٢١/أ] قال أبو الفرج ابنُ الجَوزيِّ: قد رُوِيَت هذه الحكايةُ عن داودَ بن أبي هند، وهي به أَليَقُ من داودَ الطائيِّ؛ لأنَّ الطائيَّ كان مُشتغِلًا بالعلم، ثمَّ انقطع إلى التعبُّد، ولم يُنقَل عنه أنّه تشاغَل بالمعاش، فلعلَّ بعضَ الرواة قال: الطائيّ، والله أعلم[٣].

وجاءَ الفُضَيلُ يومًا فلم يفتَح له الباب، فجَلس[٤] فُضَيلٌ خارجَ الباب وداودُ داخلَ الباب[٥]، يَبكي داودُ من داخل، والفُضَيلُ من خارجٍ.

قيلَ لمحمَّد بن بشر: كيف لم يَفتح لهم؟ فقال: كان يَفتحُ لهم فكثروا عليه فغَمُّوه[٦]، فحَجبَهُم، فمن جاءَه كلَّمَه من وراءِ الباب[٧].

قالت له أُمُّه: لو اشتهَيتَ شيئًا لاتَّخذتُه لك، فقال: أَجيدِي[٨] يا أُمّاه؛ فإنِّي أُريدُ أن أدعو إخوانًا لي، فاتَّخذَت وأجادَت، فقعدَ على الباب لا يمرُّ سائلٌ إلّا أدخَلَهُ فقدَّمَهُ إليهم، فقالت له أُمُّه: لو أكَلت، فقال: ومَن أكلَهُ غيري، وإنّما

---

(١) في (ق) و(د): «سمعت أبا عدي»، والتصويب من «صفة الصفوة».
(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧: ١٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٨).
(٣) «صفة الصفوة» (٢: ٧٨)، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧: ١٢٩).
(٤) «فجلس» غير واضحة في (ق). (٥) «الباب» ليس في (د).
(٦) كأنه في (د): «فغمق».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٩)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (١: ٥٣٨).
(٨) في (ق): «احبدي»، والتصويب من «صفة الصفوة».

جَدَّ واجتهدَ حين ماتَت أُمُّه، قسَّمَ كلَّ شيءٍ تركَته حتَّى لَصِقَ بالأرض، وكانت مُوسِرةً، وحَجمَهُ حَجّامٌ فأعطاهُ دينارًا لا يملك غيره[١].

ودخل رجلٌ عليه بيتَه، فقال له: لو رأيتَ ما في سقف البيت من العنكبوت فتنضفه[٢]؟ فقال له[٣]: أما عَلِمتَ أنّهم كانوا يكرَهونَ فُضُولَ النظر[٤].

قال عبدُ الرحمنِ بنُ سلَمة: «لقيَ داودَ رجلٌ فسألَه عن حديث، فقال: دَعني؛ فإنِّي أُبادِرُ خروجَ نفسي، فكان الثوريُّ إذا ذكرَه قال: أبصَرَ الطائيُّ أمرَه»[٥].

وكان عبدُ الله بنُ المبارك يقول: «وهل الأمرُ إلّا ما كان عليه داودُ الطائيُّ»[٦].

قال أبو خالدٍ الأحمر: «مررتُ أنا وسفيانُ الثوريُّ بمنزِل داود، فقال لي سفيان: ادخُل بنا نسلِّم عليه، فدَخلنا، فما احتَفلَ بسفيانَ[٧] ولا انبسَطَ إليه، فلمّا خَرَجنا قلت: يا أبا عبد الله، غاظَني ما صنَعَ بك، فقال: أيَّ شيءٍ صَنعَ بي؟ قلت: لم يَحتفِل[٨] بكَ ولا انبسَطَ إليك، فقال: إنَّ أبا سليمانَ لا يُتَّهَمُ في مَودّة، أما رأيتَ عَينَيهِ[٩]؟ هذا في شيءٍ غيرِ ما نحنُ عليه، رضي الله عن سفيانَ»[١٠].

وكان داودُ يقول: «سَبقَني العابِدونَ، وقُطِع بي، وا لَهفاه»[١١].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٩).
(٢) في (د): «فنفضته».
(٣) «له» ليس في (د).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٩).
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٩)، و«تهذيب الكمال» (٨: ٤٥٨).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٧٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٧٧).
(٧) في (ق): «لسفيان».
(٨) في (د): «يحفل».
(٩) في (ق): «غيبته».
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٩).
(١١) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٠).

قال لداودَ رجلٌ من أهلِه: «قد عرفتَ الرحِمَ الذي بيننا فأوصِني، فدَمعَت عينا داود، ثم[1] قال: إنّما الليلُ والنهارُ مراحِلُ ينزلُها الناسُ مرحلةً مرحلةً، حتَّى ينتهِيَ ذلِك بهم إلى آخِرِ سَفرِهم، فإن استطعتَ أن تُقدِّمَ في كلِّ مرحلةٍ زادًا لما بين يدَيها فافعل[2]، فإنّ انقطاعَ السفرِ عن قريب، والأمرُ أعجَلُ من [١٢١/ب] ذلك، فتزَوَّد لسفرك، واقضِ ما أنتَ قاضٍ من أمرك، فكأنّك بالأمر قد بَغتَك، إنِّي لأقولُ لك هذا وما أعلمُ أحدًا أشدَّ تضييعًا منِّي لذلك. ثمَّ قامَ وتركني»[3].

قال أبو المُهنَّى الطائيّ: «خرجَ داودُ إلى السوق، فرأى الرُّطبَ فاشتَهَت نفسُه، فجاءَ إلى البائع، فقال: أعطِني بدرهم، فقال لهُ[4]: اذهَب إلَى عَمَلِك، فرآهُ بعضُ مَن يعرفه، فأخرجَ صُرّة فيها مِئةُ دِرهَم، فقال: اذهب إليه، فإن أخذَ منكَ بدرهَم فالمئة بذلك لك، فلحِقَهُ البائع، وقال له: ارجِع فخُذ حاجتَك، فقال: لا حاجةَ لي فيه، إنّما جرَّبتُ هذه[5] النفسَ فلم أرَها تُساوي في هذهِ الدُّنيا[6] درهمًا، وهي تريدُ الجنّةَ غدًا»[7].

قال حفصُ بن عمرَ الجُعفيُّ[8]: «كان داودُ ورِثَ عن أبيه[9] أربعَ مئة درهم، فمَكثَ يتقوَّتُها ثلاثينَ عامًا، فلمّا نفَدت[10] جعل ينقُضُ سقوفَ الدُّوَيرة فيَبيعُها حتَّى باعَ الخشبَ والبَواري واللَّبِن، حتَّى بَقيَ بعضُ السقف، فجاءَ صديقٌ له فقال له[11]: يا أبا سليمان، لو أعطيتَني هذه فأبضَعتُها لك لعلَّنا نستَفضِلُ

---

(١) «ثم» ليس في (ق).
(٢) «فافعل» ليس في (د).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٠).
(٤) «له» ليس في (د).
(٥) في (ق): «هذا».
(٦) قوله: «في هذه الدنيا» ليس في (ق).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٠).
(٨) في (د): «النخعي».
(٩) في «صفة الصفوة»، و«مرآة الزمان»: «أمه».
(١٠) في (د): «نفذت».
(١١) «له» ليس في (د).

لك فيها شيئًا تنتفعُ[١] به، فما زالَ به حتَّى دفعها إليه، ثمَّ فكَّرَ فيها، فلقِيَه بعدَ العِشاءِ الآخرة، فقال له: اردُدها عليّ، فقال: ولم؟ فقال[٢]: أخافُ أن يدخُلَ فيها شيءٌ غيرُ طيب، فأخذها»[٣].

قال محمَّدُ بن زكريا: «وَرِثَ داودُ من مولاةٍ له عشرينَ دينارًا، فكَفَته عشرينَ سنةً يأكلُ من ذلك ويتصدَّقُ»[٤].

قالت دايةٌ لداود: «أما[٥] تَشتَهي الخبزَ؟ فقال: بين مَضغِ الخبز وشُربِ الفتيت قراءةُ خمسين آيةً»[٦].

قال أحمدُ العِجلِيّ: «دخلتُ على داودَ في مَرَضِه الذِي مات فيه، وليس في بيته إلّا دَنٌّ مُقَيَّرٌ يكون فيه خبزٌ يابس، ومِطهَرةٌ ولَبِنة على التراب يَجعلها تحتَ رَأسِه، وليس في بيتِه لا قليلٌ ولا كثيرٌ»[٧].

قال حمّادٌ لداود: «يا أبا سليمان، لقد رَضِيتَ من الدنيا باليسير، فقال: أفلا أدلُّكَ على مَن رَضِيَ بأقلَّ من ذلك؟ مَن رَضِي بالدنيا كلِّها عِوَضًا[٨] عن الآخرة»[٩].

---

(١) في (د): «نستنفع». (٢) في (ق): «قال».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٠)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٤٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٧٩).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٠).

(٥) في (د): «ما».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨١).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨١).

(٨) «عوضًا» ليس في (ق).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨١).

قالت أُمُّ سعيدِ بن علقمة: «كان بيننا وبين داودَ حائطٌ قصير، فكُنتُ أسمعُ حِسَّه عامّةَ الليل لا يهدأ، ورُبَّما سمعتُه في جوف الليل يقول: هَمُّكَ عَطَّل عليَّ الهُموم، وحالفَ[1] بيني وبين السُّهاد، وشَوقي إلى النظر إليك أوثَقَ مني، وخالَف بيني وبين اللذّات، فأنا في سِجنِك أيُّها الكريمُ مطلوب، قالت: وربَّما/ ترنَّمَ بالآية، فأرى أنّ[2] جميعَ نعيم[3] الدنيا جُمِعَ في تَرنُّمه»[4]. [١٢٢/أ]

قال سنْدُويه[5]: «قيل لداود: أرأيتَ[6] رجلًا دخلَ على هؤلاء الأُمراء فأمَرَهُم بالمعروف ونهاهُم عن المنكر؟ قال: أخافُ عليه السوط، قال: إنّه يَقوَى[7]، قال: أخافُ عليه السيف، قال: إنّه يَقوَى، قال: أخافُ عليه الداءَ الدفين؛ العُجبَ»[8].

قالت له أختُه: «لو تنحَّيتَ من الشمس إلى الظل، فقال: هذه خُطًى لا أدري كيف تُكتَبُ»[9].

قال أبو نُعَيم: «رأيتُ نملةً تدورُ في وجهِه عرضًا وطولًا لا يفطنُ بها، يعني: من الهمِّ»[10].

---

(١) في (د): «وخالف».
(٢) قوله: «فأرى أن» في (د): «فكأنما».
(٣) «نعيم» ليس في (د).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨١)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٨٠).
(٥) كذا في «حلية الأولياء» و«تاريخ الإسلام»، وفي (ق): «سبدويه»، وفي (د): «سيدويه»، وفي «صفة الصفوة»: «شيدويه».
(٦) في (د): «رأيت».
(٧) قوله: «قال: أخافُ عليه السوطَ، قال: إنَّه يقوى» ليس في (د).
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٢).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٢)، و«تهذيب الكمال» (٤: ٢٦٧).
(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٢).

قال معاويةُ بن عمرو[١]: «كنّا عند داودَ يومًا، فإذا فروَتُه قد تخرَّقَت، فقال بعضُ مَن حَضَر: لو أذِنتَ لي خِطتُه، فقال: كانوا يَكرَهونَ فُضولَ النَّظرِ كَما يَكرَهُونَ[٢] فُضولَ الكلام»[٣].

قال أبو سعيدٍ السكَّريّ: «احتَجمَ داود، فدَفعَ إلى الحجّام دينارًا، فقيلَ له: هذا إسراف، فقال: لا عبادةَ لمَن لا مروءةَ له»[٤].

قال حَفصٌ الجُعفيّ: «اشتكى داودُ أيّامًا، وكان سببَ علَّته أنه مَرَّ بآيةٍ فيها ذِكرُ النّار، فكرَّرها مرارًا في ليلة، فأصبَحَ مريضًا فوجَدوه قد ماتَ ورأسُه على لبنةٍ»[٥].

أسنَدَ داودُ عن جماعةٍ من التابعين، منهم: حُمَيدٌ الطويلُ[٦].

وتُوفِّي في سنة خمسٍ وستِّين ومئة، وقِيل: سِتٍّ وسِتِّينَ ومِئة[٧]، في خلافة المَهديِّ[٨]، رحمة الله تعالى عليه.

* * *

(١) في (د): «عمر».

(٢) قوله: «فضول النظرِ كما يكرهون» ليس في (ق).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٢).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٢).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٢)، و«تهذيب الكمال» (٨: ٤٦١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٤)، و«تهذيب الكمال» (٨: ٤٥٥).

(٧) قوله: «وقيل: ست وستين ومئة» ليس في (ق).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٤)، و«السير» (٧: ٤٢٥).

[أبو حنيفة النعمان بن ثابت]

[٢١١] **ومنهم**: أبو حنيفةَ النعمانُ بن ثابت[١].

فقِيهُ أهل العراق، وهو من أهل الكوفة[٢]، نقلَهُ المنصورُ إلى بغداد، وماتَ بها، رضي الله عنه[٣].

قال أبو نُعَيم: «كان أبو حنيفةَ حَسنَ الوجه، حَسنَ الثياب، طَيِّبَ[٤] الريح، حَسنَ المجلس، شديدَ الكرم، حَسنَ المواساة لإخوانه»[٥].

قال أبو حنيفة: «وما صلَّيتُ صلاةً منذُ مات حمّادٌ إلّا استغفرتُ له مع والِدَيّ، وإنِّي لأستغفِرُ لمَن تعلَّمت منه أو علَّمته»[٦].

قال الحسنُ بن مُحمَّدٍ الليثيّ: «قَدِمتُ الكوفة، فسألتُ عن أعبَدِ أهلِها، فدُفِعتُ إلى أبي حنيفة، ثمَّ قَدِمتُها وأنا شيخ، فسألتُ عن أفقهِ أهلها، فدُفِعتُ إلى أبي حنيفة»[٧].

قال سفيانُ بن عُيَينة: «ما قَدِمَ رجلٌ في وقتنا مكّةَ أكثرُ صلاةً من أبي حنيفةَ»[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٦٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٦)، و«السير» (٦: ٣٩٠).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٦٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٦)، و«السير» (٦: ٣٩٠).

(٣) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٦).

(٤) في (د): «حسن».

(٥) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٨)، و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١: ٧٧).

(٦) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٨).

(٧) انظر: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١: ٩٩).

(٨) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٢٠)، و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١: ٩٩).

قال أبو مُطيع البلخيّ: «كنتُ بمكّة، فما دخلتُ المَطافَ في ساعةٍ من ساعات الليل والنهار إلّا رأيتُ أبا حنيفةَ وسفيانَ في الطواف»(١).

وقال يحيى الزاهد: «كان أبو حنيفةَ لا ينامُ الليلَ»(٢).

قالَ حفصُ بن عبدِ الرَّحمَن: «كان أبو حنيفةَ يُحيِي الليلَ بقراءةِ القرآنِ في رَكعة ثلاثينَ سنةً»(٣).

[١٢٢/ب]

قال أسدُ بن عمرٍو: «صلَّى أبو حنيفةَ ـ فيما حُفِظَ عليه ـ صلاةَ الفجر بوُضُوء العشاء أربعينَ سنةً، فكان عامّةَ الليلِ يقرأُ جميعَ القرآنِ في رَكعةٍ واحدة، وكان يُسمَعُ بكاؤُه بالليل حتَّى يرحمه جيرانُه، وحَفِظَ عليه جيرانُهُ(٤) أنّه خَتمَ القرآنَ في الموضع الذي تُوفِّي فيه ستّة آلاف مرّة»(٥).

قال أبو يوسف: «بَينا أنا أمشي مع أبي حنيفةَ إذ سَمِعَ رجلًا يقول: هذا أبو حنيفة، لا ينامُ الليل، فقال أبو حنيفة: والله لا يُتحدَّث عنِّي بما لا أفعل، فكان يُحيِي الليلَ صلاةً ودُعاءً وتضرُّعًا»(٦).

قال مِسعر: «أتيتُ أبا حنيفةَ في مسجدٍ، فرأيتُهُ يُصلِّي الغداة، ثمَّ يَجلِسُ للناس في العلم إلى أن يُصلِّيَ الظُّهر، ثمَّ يَجلِسُ إلى العصر، فإذا صلَّى العصرَ جَلسَ

---

(١) انظر: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١: ٩٩).

(٢) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٢٠)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٤٣٥)، و«السير» (٦: ٣٩٩).

(٣) انظر: «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه» (٢٢).

(٤) «جيرانه» ليس في (ق).

(٥) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٢٠)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٤٣٤)، و«السير» (٦: ٣٩٩).

(٦) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٢٠).

إلى المغرب، فإذا صلَّى المغربَ جَلسَ إلى أن يُصلِّيَ العِشاءَ الآخرة، فقلتُ في نفسي: هذا الرجُلُ في هذا الشُّغلِ متى يفرغُ للعبادة؛ لأتعاهدنَّهُ الليلة، فتعاهدتُه، فلمّا هدأ الناس خَرجَ إلى المسجد، فانتصَبَ للصلاةِ إلى أن طَلعَ الفجر، ودَخلَ منزلَه ولَبِسَ ثيابَه، وخَرجَ إلى المسجد وصلَّى الغداة، وجَلسَ للناس إلى الظهر، ثمَّ إلى العصر، ثمَّ إلى المغرب، ثمَّ إلى العشاء، فقلتُ في نفسي: إنّ الرجلَ قد يَنشَطُ[١] الليلة، لأتعاهَدنَّهُ الليلة، فتعاهَدتُه، فلمّا هدأ الناس خَرجَ فانتصَبَ للصلاة، ففعَلَ كفِعله في الليلة الأولى، فلمّا أصبَحَ خَرجَ إلى الصلاة، وفَعلَ كفِعلِه في يومه، حتَّى إذا صلَّى العشاءَ قُلتُ في نفسي: إنّ الرجُلَ لَيَنشطُ الليلةَ والليلتَين، لأتعاهَدنَّه الليلة، ففعلَ كفِعلِه في ليلته، فلمّا أصبَحَ جَلسَ كذلك.

فقلتُ في نفسي: لألزمنَّه إلى أن يموتَ أو أموت، فلازَمتُه في مسجده.

قال ابنُ أبي معاذ: فبَلغَني أنّ مِسعَرًا ماتَ في مسجدِ أبي حنيفةَ في سجوده»[٢].

قال زائد: «صلَّيتُ مع أبي حنيفةَ في مسجدِه عِشاءَ الآخرة، وخَرجَ الناسُ[٣] ولم يَعلَم[٤] أنّي في المسجد، وأردتُ أن أسألَه عن مسألةٍ لا يَراني أحد، قال: فقامَ يقرأُ وقد افتتحَ الصلاة، حتَّى إذا بَلغَ إلى هذه الآية[٥]: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، فأقَمتُ في المسجدِ أنتَظِرُ فراغَه، فلم يَزَل يُردِّدها حتَّى أذَّنَ المُؤذِّنُ لصلاةِ الفجر، وقامَ ليلةً بهذه الآية: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، يُردِّدُها ويبكي، ويَتضرَّع»[٦].

---

(١) في (د): «نشط». (٢) انظر: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١: ١٠٠).
(٣) في (د): «للناس». (٤) في (د): «يدر».
(٥) قوله: «إلى هذه الآية» ليس في (د).
(٦) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٢١).

قال مكّيّ: «جالَستُ الكوفيِّين، فما رأيتُ أورَعَ من أبي حنيفة»[١]. [١٢٣/أ]

بعثَ إلى رقيقٍ له برُقعة، وأعلَمَهُ فيها[٢] أنّ في ثوبِ كذا وكذا عَيبًا، فإذا بعتَهُ فبَـيِّن، فباعَ ونَسِيَ أن يُبيِّن، ولم يَعلَم ممَّن باعه، فلمّا عَلِمَ أبو حنيفةَ تصدَّقَ بثمن المتاع كلِّه، وكان إذا أنفقَ على عيالِه نفقةً تَصدَّقَ بمِثلِها، وكذا إذا اكتسَى ثَوبًا، وكذا الطعامُ الذي يُوضَعُ بين يدَيه يأخُذُ ضِعفَه ويُعطِيه للفقراء[٣].

قال مُلَيحُ بن وكيع: قال أبي: «كان أبو حنيفةَ الله جليلٌ **عظيمٌ** كبيرٌ في قلبه، وكان يُؤثِرُ رِضَى ربِّه على كلِّ شيءٍ ولو أَخَذَتهُ السيوفُ»[٤].

قال ابنُ المبارك: «ما رأيتُ أحدًا أورَعَ من أبي حنيفة، وقد جُرِّبَ بالسياط والأموال»[٥].

قال ابنُ المُبارَك لسفيانَ الثوريِّ: «يا أبا عبد الله، ما أبعدَ أبا حنيفةَ عن الغِيبة، ما سمِعتُهُ يغتابُ عدُوًّا له قطّ، قال: هو والله أعقَلُ من أن يُسلِّطَ على حسناتِه ما يَذهَبُ بها»[٦].

قال: «دعا أبو جعفرٍ أبا حنيفةَ إلى القضاء، فأبى عليه، فحبَسَه، ثمَّ دعا به يومًا،

---

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٢١)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٤٣٦).

(٢) «فيها» ليس في (د).

(٣) انظر: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١: ١٠٢).

(٤) انظر: «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (٥٠)، و«تاريخ بغداد» (١٥: ٤٩٠)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢١٣)، و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١: ١٠٣).

(٥) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٢١)، و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١: ١٠٣).

(٦) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٢٢)، و«وفيات الأعيان» (٥: ٤١١)، و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (١: ١١٠).

فقال: أترغَبُ عمّا نحن فيه؟ فقال: أصلَحَ الله أميرَ المؤمنين، لا أصلُحُ للقضاء، فقال له: كذَبت، ثمَّ عرضَ عليه الثالثة، فقال أبو حنيفة: قد حَكمَ عليَّ أميرُ المؤمنين بأنّي لا أصلحُ للقضاء؛ لأنّه نَسبَني إلى الكذب، فإن كنتُ كاذبًا فلا أصلُح، وإن كنتُ صادقًا فقد أخبَرتُ أمير المؤمنين أنّي لا أصلحُ للقضاء، فردَّهُ إلى الحَبس»[١].

وفي رواية: قال أبو حنيفة: «اتَّقِ الله تعالى، ولا تَدَع في أمانتك إلّا مَن يخافُ الله عزَّ وجلّ، والله ما أنا مأمونُ الرِّضا، فكيف أكونُ مأمونَ الغضب، ولو هدَّدتَني أن تُغرِقَني في الفراتِ أو أن ألِيَ الحُكمَ لاخترتُ أن أغرقَ»[٢].

قال عبدُ الله الرَّقيّ: «كلَّم ابنُ هبيرةَ أبا حنيفةَ أن يَلِيَ لهُ[٣] قضاءَ الكوفة، فأبَى عليه[٤]، فضربَه مئةَ سوطٍ وعشرةَ أسواطٍ، في كلِّ يومٍ عشرةُ أسواط، وهو على الامتناع، فلمّا رأى ذلك خَلَّى سبيلَه، وكان ابنُ أبي هُبَيرةَ عاملَ مروانَ على العراقِ في زمانِ بني أُميّة»[٥].

تُوفِّيَ أبو حَنِيفةَ في رَجَبٍ سَنةَ خَمسِينَ ومِئة وعمرُه سَبعُونَ سنةً[٦].

---

(١) انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠٢٣٧)، و«تاريخ بغداد وذيوله» (١٣: ٣٢٩)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٨).

(٢) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٨)، و«الوافي بالوفيات» (٢٧: ٩٠)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (١: ٢٤٣).

(٣) «له» ليس في (د).

(٤) «عليه» ليس في (د).

(٥) انظر: «المنتظم» (٨: ١٤٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٤٣٨).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٦٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٦)، و«الوافي بالوفيات» (٢٧: ٨٩).

رأى أنسَ بن مالكٍ[١] من أصحابِ رسول الله ﷺ، وسَمِعَ عطاءَ بن أبي رباح، والسَّبيعيّ، وحمّادَ بن أبي سُلَيمان، ومحمَّدَ بن المُنكَدِر، ونافعًا مولى ابنِ عُمر، وهشامَ بن عروة، وعلقمةَ بن مَرثَدٍ، وغيرَهم[٢].

* * *

[سفيان بن سعيد الثوري]

[٢١٢] **ومنهم**: سفيانُ بن سعيدٍ الثوريُّ[٣]، يُكنَّى: أبا عبد الله، وهو كوفيّ، رضي الله عنه[٤].

قال/ عليُّ بن ثابت: «رأيتُ سفيانَ الثوريَّ في طريقِ مكّة، فقوَّمتُ كلَّ شيءٍ عليه حتَّى نعلَيه، فإذا هو يَعدِلُ درهمًا وأربعةَ دوانِقَ»[٥]. [١٢٣/ب]

---

(١) ذكر الإمام السيوطي في «تبييض الصحيفة» (٦٣-٦٤): أن الحافظ ابن حجر وقع له سؤال يقول فيه السائل: «هل روى أبو حنيفة عن أحد من الصحابة، وهل يُعدُّ من التابعين؟ فأجاب رحمه الله بقوله: أدرك أبو حنيفة جماعةً من الصحابة؛ لأنه وُلِد بالكوفة سنة ثمانين ـ وهذا أصح ما قيل في مولده ـ من الهجرة، وبها يومئذ عبد الله بن أبي أوفى، فإنه مات بعد ذلك، وبالبصرة أنس، وقد أورد ابن سعد بسند لا بأس به أن أبا حنيفة رأى أنسًا، وكان غيرُ هذَين من الصحابة بعِدّةٍ من البلاد أحياء.

وقد جمعَ بعضُهم جزءًا فيما ورد من روايةِ أبي حنيفة عن الصحابة، ولكن لا يخلو إسناده من ضعف، والمعتمدُ على إدراكه ما تقدَّم، وعلى رؤيته لبعض الصحابة ما أورده ابن سعد في «الطبقات»، فهو بهذا الاعتبارِ من طبقة التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له: كالأوزاعي بالشام، والحمادَين بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومسلم بن خالد الزنجي بمكة، والليث بن سعد بمصر». وانظر: «الطبقات السنية» (١: ٩٦).

(٢) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢١٦)، و«الوافي بالوفيات» (٢٧: ٨٩).

(٣) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٦: ٣٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٥)، و«السير» (٧: ٢٢٩).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٣٥٦)، و«السير» (٧: ٢٣٠).

(٥) في (د): «دوانيق». وانظر: «حلية الأولياء» (٦: ٣٧٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٥).

وقال عليُّ بن ثابت ليحيى بن أيّوب: «لو لَقِيتَ سفيانَ في طريقٍ ومَعكَ فِلسانِ تريد أن تتصدَّقَ بهما وأنت لا تعرف سفيانَ لظننتَ أنّك ستضعُهما في يدِه، وما رأيتُ سفيانَ في صدر مجلسٍ قطّ، وإنّما[1] كان يَقعُدُ إلى جانبِ الحائط، ويَجمَعُ بين رُكبَتَيه، وقال: لو لم أعلم لكان أقلَّ لحُزني»[2].

قال عليُّ بن غنام: قال أبي: سمعتُ سفيانَ يقول: «لقد خِفتُ الله تعالى خوفًا، عجبًا لي كيف لا أموت، ولكن لي أجَل، ولقد خِفتُ الله عزَّ وجلَّ خوفًا ودِدتُ لو خفَّفَ عنِّي منه لما أخافُ أن يُذهِبَ عَقلي، وإنِّي لأضَعُ يَديَّ على رأسي من الليل إذا سَمِعتُ صيحةً أقول: قد جاءَ العذاب»[3].

قال عَبثَر[4]: «قامَ سُفيانُ يصلِّي قبل الزَّوال، فمرَّ بهذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٨، ٩]، فخرجَ مادًّا، فما لَحِقُوهُ إلّا في الحمراء، فرَدُّوه»[5].

قال عمرٌو العتابيّ: قال سفيان: «ما من موطنٍ من المَواطن[6] أشد عليَّ من سكرةِ الموت، أخافُ أن يُشدَّدَ عليَّ فأسألَ التخفيفَ فلا أُجابَ فأُفتَتن»[7].

---

(١) في (ق): «إنما».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٢٣٢)، و«السير» (٧: ٢٧٦).

(٤) هو: أبو زبيد عبثر بن القاسم الزبيدي، الكوفي، مات سنة ثمان وسبعين ومئة في خلافة هارون. انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٨٢)، و«التاريخ الكبير» (٧: ٩٤)، و«الجرح والتعديل» (٧: ٤٣)، و«المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٣: ١٦٤١)، و«تاريخ بغداد» (١٤: ٢٥٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٥).

(٦) قوله: «من المواطن» ليس في (د).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٥).

قال يوسفُ[١] بن أسباط: قال لي سفيانُ وقد صلَّينا العشاءَ الآخرة: «ناولني المِطهَرة، فناولته، فأخذها بيمينه، ووضع يسارَه على خدِّه، ونمتُ فاستيقظتُ وقد طَلعَ الفجر، فنَظَرتُ فإذا المِطهَرةُ بيمينه ويسارُه على خدِّه، فقلت: يا أبا عبد الله، هذا الفجرُ قد طلع، فقال: لم أزَل منذ ناوَلتَني المِطهَرةَ أتفكَّرُ في أمر الآخرة حتَّى هذه الساعة»[٢].

وكان إذا أخذَ في الفكر بالَ الدمَ[٣].

قال عبدُ الرحمنِ بنُ مهديّ: «ما عاشرتُ في النّاسِ رجلًا أرَقَّ مِن سُفيان، كنتُ أرمُقُه الليلةَ بعد الليلة، فما كان ينامُ إلّا أوَّلَ الليل، ثمَّ ينتَفِضُ فزِعًا[٤] مَرعُوبًا يُنادي: النار، النار، شَغلَني ذِكرُ النار عن النوم والشهوات، ثمَّ يتوضَّأ ويقولُ على إثر وُضوئه: اللهُمَّ إنّك عالمٌ بحاجَتي، وما أطلبُ إلّا فكاكَ رقبَتي من النّار، اللهُمَّ[٥] إنّ الجَزعَ قد أرَّقَني، وذلك من نِعمتكَ السابغة عليّ، إلهي، لو كان لي عذرٌ في التخلِّي ما[٦] أقمتُ مع الناس طرفةَ عين، ثمَّ يُقبلُ على صلاته، وكان البكاءُ يَمنعه من القراءة، حتَّى إنّي[٧] كنتُ لا أستطيعُ سَماعَ قراءتِه من كثرةِ بُكائه، وما كنتُ أقدِرُ أنظُرُ إليه؛ استحياءً وهيبةً منه»[٨].

قال محمَّدُ بن / يوسف: «قلت لسفيان: أرى الناسَ يقولون: سفيانُ الثوريّ، وأنت تنامُ الليلَ؟ فقال لي: اسكُت، مَلاكُ هذا الأمر التقوى»[٩]. [١٢٤/أ]

---

(١) في (د): «أبو يوسف».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٦)، و«تهذيب الكمال» (١١: ١٦٧).

(٣) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١: ٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٦).

(٤) في (ق): «فرعا».

(٥) في (د): «إلهي».

(٦) في (د): «فما».

(٧) في (ق): «إن».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٦).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٥).

قال صالحُ الكوفيّ: سمعتُ سفيانَ الثوريَّ يقول: «إنّ فُجّارَ القرّاءِ اتَّخذوا إلى الدنيا سلَّمًا، فقالوا: ندخلُ على الأمراء نُفَرِّج عن المَكروبِ ونتكلَّمُ في مَحبوسٍ»(١).

وقال: «إني أخافُ أن أُسلَبَ الإيمانَ قبل أن أموت»(٢).

قال عليٌّ ابنُ أختِ سفيان: «ذهَبتُ ببول سفيانَ إلى الدَّيرانِيِّ(٣)، وكان لا يخرُجُ من باب الدَّير، فأرَيتُه، فقال: ليس(٤) هذا بَولُ حنيفيّ، قلت: بلى والله، وهو من أفضَلِهم، قال: فأنا أجيءُ معك، فقُلت(٥) لسفيان: قد جاءَ بنفسِه، فقال: أدخِله، فأدخَلتُه(٦)، فمَسَّ بطنَه، وجَسَّ عِرقَه، ثمَّ خرج، فقلت: أيَّ شيءٍ رأيت؟ فقال: ما ظننتُ أنّ في الحنيفيّةِ مِثلَه، هذا رجلٌ قد قَطَّعَ الحزنُ كَبِدَه»(٧).

قال عبدُ الرحمن بن مَهديّ: «ليلةَ ماتَ سفيانُ توضَّأ تلك الليلة ستينَ مَرّة، فلمّا كان وجهُ السحَر قال لي: يا ابنَ(٨) مهديّ، ضَع خدِّي بالأرضِ؛ فإنِّي ميِّت، يا ابن مهديّ، ما أشدَّ الموت! ما أشدَّ كربَ الموت! قال: فخرجتُ لأُعلِمَ حمّادَ بن سلمةَ وأصحابَه، فإذا هم قد استقبَلوني، فقالوا: آجَركَ الله في سفيان، فقلت: من أين عَلِمتُم ذلك؟ قالوا: إنّه ما مِنّا أحدٌ إلّا أُتِي البارحةَ في منامِه، فقيل له: ألا إنّ سفيانَ الثوريَّ مات»(٩)، رحمةُ الله تعالى عليه.

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ١٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٦).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ١٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٧).

(٣) في (ق) و(د): «الديناريّ».

(٤) في (د): «أليس».

(٥) في (د): «قلت».

(٦) «فأدخلته» مثبت من المصادر.

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٦).

(٨) في (د): «يا أبا».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٧).

أدركَ سفيانُ جماعةً من التابعين، وروى عن الأعمش، ومنصور، ومحمَّدِ بن المنكدر في خَلقٍ لا يُحصَون، ومَسانيدُهُ أكثرُ من أن تُعَدَّ(١).

وكان مَولِدُه في سنة سبعٍ وتسعين في خلافةِ سُلَيمانَ بن عبد الملك، وتُوفِّي في سنة إحدى وستِّين ومئة(٢)، رحمة الله تعالى عليه.

قالت له أُمُّه: «اطلُب العلم، وأنا أكفيكَ بمِغزَلي، ويا بُنيّ، إذا كتبتَ عشرةَ أحرُفٍ انظُر، هل ترى في نفسِك زيادةً في مَشيِكَ وحِلمِكَ ووقارِك، فإن لم ترَ ذلك فاعلم أنّه يَضرُّكَ ولا ينفعك»(٣).

* * *

[علي والحسن ابنا صالح]

[٢١٣] ومنهم: عليٌّ والحسنُ ابنا صالحٍ(٤)، كُوفِيان، وُلِدا توأمًا في بطن، وتقدَّم عليٌّ بساعة، فكان الحسنُ يُعظِّمُه(٥).

قال وكيع: «كان عليٌّ والحسنُ وأُمُّهما(٦) قد جزَّؤوا الليلَ ثلاثةَ أجزاء، فكان عليٌّ يقومُ الثلث، ثمَّ ينامُ ويقومُ الحسنُ الثلثَ، ثمَّ ينام، وتقومُ أُمُّهما الثلث، فماتت أُمُّهما فجَزَّأا الليلَ بينهما، ثمَّ ماتَ عليّ، فقامَ به الحسنُ كلّه»(٧).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٧)، و«السير» (٧: ٢٣٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٧)، و«السير» (٧: ٢٣٠).

(٣) انظر: «تاريخ جرجان» (٤٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٠).

(٤) انظر ترجمتهما في: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٧)، و«المنتظم» (٨: ١٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٨).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٧)، و«المنتظم» (٨: ١٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٨).

(٦) في (ق): «وأمهم».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٨).

[١٢٤/ب] وكان يُختَمُ القرآنُ في بيتهم كلَّ ليلةٍ[١]؛ أمُّهما[٢] ثلث، وعليٌّ ثلث، والحسن ثلث، فماتت أمُّهما، فكانا يَختِمانه، ثم مات عليّ، فكان الحسن يختم كل ليلة[٣].

وكان يُقال للحسن: حيّةُ الوادي، يعني: أنّه لا ينام الليل[٤].

وكان يقول: «إنِّي لأستحي من الله تعالى أن أنامَ تكلُّفًا حتَّى يكونَ النومُ هو الذي يَصرَعني، فإذا أنا نِمتُ ثمَّ استيقَظتُ ثمَّ عُدتُ نائمًا فلا أرقَدَ الله عزَّ وجلَّ عيني»[٥].

وكان لا يَقبلُ من أحدٍ شيئًا، فيَجِيءُ إليه صبِيُّهُ وهو في المسجد فيقول: أنا جائع، فيُعَلِّلهُ بشيءٍ حتَّى تذهبَ الخادمُ إلى السوق، فتبيعُ ما غَزلَت هي ومولاتُها من الليل، ثمَّ تشتري قطنًا وشيئًا من الشعير، فتجيءُ به فتطحنُه، ثمَّ تعجنهُ، فتخبز ما يأكلُ الصبيانُ والخادمُ، وتَرفَعُ له ولأهله ما يُفطِران عليه، فلم يَزَل على ذلك حتَّى مات، رحمةُ الله تعالى عليه[٦].

قال ابنُ أبي الحواريِّ: سمعتُ أبا سليمانَ الدارانيَّ يقول: «ما رأيتُ أحدًا أخذَ الخوفَ على وجهه والخشوعَ من الحَسَن، قامَ ليلةً إلى الصباح بـ: «عَمَّ يتساءلون»، بآيةٍ فيها، ثمَّ غُشِي عليه، ثمَّ عادَ إليها فغُشِي عليه، فلم يَختِمها حتَّى طَلعَ الفجر»[٧].

---

(١) قوله: «ليلة» ليست في (ق). (٢) في (ق): «أمهم».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٨)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٥٣).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٨).
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٨).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٨).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٩).

وشَهِدَ ذاتَ يومٍ جنازةً، فلما قُرِّبَ الميتُ ليُدفَنَ نَظرَ إلى اللحد، فارفَضَّ عرقًا، ثمَّ مال فغُشِيَ عليه فحُمِلَ على السرير الذي كان عليه الميِّت، فرُدَّ إلى منزله[١].

واشتهى سمكًا فأُتِيَ به، فضربَ بيده إلى سُرّة السمكة، فاضطرَبَت يدُه، فأمرَ به فرُفِعَ ولم يأكُل منه شيئًا، فقيل له في ذلك، فقال: إنِّي ذكرتُ لمّا ضرَبتُ بيدي إلى بطنِها[٢] أنّ أوَّلَ ما يُنتِنُ من الإنسان بطنُه، فلم أقدِر أن أذوقَه[٣].

أسنَدَ عليٌّ والحسنُ عن جماعةٍ من التابعين، وحديثُ الحسن أكثرُ[٤].

قال أبو نُعَيم: «مات عليٌّ سنة أربعٍ وخمسين، ومات أخوه الحسنُ بعده بثلاث عشرةَ سنةً» وقيل غير ذلك[٥].

* * *

[حمزة الزيات]

[٢١٤] ومنهم: حمزةُ الزَّياتُ[٦]، يُكنَّى: أبا عُمارة[٧].

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٩). (٢) قوله: «إلى بطنها» ليس في (ق).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٨٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٠)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٤٦٤).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٠).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٨٥)، و«الثقات» لابن حبان (٦: ٢٢٨)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ١٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٠).

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٨٥)، و«الثقات» لابن حبان (٦: ٢٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٠).

كان يَجلِبُ الزيتَ من الكوفة إلى حلوان[١]، وكان صاحبَ قرآنٍ وسُنّة وفرائضَ[٢]، وكان الأعمشُ إذا رأى حمزةَ قال: هذا حَبرُ القرآن[٣].

قال عبدُ الرحمن بن عمر: «مرَّ بنا حمزةُ الزيّات، فاستسقى، فأتيتُه بماء، فقال: أنت ممَّن يحضُرنا في القراءة؟ قلت: نعم، فقال: لا حاجةَ لنا في مائكَ»[٤].

أسنَدَ الزيّاتُ عن الأعمشِ وغيرِه، وسَمِعَ منه وكيعٌ[٥]، وتوفِّي بحُلوانَ سنة ستٍّ وخمسين ومئة[٦].

* * *

[محمد بن النضر]

[٢١٥] ومنهم: محمَّدُ بن النضر[٧]، يُكنَّى: أبا عبد الرحمن[٨].

---

(١) تقع حاليًّا في أقصى شرق دولة العراق، شمال محافظة خناقين، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد، فُتحت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام (١٩هـ). انظر: «معجم البلدان» للحموي (٢: ٢٩٠)، و«أطلس الخليفة عمر بن خطاب رضي الله عنه» للمغلوث (٩١).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٨٥)، و«الثقات» لابن حبان (٦: ٢٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٠)، و«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٢: ٢٨).

(٤) انظر: «المنتظم» (٨: ١٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٠)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٦٨).

(٥) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٣: ٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩١)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٣٨٦).

(٧) انظر ترجمته في: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٢)، و«السير» (٨: ١٧٥).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٢)، و«السير» (٨: ١٧٥).

قال عَبثَر: «اختفى عندي محمَّدُ بن النضر في عِلِّيَّةٍ أربعينَ ليلةً، فما رأيتُه نائمًا ليلًا أو نهارًا»[١]./ [١٢٥/أ]

قال أبو أسامة: «قلت لمحمَّدِ بن النضر: كأنَّكَ تكرهُ أن تُزارَ؟ فقال: أجَل، قلت: أما تَستَوحش؟ قال: كيف أستوحشُ وهو يقول: أنا جَلِيسُ مَن ذَكرني»[٢].

قال خالدُ بن يزيد: سمعتُ محمَّدَ بن النضر يقول: «أشغَلَ[٣] الموتُ قلوبَ المُتَّقينَ عن الدنيا، فواللهِ ما رَجعُوا منها إلى سُرورٍ بعد مَعرِفَتِهم بكُرَبِه وغُصَصِه»[٤].

قال ابنُ المبارك: «كان محمَّدُ بن النضر إذا ذُكِرَ الموتُ اضطربَت مَفاصِلُه، حتَّى تتبيَّن الرِّعدةُ فيها»[٥].

قال رجلٌ من نَسلِ الزبير بن العوّام: «صَحِبتُ محمَّدَ بن النضر من عبادانَ إلى الكوفة، فما سمعتُهُ يتكلَّم حتَّى افترقنا، وكان يقول: الجوعُ يبعثُ على البِرِّ كما تبعثُ البِطنة على الأشَرِ»[٦]، رحمة الله تعالى عليه.

* * *

---

(١) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٣٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٢)، و«تاريخ الإسلام» (١١: ٣٥٤).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢٢٤)، و«المجالسة وجواهر العلم» (٦: ٥٢) (٢٣٦٢)، وانظر: «شعب الإيمان» (٦٩٧)، و«حلية الأولياء» (٨: ٢١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٢).

(٣) في (ق): «شغل».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٢).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٢)، و«السير» (٨: ١٧٦).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٢).

[أبو بكر بن عياش]

[٢١٦] **ومنهم**: أبو بكر بن عيّاشٍ[١].

وهو كوفيّ، مولًى، واختُلِفَ في اسمه، فقيل: شعبةُ[٢]، وقيل: محمَّد، وقيل: مُطرِّف، **والصحيح**: أنّه لا يُعرَفُ إلّا بكُنيَته[٣].

قال إبراهيمُ الخيّاطُ[٤]: قال أبو بكر بن عيّاش: «قال لي رجلٌ مرّة وأنا شابٌّ: خَلِّص رقبتَكَ ما استطعتَ في الدنيا من رِقِّ الآخرة؛ فإنّ أسيرَ الآخرة غيرُ مفكوكٍ أبدًا، فما نسيتُها أبدًا»[٥].

قال يَعلَى بن عُبَيد: «مكثَ أبو بكر بن عيّاشٍ عشرين سنةً قد نزلَ الماءُ في إحدى عينَيه ما عَلِمَ به أهلُه»[٦].

قال مُحَمَّد بن الحجاج بن جَعفَر بن إياس بن نُذَير الضبي[٧]: كان أبو بكرِ بن

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٥)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ١٢٩-١٣٠)، و«السير» (٨: ٤٩٥).

(٢) انظر: «الكنى والأسماء» للإمام مسلم (١: ١٢٦)، و«المعارف» (١: ٥٩٩)، و«الجرح والتعديل» (٩: ٣٤٨).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٥)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ١٢٩-١٣٠)، و«السير» (٨: ٤٩٥).

(٤) في (د): «الحناط».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٥)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢١٧)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٣٥٤).

(٦) انظر: «المنتظم» (٩: ٢٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٥).

(٧) كذا في المصادر، وفي (ق) و(د): «رياش الضبي».

عيّاشٍ يقومُ الليلَ على عُكّازة يَضَعُها في صدره يتَّكئُ عليها حين كَبِر، فيُحيِي ليلتَه»[١].

قال إدريس: سمِعتُ ابنَ عيّاشٍ يقول: «صُمتُ ثمانينَ رمضان»[٢].

وكان يقول: «لي غرفةٌ عَجزتُ عن الصعود إليها، وما يَمنَعني من النزول منها إلّا أنّي أختمُ فيها القرآنَ كلَّ ليلةٍ ويومٍ منذُ ستِّين سنةً»[٣].

وكان يقول: «مَن لم يطلُبِ العلمَ لم يُرزَق عقلًا»[٤].

قال يزيدُ بن هارون: «كان أبو بكرٍ حَبرًا فاضِلًا، لم يَضَع جنبَه إلى الأرض أربعِينَ سنةً»[٥].

وقال أبو عيسى النخعِيّ: «لم يُفرَش لأبي بكرٍ فراشٌ خمسينَ سنةً»[٦].

قال الهيثمُ بن خارجة: «رأيتُ أبا بكرِ بن عيّاشٍ في النوم قُدّامُه طبقُ رُطَب، فقلت له: يا أبا بكر، ألا تدعونا وقد كنتَ سخيًّا على الطعام؟

فقال لي: يا هيثم، هذا طعامُ أهل الجنّة، لا يأكُلُه أهلُ الدنيا، قلت: وبم نِلتَ هذه المنزلة؟ فقال: تسألني عن هذا وقد مضت عليَّ ستٌّ وثمانون سنةً أختِمُ في كلِّ ليلةٍ منها القرآنَ»[٧].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٥).

(٢) في (د): «رمضانا»، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٥).

(٣) انظر: «المنتظم» (٩: ٢٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٥).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٦).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٦)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٤٩٧).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٦)، و«السير» (٨: ٤٩٩).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٦).

[١٢٥/ب] أسنَدَ أبو بكر بنُ عيّاشٍ عن الأعمش ومَن في طبقته[١]، وتُوفِّي/ بالكوفة في جمادى الأولى سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة، وقد جاوزَ التسعين بثلاثِ سنين، وقيل: بستٍّ[٢].

* * *

[عبد الله بن إدريس الأزدي]

[٢١٧] **ومنهم**: عبدُ الله بن إدريسَ الأزديُّ[٣].

قال الإمامُ أحمد: «كان ابنُ إدريسَ نسيجَ[٤] وحدِه، ورأيتُ عليه جُبّة لبود، وقد أتى عليها الدهورُ[٥] والسنون»[٦].

قال الحسنُ بن الربيع: «كنت عندَ ابن إدريس، فلمّا قُمتُ قال لي: سَل عن سعر الأُشنان[٧]، فلمّا مشيتُ رَدَّني، وقال: لا تسأل؛ فإنّك تكتبُ منِّي الحديث، وأنا أكرَه أن أسألَ مَن يسمع منِّي الحديثَ حاجةً»[٨].

قال حمّاد: حدَّثَني شيخ، قال: «سألتُ وكِيعًا عن مَقدَمِه هو وابنُ إدريس وحفص على الرشيد؟ فقال: أوَّلُ مَن دُعِيَ به أنا، فقال هارون: يا وكيع، إنّ أهلَ بلدك طلبوا مني قاضيًا، وقد رأيتُ أن أُشرِكَكَ في أمانتي، فقُلت: يا أمير المؤمنين،

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٦)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ١٣٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٦)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ١٣٥).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٦)، و«السير» (٩: ٤٢).

(٤) في (د): «يسبح».

(٥) في (د): «الدهر».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٦)، و«السير» (٩: ٤٣).

(٧) في (د): «شعر الإنسان»، وهو نوع من الشجر يستعمل في غسل الثياب والأيدي.

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٦).

أنا شيخٌ كبير، وإحدى عينَيَّ ذاهبةٌ والأُخرى ضعيفة، فقال الرشيدُ[١]: اللهُمَّ غفرًا[٢]؛ خُذ عهدَك أيُّها الرجلُ وامض، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، والله[٣] لئن كنتُ صادقًا إنّه لينبغي أن تَقبَلَ منِّي، ولئن كنتُ كاذبًا فما ينبغي أن تولِّي القضاءَ كذّابًا، فقال: اخرُج، فخرجتُ[٤].

ودخلَ ابنُ إدريس، فسَمِعْنا وقعَ رُكبَتَيه على الأرض حين بَرَك، وما سمعناه يُسَلِّم إلّا سلامًا خفيفًا، فقال له الرشيد: أتدري لمَ دعوتُك؟ قال: لا، فقال: إنّ أهلَ بلدك طلبوا منِّي قاضيًا، وإنّهُم سمَّوكَ لي فيمن سَمَّوا، وقد رأيتُ أن أُشرِكَكَ في أمانتي، وأُدخِلَكَ في صالِحِ ما أدخُلُ فيه من أمر هذه الأُمّة، فخُذ عهدَكَ وامض، فقال له ابنُ إدريس: لستُ[٥] أصلُحُ للقضاء، فنكت الرشيد بأصبعه، وقال: ودِدتُ أنّي لم أكُن رأيتُك، فقال له ابن إدريس: وأنا ودِدتُ أنّي[٦] لم أكُن رأيتُك، فخرج.

ثمَّ دخل حفص، فقَبِل عهدَه، فأتى خادمٌ معه ثلاثةُ أكياس، في كلِّ كيسٍ خمسةُ آلاف، فقال لي: إنّ أميرَ المؤمنين يُقرِئكم السلام، ويقول لكم: قد لَزِمَتكُم في شُخُوصِكُم مُؤنة، فاستعينوا في سَفَرِكُم بهذه.

قال وكيع: فقلت له: أقرِئ أميرَ المؤمنين السلام، وقل له: قد وقَعَت منِّي بحيثُ يحبُّ أميرُ المؤمنين، وأنا عنها مُستَغنٍ، وأمّا ابن إدريس فصاحَ به: مُرَّ من هاهنا[٧]، وقَبِلَها حفص.

---

(١) «الرشيد» ليس في (د).
(٢) في (د): «اغفر».
(٣) واو القسم ولفظ الجلالة ليس في (د).
(٤) «فخرجت» ليس في (د).
(٥) في (ق): «ليس».
(٦) في (د): «أن».
(٧) في (ق) و(د): «مر هاهنا»، والتصويب من «تاريخ دمشق» لابن عساكر، و«صفة الصفوة».

[١٢٦/أ] ثمَّ خَرجَت الرقعةُ إلى ابن إدريسَ من بيننا: عافانا الله الكريم وإيّاك، سألناكَ أن تدخُلَ في أعمالنا فلم تَفعَل، ووصلناكَ من أموالنا فلم تَقبَل، فإذا جاءَكَ ابني المأمونُ فحَدِّثه، فقال للرسول: إذا جاءَنا[١] مع الجماعةِ حدَّثناه، فلمّا وصلنا إلى الياسِريّة[٢] التفتَ ابنُ إدريسَ إلى حفص، وقال له: قد علِمتُ أنّك سَتَلِي، والله لا أُكلِّمُكَ حتَّى الموت، فما كلَّمَه حتَّى مات»[٣].

قال سهلُ بن مُحمَّد: قال عبدُ الله بن إدريس: «لو أنَّ رجلًا انقطعَ إلى رجلٍ لَعرفَ ذلك له، فكيفَ بمَن له السماواتُ والأرض»[٤].

سَمِعَ ابنُ إدريسَ من الأعمش وخلقٍ كثيرٍ[٥]، وجَمعَ بين العلم والزهد، ومولِدُه سنة خمسَ عشرةَ ومئة[٦]، وتوفِّي في[٧] سنة اثنتين وتسعين ومئة[٨].

* * *

---

(١) في (د): «جاء».

(٢) الياسِريّة: منسوبة إلى ياسر؛ اسم رجل: قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى، بينها وبين بغداد ميلان، وعليها قنطرة مليحة فيها بساتين. انظر: «معجم البلدان» (٥: ٤٢٥)، و«مراصد الاطلاع» (٣: ١٤٧١).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٨)، و«السير» (٩: ٤٢).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٨٩)، وفي «السير» (٩: ٤٢): «سنة عشرين ومئة».

(٧) «في» ليس في (د).

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٨).

[وكيع بن الجراح]

[٢١٨] **ومنهم**: وكيعُ بن الجرّاح[١]، يُكنَّى: أبا سفيان[٢].

قال إبراهيمُ الحربيّ: «سَمِعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يذكُرُ وكيعًا يومًا، فقال: ما رأت عيناي مثلَه قطّ، يحفظُ الحديثَ جيِّدًا، ويُذاكِرُ بالفقه فيُحسِن، مع ورعٍ واجتهاد، ولا يتكلَّم في أحد، مع حِلمٍ وخشوعٍ»[٣].

قال يحيى بن أكْثَم: «صَحِبتُ وكيعًا[٤] في السفرِ والحضر، فكانَ يصومُ الدهرَ، ويختمُ القرآنَ كلَّ ليلةٍ»[٥].

قال إبراهيمُ بن وكيع: «كان[٦] أبي يُصلِّي الليلَ، فلا يبقى أحدٌ في دارنا حتَّى يُصلِّي، حتَّى جاريةٌ لنا سوداءُ»[٧].

قال الحسينُ بن زيد: «صاحبتُ وكيعًا إلى مكّة، فما رأيتُه متَّكئًا ولا نائمًا في مَحمَله، وأغلظَ رجلٌ له، فدخلَ وكيعٌ[٨] بيتًا، وعفَّر وجهَهُ في التراب، ثمَّ

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٩٨)، و«تهذيب الكمال» (٣٠: ٤٦٢)، و«السير» (٩: ١٤٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٨)، و«تهذيب الكمال» (٣٠: ٤٦٢)، و«السير» (٩: ١٤٠).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٧٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٨)، و«السير» (٩: ١٥٥).

(٤) في (د): «ابن وكيع».

(٥) انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٣٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (١٢: ٢٢٨).

(٦) في (د): «وكان».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٧٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٩)، و«تهذيب الكمال» (٣٠: ٤٨١).

(٨) «وكيع» ليس في (د).

خرجَ إلى الرجل وقال: زِد وكيعًا بذَنبِه، فلولاهُ ما سُلِّطتَ[١] عليه»[٢].

أسنَدَ وكيعٌ عن الأئمّةِ الأعلام، كهِشام، وعروة، وابنِ عون، والأوزاعيّ، وشُعبة، وسفيانَ[٣].

وحدَّثَ وكيعٌ وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً[٤]، وجلسَ بعد موت الثوريِّ في مكانه، وصَنَّفَ التصانيفَ الكثيرة، وكان مولِدُه في سنة تسعٍ وعشرين ـ وقيل: ثمانٍ وعشرين ـ ومئة، وتوفِّي وهو ابنُ ستٍّ وستِّين سنةً[٥].

* * *

[حسين بن علي الجعفي]

[٢١٩] **ومنهم**: حسينُ بن عليٍّ الجعفيُّ[٦]، يُكنَّى: أبا عبد الله[٧].

كان من العلماء العُبّاد، وكان سفيانُ الثوريُّ إذا رآه[٨] عانَقَه، وقال: «هذا راهبٌ[٩] جعفيٌّ»، وكان يعظِّمه[١٠].

---

(١) في (د): «سلط».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٨١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٤٤٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٩)، و«تهذيب الكمال» (٣٠: ٤٦٣).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٩)، و«تهذيب الكمال» (٣٠: ٤٧٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٩)، و«تهذيب الكمال» (٣٠: ٤٨٣).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠٠)، و«تهذيب الكمال» (٦: ٤٤٩).

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠٠)، و«تهذيب الكمال» (٦: ٤٤٩).

(٨) في (د): «زاره».

(٩) في (ق) و(د): «راغب».

(١٠) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠٠).

قال الإمامُ أحمد: «ما رأيتُ بالكوفة أفضلَ من حسين، كان يُشَبَّهُ بالراهب»[١].

ولمّا قَدِمَ مكّة تلقّاه الفُضَيلُ وسفيان، فقبّلا يدَه أو رِجلَه، وكذلك الرشيدُ[٢].

سَمِعَ حسينٌ من القاسم بن الوليد، وزائدةَ/ ، وغيرهما[٣]. [١٢٦/ب]

وتوفِّي في ذي القعدة سنة ثلاثٍ ومئتين[٤].

* * *

[محمد بن صبيح السماك]

[٢٢٠] **ومنهم:** محمَّدُ بن صبيح بن السمّاك[٥]، يُكنَّى: أبا العباس[٦].

كان يقول: «يا ابنَ آدم، إنّما تَغدُو في كسب الأرباح، فاجعَل نفسَك فيما تكسب؛ فإنّك لن تكسب مثلَها»[٧].

قال للرشيد: «إنّ لك بين يدي الله عزَّ وجلَّ مقامًا، وإنّ لك من مقامكَ مُنصرَفًا، فانظر أين مُنصَرفُك؛ إلى الجنّةِ أم إلى النّار، فبكى هارونُ حتَّى كادَ أن يموت»[٨].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٠). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٠)، و«تهذيب الكمال» (٦: ٤٥٠).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠٠).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ١٠١)، و«السير» (٨: ٣٢٨).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠١)، و«السير» (٨: ٣٢٨).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠١)، و«ميزان الاعتدال» (٣: ٥٨٤).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٣: ٢٩٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠١)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٣٦٨).

وكان ابنُ السمّاك يقول: «من أذاقَتهُ الدنيا حلاوتَها؛ لمَيلِه إليها جرَّعَته الآخرةُ مرارتَها؛ لتجافِيه عنها»[١].

قال عبدُ الله بن صالح: «كتبَ ابنُ السمّاك إلى أخٍ له: أُوصِيكَ بتقوى الله عزَّ وجلَّ الذي هوَ[٢] نَجِيُّك في سريرتك، ورقيبُكَ في علانيتك، وخَفْهُ بقدرِ قُربِه منك، وقُدرَتِه عليك، واعلم أنّك بعَينِه ليس تَخرُجُ من سلطانه إلى سلطانِ غيرِه، فليَعظُم منه حَذَرُك، وليَكثُر منه وجَلُك.

واعلم أنّ الذنبَ من العالِمِ أعظمُ مِنهُ مِن الجاهِلِ، وقد أصبَحنا أدلّاءَ بزَعمِنا، والدليلُ لا ينامُ في البحر.

وكان عيسى عليه الصلاةُ والسلامُ يقول: حَتَّى مَتَى تَصِفُونَ الطَّرِيقَ للدّالِجِين[٣] وأنتُم مُقِيمُونَ فِي مَحِلَّةِ المُتَحَيِّرين، تُصَفُّونَ البَعُوضَ مِن شَرابِكُم، وتسترطون[٤] الجِمالَ بأحمالِها[٥]؛ أي أخي، كم من[٦] مُذَكِّر[٧] بالله ناسٍ لله، وكم مِن مُخوِّفٍ بالله جريءٌ على الله، وكم مِن داعٍ إلى الله فارٌّ من الله، وكم مِن تالٍ لكتاب الله مُنسَلِخٌ من آيات الله عزَّ وجلّ، والسلام»[٨].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٢)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٢: ٣٧٦).

(٢) «هو» ليس في (ق).

(٣) في «حلية الأولياء»: «للذاكرين».

(٤) في (ق): «وتسرطون». وتسترطون: أي: تلتهمون، سرطهُ، كنصر، وفرح ـ الأخيرَةُ هي الفصحى المشهورةُ، والأُولى نقلها الصّاغاني، وأَنْكَرَها غيرُه ـ سَرَطًا، وسَرَطانًا؛ محرّكَتَيْن، أَي: بَلعَه، وقِيل: ابْتَلَعَهُ من غيرِ مَضْغٍ. انظر: «تاج العروس» (١٩: ٣٤١).

(٥) في (ق): «بأجمالها».

(٦) كأنها في (ق): «ممن».

(٧) في (ق): «يذكر».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠١).

قال جعفر الربعيّ: «لمّا حَضرَتِ ابنَ السمّاكِ الوفاةُ قال: اللهُمَّ إنِّي وإن كنت أعصيكَ لقد كُنتُ أُحِبُّ فيك من يُطِيعُكَ»[١].

أسنَدَ ابنُ السمّاك عن عِدّةٍ من التابعين، منهم: الأعمش، وهشامُ بن عروة، وغيرُهما، وروى عنه جماعة، منهم: الإمامُ أحمد[٢]، وهو كوفِيّ، لكنَّه قَدِمَ بغداد، فمَكثَ بها مُدّة، ثمَّ عادَ إلى الكوفة، فتُوفِّي بها سنةَ ثلاثٍ وثمانين ومئة[٣].

* * *

[أبو داود الحفري]

[٢٢١] **ومنهم**: أبو داودَ الحفريُّ[٤]، واسمُه: عمرُ[٥]، قال البخاريّ: «وحَفر مَوضِعٌ»[٦].

قال الإمامُ أحمد: «رأيتُ الحفريَّ وعليه جُبّة مُخرَّقةٌ قد خرجَ القطنُ منها، يُصلِّي بين المغرب والعشاء وهو[٧] يَترجَرَجُ من الجوع»[٨].

قال الحسينُ بن عليٍّ الصدائي[٩]: «جئتُ إلى الحفريِّ فدَقَقتُ عليه الباب، فقال: مَن هذا؟ قلت: رجلٌ من أصحاب الحديث، فقال: اصبِر عَلَيّ، فاطلعتُ من

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٢)، و«السير» (٨: ٣٢٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٢)، و«السير» (٨: ٣٣٠).

(٤) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٢: ٢٧٥): «حفر: بالفتح ثم السكون».

(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٤٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٠٣)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ٢٩١)، و«السير» (٩: ٤١٥).

(٦) «التاريخ الكبير» (٦: ١٥٨).

(٧) «وهو» ليس في (د).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٣).

(٩) في (ق): «العداي».

[١٢٧/أ] كُوّة بالباب[١] فإذا هو متَّزِرٌ بمِئزرٍ/ وهو يَغزِلُ صوفًا يتعيَّشُ منه، فأخذَ الصوفَ فوضعَهُ في كُوّةٍ ووضعَ عليه ثوبًا، وأدخَلَني الدارَ إلى مسجدٍ له، فقَعدَ معي، ولم يَكُن في الدار سقفٌ غير سقفٍ رأيتُه على الدهليز، فأملَى عليَّ حتَّى فنِيَ ورَقِي، وقال لي: ألكَ حاجة، أو تكتب شيئًا آخر؟ فما رأيتُ رجلًا يُحَدِّثُ لله عزَّ وجلَّ مثلَه»[٢].

قال عبّاسٌ الدُّورِيّ: «حدَّثَنا الحفريّ، ولو رأيتُ رجُلًا كأنّه اطَّلعَ في النّار فرأى ما فيها لكان هو»[٣].

* * *

[عابد مجهول كوفي]

[**٢٢٢**] **ومنهم**: عابدٌ مجهول، كوفِيٌّ[٤].

قال أبو سعيدٍ البقّال: «رأيتُ رجلًا بالكوفة قد استعدَّ للموت منذُ ثلاثين سنةً، فقال: ما لي على أحدٍ شيء، ولا لأحدٍ عليَّ شيء، وما أُرِيدُ أن أُكلِّمَ أحدًا، ولا يُكلِّمَني أحد، وكان يأوي المقابرَ»[٥].

قال سفيانُ الثوريّ: «سمعتُ[٦] شيخًا في مسجدِ الكوفةِ يقول[٧]: أنا في هذا المسجد منذُ ثلاثين سنةً أنتظِرُ الموتَ أن ينزلَ بي، لو أتاني ما أمَرتُه بشيء، ما لي على أحدٍ شيء، ولا لأحدٍ عليَّ شيءٌ»[٨]، واللهُ أعلمُ.

---

(١) في (د): «الباب».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٣).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٣).
(٤) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٦).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٦).
(٦) في (ق): «رأيت».
(٧) في (ق): «فقال».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٠٦).

[الأحنف بن قيس]

[٢٢٣] ومنهم: الأحنفُ بن قيسٍ[١]، يُكنَّى: أبا بحر، واسمُه: الضحّاك، بصريٌّ[٢].

قال الحسن: «كانوا يتكلَّمونَ عند معاويةَ والأحنفُ ساكت، فقال[٣]: ما لَكَ لا تتكلَّم يا أبا بحرٍ؟ فقال: أخشى الله عزَّ وجلَّ إن كذبتُ، وأخشاكُم إن صَدَقتُ»[٤].

قال الأحنف: «ما ذكرتُ أحدًا بسوءٍ بعد أن يقومَ من عندي»[٥].

كان مولًى له يصحَبُه، قال: فكان عامّةُ صلاته بالليل الدعاء، وكان يجيءُ إلى المصباح[٦] فيَضَعُ أصبعَه فيه فيقول: حَس[٧]، ثمَّ يقول: يا حُنَيف، ما حَمَلَك على ما صنعتَ يوم كذا؟ ما حَمَلك[٨] على ما صَنَعتَ يوم كذا[٩]؟

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٩٣)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ٣٢٢)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١: ٣٦٧)، و«الاستيعاب» (١: ١٤٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٩٣)، و«الاستيعاب» (١: ١٤٤).

(٣) في (ق): «فقالوا».

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ٣٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٧)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٣٥١).

(٥) في (ق) و(د): «من بعدي»، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ٣٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٧)، و«البداية والنهاية» (١٢: ١٧١).

(٦) قوله: «يجيء إلى المصباح» في (د): «يحيي إلى الصباح».

(٧) في (ق) و(د): «خش»، والتصويب من «تاريخ دمشق» لابن عساكر، و«صفة الصفوة».

(٨) في (ق): «ما حمل»، وفي (د): «حمك».

(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٧).

قال مغيرة: «شكى ابنُ أخي الأحنفِ إلى الأحنف وجَعَ ضِرسِه، فقال له الأحنف: لقد ذَهبَت عيني منذُ أربعين سنةً ما ذكرتُها لأحدٍ»(١).

قال قبيصة: «ألا تأتي الأُمراءَ؟ فأخرجَ جَرّة مكسورةً فكبَّها، فإذا فيها كِسَر، ثمَّ قال: مَن كان يُجزئُهُ مثلُ هذا، ما يصنعُ بإتيانهم؟»(٢).

قال خالدُ بن صفوان: «إنّما نالَ الأحنفُ هذه المنزلةَ لأنّه كان لا يَشْرَه، ولا يَحسُد، ولا يمنع حقًّا، وكان مُوفَّقًا للخير، وكان أشدَّ الناس على نفسه سلطانًا»(٣).

* * *

[أبو عثمان النَّهدي]

[٢٢٤] ومنهم: أبو عثمانَ النَّهديُّ(٤)، واسمُه: عبدُ الرحمن، بصريٌّ(٥).

[١٢٧/ب] قال معتمر: قال أبي: «إنِّي لأحسب(٦) أبا عثمان كان لا يُصيبُ ذنبًا؛ كان ليلَه قائمًا ونهارَهُ صائمًا، وإن كان ليُصلِّي حتَّى يُغشَى عليه»(٧).

---

(١) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٨).

(٢) انظر: «المنتظم» (٦: ٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٨).

(٣) في (ق): «سلطان»، وانظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٧).

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٩٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٧٧)، و«السير» (٤: ١٧٥).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٩٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٧٧)، و«السير» (٤: ١٧٥).

(٦) في (ق) و(د): «لأحب»، والتصويب من «تاريخ دمشق» لابن عساكر، و«صفة الصفوة».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٤٧٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٨)، و«تهذيب الكمال» (١٧: ٤٢٨).

أدرَكَ أبو عثمانَ رسولَ الله ﷺ ولم يَلقَه[١]، وأسنَدَ عن عمر، وابنِ مسعود، وأبي هريرة، وغيرهم، رضي الله عنهم.

وكان يسكنُ الكوفة، فلمّا قُتِلَ الحسينُ تَحوَّلَ إلى البصرة، وقال: «لا أسكنُ بلدًا قُتِلَ فيه ابنُ بنت رسول الله ﷺ»[٢]، وتُوفِّي بالبصرةِ في أوَّل ولايةِ الحَجّاجِ العراقَ[٣]، وهو ابنُ ثلاثين ومئة سنة[٤].

* * *

[حُجَيْر بن الربيع العدوي]

[٢٢٥] ومنهم: حُجَيْر بن الرَّبيعِ العَدَوِيُّ[٥]، بصريّ.

روى عن عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه[٦]، وكان حُجَيْرٌ[٧] يُصلِّي حتَّى ما يأتي فِراشَه إلّا زحفًا، وما يعدُّونَهُ من أعبَدِهم[٨].

* * *

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٩٨)، و«الاستيعاب» (٤: ١٧١٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٨).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٩٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٤٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٨).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٨).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٨).

(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٩)، و«تهذيب الكمال» (٥: ٤٧٧).

(٦) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٣: ١٠٧)، و«تهذيب الكمال» (٥: ٤٧٨).

(٧) في (ق): «حجين».

(٨) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٢: ٥٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٩).

[عامر بن عبد الله]

[٢٢٦] ومنهم: عامرُ بن عبدِ الله[١]، يُكنَّى: أبا عمرٍو، بصريٌّ[٢].

قال علقمة: «انتهى الزهدُ إلى ثمانيةٍ من التابعين، منهم: عامِرُ بن عبد الله»[٣].

إن[٤] كان لَيُصلِّي فيتمثَّلُ له إبليسُ في صورة الحيّة، فيدخُلُ من تحت قميصِه حتَّى يخرجَ من تحت جَيبِه، فما يمَسُّه، فقيل له: ألا تُنحِّي الحيّةَ عنك؟ فقال: إنِّي لأستحِي من الله عزَّ وجلَّ أن أخافَ سواه، فقيل له: إنّ الجَنّةَ لتُدرَك بدون ما تَصنع، وإنّ النارَ لتُتَّقَى بدون ما تصنع.

فقال: والله لأجتَهِدنّ، والله لأجتَهِدنّ، ثمَّ والله لأجتهدنَّ؛ فإن نَجَوتُ فبرحمة الله عزَّ وجلّ، وإن دخلتُ النارَ فبَعْدَ جَهدي.

فلمّا احتضرَ بكى، فقيل لهُ[٥]: أتجزَعُ من الموت وتبكي؟ فقال: وما لي لا أبكي؟ ومَن أحقُّ بذلك منِّي، والله ما أبكي جزعًا من الموت، ولا حرصًا على دُنياكُم، ولكنِّي[٦] أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء[٧].

وكان يقول: «إلهي، في الدنيا الهموم والأحزان، وفي الآخرة العذابُ والحساب، فأين الرَّوحُ والفرح؟»[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٢: ٨٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٩)، و«معجم الشيوخ الكبير» للذهبي (١: ٢٠٥).

(٤) «إن» ليس في (د).

(٥) «له» ليس في (ق).

(٦) في (د): «ولكن».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٩).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٩).

قال المُعلَّى بن زياد: «كان عامرٌ قد فرضَ على نفسه كلَّ يومٍ ألفَ ركعة، وكان إذا صلَّى العصرَ جلس، وقد[1] انتفخَت ساقاهُ من طول القيام، فيقول: يا نفس، بهذا أُمِرت، ولهذا خُلِقت، يُوشِكُ أن يذهبَ هذا العناء، ويقول لنفسه: قُومي يا مأوى كلِّ سُوء، فوَعِزّةِ ربِّي، لأزحَفنَّ بكِ زَحفَ البعير، وإن استطعتُ ألّا يمسَّ الأرضَ من[2] زَهمِكِ[3] لأفعلنّ، ثمَّ يتلوَّى كما يتلوَّى الحَبُّ على[4] المِقلَى، ثمَّ يقومُ فيُنادي: اللهُمَّ إنَّ النّار قد مَنعَتني النوم، فاغفِر لي»[5].

قال ابنُ وهبٍ وغيرُه: «كان عامرٌ فرَضَ على نفسه كلَّ يومٍ ألفَ ركعة، فيقوم عند طلوع الشمس، فلا يزالُ قائمًا يُصلِّي إلى العصر، ثمَّ ينصرفُ وقد انتفخَت [١٢٨/أ] ساقاهُ وقدماه، ويقول: يا نفس، إنّما خُلِقتِ للعبادة، يا أمّارة بالسوء، والله لأعملَنَّ بك عملًا لا[6] يأخُذُ الفِراشُ منك نصيبًا.

قال: وهَبطَ واديًا يُقالُ له: وادي السباع، وفي الوادي عابدٌ حبشيٌّ يُقال له: حُمَمة[7]، فانفردَ عامرٌ في ناحية، وحُمَمة في ناحيةٍ يُصلِّيان، لا هذا ينصرفُ إلى هذا، ولا هذا ينصرفُ إلى هذا أربعينَ يومًا وليلةً، فإذا[8] جاءَ وقتُ الفريضةِ صلَّيا، ثمَّ أقبَلا يتطوَّعان، ثمَّ انصرفَ عامرٌ بعد أربعين يومًا إلى حُمَمة.

---

(١) «وقد» ليس في (ق). (٢) «من» مثبت من المصادر.

(٣) في «صفة الصفوة»: «من زهمك». والزهم: الريح المنتنة. وانظر: «الصحاح» (٥: ١٩٤٦)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢: ٣٢٣).

(٤) في (د): «في».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٦: ١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٠).

(٦) «لا» ليس في (د).

(٧) كذا في المصادر، وفي النسخ: «حمحمة»، وكذا في المواضع التالية.

(٨) في (ق): «إذا».

فقال عامر: إن كُنتَ حُمَمة الذي ذُكِرَ لي لأنتَ أعبَدُ مَن في الأرض، فأخبِرني عن أفضلِ خصلةٍ؟ فقال: إنِّي لمُقَصِّر، ولولا مواقيتُ الصلاةِ تَقطَعُ عليَّ القيامَ والسجودَ لأحببتُ أن أجعلَ عُمري راكعًا، ووجهي مُفتَرِشًا حتَّى ألقاه، ولكنَّ الفرائِضَ لا تدعني أفعلُ ذلك.

ثمَّ قال: مَن أنت يرحمُكَ الله تعالى؟ فقال: عامر، فقال: إن كُنتَ عامرًا الذي ذُكِرَ لي فأنت أعبَدُ الناس، فأخبِرني بأفضل خصلةٍ؟ فقال: إنِّي لمُقَصِّر، ولكن واحدةً، عظُمَت هيبةُ الله عزَّ وجلَّ في صدري[1] حتَّى ما أهابُ شيئًا غيرَه.

واكتَنفَتهُ السباع، فجاءَ سبعٌ منها، فوثَبَ عَلَيهِ مِن خَلفِه، فوضَعَ يَدَيه على مَنكِبَيه وعامِرٌ يَتلُو هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣]، فلمّا رأى السبعُ أنّه لا يكترِثُ له ذهب، فقال له حُمَمة: بالله يا عامر، ما هالَكَ ما رأيت؟ فقال: إنِّي لأستحي من الله عزَّ وجلَّ أن أهابَ شيئًا غيرَه، فقال حُمَمة: لولا أنّ الله تعالى أبلانا[2] بالبطن، فإذا أكلنا لا بُدَّ لنا من الحَدَث، ما رآني ربِّي إلّا راكعًا أو ساجدًا.

وكان[3] يُصلِّي في اليومِ والليلة ثمانِ مئة ركعة، وكان يقول: إنِّي لمُقَصِّرٌ في العبادة، وكان يُعاتبُ نفسَه، رضي الله عنهما»[4].

---

(١) «صدري» ليس في (د). (٢) في (د): «بلانا».

(٣) في (د): «كان».

(٤) انظر: «الأولياء» لابن أبي الدنيا (١٠١)، و«حلية الأولياء» (٢: ٨٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٦: ٢٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٠).

قـال المُعلَّـى: «مـرَّ عامـرٌ بقافلةٍ قـد حَبسَهُم الأسدُ مـن بين أيـديهم، فلمّا جـاءَ عامـرٌ نَـزلَ عـن دابَّته، فقالـوا: يا أبا عبد الله، إنّا نخـافُ عليك مـن الأسد، فقال: إنّما هـو كلبٌ من كلاب الله عزَّ وجلّ، إن شاءَ أن يُسلِّطَه سلَّطه، وإن شاءَ أن يَكُفَّه كفَّه، ثمَّ مشى إليه وأخذ بيدَيه أُذُنَي الأسد، فنحّاه عن الطريق، وجازَت القافلة، وقال: إنِّي لأستحي من ربِّي تباركَ وتعالى أن يرى من قلبي أنّي / أخافُ غيرَه»[١]. [١٢٨/ب]

قال محمَّدُ بن فضيل: قال أبي: «كان عامرٌ يقول: ما رأيتُ مثلَ الجنّةِ نامَ طالبُها، وما رأيتُ مثلَ النار نامَ هاربُها»[٢].

وكان إذا جاءَ النهارُ[٣] قال: أذهَبَ حرُّ النارِ النوم، فما ينامُ حتَّى يُمسي، وإذا[٤] جاءَ الليل، قال: مَن خافَ أدلج، وعند الصباح يَحمَدُ القَومُ السُّرَى[٥].

ومرَّ عامرٌ برَجُلٍ من أعوان السلطان وهو يَجُرُّ ذِمِّيًّا، والذميُّ يستغيث، فأقبَلَ على الذمِّيّ، فقال: أدَّيتَ جِزيتَك؟ قال: نعم، فأقبَلَ على عون السلطان فقال: ما تريدُ منه؟ فقال: أذهَبُ به يكسحُ دارَ الأمير، فأقبلَ على الذِّمِّيّ، فقال: تَطِيبُ نفسُكَ له بهذا؟ فقال: يَشغَلُني عن صَنعَتِي[٦]، فقال: دَعه، فقال: لا أدَعُه، قال: دَعه، قال: لا

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢١). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢١).

(٣) انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٣: ٢١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢١).

(٤) في (ق): «فإذا».

(٥) انظر: «الأمثال» لابن سلام (١٧٠)، و«الفاخر» للمفضل بن سلمة (١٩٣)، و«الأمثال المولدة» (٤٢٩)، و«جمهرة الأمثال» (٢: ٤٢).

(٦) في (ق): «صنعته»، والتصويب من «صفة الصفوة».

أدَعُه، فوضعَ كِساءَه، وقال: لا تُخفَرُ[١] ذِمّةُ محمَّدٍ ﷺ وأنا حيّ، ثمَّ خلَّصَهُ[٢].

قال المُعلَّى: قال عامر: «أربعُ آياتٍ في كتاب الله عزَّ وجلَّ إذا ذكرتُهُنَّ لا أُبالي على ما أصبحتُ أو أمسيت: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، و﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، و[٣] ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، و﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]»[٤].

قال عامر: «مَن خافَ الله أخافَ اللهُ منه كلَّ شيء، ومَن لم يَخَفِ الله عزَّ وجلَّ أخافَه من كلِّ شيء، وأشدُّ أهل الجنّةِ فرَحًا أطوَلُهُم حُزنًا في الدنيا»[٥].

قال ابنُ أخي عامر: كان عامِرٌ يأخُذُ عطاءَه، فيَجعلُه في طرف رِدائه، فلا يَلقَى أحدًا من المساكين يسألُه إلّا أعطاه، فإذا دخلَ إلى أهلِه رمى به إليهم، فيَعُدُّونَه فإذا هو كما أُعطيَه»[٦].

أدرَكَ عامرٌ الصدرَ الأوَّل، وروى عن عمرَ بن الخطّاب، إلّا أنّه اشتغلَ بالعبادة عن الرواية[٧].

---

(١) في (د): «تحقر».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٩١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٦: ١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٢).

(٣) الواو ليست في (د)، وكذا في الموضعَين التاليَين.

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٦: ٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٢).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢٢).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٦: ٣٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٤).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢٤).

[أبو العالية الرياحي]

[٢٢٧] **ومنهم**: أبو العالية الرِّياحيُّ[١]، واسمُه رفيعٌ[٢].

أعتَقَتْهُ امرأةٌ من بَني رِياح[٣]، وكان إذا جلسَ إليه أكثرُ من أربعةٍ قامَ[٤].

قال الربيع: قال أبو العالية: «كنت أرحلُ إلى الرجُل مسيرةَ أيّام، فأوَّلُ ما أتفقَّدُ من أمره صلاتَه، فإن وجدتُه يُقيمُها ويُتِمُّها أقمتُ وسَمِعتُ منه، وإن وجدتُه يُضيِّعُها رَجَعتُ ولم أسمع منه، وقلت: هو لغيرِ الصلاةِ أضيَعُ»[٥].

قال أبو العالية: «قال لي أصحابُ رسولِ الله ﷺ: لا تَعمَل لغير الله عزَّ وجلَّ فيَكِلَكَ الله تعالى إلى مَن عَمِلتَ له»[٦].

قال/ خالدُ بن دينار: قال أبو العالية: «كُنّا نَعُدُّ من أعظم الذنوب أن يتعلَّمَ [١٢٩/أ] القرآن، ثمَّ ينام[٧] عنه حتَّى ينساه»[٨].

---

(١) في (د): «الرباحي»، قال ابن الأثير في «اللباب» (٢: ٤٦): «الرِّياحي: بكسر الراء وفتح الياء آخر الحروف وبعد الألف حاء مهملة، هذه النسبة إلى أشياء، منها: إلى رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك.. يُنسَب إليه خلق كثير».

(٢) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ١١٢)، و«السير» (٤: ٢٠٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٥٣).

(٣) في (د): «رباح».

(٤) انظر: «المنتظم» (٦: ٢٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٤)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٥٣١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢٥)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٥٣١).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٥).

(٧) في (ق): «يناه».

(٨) «الزهد» للإمام أحمد (١٧٤٧)، و«الطبقات الكبرى» (٧: ١١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٥).

أسنَدَ أبـو العالية عـن الصدِّيـق، والفاروق، وعلـيّ، وأُبَـيّ، وأبـي موسـى، وأبي هريرة، وابن عبّاس، في جماعةٍ من الصحابة رضي الله عنهم(١)، وتُوفِّي في شوال سنةَ تسعين(٢).

* * *

[الفضيل بن يزيد الرقاشي]

[٢٢٨] ومنهم: الفُضَيلُ بن يزيدَ الرَّقاشيُّ(٣).

وكان من عُبّاد البصرة، وغزا مع عمرَ سَبعَ غزواتٍ(٤).

ومن كلامِه البَلِيغ: «لا يُلهِيَنَّكَ النّاسُ عن ذاتِ نفسكَ؛ فإنّ الأمرَ يَخلُصُ إليك دونَهُم، ولا تقطع(٥) النهارَ بكَيتَ وكَيت؛ فإنّه محفوظٌ عليك ما قلت، ولم أرَ شيئًا أحسنَ طلبًا ولا أسرعَ إدراكًا من حسنةٍ حديثةٍ لذنبٍ قديمٍ»(٦).

أسنَدَ الفُضَيلُ بن يزيدَ عن عبد الله بن مُغَفَّل، وغيرِه من الصحابة رضي الله عنهم(٧).

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٥).
(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٥).
(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٢٩)، و«حلية الأولياء» (٣: ١٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٥).
(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٢٩)، و«حلية الأولياء» (٣: ١٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٥).
(٥) في (د): «يتقطع».
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٠٢)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٥).
(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٦).

[هرم بن حيان العبدي]

[٢٢٩] ومنهم: هَرِمُ بن حيّانَ العبديُّ[١].

وكان عاملًا لعمرَ بن الخطّابِ رضي الله عنه[٢]، بصريٌّ[٣].

قال قتادة: قال هَرِم: «ما رأيتُ كالنارِ نامَ هارِبُها، ولا كالجنّة نامَ طالِبُها[٤]، وما آثَرَ الدنيا على الآخرةِ حكيمٌ قطّ، ولا عصى الله عزَّ وجلَّ كريمٌ»[٥].

قال الحسن: «خَرجَ هَرِمٌ وعبدُ الله بن عامرٍ يؤمّان الحجاز، فجَعلَت أعناقُ رَواحِلِهما[٦] يتحاكّانِ الشجر، فقال هَرِمٌ لابن عامر: أتُحِبُّ أنّك شجرةٌ من هذا[٧] الشجر؟ فقال ابنُ عامر: لا والله؛ لما أرجو من ربِّي عزَّ وجلّ، فقال هَرِمٌ لابن عامرٍ[٨]: لكنِّي والله لوددتُ أنّي شجرةٌ من هذا الشجر أكَلَتني هذه الراحلة، ثمَّ قذفَتنِي بعرًا ولم أُكابِد الحساب، يا ابنَ عامر، إنِّي أخافُ الداهيةَ الكُبرى؛ إمّا إلى الجنّة، وإمّا إلى النار»[٩].

قال الحسن: «وكان هَرِمٌ أفقَهَ الرجُلَين وأعلمَهم بالله تعالى»[١٠].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٣١)، و«حلية الأولياء» (٢: ١١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٦)، و«السير» (٤: ٤٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢٦).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٣: ٣٧٢)، و«السير» (٤: ٤٨).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٣٢)، و«حلية الأولياء» (٢: ١١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٦).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٣: ٣٧٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٦).

(٦) في (د): «رواحلها».

(٧) في (د): «هذه».

(٨) قوله: «لابن عامر» ليس في (ق).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٦).

(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٦).

قال مطرٌ الوَرّاق: «باتَ هَرمٌ عند حُمَمة صاحبِ رسولِ الله ﷺ، فباتَ حُمَمةُ ليلتَه[1] يبكي كلَّها حتَّى أصبح، فلمّا أصبحَ قال هَرم: يا حُمَمة، ما أبكاكَ؟ قال: ذكرتُ ليلةً صَبيحَتُها تُبعثَرُ القبور.

قال: وباتَ حُمَمةُ عند هَرم، فباتَ ليلته[2] يبكي حتَّى أصبح، فسأله حينَ أصبح: ما الذي أبكاكَ؟ فقال: ذكرتُ ليلةً صَبيحَتُها تناثُرُ نجومِ السماء، فأبكاني ذلك، قال: وكانا يَصطَحِبان أحيانًا بالنهار، فيأتيان سوقَ الرَّيحان، فيسألان الله عزَّ وجلَّ الجنّةَ ويَدعوان، ثمَّ يأتيان الحدّادين فيَتعَوَّذان من النار، ثمَّ يفترقان[3] إلى منازلهما»[4].

[١٢٩/ب] قال الحسن: «ماتَ هَرمٌ في يومٍ صائفٍ/ شديدِ الحرّ، فلمّا نَفَضوا أيدِيَهم من قبره جاءَت سحابةٌ تسيرُ حتَّى قامَت على قبره، فلم تكُن أطولَ منه ولا أقصرَ حتَّى رَوَته، ثمَّ انصرفت»[5].

وقال قتادة: «أُمطِرَ قبرُ هَرمٍ من يومه، وأنبَتَ من يومه العُشبَ»[6]، رضي الله عنه.

* * *

(١) في (د): «ليله». (٢) في (د): «ليله».

(٣) في (ق): «يتفرقان».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٦).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٣٣)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٧).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٣٤)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٧).

[صلة بن أشيم العدوي]

[٢٣٠] ومنهم: صِلةُ بن أَشْيَمَ العدويُّ[١]، يُكنَّى: أبا الصهباء[٢].

وكان يُصلِّي حتَّى ما يستطيعُ أن يأتيَ فِراشَه إلّا زحفًا[٣].

قال حمّاد: أخبَرَني أبي: قال: «خَرَجنا في غَزاةٍ إلى كابل، وفي الجيش صلة، فنزلَ الناسُ عند العتمة، فقلت: لأرمُقَنَّ عمَلَه فأنظُر ما يذكرُ الناسُ من عبادته، فصلَّى العتمة، ثمَّ اضطجع، فالتمَسَ غفلةَ الناس، حتَّى إذا قُلت: هدأت العيون، وثَبَ فدخلَ غَيضةً قريبًا منه، ودَخَلتُ في أثَرِه فتوضَّأ، ثمَّ قامَ يُصلِّي، قال: وجاءَ أسدٌ حتَّى دنا منه، فصعدتُ في شجرة، فتراهُ التفت![٤] أو عَدَّه[٥] جُرُدًا[٦] حتَّى سَجَد، فقلت: الآن يفترسه، فجلسَ ثمَّ سلَّم، فقال: أيُّها السبع، اطلب الرزقَ من مكانٍ آخر، فولَّى وإنّ له لَزئيرًا تصدعُ الجبالُ منه، فما زالَ كذلك، فلمّا كانَ[٧] عند الصبح جَلسَ فحمِدَ الله عزَّ وجلَّ بمَحامِدَ لم أسمَع بمثلها إلّا ما شاءَ الله تعالى.

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٣٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٧).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٧).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٨)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ١٢٨).

(٤) في حاشية (د): «قوله: (فتراه التفت) للتعجب».

(٥) في حاشية (د): «قوله: (أو عده) بفتح العين والدال المشددة من العدد».

(٦) في بعض المصادر: «جرذًا»، وجاء على حاشية (د): «قوله: (جردًا) منصوب على أنه مفعول، والجُرُد: بضم الجيم والراء، وبعدها دال مهملة... وهو للمفرد من... ويقال للجمع أيضًا، حرَّره: أحمد بن شمس الدين المنصور الحنفي».

(٧) في (ق): «أصبح».

ثمَّ قال: اللهُمَّ إنِّي أسألُكَ أن تُجيرَني من النار، أوَمِثلِي يسألُكَ الجنّة؟ ثمَّ رجعَ فأصبحَ كأنّه باتَ على الحَشايا، وأصبَحتُ وبي من الفَترة شيءٌ الله عزَّ وجلَّ به عليم، فلمّا دَنَونا من أرض العدوِّ قال الأمير: لا يَشُذَّن أحدٌ من العسكر، فذهبَت بغلتُه بثِقَلِها، فأخذَ يُصلِّي، فقيل: إنّ الناسَ قد ذهبوا، فقال: دعوني أُصلِّي رَكعَتَين، فقيل: إنّ الناسَ قد ذهبوا، فقال: إنّهُما خفيفتان، ثمَّ دعا، فقال: اللهُمَّ إنِّي أُقسِمُ عليك أن تَرُدَّ عليَّ بغلتي وثِقَلَها، فجاءَت حتَّى قامَت بين يدَيه، فلمّا لَقِينا العدوَّ حمَلَ هو وهشامُ بن عامر، فصنعا بهم ضربًا وطعنًا وقتلًا، فكسرا ذلك العدوّ، فقالوا: رجُلان من العرب صنعا بنا هذا[١]، فكيف لو قاتَلُوا؟ فأعطوا المُسلمينَ حاجَتَهُم»[٢].

قال لمعاذة: «ليَكُن شِعارُكِ الموت؛ فإنّكِ لا تُبالِين على[٣] يُسرٍ أصبحتِ من الدنيا أم عُسرٍ»[٤].

قال ابنُ عونٍ[٥]: «جاءَ رجلٌ لصلة، فقال: ادعُ لي، فقال: رَغَّبَكَ الله عزَّ وجلَّ فيما يبقى، وزَهَّدَكَ فيما يَفنَى، ووهبَ لك اليقينَ الذي لا يُسكَنُ إلّا إليه، ولا يُعوَّلُ في الدين إلّا عليه»[٦].

قال ثابتٌ البُنانيّ: «غزا صِلةُ ومعه ابنُه، فقال له: أي بُنَيّ، تَقدَّم فقاتِل حتَّى

---

(١) «هذا» ليس في (د).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٨)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ١٢٩).

(٣) بعدها في (ق) و(د): «أي».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٢٩).

(٥) في (د): «عوف».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢٤٢)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٩).

أحتَسِبَك، فحملَ[1] فقاتلَ حتَّى قُتِل، ثمَّ تَقدَّمَ فقُتِل، فاجتمعت/ النساءُ عند امرأتِه [١٣٠/أ] مُعاذةَ العدويّة، فقالت: مرحبًا إن كنتنَّ جئتنَّ لتُهنِّئنَنِي، وإن كنتنَّ جئتنَّ لغير ذلك فارجِعنَ»[2].

لقي صلةُ جماعةً من الصحابة رضي الله عنهم، وأسنَدَ عن ابن عبّاسٍ وغيره[3]، وقُتِلَ شهيدًا في أوَّل إمرةِ[4] الحجّاج على العراق[5].

* * *

[مُطرف بن عبد الله]

[٢٣١] **ومنهم**: مُطرِّفُ بن عبد الله[6]، يُكنَّى: أبا عبد الله، بصريٌّ[7].

قال سليمانُ بن المغيرة: «كان مُطرِّفٌ إذا دَخلَ بيتَهُ سَبَّحَت معه آنيةُ بيته»[8].

قال ثابتٌ البنانيّ: قال مُطرِّف: «ما مَدحَني أحدٌ قطُّ إلّا تَصاغَرَت إليَّ نفسي»[9].

---

(١) «فحمل» ليس في (د).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٣٧)، و«حلية الأولياء» (٢: ٢٣٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٩).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢٣٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٩).

(٤) في (د): «إمارة».

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٢٩).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٤١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ٢٨٩)، و«السير» (٤: ١٨٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ٦٧).

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٤١)، و«السير» (٤: ١٨٧).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢٠٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣١).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٩٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ٣٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣١).

وكان يقول: «يا إخوتاه، اجتهِدوا في العمل، فإن يَكُن الأمرُ كما تَرجُونَ من رحمة الله عزَّ وجلَّ وعَفوِه كانت لنا درجات، وإن يَكُن الأمرُ شديدًا كما نخافُ ونُحاذرُ لم نَقُل: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]»[١]، وكان يقول يومَ عرفة: «اللهُمَّ لا تَرُدَّنَّ[٢] الجمعَ من أجلِي»[٣].

قال ثابت: «كان مُطرِّفٌ إذا سارَ بالليل يُضيءُ له سوطُه»[٤].

قال أبو العلاء: قال مُطرِّفٌ[٥]: «إنَّ هذا الموتَ قد أفسدَ على أهلِ النعيمِ نعيمَهم[٦]، فاطلُبوا نعيمًا لا موتَ[٧] فيه»[٨].

قال أبو العلاء: قال أخي ـ أي[٩] مُطرِّفًا ـ: «إذا استَوَت سريرةُ العبد وعلانيتُه قال الله عزَّ وجلّ: هذا عبدي حقًّا»[١٠].

قال سفيان: قال مُطرِّف: «إنَّ أقبحَ ما طُلِبَت به الدنيا عملُ الآخرة»[١١].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣١).

(٢) في (ق): «ترد».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٢)، و«السير» (٤: ١٩٣).

(٥) قوله: «إذا سارَ بالليل يُضيءُ له سوطُه، قال أبو العلاء: قال مُطرِّفٌ» ليس في (د).

(٦) في (ق) و(د): «نعيمها»، والتصويب من «تاريخ دمشق»، و«صفة الصفوة».

(٧) في (د): «نوم».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢٠٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ٣٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٢).

(٩) في (د): «إن».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣٢)، و«البداية والنهاية» (١٢: ٤٠٠).

(١١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٣).

قال مُطرِّفٌ لبعضِ إخوانِه: إذا كان لك حاجةٌ فلا تُكلِّمني فيها، ولكن اكتُبها في رُقعة، ثُمَّ ارفعها إليَّ؛ فإنِّي أكرَهُ أن أرى في وجهك ذُلَّ السؤال، وأنشَد[١]:

لا تَحسَبَنَّ المَوتَ مَوتَ البِلَى وإنّما المَوتُ سُـؤالُ الرِّجالِ
كِلاهُمـا مَـوتٌ ولَكِـنَّ ذا أشَـدُّ مِن ذاكَ لذُلِّ السُّـؤالِ

قال غيلان: قال مُطرِّف: «كأنّ القلوبَ ليست منّا، وكأنّ الحديثَ يُعنَى به غيرُنا».

أسنَدَ مُطرِّفٌ عن عثمان، وعليّ، وأُبَيِّ بن كعب، وآخرِين، رضي الله عنهم[٢].

وتُوفِّي في ولايةِ الحَجّاجِ العراقَ بعد الطاعونِ الجارف[٣]، وكان الطاعونُ سنةَ ثمانين[٤] في خلافةِ الوليدِ بن عبد الملك[٥]، وكان مُطرِّفٌ أكبرَ من الحسن البصريِّ بعشرين سنةً[٦].

* * *

(١) البيتان من السريع. وانظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٣).
(٢) قوله: «أسند مُطرِّفٌ عن عثمان، وعليٍّ، وأُبيِّ بن كعب، وآخرين، رضي الله عنهم» ليس في (د)، وانظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٣)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ٦٧).
(٣) في (ق): «الحارف»، والتصويب من «صفة الصفوة».
(٤) قوله: «في ولاية الحَجّاج العراقَ بعد الطاعون الجارف، وكان الطاعون سنة» ليس في (د).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣٣)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٤٨٢).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣٣)، وفي «مشاهير علماء الأمصار» (١٤٤): «أكبر من الحسن بعشر سنين».

[صفوان بن محرز المازني]

[٢٣٢] ومنهم: صفوانُ بن مُحرِزٍ المازنيُّ[١]، من بني تميمٍ[٢].

قال الحسن: قال صفوان: «إذا أكلتُ رغيفًا أشُدُّ به صُلبي، وشَرِبتُ كوزَ ماءٍ؛ فعلى الدنيا وأهلِها العَفاءُ»[٣].

قال الحسن: «لَقِيتُ أقوامًا كانوا فيما أَحَلَّ الله تعالى أزهدَ منكُم فيما حرَّمَ الله عزَّ وجلَّ/ عليكم، ولَقِيتُ أقوامًا كانوا من حسناتِهم أشفقَ ألّا تُقبَلَ منهم من سيئاتِكُم، ولقد صَحِبتُ أقوامًا كان أحدُهم يأكلُ على الأرض، وينامُ على الأرض، منهم: صفوان، كانَ يقول: إذا أَوَيتُ إلى أهلي فأصَبتُ رغيفًا آكلُه، فجزى[٤] الله الدُّنيا على أهلِها شرًّا، والله ما زادَ على رغيفٍ حتَّى فارَقَ الدنيا، يَظلُّ صائمًا ويُفطِرُ على رغيفٍ، ويشربُ عليه من الماء حتَّى يتروَّى، ثمَّ يقومُ فيُصلِّي حتَّى يُصبِح، فإذا صلَّى الفجرَ أخذ المصحفَ فوضعَه في حَجرِه يقرأُ حتَّى يَترجَّلَ[٥] النهار، ثمَّ يقومُ فيُصلِّي حتَّى ينتصفَ النهار، فإذا انتصفَ النهارُ رمى بنفسِه على الأرض، فنامَ إلى الظُّهر، فكانت تلك نومَتَه حتَّى فارقَ الدنيا، فإذا صلَّى الظهرَ قامَ فصلَّى إلى العصر، فإذا صلَّى العصرَ وضعَ المصحفَ في حَجرِه، فلا يزالُ يقرأُ حتَّى تَصفرَّ الشمسُ»[٦].

[١٣٠/ب]

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٤٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٣)، و«السير» (٤: ٢٨٦).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٤٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٣)، و«السير» (٤: ٢٨٦).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٣).

(٤) في (ق): «فجدى».

(٥) في (ق): «يترحل».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣٤).

أسنَدَ صفوانُ عن ابن عمر، وأبي مُوسى، وحكيم بن حِزامٍ في آخرِين من الصحابة، رضي الله عنهم(١).

* * *

[زرارة بن أوفى]

[٢٣٣] ومنهم: زُرارةُ بن أوفى(٢)، يُكنَّى أبا حاجِبٍ(٣).

قال بَهزُ بن حكيم: «صلَّى بنا زُرارةُ الفجر، فلمّا قرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨]؛ شَهَقَ شَهقةً فمات، فحُمِلَ إلى دارِه»(٤).

أسنَدَ زُرارةُ عن جماعةٍ من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وابنُ عبّاس(٥)، وتُوفِّي فجأةً سنةَ ثلاثٍ وتسعين في خلافةِ الوليد بن عبد الملك(٦).

* * *

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٥).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٥٠)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٥)، و«السير» (٤: ٥١٥).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٥).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٥)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٩: ٣٤١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣٥)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٣٤٠).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣٥)، و«تهذيب الكمال» (٩: ٣٤١).

[الحسن البصري]

[٢٣٤] ومنهم: الحَسَنُ البصريُّ[١]، يُكنَّى: أبا سعيد[٢].

وكان أبوهُ من أهل نيسابور، فسُبِي، فهو مولًى للأنصار[٣]، وُلِدَ في خلافةِ عمرَ رضي الله عنه[٤].

وكانت أُمُّه تَخدُمُ أُمَّ سَلَمةَ زوجَ رسولِ الله ﷺ، فرُبَّما غابَت، فتُعطِيه أُمُّ سَلَمة ثَديَها؛ تُعلِّلُهُ به حتَّى تجيءَ أُمُّه، فيَدِرُّ عليه ثديُها فيَشربُه، فكانوا يقولون: فصاحتُهُ من بركةِ ذلك[٥].

قالَ إبراهيمُ اليَشكُرِيّ: «ما رأيتُ أطولَ حُزنًا من الحسن، وما رأيتُه قطُّ إلّا حَسِبتهُ حديثَ عهدٍ بمصيبةٍ»[٦].

قال يونس: قال الحسن: «نَضحَكُ، ولعلَّ الله قد اطَّلعَ على بعض أقوالِنا وأعمالِنا، فقال: لا أقبلُ منكم شيئًا»[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٢٧)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٦٩)، و«السير» (٤: ٥٦٣).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» (٢: ٦٩)، و«السير» (٤: ٥٦٣).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣٧)، و«السير» (٤: ٥٦٣-٥٦٤).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٦١).

(٥) انظر: «طبقات الفقهاء» (٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٦١).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٧)، و«تهذيب الكمال» (٦: ١١٢).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٩)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٨).

قال مِسمَعٌ لحكيمِ بن جعفر: «لو رأيتَ الحسنَ لقُلتَ: بُثَّ عليه حُزنُ الخلائقِ، من طولِ تلك الدَّمعة، وكثرةِ ذلك النشيجِ»[١].

قال يزيدُ بن حَوشَب: «ما رأيتُ أخوفَ من الحسن وعمرَ بن عبد العزيز، كأنّ النارَ لم تُخلَق إلّا لهما»[٢].

قال يوسفُ بن أسباط: «مَكثَ الحسنُ ثلاثين سنةً لم يَمزَح[٣]، قال: وقال الحسن: لقد أدركتُ أقوامًا ما أنا عندهُم إلّا لصٌّ»[٤].

قال حُمَيد: «بَينَما[٥] الحسنُ في المسجد/ تنفَّسَ تنفُّسًا شديدًا، ثمَّ بكى حتَّى ارتعدَ[٦] مَنكِباه، ثمَّ قالَ: لو أنّ بالقلوبِ حياةً، لو أنّ بالقلوب صلاحًا؛ لأبكَتكُم من ليلةٍ صَبيحَتُها يومُ القيامة»[٧]. [١٣١/أ]

قال أبو عُبَيدةَ النّاجي[٨]: قال الحسن: «يا ابنَ آدم، إنّك لا تُصيبُ حقيقةَ

---

(١) انظر: «المنتظم» (٧: ١٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٨).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٣٩٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧: ٢٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٨).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٢٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٨).

(٥) في (ق): «بينا».

(٦) في (ق): «أرعدت».

(٧) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٤٤٥)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٨)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٦٥)، و«البداية والنهاية» (١٩: ٣٦٥).

(٨) في النسخ: «قال أبو عبيد الباجي»، وهو: بكر بن الأسود أبو عُبَيدة الناجي البصري، روى عن الحسن، وابن سيرين، وروى عنه: وكيع، وهلال بن فياض، وغيرهما، وتوفي سنة مئة وسبعين. انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» (٢: ٨٧)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٩٢)، و«ديوان الضعفاء» (٦٣٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٠: ١٢٧).

الإيمان حتَّى لا تَعِيبَ الناسَ بعَيبٍ هو فيك، وحتَّى تبدأ[١] بصلاح ذلكَ من نفسِك فتُصلِحَه، فإذا فعلتَ ذلك لم تُصلِح عيبًا إلّا وجدتَ عيبًا آخرَ لم تُصلِحه، فإذا فعلتَ ذلك كان شُغلُكَ في خاصّةِ نفسك، وأحَبُّ الناسِ إلى الله عزَّ وجلَّ من كان كذلك»[٢].

قال يحيى بن المختار: قال الحسن: «إنّ المؤمِنينَ قومٌ أوثَقَهُم القرآن، وحالَ بينهم وبين هَلكَتِهم، إنّ المؤمنَ يسعى في فكاكِ رقبتِه، لا يأمَنُ شيئًا حتَّى يَلقَى الله عزَّ وجلّ، إنّه مأخوذٌ عليه في سَمعِه وبَصرِه ولسانِه وجَوارِحِه»[٣].

قال مباركُ بن فضالة: قال شابٌّ للحسن: «أعياني قيامُ الليل، فقال: قَيَّدَتك خطاياك»[٤].

قال أبو[٥] همامٍ[٦] الكلاعيّ: «مَرَّ الحسنُ ببعض القرّاءِ على أبواب السلاطين، فقال: أفرَحتُم عمائِمَكم[٧]، وفرطَحتُم نِعالَكُم[٨]، وجِئتُم بالعلم تحمِلونَه على رقابكُم إلى أبوابهم فزَهِدوا فيكم، أما إنّكُم لو جَلَستُم في بيوتِكُم حتَّى يكونوا

---

(١) في (ق): «تبدو».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣٨).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٨).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٣٩).

(٥) «أبو» مثبت من المصادر.

(٦) في (د): «حماد».

(٧) في (ق): «حمائمكم». وقد وردت في «التبصرة» (٢: ١٩٤) بلفظ: «أقرحتم جباهكم»، وفي «المنتظم» (٧: ١٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٩): «أفرختم حمائمكم»، وفي «ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين» (٤٧): «أقرحتم جباهكم»، ولعلها: «أرخيتم عمائمكم»، فهو مناسب لسياق ذمهم، وهو كناية عن اطمئنانهم للدنيا وترفُّههم.

(٨) أي: وسَّعتُم وبسطتُم.

هـم الذين[١] يُرسِلونَ إليكـم لكـانَ أعظمَ لكـم فـي أعيُنِهم، تفرَّقُوا، فـرَّقَ الله بين أعضائِكُم»[٢].

أدرَكَ الحسنُ خلقًا كثيرًا[٣] مِن الصحابة رضي الله عنهم، وتُوفِّي[٤] سنةَ عشرٍ ومئة[٥].

* * *

[أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي]

[٢٣٥] ومنهم: أبو الشعثاء، واسمُه: جابرُ بن زيدٍ الأزديُّ[٦]، بصريّ.

قال عطاء: سمعتُ ابنَ عبّاسٍ يقول: «لو نزلَ أهلُ البصرةِ عند قول جابرِ بن زيدٍ لوَسِعَهُم عمّا[٧] في كتابِ الله تعالى علمًا»[٨].

قال صالحُ الدهّان: قال جابرُ بن زيد: «نظرتُ في أعمالِ البرّ فإذا الصلاةُ تُجهِدُ البدنَ ولا تُجهِدُ المال، والصيامُ كذلك، والحجُّ يُجهِدُ المالَ والبدن، فرأيتُ أنّ الحجَّ أفضلُ من ذلك كلِّه»[٩].

---

(١) في (ق): «الذي».

(٢) انظر: «التبصرة» (٢: ١٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٩)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٦٦).

(٣) «كثيرًا» ليس في (د).

(٤) في (ق): «توفي الحسن».

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٧٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٩)، و«السير» (٤: ٥٨٧).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٧٩)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٤٤)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ٤٠٣)، و«السير» (٤: ٤٨١).

(٧) «عما» ليس في (ق).

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٧٩)، و«الثقات» لابن حبان (٤: ١٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٩).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١١: ٤١٩).

قال صالح: «ورأيت جابرَ بن زيدٍ لا يُماكِسُ في ثلاث: في الكِراء إلى مكّة، وفي الرقبة يَشتَريها للعتق، وفي الأُضحية، وقال: لا يُماكَسُ في شيءٍ يتقرَّبُ به إلى الله عزَّ وجلَّ»[١].

وكان أبو الشعثاءِ مسلمًا عند الدينارِ والدرهم، وقال[٢]: «لأن أتصدَّقَ بدرهمٍ على يتيمٍ أو مسكينٍ أحَبُّ إليَّ من حَجّةٍ بعد حَجّةِ الإسلام»[٣].

أسنَدَ أبو الشعثاءِ عن ابن عمر، وابن عبّاس، رضي الله عنهم[٤].

وتُوفِّي في سنة ثلاثٍ ومئة[٥].

* * *

[مسلم بن يسار]

[١٣١/ب] [٢٣٦] **ومنهم**: مسلمُ بن يسارٍ[٦]، ويُكنَّى[٧]: أبا/ عبد الله، وهو مولًى[٨].

قال ميمونُ بن جابان[٩]: «ما رأيتُ مُسلِمَ بن يسارٍ مُلتفِتًا في صلاةٍ قطُّ خفيفةٍ

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٠).

(٢) في (د): «قال».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٩٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٠).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٠)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ٤٠٣).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٠).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٨٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ١٢٤)، و«السير» (٤: ٥١٠).

(٧) في (د): «يكنى».

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٨٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ١٢٤).

(٩) في (د): «حابان»، وفي «الزهد»: «حيان»، و«مختصر منهاج القاصدين»: «مهران».

ولا طويلةٍ، ولقد انهَدمَت ناحيةٌ من المسجدِ ففزِعَ أهلُ السوقِ لهدَّته، وإنّه لفي المسجد في صلاةٍ فما التفتَ»[١].

قال رجلٌ من آلِ محمَّدِ بن سيرين: رأيتُ مسلمَ بن يسارٍ رافعًا[٢] رأسَهُ من السجودِ في المسجد الجامعِ، فنظرت إلى موضع سُجودِه كأنّه قد صُبَّ فيه الماءُ من كثرةِ دموعه[٣].

قال ابنُ شَوذَب: «كان مسلمٌ يقولُ لأهلِه[٤] إذا دَخلَ في صلاةٍ في بيتِه[٥]: تحدَّثوا، فلستُ أسمعُ حديثَكُم»[٦].

وكان إذا دخلَ منزلَه سكتَ أهلُ البيت، فلا يُسمَعُ لهم كلام، فإذا قامَ إلى الصلاةِ تكلَّموا أو ضَحِكُوا[٧].

قال عون: «رأيتُ مسلمَ بن يسارٍ يُصلِّي كأنّه وتدٌ لا يميلُ على قَدمٍ مَرّة، ولا على قدمٍ مَرّة، ولا يتحرَّك، ولا يَتَروَّحُ على رِجْلٍ»[٨].

قال حبيبُ بن الشهيد: «كان مُسلِمُ بن يسارٍ يُصلِّي، فوَقعَ حريقٌ إلى جَنبِه، فما شَعرَ به حتَّى طَفِئَت النار، وكان في غيرِ[٩] الصلاةِ كأنّه في صلاةٍ»[١٠].

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٤٠٩)، و«حلية الأولياء» (٢: ٢٩١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٢).

(٢) في (ق): «رفع».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤١).

(٤) قوله: «قال ابن شوذب: كان مسلم يقول لأهله» في (د): «قال ابن مسلم: كان أبي يقول لأهله».

(٥) في (د): «دخل في صلاته».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ١٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤١).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤١).

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٨٦)، و«حلية الأولياء» (٢: ٢٩١).

(٩) «غير» ليس في (د).

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٢).

قال ابنُ المباركُ: قال مسلمُ بن يسارٍ لأصحابِه يومَ التروية: «هل لكُم في الحجّ؟ فقالوا: خَرِفَ الشيخ، ومع ذلك لَنُطِيعَنَّه، فقال: مَن أرادَ ذلك فليَخرُج، فخَرَجوا إلى الجَبّان برواحِلِهم، فقال: خَلُّوا أزِمَّتَها، فأصبَحوا وهم يَنظُرونَ إلى جبالِ تِهامة»[(١)].

قال سليمانُ بن المغيرة: «جاءَ مسلمٌ إلى دِجلةَ وهي تقذفُ بالزَّبَد، فمشى على الماء، ثمَّ التفتَ إلى أصحابه فقال: هل تفقدونَ شيئًا؟»[(٢)].

لَقيَ مسلمُ بن يسارٍ جماعةً من الصحابة رضي الله عنهم[(٣)].

وتُوفِّي في سنة مئةٍ أو إحدى[(٤)] ومئة، في خلافة عمرَ بن عبد العزيز[(٥)].

* * *

[محمد بن سيرين رضي الله عنه]

[٢٣٧] ومنهم: مُحمَّدُ بن سيرينَ[(٦)]، يُكنَّى: أبا بكر، مولى أنسٍ.

وأمُّهُ صَفيّةُ مولاةُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهُ[(٧)]، طيَّبها ثلاثٌ من أزواج

(١) انظر: «المنتظم» (٧: ٦٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٢)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٢٣٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٢).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ١٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٢)، و«السير» (٤: ٥١٠).

(٤) في (د): «أحد».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٢)، و«السير» (٤: ٥١٤).

(٦) انظر ترجمته في: «طبقات علماء الحديث» (١: ١٥١)، و«تذكرة الحفاظ» (١: ٦٢)، و«الوافي بالوفيات» (٣: ١٢٢).

(٧) انظر: «طبقات علماء الحديث» (١: ١٥١)، و«تذكرة الحفاظ» (١: ٦٢)، و«الوافي بالوفيات» (٣: ١٢٢).

النبيِّ ﷺ، ودَعَينَ لها، وحَضرَ إملاكَها ثمانيةَ عشرَ بدريًّا[(١)]؛ منهم: أُبَيُّ[(٢)] بن كعبٍ يدعو، وهُم يُؤمِّنون[(٣)].

قال ابنُ عَون: «كانوا إذا ذَكروا عندَ مُحمَّدٍ رجلًا بسيِّئةٍ ذكره مُحمَّدٌ بأحسنَ ما يعلم»[(٤)].

قال عاصِمٌ الأحول: قال مُورِّقٌ العِجلِيّ: «ما رأيتُ رجلًا أفقهَ في ورَعِه، ولا أورعَ في فِقهِه من مُحمَّدِ بن سيرين»[(٥)].

قال بسطام: «كان ابنُ سيرينَ إذا مشى معه رجلٌ قام، وقال: ألك حاجةٌ؟ فإن كانت له حاجةٌ قضاها، وإن عاد يمشي معه قام، فقال: ألك حاجةٌ؟ وكان لا يتركُ أحدًا يمشي معه»[(٦)].

قال/ حمّاد: قال ابنُ سيرين: «إذا أراد الله تعالى بعبدٍ خيرًا جعل له واعِظًا من قلبِه يأمرُه وينهاه»[(٧)]. [١٣٢/أ]

قال الأشعث: «كان ابنُ سيرينَ إذا سُئِلَ عن شيءٍ من الفِقهِ في الحلالِ

---

(١) قوله: «من أزواج النبيِّ ﷺ، ودَعَين لها وحضر إملاكها ثمانية عشر بدريًّا» ليس في (د).
(٢) «أُبَي» ليس في (د).
(٣) انظر: «المعارف» (١: ٤٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٨٣).
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٣: ٢١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٣)، و«السير» (٤: ٦٢٠).
(٥) انظر: «المعرفة والتاريخ» (٢: ٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٣)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٧٧).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٣).
(٧) قوله: «يأمره وينهاه» ليس في (د)، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٣)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٢: ٢٢٨).

والحرامِ تَغيَّرَ لونُه وتبدَّل، حتَّى كأنّه ليس بالذي كان»[١].

قال يونسُ بن عُبَيد: «أمّا ابنُ سيرينَ فإنّه لم يَعرِض له أمران إلّا أخذ بأوثَقِهما»[٢].

وأوصى أنسُ بن مالكٍ أن يُغسِّلَه ابنُ سيرين، وكان محبوسًا، فقال: أنا محبوس، فقال: أذِنَ لك الأمير، فقال: إنّ الأميرَ لم يَحبِسني، إنّما حبَسَني صاحِبُ الحقّ، فأذِن له صاحِبُ الحقّ، فخرج وغسَّلَه[٣].

واشترى شيئًا، فأشرف فيه على ثمانين ألفًا، فعرض في قلبه شيءٌ فتركه، فقال هشام: «والله ما هو بربًا»[٤].

وقال التيميّ: «لقد تركه في شيءٍ ما يختلف فيه أحدٌ من العلماء»[٥].

وكان إذا دُعِيَ إلى وليمةٍ دخل إلى منزِله وقال: اسقُوني[٦] شربةَ سَوِيق، فيُقال: أتشربُ وأنتَ تَذهَبُ إلى الوَليمة؟ فيقول: إني[٧] أكرَه أن أحمِلَ حدَّ جوعي على طعامِ الناس[٨].

---

(١) انظر: «المعرفة والتاريخ» (٢: ٦٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٣: ١٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٤).

(٢) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٧٧٧)، و«المعرفة والتاريخ» (٢: ٣٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٣: ٢٠٣).

(٣) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٧٨٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٢٠-٩٢١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٤).

(٤) في (د): «برياء»، وانظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (٩٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٤)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٨٠).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٤)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢٤٤).

(٦) في: (ق): «اسفوني». (٧) في (ق): «أنا».

(٨) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٢١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٤).

وكان يَصُومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا، وكان اليومُ الذي يُفطِرُ فيه يتغدَّى ولا يتعشَّى، ويتسحَّر، ويُصبِحُ صائمًا(١).

وكان إذا دخل على أمِّه لم يكلِّمها بلسانِه كلِّهِ؛ تواضعًا لها(٢).

قال جعفرُ بن مرزوق: «بعث ابنُ أبي هُبَيرةَ إلى ابنِ سيرينَ والحسنِ والشعبيّ، فدخلوا عليه، فقال لابنِ سيرين: يا أبا بكر، ماذا رأيتَ مُنذُ قَرُبتَ من بابِنا؟

فقال: رأيتُ ظلمًا فاشيًا، فغَمزَه ابنُ أخيه بمَنكِبه، فالتفتَ إليه، وقال: إنّك لستَ تُسأل، إنما أُسألُ أنا، فأرسلَ إلى الحسن بأربعة آلاف درهم، وإلى ابنِ سيرينَ بثلاثة، وإلى الشعبيِّ بألفين، فأمّا ابنُ سيرين فلم يقبَلها، فقال له ابنُ أبي الصلت: لمَ لَم تقبَلها؟ فقال له: يا هذا، إنّما أعطاني على خيرٍ كان يظنُّ بي، ولئن كنتُ كما يظنُّ فما ينبغي أن أقبل، وإن لم أكن كما ظنَّ فبالحريِّ ألّا يجوزَ لي أن أقبل»(٣).

قال عمر: قال ابنُ سيرين: «العزلةُ عبادةٌ»(٤).

وكان له مَنازِلُ لا يَكريها إلّا لأهلِ الذمّة، فقيل له في ذلك، فقال: «إذا جاء رأسُ الشهر رُعتُه، وأكرَه أن أرُوعَ مُسلِمًا»(٥).

---

(١) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٧٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٤).

(٢) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٧٦٧)، و«البر والصلة» لابن الجوزي (٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٤).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٥).

(٤) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (٢: ٢٨٩)، و«معجم الأدباء» (٢: ٩٢٦)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٧٧).

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٢١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٥)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٧٨).

قال أحمدُ بن الحَواريِّ: قال عبدُ الله بن السَّريِّ: قال ابنُ سيرين: «إنِّي لأعرف الذنبَ الذي حمَلتُ به الدَّين، قلت لرجلٍ منذُ أربعين سنةً: يا مُفلِس، فحدَّثتُ به أبا سليمانَ الدّارانيّ، فقال: قَلَّت ذنوبُهم، فعَرفُوا من أين/ يُؤتَون، وكثُرَت ذنوبي[1] وذنوبُك فليس ندري مِن أين نُؤتَى»[2]. [١٣٢/ب]

قال سفيان: قال زُهَير: «كان ابنُ سيرينَ إذا ذكرَ الموتَ مات كلُّ عضوٍ منه على حِدَته»[3].

قال مهديّ: «كنّا نجلس إلى مُحمَّد، فيُحَدِّثُنا ونُحدِّثُه، ويُكثِر[4] إلينا، ونُكثِر[5] إليه، فإذا ذُكِرَ الموتُ تغيَّر لونُه واصفرّ، وأنكرناه، وكأنّه ليس بالذي كان»[6].

أسند ابنُ سيرينَ عن زيدِ بن ثابت، وابنِ عمر، وابنِ عبّاس، وأنس، وأبي هريرة، وغيرِهم من الصحابة، رضي الله عنهم، وتُوفِّي في سنةِ عشرٍ ومئة، بعدَ الحسنِ بمئة يوم، وهو ابنُ نيِّفٍ وثمانين سنةً[7].

* * *

---

(١) في (ق): «ذنوبنا».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٥)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٧٩).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٥١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٣: ٢١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٦).

(٤) في (ق) و(د): «ويكشر».

(٥) في (ق) و(د): «ونكشر».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ١٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٦).

(٧) انظر: «مرآة الزمان» (١٠: ٤٨٧)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٢: ٢٣٣)، و«طبقات علماء الحديث» (١: ١٥٢).

[بكر بن عبد الله المزني]

[٢٣٨] **ومنهم**: بكرُ بن عبد الله المُزَنيُّ[١]، بَصريٌّ[٢].

قال صالحُ المُزَنيّ: «وقف مُطرِّفٌ وبَكرٌ المُزَنيُّ بعرفة، فقال مُطَرِّف: اللَّهمَّ لا تَردَّهم اليومَ من أجلي، وقال بكر: ما أشرفَه من مقامٍ وأرجاه لأهله، لولا أنّي فيهم»[٣].

قال إبراهيمُ بن عيسى: قال بكرٌ المُزَنيّ: «مَن مِثلُكَ يا ابنَ آدم، خُلِّيَ بينَك وبينَ المِحرابِ والماء، كلَّما شئتَ دخلتَ على الله عزَّ وجلّ، ليس بينكَ وبينَه ترجمانٌ»[٤].

قال حُصَين: قال بكر: «لا يكونُ العبدُ تقيًّا حتَّى يكونَ تقيَّ[٥] الطمعِ تقيَّ الغضب»[٦].

وقال بكر: «إذا رأيتم الرجلَ مُوكَّلًا بعيوبِ الناس، ناسيًا لعيبه؛ فاعلموا أنّه قد مُكِرَ به»[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ٣٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٦)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٤٥).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ٣٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٦)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٤٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٦)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٤٦).

(٤) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٧٥٢)، و«الثقات» لابن حبان (٦: ٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٧).

(٥) في (د): «نقي» في الموضعين.

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٧)، و«البداية والنهاية» (٩: ٢٥٦).

(٧) انظر: «البداية والنهاية» (٩: ٢٥٦).

أسندَ بكرٌ عن ابنِ عمر، وجابر، وأنس، وغيرِهم من الصحابة، رضي الله عنهم، تُوفِّي سنةَ ثمان، وقيل: ستٍّ ومئة[١].

* * *

[مورِّق العجلي]

[٢٣٩] ومنهم: مُورِّقٌ العِجليُّ[٢]، يُكنَّى: أبا المُعتمِر، بَصريٌّ[٣].

قال هشام: قال مُورِّق: «ما تكلَّمتُ بشيءٍ في الغضب فندمتُ عليه في الرِّضا»[٤].

وقال: «ما وجدتُ للمؤمنِ مَثَلًا إلّا مَثلَ رجلٍ في البحر على خشبةٍ، فهو يدعو: يا ربُّ يا ربّ، لعلَّ الله تعالى أن يُنجِيَه»[٥].

قال زيادٌ الفِردَوسيّ: قال مُورِّق: «أمرٌ أنا في طلبِه منذُ عشرين سنةً لم أقدِر عليه، ولست بتاركٍ طلبَه أبدًا، قالوا: وما هو يا أبا المُعتَمِر؟ قال: الصمتُ عمّا لا يعنيني»[٦].

---

(١) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٩٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٧)، و«تهذيب الكمال» (٤: ٢١٨).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ١٦)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢٦٤).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٧)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢٩: ١٦)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢٦٤).

(٤) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٧٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٧).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٨).

(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٨)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٤٨).

قال جميلُ[(١)] بن مُرّة: «مسَّتنا حاجةٌ شديدة، فكان مُورِّقٌ يأتينا بالصُّرّة، فيقول: أمسِكوا هذه لي عندكم، ثمَّ يمضي غيرَ بعيد، فيقول: إن احتجتم إليها فأنفِقوها»[(٢)].

قال جعفر: قال بعضُ أصحابنا: «كان مُورِّقٌ يتَّجِرُ فيصيب المال، فلا يأتي عليه جمعةٌ وعنده منه شيء، يَلقَى الأخَ فيعطيه أربعَ مئة، خمسَ مئة، ثلاثَ مئة، فيقول: ضعها عندَك حتى تحتاجَ إليها، ثمَّ يلقاه بعد ذلك، فيقول: شأنُك بها، فيقولُ الأخ: لا حاجةَ لي فيها، فيقول: واللهِ ما نحن بآخِذِيها أبدًا، فشأنُك بها»[(٣)].

أسند مُورِّقٌ عن أبي ذرّ، وسلمانَ[(٤)]، وغيرِهما من الصحابة رضي الله عنهم، [١٣٣/أ] وتُوفِّي في ولاية ابنِ أبي هُبَيرةَ على العراق[(٥)].

* * *

[غزوان الرقاشي]

[٢٤٠] ومنهم: غزوانُ الرَّقاشيُّ[(٦)].

قال الحسن: قال لي[(٧)] غَزوان: «لله عَلَيَّ ألّا يراني الله عزَّ وجلَّ ضاحكًا حتَّى أعلمَ أيَّ الدّارَين داري، فوالله ما رُؤِيَ ضاحِكًا حتى لحق بالله عزَّ وجلَّ»[(٨)].

(١) في (د): «حميد». (٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢:١٤٨).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢:١٤٨)، و«السير» (٤: ٣٥٤).
(٤) في (ق): «وسليمان».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢:١٤٨)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٤٩)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ١٧).
(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٢١٧)، و«المنتظم» (٧: ١٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢:١٤٨).
(٧) «لي» ليس في (د).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢:١٤٨)، و«التخويف من النار» (٤٠).

قال عبدُ الحميدِ الرَّقاشيّ: سمِعتُ مشيختَنا يقولون: «إنّ غَزوانَ لم يضحك منذُ أربعِين سنةً»[١].

قال عبدُ الواحدِ بنُ زيد: «كان أصحابُ غزوانَ يقولون له: ما يمنعك من مُجالسةِ إخوانِك؟ فيبكي عندَ ذلك، ثُمَّ يَقُول[٢]: إنِّي أصبتُ راحةَ قلبي في مُجالسةِ مَن لديه حاجتي»[٣].

قال عبدُ الله بن المُبارك: قال الأوزاعيّ: قال هارونُ بن ريّان: «كانَ غَزوانُ في بعضِ غَزواته، فتكشَّفَت[٤] جارية، فنظر إليها، فرفع يدَه فلطمَ عَينَه حتى نَفَرَتْ[٥]، وقال: إنّك للحّاظةٌ إلى ما يضرُّك»[٦].

* * *

[العلاء بن زياد العدوي]

[٢٤١] **ومنهم**: العلاءُ بن زيادٍ العَدَويُّ[٧]، بَصريّ.

وكان له مالٌ ورقيق، فتَركَه وتَعبَّد، وكان يأكل كلَّ يومٍ رغيفَين، وترك مُجالسةَ الناس، يُصلِّي في جماعةٍ ثمَّ يرجع إلى أهله، ويعودُ المَرضى، ثمَّ يرجع إلى أهلِه، ويُشيِّعُ الجنازةَ ثمَّ يرجعُ إلى أهلِه، فطَفِئ[٨]، فلمّا بلغ ذلك إخوانَه أتاه أنسُ بن

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٢١٧)، و«المنتظم» (٧: ١٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٨).

(٢) قوله: «ثم» ليس في (ق).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢: ٢٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٨).

(٤) في (ق): «فكشفت».

(٥) في (ق): «فقرت».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٨).

(٧) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦: ٣٥٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٤٩).

(٨) قوله: «فطفئ» مضروب عليه في (د).

مالكٍ والحسنُ والنّاس، وقالوا: رحمَك الله تعالى، أهلكتَ نفسَك، فكلَّموه وهو ساكت، حتى إذا فرَغوا قال: إنّما أتذلَّل لله عزَّ وجلّ لعلَّه يرحمني[١].

قال قتادة: قال العلاء: «إنّما نحن وضَعنا أنفُسَنا في النار، فإن شاء الله عزَّ وجلَّ أن يُخرِجَنا منها أخرَجَنا»[٢].

قال قتادة: «بكى زيادٌ أبو العلاءِ حتَّى عَمِي، ثمَّ بكى ابنُه العلاءُ حتَّى عشي بصرُه، وكان إذا أراد أن يتكلَّم أجهشَه البكاءُ»[٣].

أسند عن عمرانَ بن حُصَين، وأبي هريرة، وأرسل عن أبي ذرٍّ وغيره من الصحابة، رضي الله عنهم، وتُوفِّي في ولايةِ الحجّاج على العراق[٤].

* * *

[معاوية بن قرة]

[٢٤٢] **ومنهم**: معاويةُ بن قُرّةَ[٥]، يُكنَّى: أبا إياسٍ[٦].

قال تمّامُ بن نَجِيح: قال معاويةُ بن قُرّة: «أدركت سبعين رجلًا من أصحابِ رسولِ الله ﷺ لو خرَجُوا فيكم اليومَ ما عرفوا شيئًا ممّا أنتم عليه إلّا الأذانَ»[٧].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٤٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٠)، و«تهذيب الكمال» (٢٢: ٥٠٤-٥٠٥)، و«البداية والنهاية» (٩: ٢٦).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٠)، و«مرآة الزمان» (٩: ٢٧٢).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٢١٨)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ١١٥٢).

(٥) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٦: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥١)، و«مرآة الزمان» (٩: ٢٧٣).

(٦) انظر: «المنتظم» (٦: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥١)، و«مرآة الزمان» (٩: ٢٧٣).

(٧) انظر: «المنتظم» (٦: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥١)، و«مرآة الزمان» (٩: ٢٧٣).

قال معاويةُ بن قُرّة: «كنّا عندَ الحسن، فتذاكَرنا أيَّ العملِ أفضلُ؟ فكُلُّهم اتَّفقوا على قيامِ الليل، فقلت أنا: تَرْكُ المحارِم، فانتبه لها الحسن، وقال: تمَّ الأمر، تمَّ الأمرُ»[١].

قال مُسلِم: «لَقِيَني مُعاويةُ بن قُرّةَ وأنا جاءٍ مِن الكلأ، فقال لي: ما صنعتَ؟ فقلت: اشتريتُ لأهلي[٢] كذا وكذا، فقال: وأصبتَ من حلالٍ؟ فقلت[٣]: نعم، فقال: لَأن أغدوَ فيما غدوتَ به أحبُّ إليَّ[٤] من أن أقومَ الليلَ وأصومَ النهار»[٥]. [١٣٣/ب]

قال خُلَيدُ بن دَعلَج: سمعتُ معاويةَ بن قُرّةَ يقول: «إنّ القومَ ليَحُجُّون[٦] ويعتَمِرون، ويُجاهدون، ويُصلُّون ويصومون، وما يُعطَونَ يوم القيامة إلّا عَلى[٧] قَدرِ عُقُولِهم»[٨].

أسندَ مُعاويةُ عن أنسِ بن مالك، وابنِ عبّاس، وغيرِهما من الصحابة، رضي الله عنهم[٩].

* * *

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥١).

(٢) «لأهلي» ليس في (د).

(٣) في (ق): «قلت».

(٤) «إلي» ليس في (د).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٣٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥١-١٥٢).

(٦) في (ق): «يحجون».

(٧) «على» ليس في (ق).

(٨) انظر: «روضة العقلاء» (٢١)، و«حلية الأولياء» (٢: ٣٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٢)، و«حسن التنبه» (١٠: ٤٢٨).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٢).

[قتادة بن دعامة السدوسي]

[٢٤٣] ومنهم: قتادةُ بن دِعامةَ السَّدُوسِيُّ[١]، يُكنَّى: أبا الخطاب[٢].

قال مطر: قال قتادة: «مَن يتَّقِ الله عزَّ وجلَّ يكن معه، ومَن يكن الله عزَّ وجلَّ معه فمعه الفِئةُ التي لا تُغلَب، والحارِسُ الذي لا ينام، والهادي الذي لا يَضِلُّ»[٣].

قال سعيدُ بن بشير: قال قتادة: «إنّ في الجنّة كُوًى إلى النار، فيَطَّلِعُ أهلُ الجنّةِ من تلك الكُوى فيقولون: ما بالُ الأشقياء! وإنّما دخَلنا الجنّة بفضل تأديبِكم؟ فيقولون: كنّا نأمُرُكم ولا نأتَمِر، وننهاكم ولا ننتهي»[٤].

قال شهاب: قال قتادة: «بابٌ من العلمِ يحفظه الرجلُ يطلُبُ به صلاحَ نفسِه وصلاحَ الناس أفضلُ من عِبادةِ حَولٍ كاملٍ»[٥].

قال مطر: «ما زال قتادةُ متعلِّمًا حتّى مات»[٦].

أسند قتادةُ عن أنس، وحنظلةَ الكاتب، وغيرِهما من الصحابة، رضي الله عنهم، وتُوفِّي سنة سبع عشرة ومئة[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الفقهاء» (٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٣)، و«معجم الأدباء» (٥: ٢٢٣٣).

(٢) انظر: «طبقات الفقهاء» (٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٣)، و«معجم الأدباء» (٥: ٢٢٣٣).

(٣) انظر: «صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله» (١٤١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٣)، و«التخويف من النار» (٢١٥).

(٥) انظر: «المنتظم» (٧: ١٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٣).

(٦) انظر: «تهذيب الكمال» (٢٣: ٥٠٩)، و«السير» (٥: ٢٧٥)، و«تهذيب التهذيب» (٨: ٣٥٣).

(٧) انظر: «تهذيب الكمال» (٢٣: ٥١٧).

[حُميد بن هلال العدوي]

[٢٤٤] ومنهم: حُمَيدُ بن هلالٍ العدويُّ[١]، يُكنَّى: أبا نصرٍ[٢].

قال قتادة: «كان حُمَيدٌ من العلماءِ الفقهاء، لم يكن يُذاكَر ولا يُسأل، إنّما كان يعتزلُ في مكان»[٣].

قال أبو هلال: «ما كان بالبَصرة[٤] أعلمُ من حُمَيد، ما أستثني الحسنَ ولا مُحمَّدًا»[٥].

قال حُمَيد: «مَثَلُ ذاكِرِ[٦] الله عزَّ وجلَّ في السوق كمَثَلِ شجرةٍ خضراءَ وسطَ شجرٍ ميِّتٍ»[٧].

أسند حُمَيدٌ عن أنس، وعبدِ الله بن مُغَفَّل، وغيرِهما من الصحابة، رضي الله عنهم[٨].

* * *

(١) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٤: ١٤٧)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ١٦٣)، و«المنتظم» (٧: ١١٩).

(٢) في (د): «نصرة»، وانظر: «الثقات» لابن حبان (٤: ١٤٧)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ١٦٣)، و«المنتظم» (٧: ١١٩).

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٤٤).

(٤) في (ق): «بالبصريين».

(٥) انظر: «مسند ابن الجعد» (١١٦٦)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٣)، و«تهذيب الكمال» (٧: ٤٠٥-٤٠٦).

(٦) في (د): «ذكر».

(٧) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٩١٩)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٤٤).

(٨) انظر: «المنتظم» (٧: ١١٩).

[ثابت البُناني]

[٢٤٥] **ومنهم:** ثابتُ البُنانِيُّ[١]، يُكنَّى: أبا مُحمَّد، بَصريٌّ[٢].

قال بكرُ بن عبد الله: «مَن سَرَّهُ أن ينظرَ إلى أعبَدِ رجلٍ أدركناه في زمانه فلينظر إلى ثابتٍ البُنانيّ، يَظَلُّ يُراوِحُ بينَ[٣] قدمَيه وجبهَته»[٤].

قال مُحمَّدُ بن أبي رَزِين: قال ثابت: «كابَدتُ الصلاةَ عشرين سنة، وتنعَّمتُ بها عشرين سنةً»[٥].

قال سهلُ بن أسلم: «كان ثابتُ البُنانيُّ يُصلِّي في كلِّ ليلةٍ ثلاثَ مئة ركعة، فإذا أصبح ضَمُرت[٦] قدماه، فيأخُذهما بيدِه فيعصِرُهما ثمَّ يقول: مضى العابِدون وقُطِعَ بي وا لَهفاه!»[٧].

قال شعبة: «كان ثابِتٌ يقرأ القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلة، ويصومُ/ الدَّهر»[٨]. [١٣٤/أ]

---

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ٤٤٩)، و«المنتظم» (٧: ١٨٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٤٤٧).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ٤٤٩)، و«المنتظم» (٧: ١٨٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٤٤٧).

(٣) في «صفة الصفوة»: «يظل صائمًا ويراوح ما بين».

(٤) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٧٨٧)، و«المنتظم» (٧: ١٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٤).

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٤)، و«مختصر منهاج القاصدين» (٣٥١).

(٦) في (ق): «ظمرت»، وفي (د): «ظهرت».

(٧) انظر: «حفظ العمر» لابن الجوزي (٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٤)، و«مرآة الزمان» (١١: ٧٨).

(٨) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٥)، و«مرآة الزمان» (١١: ٧٨).

قال جعفرُ بن سُلَيمان: قال ثابت: «كان رجلٌ من العُبّادِ يقول: إذا نِمتُ ثمَّ استيقظتُ ثمَّ أردت أن أعودَ إلى النومِ فلا أنامَ الله عزَّ وجلَّ عينَيَّ إذًا»، قال جعفر: «كنّا نراه يعني نفسَه»[١].

قال أنسٌ لثابت: «ما أشبهَ عينَيك بعينَي رسولِ الله ﷺ! فما زال يَبكِي حتَّى عَمِشَت عيناه»[٢].

قال جعفر: «اشتكى ثابتٌ عينَيه، فقال له الطبيب: اضمَن لي خصلةً تَبرأ عينُك، قال: وما هي؟ قال: لا تَبك، قال: وما خيرٌ في عينٍ لا تبكي!»[٣].

قال هشام: «ما رأيتُ قطُّ أصبرَ على طُولِ القيامِ والسَّهرِ من ثابت، صَحِبناه مرّةً إلى مكّةَ، فكُنّا إن[٤] نزلنا ليلًا فهو قائِمٌ يُصلِّي، ومتى شِئتَ أن تراه أو تُحِسَّ به مُستيقِظًا ونحن نسيرُ إمّا باكيًا وإما تالِيًا»[٥].

وكان يقوم الليلَ ويصوم النهارَ[٦].

ويقول: «ما شيءٌ أجِدُه في قلبي ألذَّ عندي من قيامِ الليل»[٧].

قال شُبّانُ بن جِسرٍ[٨]: قال: «إنِّي أنا[٩] والله الذي لا إلهَ إلّا هو أدخَلتُ ثابتًا

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٥).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٥)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٣: ٦٤).

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٥)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ٣١).

(٤) في (د): «إذا».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٥).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٥).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٥).

(٨) في (د): «حسر».

(٩) «أنا» ليس في (د).

لَحدَه، ومعي حُمَيدٌ الطويلُ أو رجلٌ غيرُه، شكَّ مُحمَّد، فلمّا سوَّينا عليه اللَّبِن سقَطَت لَبِنة، فإذا به يُصلِّي في قَبرِه، فقلت للذي معي: ألا ترى؟ فقال: اسكُت، فلمّا سوَّينا عليه أتينا ابنتَه، فقلنا لها: ما كان عَملُ ثابتٍ؟ فقالت: وما رأيتم؟ فأخبَرناها الخبرَ[١]، فقالت: كان يقومُ الليلَ خمسين سنةً، فإذا كان السَّحَر قال في دعائه: اللهمَّ إن كنتَ أعطَيتَ أحدًا من خلقِك الصلاةَ في قبرِه فأعطِنيها[٢]، فما كان الله عزَّ وجلَّ ليَرُدَّ ذلك الدعاء»[٣].

قال إبراهيمُ بن الصِّمّةِ[٤] المُهلَّبيّ: «حدَّثني الذين كانوا يمرُّون بالجِصِّ بالأسحار، قالوا: كنّا إذا مرَرنا بجَنَباتِ قبرِ ثابتٍ سَمِعنا القرآنَ»[٥].

أسند ثابتٌ عن ابنِ عُمر، وابنِ الزُّبير، وأنسٍ، في آخرِين، وتُوفِّي في ولايةِ خالدِ بن عبد الله العراقَ[٦].

* * *

[إياس بن معاوية بن قرة المزني]

[٢٤٦] ومنهم: إياسُ بن مُعاويةَ بن قُرّةَ المُزَنيُّ[٧]، يُكنَّى: أبا وائلة، كان قاضيًا على البَصرة[٨]، غزيرَ العقل والدين.

---

(١) «الخبر» ليس في (د).
(٢) في (ق): «فأعطينيها».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٥).
(٤) في (ق) و(د): «إبراهيم الصمة».
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٣٢٢)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧١٦).
(٦) انظر: «المعارف» (١: ٤٧٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٦).
(٧) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ٢٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٦)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٢: ٣٠٦).
(٨) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ٢٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٦)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٢: ٣٠٦).

كان يقول: «كلُّ رجلٍ لا يَعرِفُ عيبَهُ فهو أحمق، قالوا: فما عَيبُك؟ قال: كثرةُ الكلام»[١].

أسندَ عن أبيهِ وأنسِ بن مالكٍ وابنِ المُسَيَّب، وغيرِهم[٢].

* * *

[بديل بن ميسرة العقيلي]

[٢٤٧] ومنهم: بُدَيلُ[٣] بن مَيسرة العُقَيليُّ[٤].

قال بشرُ بن منصور: «بكى بُدَيلٌ حتَّى قَرِحَت أماقِيه، فكان يُعاتَبُ في ذلك، فيقول: إنّما أبكي من طول العطشِ يوم القيامةِ».

قال السَّرِيُّ[٥] بن يحيى: قال بُدَيلٌ[٦]: «مَن أراد بعَمَلِه وجهَ الله عزَّ وجلَّ أقبلَ الله تعالى إليه بوَجهِه، وأقبلَت[٧] قلوبُ/ العباد إليه، ومَن عَمِلَ لغيرِ الله عزَّ وجلَّ صَرفَ الله عزَّ وجلَّ عنه وجهَه، وصرفَ قلوبَ العبادِ عنه»[٨]. [١٣٤/ب]

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٦)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٥١).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٢: ٢٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٦)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٢: ٣٠٦).

(٣) في (ق): «بذيل».

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٢٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٧)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٠١).

(٥) في (ق): «السدي».

(٦) في (ق): «بذيل».

(٧) في (ق): «وأقبل».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٧)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٠١).

قال هشام: قال بُدَيل: «الصيامُ مَعقِلُ العابدين»(١).

قال مَهدِيّ: «رأيتُ يومَ مات بُدَيلٌ قائلًا يقول: ألا إنّ بُدَيلًا أصبح من سكّانِ الجنّة»(٢).

أسندَ بُدَيلٌ عن أنسٍ وغيرِه من الصحابة، رضي الله عنهم، وتُوفِّي سنةَ ثلاثٍ ومئةٍ(٣).

* * *

[أبو ريحانة عبد الله بن مطر]

[٢٤٨] **ومنهم**: أبو ريحانةَ عبدُ الله بن مطرٍ(٤).

قال فروةُ الأعمى: «رَكِبَ أبو ريحانةَ البحر، وكان يَخِيطُ بإبرةٍ فسقَطَت في البحر، فقال: عَزمتُ عليك يا ربُّ إلّا رَددتَ عليَّ(٥) إبرَتي، فظهَرَت حتَّى أخَذَها»(٦).

قال: «واشتدَّ عليهم البحرُ ذات يومٍ وهاج، فقال: اسكن أيُّها البحرُ؛ فإنّما(٧) أنت عبدٌ حبشيّ، فسكن حتَّى صار كالزيت»(٨).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٧)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٠١).

(٢) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٧).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٧)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٠١).

(٤) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٧: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٨)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٨٧).

(٥) «علي» ليس في (د).

(٦) انظر: «المنتظم» (٧: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٨)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٨٧).

(٧) في (د): «إنما».

(٨) انظر: «المنتظم» (٧: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٨).

روى أبو ريحانةَ عن ابنِ عمر وسفينةَ، رضي الله عنهما[١].

* * *

[محمد بن واسع]

[٢٤٩] **ومنهم**: مُحمَّدُ بن واسعٍ[٢]، يُكنَّى: أبا عبد الله، بَصريٌّ[٣].

قال موسى بن بشّار: «صَحِبتُ مُحمَّدَ بن واسعٍ من مكّةَ إلى البَصرة، فكان يُصلِّي الليلَ أجمع، يُصلِّي في المَحمَلِ جالسًا يُومِئُ برأسه إيماءً، وكان يأمر الحاديَ يكون خلفَه فيرفع صوتَه حتَّى لا يُفطَن له، وكان ربَّما عرَّسَ من الليلِ، فينزل فيُصلِّي، فإذا أصبح أيقظَ أصحابَه»[٤].

وكان مُحمَّدُ بن واسعٍ مع قتيبةَ بنِ مُسلِمٍ في جيش، وكان صاحِبَ خراسان، وكانت التُّركُ قد خرَجَت إليهم، فبعث إلى المسجدِ ينظرُ مَن فِيه، فقيل له: ما فيهِ إلا مُحمَّدُ بن واسعٍ رافِعًا أُصبَعه، فقال قُتَيبة: أُصبَعُه تِلكَ أحَبُّ إليَّ من ثلاثين ألفَ عنانٍ[٥].

قال مُطَرِّفٌ الوَرّاق: «ما اشتهَيتُ[٦] أن أبكيَ قطُّ حتَّى أشتفِي إلّا نظرتُ إلى

(١) انظر: «المنتظم» (٧: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٨).
(٢) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٧: ٣٦٦)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٢١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٨).
(٣) انظر: «الثقات» لابن حبان (٧: ٣٦٦)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٢١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٨).
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ١٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٨)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٢٣).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٨)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٢٣)، و«حسن التنبه» (٣: ٥٥).
(٦) في (د): «اشتبهت».

وجه مُحمَّدِ بن واسع، إذا نظرتُ إلى وجهِه كأنّه قد ثَكِلَ عشرةً من الحُزن»[١].

قال يونس: سمِعتُ مُحمَّدَ بن واسع يقول: «لو كان يُوجَد للذنوبِ رائحةٌ ما قدَرتُم أن تَدنُوا منِّي من نَتنِ رِيحِي»[٢].

قال أبو شَوذَب: «قسَّم أميرُ البَصرةِ على أهل البَصرة، فبعث إلى مالكِ بن دينار، فقَبِل، فأتاه مُحمَّدُ بن واسع، فقال: يا مالك، قَبِلتَ جوائزَ السلطان؟ فقال: يا أبا بَكر، سَل جُلسائي، فقالوا: اشترَى بها رِقابًا فأعتَقَهم، فقال لهُ[٣] مُحمَّد: أنشُدُكَ الله العظيمَ أقلبُك الساعةَ له على ما كان قبل أن يُجِيزَك؟ فقال: اللهمَّ لا، فقال: ترى أيَّ شيءٍ دخلَ عليك، فقال مالكٌ لجُلسائه: إنّما مالِكٌ حمار، إنّما يعبد اللهَ تعالى مثلُ مُحمَّدِ بن واسع»[٤].

[١٣٥/أ] قال الحارثُ بن نبهان: سمعتُ مُحمَّدَ بن واسع يقول: «وا أصحاباه! ذهب أصحابي، قلت: رحمك الله تعالى، أليس قد نشأ شَبابٌ[٥] يصومون النهار، ويقومون الليل، ويجاهدون في سبيل الله عزَّ وجلّ؟ فقال: بلى، ولكن أخ - وتَفلَ - أفسَدَهُمُ العُجبُ»[٦].

---

(١) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٩)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٢٤).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٣٩)، و«المنتظم» (٧: ٢٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٩).

(٣) «له» ليس في (د).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ١٥٦)، و«المنتظم» (٧: ٢٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٩).

(٥) في (ق): «شبان».

(٦) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٥٧٢)، و«المنتظم» (٧: ٢٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٩).

قال حمّادُ بن زيد: «دخلنا على مُحمَّدِ بن واسع نعودُه في مرضه، فجاء يحيى البكّاءُ يستأذن، فقال: شَرُّ أيامكم يومَ نُسبتُم[١] إلىَ[٢] البكاء؛ إن كان الرجلُ لَيبكي عشرين سنةً وامرأتُه معه لا تعلم»[٣].

قال الفُضَيلُ بن عياض: قال مالكُ بن دينار: «إنِّي لأغبِطُ الرجلَ يكون عَيشُه كفافًا فيَقنَع، فقال مُحمَّدُ بن واسع: أغبَطُ واللهِ عندِي مِن ذلك أن يُصبِحَ جائعًا ويُمسِي جائعًا وهو عن الله تعالى راضٍ»[٤].

قال عبدُ الله الزرّاد: «رأى مُحمَّدُ بن واسع ابنًا له وهو يَخطِر بيده، فقال: ويحَك! تعال، تدري[٥] مَن أنت؟ أمُّكَ اشتريتُها بمئتي درهم، وأبوك فلا أكثرَ الله عزَّ وجلَّ في المسلمين مثلَه، تَمشِي هذه المِشية!»[٦].

قال مُحمَّدُ بن مِهزَم: «كان مُحمَّدُ بن واسعٍ يصوم الدهرَ ويُخفي ذلك»[٧].

قال ابنُ سلام: قال مُحمَّدُ بن واسع: «ما آسَى من الدُّنيا إلّا على ثلاثة: صاحِب إذا اعوجَجتُ قوَّمني، وصلاةٍ في جماعةٍ يُحمَل عنِّي سَهوها، وأفوزُ بفَضلِها، وقُوتٍ من الدنيا ليس لأحدٍ فيه مِنّة، ولا لله تعالى عليَّ فيه تَبِعةٌ»[٨].

---

(١) كذا في «المنتظم» و«مرآة الزمان» و(د)، وفي (ق): «نسبتم».
(٢) «إلى» ليس في (ق).
(٣) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥٩)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٢٥).
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ١٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٠)، و«البداية والنهاية» (٩: ٣٣٩).
(٥) «تدري» ليس في (د).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٠)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٢٢).
(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ١٥٢)، و«المنتظم» (٧: ٢٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٠).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٠)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٢٥)، و«البداية والنهاية» (٩: ٣٣٩).

قال أبو عامر: حدَّثني صاحِبٌ لنا، قال: «لمّا ثَقُل مُحمَّدُ بن واسع كَثُرَ الناسُ عليه في العيادة، قال: فدخَلت فإذا قومٌ قيامٌ وآخَرون قُعود، فأقبل علَيّ، وقال: أخبِرني ما يُغني هؤلاء عنِّي[١] إذا أُخِذ بناصيتي وقَدَمي غدًا وأُلقِيت في النار؟ ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١][٢].

قال مُحمَّدُ بن عبدِ الله مولى الثَّقفِيِّين[٣]: «دخلنا على مُحمَّدِ بن واسعٍ وهو يقضي، فقال: يا إخوتاه، هَبُوني[٤] وإيّاكم سألنا الله عزَّ وجلَّ الرجعةَ فأعطاكُموها ومنَعَنيها، فلا تحسُدوا أنفُسَكم»[٥].

أسند مُحمَّدُ بن واسعٍ عن أنسٍ بن مالك، وروى عن[٦] جماعةٍ من كبار التابعين، كالحسن، وابنِ سيرين، وتُوفِّي بعد الحسنِ بعشر سنين، كأنّه مات سنةَ عشرين ومئة[٧].

* * *

[فرقد السبخي]

[٢٥٠] ومنهم: فرقَدٌ السَّبخيُّ[٨]، يُكنَّى: أبا يعقوبَ[٩].

---

(١) في (د): «عني هؤلاء».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ١٧٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٠).

(٣) بعدها في (ق) و(د): «قال».

(٤) في (د): «وهبوني».

(٥) انظر: «الثبات عند الممات» (١٤٥-١٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦١).

(٦) «عن» ليس في (د).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦١).

(٨) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧: ٨١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢٣: ١٦٤).

(٩) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧: ٨١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢٣: ١٦٤).

قال أحمدُ بنُ حنبل: قال إبراهيمُ الدَّورَقيّ: قال الهيثمُ بن مُعاوية: حدَّثني شيخٌ لي، قال: «اجتمع عُبّادٌ من أهل الكوفة، فقالوا: انحَدِرُوا[١] بنا إلى البصرة فننظرَ إلى عِبادَتِهم، فقال / بعضُهم: اغدُوا بنا إلى فرقدٍ السَّبخيّ، فدخَلوا عليه [١٣٥/ب] فحدَّثهم ساعة، ثمَّ قالوا[٢]: يا أبا يعقوبَ، الغداء، فقال: إنّما طوَّلتُ حديثي لكم لتجوعوا فتأكلوا ما عندي، أنزِلُوا تلك القُفّة، فأنزَلُوها فأخرَجُوا منها كِسَرَ خُبزِ شعيرٍ أسود، فقالوا له: مِلحٌ يا أبا يعقوب، فقال: قد طرَحنا في العجين مِلحًا مرّة، لمَ تُعَنُّوني أن[٣] أطلُبَ لكم؟»[٤].

قال جعفرُ بن سليمان: قال فرقد: «إنّ ملوكَ بني إسرائيلَ كانوا يَقتُلونَ قُرّاءَهم على الدين، وإنّ ملوكَكم إنّما يَقتُلونكم على الدنيا، فدَعُوهم والدنيا»[٥].

وقال جعفر: سمعت فرقدًا يقول: «قرأتُ في التوراة: مَن أصبح حزينًا على الدنيا أصبح ساخِطًا على ربِّه عزَّ وجلّ، ومَن جالَسَ غنيًّا فتضعضَعَ له ذهب ثُلُثا دِينه، ومَن أصابَته مصيبةٌ فشكى إلى الناس فإنّما يشكو ربَّه عزَّ وجلَّ»[٦].

قال عبدُ الواحدِ بن زياد: قال فرقد: «ما انتبهتُ من نومي إلّا خِفتُ أن أكونَ قد مُسِخت»[٧].

قال ابنُ شَوذَب: قال فرقد: «لبِستُم ثيابَ الفراغِ قبل العمل، ألم ترَوا إلى

---

(١) في (ق): «تحدروا». (٢) في (د): «قال».

(٣) «أن» مثبت من «الزهد» و«صفة الصفوة».

(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٩١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢٣: ١٦٧).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢٣: ١٦٨).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦١)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٢٤).

الفاعلِ كيف يَلبَس أدنى ثيابِه، فإذا فرَغ اغتسلَ ولَبِسَ ثوبَين نقيَّين، وأنتم تلبَسون ثيابَ الفراغ قبل العمل»(١).

أسندَ فرقدٌ عن أنسِ بن مالك، وسمع من جماعةٍ من كبار التابعين، كسعيدِ بن جُبَير، وأبي الشعثاء، وغيرهما، وشغَلَه التعبُّدُ عن حِفظِ الحديث، ومات في أيّامِ الطاعون بالبَصرة سنة إحدى وثلاثين ومئة(٢).

* * *

[مالك بن دينار]

[٢٥١] **ومنهم:** مالكُ بنُ دينارٍ(٣)، يُكنَّى: أبا يحيى، مولًى، بَصريٌّ(٤).

قال جعفر: قال مالِكُ بن دينار: «ما تَنعَّمَ المُتنعِّمون بمِثلِ ذِكرِ الله عزَّ وجلّ، يا حمَلةَ القرآن، ما(٥) زَرعَ القرآنُ في قُلوبِكم؟ فإنّ القرآنَ ربيعُ المؤمن، كما أنّ الغيثَ ربيعُ الأرض، وقد يَنزِلُ الغيثُ من السماءِ إلى الأرض، فيُصِيبُ الحُشّ، فتكون فيه الحَبّةُ فلا يمنعها نَتنُ مَوضِعها أن تهتزَّ وتَحسُن، يا هؤلاء، لا تجعلوا بطونكم جُرُبًا للشيطانِ يُوعِي فيها إبليسُ ما شاء»(٦).

---

(١) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٩١٤)، و«حفظ العمر» لابن الجوزي (٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦١-١٦٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٢).

(٣) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٠٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٣٩٣)، و«المنتظم» (٧: ٢٨٣).

(٤) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٠٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٣٩٣)، و«المنتظم» (٧: ٢٨٣).

(٥) في «صفة الصفوة»: «ماذا».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٢)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٢٩).

وكـان يقول: «لـو صلح لي أن آكُلَ الرمادَ لأكَلتُه، ولـو صلح أن أعمدَ إلى بُورِيٍّ[١] فأقطَعَه قطعتَين فأتَّزِرُ بقطعةٍ وأرتدي بقطعةٍ لفعلت، ولقد همَمتُ أن آمرَ إذا مِتُّ أن أُغلَّ فأُرفعَ[٢] إلى ربِّي مغلولًا كما يُرفَع[٣] الآبِقُ إلى مولاه»[٤].

قال عثمانُ بن إبراهيم: سمعتُ مالكَ بن دينارٍ يقولُ لرجلٍ من أصحابِه: «إنِّي لأشتَهِي رغيفًا بلبنٍ رائبٍ[٥] منذُ أربعين/ سنةً، فجاء به، فجعل مالِكٌ يُقلِّبُه وينظر، ثمَّ قال: غلبتُكِ منذُ أربعين سنةً حتَّى اليوم، تريدين أن تغلِبيني؟ إليكِ عنِّي، وأبى أن يأكُلَه»[٦]. [١٣٦/أ]

قال مُسلِم: قال مالكُ بن دينار: «منذُ عرفتُ الناسَ لم أفرَح بمَدحِهم[٧]، ولم أكرَه مَذَمَّتهم، قيل: ولِمَ؟ قال: لأنّ حامِدَهم مُفرِط، وذامَّهم مُفَرِّط»[٨].

قال عمرُ بن أحمد: قال مالكُ بن دينار: «مَثَلُ قُرّاءِ هذا الزمان كمَثَلِ رجلٍ نصب فخًّا ونصب فيه بُرّةً، فجاء عصفور، فقال: ما غيَّبَك في الترابِ؟ فقال: التواضع، قال: لأيِّ شيءٍ انحنَيت؟ قال: من طولِ العبادة، قال: فما هذه البُرّةُ المنصوبةُ؟ قال: أعدَدتُها للصائمين، قال: نِعمَ الجارُ أنت، فلمّا كان عند المغرب دنا العصفورُ ليأخذها، فخَنقَه الفخّ، فقال العصفور: إن كان العُبّادُ يَخنُقونَ خَنقَك فلا خيرَ في العُبّادِ اليوم»[٩].

---

(١) في (د): «بردي».
(٢) في (د): «فأرتفع».
(٣) في (ق): «يدفع».
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٢).
(٥) في (د): «رأيته».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٣)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٢٧-٤٢٨).
(٧) في (ق): «بمدحتهم».
(٨) انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (١٥٥).
(٩) انظر: «العزلة» للخطابي (٨٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٣٧)، و«الأذكياء» (٢٤٢).

قال جعفرُ بن سُليمان: «مَرَّ والي البصرة بمالكِ بن دينارٍ وهو يَرفُل، فصاح به مالك: أَقِلَّ مِن مِشيَتِك. فهَمَّ خدَمُه به، فقال: دَعُوه، ما أراكَ تعرفني، فقال له مالِك: ومَن أعرَفُ بكَ منِّي، أمّا أوَّلُك فنُطفةٌ مَذِرة[١]، وأمّا آخِرُك فجِيفةٌ قَذِرةٌ[٢]، ثمَّ أنتَ بين ذلك تَحمِل العَذِرة، فنكَّسَ الوالي رأسَه ومشى»[٣].

قال جعفرُ بن سليمان: «كان مالكُ بن دينارٍ يُرى يومَ الترويةِ بالبَصرة، ويومَ عرفةَ بعرفات»[٤].

وكان يقول: «عجبًا لمَن يعلم أنّ الموتَ مَصيرُه والقبرَ مَوردُه، كيف تَقَرُّ بالدنيا عينُه[٥]، وكيف يَطِيب فيها عيشُه؟ ثمَّ يَبكِي حتَّى يَسقُطَ مَغشِيًّا عليه»[٦].

وكان يقول: «إنّ لكلِّ شيءٍ لقاحًا، وإنّ هذا الحزنَ لَقاحُ العملِ الصالح؛ إنّه لا يصبر[٧] أحدٌ على هذا الأمر إلّا بحُزن، فوالله ما اجتمعا في قلب عبد قطُّ؛ حزنٌ بالآخرةِ وفرحٌ بالدنيا، إنّ أحدَهما لَيطرُدُ الآخرَ»[٨].

وكان يقول: «كان الأبرارُ يتواصَون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعُزلة»[٩].

وكان يقول: «إنّ البدنَ إذا سَقِمَ لم ينجَع فيه طعامٌ ولا شراب، ولا نوم ولا

---

(١) في (ق): «قدرة». (٢) في (ق): «قدرة».

(٣) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٨٣-٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٤)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٣٠).

(٤) انظر: «مرآة الزمان» (١١: ٤٣١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٤).

(٥) في (د): «عينيه».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٤).

(٧) في (ق): «لا يصير».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٤)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٤: ٣٦).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٤)، و«حسن التنبه» (٣: ٣٨٦).

راحة، وكذلك[١] القلبُ إذا عَلِقَه حُبُّ الدنيا لم تنجع فيه المَواعِظ، وبقَدرِ ما تَحزن للدنيا يخرج هَمُّ الآخرةِ من قَلبِك، وبقَدرِ ما تَحزَن للآخرةِ يَخرجُ همُّ الدنيا من قلبك»[٢].

ودخل مالكٌ على رَجلٍ مَحبُوسٍ وقد قُيِّد، فقال: يا أبا يحيى، أما ترى ما أنا فيه من هذه القيود؟ فرفع مالكٌ رأسَه، فإذا/ سَلّة، فقال: لمَن هذه السلّةُ؟ فقال: لي، فقال: مُر بها فلتُنزَل، فأُنزِلَت، فوُضِعَت بين يدَيه، فإذا فيها دجاجٌ وأخبِصة، فقال مالِك: هذه وضعَت القيودَ في رِجلِك لا هُم، وقام عنه[٣]. [١٣٦/ب]

قال مالِك: «قَدِمتُ من سَفَر، فلمّا صِرت بالجسر قام العَشّار، وقال: لا يَخرُجَنَّ أحدٌ من السفينة، فأخَذتُ ثوبي فوضَعتُه على عُنُقِي ثمَّ وثَبت، فإذا أنا على الأرض، فقال لي: ما أخرجَك؟ فقلت: ليس معي شيء، فقال: اذهَب، فقلت في نفسي: هَكذا أمرُ الآخرة»[٤].

وكان مالِكٌ يطُوفُ بالبَصرة بالأسواقِ فينظر في أشياءَ يشتهيها، فيرجِع فيقول لنفسه: أبشِري؛ والله ما حَرمتُك إلّا لكَرامَتِك[٥].

قال الحارثُ بن سعيد: «كنّا عندَ مالكِ بن دينارٍ وهناك قارِئ، فقرأ:

---

(١) في (د): «كذلك».

(٢) قوله: «وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج همُّ الدنيا من قلبك» ليس في (د)، وانظر: «مختصر قيام الليل» (٦٦)، و«حلية الأولياء» (٢: ٢٦٣)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (٢٥١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٤)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٢٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٤).

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]، فجَعلَ مالِكٌ[١] ينتفِض، وأهلُ المَجلِسِ يَبكُونَ ويَصرُخون، حتَّى انتهى إلى قولِه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فجعل يبكي ويَشهَق، حتَّى غُشِي عليه، فحُمِلَ صَرِيعًا»[٢].

قال جَعفر: قال مالِك: «إنّ في بعضِ الكتب: إنّ الله عزَّ وجلَّ يقول: إنّ أهوَنَ ما أنا صانِعٌ بالعالِم إذا أحبَّ الدنيا أن أُخرِجَ حلاوةَ ذِكرِي من قلبِه»[٣].

وقع حريقٌ بالبصرة، فأخَذَ مالِكٌ بطَرفِ كِسائِه، وقال: «هَلكَ أصحابُ الأثقال»[٤].

وكان يقول: «إنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ العبدَ انتقصَه من دنياه، وكفَّ عليه ضَيعَتَه، ويقول: لا تَبرَح من بين يدي، فهو مُتفَرِّغٌ لخدمةِ ربِّه عزَّ وجلّ، وإذا أبغَضَ عبدًا دفع[٥] في نَحرِه شيئًا من الدنيا، ويقول: اغرُب من بين يدَيّ، فلا أراك بينَ يدَي، فتراه مُعلَّقَ القلبِ بأرض كذا وبتجارةِ كذا»[٦].

قال الحارثُ بن عُبَيد: قال مالِك: «لو أنّ القومَ كُلِّفُوا الصَّمْتَ[٧] لأقَلُّوا المَنطِقَ»[٨].

---

(١) «مالك» ليس في (د).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٥)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٢٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٥)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٣٠).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٦).

(٥) في (د): «رفع».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٦).

(٧) في (د) و«صفة الصفوة»: «الصحف»، وفي (ق): «المصحف».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٦).

قال مالكُ بن دينار: «والله لو وقف مَلِكٌ ببابِ المسجد، وقال: يَخرُجُ شرُّ مَن في المسجد، لبادَرتُكم إليه»[١].

قال المغيرةُ بن حبيبٍ خَتَنُ مالكِ بن دينار: «قلتُ لنفسي: يموتُ مالكُ بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عَملُه، قال: فصَلَّيتُ معه العشاءَ الآخرة، ثمَّ جئتُ فلَبستُ قطيفةً، وجاء مالكٌ فدخل، فقرَّب رغيفَه فأكل، ثمَّ قام إلى الصلاةِ فاستفتح، ثمَّ أخذ بِلحيته فجعل يقول: يا ربِّ، إذا جمعت الأوَّلين والآخرِين فحرِّم شَيبةَ مالكِ بن دينارٍ على النار،/ فوالله ما زال كذلك حتَّى غلبَتنِي عيني، ثمَّ انتبَهتُ فإذا هو قائمٌ على تلك الحال، ثمَّ ما زال كذلك حتَّى طلعَ الفجر»[٢]. [١٣٧/أ]

قال جعفرُ بن سليمان: قال مالك: «كفى بالمرءِ خِيانةً أن يكون أمينًا للخَونة، وكفى بالمرء شرًّا أن لا يكونَ صالحًا ويقعَ في الصالحِين»[٣].

وقال مالك: «خرج أهلُ الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيبَ شيءٍ فيها، قالوا: وما هو؟ قال: معرفةُ الله عزَّ وجلَّ»[٤].

وقال: «قولوا لمَن لم يكن صادِقًا: لا يتعنَّى»[٥].

وقال: «إنّ القلبَ إذا لم يكن فيه حزنٌ خَرِب، كما أنّ البيتَ إذا لم يُسكَن

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٦).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٦-١٦٧).

(٣) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (٢٦٢) معلقًا، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٧).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٣٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٢١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٧).

(٥) انظر: «تلبيس إبليس» (١٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٧).

خَرِبَ[١]، ولو أعلمُ أنَّ قلبي يَصلُحُ على كُناسةٍ لذهبت حتَّى أجلس عليها»[٢].

وكان يقول: «أنتم تستبطئون المطر، وأنا أستبطئُ الحِجارة، إن لم تُمطِر حجارةً فنحن بخير»[٣].

وكان يقول: «الدنيا كالسمِّ أكَلَه مَن لا يعرفه، واجتنبه مَن عرَفَه، ومَثَلُ الدنيا مَثَلُ الحيّة؛ ليِّنٌ مسُّها وفي جوفها السمّ، يَحذَرُها ذوو العقول، ويهوي إليها الصبيانُ بأيديهم»[٤].

وقال مالك: «لو استطعتُ ألّا أنامَ لم أنَم مخافةَ أن ينزلَ العذابُ وأنا نائِم، ولو وجدتُ أعوانًا لفرَّقتُهم ينادون في مَنارِ[٥] الدنيا كلِّها: يا أيُّها[٦] الناس، النارَ النارَ»[٧].

وكان يقول: «كلُّ أخٍ وجليسٍ وصاحِبٍ لا تستفيد منه دينَك فانبِذ عنك صُحبَتَه[٨]، وما ضُرِب عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوةِ القلب»[٩].

---

(١) انظر: «عيوب النفس» (٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٧).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٧)، و«تاريخ الإسلام» (١١: ٧١).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (١: ٣٠٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٣٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٨).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٨).

(٥) في (ق): «منازل».

(٦) في (د): «أن يا أيها».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٩)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٢١٦).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٩)، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه» (١: ٧٥).

(٩) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٩)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٣١).

قال جعفر: قال مالك: «خرج سليمانُ بن داودَ عليه السلامُ في مَوكِبه، فمرَّ ببُلبلٍ على غصن شوكٍ يَصفِرُ ويَضرِبُ بذَنَبِه، فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: الله ورسولُه أعلم، قال: فإنه يقول: قد أصبتُ اليومَ نصفَ تمرةٍ؛ فعلى الدُّنيا العَفاء»[١].

قال فُضَيل بن عياض: «رأى مالكُ بن دينارٍ رجلًا يُسيءُ صلاتَه، فقال: ما أرحَمَني لعياله، فقيل له: يُسيءُ هذا صلاتَه وترحمُ عيالَه؟ فقال: إنّه كبيرُهم ومنه يتعلَّمون»[٢].

قال له شخص: «يا مُراءٍ، قال: متى عرفتَ اسمي؟ ما عرفَني غيرُك»[٣].

ودخل اللصوصُ بيتَ مالكٍ فلم يجدوا شيئًا، فأرادوا الخروج فقال: ما عليكم لو صلَّيتم ركعتَين[٤].

قال عمارة: «لمّا حضرَ[٥] مالكًا الموت، قال: لولا أنّي أكره أن أصنعَ شيئًا لم يصنعه أحدٌ قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا متُّ أن يُقيِّدوني، وأن يجعلوا يدَيَّ في[٦] عنقي، فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أُدفَن كما يُصنَع بالعبدِ الآبِق»[٧].

وفي رواية: «فإذا سألني ربِّي عزَّ وجلّ قلت: أي ربّ، لم أرُضْ لك نفسِي طرفةَ عينٍ قطُّ»[٨]./ [١٣٧/ب]

(١) في «تاريخ دمشق»: «السلام»، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٢٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٦٩).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٩).

(٤) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٩)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٢٨).

(٥) في (د): «حضرت».

(٦) في (ق): «إلى».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٠).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٠)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٢٩).

قال حُصَينُ بن القاسم: «قلتُ لعبد الواحد: ما كان سببُ موتِ مالكِ بن دينارٍ؟ قال: أنا كنتُ سببَ موته، سألتُه عن رؤيا رأى فيها مسلمَ بن يسارٍ فقصَّها عليّ، فانتفضتُ، فجعل يَشهَق ويضطرب حتَّى ظننت أنّ كبِدَه قد تقطَّعَت في جوفه، ثمَّ هدأ، فحملناه إلى بيته، فلم يَزَل مريضًا حتَّى مات»(١).

أسند مالكٌ عن أنسِ بن مالك، وعن جماعةٍ من كبارِ التابعين، كالحسنِ وابنِ سيرين، وتُوفِّي قبلَ الطاعون بيسير، وكان الطاعونُ سنةَ إحدى وثلاثين ومئةٍ(٢).

* * *

[يزيد الرقاشي]

[٢٥٢] ومنهم: يزيدُ الرَّقاشيُّ(٣).

قال أشعثُ بن سَوّار: «دخلت على الرَّقاشيّ، فقال(٤): يا أشعثُ، تعالَ حتى(٥) نبكي على(٦) الماء البارد يومَ الظمأِ»(٧).

وجعل يقول: سبقَني العابدون وقُطِع بي، وا لَهفاه(٨)! وقد صام اثنين وأربعين سنةً.

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٠).

(٢) انظر: «المعارف» (١: ٤٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٠)، و«وفيات الأعيان» (٤: ١٤٠).

(٣) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٧: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧١).

(٤) في (ق): «قال».

(٥) «حتى» مثبت من المصادر.

(٦) «على» ليس في (د).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٥٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧١).

(٨) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧١)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٢٨٨).

قال ثابتُ البُنانيّ: «ما رأيتُ أحدًا أصبرَ على القيام والسهر من يزيدَ الرَّقاشيِّ».

قال عبدُ الخالق: «جَوَّع يزيدُ نفسَه لله عزَّ وجلَّ ستِّين سنةً حتى ذَبُلَ جسمُه، ونُهِك بدنُه، وتَغيَّر لونُه، وكان يقول: غلبَنِي بطني، فما أقدِر له على حيلةٍ»[١].

وكان قد بكى حتَّى تناثَرَت أشفارُه، وأحرَقَت الدموعُ مجارِيَها من وجهه.

وكان يقول في قصصه: «وَيحَك يا يزيد! مَن يتوضَّأ عنك، ومَن يصوم[٢] أو يُصلِّي لك، ثمَّ يقول: يا معشرَ مَن[٣] القبرُ بيتُه، والموتُ مَوعِدُه[٤] ألا تبكون، وبكى حتَّى سقطت أشفارُ عينَيه، فقيل له: أما تسأمُ من كثرةِ البكاء؟ فقال: والله وددتُ أن أبكيَ بعد الدموع الدماءَ وبعد الدماءِ الصديد، ثمَّ يقول: ابكِ يا يزيدُ على نفسك قبل[٥] حين البكاء، مَن يَضرَعُ لك إلى ربِّك بعدَك؟»[٦].

قال عليُّ بن الحسن: قيل لابنِ يزيد: أكان أبوك يتمثَّل بشيءٍ من الشعر[٧]؟ فقال: كان يتمثَّل[٨][٩]:

إنّـا لَنَفـرَحُ بالأيّـامِ نَقطَعُهـا ... وكلُّ يومٍ مَضَى يُدنِي مِنَ الأجَلِ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧١).

(٢) كذا في المصادر، وفي (ق) و(د): «يصلي».

(٣) قوله: «من» ليس في (ق).

(٤) قوله: «الموت موعده» ليس في (د)، و«موعده» ليس في (ق).

(٥) «قبل» مثبت من المصادر.

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ٨٩)، و«العاقبة في ذكر الموت» (٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧١).

(٧) في (ق): «من الشعر بشيء».

(٨) في (د): «يتمثل بهذا».

(٩) البيت من الكامل، وانظر: «بهجة المجالس» (٢٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧١)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٢٨٨).

أسنـدَ يـزيدُ عـن أنسِ بـن مـالك، وروى عن الحسنِ وغيرِه، إلّا أنّه اشتغل بالتعبُّد(١).

* * *

[أيوب السختياني]

[٢٥٣] **ومنهم**: أيّوبُ السَّختيانيُّ(٢)، يكنَّى: أبا بكر، وهو مولًى بَصريٌّ(٣).

كان يقول: «إنَّ قومًا يريدون أن يرتفعوا، فيأبى الله عزَّ وجلَّ إلّا أن يضعَهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا، فيأبى الله عزَّ وجلَّ إلّا أن يرفعَهم»(٤).

وكان النُّسّاكُ يومئذٍ يُشمِّرون ثيابَهم، وكان أيوبُ لا يفعل ذلك، ويقول: «الشُّهرةُ اليوم في التشمير»(٥).

[١٣٨/أ]

قال شعبة: «ربَّما ذهبتُ مع أيوبَ في الحاجةِ أمشي، فلا يَدَعُني، فيأخذ هاهنا وهاهنا؛ لكيلا يُفطَنَ له، وكان يقول: ما أحِبُّ أن أُذكَر»(٦).

وكان يقوم الليلَ يُخفِي ذلك، فإذا كان قُبيل الصبح رفع صوتَه كأنّه إنّما قام تلكَ الساعةَ(٧).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧١)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٢٨٨).

(٢) انظر ترجمته في «فتح الباب في الكنى والألقاب» (١٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٣).

(٣) انظر: «فتح الباب في الكنى والألقاب» (١٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٣).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٣).

(٥) انظر: «تلبيس إبليس» (١٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٤)، و«السير» (٦: ٢٢).

(٦) انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (١٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٣)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٢: ٣٢٤).

(٧) انظر: «المعرفة والتاريخ» (٢: ٢٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٣)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٢٢).

وكان يقول: «إذا ذُكِر الصالحون كنتُ عنهُم بمَعزِلٍ»[١].

وكان يقول: «إذا لم يكن ما تريد فأرِد ما يكون»[٢].

وكان يقول: «لا يَنبُل الرجلُ حتَّى يكونَ فيه خَصلتان: العِفّةُ عما في أيدي الناس، والتجاوُزُ عمّا يكونُ منهم»[٣].

قال إسحاقُ بن مُحمَّد: سمعت مالكَ بن أنسٍ يقول: «كنّا ندخلُ على أيوبَ السَّختِيانيِّ، فإذا ذكَرنا له حديثًا عن رسول الله ﷺ بكى حتَّى نرحَمَه»[٤].

قال عبدُ الواحد بن زيد: «كنتُ مع أيوبَ السَّختيانيِّ على حِراء، فعَطِشتُ عطشًا شديدًا، حتَّى رأى ذلك في وجهي، فقال: ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش، وقد خِفتُ على نفسي، فقال: تسترُ عليَّ؟ قلت: نعم، فاستَحلَفَني، فحَلَفتُ له أنّي لا أُخبِر عنه ما دام حيًّا، قال: فغمَز برِجلِه على حِراء فنَبعَ الماء، فشَرِبتُ حتَّى رَوِيت، وحمَلتُ معي من الماء، فما حدَّثتُ به أحدًا حتَّى مات»[٥].

وحجَّ أربعين حجّةً[٦].

---

(١) انظر: «الكامل في ضعفاء الرجال» (١: ١٤٥)، و«المنتظم» (٧: ٢٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٣).

(٢) انظر: «المعرفة والتاريخ» (٢: ٢٣٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٤).

(٣) انظر: «روضة العقلاء» (١٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٤)، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه» (٢: ٣٠١).

(٤) انظر: «تاريخ الإسلام» (٨: ٣٨٠).

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٩٩)، و«المنتظم» (٧: ٢٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٤).

(٦) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٤)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٢٢).

وكان يقول: «والله ما صدقَ عبدٌ إلّا سرَّه ألّا يُشعَرَ بمكانِه، وما ازداد صاحِبُ بدعة اجتهادًا إلّا ازدادَ من الله سبحانه وتعالى بُعدًا، وإنّه لَيبلُغُني موتُ الرجل من أهل السنّةِ فكأنّما يسقط عضوٌ من أعضائي»[١].

قال حمّادُ بن زيد: «كان أيوبُ ربَّما حدَّثَ بالحديثِ فيَرِقُّ[٢]، فيلتفتُ ويتمخَّط ويقول: ما أشدَّ الزكامَ»[٣].

ودخل بُدَيلٌ على أيوبَ يعودُه، وقد مَدَّ على فراشه سَبَنِيّة[٤] حمراءَ يدفع بها الرياء، فقال له بُدَيل: ما هذا؟ فقال أيّوب: هذا خيرٌ من هذا الصوفِ الذي عليك[٥].

قال حمّادُ بن زيد: «كان أيّوبُ يَطلُبُ العلمَ حتى مات»[٦].

أسند أيّوبُ عن أنسِ بن مالك، وروى عن الحسن، وابنِ سيرين، وغيرِهم.

وتُوفِّي في الطاعون بالبَصرةِ سنةَ إحدى وثلاثين ومئة، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين سنةً، رحمةُ الله تعالى عليه[٧].

* * *

---

(١) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١: ٦٦) (٢٩)، و«حلية الأولياء» (٣: ٩)، و«سير السلف الصالحين» (٦٩٩).

(٢) في (د): «فيبكي».

(٣) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٥).

(٤) في (ق) و(د): «سنسية»، والسَبَنِيّة: ضرب من الثياب تُتَّخَذ من مُشاقَة الكتان أغلظ ما يكون. انظر: «تهذيب اللغة» (١٣: ١١)، و«لسان العرب» (١٣: ٢٠٣)، و«القاموس المحيط» (١٢٠٤).

(٥) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٥).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٥).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٥).

[سليمان بن طرخان]

[٢٥٤] ومنهم: سليمانُ بن طَرخان(١)، يُكنَّى: أبا المعتمر(٢).

كان من العُبّادِ المجتهِدين، وكان هو وابنُه المُعتمِرُ يَدُورانِ بالليل في المساجد، فيُصَلِّيان في هذا المسجدِ مرّةً، ومرّةً في هذا، حتَّى يُصبِحا(٣).

[١٣٨/ب] قال مُحمَّدُ بن عبدِ الأعلى، قال مُعتَمِرٌ لي: «لولا أنّك من أهلي ما حدَّثتُك عن أبي بهذا؛ مكث أبي أربعين سنةً يصوم يومًا ويُفطِرُ يومًا، ويُصلِّي الصبحَ بوُضوءِ العِشاء، وربَّما أخذ الوضوءَ من غيرِ نومٍ»(٤).

قال حمّادُ بن سلمة: «ما أتينا سليمانَ في ساعةٍ يُطاعُ الله عزَّ وجلَّ فيها إلّا وجدناه مُطيعًا، فإن كان في ساعةِ صلاةٍ وجدناه مُصلِّيًا، فإن لم تكن ساعةُ صلاةٍ وجدناه إما مُتوضِّئًا، أو عائدًا مريضًا، أو مُشيِّعًا لجنازة، أو قاعدًا في المسجد يُسبِّح.

قال: فكنّا نرى أنّه لا يُحسِنُ أن يعصيَ الله عزَّ وجلَّ»(٥).

---

(١) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (١: ٢٦٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٦)، و«الكامل في التاريخ» (٥: ٣٦٢).

(٢) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٢٦٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٦)، و«الكامل في التاريخ» (٥: ٣٦٢).

(٣) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١١٤)

(٤) انظر: «حفظ العمر» لابن الجوزي (٥١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١١٤).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٦)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ١١٥).

قال مُعتمِر: «سقط بيتٌ لنا كان أبي يَكِنُّ[١] فيه، فضرب أبي فسطاطًا، فكان فيه حتَّى مات، فقيل له: لو بنَيتَه؟ فقال: الأمرُ أعجلُ من ذلك؛ غدًا أموت»[٢].

ومكث في قبّةِ لُبودٍ ثلاثينَ سنة[٣]، أو نحوًا من ثلاثين سنةً، وكان يصوم الدهر[٤].

قال معمرٌ المُؤذِّن: «صلى إلى جنبي سليمانُ بعد عشاءِ الآخرة، فقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، فلمّا أتى على هذه الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧]، جعل يُردِّدها حتَّى انصرف، ثمَّ خرَجتُ وتركتُه، وعُدتُ لأذان الفجر، فإذا هو في مُقامِه لم يَجُزِ الآيةَ»[٥].

قال سليمان: «إنّ الرجلَ لَيُذنِبُ الذنبَ فيُصبِحُ وعَلَيهِ مَذَلَّتُه»[٦].

قال السَّرِيّ: «قَدحَت[٧] عينُ سليمان، فنهاه الطبيبُ أن يَمسَّ ماءً، فنزع القطنةَ من عينه وتوضَّأ، وأعاد القطنة، فجاء الطبيبُ فنظر، فلم يرَ شيئًا يُنكِرُه، فقال للطبيب: هل ترى شيئًا تُنكِرُه؟ فقال: لا، فقال: قد توضَّأتُ عليها، فقال الطبيب: فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد رزقك العافيةَ»[٨].

---

(١) في (ق): «يكون».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٦).

(٣) «سنة» ليس في (ق).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٦).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٧).

(٦) في (د): «مذلة»، وانظر: «الثقات» لابن حبان (٨: ٣٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٧)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١١٥).

(٧) القدح: السهم قبل أن يُراش ويُنصل. انظر: «لسان العرب» (٢: ٥٥٦)، و«تاج العروس» (٧: ٣٨).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٧)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١١٥).

أسند سليمانُ عن أنسِ بن مالك، وعن ابنِ سيرين، وأبي العاليةِ في آخرين، وتُوفِّي بالبَصرة سنةَ ثلاثٍ وأربعين ومئةٍ[١].

* * *

[داود بن أبي هند]

[٢٥٥] **ومنهم: داودُ بن أبي هندٍ**[٢]، يُكنَّى: أبا بكر، وهو مولًى بَصريٌّ[٣].

قال ابنُ أبي عديّ: «صام داودُ أربعين سنةً لا يعلم به أهلُه، وكان خزّازًا يحمِلُ غداءَه من عندهم، فيتصدَّق به في الطريق، ويرجع عشاءً فيُفطِر عندَهم»[٤].

قال سفيان: سمعتُ داودَ يقول: «أصابَني الطاعونُ فأُغمِيَ عليّ، وكان اثنانِ[٥] أتياني، فغمز أحدُهما عُكوةَ لساني، وغمزَ الآخرُ أخمَصَ[٦] قدمي، فقال: أيَّ شيءٍ تجد؟ فقال: تسبيحًا وتكبيرًا، وشيئًا من خطوٍ إلى المسجد، وشيئًا من قراءة القرآن.

[١٣٩/أ] قال: ولم أكُن أخذت[٧] القرآنَ حينئذٍ، غيرَ أنّي كنت أذهب في[٨] الحاجة/ فأقول: لو ذكرتُ الله عزَّ وجلَّ حتى آتِي حاجتي، فعُوفِيت، فأقبَلتُ على القرآن فتعلَّمتُه»[٩].

---

(١) انظر: «المعارف» (١: ٤٧٦)، و«مرآة الجنان» (١: ٢٣٠).

(٢) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ٤١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٨)، و«الكامل في التاريخ» (٤: ٣٤٦).

(٣) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ٤١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٨)، و«الكامل في التاريخ» (٤: ٣٤٦).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧: ١٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٨)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٤١٥).

(٥) في (ق): «آتيان».

(٦) في (د): «خمص».

(٧) في (ق): «وجدت».

(٨) في (ق) و(د): «إلى».

(٩) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٢٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٨)، و«المنتظم» (٨: ٢٥)، =

أسند داودُ عن أنسِ بن مالك، وروى عن كبارِ التابعين، كسعيدِ بن المُسيَّب، وأبي العالية، والحسن، وغيرهم، وتوفِّي في سنةِ تسعٍ وثلاثين ومئةٍ[١].

* * *

[يونس بن عبيد]

[٢٥٦] **ومنهم**: يونسُ بن عُبَيدٍ[٢]، يُكنَّى: أبا عبدِ الرحمن، وهو مولًى بَصريٌّ[٣].

وكان خزّازًا، فجاء رجلٌ يطلب ثوبًا، فقال لغُلامه: انشر الرِّزمةَ[٤]، فنشرها الغلامُ، وضرب بيده على الرِّزمة، وقال: صلى الله على مُحمَّد، فقال لغلامه: ارفعها؛ مخافةَ أن يكونَ قد مدَحَها[٥].

وجاء رجلٌ من الشامِ إلى الخزّازين، فساوم مُطرَفًا، فقال يونس: خذه بمئتَين، فنادى مُنادٍ بالصلاة، فانطلق يونسُ يُصلِّي، ثمَّ جاء وقد باع ابنُ أخيه المُطرَفَ من الشاميِّ بأربعِ مئة، فلمّا جاء يونس[٦] قال: ما هذه الدراهمُ؟ فقال: ذلك المُطرَفُ بعناه من هذا الرجل، فقال يونس: يا عبدَ الله، هذا المُطرَفُ الذي عرضتُ عليك

= و«تاريخ الإسلام» (٨: ٤١٥).

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٨).

(٢) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩: ٢٤٢)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (١٠: ١٦٤).

(٣) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩: ٢٤٢)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (١٠: ١٦٤).

(٤) الرِّزمة: ما شُدَّ في ثوب واحد. انظر: «القاموس المحيط» (١١١٣).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٦)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (١٠: ١٦٦).

(٦) «يونس» ليس في (ق).

بمئتَي درهم، فإن شئتَ خذه وخذ مئتَين، وإن شئت فدَعه، فقال الشاميّ: من أنت؟ فقال: رجلٌ من المسلمين، فقال: بل أسألك بالله عزَّ وجلَّ ما اسمك؟ فقال: يونسُ[١].

وجاءتِ امرأةٌ بمُطرَفِ خَزٍّ إلى يونس، فعَرضَته عليه في السوق، فنظر إليه، فقال لها: بكَم؟ فقالت: بستِّين درهمًا، فألقاه إلى جار له[٢]، وقال: كيف تراه يساوي[٣]؟ قال عشرين ومئة، فقال: أرى ذلك ثمنَه، أو نحوًا من ثمنِه، فقال لها: اذهَبِي فاستأمِري أهلك في بيعه بخمسٍ وعشرين ومئة، فقالت: قد أمَرُوني أن أبيعَه بستِّين، فقال: ارجعي إليهم فاستأمِريهم.

وجاءته أخرى بجُبّةِ خَزّ، فقال: بكَم تبيعيها؟ فقالت: بخمس مئة، فقال: هي خَيرٌ من ذلك، فقالت: بستِّ مئة، فقال هي خيرٌ من ذلك، فلم يَزَل يقول حتَّى اشتراها بألفٍ[٤].

قالَ أسماء[٥]: سمعتُ يونسَ يقول: «ليس أعزُّ من شيئَين: درهمٌ طَيِّب، ورَجُلٌ يعمل على سُنّةٍ»[٦].

قال سلّامُ بن أبي مُطيع: «ما كان يونسُ بأكثَرِهم صلاةً ولا صومًا، لكن والله ما حضر حقٌّ من حقوق الله عزَّ وجلَّ إلّا وهو مُتهيِّئ له»[٧].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٩). (٢) في (د): «جاره».

(٣) في (ق): «يسوي».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٩)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٥٢٣).

(٥) هو: أسماء بن عبيد. وانظر: «مسند ابن الجعد» (١٣٤٢)، و«حلية الأولياء» (٣: ١٧).

(٦) انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (٩١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٥٧٥).

(٧) في (ق): «وهو منتهي إليه»، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٠)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٥٢٥)، و«السير» (٦: ٢٩١).

وجاء رجلٌ إلى يونسَ، فشَكى إليه ضِيقًا من حاله، فقال له يونس: أيسُرُّك[١] ببصرك هذا مئةُ ألف؟ فقال: لا، فقال: وفؤادُك الذي تَعقِل به أيسرُّك به مئةُ ألفٍ؟ فقال: لا، فقال: فيَداك يسُرُّك بهما مئةُ ألفٍ؟ قال: لا، قال: فرِجلاك؟ قال: لا، فذَكَّره نِعمَ الله عزَّ وجلَّ عليه، فأقبل عليه يونسُ/ وقال: أرى لك مِئِينَ [١٣٩/ب] ألوفًا وأنت تشكو الحاجة[٢]!

وشكى إليه رجلٌ وجعًا في بطنه، فقال يونس: يا عبدَ الله، هذه دارٌ لا توافقك، فالتَمِس دارًا توافقك[٣].

واشترى من رجلٍ متاعًا بثلاثين ألفًا، فلمّا كان بعد ذلك قال لصاحبه: هل كنتَ علمتَ أنّ المتاعَ قد غلا بأرض كذا وكذا[٤]؟ قال: لا، ولو علِمتُ لم أبِع، فقال: هلمَّ إليَّ مالي وخُذ مالك، وردَّ عليه الثلاثين ألفًا[٥].

وكان يقول: «لو أصَبتُ درهمًا حلالًا من تجارةٍ لاشتريت به بُرًّا، ثمَّ صيَّرتُه سَوِيقًا، ثم سَقَيتُه المرضى»[٦].

قال هشام: «ما رأيت أحدًا يطلب بالعلم وجهَ الله تعالى إلّا يونسَ»[٧].

---

(١) في (د): «أيسرك الله».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٠)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٧)، و«السير» (٦: ٢٩٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨١)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٥٢٦)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٥٧٣).

(٤) «وكذا» ليس في (د).

(٥) بعدها في (د): «وأخذ المتاع»، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨١)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٥٢٨)، و«السير» (٦: ٢٩٣).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨١)، و«تاريخ بغداد وذيوله» (٦: ٢٧٧).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨١)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٥٧٣)، و«تذكرة الحفاظ» (١: ١١٠).

وقال: «خَصلتان إذا صلحا من العبد صلح ما سواهما من أمره؛ صلاتُه، ولسانُه»[١].

ولمّا مرض يونس قال أيُّوبُ السَّختيانيّ: «ما في العيش بعدك من[٢] خيرٍ»[٣].

قال يونس: «لا يزال العبدُ بخيرٍ ما أبصرَ ما يُفسِدُ عملَه»[٤].

وقال: «ما شَبَّهتُ الدنيا إلّا كرجلٍ[٥] نائم، فرأى في منامه ما يَكرَه وما يُحِبّ، فبَينا هو كذلك إذ انتبه»[٦].

قال حمّادُ بن زيد: قال يونس: «احفَظُوا عنِّي ثلاثًا مِتُّ أو عشت: لا يدخلَنَّ أحدُكم على سلطانٍ يَعِظُه، ولا على امرأةٍ شابّةٍ وإن أقرأها[٧] القرآن، ولا يُمَكِّنُ سمعَه من ذي هوًى»[٨].

أسند يونسُ بن عُبَيدٍ عن أنسِ بن مالك، وروى عن الحسن، وابن سيرين، وعطاء، وعكرمة، ونظرائهم، وتُوفِّي في[٩] سنةِ سبعٍ وثلاثين ومئةٍ[١٠].

* * *

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٢)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٥٣٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٥٧٤).

(٢) «من» ليس في (ق).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٢)، و«تذكرة الحفاظ» (١: ١٠٩).

(٤) «شعب الإيمان» (٦٤٨٢).

(٥) في (ق): «لرجل».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٢)، و«تسلية أهل المصائب» (٢٤٣).

(٧) في (د): «قرأها».

(٨) انظر: «ذم الهوى» (١٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٢)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٧).

(٩) «في» ليس في (د).

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٢).

[عبد الله بن عون]

[٢٥٧] ومنهم: عبدُ الله بن عونٍ[١]، يُكنَّى: أبا عون، وهو مولًى بَصريٌّ[٢].

قال أبو بَكّار: «ما رأيتُ ابنَ عونٍ يُمازِحُ أحدًا، وكان مشغولًا بنفسه، وكان إذا صلَّى الغداةَ مكث مُستقبِلَ القِبلةِ في مجلِسِه يذكُرُ الله عزَّ وجلّ، فإذا طلَعَتِ الشمسُ صلَّى ثمَّ أقبل على أصحابه، وما رأيتُه شاتِمًا أحدًا قطُّ؛ عبدًا ولا أمةً، ولا دجاجةً ولا شاةً، ولا رأيتُ أحدًا أملَكَ للسانِه منه، وكان يصوم يومًا، ويُفطِرُ يومًا حتَّى ماتَ»[٣].

وكان إذا خلا في مَنزِلِه إنّما هو صامِتٌ لا يزيد على «الحمد لله ربِّنا»، وما رأيتُه دخل حمّامًا قطُّ[٤]، وكان إذا وصل إنسانًا بشيءٍ وصله سرًّا، وإن صنع شيئًا صنعه سرًّا، ويكره أن يَطَّلِعَ عليه أحد، وكان له سُبعٌ يقرؤُه كلَّ ليلة، وكان لا[٥] يُحفِي شاربَه، ويأخذه أخذًا وسطًا[٦].

---

(١) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (١: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٢)، و«المقتنى في سرد الكنى» (١: ٤٤٣).

(٢) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٢)، و«المقتنى في سرد الكنى» (١: ٤٤٣).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ٣٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٢-١٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٤٦١).

(٤) قوله: «وكان إذا خلا في منزله إنَّما هو صامِتٌ لا يزيد على «الحمد لله ربِّنا»، وما رأيتُه دخل حمّامًا قطُّ» ليس في (د).

(٥) «لا» ليس في (د).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ١٩٨)، و«المنتظم» (٨: ١٥٣).

قال ابنُ مَهديّ: «ما كان بالعراق أحدٌ أعلمَ من ابن عونٍ»[١].

[١٤٠/أ] وقال[٢] خارجة: «صَحِبتُ ابنَ عونٍ أربعًا وعشرين سنةً، فما أعلم أنّ الملائكةَ كتبت عليه خطيئةً»[٣].

قال الأصمعيّ: قال ابنُ عون: «لو أنّ رجلًا انقطعَ إلى هؤلاءِ المُلوكِ في الدنيا لانتفع، فكيف بمَن ينقطع إلى مَن له السماواتُ والأرضُ وما بينهما وما تحت الثرى؟»[٤].

قال حمّادُ بن زيد: «كان لابن عونٍ حوانيتُ يَكريها، وكان لا يَكريها من المسلمين، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ لها إذا جاء[٥] رأسُ الشهر رَوعة، وإنّي أكره أن أُرَوِّعَ المسلم»[٦].

ونادته أمُّه فأجابها، فعلا صوتُه، فأعتق رقبتَين[٧].

قال قُرّةُ بن خالد: «كنّا نَعجَبُ من ورع ابن سيرين، فأنساناه ابنُ عون»[٨].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٣)، و«العبر» (١: ١٦٥).

(٢) في (د): «قال».

(٣) انظر: «شعب الإيمان» (٤٦٨٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ٣٥٨)، و«السير» (٦: ٣٦٦).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٣).

(٥) في (د): «أتى».

(٦) انظر: «المنتظم» (٨: ١٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٣٤).

(٧) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ٣٤٥)، و«البر والصلة» لابن الجوزي (٨٩).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٤)، و«العبر في خبر من غبر» (١: ١٦٥)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٤٦٠).

وكان لابنِ عونٍ جَمَلٌ يستقي الماء، فضربَه غلامُه فذهبَت عينُه، فجاءَ الغُلامُ وقَد أُرعِبَ[١]، فظَنَّ أنّهُم قَد شَكَوه، فلَمّا رَآهُ قَد أُرعِب قالَ اذهَب فأنتَ حُرٌّ لوَجهِ الله عزَّ وجلَّ[٢].

قال أشعثُ بن سعيد: قال ابنُ عون: «لن يصيبَ العبدُ حقيقةَ الرضا حتَّى يكونَ رضاه عندَ الفقر كرضاه عند الغنى، كيف تستقضي[٣] الله في أمرِك ثمَّ تسخط إن رأيت قضاءَه مُخالِفًا لهواك؟ ولعلَّ ما هَوِيتَ من ذلك لو وُفِّق لك لكان فيه هلاكُك، وترضى قضاءَه إذا وافَقَ هواك! ما أنصَفتَ من نفسك، ولا أصبتَ باب الرضا»[٤].

أدرك ابنُ عونٍ أنسَ بن مالكٍ وصَحِبَه، وروى عن الحسن، وابنِ سيرين، ونافع، ومجاهدٍ في آخرين[٥].

قال ابنُ بكّار: «كان ابنُ عونٍ في مرضِه أصبرَ مَن أنت راءٍ، ما رأيتُه يشكو شيئًا من عِلَّته حتى ماتَ»[٦].

تُوفِّي في رجبٍ سنةَ إحدى وخمسين ومئة[٧].

* * *

(١) في (د): «ارتعب».
(٢) انظر: «الورع» لأحمد بن حنبل (٢٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٣٤).
(٣) في (ق) و(د): «تسترضي».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٤)، و«تسلية أهل المصائب» (١٥٥).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٤).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٥).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٥).

[عمران بن مسلم القصير]

[٢٥٨] ومنهم: عمرانُ بن مُسلِمٍ القصير[١]، بَصريٌّ[٢].

كان يقول لجلسائه: «ألا حُرٌّ كريم يَصبِرُ أيّامًا قلائل»[٣].

قالت بنتُه أمينة: كان والدي عمرانُ قد عاهد الله عزَّ وجلَّ ألّا ينام بليل إلّا مُستغلَبًا[٤]، قالت: وقال لي أبي: حُبِّب إليَّ طاعةُ الله تعالى طولَ الحياة، ولولا الركوعُ والسجودُ وقراءةُ القرآنِ ما باليتُ ألّا أعيشَ فواقًا، فلم يزَل مُجتهِدًا على ذلك حتّى مات رحمه الله تعالى، فرأيتُه في منامي، فقلت: يا أبتِ[٥]، لا عهدَ لي بك منذُ فارقتَنا، فقال: يا بُنية، وكيف تعهَدِين مَن قد فارق الحياةَ وصار إلى ضِيقِ القبور وظُلمَتِها؟ فقلت: يا أبتاه، فكيف حالُك؟ فقال: بخيرِ حالٍ، بُوِّئنا المنازِل، ومُهِدَت لنا المَضاجعُ، ونحن هاهنا يُغدى ويُراح برِزقِنا من الجنة، فقلت: ما الذي بلَّغَك هذا؟ قال: الصبرُ الصالِح، وكثرةُ التلاوةِ لكتاب الله عزَّ وجلَّ[٦].

[١٤٠/ب] وقد ذكر هذه الحكايةَ/ ابنُ أبي الدنيا عن عمرانَ بن زيد[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦: ٣٠٤)، و«الثقات» لابن حبان (٧: ٢٤٢)، و«المتفق والمفترق» (٣: ١٧١٠).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦: ٣٠٤)، و«الثقات» لابن حبان (٧: ٢٤٢)، و«المتفق والمفترق» (٣: ١٧١٠).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٧٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٥).

(٤) في (د): «مستلقيًا».

(٥) في (ق): «يا أبه».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٥).

(٧) في (د): «يزيد»، وانظر: «المنامات» لابن أبي الدنيا (٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٥).

أسند عمرانُ القصيرُ عن أنسِ بن مالك، وعن كبار التابعين، كالحسن، وعطاء، وابن سيرين، ونافع، ونظرائهم[(١)].

* * *

[كَهْمَس القيسي]

[٢٥٩] ومنهم: كَهْمَس القيسيُّ[(٢)]، يكنَّى: أبا عبد الله، بَصريٌّ[(٣)].

وكان يُصلِّي في اليوم والليلة ألفَ ركعة، فإذا مَلَّ قال لنفسه: «قُومي يا مأوى كلِّ سوء، فواللهِ ما رضيتُك لله تعالى قطُّ»[(٤)].

قال يحيى بن كثيرٍ صاحِبُ البَصريِّ: «اشترى كَهْمَسُ دقيقًا بدرهم، فأكل منهُ[(٥)]، فلمّا طال عليه كالَه، فإذا هو كما وضعه، فجعل لا يأخذُ منه شيئًا إلّا نقص حتَّى فنِي»[(٦)].

قال بشرُ بن الحارث: «خرج يومًا كَهْمَسُ ومعه دينار، فسقط منه فطلَبه فوجده فتركه، وقال: لعلَّ هذا الدينارَ غيرُ ذلك الدينار»[(٧)].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٦).

(٢) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ١١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٤).

(٣) «بصري» ليس في (د).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٠)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٥٠٠)، و«المنتظم» (٨: ١١٩).

(٥) «منه» ليس في (ق).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٦)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٢٥٩)، و«السير» (٦: ٣١٧).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٤).

وأكل يومًا سمكًا، فأخذ من حائط جارِه طينًا، فغسل به يده، فقال: أنا اليوم منذ أربعين سنةً أبكي على ذلك الطين لـمَ أَخَذتُه بغير عِلمه[١].

قال بشرُ بن الحارث: «كان كَهْمَسُ يُصلِّي حتَّى يُغشَى عليه»[٢].

ودخل عليه أصحابُه، فقرَّب إليهم أحدَ عشرَ بُسرةً حمراء، وقال: هذا الجُهدُ من أخيكم، والله المستعان[٣].

أسند كَهْمَسُ عن خلقٍ من التابعين، منهم: عبدُ الله بن شقيق، وعبدُ الله بن زيد، وغيرهما، وكان مشغولًا بخِدمةِ أمِّه مع تَعبُّده، فلمّا ماتت[٤] خرج إلى مكّةَ، فأقام بها إلى أن مات هناك[٥].

* * *

[أبو محمد حبيب بن الفارسي]

[٢٦٠] ومنهم: أبو مُحمَّدٍ حبيبُ الفارسيُّ[٦]، بصريّ، وكان مُجابَ الدعوة[٧].

حضر مَجلِسَ الحسن، فتأثَّر بمَوعِظته، فخرج عمّا كان يملك[٨].

---

(١) انظر: «مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٤).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٤).

(٣) انظر: «روضة العقلاء» (٢٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٧).

(٤) في (ق): «مات».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٧)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٤).

(٦) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٧: ١٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٧)، و«مرآة الزمان» (١١: ٩٩).

(٧) انظر: «المنتظم» (٧: ١٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٧)، و«مرآة الزمان» (١١: ٩٩).

(٨) انظر: «المنتظم» (٧: ١٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٧)، و«مرآة الزمان» (١١: ٩٩).

وكان يستقرض على ذِمّة الله عزَّ وجلّ، قال: جاء إليه رجل، فشكى إليه دَينًا عليه، فقال: اذهب واستقرِض وأنا أضمن، فأتى رجلًا فأقرَضَه خمس مئة درهمٍ، وضَمِنها أبو مُحمَّد، ثمَّ جاء الرجل فقال: يا أبا مُحمَّدٍ، دراهمي، فقد أضرَّني[١] حبسُها، فقال: نعم، غدًا، فتوضَّأ أبو مُحمَّدٍ ودخل المسجدَ ودعا الله تعالى، وجاء الرجلُ فقال له: اذهب، فإن وجدت في المسجد شيئًا فخُذه، فإذا في المسجد صُرّةٌ فيها خمسُ مئة درهم، فذهب فوجدها تزيد على خمسِ مئة، فرجع إليه، وقال: إنّها تزيدُ على خمس مئة، فقال: اذهب فهي لك، مَن وزَنَها وزَنَها راجحةً[٢].

قال حبيب: «أتانا سائل وقد عجَنَت عمرة، وذهبَت تجيء بنارٍ تخبِز، فقال للسائل: خُذ[٣] هذا العجين، فجاءت عمرة، فقالت: أين العجينُ؟ فقلت: ذهبوا به يخبزونه[٤]، فلمّا أكثَرَت عليَّ أخبَرتُها، فقالت: سبحان الله العظيم! لا بدَّ لنا/ [١٤١/أ] من شيءٍ نأكله، فإذا رجلٌ قد جاء بجَفنةٍ عظيمةٍ مملوءةٍ خبزًا ولحمًا، فقالت عمرة: ما أسرَعَ ما رَدُّوه عليك، قد خبَزُوه وجعلوا معه لحمًا»[٥].

قال: «والله إنّ الشَّيطانَ لَيلعَبُ بالقُرّاءِ كَما يَلعَبُ الصِّبيانُ بالجَوز، ولو أنّ الله عزَّ وجلَّ دعاني يوم القيامة فقال: يا حبيب، فقلت: لبَّيك، فقال: جِئْتَنِي

---

(١) في (ق): «أضر بي».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٧)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٠١).

(٣) «خذ» ليس في (ق).

(٤) في (ق) و(د): «يخبزوه».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ١٠١)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٦: ١٨٧).

بصلاةِ يوم، أو صومِ يوم، أو ركعة، أو سجدة، أو تسبيحة، اتقيت[١] عليها من إبليس أن يطعنَ فيها طعنةً فأفسدها؟ ما استطعت»[٢].

وكان يقول: «لا تقعُدوا فراغًا؛ فإن الموتَ يَلِيكم»[٣].

وكان يقول: «إنّ من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبُه»[٤].

قال أبو سليمانَ الداراني: «كان حبيبٌ يأخذ متاعًا من التجار ويتصدَّق به، فأخذ مرّةً فلم يجد شيئًا يُعطِيهم، فقال: يا ربّ، ينكسر وجهي عندهم، فدخل فإذا هو بجَوالِق[٥] من شعر نُصِبَ من أرض البيت إلى قُرب السقف مملوءةٍ دراهم، فقال: يا ربّ، ما[٦] أريد هذا، فأخذ[٧] حاجتَه وترك البقيّةَ»[٨].

قال مسلمُ بن إبراهيم: «أتى رجلٌ إلى حبيب، فقال: لي عليك ثلاثُ مئة درهم، فقال حبيب: من أين لك عليّ؟ اذهب إليَّ غدًا، فلمّا كان من الليل توضَّأ وصلَّى، وقال: اللهمَّ إن كان صادقًا فأدِّ إليه، وإن كان كاذبًا فابتَلِه في بدنه، فجيء بالرجل مَحمولًا وقد ضرب شِقَّه الفالِج، فقال: لم يكن لي عليك شيء،

---

(١) في (د): «لا تقعدوا».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٨)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٠٢)، و«تهذيب الكمال» (٥: ٣٩٢).

(٣) قوله: «وكان يقول: لا تقعدوا فراغًا؛ فإن الموتَ يليكم» ليس في (د)، وانظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٨).

(٥) في (ق) و(د): «بجالق».

(٦) في (ق): «ليس».

(٧) في (د): «وأخذ».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٥٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٨)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٠٢).

وإنّما قلت: يستحيي من الناس فيعطيني[١]، فقال: تعود؟ فقال: لا، فقال: اللهمَّ إن كان صادقًا فألبِسْه العافية، فقام كأن لم يكن به شيءٌ»[٢].

قال السريُّ بن يحيى: «اشترى حبيبٌ طعامًا في مجاعةٍ أصابت الناس، فقسَّمه على المساكين، ثمَّ خاط أكيسة[٣] وجعلها تحتَ رأسه، ثمَّ دعا الله عزَّ وجلّ، فجاء أصحابُ الطعام يتقاضَونَه، فأخرج تلك الأكيسة، فإذا هي مملوءةٌ دراهمَ فوزَنها، فإذا هي حقوقُهم، فدفعها إليهم»[٤].

وقال السريّ: «كان حبيبٌ يومَ التروية بالبَصرة، ويوم عرفةَ بعرفات»[٥].

قال عبدُ الواحد بن زيد: «كنّا عند مالِكِ بن دينار ومعنا مُحمَّدُ بن واسع، وحبيبٌ أبو مُحمَّد، فجاء رجلٌ وكلَّم مالِكًا وأغلظ لهُ؛ لأجلِ قسمةٍ قَسَمها، وقال: وضعتَها في غير حقِّها، وتتبَّعتَ بها أهلَ مجلسِك ومَن يغشاك؛ لتَكثُر غاشيتُك، وتَصرِفَ وجوهَ الناس إليك، فبَكى مالك، وقال: والله ما أردتُ ذلك، فقال: والله لقد أردتَ هذا، فجعل مالكٌ يبكي والرجلُ يُغلِظ[٦]، فلمّا كَثُر ذلك [١٤١/ب] عليهم رفع حبيبٌ يدَيه، ثمَّ قال: اللهمَّ إنّ هذا قد شغَلَنا[٧] عن ذِكرِك، فأرِحنا منه كيف شئت[٨]، فسقط الرجلُ على وجهِه ميِّتًا، فحُمِل على سرير»[٩].

---

(١) قوله: «وإنَّما قلت: يستحيي من الناس فيعطيني» في (د): «وإنما قلت؛ لتستحي فتعطيني».
(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٨)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٠٢-١٠٣).
(٣) في (ق): «كيسه».
(٤) انظر: «مرآة الزمان» (١١: ١٠٣).
(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٥٦)، و«المنتظم» (٧: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٩).
(٦) في (ق): «يغلط».
(٧) في (د): «أشغلنا».
(٨) قوله: «كيف شئت» ليس في (د).
(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٥٠)، و«المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات» =

وكان حبيبٌ يخلو في بيته ويقول: «مَن لم تَقرَّ عينُه بك فلا قَرَّت، ومَن لم يأنَس بك فلا أَنِسَ»(١).

قال عبدُ الواحد: «عَبدَ الله عزَّ وجلَّ ستِّين سنةً مُشتغِلًا به، ولم يشتغل من الدنيا بشيءٍ قطُّ»(٢).

وكان يقول: «أريد أن أقفَ بين يدَي ربِّي عزَّ وجلَّ فأخاف أن يقولَ لي: يا حبيب، هاتِ تسبيحةً واحدةً سبَّحتَني بها(٣) في ستِّين سنة لم يظفَر بك الشيطانُ فيها بشيء، فماذا أقولُ وليس لي حيلة، أقول: يا ربّ، هو ذا قد أتيتُك مَقبوضَ اليدَين إلى عنقي»، قال عبدُ الواحد: فأيُّ شيءٍ حالُنا! وا غوثاه بالله عزَّ وجلَّ(٤)!

كان حبيبٌ مُشتغِلًا(٥) بالتعبُّد، ولا يُعرَف له مُسنَد، وقيل: إنّه أسنَدَ عن الحسن وابن سيرين(٦).

قال أبو الفرج ابنُ الجوزيِّ: «وهو وهمٌ؛ فإنّ حبيبًا الذي أسند عنهما إنّما هو حبيبُ المُعَلِّم»(٧).

* * *

= (٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٨٩).

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٩)، و«طبقات الأولياء» (١٨٣).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٦٠)، و«المقلق» لابن الجوزي (٤٩)، و«المنتظم» (٧: ١٩٨).

(٣) «بها» ليس في (ق).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٠).

(٥) في (د): «مشغولًا».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٠).

(٧) في (د): «العالم»، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٠).

[عبد الواحد بن زيد]

[٢٦١] ومنهم: عبدُ الواحد بن زيدٍ(١)، وكان كثيرَ البكاء(٢).

قال زيدُ بن عمر: «شَهِدتُ مجلِسَ عبد الواحد بن زيد بعد العصر، فكنت أنظر إلى مَنكِبَيه تُرعَد، ودموعُه تتحدَّر(٣) على لحيَتِه، وهو ساكت، والناسُ يبكون، فقال: ألا تستحيون(٤) من طُولِ ما لا تَستَحيُونَ؟ وفي القوم فتًى فغُشِي عليه، فما أفاق حتَّى غرَبَت الشمس، فأفاق وهو يقول: مالي مالي(٥) ـ يُعَمِّي(٦) على الناس أمرَه ـ، ثمَّ خرج فتوضَّأ، ووعظ يومًا، فمات في مجلسه أربعةُ أنفُسٍ»، قال مِسمَع: «فأنا شهدت جنازةَ بعضهم»(٧).

قال حصينُ بن القاسِم الوزَّانُ، يقول: «لو قُسِّمَ بَثُّ عبدِ الواحد على أهل البصرة لوَسِعَهم، فإذا أقبل سوادُ الليل نظرتَ إليه كأنَّهُ فرسُ رِهانٍ مُضَمَّرٍ، يتحزَّم ثمَّ يقوم إلى محرابه فكأنَّه رَجلٌ مُخاطِبٌ»(٨).

قال أحمدُ بن أبي الحواريِّ: قال لي أبو سليمانَ الدارانيّ: «أصابَ عبدَ الواحد فالِج، فسأل الله تعالى أن يُطلِقَه في وقت الوضوء، فإذا أراد أن يَتوضَّأ انطلق، وإذا عاد إلى سريره عاد الفالِجُ»(٩).

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٦: ١٥٥)، و«المنتظم» (٧: ٢٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٠).
(٢) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٦٨).
(٣) في (د): «تنحدر».
(٤) في (د): «تستحون».
(٥) «مالي» ليس في (د).
(٦) في (ق): «يغمي».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٠).
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٦١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٧: ٢٢٤).
(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٧: ٢٢٦)، و«المنتظم» (٧: ٢٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩١).

قال عبدُ الله الخُزاعيّ: «صلَّى عبدُ الواحد الغداةَ بوُضوء العَتمةِ أربعين سنةً»(١).

[١٤٢/أ] قال أبو سليمانَ الدّارَانيّ: «ذكر لي/ عبدُ الواحد أنّه نام عن وِردِه ليلةً، فإذا بجاريةٍ لم يَرَ أحسن وجهًا منها، عليها ثيابُ حريرٍ خُضر، وفي رِجلَيها نَعلان، والنعلان يُسبِّحان والزِّمامان يُقدِّسان، وهي تقول: يا ابنَ زيد، جُدَّ في طَلَبي؛ فإنِّي في طلبِك، ثمَّ جعلت تقول:

مَن يَشتَرِيني ومَن يَكُن سَكَني ... يَأمَنُ في رِبحِهِ مِن الغَبَنِ(٢)

فقلت: يا جارية، وما ثمنُك؟ فقالت:

تَوَدُّدُ(٣) اللهِ في مَحبَّتِهِ ... وطولُ فِكرٍ يُشابُ بالحَزَنِ

فانتبَه وآلى على نفسه ألّا ينام الليلَ»(٤).

أسند عبدُ الواحد عن الحسن البصريّ، وأسلم الكوفيِّ(٥).

* * *

[عطاء السَّليمي]

[٢٦٢] ومنهم: عطاء السَّليميُّ(٦)، بصريٌّ(٧).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩١). (٢) في (د): «الأمن».

(٣) في (ق): «تودد إلى».

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٧: ٢٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٢)، و«مرآة الزمان» (١١: ٣٧١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٢).

(٦) في (ق) و(د): «السلمي»، وكذا في المواضع الآتية، وانظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» (٦: ٤٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٢)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٤٤).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٢)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٤٤).

كـان إذا فـرغ مـن وضوئه انتفض وارتعد، وبكى بكاءً شديدًا، فقِيل له في ذلك، فقال: إنِّي أريد أن أُقدِمَ على أمرٍ عظيم، إنِّي أريد أن أقومَ بين يدَي الله عزَّ وجلَّ[(١)].

قال صالحٌ المُرِّيّ: «كان عطاء السَّلِيميُّ قد أضَرَّ بنفسه حتَّى ضَعُف، فقلتُ له: قد أضرَرتَ بنفسِك، وأنا مُتكلِّفٌ فلا تَرُدَّ كرامتي، فقال: أفعل، فاشتريتُ له سَوِيقًا من أجودِ ما وجدت وسمنًا، وجعلتُ له شَرِيبةً[(٢)] وحَلَّيتها، وأرسلتُها مع ابني، وكُوزًا من ماء، وقلت له[(٣)]: لا تبرَح حتَّى يشربَها، فرجعَ وقال: قد شَرِبَها، فلمّا كان من الغد جعلت له نحوَها، ثمَّ سرَّحتُ بها مع ابني، فرَجعَ بها، فأتيتُه ولُمتُه، وقلت: سُبحان الله، رددتَ عليَّ كرامَتي! إنَّ هذا ممّا يُعينُكَ ويُقوِّيكَ[(٤)] على الصَّلاةِ وعلى ذِكرِ الله عزَّ وجلّ، فلمّا رآني قد وجدتُ من ذلك قال: يا أبا بشر، لا يسوؤكَ الله تعالى، قد شربتُها أوَّلَ ما بَعثتَ بها، فلمّا كان الغدُ راوَدتُ نفسي على أن[(٥)] تُسِيغَها فما قدرت، إذا أردتُ أن أشربَها ذكرتُ هذه الآية: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ [إبراهيم: ١٧]، فبكى صالحٌ عند هذا، وقال: قلتُ لنفسي: إنِّي في وادٍ وأنتَ في آخَر»[(٦)].

قال موسى بن هلالٍ العبديّ: حدَّثني بشرُ بن منصور، قال: «كنتُ أُوقِد بين يدي عطاءٍ في غداة باردةٍ نارًا، فقلت له: يا عطاء، يسُرُّك الساعةَ لو أنّك أُمِرتَ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٢)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٤٤).

(٢) في (د): «شربة».

(٣) «له» ليس في (د).

(٤) «ويقويك» ليس في (د).

(٥) قوله: «أن» ليس في (ق).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٢-١٩٣)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٤٥)، و«التخويف من النار» (١٥٦).

أن تُلقِي نفسك في هذه النّار ولا تُبعَثُ إلى الحساب؟ فقال: إي وربِّ الكعبة، ثمَّ قال: والله مع [١٤٢/ب] ذلك لو أُمِرتُ بذلك لخشيت أن تخرج نفسي فرَحًا قبل أن أصِل إليها»[١].

قال العلاءُ بن مُحمَّد: «دخلتُ على عطاء، فإذا هو مَغشِيٌّ عليه، فقلت لامرأته: ما شأنُ عطاء؟ فقالت: سجَرَت جارتُنا التَّنور، فنظر إليه فخَرَّ مغشيًّا عليه»[٢].

قال عبدُ الرَّحمن بن مَهديّ: حدَّثَتني عُفيرةُ[٣] العابدةُ ـ وكانت قد ذهب بصرُها من العبادة ـ قالت: «كان عطاء إذا بكى بكى ثلاثةَ أيّامٍ وثلاثَ ليالٍ»[٤].

قالت عُفَيرة: وحدَّثني المحلِّيّ، قال: «أتيتُ عطاءً فلم أجده في بيته، فنظرت فإذا هو في ناحيةٍ من المسجدِ جالس، وإذا حولَه بَلَل، فظَنَنتُ أنّه أثرُ وضوء، فقالت لي عجوز: هذا أثرُ دموعه»[٥].

قال العلاء: «شهِدتُ عطاءً خرج في جنازة، فغُشِي عليه أربع مرّاتٍ حتَّى صُلِّي عليها، ينظر إليها يُغشَى عليه، ثمَّ يُفِيق فينظر فيُغشَى عليه»[٦].

قال إبراهيمُ بن أدهم: «كان عطاءٌ يمَسُّ جلدَه باللَّيل خوفًا من ذنوبه؛ مخافةَ أن يكون قد مُسِخ»[٧].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٢). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٣).

(٣) في (ق): «عفرة».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٣)، و«مرآة الزمان» (١١: ١٤٥).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٢١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٣) و«مرآة الزمان» (١١: ١٤٥).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٤). (٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٤).

قال عليُّ بن بكّار: «مكث عطاءٌ أربعِينَ سنةً على فِراشِه لا يقوم من الخوف ولا يخرج»(١).

قال مَخلَد: «ما رأيت أحدًا أفضلَ من عطاءٍ السَّليميِّ(٢)، لقد كانت الفاكهةُ تمُرُّ لا يعلم سِعرَها ولا يعرفها»(٣).

قال أبو يزيدَ الهراويّ: «انصرفتُ ذات يومٍ من الجمعة، فإذا عطاء السَّليميُّ(٤) وعمرُو بن درهمٍ يَمشِيان، وكان عطاءٌ بكى حتَّى عَمِش، وكان عمرٌو صلى(٥) حتَّى دَبِر، فقال عمرٌو لعطاء: حتَّى متى نسهو ونلعب وملكُ الموت في طلبنا، ألا نَكُفُّ؟

فصاح عطاءٌ صيحةً خَرَّ مغشيًّا عليه، فاجتمع عليه النّاس، وقعد عمرٌو عند رأسه، فلم يَزَل على حاله حتَّى المغرب، ثمَّ أفاق فحُمِل»(٦).

قال صالحٌ المُرِّيّ: «قلت لعطاء: ما تشتهي؟ فبكى، وقال: أشتهي والله يا أبا بشر أن أكونَ رمادًا لا تجتمع منهُ(٧) سَفّةٌ أبدًا في الدُّنيا ولا في الآخرة، قال صالح: فأبكاني والله، لقد علِمتُ أنّه إنّما أراد النَّجاةَ من الحساب»(٨).

أدرك عطاء أيّامَ أنس، ولقي الحسن، ومالكَ بن دينار، وخلقًا من تلك الطَّبقة، وشغَلَته العبادةُ عن الرِّواية(٩).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٤).
(٢) في (ق) و(د): «السلمي».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٤).
(٤) في (ق) و(د): «السلمي».
(٥) في (ق) و(د): «بكى».
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٢١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٤٩٣).
(٧) في (ق): «مني».
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٢٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٥).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٦).

[عبد الله بن غالب الحداني]

[٢٦٣] ومنهم: عبدُ الله بن غالبٍ الحُدّانيّ[١].

قال المغيرةُ بن حبيب: «لمّا برز ابنُ غالبٍ للعدوِّ قال: على ما آسَى من الدُّنيا، فوالله ما فيها للَبيبٍ جِذلٌ[٢]، ووالله لولا محبَّتي لمباشرة السَّهر بصفحة وجهي وافتراش الجبهة لك يا سيِّدي، والمراوحة بين الأعضاء [١٤٣/أ] في ظُلمة الليل؛ رجاءَ ثوابِك وحلولِ رضوانِك، لقد كنت مُتمنِّيًا لفراق الدُّنيا وأهلِها، ثمَّ كسر جفنَ[٣] سيفه وقاتَلَ حتَّى قُتِل، فحُمِلَ من المعركة وإنّ به لرَمَقًا، فمات دون العسكر، فلمّا دُفِن أصابوا في قبره رائحةَ المسك، فرآهُ رجلٌ من إخوانه في منامه، فقال: ما صنعت؟

قال: خَيرَ الصَّنِيع[٤]، فقال: إلى ما صِرت؟ قال: إلى الجنّة، قال: بمَ نِلتَ هذا[٥]؟ قال: بحُسن اليقين وطولِ التَّهجُّد، وظمأ الهواجر، قال: فما هذه الرّائحةُ الطَّيبةُ التي تُوجَد من قبرك؟ قال: تلك رائحةُ التِّلاوةِ والظَّمأ، قلت: أوصِني، فقال: اكسَب لنَفسِكَ خَيرًا، لا تَخرُج عَنكَ اللَّيالِي والأيّامُ عَطَلًا»[٦].

* * *

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ١٣٤)، و«الثقات» لابن حبان (٥: ٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٨).

(٢) في (د): «للبيت حذو».

(٣) في (ق): «جفر».

(٤) في (د): «الصنع».

(٥) قوله: «نلت هذا» ليس في (ق).

(٦) في (ق) و(د): «غلطا»، وانظر: «مختصر قيام الليل» (٦٦)، و«حلية الأولياء» (٦: ٢٤٧)، و«المنتظم» (٧: ٢٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٨).

[حسان بن أبي سنان]

[٢٦٤] ومنهم: حسّانُ بن أبي سنانَ[١]، بصريٌّ[٢].

قال أبو حكيم: «خرج حسّانُ يوم العيد، فلمّا رجع قالت له امرأتُه: كم من امرأةٍ حسنةٍ قد نظرتَ إليها؟ فلمّا أكثَرَت عليه، قال: ويحَكِ! ما نظرتُ إلّا في إبهامِي منذُ خرَجتُ من عندِك حتَّى رجعتُ إليك»[٣].

وكتب إليه غلامٌ لهُ[٤] من الأهواز: «أنّ قصبَ السُّكَّر أصابَته آفة، فاشترِ السُّكَّر، فاشتراهُ[٥] من رجل، فلم يأتِ قليلٌ إلّا وفيما اشتراه ربحُ ثلاثين ألفًا، فأتى صاحِبَ السُّكَّر، وقال: يا هذا، إنّ غُلامي كان كتب إليَّ ولم أُعلِمك، فأقِلني بيعَتي، فقال الآخر: قد أعلمتَني الآن، وقد طيَّبتُه لك، فرجع، فلم يحتمل قلبُه، فما زال به حتَّى ردَّ عليه»[٦].

قال عبدُ المؤمن: «لقي رجلٌ حسّانًا به رَهَق، وكان مع حسّانٍ رجل، فسأل لذلك مسألةً لطيفةً، فقال ذلك الرَّجل: تسأل مثلَ هذه المسألةَ حتَّى يظنَّ في نفسه أنّه شيءٌ؟ فقال حسان: وما يدريك أنّ فيه خصلةً يحبُّها الله تعالى، وفيك

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ١٩٩)، و«المنتظم» (٨: ١٥٢)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٧٤).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٤٥)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٧٤).

(٣) انظر: «المنتظم» (٨: ١٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٩)، و«تهذيب الكمال» (٦: ٢٩).

(٤) «له» ليس في (ق).

(٥) في حاشية (د): «الضمير راجع إلى رب الغلام».

(٦) انظر: «المنتظم» (٨: ١٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٩٩-٢٠٠)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٣١).

خصلةٌ يُبغِضها الله تعالى، فقال: وما الخصلتان؟ فقال: لعلَّه أن يكون حين رآك حدَّثَته نفسُه أنّك خيرٌ منه، ولعلَّك حين رأيتَه حدَّثتك نفسك أنّك خيرٌ منه»(١).

قال الوليدُ بن بشّار: «جاءت امرأةٌ تسأل حسّانًا، فقال لشريكِه: أهكذا؟ وأشار بأصبَعِه السَّبابةِ والوسطى، فذهب شريكُه يَزِنُ لها درهَمين، فوزَنَ لها مئتَين، فقال: كانت ترضى بهذا، كم من سائلٍ؟ فقال: إنِّي ذهبتُ في شيءٍ لم تذهب فيه، إنِّي رأيتُ بها بقية(٢) الشَّباب، فخشِيت أن تحمِلها الحاجةُ على بعض(٣) ما أكرَه»(٤).

قال عبدُ الجبّار السُّلَميّ: «مَرَّ حسّانُ بغرفة، فقال: متى بُنِيَت هذه؟ ثمَّ أقبل على نفسه [١٤٣/ب] فقال: تسألين عمّا لا يعنيك؛ لأُعاقِبَنَّك بصوم سنة، فصامَها»(٥).

قال عُمارة: «كان حسّانٌ يفتح بابَ حانوتِه، فيضع الدَّواةَ وينشر الحسابَ، ويُرخِي سِترَه، ثمَّ يصلِّي، فإذا أحسَّ بإنسانٍ قد جاء يُقبِل على الحساب، يُرِيهِ(٦) أنّه كان في الحساب»(٧).

وكان يقول: «لولا المساكينُ ما اتَّجَرت»(٨).

وكان حسّانٌ مقيمًا(٩) بالأهواز، وله شريكٌ مقيمٌ بالبصرة، ويجتمعان على رأس كلِّ سنةٍ يتحاسَبان، ثمَّ يقتسمان(١٠) الرِّبح، فكان يأخذ قُوتَه من ربحِه، ويتصدَّق بما بقي، وكان صاحِبُه يبني الدُّورَ ويتَّخِذُ الأرَضين، فقَدِمَ حسّانٌ

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٠). (٢) في (ق): «نقية».
(٣) في (د): «بغض». (٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٠).
(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٠٦)، و«ذم الهوى» (٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠١).
(٦) في (ق): «يريد».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠١)، و«تهذيب الكمال» (٦: ٢٧)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٧٤).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠١)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٧٤).
(٩) في (ق): «يقيم». (١٠) في (د): «يقسمان».

البصرةَ قَدمةً، ففرَّقَ ما أراد أن يُفرِّق، فذُكِرَ له أهلُ بيتٍ لم تكن حاجتُهم ظهرت، فاستقرضَ[١] لهم ثلاث مئةِ درهم، فبعث بها إليهم[٢].

قال يحيى بن بسطامٍ الأصغرُ ـ وكان جارًا لحسّان ـ قال: «كان يصومُ الدَّهر، ويُفطِر على قُرص، ويتسحَّر بآخر، فنحل حتَّى صار كهيئة الخيال، فلمّا مات أُدخِلَ مُغتسَلَه ليُغَسَّل، كُشِف الثَّوبُ عنه فإذا كهيئةِ الخيطِ الأسود، وأصحابُه يبكون حوله»[٣].

كان حسّانٌ كثيرَ الرِّواية عن الحسن، وثابتٍ البُنانيّ، ويُقال: إنّه أسندَ عن أنس، غير أنّه اشتغل بالعبادة عن الرِّواية[٤].

* * *

[شُميط بن عجلان]

[٢٦٥] ومنهم: شُمَيطُ بن عجلانَ[٥]، يُكنَّى: أبا عبد الله، وقيل: أبا همام، بصريٌّ[٦].

---

(١) في (ق): «فاستقرَّ».

(٢) انظر: «المعرفة والتاريخ» (٢: ٦٩)، و«حلية الأولياء» (٣: ١١٦)، و«شعب الإيمان» (١٢٢٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠١)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٢٠٢)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٣١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠١).

(٥) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٦: ٤٥١)، و«المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٣: ١٢٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٢).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٦: ٤٥١)، و«المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٣: ١٢٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٢).

قال ابنُه: سمعت أبي يقول: «بادِروا بالصِّحّة السَّقَم، وبالفراغ الشُّغل، وبالحياة الموتَ[١]، بئس العبدُ عبدٌ خُلِقَ للعبادة فصَدَّته الشَّهواتُ عن العبادة، وبئس[٢] العبدُ عبدٌ خُلِقَ للعاقبةِ فصدَّته العاجِلةُ عن العاقبة، فزالَت عنه العاجِلة، وشَقِيَ في العاقبة»[٣].

وسمعته يقول: «أُعطيتَ ما يَكفِيك وأنتَ تطلبُ ما يُطغيك، لا بقليلٍ تَقنَع، ولا من كثيرٍ تَشبَع، كيف يعمل للآخرة مَن لا تنقضِي من الدُّنيا شهوته! العَجبُ كلُّ العَجبِ لمُصدِّقٍ بدار الحقِّ وهو يسعى لدار الغرور»[٤].

وسمعته يقول: «يَعمَد أحدُهم فيقرأ القرآنَ ويطلبُ العلم[٥]، حتَّى إذا عَلِمَه أخذ الدُّنيا فضَمَّها إلى صدره، وحمَلها فوقَ رَأسِه، فنظرَ إليه ثلاثةٌ ضعفاء: امرأةٌ وأعرابيٌّ وأعجميّ، فقالوا: هذا عالِمٌ بالله عزَّ وجلّ، لو لم يَرَ في الدُّنيا ذخيرةً ما رغبوا فيها وجمَعُوها، مَن رَضِي بالفسق فهو من أهله، ومَن رضي أن يُعصَى اللهُ عزَّ وجلَّ لم يُرفع له عملٌ»[٦].

رأسُ مال المؤمن دينُه؛ حيثُ ما زال زالَ معه، لا يُخَلِّفُه في الرِّحال[٧]، ولا يأمن عليه الرِّجال[٨].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٢٧). (٢) في (ق): «بئس».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٢).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٢).

(٥) قوله: «العلم» ليست في (ق).

(٦) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٢٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٢).

(٧) في «صفة الصفوة»: «الرجال».

(٨) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٢٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٢).

وسمعته يقول: «مَن جعل الموتَ نُصبَ عينَيه لم يُبال بضِيق الدُّنيا ولا بسَعَتِها»[١]. [١٤٤/أ]

قال إبراهيمُ بن عبد الملك: قال شُمَيط: «إنّ الله تعالى وسمَ الدُّنيا بالوحشة[٢]؛ ليكونَ أُنسُ المطيعين به»[٣].

وكان يقول: «إنسانان مُعَذَّبان في الدُّنيا: غنِيٌّ أُعطِي دُنيا فهو بها مشغول، وفقيرٌ زُوِيَت عنه فهو يَتبَعُها، نفسُه تَقطَّعُ عليها حسراتٍ»[٤].

وكان يقول: «إنّ المؤمنَ يقول لنفسه: إنّما هي ثلاثةُ أيّام، قد مضى أمسِ بما فيه، وغدًا أملٌ لعلَّكِ لا تُدركيه، إنّما هو يومُكِ هذا إن كنتِ من أهل غد، فسيجيء ربُّ غدٍ برزقِ غدٍ، إنَّ دون غدٍ يومًا وليلةً تُختَرَمُ فيها أنفُسٌ كثيرة، فلعلَّك المُختَرَم فيه، كفى كلَّ يومٍ همُّه، ثمَّ حملتَ على قلبِك الضَّعيف همَّ الدُّهورِ والأزمنة، وهمَّ الغلاء، وهمَّ الشِّتاء قبل مجيئه، وهمَّ الصَّيف قبل مجيئه، فماذا أبقيتَ من قلبكَ الضَّعيف للآخرة، تطلب[٥] الجنّةَ بهذا؟ متى تهرب من النّار؟ كلَّ يومٍ ينقص من أجلِك ثُمَّ لا تحزن، أُعطِيتَ ما يكفيك وأنتَ تطلُبُ ما يُطغِيك، كيف لا يستبينُ للعالِم جهلُه وقد عجز عن شُكرِ ما هو فيه، وهو مفتونٌ في طلب الدُّنيا، كيف يعملُ للآخرةِ من لا تنقضي[٦] من الدُّنيا شهوتُه[٧]، ولا تنقطع عنها رغبتُه، فالعجبُ كلُّ العجبِ لمَن صدَّق بدارِ

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٢)، و«مختصر منهاج القاصدين» (٣٨٤).
(٢) في (د): «بوحشته».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ١٧٤).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٥).
(٥) في (ق): «بطلب».
(٦) في (ق): «ينتقص».
(٧) قوله: «شهوته» ليس في (ق) و(د).

الحيوان كيف يسعى لدار الغُرور، تأكُلُ وتشرب، وتجمع للدُّنيا[١] وتُثمِّرها، وتُنعِّم زوجتَك وولدَك، فلَبئس[٢] ما أردت له البقاء»[٣].

وكان يقول: «إنّ المؤمنَ اتَّخذ كتابَ الله عزَّ وجلَّ مرآةً، فمَرّة ينظر إلى ما نعت الله عزَّ وجلَّ وأعزَّ به المؤمنين، ومرّةً ينظر إلى ما نعت الله عزَّ وجل به[٤] المُغترِّين، ومرّةً ينظر إلى الجنّة وما أعدَّ الله عزَّ وجلَّ فيها، تَلقاه حزينًا كالسَّهم المَرميِّ به شوقًا إلى ما شوَّقه الله عزَّ وجلَّ إليه، وهربًا ممّا خوَّفه الله عزَّ وجلَّ منه»[٥].

وكان يقول: «إنّ المؤمنَ أبصرَ الدُّنيا فأنزلها منزلتَها، فإن هي أقبَلَت عليهِ قال: لا مرحبًا بكِ ولا أهلًا، واللهِ ما أراكِ جئتِ بخير، وما فيكِ مِن خير، إلا أن تُطلَب بكِ الجَنة، ويُفتَدى بكِ من النّار[٦]، وإن هي أدبَرَت عنه قال: عليك العَفاء، وعلى مَن يتبَعُك؛ الحمدُ لله الذي خار لي فيك، فصَرفَ عنِّي فِتنتَك وشغلَك»[٧].

وكان يقول إذا وصَفَ أهلَ الدُّنيا: «حيارَى، سكارَى، فارِسُهم يركض ركضًا، وراجِلُهم يسعى سعيًا؛ لا غنِيُّهم يشبع، ولا فقيرُهم يَقنع»[٨].

وكان يقول إذا وصف المُقبِلَ على الدُّنيا: «دائِمُ[٩] البِطنة، قَلِيلُ الفِطنة، إنّما

---

(١) في (ق): «الدنيا».
(٢) في (د): «فليس».
(٣) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٣).
(٤) «به» ليس في (ق).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٤).
(٦) قوله: «وما فيكِ من خير، إلا أن تطلب بك الجنة، ويفتدى بك من النار» ليس في (ق).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٤).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٤).
(٩) في (د): «ذائب»، وفي (ق): «دائب».

همُّهُ بَطنُه وفرجُه وجِلدُه، يَقُول: مَتَى أُصبِحُ فآكُلُ وأشرَب، وألهُو وألعَبُ[١]؟ [١٤٤/ب] قال: متى أمسي فأنامُ؟ جِيفةٌ بالليل بطّالٌ بالنَّهار[٢].

وَيحَك! ألهذا خُلِقت، أم بهذا أُمِرت؟ بهذا تَطلُبُ الجنّة وتهرب من النّار؟»[٣].

وكان يقول: «إنّ العافيةَ سترَت البَرَّ والفاجِر، فإذا جاءت البلايا استبانَ عندها الرَّجلان، فإذا جاءت البلايا إلى المؤمن فأذهَبَت مالَه وخادِمَه ودابَّتَه حتَّى جاع بعد الشِّبَع، ومشى بعد الرُّكوب، وخدم نفسَه بعد أن كان مَخدومًا، فصبر ورضي بقضاء الله تعالى قال: هذا نظرُ الله عزَّ وجلَّ لي، هذا أهونُ لحسابي غدًا.

وجاءَتِ البلايا للفاجِر، فأذهَبَت مالَه وخادِمَه ودابَّته، فجزع وهلع، وقال[٤]: والله ما لي على هذا من طاقة، والله لقد عوَّدتُ نفسي عادةً ما لي عنها صبرٌ من الحلوِ والحامض، والحارِّ والبارد، ولِين العيش، فإن هو أصابه من حلال، وإلّا طلبه من الحرام والظُّلم؛ ليعودَ إليه ذلك العيشُ»[٥].

أسند شُمَيطٌ عن جماعةٍ من التّابعين[٦].

* * *

[شعبة بن الحجاج]

[٢٦٦] **ومنهم**: شعبةُ بن الحجّاج[٧].

(١) في (ق) و(د): «حتى إذا أصبح فآكل وشرب وألهوا وألعب».

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (٩٧٤)، و«حلية الأولياء» (٣: ١٢٧).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٤).

(٤) في (ق) و(د): «قال».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٥).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٥).

(٧) انظر ترجمته في: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٣٨٢)، و«المستخرج من كتب الناس» (٣: ٤٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٦).

من الأزد، ويُكنَّى: أبا بسطامٍ، بصريٌّ[١]، وهو أكبرُ من الثَّوريِّ بعشر سنين[٢].

قال بكرٌ البكراويّ: «ما رأيتُ أعبدَ من شعبة، لقد عبد الله عزَّ وجلَّ حتَّى جَفَّ جِلدُه على عَظمِه، ليس بينهما لحم، وكان يصوم الدَّهرَ كلَّه لا يرى عليه، وكان سفيانُ الثَّوريُّ يصوم أيّامًا من الشَّهر تُرى عليه»[٣].

قال أبو قطن: «ما رأيتُ شعبةَ ركع قطُّ إلّا ظننتُ أنّه نسي»[٤].

قال مسلمُ بن إبراهيم: «ما دخلتُ على شعبةَ في وقت صلاةٍ قطُّ إلّا رأيتُه قائمًا يصلِّي»[٥].

قال سليمانُ[٦] بن حرب: «لو نظرتَ ثيابَ شعبةَ لم تكن تساوي عشرةَ دراهم، قميصُه وإزارُه ورداؤُه، وكان كثيرَ الصَّدقة، سَخِيَّ النَّفس، وكان لونُها[٧] لونَ التُّراب»[٨].

ولَقِيَه سليمانُ بن المغيرة، فشكى إليه، فقال له شعبة: «واللهِ ما أملك إلّا هذا الحمار، ثمَّ نزل عنه ودفعه إليه»[٩].

---

(١) «بصري» ليس في (د).

(٢) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٣٨٢)، و«المستخرج من كتب الناس» (٣: ٤٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٦).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٦).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٧)، و«السير» (٧: ٢٠٧).

(٥) انظر: «تهذيب الكمال» (١٢: ٤٩٢)، و«تهذيب التهذيب» (٤: ٣٤٤).

(٦) في (ق): «سلمان».

(٧) في (د): «لونه».

(٨) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٧)، و«السير» (٧: ٢٠٧).

(٩) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٧)، و«السير» (٧: ٢٠٧).

قال أبو نوح: «رأى عليَّ شعبةُ قميصًا، فقال: بكَم اشتريت هذا؟ قلت: بثمانيةِ دراهم، فقال: ألا اشتريتَ قميصًا بأربعةِ دراهم، وتصدَّقتَ بأربعةٍ!»[١].

رأى شعبةُ الحسن، وابنَ سيرين، وسمع من قتادةَ وخالدٍ الحذّاء، وخَلْقٍ من التّابعين، وتُوفِّي بالبصرة في أوَّل سنةِ ستِّين ومئة، وهو ابنُ سبعٍ وسبعين سنةً[٢].

* * *

[صالح المُري]

[٢٦٧] **ومنهم**: صالحُ المُرِّيُّ[٣]، مولى بصريّ، وكان قاصًّا[٤].

قال عفّانُ بن مُسلِم: «كنّا نأتي مجلسَ صالحٍ المُرِّيّ، فكان [١٤٥/أ] إذا أخذ في قَصَصِه كأنّه رجلٌ مذعور، يُفزِعُك أمرُه من حزنه وكثرة بكائه كأنّه ثكلَى، وكان شديدَ الخوف من الله عزَّ وجلّ، كثيرَ البكاء»[٥].

---

(١) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٧)، و«السير» (٧: ٢٠٧).

(٢) انظر: «تاريخ ابن معين» (٤: ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٧)، و«البداية والنهاية» (١٠: ١٣٢).

(٣) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٧)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٤٥٦)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٤: ٣١٣).

(٤) في حاشية (د): «إما أن يكون مأخوذ من القصِّ والقصص»، وانظر: «مرآة الزمان» (١٢: ٤٥٦)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٤: ٣١٣).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٧)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٤٥٦)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٤: ٣١٣).

قال أحمدُ الحضرميّ: سمعت المُرِّيَّ يقول: للبكاء[1] دواع: الفكرة في الذُّنوب، فإن أجابت على ذَلِكَ[2] القلوب وإلّا نقَلتَها إلى الموقّف[3] وتلك الشَّدائد، فإن أجابت على ذلك وإلّا فاعرض عليها التَّقلُّبَ في طبقاتِ[4] النِّيران، ثمَّ صاح وغُشِي عليه، وتصايَح النّاسُ من نواحي المجلس»[5].

قال الأصمعيّ: «شهِدتُ صالحًا المُرِّيَّ عَزَّى رجلًا على ابنه، فقال: لئن كانت مُصيبتُك لم تُحدِث لك موعظةً في نفسك، فَمُصِيبَتُكَ بابنِكَ جَلَلٌ فِي مُصِيبَتِكَ فِي نَفْسِكَ فَإِيَّاهَا فَابْكِ»[6].

أسند صالحٌ عن الحسن، وابنِ سيرين، وقتادة، في خَلقٍ من التّابعين، وتُوفِّي في سنة ستٍّ وسبعين ومئةٍ[7].

* * *

[الربيع بن برة]

[٢٦٨] ومنهم: الرَّبيعُ بن بَرّة[8].

قال عبّادُ بن الوليد: قال الرَّبيع: «عَجِبتُ للخلائقِ كيف ذَهِلوا عن أمرٍ حقٍّ تراه عيونُهم، وتَشهد عليه مَعاقِدُ قلوبهم إيمانًا وتصديقًا بما جاء به المُرسَلون،

---

(١) في (ق) و(د): «البكاء».
(٢) في (ق) و(د): «تلك».
(٣) في (ق): «الوقف».
(٤) في (ق): «أطباق».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٨).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٧١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٨)، و«تاريخ الإسلام» (١١: ١٨٧).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٨).
(٨) في (د): «مرة»، وانظر ترجمته في: «الضعفاء الكبير» للعقيلي (٢: ٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٨)، و«إكمال الإكمال» لابن نقطة (١: ٢٨٦)، و«ميزان الاعتدال» (٢: ٣٩).

ثمَّ ها هم عنه[١] في غفلةٍ سكارى يلعبون»[٢].

قال محمَّدُ بن سلّام: قال الرَّبيع: «رَضِيتَ لنفسك أن تعيشَ عيشَ البهائم، نهارُكَ هائِم، وليلُك نائم، والأمرُ أمامَك جِدٌّ»[٣].

وقال الرَّبيع: «نصب المُتَّقون الوعيدَ من الله تعالى أمامَهم، فنظرت إليه قُلوبُهم[٤] بتصديقٍ وتحقيق، فهُم والله في الدُّنيا مُنغَّصون، ووقفوا ثوابَ الأعمال الصّالحة خلف ذلك، فهم والله إلى الآخرة مُتطلِّعون[٥] بين وعيدٍ هائلٍ ووعدٍ صادق، لا ينفَكُّون من خوفِ وعيدٍ إلّا رجَعوا إلى شوقٍ مَوعودٍ لذلك وعلى ذلك، في الموت جُعِلَت لهم الرّاحة، ثمَّ يبكي»[٦].

* * *

[الحجاج العابد]

[٢٦٩] ومنهم: الحجّاجُ العابدُ[٧]، بصريٌّ[٨].

قال مُؤذِّنُ مسجدِ بني جِدار[٩]: جاورني شاب، فكنت إذا أذَّنتُ للصَّلاةِ وأقمت كأنّهُ في نُقرةِ قفاي، فإذا صلَّيتُ صلَّى، ثمَّ لبس نَعلَيه ثمَّ دخل منزلَه، فكنت

---

(١) في (ق): «عنهم».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٢٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٨).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠٩).

(٤) في (ق): «إليهم قلوب».

(٥) في (د): «مطلعون».

(٦) في (د): «بكى»، وانظر: «حلية الأولياء» (٦: ٢٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٠٩).

(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٠).

(٨) انظر: «الغرباء» (٣٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٠).

(٩) في (د): «جداد».

أتمنَّى أن يكلِّمني أو يسألني حاجةً، فقال لي ذات يوم: عندك مُصحَفٌ تُعِيرُني أقرأ فيه؟ فأخرجت إليه مُصحفًا فدفَعتُه إليه، فضَمَّه إلى صدره، وقال: لَيَكونَنَّ لي ولك اليومَ شأن، ففقَدتُه ذلك اليوم فلم أرَه يخرج، فأقمتُ للمغرب فلم يخرُج، وأقمت للعشاء فلم يخرج، وساء/ ظنِّي، فلما صلَّيتُ العشاءَ الآخرةَ [١٤٥/ب] جئت إلى الدّار التي هو فيها، فإذا فيها دَلوٌ ومِطهَرة، وإذا على بابه ستر، فدفعت البابَ فإذا هو ميِّت، والمصحفُ في حَجرِه، فأخذتُ المصحفَ واستعَنتُ على حمله حتَّى وضعناه على سريره، وبَقِيتُ ليلتي أفكِّر مَن أكلِّم حتَّى يُكفِّنه، فأذَّنتُ الفجرَ بوقتٍ، ودخلت المسجدَ لأركع، فإذا بضَوءٍ في القِبلة فدنوت منه، فإذا بكفنٍ ملفوفٍ في القِبلة، فأخذتُه، وحمدت الله عزَّ وجلَّ وأدخَلتُه البيتَ وخرجت، فأقمت الصَّلاة، فلمّا سلَّمت وإذا عن يميني ثابتٌ البُنانيّ، ومالكُ بن دينار، وحبيبٌ الفارسيّ، وصالحٌ المُرِّيّ، فقلت: ما لهم! يا إخواني[١]، ما غدا بكم؟ قالوا: مات في جوارك الليلة أحدٌ؟ قلت: مات شابٌّ كان يصلِّي معي الصَّلوات، فقالوا: أرِناه، فلمّا دخلوا عليه كشف ابنُ دينار عن وجهه الثَّوب، ثمَّ قبَّل موضعَ سجوده، ثمَّ قال: بأبي أنت يا حجّاجُ، إذا عُرِفتَ في موضعٍ تحوَّلت منه حتَّى لا تُعرَف؛ فلما أخذُوا[٢] في غُسلِه، وإذا مع كلٍّ واحدٍ منهم كفن، فقال كلُّ واحدٍ منهم: أنا أكفِّنه، فلمّا طالَ ذلك منهم قلت لهم: إنِّي فكَّرت[٣] هذه الليلة فقلت: مَن أكلِّم حتَّى يُكفِّنه؟ فأتيتُ المسجدَ فأذَّنت ثمَّ دخلت لأركعَ فإذا كفنٌ ملفوفٌ لا أدري مَن وضعه، فقالوا: يُكفَّن في ذلك الكفن، فكفَّنّاه

---

(١) في (ق): «يا إخوتي».

(٢) قوله: «فلما أخذوا» في (ق): «فخذوا».

(٣) في (ق) و(د): «أفكرت».

وأخرجناه، فما كِدنا نرفع جنازتَه من كثرة مَن حضر من الجمع(١).

* * *

[ضيغم العابد]

[٢٧٠] **ومنهم**: ضيغمٌ العابدُ(٢)، يكنَّى: أبا مالكٍ، بصريٌّ(٣).

قال أبو أيُّوبَ، مولى ضَيغم، قال لي ضَيغمٌ ليلةً: «لو أعلم أنّ رضاه أن أقرِضَ لحمي لدعوت بالمِقراضِ فقَرضتُه»(٤).

قال سيّار: «كانَ وِردُ ضَيغمٍ كلَّ يومٍ أربع مئة ركعةٍ»(٥).

قال هارونُ بن مروان: «كنت إذا رأيتُ ضَيغمًا العابدَ رأيتُ رجلًا لا يشبه النّاسَ من الخشوع والضُّرِّ والحزن، وبلَّ موضعَين من المسجد بدموعه بين المغرب والعشاء»(٦).

قال أبو أيُّوب: قال لي ضَيغم: «احذَر نفسَك على نفسك؛ فإنِّي رأيتُ همومَ المؤمِنين في الدُّنيا لا تنقضي، وأيم(٧) الله، لئن لم تأتِ(٨) الآخرةُ المؤمنَ بالسُّرورِ

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٠-٢١١).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٢١١)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ١٩٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٢١).

(٣) انظر: «المنتظم» (٨: ٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١١).

(٤) انظر: «المنتظم» (٨: ٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١١).

(٥) انظر: «المنتظم» (٨: ٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١١).

(٧) في (ق): «ويم».

(٨) في (ق) و(د): «يأت».

لقد اجتمع عليه الأمران: همُّ الدُّنيا، وشقاءُ الآخرة، قال: قلت: بأبي وأمِّي[١]، وكيف لا تأتيه الآخرة[٢] بالسُّرورِ وهو ينصب لله في دار الدُّنيا ويدأب؟

فقال: يا أبا أيُّوب، فكيف بالقَبولِ؟ وكيف بالسَّلامة؟ ثمَّ قال: كم من رجلٍ يرى أنّه قد أصلَحَ شأنَه[٣]، قد أصلحَ قُربانَه، قد/ أصلحَ هِمَّتَه[٤]، قد أصلحَ عملَه، يُجمَعُ ذلك ليوم[٥] القيامة، ثمَّ يُضرَب به وجهُه»[٦]. [١٤٦/أ]

قال مالكُ بن ضَيغم: حدَّثني الحَكَم، قال: «بكى أبوكَ ليلةً بكمالها، لم يسجد فيها سجدةً، ولم يركع فيها ركعةً، ونحن معه في البحر، فلمّا أصبحنا قلنا له: يا أبا مالك، لقد طالت ليلتُك لا مُصلِّيًا ولا داعيًا، قال: فبكى، ثمَّ قال: لو يعلم الخلائقُ ما يستقبلون غدًا ما لذُّوا بعيشٍ أبدًا، والله إنِّي لمّا رأيت الليلَ وهولَه وشدّةَ سوادِه، وذكرت به الموقفَ وشدّةَ الأمر هناك، وكلُّ امرئٍ يومئذٍ تُهِمُّه نفسه، ولا يجزي والدٌ عن ولده، ولا مَولودٌ هو جازٍ عن والده شيئًا، قال: ثمَّ شَهَق، ولم يَزَل يضطرب ما شاء الله عزَّ وجلَّ»[٧]، رحمة الله عليه.

* * *

---

(١) في «صفة الصفوة»: «بأبي أنت».

(٢) «الآخرة» ليس في (د) و(ق).

(٣) قوله: «فكيف بالقَبول وكيف بالسلامة؟ ثم قال: كم من رجل يرى أنه قد أصلح شأنه» ليس في (د).

(٤) في (د): «همه».

(٥) في (ق): «يوم».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٢).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٢).

[حماد بن سلمة]

[٢٧١] ومنهم: حمّادُ بن سلمةَ[١]، يكنَّى: أبا سلمةَ، مولًى بصريٌّ[٢].

قال عبدُ الرَّحمن بن مهديّ: «لو قيل لحمّادِ بن سلمة: إنّك تموت غدًا، ما قدَرَ أن يَزيدَ في العمل شيئًا»[٣].

قال مُقاتِلُ بن صالح: «دخلتُ على حمّادِ بن سلمة، فإذا ليس في البيت إلّا حصير، وهو جالِسٌ عليه، ومصحفٌ يقرأُ فيه، وجِرابٌ فيه عِلمُه، ومِطهَرةٌ يتوضّأ بها، فبينا أنا عنده[٤] جالسٌ إذ دقَّ داقٌّ الباب، فقال: يا صبيّة، اخرُجي فانظري مَن هذا؟ فقالت: رسولُ محمَّدِ بن سليمان، فقال: قولي له: يدخل وحدَه، فدخل، فناوَلَه كتابًا، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمَّدِ بن سليمانَ إلى حمّادِ بن سلمة، أمّا بعدُ، فصبَّحَك الله تعالى بما صبَّحَ به[٥] أولياءَه وأهلَ طاعته، وقعَت مسألةٌ فأتينا نسألك عنها، والسَّلام.

فقال: يا صبيّة، هلُمِّي الدّاوة، ثمَّ قال لي: اقلب الكتابَ واكتب:

أمّا بعدُ، وأنت صبَّحَك الله تعالى بما صبَّح به أولياءَه وأهلَ طاعته، إنّا أدركنا

---

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ١٤٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٤٤).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ١٤٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٨٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٤٤).

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٨٨)، و«المنتظم» (٨: ٢٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٣).

(٤) «عنده» ليس في (د).

(٥) «به» ليس في (د).

العلماءَ وهم لا يأتون أحَدًا، فإن كانت وقعَت مسألةٌ فأتِنا وسَلْنا[١] عمّا بدا لك، وإن أتيتَني فلا تأتِني إلّا وحدَك، ولا تأتِنا بخيلك ورَجِلك[٢]، فلا أنصحك، ولا أنصح نفسي، والسَّلام.

فبَينا أنا عنده دقَّ داقٌّ الباب، فقال: يا صبيّة، اخرجي فانظري من هذا؟ فقالت: محمَّدُ بن سليمان، فقال: قولي له: ليَدخل وحدَه، فدخل فسلَّم، ثمَّ جلس بين يدَيه، فقال: ما لي إذا نظرتُ إليك امتلأتُ رعبًا؟ فقال حمّاد: سمعت ثابتًا البنانيَّ يقول: سمعتُ أنسَ بن مالكٍ يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ العالِمَ إذا أراد بعلمِه وجهَ الله عزَّ وجلّ هابَه كلُّ شيء، وإذا أرادَ أن يكنِز[٣] بِهِ الكُنُوزَ هابَ مِن كُلِّ شَيءٍ**»[٤]. [١٤٦/ب]

فقال: أربعون ألفَ دِرهَمٍ تأخذُها؛ تستعين بها على ما أنت عليه، فقال: اردُدها على مَن ظَلمتَه بها، فقال: والله ما أُعطِيك إلّا ممّا ورِثتُه، فقال: لا حاجةَ لي فيها، ازوِها عنِّي، زوى الله عزَّ وجلَّ عنك أوزارَك، فقال: اقسِمها[٥]، فقال: لعلِّي[٦] إن عَدَلتُ في قسمتها أن يقولَ بعضُ مَن لم يُرزَق منها: لم يَعدِل، ازوِها عني، زوى الله عزَّ وجلَّ عنك أوزارَك»[٧].

---

(١) في (د): «واسألنا». (٢) في (د): «ولا رجلك».
(٣) في (د): «يكتنز».
(٤) قوله: «وإذا أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء» ليس في (ق)، والحديث أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٨٣٧)، والديلمي في «الفردوس بمأثور الخطاب» (٣: ٧١) (٤٢٠١).
(٥) في (ق): «فاقسمها». (٦) في (ق): «فلعل».
(٧) انظر: «المنتظم» (٨: ٢٩٥-٢٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٣-٢١٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٧١-٣٧٢).

قال موسى بن إسماعيل: «لو قلت لكم إنِّي ما رأيت حمّاد بن سلمة ضاحكًا صدَّقتم؟ كان مشغولًا بنفسه، إمّا أن يُحدِّث، وإمّا أن يقرأ، وإمّا أن يسبِّح، وإمّا أن يصلِّي، كان قد قسَّم النَّهارَ على هذه الأعمال»[١].

قال سَوّار: قال أبي: «كنت آتي حمّادًا في سُوقه، فإذا ربح في ثوبٍ حبّةً أو حبَّتين شدَّ[٢] جونته فلم يَبِع شيئًا، فكنت أظنُّ أنّ ذلك قُوتُه، فإذا وجد قوتَه لم يَزِد عليه شيئًا»[٣].

قال يونسُ بن مُحمَّد: «مات حمّادُ بن سلمةَ في المسجدِ وهو يُصلِّي»[٤].

أسند حمّادٌ عن خَلقٍ من التّابعين لا يُحصَون، وتُوفِّي في سنة ثمانٍ وستِّين ومئةٍ[٥].

قال أبو عبد الله التَّميميّ: قال أبي[٦]: «رأيتُ حمّادَ بن سلمةَ في النَّوم، فقلت: ما فعل بك؟ فقال: خيرًا، قلت: ماذا قيل لك[٧]؟ قال: قيل لي: كَدَدت نفسَك، فاليوم أُطِيل راحتَك وراحةَ المَتعُوبِين في الدُّنيا، بَخٍ بَخٍ، ما أعددت لهم»[٨].

* * *

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٧٢).
(٢) في (د): «سد».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٤٩).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٤).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٧٢).
(٦) في (د): «إني».
(٧) في (ق): «ماذا قبل ذلك».
(٨) انظر: «العاقبة في ذكر الموت» (٢٣٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٧٢).

[حماد بن زيد]

[٢٧٢] **ومنهم:** حمّادُ بن زيدٍ[١]، بصريٌّ[٢].

قال عبدُ الرَّحمن بن مَهديّ: «ما رأيت أحدًا أعلمَ بالسنّةِ من حمّاد بن زيد»[٣].

قال يزيدُ بن زُريعٍ يومَ مات حمّادُ بن زيد: «مات اليومَ سيِّدُ المسلمين»[٤].

أسند حمّادُ بن زيدٍ عن خلقٍ كثيرٍ من التّابعين[٥]، وتُوفِّي لعشر ليالٍ خَلَونَ من رمضانَ سنةَ تسعٍ وسبعين ومئة، وهو ابنُ إحدى وثمانين سنةً[٦].

* * *

[يزيد بن زريع]

[٢٧٣] **ومنهم:** يزيدُ بن زريعٍ[٧]، يُكنَّى: أبا[٨] معاويةَ، بصريٌّ[٩].

قال أبو سليمانَ الأشقر: «تنزَّه يزيدُ بن زريعٍ عن خمس مئة ألف دينارٍ من ميراثه، فلم يأخذها»[١٠].

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦)، و«السير» (٧: ٤٥٦).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦)، و«السير» (٧: ٤٥٧).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦)، و«السير» (٧: ٤٥٨).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦)، و«السير» (٧: ٤٥٩).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦)، و«السير» (٧: ٤٥٧).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦)، و«السير» (٧: ٤٦١).

(٧) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٣٥٨)، و«المستخرج من كتب الناس» (٣: ٤٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٦).

(٨) في (ق): «أبو».

(٩) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٣٥٨)، و«المستخرج من كتب الناس» (٣: ٤٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٦).

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦).

قال أميّةُ بن بسطام، عمُّ يزيدَ بن زُرَيع: «وكان يزيدُ يعمل الخُوص، وكان يكون في هذا البيت، وأشار إلى بيتٍ لطيفٍ في المسجد»[١].

قال أحمدُ بن حنبل: «كان يزيدُ يعمل الخُوص[٢]، وكان أبوه زُرَيعٌ والي البصرة، فلم يكن يأكل من ماله شيئًا، وما أتقنَه وأحفظَه، صدوقٌ مُتقِنٌ»[٣].

سمع يزيدُ من أيُّوب، وابن أبي عَروبة، وغيرِهما، وتُوفِّي بالبصرة سنةَ اثنين وثمانين، وقيل: سبعٍ وسبعين / ومئة[٤]. [١٤٧/أ]

* * *

[يحيى بن سعيد القطان]

[٢٧٤] **ومنهم**: يحيى بن سعيدٍ القطّان[٥]، بصريٌّ[٦].

قال عبد الله ابنُ[٧] الإمام أحمد: سَمِعتُ أبي يقُول: «حدَّثني يحيى القطّان، وما رأت عيناي مثلَه»[٨].

وكان يختم القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ بين المغرب والعشاء[٩].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦).

(٢) قوله: «وكان يكون في هذا البيت، وأشار إلى بيت لطيف في المسجد. قال أحمد بن حنبل: كان يزيد يعمل الخوص» ليس في (د).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦). (٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٦).

(٥) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٧: ٦١١)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٢٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٧).

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٢٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٧).

(٧) قوله: «عبد الله ابن» مثبت من المصادر.

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٧)، و«تهذيب الكمال» (٣١: ٣٣٦).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٧).

قال يحيى بن مَعِين: «أقام يحيى بن سعيدٍ عشرين سنةً يختم القرآن كلَّ ليلة، ولم يَفُته الزَّوال في المسجد أربعين سنةً، وما رُئِيَ يطلب جماعةً قطُّ»[١].

قال عمرُو[٢] بن عليّ: قلت ليحيى في مرضه الذي مات فيه: «يعافيك[٣] الله تعالى، فقال: أحبُّه إليَّ أحبُّه إليه»[٤].

قال عليُّ بن عبد الله: «كنّا عندَ يحيى بن سعيد، فقال لرجل: اقرأ الدُّخان، فلمّا أخذ في القراءة نظرت[٥] إليه يتَغيَّر، فلما بلغ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠][٦]، صَعِقَ يَحيَى وغُشِيَ عليه، وارتفع صدرُه من الأرض، وتقوَّس وانقلب، فأصاب البابُ فِقارَ[٧] ظهرِه، وسالَ الدَّم، فصرخ النِّساء، فخرَجنا فوقَفنا بالبابِ حتَّى أفاق بعد كذا وكذا، ثمَّ دخَلنا عليه، فإذا هو نائمٌ على فراشه وهو يقول: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٤٠]، فما زالت تلك القرحةُ حتَّى مات»[٨].

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد وذيوله» (١٤: ١٤٦)، و«المنتظم» (١٠: ٧٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٧).

(٢) في (د): «عمر».

(٣) في «صفة الصفوة»: «يعاقبك الله»، والمثبت موافق لما في (د) و«الثقات» لابن حبان، و«مرآة الزمان».

(٤) انظر: «الثقات» لابن حبان (٧: ٦١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٣١٨).

(٥) في (د): «نظر».

(٦) كذا في المصادر، وفي (ق) و(د): «﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٧]» في الموضعين.

(٧) في حاشية: (د): «فعقر».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٣١٨)، و«السير» (٩: ١٨٤).

أسند يَحيى عن كبار الأئمّة: كالأعمش والثَّوريِّ ومالكٍ وغيرِهم[١]، وتُوفِّي بالبصرة سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئةٍ[٢].

قال عليُّ بن المَدِينِيِّ: «سَنحَ لي ليلةً خالدُ بن الحارث، فقلت له: ما فعل الله عزَّ وجلَّ بك؟ قال: غفر لي؛ إنّ الأمرَ شديد، قلت: فما فعل يَحيى بن سَعِيدٍ القَطانُ؟ فقال: نراهُ كما ترونَ الكوكبَ في أُفقِ السَّماء»[١].

* * *

[رياح بن عمرو القيسي]

[٢٧٥] ومنهم: رياحُ[٤] بن عمرٍو القيسيُّ[٥]، بصريٌّ[٦].

قـال محمَّدُ بن الحسين القيسيُّ، وكان ذا قرابةٍ لرياحٍ: «كنت أدخل عليه المسجدَ وهو يبكي، وأدخل عليه البيتَ وهو يبكي، وآتيه في الجَبّان[٧] وهو يبكي، فقلتُ له يومًا: دَهرَك في مأتم! فبكى، وقال: يَحِقُّ لأهل المصائب والذُّنوب أن يكونوا هكذا»[٨].

---

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٧: ٦١١)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٢٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٧).

(٢) انظر: «الثقات» لابن حبان (٧: ٦١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٧).

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٧). (٤) في (د): «رباح».

(٥) انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» (٣: ٣٢٨)، و«الثقات» لابن حبان (٦: ٣١٠)، و«تاريخ الإسلام» (١١: ١٢٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ١٧٤)، و«تبصير المنتبه» (٢: ٥٨٨).

(٦) انظر: «تاريخ الإسلام» (١١: ١٢٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ١٧٤).

(٧) في (د): «الجيان».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٨)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١٧٩).

قال معاذٌ الضَّرير: «كنتُ أكون قريبًا من الجَبّان، فكان يمرُّ رياحٌ[١] بعد المغرب إذا خلَت الطَّريق، فكنت أسمعه وهو يَنشِجُ بالبكاء، ويقول: إلى كم يا ليلُ ويا نهارُ تحُطّان من أجَلِي وأنا غافلٌ عمّا يُرادُ بي! إنّا لله، إنّا لله، فهو كذلك حتَّى يغيبَ عن وَجْهِهِ»[٢].

قال عليُّ بن الحسين: قال رياح: «لي نيِّفٌ وأربعون ذنبًا قد استغفرتُ لكلِّ ذنبٍ مئةَ ألف مرّةٍ»[٣].

قال مالِكُ بن ضَيغم: «جاء رياحٌ يسألُ[٤] عن أبي بعدَ العصر، فقلت: هو نائم، فقال: أنومٌ هذه السّاعة، أهذا وقتُ نومٍ! ثمَّ ولَّى مُنصَرِفًا، فأتبَعناه رسولًا، فقلنا لهُ[٥]: قل له: / أنُوقِظه لك؟ فأبطأ علينا الرَّسول، ثمَّ جاء وقد غربت الشَّمس، فقلت: أبطأتَ جدًّا، فهل قلتَ[٦] له، فقال: هو أشغَلُ من أن يفهم عنِّي شيئًا، أدركتُه وهو يدخلُ المقابِرَ وهو يُعاتِبُ نفسَه ويقول: قلتِ: نومٌ هذه السّاعة، أفكان هذا عليك؟ ينامُ الرَّجلُ متى شاء، وقلتِ: نومٌ[٧]، وما يُدريكِ أنّ هذا ليس وقتَ نوم، تسألين عمّا لا يعنيك، وتتكلَّمين فيما لا يعنيك، أما إنّ للهِ[٨] عليَّ عهدًا[٩] لا أنقضُه[١٠] أبدًا، ألّا أوَسِّدَكِ الأرضَ لنومٍ حولًا إلّا لمرضٍ حائل، أو لذهاب عقلٍ زائل، سوءةً لك، سوءةً لك، أما تستحين؟ كم تُوبَّخِين

[١٤٧/ب]

---

(١) في (د): «رباح».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٨).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٨)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١٧٩).

(٤) في (د): «ليسأل».

(٥) «له» ليس في (ق).

(٦) «قلت» ليس في (د).

(٧) في «صفة الصفوة»: «وقلت: هذا وقت نوم».

(٨) في (د): «الله».

(٩) «عهدًا» ليس في (د).

(١٠) في (ق): «أما إن لله إلا أن أنقضه».

وعن غَيِّك لا تنتهين! قال: وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني، فلمّا رأيتُ ذلك انصرفتُ وتركته»[١].

قال محمَّدُ بن عبدِ الله: «صلَّيت مع رياح[٢] الظُّهر، فصلَّيت إلى جانبِه، فجَعلَت دموعُه تقع على البَواري مثلَ الوَكف طق طق»[٣].

قال محمَّدُ بن مِسعَر: «كان لرياحٍ غُلٌّ من حديدٍ قد[٤] اتَّخذَه، فكان إذا جنَّه الليلُ وضعه في عنقه، وجعل يبكي ويتضرَّع حتَّى يصبحَ»[٥].

قال الحارثُ بن سعيد: «أخذ بيدي رياحٌ[٦]، فقال: هلمَّ يا أبا محمَّد حتَّى نبكيَ على مرِّ السّاعات ونحن على هذه الحال، قال: وخرجت معه إلى المقابر، فلمّا نظر إلى القبور صرخ، ثمَّ خرَّ مغشيًّا عليه، فجلست عندَ رأسه أبكي، فقال: ما يُبكيك؟ قلت: لما أرى بك، فقال: لنفسك فابكِ[٧]، وا نفساه وا نفساه! ثمَّ غُشِي عليه، فرَحِمتُه والله ممّا نزل به، فلم أزَل عندَ رأسه حتَّى أفاقَ[٨]، فوثب وهو يقول: وا نفساه وا نفساه! ومضى على وجهه وأنا معه لا يكلِّمُني حتَّى انتهى إلى منزله، فدخل وأصفقَ الباب، ورجعتُ إلى أهلي، فلم يلبَث بعد ذلك إلّا يسيرًا حتَّى مات»[٩].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٨-٢١٩)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١٧٩-١٨٠).

(٢) في (د): «رباح».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٩).

(٤) في (د): «وقد».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٩)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١٨٠).

(٦) في (د): «رباح».

(٧) في (ق): «فابكي».

(٨) في (د): «فاق».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٩)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١٨٠).

أسند رياحٌ عن ابنِ أبي سنانٍ(١) وغيره(٢).

* * *

[عتبة الغلام]

[٢٧٦] ومنهم: عتبةُ الغلامُ(٣).

وإنّما سُمِّي بالغلام؛ لجِدِّه واجتهادِه، لا لصِغَر سِنِّه، وكان يفتِلُ الشَّريطَ(٤).

قال سليمٌ الحنيف: «رمَقتُ عتبةَ ذات ليلةٍ بساحلِ البَحر، فما زال ليلتَه على هذه الكلمات: إن تُعذِّبني فأنا(٥) لك مُحِبّ، وإن ترحمني فأنا لك مُحِبّ، فلم يزَل يردِّدها ويبكي حتَّى طلع الفجرُ»(٦).

قال أبو تَوبة: «كان عتبةُ الغلامُ يأكل خبزًا وملحًا، ويقول: العُرسُ في الدّارِ الأخرى»(٧).

وكان يَعجِن دقيقه ويُجفِّفُه في الشَّمسِ ثمَّ يَأكُله، ويقول: «كِسرةٌ ومِلحٌ حتَّى يهيَّأ في الدّارِ الأخرى الشِّواءُ والطَّعامُ الطَّيبُ»(٨).

---

(١) في (ق): «سيان».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢١٩)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١٨٠).

(٣) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٩)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٦٦).

(٤) انظر: «المنتظم» (٨: ٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢١٩)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٦٦).

(٥) في (د): «فإني» في الموضعين.

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٠).

(٧) انظر: «الوافي بالوفيات» (١٩: ٢٩٠).

(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٠)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٦٦).

قال سلمةُ الفرّاء: «كان عتبةُ الغلامُ من نُسّاكِ أهلِ البَصرة، وكان من [١٤٨/أ] أصحاب الفِلَق[١]، وكان قد قوَّت لنفسه ستين فِلقةً، كلَّ ليلةٍ فِلقة، ويتسحَّر بأخرى، وكان يصوم الدَّهر، ويأتي السَّواحلَ والجَبابِين»[٢].

قال أبو عمرو الضَّرير: «سمعت رياحًا يقول: قال لي عتبة[٣]: يا رياحُ، إن كنتُ كلَّما دعتني نفسي إلى الكلام تكلَّمتُ فبئس النّاظِرُ لها أنا[٤]، يا رياح، إنّ لها موقفًا تُغتبَط فِيهِ بطول الصَّمتِ عن الفضول»[٥].

قال عتبة: «كابَدتُ الصَّلاةَ عِشرينَ سَنةً، وتنعَّمتُ بها عشرين سنةً»[٦].

قال عبدُ الواحد بن زيد: «انطلقتُ أنا وعتبةُ الغُلامُ في حاجة، حتَّى إذا كُنّا برحبة القصّابين[٧] جعلتُ أنظر إلى عُتبة يَعرَقُ عَرَقًا شديدًا حتَّى رَشَح، وذلك في يومٍ شاتٍ، فقلت: تَرشَحُ في هذا اليوم الشَّديد البرد؟ فسكت، فقلت: بالذي بيني وبينك لتُخبِرَنِّي، ولم أزَل به، فقال: أَصبتُ ذنبًا في هذ الموضع»[٨].

قال عبدُ الرَّحمن بن مَهديّ: «سألتُ يُوسُفَ بن عطيّة: ما كان لُبسُ عتبةَ؟ فقال: «كان يلبس كساءين يأتزِر[٩] بواحدٍ ويرتدي بآخر، إذا رأيته قلت: بعض الأكرة»[١٠].

---

(١) في (ق) و(د): «القلق»، والتصويب من «حلية الأولياء»، و«صفة الصفوة».
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٠)، و«السير» (٧: ٦٢).
(٣) قوله: «عتبة» ليس في (ق).
(٤) قوله: «أنا» ليس في (ق) و(د).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٠).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢١)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٣٤٧).
(٧) في (ق): «القصانين».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢١)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٦٧).
(٩) في (د): «يتزر».
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢١).

قال رجلٌ لعبد الواحد بن زيد: «تعلمُ أحدًا يمشي في الطَّريق مشتغِلًا بنفسه؟ فقال: ما أعرف إلّا رجلًا السّاعةَ يدخل عليكم، فدخل عتبة، وكان طريقُه على السُّوق، فقال له: يا عتبة، مَن تَلقّاك في الطَّريق؟ فقال: ما رأيت أحدًا»[١].

قال عبدُ الواحد: «وكان عتبةُ يسجد السَّجدةَ الطَّويلةَ على الحصى يوم الجمعة، فما أراه يعقل[٢] بحَرِّه»[٣].

قال أحمدُ بن زهير: «ركب عتبةُ في زَورقٍ مع قوم، فأراد المَلّاحُ أن يعدلَ ببعضهم السَّفينة، فلم يجِد أحدًا منهم أحقَرَ في عينه من عتبةَ، فضرب في جنبِه، وقال: استوِ قائمًا، فقال: الحمدُ لله الذي لم يَرَ فيهم أحقرَ في عينه منِّي»[٤].

قال أبو عبدِ الله الشَّحّام: «كان عتبةُ يَبيتُ[٥] عندي، فقلت له: ما كانت عبادتُه؟ فقال: كان يستقبل القبلة، فلا يزال في فكرةٍ وبكاءٍ حتَّى يصبح، وربَّما جاءني مساءً، فيقول: أخرِج إليَّ[٦] شربةً من ماء، أو تمراتٍ أُفطر عليها، فيكون لك مثلُ أجرِي»[٧].

قال عبدُ الخالق العبديّ: «كان لعتبةَ بيتٌ يتعبَّد فيه، فلمّا خرج إلى الشّام أقفلَه، وقال: لا تفتحوه إلى أن يبلغَكم موتي، فلمّا بلغَهم قتلُه فتحوه، فأصابوا فيه قبرًا محفورًا وغُلًّا»./ [١٤٨/ب]

اشتغل عتبةُ بالعبادةِ عن الرِّواية، وقُتِل شهيدًا في بعضِ الغَزَواتِ.

قال قُدامةُ بن أَيُّوبَ ـ وكان من أصحابِ عُتبة ـ قال: «رأيت عتبةَ في المنام،

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٣٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢١).
(٢) في (ق): «بعقل».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢١).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢١-٢٢٢).
(٥) «يبيت» ليس في (د).
(٦) في (د): «لي».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٢).

فقلت: ما صنع الله عزَّ وجلَّ بك؟ قال: يا قدامةُ، دخلت الجنّة بتلك الدَّعواتِ المكتوبةِ في بيتك، فلمّا أصبحتُ أتيت إلى بيتي، فإذا خطُّ عتبةَ في الحائط مكتوب: يا هادِيَ المُضلِّين، وراحِمَ المُذنِبين، ومُقِيلَ عَثَراتِ العاثِرين، ارحم عبدَكَ ذا الخطرِ العظيم، والمسلمينَ أجمعين، واجعَلنا مع الأحياء المرزُوقِين، مع الذين أنعَمتَ عَلَيهِم من النَّبيِّين والصِّدِّيقِين، والشُّهداءِ والصّالحين، آمين يا[١] ربَّ العالمين»[٢].

* * *

[بشر بن منصور السلمي]

[٢٧٧] **ومنهم:** بشرُ بن مَنصورٍ السَّلميُّ[٣]، بصريٌّ[٤].

قال العبّاسُ بن الوليد: «أتينا بشرَ بن مَنصورٍ بعد العصر، فخرج إلينا متغيِّرًا، فقلت له[٥]: أبا محمَّد، لعلَّنا شغلناك[٦]، فردَّ ردًّا ضعيفًا، ثمَّ قال: ما أكتمكم[٧]، أو كلمةً نحوها، كنتُ[٨] أقرأ في المُصحف فشغَلتُموني، ثمَّ قال: ما أكادُ ألقى أحدًا فأربَحُ[٩] عليه شيئًا»[١٠].

---

(١) «يا» ليس في (ق) و(د).

(٢) انظر: «مرآة الزمان» (١٢: ٣٦٧)، و«حسن التنبه» (٢: ١٢٦).

(٣) انظر ترجمته في: «تذهيب تهذيب الكمال» (٢: ٣٣)، و«الوافي بالوفيات» (١٠: ٩٧)، و«خلاصة تذهيب الكمال» (٤٩).

(٤) «بصري» ليس في (د).

(٥) «له» ليس في (د).

(٦) في (د): «تشغلناك».

(٧) في (ق) و(د): «ما أكتم».

(٨) في (د): «فكنت».

(٩) في (ق) و(د): «أربح».

(١٠) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٨٢)، و«المنتظم» (١٠: ٢٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٢)، و«مرآة الزمان» (١٤: ٥٨).

قال غسّانُ بن المُفضَّل: «كان بشرُ بن مَنصورٍ من الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله عزَّ وجلّ، إذا رأيتَ وجهَه ذَكرتَ الآخرة، رجلٌ منبسِط، ليس بمُتماوِتٍ[١]، ذكيٌّ فقيه، عَلَّمَ[٢] بَنِيهِ عَمَل[٣] الخُوصِ»[٤].

قالَ أُسَيدُ بنُ[٥] جعفر ابنُ[٦] أخي بشر: «ما رأيت عمِّي بشرًا فاتَته التَّكبيرةُ الأولى قطّ، ولا رأيتُ سائلًا قطُّ لم يُعطَ شيئًا[٧] إلّا أعطاه»[٨].

قال عبدُ الرَّحمن بن مَهديّ: قال بشر: «إنِّي لأذكُرُ الشَّيءَ من أمر الدُّنيا، أُلهِي به نفسي عن ذِكرِ الآخِرة، أخاف على عَقلِي»[٩].

قال رجلٌ لبشر: «عِظنِي، قال: عَسكَرُ الموتى ينتظرونَك»[١٠].

أسند عن الثَّوريِّ وغيرِه[١١].

* * *

(١) في (د): «يتماوت».

(٢) في (د): «عالم».

(٣) في (ق): «يعمل»، وفي (د): «بعمل».

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٢)، و«تاريخ الإسلام» (١١: ٥٢).

(٥) قوله: «أسيد ابن» مثبت من المصادر.

(٦) في (د): «قال ابن».

(٧) في «صفة الصفوة»: «ولا رأيته قام في مسجدنا سائل قط فلم يعطَ شيئًا».

(٨) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٢).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٣).

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٣)، و«أهوال القبور» (١٥٧).

(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٣)، و«مرآة الزمان» (١٤: ٥٨).

[عبد العزيز بن سلمان]

[٢٧٨] **ومنهم**: عبدُ العزيزِ بن سلمانَ(١)، يُكنّى: أبا محمَّد، بصريٌّ(٢).

قال أبو طارقٍ التَّبّان: «كان عبدُ العزيز إذا ذكر القيامةَ والموتَ صرخ كما تصرُخُ الثَّكلى، ويَصرُخُ الخائفون من جوانبِ المسجد، وربَّما رُفِعَ الميِّتُ والميِّتان من جوانب مجلسه»(٣).

قال مِسمع: «بِتُّ أنا وعبدُ العزيز وكلّابُ وسلمانُ الأعرجُ على ساحلٍ مِن بعضِ السَّواحل، فبكى كُلابُ حتَّى خَشِيتُ أن يَمُوت، ثمَّ بكى عبدُ العزيز لبكائه، ثمَّ بكى سلمانُ لبكائهما، وبكيتُ والله لبكائهم، ولا(٤) أدري ما أبكاهم، فلمّا كان بعدُ سألتُ عبدَ العزيز: ما الذي أبكاك ليلتَك؟ فقال: إنِّي نظرتُ إلى أمواجِ البحر تَمُوج، فذكرتُ أطباقَ النِّيران وزَفراتِها، فذلك الذي أبكاني، ثمَّ سألت(٥) كلابًا وسلمان، فقال لي نحوًا من ذلك. [١٤٩/أ]

قال مِسمع: فما كان في القوم شرٌّ منِّي، ما كان بكائي؛ إلّا لبكائهم رحمةً لما يصنعون بأنفُسِهم»(٦).

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٣)، و«تاريخ الإسلام» (١١: ٢٤٧)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٣)، و«تاريخ الإسلام» (١١: ٢٤٧)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٨).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٣)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٨).

(٤) في (ق): «لا».

(٥) قوله: «عبد العزيز: ما الذي أبكاك ليلتك؟ فقال: إنِّي نظرتُ إلى أمواج البحر تموج، فذكرت أطباق النيران وزفراتها، فذلك الذي أبكاني، ثم سألت» ليس في (د).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٣)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٨-٢٠٩).

قال محمَّدُ بن عبدِ العزيز: «كان أَبِي إذا قامَ مِنَ الليل ليتهجَّد سمِعتُ في الدّارِ جلبةً شديدةً واستقاءً[١] للماءِ الكثير، فكنّا نرى أنّ الجِنَّ كان يستيقظون[٢] للتَّهجُّد، فيُصلُّون معه»[٣].

قال دُهَيمٌ ـ وكان من العابدين ـ: «اليومُ الذي لا آتِي فيه عبدَ العزيز كنت مغبونًا فيه، فأبطأتُ عليه ذاتَ يومٍ ثمَّ أتيتُه، فقال: ما الذي بطَّأ بك؟ قلت: خير، قال: على أيِّ[٤] حالٍ؟ قلت: شغلَنا العيالُ، كنت ألتَمِس لهم شيئًا، قال: فوجدتَه؟ قلت: لا، فقال: هلمَّ نَدعُ، فدَعا وأمَّنت، ودعوتُ وأمَّن، ثمَّ نهضنا؛ لنقوم، فإذا والله الدَّراهِمُ والدَّنانيرُ تتناثر في حجورِنا، فقال: دُونكها، ومضى ولم يلتَفِت إليّ، فأخذتُها، فإذا مئةُ درهمٍ ومئةُ دينار، فاحتبستُ قوتَ عيالي جُمعة، حَتَّى لا يشغلني عَن عبادَتِه وشُكرِه وخِدمَتِه فِكرٌ فِي شيء من عرَض الدُّنيا، ثمَّ أمضَيتُها في سبيل الله تعالى، فقالَ محمَّدُ بن عبد العزيز: يَحِقُّ والله لهؤلاء أن يُرزَقوا بغيرِ حسابٍ»[٥].

قال مُحمَّدُ بن عبد العزيز: حدَّثَتنِي أمِّي، قالت: قال أبوك: «ما للعابِدين، وما للنَّوم؟! لا نومَ والله في دارِ الدُّنيا إلّا نومٌ غالِب، قالت: فكانَ واللهِ لا يَكادُ يَنامُ إلّا مغلوبًا»[٦].

---

(١) في «صفة الصفوة»: «واستسقاء».
(٢) في (ق) و(د): «يستقون»، والمثبت موافق لما في «صفة الصفوة»، و«مرآة الزمان».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٩).
(٤) «أي» ليس في (د).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٩).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٩).

قال واقِدٌ الصَّفّار: «دعا عبدُ العزيزِ لمُقعَدٍ[١] في مَجلِسِه، وأمَّن إخوانُه، فواللهِ ما انصرَفَ إلى أهلِه إلّا ماشيًا على رِجلَيه»[٢].

* * *

[عبد الرحمن بن مهدي]

[٢٧٩] ومنهم: عبدُ الرَّحمن بن مهديٍّ[٣]، يُكنَّى: أبا سعيدٍ العنبريَّ، مولًى بصريٌّ[٤].

قال عليُّ بن المدينيِّ: «كان من وِرد عبد الرَّحمن في كلِّ ليلةٍ نصفُ القرآن»[٥].

قال ابنُه: «كان أبي يُحيِي الليلَ كلَّه»[٦].

قال عبدُ الرَّحمن بن عُمرَ[٧]: وسمعت ابنَ مهديٍّ يقول: «والله لا[٨] تجد فقدَ شيءٍ تركتَه ابتغاءَ وجه الله عزَّ وجلّ، كنتُ أنا وأخي شريكَين، فأصَبنا مالًا

---

(١) في (ق): «لمعقد».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٩).

(٣) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (١: ٤٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٠٤).

(٤) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٤٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٠٤).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٩١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٠٥).

(٦) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٢٨٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ١٩٦).

(٧) في (د): «عمرو».

(٨) في (د): «ما».

كثيرًا، فدخل قلبي من ذلك شيء، فتركتُه لله عزَّ وجلّ، وخرَجتُ منه، فما خَرَجتُ من الدُّنيا حتَّى ردَّ الله عزَّ وجلَّ عليَّ ذلك المالَ عامَّته، وإلى[1] ولدي»[2].

قالَ القوارِيريّ: «أملَى علَيَّ ابنُ مَهديٍّ عِشرين ألفَ حديثٍ[3] حِفظًا»[4].

أسندَ عبدُ الرَّحمن عن الأئمّةِ، كمالك، والثَّوريّ، وشعبة، وأدركَ جماعةً من التّابعين، منهم: جريرُ بن حازم، والمُثنَّى بن سعيد، وصالحُ بن درهمٍ.

[١٤٩/ب] وتُوفِّي بالبصرةِ في جمادى الآخرةِ سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة، وهو ابن ثلاثٍ وستِّين سنةً[5].

* * *

[عفان بن مسلم الصفار]

[٢٨٠] ومنهم: عفّانُ بن مسلمٍ الصفّارُ[6]، يُكنَّى: أبا عثمان، جمع بين العلم والتقى، بصريٌّ[7].

قال أحمدُ العِجليّ: قالَ أبي[8]: «عفّانُ صاحِبُ سنّةٍ، جُعِل له عشرةُ آلافِ

(١) في (د): «إلى».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٧).

(٣) في (ق): «حديثًا».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٩١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٧).

(٦) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٨: ٥٢٢)، و«المنتظم» (١١: ٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٨).

(٧) انظر: «الثقات» لابن حبان (٨: ٥٢٢)، و«المنتظم» (١١: ٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٨).

(٨) في (ق): «أتى»، وفي «صفة الصفوة»: «صالح بن أحمد بن عبد الله العجلي قال: حدثنا أبي، قال».

دينارٍ على أن يَقِفَ على تعديل رجل، ولا يقول: عدلٌ ولا غيرُ عدلٍ[١]، فأبى، وقال: لا أُبطِلُ حقًّا من الحقوق»[٢].

قال حنبلُ بن إسحاق: قال عفّانُ بن مسلم: «دعانِي إسحاقُ بنُ إبراهيم، فقرأ عليَّ كتابَ المأمون، وإذا فيه: امتَحِنْ عفّانَ وادعُه إلى أن يقول: القرآنُ كذا وكذا، فإن قال ذلك فأقِرَّه على أمرِه، وإن لم يُجِبكَ فاقطعْ عنه الذي يجري عليه ـ وكان يُجري عليه خمسَ مئة درهمٍ كلَّ شهرٍ ـ قال عفّان: فقال لي: ما تقول؟ فقرأت: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، حتَّى ختمتُها، وقلت: مَخلوقٌ هذا؟

فقال: إنّ أميرَ المؤمنين يقول: إن لم تُجِبه يقطع عنك ما يُجري عليك، فقال: يقول الله عزَّ وجلّ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، فسكت عنِّي، فانصرفت»[٣].

أسند عفّانُ عن جماعةٍ من الأئمّة، كشعبةَ، والحمّادَين، وتُوفِّي ببغدادَ في سنة عشرين ومئتين، وله خمسٌ وثمانون سنةً[٤].

* * *

---

(١) قوله: «عدل ولا غير عدل» في (د): «عدل غيرك».

(٢) انظر: «المنتظم» (١١: ٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ١٦٤).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٨)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (٥٣١)، و«تاريخ الإسلام» (١٥: ٢٩٩).

(٤) انظر: «الثقات» لابن حبان (٨: ٥٢٢)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١١: ٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٩).

[زُهَير بن نُعَيم البابي]

[٢٨١] ومنهم: زُهَيرُ بن نُعَيمٍ البابيُّ[١]، يكنَّى: أبا عبد الرحمن، بصريٌّ[٢].

قال: «إنّ هذا الأمرَ لا يتمُّ إلّا بشيئَين: الصَّبر واليقين، فإن كان يقينٌ ولم يكن معه صبرٌ لم يتمّ، وإن كان صبرٌ ولم يكن معه يقينٌ لم يتمّ، وقد ضربَ لهما أبو الدَّرداءِ مثلًا، فقال: مَثَلُ اليَقِينِ والصَّبرِ[٣] مَثَلُ فدّادَين[٤] يَحفِرانِ الأرضَ، فإذا جَلسَ واحِدٌ جَلسَ الآخَرُ»[٥].

قال عبدُ العزيزِ بنُ يوسف: «أردتُ الخروجَ من البصرة، فبدأتُ بيحيى بنِ سعيد فودَّعتُه، ثمَّ ودَّعتُ عبدَ الرَّحمن بنَ مهديّ، ثمَّ ودَّعتُ زُهَيرًا، فقلتُ له: هل مِن حاجةٍ؟ فقال: نعم، إلّا أنّها مُهِمّة، ففرِحت، فقال: اتَّقِ الله عزَّ وجلّ، فوالله لأن يتَّقِيَه عبدٌ أحَبُّ إليَّ من أن تتحوَّلَ لي هذه السَّواري كلُّها[٦] ذهبًا»[٧].

قال عبدُ الرَّحمن بن عمرَ[٨]: «انتهى إلينا رجلٌ من هؤلاء الخُبثاءِ القدَريّة، فقال له: بلغَني أنّك زِنديق، فقال له زُهَير: أمّا زِنديقٌ فلا، ولكنَّني رجلُ سوء، ووَدِدتُ أنّ جسدي قُرِضَ بالمقاريض، وأنّ هذا الخَلقَ أطاعوا الله عزَّ وجلَّ»[٩].

---

(١) انظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٩: ٤٢٦)، و«تهذيب التهذيب» (٣: ٣٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٢٩).

(٢) انظر: «تهذيب الكمال» (٩: ٤٢٦)، و«تهذيب التهذيب» (٣: ٣٥٣).

(٣) قوله: «اليقين والصبر» ليس في (د).

(٤) في (د): «فدانين».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٩).

(٦) «كلها» ليس في (د).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٩).

(٨) في (ق): «عمرو».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٩).

قال محمدُ بن المُنكَدِر: قال رجلٌ لزهير: «أوصِني بشيء؟ قال: نعم، احذَر أن يأخذَك الله عزَّ وجلَّ وأنت على غفلة»[١].

* * *

[أبو عبد الله الحربي]

[٢٨٢] ومنهم: أبو عبد الله الحَربيُّ[٢]، الزّاهد[٣].

قال إبراهيمُ بنُ شَبيب: «كنّا نتجالَسُ في الجمعة، فأتى [١٥٠/أ] رجلٌ عليه ثوبٌ واحدٌ ملتحِفٌ به، فجلسَ إلينا، فألقى مسألة، فما زِلنا نتكلَّمُ في الفقه حتَّى انصرفنا، ثمَّ جاء في الجمعةِ المُقبِلة، فأحبَبناه وسألناه عن منزِله، فقال: أنزِل الخريبة، فسألناه عن كُنيته، فقال: أبو عبد الله، فرَغِبنا في مُجالَسته، ورأينا مجلسَه مَجلِسَ فقه، فمكثنا كذلك زمانًا، ثمَّ انقطع عنّا.

فقال بعضُهم لبعض: قد كان مجلسُنا عامرًا بأبي عبدِ الله وقد صارَ مُوحشًا، فوَعَدنا بعضنا بعضًا[٤] إذا أصبحنا أن نأتيَ الخريبةَ فنسألَ عنه، فأتيناها ـ وكنّا عددًا ـ فجعلنا نستحي أن نسألَ عنه، فنظرنا إلى صبيانٍ قد انصرَفوا من الكُتّاب، فقلنا: أبو عبدِ الله؟ فقالوا[٥]: لعلَّكم تعنون الصَّياد؟ قلنا: نعم، فقالوا[٦]: هذا أوانُ مجيئه، فقعَدنا ننتظِرُه، فإذا هو قد أقبلَ مؤتَزِرًا بخِرقة، وعلى[٧] كتفِه خِرقة،

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٢٩).

(٢) في (ق): «الخربي»، وفي (د): «الخريبي».

(٣) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ٣٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٣٠)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٤٣٤).

(٤) قوله: «قد كان مجلسُنا عامرًا بأبي عبدِ الله وقد صار موحشًا، فوعدنا بعضنا بعضًا» ليس في (د).

(٥) في (ق): «فقال».

(٦) في (ق): «فقال».

(٧) في (ق): «على».

ومعه[١] أطيارٌ مُذبَّحة، وأطيارٌ أحياء، فلمّا رآنا تبسَّم إلينا، وقال: ما جاء بكم؟

فقلنا: فقدناك، قد كنتَ عَمَرتَ مجلسَنا، فما غَيبَتُكَ عنا؟ قال: إذن أصدُقُكم، كان لنا جارٌ كنتُ أستعيرُ منه ذلك الثَّوبَ الذي كنتُ آتيكم فيه، وكان غريبًا، فخرج إلى وطنه، فلم يكن لي ثوبٌ آتيكم فيه، هل لكم أن تدخلوا المنزل، فتأكلوا ممّا رزق الله عزَّ وجلَّ؟ فقلنا: ادخلوا، فجاء إلى الباب فسلَّم، ثمَّ صبر قليلًا، ثمَّ دخل، فأذِن لنا فدخلنا، فإذا هو قد أتى بقِطَعٍ من البَواري فبسَطها لنا، فقعَدنا، فدخل إلى المرأة فسلَّم إليها الأطيارَ المذبُوحة[٢]، وأخذ الأطيارَ الأحياء، ثمَّ قال: آتيكم إن شاء الله عزَّ وجلَّ عن قريب، فأتى السُّوقَ فباعها، واشترى خبزًا فجاء، وقد صنعَت المرأةُ ذلك الطَّير، فقدَّم إلينا خبزًا ولحمَ طير، فأكلنا، فجعل يقوم فيأتينا بالملح والماء، فكلَّما قام قال بعضُنا لبعض: رأيتم مثلَ هذا؟ ألا تُغيِّرون أمرَه وأنتم سادةُ البصرة؟

فقال بعضهم: عليَّ خمسُ مئة، وقال الآخر: عليَّ ثلاثُ مئة، وقال هذا[٣]، وضمن بعضُهم أن يأخذَ له من غيره، فبلغ الذي جمعوا خمسةَ آلافِ درهم، فقالوا: قوموا بنا فنأتيهِ بالمال، ونأمره أن يُغيِّرَ بعضَ ما هو فيه.

فانصرفنا على حالنا رُكبانًا، فمَرَرنا بالمِربَد، فإذا محمَّدُ بنُ سليمانَ أميرُ البصرة قاعدٌ في مَنظرةٍ له، فقال: يا غلام، ائتني بإبراهيمَ بنِ شبيبٍ من بين القوم، فجئتُ فدخلتُ عليه، فسألني عن قصَّتنا، فصَدَقتُه الحديث، فقال: أنا[٤] أسبقكم إلى برِّه، يا غلام، ائتني ببَدرةِ دراهم، فجاء بها، وقال: ائتِني بغلامٍ فرّاش، فجاء،

---

(١) قوله: «ومعه» ليس في (ق) و(د)، وهو في «صفة الصفوة»، و«مرآة الزمان».

(٢) في (ق): «المذبحة».

(٣) في «صفة الصفوة»: «وقال هذا وقال هذا».

(٤) «أنا» ليس في (د).

فقال: احمل هذه البَدرةَ مع هذا الرَّجلِ حتَّى يدفعَها إلى مَن أمرناه، ففرحت، ثمَّ [١٥٠/ب] قمت مُسرِعًا، فلمّا أتيتُ الباب سلَّمت، فأجابَني أبو عبد الله، ثمَّ خرج إليّ، فلمّا رأى الفَرّاشَ والبدرةَ على عُنُقِه كأنّي سَفَيتُ في وجهه الرَّماد، وأقبل عليَّ بغير الوجهِ الأوَّل، وقال: ما لي ولك يا هذا! أتريد أن تفتِنَني؟ فقلت: يا أبا عبد الله، اقعد حتَّى أُخبِرَك، إنّه من القِصّة كذا وكذا، وهو الذي تعلم أنّه أحد الجَبّارين ـ يعني: محمَّد بن سليمان ـ ولـو كان أمرَني أن أضعَها حيث أرى لرجعت إليه فأخبَرتُه أنّي قد وضعتُها، فاللهَ اللهَ في نفسك، فازداد عليَّ غيظًا، وقام ودخل منزلَه، وأصفقَ الباب في وجهي، فجعلت[1] أُقدِّم وأُؤخِّر، ما أدري ما أقولُ للأمير، ثمَّ لم أجد بُدًّا من الصِّدق، فجئتُ فأخبَرتُه الخبر، فقال: حروريٌّ والله، يا غلام، عليَّ بالسَّيف، فقال: خذ بيد هذا حتَّى يذهبَ بك إلى هذا الرَّجل، فإذا خَرجَ[2] إليك فاضرب عنقَه وائتِني برأسه.

قال إبراهيم: فقلت: أصلحَ الله الأمير، الله الله، فوالله لقد رأينا رجلًا ما[3] هو من الخوارج، ولكنّي أذهب فآتيك به، وما أريدُ ذلك إلّا افتداءً منه، قال: فضَمِنتُه ومضيتُ حتَّى أتيتُ الباب، فسلَّمت، فإذا المرأةُ تَحِنُّ وتبكي، ثمَّ فتحَتِ البابَ وتوارَت وأذِنَت لي بالدخول[4]، فدخَلت، فقالت[5]: ما شأنُكم وشأنُ أبي عبد الله؟ فقلت: وما حالُه؟ فقالت: دخل فمال[6] إلى الرَّكِيّ[7]، فنزع منها ماءً فتوضَّأ ثمَّ صلَّى[8]، فسَمِعتُه يقول: اللهمَّ اقبضني إليك ولا تفتِنِّي، ثمَّ تمدَّد وهو يقولُ ذلك،

---

(١) في (د): «فجعلته».
(٢) في (ق): «أخرجه».
(٣) في (د): «فما».
(٤) «بالدخول» ليس في (ق).
(٥) في (ق): «فقلت».
(٦) «فمال» ليس في (د).
(٧) في (د): «الركن»، وفي الحاشية: «الركوة».
(٨) قوله: «ثم صلى» ليس في (د).

فلَحِقتُه وقد قضى، فهو ذاك ميِّت، فجئتُ محمَّدَ بن سليمانَ فأخبَرتُه الخبر، فقال: أنا أركبُ فأصلِّي عليه.

قال: وشاعَ خبرُه بالبصرة، فشَهِدَه الأميرُ وعامّةُ أهلِ البصرة، رحمة الله تعالى عليه»[١].

* * *

[عابد من البصرة]

[٢٨٣] **ومنهم**: عابِدٌ من البصرة لم يزَل وحدَه[٢].

فقيل للحسن: هنا رجلٌ لم نرَه قطُّ جالسًا إلى أحد، إنّما هو أبدًا خلفَ ساريةٍ وحدَه، فقال الحسن: إذا رأيتُموه فأخبِرُوني به، فمَرُّوا ذات يومٍ ومعهم الحسنُ فرأوه، فأشاروا إليه، فجاءه الحسنُ وحدَه، فقال: يا عبدَ الله، أراكَ قد حُبِّبَت إليكَ العُزلة، فما يمنعُكَ من مخالطة النّاس؟

فقال: ما أشغَلَني عن النّاس، قال: فتأتي هذا الرَّجلَ الذي يقال له الحسن، فتجلس إليه، فقال: ما أشغَلَني عن الحسنِ وعن[٣] الناس، فقال له الحسن: فما الذي أشغَلَك يرحمُك الله عزَّ وجلَّ عن النّاس وعن الحسن؟ فقال: إنِّي أُمسِي وأُصبِحُ بين ذنبٍ ونعمة،/ [١٥١/أ] فرأيتُ أن أشغلَ نَفسِي عن الناسِ[٤] بالاستغفار للذّنب، والشُّكر لله عزَّ وجلَّ على النِّعمة، فقال الحسن: أنتَ يا عبد الله عندي أفقَهُ من الحسن، الزَم ما أنتَ عليه»[٥].

---

(١) انظر: «المنتظم» (٨: ٣٤١-٣٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٣٠-٢٣١)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٤٣٤-٢٣٦).

(٢) انظر ترجمته: «صفة الصفوة» (٢: ٢٣٣).

(٣) قوله: «وعن» ليس في (ق).

(٤) قوله: «عن الناس» ليس في (ق).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٣٣).

[عابدٌ مجهول]

[٢٨٤] عابدٌ مجهول[١].

قال محمَّدُ بن عبدِ الرحمن: «حدَّثَه رجلٌ أنّهم كانوا بالبصرةِ في سنةِ قَحط، واحتبس عنهم المطر، فخرجوا يستسقون[٢]، وخرجت اليهودُ والنَّصارى، واعتزلَت اليهودُ ومعهم التَّوراة، واعتزلت النَّصارى ومعهم الإنجيل، واعتزل[٣] المسلمون، كلُّهم[٤] يدعون[٥]، وانصرفوا.

قال: فبَينا أنا أمشي بعد ذلك[٦] في طريقِ المِربَد فإذا بين يدي فتًى عليه أطمارٌ تَقبَلُه النَّفس، فهو يمشي وأنا خلفَه، حتَّى خرج إلى الجَبّان، فدخل بعضَ تلك المساجِدِ التي بالقُربِ من المقابِر، ودخَلتُ خلفَه يحُولُ بيني وبينَه أركانُ المسجد، فصلَّى ركعتَين، ثمَّ رفع يدَيه يدعو، فقال في دعائه: يا ربّ، استغاثَ بك عبادُك فلم تَسقِهم، يا ربّ، الآن شَمِت بنا اليهودُ والنَّصارى، أقسَمتُ عليك يا ربِّ إلّا سقَيتَنا السّاعةَ ولم تَرُدَّني، قال: فما برِحَ يدعو حتَّى جاءَت السَّحابةُ ومُطِرنا.

فخرجَ وخرجتُ في أثَرِه؛ لأعرِفَ موضعَه، فانصرفتُ عنه، وهيَّأتُ دراهمَ في صُرّة، ثمَّ جئت فاستأذنت فدخَلت، وإذا ليس في البيت إلّا قطعةُ حصيرٍ ومِطهَرةٌ فيها ماء، وإذا[٧] هو قاعدٌ يعمل الخُوص، فسلَّمت[٨]، فرحَّب بي

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٣٤). (٢) في (د): «يستسقوا».
(٣) في (د): «واعتزلت». (٤) بعدها في (د): «ومعهم القرآن».
(٥) في (ق): «يدعوا». (٦) قوله: «بعد ذلك» ليس في (د).
(٧) في (د): «فإذا». (٨) «فسلمتُ» ليس في (د).

وبَشّ، فتحدَّثتُ ساعة، ثمَّ أخرَجتُ الصُّرّة، فقلت: رحمَك الله تعالى، انتفِع بهذه، فتبسَّم وقال: جزاك الله تعالى خيرًا، أنا غَنِيٌّ عَنها، فألحَحتُ عليه، فجعل يدعو، ويأبَى أن يأخذَها، فلمّا أكثَرتُ عليه تنكَّر لي، وقال: حَسبُك الآن، ليس بي إليها حاجة.

فأقبَلتُ عليه، وقلت: رَحِمَك الله تعالى، إنّ لي عليك حقًّا، قال: وما هو رحمَك الله تعالى؟ قلت: كنتُ أسمَعُ دُعاءَك حين خرجتَ إلى الجَبّان، قال: فاصفرَّ وجهُه حتَّى أنكرتُه، وساءَهُ ما قلتُ له، ثمَّ خرجتُ مِن عِندِه، فلمّا كان بعد ذلك بأيّامٍ أتيتُه، فلمّا دخلتُ الدّار فإذا هم يصيحون بقَيِّم الدّار، هو ذا هو ذا قد جاء، فجاءَ إليَّ فتعلَّقَ بي، وقال: يا عدوَّ نفسِه، ما صنعت بذلك الفتى الذي جئتَه اليوم الأوَّل، أيَّ شيءٍ أسمَعتَه؟ قلت: لا تعجل حتَّى أُخبِرَك بالحديث، فقال: إنّك لمّا خَرجتَ من عندِه قام في الحال، فأخذ حصيرَه ومِطهرَتَه، وودَّعَنا ولم يَعُد إلينا إلى السّاعة»[1].

* * *

[عابد آخر مجهول]

[٢٨٥] عابدٌ آخرُ مَجهولٌ[2].

[١٥١/ب] قال عبدُ الواحد بن زيد: «خرجتُ إلى ناحية الخريبة، فإذا إنسانٌ أسودُ مَجذُوم، قد تقطَّعَت كلُّ جارحةٍ له بالجُذام، وعَمِي وأُقعِد، وإذا صبيانٌ يَرمُونَه بالحجارةِ حتَّى أدمَوا وجهَه، فرأيته يُحرِّك شفتَيه، فدَنَوتُ منه لأسمعَ ما

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٣٤-٢٣٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٣٦).

يقول، فإذا هو يقول: يا سيِّدي، إنّك تعلمُ أنَّكَ[١] لو قَرضتَ لَحمِي بالمقارِيض، ونشَرتَ عَظمِي[٢] بالمناشير، ما ازددتُ لك إلّا حُبًّا، فاصنع بي ما شئتَ»[٣].

* * *

[عابد آخر مجهول]

[٢٨٦] عابدٌ آخرُ مجهول[٤].

قال أبو عبدِ الله الجَزريُّ[٥]: «قلت لمحمَّدِ بن السمّاك: أخبِرني عَن أعجَبِ شيءٍ[٦] رأيتَه من الخائفين؟ فقال: اشتَقتُ إلى عُبّاد البصرة، فأتيت الرَّبيعَ بن صبيح[٧]، فنزَلتُ عليه، ثمَّ قلت له: هل تعرف هنا أحدًا من الخائفين؟ فقال: نعم، قلت: فبَكِّر بنا، فبَكَّرنا، فدَقَّ بابًا، فخرَجَت عجوزٌ فسلَّم عليها، ثمَّ قال: ما فعل ابنُك؟ فقالت: إنّهُ قَد نَسِيَ الدُّنيا، فقال[٨]: أتأذَنين لنا أن نَدخُلَ عليه[٩]؟ فقالت: بشرطِ ألّا تذكروا له القيامة، فأذِنَت لنا فدخلنا، فإذا شابٌّ عليه مِدرَعةٌ من شَعر، وفي عُنقِه طَوقٌ وسلسلةٌ مشدودةٌ بساريةِ البيت، وإذا قبرٌ محفور، وإذا هو جالِسٌ على شَفِيرِ قَبرِه ينظرُ في لَحدِه.

فقال الرَّبيع: يا هذا، أخوك محمَّدُ بن السمّاك أتاك زائرًا، فالتفتَ إليَّ[١٠]، وقال: ما أنت قائل؟ فتلَجلَج لساني وهِبتُه[١١]، فجَهَدت الجَهدَ أن أنطِقَ فما

---

(١) «إنك» ليس في (ق).
(٢) في (ق): «لحمي».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٣٦).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٣٨).
(٥) في (د): «الجندي».
(٦) في (د): «ما».
(٧) في (ق) و(د): «صبح».
(٨) في (د): «فقلت».
(٩) «عليه» ليس في (د).
(١٠) «إلي» ليس في (ق).
(١١) في (ق): «وهبت».

قدَرت، فخرَجنا يومئذ، ثمَّ عُدتُ في اليوم الثاني، فإذا هو على حالِه، فالتفت إليَّ وقال: ما أنت قائل؟ فتلَجلَج لساني، ثمَّ قلت: إنّ للعُبّادِ مَقامًا، فقال: ويحَك! عند مَن؟ قلت: عندَ ملكِ الموت[1]، فشَهَقَ شَهقةً، فإذا هو ميِّتٌ في قبرِه»[2].

* * *

[عابد من عبّادان]

[٢٨٧] عابدٌ من عَبادان[3].

قال قيراطٌ الورّاق: حدَّثَني عابدٌ بعبادان، قال: «مكثتُ ستّة أيّامٍ لم أطعَم، فقلت: أُجرِّب نفسي على الصَّبر، فلمّا كانت الليلةُ السابعةُ دخل في قلبي من ذلك سرور، ورأيتُ أنّي قد صَبرت، وعملتُ شيئًا، وإذا بقائلٍ يقول: لَم[4] تبلُغ كُنهَ الصّابرين، إنّما الصّابرون المُستقِلُّون لأعمالِهم، الخائفون عليها من فسادها، الوَجِلون من رَدِّها عليهم، فأولئك هم الصّابرون»[5].

قال أحمدُ البزّار: «كنتُ بعَبادان، وكانت ليلةَ عاشوراء، فدخَلتُ إلى دارِ السَّبيل، فرأيتُ فقِيرًا جالسًا يأكلُ خبزَ الشَّعِير، ومِلحًا جريشًا، فاحترقَ قلبي عليه، وكان معي ألفُ دينارٍ للتَّفرقةِ بعبّادان، فسألتُ عنه، فقيل: هو أفضلُ مَن هاهنا في الزُّهدِ[6]، ومُنازَلةِ الفقر، فقلتُ في نفسي: أعطيه الدَّنانيرَ/ التي معي؛ [١٥٢/أ] فإنّي لا أعرف المُستحِقِّين، فلمّا أصبحنا قصدتُه، وسلَّمتُ عليه وجلستُ إليه، وباسَطَني وباسَطتُه[7].

---

(١) في «صفة الصفوة»: «مالك الملوك».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٣٨).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٩).

(٤) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٩).

(٦) في (د): «من الزهاد».

(٧) في (ق): «وباسطه».

ثمَّ قلت: رأيتُ الشَّيخَ البارحةَ يأكلُ خبزَ الشَّعير وملحًا جريشًا، وأعلم أنّه كان صائمًا، فحَملتُ إليه شيئًا ليتحكَّم فيه، وقدَّمت إليه الكيس، وقلت له: هو ألفُ دينار، فشدَّد النَّظرَ إليّ[(١)]، وقال: خذه؛ فإنّ هذا جزاءُ مَن أفشى سِرَّه إلى النّاس»[(٢)].

* * *

[عابد آخر]

[٢٨٨] عابدٌ آخر[(٣)].

قال أبو الخَيرِ الأسود: «كان بعَبادانَ رجلٌ زَنجيٌّ يأوي الخراب، فحملتُ معي شيئًا وطلبتُه، فلمّا رآني رفع رأسَه[(٤)] وتَبسَّم، وأشار بيدِه إلى الأرض، فرأيتُ حواليَّ إلى حيثُ أرى دراهمَ ودنانير، ثمَّ قال: هاتِ ما معك، فناولتُه وهربت، وهالَني أمرُه»[(٥)].

* * *

[سهل بن عبد الله التستري]

[٢٨٩] ومنهم: سَهلُ بن عبد الله التُّستَريّ[(٦)]، يكنَّى: أبا محمَّد[(٧)].

---

(١) في (د): «إليه».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٩).

(٤) في «صفة الصفوة»: «بصره».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٩).

(٦) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» (١٦٦)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٢).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» (١٦٦)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٢).

قال أبو بكرٍ الجَورَبِيّ[١]: سمعتُ سهلَ بن عبد الله يقول: «لَيسَ مَن عَمِلَ بطاعةِ الله عزَّ وجلَّ يصيرُ حَبيبَ الله تعالى، ولَكِن مَنِ اجتَنَبَ ما نَهَى الله عزَّ وجلَّ عنه صارَ حَبيبَ الله تعالى، ولا يَجتَنِبُ الآثامَ إلّا صِدِّيقٌ مُقَرَّب، وأمّا أعمالُ الخير فيعمَلُها البَرُّ والفاجرُ»[٢].

قال أبو بكرٍ مُحمَّدُ بن المُنذِر: قال سَهل: «مَن دَقَّ عليه الصِّراطُ في الدُّنيا عرِض عليه في الآخرة، ومَن عرض عليه الصِّراطُ في الدُّنيا[٣] دقَّ له في الآخرة»[٤].

وقال: «استَجلِب حَلاوةَ الزُّهدِ بقِصَرِ الأمَل، واقطَع[٥] أسبابَ الطَّمَعِ بصِحّة اليأس، وتعرَّض لرِقّةِ القلبِ بمُجالَسة أهل الذِّكر، واستفتِح بابَ الحزن بطول الفِكر، وتزيَّن لله بالصِّدق في كلِّ الأحوال، وإيّاك والتَّسويف؛ فإنّه مُغرِقُ الهَلكى، وإيّاكَ والغفلة؛ فإنّ فيها سوادَ القلب، واستجلِب زيادةَ النِّعَم بعظيم الشُّكر»[٦].

وقال: «أوَّلُ الحِجابِ الدَّعوى، فإذا أخذوا في الدَّعوى حُرِمُوا[٧]، وليس[٨] بين العبدِ وبينَ الله عزَّ وجلَّ حجابٌ أغلظ من الدَّعوى، ولا طريقٌ أقرب إليه من الافتقار»[٩].

---

(١) في «حلية الأولياء»: «أبو بكر الجوربي»، وفي «صفة الصفوة»: «أبو بكر الجوزي».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٢).

(٣) قوله: «عرض عليه في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا» ليس في (د).

(٤) انظر: «التخويف من النار» (٢٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٢).

(٥) في (د): «وأقلع».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٢)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٠٢).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٢)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٠٢).

(٨) في (د): «ليس».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٢)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٠٢).

وقيل له: «أيُّ شيءٍ أشدُّ على النَّفس؟ فقال: الإخلاص، قيل: لمَه؟ قال: لأنّه ليس لها فيه نصيبٌ»(١).

وقال: «أمسِ مات، واليومُ في النَّزع، وغدٌ(٢) لم يُولَد».

أسنَد سهلٌ عن خالِه(٣) مُحمَّد بن سَوّار، ولقي ذا النُّون، وتُوفِّي في(٤) سنة ثلاثٍ وثمانين ومئتَين، وقيل: سنة ثلاثٍ وسبعين(٥).

* * *

[أبو إسحاق الشيرازي]

[٢٩٠] ومنهم: أبو إسحاقَ الشِّيرازيّ(٦).

دَخل بغدادَ سنةَ خمس عشرةَ وأربع مئة، ورأى رسولَ الله ﷺ في النَّوم، فقال له ﷺ: يا شيخ، فكان يفرح، ويقول: سَمّانِي رسولُ الله ﷺ شيخًا(٧). [١٥٢/ب]

وكان عامِلًا بالعِلم، صابرًا على خشونة العيش، قال يومًا لبعض أصحابه: وكَّلتُك أن تشتريَ دِبسًا بهذا القُرصِ على وجه الآخر(٨)، فمضى واشترى، وجاء به، وشكَّ بأيِّ القُرصَين اشترى، فما أكلَه الشَّيخ، وقال: لا أدري هل اشتريتَ بالقرصِ الذي وكَّلتُك فيه أم بالآخر(٩).

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٣٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٣)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٠٣).

(٢) في (ق): «وغدًا».

(٣) في (ق) و(د): «خالد ابن».

(٤) «في» ليس في (د).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٩).

(٦) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٦: ٢٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٣)، و«مرآة الزمان» (١٩: ٣٧٧).

(٧) انظر: «المنتظم» (١٦: ٣٣٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٤)، و«طبقات الشافعيين» (٤٢٧).

(٨) في (د): «الأجر».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٤).

وكان يومًا يمشي في الطَّريق، ومعه بعضُ أصحابه[١]، فعرضَ له في الطَّريق كلب، فزجرَهُ صاحِبُ الشَّيخ، وقال[٢] له: لِمَ طَردتَه عن الطَّريق؟ أما علِمتَ أنّ الطَّريقَ مُشتَركٌ بَينِي وبَينَه[٣].

قال أبو الوفاءِ بنُ عَقِيل: «شاهَدتُ شيخَنا أبا إسحاقَ لا يُخرج شيئًا إلى فقيرٍ إلّا أحضر النِّيّة، ولا يتكلَّم في مسألةٍ إلّا قدَّمَ الاستعانةَ بالله عزَّ وجلّ، وإخلاصَ القصدِ في نُصرةِ الحقِّ دون التَّحسُّنِ للخَلق، ولا صنَّف مسألةً إلّا بعد أن صَلَّى ركعات، فلا جرمَ شاعَ اسمُه وانتشرَت تصانيفُه شرقًا وغربًا، هذه بركاتُ الإخلاص»[٤].

تَفَقَّه رضي الله عنه على جماعة، منهم: أبو الطَّيِّب الطَّبريُّ[٥]، وسَمِعَ الحَديث مِن البَرقانيِّ وأبي عليٍّ بن شاذان[٦].

وتُوفي سنة ستٍّ وسَبعِينَ وأربع مئة[٧].

ورُؤِيَ في المنامِ وعليه ثيابٌ بيض، وعلى رأسه تاج، فقيل له: ما هذا البياضُ؟ قال: شَرفُ الطّاعة، قيل: فالتّاجُ؟ فقال: عِزُّ العلم[٨].

---

(١) قوله: «بعض أصحابه» ليس في (د)، وفي حاشيتها: «لعله: رجل».

(٢) في (د): «فقال».

(٣) في (ق): «بيني وبينه مشترك»، وانظر: «تاريخ بغداد وذيوله» (٢١: ٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٤)، و«تاريخ الإسلام» (٣٢: ١٥١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٤).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٣).

(٦) في (ق): «أبو علي بن ساذان».

(٧) في (د): «سنة أربع مئة وسبعين»، وفي (ق): «سنة سبعين»، وكتب في الحاشية: «هكذا في نسخة المصنف». والمثبت موافق لما في المصادر. انظر: «المنتظم» (١٧: ٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٤).

(٨) انظر: «المنتظم» (١٧: ٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٤).

[أبو داود السجستاني]

[٢٩١] ومنهم: أبو داودَ السِّجستانِيّ[١]، واسمُه: سُليمانُ[٢] بن الأشعَث[٣].

وهو من أكبَرِ الأئمّة في الحديث، وعلمائِهم بالنَّقلِ وعِلَلِه، ولم يَسبِقه أحدٌ إلى مثلِ تصنيفه كتابَ «**السُّنن**»، وعَرضهُ على أحمدَ بنِ حنبل فاستحسَنه[٤].

وقال: «كتبتُ عن رسولِ الله ﷺ خمسَ مئة ألف حديث، انتخَبتُ[٥] منها ما ضمَّنتُه[٦] كتابَ «**السُّنَن**»، جمعت فيه أربعة آلافٍ وثمانِ مئة حديث، ذكرتُ الصَّحيحَ وما يُشبِهه ويُقارِبه، ويكفي الإنسانَ لدِينه من ذلك أربعةُ أحاديث:

أحدُها: قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**الأعمالُ بالنِّيّاتِ**»[٧].

والثّاني: قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**مِن حُسنِ إسلامِ المَرءِ تَركُه ما لا يعنيه**»[٨].

والثّالِث: قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**لا يكون المُؤمِنُ مُؤمِنًا حتَّى يُحبَّ**

---

(١) انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٢: ٤٠٤)، و«مرآة الجنان» (٢: ١٤١)، و«شذرات الذهب» (٣: ٣١٤).

(٢) في (ق): «سلمان».

(٣) انظر: «وفيات الأعيان» (٢: ٤٠٤)، و«مرآة الجنان» (٢: ١٤١)، و «شذرات الذهب» (٣: ٣١٤).

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» (٢: ٤٠٤)، و«مرآة الجنان» (٢: ١٤١)، و «شذرات الذهب» (٣: ٣١٤).

(٥) في (د): «استحسنت».

(٦) في (د): «ضمنت».

(٧) «صحيح البخاري» (١)، و«صحيح مسلم» (١٩٠٧) وفيه: «بالنية».

(٨) «جامع الترمذي» (٢٣١٧)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٧٦)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ».

لأخيه ما يُحِبُّ[(١)] لنفسه[(٢)]»[(٣)].

والرّابع: قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلام: «**الحلالُ بَيِّنٌ والحرامُ بيِّن، وبين ذلك أمورٌ مُشتبِهاتٌ**»[(٤)].

وقال إبراهيمُ الحربيّ: «أُلِينَ لهُ الحديثُ كما أُلِينَ الحديدُ لداودَ عليهِ السَّلام، وجمع مع العلم التَّقوى والورع»[(٥)].

قال عبدُ الرَّزاق: «كان لأبي داودَ كُمٌّ واسعٌ وكُمٌّ ضيق، فقيل له: يرحَمُكَ الله، ما هذا؟ قال: الواسِعُ للكتب، والآخرُ لا يُحتاج[(٦)] إليه»[(٧)]./ [١٥٣/أ]

قال أبو بكرِ بن أبي داود: سَمِعتُ أبي يقول: «الشَّهوةُ الخفيّةُ حبُّ الرِّئاسة»[(٨)].

سمع أبو داودَ من مسلمِ بن إبراهيم، وسليمان[(٩)]، وخَلقٍ لا يُحصَون، وكتبَ عنه[(١٠)] الإمامُ أحمدُ حديثًا واحدًا، وأصلُه من سجستان، ثمَّ سكن

---

(١) في (د): «يرضاه».

(٢) في «صفة الصفوة»، و«الأربعون على الطبقات» للمقدسي، و«الأربعون» للبكري و«برنامج التجيبي»: «لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه».

(٣) «صحيح البخاري» (١٣)، بلفظ: «لا يؤمن أحدكم».

(٤) «صحيح البخاري» (٥٢)، و«صحيح مسلم» (١٥٩٩)، وانظر: «تاريخ بغداد وذيوله» (٩: ٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٥-٢٧٦)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٤٠٤).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٥)، و«فتح المغيث» (١: ١٠١).

(٦) في (د): «تحتاج».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ١٩٩-٢٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٦)، و«مرآة الزمان» (١٦: ١٢٤).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٢٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٦).

(٩) في (ق): «وسلمان». والمقصود: الإمام سليمان بن حرب رحمه الله.

(١٠) في (د): «عند».

البصرة، وقَدِم بغدادَ مِرارًا، وتُوفِّي بالبصرةِ سنةَ خمسٍ وسبعين ومئتَين(١).

وكانَ(٢) أبو داودَ هذا يُشَبَّه بالإمامِ(٣) أحمد، وكان أحمدُ يُشَبَّه بوَكِيعٍ(٤)، وكان وكيعٌ يُشَبَّه بسفيان(٥) الثَّوريِّ(٦).

* * *

[أبو عبد الله الدَّيبُلي]

[٢٩٢] **ومنهم:** أبو عبد الله الدَّيبُليُّ(٧).

قال مسروق: قال ابن منصور الطُّوسِي: سمعت الدَّيبُلي يقول: «كلَّمَني بعضُ إخواني مرّة أن أشتريَ لعيالي دارًا، فاشتريت لَهُم دارًا، وكان الله عزَّ وجلَّ قد وهب لي طيَّ الأرض، فقصَّ جَناحِي، فبعث إلَيَّ(٨) بعضُ إخواني: الْقَنا الليلةَ في موضع كذا وكذا على مسافةٍ من الأرض، فبعثت إليهم: قد قُصَّ جناحي، فادعُوا لي، فبعثوا إليّ(٩): صِله من الموضع الذي انقصّ، فرجَعت(١٠) فحرَقتُ(١١) الصَّكّ، فردَّ الله تعالى عليَّ ما كان ذهب منِّي»(١٢).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٦).
(٢) في (د): «كان».
(٣) في (ق): «الإمام».
(٤) في (ق): «وكيع».
(٥) في (ق): «سفيان».
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ١٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٧٦).
(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٧)، و«غاية النهاية في طبقات القراء» (٢: ١٩٠).
(٨) في «صفة الصفوة»: «إلي».
(٩) في (د): «لي».
(١٠) «فرجعت» ليس في (د).
(١١) في (ق): «فخرقت»، وفي (د): «فخرجت».
(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٧).

[عابد البحرين]

[٢٩٣] ومنهم: عابدٌ بالبَحرَين[١].

قال إبراهيمُ اليَشكُريّ: «دخلتُ على رجلٍ بالبحرَين قد اعتزل النّاسَ وتفرَّغ لنفسِه، فذاكَرتُه شيئًا من أمرِ الآخرة وذِكرِ الموت، فجعل واللهِ يَشهَقُ حتَّى خرجَت نفسُه وأنا أنظرُ إليه، فدخَلتِ النّاسُ عليه، فقالوا: يا عبدَ الله[٢]، لعلَّك ذاكَرتَه بشيءٍ من أمر الموت؟ قلت: أجَل، فبكى رجلٌ من جيرانه، وقال: رحِمَك الله، لقد خِفتُ أن يقتلَك ذِكرُ الموت، حتَّى والله لقد قتلَك، ثمَّ جهَّزناه ودفَنّاه»[٣].

* * *

[يحيى بن أبي كثير]

[٢٩٤] ومنهم: يحيى بن أبي كثير[٤].

من أهل البصرة، وتحوَّل إلى اليمامة، وهو مولًى، ويُكنّى: أبا نصرٍ[٥]، قاله البخاريُّ[٦].

قال مُسدَّد: قال عبدُ الله بن يحيى بن أبي كثير: قال أبي: «لا يأتي العلمُ براحةِ الجسم، وميراثُ العلم خيرٌ من ميراثِ الذَّهبِ والفضّة، والنَّفسُ الصّالحةُ خيرٌ

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٨).

(٢) في «صفة الصفوة»: «يا عبيد الله».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٨).

(٤) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٧: ٥٩١)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٣٠٤)، و«المتفق والمفترق» (٣: ٢٠٣٤).

(٥) انظر: «الثقات» لابن حبان (٧: ٥٩١)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٣٠٤)، و«المتفق والمفترق» (٣: ٢٠٣٤).

(٦) «التاريخ الكبير» (٨: ٣٠١).

مـن اللُّؤلؤ، وعِلمُ الـفقه صـلاة، ودراسةُ الـقرآن صلاة، والعالِمُ مَـن يخشى الله عزَّ وجلّ، والنّاسُ يقولون: فلانٌ النّاسِك، وإنّما النّاسِكُ الوَرِعُ»(١).

قال الأوزاعيّ: قال يحيى بن أبي كثير: «إنّ ذِكرَك حسناتك، ونسيانك سيئاتِك غِرّة»(٢).

كان ابنُ أبي كثيرٍ حَسنَ اللِّباسِ حَسنَ الهيئة، ولمّا مات لم يترك إلّا ثلاثين درهمًا(٣).

أسند يحيـى بـن أبـي كثيرٍ عن أنس، وابن أبي أوفى، وغيرِهما من الصَّحابةِ رضي الله عنهم(٤).

وتُـوفِّي فـي/ سنةِ تسـعٍ وعشرين ومئة(٥)، وقـال ابـنُ المَـدينيِّ: «سنةَ ثنتَين وثلاثين ومئة»(٦). [١٥٣/ب]

* * *

[مِمشاذ الدينوري]

[٢٩٥] ومنهم: مِمشاذ(٧) الدِّينَورِيّ(٨).

---

(١) انظر: «الكامل في ضعفاء الرجال» (٥: ٣٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨١- ٢٨٢).

(٢) انظر: «تاريخ ابن أبي خيثمة» (١: ٣٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٢).

(٤) انظر: «المتفق والمفترق» (٣: ٢٠٣٤)، و«تجريد الأسماء والكنى» (٢: ٢٩١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٢). (٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٢).

(٧) في (د) و«حلية الأولياء» (١٠: ٣٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٣)، و«مناقب الأبرار» (٢: ١٢): «ممشاد»، وهو في أكثر المصادر بالذال المعجمة.

(٨) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٤٢)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٤٠٣)، و«الوافي بالوفيات» (٢٦: ٤٢).

قال أبو بكرٍ الرّازيّ: قال مِمشاذ[١]: «طريقُ الحقِّ[٢] بعيد، والصبرُ مع[٣] الحقِّ شديد، وما أقبحَ الغفلةَ عن طاعةِ مَن لا يغفل عن برِّك»[٤].

وقال: «صُحبةُ أهل الصلاحِ تُورِثُ في القلب الصلاح، وصحبةُ أهل الفسادِ تُورِثُ في القلبِ الفَساد»[٥].

صَحِبَ ممشاذ يحيى الجلّاء[٦] ونظراءَه من المشايخ[٧].

وتُوفِّي في سنة تسعٍ وتسعين ومئتَين.

* * *

[علي بن محمد الدينوري الصائغ]

[٢٩٦] ومنهم: عليُّ بن محمَّدٍ الدِّينَورِيُّ الصائِغ[٨].

قال مِمشاذ: «خرجت ذاتَ يومٍ إلى الصحراء، فإذا أنا بنَسرٍ قد فتح جناحَيه، فتعجَّبتُ منه، فاطَّلَعت، فإذا أنا بالصائِغ قائِمٌ يصلِّي، والنَّسرُ يُظِلُّه»[٩].

---

(١) في (د): «ممشاد».
(٢) في (ق): «الجنة».
(٣) في (د): «عن».
(٤) انظر: «طبقات الصوفية» (٢٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٣).
(٥) انظر: «طبقات الصوفية» (٢٤٤)، و«طبقات الأولياء» (٢٨٨).
(٦) في (ق): «الجلاد».
(٧) انظر: «طبقات الصوفية» (٢٤٣)، و«تاريخ بغداد وذيوله» (٥: ٤٢٣).
(٨) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٤٠)، و«الرسالة القشيرية» (١: ١١٠)، و«المنتظم» (١٤: ٢٣).
(٩) انظر: «المنتظم» (١٤: ٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٣)، و«مرآة الزمان» (١٧: ٢٠١).

تُوفِّي بمصرَ[١] سنةَ ثلاثين وثلاث مئة[٢].

* * *

[يوسف بن أيوب]

[٢٩٧] **ومنهم**: يوسفُ بن أيُّوبَ الهمذانيّ[٣].

قَدِم بغداد بعد الستِّين والأربع مِئة، وتفقَّه على أبي إسحاقَ الشِّيرازِيّ، حتَّى برعَ في الفقهِ والنَّظَر، ثُمَّ اشتَغَل بالتعبُّد، واجتمع في رِباطه بمَرْو بخلقٍ من المنقطِعين إلى الله تعالى[٤].

وكانَ يقول[٥]: دخَلت جبلَ زُرْزُر[٦] لزيارةِ عبدِ الله الخونيِّ[٧]، فوجدت ذلك الجبلَ كثيرَ المياه والشجر، معمورًا بالأولياء، على رأسِ كلِّ عينٍ واحدٌ من الرجال مُشتغِلٌ بالمجاهدة، فطُفتُ عليهم، ولا أعلم في ذلك الجبلِ حجرًا لم تُصِبه دمعتي.

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ١١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٣).

(٢) في (ق): «وثمان مئة».

(٣) في (د): «الهمداني»، وانظر ترجمته في: «المنتظم» (١٧: ١٢٨).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٤)، و«مرآة الزمان» (٢٠: ٥٧).

(٥) قوله: «وكان يقول» ليس في (ق).

(٦) في (ق) و(د): «زر جبل». وجبل زرزر: هو الجبل المشرف على دار يزيد بن منصور الحميري خال المهدي بالسويقة على حق آل نبيه بن الحجاج السهمي، وكان يسمى في الجاهلية القائم. وانظر: «أخبار مكة» للفاكهي (٤: ١٩٣).

(٧) في (د): «الخولاني».

ثمَّ عاد يوسفُ ودخل بغداد في سنةِ ستٍّ وخمسِ مئة، ووعظ بها، ووقع القَبولُ التامّ، فقام إليه رجلٌ مُتَفقِّه يُقال له: ابنُ السقّاء، فآذاه[١] في مسألة، فقال له: اجلِس؛ فإنِّي أجدُ من كلامِك رائحةَ الكفر، ولعلَّك تموتُ على غير دينِ الإسلام، فاتَّفق بعد مدّةٍ أنّ ابنَ السقّاء خرج إلى بلاد الرُّومِ وتنصَّر[٢].

* * *

[محمد بن يوسف]

[٢٩٨] ومنهم: محمَّدُ بن يوسف[٣]، أبو عبدِ الله الأصبهانيّ، كان ابنُ المبارَك يُسمِّيه: «عروسَ الزُّهاد»[٤].

قال يحيى بنُ سعيدٍ القطّان: «كنت إذا نظرتُ إلى محمد بن يوسف[٥] رأيتُ رجلًا كأنّه قد عايَنَ الموتَ»[٦].

كان لمحمَّدٍ أخ، فكتب إليه يشكو جَورَ العمّال، فكتب مُحمَّدٌ إليه: يا أخي، بلغَني كتابُك تَذكُر ما أنتم فيه، وأنّه ليس ينبغي لمَن عمل بالمعصية أن يُنكرَ

---

(١) في (ق): «فإذا».

(٢) انظر: «المنتظم» (١٨: ١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٤)، و«تاريخ الإسلام» (٣٦: ٣٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٩: ٧٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٥).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٥).

(٥) في (ق): «نظرت إلى يوسف».

(٦) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٥).

العقوبة، وما أرى ما أنتم فيه إلّا مِن شُؤم الذُّنوب[١].

قال ابنُ المبارك: قلت لابن إدريس: «أريد الثَّغر، فدُلَّني على أفضل رجلٍ به؟ فقال: عليك بمحمَّدِ بن يوسفَ الأصبهانيّ[٢]، قلت: / فأين يسكن؟ فقال: [١٥٤/أ] المِصِّيصة[٣]، ويأتي السواحِل، فقَدِمَ ابنُ المبارك المِصِّيصةَ فسألَ[٤] عنه، فلم يُعرَف، فقال ابنُ المباركِ: من فضلك واللهِ لا[٥] تُعرَف»[٦].

قال يوسفُ بن زكريا: «كان محمَّدُ بن يوسُفَ لا يشتري زادَه من خَبّازٍ واحدٍ ولا من بَقّالٍ واحد، قال: لعلَّهم يعرفوني فيُحابُوني، فأكونَ ممَّن يعيشُ بدِينِه»[٧].

قال أيوب بن معمر[٨]: «حدَّثُوني بالبَصرة أنّ مُحمَّدَ بن يوسفَ كان يأوي بالليل إلى دار امرأة، قالت: فكان يدخل بعد العشاء، ثمَّ يخرج بعد طلوع الفجر، فلا ينصرف إلى العشاء. قالت: وكان يدخل بيتًا في الدّار، ويردُّ على نفسه الباب، قالت: فذهَبتُ ليلةً فاطَّلَعت في البيت، فرأيت عنده سراجًا يزهر، قالت: ولم يكن في البيت سراج، قالت[٩]: ففَطِن أنّا اطَّلعنا عليه، فخرج من الغد ولم يَعُد إلَينا»[١٠].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٥).

(٢) في (د): «الأصفهاني».

(٣) المصيصة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم. انظر: «معجم البلدان» (٥: ١٤٤)، و«آثار البلاد وأخبار العباد» (٥٦٤)، و«مراصد الاطلاع» (٣: ١٢٨٠).

(٤) في (ق): «يسأل». (٥) في (د): «لم».

(٦) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٦).

(٧) انظر: «المنتظم» (٩: ١٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٦).

(٨) في (ق) و(د): «محمد بن عصام». (٩) «قالت» ليس في (د).

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٦).

قال عبدُ الرَّحمن بن مهديّ: «رَأيتُ(١) مُحمدَ بن يُوسُفَ في الشِّتاءِ والصَّيف، فلم يَكُن يَضَعُ جَنبَه»(٢).

وخرج في جنازةٍ بالمِصِّيصة، فنظر إلى قبر أبي إسحاقَ الفزاريّ(٣) ومَخلدِ ابن الحسين، وبينهما مَوضِعُ قبر، فقال: «لو أنّ رجلًا مات فدُفِن بينهما، فما أتت عليه إلّا عشرةُ أيّامٍ أو نحوها حتَّى دُفِنَ في الموضع الذي أشار إليه»(٤).

أدرك محمَّدُ بن يوسفَ التابعين، فروى عن يونسَ بن عُبَيد، والأعمش، والثوريّ، والحمّادَين، واشتغل بالتعبُّدِ عن الرواية، وتُوفِّي سنة أربعٍ وثمانين ومئة، ولم يَكمل لهُ أربعون سنةً(٥).

* * *

[محمد بن يوسف البنّاء]

[٢٩٩] **ومنهم**: أبو عبد الله محمَّدُ بن يوسفَ البنّاء(٦).

---

(١) في (ق) و(د): «بايت»، وفي «المنتظم»، و«تاريخ الإسلام»: «باينت»، والمثبت موافق لما في «حلية الأولياء».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٣٤)، و«المنتظم» (٩: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٦).

(٣) في (ق): «الفراري».

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٦)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٦٢).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٦)، و«المنتظم» (٩: ١٠١)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٤٢).

(٦) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٢: ٤١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٧)، و«طبقات الأولياء» (٤٠٤).

كان يبني[١] للناس بالأجرة، فيأخذ منها دانِقًا لنفقته، ويتصدَّق بالباقي، ويختم كلَّ يومٍ ختمة، ولقي ستَّ مئةِ شيخ، وكتب الحديثَ الكثير، وكان من المُتديِّنين الأتقياء[٢].

قال محمَّدُ بن قتادة[٣]: سمعتُ محمَّدَ بن يوسفَ البَنّاءَ يقول: «كنتُ بمكّة، فكنت أدعو الله تعالى، فأقول: يا ربّ، إمّا أن تُدخِلَ قلبي المعرفة، أو اقبضني إليك، فلا حاجةَ لي في الدنيا والحياة[٤] بلا معرفة، قال: فرأيتُ في النوم كأنّ قائلًا يقول لي[٥]: إن أردتَ هذا فصُم شهرًا، ولا تُكلِّم أحدًا من الناس فيه، ثمَّ ادخُل زمزمَ وسَلِ الحاجة، ففعلتُ ذلك، وختمتُ كلَّ يومٍ ختمة، فلمّا انقضى الشهرُ على ذلك دخلت قُبّةَ زمزم، ورفعت يدي،/ ودعوت الله عزَّ وجلّ، [١٥٤/ب] وسألتُهُ الحاجة، فسمعت من البئر هاتفًا يقول: يا ابنَ يوسف، أيُّما أحبُّ إليك؛ العلمُ مع الغنى والدنيا، أم المعرفةُ مع الفقر والقلب؟ فقلت: المعرفةُ مع الفقر والقلب[٦]، فقيل: قد أُعطِيت[٧]، قد أُعطِيت»[٨].

تُوفِّي سنةَ ستٍّ وثمانين ومئتَين[٩].

* * *

(١) في «صفة الصفوة»: «يفتي».

(٢) انظر: «المنتظم» (١٢: ٤١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٧).

(٣) في (ق): «فاذة»، وفي (د): «قادة».

(٤) في (ق): «والحيرة».

(٥) «لي» ليس في (د).

(٦) في «طبقات الأولياء»: «القلة والفقر».

(٧) «قد أعطيت» ليس في (د).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٧)، و«طبقات الأولياء» (٤٠٥).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٧).

[أحمد بن مهدي]

[٣٠٠] ومنهم: أحمدُ بن مَهديّ[١]، يُكنَّى: أبا جعفر، أصبهانيّ[٢].

كان معه مالٌ كثير، نحو ثلاثِ مئةِ ألفِ درهم، أنفَقَهُ كلَّه على العلم، ولم يُعرَف له فِراشٌ أربعين سنةً[٣].

وجاءته امرأةٌ ببغدادَ ليلةً من الليالي، فذَكَرت أنّها من بنات الناس، وأنّها امتُحِنَت بمحنة، وأسألك بالله عزَّ وجلَّ أن تستُرَني، فقلت: وما مِحنتُك؟ فقالت: أُكرِهتُ على الزنا، وأنا حُبلى، وذكَرتُ للناس أنّك زَوجِي، وأنّ ما بي من الحَبَلِ منك، فلا تفضحني، استرني سترك الله عزَّ وجلّ، فسَكتَ عنها، فمَضَت.

قال: فلم أشعر حتَّى وضَعَت، وجاء إمامُ المحلّة[٤] في جماعةِ الجيران يُهنِّئوني[٥] بالولد، فأظهَرتُ لهم التَّهلُّلَ[٦]، ووزَنتُ دينارَين ودفعتُهما إلى الإمام، فقلت: أبلِغهُما إلى تلك المرأة لتُنفقَهما على المولود؛ فإنّه سبقَ ما فرَّقَ بيني وبينَها، وكنتُ أدفَعُ في كلِّ شهرٍ دينارَين، وأوصلهما[٧] بيدِ الإمام، وأقول: هذه نفقةُ المولود، إلى أن أتى على ذلك سنتان، فتُوفِّي المولود، فجاءني الناسُ يُعَزُّوني، فكنت أُظهِرُ لهم التسليمَ والرضا، ثمَّ جاءت المرأةُ ليلةً بعد شهر

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣: ٥٧)، و«المنتظم» (١٣: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٧)، و«مرآة الزمان» (١٦: ١٠٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٧).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٤٢-٤٣)، و«المنتظم» (١٣: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٧)، و«بغية الطلب» (٣: ١١٧٠).

(٤) في (د): «المسجد».

(٥) في (د): «هنئوني».

(٦) في (د): «التهلك».

(٧) في (د): «وأوصلتهما».

رمضان، ومعها تلك الدنانيرُ التي كنتُ أبعث بها فرَدَّتها، وقالت: سترك الله كما سترتَني، فقلت: هذه الدنانيرُ كانت صِلةً منِّي للمولود، وهي لك؛ لأنّك كنتِ تُربِّيه، فاعمَلِي فيها ما تريدين(١).

أسند أبو جعفرٍ الحديثَ الكثير، رحمةُ الله تعالى عليه(٢).

* * *

[علي بن سهل الأصبهاني]

[٣٠١] **ومنهم**: عليُّ بن سهلٍ(٣) الأصبهانيّ(٤).

وكان من المُترَفين، فتزَهَّد، وكان يبقى الأيّامَ الكثيرةَ لا يأكل(٥).

وكان يقول: «استولى عليَّ الشَّوق، فألهاني عن الأكل»(٦).

قال أبو عبد الرحمن السُّلَميّ: سمعتُ أبا بكرٍ الطبريَّ يقول: سمعتُ عليَّ بن سهلٍ يقول: «المبادرةُ إلى الطاعاتِ من علامات التوفيق، والتقاعُدُ عن المُخالفات

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٣٩٦)، و«المنتظم» (١٣: ٢٨٤-٢٨٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٨)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ٢٨٤-٢٨٥)، و«السير» (١٢: ٥٩٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٨).

(٣) انظر ترجمته في: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٥٦)، و«المنتظم» (١٣: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٨).

(٤) في (ق): «الأصفهاني».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٤٠٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٥٦)، و«المنتظم» (١٣: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٨).

(٦) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٥٦)، و«المنتظم» (١٣: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٨).

من علاماتِ حُسنِ الرعاية، ومراعاةُ الأسرار من علامات التيقُّظ، وإظهارُ الدعاوَى من رُعونات البشريّة(١)، ومَن لم تَصِحَّ مَبادِئُ إرادته لا يَسلَم في منتهى عواقبِه»(٢).

[١٥٥/أ] وكان يقول: «ليس موتي كموتِكُم بأعلالٍ وأسقام، إنّما هو دعاءٌ وإجابة، فبينا هو جالسٌ ذات يومٍ إذ قال: لبَّيك، وتَمدَّد، فإذا هو ميِّت»(٣).

كان رضي الله عنه يُكاتِب الجُنَيد، وكان حَسنَ الإشارة(٤)، وكان كلامُه أشبهَ بكلام الملائكة، تُوفِّي سنةَ سبع وثلاثِ مئة(٥).

* * *

[أبو زُرعة الرازي]

[٣٠٢] **ومنهم**: أبو زُرعة(٦)، واسمُه عبيدُ الله(٧) بنُ عبدِ الكريم بن يزيدَ الرازيّ(٨).

---

(١) من قوله: «الرعاية، ومراعاة الأسرار» إلى هنا ليس في (د).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٨).

(٣) انظر: «المنتظم» (١٣: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٨-٢٨٩).

(٤) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٨٧)، و«الرسالة القشيرية» (١: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٨٩).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٩).

(٦) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٠)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٢).

(٧) في (ق) و(د): «عبد الله».

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٨: ١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٠)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٢).

كان[١] من كبار الحُفّاظ وساداتِ أهل التقوى[٢].

قال الإمامُ أحمد: «صحَّ من الحديث سبعُ مئةِ ألفِ حديثٍ وكسر، وهذا الفتى ـ يعني: أبا زرعة ـ قد حَفِظ ستَّ مئة ألفٍ»[٣].

وذكر الصاغانيُّ جماعةً من الحفّاظ، منهم: الفَلّاس، وقال: «أعلاهُم أبو زُرعة؛ لأنّه جَمعَ الحفظَ مع التَّقوى والورع، وهو يُشبَّهُ بأحمدَ بن حنبل»[٤].

قال أبو زيدٍ هبةُ الله البغداديّ: سمعتُ أحمدَ الدارميَّ يقول: «صلَّى أبو زُرعةَ الرّازيُّ في مسجده[٥] بعد قُدومِه من السَّفَر، فلمّا كان يومٌ من الأيّام قَدِمَ عليه قومٌ من أصحابِ الحديث، فنظروا فإذا في مِحرابِه كتابة، فقالوا له[٦]: كيف تقول في الكتابةِ في المَحاريب[٧]، فقال: قد كرِهَهُ قومٌ ممَّن مضى، فقالوا له: هو ذا في مِحرابِكَ كتابة، أوَما علمت به[٨]؟ فقال: سبحان الله عزَّ وجلّ، رجلٌ يدخل على الله عزَّ وجلَّ ويدري ما بين يدَيه!»[٩].

---

(١) في (د): «وكان».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٠)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٢).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٠).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٠).
(٥) جاء بعدها في «صفة الصفوة»: «عشرين سنة»، وجاء بعدها في «مرآة الزمان»: «عشرين سنة، وفي محرابه كتابة فيها اسم الله تعالى لم ينظر إليها».
(٦) «له» ليس في (د).
(٧) قوله: «في المحاريب» ليس في (د).
(٨) في (د): «بها».
(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٨: ٣٢)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٣٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٠).

أسندَ أبو زُرعةَ عن خَلقٍ كثير، وجالَسَ الإمامَ أحمدَ وذاكَرَهُ، وكان الإمامُ أحمدُ إذا ذاكرَه يترك التنفُّلَ ويشتغل بمذاكرته، وتُوفِّي بالرَّيِّ آخرَ يومٍ من ذي الحجّة سنةَ أربعٍ وستِّين ومئتَين، وكان مولدُه سنةَ مئتَين[١].

قال أبو العبّاسِ المُراديّ: «رأيتُ أبا زرعةَ في المنام، فقلت: ما فعل الله تعالى بك؟ فقال: لَقِيتُ ربِّي عزَّ وجلّ، فقال لي: يا أبا زُرعة، إنِّي أوتَى بالطفل فآمر[٢] به إلى الجنة، فكيف بمَن حفظ[٣] السُّننَ على عبادي[٤]، تبوَّأ من الجنّةِ حيثُ شئت»[٥].

* * *

[يحيى بن معاذ الرازي]

[٣٠٣] **ومنهم**: يحيى بن معاذٍ الرازيّ[٦]، يُكنَّى: أبا زكريّا.

نزَل الرَّيّ، ثمَّ انتقل إلى نيسابورَ وبها مات، وكانوا ثلاثةَ إخوة: إسماعيل، ويحيى، وإبراهيم، وإسماعيلُ أكبرُهم، ويحيى أوسطُهم، وكانوا كلُّهم زُهادًا عُبّادًا[٧].

قال طاهِر: سَمِعتُ يَحيَى بن معاذٍ يقول: «الذي حجب الناسَ عن التَّوبة

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩١).

(٢) في (د): «فاومر».

(٣) في (د): «يحفظ».

(٤) في (د): «عبادتي».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩١).

(٦) انظر ترجمته في: «تاريخ نيسابور» (٣٨)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٣٠٦)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٦٥).

(٧) انظر: «تاريخ نيسابور» (٣٨)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٣٠٦)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٦٥).

طولُ الأمل، وعلامةُ التائِبِ إسبالُ الدَّمعة، وحُبُّ الخلوة، والمحاسبةُ للنَّفس عند كلِّ هَمّة»(١).

وكان من دعائه: اللهمَّ لا تجعلنا ممَّن يدعو إليك بالأبدان، ويهرب منك [١٥٥/ب] بالقلوب، يا أكرمَ الأشياء علينا، لا تجعلنا أهونَ الأشياء عليك(٢).

وكان يقول: «عملٌ كالسراب، وقلبٌ من التقوى خَراب، وذنوبٌ بعدد الرمل والتراب(٣)، ثمَّ تطمع(٤) في الكواعِبِ الأتراب! هيهات، أنتَ سكران(٥) بلا(٦) شراب، ما أكملَك لو بادَرتَ أملَك، ما أجَلَّك(٧) لو بادَرتَ أجَلَك، ما أقواكَ لو خالَفتَ هواك»(٨).

وكانَ يَقُول: «كيف أمتنع من الذنبِ من الدُّعاء، ولا أراكَ تمتنعُ بذنبي من العطاء»(٩).

وكان يَقُول: «ليكُن حظُّ المؤمن منك ثلاثًا: إن لم تنفعه فلا تضرَّه، وإن لم تُفرِحه فلا تَغُمَّه، وإن لم تمدَحه فلا تَذُمَّه»(١٠).

وكان يقول: «كيف أدعوك وأنا خاطئ، وكيف لا أدعوك وأنت كريم»(١١).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٢).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٢).
(٣) قوله: «وذنوب بعدد الرمل والتراب» ليس في (ق).
(٤) في (د): «نطمع».
(٥) في (د): «سكرا».
(٦) «بلا» ليس في (ق).
(٧) «ما أجلك» مثبت من المصادر.
(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٢)، و«وفيات الأعيان» (٦: ١٦٧).
(٩) قوله: «وكان يقول: كيف أمتنع من الذنب من الدعاء، ولا أراك تمتنعُ بذنبي من العطاء» ليس في (د)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٢).
(١٠) انظر: «تنبيه الغافلين» (١٦٥)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٢).
(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٢)، و«الزهر الفائح» (٣٨).

وكان يقول: «لِيَكُن بيتُك الخلوة، وطعامُك الجوع، وحديثُك المناجاة، فإمّا أن تموتَ بدائك، أو تَصِلَ إلى دوائك»[١].

قال مكحولٌ النَّسَفيّ: قال يحيى: «مُصيبتان للعبد لم يسمعِ الأوَّلون والآخِرون بمثلهما[٢] في ماله عند موته، قيل: وما هما؟ قال: يُؤخَذ منه كلُّه، ويُسأل عنه كلُّه»[٣].

وكان يقول: «الكيِّسُ مِن عُمّالِ الله تعالى مَن يلهج بتقويمِ الفرائض، والجاهِلُ يعتني بطلب الفضائل، وتقويمُ الأعمالِ في تصحيح العزائِم، والجزاءُ لا يكونُ إلّا على عمل القلب»[٤].

وكان يقول: «دواءُ القلب خمسة: قراءةُ القرآن بالتفكُّر، وخَلاءُ البَطن، وقيامُ الليل، والتضرُّعُ عند السحر، ومُجالسةُ الصالحين»[٥].

وكان يقول: «كم من مُستغفِرٍ مَمقوت، وساكتٍ مرحومٌ! هذا استغفرَ الله وقلبُه فاجِر، وهذا ساكتٌ[٦] وقلبُه ذاكر»[٧].

وكان يقول: «مَفاوزُ الدُّنيا تُقطَع بالأقدام، ومفاوزُ الآخرةِ تُقطَع بالقلوب»[٨].

---

(١) انظر: «التبصرة» (١: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٢)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٠٤).

(٢) في (د): «بمثلها».

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ٢٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٣)، و«مختصر منهاج القاصدين» (١٩٦).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٣).

(٥) انظر: «تنبيه الغافلين» (٤٠٥)، و«الرسالة القشيرية» (١: ١٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٣).

(٦) في (د): «سكت».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٣)، و«لطائف المعارف» (٢٥٥).

(٨) انظر: «طبقات الصوفية» (٢٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٣)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٠٦).

يا ابنَ آدم، لا يَزال دِينُك مُتمزِّقًا ما دام قلبُك بحبِّ[١] الدنيا متعلِّقًا[٢]، ولا يُفلِح من شَممتَ منه رائحةَ الرئاسة[٣].

وكان يقول: «لا تستبطِئ[٤] الإجابة إذا دَعوتَ وقد سَدَدتَ طُرقاتِها بالذُّنُوبِ»[٥].

وكان يقول: «أخوك من عَرَّفكَ العُيوب، وصديقُك من حَذَّرَك[٦] من الذُّنُوب»[٧].

وكان يقول: «مِن قُوّة اليَقِينِ تَركُ ما يُرى لما لا يُرى»[٨].

وكان يقول: «إلهي، ارحَمنِي لقدرتك[٩] عليّ، أو لحاجتي إليك»[١٠].

وسُئِل: ما العبادةُ؟ فقال: «حِرفةٌ حانوتُها الخَلوة، وربحُها الجنّة»[١١].

وكان يقول: «مَن خانَ الله عزَّ وجلَّ في السرِّ هَتكَ سِترَه في العَلَانية»[١٢].

وكان يقول: «الدنيا خمرُ الشيطان، مَن سَكِرَ منها لا يُفِيق إلّا في عسكر الموتى نادمًا بين الخاسرين»[١٣].

قال محمَّدُ بن محمودٍ السَّمَرقَندِيّ: «سمعتُ يَحيَى بن معاذ وقَد سَأَلَهُ بعضُ [١٥٦/أ]

---

(١) في (د): «يحب».

(٢) «متعلقًا» ليس في (د).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٣).

(٤) في (ق): «تستبط».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٤)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٠٥)، و«السير» (١٣: ١٥).

(٦) في (ق): «حذر».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٥).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٥).

(٩) في (ق): «بقدرتك».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٦).

(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٦).

(١٢) انظر: «المنتظم» (١٢: ١٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٧).

(١٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٧)، و«لطائف المعارف» (٣٣٩).

الملحدين: أخبِرني عن الله عزَّ وجلَّ ما هو؟ فقال: إلهٌ واحد، فقال: كيف هو؟ قال: مالِكٌ قادِر، فقال: أين هو؟ فقال[١]: بالمِرصاد، فقال: ليس عن هذا سألتُك، فقال يحيى: فذاك إذن صفةُ المخلوقِين، فأمّا صفةُ الخالِقِ فما أخبرتُك به»[٢].

سَمِعَ يحيى بن مُعاذٍ من عليٍّ الطنافسيِّ وغيره، وتُوفِّي بنيسابورَ سنةَ ثمانٍ وخمسين ومئتين[٣].

* * *

[إبراهيم الخواص]

[٣٠٤] **ومنهم**: إبراهيمُ الخوّاص[٤]، يُكنَّى: أبا إسحاق، أصلُه من سُرَّ مَن رَأى، إلّا أنّه أقام بالرَّيِّ ومات بها.

من كلامه النافعِ البليغ[٥]: «مَن لم يصبر لم يظفر، وإنّ لإبليسَ وِثاقَين ما أُوثِقَ بُنَيُّ آدمَ بأوثقَ منهما[٦]: خوفُ الفقر والطمعُ»[٧].

ومن كلامه: «مَن لم تبكِ الدنيا عليه لم تضحك الآخرةُ إليه»[٨].

---

(١) في (ق): «قال».

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» (١٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٧).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٧).

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» (٢٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٧)، و«تاريخ الإسلام» (٢٢: ٩١).

(٥) «البليغ» ليس في (ق).

(٦) في (ق): «منها».

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٢٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٣٢٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٩).

(٨) انظر: «طبقات الصوفية» (٢٢٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٣٢٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٩٩).

قـال حامدُ الأسود: «كنت مـع إبراهيمَ الخوّاصِ فـي سفـر، فدخَلنا إلى بعض الغِياض(١)، فلمّا أدركَنا الليلُ وإذا بالسباع قد أحاطت بنا، فجَزِعتُ لرُؤيَتِها، وصعدتُ إلى شجرة، ثمَّ نظَرتُ إلى إبراهيمَ وقد استلقى على قفاه، فأقبَلَت السِّباعُ تلحَسُه من قَرنِه إلى قدمَيه وهو لا يتحرَّك، ثمَّ أصبحنا وخرجنا إلى منزلٍ آخر، وبِتنا في مسجد، فرأيت بَقّة وقعَت على وجه إبراهيم فلسَعَته، فقال: أخ، فقلت: يا أبا إسحاق، أيُّ شيءٍ هذا التأوُّه! أين أنت؟ فقال: ذاك حالٌ كنت فيه بالله عزَّ وجلّ، وهذا حالٌ أنا فيه بنفسي»(٢).

قال عليٌّ الحلوانِيّ: «كان إبراهيمُ الخوّاصُ جالسًا في مسجدٍ بالرَّيِّ وعنده جماعة إذ سُمِعَ مَلاهٍ مِن الجِيرانِ(٣)، فاضطرب مِن ذَلِك مَن كان بالمسجد(٤)، وقالوا: يا أبا إسحاق، ما ترى؟ فخرج إبراهيمُ نحوَ الدار التي فيها المُنكَر، فلمّا بلغ طرفَ الزقاق إذا كلبٌ رابض، فلمّا قربَ منه إبراهيمُ نبح عليه وقام في وجهه، فرجعَ إبراهيمُ إلى المسجد، وتفكَّر ساعةً ثمَّ قام مبادِرًا وخرج، فمرَّ بالكلب فبَصبَصَ الكلبُ له، فلمّا قرب من باب الدار خرج إليه شابٌّ حسنُ الوجه، وقال: أيُّها الشيخ، لمَ انزعَجت، كنت وجَّهت ببعض مَن عندك فأبلَغَ لكَ(٥) كلَّ ما تريد، وعليَّ عهدُ الله(٦) وميثاقُه لا شربت أبدًا، وكسر جميعَ ما

(١) الغياض: جمع غَيضة، وهي الشجر الملتف. انظر: «المحيط» (١: ٤١٥)، و«المجموع المغيث» (٢: ٥٨٩)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ٤٠٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٨).

(٣) في (ق) و(د): «وإذا ملاءة من الجيران»، والمثبت موافق لما في «صفة الصفوة».

(٤) في (د): «في المسجد».

(٥) «لك» ليس في (ق).

(٦) لفظ الجلالة ليس في (ق).

عنده من الشرابِ وآلَتِه، وصَحِبَ أهلَ الخير ولزم العبادة، فلمّا جلس إبراهيمُ سُئل عن خروجه في أوَّل مرّة ورجوعِه، ثمَّ خروجِه في الثانية، وما كان من أمر الكلب؟ فقال: نعم، إنّما نبح عليَّ؛ لفسادٍ كان دخل عليَّ في عقدٍ بيني/ [١٥٦/ب] وبين الله عزَّ وجلّ، ثمَّ انتبَهتُ له في الوقت، فلمّا رجعتُ إلى الموضِع ذكَرتُه، فاستغفَرتُ الله عزَّ وجلَّ منه، ثمَّ خَرجتُ الثانيةَ فكان ما رأيتُم»[١].

وهكذا كلُّ مَن خرج لإزالةِ مُنكَرٍ فتَحرَّك عليه شيءٌ من المخلوقات فلفسادِ عقدٍ بينه وبين الله عزَّ وجلّ، فإذا وقع الأمرُ على الصحّةِ لم يتحرَّك عليه شيء.

قال خيرٌ النسّاج: «سألت الخوّاصَ بعد أن غاب عنّي سنين: ما الذي أصابَك في سفرك؟ فقال: عطشتُ عطشًا شديدًا حتَّى سقطتُ من شدّة العطش، فإذا أنا بماءٍ قد رُشَّ على وجهي، فلمّا أحسستُ ببردِه فتحت عينيّ، فإذا أنا برجلٍ حسن الوجه والزيّ، عَلَيهِ ثيابٌ خُضرٌ على فرسٍ أشهب، فسَقاني حتَّى رَوِيت، ثمَّ قال: ارتدِف خلفي، وكنت بالحاجر، فلمّا كان بعد ساعة قال: أيُّ شيءٍ ترى؟ قلت: المدينة. قال: انزل واقرأ على رسولِ الله ﷺ منِّي السلام، وقل له: أخوك الخَضِرُ يُسلِّم عليك»[٢].

قال أبو الفرجِ بن الجوزيِّ: «وقد رُوِيَت لنا هذه الحكايةُ من طريقٍ آخر، وفيها: قُل لَه: رَضوانُ يسلِّم عليك كثيرًا»[٣].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٨-٢٩٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٩٩-٣٠٠).

(٣) «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٠).

قال عمرُ بن سِنان[١]: «اجتاز بنا الخوّاص، فقلت له: حدِّثني بأعجب ما رأيتَ في أسفارك، فقال: لَقِيَني الخَضِر، فسألَني عن الصحبة، فخَشِيت أن يُفسِدَ عليَّ سرَّ توَكُّلي بسُكوني إليه، ففارَقتُه»[٢].

قال محمَّدٌ الرازيّ: «مَرِض الخوّاصُ بالرَّيِّ في المسجدِ الجامِع، وكان به علّةُ القيام، وكان إذا أقام يدخل الماءَ فيغتسِل، ويعود إلى المسجدِ فيركع ركعتَين، فدخل مرّة الماءَ ليغتسِلَ فخرَجَت رُوحُه، وتُوفِّي وسَطَ الماء سنةَ إحدى وتسعين ومئتين، وتولَّى أمرَه في غسله ودفنه يوسفُ بن الحسين»[٣].

وكان الخوّاصُ من أقرانِ الجُنَيد وأبي عبد الله المغربي[٤].

* * *

[يوسف بن الحسين الرازي]

[٣٠٥] **ومنهم**: يوسفُ بن الحسين الرازيّ[٥]، ويُكنَّى: أبا يعقوبَ[٦].

من كلامه: «عَلِمَ القومُ أنّ الله عزَّ وجلَّ يَراهم فاستحيوا من نظَرِه أن يُراعوا شيئًا سواه»[٧].

---

(١) في (ق) و(د): «عمرو بن سنان»، وفي «صفة الصفوة»: «عمر بن سفيان».

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٠)، و«تاريخ الإسلام» (٢٢: ٩٢).

(٣) في (ق) و(د): «يوسف بن أسباط»، وانظر: «طبقات الصوفية» (٢٢٠)، و«الثبات عند الممات» (١٧٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٠).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٠).

(٥) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» (١٥١)، و«طبقات الحنابلة» (١: ٤١٨)، و«المنتظم» (١٣: ١٧١).

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» (١٥١)، و«طبقات الحنابلة» (١: ٤١٨)، و«المنتظم» (١٣: ١٧١).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» (١٥٢)، و«ذم الهوى» (٥٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٠).

وقال: «يتولَّد الإعجابُ بالعمَلِ مِن نِسيانِ رؤية المِنّة»(١).

وقال: «على قَدرِ خَوفِك من الله عزَّ وجلَّ يهابُك الخلق، وعلى قَدرِ حبِّك لله عزَّ وجلَّ يُحبُّك الخلق، وعلى قدر شُغلِكَ بالله عزَّ وجلَّ يشغَلك(٢) الخلقُ بأمرِك»(٣).

قال الخَنقاباذِي(٤): حضَرنا يوسفَ بن الحسين وهو يَجودُ بنفسه، فقيل له: يا أبا يعقوب، قل شيئًا. فقال: اللهمَّ إنِّي نصحتُ خَلقَك ظاهرًا/ [١٥٧/أ]، وغَشَشتُ نفسي باطنًا، فهَب لي غشِّي لنفسي؛ لنُصحِي لخلقك، ثمَّ خرَجَت روحُه، فرُئيَ في المنام، فقيل له: ما فعل الله عزَّ وجلَّ بك؟ فقال: غفر لي بتلك الكلمات التي قُلتُها عند الموت»(٥).

سمع ابنُ الحسين من الإمامِ أحمد، وذي النون، وغيرِهما، وتُوفِّي سنةَ أربعٍ وثلاث مئة(٦).

* * *

[أبو عثمان سعيد الحيري]

[٣٠٦] ومنهم: أبو عثمانَ سعيدٌ الحيريّ(٧).

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية» (١٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٠).

(٢) في (د): «شغلك».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٠).

(٤) في (د): «الحياقاباذي»، وفي (ق): «الجباقاباذي».

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٤٦٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٠-٣٠١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠١).

(٧) في (ق): «الخيري»، انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٣: ١١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠١)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٣٨٢).

وُلِدَ بالرَّيّ، وخرج إلى نيسابورَ مع شيخه شاه بن شُجاع[١] يزوران أبا حفصٍ النيسابوريّ، فزوَّجه أبو حفصٍ ابنتَه، فتوطَّن نيسابورَ ومات بها[٢].

من كلامه: «مَن أمَّر السُّنّةَ على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى نطق بالبدعة؛ لقولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]»[٣].

وقال: «الخوفُ من الله عزَّ وجلَّ يُوصِلُك إليه، والعُجبُ يقطَعُك عنه، واحتقارُ الناس في نفسك[٤] لا يُداوَى»[٥].

وقال: «الذِّكرُ الكثيرُ أن تذكرَ في ذِكرِك له أنّك[٦] لم تصِل إلى ذِكرِه إلّا به وبفضله»[٧].

قال عبدُ الله الشِّيرازِيّ: سمعت أبا عثمانَ يقول: «منذُ أربعين سنةً ما أقامني الله عزَّ وجلَّ في حالٍ فكرهته، ولا نقَلَني إلى غيرِه فتسخَّطتُه»[٨].

---

(١) في (ق) و(د): «شاه شجاع»، و هو أبو الفوارس الكرماني. انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٧)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٩٤)، و«المنتظم» (١٣: ١٢٦).

(٢) انظر: «المنتظم» (١٣: ١١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠١)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٣٨٢).

(٣) انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (٣١٩)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٢).

(٤) في (د): «عينك».

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٢)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٣٨٥).

(٦) في (ق) و(د): «أنه».

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٢).

(٨) في (د): «فسخطه»، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٠: ١٤٤)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٨١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٢).

قال عبدُ الله الرازيّ: «لمّا تغيَّر الحالُ على أبي عثمانَ وقتَ وفاته مَزَّق ابنُه أبو بكرٍ قميصًا كان عليه، ففتح أبو عثمانَ عينَه، وقال: يا بُنيّ، خِلافُ السُّنّةِ في الظاهرِ من رياءٍ في باطِنِ القلب»[1].

تُوفِّي يومَ الثلاثاء لعشرٍ بَقِينَ من ربيعٍ الآخر سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئتَين.

* * *

[أبو يزيد البسطامي]

[٣٠٧] **ومنهم:** أبو يزيدَ البسطاميّ[2]، شاميّ، واسمُه: طَيفورُ بن عيسى بن سَرُوشان[3].

وكان سَرُوشانَ[4] مجوسيًّا فأسلم، وكان لعيسى ثلاثةُ أولاد: أبو يزيد، وهو أوسطُهم، وآدمُ أكبرُهم، وعليٌّ أصغرُهم، وكانوا كلُّهم عُبّادًا زُهّادًا[5].

قال أبو يزيد: «عَمِلتُ في المجاهدةِ ثلاثين سنة، فما وجدتُ شيئًا أشدَّ علي من العلم ومتابعته، ولولا اختلافُ العلماء لبَقِيت[6]، واختلافُ العلماء رحمةٌ إلا[7] في تجريدِ التوحيد»[8].

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٧٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٣)، و«تلبيس إبليس» (١٨٣).

(٢) انظر ترجمته في: «الرسالة القشيرية» (١: ٥٧)، و«المنتظم» (١٢: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٤).

(٣) في (ق) و(د): «سرشان»، وفي «مرآة الزمان»، و«السير»: «شروسان».

(٤) في (ق) و(د): «سرشان».

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٥٧)، و«المنتظم» (١٢: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٤).

(٦) في «صفة الصفوة»: «لتعبت»، ويشبه أن تكون في (د): «لفتنت».

(٧) «إلا» ليس في (د).

(٨) انظر: «طبقات الصوفية» (٧٠)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٤).

وقال: «لا يعرف نفسَه مَن صَحِبَته شهوتُه»(١).

وسُئل: ما علامةُ العارف؟ فقال: «ألّا يَفتُرَ مِن ذِكرِه، ولا يمَلَّ من حقِّه، ولا يستأنس بغيره»(٢).

وقال: «إنّ الله عزَّ وجلَّ أمر العبادَ ونهاهم فأطاعوه، فخلع عليهم فاشتغَلوا بالخِلَع عنه، وإنِّي لا أريد من الله عزَّ وجلَّ إلّا الله عزَّ وجلّ»(٣).

قال العبّاسُ بن حمزة: «صلَّيت خلف أبي يزيدَ الظهر، فلمّا أراد أن يرفعَ يدَيه ليكبِّرَ لم يقدر؛/ إجلالًا لاسم الله عزَّ وجلّ، وارتعَدَت فرائصُه، حتى كنت أسمع تقعقُعَ عظامه، فهالَني ذلك»(٤). [١٥٧/ب]

وصعد ليلةً سورَ بسطام، فلم يَزَل يدورُ على السور إلى وقت الفجر، يريد أن يقول: لا إلهَ إلّا الله، فيغلبه ما يَرِدُ عليه من هَيبة الاسم، فلا يَستَطِيعُ أن يُطلِقَ بها لسانَه، فلمّا كان وقتُ الفجر نَزلَ فبال الدمَ(٥).

قال أبو يزيد: «دُمتُ ثلاثين سنة، كلَّما أردتُ أن أذكرَ الله عزَّ وجلَّ أتمضمض وأغسلُ لساني؛ إجلالًا لله أن أذكرَه»(٦).

وقال: «إنّ في الطاعات من الآفات ألّا تحتاجوا(٧) إلى(٨) أن تطلبوا المعاصي

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية» (٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٤).
(٢) انظر: «طبقات الصوفية» (٧٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٤)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٣٣).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٤)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٣٣).
(٤) انظر: «المنتظم» (١٢: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٥)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٣٠).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٦).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٥)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٥: ٤٣٤).
(٧) في «صفة الصفوة»: «ما لا يحتاجون».
(٨) «إلى» ليس في (د).

في غيرِها»[١].

وقال: «أشدُّ المحجوبين عن الله عزَّ وجلَّ ثلاثةٌ بثلاثة؛ **أوَّلُهم**: الزاهدُ بزُهدِه، **والثاني**: العابدُ بعبادته، **والثالِث**: العالِمُ بعِلمه»[٢].

وقال: «أكثرُ الناس إشارةً إليه أبعدُهم منه»[٣].

وقال: «قعدتُ ليلةً في مِحرابِي، فمَدَدتُ رِجلِي، فهتف بي هاتِف: مَن يجالِسُ الملوكَ ينبغي أن يجالِسَهم بحُسنِ الأدب»[٤].

وقال: «دعوتُ نفسي إلى الله عزَّ وجلَّ فأبَت عليّ، واستعصَت[٥]، فتركتها ومضيتُ إلى الله سبحانه وتعالى»[٦].

كان أبو يزيدَ يَعِظُ[٧] نفسَه ويصيحُ عليها، ويقول: «يا مأوى كلِّ سوء، المرأةُ إذا حاضت طَهُرَت في ثلاثةِ أيّام، وأكثرُه عشرة، وأنتِ يا نفسُ قاعدةٌ منذ ثلاثين سنةً بعدُ[٨] ما طَهُرت، فمتى تَطهرين!»[٩].

قال له رجل: دُلَّني على عمل أتقرَّب به إلى الله عزَّ وجلّ، فقال له أبو يزيد: «أحِبَّ أولياءَ الله عزَّ وجلّ ليُحِبُّوك؛ فإنّ الله تعالى ينظرُ إلى قلوب أوليائه، فلعلَّه ينظر إلَى اسمك في قلب وليِّه فيغفِر لك»[١٠].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٥)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٣٤).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٥)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٣٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٦).

(٥) في (ق): «واستصعبت».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٦)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٣٧).

(٧) في (ق): «يعض».

(٨) «بعد» غير واضح في (د).

(٩) انظر: «المنتظم» (١٢: ١٦٦-١٦٧)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٣٠).

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٦-٣٠٧)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤٣٥)، و«طبقات الأولياء» (٤٠٠).

وقال قاسمُ الحدّاد: «خرج أبو يزيدَ في بعضِ سَياحاتِه، فوقف على دجلة، فالتقى له[1] الشَّطّان، فحوَّل وجهَه، ثم قال: وعزَّتك إنّك تعلم أنّي ما عبدتك قطُّ لهذا، فلا تحجُبني بك عنك»[2].

تُوفِّي أبو يزيدَ سنةَ إحدى وستِّين ومئتَين، وله ثلاثُ وسبعون سنة[3].

* * *

[يحيى بن يحيى النيسابوري]

[٣٠٨] **ومنهم**: يحيى بن يحيى النَّيسابُورِيّ[4]، يكنَّى: أبا زكريا[5].

قال الإمامُ أحمد: «ما أخرَجَت خراسانُ مثلَ ابن المبارك ويحيى بن يحيى»[6].

شرب يحيى بن يحيى دواءً، فقالت له امرأتُه: «لو قمت فتردَّدتَ في الدار، فقال: ما أدري ما هذه المشية، أنا أحاسب[7] نفسي منذ أربعين سنةً»[8].

قال أبو عليٍّ[9] بنُ بُندار: كان يحضر[10] مجلسَ مالك بن أنس فانكسر قلمُه،

---

(١) في «صفة الصفوة»: «به».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٦).
(٣) انظر: «المنتظم» (١٢: ١٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٨).
(٤) انظر ترجمته في: «من روى عنهم البخاري في الصحيح» (٢٢٦)، و«فتح الباب» (٣٤٧)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٣٥٣).
(٥) انظر: «من روى عنهم البخاري في الصحيح» (٢٢٦)، و«فتح الباب» (٣٤٧)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٣٥٣).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٩)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٣٤)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥١٥).
(٧) في «صفة الصفوة»: «أحارب».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٩).
(٩) في (ق) و(د): «قال علي».
(١٠) قوله: «كان يحضر» في (ق): «حضر».

فناوَلَه المأمونُ قلمًا فامتنع من قَبُولِه، فقال له المأمون: ما اسمُك؟ فقال: يحيى بن يحيى النيسابوريّ، فقال/ له المأمون: تعرفني؟ فقال: نعم، أنت المأمونُ ابنُ أمير المؤمنين، فكتب المأمونُ على ظَهرِ جُزئه: ناوَلتُ يحيى بن يحيى النيسابوريَّ قلمًا في مجلس مالكٍ فلم يقبله، فلمّا أفضَتِ الخلافةُ إلى المأمون بعث إلى عامله بنيسابورَ أن تُوَلِّيَه القضاء، فبعث إليه يستدعيه، فقال بعضُهم: إنّه يمتنع من الحضور، فأذِن للرسول، فأنفَذَ إليه كتابَ المأمون، فقرأه عليه، فامتنع من القضاء، فردَّ إليه ثانيًا، وقال: إنّ أميرَ المؤمنين يأمرك بشيءٍ وأنت من رعيَّته وتأبى عليه[١]؟ فقال: قل لأمير المؤمنين: نَاولْتَني[٢] قلمًا وأنا شابّ فلم أَقبَله، أفَتُجبِرُوني الآن على القضاء وأنا شيخ؟ فرُفِعَ الخبرُ إلى المأمون، فقال: قد علِمتُ امتناعَه، ولكن ولِّ القضاءَ رجلًا يختارُه[٣]، فاختار شخصًا فوُلِّي، ودخل على يحيى وعليه سواد، فضَمَّ يحيى فِراشًا كان جالسًا عليه كراهيةَ أن يجمَعَه وإيّاه، فقال: أيُّها الشيخ، ألم تَختَرني؟ فقال: إنّما قلت: أختاره، وما قلت لك: تقلَّدِ القضاءَ»[٤].

[١٥٨/أ]

روى يحيى عن مالك، والليث، وغيرهما.

وتُوفِّي في يوم الأربعاء سَلخَ صفر سنةَ ستٍّ وعشرين ومئتَين[٥].

* * *

---

(١) «عليه» ليس في (د). (٢) في (ق) و(د): «ناولني».

(٣) في «صفة الصفوة»: «تختاره».

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٤: ٢١٩-٢٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٩-٣١٠)، و«مرآة الزمان» (١٤: ٣٣٤).

(٥) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٣٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٠).

[إسحاق بن إبراهيم]

[٣٠٩] ومنهم: إسحاقُ بن إبراهيم(١)، يُكنَّى: أبا يعقوبَ الحنظليّ، ويُقال له: ابنُ راهَوَيه، أحدُ أئمّةِ الإسلام، نيسابوريّ، رَحلَ إلى العراقِ والحِجازِ واليمن والشام، وعاد واستوطن نيسابور(٢).

قال مُحمدُ بن أسلمَ الطوسيُّ حين مات إسحاق: «ما أعلمُ أحدًا كان أخشى لله تعالى من إسحاق، وكان أعلمَ الناس، ولو كان الثوريُّ في الحياة لاحتاج إليه»(٣).

وقال الصفّار: «والله لو كان الحسنُ البصريُّ لاحتاج إلى إسحاقَ في أشياءَ كثيرة»(٤).

وقال الإمامُ أحمد: «لا أعلمُ لإسحاقَ بالعراق نظيرًا»(٥).

قال أبو يحيى الشَّعرانيّ: «ما رأيت بيد إسحاقَ كتابًا قطّ، ما كان يُحدِّث إلّا حفظًا»(٦).

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٧: ٣٦٢)، و«طبقات الفقهاء» (٩٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٨: ١١٠).

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٧: ٣٦٢)، و«المنتظم» (١١: ٢٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٠).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٨: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٠).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٨: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٠).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٨: ١٣٣)، و«المنتظم» (١١: ٢٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٠).

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (٧: ٣٦٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٨: ١٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٠).

وكنت إذا ذاكَرتُه العلمَ وجَدتُه فردًا، فإذا جئته إلى أمر الدنيا رأيتُه لا رأيَ له[١].

أسند إسحاقُ عن جرير، وابن عُلَية، وسفيانَ بن عُيَينة، ووكيع، في خلقٍ كثيرٍ لا يُحصَون.

وتُوفِّي بنيسابورَ ليلةَ النصفِ من شعبانَ سنةَ ثمانٍ وثلاثين ومئتَين[٢].

* * *

[محمد بن رافع]

[٣١٠] **ومنهم**: مُحمَّدُ بن رافع[٣]، يُكنَّى: أبا عبد الله النيسابوريَّ القشيريّ[٤].

قال زكريا: «بعث طاهِرُ بن عبد الله إلى مُحمَّدِ بن رافع بخمسةِ آلاف، فدخل رسولُه عليه بعد صلاة العصر وهو يأكُلُ الخبزَ مع الفِجل، فوضع الكيسَ بين يدَيه، وقال: بعثَ الأميرُ بهذا إليك / لتُنفِقَه على أهلك، فقال: خذه خذه[٥]، لا أحتاجُ إليه؛ فإنّ الشمسَ قد بلغت رؤوسَ الحيطان، إلى متى أعيش؟ فردَّ المالَ ولـم يقبَله[٦].

[١٥٨/ب]

فأخذ الرسولُ المالَ وذهب به، فدخل عليه ابنُه، فقال: يا أبتِ[٧]، ليس لنا

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٠).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٠).
(٣) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٩: ١٠٢)، و«غنية الملتمس إيضاح الملتبس» (٣٥٠)، و«التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح» (٢: ٦٣٣).
(٤) انظر: «الثقات» لابن حبان (٩: ١٠٢)، و«غنية الملتمس إيضاح الملتبس» (٣٥٠)، و«التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح» (٢: ٦٣٣).
(٥) في (ق): «خذ خذ».
(٦) في (ق): «يقبل».
(٧) في (ق): «يا أبه».

الليلةَ خبز، قال: فبعث ببعض أصحابه خلف الرسول ليَرُدَّ المالَ إلى صاحبِه فزعًا من أن يذهبَ خلف الرسولِ فيأخذَ المال، يعني ولدَه»[١].

قال زكريّا: «وربَّما كان يخرجُ إلينا مُحمَّدُ بن رافعٍ في الشتاء الشاتي وقد لبس غطاءَه[٢] الذي يَلبَسه بالليل»[٣].

وكان مُحمَّدُ بن رافعٍ رفيقَ الإمام أحمدَ عند عبد الرزّاق[٤].

وحدَّث عن جماعةٍ من الكبار، وأخرج له البخاريُّ ومُسلِمٌ في «**الصحيحَين**»[٥].

وتُوفِّي سنةَ خمسٍ وأربعين ومئتين[٦].

* * *

[أبو حفص النيسابوري]

[٣١١] **ومنهم**: أبو حفصٍ النيسابوريّ[٧]، واسمُه: عمرُو بن مُسلم[٨].

(١) انظر: «المنتظم» (١١: ٣٣٦-٣٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١١)، و«مرآة الزمان» (١٥: ١٦٢).

(٢) في «صفة الصفوة»: «لحافه».

(٣) انظر: «المنتظم» (١١: ٣٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١١)، و«مرآة الزمان» (١٥: ١٦٢).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١١).

(٥) انظر: «المنتظم» (١١: ٣٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١١).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٩: ١٠٢)، و«التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح» (٢: ٦٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١١).

(٧) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٢: ٢٠٣)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٣٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٤٢).

(٨) في «تاريخ بغداد وذيوله»، و«مرآة الزمان»، و«النجوم الزاهرة»: «ابن مسلم»، وفي «طبقات الصوفية»، و«تاريخ بغداد»، و«صفة الصفوة»، و«مرآة الزمان»: «ابن سلم»، وقيل: «ابن سلمة». انظر: «المنتظم» (١٢: ٢٠٣)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٣٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٤٢).

قال الجُنَيد: «كان أبو حفصٍ من أهل الحقائق، وكان يتكلَّم عن غَورٍ[١] بعيد، وكان من أهل العلمِ البالِغين، قال له رجلٌ من أصحابه: كان مَن مضى لهم الآياتُ الظاهرة، وليس لك من ذلك شيءٌ؟ فقال له: تعال، وجاء به إلى سوق الحدّادين إلى كَورٍ مَحمِيٍّ عظيمٍ[٢] فيه حديدةٌ عظيمة، فأدخَلَ يدَه فأخذها فبرَدَت[٣] في يده، ثمَّ قال له: يُجزِئُك؟ فأعظَمَ[٤] ذلك وأكبَرَه ومضى»[٥].

ودخل أبو حفصٍ على مريض، فقال المريض: آه، فقال أبو حفص: ممَّن؟ فسكت، فقالَ له أبو حَفصٍ: مع مَن؟ فقالَ له المريض: كيف أكُون؟ وماذا أقُول؟[٦] فقال له أبو حفص: لا يَكُن أنينُك شكوى، ولا سكوتُك تجلُّدًا، ولكن[٧] بين ذلك[٨].

قال الجلّابُ[٩]: «صحِبتُ أبا حفصٍ اثنين وعشرين سنةً ما رأيتُه ذَكرَ الله عزَّ وجلَّ على حدِّ الغفلة والانبساط، ما كان يَذكُرُ إلا على سبيلِ الحُضُورِ والتعظيم

(١) في «صفة الصفوة»: «طور».
(٢) «عظيم» ليس في (د).
(٣) في (د): «فبردها».
(٤) في (ق) و(د): «فأعظمه».
(٥) انظر: «تاريخ بغداد وذيوله» (١٢: ٢١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١١-٣١٢)، و«مرآة الزمان» (١٦: ١٠٣).
(٦) قوله: «فقال له أبو حفص: مع من؟ فقال له المريض: كيف أكون وماذا أقول» ليس في (ق).
(٧) في «مرآة الزمان»: «وليكن».
(٨) انظر: «مرآة الزمان» (١٦: ١٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٤٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢: ٥١١).
(٩) في (ق): «الحلاب».

والحُرمة، وكان إذا ذُكِر الله عزَّ وجلَّ تغيَّرَت عليه حالُه، حتَّى كان يرى ذلك منه جميعُ مَن حضره»[١].

قال مرّة وذكَر الله عزَّ وجلَّ وقد تغيَّر حاله، فلمّا رجع قال: «ما أبعدَ ذِكرَنا عن ذِكرِ المُحقِّقين، فما أظنُّ مُحِقًّا يذكر الله تعالى على غير غفلةٍ ثمَّ يبقَى بعد ذلك حيًّا إلّا الأنبياءُ؛ فإنَّهم أُيِّدُوا بقوّةٍ ولايَتِهم»[٢].

وقال أبو حفص: «ما ظهَرَت حالةٌ عاليةٌ إلّا من ملازمةِ أصلٍ صحيح»[٣].

وقال: «لا تكن عبادتُك لربِّك سببًا لأن تكونَ مَعبودًا»[٤].

وقال: «مَن لم يَزِن أفعالَه وأقوالَه وأحوالَه في كلِّ وقتٍ بالكتابِ والسُّنّة، ولم[٥] يتَّهم خواطِرَه، فلا تَعُدُّوه في ديوان الرجال»[٦].

وقالَ[٧]/ : حُسنُ أدب الظاهر عنوانُ حُسنِ[٨] أدب الباطن؛ لأنّ النبيَّ ﷺ [١٥٩/أ] قال: «**لَو خَشعَ قَلبُ هَذا لخَشعَت جَوارِحُه**»[٩].

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية» (١٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٢)، و«مرآة الزمان» (١٦: ١٠٣).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» (١٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٢)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٦: ١٠٣).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» (١٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٢).

(٤) انظر: «طبقات الصوفية» (١٠٨).

(٥) في (د): «ومن لم».

(٦) انظر: «تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢: ٥١١).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» (١٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٢)، و«طبقات الأولياء» (٢٤٩).

(٨) «حسن» ليس في (د).

(٩) «الزهد» لابن المبارك (١١٨٨)، و«مصنف عبد الرزاق» (٣٣٠٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» =

وسُئِلَ عن العُبوديّة؟ فقال: «تَركُ ما لك، والتزامُ ما أُمِرتَ به»[١].

قال[٢] أبو بكرٍ الرافعيّ: سمعتُ أبا عثمانَ يقول: «خرَجنا جماعةً مع أستاذِنا أبي حفصٍ النيسابوريِّ إلى خارج نيسابور، فجلَسنا، فتكلَّم الشيخُ علينا، فطابَت أنفسُنا، ثمَّ بصُرنا بأيلٍ قد نزل من الجبل حتّى برك بين يدَي الشيخ، فأبكاه ذلك بكاءً شديدًا، فلمّا هدأ الشيخُ سألناه، فقلنا له: يا أستاذ، تكلَّمتَ علينا وطابَت قلوبُنا، فلمّا جاء هذا الوحشُ وبركَ بين يدَيك أزعَجَك وأبكاك، فأحبَبنا أن نعرفَ فِقهَ ذلك؟

فقال: نعم، رأيتُ اجتماعَكم حولي وقد طابَت قلوبُكم، فوقع في قلبي لو أنّ شاةً ذبَحتُها ودعوتُكم[٣] عليها، فما تَحكَّمَ هَذا الخاطِرُ حتَّى جاء الوحشُ فبَركَ بين يدَيّ، فخُيِّل لي أنّي مثلُ فرعونَ الذي سأل ربَّه أن يُجرِيَ له النيلَ فأجراهُ لَهُ[٤]، فما يُؤمنني أن يكونَ الله عزَّ وجلَّ يعطيني كلَّ حظٍّ لي في الدنيا، وأبقى في الآخرةِ فقيرًا لا شيءَ لي، فهذا الذي أزعجَني»[٥].

تُوفي أبو حفصٍ سنةَ سبعين ومئتين، ويقال: سبعٍ وستِّين، وقيل غير ذلك[٦].

= (٦٧٨٧)، و«تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر (١٥٠)، و«نوادر الأصول» للحكيم الترمذي (٢: ١٧٢)، قال العراقي في «المغني» (١٧٨): «أخرجه الترمذي الحكيم في «النوادر» من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، أنه من قول سعيد بن المسيب، رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» وفيه رجل لم يُسَمَّ».

(١) انظر: «طبقات الصوفية» (١٠٨).

(٢) في (د): «وقال».

(٣) في «صفة الصفوة»: «ودعوتهم».

(٤) «به» ليس في (د).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٣)، و«مرآة الزمان» (١٦: ١٠٣-١٠٤).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٣).

[علي بن شعيب السقا]

[٣١٢] ومنهم: عليُّ بن شُعَيبٍ السقّا[١].

حجَّ نيِّفًا وخمسين حجّةً، أحرمَ[٢] في كلِّ حجّةٍ من نيسابور، وكان يُصلِّي في البادية عندَ كلِّ ميلٍ ركعَتَين، ثمَّ يقول: قال الله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٨]، وهذه مَنافِعِي[٣] في حجِّي[٤].

* * *

[حمدون القصار]

[٣١٣] ومنهم: أبو صالحٍ حَمدون القصّارُ[٥].

قيل له: «ما بالُ كلام السلف أنفعُ من كلامنا؟ فقال: لأنّهم تكلَّموا لعزِّ الإسلام، ونجاةِ النُّفُوس، ورِضا الرحمن، ونحن نتكلَّم لعِزِّ النفوس، وطلبِ الدنيا، ورضا الخَلْق»[٦].

وقال: «كفايتُك تُساقُ إليك بلا تعبٍ ولا نَصَب، وإنّما التعبُ في الفُضول»[٧].

قال عبدُ الله بن مُنازِل[٨]: «سَفِهَ رَجُلٌ عَلَى حَمدُونَ فسكَت، ثمَّ قال: يا أخِي، لَو نَقَصتَنِي كُلَّ نَقصٍ لَم تُنقِصنِي[٩] كَنَقصِي عِندِي، ثُمَّ سَفِهَ رجلٌ على إسحاقَ

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٣).
(٢) في (د): «أحرم».
(٣) في (ق): «منافع».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٣).
(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٣).
(٦) انظر: «طبقات الصوفية» (١١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٤)، و«مرآة الزمان» (١٦: ١٠٢).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٤)، و«مرآة الزمان» (١٧: ١٤٠).
(٨) في «صفة الصفوة»: «عبد الله بن مبارك».
(٩) في (د): «تنقصن».

الحنظليّ، فاحتمَلَه، ثمَّ قال: لأيِّ شيءٍ تعلَّمنا العلمَ!»[١].

وقال: «لا تُفشِ على أحدٍ ما تحبُّ أن يكونَ مَستورًا منك»[٢].

أسند حمدونُ عن إبراهيمَ الزرّاد، وصَحِبَ أبا تُرابٍ النَّخشبيّ[٣].

[١٥٩/ب] وتُوفِّيَ فِي[٤] سنة إحدى وسبعين ومئتَين بنيسابورَ[٥]، رحمه الله تعالى.

* * *

[محمد بن أسلم الطوسي]

[٣١٤] **ومنهم**: مُحمَّدُ بن أسلمَ الطُّوسيّ[٦]، يُكنَّى: أبا الحسن[٧].

قال إسحاقُ بن راهَوَيه: «لم أسمع بعالمٍ منذُ خمسين سنةً أشدَّ تمسُّكًا بأثر النبيِّ ﷺ من مُحمَّدِ بن أسلمَ»[٨].

قال أبو عبد الله: قال لي مُحمَّدُ بن أسلم: «ما لي ولهذا الخلق، كنتُ في صُلبِ أبي وحدي، ثمَّ صِرتُ في بطن أمِّي وحدي، ثمَّ دخلتُ الدنيا وحدي، ثمَّ تُقبَضُ روحِي وحدي، وأدخلُ في قبري وحدي، ويسألاني المَلَكانِ وحدِي،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٤)، و«مرآة الزمان» (١٦: ١٠٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٤)، و«مرآة الزمان» (١٦: ١٠٢).

(٣) في (د): «النخشي».

(٤) «في» ليس في (ق).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٤).

(٦) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧: ٢٠١)، و«الثقات» لابن حبان (٩: ٩٧)، و«تاريخ نيسابور» (٢٩).

(٧) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧: ٢٠١)، و«الثقات» لابن حبان (٩: ٩٧)، و«تاريخ نيسابور» (٢٩).

(٨) انظر: «المنتظم» (١١: ٣٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٧)، و«مرآة الزمان» (١٥: ١١٧).

وأصيرُ إلى الجنّةِ أو إلَى[١] النار وحدي، وتُوضَع ذنوبي عليَّ في الميزانِ وحدي، فما لي وللناس! ثمَّ تفكر ساعة فوقَعَت عليه الرِّعدة حتى خَشِيت أن يسقط.

وصَحِبتُه نيِّفًا وعشرين سنةً لم أرَه يُصلِّي ركعتَين من التطوُّع إلّا يومَ الجمعة، ولا يُسبِّح ولا يقرأ، ولم يكن أحدٌ أعلمَ بسِرِّه وعلانيته منِّي، وسمِعتُه يحلف كذا وكذا مرّةً: لو قدَرتُ أن أتطوَّعَ حيث لا يراني ملَكاي لفعلت.

وكان يدخل بيتًا ويُغلِقُ بابَه، ويُدخِلُ معه كوزًا من ماء، فلم أدرِ ما يصنع به، حتَّى سمعت ابنًا له صغيرًا يحكي بكاءَه، فنَهَته أمُّه، فقلتُ لها: ما هذا البكاء؟ فقالت: إنّ أبا الحسن يدخل هذا البيتَ فيقرأ القرآنَ فيبكي، فيسمعه الصبيُّ فيَحكِيه، وكان إذا أراد أن يخرجَ غسل وجهَه واكتحل، ولا يُرَى عليه أثرُ البكاء.

وكان يَصِلُ قومًا ويُعطِيهم ويَكسُوهم، ويقول للرَّسول: انظر ألّا يعلَموا مَن بعثَه، ويأتيهم هو بالليل ويُخفِي نفسَه، وربَّما تَبلَى[٢] ثيابُهُم ويذهب ما عندهم، ولا يدرون مَن الذي أعطاهم، ولا أعلمُ منذُ صَحِبتُه وصلَ أحدًا أقلَّ من مئة درهم، إلّا ألّا يُمكنَه ذلك.

وكنتُ أخبِزُ له، وكان يقول: اشترِ لي شعيرًا أسودَ قد تركه الناس، فإنّه يصير إلى الكنيف، ولا تشترِ لي إلّا ما يكفيني يومًا بيوم، وكان يقول: والله الذي لا إلهَ إلّا هو، ما رأيتُ نفسًا تُصلِّي إلَى[٣] القِبلة شرًّا عندي من نفسي.

ودخلت عليه قبل موته بأربعة أيّام، فقال: يا أبا عبد الله، أُبشِّرك[٤] ما صنع الله تعالى بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت، وقد مَنَّ الله عليَّ أنّه ليس

---

(١) «إلى» ليس في (ق).
(٢) في (ق): «يفلي».
(٣) «إلى» ليس في (ق).
(٤) في (ق): «أيسرك».

عندي درهمٌ يُحاسِبني الله عليه، وقد علم ضعفي وأنّي لا أُطِيق الحساب، فلم يدَع عندي شيئًا يُحاسبني، ثمَّ قال: أغلقِ الباب، ولا تأذن لأحدٍ عليَّ/ حتَّى [١٦٠/أ] أموت، فاعلم أنّي أخرج من الدنيا وليس أدَعُ ميراثًا غيرَ كسائي ولبدي، وإنائي الذي أتوضَّأ فيه، وكُتبي، وكانت معه صرّةٌ فيها نحو ثلاثين درهمًا، فقال: هذهِ لابني، أهداه إليه قريبٌ له، ولا أعلم شيئًا أحلَّ لي منه؛ لأنّ النبيَّ ﷺ قال: «**أنتَ ومالُك لأبيك**»[١]، فكفِّنوني منها، فإن أصبتم لي بعشرة دراهمَ ما يسترُ عورتي فلا تشتروا بخمسةَ عشر، وابسطوا على جنازتي لبدِي، وغطُّوا عليها بكسائي، وتصَدَّقوا بإنائي[٢]، أعطُوه مسكينًا يتوضَّأ فيه، ثمَّ مات اليومَ الرابع»[٣].

سمع[٤] مُحمَّدُ بن أسلمَ من أصحاب الأعمش، وأصحاب الثوريّ، والأوزاعيِّ في آخرين، وتُوفِّي فصلَّى عليه ألفُ ألفٍ تقريبًا[٥].

* * *

[أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي]

[٣١٥] ومنهم: أبو العبّاس أحمدُ بن مُحمّد بن مسروق الطوسيّ[٦].

---

(١) «مسند أحمد» (٦٩٠٢)، و«سنن ابن ماجه» (٢٢٩١)، وصحَّحه ابن الخراط في «الأحكام الوسطى» (٣: ٣٤٩)، وابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥: ١٠٢).

(٢) في (د): «بإناي».

(٣) انظر: «المنتظم» (١١: ٣٠٣-٣٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٧-٣١٨)، و«مرآة الزمان» (١٥: ١١٧-١١٨)، و«السير» (١٢: ٢٠٠).

(٤) في (ق): «سمعه».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (١٥: ١١٨).

(٦) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٦: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٣٧٧).

أصلُه من طُوس[١]، وسكن بغداد، وبها مات، وكان ذا فِراسة[٢].

قال جعفرُ بن مُحمّد: سمعت أبا العبّاس يقول: «قَدِم علينا شيخ، فكان يتكلّم بكلامٍ حسن، وكان عذبَ اللسان، جيِّدَ الخاطر، فقال لنا في بعضِ كَلامِه: كلُّ ما وقعَ لكم في خواطِركم فقولوا لي، فوقع في قلبي أنّه يهوديّ، وكان الخاطِرُ يقوَى ولا يزول، فذكَرتُ ذلك للجُرَيرِيّ[٣]، فكَبُر عليه، ثمَّ قلت: لا بدَّ أن أُخبرَ الرجلَ بذَلِك، فقلت له: تقول لنا: ما وقع في خاطرِكم فقُولُوهُ لي، إنّه يقعُ لي[٤] أنّك يهوديّ، فأطرقَ ساعةً ثمَّ رفع رأسَه، وقال: صدقت، أشهد أنّ لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنّ مُحمَّدًا رسولُ الله، ثمَّ قال: قد مارَستُ جميعَ المذاهب، فأنتم على الحقّ، وحَسُنَ إسلامه»[٥].

قال المفيد: سمعتُ أبا العبّاسِ يقول: «كانت والِدَتِي إذا كانَ يومُ الجمعةِ تبكي[٦]، تعلم أنّي لا أنصرِفُ من الجمعة إلّا عليلًا؛ لما قد سمِعتُه من الشيوخ، وكنتُ أنظر إلى شيوخي، فتكونُ رؤيتي لهم قُوتِي من الجمعة إلى الجمعة»[٧].

من كلامه النافع: «مَن راقبَ الله عزَّ وجلَّ في خطَراتِ قَلبِه عصمه في حركات جوارحِه»[٨].

---

(١) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ، تشتمل على بلدتين، يقال لإحداهما: الطابران، وللأخرى: نوقان، ولهما أكثر من ألف قرية فُتحت في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه. انظر: «معجم البلدان» (٤: ٤٩)، و«مراصد الاطلاع» (٢: ٨٩٧).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٨).

(٣) في «صفة الصفوة»: «للحريري».

(٤) «لي» ليس في (ق).

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٢٧٩)، و«الرسالة القشيرية» (٢: ٣٩٥-٣٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٨-٣١٩).

(٦) «تبكي» ليس في (ق).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٩).

(٨) انظر: «طبقات الصوفية» (١٩٢)، و«الرسالة القشيرية» (١: ١٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٩).

وقال: «أنتَ في هَدمِ عُمُرِكَ منذُ خرجتَ مِن بَطنِ أمِّك»[١].

أسند أبو العبّاس الكثير، وروى عن مُحمَّدِ بن بكارٍ ونحوه، وصَحِبَ الحارِثَ المُحاسِبيَّ وسَرِيًّا السَّقَطِيّ، وغيرَهما، وتُوفِّي في صفر سنة ثمانٍ وتسعين ومئتين، ودُفِنَ في مقابر باب حرب، وبلغ أربعًا وثمانين سنة[٢].

* * *

[إبراهيم بن طهمان]

[٣١٦] ومنهم: إبراهيمُ بن طَهْمانَ[٣].

[١٦٠/ب] من هَراة[٤]، ونشأ بنيسابور، ورحلَ[٥] في طلب العلم، وكان حسنَ الخلق سَخِيًّا، يُطعِمُ كلَّ مَن أتاه من أهل العلم[٦].

قال أبو زُرعة: سمعتُ أحمدَ بن حنبل، وذُكِرَ عنده إبراهيم، وكان مُتَّكئًا مِن عِلة، فاستوى جالِسًا، وقال: «لا ينبغي أن يُذكَرَ الصالِحون فيُتَّكأ»[٧].

ثم قال الإمامُ أحمد: حدَّثَني رجلٌ من أصحابِ ابن المبارك، قال: «رأيتُ

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية» (١٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٣٧٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣١٩).

(٣) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٦: ٢٧)، و«تاريخ بغداد وذيوله» (٦: ١٠٣)، و«المنتظم» (٨: ٢٦٥).

(٤) هراة؛ بالفتح: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة. انظر: «معجم البلدان» (٥: ٣٩٦)، و«مراصد الاطلاع» (٣: ١٤٥٥).

(٥) في (ق): «ودخل».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٣٣٧).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٠)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٣٧).

ابنَ المبارك في النومِ ومعه شيخٌ مَهِيب، فقلت: مَن هذا؟ فقال: سفيانُ الثوريّ، قلت: مِن أين أقبَلتُم؟ فقال: نحن نزور كلَّ يوم إبراهيم، قلت: فأين تزورونه؟ فقال: في دار الصدِّيقين؛ دارِ يحيى بن زكريا»[١].

أسند إبراهيمُ عن جماعةٍ من التابعين، كعبد الله بن دينار، وأبي حازم، وأقام بمكّة، ومات بها سنةَ ثلاثٍ وستِّين ومئة، ولم يخلف مثله، قاله مالِكُ بن سليمان[٢].

* * *

[أبو عُبَيد القاسم بن سلام]

[٣١٧] **ومنهم**: أبو عُبَيد القاسمُ بن سَلّام[٣]، من هَراة[٤].

وكان أبوه عبدًا روميًا، وكان عالمًا بالقراءات واللغة والغريب[٥]، وصنَّف الكتبَ الكثيرةَ في فنون، وكان ذا فضلٍ وورعٍ وجُود[٦].

قال ابنُ عرعرة: «طَمِعَ طاهِرُ بن عبد الله أن يَسمعَ من أبي عُبَيد، وأن يأتِيَه في منزِله، فلم يفعل أبو عُبَيدٍ حتى كان هو يأتِيه، وقَدِم أبو عُبَيد على ابن المَدِينيّ،

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (٧: ١٣)، و«المنتظم» (٨: ٢٦٦)، و«إكمال تهذيب الكمال» (١: ٢٢١).
(٢) انظر: «الثقات» لابن حبان (٦: ٢٧)، و«تاريخ بغداد وذيوله» (٦: ١٠٣)، و«المنتظم» (٨: ٢٦٥).
(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٤: ٣٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٠)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٢٥٧).
(٤) انظر: «تاريخ بغداد» (١٤: ٣٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٠).
(٥) في (ق) و(د): «والعربية».
(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (١٤: ٣٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٠)، و«وفيات الأعيان» (٤: ٦٠).

وعلى عَباسٍ[١] العَنبَرِيّ، فأرادا أن يَسمَعا «غريبَ الحديث»، فكان يحمل كلَّ يومٍ[٢] كتابَه ويأتيهما في منزلهما فيحدِّثُهما به»[٣].

قال عبدُ الله بن الإمام أحمد: «عرضت كتابَ «**غريبِ**[٤] **الحديث**» لأبي عُبَيدٍ على أبي، فاستحسَنَه، وقال: جزاه الله تعالى خيرًا»[٥].

قال أبو بكر الأنباريّ: «كان أبو عُبَيدٍ يُقسِّمُ الليلَ أثلاثًا: يُصلِّي ثلثَه، وينامُ ثُلُثَه، ويضعُ الكتب ثلثَه»[٦].

قال أحمدُ بن كامل: «كان أبو عُبَيدٍ فاضلًا في دينِه وعلمِه، ولا أعلمُ أحدًا من الناس طعن عليه في شيءٍ من أمرِ دِينِه»[٧].

أقام أبو عُبَيدٍ ببغدادَ مدّةً طويلة، ثمَّ وُلِّي القضاءَ بطَرَسُوس[٨]، ثمَّ خرج

---

(١) في (د): «وعلى ابن عياش».
(٢) قوله: «يوم» ليس في (ق).
(٣) «به» ليس في (ق)، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٧٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢١)، و«إنباه الرواة على أنباه النحاة» (٣: ١٧).
(٤) «غريب» مثبت من المصادر.
(٥) انظر: «نزهة الألباء» (١١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٠).
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٧٧)، و«نزهة الألباء» (١١١)، و«المنتظم» (١١: ٩٧).
(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٧٢)، و«نزهة الألباء» (١١٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢١).
(٨) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة، بوزن قربوس، كلمة عجمية رومية، مدينة بين أنطاكية وحلب. مدينة جليلة سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام ابن نوح عليه السلام، وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان كان خادمًا للرشيد في سنة نيف وتسعين ومائة. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» (٣: ٨٩٠)، و«معجم البلدان» (٤: ٢٨)، و«آثار البلاد وأخبار العباد» (٢١٩).

إلى مكّةَ في سنة أربع وعشرين ومئتين[١]، وهو ابنُ سبع[٢] وستِّين سنة[٣].

* * *

[إبراهيم بن علي الخراساني]

[٣١٨] ومنهم: إبراهيمُ بن عليٍّ الخراسانيّ[٤]، الهَرَويّ.

قال إبراهيمُ الخوّاص: «نزلت إلى مَشرَعةِ الساج من بغداد، وكان الماءُ مَدًّا، والريحُ تلعَبُ بالموج، فرأيت رجلًا بين الموج يمشي على الماء، فسجدتُ وجعَلتُ بيني وبين الله تعالى ألّا أرفع رأسي حتّى أعلمَ مَن الرَّجُل، فلم أُطِل في السجودِ حتّى حرَّكَني، وقال لي[٥]: قم ولا تُعاوِد؛ فأنا إبراهيمُ الخُراسانيّ»[٦].

وقال[٧] أبو سعيد: قال إبراهيم: «بَينا رجلٌ في مسير له[٨] في يومٍ صائفٍ إذ عدل إلى شِعبٍ/ [١٦١/أ]، فأصاب فيه مغارةً، فدَخلَ فيها، فما لَبِثَ أن دَخَل ثعبانٌ كأنّه النخلة، فتطوَّق في شقِّ المغارة، فجعل ينظر إليّ، فقلت في نفسي: لعلّي رِزقٌ له، وبهذا أُمِر، فما لبث أن خرج، ثمَّ دخل إليَّ وفي فِيهِ رغيف حُوّارَى، قد ذهب

---

(١) في (ق) و(د): «خرج إلى مكة سنة تسع عشرة ومئتين»، قال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩ : ٨٢): «خرج أبو عبيد ـ يعني القاسم بن سلام ـ إلى مكة سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وقد قيل: إنه إنما خرج إلى مكة سنة أربع وعشرين»، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٤ : ٤٠٥).

(٢) في (ق) و(د): «تسع».

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩ : ٦٢)، و«صفة الصفوة» (٢ : ٣٢١)، و«إنباه الرواة» (٣ : ١٣).

(٤) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢ : ٣٢٢). (٥) «لي» ليس في (د).

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (٦ : ٤٩٣)، و«صفة الصفوة» (٢ : ٣٢٢).

(٧) في (ق): «قال». (٨) في (ق) و(د): «منزله».

منه عضه، فوضعه عندَ رأسي ورجع إلى موضعه، فتطوَّق فيه، فقُمت فأكلت الرغيف، فلما برَد النهارُ خرجت، فسِرتُ فلقيني رُفقة، فقالوا: مِن أين جئتَ؟ قلت: مِن هذا الشِّعب، فقالوا: هل رأيتَ ما رأينا؟ قلت: وما هو؟ فقالوا: اعترَضَنا ثعبانٌ وقام على ذَنَبِه ونفخ[١] وكان معنا إنسانٌ ظريفٌ فيه أدب، فقال: أظنُّ هَذا جائِعًا، فرمى إليه رغيفًا حُوّارَى، فأخذه الثعبانُ ومضى، فقلت: أنا أكلتُ الرغيف، ومضيتُ وخلَّيتُهم»[٢].

قال إبراهيم: «احتَجتُ يومًا إلى الوضوء، فإذا أنا بكوزٍ من ماءٍ وسواكٍ رأيتُه من فضّة ألينَ من الخزّ، فاستَكتُ وتوضَّأت، وتركتهما وانصرفت»[٣].

قال أبو سعيدٍ الخرّاز: قال لنا إبراهيم: «بَينا أنا في بعض سِياحَتي، وقد بَقِيت أيّامًا كثيرةً لم أرَ فيها أحدًا من الناس، ولا طائرًا، ولا ذا رُوح، وكنت في ذلك الحالِ مُستقِلًّا بلا طعام ولا شراب، فوقَع في نفسي أنِّي في معنًى، فخرج عليَّ شخصٌ مع الخاطرِ لا أدري من أين خرج، فقال: إبراهيمُ ذاك المرائي، تعرفه؟ قلت: أنا هو، وكان إلى جنبي شجرة، فقال لي[٤]: قل لهذه الشجرة تحمِل دنانير، فقلت لها: احمِلي دنانير، فلم تحمل، ثمَّ قال لها: احمِلي، فإذا بشماريخَ دنانيرَ مُعلَّقة، فاشتغَلتُ أنظر إليها، ثمَّ التفتُّ فلم أرَ الشخص، وذهَبَت الدنانيرُ من الشجرة»[٥]، والله أعلم.

* * *

---

(١) في (ق) و(د): «ونهج».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٢).

(٣) انظر: «تلبيس إبليس» (٣٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٢).

(٤) «لي» ليس في (د).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٢).

[عبد الله بن المبارك]

[٣١٩] ومنهم: عبدُ الله بن المبارك[١].

من أهل مَرو، يُكنَّى: أبا عبد الرَّحمَن، وكان أبوهُ عبدًا تركيًّا، وكانت أمُّه تركيّةً خوارزميّة.

وُلِد سنةَ ثمانٍ عشرةَ ومئة، وقيل: تسعَ عشرة، أخبَرَ غيرُ واحدٍ من أهلِه أنّه ما دخل الحَمّام قطُّ[٢].

قال الحسن: كانت دارُ ابنِ المبارك بمَرو كبيرةً، صحنُ الدار خمسين[٣] ذراعًا في خمسين ذراعًا، وكنتَ لا تحبُّ أن ترى صاحِبَ علمٍ أو صاحِبَ عبادة، أو صاحِبَ قدرٍ بمرو إلّا رأيتَه في داره، يجتَمِعُون[٤] كلَّ يومٍ يتذاكَرُون حِلقًا، حتّى إذا خَرجَ ابنُ المباركِ انضمُّوا إلَيه، فلمّا صار ابنُ المباركِ بالكُوفة نزل في دارٍ صغيرة، فكان يخرج إلى الصلاة، ثمَّ يرجع ولا يأتيه كبيرُ[٥] أحد، فقلت: أبا عبد الرحمن، [١٦١/ب] ألا تَستَوحِش هنا مع الذي كنتَ فيهِ بمَرو؟ فقال: إنّما فرَرتُ من الذي تراك تُحبُّه، وأحبَبتُ أنا الذي أراك تكرهه، ولا يكون أمرٌ إلّا سألوني فيه، وأنا هنا في عافيةٍ من ذلك»[٦].

قال الحسن: «وكنت معه يومًا، فأتينا سقايةً والناسُ يشربون منها، فدَنا

---

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ١٧٩)، و«الثقات» لابن حبان (٧: ٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٣٠٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٣).

(٣) في (د): «خمسون».

(٤) في (ق): «مجتمعون».

(٥) في «صفة الصفوة»: «كثير».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٣).

ليشربَ ولم يعرفه الناس، فزَحَمُوه ودَفَعُوه، فلمّا خرج قال: ما العيشُ[١] إلّا هكذا، يعني: حيث لم يُعرَف، ولم يُوقَّر»[٢].

قال الحسن: «وبَينا هو يقرأ عليَّ كتابَ «**المناسك**» انتهى إلى حديثٍ فيه: قال عبدُ الله: وبه نأخُذ، فقال: ومَن أنا حتَّى يُكتَبَ قَولي؟ فلم يَزَل يَحُكُّه بيده حتَّى دَرَس، رحمة الله تعالى عليه»[٣].

وكان يُكثِر الجلوسَ في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: «كيف أستوحِشُ وأنا مع النبيِّ ﷺ!»[٤].

قال عبدُ الرحمنِ بن مَهديّ: «ما رأت عيناي أنصحَ لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك، وما رأت عيناي مثلَ سفيانَ الثوريّ، ولا أُقدِّمُ على عبدِ الله بن المبارك أحدًا»[٥].

قال شقيقُ بن إبراهيم: قال عبدُ الله: «إذا كانت سنةُ مئتين فالبعدُ من كثير من الناسِ أقربُ إلى الله، وفِرَّ من الناس فرارَك من الأسد، وتَمسَّك بدينك؛ ليَسلَم[٦] لك»[٧].

قال الحسينُ المروزيّ: قال عبدُ الله بن المبارك: «كن مُحِبًّا للخُمولِ كراهيةَ الشُّهرة، ولا تُظهِر من نفسك أنّك تحبُّ الخمولَ فترفَع نفسك؛ فإنّ

---

(١) في (د): «العيش».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٣).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٣).
(٤) انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (١٣٣)، و«ترتيب المدارك» (٣: ٤٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٤٥٨).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٤).
(٦) في (ق): «يسلم».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٤).

دعواكَ الزُّهدَ في نفسِك هو خروجُك من الزُّهدِ؛ لأنّك تَجُرُّ إلى نفسِك الثناءَ والمِدحةَ»[١].

قال نُعَيمُ بن حمّاد: «كان ابنُ المبارك إذا قرأ كتابَ «**الرقاق**» فكأنّه بقَرةٌ منحورةٌ من البكاء، ولا يجترِئُ أحدٌ منّا أن يدنوَ منه، أو يسألَه عن شيءٍ»[٢].

قال سفيان: «إنِّي لأشتهي من عمري أن أكونَ مثلَ عبد الله بن المبارك سنةً واحدة، فما أقدِرُ أن أكون ولا ثلاثةَ أيّام»[٣].

قال سفيانُ بن عُيينة: «نظرتُ في أمرِ الصحابة وأمرِ ابن المُبارَك، فما رأيت لهم فضلًا إلّا بصُحبَتِهم النبيَّ ﷺ وغَزوِهم معه»[٤].

قال حِبّانُ بن موسى: «عُوتِبَ ابنُ المبارك فيما يُفرِّقُ من المالِ في البلدان ولا يفعلُ في أهل بلده؟ فقال: إنِّي أعرف مكانَ قومٍ لهم فضلٌ وصِدق، طلبوا الحديثَ فأحسَنوا الطلب، فاحتاجوا، فإن تركناهم ضاعَ عِلمُهم، وإن أعنّاهم بَثُّوا العلمَ لأمّة مُحمَّدٍ ﷺ، ولا أعلَمُ بعد النبوّةِ أفضلَ مِن بَثِّ العلم»[٥].

قيل لعبد الله: «إلى متى تكتب الحديث؟ فقال: لعلَّ الكلمةَ/ التي أنتفِعُ بها ما كتَبتُها»[٦]. [١٦٢/أ]

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٤-٣٢٥).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٤٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٥).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٤١٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٥).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٤١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٥)، و«مرآة الزمان» (١٣: ١٤).

(٥) انظر: «تذهيب تهذيب الكمال» (٥: ٢٧٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٣٨٧).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٤٠٨)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠).

قال الحُسَينُ بن أحمدَ المَروزيّ: سمعت ابنَ المبارك يقول: «أهلُ الدنيا خرجوا منها قبل أن يتطعَّموا بأطيبِ ما فيها، قيل: وما أطيبُ ما[1] فيها؟ فقال: المعرفةُ بالله عزَّ وجلّ»[2].

قال قطنُ بن سعيد: «ما أفطَرَ ابنُ المبارك، ولا رُؤي صائِمًا قطُّ»[3].

قال عليُّ بن الحسَن[4]: سمعتُ ابنَ المبارك يقول: «لأن أرُدَّ دِرهَمًا مِن شُبهةٍ أحَبُّ إليَّ مِن أن أتَصَدَّقَ بمئةِ ألفٍ ومِئة ألف، حَتَّى[5] بلغَ سِتَّ مِئةِ ألف»[6].

قيل لابن المبارك: «ما التواضعُ؟ قال: التكبُّرُ على الأغنياء»[7].

وقال عبدُ الله بن المبارك: لَوْ أَنَّ رَجُلًا، اتَّقَى[8] مِائَةَ شَيْءٍ ولم يتَّقِ[9] شيئًا واحدًا لم يكن من المُتَّقين، ولو تورَّع عن[10] مئة شيء، ولم يتورَّع عن شيءٍ واحدٍ لَم يَكُن ورِعًا[11]، ومَن كان فيه خلّةٌ من الجَهل كان من الجاهلين، أما[12] سَمِعتَ الله عزَّ وجلَّ يقول لنوح عليه السلامُ لما قال: ﴿إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥]، فقال الله عزَّ وجلّ: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦][13].

---

(١) قوله: «ما» ليست في (ق).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٦)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٠).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٦).

(٤) في (د): «الحسين».

(٥) «حتى» ليس في (د).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠).

(٧) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١: ٢٨٠)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠).

(٨) في (ق) و(د): «اتقى الله».

(٩) في «صفة الصفوة»: «أبقى».

(١٠) في (د): «من».

(١١) في (د): «لم يكن من المتورعين».

(١٢) في (ق): «أنا».

(١٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٦)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢٣٦).

وقال: «ما أعيانِي شيءٌ ما أعياني أنّي لا أجِدُ أخًا في الله عزَّ وجلَّ»[١].

قال سُلَيمانُ بن داود: سألتُ ابنَ المبارك: «مَن الناسُ؟ قال: العلماء، قلت: فمَنِ المُلُوكُ؟ قال: الزُّهاد، قُلتُ[٢]: فمَن السِّفلةُ؟ قال: الذين يعيشون بدينِهم»[٣].

قال أحمدُ المَروَزيّ: «قيل لابن المبارك: إنّ إسماعيلَ بن عُلَيّةَ قد وُلِّي الصدقات، فكتب إليه عبدُ الله بن المبارك[٤]:

يا جاعِلَ العِلمِ لَهُ بازِيًّا	يَصطادُ أموالَ المَساكِينِ
احتَلتَ للدُّنيا ولَذّاتِها	بحِيلةٍ تَذهَبُ بالدِّينِ
فَصِرتَ مَجنُونًا بها بَعدَما	كُنتَ دَواءً للمَجانِينِ
أينَ رِواياتُكَ فِي سَردِها	عَنِ ابنِ عَونٍ وابنِ سِيرِينِ
أينَ رِواياتُكَ والقَولُ في	لُزُومِ أبوابِ السَّلاطِينِ
إن قُلتَ أُكرِهتُ فماذا؟ كَذا	زَلَّ حِمارُ العِلمِ فِي الطِّينِ

فلمّا قرأ الكتابَ بكى واستعفى»[٥].

قال محمد بن عليِّ بن الحسن[٦]: سمعتُ أبي يقول: «كان ابنُ المبارك إذا كانَ وقتُ الحجِّ اجتمعَ إليه إخوانُه من أهل مَرو، فيقولون: نصحَبُك يا أبا عبد الرحمن، فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٦). (٢) في (د): «فقلت».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠).

(٤) الأبيات من السريع، وانظر: «أخبار القضاة» (٣: ١٦٩)، و«روضة العقلاء» (٣٧)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١: ٦٣٧).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٢٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٣: ١٥-١٦).

(٦) في (ق): «علي بن الحسن»، وفي (د): «علي بن الحسين».

ثمَّ يكتري لهم ويُخرِجهم من مرو إلى بغدادَ بأحسنِ زيٍّ وأكملِ مروءة، حتَّى يَصِلوا إلى مدينة رسول الله ﷺ، ثمَّ يقول لكلِّ رجلٍ منهم: ما أَمَرَكَ[1]/ عِيالُكَ أن تَشتَريَ[2] لهم مِنَ المَدِينة مِن طُرَفِها؟ فيَقُول: كذا. [١٦٢/ب]

ثم يُخرِجُهُم إلَى مَكّة، فإذا قَضَوا حَجَّهُم قالَ لكُلِّ واحِدٍ مِنهُم: ما أَمَرَكَ عِيالُكَ أن تَشتَرِيَ لَهُم مِن[3] مَتاعِ مَكة، فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ولا يَزال يُنفِقُ عليهم حتَّى يصيروا إلى مَرو، فإذا وصلوا جَصَّص أبوابهم ودُورَهم، فإذا كان بعدَ ثلاثةِ أيّامٍ صنع وليمةً وكساهم، فإذا أكَلوا وشرِبوا دعا بالصندوقِ ففَتحَه، ودَفعَ إلى كلِّ رجلٍ منهم صُرَّتَه بعد أن كتبَ عليها اسمَه»[4]، رضي الله عزَّ وجلَّ عنه.

وكان رضي الله عنه يتَّجِرُ ويقول للفُضَيل: «لولاك وأصحابُك ما اتَّجَرت، وكان ينفق في كلِّ سنةٍ على الفقراءِ مئةَ ألف»[5].

قال له رجل: أوصِني، فقال: «اعرف قَدرَك»[6].

---

(١) في (د) و(ق): «ما أمرك في» في الموضعين.

(٢) في (ق): «نشتري».

(٣) قوله: «المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من» ليس في (ق).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٤٥٢-٤٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٧)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١٦: ٢١).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٤٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٧)، و«تهذيب الكمال» (١٦: ٢٢).

(٦) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١: ٢٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٩).

وقال له رجل: «هل تعرِف مَن[١] يَنصَح؟ فقال: وهل تعرِفُ مَن يَقبَل؟»[٢].

وكان رضي الله عنه يُطعِم رُفقَته الخَبِيصَ من مَرو إلى مكّةَ وهو صائِمٌ[٣].

قال عَبدة[٤] بن سُلَيمان: «كنّا في سَرِيةٍ مع ابن المبارك في بلادِ الرُّوم، فصادَفنا العدوّ، فلمّا التقى الصفّان خرجَ رجلٌ من العدوّ، فدعا إلى البِراز، فخرج إليه رجلٌ فطارَدَه ساعة، فطعنه وقتله، ثمَّ آخَرُ فقتله، ثمَّ آخرُ فقتله، ثمَّ دعا إلى البِراز، فخرج إليه رجلٌ فطارده ساعة، فطعنه فقتله، فازدحم عليه الناس، فكنت فيمن زُوحِمَ عليه، فإذا رجلٌ يَلثُم وجهَه بكُمِّه، فأخذتُ بطَرفِ كُمِّه فمَددتُه، فإذا هو عبدُ الله بن المبارك، فقال لي: وأنتَ يا أبا عمرو ممَّن يُشنِّع علينا؟»[٥].

قال أبو وهب: «مرَّ ابنُ المُبارك بأعمى، فقال له: أسألكَ أن تدعُوَ الله عزَّ وجلَّ أن[٦] يردَّ عليَّ بصري، فدعا له، فرَدَّ الله عزَّ وجلَّ عليه بصرَه وأنا أنظر»[٧].

قال الحَسنُ بنُ عرفة: قال لي ابنُ المبارك: «استعَرتُ قلمًا بأرضِ الشام وهو معي بمَرو، فرجعت إلى أرضِ الشّامِ حتَّى رَدَدتُه على صاحِبِه»[٨].

---

(١) في «صفة الصفوة»: «بقي من».

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٨: ٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٩).

(٣) انظر: «المنتظم» (٩: ٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٩)، و«مرآة الزمان» (١٣: ١٨).

(٤) في (د): «عبادة».

(٥) انظر: «المنتظم» (٩: ٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢٣٢)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٥: ٢٨١).

(٦) «أن» ليس في (د).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٤٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٠).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٠).

قال ابنُ المبارك: «طلبنا العلمَ للدُّنيا، فدَلَّنا على تركِ الدُّنيا»[١].

وقال: «إن الصالحينَ فيما مضى كانت أنفسُهم تُواتِيهم على الخير عفوًا، وإنّ أنفسَنا لا تكادُ تُواتِينا إلّا على كُره، فينبغي لنا أن نُكرِهها»[٢].

أدركَ ابنُ المبارك جماعةً من التابعين؛ منهم: هشامُ بن عروة، وسليمانُ التيميّ، وحُمَيدٌ الطويل، وغيرُهم، وروى عن كبارِ الأئِمّة، كالثوريِّ والأوزاعيّ، وشعبة، وغيرِهم، وكان أحدَ أئمّةِ المسلمين، وتُوفِّي بهيت مُنصرفًا من الغَزوِ[٣] لثلاثَ عشرةَ من رمضانَ سنةَ إحدَى وثَمانِينَ ومئة، وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين سنة[٤].

[١٦٣/أ] قال مُحمدُ بن فُضَيل بن عياض[٥]: «رأيت ابنَ المبارك/ في المنام، فقلت: أيُّ الأعمالِ وجدتَ أفضلَ؟ قال: الأمرُ الذِي كنتُ فيه، قلت: الرباطُ والجهادُ؟ فقال: نعم»[٦].

* * *

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» (٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٠)، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه» (٣: ٥٦٧).

(٢) انظر: «ذم الهوى» (٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٠)، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه» (٢: ٢١١).

(٣) في (د): «العدو».

(٤) انظر: «الهداية والإرشاد» للكلاباذي (١: ٤٣٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٤٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٠-٣٣١).

(٥) في (ق): «محمد بن فصيل بن عافر».

(٦) انظر: «شعب الإيمان» (٤٠١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣١)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٤: ٣١).

[محمد بن نصر المروزي]

[٣٢٠] **ومنهم:** أبو عبد الله مُحمدُ بن نصرٍ المَروزيّ، الفقيهُ المُحدِّث[١].

قال أبو بكر أحمد[٢]: «ما رأيتُ أحسنَ صلاةً من أبي عبدِ الله المَروَزيّ، ولقد بلغني أنّ زُنبورًا قعد على جَبهتِه، فسالَ الدمُ على وجهِه ولم يتحرَّك»[٣].

أسند عن يحيى بن يحيى، وابن راهَوَيه، وخلقٍ كثير[٤].

وكان مولدُه في سنة ثنتَين ومئتَين[٥]، وتُوفِّي سنةَ أربع وتسعين[٦].

* * *

[عبد الله بن أحمد الرباطي المَروزي]

[٣٢١] **ومنهم:** عبدُ الله بن أحمدَ الرِّباطيُّ المَروَزيّ[٧]، وكانَ الجُنَيدُ يمدحه[٨].

قال مصعب بن أحمدَ بن مُصعب[٩]: «قَدِم عبدُ الله بغدادَ يريد مكّة، وكنت

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ١٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٩٢-٩٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٢: ٢٩٥).

(٢) في (ق) و(د): «أبو بكر بن أحمد».

(٣) انظر: «شعب الإيمان» (٢٩٠٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ١١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٩٣).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٩٣).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٩٣).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٩٤).

(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٢)، و«البداية والنهاية» (١٤: ٧٢٢).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٢)، و«البداية والنهاية» (١٤: ٧٢٢).

(٩) في (ق) و(د): «قال أحمد بن مصعب»، والمثبت موافق لما في المصادر.

أُحِبُّ أن أصحبَه، فأتيتُه واستأذَنتُه في الصحبة، فلم يأذَن لي في تلك السنة، ثمَّ قَدِم سنةً ثانيةً وثالثة، فأتَيتُه وسلَّمت عليه، وسَألتُه الصحبة، فقال: اعزِم على شرطِ أن يكونَ أحدُنا الأميرَ لا يُخالِفُه الآخَر.

فقلت: أنت الأمير، فقال: فلا تَعصِني، فقلت: نعم، فخرَجت معه، فكان إذا حضر الطعامُ يُؤثِرُني، فإذا عارضته بشيء قال: ألم أشرط[1] عليك ألّا تخالِفَني؟ فكان هذا دأبَنا، فنَدِمت على صُحبَتِه؛ لما يُلحِقُ نَفسَه من الضَّرَر.

وأصابَنا في بعض الأيامِ مطرٌ شديدٌ ونحن نسير، فقال لي: اطلُب الميل، ثمَّ قال: اقعد في أصلِه، فأقعَدَني في أصله، وجعل يدَيه على الميل[2] قد حنَى عليّ، وعليه كساءٌ قد تجلَّل[3] به يُظِلُّني من المطر، حتَّى تمنَّيت أنّي لم أخرُج معه؛ لما يُلحِقُ نفسَهُ مِن الضَّرَر، فلم يَزَل هذا دأبَه حتى دخل مكة»[4].

* * *

[عبد الله بن المنير المروزي]

[٣٢٢] ومنهم: عبدُ الله بن المُنيِّر المَروَزيّ[5].

قال يحيى بن بَدر[6] القرشيّ: «كان عبدُ الله بن المُنيِّر يومَ الجمعةِ قبل الصلاة بقَزوِين، فإذا كان[7] وقتُ الصلاةِ يرَونَه في مسجدِ آمُل، فكانوا يقولون: إنّه

---

(١) في (ق): «تشرط».

(٢) جاء بعدها في «صفة الصفوة»: «وهو قائم».

(٣) كذا في «المنتظم»، و«صفة الصفوة»، وفي (ق) و(د): «تخلل».

(٤) انظر: «تاريخ بغداد» (١١: ١١)، و«المنتظم» (١٣: ١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٢).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٢)، و«تهذيب الكمال» (١٦: ١٧٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٣١٨).

(٦) في (ق): «عبد الله بن يزيد القرشي»، وفي (د): «عبد الله بن بدر القرشي».

(٧) في (ق): «كانت».

يمشي على الماء، فقيل له: إنّك تمشي على الماء؟ فقال: أمّا المشيُ على الماءِ فلا أدري، ولكن إذا أراد الله عزَّ وجلَّ جَمعَ حافَّتَيِ النهر حتى يعبرَ الإنسانُ»[١].

وكان إذا خَرجَ إلَى البَرِّية يجمع شيئًا مثلَ الأُشنانِ وغَيرِه، ويدخل السوقَ فيَبيع ذلك، فيتَعيَّش به، فخرج يومًا مع أصحابه، فإذا هو بالأسدِ رابضٌ على الطريق، فقيل له: هذا الأسد، فقال لأصحابِه: قِفُوا، ثمَّ تقدَّم وحدَه إلى الأسد، فلا ندري [١٦٣/ب] ما قال له، فمَرَّ الأسد، فقال لأصحابِه: مُرُّوا[٢].

* * *

[الضحاك بن مزاحم]

[٣٢٣] ومنهم: الضحّاكُ بن مُزاحِم[٣]، يُكنَّى: أبا القاسم، بَلخيّ[٤].

حَمَلت به أمُّه سنتَين[٥]، وكان يُعلِّم ولا يأخذُ أجرًا[٦]، أصلُه من الكوفة، ثمَّ أقام ببلخ[٧].

قال قَبِيصةُ بن قيسٍ العنبريّ: «كان الضحّاكُ إذا أمسَى بَكَى، فقيل له: ما

(١) انظر: «المنتظم» (١٢: ١٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٣١٩).

(٢) انظر: «المنتظم» (١٢: ١٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٣١٩).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٠٠)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٣٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣)، و«السير» (٤: ٥٩٨)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٧: ٢٩).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٠٠)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٣٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣)، و«السير» (٤: ٥٩٨)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٧: ٢٩).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٣٠٠)، و«الأنساب» للسمعاني (١٣: ٤٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ١١٣).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣).

يُبكيكَ؟ فقال: لا أدري ما صعدَ اليومَ مِن عَمَلِي»[١].

تُوفِّي الضحّاكُ سنةَ ثِنتَين، وقيل: خمسٍ ومئة[٢].

* * *

[عطاء بن أبي مسلم]

[٣٢٤] **ومنهم:** عطاء بن أبي[٣] مُسلم[٤].

وفي اسمِ أبيه قولان؛ **أحدُهما:** ميسرة، **والثاني:** عبدُ الله[٥].

وفي كنية عطاءٍ قولان أيضًا؛ **أحدُهما:** أبو عثمان، **والثاني:** أبو أيوب، وأصلُه من بلخ[٦]، وكان من أهل العلم والصلاح[٧].

قال عبدُ الرحمن بن يزيد: «كنّا نُغازي، فكان عطاء يُحيِي الليلَ كلَّه صلاةً، فإذا ذهب ثلثُ الليل أو نصفُه نادانا وهو في فسطاطِه: يا عبدَ الرحمن، يا هشام، يا فلان، يا فلان، قوموا فتوضَّؤوا وصلُّوا[٨]؛ فإنّ قيامَ الليلِ وصيامَ النهار أيسَرُ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣)، و«تهذيب الكمال» (١٣: ٢٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ١١٣).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣)، و«تهذيب الكمال» (١٣: ٢٩٧)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ١١٤).

(٣) «أبي» ليس في (د).

(٤) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٤١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٣٤)، و«السير» (٦: ١٤٠).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٠: ٤١٦).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٤١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٣٤).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣).

(٨) في (د): «وضوءًا».

من شرابِ الصديدِ ومُقطَّعات الحديد؛ الوحا الوحا، النجا النجا[١]، ثمَّ يُقبِل على صلاته»[٢].

وكان يقول: «مَجالِسُ الذِّكر هي مَجالِسُ الحَلالِ والحَرام»[٣].

وكان يقول: «ما مِن عبدٍ يسجدُ لله تعالى سجدةً في بقعةٍ من بقاعِ الأرضِ إلا شَهِدَت له يومَ القيامة، وبَكَت عَلَيهِ يَومَ يَمُوتُ»[٤].

قال عمرُ[٥] بن أبي خليفة: قال: «سمعتُ عطاءً[٦] وصلَّى معنا المغرب، فأخذ بيدي حين انصرفنا، فقال لي: ترى هذه الساعةَ ما بين المغرب والعشاء؟ فإنّها ساعةُ الغفلة، وهي[٧] صلاةُ الأوّابين»[٨].

وكان يقول: «لا أُوصيكم بدنياكم، أنتم بها مُستوصون، وأنتم عليها حُرّاص، وإنّما أوصيكم بآخِرَتِكم، خُذُوا من دارِ الفَناءِ[٩] لدارِ البَقاء، اجعلوا الدنيا كشيءٍ فارَقتُموه، فوالله لتُفارِقُنّها، واجعلوا الموتَ كشيءٍ ذُقتُموه، فوالله لتذوقُنَّه، فمَن أخذ لسفره الذي يُصلِحه اغتبط، ومَن خرج لسفرٍ لم يأخذ

(١) «النجا» ليس في (ق).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٩٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٤٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٩٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٤٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٤).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٤).

(٥) في (ق): «عمرو».

(٦) بعدها في (د): «يقول».

(٧) في (د): «وهو».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٤).

(٩) في (د): «الدنيا».

أُهبَتَه(١) ندِم، فإذا أضحى لم يجد ظِلًّا، وإذا ظَمِئَ لم يجد ماءً يتروَّى به، وسفرُ الدنيا مُنقطِع، وإنّ أكيسَ الناس مَن قام يتَجهَّزُ لسَفرٍ لا ينقطع»(٢).

أسند عطاءٌ الخراسانيُّ عن ابن عمر، وابن عبّاس، وأنس، وأبي هريرة، في آخرين من الصحابة رضي الله عنهم(٣).

وتُوفِّي سنة خمسٍ وثلاثين ومئة(٤).

* * *

[إبراهيم بن أدهم]

[٣٢٥] **ومنهم**: إبراهيمُ بن أدهم(٥)، يُكنَّى: أبا إسحاق، بلخيٌّ(٦).

قال يونسُ بن سليمانَ البلخيّ: «كان إبراهيمُ من الأشراف، وكان أبوه كثيرَ المال والخدم،/ [١٦٤/أ] فخرج إبراهيمُ يومًا في الخدم مع الغِلمان والبُزاة، فبَينا إبراهيمُ في ذلك يركُضُ فرسُه إذ هو بصوتٍ من فوقه: يا إبراهيم، ما هذا العبث؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، اتَّقِ الله عزَّ وجلّ،

(١) في (ق) و(د): «أهبة».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٣٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٣٥).

(٥) انظر ترجمته في: «مشاهير علماء الأمصار» (٢٩٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٢٧٧)، و«تهذيب الكمال» (٢: ٢٧)، و«السير» (٧: ٣٨٧).

(٦) انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (٢٩٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٢٧٧)، و«تهذيب الكمال» (٢: ٢٧)، و«السير» (٧: ٣٨٧).

وعليك بالزادِ ليوم الفاقة، قال: فنزل عن دابَّتِه، ورفض الدنيا، وأخذ في عمل الآخرة»[١].

قال بشرُ[٢] بن المنذر: «كنتَ إذا رأيتَ إبراهيمَ بن أدهم كأنّه ليس فيه روح، لو نفخَته الريحُ لوقع، قد اسودّ، مُتدرِّعٌ بعباءة»[٣].

قال ابنُ بشّار: «مَضَيتُ مع ابنِ أدهم إلى مدينة طرابلسَ ومعي رغيفان، ما لنا شيءٌ غيرُهما، وإذا سائلٌ يسأل، فقال لي: ادفع إليه ما معك، فتثبَّتّ، فقال لي: ما لك! أعطِه، فأعطيته وأنا مُتعجِّبٌ من فِعله، فقال لي: يا أبا إسحاق، إنّك تلقى غدًا ما لم[٤] تلقَه قطّ، واعلم أنّك تلقى ما أسلَفت، ولا تلقَى ما خلَّفت، فمَهِّد لنفسك؛ فإنّك لا تدري متى يَفجَؤُكَ أمرُ ربِّكَ[٥].

قال: فأبكاني كلامُه وهوَّن عليَّ الدنيا، فلمّا رآني أبكي قال: هكذا كن»[٦].

قال ابنُ بشّار: «خَرَجتُ أنا وابنُ أدهم وأبو يوسفَ الغسوليُّ وأبو عبدِ الله السِّنجاريُّ نريد الإسكندريّة، فمرَرنا بنَهر يقال له: نهرُ الأردن، فقعَدنا نستريح، وكان مع أبي يُوسف كُسَيراتٌ يابساتٌ، فألقاها بين أيدينا، فأكَلناها وحمدنا الله عزَّ وجلّ، فقمت أسعى أتناول ماءً لإبراهيم، فبادَر ودخل الماء، وبسطَ[٧]

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٢٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٤٥).

(٢) في «صفة الصفوة»: «بشير».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٥٦).

(٤) «لم» ليس في (ق).

(٥) في (ق): «يفجأوك أمرك».

(٦) انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (٥٨٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٥).

(٧) في (ق): «فقال».

بكفَّيه في الماء فملأهما، ثمَّ قال: باسم الله، وشرب، ثمَّ قال: الحمدُ لله، ثم ملأ كفَّيه وقال: باسم الله، وشرب، ثم قال: الحمد لله، ثمَّ خرج من النهر، فمدَّ رِجلَيه، ثمَّ قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوكُ وأبناءُ الملوك ما نحن فيه مِن النَّعِيم والسُّرور لجالَدونا[1] عليه بالسيوف أيّام الحياة.

فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القومُ الراحةَ والنعيم، فأخطؤوا الطريقَ المستقيم، فتبسَّم وقال: من أين لك هذا الكلامُ؟»[2].

قال شقيق: «قلتُ لإبراهيم: تركتَ خراسان، فقال: ما تهنَّيتُ بالعيش إلّا في بلادِ الشّام، أفرُّ بديني من شاهِقٍ إلى شاهِق، ومن جبلٍ إلى جبل، فمن يَراني يقول: هو مُوَسوِس، هو حَمّال، يا شقيق، لم يَنبُل عندنا مَن نَبُلَ بالحجِّ والجهاد، وإنّما نبُلَ مَن كانَ يعقل ما يدخل جوفَه»[3].

قال شقيق: «بَينا نحن ذاتَ يومٍ عند ابنِ أدهم إذ مرَّ به رجل، فقال إبراهيم: أليس هذا فلان؟ فقيل: نعم، فقال لرجل: أدركه فقل له: يقول لك إبراهيم: لِمَ لم تُسَلِّم؟ [١٦٤/ب] فقال: إنّ امرأتي وضعت، وليس عندي شيء، فخَرَجت شبهَ المجنون، فرجعتُ إلى إبراهيم، فقلت له، فقال: إنّا لله، كيفَ[4] غَفَلنا عن صاحبنا حتَّى نزَلَ به هذا الأمرُ؟ يا فلان، ائتِ صاحبَ البستان فاستَلِف منه دينارَين، وادخُل السوق، فاشترِ له ما يَصلُح بدينار، وادفع الآخرَ إليه، فدخلتُ فأوقَرتُ[5] بدينارٍ من كلِّ

(١) في (د): «لجادلونا».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٧١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٣٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٥).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٦)، و«تهذيب الكمال» (٢: ٣٣).

(٤) «كيف» ليس في (د).

(٥) بعدها في (د): «بعيرًا».

شيء، وتَوجَّهتُ إليه فدقَقتُ الباب، فقالت امرأتُه: مَن هذا؟ قلت: فلان، أَرَدتُ فلانًا، فقالت: ليس هو هنا، فقلت: فمُرِي بفتح الباب وتَنحَّي، ففتحَت الباب، فأدخَلتُ ما[١] على البَعِيرِ وألقيتُهُ في صَحنِ الدّار، وناولتُها الدينار[٢]، فقالت: مَن بعث هذا؟ فقلت: إبراهيمُ بن أدهم، فقالت: اللهمَّ لا تنسَ هذا اليوم لإبراهيم»[٣].

قال أحمدُ بن أبي الحواريِّ: سمعتُ أحمدَ بن داودَ يقول: «مَرَّ بريدٌ بابنِ أدهم وهو ينظر كَرْمًا، فقال: ناوِلنا من هذا العنب، فقال: ما أَذِنَ لي صاحبُه، فقلب[٤] السَّوطَ وجعل يُقَنِّع رأسَه، فطأطأ إبراهيمُ رأسَه، وقال: اضرِب رأسًا طالَ ما عصى الله عزَّ وجلّ، فأعجز الرجلُ عنه»[٥].

قال عليُّ بن بكّار: «كنّا جُلُوسًا بالمِصِّيصة وفينا ابنُ أدهم، فقَدِم رجلٌ من خُراسان، فقال: أفيكم ابنُ أدهم؟ فقال القوم: نعم، فقال: إنّ إخوتَك بعثوني إليك، فلَما سَمِعَ ذِكرَ إخوَتِه قام فأخذ بيده فنحّاه، وقال: ما جاء بك؟ فقال: أنا مملوكُك، مَعِي[٦] فرسٌ وبغلةٌ وعشرة آلاف درهم، بعث بها إليك إخوَتُك، فقال: إن كنت صادقًا فأنت حرّ، وما معك لك، اذهب فلا تُخبِر أحدًا، فذهب»[٧].

قال يحيى العسقلانيّ: «كان ابنُ أدهمَ أجِيرًا في بستانٍ لي سنةً، أبتَذِله فيما يُبتذَل الأجير، فزارني أخَوانِ لي في البستان، فقلت لإبراهيم: ائتِنا برُمّانٍ

---

(١) «ما» ليس في (ق). (٢) قوله: «وناولتها الدينار» ليس في (د).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٨٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٥).

(٤) في «صفة الصفوة»: «فقلت».

(٥) «عنه» ليس في (د)، وانظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٦).

(٦) في (ق): «مملوك مع».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٦).

حُلو، فجاء برمّانٍ لم نحمده، فقلت له: أنت في هذا البستان منذُ سنةٍ لا تعرف مَوضِعَ الحُلوِ من الحامض؟ وأنكرتُ أمرَه، وإذا برجلٍ قد أقبل على نجيبٍ يسأل عنه، فأُخبِرَ بمكانه عندي، فنزل إليه، فرأيتُه قد قَبَّلَ يَدَيهِ وعظَّمه، فقال له[١] إبراهيم: ما جاءَ بك؟ فقالَ له[٢]: مات بعضُ مواليك، فجئتُك بميراثِه ثلاثين ألف درهم، فقال: ما لكم وأتباعِي؟ فقال له الرجل: قد تعنَّيتُ[٣] من بلخ، فاقبَلها منِّي[٤]، فقال للرجل: ابسُط إزارَك، وصُبَّ عليه ما معك، ففعل، فقال إبراهيم: اقسِمه ثلاثةَ أثلاث، فقسمه، فقال: [١٦٥/أ] ثُلثٌ لكَ[٥] لعنائك من بلخ، وثلثٌ اقسِمه على مساكين بلخ، وثلثٌ أنت يا يحيى اقسِمه على مساكين عسقلان»[٦].

قال عبدُ الله بن الفرج العابد: «اطَّلعت على ابنِ أدهم بالشام في بستانٍ وهو نائم، وعند رأسه أفعى في فِيها طاقةُ نرجسٍ[٧] تَذُبُّ عنه، والله أعلم»[٨].

قلت: هذا بعضُ جَزاءِ مَن تَركَ هذه المَزبَلة بصدقٍ أن جَعَل الآفاتِ تدفع الآفاتِ عنه[٩]، فيا مَن مَنَّ عليهم، هَب لنا من بعض ما وهَبتَ لهم، ولا تجعلنا من المَحجُوبِين، آمين.

قال موسى بن طريف: «رَكِبَ ابنُ أدهم البحر، فأخذَتهُم ريحٌ عاصِف، فأشرَفوا على الهَلَكة، فلَفَّ إبراهيمُ رأسَه في عباءة، فقالوا له: ما ترى ما نحن فيه

---

(١) «له» ليس في (د).
(٢) «له» ليس في (ق).
(٣) في (د): «تعينت».
(٤) «مني» ليس في (د).
(٥) «لك» مثبت من المصادر.
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٦).
(٧) في (د): «نرجسي».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٧).
(٩) «عنه» ليس في (ق).

من الشدّة؟ فقال: ليس ذا شدّة، فقالوا: ما الشدّة؟ فقال: الحاجةُ إلى الناس، ثمَّ قال: اللهمَّ أريتَنا قدرتَك، فأرِنا عفوَك، فصار البحر كأنّه قدحُ زيتٍ»(١).

روى إبراهيمُ(٢) بن أدهَمَ عن جماعةٍ من التابعين كأبي حازم، وقتادة، ومالك ابن دينار، والأعمش، وغيرِهم(٣).

وتُوفِّي بالجزيرة، فحُمِلَ إلى صُور، فدُفِن ثَمَّ(٤).

* * *

[داود البلخي]

[٣٢٦] ومنهم: داودُ البلخيُّ(٥).

قال إبراهيمُ بن أدهم: «لقيت أسلمَ بن زيدٍ الجهنيّ، فقلتُ لَه: إنِّي صَحِبت رجلًا من الكوفة إلى مكّة، فرأيتُه إذا مشى يُصلِّي ركعتَين، ثمَّ يتكلَّم بكلامٍ خَفِيٍّ بينه وبين نفسه، فإذا جفنةٌ من ثَرِيدٍ عَن يَمِينِه، وكوزٌ من ماء، وكانَ يَأكُلُ ويُطعِمُني، فبكى، وقال: ذاك أخي داود، ومسكنُه من وراء بلخ بقريةٍ يقال لها: المازرة الطيِّبة»(٦).

* * *

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٧)، و«البداية والنهاية» (١٣: ٥٠٦).

(٢) «إبراهيم» ليس في (ق).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٨)، و«تهذيب الكمال» (٢: ٢٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٨)، و«تهذيب الكمال» (٢: ٣٧).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٨).

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٨).

[شقيق بن إبراهيم البلخي]

[٣٢٧] ومنهم: شقيقُ بن إبراهيمَ البلخيُّ[١].

قال عليُّ بن مُحمَّد بن شقيق: «كان لجدِّي ثلاثُ مئة قرية، ولم يكن له كفنٌ يُكفَّنُ فيه، قدَّم ذلك كلَّه بين يديه، وثيابُه وسيفه إلى هذه الساعة مُعلَّقٌ يتبرَّكون به»[٢].

وكان قد خرج إلى بلادِ التُّرك لتجارةٍ وهو حَدَث[٣]، فدخل إلى بيت أصنامهم، فقال لعاملهم: إنّ هذا الذي أنت فيه باطل، ولهذا الخلقِ خالِقٌ ليس كمثلِه شيء، رازِقُ كلِّ شيء، فقال له الخادِم: ليس يوافق قولُك فعلَك، فقال له شقيق: كيف؟ فقال: قد زعمت أنّ لك ربًّا خالقًا قادرًا على كلِّ شيء، وقد تعنَّيت، فكان سببَ زهده كلامُ التُّركِي، فرجع وتصدَّق بجميع ما ملك، وطلب العلمَ[٤].

قال شقيق: «خرجتُ مِن ثَلاثِ مئة ألف درهم، وكنت مُرابيًا، ولَبِستُ الصوفَ عشرين سنةً وأنا لا أعلم، / حتَّى لقيت عبدَ العزيز بن أبي رَوّاد[٥]، فقال [١٦٥/ب] لي: يا شقيق، ليس الشأنُ فِي أكلِ الشَّعِيرِ ولا لباسِ الصوفِ والشَّعر، الشأنُ

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ٥٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٢٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٣١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٨).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٨).

(٣) في (د): «حدث السن».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٨).

(٥) في (ق) و(د): «داود».

في المعرفة، وأن تَعبُدَ الله عزَّ وجلَّ ولا تشركَ به شيئًا، فقلت: فسِّر لي هذا؟ فقال: يكون جميعُ ما تعمله لله عزَّ وجلَّ خالصًا، ثمَّ تلا: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]»[١].

قال حاتمٌ الأصمّ: «كنّا مع شقيقٍ ونحن مُصافُّو الترك في يومٍ لا أرى فِيه[٢] إلا رُؤُوسًا تندر، وسيوفًا تَقْطَعُ[٣]، فقال لي شقيقٌ ونحن بين الصَّفَّين: كيف ترى نفسَك في هذا اليوم؟ اليومَ تراها مثلَها في الليلة التي زُفَّت إليك امرأتُك؟ فقلت: لا والله، فقال: لكنِّي والله أرى نفسي في هذا اليوم مثلَها في الليلة التِي زُفَّت إليَّ فيها امرأتي، ثمَّ نام بين الصفَّين ودرقَتُه تحت رأسه حتَّى سمعتُ غَطِيطَه»[٤].

قال حاتمٌ الأصمّ: قال لي شقيق: «اصحَب الناسَ كما تصحب النار؛ خذ منفعتَها، واحذر أن تُحرِقَك»[٥].

أسند شقيقٌ عن عبّادِ بن كثير وغيره، وصَحِبَ ابنَ أدهم[٦]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٩).

(٢) «فيه» ليس في (د).

(٣) في (ق) و(د): «تقطر»، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٩).

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٢١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٩).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٣٩).

[حاتم الأصم]

[٣٢٨] ومنهم: حاتمٌ الأصمّ، يُكنَّى: أبا عبد الرحمن، وهو مولًى[١]، وصَحِب شقيقًا[٢].

قال مُحمدُ بن أبي[٣] عمران: «سمعت حاتمًا الأصمَّ يقول: وقد سأله رجل: على ما بنيتَ أمرَكَ هذا في التوكُّل على الله عزَّ وجلَّ؟ فقال: على خِصالٍ أربعٍ؛ علمت أنّ رزقي لا يأكُلُه غيري، فاطمأنَّت نَفسِي، وعلمتُ أنّ عملي لا يعملُه غيري، فأنا مشغولٌ به، وعلمتُ أنّ المَوتَ يأتيني بغتةً فأنا أُبادِرُه، وعلمت أنّي لا أخلو من عين الله عزَّ وجلَّ حيث كنت، فأنا مُستَحيي منه»[٤].

قال حاتم: «اختلَفت إلى شقيقٍ ثلاثين سنةً، فقال لي يومًا: أيَّ شيءٍ تعلَّمت؟ فقلت: رأيتُ رِزقي مِن عندِ ربِّي، فلم أشتغل إلّا بربِّي، ورأيتُ الله عزَّ وجلَّ وكَّل بي ملَكَين يكتبان كلَّ ما تكَلَّمتُ به، فلم أنطق إلّا بالحق، ورأيت أنّ الخلقَ ينظرون إلى ظاهري، والربُّ سبحانه وتعالى ينظر إلى باطني، فرأيتُ مُراقبةَ ربِّي أولى وأوجب، فسقطت عني[٥] رؤيةُ الخلق، ورَأيتُ أنّ لله[٦] مُستحِثًّا يدعو الخلقَ إليه، فاستعدَدتُ له، متى جاءني لا أحتاجُ أن يُقيلَني ـ يعني بذلك: الموت ـ فقال لي: يا حاتم، ما خاب سعيُك»[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٧: ١١٨).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٣٩).

(٣) «أبي» ليس في (د).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٧: ١١٩).

(٥) في (د): «عن».

(٦) في (د): «أن الله سبحانه وتعالى».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٣: ١٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٠).

وقال: «لو أنّ صاحب خبرٍ جلس إليك ليكتبَ كلامَك لاحترَزتَ[١] منه، وكلامُك يُعرَض على الله تعالى، فلا تحترز منه»[٢].

وقال: «لي أربعُ نِسوةٍ وتسعةُ أولادٍ ما طمع الشيطانُ/ أن يوسوسَ لي[٣] في شيءٍ من أرزاقهم»[٤]. [١٦٦/أ]

وقال: «ما من صباحٍ إلّا والشيطانُ يقول لي: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟ فأقول: آكُل الموت، وألبَسُ الكفن، وأسكنُ القبرَ»[٥].

وقال: «تعهَّد نفسَك في موضِعَين؛ إذا عملتَ فاذكر نظرَ الله عزَّ وجلَّ إليك، وإذا سكتَّ فاذكر عِلمَ الله فيك»[٦].

قال حاتم: «لقينا الترك، فكان بيننا جولة، فرماني تركيٌّ عن فرسِي، ونزل وقعدَ على صدري وأخذ بلحيتي هذه الوافرة، وأخرج سكِّينًا ليذبحَني، فوحَقِّ سيِّدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكِّينه، إنّما كان قلبي عند سيِّدي أنظر ماذا ينزل به القضاءُ منه، فقلت: سيِّدي، قضيتَ عليَّ أن يذبحني هذا، فعلى الرأس والعين، إنّما أنا لك وملكُك، فبينا أنا أخاطب سيِّدي، وهو قاعِدٌ على صدري آخِذٌ بلحيتي ليذبحَني[٧]؛ إذ رَماهُ بعضُ المسلمينَ بسهمٍ فما أخطأ حلقَه فسقط

---

(١) في (د): «لا احترزت».

(٢) «منه» ليس في (ق)، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٠)، و«الطبقات السنية في تراجم الحنفية» (٣: ٩).

(٣) في (د): «أن يشوش علي».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٧: ١١٩).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٠).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٠).

(٧) «ليذبحني» ليس في (د).

عنِّي، فأخذتُ السكِّينَ من يده فذبَحتُه، فما هو إلّا أن تكونَ قلوبُكم عند السيِّدِ حتى ترَوا من[1] عجائبِ لُطفه ما لم ترَوا من الآباء والأمهات»[2].

أسند حاتِمٌ الحديث، قال أبو الفرج بن الجوزيّ: «ولا أعرف له إلّا حديثَ أنس، أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «**صلِّ صلاةَ الضحى؛ فإنّها صلاةُ الأبرار، وسلِّم إذا دخلتَ بيتَك يَكثُرْ خيرُ بَيتِك**»[3].

* * *

[أحمد بن خضرويه]

[٣٢٩] ومنهم: أحمدُ بن خَضرُويه[4]، بلخيّ، ويُكنَّى[5]: أبا حامد[6]، صَحِبَ أبا ترابٍ النخشبيَّ وحاتمًا الأصمَّ[7].

قال أبو حفصٍ النيسابوريّ: «ما رأيت أحدًا أكبرَ هِمّةً منه، ولا أصدقَ حالًا منه»[8].

وكان يقول: «القلوبُ جَوّالة، فإمّا أن تجولَ حول العرش، وإمّا أن تجولَ حولَ الحُشّ»[9].

---

(١) في (ق): «منه».

(٢) انظر: «المنتظم» (١١: ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٠).

(٣) «شعب الإيمان» (٨٣٨٣)، و«حلية الأولياء» (٨: ٨٣)، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤١).

(٤) في (د): «حضر ويه»، وانظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤١)، و«السير» (١١: ٤٨٧).

(٥) في (د): «يكنى».

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤١)، و«السير» (١١: ٤٨٧).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤١)، و«السير» (١١: ٤٨٧).

(٨) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤١)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٧٢).

(٩) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩٥-٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤١)، و«السير» (١١: ٤٨٧).

وقال: «الصبرُ زادُ المُضطرِّين، والرِّضا دَرَجة العارفين»[١].

وقال: «لا نومَ أثقلُ من الغفلة، ولا رِقَّ أملَكُ من الشهوة، ولولا ثِقلُ الغفلة لم تظفر بك الشهوة»[٢].

قيل له: أيُّ الأعمال أفضلُ؟ قال: رعايةُ السرِّ عن الالتفات إلى شيءٍ سوى الله تعالى[٣].

تُوفِّي سنةَ أربَعِين[٤] ومئَتَين[٥].

* * *

[محمد بن الفضل]

[٣٣٠] **ومنهم**: مُحمدُ بن الفضل[٦]، يُكنَّى: أبا عبد الله البلخيّ[٧].

كان[٨] يقول: «العجبُ ممَّن يقطع الأوديةَ والمفاوزَ ليصلَ إلى بيتِه وحَرَمِه؛ لأنّ فِيهِ آثارَ أنبيائِه[٩]، فكيف لا يقطع نَفسَهُ وهواه حتَّى يصلَ إِلَى قَلبِه؛ لأنّ فيه آثارَ مولاه؟»[١٠].

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤١).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤١).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٢).

(٤) في (ق) و(د): «أربع».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٢)، و«السير» (١١: ٤٨٩).

(٦) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧١)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٢)، و«السير» (١٤: ٥٢٣).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧١)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٢)، و«السير» (١٤: ٥٢٣).

(٨) في (د): «وكان».

(٩) في (ق): «أنبائه»

(١٠) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٣)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٢).

وكان يقول: «أنزِل نفسَك منزلةَ مَن لا حاجةَ له فيها، ولا بدَّ له منها، فإنّ من مَلكَ نفسَه عزّ، وإن مَلكَتهُ ذلَّ»[١].

[١٦٦/ب] قالَ إبراهِيمُ الخَوّاص: سمِعتُ محمد[٢] بن الفضل يقول: / «ما خطوتُ أربعين سنةً خطوةً لغير الله عزَّ وجلّ، وما نظرتُ أربعين سنةً في شيءٍ أستَحسِنُه حياءً من الله عزَّ وجلّ، وما أملَيتُ على مَلكَيَّ ثلاثين سنةً شيئًا، ولو فعلت ذلك لاستحيَيت منهما»[٣].

أسند مُحمدُ بن الفضل عن ابن قُتَيبة، وصَحِبَ أحمدَ بن خَضرُويه وغيره[٤]، وانتقل إلى سمرقندَ ومات بها سنةَ تسعَ عشرةَ وثلاث مئة[٥].

* * *

[أبو بكر الورّاق]

[٣٣١] **ومنهم**: أبو بكرٍ الورّاق[٦].

واسمُه: مُحمد، ويقال له: الحكيم، وأصلُه من تِرمِذ، إلّا أنّه أقام ببلخ[٧].

---

(١) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٣)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٢).

(٢) «محمد» ليس في (ق).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٢).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٢)، و«السير» (١٤: ٥٢٤).

(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٢).

(٦) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٨)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٣).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٨)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٣).

من كلامه البليغ: لو قيل للطمع: مَن أبوك؟ لقال: الشكُّ في المقدور، ولو قيل: ما حِرفَتُك؟ لقال: اكتسابُ الذُّلّ، ولو قيل: ما غايتُك؟ لقال: الحِرمان[١].

ودخلَ رَجُلٌ عليه، فقال: إنِّي أخافُ من فُلان، فقال: لا تخَف منه؛ فإنّ قلبَ مَن تخافه بيد مَن ترجوه[٢].

قالَ له رَجُل: علِّمني شيئًا يُقرِّبُني إلى الله ويُقرِّبُني من الناس؟ فقال: أمّا الذي يُقرِّبُك إلى الله عزَّ وجلَّ فمَسألتُه، وأمّا الذي يُقرِّبُك من الناس فتركُ مسألَتهم[٣].

أسند أبو بكرٍ الحديثَ عن ابن حزامٍ الترمذيّ[٤].

* * *

[عابد مجهول ببلخ]

[٣٣٢] عابِدٌ مَجهولٌ ببلخ[٥].

قال عبدُ الوهّاب: «بَينا[٦] أنا جالِسٌ بالحدّادين ببلخ؛ إذ مَرَّ رجلٌ فنظرَ إلَى النّارِ في الكُور فسقط، فقُمنا فنظرنا إليه فإذا هو ميِّتٌ»[٧].

* * *

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٣).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٨٠)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٣).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٣).

(٤) في (د): «والترمذي»، وانظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٣).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٣).

(٦) في (د): «بين».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٣).

[محمد بن علي الترمذي]

[٣٣٣] ومنهم: مُحمدُ بن عليٍّ الترمذيّ[١]، يُكنَّى: أبا عبد الله[٢]، من كبار مشايخ خراسان، له التصانيفُ المشهورة[٣].

كان يقول: «ما صنَّفتُ شيئًا ليُنسَبَ إليّ، لكن كنتُ إذا اشتدَّ عليَّ وقتي أتسلَّى[٤] بمُصنَّفاتي»[٥].

كان يقول: «ليس في الدنيا حِملٌ أثقلُ من البِرِّ؛ لأنّ مَن بَرَّكَ أوثقَك، ومن جفاك فقد أطلقَك»[٦].

وكان يقول: «مَن جَهِل أوصافَ العبوديّة فهو بنعتِ الرُّبُوبية أجهَل»[٧].

وكان يقول: «اجعل مُراقبتَك لمَن لا تغيب عن نظَرِه إليك، واجعل شُكرَك لمَن لا تَنقَطِع نِعَمُه عنك، واجعل خضوعَك لمَن لا تخرج عن مُلكِه وسلطانه»[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٥)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٥)، و«السير» (١٣: ٤٣٩).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٥)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٥)، و«السير» (١٣: ٤٣٩).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٤).

(٤) في (د): «تسليت».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٤)، و«تاريخ الإسلام» (٢١: ٢٧٧-٢٧٨).

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٦)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٤).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٧)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٤).

(٨) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٧٧)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٤).

أسند مُحمدٌ عن مُحمدِ بن رِزام الأيلي[١].

* * *

[محمد بن إسماعيل البخاري]

[٣٣٤] **ومنهم**: مُحمدُ بن إسماعيلَ البخاريّ[٢]، يُكنَّى: أبا عبد الله[٣].

قال: «أخرَجتُ كتابي هذا - يعني: «**الصحيحَ**» - من زُهاء ستِّ مِئة ألفِ حديث[٤]، وما وضعت فيه حديثًا إلّا اغتسَلت قبل ذلك وصلَّيت ركعتَين[٥]، ولقيتُ أكثرَ من ألفِ رَجُلٍ من أهل العلم، من أهل الحجاز ومكّةَ والمدينةِ والكوفةِ والبَصرة وواسِط وبغدادَ والشّامِ ومِصرَ»[٦].

بَعثَ إليهِ شَخصٌ بضاعة، فاجتمع إليه التجّارُ عشيّةً، فطلبوها[٧] منهُ بربحِ خَمسة آلافِ دِرهم، فقال: انصرِفوا الليلة، فجاءهُ[٨] من الغد آخَرون، فأعطَوه [١٦٧/أ]

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٤).

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٥)، و«السير» (١٢: ٣٩١)، و«الوافي بالوفيات» (٢: ١٤٨).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٥)، و«السير» (١٢: ٣٩١)، و«الوافي بالوفيات» (٢: ١٤٨).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٧٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٥)، و«المتواري على أبواب البخاري» (٤٢).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٧٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٤٨).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٥).

(٧) في (ق): «فطلبوه».

(٨) في (ق): «فجاء».

رِبحَ عشرةِ آلاف درهم[١]، فقال: إنِّي نوَيتُ البارحةَ أن أدفعَ إليهم - يعني: الذين[٢] طلبوا أوَّلًا - فلا أنقضُ نيَّتي[٣].

وكان يختم عند السَّحَر، ويقولُ[٤]: عند كلِّ ختمةٍ دعوةٌ مُستجابة[٥].

قال مُحمدُ بن مَنصور: سمعت أبي يقولُ[٦]: «كنّا في مجلِس البخاريّ، فرفع إنسانٌ من لحيته قَذاةً فطرَحها على الأرض، فرأيتُ مُحمدَ بن إسماعيلَ ينظر إليها وإلى الناس، فلمّا غَفلَ الناسُ مدَّ يدَه، فرفع القَذاة[٧]، فأدخلَها في كُمِّه، فلمّا خرج من المسجدِ رَأيتُه أخرَجها فطرَحها على الأرض»[٨].

وكان يقول البخاريّ: «أرجو أن ألقى الله تعالى ولا يحاسِبني أنّي اغتَبتُ أحدًا»[٩].

---

(١) «درهم» ليس في (ق).

(٢) في (ق): «الذي».

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٨١)، و«المنتظم» (١٢: ١١٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٦٢).

(٤) في (ق): «ويقال».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٤: ٤٤٦).

(٦) في (ق): «وقال».

(٧) القَذى: هو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك. انظر: «لسان العرب» (١٥: ١٧٤).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦).

(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٨١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٤: ٤٤٦).

قال الإمامُ أحمد: «ما أخرَجَت خراسانُ مثلَ مُحمدِ بن إسماعيل»(١).

وكان نحيفَ الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير(٢).

وُلِدَ يوم الجمعة بعد الصلاةِ لثلاثَ عشرة(٣) خلت من شوالٍ سنةَ أربعٍ وتسعين ومئة(٤).

وتُوفِّي ليلة السبت عندَ صلاةِ العشاء ليلةَ الفطر، ودُفِنَ يومَ الفطرِ بعد صلاةِ الظهرِ(٥)، وذلك لغُرّةِ شوال من سنة ستٍّ وخمسين ومئتين(٦)، وقبرُه بخَرْتَنك(٧).

* * *

[عابد مجهول من بخارى]

[٣٣٥] عابدٌ مَجهول، من بخارى(٨).

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٨١)، و«المنتظم» (١٢: ١١٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٦٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٦٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٤: ٤٣٨).

(٣) في (ق) و(د): «عشر».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٦٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٤: ٤٣٨).

(٥) قوله: «بعد صلا ة الظهر» ليس في (ق).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٦٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٤: ٤٣٨).

(٧) خَرْتَنْك؛ بفتح أوله، وتسكين ثانيه، وفتح التاء المثناة من فوق، ونون ساكنة، وكاف: قرية بينها وبين سمرقند ثلاثة فراسخ. انظر: «معجم البلدان» (٢: ٣٥٦).

(٨) انظر ترجمته: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٦).

قال الخَوّاص: «سلكت الباديةَ ستّةَ عشرَ طريقًا على غير الجادّة، فأعجبُ ما رأيتُ فيها رجلًا ليس له يدان ولا رِجلان، وعليه من البلاءِ أمرٌ عظيم، وهو يزحف زحفًا، فتحيَّرت منه وسلَّمت عليه، فقال لي: وعليك السلامُ يا إبراهيم، فقلت: بمَ عرفتَني ولم ترَني قبلها؟

فقال: الذي جاء بك عرَّف بيني وبينك، فقلت: صدَقت، فقلت: إلى أين تريد؟ فقال: إلى مكّة، فقلت: ومِن أين أنت؟ فقال[1]: من بخارى، فبَقِيتُ مُتعجِّبًا أنظر إليه، فنظر إليَّ شزرًا، وقال: يا إبراهيم، تَعجبُ من قَوِيٍّ يَحمِلُ ضعيفًا ويرفق به! ثمَّ دمعت عيناه، وأرسل الدموع، فقلت: لا يا حبيبي، ثمَّ تركتُه على حاله ومضيت، فلمّا دخلتُ مَكة رأيتُهُ في الطَّوافِ وهو يزحَفُ زحفًا، رحمة الله عليه»[2].

* * *

[أبو بكر الفرغاني]

[٣٣٦] ومنهم: أبو بكرٍ الفَرغانيُّ[3]، من فرغانة[4].

قال مُحمدُ بن داود: «ما رأيتُ في الفُقَراءِ أحسنَ منه، كان يُظهِرُ الغنى مع الفقر، يلبَس قميصَين أبيضَين ورداءً وسراويل، ونعلًا لطيفةً وعمامة، وفي يده

---

(١) في (ق): «قال».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٦).

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ١١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٧)، و«طبقات الأولياء» (٣٠٢).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ١١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٧)، و«طبقات الأولياء» (٣٠٢).

مفتاحٌ كبيرٌ حسن، وليس له بيت، ينطرح في المساجد، ويطوي الخمسَ والستَّ دائمًا، رحمة الله تعالى عليه»[1].

* * *

[أبو تراب النخشبي]

[٣٣٧] ومنهم: أبو ترابٍ النخشبيُّ[2]، واسمه: عسكر[3]. [١٦٧/ب]

قال ابنُ الجلّاء: «لقيتُ ستَّ مئة شيخٍ ما رأيتُ فيهم مثلَ أربعة؛ أوَّلُهم: أبو تراب»[4].

قال أبو عليٍّ بنُ خيرانَ الفقيه: «مرَّ أبو ترابٍ بمُزَيِّن، فقال له: تحلِق رأسي لله عزَّ وجلَّ؟ فقال[5] له: اجلس، فبَينا هو يَحلِقُ رَأسَهُ إذ[6] مرَّ أميرٌ من أهل بلده[7]، فسأل حاشيتَه، فقال: أليس هذا أبو ترابٍ؟ فقالوا: نعم، فقال: أيُّ شيءٍ معكم من الدنانير[8]، فقال رجلٌ من خاصَّته: معي ألفُ دينار، فقال: إذا قام فأعطِه إيّاها واعتذِر إليه أنّهُ لم يكن معنا غيرُها، فجاء الغلام، وقال: الأميرُ يَقرَأُ عليك

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٧)، و«طبقات الأولياء» (٣٠٢).

(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٧)، و«السير» (١١: ٥٤٥).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٧)، و«السير» (١١: ٥٤٥).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٤٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٧)، و«السير» (١١: ٥٤٥).

(٥) في (ق): «قال».

(٦) «إذ» ليس في (ق).

(٧) في (د): «مر أمير المؤمنين فرآه».

(٨) في (د): «الدنيا».

السلام، ويقول: ما حضر معنا غيرُ هذه الدنانير، فقال: ادفَعها إلى المُزيِّن، فقال المُزيِّن: لا والله، ولو أنّها ألفا دينار، فقال له أبو تُراب: قل للأميرِ: إنّ المُزيِّنَ لم يأخذها، اصرفها في مُهمّاتك»[١].

قالَ ابنُ نُجَيد: «كان أبو ترابٍ يقول: بيني وبين الله عزَّ وجلَّ عهدٌ ألّا أمُدَّ يدي إلى حرامٍ إلّا قَصُرَت يدي عنه»[٢].

قال أبو العَباس الشَّرَقيّ[٣]: «كُنا مَع أَبِي ترابٍ في طَرِيقِ مَكة، فمَرِضَ فعدَلَ عن الطَّريق، فقال له بعضُ أصحابه: أنا عَطِشت، فضرب برِجلِه، فإذا عينُ ماءٍ زُلال، فقال الفتى: أُحِبُّ أن أشربَ في قدحِ زجاجٍ أبيض، فإذا بقَدَحِ زُجاجٍ أبيَضَ[٤] كأحسن ما رأيت، فشَرِبَ وسقانا، وما زال القدحُ معنا إلى مكّة»[٥].

وقال لي: «ما يقولُ أصحابُك في هذه الأمور التي يُكرِمُ الله عزَّ وجلَّ بها عبادَهُ؟ فقلت: ما رأيتُ أحَدًا إلّا وهو يُعطَى الإيمانَ بها، فقال: إنّما سَألتُكَ من طريق الأحوال، قلت: ما أعرِفُ لهم قولًا فيه، فقال: بلى، قد زعم أصحابك أنها خُدَعٌ من الحقّ، وليس الأمرُ كذلك، إنّما الخدع في حالِ السُّكون إليها، فأمّا مَن لم يعرج على المَلِكِ في اعتِناقِ الحقائق فتلك مرتبةُ الربّانيّين»[٦].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٧).

(٢) في (د): «عنه يدي»، وانظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٤٨)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٨).

(٣) هو: أحمد بن عمرو بن قرقر أبو العباس الحذاء من أهل الجانب الشرقي. انظر: «تاريخ بغداد» (٥: ٤٨٢).

(٤) قوله: «فإذا بقدح زجاج أبيض» ليس في (ق).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٨).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٣١٤).

أسند أبو ترابٍ عن مُحمَّدِ بن نُمَير، ونُعَيمِ[١] بن حمّاد، وغيرهِما، وتُوفِّي بالبادِية، نهشَته السباعُ في سنةِ خَمسٍ وأربَعِينَ ومِئَتين[٢].

* * *

[عابد مجهول]

[٣٣٨] ومنهم: عابدٌ مجهول[٣].

قال أحمدُ الإخمِيميّ[٤]: «كنّا ذاتَ يومٍ عندَ ذِي النُّون، وقد ذَكَرُوا كراماتِ الله عزَّ وجلَّ لأوليائه، فقال بعضُ مَن حضر: أنتَ رأيت منهم أحدًا يا أبا الفيض؟ فقال ذو النون: كان عندي فتًى من أهل خراسانَ أعجميّ، بقي عندي في المسجدِ سبعةَ أيّامٍ لا يَطعَمُ الطعام[٥]، وكنت أعرِضُ عليه فيأبى، فبَينا نحن جلوسٌ ذاتَ يوم دخَلَ سائلٌ يطلب شيئًا،/ فقال له الخراساني: لو قصدتَ الله تعالى دون خلقه [١٦٨/أ] أغناك، فقال السائِل: ما لي هذا المكان، فقال الخراساني: أيَّ شيء تريد؟ فقال: ما سدَّ فاقَتي وستر عورَتي، فقامَ[٦] الخراسانيُّ إلى المحراب وصلَّى ركعتَين، ثمَّ أتاه بثوبٍ جديدٍ وطَبقٍ فيه فاكهة، فأعطاهُ السائل.

قال ذو النون: فقلت له: يا عبدَ الله، لك هذا الجاهُ عند الله عزَّ وجلَّ وأنت

---

(١) في (ق) و(د): «ونعم».

(٢) في (ق): «في سنة وأربعين ومئتين»، وكتب في حاشيتها: «هكذا في نسخة المصنف»، وفي (د): «في سنة أربعين ومئتين»، والمثبت موافق لما في المصادر، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٤: ٢٦٧)، و«طبقات الحنابلة» (١: ٢٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٨).

(٣) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٩). (٤) في (ق): «الأحميمي».

(٥) «الطعام» ليس في (د). (٦) في (ق): «فقال».

منذ سبعة أيّام لم تَطعَم! فجَثا على رُكبَتَيه، وقال: يا أبا الفيض، كيف تنبسِطُ الألسنُ بالمسألة والقلوبُ مُمتَلِئةٌ بأنوار الرضا.

قال ذو النون: فقلت له: فالراضون لا يسألون شيئًا؟ فقال: منهم مَن يسأل من باب الإدلال، ومنهم مَن يملؤه غِنًى به، ومنهم مَن يستخرج المسألةَ منه عَطفُه على غيره، ثمَّ أُقيمَتِ الصلاة، فصلَّى معي عشاء الآخرة، وأخذ رَكوتَه يريد الطهارة، فلم أرَه بعد ذلك»[١].

* * *

[عبيد الله بن محمد بن بطة]

[٣٣٩] **ومنهم**: عُبَيدُ الله بن مُحمدِ بن بطّة[٢]، من أهل عُكبَرا[٣].

وكان عالِمًا عابدًا، قال القاضي أبو حامِدٍ أحمدُ اللؤلؤيّ: «لمّا رجع ابنُ بطّةَ من الرحلة[٤]، لازَمَ بيتَه أربعين سنةً، فلم يرَ يومًا منها في سوق، ولا رُؤِي مُفطِرًا إلّا في يوم الأضحى والفطر»[٥].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٩).

(٢) انظر ترجمته في: «طبقات الحنابلة» (٢: ١٤٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٨: ١٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥١)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ١٤٧).

(٣) عُكْبَرا؛ بضم أوله، وسكون ثانيه، وفتح الباء الموحدة، تُمدُّ وتُقصَر: بُلَيدة من ناحية دجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. انظر: «معجم البلدان» (٤: ١٤٢)، و«مراصد الاطلاع» (٢: ٩٥٣).

(٤) في (ق): «الدجلة».

(٥) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢: ١٤٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٨: ١٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥١).

وكان آمِرًا بالمعروف، ولم يبلغه خبرُ منكرٍ إلّا غيَّره[١].

تُوفِّي أبو عبد الله بن بطّةَ في المُحرَّم سنةَ سبعٍ وثمانين وثلاثِ مئة[٢].

وكان مُستجابَ الدعوة[٣].

* * *

[المعافى بن عمران]

[٣٤٠] ومنهم: المُعافَى بنُ عِمران[٤]، مَوصِلِيٌّ[٥].

جَمعَ بين العلم والتقوى والورع، قال رجلٌ لبِشرٍ الحافي: ألا أراك عاشِقًا للمُعافى؟ فقال: ما لي لا أعشَقُه، وكانَ الثوريُّ يسمِّيه الياقوتة[٦].

وحضَرتُه يومًا، فنُعِي إليه ابناه فما حَلَّ حَبوَته، ثمَّ قال: ظالِمَينِ أو مَظلُومَين؟ قيل: مظلومَين، فحَلَّ حَبوَتَه وخرَّ ساجدًا، ثمَّ رفع رأسه، وقال: كيف كانت[٧] قصَّتُهما؟ ثمَّ جاء إخوانُه يُعَزُّونه من الغد، فقال لهم: إن كنتم جئتم لتُعَزُّوني فلا

---

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢: ١٤٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٨: ١٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥١).

(٢) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢: ١٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥١)، و«السير» (١٦: ٥٣٠).

(٣) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢: ١٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥١)، و«السير» (١٦: ٥٣٠).

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥١)، و«السير» (٩: ٨٠).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥١)، و«السير» (٩: ٨٠).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥١)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٤٠٥).

(٧) في (ق): «كان».

تُعَزُّوني، ولكن هنِّئوني، فهنَّؤوه، فما بَرِحوا حتَّى غدّاهم وغَلَّفهم بالغالية، ولم يُرَ عليه أثرُ[١] حزن، ولا سُمِع من داره من صوتٍ[٢].

من كلامه الحسن: «عِزُّ المؤمن استغناؤُه عن الناس، وشرفُه قيامُه بالليل»[٣].

قيل له: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك، أسَهر[٤]، أو كَتبُ الحديث؟ فقال: كتابةُ[٥] حديثٍ واحدٍ أحبُّ إليَّ من صلاةِ ليلة[٦].

وقيل له: ما ترى في الرجل يَقرِضُ الشعرَ ويقوله؟ فقال: هو عمرُك فأفنِه[٧] بما شئتَ[٨].

[١٦٨/ب] أسند المُعافَى عن أسامةَ بن زيد، والثوريّ،/ ومالك، وابن جُرَيج، والليث، في آخرين[٩].

وأكثرَ ملازمةَ الثوريّ، وتأدَّب بآدابِه[١٠]، وصنَّف كتبًا في السُّنن والزهد والأدب[١١].

وتُوفِّي في سنة أربعٍ وثمانين ومئة، وقيل غيرُ ذلك[١٢].

---

(١) «أثر» ليس في (د).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٣٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢).

(٤) في (د): «السهر».

(٥) في (ق) و(د): «كتاب».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢).

(٧) في (ق): «فانه»، وفي (د): «فآته».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ١٤٧).

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ١٥٣).

(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ١٥٣).

(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ١٥٥).

[فتح بن محمد الأزدي الموصلي]

[٣٤١] ومنهم: فتحُ بن مُحمدٍ الأزديُّ المَوصلِيّ[١]، يُكنَّى: أبا مُحمَّدٍ[٢].

قال مُحمَّدُ بن الوليد: سمعتُ فتحًا يقولُ في جوفِ الليل: «ربّ، أجَعتَنِي[٣] وأعرَيتَنِي، وفي ظُلَمِ الليل أجلستَنِي[٤]، فبأيِّ وسيلةٍ أكرمتَنِي هذه الكرامةَ؟ فكان يبكِي ساعةً ويفرح ساعةً»[٥].

قال المُعافى بن عمران: «دخلت على فتحِ المَوصلِيّ، فرأيتُه قاعدًا في الشمس وصبيّةٌ له عريانةٌ وابنٌ له مريض، فقلت: ائذن لي حتى أكسُوَ هذه الصبيّة، فقال: لا، قلت: ولِم؟ فقال: دعها حتَّى يرى الله عزَّ وجلَّ ضُرَّها وصبري عليها فيرحمني، قال: فتجاوَزتُ إلى الصبيّ، فقعَدتُ عند رأسه، وقلت: حبيبي، ألا تشتهي شيئًا حتَّى أحمِلَه[٦]؟ فقال: ومَن أنت؟ قلت: المُعافى بن عِمران، فرفع رأسَه إلى السماء، وقال: منِّي الصبرُ ومنك البلاء، والسماءُ قِبلةُ الدعاء»[٧].

وكان فتحٌ يمشي على الماء، ويجتمع بالخَضِر، ويزورانِ الصالحين الضعفاء[٨].

تُوفِّي فتحٌ سنةَ سبعين ومئة[٩].

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٣٩١)، و«السير» (٧: ٣٤٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٣٩١)، و«السير» (٧: ٣٤٩).

(٣) في (د): «أحفيتني».

(٤) في (د): «أجلستيني».

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (١٢: ٤١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٢)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٤١٥).

(٦) قوله: «حتى أحمله» في (ق): «أحمده».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٣).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٣).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٣٩٢-٣٩٣).

[فتح بن سعيد المَوصلي]

[٣٤٢] ومنهم: فتحُ بن سعيدٍ المَوصِلِيّ، يكنَّى: أبا نصرٍ[١].

وقد يشتبه هذا بالذي قبله، ويُفرَّق بينهما بالأبِ وبالكنية، وهما اثنان مَعروفانِ عندَ أهل العلم، ويُحكى عن[٢] هذا نحوُ ما يُحكَى[٣] عن الأوَّل[٤].

قال بشرٌ الحافي: «كان فتحٌ إذا كان ليالي الشتاء جمع عيالَه، وقال بكسائه عليهم، وقال: اللهمَّ أفقَرتَني وأفقرتَ عيالي، وجوَّعتَني وجوَّعتَ عيالي[٥]، وأعريتَني وأعريتَ عيالي، فبأيِّ وسيلةٍ توسَّلتُها إليك، وإنَّما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك، فهل أنا منهم حتَّى أفرحَ؟»[٦].

قال أحمدُ بن أبي الحواريِّ: قال ابنُ نوحٍ المَوصِليّ: «رجع فتحٌ إلى أهله بعد العَتمة وكان صائمًا، فقال[٧]: عَشُّوني، فقالوا: ما عندنا شيءٌ[٨] نُعشِّيك، فقال: فما[٩] لكم جلوسٌ في الظلمة؟ فقالوا: ما عندنا شيءٌ نُسرِجُ به[١٠]، فجلس يبكي من الفرح، ويقول: إلهي، نُترَكُ بلا عشاءٍ ولا سراج، بأيِّ يدٍ كانت منِّي؟ فما زال يبكي إلى الصباح»[١١].

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٥: ٣٣٨)، و«طبقات الأولياء» (٢٧٦).

(٢) في (ق): «عند».

(٣) في (ق): «حكي».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٤).

(٥) قوله: «وجوعتني وجوعت عيالي» ليس في (د).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٤)، و«السير» (١٠: ٤٨٤)، و«طبقات الأولياء» (٢٧٧).

(٧) في (ق): «يقول».

(٨) «شيء» ليس في (ق).

(٩) في (ق): «ما».

(١٠) «به» ليس في (ق).

(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٤)، و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (٨: ٥١)، و«طبقات الأولياء» (٢٧٦).

قال بشر: «بلغَني عن فتحٍ المَوصِليّ[١] أنّه كان يتجزَّأ بفلسٍ في اليوم، كان يشتري بهِ نخالة»[٢].

قال إبراهيمُ بن عبد الله: «صُرِعَ[٣] فتحُ المَوصِليُّ ففرح، فقال: يا ربّ، ابتَلَيتَنِي ببَلاءِ الأنبياء، فشُكرُ ذلك أن أُصَلِّيَ الليلةَ أربعَ مئة ركعة»[٤].

[١٦٩/أ] قال إبراهيمُ بن موسى: «رأيتُ فتحًا يوم عيد، وقد رأى على النّاسِ الطيالسَ والعمائم، فقال لي: يا إبراهيم، إنما ترى ثوبًا يَبلَى، وجسدًا يأكله الدودُ غدًا، هؤلاء أنفَقوا خزائنهم على بطونهم وظهورهم، ويَقدَمون على ربِّهم مَفاليس»[٥].

ومرَّ فتحٌ بصبيَّين مع أحدهما كسرةٌ عليها عَسَل، ومع الآخر كسرةٌ عليها كامَخ، فقال صاحِبُ الكامَخ[٦] لصاحب العسل: أطعِمنِي من خُبزك، فقال: إن كنت كلبًا لي أطعمتُك، فقال: نعم، فأطعَمَه، وجعل في فمِه خيطًا، وجعل يقودُه، فقال فتح: «لو رضيتَ بخُبزِك ما كنت كلبًا لهذا».

قال أبو موسى: «فهكذا الدنيا»[٧].

قال رباحٌ العبديّ: «جاء فتحٌ إلى منزل صديقٍ له يُقال له: عيسى التَّمار، فلم يجِده في المنزل، فقال للخادم: أخرِجي كيسَ أخي، فأخرَجَته، فأخذ منه

(١) «الموصلي» ليس في (ق). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٤).
(٣) في (د): «صدع».
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٤)، و«السير» (١٠: ٤٨٤).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٥).
(٦) الكامخ: الذي يؤتدم به. انظر: «الصحاح» (١: ٤٣٠)، و«لسان العرب» (٣: ٤٩).
(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٩٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٥).

درهمَين، وجاء عيسى فأخبرَته الجاريةُ بأخذ الدرهمَين، فقال: إن كنتِ صادقةً فأنت حرّة، فإذا هي صادقة، فعُتِقَت»[١].

قال بعضُ أصحاب فتح: «دخَلتُ عليه يومًا وقد بسط كفَّيه يبكي حتى رأيتُ الدموعَ من بين أصابعه تتحدَّر، فدنوتُ منهُ لأنظرَ إليه، فإذا دموعُه قد خالَطَها صُفرة، فقلت: باللهِ يا فتحُ بكيت الدمَ؟ فقال: لو لا أنّك حلَّفتَني بالله عزَّ وجلَّ ما أخبرتُك، بكيتُ دمًا[٢]، فقلت: على ماذا بكيتَ الدموع، وعلى ماذا بكيت الدمَ؟ فقال: بكيتُ الدموعَ على تخلُّفي عن واجبِ حقِّ الله عزَّ وجلّ، وبكيتُ الدمَ على الدموع؛ خوفًا أن تكونَ الدموعُ ما صحَّت.

قال الرجل: فرأيتُ فتحًا بعد موته في المنام، فقلت: ما صنعَ الله عزَّ وجلَّ بك؟ فقال: غفر لي، قلت: فما صنعَت دموعُك؟ فقال: قرَّبني ربي عزَّ وجلّ، وقال: يا فتح، الدموعُ[٣] على ماذا؟ قلت: يا ربّ، على تخلُّفي عن واجب حقِّك، قال[٤]: فالدمُ؟ فقلت: يا ربّ، على دموعي خوفًا[٥] من ألّا تصحَّ لي، فقال لي: يا فتح، ما أردتَ بهذا كلِّه؟ وعزَّتي لقد صعد إليَّ حافِظاك أربعين سنةً بصحيفتك ما فيها خطيئة»[٦].

تُوفِّي فتحُ سنةَ عِشرِين ومئتين[٧].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٩٣)، و«تاريخ بغداد» (٤: ٣٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٦).

(٢) قوله: «دمًا» ليس في (ق)، و«بكيت دمًا» ليس في «د».

(٣) في (د): «الدموع الدموع».

(٤) في (د): «فقال».

(٥) «خوفًا» ليس في (د).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٧)، و«طبقات الأولياء» (٢٧٨).

(٧) في (ق) و(د): «سنة ومئتين»، ووقع بياض بعد «سنة» بمقدار كلمة، وفي حاشية (ق): «بياض! هكذا في نسخة المصنف». انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٧)، و«طبقات الأولياء» (٢٧٨).

[ميمون بن مهران]

[٣٤٣] ومنهم: مَيمُونُ بن مِهران[١]، يكنَّى: أبا أيُّوب، وهو مولًى من أهل الرَّقّة[٢]، وُلِدَ سنة أربعين[٣].

قال خلفُ بن حَوشَب: «تكارَينا[٤] مع ميمونَ دوابَّ إلى مكان، فقال ميمون: لولا أنّ الدوابَّ بِكِراءٍ لمررنا على آل[٥] فلانٍ»[٦].

قال ميمون لجعفر: «قل لي في وجهِي ما أكرَه؛ فإنّ الرجلَ لا ينصح أخاه حتَّى يقولَ له في وجهه ما يكره»[٧].

قال أبو المليح: «ما رأيتُ أفضلَ من ميمون، قال له رجل: يا أبا أيُّوب، [١٦٩/ب] أتشتكي؟ أراك مُصفرًّا. فقال: نعم؛ لما يبلغني في أقطار الأرض»[٨].

وما كان بكثير صلاةٍ ولا صوم، ولكنَّه كان يكرَهُ أن يُعصى اللهُ عزَّ وجلّ[٩].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٧٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٠)، و«السير» (٥: ٧١).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٧٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٠)، و«السير» (٥: ٧١).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٧٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٣٦)، و«السير» (٥: ٧٢).

(٤) في (ق): «تراكيبنا».

(٥) «آل» ليس في (د).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٠).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٨٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٦٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٠).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٠).

(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٠).

وقال: «لا خيرَ في الدنيا إلّا لأحد رجلَين: رجلٌ تائِب، ورجلٌ يعمل في الدرجات»(١).

وقال: «إنّ(٢) العبدَ إذا أذنب ذنبًا نُكِتَ في قلبه نكتةٌ سوداء، فإن تاب مُحِيَت من قلبه، فترى قلبَ المؤمن مثلَ المرآة، ما يأتيه الشيطانُ من ناحيةٍ إلّا أبصره، وأمّا الذي يتتابع في الذنوب فإنّه كلَّما أذنب نُكِتَ في قلبه نكتةٌ سوداء، فلا يزال يُنكَتُ في قلبه حتَّى يسودَّ قلبُه، فلا(٣) يُبصِرُ الشيطانَ من حيث يأتيه»(٤).

وقال: «لا يكون الرجلُ من المتَّقين حتَّى يُحاسِبَ نفسَه أشدَّ من محاسبة شريكه، حتَّى يعلمَ مِن أين مطعمُه، ومن أين ملبسُه، ومن أين مشربُه، أمن حِلٍّ ذلك أم من حرام»(٥).

وقال: «الصبرُ عند المصيبة حَسن، وأفضلُ منه أن تَصبِرَ نفسَكَ على ما تكره من طاعة الله عزَّ وجلَّ وإن ثَقُل عليك»(٦).

وقال: «لو أنّ بعضَ مَن أدركت نُشِر حتَّى يعاينَكم ما عرف منكم شيئًا إلّا قِبلتَكم»(٧).

---

(١) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (٨٤٩)، و«حلية الأولياء» (٤: ٨٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٠).

(٢) «إن» ليس في (د). (٣) في (د): «لا».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٠).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٨٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦١).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦١)، و«السير» (٥: ٧٦).

قالَ عيسى بن كثير: «مشيت مع ميمون، حتَّى إذا أتى بابَ داره ومعه ابنُه عمرٌو، فلمّا أردت الانصراف قال له عمرو: يا أبت، ألا تعرض عليه العَشاء؟ قال: ليس ذلك من نيَّتي»(١).

أسند ميمونُ عن ابن عمر، وابن عبّاس، وغيرِهما(٢)، وتُوفِّي سنةَ سبعَ عشرةَ ومئة(٣).

* * *

[توبة بن الصمة]

[٣٤٤] **ومنهم**: توبةُ بن الصمّة(٤)، من الرَّقّة(٥).

وكان مُحاسِبًا لنفسه، فحسب يومًا عُمرَه(٦)، فإذا هو ابن ستِّين سنة، فحسب أيّامها، فإذا هي أحدٌ وعشرون ألفَ يوم وخمسُ مئة يوم، فصرخ، وقال: يا ويلتي(٧)! ألقى الملكَ بأحدٍ(٨) وعِشرِينَ ألف ذنبٍ(٩)! كيف وفي كلِّ يوم عشرةُ آلاف ذنبٍ! ثمَّ خرَّ مغشيًّا عليه فإذا هو ميِّت، فسَمِعُوا قائِلًا يقول: يا لك رَكضةٌ إلى الفردوس الأعلى(١٠).

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٦٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦١).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٢١١).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦١)، و«تهذيب الكمال» (٢٩: ٢٢٦).

(٤) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٨: ١٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢).

(٥) انظر: «الثقات» لابن حبان (٨: ١٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢).

(٦) «عمره» ليس في (ق).

(٧) في (د): «يا ويلتي».

(٨) في (د): «بإحدى».

(٩) بعدها في (د): «وخمس مئة ذنب، فكيف إذا كان في كل يوم».

(١٠) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٠٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢)، و«إغاثة اللهفان» (١: ١٤٠).

[إبراهيم القصار]

[٣٤٥] ومنهم: إبراهيمُ القصّارُ[١]، يُكنَّى: أبا إسحاق، من الرَّقة[٢].

من كلامه النافع: مَن اكتفى بغير الكافي افتقر من حيث استغنى[٣].

وقال: «الكفاياتُ تَصِل إليك بلا تعب، والاشتغالُ والتعبُ في الفضول»[٤].

وقال: «أضعَفُ الخلق من ضَعُفَ عن ردِّ شهواتِه، وأقوى الخلق مَن قَوِيَ على ردِّها»[٥].

قال السُّلَميّ: «كان[٦] إبراهيمُ من جِلّةِ مشايخ الشام من أقرانِ الجُنَيد، صَحِب مشايخَ الشام، وكان مُلازِمًا للفقر، مُجرَّدًا فيه، مُحِبًّا لأهله»[٧].

توفِّي في سنة ستٍّ وعشرين وثلاثِ مئة[٨].

* * *

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢)، و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (٨: ١٤٤).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢)، و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (٨: ١٤٤).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢)، و«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (٨: ١٤٥).

(٤) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢).

(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢).

(٦) «كان» ليس في (ق).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٢).

[يزيد بن الأسود]

[٣٤٦] **ومنهم**: يزيدُ بن الأسود[١]، يُكنَّى: أبا الأسود،/ من أهل الشام[٢]. [١٧٠/أ]

قال سليمُ بن عامر: «إنّ السماءَ قَحَطت، فخرج معاويةُ بن أبي سفيانَ وأهلُ دمشقَ يستسقون، فلمّا قعد معاويةُ على المنبر قال: أين يزيدُ بن الأسود؟ فناداه الناسُ فأقبَل، فأمره معاوية فصعد المنبرَ وقعد عند رِجلَيه، فقال معاوية: اللهمَّ إنّا[٣] نستشفِع إليك اليوم بخيرِنا وأفضَلِنا، اللهمَّ إنّا نستشفع إليك بيزيدَ بن الأسود، يا يزيد، ارفع يدَيك إلى الله عزَّ وجلّ، فرفع يدَيه، ورفع الناس، فما كان أوشكَ أن ثارت سحابةٌ في الغرب كأنّها تُرس، وهبَّت لها ريحٌ فسَقَتنا، حتَّى كاد الناسُ ألّا يبلغوا منازِلَهم، فقال: اللهمَّ إنّه قد شهرَني[٤] فأرِحنِي منه، فما مضت عليهِ إلّا جمعةٌ ومات»[٥].

* * *

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ١٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ١٦٠).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ١٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٦)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ١٦٠).

(٣) «إنا» ليس في (د).

(٤) في (د): «شهرتني».

(٥) «ومات» ليس في (ق)، وانظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٤٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ١١٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٦)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٥٣٩).

[كعب الأحبار بن ماتع]

[٣٤٧] ومنهم: كعبُ الأحبار بن ماتِع[١]، يُكنَّى: أبا إسحاق، شاميٌّ[٢].

وكان يهوديًّا فأسلم، وقَدِم المدينة، ثمَّ خرج إلى الشام، وسكن حمصَ[٣].

من كلامه النافع: ما كَرُم عبدٌ على الله عزَّ وجلَّ إلّا زاد البلاءُ عليه شدّة[٤].

وقال: «إنّ لـ سبحان الله والحمدُ لله ولا إلهَ إلّا الله واللهُ أكبرُ دويًّا حول العرش كدويِّ النحل، يُذَكِّرن بصاحبِهنّ، والعملُ الصالِحُ في الخزائن»[٥].

وقال: «مُؤمِنٌ عالِمٌ أشدُّ على إبليسَ[٦] وجنوده من مئة ألف مُؤمِنٍ عابد؛ لأنّ الله يعصِم بهم من الحرام»[٧].

وقال: «مَن تعبَّد لله ليلةً حيث لا يراه أحدٌ يعرفه خرجَ من ذُنُوبِه كما يخرج من ليلته»[٨].

وإنّ الملائكةَ ينظرون من السماء إلى الذين يُصَلُّون بالليل في بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء[٩].

---

(١) في (د): «مانع»، وانظر ترجمته في «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٤: ١٨٩)، و«السير» (٣: ٤٨٩).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٦)، و«تهذيب الكمال» (٢٤: ١٨٩)، و«السير» (٣: ٤٨٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٦)، و«السير» (٣: ٤٨٩).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٣٦٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٦).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٧).

(٦) في (د): «الشيطان».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٣٧٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٧).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٧).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٧).

أسند كعبُ الأحبارِ[١] عن عمرَ بن الخطّاب، وصُهَيب، وعائشة، رضي الله عنهم[٢].

وتُوفِّي بحِمصَ سنةَ ثِنتَين وثلاثين، في خلافة عثمان[٣].

* * *

[يزيد بن مَرثَد]

[٣٤٨] **ومنهم**: يزيدُ بن مَرثد[٤]، أبو عثمانَ الهمدانيُّ الشاميُّ.

كان لا يَدَع البكاء، حتَّى إنّ الحزنَ يَحُول بينَه وبينَ الأكل، وما يريدُ الرجلُ من أهله، حتَّى يبكيَ صبيانُه وأهلُه، وتقول: يا ويحَها! ما حَظِيَت بِهِ من طول الحزن معك في الدنيا، ما تَقَرُّ لي معك عينٌ[٥].

ولمّا أراد الوليدُ بن عبد الملك أن يُولِّيَه لبس[٦] يزيدُ فروةً وقلبَها، وجعل الجلدَ على ظهره، والصوفَ خارجًا، وأخذ بيده رغيفًا وعرقًا، وخرج بلا رداءٍ ولا قلنسوة، ولا نعلٍ ولا خُفّ، وجعل يمشي في الأسواق ويأكل، فقيل للوليد: إنّ يزيدَ قد اختلَط، وأُخبِرَ بما فعل، فتركه[٧].

---

(١) «الأحبار» ليس في (ق).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٤: ١٨٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٧) ، و«تهذيب الكمال» (٢٤: ١٩٢).

(٤) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ٣٧٢)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٢٣٩).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٦٤)، و«شعب الإيمان» (٨٧٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٨).

(٦) في (د): «فلبس».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٦٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ٣٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٨).

أسند يزيدُ بن مَرثَدٍ عن معاذ، وأبي الدرداء، وغيرهما[١].

* * *

[عبد الله بن مُحَيريز]

[٣٤٩] ومنهم: عبدُ الله بن مُحَيرِيز[٢]، يُكنَّى: أبا مُحَيرِيز، شاميٌّ[٣].

قال بشيرُ[٤] بن صالح: «دخل ابنُ مُحَيرِيزٍ حانوتًا يريدُ أن يشتريَ ثوبًا، فقال رجلٌ لصاحب الحانوت: إنّه ابنُ مُحَيرِيز، فأحسِن بيعَه، فغضب وخرج، وقال: إنّما نشتري بمالِنا لا بدِيننا»[٥].

وكان ابنُ مُحَيرِيز[٦] إذا مُدِحَ قال: وما[٧] عِلمُك؟ وما يُدرِيك[٨]؟

قال أبو زُرعة: «بعث عبدُ الملك بن مروانَ إلى ابن مُحَيرِيز بجارية، فترك

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٦٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٨).

(٢) انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (٥: ١٩٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٦: ١٠٦)، و«السير» (٤: ٤٩٤).

(٣) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٥: ١٩٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٦: ١٠٦)، و«السير» (٤: ٤٩٤).

(٤) في (د): «بشر».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٨).

(٦) من قوله: «فأحسن بيعه» إلى هنا ليس في (د).

(٧) «وما» ليس في (د).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٩).

ابنُ مُحَيرِيز منزلَه، فقيل له: يا أميرَ المؤمنين، نَفَيتَ ابنَ مُحَيرِيز عن منزله، فقالَ[١]: ولِمَ؟ قيل: من أجلِ الجارية، فبعث فأخذها»[٢].

وكان يقول: «اللهمَّ إنِّي أسألك ذِكرًا خاملًا»[٣].

قال خالد بنُ دريك[٤]: «كان في ابن مُحَيريز خَصلَتان ما كانتا في أحدٍ مِمَّن[٥] أدركتُ في هذه الأمّة: كان أبعدَ الناس أن يسكتَ عن حقٍّ بعد أن يتبيَّن له، يتكلَّم فيه، غَضِبَ مَن غَضِبَ، ورَضِيَ مَن رَضِيَ، وكان من أحرص الناس أن يكتمَ من نفسه أحسنَ ما عنده»[٦].

أسند ابنُ مُحَيرِيز عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ومعاويةَ بن أبي سفيان، وفَضالةَ بن عُبَيد، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم[٧].

وتُوفِّي في ولاية الوليد بن عبد الملك[٨].

* * *

---

(١) في (ق): «فقيل».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٤٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٨).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٤٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٩).

(٤) في (د): «ذريك».

(٥) في (ق): «مما».

(٦) في (د): «أحسن ما غضب»، وانظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٤٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٩).

(٧) انظر: «تهذيب الكمال» (١٦: ١٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٩).

(٨) انظر: «تهذيب الكمال» (١٦: ١١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٩).

[أبو مسلم الخولاني]

[٣٥٠] ومنهم: أبو مسلمٍ الخولانيُّ[١]، شاميّ، واسمُه: عبدُ الله بن ثُوَب.

طرحه الأسودُ العنسيُّ المتنبِّئُ[٢] باليمن في النار فلم تَضُرَّه، فكان يُشبَّه بالخليل عليه السلام[٣].

قال شُرَحبِيل: «لمّا تَنبَّأ[٤] الأسودُ بن قيس العنسيُّ بأرض اليمن أرسَل إلى أبي مسلم، فقال: أتشهَد أنّ مُحمدًا رسولُ الله؟ فقال[٥]: نعم، قال: فتشهَد أنّي رسولُ الله؟ فقال: ما أسمع، فقال: أتشهَد أنّ مُحمَّدًا رسولُ الله؟ قال: نعم، قال: فتشهَد أنّي رسولُ الله؟ قال: ما أسمع.

قال: فأمر بنارٍ عظيمة فأُجِّجَت، وطُرِحَ فيها أبو[٦] مسلمٍ فلم تَضُرَّه، فقال له أهلُ مَملَكَتِه: إن تركتَه في بلادك أفسدها عليك، فأمرَه بالرحيل، فقَدِم المدينةَ وقد قُبِضَ رسولُ الله ﷺ، واستُخلِفَ أبو بكرٍ رضي الله عنه، فقام إلى ساريةٍ من سَواري المسجد يُصلِّي، فبَصُرَ به عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه، فقال: من أين الرجل؟ فقال: من اليمن، فقال: ما فعل عدوُّ الله بصاحبِنا الذي حرقه بالنار فلم تَضُرَّه، فقال: ذلك[٧] عبدُ الله بن ثُوَب، فقال: نشدتك بالله، أنتَ هو؟

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٤٨)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤: ١٧٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٣٤: ٢٩٠)، و«السير» (٤: ٧)، و«فوات الوفيات» (٢: ١٦٩).

(٢) في (د): «المتبني».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦٩).

(٤) في (د): «أتينا».

(٥) في (د): «قال».

(٦) في (د): «أبا».

(٧) في (د): «ذاك».

فقال[١]: اللهمَّ نعم، فقام فقبَّل[٢] ما بين عينَيه، ثمَّ جاء به حتَّى أجلسَه بينه وبين الصدِّيق رضي الله عنهم، وقال: الحمدُ لله الذي لم يُمِتني حتَّى أراني في أمّةِ مُحمَّدٍ ﷺ مَن فُعِل به كما فُعِل بإبراهيمَ خليلِ الرحمن عليه السلام»[٣].

قال علقمةُ بن مَرثَد: «انتهى الزهدُ إلى ثمانيةٍ من التابعين؛ منهم: أبو مُسلِمٍ [١٧١/أ] الخولانيّ، لم يكن يُجالِسُ أحدًا يتكلَّم في شيءٍ مِن أمرِ الدنيا إلّا تحوَّل»[٤].

قال عطيّةُ بن قيس: إنّ ناسًا من أهل دمشقَ أتوا أبا مُسلمٍ في منزلِه وهو غازٍ بأرض الروم، فوجَدُوه قد احتفَرَ في فُسطاطِه جوبةً، ووضع فيه نِطعًا، وأفرغ فيه ماءً، وهو يتصلق فيه وهو صائِم، فقالوا له: ما يَحمِلُكَ على الصِّيامِ وأنت مُسافِر، وقد رُخِّص في الفِطر في السفر؟ فقال: لو حضر قتالٌ لأفطَرت[٥]، إنّ الخيلَ لا تجري إلَى الغايات[٦] وهي بُدنٌ؛ إنّما تجرِي وهي ضُمَّر، إن بين أيدينا أيّامًا لها نعمل»[٧].

وجاءه رجلان في منزله، فقيل: هو في المسجد، فوجداه فيه يركع، فانتظرا انصرافَه، وأحصيا ركوعَه فإذا هو ثلاثُ مئةِ ركعةٍ أو أربعُ مئة ركعةٍ قبل أن ينصرف،

---

(١) في (د): «قال». (٢) في (د): «فقبله».

(٣) انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤: ١٧٥٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧: ٢٠٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٠).

(٤) قوله: «إلا تحول» ليس في (د)، وانظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٠)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٢٣٩).

(٥) قوله: «لو حضر قتال لأفطرت» مضروب عليه في (د).

(٦) في (د): «الغابات».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٢٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧: ٢٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٠).

فقالا: إنّا كنّا ننتظرك، فقال: لو علِمتُ مكانَكما لانصرفت إليكما، وما كان لكما أن تُحصِيا عليَّ صلاتي، وأُقسِم لكما إنّ كثرة السجودِ خيرٌ ليومِ القيامة[١].

وقال: «ما عملتُ عملًا أُبالي مَن رآه»[٢].

قال مُحمَّدُ بن زياد: «كان أبو مسلمٍ إذا غَزا بأرضِ الرُّوم فمرُّوا بنهر قال: جُوزُوا باسم الله، ويمرُّ بين أيديهم، فيمرُّون بالنهر الغَمرِ[٣]، فربَّما لم يبلغ من الدواب إلّا الرُّكَبَ أو بعضَ ذلك، أو قريبًا من ذلك، فإذا جاوَزُوه قال للناس: من ذَهبَ لهُ شيءٌ[٤] فأنا ضامِن، فألقى بعضُهم مِخلاةً عمدًا، فلمّا جاوَزُوا قال الرجل: مِخلاتي وقعت في النهر، فقال لهُ[٥]: اتبَعني، فإذا المِخلاةُ تعلَّقَت ببعض أعواد النهر»[٦].

قالت له امرأتُه: «يا أبا مُسلِم، ليس عندنا دقيق، فقال: عندَك شيءٌ؟ قالت: درهمٌ بعنا به غَزْلًا، فقال: هاتِيهِ والجِراب، فدخل السوق، فوقف على رجلٍ يبيع الطعام، فوقف عليه سائل، وقال: يا أبا مُسلِم، تصدَّق عليّ، فهرب منه، فأتى حانُوتًا آخرَ فتبِعَه السائل، فقال: تصدَّق عليّ، فلما أضجرَه أعطاه الدرهم، ثمَّ عمدَ إلى الجِرابِ فملأه من نُحاتة النَجّارِينَ مع التراب، ثمَّ أقبل إلى باب منزله،

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٢٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧: ٢٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧١).

(٢) في (د): «أراه»، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧: ٢٠٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧١).

(٣) في (ق): «المغمر».

(٤) قوله: «من ذهب له شيء» في (ق): «هل ذهب منك شيء من ذهب له شيء».

(٥) «له» ليس في (ق).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٢١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧: ٢١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧١).

فنقرَ البابَ وقلبُه مَرعوبٌ من أهلِه، فلمّا فتَحَت الباب رمى بالجرابِ وذهب، فلما فتَحَته إذا بدَقِيقٍ حُوّارَى، فعَجنَت وخبَزَت، فلمّا ذهب من الليل الهُوِيّ جاء أبو مسلمٍ فنقر البابَ ودخل، فوضعت بين يدَيه خِوانًا وأرغِفة، فقال: مِن أين لكم هذا؟ فقالت: من الدقيق الذي جِئتَ به، فجعل يأكل ويبكي، رحمة الله عزَّ وجلَّ [١٧١/ب] عليه»(١).

وكان أبو مسلمٍ إذا انصرفَ مِن المَسجِدِ إلَى مَنزِله كبَّر على بابِ مَنزِله، فتُكبِّر امرأتُه، فإذا كانَ في صَحنِ دارِه كبَّر، فتجيبُه امرأتُه، فإذا بلغ بابَ بيته كبَّر فتجيبُه، فانصرف ذاتَ لَيلةٍ فكبَّر عند بابِ دارِه فلم يجبه أحد، فلَمّا كانَ فِي صَحنِ الدار كَبَّرَ فلَم يُجبه أحَد، فلَمّا كانَ فِي بابِ بَيتِه كَبَّرَ فلَم يُجِبه أحَدٌ(٢)، وكانَ إذا دَخلَ بَيتَه أخَذَت امرَأتُه رِداءَهُ ونعلَيه، ثمَّ أتَته بطَعامِه(٣)، فدخل، فإذا البيتُ ليس فيه سِراج، وإذا امرأته جالسةٌ مُنكِّسةٌ تَنكُت بعودٍ معها، فقال: ما لك؟ فقالت: أنت لك منزلةٌ من معاويةَ وليس لنا خادِم، فلو سألتَه أعطاك وأخدَمَنا، فقال: اللهمَّ مَن أفسد عليَّ امرأتي فأعمِ بصره، وكانَ قد جاءتها امرأة، فقالت: زَوجُك له منزلةٌ من معاوية، فلو قلتِ له أن يسألَه خادمًا عِشتُم(٤)، فبَينا تلكَ(٥) المرأةُ في بيتها إذ أنكَرَت(٦) بَصرَها، فقالت: ما لسِراجِكُم طَفِئ؟ فقالوا: لا، فعَرفَت ذنبَها، فأقبَلَت إلى أبِي مُسلمٍ تَبكِي، وتَسألُهُ أن يَدعُوَ الله عزَّ وجلَّ لها يردَّ عليها

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧: ٢١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧١)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٢٩٦).

(٢) قوله: «فلما كان في صحن الدار كبَّر فلم يُجبه أحد، فلما كان في باب بيته كبَّر فلم يُجِبه أحد» ليس في (ق).

(٣) في (د): «بطعام».

(٤) في (ق): «أن يسأله أن يخدمه عشتم».

(٥) «تلك» ليس في (ق).

(٦) في (ق): «نكرت».

بصرَها، فرَحِمَها ودَعا لَها، فرَدَّ الله عَزَّ وجَلَّ عَلَيها بَصرَها[١].

قال شُرَحبِيلُ بن مُسلم: «كان أبو مسلمٍ الخولانيُّ إذا وقف على خربة قال: يا خربة، أين أهلُك؟ ذهبوا وبقِيَت أعمالهم، وانقطَعَت الشهوةُ وبقيت الخطيئة، يا ابنَ آدم، تركُ الخطيئةِ أهونُ من طلب التوبة»[٢].

قال أبو مسلم: «ما طلبتُ شيئًا من الدنيا فوُفِّي لي، حتَّى لقد ركبتُ حمارًا فلم يَمشِ بي، فركبه غيري فعدا[٣]، فأُرِيتُ في منامي كأنّ قائلًا يقول لي: لا يَحزُنك ما زُوِيَ عنك من الدنيا، وإنّما يَفعَلُ ذَلكَ بأولِيائِه وأحبابِه وأهل طاعته، فسُرِّي عني»[٤].

وقال: «لأن يُولَدَ لي مَولودٌ يُحسِن الله تعالى نباتَه، حتَّى إذا استوى على شبابه، وكان أعجب ما يكون إليّ قبضه منِّي، أحبُّ إليَّ من أن يكونَ لي من الدنيا وما فيها»[٥].

قال عثمانُ بن أبي العاتكة: «كان مِن أمرِ أبي مسلمٍ أن عَلَّقَ سوطًا في مسجده، ويقول: أنا أولى بالسوطِ من الدَّوابّ، فإذا دخله فترةٌ مَشقَ ساقَه سوطًا أو سوطَين، ويقول: لو رأيتُ الجنّةَ عيانًا ما كان عندي مُستزاد»[٦].

---

(١) قوله: «فرحمها ودعا لها، فرد الله عز وجل عليها بصرها» ليس في (ق)، وانظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧١).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٢٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٢).

(٣) في (د): «فغدا».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٧٢).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٢).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٢٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧: ٢٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٢).

قال بلالُ بن كعب: «ربَّما قال الصبيانُ لأبي مُسلم: ادعُ الله أن يَحبِسَ علينا هذا الطائر، فيدعو الله عزَّ وجلَّ فيحبسه، حتى يأخذوه بأيديهم»(١).

أدرك أبو مسلمٍ أبا بكرٍ وعمر، وأسند عن معاذ، وعبادةَ بن الصامت(٢).

وتُوفِّي في خلافة يزيدَ بن معاوية، قاله مُحمدُ بن سعد(٣)، وقال البخاريّ: «تُوفِّي في خلافة معاوية، رحمة الله تعالى عليه»(٤). [١٧٢/أ]

* * *

[رجاء بن حيوة]

[٣٥١] **ومنهم**: رجاءُ بن حَيوة(٥)، يُكنَّى: أبا المقدام(٦)، شاميٌّ(٧).

قال مُطرِّفٌ الورّاق: «ما رأيتُ شاميًّا أفضل من رجاءِ بن حَيوة».

قال عبيدُ بن السائب: «ما رأيتُ أحدًا أحسنَ اعتدالًا في الصَّلاةِ من رجاءِ بن حَيوة»(٨).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٧٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٧٢)، و«تهذيب الكمال» (٣٤: ٢٩٠).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٤٨)، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٧٢)، و«تهذيب الكمال» (٣٤: ٢٩١).

(٤) «التاريخ الأوسط» (١: ١٢٩)، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٧٢).

(٥) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ٥٠١)، و«حلية الأولياء» (٥: ١٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٩٠).

(٦) في (ق): «المقداد».

(٧) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ٥٠١)، و«حلية الأولياء» (٥: ١٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٩٠).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٧٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ١٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٣).

قال عبدُ الرحمن بن عبد الله: «إنّ رجاءَ بن حَيوةَ قال لرجلَين وهو يعظُهما: انظرا الأمرَ الذي تُحِبّان أن تَلقَيا الله عزَّ وجلَّ عليه فخُذا فيه الساعة، وانظرا الأمرَ الذي تكرهان أن تَلقَيا الله تعالى عليه فدعاهُ السّاعة»(١).

أسندَ رَجاء عن عبد الله بن عمرو(٢)، وأبي الدرداء، وجابر، وغيرهم(٣).

وكان يأمر الخلفاء بالمعروف، فلمّا مات عمرُ بن عبد العزيز انقطع عن صُحبَتهم، فسأله يزيدُ بن عبد الملك أن يَصحبَه فأبى، فقيل له: نخاف عليك من هؤلاء، فقال: يكفيني فيهم الذي تركتُهم له(٤).

* * *

[بلال بن سعد]

[٣٥٢] **ومنهم:** بلالُ بن سعد(٥)، شاميٌّ(٦).

قال عبدُ الله بن المبارك: «مَحلُّ بلال بن سعد بالشام ومصرَ كمحلِّ الحسن بالبصرة»(٧).

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٧٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ١١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٣).

(٢) في (ق) و(د): «عبد الله بن عمر».

(٣) في (ق): «وغيرهما»، وانظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٧٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٣).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٧٣).

(٥) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٥: ٢٢١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٦)، و«تهذيب الكمال» (٤: ٢٩١).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٢١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٦)، و«تهذيب الكمال» (٤: ٢٩١).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٦).

قال الأوزاعيّ: قال بلال: «إنّ الخطيئةَ إذا خَفِيَت لم تضرَّ إلّا أهلَها، وإذا ظهرت ولم تُغيَّر ضرَّت العامّة»[١].

وقال بلال: «ذِكرُك حسناتِك ونِسيانُك سيِّئاتِك غِرّة»[٢].

وقال: «رُبَّ مَسرورٍ مَغبونٌ يأكل ويشرب ويضحك، وقد حقَّ له في كتاب الله عزَّ وجلَّ أنّه من أهل النار»[٣].

قال الأوزاعيّ: قال بلال: «أخٌ لك كلَّما لَقِيَكَ ذكَّرَكَ الله تعالى خيرٌ لك من أخٍ كلَّما لَقِيك وضع في كفِّك دينارًا»[٤].

وقال: «لا تنظر إلى صِغَرِ الخطيئة، ولكن انظر مَن عصَيت»[٥].

قال الضحّاكُ بن عبد الرحمن: سَمِعتُ بلالًا يقول: «يا أُولِي الألبابِ ليتفكَّر مُتفَكِّرٌ فيما يبقى له وينفعه، أمّا ما وكَّلَكم الله عزَّ وجلَّ به فتُضيِّعون، وأمّا ما تكفَّل لكم به فتَطلُبون، ما هكذا نعت[٦] الله عزَّ وجلَّ عبادَه المؤمنين، ذوو عقولٍ في طلب الدنيا، وبُله فيما خُلِقتُم له! فكما تَرجُون رحمةَ الله عزَّ وجلَّ فيما تُؤَدُّونَ[٧]

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٦)، و«تهذيب الكمال» (٤: ٢٩٤).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٦).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٢٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٥٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٦).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٢٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٤٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٦).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٦).

(٦) في (ق): «بعث».

(٧) في (ق): «تمادون».

من طاعته، فكذا أشفِقوا من عذابه[١] بما تنتهكون من معاصيه»[٢].

وقال: «مَن لم يعمل على اليقين فلا يتَعَنَّ، عبادَ الرحمن، هل جاءكم مُخبِرٌ يُخبِرُكم أنّ شيئًا من أعمالكم تُقُبِّلَ منكم، أو شيئًا من أعمالكم غُفِر لكم؟»[٣].

قال الأوزاعيّ: قال بلال: «أدرَكتُهُم يَشتَدُّونَ[٤] بَينَ الأغراضِ[٥]، ويَضحَكُ بَعضُهُم إلَى بَعض، فإذا كانَ اللَّيلُ كانُوا رُهبانًا»[٦].

أسند بلالٌ عن عبد الله بن عمر، وجابر، في آخرين من الصحابة، رضي الله عنهم[٧].

* * *

[عمير بن هانئ]

[٣٥٣] ومنهم: عُمَيرُ بن هانئ[٨]، يُكنَّى: أبا الوليد، شاميّ.

[١٧٢/ب] قال البخاريّ: «سمع من ابن عمر، وزعم آلُ عُمَيرٍ أنّه أدرك ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ»[٩].

---

(١) في (ق): «عذاب».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٣٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٧).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٣١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٧).

(٤) في (ق) و(د): «يشدون». (٥) في (د): «الأعراض».

(٦) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١١٦٣)، و«حلية الأولياء» (٥: ٢٢٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٥٠٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٧).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٧).

(٨) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٥: ١٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٢: ٣٨٨).

(٩) «التاريخ الكبير» (٦: ٥٣٥).

قال سعيدُ بن عبدِ العزيز: «قلت لعُمَيرِ بن هانئ: أرى لسانَك لا يَفتُرُ من ذِكر الله عزَّ وجلّ، فكم تُسبِّحُ كلَّ يوم؟ فقال: مئة ألفٍ إلّا أن تُخطِئَ الأصابع»[1].

* * *

[أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم]

[٣٥٤] ومنهم: أبو بكرِ بن عبد الله[2] بن أبي مريم[3]، من أهل الشام[4].

قال بَقِية: «خرَجنا إلى أبي بكرِ بن أبي[5] مريم[6] نسمع منه في ضيعَتِه، وكانت كثيرةَ الزيتون، فخرج علينا نَبَطيٌّ من أهلِها، فقال لنا: مَن تريدون؟ فقلنا: أبا بكر، فقال: الشيخُ؟ قلنا: نعم، فقال: ما في هذه القرية شجرةُ زيتونٍ إلّا وقد قام إليها ليلةً جمعاء»[7].

قال يَزِيدُ بن هارون: «كانَ أبو بَكرٍ من العُبّاد المُجتهدين، فحضره الموتُ وهو صائم، فلم يَزَل يَجهَدُ به حتى قشَّروا له تفاحة، فأفطر عليها، وقيل

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ١٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٦: ٥٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٧).

(٢) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٦٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٢٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

(٣) في (ق): «رويم».

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٦٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٢٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

(٥) قوله: «أبي» مكررة في (ق).

(٦) في (ق): «رويم».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ١١٠).

لامرأته: ألا تَفلِينَ ثيابَه؟ فقالت: أيّةَ ساعةٍ أفلِيها؟ ما يُلقِيها عنه ليلًا ولا نهارًا؛ لاشتغاله بالصلاة»[١].

قال الحسنُ السَّكُوني[٢]: «كان لأبي بكرٍ في خدَّيه مَسلَكانِ من الدُّمُوع»[٣].

وقيل له وهو في النزع: لو جَرَعتَ جرعةَ ماء، فقالَ بيده: لا، ثُمَّ جاءَ الليل، فقال: أذَّن؟ قيل: نعم، فقَطَرنا في فمه قطرةَ ماء، ثمَّ مات، رحمه الله تعالى[٤].

أسند أبو بكرٍ عن عبد الله بن بُسرٍ[٥] وغيره[٦].

* * *

[حسان بن عطية]

[٣٥٥] ومنهم: حسّانُ بن عطيّة[٧]، شامِيّ، يُكنَّى: أبا بكر[٨].

قال الأوزاعيّ: «ما رأيت أحدًا أكثرَ عملًا منه في الخير»[٩].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

(٢) في (ق): «السلوفي».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٨٩)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٢٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٨٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

(٥) في (ق): «عبد الله بن بشر».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ١٠٨).

(٧) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٤٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩)، و«تهذيب الكمال» (٦: ٣٤)، و«السير» (٥: ٤٦٦).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٤٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩)، و«تهذيب الكمال» (٦: ٣٤)، و«السير» (٥: ٤٦٦).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٧٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٤٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

وكان إذا صلَّى العصرَ يتنحَّى في ناحية المسجد، فيذكرُ الله عزَّ وجلَّ حتَّى تَغِيبَ الشمس[(١)].

قال الأوزاعيّ: قال حسّان: «مَن أطال قيامَ الليل يَهُون عليه طولُ القيام يومَ القيامة»[(٢)].

وقال حسّان: «يُعذِّبُ الله عزَّ وجلَّ الظالِمَ بالظالم[(٣)]، ثمَّ يُدخِلُهما النار»[(٤)].

وقال: «إنّ الرّجُلَ إذا سافر يومَ الجمعة دُعِي عليه ألّا يُصاحَب في سَفَرِه، ولا يُعانَ في حاجته[(٥)]، وركعتان يَستَنُّ فيهما خيرٌ من سبعين ركعةً لا يَستَنُّ فيهما»[(٦)].

أسندَ حسّانُ عن أنس، وشدادِ بن أوس، وأرسل عن خلقٍ من الصحابة، رضي الله عنهم[(٧)].

* * *

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٧٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٤٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٧٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٤٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

(٣) في (ق): «بالظلم».

(٤) قوله: «وقال حسّان: يعذب الله عزَّ وجلَّ الظالم بالظالم، ثم يدخلهما النار» ليس في (د)، وانظر: «حلية الأولياء» (٦: ٧٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٩).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٠).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٠)، و«تهذيب الكمال» (٦: ٣٥).

[أبو سليمان الداراني]

[٣٥٦] ومنهم: أبو سُلَيمانَ الدّارانيّ[١]، واسمُه: عبدُ الرحمن[٢]، وداريّا: قريةٌ من قرى الشام[٣].

قال أحمدُ بن أبي الحَواريّ: سمعت أبا سليمانَ يقول: «مفتاحُ الدُّنيا الشِّبَع، ومفتاح الآخرةِ الجوع، وأصلُ كُل خَيرٍ في الدُّنيا[٤] والآخِرة الخوفُ من الله عزَّ وجلّ، وإنّ الله تعالى يُعطي الدُّنيا مَن يُحِبُّ ومَن لا يُحِبّ، وإنّ الجوعَ في خزائنَ مُدَّخَرة، ولا يُعطَى[٥] إلّا مَن أحبَّ[٦] خاصّةً، ولَأن أدَعَ مِن عَشائِي لقمةً أحبُّ إليَّ من أن[٧] آكُلَها وأقومَ من أوَّلِ الليل إلى آخرِه»[٨].

[١٧٣/أ] وكان يقول: «لولا قيامُ الليل ما أحببتُ البقاءَ في الدنيا»[٩].

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٩: ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٠)، و«وفيات الأعيان» (٣: ١٣١)، و«السير» (١٠: ١٨٢).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٠)، و«وفيات الأعيان» (٣: ١٣١)، و«السير» (١٠: ١٨٢).

(٣) انظر: «معجم البلدان» (٢: ٤٣١).

(٤) قوله: «الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع، وأصل كل خير في الدنيا» ليس في (ق).

(٥) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة. (٦) في (د): «يحب».

(٧) «أن» ليس في (ق).

(٨) في «صفة الصفوة»، و«مرآة الزمان»، و«مختصر تاريخ دمشق»: «مفتاح الدنيا الشبع، ومفتاح الآخرة الجوع، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة». انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٠)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٤٢٨)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٤: ١٩٠).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٣)، و«البداية والنهاية» (١٤: ١٥٢).

وقـال: «مـا أشغَلَك عـن الله عـزَّ وجلَّ مـن أهلٍ أو مالٍ أو ولدٍ فهو عليك مَشؤومٌ»[(١)].

وقـال: «إنّما عصـى الله عزَّ وجلَّ مَن عصاهُ لهَوانِهم عليه، ولو كَرُمُوا عليه لحجزهم عن معاصيه»[(٢)].

وقال: «كلَّما ارتفَعَت منزلةُ القلب كانت العقوبةُ إليه أسرعَ»[(٣)].

وقال: «كنت ليلةً باردةً في المحراب، فأقلَقَنِي البرد، فخبَّأت إحدى يدَيَّ من البرد، وبقِيَتِ الأخرى ممدودة، فغلبَتني عيناي، فهتف بي هاتف: يا أبا سُليمان، قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها ما أصابها، فآلَيت ألّا أدعوَ إلّا ويدَيَّ خارجتان»[(٤)].

قال أحمدُ بن أبي الحَواريّ: قال لي أبو سُليمان: «إنِّي مُحدِّثُك بحديث، فلا تُحدِّث به أحدًا حتَّى أموت: نِمتُ ذات ليلةٍ عن وِردِي، فإذا بحَوراءَ تُنبِّهني، وتقول: يا أبا سُلَيمان، تنام وأنا أُرَبَّى لك في الخِدرِ منذ خمس مِئة عام!»[(٥)].

وسمعته يقول: «بينا أنا ساجِدٌ إذ ذهب بي النوم، فإذا بالحوراء قد ركَضَتني

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٦٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨١).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨١)، و«البداية والنهاية» (١٤: ١٥٥).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨١).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٥٩)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٣١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨١).

برجلِها، وقالت: حبيبي، أترقُدُ عيناك والملِكُ يقظان ينظر إلى المتهجِّدين في تهجُّدهم! بؤسًا لعينٍ آثَرت لذّةَ نومٍ على لذّةِ مُناجاةِ العزيز، قم، دنا الفراغُ ولقي المُحبُّون[1] بعضَهُم بَعضًا، فما هذا الرُّقاد! حبيبي وقُرّة عيني، أترقد عيناك وأنا أُرَبَّى لك في الخِدر منذ كذا وكذا، فوثبت فزِعًا وقد عَرِقتُ حياءً من توبيخِها إيّاي، وإن حلاوةَ منطقِها لفي سمعي وقلبي»[2].

وكان يقول: «النفسُ إذا جاعت وعَطِشَت صفا القلبُ ورقّ، وإذا شَبِعَت ورَوِيَت عَمِي القلب»[3].

وكان يقول: «ما يَسُرُّني أنّ لي من أوّل الدنيا إلى آخرِها أُنفِقه في وجوه البِرّ وأن أغفلَ عن الله عزَّ وجلَّ طرفةَ عين»[4].

وقال: «إذا كانت الآخرةُ في القلب جاءتِ الدنيا تَزحَمُها، وإذا كانت الدُّنيا في القلب لم تَزحَمها الآخرة؛ لأنّ الآخِرةَ كريمة، والدنيا لئيمةٌ»[5].

وقال: «مَن حَسُنَ ظَنُّه بالله عزَّ وجلّ ثمَّ لا يخاف الله عزَّ وجلَّ فهو مَخدوع»[6].

---

(١) في (د): «المحبوب».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨١)، و«البداية والنهاية» (١٤: ١٥٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٢).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٢)، و«البداية والنهاية» (١٤: ١٤٨).

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٣١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٢).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٧٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٢).

وقال: «أرجو أن أكونَ رُزِقتُ من الرضا طرفًا، لو أدخَلَني النارَ لكنت بذلك راضيًا»[١].

وقال: «يوحي الله عزَّ وجلَّ إلى جبريلَ عليه السلام: اسلُب عبدي ما رزقتُه من لذّةِ طاعتي، فإن افتقدَها فرُدَّها عليه، وإن لم يفقدها / فلا تَرُدَّها عليه أبدًا»[٢]. [١٧٣/ب]

وقال: «إنّ الأخَ الذي يَعِظُك برؤيته قبل أن يَعِظَك بكلامه، وكنتُ أنظر إلى الأخ من إخواني بالعراق فأعمل على رؤيتِهِ شهرًا»[٣].

قال أحمدُ بن أبي الحَواريِّ: «بات أبو سليمانَ ذات ليلة، فلمّا انتصف الليلُ قام ليتهيَّأ، فلمّا أدخَل يدَه في الإناء بقي على حالته[٤] حتَّى انفَجرَ الصُّبح، وكان وقتُ الإقامة، فخشيت أن تفوتَه الصلاة، فقلت: الصلاةُ يرحَمُكَ الله عزَّ وجلّ، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثمَّ قال: يا أحمد، أدخَلتُ يديَّ في الإناءِ فعارَضَنِي مُعارِضٌ من سِرِّي: هب أنّك غسلت بالماء ما ظَهرَ منك، فبماذا تغسِلُ قلبَك؟ فبَقِيتُ مُتفكِّرًا، فكنتُ بالغُمومِ والأحزانِ فيما يُقَرِّبُني من الأُنس بالله عزَّ وجلّ»[٥].

وقال: «لو لم يَبكِ العاقِلُ فيما بقي من عُمرِه إلا على لذّةِ ما فاتَهُ من الطاعةِ فيما مضى كانَ لهُ أن يَبكِيَه حتى يموت»[٦].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٦٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٢).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٤٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٢).

(٣) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٨٦٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٤٩)، و«البداية والنهاية» (١٤: ١٥٤).

(٤) في (ق): «حاله».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٢).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٧٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٣).

كان أبو سُلَيمانَ إذا أراد أن يُلبِّيَ يُغشَى عليه، فإذا أفاقَ يقول: بلغَني أنّ الرجلَ إذا حجَّ من غير حِلِّه، فقال: لبيك اللهم لبيك، قال له: لا لبيك ولا سَعدَيك، حتَّى تَرُدَّ ما في يدَيك، فما يُؤَمِّنُني أن يُقال لي هذا! ثمَّ لَبَّى[1].

قال أبو سُليمان: «لو اجتَمعَ الخَلقُ جميعًا على أن يَضعُوني[2] كإيضاعي عندَ نَفسِي ما قَدَرُوا على ذلك»[3].

وقال: «مَن صَفا صُفِّي له، ومَن كَدرَ كُدِّر عليه»[4].

وقال: «مَن أحسنَ في نهاره كُوفِئَ في ليلِه، ومَن أحسن في لَيلِه كُوفِئَ في نهاره، ومَن صَدقَ في تَركِ شَهوة ذهبَ الله تَعالى بها مِن قَلبِه، واللهُ أكرَمُ من أن يُعذِّبَ قلبًا بشهوةٍ تُركَت له»[5].

وقال: «رُبَّما يقع في قلبي النُّكتةُ من نُكَتِ القومِ أيّامًا، فلا أقبَلُ منه إلّا بشاهِدَين عَدلَين: الكتابِ والسُّنّةِ»[6].

وقال: «ليس العبادة عندنا أن تَصُفَّ قدَمَيك وغيرُك يَفُتُّ لك، ولكن ابدأ برغيفَيك[7] فأحرِزهما، ثـمَّ تعبَّد، ولا خيرَ في قلبٍ يتوقَّع قرعَ الباب، يتوقَّع إنسانًا يَجِيئُه يُعطيه شيئًا»[8].

---

(١) في (ق): «بكى»، وفي (د): «يلبي»، وانظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٦٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٣).

(٢) في (د): «يضيعوني».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٤).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٢٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٤).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٥٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٤).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٤).

(٧) في (د): «برغيفك».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٤).

وقال: «إذا[١] لذَّت لك القراءةُ فلا تركَع ولا تَسجُد، وإذا لذَّ لك السجودُ فلا ترفَع[٢] ولا تَقرَأ، والزَم الأمرَ الذي يُفتَحُ لك فيه»[٣].

وقال: «رُدَّ سبيلَ العُجبِ بمعرفة النفس، وتَخلَّص إلى إجمام[٤] القلبِ بقِلّةِ الخُلَطاءِ[٥]، وتعرَّض لرقّةِ القلب بمُجالسةِ أهل الخوف، واستجلِب نُورَ القلبِ بدَوامِ الحُزن، والتمِس بابَ الحزنِ بدوامِ الفكرة، والتمِس وجوهَ الفكرةِ في الخَلَوات،/ وتحرَّز من إبليسَ بمُخالفةِ هواك، وتزيَّن لله عزَّ وجلَّ بالإخلاصِ [١٧٤/أ] والصدقِ في الأعمال، وتعرَّض للعَفوِ بالحياءِ منه والمراقبة، واستجلِب زيادةَ النِّعَم واستدامةَ[٦] النعمةِ بخَوفِ زَوالِها، ولا عملَ كطلبِ السلامة، ولا سلامةَ كسلامةِ القلب، ولا عقلَ كمخالفةِ الهوى، ولا فقرَ كفقرِ القلب، ولا غنًى كغِنى النفس، ولا قوّةَ كرَدِّ الغضب، ولا نُورَ كنُورِ اليقين، ولا يقينَ كاستِصغارِ الدنيا، ولا معرفةَ كمعرفةِ النَّفس، ولا نعمةَ كالعافيةِ من الذُّنُوب، ولا عافيةَ كسعادةِ[٧] التوفيق، ولا زُهدَ كقِصَرِ الأمل، ولا حِرصَ كالمنافسة في الدرجات، ولا طاعةَ كأداءِ الفَرائِض، ولا تقوى كاجتنابِ المَحارم، ولا عُدمَ كعُدمِ العقل، ولا فضيلةَ كالجهاد، ولا جهادَ كمُجاهدةِ النفس، ولا ذُلَّ كذُلِّ الطمع[٨]، ومَن لم يُحسِن[٩] رعايةَ نفسه أسرعَ به هواهُ إلى الهَلَكة، ولا ينفع الهالِكَ نجاةُ المعصوم، ومرارةُ التقوى[١٠] حلاوةٌ في ذلك اليوم، والهالِكُ مَن هلك في آخِرِ سفرِه وقد قارَبَ

---

(١) في (د): «إن». (٢) في (د): «تركع».
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٦٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٥).
(٤) في (د): «إحمام». (٥) في (د): «الخطأ».
(٦) في (د): «واستدم». (٧) في (د): «كمساعدة».
(٨) في (ق): «ولا ذل كالطمع». (٩) في (د): «يخش».
(١٠) في (ق): «النوم»، وفي (د): «اليوم».

المنزل، والخاسِرُ مَن أبدى للنّاسِ صالِحَ عملِه، وبارَزَ بالقبيح مَن هو أقربُ إليه من حَبلِ الوَريد»[١].

قال أحمدُ بن أبي الحَواريِّ: «إنّ فلانًا وفلانًا لا يَقعانِ على قَلبِي، فقال: ولا على قلبي، ولكن لعلَّنا أُتِينا من قلبي وقلبِك، فليس فينا خير، ولا نحبُّ الصالحين»[٢].

وقال: «إذا اعتقَدَت[٣] النفوسُ تركَ الآثام جالت في المَلكُوت، وعادت بطرائفِ الحكمة من غير أن يُؤدِّيَ إليها عالِمٌ عِلمَه»[٤].

قال له رجل: «يا أبا سليمان، ما أقربُ ما تُقُرِّب به إليه؟ فبكى، ثمَّ قال: مثلي يُسأل؟ أقربُ ما تُقُرِّبَ به إليه أن يَطَّلِعَ من قلبك على أنّك[٥] لا تريد من الدنيا والآخرةِ إلّا هو»[٦].

سمع أبو سُليمانَ الحديثَ الكثير، ولقي سفيانَ الثوريَّ وغيرَه، إلّا أنّه اشتغلَ بالتَّعبُّدِ عن الرواية[٧].

قال أبو الفَرجِ بن الجوزيّ: «إلّا أنّي وجدتُ له ثلاثةَ أحاديثَ مُسنَدة:

الأوَّل: قولُه عليه الصلاةُ والسلام: «**مَن صلَّى قبل الظهر أربعًا غُفِرَ له ذنوبُه يومَه ذلك**»[٨]، رواه أنس.

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٦٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٥).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٦٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٦).

(٣) في (د): «عقدت».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٦).

(٥) في (د): «أن».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٦).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٦)، و«السير» (١٠: ١٨٢).

(٨) «تاريخ بغداد» (١١: ٥٢٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٢٣).

قال الخطيب: «لا أحفظُ لأبي سليمانَ حديثًا مُسنَدًا غيرَ هذا الحديث»[١].

الثاني: قولُه عليه الصلاة والسلام: «**مَن تواضَعَ لله رفعه الله عزَّ وجلّ**»[٢]، رواه أبو هريرة رضي الله عنه[٣].

الحديثُ الثالِث[٤]: حديثُ سُوَيدٍ الأزديّ،/ قال: حدَّثَني أبي عن جدِّي [١٧٤/ب] سويدِ بن الحارث، قال: وفَدتُ على رسول الله ﷺ سابِعَ سبعةٍ من قومي، فلمّا دخَلنا عليه وكلَّمناهُ أعجَبَهُ ما رأى من سَمتِنا وزِيِّنا، فقال: «**ما أنتم؟**»، قلنا: مؤمنون، فتبسَّم ﷺ وقال: «**إنّ لكلِّ قولٍ حقيقة، فما حقيقةُ قولِكم وإيمانِكم؟**»، قال سُوَيد: خمسَ عشرةَ خَصلةً.. إلى آخر الحديث»[٥]، وقد مرَّ في أوَّل الكتاب.

تُوفِّي أبو سليمانَ سنةَ خمسٍ ومئتين على الأصحِّ[٦]، وقال السُّلَمِيّ: «سنةَ خمسَ عشرةَ»[٧].

* * *

(١) «تاريخ بغداد» (١١: ٥٢٣).

(٢) «حلية الأولياء» (٨: ٤٦)، و«شعب الإيمان» (٧٧٩٤).

(٣) قوله: «قوله عليه الصلاة والسلام: «من تواضع لله رفعه الله عزَّ وجلَّ»، رواه أبو هريرة رضي الله عنه» ليس في (د).

(٤) قوله: «الحديث الثالث» ليس في (د).

(٥) سبق تخريج الحديث في أول الكتاب، وانظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٧٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ١٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٦).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٧)، و«السير» (١٠: ١٨٦).

(٧) «طبقات الصوفية» للسلمي (٧٤).

[عبد العزيز بن عُمَير]

[٣٥٧] ومنهم: عبدُ العزيز بن عُمَير[1]، أصلُه من خراسان، وسكن دمشق.

قال ابنُ أبِي الحواريِّ: سَمِعتُ عبدَ العزيز يقول: «ترى نورَ الجلال عليهم، وأثرَ الخدمة بين أعيُنهم، إنّ الرجلَ لَينقطِعُ إلى بعض ملوك أهل الدنيا فترى[2] أثرَه عليه، فكيف بمَن انقطعَ إلى الله عزَّ وجلّ، كيف لا يُرى أثرُه عليه؟»[3].

وقال: «الصيامُ سِجنُ المؤمنِ من الدنيا»[4].

وقال: «النفسُ أمّارةٌ بالسوء، فإذا جاء العزمُ من الله عزَّ وجلَّ كانت هي التي تُنازِعُك إلى الخير»[5].

* * *

[مَضاء بن عيسى]

[٣٥٨] ومنهم: مَضاء بن عيسى[6].

قال ابنُ أبي الحواريِّ: سمعتُه يقول: «خَفِ[7] الله عزَّ وجلَّ يُلهِمك، واعمل له لا يُلجئك إلى دليل»[8].

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٧). (٢) في «صفة الصفوة»: «فيرى».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٧). (٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٧).

(٦) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٩: ٣٢٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٨).

(٧) «خف» ليس في (د).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٢٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٨).

وقال: «إذا وصَلُوا إليه لم يرجعوا عنه، إنّما رجع مَن رجعَ من الطريق»[١].

وقال: «مَن رجا شيئًا طلبه، ومَن خاف من شيءٍ هرَبَ منه، ومَن أحبَّ شيئًا آثَره على غيرِه»[٢].

أسندَ مَضاء عن شعبة، وسمع من غيرِه[٣]، والله أعلم.

* * *

[بُشَير الطبري]

[٣٥٩] ومنهم: بُشَيرٌ الطبريّ[٤].

قال أبو عمرٍو الكنديّ: «أغارت الرومُ على جواميسَ لبُشَير، وكانوا نحوًا من[٥] أربعِ مئة، فرَكِبتُ معه أنا وابنٌ له، فلقِينا عبيدَه الذين كان معهم الجواميسُ ومعهم عِصيُّهم، فقالوا: يا مولانا، ذهَبَت الجواميس، فقال: وأنتم أيضًا فاذهَبوا معها، فأنتم أحرارٌ لوجهِ الله عزَّ وجلّ، فقال له ابنُه: يا أبت، أفقَرتَنا، فقال: اسكت، إنّ ربِّي اختبَرَني فأحببتُ أن أزيدَه»[٦].

* * *

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٨).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ٢٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٨).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٨).

(٤) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ١٣٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٨).

(٥) «من» ليس في (د).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٣٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٨).

[القاسم الجوعي]

[٣٦٠] ومنهم: القاسم[١] **الجوعيّ**[٢]**، من أهل الشام**[٣]**.**

قال أحمدُ بن أبِي الحواري: سمعت الجوعيَّ الكبيرَ يقول: «شَبِعَ الأولياءُ بالمحبّة عن الجوع، ففَقَدُوا[٤] لَذاذةَ الطعام والشراب، والشهوات ولذّاتِ الدنيا؛ لأنّهم[٥] تلذَّذوا بلذّةٍ ليس فوقَها لذّة، فقطَعَتهم عن كلِّ لذّة[٦]، وإنّما سُمِّيتُ الجوعيَّ؛ لأنّ الله عزَّ وجلَّ قَوّاني على الجوع، فلو تركت ما تركت ولم أوتَ بالطعام لم أبال، رَضِيَت نفسي حتَّى لو تُرِكَت شهرًا وما[٧] زاد لم تأكل ولم تشرب لم تُبال، أنا عنها راضٍ، أسوقها حيثُ شئت، اللهمَّ أنت فعلتَ فيَّ ذلك فأتِمَّه عليَّ»[٨]. [١٧٥/أ]

قال أحمد بن عبد الله الحافِظ[٩]: قال الجوعيّ: «حُبُّ الرئاسةِ أصلُ كلِّ مُوبِقة، وقليلُ العمل مع المعرفة خيرٌ من كثيرِ العمل بلا معرفة، ورأسُ الأعمال الرضا عن الله عزَّ وجلّ، والورعُ عِمادُ الدين، والجوعُ مُخُّ العبادة، والحِصنُ الحصينُ ضَبطُ اللسان»[١٠].

---

(١) في (ق) و(د): «أبو القاسم».

(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٩: ٣٢٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٢٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩).

(٤) في (ق): «فقدوا».

(٥) في (د): «إلا أنهم».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٠٩).

(٧) في (د): «أو ما».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٢٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩).

(٩) في (ق) و(د): «أبو عبد الله الحافظ».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩).

وقال: «أصلُ الدينِ الورع، وأفضلُ العبادةِ مُكابَدَةُ الليل، وأفضلُ طُرُقِ الجنّةِ سلامةُ الصدر»(١).

قال عبدُ الرحمنِ بنُ أبي حاتمٍ الرازيّ: «دخلت دمشقَ على كَتَبَةِ الحديث، فمرَرتُ بحلقةِ قاسمٍ(٢) الجوعيّ، فهالَني منظَرُهم، فتقدَّمت إليه، فسمِعتُه يقول: اغتَنِموا من زمانكم(٣) خمسًا؛ إن حَضَرتُم لم تُعرَفوا، وإن غِبتُم لم تُفقَدوا، وإن شَهِدتُم لم تُشاوَروا، وإن قلتم شيئًا لم يُقبَل قولُكم، وإن عَمِلتُم(٤) شيئًا لم تُعطَوا به، وأوصيكم بخمسٍ أيضًا: إن ظُلمتُم لم(٥) تَظلِموا، وإن مُدحتُم لم تَفرَحوا، وإن ذُمِمتُم لم تَجزَعوا، وإن كُذِّبتم لم تَغضَبوا، وإن خانُوكم فلا تخونوا. قال: فجَعلتُ هذه فائدتي من دمشق»(٦).

أسند الجوعيُّ عن سفيانَ بن عيينةَ وغيره(٧)، والله أعلم.

* * *

[أحمدُ بن أبي الحواري]

[٣٦١] ومنهم: أحمدُ بن أبي الحَوارِيّ(٨)، يُكنَّى: أبا الحسن، واسم

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ١٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩).

(٢) في (ق) و(د): «أبي القاسم».

(٣) في (ق) و(د): «ربكم».

(٤) في (ق): «علمتم».

(٥) في (د): «لا»، وكذا في المواضع التالية.

(٦) «علل الحديث» لابن أبي حاتم (١: ٢٥٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ١٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩).

(٨) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩)، و«تهذيب الكمال» (١: ٣٦٩)، و«السير» (١٢: ٨٥).

أبي الحواري[(١)]: ميمون[(٢)].

سَكَنَ بدمشقَ[(٣)]، وكان له ابنٌ يقال له: عبدُ الله، من الزُّهّاد، وأخٌ يُقال له: مُحمَّدٌ يُشبِهُه في الورعِ والزهد[(٤)].

وأبوه أبو الحَواريِّ من أهلِ الوَرع، فبَيتُهم بيتُ ورعٍ وزهد[(٥)]، وكان الجُنَيدُ يقول: «أحمدُ بن أبي الحَواريِّ ريحانةُ الشام»[(٦)].

وقال يحيى بن مَعينٍ وقد ذُكِر ابنُ أبي الحواريِّ: «أظنُّ أهلَ الشام يسقِيهم الله عزَّ وجلَّ الغيثَ به»[(٧)].

قال العبّاسُ بن حمزة: سمعت أحمدَ بن أبي الحواريِّ يقول: «مَن أحبَّ أن يُعرَفَ بشيءٍ من الخير أو يُذكَر به فقد أشرَكَ في عبادته، ومَن عبد على المحبّة لا يحبُّ أن يَرَى خدمتَه سوى مَخدومِه»[(٨)].

وقال: «إني لأقرَأ القرآنَ فأنظرُ في أيّةِ آيةٍ[(٩)]، فيَحارُ عَقلِي فيها، فأعجَبُ

---

(١) في (ق) و(د): «واسمه».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩)، و«تهذيب الكمال» (١: ٣٦٩)، و«السير» (١٢: ٨٥).

(٣) في (د): «دمشق».

(٤) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩-٣٩٠).

(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٩-٣٩٠).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧١: ٢٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠)، و«تهذيب الكمال» (١: ٣٧٣).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠)، و«تهذيب الكمال» (١: ٣٧٢)، و«السير» (١٢: ٨٧).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠).

(٩) «آية» ليس في (د).

من حفّاظ القرآن كيف يَهنِيهم[١] النومُ ويَسَعُهم أن يشتَغِلوا بشيءٍ من الدنيا وهم يتلون كلامَ الله عزَّ وجلَّ! أما لو فهِموا ما يَتلُونَ وعرَفوا حقَّه وتلذَّذوا واستحلَوا المناجاةَ به لذَهبَ عنهم النومُ؛ فرحًا بما رُزِقوا»[٢].

وقال: «كلَّما ارتفَعَت منزلةُ القلب كانت العقوبةُ إليه أقرَبَ»[٣].

أسند أحمدُ عن حَفصِ بن غِياث[٤]، ووكيع، ونظرائِهما[٥]، وتُوفِّي سنة ست وأربعين ومئتَين[٦]./ [١٧٥/ب]

* * *

[محمد بن سمرة السائح]

[٣٦٢] **ومنهم**: مُحمَّدُ بن سَمُرة السائِح[٧]، شامي[٨].

قال يوسفُ بن أسباط: «كتب مُحمَّدٌ السائِحُ هَذِه[٩] الرسالة: أي أخي، إيّاك وتأميرَ التسويفِ على نَفسك، وإمكانَه من قلبك؛ فإنّه مَحلُّ الكَلالِ ومَوئِلُ

---

(١) في (د): «يهنهم».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩٣)، و«حلية الأولياء» (٩: ٢٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠).

(٤) في (ق): «حفص بن أبي عتاب».

(٥) في (د): «ونظائرهما»، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠)، و«تهذيب الكمال» (١: ٣٧٠).

(٦) في (ق) و(د): «ثلاث ومئتين»، وفي «صفة الصفوة»: «ثلاثين ومئتين»، وانظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٩١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠)، و«تهذيب الكمال» (١: ٣٧٥).

(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠).

(٩) في (ق): «بهذه».

التلف، وبه تُقطَعُ الآمال، وفيه تنقطِعُ الآجال، فإنّك إن فعلتَ ذلك أدلْتَه من عزمك، فاجتمَعَ وهواك عليك، فغَلَبا واسترجَعا من بدنك[1] من السآمةِ ما قد وُلِّي عليك، فعند مُراجَعتِه إيّاك لا تنتفع نفسُك من بدنِك[2] بنافعة.

وبادر يا أخي؛ فإنّك مُبادَرٌ بك، وسارِع فإنّك مَسروعٌ[3] بك، وجِدَّ؛ فإنَّ الأمرَ جَدّ، وتيقَّظ من رَقدَتِك، وانتَبِه من غَفلَتِك، وتذَكَّر ما أسلَفتَ وقصَّرت، وأفرَطتَ وجَنَيتَ وعَمِلت؛ فإنّه مُثبَتٌ مُحصى، فكأنّك[4] بالأمر وقد بَغتَك فأُعطِيتَ بما قدَّمت ونَدِمت على ما فرَّطت، فعليك بالحياءِ والمراقبة والاعتزال وقلّةِ المُلاقاة؛ فإن السلامةَ في ذلك مَوجودة، وفَّقَنا الله عزَّ وجلَّ وإيّاك لأرشدِ الأمور، ولا قوّةَ بنا وبك[5] إلّا بالله تعالى»[6].

* * *

[أبو عباد الشامي]

[٣٦٣] ومنهم: أبو عبّادٍ الشاميّ[7].

قال إبراهيمُ بن مَنصور: «سمعتُ أبي يقول: قال رجلٌ بالشام: يا أبا السَّريّ، عندنا رجلٌ من العُبّاد لا يأكل إلّا من كَدِّ يده، وقد دَبِرَت من سَفِّ الخوص يداه[8]، ولو رأيتَه لوقذك[9] النظرُ إليه، فهل لك أن تمضِيَ بنا إليه؟ قُلت: نعم.

---

(١) في (ق): «يديك».
(٢) في (ق): «يديك».
(٣) في «التبصرة» لابن الجوزي: «مسرع».
(٤) في (ق): «وكأنك».
(٥) في (د): «ولك».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٠).
(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩١).
(٨) في (ق): «يديه».
(٩) في (ق) و(د): «لوقدك».

فأتيناه فدقَقنا عليه بابه، فخرج إلى الباب، فقال: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك ممَّن جاء ليشغلَني عمّا أتلذَّذ به من مُناجاتِك، ثمَّ فتح الباب، فدخَلنا، فإذا رجلٌ ترى به الآخرة، وإذا قبرٌ مَحفور، ووصيّةٌ قد كتبَها في الحائط، وكساءٌ قد أعَدَّه لكَفنِه.

فقلت: أيُّ مَوقِفٍ لهذا الخلق؟ فقال: بين يَدَي من؟ ثَمَّ صاح وخرَّ لوجهه، ثمَّ أفاق من غشيته، فقال لهُ صاحبي: يا أبا عبّاد، هذا أبو السري[١] منصور، فقال: مرحبًا يا أخي ما زلتُ إليك مشتاقًا أُعلِمُكَ أنّ بي داءً قد أعيا[٢] المُتطبِّبين قبلك قديمًا، فهل لك أن تتأتَّى برفقك وتُلصِق عليه بعضَ مراهمك، لعلَّ الله تعالى ينفع بك؟

قال: قلتُ له: وكيف مِثلي يداوي مثلَك، وجُرحي أثقلُ من جُرحك؟ قال: وإن كان كذلك؛ فإنِّي مشتاقٌ إلى ذلك، فقلت: لَئِن كنتَ تَمسَّكتَ باحتفار قبرك، وبوصيّةٍ رَسَمتَها[٣] بعد وفاتِك، وبكفَنٍ أعدَدتَه ليوم موتك، فإنّ لله عبادًا اقتطَعَهم[٤] خوفُه عن النظر إلى/ قبورِهم، فصاحَ صيحةً، ووقع في قبرِه، وجعل يفحص برِجلَيه، فعرَفتُ ذهابَ عقلِه. [١٧٦/أ]

ثمَّ خرجت إلى طحّانٍ على بابه، فقلت: أعِنّا على هذا الشيخ، فأخرَجناه من قبره وهو في غَشيِه، فلمّا كان الغدُ جِئتُه، فإذا سلخٌ في وجهه، وإذا بشريط قد شَدَّ به رأسه لصداع وجَدَه، فلما رآني قال: يا أبا السَّرِيّ[٥]، المعاودةُ رَحِمَك الله عزَّ وجلّ، فقلت: أين بلغتَ أيُّها المُتعبِّد من أحزانك[٦]؟ بالله[٧] لكأنّي أنظرُ إلى آكِل الفطير، والصابِر على خُبز الشعير يأكل ما اشتَهى، ويُسعى عليه بلحم طير، ويُسقى

---

(١) في (ق) و(د): «أبو اليسر».
(٢) في (د): «أعي».
(٣) في (ق): «وسمتها».
(٤) في (ق): «اقتطعه»، وفي (د): «أقطعهم».
(٥) في (ق) و(د): «يا أبا اليسر».
(٦) في (د): «إخوانك».
(٧) في (ق): «يالله».

من الرَّحيقِ المختوم، فشَهَقَ شَهقةً فإذا هو ميت[١].

* * *

[جابر الرحبي]

[٣٦٤] **ومنهم: جابرٌ الرحبيُّ**[٢].

قال أبو جعفر الخصّاف: «قال لي جابرٌ الرحبيّ: أكثَرَ عليَّ[٣] أهلُ الرحبةِ ينكرون عليَّ[٤] ما يُعطِي الله عزَّ وجلَّ لأوليائه، فخرَجتُ إلى خارج، فركبت الأسدَ[٥] ودخَلتُ إلى الرحبة، وقُلتُ[٦]: أين الذين يُنكِرُون كراماتِ أولياء الله عزَّ وجلّ؟ فكفُّوا عنّي»[٧].

وقال أبو جعفرٍ الخصّاف: «قال لي جابِرٌ يومًا وأنا أُماشيه: مُرَّ بنا نتسابق، مُرَّ أنت هكذا حتَّى أمُرَّ أنا هكذا، قال الخصّاف: فمررت أنا على الجسر، وإذا أنا بجابرٍ يمشي على الماء، فقلت له: أنا أمشي على الجسر وأنت على الماء، فقال: وقد رأيتَني؟ قلت: نعم، فقال: أنت رجلٌ صالِحٌ»[٨].

* * *

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٥: ٨٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩١).

(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٢).

(٣) «علي» ليس في (د).

(٤) «علي» ليس في (ق).

(٥) في (د): «السبع».

(٦) «وقلت» ليس في (د).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٢).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٢).

[أبو عبيد البسري]

[٣٦٥] ومنهم: أبو عُبَيدٍ البُسريُّ[١]، وبُسرَى: فوق دمشقَ ممّا يلي القِبلة[٢].

قال مُحمَّدٌ غلامُ أَبي عُبيد: «أردت الحجّ، فودَّعت أبا عُبَيدٍ حِينَ[٣] أردتُ الخروج، فقال لي: معك شيءٌ؟ قلت: لا، إلّا هذه الرَّكوة، فقال: إذا أردتَ شيئًا أو جُعتَ أو عطشتَ فصَلِّ رَكعتَين، واجعلها عن يمينِك، فإذا سلَّمت رأيتَ كلَّ ما تُحِبّ، قال: فجِئتُ إلى بعضِ المنازلِ وليس فيها ماء، والناسُ يَصِيحون[٤] من[٥] العطش، فقلت في نفسي: قد قال أبو عُبَيد ما قال، وهو صادِق، فأَخَذتُ الرَّكوة، فرَمَيت بها في مَصنَع، وصلَّيتُ رَكعتَين، فما سلَّمت إلّا والرياح تذهَبُ بها وتجيء على رأسِ الماء، فنزَلتُ وأخذت[٦] الرَّكوة، فجاء الناسُ واستقَوا حتى رووا»[٧].

قال ابنُ أبي عُبَيد: «غزا أبي سَنةً من السنين، فخرج في السريّة، فمات المُهرُ الذي كان تحته، فقال: أي رَبّ، أعِرنا إيّاه حتى نرجع إلى بُسرى، فإذا المُهرُ قائِم، فلمّا غزا ورجع إلى بُسرى قال: يا بنيّ، خُذ السرجَ عن المُهر، فقلت: يا أبَتِ قد عرق، فقال: يا بنيَّ هو عارية، فلمّا[٨] أخَذتُ السرجَ وقع ميِّتًا»[٩]. [١٧٦/ب]

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٢).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٢).
(٣) في (ق) و(د): «حتى».
(٤) في (ق): «يضجون».
(٥) «من» ليس في (د).
(٦) في (ق): «فأخذت».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٢-٣٩٣)، و«صب الخمول» (١٧٤-١٧٥).
(٨) في (ق): «فكما».
(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٢٨٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٣).

قـال أبـو زُرعة: «كـان أبو عُبيدٍ البُسريُّ بعرفةَ وإلـى جانبه ابنُه، فقـال لـه: ليَهنِك[1] الفارِس، فقال: يا أبت[2]، وأيُّ؟ فقال: وُلِدَ لك الساعةَ غلام، فلمّا صِرنا إلى بُسرَى وجدتُ زوجَتي قد ولدت غلامًا يومَ عرفة»[3].

قـال ابـنُ مَسروق: حدَّثَني عبدُ الله، غلامٌ لأبي عبيد، قال: «كنت معه يومًا قاعدًا بدمشقَ أنا وجماعةٌ من إخوانِه، إذ مرَّ رجلٌ على دابّةٍ ومعه غلامٌ له يَعدُو وبيدِه غاشية، فلمّا حاذى أبا عُبَيد، قال: اللهمَّ أعتِقني وأرِحنِي منه، ثمَّ قال: ادعُ الله تعالى لي، فقال أبو عبيد: اللهمَّ أعتِقه من النارِ ومن الرِّق، فعَثَرت الدابةُ بمَولاه، فسقط إلَى[4] الأرض، فالتفت إلى الغلام، وقال له: أنتَ حرٌّ لوجهِ الله عزَّ وجلّ، فرمى بالغاشية إليه، وقال: يا مولاي، أنت لم تَعتِقني، وإنّما أعتَقَني هؤلاء، فصَحِب[5] أصحابَنا وتُوفِّي بينهم»[6].

* * *

[أبو بكر الهلالي]

[٣٦٦] ومنهم: أبو بكر الهلاليّ[7]، الشاميّ.

مـن كـلامه النافع: مَـن عُنِيَ بمجاهـدةِ الأسـرار اشتغل عـن الحكايـات والأخبار[8].

---

(١) في (ق): «يهنيك». (٢) في (ق): «يا أبه».

(٣) انظر: «البيان» (٢: ١٥٩)، و«المجموع» (٣: ٢٥٨).

(٤) في (ق): «من». (٥) في (د): «فضحك».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ٤١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٣).

(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٤).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٤).

وقال: «رَمَوا هِممَهم إلى أعلى الفضائل، وضيَّعوا الفرائض، فلا إلى هِمَمِهم وصلوا، ولا قاموا بقليلِ ما به وُكِّلوا، ومَن قام بقليلِ ما وُكِّلَ به ائتُمِن على الكثير، ومَن لم يَقُم بقليل ما وُكِّل به لم يُؤتَمَن[١] على قليلٍ ولا كثير»[٢].

وأشار إلى شجرةٍ في منزِله، فقال: ما نظرتُ إليها نظرةً فرجع إليَّ إلّا[٣] بعقوبة، أو توبيخٍ في سِرِّي، يُقال[٤] لي: تكون بين أيدينا وتنظرُ إلى سِوانا[٥]!

وقال: «كنت أتمنى على الله عزَّ وجلَّ أن يُرِيَني أبا العبّاسِ الخَضِر، فلمّا كان بعد مُدّةٍ إذا أنا بالباب يُدَقّ، فقلت: مَن هذا؟ فقال: أنا الذي تتمنّاني على الله عزَّ وجلّ؛ الخَضِر، فقلت له: الذي طلبناك له قد وجدناه، ارجع إلى حال سبيلِك»[٦].

* * *

[عُبّاد ثلاثة من عُبّاد بيت المقدس]

[٣٦٧] **ومنهم**: عُبّادٌ ثلاثةٌ من عُبّادِ بيت المقدس[٧].

قال بشرُ بن بشّارٍ المُجاشِعيّ، وكان من العُبّاد: «لَقِيت ثلاثةً ببيت المقدس، فقلت لأحدِهم: أوصِني، فقال: ألقِ نفسك مع القَدَر حيث ألقاك، فهو أحرى أن يُفرِغَ قلبَك، ويُقِلَّ همَّك، وإيّاك أن تسخطَ ذلك فيَحِلَّ بك السخطُ وأنت عنه في غفلةٍ لا تشعر به.

---

(١) في (ق): «يؤمن».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٤).
(٣) «إلا» ليس في (د).
(٤) في (ق): «يقال».
(٥) انظر: «ذم الهوى» (٧٨-٧٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٤).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٤).
(٧) انظر ترجمتهم في: «حلية الأولياء» (١٠: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٦).

فقلت للآخر: أوصِني، فقال: ما أنا بمُستَوصٍ، قلت: عسى الله عزَّ وجلَّ أن ينفعَ بوصيَّتك، فقال: أمّا إذا أبيتَ إلّا الوصيّةَ فاحفظ عنِّي: التمِس رضوانَه في تَركِ نَواهيه، فهو أوصَلُ إلى الزُّلفى لديه. [١٧٧/أ]

قلت للآخر: أوصِني، فبكى، وقال: أي أُخَيّ، لا تَبتغِ في أمرك تدبيرًا غيرَ تدبيره، فتهلك فيمن هلك، وتَضِلَّ فيمَن ضلّ»[١].

* * *

[عابد آخر ببيت المقدس]

[٣٦٨] ومنهم: عابدٌ آخرُ[٢] ببَيتِ المَقدِس[٣].

قال عثمانُ العبديّ: «جاء رجلٌ إلى بيت المقدس، فمدَّ كساءَهُ في ناحية المسجد، فكان فيه الليلَ والنهار، وطعامهُ[٤] خلف ذلك الكساءِ الذي قد مَدَّه، فيَبيت ليلَه أجمعَ يُصلِّي، فإذا طلع الفجرُ مدَّ بصوت: عند الصباح يَغبطُ القومُ السُّرى، وكان يُقال له: ألا تَرفُقُ بنفسِك؟ فيقول: إنّما هي نفسي، أُبادِرُها أن تخرجَ»[٥].

* * *

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٦).

(٢) «آخر» ليس في (ق).

(٣) انظر ترجمته في: «فضائل بيت المقدس» لابن المرجى المقدسي (٢٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٧).

(٤) في (ق): «طعيمه».

(٥) انظر: «فضائل بيت المقدس» لابن المرجى المقدسي (٢٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٧).

[عابد آخر ببيت المقدس]

[٣٦٩] عابدٌ آخرُ ببيت المقدس[١].

قال ذو النون: «نظرتُ إلى رجلٍ ببيت المقدس قد استفرَغَه الوَلَه، فقلت له: ما الذي أثار منك ما أرى؟ فقال: ذهب الزُّهّادُ والعُبّادُ بصَفوِ الإخلاص، وبقِيتُ في كَدرِ الانتقاص، فهل من دليلٍ مُرشِدٍ أو حكيمٍ مُوقِظ؟»[٢].

* * *

[عابد آخر]

[٣٧٠] عابِدٌ آخر[٣].

قال أبو الجوّال المغربيّ: «كنت ببيت المقدِسِ جالسًا مع رجلٍ صالحٍ إذ طلع علينا شابٌّ والصبيانُ حولَه يَقذِفونَه بالحجارة، ويَقُولُون: مَجنُون[٤]، فدخل المسجدَ وهو ينادي: اللهمَّ أرِحنِي من هذه الدار، فقلت له: هذا كلامُ حكيم، فمن أين لك هذه الحكمة؟

فقال: مَن أخلَصَ له في الخدمة أورَثَه طرائفَ الحكمة، وأيَّدَهُ بأسبابِ العِصمة، وليس بي بجُنونٍ ووَلَق، بل قلقٍ وفَرَق، ثمَّ جعل يقول:

هَجَرتُ الكَرَى[٥] في جَنبِ مَن جادَ بالنِّعَم وعِفتُ الكَرَى شَوقًا إليه فلم أَنَمْ

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٩: ٣٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٧).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٩٧).

(٣) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٨).

(٤) قوله: «ويقولون مجنون» ليس في (ق).

(٥) في «صفة الصفوة»: «الورى».

وَمَوَّهتُ دَهرِي بالجُنُونِ عَنِ الوَرَى[١] لأَكتُمَ ما بي مِن هَواهُ فما انكَتَمْ
فلمّا رأيتُ الشَّوقَ والحُبَّ بائِحًا كشَفتُ قِناعِي ثمَّ قُلتُ نَعَم نَعَمْ
فإن قِيلَ مَجنُونٌ فقد جَنَّني الهَوى وإن قِيلَ مِسقامٌ فما فيَّ مِن سَقَمْ
وحَقِّ الهَوى والحُبِّ والعَهدِ بينَنا وحُرمةِ رُوحِ الأُنسِ في حِندِسِ[٢] الظُّلَمْ
لقَد لامَنِي الواشُونَ فِيكَ جَهالةً فقُلتُ لطَرفِي أفصَحَ[٣] العُذرُ فاحتَشَمْ
فعاتَبَهُمْ طَرفِي بغَيرِ تَكلُّمٍ وأخبَرَهُمْ أنّ الهَوى يُورِثُ السَّقَمْ
فَبالحِلمِ يا ذا المَنِّ لا تُبعِدَنَّني وقَرِّب مَزارِي مِنكَ يا بارِيَ النَّسَمْ

فقلت له: أحسنت، ولقد غلط مَن سمّاك مجنونًا، فنظر إليَّ وبكى»[٤].

* * *

[مالك بن القاسم الجبلي]

[٣٧١] ومنهم: مالكُ بن القاسم الجَبليّ[٥]، من أهل جَبَلة[٦].

قال عبد العزيز الأهوازي: «قال لي سَهلُ بن عبد الله: مُخالَطةُ الوليِّ للناسِ ذُلّ، وتفرُّدُه عِزّ، قَلَّ ما رأيت وليًّا/ لله عزَّ وجلَّ إلّا منفرِدًا. [١٧٧/ب]

إنّ عبدَ الله بن صالحٍ كان رجلًا له سابِقةٌ جليلة، وموهبةٌ جزيلة، وكان يَفِرُّ من

(١) في (د): «الكري».
(٢) الحندس: الليل الشديد الظلمة. انظر: «العين» (٣: ٣٣٢)، و«تهذيب اللغة» (٥: ٢١١)، و«الصحاح» (٣: ٩١٦)، و«لسان العرب» (٦: ٥٨).
(٣) في (د): «أفضح».
(٤) الأبيات من بحر الطويل، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩٨)، و«معارف الإنعام» (١٨٧-١٨٨)، و«البحور الزاخرة» (٣: ١٥٨٦).
(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٣). (٦) انظر: «معجم البلدان» (٢: ١٠٤).

بلدٍ إلى بلد حتَّى أتَى مكّة، فطال مُقامُه بها، فقلت له: لقد طالَ مُقامُك بها؟ فقال لي: لمَ لا أُقِيم بها ولم أرَ بلدًا تَنزِلُ فيه من[1] الرحمةِ والبَركةِ أكثرَ منها، فأحبَبتُ أن أكونَ فيها مُقِيمًا والملائكةُ تَغدُو فيه وتروح، وإنِّي أرى فِيه[2] أعاجيبَ كثيرة، وأرى الملائكةَ يَطوفونَ على صُوَرٍ شتّى، لا يَقطَعون ذلك، ولو قُلتُ كلّ ما رأيت لصَغُرَت عنه عقولُ قومٍ ليسوا بمؤمِنين.

فقلت له: أسألك إلا أخبَرتَنِي بشيءٍ من ذلك؟ فقال: ما من وليٍّ لله تعالى صحَّت ولايتُه إلّا وهو يحضر في هذا البلدِ ليلةَ جمعةٍ لا يتأخَّر عنه، فمُقامِي هاهنا لأجل مَن أراه[3] منهم، ولقد رأيت رجلًا يُقال له: مالكُ بن القاسِم، جبليّ، قد جاء ويدُه غمرة، فقلت: إنّك قريبُ عهدٍ بالأكل؟ فقال لي: أستغفِر الله؛ فإنَّني منذُ أسبوع لم آكُل، ولكن أطعَمتُ والِدتي وأسرعت لألحقَ صلاةَ الفجر، وبينه وبين الموضعِ الذي جاء منه سبعُ مئةِ فرسَخ، فهل أنت مُؤمِنٌ بذلك؟ فقلت: نعم، فقال: الحمدُ لله الذي أراني مؤمنًا مُوقِنًا»[4].

* * *

[أبو عمرو الأوزاعي]

[٣٧٢] ومنهم: أبو عمرٍو الأوزاعيّ[5]، واسمُه: عبدُ الرحمن[6].

---

(١) «من» ليس في (ق). (٢) في (ق): «منه».

(٣) في (د): «أرى».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٣)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٠٢).

(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ١٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٤)، و«السير» (٧: ١٠٧).

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ١٤٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٤)، و«السير» (٧: ١٠٧).

والأوزاعُ بطنٌ من هَمدان[١]، ذَكرهُ مُحمدُ بن سعد[٢].

وقال البخاريُّ في «**تاريخه**»[٣]: «الأوزاعُ قريةٌ بدمشقَ إذا خَرجتَ مِن بابِ الفَرادِيس».

وُلِدَ سنة ثمانٍ وثمانين، وسكن ببيروت، وبها مات[٤].

كتب الأوزاعيُّ إلى أخٍ له: «أمّا بعدُ، فإنّه أُحِيط بك من كلِّ جانب، واعلم أنه يُسار بك في كلِّ يومٍ وليلة، فاحذَر الله عزَّ وجلَّ والمُقامَ بين يدَيه، وأن يكونَ آخرَ عهدك به، والسلام»[٥].

قال عباسُ[٦] بن الوليد: أخبَرَني أبي، قال: سمعتُ الأوزاعيَّ يقول: «ليس ساعةٌ من ساعاتِ الدنيا إلّا وهي مَعروضةٌ على العبدِ يوم القيامة يومًا فيومًا، وساعةً فساعةً، ولا تمرُّ به ساعةٌ لم يذكُر الله عزَّ وجلَّ فيها إلّا تَقطَّعَت نَفسُه عليها حسرات، فكيفَ إذا مرَّت به ساعةٌ مع ساعة، ويومٌ مع يوم!»[٧].

---

(١) قال ياقوت في «معجم البلدان» (١: ٢٨٠): «الأوزاع؛ بالفتح ثم السكون، وزاي، وعين مهملة: قرية على باب دمشق من جهة باب الفراديس، وهو في الأصل اسم قبيلة من اليمن، سُمِّيَت القرية باسمهم؛ لسُكناهم بها فيما أحسب، وقيل: الأوزاع بطن من ذي الكلاع من حمير، وقيل: من همدان».

(٢) «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٨).

(٣) «التاريخ الكبير» (٥: ٣٢٦).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ١٤٧)، و«السير» (٧: ١٠٧).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٤٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٢٠٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٤).

(٦) في (ق) و(د): «عياش».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٤٢)، و«المنتظم» (٨: ١٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٤).

وقال: «الناسُ عندنا أهلُ العلم»[١]، يعني: العاملين.

وقال: «العافيةُ عشرةُ أجزاء؛ تسعةٌ منها صمت، وجزءٌ منها الهربُ من الناس»[٢].

وقال: «مَن أطال قيامَ الليل هُوِّن عليه موقفُه يوم القيامة».

قيل: أخذ ذلك من قولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]، إلى قوله: ﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٧][٣]. [١٧٨/أ]

وقال: «مَن أكثرَ مِن ذِكرِ الموت كفاه اليسير، ومَن عَلِم أنّ مَنطِقَه من عملِه قلَّ كلامُه»[٤].

قال مَسلمةُ بن عليّ: سمعت الأوزاعيَّ يقول: «كان السلفُ إذا صدعَ الفجرُ أو قَبلَهُ كأنّما على رؤوسهم الطير، مُقبِلين على أنفُسِهم، حتَّى لو أنّ حميمًا لأحدهم غاب عنه حينًا ثمَّ قَدِم ما التفتَ إليه، فلا يَزالون كذلك حتى يكونَ قريبًا من طلوع الشمس، ثمَّ يَقومُ بعضٌ إلى بعض، فيتحلَّقون، وأوَّلُ ما يُفِيضون فيه أمرُ مَعادهم وما هم صائرون إليه، ثمَّ يتحلَّقون إلى الفقه والقرآن»[٥].

أسند الأوزاعيُّ عن: يحيى بن أبي كثير، والزُّهرِيّ، وابنِ المُنكَدِر، وغيرِهم[٦].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٥).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٥).
(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ١٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٤٨٩).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ١٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٥).
(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ١٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٥).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٦).

وتُوفِّي ببيروتَ سنةَ سبعٍ وخمسين ومئة، في خلافة أبي جعفر، وهو ابنُ سبعين سنةً، قالَهُ[1] ابن سعد[2].

وقال[3] ابنُ المَدِينيِّ: «تُوفِّي سنةَ إحدى وخمسين ومئة»[4].

قال يزيدُ بن مَذكور: «رأيتُ الأوزاعيَّ في المنام، فقلت: يا أبا عمرٍو[5]، دُلَّني على أمرٍ أتقرَّب به إلى الله عزَّ وجلَّ. فقال لي: ما رأيتُ هناك درجةً أرفعَ من العلم، قلت: ثمَّ من[6] بعدها؟ فقال: درجةُ المَحزُونِين»[7].

* * *

[عيسى بن يونس السَّبيعي]

[٣٧٣] **ومنهم**: عيسى بن يُونُسَ السَّبِيعي[8]، من همدان، يُكنَّى: أبا عمرو[9]، تَحوَّل إلى الثغر فنزل الحدث[10].

قال جعفرُ بن يحيى: «ما رأينا في القُرّاء مثلَ عيسى بن يونس، أرسلنا إليه

---

(١) في (د): «قال».

(٢) «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٨)، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٦).

(٣) في (د): «قال».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٦).

(٥) في (ق): «عمر».

(٦) «من» ليس في (د).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٦).

(٨) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٣: ٦٢)، و«السير» (٨: ٤٨٩).

(٩) في (ق) و(د): «عمر».

(١٠) في (د): «الجدث»، وانظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٣: ٦٢)، و«السير» (٨: ٤٨٩).

فأتى الرَّقّة، فاعتلَّ قبل أن يرجع، فقلت له: يا أبا عمرٍو[١]، قد أُمِر لك بعشرة آلاف، فقال: هي خمسون ألفًا، فقال: لا حاجةَ لي فيها، فقلت: لِم؟ أما والله لأهنِيَنَّكها[٢]، هي والله مئةُ ألف، فقال: لا والله لا يتَحَدَّث أهلُ العلم أنّي أكلت للسُّنة، ألا كان هذا قبل أن يُرسلوا إليّ! فأمّا على الحديث فلا والله ولا شربةَ ماء، ولا إهلِيلَجة»[٣].

قال الإمامُ أحمدُ لمّا ذكر ورعَ عيسى، قال: «أُمِرَ له بمئة ألفٍ وبمالٍ[٤] فلم يَقبَل، وكان حَدثَ السنِّ»[٥].

قال مُحمَّدُ بن المنذر: «حجَّ الرشيد، فدخل الكوفة، فركب الأمينُ والمأمونُ إلى عيسى، فحدَّثهما، فأمر له المأمونُ بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلَها، فظنَّ أنّه استقلَّها، فأمر له بعشرين ألفًا، فقال عيسى: لا والله ولا إهلِيلَجة، ولا شربةَ ماءٍ على حديثِ رسول الله ﷺ، ولو ملأتَ لي هذا المسجدَ ذهبًا إلى السقف»[٦].

سمع عيسى من هشام، والأعمش، وخلقٍ كثيرٍ[٧].

---

(١) في (د): «عمر».

(٢) في (ق): «لأهنئكها»، وفي (د): «لأهبنكها».

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٨: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٣: ٧٤).

(٤) في (ق): «أو بمال».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٧).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٨: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٤٨).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٤٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٣: ٦٣).

وتُوفِّي بالحدث[١] مـن أرض الثغر فـي شعبانَ سنة سبعٍ وثمانين، وقيل غيرُ ذلك[٢]./ [١٧٨/ب]

* * *

[يوسف بن أسباط]

[٣٧٤] **ومنهم:** يوسفُ بن أسباط[٣]، من قريةٍ يُقال له: شيحٌ[٤].

مـن كلامه النافع: عجبت كيف تنام عينٌ مع المخافة، أو يغفل قلبٌ مـع اليقين بالمحاسبة، خلق[٥] الله عزَّ وجلَّ القلوبَ مساكِنَ الذِّكر، فصارت مساكنَ الشهوات، ولا يمحو الشهواتِ إلّا خوفٌ مُزعِج، أو شوقٌ مُقلِق[٦].

وقال: «الزُّهدُ في الرِّئاسة أشدُّ من الزُّهدِ في الدُّنيا»[٧]، ولي أربعون سنةً ما حكَّ في صدري شيءٌ إلّا تركتُه[٨].

---

(١) انظر: «معجم البلدان» (٢: ٢٢٧)، و«مراصد الاطلاع» (١: ٣٨٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٤٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٣: ٧٤).

(٣) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ٢٣٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٧).

(٤) قال ياقوت الحموي في «معجمه» (٣: ٣٧٩): «أخبرني القاضي أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي أن هذه القرية يقال لها: شيح الحديد، وقال: ومنها يوسف بن أسباط».

(٥) في (ق): «خلف».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٣٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٧).

(٧) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (٩٥)، و«حلية الأولياء» (٨: ٢٣٨)، و«سير السلف الصالحين» (١٠٤٩).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٨)، و«السير» (٩: ١٧٠).

وقال: «تعلَّموا صحّةَ العمل من سقمه؛ فإنِّي تعلَّمتُه في اثنين[١] وعشرين سنة»[٢].

وخرجت من شِيحٍ راجلًا حتَّى أتيتُ المِصِّيصةَ وجرابي على[٣] عنقي، فقام ذا من حانوته يُسلِّمُ عليّ، فطرَحت جرابي ودخلت المسجد أُصلِّي ركعتَين، فأحدَقوا بي، واطَّلع رجلٌ في وجهي، فقلت: كَم[٤] إبقاءُ قلبي على هذا؟ فأخَذتُ جرابي ورجعت بعَرَقي وغُبارِي[٥] إلى شيح، فما رجع قلبي إليَّ سنين[٦].

وقال: «إنِّي أخاف أن يُعذِّبَ الله عزَّ وجلَّ الناسَ بذنوب العلماء»[٧].

وقال: «كان يقال: اعمل عملَ رجلٍ لا يُنجِّيه إلّا عملُه، وتوكَّل تَوكُّلَ رجلٍ لا يصيبه إلّا ما كُتِبَ له، ولا يَقبل الله تعالى عملًا فيه مِثقالُ حبّةٍ من رياء»[٨].

وقال: «اللهمَّ عرِّفنا أنفسَنا، ولا تقطع رجاءَك من قلوبنا»[٩].

قال الحذّاء: «كتبتُ إلى يوسفَ بن أسباط أشاوره في التحوُّل إلى الحجاز، فكتب إليّ: أمّا ما ذكرت من تَحوُّلِكَ[١٠] إلى الحجاز فليكن همُّك خَيركَ[١١]،

---

(١) في (ق): «اثنتين».
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٤٤)، و«تلبيس إبليس» (١٣٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٨).
(٣) في (د): «في».
(٤) «كم» ليس في (د).
(٥) في (ق): «وعنائي».
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٨).
(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٣٩)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٨).
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٣٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٨).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٨).
(١٠) في (ق): «تحويلك».
(١١) في (ق): «خبزك».

وما أرى موضعَك إلّا أضبطَ للخير[١] من غيره، وما أحسبُ أحدًا يفرُّ من شيءٍ إلّا وقع في أشرَّ منه، وإنّما يَطِيب الموضعُ بأهله، وقد ذهب مَن يؤنَسُ به ويُستراح إليه، وإذا علم الله عزَّ وجلَّ منك الصدقَ رجوتُ ألّا يضيعَ لك، وإن كان الصدقُ قد رُفِعَ من الأرض»[٢].

قال المُسيَّبُ بن واضح: «قَدِمَ عبدُ الله بن المبارك، فاستأذن على يوسفَ فلم يأذن له، فقلت له: ما لك لم تأذن له؟ فقال: إن أذِنتُ له أردتُ القيامَ بحقِّه، ولا أفي به»[٣].

وقال يوسف: «إذا رأيت الرجلَ أشِرَ وبَطِرَ فلا تَعِظه، فليس للعظة فيه مَوضِع»[٤].

وأُتِيَ بباكورة تمر[٥]، فوضعها بين يدَيه، وقال: إنّ الدنيا لم تُخلَق ليُنظَر إليها، وإنّما خُلِقَت ليُنظَر بها إلى الآخرة[٦].

قال تميم: «قلت ليوسف: ما غايةُ الزهد؟ قال: لا تفرح بما أقبَل، ولا تأسَف على ما أدبر، قلت: فما غايةُ التواضع؟ فقال: أن تخرجَ من بيتك فلا تلقى أحدًا إلّا رأيتَ أنّه خيرٌ منك»[٧].

---

(١) في (ق): «للخبر».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٨).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٩).

(٥) في (د): «تمرة».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٩).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٣٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٩).

قال حذيفةُ/ المرعشيّ: «كتب إليَّ يوسف: أمّا بعد، فإنّي أُوصِيكَ بتقوى الله، [١٧٩/أ] والعمل بما علَّمك الله عزَّ وجلّ، والمُراقَبة حَيثُ لا يَراكَ أحَدٌ إلا الله عَزَّ وجَلّ[١]، والاستعدادِ لما ليس لأحدٍ فيه حِيلة، ولا تنفع الندامةُ عند نزولِه، فاحسِر عن رأسك قناعَ الغافلين، وانتبِه من رقدة الموتى، ولا تغترَّ بمَن أظهَر النُّسُك، وتشاغَلَ بالوصف، وترك العملَ بالموصوف.

واعلم يا أخي أنّه لا بدَّ لي ولك من المقام بين يدي الله عزَّ وجلّ، يسألنا فيه عن الدقيق الخفيِّ والجليل الجافي[٢]، ولست آمَنُ أن يسألَني وإيّاك عن وساوسِ الصُّدُور، ولحَظاتِ العيون، وإصغاء الأسماع.

واعلم أنّه ممّا وُصِفَ به منافقو هذه الأمّة أنّهم خالَطوا أهلَ الدنيا بأبدانهم، فطابَقُوهم عليها بأهوائهم، وخضعوا لما طمعوا من نائِلِهِم، وداهن بعضُهم بعضًا في القول والفعل.

واعلم أنّه لا يجزِي[٣] بدلَ العمل القول، ولا من البذل[٤] العدّة، وقد صِرنا في زمان هذه صفةُ أهله، فمن كان كذلك فقد تعرَّض للمَقت، وصُدَّ عن سَواءِ السبيل، وفَّقَنا الله عزَّ وجلَّ وإيّاك لما يُحِبُّ ويرضى»[٥].

---

(١) قوله: «والمراقبة حيث لا يراك أحد إلا الله عز وجل» ليس في (ق).

(٢) في (ق) و(د): «الخافي».

(٣) في (ق): «يجري».

(٤) في (د): «البدل».

(٥) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (١٣٨٧)، و«حلية الأولياء» (٨: ٢٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٠٩).

أدرَكَ يوسفُ بن أسباط عائذَ بن شُرَيح، والثوريَّ في آخرين[١].

قالت زوجته: «كان يقول: أشتهي من ربِّي ثلاثًا[٢]:

ـ أن أموتَ وليس في مِلكي درهم.

ـ ولا يكون عليَّ دَين.

ـ ولا على[٣] عظمي لحم.

قالت: فأُعطِيَ ذلك»[٤].

وقال لي في مرضه: «أبَقِي عندك نفقةٌ؟ فقلت: لا، فقال: فماذا ترَين؟ قلت: أُخرِج هذه الخابِيةَ للبيع، فقال: يعلم الناسُ بحالِنا، ويقولون: ما باعوها إلّا وثَمَّ حاجة، فأخرَجَ شيئًا أهداه إليه بعضُ إخوانِه فباعه بعشرة دراهم، وقال: اعزِلِي منها دِرهمًا لحَنُوطي وأنفِقي باقيها، فمات وما بَقِي غيرُ الدرهم»[٥]. وتُوفِّي قبل المئتين بسنة[٦].

* * *

---

(١) انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (٢٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٠).

(٢) في (ق) و(د): «ثلاث».

(٣) «على» ليس في (ق).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٠).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٠).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٠). وفي «مشاهير علماء الأمصار» (٢٩٦): «مات سنة خمس وتسعين ومئة».

[علي بن بكار]

[٣٧٥] ومنهم: عليُّ بن بكّار[١]، يُكنَّى: أبا الحسن[٢]، سكن المِصِّيصة[٣] مُرابِطًا[٤]، وكان فقيهًا[٥].

وكان يُفرَشُ لَهُ، فيلمس الفراش ويقول: «والله إنّك لَطَيِّب، والله إنّك لَبارد، والله لا أعلُوَنَّكَ الليلة»[٦]، وكان يُصلِّي الغداةَ بوضوء العتمة[٧].

قيل لـه: حذيفةُ المرعشـيُّ يقرأ عليك السلام، فقال: عليكم وعليه السلام، إنِّي لأعرفه يأكل الحلالَ منذُ ثلاثين سنة، ولَأن ألقى الشيطانَ أحبُّ إليَّ من أن ألقاه، قيل لـه فـي ذلك؟ فقال: أخـاف أن أتصنَّعَ لـه، فأتزيَّن لـغير الله عـزَّ وجلَّ فأسقطَ من عين الله عزَّ وجلَّ»[٨].

قال يوسفُ بن مُسلِم: «بكى عليُّ بن بكّارٍ[٩] حتَّى عَمِي، وكان قد أثَّرَت

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٩٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٠)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٣٣٠)، و«السير» (٩: ٥٨٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٩٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٠)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٣٣٠)، و«السير» (٩: ٥٨٤).

(٣) انظر: «معجم البلدان» (٥: ١٤٤)، و«آثار البلاد وأخبار العباد» (٥٦٤)، و«مراصد الاطلاع» (٣: ١٢٨٠).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٠)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٣٣٠)، و«السير» (٩: ٥٨٤).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٩٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٠).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١١)، و«تاريخ الإسلام» (١٤: ٢٦٣).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١١).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١١).

(٩) في (ق): «بكى بكار».

الدمعةُ على خدَّيه»(١).

[١٧٩/ب] قال فيضُ بن إسحاق: «جئتُ إلى عليٍّ بن بكّارٍ وأنا أريد الخروج، فقلت: أوصِني، فقال: اتَّقِ الله عزَّ وجلّ، والزَم بيتَك، وأمسِك لسانَك، واترك مخالطةَ الناس، تنزل عليك الحكمةُ من فوقك»(٢).

قال ابنُ أبي الحواريِّ: حدَّثني يَحيى بن زَكَريا، قال: «كنّا عندَ ابن بكّار، فمَرَّت سحابة، فسألتُهُ عَن شَيء، فقال: اسكت، أما تخشى أن يكونَ فيها حجارةٌ؟»(٣).

قال أبو عبدِ الله: «خرج أبو إسحاقَ الفزاريُّ وعليُّ بن بكّارٍ يحتَطِبان، فأبطأ عليُّ بن بكّارٍ على أبي إسحاق، فدار أبو إسحاقَ الجبلَ خلفَه، فجاء فنظر إليه وهو مُتربِّع، وفي حجره رأس سبع، وهو نائِمٌ يذُبُّ عنه، فقال له أبو إسحاق: ما قُعودُك هنا؟ فقال: لجأ إليَّ فرَحِمته، فأنا أنتظرُه لينتبِه(٤) فألحقك»(٥).

وجُرِحَ ابنُ بكّارٍ في بعض مغازيه، فخرَجَت أمعاؤه على قَرَبوسِ(٦) سَرجه، فردَّها إلى بطنه وشدَّها بالعمامة، وقاتَلَ حتَّى قَتلَ ثلاثةَ عشرَ عِلجًا(٧).

أسند ابنُ بكّارٍ عن هشامٍ وأبي جلدةَ في آخرين، وصَحِب ابنَ أدهم(٨).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١١)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٣٣١)، و«تاريخ الإسلام» (١٤: ٢٦٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١١).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١١).

(٤) في (د): «لينته».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١١).

(٦) في (ق): «قربوص».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١١).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١١)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٣٣٠)، و«السير» (٩: ٥٨٤).

وتُوفِّي بالمِصِّيصة سنةَ تسعٍ وتسعين ومئة[١].

* * *

[حذيفة المرعشي]

[٣٧٦] **ومنهم**: حذيفةُ المرعشيّ[٢].

من كلامه النافع: إن لم تَخشَ أن يُعذِّبَك الله عزَّ وجلَّ على أفضل أعمالك فأنت هالِك[٣].

ولو جاءني رجل فقال لي: واللهِ الذِي لا إلَهَ إلّا هو، ما عَمَلُكَ عملَ مَن يُؤمن بيومِ الحِساب، لقلتُ له: يا هذا، لا تُكفِّر عن يمينك؛ فإنّك لم تَحنَث[٤].

وقال: «ثلاثُ خصالٍ إن كُنَّ فيك لم ينزل من السماء خيرٌ إلّا كان لك فيه نصيب: يكون عملُك لله تعالى، وتُحِبُّ للنّاس ما تحبُّ لنفسك، وهذه الكِسرةُ تَحَرَّ فيها ما قدَرت»[٥].

قال عبدُ الله الرقيّ: قال لي حذيفة: «هَل لك أن أجمعَ لك الخيرَ كلَّه في

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١١)، وفي «الطبقات الكبرى» (٧: ٤٩٠): «توفي بالمصيصة سنة ثمانٍ ومئتين».

(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ٢٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١١)، و«تاريخ الإسلام» (١٤: ٩٦).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٦٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٦٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٩٧).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٢).

حرفَين؟ قلت له: ومَن لي بذلك[1]؟ فقال: الخُبزُ من حِلِّه، وإخلاصُ العملِ لله تعالى»[2].

وقال: «ما أُصِيبَ أحدٌ بمصيبةٍ أعظمَ من قَساوةِ القلب»[3].

وقال: «كان يقال: إذا رأيتُم الرجُلَ قد جلس وحدَه فانظروا لأيِّ شيءٍ جلس؛ فإن كان جلس ليُجلَسَ إليه فلا تَجلِسوا إليه»[4].

وقال: إنّما يَكرهُ الوحدةَ الجاهِل، فأمّا عالِمٌ يَعرِفُ ما يأتي فلا، وما أعلَمُ من أعمالِ البرِّ أفضلَ من لزومِ بيتك، ولو كانت حيلةٌ لهذه الفرائضِ لكان ينبغي أن يُحتالَ لها»[5].

وقال: «إيّاكُم وهدايا الفُجّار والسفهاء؛ فإنّكم إن قَبِلتُموها ظنُّوا أنّكم قد رضيتم فِعلَهم»[6].

قال له شخص: أوصِني، فقال: انظر خُبزَك من أين تأكله، ولا تجالِس مَن يُرَخِّصُ لك ويعطيك، [١٨٠/أ] وإن أطعت الله عزَّ وجلَّ في السرِّ أصلَحَ قلبَك شئت أو أبَيت»[7].

قال نبهان: أخبَرَني حذيفةُ المَرعَشيّ، قال: «كنت في المركب فكُسِر بنا،

---

(١) في (ق): «بذاك».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٢).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٦٩)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٢).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٢).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٢)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٥: ٢١٤٦-٢١٤٧).
(٦) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٢).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٣).

فوقَعتُ أنا وامرأةٌ على لوح، فمَكَثنا[١] سبعةَ أيّام، فقالت المرأة: إنّا عطِشنا، فسألت الله عزَّ وجلَّ أن يسقيَنا، فنزلت علينا من السماء سلسلةٌ فيها كوزٌ مُعلَّقٌ فيه ماء، فشرِبت فرفعت رأسي أنظر إلى السلسلة، فرأيت رجلًا جالسًا في الهواء[٢] متربِّعًا، فقلت: مَن أنت؟ قال: من الإنس، قلت: ما الذي بلَّغَك هذه المنزلة؟ فقال: آثرتُ مُرادَ الله عزَّ وجلَّ على هواي، فأجلسني كما تراني»[٣].

صَحِب حذيفةُ المرعشيُّ الثوريَّ[٤]، وتوفِّي سنةَ سبعٍ ومئتَين[٥].

* * *

[أبو معاوية الأسود]

[٣٧٧] ومنهم: أبو معاويةَ الأسودُ[٦]، واسمُه: اليمان، نزل طَرَسُوس[٧].

قال: «إخواني كلُّهم خيرٌ منِّي، قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: كلُّهم يرى الفضلَ لي على نفسه، ومَن فضَّلَني على نفسه فهو خيرٌ منِّي»[٨].

---

(١) «فمكثنا» ليس في (ق).
(٢) قوله: «الهواء» مثبت من المصادر.
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٣).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٣)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٥: ٢١٤٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٤: ٩٦).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٤: ٩٦).
(٦) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٢٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٣)، و«السير» (٩: ٧٨).
(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٢٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٣)، و«السير» (٩: ٧٨).
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٧٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٣).

قال نُصَيرٌ الأسلميّ: «كان أبو معاويةَ قد ذهب بصرُه، فكان إذا أرادَ أن يقرأ فتح المصحفَ ردَّ الله عزَّ وجلَّ عليه بصره، فإذا أطبَقَه ذهب»[١].

استطال رجلٌ على أبي معاوية، فقال له رجل: مَه، فقال أبو معاوية: دعه يشتَفِي، ثمَّ قال: اللهمَّ اغفر لي الذنبَ الذي[٢] سلَّطتَ عليَّ به هذا[٣].

قال يحيى بن مَعِين: «رأيتُ أبا معاويةَ الأسودَ وهو يلتقط الخِرَقَ من المزابِل، فيغسلُها ويُلفِّقُها، فقيل له: يا أبا معاوية، إنّك تُكسَى، فقال: ما ضرَّهم[٤] ما أصابهم في الدنيا، جبرَ الله تعالى لهم بالجنة كلَّ مصيبةٍ»[٥].

* * *

[سليمان الخواص]

[٣٧٨] ومنهم: سليمانُ الخوّاصُ[٦].

دخل سعيدُ بن عبد العزيز على الخوّاص بمالٍ[٧]، فقال له: تُنفق هذا[٨] وأنا أحلف لك بين يدَي الله عزَّ وجلَّ أنّها حلال، فقال: لا حاجةَ لي فيها

---

(١) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٢٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٤)، و«السير» (٩: ٧٩).

(٢) قوله: «الذي» ليست في (ق).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٤).

(٤) في (ق): «أجبرهم»، وفي (د): «أخبرهم».

(٥) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (٩٧)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٢٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٢٤٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٤).

(٦) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٢: ٢٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٥)، و«السير» (٨: ١٧٨).

(٧) «بمال» ليس في (ق).

(٨) «هذا» ليس في (د)، وفي (ق): «هذه».

رحمك الله تعالى، فقال: مَا ترى مَا الناس فِيهِ دعوة[١]، فصرخ الخوّاصُ صرخة، ثمَّ قال: ما لَكَ يا سعيد! فتنتَني بالدنيا وتفتِنُني في الدِّين، وما لي والدعاء؟ من أنا!

فخرج سعيدٌ وأخبر بما جرى للأوزاعيّ، فقال الأوزاعيّ: دعوا سليمانَ، لو كان من الصحابة لكان مثلًا[٢].

قال الخوّاص: «مَن وعظَ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومَن وعظه على رؤوس النّاس فإنّما وبّخَه»[٣].

* * *

[سَلم الخَوّاص]

[٣٧٩] ومنهم: سَلمُ[٤] الخَوّاص[٥]، من أهل طبَريّة، وبها مات[٦].

قال سلم[٧]: «كنت أقرأ القرآنَ فما أجد له حلاوة، فقلت لنفسي: اقرئيه كأنّك سمعتِه من رسولِ الله ﷺ، فجاءت حلاوةٌ قليلة، ثمَّ قلت لنفسي: اقرئيه كأنّك سمعتِه[٨] من جِبريلَ عليه السَّلام يُخبِر به النبيَّ ﷺ ، فازدادت الحلاوة، ثمَّ قلت [١٨٠/ب]

(١) كذا في المصادر، وورد على حاشية (د): «ما هم فيه ادعُ لهم»، وفي (ق): «ما ترى الناس فيه دعوة».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٥).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٢: ٢٥١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٥).

(٤) في (د): «سالم».

(٥) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٤: ٢٦٧)، و«المجروحين» لابن حبان (١: ٣٤٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٥)، و«السير» (٨: ١٧٩).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٥)، و«السير» (٨: ١٧٩).

(٧) في (د): «سالم».

(٨) في (ق): «سمعت».

لها: اقرئيه[١] كأنّك سمعتِيه منهُ[٢] حِينَ تَكَلَّمَ بِهِ، فجاءت الحلاوةُ كلُّها»[٣].

قال قاسمٌ الجوعيّ: «جئت سَلمًا[٤] الخوّاص، فقدَّم إليَّ بطيخةً ونصفَ رغيف، وقال لي: كُل يا قاسم، نزَلتُ على أخٍ لي، فقَدَّم لي نصفَ خيارةٍ ونصفَ رغيف، وقال لي: كُل يا سلم[٥]؛ فإنّ الحلالَ لا يحتمِلُ السَّرَف، ومن دَرَى من أين يَكسِب درى كيف يُنفِق»[٦].

أسندَ سلمٌ عن مالكِ بن أنس، وابن عُيَينة، وأقرانهما[٧].

* * *

[أبو عبيدة الخواص]

[٣٨٠] ومنهم: أبو عبيدةَ الخوّاص[٨].

واسمُه: عبّادُ بن عبّاد، وقد[٩] اشتهر بأبي عبيدة، وإنّما هو أبو عتبة، كذا ذكره البخاريُّ[١٠] وغيره[١١].

---

(١) من قوله: «اقرئيه كأنك سمعتِه من جبريل» إلى هنا ليس في (د).

(٢) في (ق) و(د): «من».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٥)، و«السير» (٨: ١٨٠).

(٤) في (د): «سالمًا».

(٥) في (د): «سالم».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٦).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٦)، و«السير» (٨: ١٧٩).

(٨) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٦)، و«تهذيب الكمال» (١٤: ١٣٤).

(٩) «وقد» ليس في (د).

(١٠) «التاريخ الكبير» (٦: ٤١).

(١١) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٦)، و«تهذيب الكمال» (١٤: ١٣٤).

قال أبو موسى الصوريّ: «كتب عبّادُ الخوّاصُ إلى إخوانه يَعِظُهم: إنّكم في زمانٍ قد رَقَّ فيهِ الوَرَع، وقلَّ فيه الخُشُوع، وحَملَ العلمَ مُفسِدُوه، فأَحَبُّوا أن يُعرَفُوا بحَملِه، وكَرِهُوا أن يُعرَفوا بإضاعة العَمَلِ به، فنطَقُوا فيه بالهوى؛ ليُزيِّنوا ما دخلوا فيه من الخطأ، فذنوبُهم ذنوبٌ لَا يُسْتَغْفَرُ مِنْهَا[١]، وتقصيرُهم تقصيرٌ لا يُعترَف به[٢]، أحَبُّوا الدنيا وكرهوا منزلةَ أهلها، فشارَكُوهم في العيش وزايَلُوهم بالقول»[٣].

قال أبو عُبيدِ الله[٤] العسقلانيّ: «رأيت أبا عُبيدةَ لم يضحك أربعين سنة، فقيل له: لمَ لا تضحك؟ فقال: كيف أضحك وفي أيدي المشركين من المسلمين أحدٌ»[٥].

قال عبدُ الأعلى: «رأيتُ أبا عُبيدةَ الخوّاصَ وعلى سُرَّته خِرقة، وعلى رقبته خِرقة، وهو يمشي في طريق البصرة، وهو يقول: وا شوقاه إلى مَن يراني ولا أراه»[٦].

قال أحمدُ بن أبي الحَوارِيّ: «دخل عبّادُ الخوّاصُ على إبراهيمَ بن صالح، وهو أميرُ فلسطين، فقال له: يا شيخ، عِظني، فقال: بمَ أعِظُك؟ بلغَني أنّ أعمالَ الأحياء تُعرَضُ على الموتى، فانظر ماذا يُعرَضُ على رسول الله ﷺ من عملك، فبكى حتَّى سالت دموعُه[٧] على لِحيَتِه»[٨].

---

(١) «منها» مثبت من المصادر.

(٢) قوله: «وتقصيرهم تقصير لا يعترف به» في (د): «وتقصيهم لا يعترف».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٦)، و«تهذيب الكمال» (١٤: ١٣٥).

(٤) في (د): «قال أبو عبيدة».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٦).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٦)، و«لطائف المعارف» لابن رجب (٢٨٦)، و«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٢: ٤٣).

(٧) في (د): «الدموع».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٦).

قال عقبةُ بن فضالة: «سمعت أبا عُبيدةَ الخوّاصَ بعدما كبِر وهو آخِذٌ بلحيته يبكي، يقول: قد كبِرتُ فاعتِقني»[(١)].

قال بشر: «رأيتُ على جبال عرفةَ رجلًا قد ولع به الوَلَه، وهو يقول:

سُبحانَ مَن لو سَجَدنا بالعُيونِ له ... على شَبا[(٢)] الشَّوكِ والمَحمِي من الإبَرِ
لَم نَبلُغ[(٣)] العُشرَ من مِعشارِ نِعمَتِهِ ... ولا العُشَيرَ ولا عُشرًا من العُشُرِ
هو الرَّفيعُ فلا الأبصارُ تُدرِكُهُ ... سُبحانَه مِن مَليكٍ نافِذِ القَدَرِ
سُبحانَ مَن هو أُنسي إذ خَلوتُ بهِ ... في جَوفِ ليلِيَ في الظُّلماتِ والسَّحَرِ
أنتَ الحبيبُ وأنتَ الحبُّ يا أمَلي ... مَن لي سِواكَ ومَن أرجُوهُ يا ذُخرِي[(٤)]

[١٨١/أ] / وقال:

لأبكِيَنَّ بدَمعِ العَينِ مِن أسَفٍ ... لأبكِيَنَّ بُكاءَ الوالِهِ الحَزِنِ

ثمَّ غاصَ في خلال الناس فلم أرَه، فسألتُ[(٥)] عنه، فقيل: أبو عبيدةَ الخوّاص»[(٦)].

أسند أبو عُبيدةَ عن الأوزاعيّ، وأبي بكر بن أبي مريم، وغيرهما[(٧)].

* * *

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٧).

(٢) في (ق): «سفا»، وفي (د): «شفا».

(٣) في (ق): «تبلغ».

(٤) في (ق) و(د): «يا ذخر».

(٥) في (ق): «فسألته».

(٦) الأبيات من البسيط، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٦-٤١٧)، و«مرآة الزمان» (٤: ٣٦٥).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٧)، و«تهذيب الكمال» (١٤: ١٣٤).

[أبو يوسف الغسولي]

[٣٨١] **ومنهم:** أبو يوسفَ الغسوليّ(١).

قال السريّ: «كان أبو يوسفَ يَلزَمُ الثغرَ ويغزو، فإذا دخلوا(٢) بلادَ الروم أكل أصحابُه من ذبائحِ الرومِ ومن فواكههم، وكان أبو يوسفَ(٣) لا يأكل، فيقال له: أتشُكُّ أنّه حلال؟ فيقول: هو حلال، فيُقال له: كُل، فيقول: إنّما الزهد في الحلال»(٤).

وكان يقول: «أنا أتفقَّه في مَطعَمِي من ستِّين سنةً»(٥).

وكان يقول: «أنا يكفِيني في السنةِ اثنا عشرَ درهمًا، في كلِّ شهرٍ درهم، وما يحمِلُني على العمل إلّا ألسِنةُ هؤلاء القُرّاءِ يقولون: أبو يوسفَ مِن أين يأكُل؟»(٦).

* * *

[أحمد الأنطاكي]

[٣٨٢] **ومنهم:** أحمدُ الأنطاكيّ(٧).

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٧).
(٢) في (ق): «دخل».
(٣) قوله: «وكان أبو يوسف» في (د): «وأبو يوسف».
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٧).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٧).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٧).
(٧) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٩: ٢٨٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧١: ٢٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٧)، و«السير» (١٠: ٤٨٧).

قال ابنُ أبي الحَواريّ: قال أحمدُ الأنطاكيّ: «إذا صارَت المُعاملة إلى القلب استراحَتِ الجوارحُ»[١].

وسَمِعتُه يقول: «هاه! غنيمةٌ باردة، أصلِحْ فيما بَقِي يُغفَر لك ما مضى»[٢].

وقال: «لا أغبِطُ أحدًا إلّا مَن عَرف مولاه، وأشتهي ألّا أموتَ حتَّى أعرفه معرفةَ العارفين الذين يَسْتَحْيونَهُ، لا معرفةَ التصديق»[٣].

وقال: «أنفعُ[٤] الخوفِ ما حجَزَك عن المعاصي، وأطالَ مِنكَ الحُزنَ على ما فات، وألزَمكَ الفِكرَ في بقيةِ عُمرِكَ وخاتِمة أمرِك، وأنفَعُ الصِّدقِ أن تُقِرَّ للهِ بعُيُوبِ نَفسِك، وأنفَعُ الحَياءِ أن تَستَحِيَ[٥] أن تَسألَهُ ما تُحِبُّ وتَأتِيَ ما يَكرَهُ[٦]، وأنفعُ الصَّبرِ ما قَوّاكَ عَلى خِلافِ هَواك، وأفضَلُ الجِهادِ مُجاهدَتُكَ نفسَك؛ لتَرُدَّها إلى قَبول الحقِّ»[٧].

قيل له: فما ترى في الأنسِ بالناس؟ فقال: إن وجدتَ عاقِلًا مأمونًا فأنَس به، واهرُب من سائِرهم كهَرَبك من السباع.

فقيل: ما أفضلُ ما يُتقرَّبُ به إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: تَركُ معاصيه الباطنة،

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٨١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٨)، و«السير» (١١: ٤٠٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٨)، و«السير» (١١: ٤٠٩).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٨).

(٤) «أنفع» ليس في (د).

(٥) قوله: «أن تستحي» ليس في (د).

(٦) قوله: «وتأتي ما يكره» ليس في (د)، ومن قوله: «وأنفع الصدق» إلى هنا ليس في (ق).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٨).

قيل: فما بالُ الباطنةِ أولى من الظاهرة؟ قال: لأنهُ[1] إذا اجتُنِبَت الباطنة بطلت الظاهرةُ والباطنة.

قيل: فما أضَرُّ الطاعات؟ قال: ما نُسِيَت بها المساوئ، وجُعِلَت نصبَ العين إدلالًا بها وأمنًا[2].

وقال: «استجلِب شدّةَ التيقُّظِ بشدّةِ الخوف، وادفع عظيمَ الحِرصِ بإيثارِ القَناعة[3]، واقطَع أسباب الطمعِ بصحّةِ اليأس، وسُدَّ سُبلَ العُجبِ بمَعرفةِ النفس، واطلُب راحةَ البدنِ بإجمام[4] القلب، وتَخلَّص إلى إجمام[5] القلب بقلّةِ الخُلَطاء[6]، وتَعرَّض[7] لرِقّةِ القلبِ بدوامِ مُجالَسةِ أهلِ الذِّكر، وأُحَذِّرُكَ سوف»[8].

* * *

[أبو عبد الله النِّباجي]

[٣٨٣] **ومنهم**: أبو عبد الله النِّباجيّ[9]، واسمُه: / سعيدُ بن يزيد[10]. [١٨١/ب]

---

(١) «لأنه» ليس في (ق).

(٢) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٨).

(٣) قوله: «بإيثار القناعة» ليس في (د).

(٤) في (د): «بإحمام».

(٥) في (د): «إحمام».

(٦) في (د): «الخطأ».

(٧) «وتعرض» ليس في (د).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٢٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٨)، و«صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله» لابن المبرد الحنبلي (١٦٧).

(٩) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٩: ٣١٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢١: ١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٩)، و«بغية الطلب» (٩: ٤٢٨١).

(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٩).

من كلامه النافع: مَن خطرَت الدنيا ببالِه لغير الله عزَّ وجلَّ حُجِبَ عن الله عزَّ وجلّ"[١].

قال ابن أبي الورد: «صلى النِّباجيُّ يومًا بأهل طَرَسُوس، فصِيحَ[٢]: النَّفِير، فلم يُخفِّف الصلاة، فلمّا فرغوا، قالوا له: أنت جاسوس، فقال: ولِمَ؟ فقالوا: لأنّك لم تُخفِّف، فقال: ما حسِبتُ أنّ أحدًا يكون في الصلاةِ فيَقعُ في سَمعِه غيرُ ما يُخاطِبُه الله عزَّ وجلّ»[٣].

وقال[٤]: «أوَيَحسُنُ بالحُرِّ المُريدِ أن يتذلَّل للعبيد[٥] وهو واجِدٌ عند مولاه كلَّ ما يريد!»[٦].

وقال: «إنّ لله خلقًا يستحيون من الصبر؛ يتلقَّفون مواقعَ أقدارِه تلقُّفًا»[٧].

إذا كان عندك ما أعطى الله عزَّ وجلَّ نوحًا، وإبراهيم، وموسى[٨]، وعيسى، ومُحمَّدًا صلَّى الله عليهم وسلَّم، لا تراه شيئًا، وإنّما تريد ما أعطى الله عزَّ وجلَّ نمرودَ[٩] وفرعونَ وهامان، فمتى تُفلِح[١٠]!

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣١٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢١: ١٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٩).

(٢) في (د): «فصاح».

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢١: ١٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٩).

(٤) في «تاريخ جرجان»، و«حلية الأولياء»، و«الرسالة القشيرية» و«تاريخ الإسلام»: «رأيت في النوم كأن قائلًا يقول لي».

(٥) في (د): «للعبد».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٩).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣١٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١٩).

(٨) «وموسى» ليس في (ق).

(٩) في (د): «نمروذ».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٩).

كان النِّباجيُّ مشغولًا بالزهدِ والتعبُّد، حكى عن الثوريِّ والفُضَيل وغيرِهما(١).

* * *

[أبو الخير التيناتي]

[٣٨٤] **ومنهم**: أبو الخير التيناتيُّ(٢).

أصلُه من المَغرِب(٣)، وسكن تينات(٤)، قريةً من قُرى أنطاكيّة(٥)، ويقال له: الأقطعُ؛ لأنّه كان مقطوعَ اليد.

وكان سبب ذلك أنّه كان في جِبالِ أنطاكيّةَ وحواليها يطلُبُ المُباح، وينامُ بين الجبال، وكان قد عاهَدَ الله عزَّ وجلَّ ألّا يأكلَ من ثمرِ الجبال إلّا ما طرَحَتْهُ الريح، فبقي أيامًا لم تطرحِ الريحُ شيئًا، فرأى يومًا شجرةَ كُمَّثرَى فاشتهى منها، فلم يفعل، فأمالَتها الريح، فأخذ منها واحدة، فاتَّفق أنّ لصوصًا قطَعُوا هنالك الطريقَ وجلسوا يُقسِّمون، فوقع عليهم السلطانُ فأخذَهم(٦) وأخذه معهم، فقُطِعَت أيديهم وأرجُلُهم، وقُطِعَت يدُه، فلمّا همُّوا بقَطعِ رِجلِه عرَفَه رجُل،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١٩).

(٢) في (ق): «التيناني»، وانظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ١٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢١)، و«السير» (١٦: ٢٢).

(٣) في (ق): «الغرب».

(٤) في (ق) و(د): «تينان»، انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ١٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢١)، و«السير» (١٦: ٢٢).

(٥) انظر: «معجم البلدان» (٢: ٦٨)، و«مراصد الاطلاع» (١: ٢٨٨).

(٦) في (ق): «أخذهم».

فقال للأمير: أهلَكتَ نفسَك، هذا أبو الخير، فبكى الأمير، وسأله أن يجعلَه في حِلّ، ففعل، وقال: أنا أعرِفُ ذنبي»[١].

ومن كلامه النافع: «الدعوى رُعونةٌ لا يحتمِلُها القلب، فيُلقِيها[٢] إلى اللسان، فتَنطِقُ بها ألسنةُ الحَمقَى»[٣].

وقال: «دخلتُ مدينةَ رسولِ الله ﷺ وأنا بفاقة، فأقمت خمسةَ أيّامٍ ما ذُقت ذَواقًا، فتقدَّمتُ إلى القبر، فسلَّمت على النبيِّ ﷺ، وعلى أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما، وقلت: أنا ضَيفُك الليلةَ يا رسولَ الله، وتنحَّيت ونِمتُ خلفَ المِنبَر، فرأيت في النومِ النبيَّ ﷺ، وأبو بكر عن يمينِه، وعمرُ عن شماله، وعليٌّ بين يدَيه، فحرَّكَني عليٌّ وقال لي: قم، قد[٤]/ جاء رسولُ الله ﷺ، فقمت إليه وقبَّلت بين عينَيه، فدفع إليَّ رغيفًا، فأكلتُ نصفَه، وانتبهت وإذا في يدي نصفُ رغيف»[٥]. [١٨٢/أ]

قال أبو الخير: «بَقِيتُ[٦] بمكّةَ سنة، فأصابَنِي ضُرٌّ وفاقة، فكلَّما أردتُ أن أخرجَ للمَسألة[٧] هتف بي هاتف: الوجهُ الذي يَسجُد لي تَبذُله لغيرِي!»[٨].

وقال: «ما بلغ أحدٌ إلى حالةٍ شريفةٍ إلّا بمُلازمةِ الموافَقة، ومُعانَقة الأدَب،

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ١٦٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢١)، و«السير» (١٦: ٢٣).

(٢) في (ق): «فيلقها».

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ١٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢١).

(٤) قوله: «لي قم قد» ليس في (د).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ١٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢١).

(٦) قوله: «بقيت» تكرر مرتين في (د).

(٧) في (ق): «المسألة».

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ١٦٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢١).

وأداءِ الفرائض، وصُحبةِ الصالحين، وخدمةِ الفقراءِ الصادقين»(١).

قال إبراهيمُ السبّاك: «كنّا نطَّلِعُ على أبي الخيرِ من خَوخةٍ(٢) وهو يَسُفُّ الخوصَ بيده، فإذا خرج إلينا رأيناه أقطعَ»(٣).

قال الأنصاري: «دخَلتُ على أبي الخيرِ فناوَلَني تُفّاحتَين، فجعلتُهما في جيبي، وقلت: لا آكلُهما، فأجهَدَتني الفاقةُ فأخرَجتُ واحدةً فأكلتُها، وأدخلتُ يدي لأُخرِجَ الأخرى فإذا بالتفّاحتَين مكانَهما، فما زِلتُ آكُلُ منهما حتَّى دخلتُ المَوصِل، فجُزتُ على خَراب، فإذا بعليلٍ يُنادِي من الخَراب: يا ناس، أشتَهِي تفاحة، ولم يكن وقت(٤) التفّاح، فأخرَجتُ التفاحتَين فناولتُهما إيّاه، فأكل، وخرجَت روحُه من وقتِه، فعلِمتُ أنّ الشيخ أعطانِيهما من أجلِ ذلك العَلِيل»(٥).

صَحِبَ أبو الخيرِ الجلاءَ(٦) وغيرَه من المشايخ، وتُوفِّي بعد الأربعين وثلاث مئةٍ(٧).

* * *

[عابد مجهول]

[٣٨٥] عابِدٌ مجهول(٨)، بثغر طَرَسُوس.

قال أبو سليمانَ المغربيّ: «كنت أحمِلُ الحطبَ وأتقوَّت(٩) به، وكنت أريدُ

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ١٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٢).
(٢) في (د): «خرقة».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٢).
(٤) «وقت» ليس في (د).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٢).
(٦) يعني: أبا عبد الله بن الجلاء.
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٢).
(٨) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٣).
(٩) في (ق): «وأتقوب».

بذلك التَّوقِّي والتحرِّي، فرأيت جماعةً من البِصريِّين في النوم، منهم: الحسنُ ومالكُ بن دينار، وفرقَد السبخيّ، فسألتهم عن حالي، وقلت: أئمّةَ المسلمين، دُلُّوني على الحلالِ الذي ليس فيه لله عزَّ وجلَّ تَبِعة، ولا للخلق فيه مِنّة، فأخذوا بيدي وأخرَجُوني من طَرَسُوسَ إلى مرجٍ فيه خُبّازَى، فقال: هذا الحلالُ الذي ليس[1] فيه تَبِعة، ولا لمخلوقٍ فيه مِنّة.

قال: فمَكَثتُ آكلُ منه نصفَ سنة؛ ثلاثةَ أشهرٍ في دارِ السبيل آكُلُه نيِّئًا ومطبوخًا، فصار لي حديث، فقلت: هذه فِتنة، فخرَجتُ من دار السبيل، فكُنتُ آكلُه ثلاثةَ أشهرٍ أُخَر، فأوجدَني الله قلبًا طيِّبًا، حتى قلت: إن كان أهلُ الجنّةِ بهذا القلب فهم والله في عيشٍ طيِّب.

وما كنتُ آنَسُ بكلام النّاس، فخرَجتُ يومًا من باب قَلَمْيةَ[2] إلى صِهريجِ المُدنَف، فجلستُ عنده، فإذا أنا بفتًى قد أقبلَ من ناحيةِ لامِشَ[3] يريد طَرَسُوس، / [١٨٢/ب] وقد بقي قُطَيعاتٌ[4] من ثَمنِ الحَطبِ الذي كنتُ أجيء به من الجَبل، فقلت: أنا قد قنَعتُ بهذه الخُبّازَى، أعطي هذه القِطَعَ لهذا الفقير إذا دخل طَرَسُوس، فلمّا دنا منِّي أدخلتُ يدي إلى جيبي لأُخرِجَ الخِرقة، فإذا الفقيرُ قد حرَّك شفتَيه، وإذا كلُّ ما حولي من الأرض ذهبٌ يتَّقِد حتَّى كاد يَخطَفُ بصري، ولبستني منه هيبة، فجازَ ولم أُسلِّم عليه من هَيبَتِه.

---

(١) في (د): «لا».

(٢) قَلَمْية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الميم، والياء خفيفة: كَورة واسعة برأسها من بلاد الروم قرب طَرَسُوس. انظر: «معجم البلدان» (٤: ٣٩٢)، و«مراصد الاطلاع» (٣: ١١١٩).

(٣) لامِش: ـ بكسر الميم، والشين معجمة ـ قرية من قرى فرغانة. انظر: «معجم البلدان» (٥: ٨).

(٤) في (د): «قطيعان».

قيل له: أفرأيتَه بعد ذلك؟ فقال: نعم، خرَجتُ يومًا خارجَ طَرَسُوس، فإذا بالفتَى جالِسٌ تحت بُرج، وبين يدَيهِ رَكوةٌ فيها ماء، فسلَّمت عليه، ثمَّ استدعَيت منه مَوعِظة، فمدَّ رِجلَه، فقلَب الماء، ثمَّ قال لي: كثرةُ الكلامِ يُنشِّف الحسناتِ كما نَشَّفَت الأرضُ هذا الماء، ثمَّ قال: قُم، يَكفِيك»[1].

* * *

[حيوة بن شريح]

[٣٨٦] ومنهم: حَيوةُ بن شُرَيح[2]، يُكنَّى: أبا يزيدَ التُّجِيبيّ[3]، وقيل: أبو زُرعة، من أهل مِصر[4].

سمع من عقبةَ[5] بنِ[6] مُسلم، وروى عنه[7] الليث[8]، وكان حَيوةُ من البَكّائين، وكان ضَيِّقَ الحال جدًّا.

قال خالد: «فجلَستُ إليه يومًا وهو وحدَه يدعو، وكان من الدَّعّائين، فقلت: لو دعوتَ الله تعالى فوسَّعَ عليك معيشتَك؟ فالتفَتَ يمينًا وشمالًا فلم يرَ أحدًا، فأخذ حَصاةً من الأرض وقال: اللهمَّ اجعَلها ذهبًا، فإذا هي والله تِبرةٌ في كَفِّه ما رأيت أحسنَ منها، فرَمى بها إليّ، وقال: ما خَيرٌ في الدنيا.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٣)، و«بغية الطلب» (١٠: ٤٤٧٧).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٩)، و«تهذيب الكمال» (٧: ٤٧٨)، و«السير» (٦: ٤٠٤).

(٣) في (ق): «النجيبي»، وانظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٥١٥).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٩)، و«تهذيب الكمال» (٧: ٤٧٨)، و«السير» (٦: ٤٠٤).

(٥) في (د): «عتبة».

(٦) قوله: «ابن» ليست في (ق).

(٧) في (د): «عن».

(٨) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٣: ١٢٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٩).

ثمَّ قال: هو أعلمُ بما يُصلِحُ عبادَه، فقلت: ما أصنعُ بهذه؟ فقال: استَنفِقها، فهِبتُه والله أن أرُدَّه»[١].

* * *

[سليم بن عتر]

[٣٨٧] **ومنهم**: سليمُ بن عِتر[٢]، من أهل مصر[٣].

قال الحارثُ بن يزيد: «كان سليمٌ يقرأ كلَّ ليلةٍ ثلاثَ ختماتٍ»[٤].

* * *

[الليث بن سعد]

[٣٨٨] **ومنهم**: الليثُ بن سعد[٥]، يُكنَّى: أبا الحارث، مولًى من أهل مصر[٦].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٩)، و«تهذيب الكمال» (٧: ٤٨١)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٣٨٧).

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٢: ٢٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٨)، و«السير» (٤: ١٣١).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٢: ٢٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٨)، و«السير» (٤: ١٣١).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٢: ٢٧١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٨)، و«السير» (٤: ١٣٢).

(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٥١٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٠: ٣٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٩)، و«السير» (٨: ١٣٦).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٥١٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٠: ٣٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٩)، و«السير» (٨: ١٣٦).

وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وتسعين[١]، واستقلَّ[٢] بالفتوى والكَرَم بمصر[٣].

قال أبو صالح: «كنّا على باب مالكِ بن أنس، فامتَنعَ علينا، فقلنا: ليس يُشبهُ صاحِبَنا، فسَمِعَ مالك، فقال لنا: مَن صاحِبُكم؟ فقلت: الليث، فقال: تُشبِّهوني برجلٍ كتبنا إليه في قليلِ عُصفرٍ نَصبَغُ به ثيابَ صِبيانِنا فأنفَذَ إلينا ما صبَغنا به ثيابَنا وثيابَ صبيانِنا وثيابَ جيرانِنا، وبِعنا الفضلةَ بألفِ دينارٍ!»[٤].

قال سُليمُ بن مَنصور: سمعت أبي يقول: «دخلتُ على الليث بن سعدٍ يومًا، وإذا على رأسِه خادم، فغَمزَه فخرج، ثمَّ ضربَ الليثُ بيده إلى مُصَلّاه، فاستخرَجَ من تحته كيسًا فيه ألفُ دينار، ثمَّ رمى بها إليّ، ثمَّ قال: يا أبا السَّريّ، لا تُعلِم ابنِي فتهونَ عليه»[٥].

[١٨٣/أ]

قال الحارثُ بن مِسكين: «اشترى قومٌ من الليثِ ثمرةً، فاستَغلَوْها فاستقالُوه[٦] فأقالهم، ثمَّ دعا بخريطةٍ فيها أكياس، فأمر لهم بخمسين دينارًا، فقال لهُ[٧] الحارثُ ابنُه في ذلك، فقال: إنّهم كانوا أمَّلوا فيها أملًا، فأردتُ أن أُعوِّضَهم عن أمَلِهم بهذا»[٨].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٥١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٩).

(٢) في (د): «واشتغل».

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٥١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٩).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣١٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٠: ٣٧١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٩).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٠).

(٦) في (ق): «فاستقالوها».

(٧) «له» ليس في (د).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٠)، و«السير» (٨: ١٤٩).

وحجَّ الليث، فأهدى إليه مالكُ بن أنس رُطَبًا على طبق، فرَدَّ الطبقَ وفيه ألفُ دينار.

ووصل منصورَ بن عمّارٍ بألفِ دينار، وقال الليثُ له: لا تُسمِع بهذا ابني فتهونَ عليه، فبلغ ذلك شعيبَ بن الليث، فوصلَه بألفِ دينارٍ إلّا دينارًا، وقال: إنّما نَقصتُك هذا الدينارَ لئلا أساوي الشيخَ في العطيّة[١].

قال مُحمَّدُ بن رمح: «كان دخلُ الليث بن سعدٍ في كلِّ سنةٍ ثمانِين ألف دينار، وما أوجَبَ الله عزَّ وجلَّ عليه زكاةً قط»[٢].

وقال منصور: «كان الليثُ يَستغِلُّ في كلِّ سنةٍ خمسين ألفَ دينار، فيَحُولُ عليه الحَولُ وعليه الدَّين»[٣].

أسند الليثُ عن خَلقٍ من التابعين، كعطاءٍ والزهريِّ وغيرِهما[٤].

قيل: إنّه أدرَكَ نيِّفًا وخمسين تابعيًّا[٥].

وتُوفِّي يوم الجمعة لأربعَ عشرةَ ليلةً بَقِيَت من شعبانَ من سنة خمسٍ وسبعين[٦] ومئة، ودُفِنَ بعد الجمعة[٧].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤١).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٠: ٣٧٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤١).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤١)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ١٣٧).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤١).

(٦) في «الطبقات الكبرى» (٧: ٥١٧): «سنة خمس وستين ومئة».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٢)، و«السير» (٨: ١٦١).

[عبد الله بن وهب]

[٣٨٩] ومنهم: عبدُ الله بن وهبٍ[١]، من أهل مصرَ[٢]، مولًى[٣].

قال أحمدُ الهَمْدانيّ: «دخل ابنُ وهبٍ الحمّام، فسمع قارئًا يقرأ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٧]، فسقطَ مغشيًّا عليه، فغُسِلَت عنه النَّورةُ وهو لا يَعقِل»[٤].

قال: «قُرِئَ على ابن وهب كتابُ «**أهوال القيامة**» فخَرَّ مغشيًّا عليه، فلم يتكلَّم بكلمةٍ حتى ماتَ بعد ذلك بأيّام، وذلك بمصرَ سنة سبع وتسعين ومئة»[٥].

أسند ابنُ وهبٍ عن الأئمّة، كمالكٍ والثوريِّ وشعبةَ[٦].

* * *

[أبو يعقوب يوسف بن يحيى البُوَيطي]

[٣٩٠] ومنهم: أبو يعقوبَ يُوسفُ بن يحيى البُوَيطيّ[٧].

قال الربيعُ بن سليمان: سمعتُ ابنَ أبي الجارود يقول: «كان البُوَيطيُّ جاري،

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«السير» (٩: ٢٢٣).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«السير» (٩: ٢٢٣).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«السير» (٩: ٢٢٣).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«السير» (٩: ٢٢٧).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«تهذيب الكمال» (١٦: ٢٨٥).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«تهذيب الكمال» (١٦: ٢٧٧).

(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٤٧٢)، و«السير» (١٢: ٥٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ١٦٢).

فما كنتُ أنتَبِه ساعةً من الليل إلّا سمعتُه يقرأ ويُصلِّي»[١].

قال الربيع: «كان البُوَيطيُّ أبدًا يُحرِّكُ شَفتَيه بذِكرِ الله عزَّ وجلّ»[٢].

قال الربيع: «رأيت البُوَيطيَّ على بغلٍ في عُنقِه غُلّ، وفي رِجلَيه قَيد، وبين الغُلِّ والقَيد سلسلةُ حديدٍ[٣] فيها طوبةٌ وزنُها أربعونَ رِطلًا، وهو يقول: والله لأمُوتَنَّ في حديدي هذا[٤]، حتَّى يأتيَ مِن بعدي قومٌ يعلمون أنّه قد مات في هذا الشأنِ قومٌ في حديدِهم، ولئن أُدخِلتُ[٥] إليه لأصدُقَنّه، يعني: الواثق»[٦]. [١٨٣/ب]

أسند البُوَيطيُّ عن عبد الله بن وهب، والشافعيّ، وغيرهما[٧].

وكان قد جمع بين الفقه والتقوى، وامتُحِنَ فلم يُجِب، وحُمِلَ من مصرَ أيّام الفتنة والمحنة بالقرآنِ إلى العراق، فأرادُوهُ على الفتنةِ فامتنع، فسُجِنَ ببغداد، وأقام مسجونًا إلى أن تُوفِّيَ في السجن والقَيدِ ببغدادَ سنة اثنتَين[٨] وثلاثين ومئتَين[٩]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٤٧٤)، و«الوافي بالوفيات» (٢٩: ١٦٥).

(٢) انظر: «المنتظم» (١١: ١٧٤)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٤٧٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٧: ٤٢٤).

(٣) في (ق): «وحديد».

(٤) «هذا» ليس في (د).

(٥) في (ق): «دخلت».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٧: ٤٢٤)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ١٦٤).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٤٧٣).

(٨) في (ق) و(د): «اثنين».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٣)، و«تهذيب الكمال» (٣٢: ٤٧٥-٤٧٦).

[ذو النون أبو الفيض]

[٣٩١] **ومنهم**: ذو النون، أبو الفيض[١]، أصلُه: من النُّوبة.

وكان من قريةٍ من[٢] قرى الصعيد يقال لها: إخمِيم[٣]، فنزل مصر، ويُقال له: ثَوبان[٤]، وذو النون لَقَب، وكان أبوه مَولًى، واسمُه: إبراهيم، وله أربعةُ بنين: ذو النون، وذو الكِفل، وعبدُ الباري، والهُمَيسع[٥].

قال ابن[٦] الجلاء: «لَقِيت ستَّ مئة شيخٍ ما لقيت فيهم مثلَ أربعة: أحدُهم ذو النون»[٧].

قال يوسفُ بن الحُسَين: سمعتُ ذا النون يقول: «بصحبةِ الصالحين تَطِيب الحياة، والخيرُ مَجموعٌ في القَرِين الصالح؛ إن نَسيتَ ذَكَّرَك، وإن ذَكَرتَ أعانك»[٨].

قيل له: رَحِمَك الله تعالى، ما الذي أنصَبَ العبادَ وأضناهم؟ فقال: ذِكرُ المقام،

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٩: ٣٣١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧: ٣٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٤).

(٢) قوله: «من» ليست في (ق).

(٣) إخميم؛ بكسر أوَّله وإسكان ثانيه، بعده ميم وياء وميم: بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد، وفي غربيِّه جبل صغير، مَن أصغى إليه بأذنه سمع خرير الماء ولغطًا شبيهًا بكلام، ولم تُعرف حقيقة ذلك. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» للبكري (١: ١٢٥)، و«معجم البلدان» (١: ١٢٣)، و«آثار البلاد» (١٣٩)، و«مراصد الاطلاع» (١: ٤٣).

(٤) في (ق) و(د): «نوبان».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٤).

(٦) قوله: «ابن» ليس في (ق) و(د).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧: ٤٠٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٤).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٤).

وقِلّةُ الزاد، وخوفُ الحساب، ولِمَ لا تذوب أبدان[١] العُمّال، وتَذهَل عقولُهم، والعرضُ على الله عزَّ وجلَّ أمامهم، وقراءةُ كُتبهم بين أيديهم، والملائكةُ وُقُوفٌ بين يدَي الجبّار ينتظرون أمرَه في الأخيارِ والأشرار، مثّلوا هذا في نُفوسِهم وجعلوه نُصبَ أعيُنِهم[٢].

قيل له: متى تَصِحُّ عُزلةُ الخلقِ؟ فقال: إذا قَوِيتَ على عزلةِ النفس[٣].

قال يوسفُ بن الحسين: «قلتُ لذي النون وقتَ مُفارَقتي له: مَن أُجالِس؟ فقال: عليك بصحبةِ مَن تُذَكِّرُ الله عزَّ وجلَّ رؤيتُه، وتقع هَيبتُه على باطنِك، ويزيد في عملك مَنطِقُه، ويُزهِّدك في الدنيا عملُه، يَعِظُكَ بلسان فِعلِه، ولا يَعِظُكَ بلسان قَولِه»[٤].

وقال: «سُقمُ الجسدِ في الأوجاع، وسقمُ القلوبِ في الذنوب، فكما لا يجدُ الجسدُ لذّةَ الطعام عند سَقمه، كذلك لا يجدُ القلبُ حلاوةَ العبادةِ مع الذنوب»[٥].

وقال: «مَن لم يَعرِف قَدرَ النعم سُلِبَها من حيثُ لا يعلم»[٦].

وقال: «احذر[٧] أن تَنقطِعَ عنه فتكونَ مخدوعًا، قلت: وكيف ذلك؟ فقال: لأنّ[٨] المخدوعَ مَن ينظر إلى عطاياه، فينقطِعُ عن النظر إليه[٩].

---

(١) في (د): «ولم تذب أبدان».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٤).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٤).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٤: ٢٢٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٤).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٥).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٥).

(٧) قوله: «احذر» تكرر مرتين في (ق).

(٨) في (د): «إن».

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٥١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٥)، و«مرآة الزمان» (١٥: ١٩٥).

تعلَّق الناسُ بالأسباب، وتعلَّق الصدِّيقون بوَلِيِّ الأسباب، وعلامةُ تَعلُّقِ قلوبهم بالعطايا طلبُهم/ منه العطايا، ومن علامةِ تَعلُّق قلب الصدِّيقِ بوَلِيِّ [١٨٤/أ] العطايا انصبابُ العطايا عليه وشُغلُه عنها به، ثمَّ قال: اعقِل؛ فإنّ هذا من صفوةِ التوحيد»[١].

وقال: «مَن ذَكَر الله عزَّ وجلَّ على حقيقةٍ نَسِي في جنبه كلَّ شيء، ومَن نَسِي في جنب الله عزَّ وجلَّ كلَّ شيء حفظ اللهُ عزَّ وجلَّ عليه كلَّ شيء، وكان له عِوَضًا من كلِّ شيء، وأكثرُ الناس إشارةً في الظاهر[٢] أبعدُهم من الله عزَّ وجلَّ»[٣].

وسُئِلَ عن الآفةِ التي يُخدَعُ بها المُريدُ عن الله عزَّ وجلّ، فقال: برؤيةِ الكرامات، قيل: فبِمَ يُخدَعُ قبل وصولِه إلى هذه الدرجة؟ فقال[٤]: بوَطءِ الأعقاب، وتعظيم الناس له[٥].

وقال: «من ذَبحَ حنجرةَ الطمعِ بسَيفِ اليَأس[٦]، ورَدمَ خندقَ الحرص[٧] ظَفِرَ بكيمياء الخِدمة، ومَن استقَى بحبلِ الزُّهد على دَلوِ العُزُوفِ[٨] استقَى مِن جُبِّ الحِكمة، ومَن سلك أودِيةَ الكَمَد حَيا حَياةَ الأبَد، ومَن حَصدَ عُشبَ الذُّنوبِ بمِنجَلِ الوَرَعِ أضاءت له رَوضةُ الاستقامة، ومَن قطع لسانَه بشفرةِ

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٥١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٥).
(٢) في (د): «النظر».
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٦).
(٤) في (ق): «قال».
(٥) «له» ليس في (د)، وانظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٦١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧: ٤٢٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٦).
(٦) في (ق) و(د): «الإياس».
(٧) في (ق) و(د): «الخرس».
(٨) في (د): «المعروف».

الصمت وجد عُذوبةَ الراحة، ومَن تدرَّع دِرعَ الصدق قَوِيَ على مُجاهدةِ عَسكر الباطل، ومَن فرِح بمِدحةِ الجاهِلِ ألبسه الشيطانُ ثوب الحماقة»[١].

وقال: «ما أعزَّ الله عزَّ وجلَّ عبدًا بعزٍّ هو أعزُّ له من أن يَدُلَّه على ذُلِّ نفسه، وما أذلَّ الله عزَّ وجلَّ عبدًا بذُلٍّ هو أذَلُّ له[٢] من أن يَحجُبَه عن ذُلِّ نفسه»[٣].

وقال: «كلُّ خائفٍ هارِب، وكلُّ راجٍ طالِبٌ»[٤].

وقال: «لم أرَ شيئًا أبعَثَ لطلب الإخلاص من الوحدة؛ لأنّه إذا خلا لم يرَ غيرَ الله عزَّ وجلّ، ومَن أحبَّ الخَلوةَ فقد تعلَّق بعَمودِ الإخلاص»[٥].

وقال: «ما خلع الله تعالى على عبدٍ[٦] خِلعةً أحسنَ من العقل، ولا قلَّدَه قِلادةً أجملَ من العلم، ولا زيَّنه بزينةٍ أفضلَ من الحِلم، وكمالُ ذلك كلِّه التقوى»[٧].

أسند ذو النون أحاديثَ كثيرةً عن مالكٍ والليث وابن عُيَينةَ والفُضَيل وغيرهم[٨].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٦).

(٢) «له» ليس في (د).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٧٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧: ٤١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٦).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٧٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٦).

(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٠)، و«حلية الأولياء» (٩: ٣٧٦).

(٦) في (د): «عبده».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧: ٤٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٥).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٩٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٧).

وتُوفِّي بالجيزة[١]، وحُمِلَ في مَركبٍ إلى الفسطاط خوفًا عليه من زحمةِ الناس على الجِسر، ودُفِنَ في مقابرِ أهل المعافر[٢]، وذلك في يوم الاثنين لليلتَين خلتا من ذي القعدةِ من سنة ستٍّ وأربعين ومئتين[٣].

* * *

[الحسن بن خليل بن مرة]

[٣٩٢] ومنهم: الحسنُ بن خليل بن مُرّة[٤].

قال عبدُ الله بن وهب: «هو رجلُ صِدق، قد شغَلَته العبادة»[٥].

وقال عبدُ الله بن صالح: «ما رأيتُ بمصرَ أفضلَ منه في زُهدِه ووَرعِه، ولقد [١٨٤/ب] رأيتُه يحمِلُ دقيقًا في جرابٍ للناسِ بأجرة، يتقوَّتُ في كلِّ جمعةٍ بحَملِ يوم، ثمَّ زاد أمرُه، فلم يكن يدَّخِرُ لوقتٍ يأتي، وعليه مِدرَعةٌ قيمتُها أقلُّ من درهم، وأجمعَ أهلُ مصرَ على أنّه مُستجابُ الدعوة»[٦].

ولمّا اعتلَّ جاء الليثُ بن سعدٍ يعودُه، فقرأ على رأسه، وقال: هذا أعبَدُ مَن رأيت[٧].

قال موسى بن هارون: «رأيتُ الحسنَ بعرفاتٍ وكلَّمته، ثمَّ رأيتُه يطوفُ

---

(١) في (د): «بالحيرة». (٢) في (ق) و(د): «المغافر».

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١: ١٣٦-١٣٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٧: ٤٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٢٦٩).

(٤) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٨). (٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٨).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٨). (٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٨).

بالبيت، فقلت: ادعُ الله عزَّ وجلَّ أن يقبَلَ حَجِّي، فبكى ودعا لي، ثمَّ أتيت مصر، فقلت: إنّ الحسنَ كان معنا بمكّة، فقالوا: ما حجَّ العام، وكان يَبلُغُني أنّه يَمُرُّ إلى مكّةَ كلَّ ليلة، فما كنتُ أُصدِّقُ حتى رأيتُه فعاتَبَني، وقال: شهَرتَني، ما كنت أحِبُّ أن تُحَدِّثَ بهذا عنِّي، فلا تَعُد بحَقِّي عليك»(١).

* * *

[محمد بن عمرو الغَزِّي]

[٣٩٣] ومنهم: مُحمدُ بن عمرٍو الغزِّيّ(٢).

قال أبو زُرعة: «كان مُحمدُ الغَزِّيُّ يأتي عليه ثمانيةَ عشرَ يومًا لا يَذُوقُ فيها ذَواقًا لا طعامًا ولا شرابًا، ما رأيتُ بمِصرَ أصلحَ منه»(٣).

قال إبراهيمُ بن أيُّوب: «كان مُحمَّدُ الغَزِّيُّ يأكل في كلِّ شهرِ رمضانَ أكلتَين من غير تكلُّف، يأكُلُ في كلِّ خمسةَ عشرَ يومًا مرّةً»(٤).

أسند الغزِّيُّ عن الوليدِ بن مُسلِم، وعطّافِ بن خالدٍ في آخرِين(٥).

* * *

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٨).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٨)، و«السير» (١١: ٤٦٤).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٨)، و«السير» (١١: ٤٦٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٩)، و«السير» (١١: ٤٦٤)، و«توضيح المشتبه» (٦: ٢٢٥).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٤٩)، و«السير» (١١: ٤٦٤).

[الحسن بن أحمد]

[٣٩٤] ومنهم: أبو عليٍّ الحَسنُ بن أحمد، المعروف: بابنِ الكاتب[١]، من كبارِ مشايخ المصريِّين[٢].

مِن كَلامِه النافع: إذا انقطعَ العبدُ إلى الله عزَّ وجلَّ بالكلِّيّةِ فأوَّلُ ما يُفِيدُه الله عزَّ وجلَّ الاستغناءُ به عمّا سواه[٣].

وكان يقول: «قال الله عزَّ وجلّ: مَن صَبرَ علينا وصلَ إلينا»[٤].

وكان يقول: «إذا سكن الخوفُ في القلب لم يَنطِق اللِّسانُ إلّا بما يَعنِيه»[٥].

وكان يقول: «إنّ الله عزَّ وجلَّ يَرزُقُ العبدَ حلاوةَ ذِكرِه، فإن فرح به وشَكرَه آنسَهُ بقُربِه، وإن قصَّر في الشكر أجرى الذِّكرَ على لسانِه، وسَلبَه حلاوتَه»[٦].

صَحِبَ أبو عليٍّ الرُّوذباريَّ وغيره، وتُوفِّي بعد الأربعين والثلاث مئة[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩٢)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٩).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩٢)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٩).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٩).

(٤) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩٢)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٩).

(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩٢)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٩).

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩٢)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٩).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٤٩).

[شاب مجهول]

[٣٩٥] ومنهم: شابٌّ مَجهول(١).

قال يوسفُ بن الحسين: «لمّا استأنَستُ بذي النون قلت: أيُّها الشيخ، ما كان بُدُوُّ شأنِك؟ فقال: كنت شابًّا صاحِبَ لهوٍ ولعب، ثمَّ إنِّي تُبتُ وتركت ذلك كلَّه، وخرجتُ حاجًّا، ومعي بُضَيعة، فرَكِبتُ في المركبِ مع تجّارٍ من مصر، ورَكِبَ معنا شابٌّ صَبِيحُ الوجه، فلمّا توسَّطنا البحرَ فقد صاحِبُ المَركَبِ كيسًا فيه مال، فأمر بحَبسِ المركَبِ وفتَّش مَن فيه، فلمّا وصلوا إلى الشابِّ وثَبَ وثبةً من المَركبِ حتَّى جلس على مَوجٍ من أمواجِ البحر، وقام له الموجُ على مثال [١٨٥/أ] سرير، وهو جالِسٌ عليه ننظرُ إليه.

ثمَّ قال: يا مولاي، إنّ هؤلاء اتَّهمُوني، وإنِّي(٢) أُقسِمُ عليك يا حبيبَ قلبي أن(٣) تأمرَ كلَّ دابّةٍ في هذا المكان أن تُخرِجَ رأسَها وفي فيها جوهرة.

قال ذو النون: فما تَمَّ كَلامُه حَتَّى رَأينا دَوابَّ(٤) البَحرِ أمامَ المَركَبِ وحوالَيه وقد أخرَجَت رؤوسَها، وفي فم كلِّ واحدةٍ جوهرةٌ تلمع، ثُمَّ وثب الشابُّ من الموجِ إلَى البحر، وجعل يتبختَرُ على متنِ الماءِ يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، حتى غابَ عن بصري»(٥).

* * *

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥١). (٢) في (د): «وأنا».
(٣) «أن» ليس في (د). (٤) في (ق): «ذوات».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥١)، و«التوابين» لابن قدامة (١٣٥)، و«مرآة الزمان» (١٥: ١٨٥).

[عابد مجهول]

[٣٩٦] ومنهم: عابدٌ مَجهول[١].

قال الأوزاعيّ: حدَّثني حكيمٌ من الحكماء، قال: «مرَرتُ بعريش مِصر وأنا أرِيدُ الرِّباط، فإذا أنا برَجُلٍ في مِظَلّة قد ذهبت عيناه ويداه ورِجلاه، وبه أنواعُ البلاء وهو يقول: الحمدُ لله حمدًا يُوافي مَحامِدَ خَلقِك بما أنعَمتَ عليَّ وفضَّلتَني على كثيرٍ ممَّن خَلقتَ تفضيلًا.

فقلت: لأنظُرَنَّ أشيءٌ علَّمَه الله عزَّ وجلَّ أم أُلهِمَه إلهامًا؟ فقلت: على أيِّ نعمةٍ من نِعَمه تحمَدُه، أم على أيِّ فضيلةٍ تَشكُرُه، فوالله ما أرى شيئًا من البلاءِ إلّا وهو بك؟

فقال: ألا ترى ما صَنعَ بي؟ فوالله لو أرسَلَ السماءَ عليَّ[٢] نارًا فأحرَقَتني، وأمر الجبالَ فدكدَكَتنِي، وأمر البحارَ فأغرَقَتني، ما ازدَدتُ إلّا حمدًا وشكرًا، وإنَّ لي إليك حاجة: بُنيّةٌ لي تخدُمني وتتعاهدني عند إفطاري، هل تُحِسُّ بها؟

فَقلت: والله إنِّي لأرجو أن يكونَ لي في قضاءِ حاجةِ[٣] هذا العبد الصالح قُربةٌ إلى الله تعالى، فخرَجتُ أطلُبها بين تلك الرمال، فإذا السَّبُعُ قد أكلَها، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، من أين[٤] آتي هذا العبدَ الصالح فأُخبِره بمَوت ابنتِه؟ فأتيته، فقلت: أنتَ أعظمُ عندَ الله عزَّ وجلَّ منزلةً أم أيُّوبُ عليه السلام؟ ابتلاه الله عزَّ وجلَّ في مالِه وولدِه وأهله وبدنه حتى صار عرَضًا للناس[٥]، فقال: لا، بل

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٢).
(٢) «علي» ليس في (د).
(٣) «حاجة» ليس في (د).
(٤) «أين» ليس في (د).
(٥) من قوله: «ابتلاه الله عز وجل في ماله» إلى هنا ليس في (د).

أَيُّوب، فقلت: إنّ ابنتَك أكلَها السبع، فقال: الحمدُ لله الذي لم يُخرِجني من الدنيا وفي قلبي منها شيء، ثمَّ شَهَقَ شَهقةً فمات، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مَن يُعِينُني على غسله ودفنه؟

فإذا أنا بِرَكبٍ يريدون الرِّباط، فأشَرتُ إليهم فأقبَلوا، فأخبرتُهم بأمره، فغسَّلناه وكفَّنّاه ودَفنّاه في مِظَلَّتِه، ومضى القوم، وبِتُّ ليلتي في مِظلَّته أُنسًا به، حتى إذا مضى من الليل قَدرُ ثُلُثِه إذا أنا به في رَوضةٍ خضراءَ وعليه/ حُلَّتان خضراوان، [١٨٥/ب] فقلت: ألستَ صاحبي بالأمس؟ فقال: بلى، قلت: فما صيَّركَ إلى ما أرى؟ فقال: ورَدتُ من الصابرين على درجةٍ لم ينالوها إلّا بالصبر عند البلاء، والشكرِ عند الرخاء»[١].

* * *

[عابد آخر مجهول]

[٣٩٧] عابدٌ آخرُ مجهول[٢].

قال أبو بكرٍ مُحمدٌ التُّستَرِيّ: سمعت مُحمَّدَ بن داودَ الدِّينَورِيَّ بدمشقَ يقول: سمعتُ أبا بكرٍ المِصرِيَّ يقول: «خرَجتُ من عينون[٣] أريد الرملة، فبينا

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٢)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٧: ٣٦٦-٣٦٧).

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٢٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٣).

(٣) في (ق): «عيونه»، وفي (د): «عيوتة»، وقال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤: ١٨٠): «بالفتح: كلمة عبرانية جاءت بلفظ جمع سلامة العين، ولا يجوز في العربية، وهو بوزن هينون ولينون، إلا أن يريد به العين الوبيئة فإنه حينئذ يجوز قياسًا ولم نسمعه، قيل: هي من قرى بيت المقدس، وقيل: قرية من وراء البثنيّة من دون القلزم في طرف الشام»، وانظر: «مراصد الاطلاع» (٢: ٩٧٩).

أنا أمشي إذا بفقيرٍ يمشي حافيَ القدمَين حاسِرَ الرأس، وعليه خِرقتان مُؤتزِرًا بإحداهما، مُرتَديًا[١] بأخرى، ليس معه زادٌ ولا رَكوة، فقلت في نفسي: لو كانَ[٢] مع هذا رَكوةٌ وحَبل، فإذا ورد الماءَ توضَّأ وصلَّى كان خيرًا له.

فلَحِقتُ به وقد اشتدَّت الهاجرة، فقلت له: يا فتى، لو جعلت هذه الخِرقةَ التي على كتِفَيك على رأسك تتوقَّى بها الشمسَ كان خيرًا لك، فسَكتَ ومشى، فلمّا كان بعد ساعة قلت له: أنتَ حافٍ، أيُّ شيء ترى في نعلٍ تلبَسها[٣] ساعةً وأنا ساعةً؟ فقال: أراك كثيرَ الفُضول، ألم تكتُبِ الحديثَ؟ قلت[٤]: بلى، فقال: ألم تكتُب عن النبيِّ ﷺ: «**مِن حُسنِ إسلامِ المَرءِ تَركُهُ ما لا يَعنِيه**»[٥]؟ فسكتّ، ومشى.

وعَطِشتُ وأنا على ساحِلِ البحر، فالتفت إليّ، وقال: أنت عطشانُ؟ فقلت: لا، فمشى ساعةً وقد كظَّنِي العطش، ثمَّ التفتَ إليَّ وقال: أنت عطشانُ[٦]؟ فقلت: نعم، وما تَقدِر أن تعملَ في مثل هذا المَوضِع؟ فأخذ الرَّكوةَ منِّي ودخل البحرَ وغرف الماء، وجاء به، وقال: اشرب، فشَرِبت ماءً أعذبَ من ماءِ النيلِ وأصفى لونًا، وفيه حشيش، فقلت في نفسي: هذا وليُّ الله تعالى، ولكن أدَعُه حتَّى إذا وافَينا المنزلَ سألتُه الصحبة.

---

(١) في (ق): «مرتد».
(٢) في (ق): «أن».
(٣) في (د): «تلبسهما».
(٤) في (د): «فقلت».
(٥) «موطأ مالك» (٣)، و«مسند أحمد» (١٧٣٧)، و«جامع الترمذي» (٢٣١٨)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٧٦)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه».
(٦) من قوله: «فقلت لا» إلى هنا ليس في (د).

فوقف ثمَّ قال: أيُّما أحبُّ إليك تمشي أو أمشي؟ فقلت: إن تقدَّم فاتني، ولكن أتقدَّم أنا وأجلِسُ في بعض المواضع، فإذا جاء سألتُه الصحبة، فقال لي[(١)]: يا أبا بكر، إن شئتَ تتقدَّمُ أو تتأخَّر؛ فإنّك لا تصحَبُني، ومضى وتركَني، فدخَلتُ المنزلَ وكان لي به صديق، وعندهم عليل، فقلت: رُشُّوا عليه من هذا الماء، فرَشُّوا عليه، فبرأ، وسألتُهم عن الشخص، فقالوا: ما رأيناه»[(٢)].

* * *

[عابد آخر]

[٣٩٨] عابِدٌ آخر[(٣)].

قال أبو الحسن الفارسِيّ: «بلغَنا أنّ رجلًا من أصحاب ذي النون أُصيبَ بعقله، فكان يَطوفُ ويقول: آهٍ! أينَ قَلبِي، مَن وجَد قَلبِي؟ والصبيان قد ولِعُوا به يرمونه من كلِّ جانب، فقُضِي أنّه دخلَ يومًا بعضَ سِكَكِ مِصر وقد هرب/ [١٨٦/أ] من الصبيان، فجلس يستريحُ إذ سَمِعَ بكاءَ صَبِيٍّ تَضرِبُه والِدَتُه، ثمَّ أخرجَته من الدار، وأغلَقَت دونه الباب، فجعل الصبيُّ يلتَفِت يمينًا وشمالًا لا يدري أين يذهب، وإلَى مَن يَقصِد، فلَما سَكنَ ما به عاد ناكِصًا على عقِبَيه[(٤)] حتى عاد إلى باب دار والِدَته، فوضع رأسَه على عَتَبة بابِ الدّار، فذهب[(٥)] به النوم، وجعل يبكي ويقول: يا أُمّاه! مَن يفتح لي البابَ إذا أغلقتِ عنِّي بابَك، ومَن يُدنِيني إذا طردتِيني، ومَن يُقرِّبُني إذا غضِبتِ عليّ.

---

(١) «لي» ليس في (د).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٢٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٣).

(٣) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٤).

(٤) في (ق) و(د): «عقبه».

(٥) في (د): «فذهبت».

فَرَحِمَتهُ أمُّه، فقامَت فنظرت من خَلَل الباب، فوجَدَت ولدَها تجري الدموعُ على خدَّيه مُتمَعِّكًا في التراب، ففتحَت البابَ وأخذَته ووضعَته في حجرها، وقبَّلَته، وجعَلَت تقول: يا قرّةَ عيني، ويا عزيزَ نفسي، أنت الذي حملتَني على نفسِك، وأنت الذي تعرَّضت لما حلَّ[1] بك، ولو كنتَ أطعتَنِي لم تَلقَ منِّي مَكروهًا.

قال: فتواجَدَ الفتى وصاح حتى اجتمع عليه الخلق، فقالوا: ما الذي أصابَك؟ فقال: وجدتُ قلبي، فلمّا بَصُرَ بذي النون قال: يا أبا الفَيض، قد وجدتُ قلبي في سِكّةِ كذا وكذا عند فلانة، ثمَّ لم يَزَل إذا تواجَدَ يقول ذلك»[2].

* * *

[أسلَم بن زيد الجُهني]

[٣٩٩] ومنهم: أسلم بن زيدٍ الجُهَنيّ[3]، من إسكندريّة[4].

قال إبراهيمُ بن أدهم: «لقيت رجلًا بالإسكندرية يُقال له: أسلمَ بن زيد الجُهَنيّ، فقال: مِن أين أنتَ يا غلامُ؟ قلت[5]: من أهل خراسان، فقال: ما حملَك على الخروجِ من الدنيا؟ قلت[6]: زُهدًا فيها، ورَجاءَ ثواب الله عزَّ وجلّ، فقال: إنّ العبدَ لا يَتِمُّ رجاؤه لثواب الله عزَّ وجلَّ حتَّى يَحمِلَ نفسَه على الصبر، فقال رجلٌ[7]:

(١) «حل» ليس في (د).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٤).
(٣) في (ق) و(د): «زيد بن أسلم الجهني»، وكذا في الموضع التالي في الترجمة. وانظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٧).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٧).
(٥) في (د): «فقلت».
(٦) في (د): «قال».
(٧) قوله: «فقال رجل» في (د): «فقلت».

وأيُّ شيءٍ الصبرُ؟ فقال: إنّ أدنى منازلِ الصبر: أن يُروِّضَ العبدُ نفسَه على احتمالِ مَكارِه الأنفس.

قلت: ثمَّ مَه؟ فقال: إذا كان مُحتَمِلًا للمكارِه، أورَثَ الله عزَّ وجلَّ قلبَه نورًا، قلت: فما[1] النورُ؟ فقال: سراجٌ يكون في قلبه يُفَرِّقُ بين الحقِّ والباطل والمتشابه[2]، ثمَّ قال: يا غلام، إيّاكَ إذا صَحِبتَ الأخيارَ وجارَيتَ الأبرار أن تُغضِبَهم عليك؛ فإنّ الله تعالى يَغضَبُ لغضبهم، ويرضى لرِضاهم، وذلك أنّ الحكماءَ هم العلماء، وهم الراضون عن الله عزَّ وجلَّ إذا سَخِطَ الناس، يا غلام، احفظ عنّي واعقل، واحتَمِل ولا تَعجَل[3]، إيّاك والبُخل، قلت: وما البُخلُ؟ فقال: أمّا البُخلُ عند أهل الدنيا فهو أن يكونَ الرجل ضنينًا بمالِه، وأمّا عند أهل الآخرة فهو الذي يَضِنُّ[4] بنفسه/ عن الله عزَّ وجلّ، ألا وإنّ العبدَ إذا جاد بنفسِه لله عزَّ وجلَّ أورث الله قلبَه الهدى والتقى، وأُعطِيَ السكينةَ والوقار، والحِلمَ الراجِح، والعقلَ الكامِل»[5]. [١٨٦/ب]

* * *

[أبو عبد الله المغربي]

[٤٠٠] **ومنهم**: أبو عبد الله المَغربيّ[6]، واسمُه: مُحمدُ بن إسماعيل.

---

(١) في (د): «فماذا». (٢) «شعب الإيمان» (٩٥٢٦).

(٣) قوله: «إذا سخط الناس، يا غلام، احفظ عني واعقل واحتمل ولا تعجل» ليس في (د).

(٤) في (ق): «يظن».

(٥) انظر: «شعب الإيمان» (٩٥٢٦)، و«طبقات الصوفية» للسلمي (٣٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٧).

(٦) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٩٤)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٣٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٦٠)، و«البداية والنهاية» (١٤: ٧٧٦).

قال إبراهيمُ بن شَيبان: سمعت أبا عبد الله المغربيَّ يقول: «ما رأيتُ ظلمةً منذُ سنين كثيرة، قال إبراهيم: وذلك[١] أنّه كان يتقدَّمنا بالليل المُظلِم ونحن نتبعه[٢]، وهو حافٍ حاسِر، وكان إذا عَثَر أحدُنا يقول: يمينًا وشمالًا، ونحن لا نرى بين أيدِينا، فإذا أصبَحنا نظرنا إلى رِجلَيه كأنّها رجلا عَروسٍ خرَجَت من خِدرِها.

وكان يقولُ[٣] لأصحابه يتكلَّم عليهم، فما رأيتُه انزعج إلّا يومًا واحدًا، كنّا على الطور، وقد استند إلى شجرة خُرنُوب، وهو يتكلَّم علينا، فقال في كلامه: لا ينالُ العبدُ مرادَه حتى ينفردَ فردًا بفرد، فانزعج واضطرب، فرأيت الصخرَ قد تدكدك، وبقي في ذلك ساعات، فلمّا أفاق كأنّه نُشِرَ من قبر»[٤].

ومن كلامه النافع: أفضلُ الأعمال عمارةُ الأوقات في المُوافَقات، وأعظمُ الناس ذلًّا فقيرٌ داهَنَ غنيًّا وتواضَع له[٥].

أسند أبو عبد الله في الحديث عن عمرو بن أبي غَيلان[٦].

وتُوفِّي على جبل الطورِ في[٧] سنة تسعٍ وسبعين ومئتَين، وعاش مئةً وعشرين سنة، وهو أستاذُ إبراهيمَ الخوّاص[٨].

---

(١) قوله: «وذلك» مكررة في (ق). (٢) قوله: «ونحن نتبعه» ليس في (د).
(٣) في (ق): «يقعد».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٦٠)، و«المنتظم» (١٣: ١٢٨)، و«البداية والنهاية» (١٤: ٧٧٦).
(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٩٥)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٣٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٦٠).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٦٠). (٧) «في» ليس في (د).
(٨) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٦٠).

[عابد بجبل اللُّكام][١]

[٤٠١] ومنهم: عابدٌ بجبل اللُّكام[٢].

قال أبو[٣] إبراهيمَ الزُّهريّ: «كنت جائيًا من المِصِّيصة فمَرَرتُ بجبل اللُّكام، فأحبَبتُ[٤] أن أرى المتعبِّدين، فقصدتُهم، فوافَيتُ صلاةَ الظهر، فرآني فيهم إنسانٌ فعرفَني، فقلت له: فيكم رجلٌ تدلُّوني عليه؟ فقالوا: هذا الشيخُ الذي يُصلِّي بنا، فحضرت معهم صلاةَ الظهر والعصر، فقال له ذلك الرجل: هذا رجلٌ من ولدِ عبد الرحمن بن عوف، وجدُّه سعدُ بن معاذ، فبَشَّ في وجهي، وسلَّم عليَّ سلامَ مَن يَعرِفني.

فقلت له: من أين تَقتات؟ فقال: أنت مقيمٌ عندنا؟ قلت: أمّا الليلةَ فنعم، فمَضَيت معه، فجعل يحدِّثني ويُؤانِسُني حتى جاء إلى كهفِ جَبل، فقَعدت، ودخل فأخرَج قَعبًا[٥] يَسَعُ رِطلًا ونصفًا قد أتى عليه الدهور، فوضعه وقعد يُحدِّثني، حتى إذا كادت الشمسُ تغرُب اجتمعَت حوالَيه ظِباء، فاعتَقلَ منها ظبيةً فحلَبها، حتى[٦] ملأ ذَلِكَ[٧] القدح، ثمَّ أرسَلَها، فلمّا سقطَ القُرصُ حساه،

---

(١) جبل اللكام؛ بالضم، وتشديد الكاف، ويُروى بتخفيفها: هو الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمِصِّيصة وطَرَسُوس وتلك الثغور. انظر: «معجم البلدان» (٥: ٢٢)، و«مراصد الاطلاع» (٣: ١٢٠٧).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٦٥).

(٣) قوله: «أبو» ليس في (ق) و(د).

(٤) في (د): «وأحببت».

(٥) القَعْب: القدح الضخم الغليظ، وقيل: القدح من خشب مقعَّر. انظر: «المحيط في اللغة» (١: ٢٤)، و«لسان العرب» (١: ٦٨٣)، و«القاموس المحيط» (١٢٦).

(٦) في (د): «ثم».

(٧) في (د): «ذاك».

ثمَّ قال: ما هو غيرُ ما ترى، وربَّما احتجتُ إلى الشَّيءِ[1] من هذا فتجتمع حولي هذه الظباءُ فآخُذ حاجتي وأُرسِلُها»[2]. [١٨٧/أ]

قال أبو الفرج بن الجَوزي: «أبو إبراهيمَ هذا اسمُه: أحمدُ بن إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن عوف، معروفٌ بالعلم والزهد، وكان الإمامُ أحمدُ إذا رآه قام قائمًا»[3].

قال السَّريّ: «مكثتُ أربعين سنةً أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُرِيَني وليًّا من أوليائه، فلم أرَ أحدًا، فخرجت إلى الثغر، وصَعدتُ جبلَ اللُّكام، فإذا رجلٌ أسمرُ شديدُ السمرة، فقلت له: قِف عليَّ يرحمك الله عزَّ وجلَّ أكلِّمك، فالتفت إليّ، وقال: يا سَرِيّ، لا تُعامِل غيرَه فتسقطَ من عينه»[4].

* * *

[عليٌّ الجرجرائي]

[٤٠٢] ومنهم: عليٌّ الجرجرائيُّ[5]، أحدُ أستاذي بشر الحافي[6].

---

(١) في (د): «أكثر».

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٥: ٢٩٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧١: ١٣٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٦٥). والجَرْجَرائي؛ نسبة إلى جَرْجَرايا؛ بفتح الجيم، وسكون الراء الأولى: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي، كانت مدينة وخربت مع ما خرب من النهروانات. انظر: «معجم البلدان» (٢: ١٣٢)، و«آثار البلاد وأخبار العباد» (٣٥١).

(٣) «صفة الصفوة» (٢: ٤٦٥).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٦٦).

(٥) في (ق): «الجرجرامي»، وفي (د): «الجرجاني»، وانظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٦٨)، و«آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (٣٥١).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٦٨).

وكان ينزلُ جبلَ لبنان، فلقِيَهُ بشرٌ يومًا بالجبل على عين ماء، قال بشر: فلمّا أبصرَني، قال: بذنبٍ منّي لقيتُ اليوم إنسيًّا، فعَدوتُ خَلفَه وقلت: أوصِني، فالتفتَ إليّ وقال: أمُستَوصٍ[1] أنت؟ عانِقِ الفَقر، وعاشِرِ الصَّبر، وعادِ الهَوَى، وعِفَّ[2] الشَّهَوات، واجعَل بَيتَكَ أخلَى مِن لَحدِك، على هذا طاب المسيرُ إلى الله عزَّ وجلّ[3].

وقال مُحمدُ بن حسّان: «بَينا أنا أدورُ في جبل لبنانَ إذ خرجَ[4] عليَّ شابٌّ قد أحرَقَته السَّمومُ والرياح، عليه طِمرٌ رَثٌّ، وقد سقط شعرُ رأسِه على حاجِبَيه، فلمّا نظر إليَّ ولَّى هاربًا، فقلت له: يا أخي، موعظةً لعلَّ الله عزَّ وجلَّ أن ينفعَني بها، فالتفت إليَّ وهو مارّ، وقال: يا أخي، احذَره؛ فإنّه غَيُورٌ لا يحب أن يرى في قلب عبدِه سواه»[5].

قال مُحمدُ بن المبارك الصوفيّ: خرجنا حُجّاجًا، فإذا نحن بشابٍّ ليس معه زادٌ ولا راحلة، فقلت: حَبيبي[6]، في مثل هذا الطريق بلا زادٍ ولا راحِلة؟ فقال لي: تُحسِنُ تقرَأ؟ فقلت: نعم، ثمَّ قرأت: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص﴾ [مريم: ١]، فشَهَقَ شَهقةً وخرَّ[7] مَغشِيًّا عليه، ثمَّ أفاق، فقال: ويحك! تدري ما قرأت: كافٌ من كافٍ، وهاءٌ من هادٍ، وعينٌ من عليم، وصادٌ من صادق، فإذا كان

---

(١) في (ق) و(د): «استوص».
(٢) في (ق) و(د): «وعق».
(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤١٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٢٩٤)، و«ذم الهوى» (٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٦٨).
(٤) في (ق): «صرخ».
(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٢٩٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٦٩).
(٦) في (د): «جيبي».
(٧) في (ق): «خر».

معي كافٍ وهادٍ وعليمٌ وصادقٌ ما أصنع بزادٍ وراحلة؟ ثمَّ ولَّى وهو يقول[١]:

يا طالِبَ العِلمِ هاهنا وهنا ... ومَعدِنُ العِلمِ بين جَنبَيكا
إن كُنتَ ترجو الجِنانَ تَسكُنُها ... فمَثِّل العَرضَ نُصبَ عَينَيكا
وقُم إذا قامَ كُلُّ مُجتَهِدٍ ... وادعُوهُ كَيما يقُولُ لبَّيكا

* * *

[عابد آخر]

[٤٠٣] عابدٌ آخر[٢].

قال ذو النون: «حجَجتُ سنةً إلى بيتِ الله الحرام، فضلَلتُ عن الطريقِ ولم يكن معي ماءٌ ولا زاد، فأشرَفتُ على الهَلكة[٣]، فلاحَت لي أشجارٌ ومِحراب، [١٨٧/ب] فطرَحتُ نفسي فِي فيءِ[٤] شَجرة، فلمّا غَربَت الشَّمسُ إذا أنا بشابٍّ مُتغيِّر نَحِيل الجسمِ يَؤُمُّ المِحراب، فرَكلَ[٥] برِجلِه رَبوةً مِن الأرض، فظَهرت عينٌ تَبُضُّ بماءٍ عذب، فشرب وتَوضَّأ، وقام في مِحرابه، فقُمتُ إلى العين فشربتُ ماءً عذبًا، وتوضَّأتُ وقُمتُ أصلِّي بصلاتِه حتى بَرقَ عمودُ الصبح، فلمّا رأى الصبحَ وثب قائمًا على قدمَيه، ونادى بأعلى صوتِه: ذهب الليلُ بما فيه، وأقبل النهار بدواهيه، ولم أقضِ من خِدمَتِك وطرًا، آه! خسِرَ مَن أتعب لغيرك بدنَه، وألجأ إلى سواك هَمَّه.

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١١).
(٢) قوله: «عابدٌ آخر» مثبت من حاشية (د)، وهو موافق كذلك لما في «صفة الصفوة» (٢: ٥١١).
(٣) في (د): «الهلاك». (٤) في «صفة الصفوة»: «ظل».
(٥) في (ق) و(د): «فركض».

فلمّا أراد أن يمضيَ ناديته: بالذي منحك لذيذَ الرَّغَب، وأذهب عنك مَلالَ التعب، إلّا خَفضتَ لي جناحَ الرحمة؛ فإني غريبٌ أريد البيتَ الحرام، وقد ضَللتُ، فقال: يا بطّال، وهل قطع بوَفدِه دون البلوغ إليه؟ ثمَّ قال: قم فاتبَعنِي، فرأيت الأرض تُطوَى من تحت أرجُلِنا حتى رأيت المَحجّة، وسَمِعتُ ضجّة، ثمَّ قال: ها قومُك، ثمَّ أنشأ يقول(١):

مَــــن عامَــلَ الله بتَقــواهُ   وكانَ فِــي الخَلــوةِ يَرعــاهُ
سَقاهُ كَأسًـا مِـن صَفـا حُبِّهِ   تَســلُبُهُ لَـــــذّة دُنيـــاهُ
فَأبعَــدَ الخَلــقَ وأقصاهُــم   وانفَــرِدَ العَبــدُ بمَــولاهُ

* * *

[عابدٌ آخر]

[٤٠٤] عابدٌ آخر(٢).

قال عبدُ الله بن الجلاء: «كنت بذي الحُلَيفةِ وأنا أريد الحجَّ والناسُ يُحرِمون، فرأيت شابًّا قد صُبَّ عليه الماءُ يريدُ الإحرام، وأنا أنظر إليه، فقال: يا ربّ، إن أقول: لبَّيك اللهمَّ لبَّيك، فأخشى أن تجيبَني بلا لبَّيك ولا سعدَيك، وبقي يُرَدِّد ذلك كثيرًا، فلمّا أكثرَ(٣) قلت: ليس لك بُدٌّ من الإحرام، فقل، فقال: يا شيخ، أخشى إن قلت: لبَّيك أجابني: بلا لبيك، فقلت له: أحسِن ظنَّك، وقل

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١١-٥١٢).

(٢) قوله: «عابدٌ آخر» مثبت من حاشية (د)، وهو موافق كذلك لما في «صفة الصفوة» (٢: ٥١١).

(٣) قوله: «فلما أكثر» ليس في (د).

معي: لبَّيك اللهمَّ لبَّيك، فقال: لبَّيك اللهمَّ لبَّيك، وطوَّلها، فخرَجَت روحُه مع قوله: اللهمّ، وسقط ميِّتًا»(١).

* * *

[عابدٌ آخر]

[٤٠٥] عابدٌ آخر(٢).

قال أحمدُ بن أبي الحَواريِّ: «دخلت على أبي سُلَيمانَ الدارانِيّ، فقال لي: يا أحمد، لي أيّامٌ ما بكَيت، فقلت له: حدَّثَني محمودُ بن خلف، أنّه رأى رجلًا عشيّةَ عرفةَ على رأس جبل، فلمّا دنا الانصرافُ سمعتُه يقول: الأمانَ الأمان، قد دنا الانصراف، فليت شِعري ما صنعتَ في حاجةِ المساكين، فبكى حتَّى جعَلَت الدموعُ تَثِب(٣) من عينيه، ولا تسيلُ على خدِّه»(٤).

* * *

[عابدٌ آخر]

[٤٠٦] عابدٌ آخر(٥).

قال أبو الأديان: «ما رأيتُ خائفًا إلا رجلًا واحدًا، كنت بالمَوقِف، فرأيت شابًّا مُطرِقًا منذُ وقف الناسُ إلى أن سقط القُرص، فقلت: يا هذا/ ، ابسُط يدَيك [١٨٨/أ]

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٢: ٤٣٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٢).

(٢) قوله: «عابدٌ آخر» مثبت من حاشية (د)، وهو موافق كذلك لما في «صفة الصفوة» (٢: ٥١٣).

(٣) في (د): «تثبت».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٣).

(٥) قوله: «عابدٌ آخر» مثبت من حاشية (د)، وهو موافق كذلك لما في «صفة الصفوة» (٢: ٥١٣).

للدعاء، فقال لي: ثَمَّ وحشة، فقلت: فهذا يومُ العَفوِ عن الذنوب، فبسط يدَيه، ففي بَسْط يدَيه وقع ميِّتًا، رحمةُ الله تعالى عليه»(١).

* * *

[عابدٌ آخر]

[٤٠٧] عابدٌ آخر(٢).

قال أبو عبدِ الرحمن(٣) العجليّ: «رأيتُ رجلًا خلف المَقام يُصلِّي، فافتتح القرآن، فلم يَزَل يقرأ حتَّى أتى على آخِرِ القرآن، ونُودِيَ النداءُ الأوَّل، فجلس فسلَّم، ثمَّ قام فركع ركعةً، حسبتُها وِترَه، ثمَّ قال وهو يرى أنّه لا يسمعه أحدٌ: عند وُرودِ المَنهَلِ يَغبِطُ الركبُ الدُلجة، ثمَّ تنحَّى مِن مَكانِه، فاختلطَ بالناس»(٤).

* * *

[عُبّاد الغزاة]

[٤٠٨] عُبّادُ الغُزاة(٥).

قال عبدُ الله بن قيس: «كنّا في غزاةٍ فحَضرَ العدُوّ، فصِيحَ في الناس، فهم يَثوبونَ(٦) إلى مَصافِّهِم، إذا رجلٌ أمامي رأسُ فرَسي عند عَجُزِ فرسِه، وهو

---

(١) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (٢: ١٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٣)، و«مثير العزم الساكن» (١: ٢٦٢).

(٢) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د)، وهو موافق كذلك لما في «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٠).

(٣) في (ق): «قال عبد»، وفي (د): «أبو عبد الله». (٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٠).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٠). (٦) في (د): «يثبون».

يخاطب نفسَه، ويقول: أي نفس، ألم أشهَد مشهدَ كذا وكذا، فقلتِ لي[١]: أهلَك وعيالَك، فأطَعتُك ورجَعت، والله لأعرِضَنَّكِ اليومَ على الله عزَّ وجلّ، أخَذكِ أو تَركَك، فقلت: لأرمُقَنَّه اليوم، فرمَقتُه، فحمل الناسُ على عدُوِّهم، فكان في أوائلهم، ثمَّ إنَّ العدوَّ حمل على الناسِ فانكشفوا، فكان في حُماتِهم، فوالله ما زالَ ذلك دأبُه حتى رأيتُه صريعًا، فعَددتُ به وبدابَّته ستِّين أو أكثرَ من ستِّينَ طعنةً»[٢].

قال ميسرةُ الخادِم: «غزَونا في بعض الغزَوات، فصادَفنا[٣] العدوّ، فإذا بفتًى إلى جانبي مُقنَّعًا في الحديد، فحمل على الميمنةِ حتَّى ثناها، وحمل على الميسرةِ حتى ثناها، وحملَ على القلب حتى ثناه، ثمَّ أنشأ يقول[٤]:

أحسِــن بمَولاكَ سَــعِيدُ ظَنّا ... هَــذا الذي كُنــتَ لَــهُ تَمَنَّى

تَنَحَّ يــا حُورَ[٥] الجنــانِ عَنّا ... مــا لَــكِ قاتَلنــا ولا قُتِلنــا

لَكِن إلَى سَــيِّدِكُنَّ[٦] اشــتَقنا ... قَــد عَلِــمَ السِّــرَّ ومــا أعلَنّا

ثمَّ حَملَ على العدُوّ، فقتل منهم عددًا، ثمَّ رجع إلى مَصافِّه، فتكالَب عليه العدُوّ، فإذا به قد حمل عليهم، فقتَلَ منهم عددًا، ثمَّ رجع إلى مَصافِّه، فتكالَب عليه العدُوّ، فحمل الثالثةَ ثمَّ أنشأ يقول:

يــا لُعبةَ الخُلدِ قِفِي ثُمَّ اســمَعِي ... ما لَكِ قاتَلنــا فكُفِّي وارجِعِي[٧]

---

(١) «لي» ليس في (د).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٠).

(٣) في (ق) و(د): «فصافنا».

(٤) الأبيات من الرجز، وانظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٦٥).

(٥) في (ق): «حوا».

(٦) في (ق) و(د): «سيدنا».

(٧) في (د): «واربعي».

ثُمَّ ارجِعِي إلَى الجِنانِ واسرِعِي   لا تَطمَعِي لا تَطمَعِي لا تَطمَعِي

ثمَّ حمل وقاتَلَ حتَّى قُتِل، رحمةُ الله تعالى عليه»[1]، والله أعلم.

* * *

[عُبّاد لقوا في طريق سفر وسياحة]

[٤٠٩] عُبّادٌ لقوا في طريق سفرٍ وسياحة[2].

قال عبدُ رب[3]: «خرجت في تجارةٍ من دمشقَ إلى أذرَبيجان[4]، وكنت من أكثرهم مالًا، فأمسيتُ إلى جانب مرعًى ونهر، ونزلت/ [١٨٨/ب] فسَمِعتُ صوتًا يُكثِرُ حمدَ الله عزَّ وجلَّ في ناحية، فاتبعتُه، فرأيت رجلًا في حَفِيرٍ ملفوفًا في حصير، فسلَّمتُ عليه وقلت: مَن أنتَ يا عبد الله؟

فقال: رجلٌ من المسلمين، فقلت: ما حالُك هذه[5]؟ فقال: حالُ نعمة، يجب عليَّ حمدُ الله عزَّ وجلَّ فيها، فقلت: كيف، وإنّما أنت في حصيرٍ؟ فقال: وما لي لا أحمدُ الله عزَّ وجلَّ أن خلقَني فأحسَنَ خَلقِي، وجعل مولدي ومنشئي الإسلام، وألبسَني العافيةَ في أركاني، وستر عليَّ ما أكرَهُ نَشرَه، فمَن أعظَمُ نِعمةً ممَّن أمسى في مثلِ ما أنا فيه؟

فقلت: رَحِمَك الله تعالى، إن رأيت أن تقومَ معي إلى المنزل، فقال: لمَه؟

---

(١) الأبيات من الرجز، وانظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٦٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٢١).

(٢) انظر: «المعرفة والتاريخ» (٢: ٤١٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٢٢).

(٣) في (د): «قال عبد ربه».

(٤) في (ق): «أذبيجان».

(٥) «هذه» ليس في (د).

قلت: لتصيبَ من الطعام، ونُعطِيك ما يُغنِيك عن لُبس الحصير، فأبى، وقال: إنّ لي في أكل العُشبِ كفاية، فانصرَفتُ وقد تقاصَرَت إليَّ نفسي، فذُكِر أنّه رجع من تجارتِه وتصدَّق بماله»[١].

* * *

[عابد آخر]

[٤١٠] آخرُ[٢].

قال مُحمَّدُ بن رافع: «أقبلتُ من بعض بلاد الشام، فبَينا أنا[٣] في بعض الطريق رأيتُ فتًى عليه جبّةُ صوف، وبيدِه رَكوة، فقلت: أين تريد؟ فقال: لا أدري، فقلت: فمن أين جئت؟ فقال: لا أدري، فظنَنتُه مُوَسوِسًا، فقلت: مَن خلقَك؟

فاصفرَّ لونُه حتى ظنَنتُ أنّه صُبِغَ بالزعفران، ثمَّ قال: خلقَني مَن لا يَعزُب عنه مثقالُ ذرّةٍ في الأرض ولا في السماء، فقلت: رَحِمك الله عزَّ وجلّ، أنا من إخوانك، وممَّن يأنَس إلى أمثالك، فلا تنقبِض مني.

فقال: والله أودُّ لو جاز لي تَركُ الجماعات حتى أنفَرِدَ في شاهقٍ مُنِيفٍ صَعبِ المُرتقَى، أو غارٍ مُوحِش، لعلِّي أجد قلبي ساعة يسلو عن الدنيا وأهلِها، فقلت: وما جَنَت عليك الدنيا حتَّى استحقَّت هذا البُغضَ منكَ؟

---

(١) انظر: «المعرفة والتاريخ» (٢: ٤١٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٢٢).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٣-٥٢٤).

(٣) «أنا» ليس في (ق).

فقال: جناياتُها العَمى عن جناياتِها، فقلت: هل من دواءٍ يُعالَج به من هذا[(١)] العَمى الذي حَجَب عنِّي ما يُراد بي؟

فقال: ما أراكَ تَقدِرُ على العلاج، فاستعمِل من الدواء أيسَرَه، فقلت: صِف لي دواءً لطيفًا، فقال: وما داؤُكَ؟ قلت: حبُّ الدنيا، فتبسَّم وقال: أيُّ قُرحةٍ أعظمُ من هذه! ولكن اشرَب[(٢)] السُّمومَ الطريّة، والمكارِهَ الصعبة، قلت: ثمَّ ماذا؟

فقال: مُرُّ الصبر الذي لا جَزعَ فيه، والتعبُ الذي لا راحةَ فيه، قلت: ثمَّ ماذا؟ قال: الوحشةُ التي لا أُنسَ فيها، والفُرقةُ التي لا اجتماعَ معها، قلت[(٣)]: ثمَّ ماذا؟ قال: السُّلُوُّ عمّا تريد، والصبرُ عمّا تحبُّ؛ فإن أردت فاستَعمِل هذا وإلّا فتأخَّر، [١٨٩/أ] واحذَر الفِتَنَ كأنّها قِطَعُ الليل المُظلِم.

قلت: فدُلَّني على عمل يُقرِّبُني إلى الله عزَّ وجلّ، فقال: يا أخي، قد نظرتُ في جميع العبادات فلم أرَ أنفعَ من الفِرار من الناس، وتركِ مُخالطتهم، يا أخي، رأيت القلبَ[(٤)] عشرةَ أجزاء؛ تسعةٌ مع الناس، وجزءٌ مع الدنيا، فمَن قَوِيَ على الانفرادِ حاز تسعةَ أجزاءٍ من القلب، ثمَّ غاب عنِّي فلم أرَه»[(٥)].

* * *

[عابد آخر]

[٤١١] عابد آخر[(٦)].

---

(١) في (د): «هذه».

(٢) «اشرب» ليس في (د).

(٣) في (د): «فقلت».

(٤) في (د): «القلوب».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٣-٥٢٤).

(٦) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د)، وهو موافق لما في «صفة الصفوة» (٢: ٤٧٥).

قال ذو النون: «وُصِفَ لي رجلٌ[١] في جبل المُقطَّم[٢]، فقصَدتُه، فرأيت رجلًا متعبِّدًا، فمكثتُ معه أربعين يومًا لا أكلِّمه، ثمَّ استخرتُ الله تعالى يومًا في كلامِه، وسألت الله عزَّ وجلَّ أن يُوفِّقَه، فقلت: أيُّها الشيخ، فِيمَ[٣] النجاةُ؟

فقال: في التقوى والمراقبة، فقلت: زِدنِي، فقال: فِرَّ من الخلق، ولا تستأنِس بهم، فقلتُ له: زِدنِي، فقال: إنّ لله عبادًا نظروا إلى باطنِ الدنيا لمّا نظرَ الخلقُ إلى ظاهِرِها، فأماتوا[٤] منها ما خشوا أن يُميتَهم؛ إنّهم قومٌ صانُوه بالعقول، ودقَّقوا له الفِطَن، فسقاهم كأسًا من محبَّته، فهم في عَطشِهم أروياء، وفي رِيِّهم عِطاش، فقلت له: زِدنِي، فقال[٥]: إنّهم أقوياءُ في توكُّلِهم»[٦].

* * *

[عابد آخر]

[٤١٢] عابد آخر[٧].

قال بشرُ بن الحارث: «كنت مارًّا في جبال الشام، فأتيتُ على جبلٍ يُقالُ له: الأقرع، فإذا أنا بشابٍّ قد نحل جِسمُه، ورَقَّ جلدُه، وعليه ثوبٌ من صوف، فسلَّمتُ عليه فرَدَّ عليّ، فقلت في نفسي: أقولُ له: عِظنِي وأبلِغ، فقال لي قبل أن أكلِّمه: عِظ نفسَك بنفسك، وفُكَّ نفسَك من حبسِك، ولا تشتغل بموعظة

(١) في (د): «عابد».

(٢) في (ق) و(د): «المقطب».

(٣) في (د): «فيما».

(٤) في (د): «ما ماتوا».

(٥) قوله: «فقال» ليس في (ق).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٧٥)، و«مرشد الزوار إلى قبور الأبرار» (١: ١١).

(٧) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د)، وهو موافق لما في «صفة الصفوة» (٢: ٤٧٦).

غيرِك من جنسِك، واذكر الله عزَّ وجلَّ في الخلوات يَقِكَ السيئات، وعليك بالجدِّ والاجتهاد، ثمَّ بكى، وجعل يقول: شُغِلَت النفوسُ بالقليل الفاني، ونحفت[1] الأبدان بالتسويفِ والأماني.

ثمَّ قال: يا بشرُ ـ وما رآني قبل ذلك ـ إنّ لله عزَّ وجلَّ عبادًا خالَط قلوبَهم الحزن، فأسهَرَ ليلَهُم، وأظمأ نهارَهم، وأبكى عيونَهم، كما وصفَهم ربُّهم في كتابه العزيز: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۞ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]»[2].

* * *

[عابد آخر]

[٤١٣] عابد آخر[3].

قال السَّريّ: «بينما نَحنُ نَسِيرُ في بلادِ الشّامِ مِلنا عَن الطَّريقِ ناحِيةَ جبل، فقال رجلٌ من القَوم: إنّا قد مِلنا عن الطريق، وهاهنا عابد، فمِيلوا بنا إليه، لعلَّ الله عزَّ وجلَّ يوفِّقه يكلِّمُنا، فمِلنا إليه فوجدناه يبكي، قال السَّريّ: فقلت له: ما أبكى العابدَ؟ فقال: ما لي لا أبكي وقد توعَّرَت الطريق، وقَلَّ [١٨٩/ب] السالكون فيها، وقَلَّ الحقّ، ودُرِسَ هذا الأمر، فلا أراه إلّا في لسانِ كلِّ بَطّالٍ ينطِقُ بالحكمة، ويُفارِقُ الأعمال، قد افترش الرخصة، وتمهَّد التأويل، واعتلَّ بزلَلِ العاصين. ثمَّ صاحَ صيحةً ثمَّ قال: كيف سكنَت قلوبُهم إلى رَوحِ الدنيا، وانقَطعَت عن رَوحِ مَلَكُوتِ السَّماء؟

---

(١) كذا في «المختار من مناقب الأبرار». وفي (د): «وتحببت»، وفي (ق): «نحبت».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٧٦).

(٣) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د)، وهو موافق لما في «صفة الصفوة» (٢: ٤٧٨).

ثمَّ جعل يقول: وا غَمّاه من فتنة العلماء! وا كَرباهُ من حيرة[١] الأدِلّاء! وجال جَولةً ثمَّ قال: أين الأبرارُ من العلماء؟ بل أين الأخيارُ مِن الزهّاد؟ ثمَّ بكى، وقال: شَغلَهُم والله ذِكرُ طولِ[٢] الوقوف، وهَمُّ الجوابِ عن ذِكرِ الجنّة والنار والثواب، ثمَّ قال: أنا أستغفِرُ الله تعالى من شهوةِ الكلام، تنحَّوا عنِّي، فخلَّيناه يبكي وقد مُلِئنا منه همًّا وغَمًّا»[٣].

* * *

[عابد آخر]

[٤١٤] عابد آخر[٤].

قال أبو الحارث الأولاسيّ[٥]: «رأيت رجلًا على رأس جبلٍ كأنّه شَنٌّ بالٍ لا يَفتُرُ عن الذِّكر، فسألته المُقامَ معه، فقال: إن طُوِّقتَ ما طُوِّقتُ فأقِم وإلّا فامضِ عنِّي؟ قلت: وما هو؟ قال: يكون الذهبُ والفضّةُ عندك كالحصى والمَدَر، والسباعُ والهوامُّ كالطير والأنعام، وخوفُك من جنسِك كخوفِك من السباع، وخوفُك من صُحبَتِهم كخوفِك من الشيطان، فلعلَّك تنالُ ما تريد، ومتى كان الذهبُ أكبرَ في قلبك فإنّك ستَمِيلُ إلى الأكبر، ومتى هِبتَ السباع أوشَكَ أن تَبعُدَ من الأمن، ومتى أنِستَ بالمخلوقين أوشك أن تهربَ من الوحشة.

وثلاثةُ أشياءٍ من تمامِ الأمر: أن تعلَمَ أنّك مبتلًى لا محالة، وأنّ لك رزقًا مقسومًا، وكذا أجَلٌ معلوم، والثالِث: أن تَقصُرَ الأمل هاهنا، ولا تُبالي إلَى[٦]

---

(١) في (د): «خيرة».
(٢) في (ق) و(د): «طويل».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٧٨).
(٤) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د).
(٥) في (د): «الأولاشي».
(٦) «إلى» ليس في (ق).

أينَ حَلَلتَ من البِلاد، ولا مَن شاهَدتَ من العباد، فتقدَّم إن شئت على بصيرة، وإلّا فتأخَّر على علمٍ بضعفٍ وعجزٍ منك[١].

قلت: صِف لي ما يزيد[٢] من صَبري؟ فقال: تعلم أنّ الله تعالى ناظِرٌ إليك، فقد رُوِيَ في بعضِ الأخبار: «ما يتحمَّل المتحمِّلون من أجلي، وما يُكابِدُ المُكابِدون في[٣] طلبِ مَرضاتي»[٤]، فإذا علمتَ أنّ صبرَك يُرضي مولاك صبرت.

قلت: فما السبيلُ إلى الرِّضا؟ فقال: علمُ القلب بمُرِّ القضاء، ثمَّ قال: لا تَنَم إلّا نومَ يقظان، وكيف يأمَن مَن لم يأتِهِ الأمانُ قبل الفَوت! واستعِن على تصفية الطُّعمة بالقِلّة، والتمِس الصمتَ بقلّة الخُلَطاء، واتبَع قولَ الرسول ﷺ وقولَ السلف، ولا تَميلَنَّ إلى مُحدَثات الأمور، فكلُّ / مُحدَثةٍ بدعة، واعلم أنّ الله عزَّ وجلَّ يراكَ فاتَّقه، وقُم بالقِسطِ على نفسِك، وتَفرَّد بالفرد إذا كنت له عبدًا، وتَجرَّد من الهمومِ الشاغلة، واجعل الهمَّ واحدًا تروح في العاجلةِ والآجِلة»[٥]. [١٩٠/أ]

* * *

[عابد آخر]

[٤١٥] عابد آخر[٦].

قال بعضُ السلف: «رأيتُ في بعض الجبالِ شابًّا أصفرَ اللون، غائرَ العينَين، مُرتعِشَ الأعضاء، لا يستقرُّ على الأرض، كأنّ به وكزُ الأسِنّة، ودموعُهُ تتحادَر،

---

(١) «منك» ليس في (ق).
(٢) في (د): «تريد».
(٣) في (د): «من».
(٤) «حسن الظن بالله» لابن أبي الدنيا (٩٧)، و«حلية الأولياء» (٤: ٦٠).
(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ١٧٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٨٣).
(٦) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د).

فقلت: من أنت؟ فقال: آبِقٌ من مولاه، قلت: فتعود وتعتذر، فقال: العُذرُ يحتاج إلى إقامةِ حجّة، فكيف يعتذرُ المُقصِّر؟ فقلت: يتعلَّق بمَن يشفع فيه، فقال: كلُّ الشفعاء يخافون منه، فقلت[1]: فمَن هو؟ فقال: مولًى ربّاني صغيرًا، فعصَيتُه كبيرًا، شرط لي فوفّاني، وضمن لي فأعطاني، فخُنتُه في ضمانه، وعصيتُه وهو يراني، فوا حَيائي من حُسنِ[2] صُنعهِ وقبيحِ فِعلي!

فقلت: أين مَن هذا المولى؟ فقال: أين توجَّهت لقِيتَ أعوانَه، وأين استقرَّت قدمُك ففي داره، فقلت: ارفُق بنفسك، فربَّما أحرقك هذا الخوف، فقال: الحريقُ بنارِ خوفِه لعلَّه يرضى أحقُّ وأولى، فقلت: يا غلام، الأمرُ أسهلُ ممّا تظنّ، فقال: هذا من فتاوى البَطّالين، هَبهُ تجاوَز وعفا، أين الإخلاصُ والصفا؟

ثمَّ صاح صيحةً فخرجت[3] عجوزٌ من كهفِ جبلٍ عليها ثيابٌ رَثّة، فقالت: مَن أعان على البائس الحيران؟ فقلت: يا أمةَ الله، دعوتُه إلى الرجاء، فقالت: قد دعوتُه إلى ذلك، فقال: الرجاءُ بلا صَفاءٍ شرك، فقلت: ما أنتِ منه؟ فقالت: والدتُه، فقلت: أُقيم عندكِ أُعينُك عليه؟ فقالت: خَلِّه ذليلًا بين يدَي قاتِله عسى يراه بعينِ مُعينٍ فيرحمه، فلم أدرِ ممّاذا أعجَب؛ أمِن صدق[4] الغلام في خوفِه، أم من قول العجوز وصِدقها[5]!

* * *

(١) في (ق): «قلت».

(٢) «حسن» ليس في (د).

(٣) في (ق): «خرجت».

(٤) في (د): «فرق».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٨٤).

[عابد آخر]

[٤١٦] عابد آخر[١].

قال عُبَيدُ الله بن أبي نوح: «لقيت رجلًا من العُبّاد في بعض الجزائر منفردًا، فقلت: يا أخي، ما تصنع هاهنا وحدَك، أما تستوحِش؟ فقال: الوحشةُ في غير هذا الموضع أعمّ، فقلت: فكم لك هاهنا؟ فقال: منذ ثلاثين سنة، فقُلت: فمن أين المَطعَم؟ فقال: من عند المُطعِم، فقلت: فهاهنا بالقُرب منك شيءٌ تُعوِّلُ عليه إذا احتجت إليه من المَطعَم رجعتَ إليه؟ فقال: ما أكرَثَك بما قد كُفِيتَه وضُمِنَ لك، قلت: فأخبِرني بأمرك[٢]، فقال: ما لي أمرٌ غير ما ترى، إنِّي أظَلُّ في هذا الليل [١٩٠/ب] والنهار مُتَّكِلًا على كرم مَن لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، ثمَّ صاح صيحةً أفزَعنِي، فوثبت، وسقط مغشيًّا عليه، فتركتُه على تلك الحال ومضَيت»[٣].

* * *

[عابد آخر]

[٤١٧] عابد آخر[٤].

قال عبدُ الواحد بن زيد: «رَكِبنا في مركب، فطَرحَتنا الريحُ إلى جزيرة، فإذا فيها رجلٌ يعبد صنمًا، فقلنا له: مَن تعبُد؟ فأومأ إلى الصنم، فقلنا: إنّ معنا في المَركَب مَن يُسوِّي مثلَ هذا وليس بإلهٍ يُعبَد، فقال: فأنتم لمَن[٥] تَعبّدون؟

---

(١) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د).
(٢) قوله: «فقال: ما أكرثك بما قد كفيتَه وضمن لك، قلت: فأخبِرني بأمرك» ليس في (د).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٨٥).
(٤) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د).
(٥) في (د): «من».

قلنا: الله عزَّ وجلّ، قال: وما الله؟ قلنا: الذي في السماء عرشُه، وفي الأرضِ سلطانُه، وفي الأحياءِ والأموات قضاؤُه، فقال: كيف علمتم[١]؟ فقلنا: وجَّهَ إلينا هذا المَلِكُ رسولًا كَرِيمًا، فأخبرَنا بذلك، قال: فما فعل الرسولُ؟ قلنا: لمّا أدَّى الرسالةَ قبضه الله عزَّ وجلّ، قال: فما ترك عندكم علامةً؟ قلنا: بلى، ترك عندنا كتابَ الملك، فقال: أرُوني الكتاب، فينبغي أن تكونَ كُتبُ الملوك حِسانًا، فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرِفُ هذا، فقرأنا عليه سورةً من القرآن، فلم يَزَل يبكي حتَّى ختَمنا السورة، فقال: يَنبَغِي لصاحب هذا الكلام ألّا يُعصَى.

ثمَّ أسلم وحملناهُ معنا[٢]، وعلَّمناهُ شرائعَ الإسلام، وسُوَرًا من القرآن، فلمّا جَنَّ علينا الليلُ وصلَّينا العشاءَ أخذنا مضاجِعَنا، فقال لنا: يا قوم، هذا الإلهُ الذي دَللتُموني عليه إذا جَنَّ عليه الليل ينام؟ قلنا: لا يا عبدَ الله، هو عظيمٌ قيُّوم لا ينام، فقال: بئسَ العبيدُ أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام! فأعجبَنا كلامُه.

فلمّا قَدِمنا عَبّادان قلتُ لأصحابي: هَذا قَرِيبُ عهدٍ بالإسلام، فجمَعنا لهُ دراهمَ وأعطيناه، فقال: ما هذه[٣]؟ قلنا: تُنفِقها، فقال: لا إلهَ إلّا الله، دَللتُموني على طريقٍ ما سلكتموها، أنا كنتُ في جزائر البحر أعبُدُ صنمًا دونه ولم يُضيِّعني، فتراه يُضيِّعُني وأنا أعرِفه!

فلمّا كان بعدَ أيّامٍ قيل لي: إنّه في الموت، فأتيتُه، فقلت: هل من حاجةٍ؟ فقال: قضى حوائجي مَن جاء بكم إلى جزيرتي، قال عبدُ الواحد: فحملَتني عيني فنِمت عنده، فرأيت مقابرَ عَبّادان روضةً وفيها قُبّة، وفي القُبّة سريرٌ عليه

---

(١) في (د): «عملتم».

(٢) «معنا» ليس في (د).

(٣) في (د): «هذا».

جاريةٌ لم أرَ[١] أحسنَ منها، فقالت: سألتُك بالله العظيم إلّا ما عَجَّلت به، فقد اشتدَّ شوقي إليه، فانتبَهتُ فإذا به قد تُوفِّي، فغسَّلتُه وكفَّنتُه وواريتُه، فلما جَنَّ الليل نِمتُ، فرأيته في القُبّة مع الجارية وهو يقرأ: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤]»[٢]. [١٩١/أ]

* * *

[عابد آخر]

[٤١٨] عابد آخر[٣].

قال أبو بكرٍ الكتّانيّ: «كنت أنا وأبو سعيدٍ الخرّازُ وعبّاسُ بن المهتدي وآخَر نسير بالشام على ساحل البحر، إذا شابٌّ على ساحِلِ البحر يمشي ومعه مِحبَرةٌ ظننّا أنّه من أصحاب الحديث، فقال له الخرّاز: على أيِّ طريقٍ تسير؟

فقال: ليس أعرف إلّا طريقَين: طريقَ الخاصّة، وطريقَ العامّة؛ فأمّا طريقُ العامّة فهذا الذي أنتم عليه، وأمّا طريقُ الخاصّة فباسم الله، وتقدَّم إلى البحر، ومشى حيالَنا على الماء، فلم نزَل نراه حتّى غاب عن أبصارنا»[٤].

* * *

---

(١) في (د): «ير».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٨٥)، و«التوابين» لابن قدامة (١٧٩).

(٣) قوله: «عابد آخر» مثبت من «صفة الصفوة».

(٤) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١١: ٤٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٤: ٢٥٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٨٧).

[عابد آخر]

[٤١٩] عابد آخر[١].

قال محمَّدُ بن حمزةَ المرتضي[٢]: «كان شيبانُ الراعي إذا أجنَبَ وليس عنده ماءٌ دعا ربَّه، فجاءت سحابةٌ فأظلَّته فاغتسَلَ منها، وكان يذهب إلى الجمعة فيَخُطُّ على غنمه، فيجدها[٣] على حالتها لم تتحرَّك»[٤].

ولما حجَّ سفيانُ الثوريُّ مع شيبانَ الراعي عرض لهم سَبُع، قالَ له[٥] سفيان: أما ترى هذا السبُعَ؟ فقال شيبان: لا تَخَف، فلمّا سمع السبُعُ كلامَ شيبانَ بصبص، فأخذ شيبانُ أُذنَه فعَرَكها، فبصبص وحرَّك ذنبَه، فقال سفيان: ما هذه الشهرةُ؟ فقال شيبان: أوَهذه شهرةٌ! لولا مكانُ الشهرة ما وضعتُ زادي إلّا على ظهره[٦].

قال سيّارٌ[٧]: «قرأ رجلٌ على شيبان: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فذهب على وجهه سَنةً لم يرَه أحد، فلمّا كان بعد الحَول لقِيَه رجل، فقال له: مِن أين؟ فقال: من ذلك الحساب الدقيق ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]»[٨].

---

(١) قوله: «عابد آخر» مثبت من «صفة الصفوة». (٢) في (ق) و(د): «الربظي».
(٣) في (د): «فيجد».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٩١)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٢٦٨).
(٥) «له» ليس في (ق).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٩٢)، و«مرشد الزوار إلى قبور الأبرار» (١: ٥٠٣).
(٧) «سيار» ليس في (د).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٩٢)، و«مرشد الزوار إلى قبور الأبرار» (١: ٥٠٣).

[عابد آخر]

[٤٢٠] عابد آخر[١].

قال سعيدُ بن أبي عَرُوبة: «حجَّ الحَجّاج، فنَزلَ بعضَ المياه بين مكّة والمدينة شرَّفهما الله تعالى ودعا بالغَداء، فقال لحاجبه: انظر مَن يتغدَّى مَعِي، وأسأله عن بعض الأمر، فنظر نحوَ الجبل، فإذا هو بأعرابيٍّ بين شملتَين من شعرٍ نائم، فضربَه برِجله، وقال: ائتِ الأمير، فأتاه، فقال له الحَجّاج: اغسل يدَكَ وتغدَّ معي، فقال: إنّه دعاني مَن هو خيرٌ منك فأجبتُه[٢]، فقال: ومَن هو؟ قال: الله عزَّ وجلّ، دعاني إلى الصوم فصُمت، فقال: في هذا الحرِّ الشديد؟ قال: نعم، صمتُ ليومٍ هو أشدُّ حرًّا من هذا اليوم، فقال: أفطِر وتصوم غدًا، فقال: إن ضمِنتَ لي البقاءَ إلى غد، قال: ليس ذلك إليّ، فقال: فكيف [١٩١/ب] تسألني عاجلًا بآجلٍ لا تقدر عليه؟ فقال الحَجّاج: إنّه طعامٌ طيِّب، فقال: لم تُطيِّبه أنت ولا الطبّاخ، إنّما طيَّبَتهُ العافية»[٣].

* * *

[عابد آخر]

[٤٢١] عابد آخر[٤].

قال سعيدُ بن سالم: «نزل رَوحُ بن زِنباع[٥] منزلًا بين مكّة والمدينة في حرٍّ شديد، فانقضَّ عليه راعٍ، فقال: يا راعي[٦]، هلُمَّ إلى الغَداء، فقال: إنِّي صائم،

(١) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د). (٢) «فأجبته» ليس في (د).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ١٢٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩٣).

(٤) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د). (٥) في (د): «زنباع».

(٦) في (ق): «يا راع».

فقال: وإنّك لَتصومُ في هذا الحرِّ الشديد؟ فقال: أفأَدَعُ أيّامي تذهَب باطلًا؟ فقال رَوح: لقد ضَنِنتَ بأيّامك يا راعي إذ جاد بها رَوحُ بن زِنباع»[١].

* * *

[عابد آخر]

[٤٢٢] عابد آخر[٢].

قال أحمدُ بن أبي الحَوارِيِّ: «حَجَجتُ أنا وأبو سليمان، فبَينا نحن نسير إذ سقطت السطيحةُ منِّي، وكان بَردٌ عظيم، فلمّا افتقدتُ السطيحةَ قلت: بَقِينا بلا ماء، فأخبَرت أبا سليمان، فقال: سلِّم وصلِّ على محمَّد، وقُل: يا رادَّ الضالّة، ويا هاديَ مِن الضَّلالة، رُدَّ الضالّة، فإذا بواحدٍ ينادي: مَن ذهب له سطيحة، فأخذتُها منه»[٣].

فقال أبو سليمان: لا تتركنا بلا ماء، فبَينا[٤] نحن نسيرُ إذا أنا برجلٍ عليه طِمران رَثّان، وقد تدرَّعنا بالفِراء من شِدّة البرد، وهو يَرشَحُ عَرَقًا، فقال له أبو سليمان: ألا نُدثِّرك ببعض ما معنا؟ فقال الرجل: يا دارانيّ، الحرُّ والبردُ خَلقان لله تعالى، إن أمرهما أن يَغشَياني أصابانِي، وأن أمرهما أن يترُكاني ترَكاني، يا دارانيّ، تصِفُ الزهدَ وتخاف من البرد! أنا شيخٌ في هذه البريّة منذ ثلاثين سنةً ما انتفَضتُ ولا ارتعَدتُ، يُلبِسُنِي في البَردِ فيحًا مِن مَحبَّته، ويُلبِسُني

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٢٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩٣)، و«البداية والنهاية» (١٢: ٣٥٧).

(٢) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د).

(٣) انظر: «البيان» (٢: ١٥٩)، و«المجموع» (٣: ٢٥٨).

(٤) في (د): «بينا».

في الصيف مَذاقَ بَردِ مَحبَّته. ثمَّ ولَّى وهو يقول: يا دارانيُّ يا دارانيّ، تبكي وتصيح، وتستريح إلى الترويح، فكان أبو سليمانَ يقول: لم يَعرِفني غيرُه»(١).

❊ ❊ ❊

[عابد آخر]

[٤٢٣] عابد آخر(٢).

قال عبدُ الملك: «كنت بالبادية أُعلِّمُ القرآن، فإذا أنا بأعرابيٍّ بيده سيفٌ يقطع الطريق، فلمّا دنا منِّي ليأخذَ ثيابي قال لي: يا حضرَميُّ ماذا أدخلَك الباديةَ؟ قلت: أُعلِّم القرآن، قال: وما القرآنُ؟ قلت: كلامُ الله عزَّ وجلّ، فقال: ولله عزَّ وجلَّ كلامٌ؟ قلت: نعم، قال: فأنشِدني منه بيتًا، فقرأت: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، فرمى بسيفه، وقال: أستغفِر الله عزَّ وجلّ، رِزقِي في السماء وأنا أطلبُه في الأرض!

ثمَّ لقِيتُه بعد سنةٍ في الطواف، فقال: ألستُ صاحبَك بالأمس؟ قلت: بلى، قال: فأنشِدني بيتًا آخر، قلت: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، قال: فوقف وبكى، وجعل يقول: / [١٩٢/أ] ومَن ألجأه إلى اليمين؟ فلم يزَل يُردِّدها حتَّى سقط ميِّتًا»(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٥٥٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٥٤-١٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩٤).

(٢) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٩٥)، و«مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» (١٣٨).

[عابد آخر]

[٤٢٤] عابد آخر[١].

قال يحيى بن معاذ: «كنتُ في سياحتي، فبَينا[٢] أنا في بعضِ الفَلَواتِ إذ لاحَ لي كوخٌ من قصب، فقصَدت نحوه، فإذا أنا بشيخ مبتلًى قد أكل الدودُ لحمَه، فوقعَ له في قلبي رحمة، فقلت له: يا شيخ، أتُحِبُّ أن أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يُبرِئك؟ فرفع رأسَه وهو أعمى، وقال لي: يا يحيى بن معاذٍ الرازيّ، وإنّ لك عنده هذهِ[٣] المنزلة؟ فلِمَ لا تسأله أن يُبَغِّضَ إليك شهوةَ الرمّان.

قال يحيى: وكنت قد عقَدتُ مع الله عزَّ وجلَّ ترك الشهواتِ ما خلا الرمّانَ، فلم أقدِر على تَركِه؛ لحُبِّي له، ثمَّ نظر إليّ وقال لي: يا يحيى، احذَر أن تتعرَّض لأولياءِ الله عزَّ وجلّ، فتُفتضَح عندهم»[٤].

* * *

[عابد آخر]

[٤٢٥] عابد آخر[٥].

قال إبراهيم: «قعَدتُ في البادية سَنة[٦] ما آكُلُ ولا أشرب ولا أشتهي، فعارَضَتني نفسي أنّ لي عند الله عزَّ وجلَّ رُتبة، فلم أشعر أن كلَّمَني رجلٌ عن يميني، وقال: يا إبراهيم، تُرائي الله عزَّ وجلَّ في سِرِّك؟ فنظَرتُ إليه، وقلت: قد

(١) قوله: «عابد آخر» مثبت من «صفة الصفوة». (٢) في (د): «فبين».
(٣) «هذه» ليس في (د). (٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٩٦).
(٥) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د). (٦) قوله: «سنة» ليس في (ق) و(د).

كان ذلك، فقال: الحمدُ لله، كم لي هاهنا لم آكُل ولم أشرب ولم أشتهِ شيئًا، وأنا زَمِنٌ مَطروحٌ! قلت: الله تعالى أعلم، فقال: ثمانين يومًا، وأنا أستحيي من الله عزَّ وجلَّ أن يقعَ لي خاطرُك، ولو أقسَمتُ على الله عزَّ وجلَّ أن يجعلَ هذا الشجرَ ذهبًا لجعله، فكانت بركةُ[1] رؤيتِه تنبيهًا لي ورجوعًا إلى حالتي الأولى»[2].

* * *

[عابد آخر]

[٤٢٦] عابد آخر[3].

قال عبيدُ الله بن أبي نوح، وكان من العابدين: «صَحِبتُ شيخًا في بعض طريق مكّة، فأعجبَني هيئتُه، فقلت: إنِّي أحبُّ أن أصحبَك، فقال: أنت وما أحبَبت، فكان يمشي بالنهار، فإذا أمسى قام[4] في منزلٍ كان أو غيره فيقوم الليلَ يُصلِّي، وكان يصومُ في شدّة الحرّ، فإذا أمسى عمد إلى جَرِيبٍ معه، فأخرَج منه شيئًا فألقاه إلى فِيهِ مرَّتين أو ثلاثًا، فكان يدعوني فيقول: هلُمَّ فأصِب من هذا، فأقول في نفسي: والله ما هذا بمُجزِئك أنت! فكيف أشرَكُك فيه؟ فلم يزَل على ذلك، ودخلَت له في قلبي هيبةٌ عندما رأيتُ من اجتهاده وصبره.

فبَينا نحن في بعض المنازل إذ نظر إلى رجلٍ يسوق حمارًا، فقال لي: انطلِق فاشترِ ذلك الحمار، فانطلَقتُ وأنا أقول في نفسي: والله ما معي ثمنُه، ولا أعلم معه ثمنَه، فكيف أشتريه؟ فأتيت صاحِبَ الحمار، فساوَمتُه، فأبى أن يُنقِصَه من

---

(١) «بركة» ليس في (د).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩٦).

(٣) قوله: «عابد آخر» مثبت من حاشية (د). (٤) في (د): «أقام».

ثلاثين دينارًا، فجئت إليه وقلت: قد أبى أن ينقصه من ثلاثين دينارًا، فقال: خذه [١٩٢/ب] واستخِرِ الله عزَّ وجلّ، قلت: الثمن، فقال: سمِّ الله عزَّ وجلّ، ثمَّ أدخِل يدك في الجِراب فخُذ الثمنَ فأعطِه، فأخَذتُ الجراب، ثمَّ قلت: باسم الله، وأدخَلتُ يدي فيه فإذا صُرّةٌ فيها ثلاثون دينارًا لا تزيد ولا تنقص، فدفعتُها إلى الرَّجُل، وأخذت الحمارَ وجئت به، فقال: اركب، فقلت: أنت أضعَفُ مني، فاركب أنت، فلم يَزِد في[1] الكلامِ وركب، وكنت أمشي مع حماره، فحيثُ أدرَكه الليل أقام، فإنّما هو راكعٌ وساجد.

حتَّى أتينا عُسفان، فلقِيَهُ شيخ، فسلَّم عليه، ثمَّ خُلِّيا فجعلا يبكيان، فلمّا أرادا أن يتفرَّقا قال صاحبي للشيخ: أوصِني، قال: نعم، الزَم التقوى، وانصِب ذِكرَ المعاد أمامَك، واستقبِل الآخرةَ بالحُسنى من عملِك، وباشِر عوارِضَ الدنيا بالزهد من قلبك، واعلم أنّ الأكياسَ هم الذين عرَفُوا عيبَ الدنيا حين عُمِّيَ على[2] أهلِها، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته.

ثمَّ افترقا، فقلت لصاحبي: من هذا الشيخُ رحِمَكَ الله تعالى، فما رأيتُ أحسنَ كلامًا منه؟ فقال: عبدٌ من عَبيد الله عزَّ وجلّ، ثمَّ خرجنا من عُسفانَ حتَّى أتينا مكّة، فلمّا انتهينا[3] إلى الأبطَحِ نزل عن حمارِه، وقال: اثبُت مكانَك حتَّى أنظر إلى بيت الله عزَّ وجلَّ نظرةً ثمَّ أعودُ إليك إن شاء الله تعالى، فانطلَق فعرَضَ لي رجل، فقال: تَبِيعُ الحمارَ؟ قلت: نعم، فقال: بكم؟ قلت: بثلاثين دينارًا، فقال: قد أخذتُه منك، قلت: يا هذا، والله ما هو لي، وإنّما هو لرفيقٍ لي، وقد ذهب إلى المسجد، ولعلَّه أن يجيءَ الآن؛ فإنِّي في كلامِه إذ طلع الشيخ، فقمتُ إليه، فقلت له: أنا

(١) في (ق): «يزدني». (٢) «علي» ليس في (ق).
(٣) في (د): «أتينا».

بعتُ الحمارَ بثلاثين دينارًا، فقال: أما إنّك لو كنت استزدتَه لزادَك، فأمّا إذ بعت فأوجِز، فأخذتُ من الرجل ثلاثين دينارًا، ودفعتُ الحمارَ إليه، فقلت: ما أصنع بها؟ فقال: هي لك فأنفِقها، فقلت: لا حاجةَ لي بها، قال: فألقِها في الجراب، فألقيتُها في الجراب.

ثمَّ طلبنا منزلًا بالأبطح فنزَلناه، فقال: ابغِنِي دَواةً وقِرطاسًا، فأتيتُه بدَواةٍ وقِرطاس، فكتب كتابَين، ثمَّ شدَّهما، ودفع أحدَهما إليّ، وقال: انطلِق به إلى عبّاد بن عبّاد، وهو نازلٌ في موضع كذا وكذا، فادفَعه إليه وأقرِئه مني السلام، ومَن حضره من المسلمين، ثمَّ دفع الآخرَ إليّ، وقال: ليكن هذا معك، فإذا [١٩٣/أ] كان يومُ النحر، فاقرأه إن شاء الله تعالى، فأخذتُ الكتاب، فأتيت به عبّاد بن عبّاد، وهو قاعدٌ يُحدِّث، وعنده خَلقٌ كثير، فسلَّمتُ عليه[١]، ثمَّ قلت له: رحمك الله تعالى، كتابُ بعضِ إخوانِك، فأخذ الكتاب، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعدُ، يا عبّاد، فإنِّي أحذِّرُكَ الفقرَ يوم يحتاج الناسُ إلى الذُّخر؛ فإنّ فقرَ الآخرة لا يسدُّه غنًى، وإنّ مُصابَ الآخرة لا تُجبَر مصيبتُه أبدًا، وأنا رجلٌ من إخوانِك، وأنا ميِّتٌ السّاعةَ إن شاءَ الله، فاحضُرني لتَلِيَنِي، وتَوَلَّ[٢] الصلاةَ عليَّ وإدخالي في حُفرتي، وأستودِعُك الله تعالى وجميعَ المسلمين، وأقرَأ[٣] السلامَ على رسول الله ﷺ، وعليكم ورحمة الله.

فلمّا قرأ عبّادٌ الكتابَ قال: يا هذا، أين هذا[٤] الرجلُ؟ قلت: بالأبطح،

---

(١) «عليه» ليس في (د).

(٢) في (د): «وتل».

(٣) في (د): «وإقراء».

(٤) «هذا» ليس في (د).

قال: فمريضٌ هو؟ قلت: تركته الساعة صحيحًا[١]، فقام وقام الناسُ معه، حتَّى دخل عليه، فإذا هو مُستقبِلٌ القِبلة، ميِّتٌ مُسجًّى عليه عباءة، فقال لي عبّاد: هذا صاحبُك؟ فقلت: نعم، فقال: تركتَه الساعة صحيحًا؟ فقلت: نعم، فجلس يبكي عند رأسه، ثمَّ أخذ في جِهازِه، وصلَّى عليه ودَفَنَه، واحتشد الناسُ في جِنازَتِه.

فلمّا كان يومُ النحر قلت: والله لأقرأنّ الكتابَ كما أمرني، ففتحته، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد، وأنت يا أخي، نفعك الله عزَّ وجلَّ بمعروفك يوم يحتاج الناسُ إلى صالح أعمالهم، وجزاك الله عن صحبَتِنا خيرًا، فإنّ صاحِبَ المعروف يجده لجَنبِه يوم القيامة مُضطجعًا، وإنّ حاجَتي إليك إذا قضى الله نُسُكَك أن تنطلقَ إلى بيت المقدس، فتدفعَ ميراثي إلى وارِثيّ، والسلامُ عليكم ورحمة الله.

فقلت في نفسي: كلُّ[٢] أمرِه عَجَب، وهذا من أعجب أمرِه، كيفَ آتِي بيتَ المَقدِس ولم يُسمِّ لي أحدًا، ولم يَصِف لي موضعًا، ولا أدري إلى مَن أدفعُه، وقد خلَّف قدحًا، وجِرابَه ذلك، وعصًى كان[٣] يتوكَّأ عليها، وكفَّنّاه في ثوبَي إحرامِه، ولفَفنا العباءَ فوق ذلك.

فلمّا انقضى الحجُّ قلت: والله لأنطلِقَنَّ إلى بيت المقدس، فلعلِّي أقع على وارث الرجل، فانطلَقتُ حتَّى أتيت بيتَ المقدس، فدخَلت المسجدَ وهم حِلَقٌ حِلَق، قومٌ فقراءُ مساكين، لا أدري عمَّن أسال، إذ ناداني رجلٌ من بعض تلك

---

(١) قوله: «صحيحًا» ليست في (ق).
(٢) «كل» ليس في (د).
(٣) «كان» ليس في (د).

الحِلَق باسمي: يا فلان، فالتفتُّ إليه، فإذا شيخٌ كأنّه صاحبي، فقال: هاتِ ميراثَ فلان، فدفَعتُ إليه [١٩٣/ب] العصا والقدحَ والجِراب، ثمَّ ولَّيت راجعًا، فوالله ما خرَجتُ من المسجد حتَّى قلتُ لنفسي: تضرِبُ من مكّةَ إلى بيت المقدس وقد رأيتَ من الشيخِ الأوَّل ما رأيت، ورأيت من هذا الشيخِ الثّاني ما رأيت، ولا تسألُ هؤلاء القوم: أيُّ شيءٍ قِصَّتُهم، وتسألُهم عن أمرِهم ومَن هم؟

فرجعت ومِن رأيي[١] ألّا أفارِقَ هذا الشيخَ الآخَر حتَّى يموت أو أموت، فجعَلتُ أدور الحِلَقَ وأجهَدُ على أن أعرِفَه، فلم أقع عليه، فجعَلتُ أسأل عنه، وأقَمتُ أيّامًا ببيت المقدس أطلُبُه وأسأل عنه، فلـم أجـد أحـدًا يدُلُّني عليه، فرَجَعتُ مُنصرِفًا إلى العراق، والله سبحانه وتعالى أعلمُ»[٢].

واعلم وفَّقنا الله عزَّ وجلَّ وإيّاكَ إلى مرضاتِه، أنّ ما ذكَرناه من القوم نقطةً منهم، ومَن يُحصِيهم[٣] وهم ساعون في إخفاءِ أنفُسِهم، وشهرةُ أحدِهم عنده أصعَبُ عليه من إراقةِ دمه.

وهم بحمد الله تعالى موجودون، وبهم نُرحَم ونُرزَق، وعند ذِكرِهم تتنزَّل الرحمة، ومن صَدقَ في حُسن سلوكِه، اطَّلَع عليهم، ورأى منهم العَجائبَ التي[٤] لا يكاد يُصدَّق وجودُها؛ لأنّها تأتي على خلاف العادات والمألوفات[٥]؛ لأنّها شبيهةٌ بالمعجزات.

وأنا أذكر لك حالَ شخصَين من أصحابي، لعلَّ الله عزَّ وجلَّ أن يمنَحَك

---

(١) في (د): «رأى».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٦-٥٠٨).

(٣) في (د): «يحصهم».

(٤) في (د): «الذي».

(٥) في (د): «الموافقات».

كما مَنحَهُما؛ فإنّه كريمٌ جَواد، وكانت إقامةُ أحدِهما في بلاد عَجلُون، في قريةٍ مِن قُراها، له كراماتٌ مخدعة، نذكر بعضَها، والآخرُ كان مقيمًا ببيت المقدس شرَّفه الله تعالى وعظَّمه.

أمّا المُقِيم بقريةِ عَجلون فاتَّفق أنّه[١] بعث ولدَه إلى دمشق، ليشتَغِلَ علَيَّ في العلم، وكان ذلك قبل مجيء تَمُرلَنك[٢]، فلمّا استقرَّ في دِمَشق عرض له وجَع، فاتَّفق أنّه مرَّ في الجامعِ فرَآني جالسًا في الرِّواق عند الغزاليّة، فجاء ومعه شخصٌ طالِبُ علم له سلوك، فسلَّما عليّ، فنظرت إلى ابن الشيخ، فوجَدتُ عليه حرارةً عظيمة، ثمَّ قام من ساعته، فلمّا مشى خطوات[٣] قلت في نفسي: إنّه غريبٌ فقير، واللائِقُ بي[٤] أن أدفعَ إليه شيئًا يأكلُ به رمّانًا؛ إذ هو شَرابُ الفقراء، وكنت في ذلك الوقتِ أقدِرُ على درهمٍ وقطعة، فقلت: وما تُغني القطعة! والدرهمُ أحبُّ إليّ، ولن ينالَ الشخصُ البرَّ حتَّى يُنفِقَ ممّا يحبّ، فناديت الطالِبَ الذي مع ولدِ الشيخ، فدفعت إليه الدرهم، وقلت له: ادفَعه إلى ولد الشيخ؛/ لينتفع [١٩٤/أ] به، فلمّا صار الدرهمُ في يدِ ولَدِ الشَّيخ سُرِرت بذلك، وقلت: هذه مِنّة من الله عزَّ وجلّ، وكان قبل ذلك اليوم قد سُرِق لي متاع، فوالله الذي فلق الحَبّة[٥] وبَرَأ النَّسمة[٦] لم يخرج ولدُ الشيخ من الجامع حتَّى رأيتُ المتاعَ الذي سُرِقَ لي محطوطٌ عندي، فقلت: لا إلهَ إلّا الله[٧]، الذي يَهَب لأوليائه هذه الكرامات، ما خسِر أحدٌ عامَلَهُم، بل يتفضَّلون[٨] عليه بزياداتٍ عديدة، والله أعلم.

---

(١) «أنه» ليس في (د).
(٢) في حاشية (د): «تيمور لنك».
(٣) «خطوات» ليس في (د).
(٤) «بي» ليس في (د).
(٥) في (ق): «الحب».
(٦) في (ق): «النسم».
(٧) لفظ الجلالة ليس في (ق).
(٨) في (ق) و(د): «يتفضلوا».

ومن جملة كراماته: أنّه قيل له عن تَمُرلَنك، فقال: نفَدت جُعبة[١] الفقراء، والمَقضِيُّ كائن، ثمَّ خطَّ بيده بالإشارة في بلاده، وقال: إلى هاهنا، وكان[٢] التمرلنكيّةُ إذا وصلوا إلى موضع إشارته لا يقدِرُون[٣] على مُجاوَزتِه، ويَرون الدوابَّ ترتع قريبًا منهم وليس لهم وصولٌ إلى شيءٍ منها، والله أعلم.

ومن جملتها: أنّه كان يَخطُر له الوحدة، فيجيء إلى الغابة من الدفلاء، فيتغدَّى من شجرها كأنّه يأكل الخَسّ، فإذا غلبه النومُ رقد، فإذا اتَّفق أنّه برد يقعد من نومه فيجد السبعَ قد ألصَق ظهره بظهرِه، إلى غير ذلك، والله أعلم.

وأمّا الذي ببيت المقدس فاتَّفق أنّي قعَدتُ عنده بعد قدومي بيتَ المقدس بأيّام قلائل، فوقع في قلبي أن أطلُبَ منه أن يُطعِمَني شيئًا؛ لأتبرَّك بطعامه، فسكت عنِّي هُنيّةً، ثمَّ التفتَ إليّ، وقال لي: تروح إلى المنزلِ فتأكل شيئًا، فقلت: هذه واحدة، ثمَّ وقع في قلبي في المجلس أنّه لو دعا شخصًا من أصحابي، وكان من أهل هذا الشأن، فالتفتَ إليَّ وقال لي[٤]: اصحَب معك فلانًا، فقلت: هذه اثنتان، فلمّا رأيت ذلك منه زادت مودَّتُه في قلبي، وعَظُمَت مرتبتُه عِندِي.

ثمَّ[٥] أقمتُ بعد ذلك مدّة طويلة، فاتَّفق أنّي أحرَقَني الجوع، واتَّفق اجتماعي به في مكان، فسأل عن حالي، فأظهرت له الفاقة، فقال لي: اجلِس لي عند باب السلسلة، فجلستُ هناك، فلم ألبث حتَّى قَدِم وأخرج لي من محفظتِه رغيفَين، فدفعهما إليّ، فتعشَّيتُ تلك الليلةَ أحدَهما، وأبقيت[٦] الآخر، فلمّا كان الليلُ

(١) في (ق): «جعب».
(٢) في (ق): «فكان».
(٣) في (ق) و(د): «يقدروا».
(٤) «لي» ليس في (د).
(٥) «ثم» ليس في (ق).
(٦) في (ق): «وبقيت».

نمت، فجاءني في المنام أمرٌ هالَني[1]، فلمّا استيقَظتُ عرَفتُ من أين أوتيت؛ لأنّي لمّا شكَوت[2] له الفاقةَ كان عندِي ذلك الوقت ما يكفِيني يومًا وليلة، فلمّا مضى عليَّ بعد ذلك أيّامٌ قليلة قال لي: كيف/ أنت؟ فقلت: بخير، فقال: عندي [١٩٤/ب] شيءٌ حتَّى آتيك به، والفضلُ والله لك، فقلت له: لا والله يا سيدي، فإنِّي في سعةٍ وخير، وحصل لي بذلك المنام تنبيهٌ وخير، وحُسنُ عشرة مع القوم، والله أعلم.

واعلم أنّ مدارَ هذا الشأن على الصِّدق[3]؛ فإنّه يُثمِرُ كلَّ خير، ولهذا[4] قال الله تعالى: ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، ولم يقل: ينفع العامِلين عملُهم.

ولتعلم **أيُّها السالِكُ** أنّ هذا الشأنَ لا بدَّ لهُ[5] من أمورٍ شتَّى، ومدارُه على ثلاثِ[6] قواعد، متى اختلَّ منها قاعدةٌ لا يتمُّ لك أمر:

الأولى: أن تتعلَّم من العلوم الشرعيّة ما يُصحِّحُ لك جميعَ المعاملات من باب آدابِ[7] قضاءِ الحاجة[8]، إلى آخرِ الجِنايات؛ فإنّ جُزئيّاتِ الآدميِّ لا تكادُ تتناهَى، فمَن لم يُتقِن من العلوم ما يدفع عنه هذه الأمور، وإلّا فهو خائضٌ في بحارِ العصيان، وهو يظن أنّه يُحسِنُ صُنعًا، فلا يُتعِبُ نفسَه فيما حَظُّه منه العناءُ في الدنيا، والعقوبةُ في العُقبَى، وكيف يكون جاهلٌ وليًّا، وقد نفى رسولُ الله ﷺ ذلك عنه بقوله عليه الصلاةُ والسلام: «ما اتَّخذَ الله وليًّا جاهلًا، ولو اتَّخذَه لعلَّمَه»[9].

---

(١) في (ق): «أهالني».
(٢) في (د): «شكيت».
(٣) في (د): «التصديق».
(٤) «ولهذا» ليس في (د).
(٥) «له» ليس في (ق).
(٦) في (ق) و(د): «ثلاثة».
(٧) «آداب» ليس في (ق).
(٨) في (د): «الحاجات».
(٩) هذا ليس بحديث عن النبي ﷺ، قال الحافظ ابن حجر: «ليس بثابت»، وقال الإمام السخاوي: «لم أقف عليه مرفوعًا»، انظر: «المقاصد الحسنة» (٥٧٤)، و«تذكرة الموضوعات» (٢٧)، و«كشف الخفاء» (٢: ٢١٢).

ونِسبةُ الولايةِ إلى جاهلٍ أيضًا من الجهل، ورَدٌّ على الصادق ﷺ، مع[١] أنّ حَدَّ الرجل الصالح هو القائِمُ بحقوقِ الله عزَّ وجلَّ وحقوقِ العباد، فمَن لا يعرف الحقَّ من غيرِه كيف يكون صالحًا! وبعد المعرفة[٢] فمَن يقدِرُ على ذلك، والله أعلم.

القاعدةُ الثانية: الجوع، ومدارُ كلِّ خير، وفتحُ كلِّ مَكرُمةٍ الجوعُ؛ لأنّه مِفتاحُ الجنّة، وهو قُطبُ سعادةِ هذا الشأن، وناهيك بشرَفِه أنّه شعارُ الأنبياء، ودِثارُ الأولياء، وفي هذه الإشارةِ كفاية.

القاعدة الثالثة: الخُمُول، فلا أفلحَ من أُشيرَ إليه بالأصابع، وإيّاك أن تغترَّ وتقول: وما الخَلقُ إلا[٣] إنّهم كالعَدَم؛ لأنّهم لا يملِكون لأنفُسِهم ضرًّا ولا نفعًا، فما ثَمَّ إلّا الله عزَّ وجلّ، فهذا عينُ الغُرُور، فإن دلَّسَت عليك نفسُك فاتَّهِمها وكلَّما أحسَستَ بالقوّةِ فاجتَهد في قَمعِها، ثمَّ ربِّها بمثل ما قال سيِّدُ الأوَّلين والآخرين في حقِّه: «**لو[٤] لَم أُبعَث لَبُعِثَ عُمَرُ**»[٥]، رضي الله عنه.

وقصَّتُه أنّه[٦] جاء إليه رجل، فقال له: والله إنِّي أحبُّك، ثلاثًا، فقال: ماذا تريد؟ فقال: أن أصحَبَك، فقال: بشرط أنّك إذا رأيتَ منِّي عيبًا تذَكِّرُني به[٧]، فقال: نعم، فأقام عنده ثلاثًا، فقال له عمرُ رضي الله عنه: / ماذا رأيتَ؟ فقال: لم أرَ شيئًا، فقال: اذهب عنِّي لا تغرَّني، فوالله ما من يوم يمضي إلّا ولي فيه ذنب. [١٩٥/أ]

---

(١) «مع» ليس في (د).
(٢) في (ق): «الفرقة».
(٣) «إلا» ليس في (ق).
(٤) في (د): «ولو».
(٥) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٦٧٦)، وقال العراقي: منكر. وقال الصغاني: موضوع. انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (١: ٣٢٠)، و«الموضوعات» للصغاني (٧٧)، و«فيض القدير» (٥: ٣٢٥).
(٦) في (ق): «أن».
(٧) «به» ليس في (د).

فهذا الفاروقُ مع جَلالَتِه خاف على نفسه أن يُغَرّ، وكذلك أراد عمرُ أن يُؤدِّب أُبَيَّ بن كعبٍ حين مشى خلفه طلّابُ القرآن، وقال: إنّ ذلك ذِلّةٌ للتّابع وفتنةٌ للمتبوع(١).

مع أنّه أُبيٌّ الذي أمر الله عزَّ وجلَّ نبيَّه عليه الصلاة والسلام أن يقرأ عليه(٢)، فما الظنُّ بك يا أحمَقُ يا جاهل، يا مَن يمتدِحُ بمِدحةِ العوام أتباع الدَّجّال.

وكذلك خشي أبو قتادةَ على عثمانَ رضي الله عنه حين مدحه شخصٌ في وجهه، وحثَى في وجه المادِح الحصباءَ(٣).

إلى غير ذلك ممّا لا نهايةَ له، وقد قدَّمتُ لك في حديث: «**ما ذِئبان ضاريان**..»(٤) ما يُرشِدُك إلى كلِّ خير، والله أعلم.



(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٩٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٠٩)، و«صحيح مسلم» (٧٩٩).

(٣) «صحيح مسلم» (٣٠٠٢).

(٤) سبق تخريجه في أول الكتاب.

فصل في السماع[1]

اللهمَّ اهدِني لما اختُلِفَ[2] فيه من الحقّ، إنّك تَهدي[3] مَن تشاء إلى صراطٍ مستقيم

قد علمتَ أيُّها السالِكُ[4] ممّا تقدَّم أحوالَ القوم قولًا وفعلًا، فهل وجدت ممّا هم عليه ما هو خارجٌ عن القرآن والأذكارِ التي هي[5] صفاتُ الرحمن، أو ما هو خارجٌ عن الصومِ والصلاة ونَحوِهِما مع الخوف من عدم قَبولها؟

فإذا كانت هذه طريقةَ أصحابِ أصحابِ[6] سيِّد السابقين واللّاحقين، وقد[7] تلقَّوهُ عن أفضَلِ الخلق بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم رضي الله عنهم تلقَّوه عن أمين أهل الأرض ﷺ، وتلقّاه عليه أفضلُ الصلاة والسلام عن أمينِ أهلِ السماء، وأمينُ أهلِ[8] السماء جاء به عن مَن أوجَد الأشياءَ مِن العَدَم، فمِن أين تلقَّى هذه المُحدَثاتِ أهلُها؟

عافانا الله عزَّ وجلَّ ممّا يؤدِّي إلى الضلالة، وإلى[9] اعتقادِها بسبب الهوى والجهالة.

---

(١) جاء قبلها في (ل): «بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر وأعن».

(٢) في (د): «اختلفت».

(٣) في (د): «تهتدي».

(٤) في (د): «أيها الطالب السالك».

(٥) «هي» ليس في (ق) و(ل).

(٦) «أصحاب» الثانية ليست في (ل).

(٧) في (د): «قد».

(٨) «أهل» مثبت من (د).

(٩) «وإلى» مضروب عليه في (د).

ثمَّ اعلم رحمَك الله أنّ مسألةَ السماع لم يَزَل الناسُ يَلهَجون بها قديمًا وحديثًا، وكلُّ أحدٍ من الناس يتكلَّم في ذلك على حسب مُعتقَدِه، ولا شكَّ أنّ الاعتقادَ إنّما ينشأُ من مُلابسةٍ ما يتلقّاهُ الشَّخصُ عن شيخِه الذي يرى له فضلًا وعلمًا وحالًا، حتَّى يجعلَ ذلك دِينًا، وليس على المرء أشدُّ من مفارقته[1] ما يعتقد أنّه دِين، ويرى عضَّ السيوف أهونَ عليه من مُفارقةِ ما يعتقِدُه قُربةً إلى مولاه، لا سيَّما الغُلاةُ في ذلك والمتعمِّقين فيه.

[١٩٥/ب] **ثمَّ اعلَم رحمك الله عزَّ وجلّ** أنّ السماعَ الذي كانَ يتعاطاهُ أهلُ الولاية والصدقِ إنّما هو القرآنُ؛ لأنّهم كانوا إذا فتَرت[2] أنفسُهم عمّا يكابِدونَه من المجاهدات أحَمُّوها[3] وحَدَوْها بذِكر كلام حبيبهم بالآيات المُخَوِّفات مرّة، وبالمُشَوِّقات أخرى، فإذا سمع أحدُهم كلامَ المحبوب نَشِطَت نفسُه، وعاد إلى حاله التي هي مَطلبُه، فلمّا غلب على النّاسِ حبُّ ما ليس بمرادٍ منهم[4]، وجاءت أهلُ الأهواء من ذوي الإلحاد والاتِّحاد، أحدَثوا للنّاسِ ما يصدُّهم عن تلاوة القرآن بالقصائد التي فيها التزهيدُ عن هذه التزويقات[5]، وزَهرة الدنيا، والرغبة في دار الخُلد في جِوارِ ربِّ العالمين، فمالَت بهِم الطباعُ البشريّةُ إلى ذلك؛ لأنّ الجنسيّةَ علّةُ الضم[6].

(١) في (د): «مفارقة».
(٢) في (د) و(ل): «أفترت».
(٣) في (د) و(ل): «أجموها».
(٤) في «إنارة الفكر»: «منه».
(٥) في (ل): «التزديقات».
(٦) انظر: «تفسير الرازي» (١: ٨١)، و«شرح المواقف للجرجاني» (٥: ١٧٢)، و«تفسير النيسابوري» (١: ٧٥).

ثمَّ لم يزَل الأمرُ في ذلك يتزايَد، حتَّى اتُّخِذَت[١] آلاتُ اللهو واللعب لذلك، وتفاقَم[٢] الأمرُ حتَّى لَهِجَ بذلك مَن يُظَنُّ أنّه قدوةٌ ووسيلةٌ إلى الله عزَّ وجلّ، فاعتقَد حقيقةَ[٣] ذلك.

ثمَّ اتَّسع ذلك الأمرُ المُفظِعُ[٤] حتَّى قِيل: لا سماعَ إلّا من تحت قِناع، وهذا لا يقوله إلّا زِندِيق، لا يختلف في ذلك أحدٌ من المؤمنين[٥].

وأنت إذا نظرتَ في كتب أهل العلم الذين هم حُجّةُ الله عز وجلّ على خَلقِه ترى كُتبَهم مشحونةً بتحريمِ ذلك، وأدلَّتَهم الصريحةَ مُصرِّحةً بتحريمِ ذلك، مُحتجِّين لذلك بالكتابِ والسُّنة وإجماعِ الأُمّة.

وها أنا أذكر بعضَ ما ذكروه، وأنبِّه في بعضِ المواضع[٦] على إبطالِ حجّة مَن ادَّعى غير ذلك، ولا عليك أن تَرجِعَ إلى الحقّ، وإن[٧] كان الذي ادَّعى غيرَ ذلك ممَّن هو مشهورٌ بالعلم الوافِر بالنِّسبةِ إلى المانِع فإنّ المَواهِبَ الإلهية يَخُصُّ بها مَن يشاء من عباده، والعاقبةُ للمتقين.

إذا عَرَفتَ هذا فاعلَم أنّ السَّماعَ موضوعٌ بالاشتراك، والكلامُ في السماعِ العُرفيِّ الذي قد اشتهر في ألسنة أهل البَطالةِ وعُرفِهم عند القائلين بالحَظر[٨]، وعند المانعين ذلك القائلين بالإباحة، بل بالاستحبابِ عند بعضِهم، وهم

---

(١) في (ل): «اتحدت». (٢) في (ق): «وتفاحم»، وفي (د): «وتفاخم».
(٣) في (ق): «حقية». (٤) في (ق) و(ل): «المفضع».
(٥) انظر: «كفاية الأخيار» (٣٠٥)، و«إنارة الفكر» (٩١).
(٦) قوله: «المواضع» ليس في (د). (٧) في (د): «إن» بدون الواو.
(٨) في (ل): «بالحضر».

الغُلاة، ولا نزيدُ(١) على ذلك؛ لأنّ الكلامَ فيهِ فيهِ(٢) ظُلمةٌ(٣).

ومقصودُنا إظهارُ نورِ الحقّ، والحقُّ(٤) أحقُّ أن يُتَّبع، وأقلُّ الدرجات أنّ مَن وقع في الشُّبُهاتِ وقع في الحرام، كما نطقَ به سيِّدُ الأوَّلين والآخِرين ﷺ(٥).

[١٩٦/أ] **إذا تمهَّد لك هذا فاعلم**/ أنّ هذا السماعَ قد تنازَعَ فيه حُذّاقُ النُّظّارِ من الصوفيّة، وأبطالُ فُرسانِ السنّة المحمَّديّة، وبَرهنَ كلٌّ من الفريقَين على دعواهُ بما يكاد يقطع بأنّه المُصِيب(٦)، وزعم أنّه بذلك من الذي لا يَضِيعُ سعيُه ولا يَخِيب، وأكثَرَت كلُّ طائفةٍ منهم في ذلك المصنَّفات، زاعمٌ أنّه جارٍ(٧) في ميدان الحسنات، ومُحصِّلٌ(٨) بذلك أعلى(٩) الدرجات، فسبحان مَن يعلَمُ مِن خلقِه حُسنَ المعاملة وتصحيحَ النيّات.

ولا شكَّ أنّ الواقِفَ على حُجّةِ كلٍّ من الخصمَينِ يكاد ألّا يقضِيَ في زمانِنا هذا بينهما بشيءٍ؛ لما يجد من قُوّة الدليلَين.

ولا سبيلَ إلى الرجوع إلى صوفيٍّ محضٍ؛ لأنّه يجري مع ما ألِفَهُ جريَ

---

(١) في (ق) و(ل): «تزيد».
(٢) «فيه» ليس في (ل).
(٣) انظر: «إنارة الفكر» للبقاعي (٩٢).
(٤) «والحق» ليس في (د).
(٥) يشير بذلك إلى ما أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».
(٦) في (د): «مصيب» بدون «أل».
(٧) «جارٍ» ليس في (د).
(٨) في (د): «ويحصل».
(٩) في (د): «أعالي».

الخيل في مِضمارِها، ولا ينظر إلى الألفاظ، ويقول: الألفاظُ حجابٌ كثيفٌ[١] عن فهمِ المعاني المقصودة، ولو جَمُدنا على الألفاظِ لكان لا حِسَّ[٢] لنا، وللَحِقنا بالجَماد، وأيضًا فهو خصم، ولا قولَ له على خَصمِه.

ولا سبيلَ إلى التمسُّك[٣] باللفظ الصِّرفِ؛ لأنّه جمودٌ؛ لأنّ المقصودَ من الألفاظِ الدِّلالة على المعاني الموضوع بإزائها الألفاظُ[٤]، وإلّا لكان وضع اللفظ مع قطع النظر عن المعاني عبثٌ[٥]، وأيضًا فهو خصمٌ ولا قولَ له مقبولٌ على خصمِه إلّا بحُجّة يُسلِّمها الخصم.

ولا سبيلَ إلى إهمالِ الخصمَين؛ لما في ذلك من حصول الضرر، والضررُ مُزالٌ بالإجماع[٦]، فتعيَّن أن يكون بينهما مُحلِّلٌ كفؤٌ لهما، وهو مَن جَمعَ بين النَّقلِ والعَقل، وأُجمِعَ على حُجَّتِه[٧] وقولِه[٨].

فنظَرنا في ذلك فوجَدناه[٩] سلفَنا[١٠]؛ إذ كلٌّ من الفريقَين يَحتَجُّ بقولِه، فتعيَّن الرجوعُ إليه، وإذا تعيَّن الرجوعُ إليه[١١] تعيَّن اتِّباعُه، وإلّا فالشخصُ مفتونٌ تابعٌ لهواه، فيُخشَى عَلَيهِ أن يدخلَ في سلك: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

---

(١) في (ل): «كتيف».

(٢) «حس» غير واضحة في (د)، وفي (ل): «حسن».

(٣) في (ل): «ولا سبيل إلى الرجوع إلى التمسك».

(٤) انظر: «تشنيف المسامع» (١: ٣٨٠). (٥) في (ل) و(د): «عبثًا».

(٦) انظر: «تحرير المنقول» (٣٢٨)، و«غاية الوصول» (١٤٧).

(٧) في (ق): «حجية». (٨) في (ق) و(ل): «قوله» بدون الواو.

(٩) في (د): «فوجدنا». (١٠) في (ل) و(د): «سلفيًا».

(١١) قوله: «وإذا تعين الرجوع إليه» ليس في (د).

فأوَّلُ شيءٍ أقرَعُ به سمعَك أيُّها السالِكُ بحقٍّ والطالِبُ للخير بصدق قولُ شيخِ الطائفةِ أبي[١] القاسم الجُنَيد، ثمَّ أذكر كلامَ مَن أقتدي بهم؛ لتقوى الحُجّة.

ولا بُدَّ قبل ذلك من رفض قول: «أخبَرني قلبي عن ربِّي»[٢]؛ فإنّه من المُحدَثات، ولا بُدَّ من الرجوع إلى مَن أوجبَ الله عزَّ وجلَّ الردَّ إليه في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

[١٩٦/ب] وأجمع المسلمون على أنّ الردَّ إلى الله عزَّ وجلّ الردُّ إلى كتابه، والردَّ إلى رسوله الردُّ إلى سُنّةِ رسوله ﷺ[٣].

ولتعلم أنّ الإجماعَ لا بُدَّ له من مُستنَد، ومُستنَدُه إمّا الكتابُ أو السنّة أو هما، وخلافُ الإجماع يُؤدِّي إلى مخالفةِ القرآن، قال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، نعوذ بالله عزَّ وجلَّ من غضبِه وعقابه.

قال أبو القاسم الجُنَيد: «الطرقُ كلُّها مَسدُودة عَلَى[٤] الخَلق، إلّا مَن اقتفى أثرَ رسول الله ﷺ واتَّبع سنَّتَه ولزِم طريقتَه؛ فإنّ طُرقَ الخيرات كلَّها مفتوحةٌ عليه، وعِلمُنا هذا مضبوطٌ بالكتاب والسنّة، فمَن لم يحفظِ الكتابَ والسنّة ولم يكتب الحديثَ ولم يتفقَّه لا يُقتَدَى[٥] به»[٦]، والله أعلم.

---

(١) في (ق) و(ل): «أبو».
(٢) انظر: «إنارة الفكر» (٩٢).
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨: ٥٠٥)، و«تفسير البغوي» (١: ٦٥٤)، و«الدر المنثور» (٢: ٥٧٩).
(٤) في (ق): «عن».
(٥) في (ل): «لا يقتدن».
(٦) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٣٢)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٥٧)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٧٩).

وَيحَك يا هالك! هل صحَّ عندَ أهل الحقِّ الذين[١] حفظ الله عزَّ وجلَّ بهم الدينَ أنّهم نقلوا بالسند الصحيحِ أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ فعل هذه الكيفيّةَ الخبيثةَ أو أمر بها، أو أقرَّ عليها[٢]؟ نعوذُ بالله عزَّ وجلَّ من مُحدَثات الأمور المضلّة.

وقال السيِّدُ الجليلُ إبراهيمُ بن أدهم: «قال لي شَيخِي[٣] بعد أن أردتُ أن أذكر له روعةَ صاحِب العيال، فما قدَرتُ أن أتمِّمَ الحديثَ حتَّى صاح بي وقال: وقَعنا في بُنَيّاتِ[٤] الطريق، انظر عافاك الله تعالى ما كان عليه محمدٌ ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم»[٥].

إذا كان هذا الزجرُ والردعُ في أمرٍ ليس فيه بعضُ بعضِ بعضٍ هذه المُحدَثة الخبيثة[٦] رُكب فيها بُنَيّاتُ الطريق، فكيف القولُ في أمرٍ اشتمل على مِزمار الشيطان ورُقية الزنا[٧]؟

نعوذُ بالله من ركوبِ اتِّباع السبل[٨] التي يَحِيد بها المرءُ عن الصراط المستقيم، وهو الذي كان عليه سيِّدُ الأوّلين والآخرين ﷺ، وأصحابُه رضي الله عنهم أجمَعِين، وعن التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وقال السيِّدُ الجليلُ أبو سليمانَ الدّارانِيّ، رحمة الله تعالى عليه: «إذا أرَدتَ عَملًا ترى أنّه طاعة، فانظُر[٩] فإن ورَدَت به سُنّة وإلّا فدَعه»[١٠].

---

(١) في (ل) و(ق): «الذي».
(٢) انظر: «إنارة الفكر» (٩٢).
(٣) في (ق): «شيخ».
(٤) في (ق): «بينات».
(٥) انظر: «تلبيس إبليس» (٢٦١)، و«ذم الهوى» (٢٨٢).
(٦) «الخبيثة» ليست في (د).
(٧) في (ق): «الدنيا».
(٨) في (ل): «السبيل».
(٩) «فانظر» مثبت من المصادر.
(١٠) انظر: «وصية ابن قدامة» (٢٧).

وأيُّ سُنّة وردَت بهذا؟ بل الآياتُ وردت بالزجر عن بعض ما اشتمَلت عليه هذه الكَيفيّةُ الخبيثة، وسنُورِدها فيما بَعدُ إن شاء الله تعالى.

[١٩٧/أ] وقال: «ربَّما وقع[1] في قلبي نكتةٌ من نُكَتِ القوم، فلا أقبل منه إلّا بشاهِدَين عدلَين؛ الكتابِ والسُّنّة»[2].

وقال أبو عثمانَ سعيدُ الحِيرِي[3]: «من أمَّر السنّة على نفسِه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى نطق بالبدعة؛ لقولِه تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]»[4].

وقال أبو حفص النيسابوريّ: «مَن لم يَزِن أفعالَه وأقوالَه وأحوالَه في كلِّ وقتٍ بالكتاب والسُنّة، ولم يتَّهِم خواطرَه، فلا تَعُدُّوه»[5].

وقال الجُوزجانيّ[6]: «أصَحُّ الطرق وأعمَرُها وأبعدُها عن الشبهات[7]: اتِّباعُ السنّة قَولًا وفِعلًا وعَزمًا؛ لأنّ الله عزَّ وجلَّ يَقُول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، فقيل له: كيف الطريقُ إلى اتِّباع السنّة؟ فقال: بمجانبةِ البدع، واتِّباع ما أجمع عليه الصدرُ الأوَّل»[8].

---

(١) في (د) و(ل): «يقع».

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٧٦)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٨٤).

(٣) في (ق): «الجيزي»، وفي (ل): «الخيري»، وقد تقدمت ترجمته برقم (٣٠٣).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢٢: ١٥١).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣١٢).

(٦) كذا في «طبقات الصوفية»، وفي النسخ وفي «إنارة الفكر»: «الجرجاني».

(٧) في (د): «الشهوات».

(٨) انظر: «طبقات الصوفية» (١٩٧-١٩٨).

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل رحمه الله تعالى: «أصولُ السُّنّة عندنا: التمسُّكُ بما كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ في الاقتداءِ بهم، وتَركِ البدع، وكلُّ بدعةٍ ضلالة[١]، وَلَيْسَ فِي السنة قِيَاسٌ[٢]، ولا تُضرَب لها[٣] الأمثال، ولا تُدرَك بالعقول والأهواء؛ إنّما هي الاتِّباع وتركُ الهوى»[٤].

وكان عبدُ الله بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه يُكثِرُ الجلوسَ إلى ربيعةَ الرأي[٥]، فتذاكروا يومًا السُّنَن، فقال رجلٌ ممَّن كان في المجلس: «ليس العملُ على هذا، فقال عبدُ الله: أرأيت إن كَثُرَ الجُهّالُ حتَّى يكونوا هم الحُكّام، فهم الحُجّة على السُّنّة؟ فقال ربيعة: أشهد أنّ هذا كلامُ أبناءِ الأنبياء، فإنّ ذلك كذلك»[٦].

وقال ابنُ عبد البَرّ: «ما جاء عن النبيِّ ﷺ مِن نَقلِ الثِّقات، وعنِ الصحابة

---

(١) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١: ١٥٦).
(٢) في النسخ: «وليست السّنة قياس»، والمثبت موافق لما في المصادر.
(٣) في (د): «بها».
(٤) انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٢٤١)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٨٧).
(٥) هو: أبو عثمان، ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ، ويُعرف بربيعة الرأي، أدركَ من الصحابة: أنس بن مالك والسائب بن يزيد، وعامة التابعين، روى عنه: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، والليث بن سعد، وغيرهم، وكان فقيهًا عالِمًا، حافظًا للفقه والحديث، وكانت وفاته في سنة ست وثلاثين، وقيل: سنة ثلاثين ومئة بالهاشمية. انظر ترجمته في: «الثقات» للعجلي (١٥٨)، و«تاريخ بغداد» (٩: ٤١٤)، و«طبقات الفقهاء» للشيرازي (٦٥)، و«المنتظم» (٧: ٣٤٩).
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٧: ٣٧٢)، و«إغاثة اللهفان» (١: ٣٧٥).

رضي الله عنهم، فهو علمٌ يُدان[١] به، وما أُحدِثَ بعدهم فهو بدعةٌ وضلالة»[٢].

وقال البُخاريّ: «لقيت أكثرَ من ألف رجلٍ من أهل العلم كانوا ينهَون عن البِدَع؛ ما لم يكن عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم، ويحيون[٣] على ما كان عليه محمدٌ ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم؛ لقولِه تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣][٤]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يُؤمِنُ أحدُكم حتَّى يكونَ هواهُ تَبعًا لما جئتُ به**»[٥].

وقال عبدُ الله بن مَسعودٍ رضي الله عنه: «إنّكم ستُحدِثون ويُحدَث عليكم، فإذا رأيتُم مُحدَثًا فعليكم بالأمر الأوَّل»[٦].

[١٩٧/ب] **إذا عَرفتَ هذا فاعلم** أنّي إنّما ذكرت مِمَّن قال بمثل ذلك نبذةً يسيرةً؛ لأنّي لست في هذه الورقات بصَددِ الإطناب والإكثار[٧]، وإنّما أنا بصَددِ[٨] الاقتصاد والإيجاز، وكذا ما أُورِدُه من سادات مَن تقدَّم؛ لأجل الإحالة عليهم[٩] رضي الله عنهم، وكذا ما أورِده من الآثار والأخبار والآيات، وكذا ذِكرُ مَن نقلَ الإجماعَ

---

(١) كذا في (ل) و(د)، وفي (ق): «يزان».

(٢) انظر: «الفتوى الحموية الكبرى» (٤٧٩-٤٨٠)، و«إنارة الفكر» (٩٣).

(٣) في (ق) و(د) و(ل): «ويحثوا». وفي «إنارة الفكر»: «ويحيون».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٤٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٤٤)، و«إنارة الفكر» (٩٣).

(٥) «السنة» لابن أبي عاصم (١٥)، و«الأربعون» للنسوي (٨)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٢٧٩)، و«المدخل» للبيهقي (٢٠٩).

(٦) انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٦٩).

(٧) «والإكثار» ليس في (د).

(٨) في (ل) و(د): «بسبب».

(٩) «عليهم» ليس في (ل).

على تحريم هذه الكيفيّة الخبيثة؛ لأنّ مَن له رؤيةٌ[١] صحيحةٌ وقصدٌ صالحٌ يهتدي بدون ذلك، وأمّا الغبيُّ والمعانِدُ الغويُّ فلا[٢] يزدادُ بالإكثار إلّا عُتوًّا وطُغيانًا كثيرًا؛ لأنّ مَن اتَّبعَ الظنَّ وما تهوى الأنفسُ لا يترك متبوعَه، كَما أنّ مَن اتَّبع الكتابَ والسنّة لا يدعهما وإن قُرِضَ بالمَقاريض، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

قال بعضُ أئمّةِ الهُدَى[٣]: «إنّ البدنَ إذا سقمَ لم[٤] يَنجَع فيه طعامٌ ولا شرابٌ ولا نومٌ ولا راحة، كذلك[٥] القلبُ إذا عَلِقَه حبُّ الهوى لم تنجع فيه الموعظة»[٦]، بل قال بعضُ التابعين ذلك فيمن عَلِقَ قلبُه بحبِّ الدنيا.

ولنذكر نبذةً ممَّن عندَ ذِكرِهم تتنزَّل الرَّحمة، فعليك بلزومِ طريقتِهم ومحبَّتِهم؛ فإنّ المرءَ مع مَن أحبَّ[٧].

قال معمرٌ المُؤذِّن: «صلَّى إلى جنبي سليمانُ بن طرخان عِشاءَ[٨] الآخرة، فقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، فلمّا أتى على هذه الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك: ٢٧]، جعل يردِّدها حتَّى انصرفت،

---

(١) في (د) و(ل): «روية».

(٢) في (د) و(ل): «لا».

(٣) هو مالك بن دينار كما في «الزهد الكبير» وباقي المصادر.

(٤) في (د): «لا».

(٥) في (د) و(ل): «فكذلك».

(٦) «الزهد الكبير» (٢٥١)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٣٤)، و«تاريخ دمشق» (٥٦: ٤٢٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٥)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٣٠).

(٧) يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المرء مع من أحب»، والحديث في «صحيح البخاري» (٦١٦٨)، و«صحيح مسلم» (٢٦٤٠).

(٨) في (ق) و(د): «بعد عشاء».

ثمَّ عُدتُ لأذان الفجر فإذا هو في مقامه لم يَجُزِ الآية»[١]، وكان هذا شأنُ[٢] سليمان يتوخَّى المساجدَ فيُحيي فيها ليلَه كلَّه.

قال ابنُه: «مكث أبي أربعين سنةً يصوم يومًا ويُفطِرُ يومًا، ويصلِّي الصبحَ بوضُوءِ العِشاء»[٣].

وقال حمّادُ بن سلمة: «ما أتينا سليمانَ في ساعةٍ يُطاع الله عزَّ وجلَّ فيها إلّا وجدناهُ مطيعًا، فكنّا نرى أنّه لا يُحسِن أن[٤] يعصي الله عزَّ وجلّ»[٥]، والله أعلم.

وقال أحمدُ بن سنان: «كان يزيدُ بن هارونَ لا يفتُرُ عن الصلاةِ الليلَ والنهار»[٦].

قال عاصم: «كان يزيدُ إذا صَلَّى العَتَمة لا يزال قائمًا حتَّى يصلِّيَ الغداةَ بذلك الوضوء نيِّفًا وأربعين سنةً»[٧].

وقيل له: «كم جزؤك من الليل؟ فقال: وأنا أنامُ من الليل شيئًا[٨]؟ إذًا لا أنامَ الله عزَّ وجلَّ عيني»[٩]، والله أعلم.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٧٧).

(٢) قوله: «شأن» ليس في النسخ، ولعل إثباته أنسب.

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٩١)، و«المنتظم» (٨: ٤١)، و«حفظ العمر» لابن الجوزي (٥١).

(٤) «أن» ليس في (ق).

(٥) انظر: «المنتظم» (٨: ٤١)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٧٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ١١٥).

(٦) انظر: «مرآة الزمان» (١٣: ٤٤١).

(٧) انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٤٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٤٤١).

(٨) «شيئًا» مثبت من (د).

(٩) انظر: «المنتظم» (١٠: ١٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٧٩).

وقال سفيانُ بن عُيينة: قال عطاء: «كان مُرّة يُصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ ألفَ [١٩٨/أ] ركعة، وكنت أنظر إلى مَبارِكِه كأنّها مبارِكُ الإبل»[١].

أسند مُرّة عن أبي بكر، وعمر، وعلي، وغيرهم، رضي الله عنهم[٢].

وقال بشيرٌ[٣]: بتُّ[٤] عند الرَّبيع بن خُثَيم، فمرَّ بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً﴾ [الجاثية: ٢١]، فمكث ليلةً حتَّى أصبح ما يُجاوِزُها[٥].

وكان إذا سجد كأنّه ثوبٌ مطروح، فتجيء العصافيرُ فتقع عليه[٦]، وكان هذا شأنَه، قال له ابنُه: يا أبَه[٧]، ما لك لا تنام؟ فقال: إنّ ذِكرَ جهنَّم لا يدعني أن أنام، وإنِّي أخافُ البَيات، ومَن خافَه حُقَّ له ألّا ينام، وكان مع هذا العمل يقول: أدركنا أقوامًا كنّا في حَياتِهم لصوصًا[٨].

أسند عن ابن مسعودٍ وغيره[٩].

---

(١) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٧٦)، و«حفظ العمر» لابن الجوزي (٤٧)، و«مرآة الزمان» (٧: ٣٣٦).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٠)، و«مرآة الزمان» (٧: ٣٣٧).

(٣) في (د): «بشر».

(٤) في (ل): «ابن».

(٥) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٩٢٥)، و«حلية الأولياء» (٢: ١١٢)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٦٣)، و«التبصرة» لابن الجوزي (٢: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦).

(٦) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦).

(٧) في (د): «يا أبتِ».

(٨) «الرقة والبكاء» لابن أبي الدنيا (٢١٩)، و«حلية الأولياء» (٤: ١٧٠)، و«سير السلف الصالحين» (٧٦١).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٩).

هذا عمرُو بن عُتبةَ[١]، كان يقوم الليلَ ويقف[٢] كلَّه بآية، قال أخوه: استفتَحَ ليلةً: «حم»، فأتى على هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨]، الآية، فما جاوَزها حتَّى أصبح[٣]. مات شهيدًا في غَزاةِ أذرَبِيجان في خلافة عثمانَ رضي الله عنه[٤].

هذا عنبس، قال يزيد: «كان يَسجُد، حتَّى إنّ العصافيرَ لَيقَعن على ظهره ويتزلَّقن يَحسبنَه جِذمَ حائطٍ»[٥]. روى عن ابن مسعود رضي الله عنه.

هـذا سعيد بـن المُسيَّب، قـال عُبَيدُ الله[٦] بـن مُسلِم: كان سعيدٌ إذا قام إلى الصلاة كأنّه وتِد، وكان يبكي بالليل حتَّى عَمِش[٧].

قال أبو أيُّوب: وسمعته يردِّد هذه الآيةَ بضعًا وعشرين: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] الآية، وقرأ القرآن في ركعةٍ في الكعبة، وقرأ في الركعة الثانية بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

هـذا إبـراهيم التيميّ، كان إذا سجد تجيء العصافيرُ فتنقر علـى ظهره كأنّه جِذمُ[٨] حائطٍ[٩].

---

(١) في (ل): «عتيبة».
(٢) في (د): «وقف».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤١).
(٤) انظر: «المنتظم» (٤: ٣٥١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١).
(٥) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (٢٠٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤١).
(٦) كذا في (د) و(ل)، وفي (ق): «عبيد الله».
(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٦٦)، و«شعب الإيمان» (٢٨٩٠)، و«المنتظم» (٧: ٦).
(٨) في (ق): «حذم».
(٩) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (٢١٠٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٦)، و«مرآة الزمان» (٩: ٤٥٤).

قال له الأعمش: «بلغَني أنّك تمكث شهرًا لا تَأْكُل؟ فقال: نعم، وشهرين»[١].

وقال: «ما عرضت عَملِي على قَولِي إلّا خشيتُ أن أكونَ مُكذبًا»[٢]، مات في سجن الحجّاج[٣].

هذا عبدُ الرحمن الأسود، قال ابنُ إسحاق: «قَدِمَ علينا عبدُ الرحمن حاجًّا، فاعتلَّت إحدى قدمَيه، فقام يُصلّي حتَّى الصبح[٤] على قدمٍ واحد[٥]، وصلَّى الصبحَ بوضوء عشاءِ الآخرة»[٦]، وقَدِمَ علينا ليث، فصنَعَ مِثلَه، وكان عبدُ الرحمن يدخل على عائشةَ رضي الله عنها[٧].

هذا أبو إسحاقَ السَّبِيعيّ، قال مُغيرة: «كنتُ إذا رأيتُ السَّبِيعيَّ ذكرتُ به الضَربَ الأوَّل»[٨]، ولمّا ضَعُفَ عن القيام، وكان لا يقدر أن يقومَ إلى الصلاة حتَّى يُقامَ ، فإذا أقاموه قرأ ألفَ آيةٍ وهو قائم، وكان يقوم الصيف كلَّه، فأمّا [١٩٨/ب] الشتاء فأوَّلَه وآخرَه، وبين ذلك هجعة»[٩].

هذا منصورُ بن المعتمر، قال قُدامة: «دام منصورٌ أربعين سنةً يصوم النهار

(١) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (٢١٠٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١).

(٢) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (٢١٠٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢).

(٤) في (ل): «أصبح».

(٥) «واحد» مثبت من (د).

(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ٢٣١)، و«حفظ العمر» لابن الجوزي (٤٨).

(٧) انظر: «حفظ العمر» لابن الجوزي (٤٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٤).

(٨) انظر: «تذكرة الحفاظ» (١: ٨٧).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٠).

ويقوم الليل»(١)، وفي رواية: «صام ستِّين سنة»(٢).

قال الأحوص: «كان منصورٌ يقوم في محرابه شتاءً وصيفًا كأنّه خشبة»(٣).

قال سفيان: «إنّما كان الليلُ عند منصورٍ مَطيّةً من المَطايا، متى شئتَ أصبتَهُ قد ارتحلَه(٤)، ومع ذلك يبكي الليلَ عامةً»(٥).

أدركَ منصورٌ أنسَ بن مالك رضي الله عنه(٦).

هذا يحيى بن سعيد، قال عبدُ الله(٧) بن إدريس: «ما كان الليلُ على أحدٍ أخفَّ منه على أبي حيّان، صحِبناه مرّة إلى مكّة، فكان إذا أظلم الليلُ فكأنّه مثلُ الزنابير إذا هُيِّجَت من عُشِّها».

وكذا كان كُرزٌ رضي الله عنه، قال الحفريّ: «دخلت على كرز فإذا هو يبكي، فقلت له(٨): ما يُبكيك؟ فقال: إنّ بابي مُغلَق، وسِتري مُسبَل، ومُنِعت حِزبِي(٩) أن أقرأه البارحة، وما هو إلّا من ذنبٍ قد أحدَثتُه»(١٠).

هذا مِسعَر، قال ولدُه مُحمَّد: «كان أبي لا ينامُ حتَّى يقرأ نصفَ القرآن، فإذا فرغ من وِردِه لفَّ رداءه ثمَّ هجع عليهِ هجعةً خفيفة، ثمَّ يَثِبُ كالرجل الذي

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٥)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٨٥).

(٢) انظر: «المعارف» (١: ٤٧٤)، و«المنتظم» (٧: ٣٢٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٦).

(٤) قوله: «قد ارتحله» مثبت من «صفة الصفوة»، وفي النسخ: «أصبته ارتحل».

(٥) في (ل): «عمامة»، وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٦).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٦٦).

(٧) في (ل): «قال عبد».

(٨) «له» مثبت من (د).

(٩) في (د): «جزئي».

(١٠) انظر: «إحياء علوم الدين» (١: ٣٥٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٠٣).

ذهب منه شيءٌ فهو يطلبه، فإنّما هو السواكُ والطهور، ثمَّ يستقبِلُ المحرابَ كذلك إلى الفجر، وكان يجتهدُ على إخفاء ذلك»[١].

هذا الحسنُ بن صالحٍ[٢]، قال أبو سُلَيمان الدارانِيّ: «ما رأيت أحدًا أخذ الخوفَ على وجهِه والخشوعَ من الحسن، قام ليلةً إلى الصباح بـ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ: ١]، بآيةٍ فيها، ثمَّ غُشي عليه، ثمَّ عاد إليها فغُشي[٣] عليه، فلم يختمها حتَّى طلع الفجر»[٤].

هذا محمَّدُ بن النَّضر[٥]، قال عَبثَرٌ[٦]: «اخْتَفَى[٧] أربعين ليلة، فما رأيته نائمًا ليلًا ولا نهارًا»[٨].

وكان ابنُ المبارك يقول: «إذا ذُكِرَ الموتُ عنده اضطربَت مفاصِلُه حتَّى تتبيَّن[٩] الرِّعدةُ فيها»[١٠].

هذا أبو بكر بن عياش، قال مُحَمَّد بن الحجاج بن جَعفَر بن إياس[١١]: «كان ابنُ عيّاشٍ يقومُ الليل على عُكّازةٍ يضعها في صَدرِه يتكئ عليها حين كَبُر،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧٥).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (٢: ٧٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٧: ٣٦١).

(٣) في (ل): «ثم غشي».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٨٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٧: ٣٦٩).

(٥) في (ل): «النصر».

(٦) في (ل): «عنتر».

(٧) في النسخ: «اختلى»، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٨) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٣٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٢).

(٩) في (د) و(ل): «تبين».

(١٠) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٠٣٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٢).

(١١) كذا في المصادر، وفي النسخ: «قال رياش».

فيُحيِي الليل، ودام ستِّين سنةً يقرأ القرآنَ كلَّ يومٍ وليلة»(١).

وكان يقول: «مَن لم يطلب العلمَ لم يُرزَق عقلًا. ولم يضع جنبَه إلى الأرض أربعين سنةً، ولم يُفرَش له فراشٌ منذ خمسين سنة»(٢).

[١٩٩/أ] **هذا منصورُ بن زاذان**، قال ابنُ إسحاق الحضرميّ: حدَّثني شيخٌ من أهل واسطٍ كان جارًا لمنصور، فقال: «رأيت منصورًا توضَّأ، فلما فرغَ دمعت عيناه، ثمَّ جعل يبكي حتَّى ارتفع صوتُه، فقلت: رَحِمكَ الله تعالى، ما شأنُك(٣)؟

فقال: وأيُّ شيءٍ أعظمُ من شأني، أُريدُ أن أقومَ بين يدَي مَن لا تأخذه سِنة ولا نوم، فلعلَّه يُعرِض عنِّي، فأبكاني والله بقولِه»(٤).

هذا عمرُ بن المنكدر، قالت له أُمُّه: «أشتهي أن أراك نائمًا(٥)، فقال: يا أُمّاه، والله إنّ الليل لَيَرِدُ عليَّ فيَهُولني، فينقضي عنِّي وما قضيتُ منه أرَبي»(٦).

وكان لا ينامُ الليل، ويُكثِرُ البكاءَ على نفسه ويقول: «آيةٌ من كتاب الله عزَّ وجلَّ أبكتني، وهي قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]»(٧).

هذا محمَّدُ بن كعبٍ القرظيُّ، قالت له أُمّه: «يا بُنيّ، لولا أنّي أعرفك صغيرًا طيِّبًا وكبيرًا طيِّبًا لظننتُ أنّك أحدثت ذنبًا(٨) مُوبِقًا؛ لما أراك تصنعُ بنفسك ليلًا ونهارًا.

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد وذيوله» (١٤: ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٩٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٩٦).

(٣) قوله: «ما شأنك» ليس في (د).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٧).

(٥) في (د): «قائمًا».

(٦) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (٢: ٢٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٠).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٠).

(٨) في (ل): «دينًا».

فقال: يا أُمّاه، وما يُؤَمِّنني[١] أن يكونَ الله عزَّ وجلَّ قد اطَّلع عليّ، فقال: اذهب لا أغفِرُ لك، مع أنّ عجائبَ القرآن تَرِدُ بي على أمور، حتَّى إنّه لينقضي[٢] الليلُ ولم أفرغ من حاجتي»[٣].

هذا سالمُ بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم[٤]، قال ابنُ أبي سارة: «رأيتُ سالمًا قَدِمَ علينا حاجًّا، فصلى العشاء، ثمَّ قام إلى ناحيةٍ يُصلِّي، فلم يَمِل يمينًا ولا شمالًا حتَّى طلع الفجر»[٥].

هذا ابنُ الزبير[٦]، قال محمَّدُ بن حميد: كان ابنُ الزبير يُحيي الليلَ أجمع، ليلةً قائمًا حتَّى يصبح، وليلةً راكعًا حتَّى يصبح[٧]، وليلةً ساجدًا حتَّى يصبح[٨].

واعلم: أنّي لو عَدَدتُ مَن كانت[٩] هذه صفتَهم، بل بعضَهم، لجاءت مجلَّدات، وأقلُّ درجاتك أن تنظرَ الفصلَ الذي قبل هذا، ومع هذا كلِّه فهم مُلامون ومُنكَرٌ عليهم.

قال الحسنُ بن أبي الحسن: «إنّكم اتَّخذتم قراءةَ القرآن مَراحل، وجعلتم الليلَ جَملًا تركبونه فتقطعون به المراحل، وإنّ[١٠] مَن كان قبلكم رأوه رسائلَ

---

(١) في (ل): «يرضني». (٢) في (ل): «ليقضى».

(٣) انظر: «المنتظم» (٧: ١٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).

(٤) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ١٨٤)، و«الثقات» لابن حبان (٤: ٣٠٥)، و«المتفق والمفترق» (٢: ١١٥٠).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٢)، و«المختار من مناقب الأخيار» لابن الأثير (٢: ٦٠).

(٦) يعني: عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

(٧) قوله: «وليلة راكعًا حتى يصبح» ليس في (ل).

(٨) «مختصر قيام الليل» للمروزي (٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١)، و«الرياض النضرة» (٤: ٢٩٣).

(٩) في (ل): «كان». (١٠) في (د): «وإنه».

إليهم[١] من رَبِّهم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل، ويُنفِّذونها بالنهار، فكان ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه يقول: أُنزِلَ عليهم القرآنُ ليعمَلوا به، فاتَّخذوا دراستَه عملًا، وإنّ أحدَهم يتلو القرآنَ مِن فاتِحتِه إلى خاتِمَتِه ما يُسقِط منه حرفًا، وقد أسقط العملَ به»[٢].

وقال معمرُ بن قُرّة: «أدركت سبعين رجلًا من أصحاب محمَّدٍ ﷺ لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئًا ممّا أنتم عليه إلّا الأذان»[٣].

[١٩٩/ب] وقال مجاهد: قال عُبَيدُ بن عُمير: «ما المجتهدُ فيكم إلّا كاللّاعِبِ فيمَن مضى»[٤].

وقيل لعبد اللهِ بن بُسر[٥] صاحبِ رسول الله ﷺ: كيف حالُنا من حال مَن قبلَنا؟ فقال: «سبحان الله، لو نُشِروا مِن القُبورِ ما عَرفُوكُم، إلّا أن يَجِدوكم قيامًا تصلُّون»[٦].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «ذهب الناسُ وبقي النَّسناس[٧]، فقيل له: وما

---

(١) في «قوت القلوب»: «أتتهم».

(٢) انظر: «قوت القلوب» (١: ١٠٧-١٠٨)، و«إحياء علوم الدين» (١: ٢٧٥).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٩: ٢٦٩)، و«المنتظم» (٦: ٢٢٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٥١).

(٤) انظر: «الزهد» لوكيع (٢٢١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٧: ٣٧)، و«مرآة الزمان» (٩: ٢٢٠).

(٥) في (ل): «بشر».

(٦) «المعجم الأوسط» (٤٧٣)، و«مسند الشاميين» (٩٩٦)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٧١٧).

(٧) في (ق): «النساس» في الموضعين. والنسناس هو: خلق في صورة الناس، أشبهوهم في شيء وخالَفُوهم في شيء، وليسوا من بني آدم، ويقال فيهم: كانوا حيًّا من عاد عصوا رُسُلَهم فمسخهم الله نسناسًا، لكل إنسان يد ورجل من جانب، ينقزون نقز الظبي، ويرعون رعي =

النَّسناس؟ فقال: يُشبِهون الناسَ وليسوا بناسٍ»[١]، وكذا قال ابنُ عبّاس[٢].

وقالت أُمُّ الدرداء: دخلَ عليَّ أبو الدرداء مُغضَبًا، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: «والله ما أعرفُ مِن أمرِ أُمّة[٣] محمَّدٍ ﷺ إلّا أنّهم يُصَلُّون جميعًا»[٤].

وقال أنسٌ رضي الله عنه: «إنّكم لَتعمَلون أعمالًا هي أدقُّ في أعيُنِكم من الشَّعر، وإنّا كنّا نَعُدُّها على عهد رسول الله ﷺ من المُوبِقات»[٥]. ورواه الإمامُ أحمدُ من رواية أبي سعيدٍ الخدريِّ[٦].

وقال أنسٌ رضي الله عنه: «ما من شيءٍ كنتُ أعرفُه على عَهدِ رسول الله ﷺ إلّا أصبحتُ له مُنكِرًا، إلّا أنّي أرى شهادتكم هذه ثابتة، فقيل له: يا أبا حمزةَ، فالصلاةُ؟ فقال: قد فُعِل فيها ما قد رأيتم»[٧].

وقال الحسن: «والله لقد رأيتُ سبعين بدريًّا لو رأوا خيارَكم لقالوا: ما لهؤلاء من خَلاق، ولو رأوا شِرارَكُم لقالوا: لا يؤمنُ هؤلاء بيوم الحساب»[٨].

= البهائم، ويُقال: إنهم انقرضوا، والذين هم على تلك الخِلقة ليسوا من أصلهم ولا نسلهم، ولكن خَلقٌ على حدة. انظر: «العين» (٧: ٢٠٠)، و«الصحاح» (٣: ٩٨٣)، و«لسان العرب» (٦: ٢٣١).

(١) انظر: «العزلة» للخطابي (٦٨)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (٢١٩)، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه» (٢: ١١٧).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٢٨)، و«السير» (٣: ٣٤٢).

(٣) «أمة» ليس في (د).

(٤) «صحيح البخاري» (٦٥٠).

(٥) «صحيح البخاري» (٦٤٩٢).

(٦) «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٦٠)، و«مسند أحمد» (١٠٩٩٥).

(٧) انظر: «الكامل في ضعفاء الرجال» (٨: ٩٧).

(٨) انظر: «قوت القلوب» (١: ٤٢٤)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٣٤)، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه» (١١: ٢٨٠).

قيل: إنّه أدركَ ثلاثَ مئةِ صحابي، ورَضعَ من أُمِّ سلمةَ(١) زوجِ النَّبيِّ ﷺ(٢).

ولهذا(٣) كانت عائشةُ رضي الله عنها تقول: «ما رأيتُ أحدًا ألزم للأمر الأوَّل من عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما»(٤).

وكان ابنُ عمر(٥) رضي الله عنهما يقول: «لقيتُ أصحابي على أمر، وإنِّي أخافُ إن خالفتُهم ألّا ألحقَ بهم»(٦).

وقال الأوزاعيّ: «كان السلفُ إذا صدعَ الفجرُ أو قبله كأنّما على رؤوسِهم الطير، مُقبِلين على أنفسهم، حتَّى لو أنّ حميمًا لأحدِهم غاب عنه حينًا ثمَّ قَدِمَ ما التفتَ إليه، فلا يزالون كذلك حتَّى يكون قريبًا من طلوع الشمس، ثمَّ يقومُ بعضُهم إلى بعضٍ فيتحلَّقون، وأوَّلُ ما يُفِيضون فيه أمرُ معادهم وما هم صائرون إليه، ثمَّ يتحلَّقون إلى الفقه والقرآن»(٧).

إذا علِمتَ هذا فيا لله! العجبُ ممَّن ادَّعى أنّ هذه الكيفيّةَ الخبيثةَ كانت في زمن الصدرِ الأوَّل، وهل ذلك إلّا افتراءٌ واختلاق، وهل بقيَ يجوزُ على مَن

---

(١) جاء في «معجم الأدباء» (٣: ١٠٢٤): «أم سلمة هذه ليست أمَّ المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ، تلك أم سلمة بنت أمية بن المغيرة المخزومية، وهذه أمُّ سلمة بنت مطية بن عامر بن كعب بن سلمة، كانت عند زيد بن ثابت».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٤٧)، و«معجم الأدباء» (٣: ١٠٢٤)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٢: ٢٦٩)، و«السير» (٤: ٥٦٥).

(٣) قوله: «ولهذا» مضروب عليه في (د).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١١٠)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٤٥٧).

(٥) في (ل): «عبد الله بن عمر».

(٦) انظر: «سنن سعيد بن منصور» (٢٩٧٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١١٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٦).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ١٨٤)، و«إنارة الفكر» (٩٥).

له أدنى رؤيةٍ أن يعتقدَ ذلك مع ما كانوا عليه من الأعمال والمكابدة، ودرايةِ[١] كلام ربِّهم ويُنكر عليهم ذلك، والصدرُ الأوَّل يَعُدُّون هذه الأعمالَ الصالحةَ [٢٠٠/أ] كلا أعمال.

لعلَّك أيُّها المغرور استروَحتَ إلى قول من احتجَّ بإنشاد حسّانٍ رضي الله عنه[٢]، ومُنافحته عن سيِّد السابقين واللاحقين! إنّ الاستدلالَ بذلك لَمِن أعجب العجب، أوَما علمت أنّ الذبَّ عن سيِّد الأوَّلين والآخرين ﷺ من الأمور المحتومة قولًا وفعلًا، فكان حسان رضي الله عنه ممَّن سِلاحُه لسانُه[٣]، ولَعمري لقد كان قولُه في مُحارِبيه[٤] ﷺ أشدَّ من وَقع[٥] الرِّماحِ وعَضِّ السُّيُوف.

جعلتَ ذلك سلَّمًا إلى قرآن الشيطان ومَنبتِ النفاق ورُقيةِ[٦] الزِّنا، ورتَّبتَ قياسًا ومقدِّماتٍ أنتجَت هذه الخبائث، وصدَّتك عن ذِكرِ الله تعالى، وعن الصلاة، فهل أنت مُنتهٍ.

قال السيِّدُ الجليلُ فُضَيل: «الغناءُ رُقيةُ الزِّنا»[٧]، وقال عمرُ بن عبد العزيز: «بلغني عن الثقات مِن حَمَلة العلم أنّ استماعَ الأغاني واللهَجَ بها يُنبِتُ النفاقَ في القلب كما يُنبِتُ الماءُ العُشبَ»[٨].

---

(١) في (ق) و(د): «ودراسة».

(٢) «صحيح البخاري» (٤٥٣)، و«صحيح مسلم» (٢٤٨٥).

(٣) في (ق): «لسانه سلاحه». (٤) في (د) و(ل): «محاربته».

(٥) في (ق): «دز»، وفي (د): «ذر»، ولعل ما أثبت هو الأنسب للسياق.

(٦) في (د): «وربقة».

(٧) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢: ٢٨٦)، و«تلبيس إبليس» (٢١٠)، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه» (٨: ٤٥٨).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٣: ٣٢)، و«تلبيس إبليس» (٢٠٩-٢١٠)، و«إغاثة اللهفان» (١: ٤٤٢).

ورواه[١] الإمامُ هبة الله حديثًا، ولفظُه: قال رسول الله ﷺ: «**الغناءُ يُنبِتُ النِّفاقَ في القلبِ كما يُنبِتُ الماءُ البقلَ**»[٢].

وقال جابرٌ رضي الله عنه: «الغِناءُ يُنبِتُ النفاقَ في القلب كما يُنبِتُ الماءُ الزرعَ»[٣].

وقال الضحّاك: «الغناءُ مفسَدةٌ للقلب[٤]، مسخَطةٌ للرَّب»[٥].

وأقوالُ العلماء والسلف في ذلك كثيرة، بل[٦] الآياتُ والأخبارُ دالّةٌ على تحريم الغناء، وستأتي إن شاء الله تعالى مع حكايةِ إجماع الأئمّة[٧] على تحريم هذه الكيفيّة، وزيادةِ تبديع القائل بها.

وقد احتجَّ **بعضُهم** على إباحةِ الغناء بحديث عائشةَ رضي الله عنها المُشتمِلِ على زَفْنِ[٨] الحَبشة[٩]، وغناءِ[١٠] الجاريتَين[١١]، وسيأتي الكلامُ عليه إن شاء الله تعالى، ودليلٌ واحدٌ يكفي.

---

(١) في (د) و(ق): «رواه».
(٢) «سنن أبي داود» (٤٩٢٧).
(٣) «شعب الإيمان» (٤٧٤٦)، و«حسن التنبه» (٩: ٢٩٠) مرفوعًا.
(٤) في (ل): «القلب».
(٥) انظر: «تلبيس إبليس» (٢١٠)، و«إغاثة اللهفان» (١: ٤٤٢).
(٦) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.
(٧) في (ل): «الأمة».
(٨) في (ل): «زقن». قال السندي: «زَفْن الحَبَشة؛ بفتح فسكون: الرقص».
(٩) «صحيح البخاري» (٩٥٠)، و«صحيح مسلم» (٨٩٢).
(١٠) في (ل): «وعلى».
(١١) «صحيح البخاري» (٩٤٩).

فمن الآيات: قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]، واللَّغو: الغناء[١]، قاله الضحّاكُ وعِكرِمة، بل قال عطاء: «كلُّ ما يُلهِي»[٢].

ومنها: قولُه تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩-٦١]، أي: تُغَنُّون، قاله مُجاهِد، وابنُ عبّاس[٣].

ومنها: قولُه تعالى في حقِّ إبليس: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وصوتُه الغناءُ والمزامير، قاله مجاهد[٤].

قبَّح الله قومًا جعلوا صوتَ الشيطان دِينًا وعبادة.

ومنها: قولُه تعالى: ﴿شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. [٢٠٠/ب]

ومنها: قولُه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، ولهوُ الحديث هو الغناءُ[٥]، قاله قتادة، وعكرمة، ومجاهد، والحسن، والنَّخعيّ، وابنُ مسعود، وابنُ عبّاس، وابنُ عُمر، رضي الله عنهم[٦]، وكان ابنُ مسعودٍ إذا سُئِلَ عن هذه يقول: هو والله[٧] الذي لا إلهَ إلّا هو الغناء، ثلاثًا[٨].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٧: ٥٢٥).
(٢) انظر: «تفسير القشيري» (٣: ٧٣).
(٣) انظر: «تفسير ابن رجب الحنبلي» (٢: ٣٢١).
(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٧: ٤٩٠)، و«الهداية إلى بلوغ النهاية» (٦: ٤٢٤١)، و«تفسير البغوي» (٥: ١٠٥).
(٥) انظر: «تفسير ابن رجب الحنبلي» (٢: ٣٢١).
(٦) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠: ١٢٧)، و«تفسير ابن كثير» (٦: ٣٣٠-٣٣١).
(٧) كتب في حاشية (ق): «هكذا في النسخة المكتوبة فيها».
(٨) «المستدرك» للحاكم (٣٥٤)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٢١٠٠٣)، و«شعب الإيمان» (٤٧٤٣).

واعلم أنّ القرآنَ طافِحٌ بمثل ذلك، وأمّا الأخبارُ ففي النسائيِّ[١] أنّ امرأةً غنَّت، فقال رسولُ الله ﷺ: «**نَفَخَ الشيطانُ في مَنخَرَيها**»[٢].

وفي كتاب «**المسألة**» للقاضي أبي الطيِّب عن جابرٍ رضي الله عنه، أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «**أوَّلُ مَن ناح وغنَّى إبليسُ**»[٣].

قبَّحَ الله تعالى أقوامًا قُدوَتُهم في ذلك عدوُّ المُوحِّدين.

وفي كتاب «**الرِّسالةِ**» للإمام أبي الحسين بنِ الفرّاء، أنّ أبا هريرة، وجابرًا، وابنَ عمر، وعمرانَ بن حصين، ومعقلَ بن يسار، وأنسَ بن مالكٍ رضي الله عنهم قالوا[٤]: «إنّ رسول الله ﷺ نهى عن الغناء»[٥].

والأخبارُ في ذلك كثيرة، وسنُورِدُ بعضَها فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

واعلم أنّ المرجعَ في كلِّ شيءٍ إلى الكتابِ والسُّنة، ولا التفاتَ إلى غير ذلك، وإن كان الفاعِلُ مشهورًا بالعلم والدين، وقد نصَّ عُلماءُ السلفِ على ذلك، ولهذا قيل للإمام أحمد رحمه الله: الرجلُ الصالحُ يعرف الحديثَ وطُرُقَه ولا يذهب إليه، فقال: لا يُقالُ له: صالحٌ، ولا كرامة[٦]، طاعةُ رسولِ الله ﷺ في كتاب الله عزَّ وجلَّ في ثلاثةٍ وثلاثينَ موضعًا.

---

(١) «السنن الكبرى» للنسائي (٨٩٦٠). (٢) «مسند أحمد» (١٥٧٢٠).

(٣) قال العراقي في «المغني» (٧٥٧): «لم أجد له أصلًا من حديث جابر، وذكره صاحب «الفردوس» من حديث علي بن أبي طالب، ولم يُخرجه ولده في مسنده».

(٤) قوله: «قالوا» مثبت من «إنارة الفكر».

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٨: ٢٢٦)، وضعَّفه العراقي في «تخريج الإحياء»، والمناوي في «التيسير» (٢: ٤٦٨).

(٦) في (ل): «ولكن كرامة».

وقال الربيع: سمعتُ الشافعيَّ وقد سأله رجلٌ عن مسألة، فقال: «رُوِي فيها كذا عن النبيِّ ﷺ، فقال له السائل: يا أبا عبد الله، تقول به؟ فرأيتُ الشافعيَّ رضي الله عنه أُرعِدَ وانتفض، وقال: أيُّ أرضٍ تُقِلُّني، وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني إذا رَويتُ عن رسول الله ﷺ[١] حديثًا فلم أَقُل به؟ **نعم، على السَّمعِ والبصر**»[٢].

وقال عِمرانُ بن حصينٍ رضي الله عنه: «أُنزِلَ القرآن، وسَنَّ رسولُ الله ﷺ السنن، ثمَّ قال: اتَّبِعوا، فوالله إن لم تفعلوا تَضِلُّوا»[٣].

وقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «فعل رسولُ الله كذا، فقال عروة: قد نَهى عن ذلك أبو بكرٍ وعمرُ رضي الله عنهما، فقال ابنُ عبّاس: أراكم ستهلِكون، أقولُ لكم: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكرٍ وعمرُ!»[٤]. [٢٠١/أ]

وفي رواية: قال ابنُ عبّاس: «هذا والله الذي أهلكَكم، والله إنِّي لا أرى الله عزَّ وجلَّ إلّا سيعذبكم؛ أُحَدِّثُكم عن رسول الله ﷺ، وتُحدِّثوني عن أبي بكرٍ وعمرَ!»[٥].

وقال الهيثم: سُئِلَ مالكٌ عن أقوامٍ يبلغهم الحديث، فيقولون: قال الشعبيُّ والتيميُّ، فقال مالِك: يُستتابوا؛ فإن تابوا وإلّا قُتِلوا. والله أعلم.

واعلم أنّك تجد في كلام القوم سؤالًا يَستَحسِنُ جوابَه القائلون بإباحةِ السماع، وقد حصل لهم غفلةٌ عن المعنى الذي عروا[٦] عنه.

---

(١) من هنا وقع سقط في (ل) بمقدار لوحة.

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٨٨)، و«المقفى الكبير» (٥: ٢١٤).

(٣) «مسند أحمد» (١٩٩٩٨).

(٤) انظر: «زاد المعاد» (٢: ١٩١).

(٥) انظر: «زاد المعاد» (٢: ١٩١).

(٦) كذا في «إنارة الفكر»، وفي (ق) و(د): «غزوا».

والسؤال: أنّ الشخصَ منهم يقول: أنا أجدُني عند سماعِ الأشعار في سكونٍ ورِقّةٍ وخشوعٍ وارداتٍ لا أجدها عند سماعِ تِلاوةِ القرآن، ويُجيبون بأجوبةٍ لا غرَضَ لنا في إيرادها؛ لأنّها مَذكورةٌ في كُتبهم.

ويكفي في الجواب عن هذا السؤالِ الغثيث ما تضمّنه السؤالُ مِن الصدِّ عن التلذُّذ بكلام الرحمن، والتلذُّذ بقرآن الشيطان.

ونتبرَّع فنقول: هاهنا دقيقةٌ نفيسة، هي قاعدةٌ كُلِّية مُطَّرِدة في مَوارِدِها، وهي أنّ النفسَ الأمارةَ والشيطانَ الغَوِيَّ من دأبهما الصدُّ عمّا يُحبُّه الله ورسولُه ﷺ، وإيقاعُ الشخص فيما يكرَهه الله ورسوله ﷺ، فإذا وُجِد الشخصُ في هذه المَواطن الصادّة عن ذِكر الله وعن الصلاة تَخلَّيا عنه، عن اذكُر كَذا اذكُر كذا[1]، فإذا شرع فيما لا غَيَّ فيه أقبلا عليه بالمُنازعة، فيبقى معهما في المُحاربة، بخلاف تلك.

وهي فائدةٌ جليلةٌ ينبغي أن يُتنبَّه لها، وأن تُشهرَ[2]، ولهذا كان السلفُ يقولون: «ما تنعَّم المُتنعِّمون بمثل ذِكر الله تعالى»[3].

يا حمَلةَ القرآن، ما زرَع القرآن في قلوبكم؟ لا تجعلوا قلوبَكم أوعيةً للشيطان يُوعِي فيها ما يشاء[4]، والله أعلم.

وممّا كان عليه الصدرُ الأول[5]: ما ذكره عليٌّ رضي الله عنه، قال السُّدِّيّ: قال أبو أراكة: «صلَّيتُ مع عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه الصبح، فلمّا سَلَّمَ انفتل عن يمينه، ثمَّ مكث كأنّ عليه كآبةً، حتَّى إذا كانت الشمسُ على حائط المسجد

---

(١) «كذا» ليس في (ق).

(٢) انظر: «إنارة الفكر» (٩٨-٩٩).

(٣) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (٢٦٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٩٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٢).

(٤) في (ق): «شاء».

(٥) «الأول» ليس في (ق).

قِيدَ رُمحٍ قال - وقد قَلَّب يده - لقد رأيت أصحابَ رسول الله ﷺ، فما أرى اليوم شيئًا يُشبِههم، لقد كانوا يُصبِحون شُعثًا غُبرًا، بين أعينهم أمثالُ رُكَب المعزى، قد باتوا والله سُجَّدًا وقيامًا[1] يتلون كتاب الله عزَّ وجلّ، يُراوِحون/ بين جِباهِهم [٢٠١/ب] وأقدامِهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله عزَّ وجلَّ مادُوا كما تَميد الشجرُ[2] في يوم الريح، وهمَلَت أعينُهم حتى تَبُلَّ ثيابَهم، واللهِ لكأنّ القومَ باتوا غافلين. فما رُؤِيَ مُفتَرًّا يضحك حتَّى طعنه ابنُ ملجم»[3]، والله أعلم.

فتراه عيَّرَهم مع ما هم عليه من أعمالِ الخير بغير مُرَاوحةِ الأقدام في الصلاة، ومُراوحة الجِباه في السجود، مع تِلاوَتِهم كلامَ ربِّهم عزَّ وجلّ! فكيف يَحِلُّ لأحدٍ إعزاءُ مُراوحةِ الأقدام والرؤوس في الرَّقصِ الذي يشبه حركةَ الدواب والمَمسُوس[4] إلى الصدر الأوَّل؟!

والعَجبُ ممَّن يفتري عليهم ذلك، وقد نَصَّ القرآنُ على تَحريم الرَّقص، فقال عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

ولا شكَّ أنّ الرَّقصَ شَمصٌ[5]، ومعه ضربٌ بالكفِّ[6]، وقد ذَمَّ الله عزَّ وجلَّ

(١) قوله: «قد باتوا والله سُجَّدًا وقيامًا» في (د): «قد باتوا قيامًا».
(٢) هنا انتهى السقط في (ل).
(٣) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (١٤٦٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٢: ٤٩٢)، و«البداية والنهاية» (٨: ٦).
(٤) في (د): «والممسوكة»، وفي (ل): «المنتمون».
(٥) شمصَ الدواب: طردها طردًا نشيطًا أو عنيفًا، والتشميص: أن تنخس الدابة حتى تفعل فعل الشموص. انظر: «العين» (٦: ٢٢٧)، و«تهذيب اللغة» (١١: ٢٠٤)، و«الصحاح» (٣: ١٠٤٣)، و«لسان العرب» (٧: ٤٩)، و«القاموس المحيط» (٦٢٢).
(٦) في «إنارة الفكر»: «الكف».

فاعِلِي(١) ذلك في قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥]، وهو ضربُ الكفِّ(٢)، وقد عَلِمت أنّ الرقصَ شَمص، ولا شيءَ أشبهَ بفعلِ المَمسُوسِ(٣) منه.

حاشَى ذوي(٤) الأحلامِ أن يفعلوا ذلك، فضلًا أن يجعلوه قُربة؛ لأنّ ذلك يُخرِج الحُلَماءَ عن سَمتِ الأدب، لا سيَّما عند تحريكِ الرأس مع كِبَرِ اللحية(٥).

قال حُجّةُ الإسلامِ الغزاليّ: «الرقصُ حَماقةٌ بين الكتِفَين لا تزول إلّا بالتعب»(٦).

وذكر ابنُ الجوزيِّ من روايةِ أبي أمامةَ رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ما من رجلٍ يرفع عقيرتَه(٧) بالغناءِ إلّا بعث الله عزَّ وجلَّ شيطانَين يَرتدِفانِه؛**

---

(١) في «إنارة الفكر»: «فاعل».

(٢) انظر: «الوسيط» للواحدي (٢: ٤٥٨)، و«التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي (١: ٣٢٥).

(٣) في (د): «المجوس».

(٤) في (د) و(ل): «ذووِ».

(٥) جاء في حاشية (د): «ذكر في «الكشاف» في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ما صورته: وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذِكرها، ويطرب وينعر ويَصعَق، فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله، ولا يدري ما محبة الله، وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته، إلا أنه تصوَّر في نفسه الخبيثة صورة مُستَملَحة معشقة فسمّاها اللهَ بجهله ودَعارته، ثم صفَّق وطرب ونعر وصَعِقَ على تصوُّرها، وربما رأيت المنيَّ قد ملأ إزار ذلك المحب عند صعقته، وحَمْقَى العامة حواليه قد ملؤوا أردانهم بالدموع؛ لما رقَّقهم من حاله». انتهى.

(٦) في بعض المصادر: «إلا باللعب»، وانظر: «تلبيس إبليس» (٢٣١)، و«تفسير القرطبي» (١٠: ٢٦٣).

(٧) عقيرته؛ بفتح العين وكسر القاف وسكون الياء: فعيلة بمعنى مفعولة، أي: صوته ببكاء أو غناء، قال الأصمعي: «أصله أن رجلًا انعقرت رجله، فرفعها على الأخرى، وجعل يصيح، فصار كل من رفع صوته يُقال: رفع عقيرته، وإن لم يرفع رجله»، قال ثعلب: «وهذا من الأسماء التي استُعمِلت على غير أصلها». انظر: «فتح الباري» (٧: ٢٦٣).

هذا من جانب، وهذا من جانب، فلا يَزالان يَضرِبانه بأرجُلِهما في صدره، حتَّى يكونَ هو الذي يَسكُت»[١].

وقد نصَّ العلماءُ[٢] على أنّ الرقصَ والتواجُدَ أوَّلُ مَن أحدَثَه أصحابُ السامِريِّ؛ لمّا اتَّخذوا لهم عجلًا جسدًا له خُوار، قاموا ورَقَصُوا حوله وتواجَدوا.

قاتل الله عزَّ وجلَّ مَن جعل فِعلَ أصحابِ العِجلِ دِينًا، إنّا لله وإنّا إليه راجعون من هذه المصيبة[٣].

ولمّا خرج نوحٌ عليه السلامُ من السفينةِ وهو تَعِبٌ استظلَّ بجبل، فنام، فانتشرَ عليه ذَكرُه، فنظر إليه حام، فقام وصَفَّق، ولم يُنكِر عليه يافِثُ، فوافَى سامُ فضربَ أخاه وغطّى أباه، فانتبه نوحٌ عليه السلام، فقال[٤]: أمّا أنتَ يا حامُ فشوَّه الله عزَّ وجلَّ خلقَك، وخلقَ أولادك، وجعل أولادَك خَوَلًا لأولاد سام، وجعل له الرئاسةَ [٢٠٢/أ] والمُلكَ عليكم، وزادك الله طرَبًا، ولذرِّيَّتك إلى يوم القيامةِ ونقص عقولَهم[٥].

وأنت يا يافث، فكَثَّر الله عزَّ وجلَّ أولادَك، ومحق خيرَك، وسلبك عقلَك، وحرمك البركةَ[٦] إلى يوم القيامة.

وأمّا أنتَ يا سامُ جعل الله عزَّ وجلَّ فيك البركةَ والنبوّة، والخيرَ والحكمة، والرئاسةَ إلى يوم القيامة.

---

(١) في النسخ: «هو الذي يمسك»، وانظر: «تلبيس إبليس» (٢٠٧-٢٠٨)، و«السماع» لابن القيسراني (٨٧).

(٢) انظر: «زاد المسير» (١: ٦٥)، و«تفسير القرطبي» (١٠: ٣٦٦)، و«حياة الحيوان» (٢: ١٥٤)، و«نظم الدرر» (٨: ٢٦٧).

(٣) انظر: «إنارة الفكر» (٦٣-٦٤).

(٤) في (د) و(ق): «وقال».

(٥) في (د): «عقولكم».

(٦) في (د) و(ق): «الدولة».

وقال عبدُ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «إنّ الله عزَّ وجلَّ أنزل الحقَّ ليُذهِبَ به الباطل، ويُبطِل اللعبَ والزَّفْنَ[١] والزَّمّارات والمَزاهر والكِنّارات»[٢].

رواه القاسِمُ بن سلّام[٣]، وقال: «الزَّفنُ شبيهٌ بالرقص، والكِنّارات[٤] قيل: الدُّفوفُ»[٥]، والله أعلم.

ولعلَّك استروَحتَ إلى حديث عائشةَ رضي الله عنها، وهو: قالت[٦]: دخل عليَّ أبو بكرٍ رضي الله عنه وعندي جاريتان من جَواري[٧] الأنصار تُغنِّيان بما تقاوَلَت[٨] به الأنصارُ يوم بُعاث، قالت: وليستا بمُغنِّيتَين، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أبمَزمُورِ الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر، إنّ لكلِّ قومٍ عيدًا، وهذا عيدُنا**»[٩].

وقالت: «**رأيتُ رسولَ الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون، فاقدُروا قدرَ الجاريةِ العَرِبة الحديثة السنِّ**»[١٠].

---

(١) في (ق): «الدفن» في موضعين.

(٢) في (د) و(ل): «والكبارات»، وانظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٢١٠٠١)، و«شعب الإيمان» (٧: ١١٩).

والكنارات؛ بكسر الكاف، وقيل: بفتحها، وشد النون، وراء مهملة، فإنه يُختلف فيها، فيُقال: إنها العيدان، ويقال: بل الدفوف. وانظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢: ٣٨٨)، و«المحيط» (٢: ٤٦)، و«لسان العرب» (٥: ١٥٢).

(٣) «غريب الحديث» للقاسم بن سلّام (٥: ٣٠٢).

(٤) قوله: «رواه القاسِمُ بنُ سلّام، وقال: الزفنُ شبيه بالرقص، والكنارات» ليس في (د) و(ل).

(٥) «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٥: ٣٠٤).

(٦) في (د): «وهو ما قالت». (٧) في (ل): «جوار».

(٨) في (ق): «تفاولت». (٩) «صحيح البخاري» (٩٥٢)، و«صحيح مسلم» (٨٩٢).

(١٠) «صحيح البخاري» (٤٥٤).

وفي رواية: قالت: «**جاء حَبَشٌ**[١] **يَزفِنون**[٢] **في يوم عيدٍ في المسجد، فدعاني النبيُّ ﷺ، فوضَعتُ رأسي على مَنكِبه، فجعلت أنظر إلى لَعِبهم حتَّى كنتُ أنا الذي أنصرف عن النظر إليهم**»[٣].

وفي رواية: يلعبون بحِرابهم[٤] إذ[٥] دخلَ عُمرُ رضي الله عنه، فأهوى إلى الحَصباءِ يَحصُبُهم بها، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**دعهم يا عمرُ**»[٦]، انتهى.

فالاستدلالُ[٧] بذلك على إباحةِ الرقص المُشتمِل على ما يفعله هؤلاء المبتدِعةُ في غاية العَجب؛ لأنّ ذلك أمرٌ فيه تقويةٌ وتمرينٌ على مُلاقاةِ العدوِّ حتَّى تكونَ كلمةُ الله عزَّ وجلَّ هي العليا.

ولهذا قال العلماءُ: في الحديث جوازُ اللعب بالسلاح ونحوه من آلات الحرب في المسجد[٨]، ويُلحَق به ما في معناه من الأسباب المُعِينة على الجهاد[٩]، وأنت بطبعك تَمُجُّ قولَ مَن[١٠] ألحق بهذا ما هو مُلهٍ[١١] عن ذِكر الله وعن الصلاة،/ وإن [٢٠٢/ب] لم تستحضر ما مرَّ مِن الأدلة وما يأتي.

وأمّا حضورُها رضي الله عنها مع النبي ﷺ ففيه دقيقةٌ حسنةٌ جعلها العلماءُ قاعدةً كُلِّيةً يُمنَع بها الاستدلالُ على جَواز اللعب بالدفِّ والغناء بعد تقرير النبي ﷺ

(١) في (ل): «جيش».
(٢) في (ق): «يرفنون».
(٣) «صحيح مسلم» (٨٩٢).
(٤) «صحيح البخاري» (٤٥٤).
(٥) في (ق) و(ل): «أن».
(٦) «صحيح مسلم» (٨٩٣).
(٧) في (ل): «والاستدلال».
(٨) انظر: «إكمال المعلم» (٣: ٣٠٨)، و«طرح التثريب» (٧: ٥٥).
(٩) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٦: ١٨٤)، و«التوضيح» (٨: ٦٣)، و«فتح الباري» (٢: ٤٤٥).
(١٠) «من» ليس في (د).
(١١) في (ق) و(د) و(ل): «ملهي».

للصدِّيق على قولِه: أبمَزمُور الشيطان، حاشا لله عزَّ وجلَّ أن يكونَ مِزمارُ الشيطان قُربةً وطاعة.

وبعد معرفةِ أنّ الغناءَ رَفعُ الصوت في اللغة[١]، وأنهما ليستا بمُغنِّيَتين؛ أي: الغناءُ ليس من شأنهما، ولا هما معروفتان به، وبعد معرفةِ أنّ هذا الغناءَ إنّما كان في الشجاعةِ والحِذقِ في القتال ونحوه ممّا لا مَفسدةَ فيه كما قاله العلماءُ في معنى الحديث[٢]، بخلاف الغناء المُهيِّج للنفوسِ على الشرِّ وحَملِها على البَطالة والقبيح.

ولهذا قال القاضي عياض: «إنّما كان غناؤُهما من أشعار الحرب، والمُفاخرة بالشجاعة والظهور والغلبة، وهذا لا يُهيِّجُ الجواريَ على شرّ، ولا إنشادُهما لذلك من الغناء المُختلَف فيه، وإنّما هو رفعُ الصوتِ بالإنشاد، لا[٣] تمطيطَ فيه ولا تكسيرَ يُحرِّكُ الساكن ويبعث الكامن، والعربُ تسمِّي الإنشادَ غناءً.

وقد استجازت[٤] الصحابةُ رضي الله عنهم غناءَ العرب الذي هو مُجرَّدُ الإنشاد، وأجازوا الحُداءَ[٥]، وفعلوه بحضرة رسول الله ﷺ، وهذا مثلُه، وليس[٦] بحرام، ولا يجرح الشاهد»[٧]، والله أعلم.

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢: ٥٥٠)، و«إكمال المعلم» (٣: ١٥٨).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» للخطابي (١: ٥٩١)، و«إكمال المعلم» (٣: ٣٠٦)، و«شرح النووي على مسلم» (٦: ١٨٢)، و«فتح الباري» لابن رجب (٨: ٤٣٢).

(٣) في (ل): «ولا».

(٤) في (ق): «استخارت».

(٥) انظر: «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٥: ١٥٤)، و«مطالع الأنوار» (٢: ٢٤١)، و«شرح النووي على مسلم» (٦: ١٨٣).

(٦) في (د): «ليس».

(٧) «إكمال المعلم» (٣: ٣٠٦).

والدقيقة أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ لمّا جاء بهذا الدينِ الحقِّ ليُظهِرَه على الدين كلِّه شقَّ عليهم[١] ذلك مَشقةً عظيمةً؛ إذ لا شيءَ أشدّ على المرءِ مِن[٢] أن يرجعَ عمّا يعتقده دينًا، فكان عليه الصلاةُ والسلامُ يتألَّفُهم، ويدعوهم بسياسةٍ وهبها الله عزَّ وجلَّ له، فتارةً يتألَّفُهم بالكلام، وتارةً يتألَّفُهم بالمال، وتارةً يتألَّفهم بالإغضاء، وتارةً بدفع أعظمِ المَفسدَتَين بالتي هي أهون.

ولهذا كان عليه الصلاةُ والسلامُ يَعلم المُنافِقَ بعينِه وما أُنزِل في حقِّه من النَّكال، فإذا عرف بعضُ أصحابه[٣] ذلك يقول: «دعني أضربْ عنقَ هذا المنافق»[٤]، فيَنهَى عليه الصلاةُ والسلامُ عن ذلك؛ لما في ذلك من مفسدةٍ هي أعظمُ من هذه[٥] حتَّى أكملَ الله عزَّ وجلَّ الدين.

وأنت لو سُئلتَ[٦] اليومَ عن منافقٍ علِمتَ نِفاقَه هل يبقى؟ لقُلت: يُراقُ دمُه، لا نزاع/ في ذلك بين المسلمين، فلهذا تألَّف رسولُ الله ﷺ قلبَ الجاريتَين [٢٠٣/أ] بسكوتِه[٧] على ما هما عليه مع عدم تكليفِهما وإنشادِهما شِعرًا يوم بُعاث، وهي حربٌ جرت بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وكان الظهورُ فيها للأوس؛ لأنّهما كانتا قريبتَي عهدٍ بكُفر، فخشي عليه الصلاةُ والسلامُ أن يزجُرَهما عن ذلك فيقعا[٨] في أمرٍ عظيم، هذه الجزئيةُ[٩] نُقطةٌ في تلك.

---

(١) «عليهم» ليس في (ل).
(٢) في (ق) و(ل): «على المؤمن».
(٣) في (ل): «الصحابة».
(٤) «صحيح البخاري» (٣٠٠٧)، و«صحيح مسلم» (٢٤٩٤).
(٥) قوله: «المنافق، فينهى عليه الصلاةُ والسلامُ عن ذلك؛ لما في ذلك من مفسدةٍ هي أعظمُ من هذه» ليس في (د)
(٦) في (ل): «سألت».
(٧) في (ل): «بشكرته».
(٨) في النسخ: «فيقعان».
(٩) في (د) و(ل): «الجزية».

ومن هذا المعنى قولُه ﷺ لتلك المرأة: «**أوفِ بنَذرِك**»[١]، أعني: ضَربَها بالدُّفّ، وأنت إذا نظرت إلى هذه الدقيقة وأجرَيتَها في كلِّ مَوطنٍ اطَّردَت معك وزالَ عنك اللَّبس.

ثمَّ إذا تتبَّعتَ أحوالَ السلف الصالح، وأحوالَ مَن تأسَّوا بهم وجدتَهم مُكِبِّين على الدأب[٢] فيما ذَكرَه عليٌّ رضي الله عنه وغيره، ولا تجد هذه الكيفيةَ البتّةَ في زمنِهم إلّا أن يضعَه[٣] زِنديقٌ مَعروفٌ عندَ أهل العلم بالوضع.

نعم، نُسِبَ جَماعةٌ من أهل الحجاز[٤] إلى[٥] إباحةِ الغِنَاء فقط لهذَا ـ حديثَ عائشةَ رضي الله عنها ـ.

وأجاب المانعون: بأنّ هذا إنّما كان في الشجاعة على ما مَرّ.

وسُئِلَ مالكٌ رضي الله عنه عن الغناء، وعن تَرخُّص أهل المدينة فيه، فقال: «إنّما يفعله عندنا الفُسّاقُ»[٦].

وقال مَعمر: «لو أنّ رجلًا أخذ بقول أهل المدينة في السماع، يعني: الغناء،

---

(١) «جامع الترمذي» (٣٦٩٠)، و«سنن أبي داود» (٣٣١٢)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة».

(٢) في (ل): «الدوام».

(٣) في (ل): «يصنعه».

(٤) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩: ٧١)، و«شرح النووي على مسلم» (٦: ١٨٢)، و«الكواكب الدراري» (٦: ٦١)، و«التوضيح» (٢٩: ١٦٦).

(٥) «إلى» ليس في (د) و(ق).

(٦) انظر: «تلبيس إبليس» (٢٠٤)، و«مختصر منهاج القاصدين» (١٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (١١: ٣٢٨).

وبقول أهل مكّةَ في المتعة والصرف، وبقول أهل الكوفة في المُسكِر؛ لكان شرَّ عبادِ الله عزَّ وجلّ»[١].

وقال سليمانُ[٢] التيميّ: «لو أخذتَ برُخصة كلِّ عالمٍ لاجتمع فيه الشرُّ كلُّه»[٣].

وهذا قدوتُك يا صوفيُّ السيِّدُ الجليلُ إبراهيمُ بن أدهم يقول: «مَن حمل شاذَّ العلماء حملَ شرًّا عظيمًا»[٤]، لا سيَّما مَنِ اعتمد قول وضّاع فقد ارتكب أمرًا عظيمًا.

قال الحسن: «أهلُ الأهواء -وفي لفظ: أهلُ البدع- بمنزلة اليهود والنصارى»، وفي حديث أبي هريرة، أنه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «**يكون في آخرِ الزمان دجّالون كذّابون، يأتونكم**[٥] **من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيّاكم وإيّاهم، لا يُضِلُّونكم ويفتنونكم**»، أخرجه مُسلِمٌ[٦].

وفي حديث ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، أنّه عليه الصلاةُ والسلام قال: «**يكون بينَ يدَي الساعة دجّالون كذّابون**»، فقالوا: جَلِّهِم[٧] لنا يا رسولَ الله، فقال: «**يأتونكم**[٨]

---

(١) انظر: «الأمر بالمعروف» للخلال (٦٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٩: ٤١٩)، و«المسودة في أصول الفقه» (٥١٩).

(٢) في (ق): «سلمان».

(٣) انظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (١٢: ١١)، و«تذكرة الحفاظ» (١: ١١٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٦: ١٩٨).

(٤) انظر: «ناسخ الحديث ومنسوخه» للأثرم (١٨١)، و«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال (٦٦)، و«الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب البغدادي (٢: ١٥٩) (١٤٨٤).

(٥) في (ل): «يأتوكم».

(٦) «صحيح مسلم» (٧).

(٧) في (ق) و(ل): «حلهم».

(٨) في (ل): «يأتوكم».

[٢٠٣/ب] **بسُنّةٍ غيرِ سُنَّتِكم، فيُبَدِّلون بها سُنَّتَكم/ ودينَكم، فاجتَنِبوهم وعادُوهم»[١].**

وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**مَن وقَّر صاحِبَ بدعةٍ فقد أعان على هَدمِ الإسلام**»[٢]، ذكره الحافِظُ الدَّشتِي[٣] في كتابه «**الردّ على هذه الطائفة**»[٤].

ولمّا ظهرت المقالاتُ بالكوفة ذُكِر ذلك للنخعيّ، فقال: «أوَّه! رقَّقُوا[٥] قولًا، واخترعوا دينًا ليس من كتاب الله ولا من سُنّة رسوله ﷺ، فإيّاكم وإيّاهم، ثمَّ قال: وددتُ أنّي لم أكن تكلَّمت، وإنّ زمانًا صِرتُ فيه فقيهَ الكوفة لَزَمنُ سوء»[٦].

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (١٣٩٠٤)، وفي «صحيح مسلم» (٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم، ولا يفتنونكم».

(٢) «البدع» لابن وضاح (١١٩)، و«معجم ابن الأعرابي» (١٩٥٨)، و«شعب الإيمان» (٩٠١٨).

(٣) في (ق): «الرستي»، وهو: الشيخ المسند أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن بدران، الدَّشْتِي، الكردي، المؤدب الحنبلي، وُلِد بحلب في سنة أربع وثلاثين وست مئة، وسمع من ابن رواحة وابن يعيش، وابن خليل، والنفيسي بن رواحة، وصفيّة القرشية، وابن الصلاح، والضياء، وغيرهم، وتوفي في عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة بدمشق، وله ثمانون سنة.

وانظر ترجمته في: «المعجم المختص بالمحدثين» (٣٦)، و«أعيان العصر» (١: ٣٥٠)، و«ذيل التقييد» (١: ٣٩٣)، و«الدرر الكامنة» (١: ٣٤٦).

(٤) «جامع الورع وقامع البدع» لأبي بكر الدشتي (١٩٣-٢١٣).

(٥) في (د): «دققوا».

(٦) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٤: ٢٢٣)، و«ذم الكلام» (٥: ٥٤)، و«سير السلف» (٦٩٧)، و«جمع الجيوش والدساكر» (٣١).

هذا قولُه في خير القرون، فكيف بزماننا هذا الذي هو في شرِّ القرون؛ لأنّهُ ماتَ سنةَ ستٍّ(١) وتسعين(٢)!

ثُمَّ مَن قلَّد مَن(٣) ليس من أهل هذا الشَّأنِ فقد ارتكب أمرًا عظيمًا، وخالَفَ كلامَ ربِّ العالمين، قال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، والآياتُ والأحاديثُ والآثارُ مثلُ(٤) ذَلكَ(٥) كثيرةٌ(٦) جدًّا، وفِيما ذكرناهُ كفايةٌ لمَن كان له قلبٌ أو ألقى السمع، والله أعلمُ.

واعلم(٧) رحمَك الله تعالى وإيّانا، وهدانا وإيّاك إلى طرقه المحمودة، أنّ في بعضِ ما ذكرناهُ كفايةٌ كما مَرّ، ومع ذلك فنتبرَّع ونذكر ما ذكره النَّقَلةُ عن الأئمة؛ ليكونَ ذلك دِعامةً(٨) لما ذكرنا ونقتصد.

قال القاضي أبو الطيِّب: «إنّ اعتقادَ هذه الطائفةِ مُخالِفٌ لإجماع المسلمين؛ فإنّه ليس فيهم مَن جعله دينًا ولا طاعةً»(٩)، بل قال الشافعيّ: «مَن تكلَّم بكلامٍ في الدين أو في شيءٍ من هذه الأحوال ليس له فيه إمامٌ مُتقَدِّمٌ من النبيِّ ﷺ وأصحابه فقد أحدث في الإسلام حدثًا»(١٠).

---

(١) في (ل): «ستة».

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ٢٨٤)، و«التاريخ الكبير» (١: ٣٣٣)، و«رجال صحيح البخاري» للكلاباذي (١: ٦٠).

(٣) في (ق) و(ل): «ما».

(٤) في (ق) و(ل): «بمثل».

(٥) «ذلك» ليس في (ق).

(٦) في (ق): «كثير».

(٧) في (د): «اعلم».

(٨) في (ل): «عامة».

(٩) انظر: «مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي» (٢: ٤٦٢).

(١٠) انظر: «صون المنطق والكلام» (١٥٠).

وقد قال عليه الصلاةُ والسلام: «**مَن أحدثَ حَدَثًا، أو آوى مُحدِثًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله عزَّ وجلَّ منه صَرفًا ولا عَدلًا**»(١).

وقال في موضع آخر: «إنّ اعتقادَ هذه الطائفة مُخالِفٌ لإجماع المسلمين، ولا نعلم خلافًا في المنع من ذلك إلّا ما رُوِيَ عن عُبَيد الله بن الحسن العنبريِّ»(٢).

قال القاضي أبو بكر: «ويجب تكفيرُه؛ لقولِه: كلُّ مُجتَهِدٍ مُصيبٌ من أهل الأديان»(٣).

وما نُقل عن عليٍّ الكرديِّ عن السُّلَميِّ، أنّ الشافعيَّ نقل الإباحةَ عن أهل المدينة فهو كذِبٌ؛ لأنّ الكرديَّ وشيخَه نُسِبا إلى الكذب.

وكذلك ما رواه ابنُ طاهرٍ(٤)، أنّ الشافعيَّ مَرَّ بدار قومٍ وجاريةٌ تُغنِّيهم(٥):

---

(١) «صحيح البخاري» (٣١٧٩)، وانظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٣٣٥-٣٣٦)، و«الانتصار لأصحاب الحديث» (٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٧١).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤: ٥٥)، و«تحريم الغناء والسماع» للطرطوشي (١٤٢).

(٣) انظر: «إنارة الفكر» (١٠٢).

(٤) هو: أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي، الحافظ، الشيباني، المعروف بابن القيسراني؛ ولد في السادس من شوال سنة ثمانٍ وأربعين وأربع مئة، ببيت المقدس، وكان أحد الرحّالين في طلب الحديث، سمع بالحجاز والشام ومصر والثغور وغيرها، واستوطن همذان وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث، تُوفي عند قدومه من الحج يوم الجمعة لليلتَين بقيتا من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمس مئة ببغداد، ودفن في المقبرة العتيقة بالجانب الغربي.

انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٤: ٢٨٧)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٢: ٢٤٧)، و«طبقات علماء الحديث» (٤: ١٣)، و«الوافي بالوفيات» (٣: ١٣٩).

(٥) البيت من الطويل، وهو لعمر بن أبي ربيعة، ونصه: =

خَلِيلَــيَّ مــا بـــالُ المَطايــا

فسمع، وقال لصاحبه: أيُطرِبُك هذا؟ فقال: لا،/ فقال: ما لك حِسٌّ[١]. فهو [٢٠٤/أ] كذِبٌ عليه[٢]، والله أعلم.

قلت: هذا ابنُ طاهرٍ خبيثٌ دجّال، صنَّف في هذا الشأن كتابًا اشتمل على خبائثَ من الكذب[٣]، حتى عزا ما هو مُجمَعٌ على تحريمِه إلى أئمّة الهدى، منهم: الشيخُ أبو[٤] إسحاقَ الشيرازيّ، والشافعيّ، وغيرُهما، وتجاسَرَ حتَّى كذب على سيِّدِ الأوَّلين والآخرين مُحمَّدٍ ﷺ.

وقد قال القاضي أبو بكرِ بنُ المُظفَّر الشّاميُّ[٥]: «لا يجوزُ الغناءُ ولا استماعُه،

= خَلِيلَــيَّ مــا بـــالُ المَطايــا كَأنَّنــا نَراهــا علَـى الأدبـارِ بالقَـومِ تَنكِـصُ

انظر: «زهر الآداب وثمر الألباب» (٢: ٥٥٣)، و«السماع» لابن القيسراني (٤٧)، و«نهاية الأرب في فنون الأدب» (٤: ١٩٤)، وقد نسب الذهبي في «تاريخه» (٥ : ٤٧٩) هذا البيت لعبيد الله بن قيس الرُّقَيات العامري.

(١) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٢١٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٩٩).

(٢) قال ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (٢١٥): «وهذا مُحال على الشافعي رضي الله عنه، وفي الرواية مجهولون، وابن طاهر لا يُوثَق به، وقد كان الشافعي رضي الله عنه أجل من هذا كله، ويدل على صحة ما ذكرناه: ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري قال أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فإن أصحاب الشافعي قالوا: لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة، قال: وقال الشافعي: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته: ثم غلظ القول فيه؛ فقال: وهو دياثة».

(٣) في (ل): «الكتب».

(٤) في (ق): «أبي».

(٥) هو: محمد بن المظفر بن بكران، أبو بكر الشامي، الحموي، فقيه، قاضي القضاة، وُلِد سنة أربع مئة، وحج في سنة سبع عشرة وأربع مئة، وتفقَّه ببلده بعد حجه، ثم قَدِم إلى بغداد فتفقه على أبي الطيب الطبري، وسمع من أبي القاسم بن بشران، وغيره، وصنف كتابًا بعنوان: «البيان في =

ومَن أضاف ذلك إلى الشافعيِّ فقد كذب، واللهُ حسِيبُه»[١].

ولقد كـان ابنُ مَسعودٍ وأصحابُه علقمة، والأسود، وزِرّ، ووائل، وشُرَيحٌ[٢] بالكوفة يأخذون الدفوفَ والمزاميرَ والطبولَ الصغارَ من أيدي الغِلمان والجواري الصـغار، فيكسرونها، ويَشقُّون رُقوقَها، ولا يُمَكِّنون مـن إظهارها فـي الأسواق والدروب والبيوت؛ اتِّباعًا منهم لقولِه عليه الصلاةُ والسلام: «**بُعِثتُ بمَحقِ المزامير والطنابير والكُوبة**»[٣].

ورأى زُبَيدٌ الياميُّ غلامًا معه زَمّارةُ[٤] قَصَب، فأخذها وشقَّها[٥]، وقال: لا ينبغي هذا. ورأى امرأةً ومعها[٦] دُفٌّ فأخذه وكسره.

وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن الطَّبل والمِزمار، ونهى عن كسب زَمّارة[٧].

وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**يُمسَخُ ناسٌ من أمَّتي في آخر الزمان قِردةً وخنازيرَ**»، قالوا: يا رسولَ الله، أليس يشهدون أن لا إلهَ إلّا الله وأنّك رسولُ الله؟

= أصول الدين»، وتوفي سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة، وقد قارب التسعين سنة.
انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٧ : ٢٧)، و«طبقات الفقهاء الشافعية» لابن الصلاح (١ : ٢٦٨)، و«مرآة الزمان» (١٩ : ٤٧٧).

(١) في (ق): «حسبه»، وانظر: «تلبيس إبليس» (٢٠٦).

(٢) كذا في (د) و(ل): «وشريح»، وفي (ق): «وسريج».

(٣) «مسند أحمد» (٢٢٢١٨)، و«مسند أبي داود الطيالسي» (١٢٣٠)، و«المعجم الكبير» (٧٨٠٣)، و«ذم الملاهي» لابن أبي الدنيا (٦٩)، وانظر: «العلل المتناهية» (٢: ٢٩٨) (١٣٠٨)، و«تنقيح التحقيق» (٢: ١٢٥) (٥٣٣)، و«مجمع الزوائد» (٥: ٦٩) (٨١٧٩).

(٤) في (ل): «مادة».

(٥) انظر: «الأمر بالمعروف» للخلال (٦٧).

(٦) في (د): «معها».

(٧) انظر: «الأمر بالمعروف» للخلال (٦٧).

فقال: «**بلى، ولكنَّهم اتَّخذوا المعازف**[١] **والقَينات والدفوف، فباتوا على لَهوِهم ولَعِبهم، فأصبحوا وقد مُسِخوا قِردةً وخنازيرَ**»[٢].

وفي رواية: «**لَيَشربَنَّ ناسٌ من أمَّتي الخمر، يسمُّونها بغير اسمها، وتضربُ على رؤوسهم المعازِف، ويَخسِفُ الله عزَّ وجلَّ بهم الأرض، ويجعل منهم**[٣] **القردةَ والخنازيرَ**»[٤].

وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**مَن جلس إلى قَينة**[٥] **يَستمِعُ منها صُبَّ في أذُنَيه**[٦] **الآنُكُ**»[٧]، وهو: الرَّصاصُ المُذابُ[٨]، والله أعلم.

وقال الإمامُ أبو بكرٍ الطَّرطُوشيُّ المالكيّ: «وهذه الطائفةُ خالفت جماعةَ المسلمين؛ لأنّهم جعلوا الغناءَ دِينًا وطاعة، وليس في الأمّة مَن رأى هذا الرأيَ»[٩].

---

(١) في (ل): «المزامير».

(٢) «حلية الأولياء» (٣: ١١٩)، وانظر: «صحيح البخاري» (٥٥٩٠).

(٣) في (د): «فيهم».

(٤) «سنن أبي داود» (٣٦٨٨)، و«المجتبى» (٥٧٠٤)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٢٠).

(٥) القينة: هي الأمة المغنية. انظر: «لسان العرب» (١٣: ٣١٥)، و«القاموس» (٤: ٢٦٢).

(٦) في (ق): «أذنه».

(٧) «المحلى» (٧: ٥٦٢)، و«ذم الملاهي» لابن عساكر (٨)، قال الإمام أحمد: «هذا حديث باطل»، وقال الإمام ابن حزم: «هذا حديث موضوع مركب فضيحة، ما عُرف قط من طريق أنس، ولا من رواية ابن المنكدر، ولا من حديث مالك، ولا من جهة ابن المبارك، وكل مَن دون ابن المبارك إلى ابن شعبان مجهولون». انظر: «العلل ومعرفة الرجال» (٢٥٥)، و«الأحكام الوسطى» (٤: ٢٤٤)، و«العلل المتناهية» (٢: ٣٠٠) (١٣١١)، و«المنتخب من علل الخلال» (٤٢).

(٨) انظر: «المحكم» (٧: ٩١)، و«النهاية في غريب الحديث» (١: ٧٧)، و«لسان العرب» (١٠: ٣٩٤)، و«المصباح المنير» (١: ٢٦).

(٩) انظر: «إنارة الفكر» (١٠٤).

وقال القاضي أبو بكر: «وكان مالكٌ ينهى عن الغناءِ واستماعه، وسُئِل عمّا يَترخَّصُ فيه أهلُ المدينة من الغناء، فقال: إنّما يفعله عندنا الفُسّاقُ»[١].

[٢٠٤/ب] وما نُقِلَ عن مالكٍ أنّه سُئِلَ عن السماع فقال: أهلُ العلم ببلدنا لا يقعدون عنه ولا يُنكِرونه، فهو من كذبِ المُلحِدين[٢].

قال الدُّرُستيُّ[٣]: بلغَني ذلك عن مُصعب، وما نقله ابنُ طاهرٍ المقدسيُّ[٤] عن الإمامِ مالكٍ وغيره من فقهاءِ المدينة فهو كذب[٥].

ومن جملة افترائه على الإمام مالكٍ وغيره أنّهُ[٦] قال: كان معهم دفوفٌ وعيدانٌ ومعازفُ يُغنُّون ويلعبون، ومع مالكٍ دُفٌّ مُربَّع، وهو يغنِّي[٧]:

سُـلَيمَى أزمَعَـت بَينا[٨] وأيـنَ لِقاؤُهــا أينــا

وهو زورٌ وباطل، قاتَلَه الله أنّى يُؤفَك[٩]، والله أعلم.

---

(١) انظر: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» للخلال (٩٩).

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» (١٤: ٥٥): «ذكر أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال: أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه، وقال: إذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له رَدُّها بالعيب، وهو مذهب سائر أهل المدينة، إلا إبراهيم بن سعد فإنه حكى عنه زكريا الساجي أنه كان لا يرى به بأسًا.

وقال ابن خويز منداد: فأما مالك فيقال عنه: إنه كان عالمًا بالصناعة، وكان مذهبه تحريمها».

(٣) في (ل): «الدارستي».

(٤) «السماع» لابن القيسراني (٤٦).

(٥) «صفوة التصوف» لابن طاهر المقدسي (١٣٥).

(٦) «أنه» ليس في (ق).

(٧) البيت من مجزوء الوافر، وهو لعروة بن أذينة. وانظر: «العقد الفريد» (٧: ١٣)، و«تاريخ بغداد» (١٥: ١١)، و«مرآة الزمان» (١٠: ١٥٦)، و«نهاية الأرب» (٤: ٢٢٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ٤٧٩).

(٨) في (ل): «بمنى».

(٩) انظر: «مسألة السماع» لابن القيم (٢٩٧-٢٩٨).

وقال الإمامُ أبو الليث السمرقنديُّ الحنفي في غير موضِع: «الدلالةُ على تحريم السماع والغناء والرقص وغيرها[١] من اللهو: الكتابُ والسنّةُ وإجماعُ الأمّة»[٢].

قال الدامغاني: «كان أبو حنيفةَ يُغلِّظُ في التَّغبير[٣]، وشدَّد القولَ فيه».

قال القاضي أبو الطيِّب: «وكان الإمامُ أبو حنيفةَ رضي الله عنه يجعل الغناءَ من الذنوب، مع إباحته النبيذَ»[٤].

قال[٥]: «وكذلك سائرُ أهل الكوفة وأهل البصرة، ولا نعرفُ خِلافًا في المنع من ذلك»[٦]، والله أعلم.

وقال أبو المحاسن الحرّانيُّ الحنبليُّ في غير موضع: «إنّ الكتابَ والسنّةَ والإجماعَ مُنعقِدٌ على تحريمِ الغناء، ولفظُه بعد ذِكر الأدلة: فهذه آياتُ القرآنِ وأخبارُ رسول الله ﷺ، وآثارُ الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وأقوالُ أئمّة الإسلام، فقد صار تحريمُه إجماعًا منعقِدًا، فمَن خالَف فقد خرج عن الإجماع،

---

(١) في (د): «وغيرهما».

(٢) انظر: «إنارة الفكر» (١٠٥).

(٣) في (ل): «التعبير»، وموضعها كلمة غير واضحة في (د)، والتغبير: صوت يردَّد بقراءة وغيرها، والمغبرة: قوم يغبِّرون بذِكر الله، أي يهلِّلون ويردِّدون الصوت بالقراءة وغيرها، سُمُّوا بها لأنهم يُرَغِّبون الناس في الغابرة، أي: الباقية.
انظر: «جمهرة اللغة» (١: ٣٢١)، و«التكملة والذيل» (٣: ١٣٥)، و«لسان العرب» (٥: ٥)، و«تاج العروس» (١٣: ١٩٥).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢: ٢٦٩)، و«تفسير القرطبي» (١٤: ٥٥)، و«مطالع الدقائق» للإسنوي (١: ٣١٠).

(٥) «قال» ليس في (ل).

(٦) انظر: «تلبيس إبليس» (٢٠٥)، و«عقود الجواهر المنيفة» (٢: ١٧٦).

وفارَق الجماعة، ومات ميتةً جاهليّة، واتَّبعَ غيرَ سبيل المؤمنين: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]»، والله أعلم.

وقال القاضي أبو الحسين في كتابه «**ذمّ الرّقصِ**[١] **والسَّماعِ**» والرَّدِّ على هذه الطّائفةِ: «وقد أكذَبَهم الكتابُ والسنّةُ وأقاويلُ الصحابة والتابعين، وصالِحو هذه الأمّة، وقد نصَّ الإمامُ أحمدُ على تحريم الغناء في غير موضع».

قال المُتطَبِّب: سألتُ الإمامَ أحمدَ عن القصائد؟ فقال: «بدعة، وقال: الغناءُ يُنبِتُ النفاقَ في القلب»[٢].

وما نقله ابنُ طاهر عن الإمام أحمدَ في استماعه إلى ابنِ الخبّازة وهو ينشد القصائد، ففي سنده ظُلمة[٣]؛ لأنّ منهم: مُحمَّدُ بن الحسين الصوفيّ، وهو كذّاب، وكان يضع[٤] للصوفيّة الأحاديث، والله أعلم.

وقال الإمامُ أبو الفرج عبدُ الرحمن بن عليّ: «أمّا[٥] مَذهبُ أحمدَ فإنّه[٦] كان الغناءُ في زمانه إنشادَ قصائد الزهد، إلّا أنّهم لمّا[٧] كانوا يُلحِّنونها [٢٠٥/أ] اختلفت الروايةُ عنه؛ فروى عنه ابنُه عبدُ الله أنه قال: «الغناءُ يُنبِتُ النفاقَ في القلب، ولا يُعجِبني»[٨].

---

(١) في (ق): «الرفض».

(٢) «مسائل عبد الله» (١١٧٥)، و«العلل» (١٥٩٧)، و«المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين» (٣: ٩٨).

(٣) انظر: «تلبيس إبليس» (٢١٧).

(٤) في حاشية (د): «يصنع».

(٥) في (ل): «إمام».

(٦) في (ل): «فإن».

(٧) في (ل): «إلا لما أنهم».

(٨) «مسائل عبد الله» (١١٧٥).

وروى عنه إسماعيلُ بن إسحاقَ الثقفيّ، أنّه «سُئِلَ عن استماع القصائِد، فقال: هو بدعة، ولا يُجالَسون»[١].

وقال الإمامُ الحافِظُ أبو بكرٍ الأثرم: سمعت الإمامَ أحمدَ يقول: «التغبيرُ[٢] مُحدَثٌ»[٣].

قال بعض مُحقِّقي أصحاب الإمام أحمد: وعلى تقدير ثبوت سماع الإمام أحمدَ رحمه الله تعالى قصائدَ الزهد، أو[٤] عدمِ إنكارِه على ابنه صالِح، هو مَحمولٌ على إنشادها بغير تلحين[٥].

ويدلُّ على ما قلت: أنّ الإمامَ أحمدَ سُئِلَ عن رجلٍ مات وخلَّف ولدًا وجاريةً مُغنِّية، فاحتاج الصبيُّ إلى بَيعِها؟ فقال: «تُباع ساذجةً[٦] غيرَ مُغنِّية، فقيل: إنّها تساوي مع الغناء ثلاثين ألفًا، ولعلَّ إن بيعَت ساذجةً تُساوي عشرين دينارًا؟ فقال: لا تُباع إلّا ساذجة»[٧].

قال ابنُ عقيل: «وهو فقهٌ حَسَنٌ من أحمدَ؛ لأنّ الغناءَ في الجارية كالتالِف في آلة اللهو، وهو لا يُقوَّمُ في الغصب؛ فإنّه لو غصب جاريةً مُغنِّيةً فنَسِيَتِ الغناءَ لم يَغرَم».

---

(١) «الأمر بالمعروف» للخلال (١٨٥-١٨٦)، و«تلبيس إبليس» (٢٠٣)، و«الأمر بالاتباع» للسيوطي (١٠٢).

(٢) في (ق) و(ل): «التعبير».

(٣) انظر: «تلبيس إبليس» (٢٠٣).

(٤) في (د): «و».

(٥) انظر: «إنارة الفكر» (١٠٨).

(٦) في (د): «سادجة» في الموضعين.

(٧) انظر: «مناقب الإمام أحمد» (٨١).

وهذا دليلٌ على أنّ الغناءَ مَحظور؛ إذ لو لم يكن[١] محظورًا لَما جاز أن يُفَوِّتَ المالَ على اليتيم[٢].

وصار[٣] هذا كقول أبي طلحةَ رضي الله عنه للنبيِّ ﷺ: عندي خمرٌ لأيتام؟ فقال: «**أرِقها**»[٤]، فلو جاز استصلاحُها لَما أمرَه بتضييع مالِ اليتامى[٥].

قال مَكحول: «من مات وعنده مُغنِّيةٌ لم يُصَلَّ عليه»[٦]، والله أعلم.

وقد علمتَ رحمك الله تعالى ممّا مرَّ أنّ التغبيرَ[٧] ممّا أحدثَتْهُ الزنادقة، وهو: إنشادُ القصائد المُزهِّدةِ في الدنيا، المُرغِّبة في الآخرة؛ ليُصَدَّ بها عن تلاوةِ القرآن، وعن الصلاة، فكيف يكون القولُ فيمن أحدث الأشعارَ المُشتمِلةَ على الصدورِ[٨] والنُّهود، وعقاربِ الخدود، والغزلِ الذي يُشبِهُ السِّحر، ومع ذلك فقد علمت نَهيَهُم عن استماعه بالتلحين.

وأمّا الأشعارُ المُشتمِلةُ على هذه الأنواع المُلهِيةِ فلا نزاعَ عندهم في المنعِ منها، فكيف إذا أُضِيف إليها مِزمارُ الشيطان، وهو[٩] الدُّفّ، وكذا إذا أُضيفَ

---

(١) قوله: «إذ لو لم يكن» في (ل): «إذا لم يكن».

(٢) قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١: ٤١٠): «ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوَّت هذا المال على الأيتام».

(٣) في (ل): «فصار».

(٤) «سنن أبي داود» (٣٦٧٥). وانظر: «صحيح البخاري» (٤٦٢٠)، و«صحيح مسلم» (١٩٨٠).

(٥) في (ق): «اليتيم»، وانظر: «تلبيس إبليس» (٢٠٤)، و«تفسير القرطبي» (١٤: ٥٦).

(٦) انظر: «الأمر بالمعروف» للخلال (٦٦).

(٧) في (ق) و(ل): «التعيير»، وقوله: «ممّا مرَّ أنَّ التغبير» ليس في (د).

(٨) في (ق) و(د): «الصدود».

(٩) في (د): «وهي».

إليهم[١] الشَّبّابةُ[٢] أو[٣] المَواصيل، وكان الحادي فاسِقًا، وربَّما كان على حالةٍ[٤] يكرهها الله ورسولُه ﷺ، ومع أمورٍ أُخَرَ لا نذكرها؛ لأنّ الإجماعَ وقع على تحريم هذه الكيفية بدونها، لا يختلف في ذلك أحدٌ من العلماء الذين إجماعُهم حُجّة، وهذا الإجماعُ بعد اختلافهم في مفردات هذه الأمور؛ لأنّ [٢٠٥/ب] الاختِلافَ حادِثٌ بين النُّظّارِ من[٥] الفقهاء[٦].

وأمّا الصدرُ الأولُ فلا تجدُ عندهم خلافًا في منع كلِّ واحدٍ منها على انفراده، ولهذا كان عمرُ رضي الله عنه إذا سمعَ الدّفَّ ـ وهو: الغِربالُ الذي يُشبِهُ صوتُه صوتَ البعير ـ أعمل الدِّرّة، إلّا أن يكون ثَمَّ عُرس، ويسكُتُ الصحابةُ رضي الله عنهم[٧] على ذلك، فهو إجماعٌ منهم.

ومعلوم أنّ الضربَ بالدِّرّةِ فيه أذًى، وهو حرامٌ بالإجماع، فلولا اعتقادُهم المنعَ من ذلك لما سكتوا له، رضي الله عنهم.

ومن المعلوم أنّهم كانوا يُنكِرون عليه حتّى الأمورَ التي هي[٨] دون ذلك، ألا ترى أنّه لمّا طلع على المنبر، وقال[٩]: «يا أيُّها الناس، ألا تسمعون؟ فقال سلمانُ الفارسيّ: لا نسمع، فقال عمر: ولِمَ؟ فقال: إنّك قسمتَ علينا ثوبًا ثوبًا[١٠]،

(١) في (ل): «إليهما».

(٢) الشَّبّابة: هي اليراع، وقيل: هي الزمارة، واختلف الفقهاء في تحريمها، والصحيح الذي عليه الجمهور: أنها مُحَرَّمة، إلّا ما نُقِل عن بعضهم: أنها جائزة. انظر: «شرح المشكاة» للطيبي (١٠: ٣١١١)، و«كف الرعاع» (١١٢-١١٣)، و«مرقاة المفاتيح» (٧: ٣٠٢٤).

(٣) في (ل): «و».

(٤) كذا في (ل)، وفي (ق): «حال».

(٥) في (د): «ومن».

(٦) انظر: «إغاثة اللهفان» (١: ٤٠٧).

(٧) في (د): «رضي الله عنهم عنه».

(٨) «هي» ليس في (ل).

(٩) في (ل): «قال».

(١٠) «ثوبًا» ليس في (د).

وعليكَ ثوبان، فقال عمر: لا تعجلْ، ثمَّ نادى: يا عبدَ الله، فلم يُجِبه أحد، فقال: يا عبدَ الله بنَ عُمر، فقال: لبَّيك، فقال: أنشُدُك الله عزَّ وجلَّ، الثوبُ الذي ائتزرتُ به أهو لك؟ فقال: اللهمَّ نعم، فقال سلمان: الآن قُل نسمع»[1].

ولا شكَّ أنّ أمرَ عمرَ رضي الله عنه من أمر الله عزَّ وجلّ؛ لقوله عليه الصلاةُ والسلام: «**اقتَدُوا باللذين**[2] **مِن بعدي أبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما**»[3]، ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

واللهُ الغَفورُ التوّاب، وإليه المَرجِعُ والمآب، والله أعلمُ بالصواب.

---

(١) في (ل): «تسمع»، وانظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١: ٥٥)، و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (٢: ٥٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٠٣-٢٠٤).

(٢) في (ل): «بالدين».

(٣) «جامع الترمذي» (٣٨٠٥)، و«سنن ابن ماجه» (٩٧)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه»، وانظر: «إنارة الفكر» (١١٠).

نكتة عجيبة

إنّك[١] أيُّها الطالِبُ الأريبُ والسالِكُ اللبيبُ إذا نظرت في هذا الخَلق وجدت عجبًا، وهو إقبالُهم على هذه الغِرارة التي وصفَها الله عزَّ وجلَّ بما وصف[٢] به إبليس، حتَّى لو فقد أحدُهم نَعلًا وجدَ لهُ مَشقّةً شديدةً حتَّى لا يَسعَه إلّا أن يَشكو، ويجد لشِكايته أعوانًا كثيرين يأسَفون[٣] لأسَفِه، ويحزنون[٤] لحُزنه، ولا ترى أحدًا منهم يحزن ولا يأسَفُ لما فاته من زمانه، وتضييع أوقات المُجالسات مع الكرام الكَتَبة، ومجالسة الصحابةِ والمُنعَم عليهم، بل لا يخطُر له: «**أنا جَليسُ مَن ذَكَرني**»[٥].

وربَّما تنعَّم هذا الجالِسُ[٦] بمُجالَسةِ مَن حارب الله عزَّ وجلَّ ورسوله، وأيُّ شيءٍ أعجبُ من هذا؟!

بل ترى الشخصَ يَدفع إلى البيّاع درهمًا، فيَنقُصه حبّةً فيَشُقُّ عليه ذلك [٢٠٦/أ] ويقاوِلُه، بل يتخاصمان حتَّى يقعَ منهما من الكلام السيِّئ ما لو أُعطِيَ طالبُ الآخرةِ ألوفًا مُؤلَّفةً ما نطق بكلمةٍ من ذلك.

---

(١) «إنك» ليس في (د).

(٢) في (د): «وصفت».

(٣) في (ق): «يأسفوا».

(٤) في (ق): «ويحزنون».

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢٢٤)، و«الزهد» لأحمد بن حنبل (٣٥٤)، و«الزهد» لابن أبي عاصم (١١١).

(٦) في (د) و(ل): «الخائس».

وترى هذا الجَرِبَ القلبِ يُصلِّي الصلاةَ ينقُرُها نقرًا، وعلى تقديرِ عدم نَقرِها تراه يخرج منها، ولقد لُفَّت كما يُلَفُّ الثوبُ ويُطرَشُ بها وجهُه، وهي سببُ سعادةِ الدارَين، ولا يأسَفُ على تضييعِها، فأيُّ عجيبةٍ أعجبُ ممَّن هذه صِفتُه وهذا دأبُه؟

لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله من هذه الغفلة، ومن خسارة هذه الصفقة، والله أعلم.

واعلـم يا أيُّها الواقِفُ علـى هـذه الورقات، وفَّقنا الله عزَّ وجـلَّ وإيّاك إلى الرغبات في الخيرات، أنّك إذا تصفَّحتها وتدبَّرتها لتعمَلَ[1] بما تضمَّنَته أو ببعضه، أغنَتك عن مجالسة كلِّ شيخٍ مُرَبٍّ[2]، وإيّاكَ[3] ثمَّ إيّاك أن تتَّخِذَ ذلك لتعلمَ لا لتعمَل، وربَّما حلا لك نثرُ ما علِمتَ منها، فانعطفَ عليك مِن وجدِ حلاوة ألفاظ هؤلاء[4] السادةِ المذكورين، فرغِبتَ لذلك في حِفظ الألفاظ، ودسَّ عليك انتفاعُ السامع، فهذا لَعَمري هو السمُّ الناقِع؛ لأنّك حينئذٍ دخلتَ في سِلكِ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، وحينئذٍ فلا يُؤمَنُ عليك أن تندَلِقَ أقتابُ بطنكَ في جهنَّم، عافانا الله عزَّ وجلَّ من ذلك، والله أعلم.



(١) في (ق): «لتعلم».

(٢) في (ل): «يرب».

(٣) «وإياك» ليس في (د).

(٤) في (د) و(ل): «هذه».

خاتمة

في «**الصحيحَين**»[١] من روايةِ ابنِ مَسعودٍ رضي الله عنه: «**إنّ أحدَكم لَيَعمَلُ بعمل أهل الجنّة، حتَّى ما يكونُ بينه وبينها إلّا ذِراع، فيَسبِقُ عليه الكتاب، فيعملُ بعملِ أهلِ النار فيَدخُلُها**».

وفي رواية: «**لَيَعمَلُ بعمَلِ أهلِ الجَنة فيما يَبدُو للنّاس**»[٢]، وفي هذه الرواية إشارةٌ إلى أنّ العملَ المَشُوبَ يكونُ سببًا للخلود في النار، فعليكَ بتحقيقِ الإخلاصِ في الطاعات، ومع الإخلاص فاحذَر أن تعتمِدَ في السلامة على العمل؛ فإنّه لا يُغنِي عنك شيئًا.

ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يقول: «**والله، إنّي لَرسولُ الله، وما أدري**[٣] **ما يُفعَلُ بي**»[٤]، يُشير ﷺ إلى السابقة؛ لئلّا يَعتمِدَ الإنسانُ على عملِه، فيكون ذلك سببًا لإهلاكه، بل يعتمد على فضل الله الكريمِ ورحمتِه، إنّه الفعّالُ لما يريد، ويَبتَهِلُ إليه في التثبيت[٥] على ما أولى من الخيرات، إنّه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جَدِير، وغفر الله لي ولأحبّائي ولكلِّ المسلمين، آمين.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٣٣٢)، و«صحيح مسلم» (٢٦٤٣).

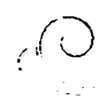
(٢) «صحيح البخاري» (٢٨٩٨)، و«صحيح مسلم» (١١٢).

(٣) في (ل): «يدري».

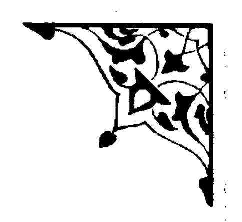
(٤) «صحيح البخاري» (٣٩٢٩).

(٥) في (ل): «التثبت».

وصلَّى الله على سيِّد السابقين واللاحقين، وعلى جميع الأنبياءِ والمُرسَلين، وآلِ كلٍّ وسائرِ الصالحين، ورَضِي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وحسبُنا الله ونِعمَ الوكيل، آمين[1].



(١) جاء في ختام النسخة (د): «وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة ـ أعاد الله تعالى علينا من بركات مؤلِّفها ـ في تمام شهر شعبان سنة خمسٍ وعشرين وألف، وقد نُقِلت هذه النسخة عن نسخةٍ تاريخها: رابع عشر صفر، سنة ثلاث وسبعينَ وثمانِ مئة، وهي كتبت عن نسخة كُتبت عن نسخة المصنف رحمه الله تعالى.
وكان مدة كتابتها تسعة أيام، مع توعُّك الجسد بالأسقام، مما يحصل لي من جفاء القوم اللئام، قابَلَهم الله بما يستحقون من الآثام».
وجاء في ختام النسخة (ل): «والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، سيدنا محمد سيد السابقين واللاحقين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وآل كلٍّ وسائر الصالحين، ورضي الله تعالى عن سادتنا أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
ووافق الفراغ من تعليقها: نهار الأربعاء ثالث وعشرين ربيع الآخر، من شهور سنة ستٍّ وعشرين وتسع مئة.
قُوبِلت على أصلها المنقول منه، فصحت ووافقت بحسب الطاقة.
وصلى الله على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وآله وسلم».

الفهارس العلمية للكتاب

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الشعر.
- فهرس الموضوعات.




فهرس الآيات القرآنية الكريمة

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [٦٥]، ١/ ٩١، ٩٢، ١٥٦.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [٨٧]، ١/ ٦٧.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [١١٥]، ٢/ ٤٧٠، ٥١٠.

﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [١٣٥]، ١/ ١٣٣.

المائدة

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [٢٤]، ١/ ٢٨٩.

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [٤٩]، ١/ ١٣٣.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ [٧٨- ٧٩]، ١/ ٨٥، ١٥٤، ١٥٥.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [١٠٥]، ١/ ١٣٥.

﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [١١٩]، ٢/ ٤٦١.

الأنعام

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [١٧]، ٢/ ١٢٦.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [٢٠]، ١/ ٨٥.

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [٣٢]، ١/ ١٤٤.

﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [٧٩]، ٢/ ٥٤.

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ [١٥٢]، ١/ ١٣٣.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١٥٣]، ٢/ ٤٧٤.

الأعراف

﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٥٦]، ١/ ١٥٢.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [١٣٧]، ١/ ١٧٩.

﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [١٦٥]، ١/ ١٣٥.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [١٠٣]، ٢/ ١٢٤.

يوسف

﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [٣٤]، ١/ ١٩٠.

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [٥٣]، ١/ ١١٤.

﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [٨٣]، ١/ ١٩١.

الرعد

﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ * سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [٢٣، ٢٤]، ٢/ ٤٤٨.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾ [٢٤]، ١/ ١٩١.

إبراهيم

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾ [١٧]، ٢/ ١٩٩.

النحل

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [٢٣]، ١/ ٢٠٧.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [١٢٦]، ١/ ٢٦٩.

الإسراء

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا﴾ [١٨]، ١/ ٧١.

﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [٣٦]، ٢/ ٤٦، ٥٠٣.

﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا﴾ [٣٧]، ٢/ ٤٩٣.

﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾ [٦٤]، ٢/ ٤٨٩.

﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾ [٨١]، ١/ ١٣٢.

﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [١٠٢]، ١/ ٨٥.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ﴾ [١٠٥]، ١/ ١٣٢.

الكهف

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ﴾ [٢٨]، ١/ ١١١.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [٢٩]، ١/ ١٣٢.

﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [٣٩]، ١/ ٤٠٦.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [٥٠]، ١/ ٩٦.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [١٠٧]، ١/ ١٣٠.

﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [١١٠]، ٢/ ٣١٥.

مريم

طه

الأنبياء

الحج

المؤمنون

النور

الشعراء

القصص

العنكبوت

لقمان

السجدة

الأحزاب

فاطر

ص

الزمر

غافر

فصلت

الشورى

الدخان

الحديد

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [١٦]، ١/ ٩٦، ٣٤١.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [٢٢-٢٣]، ١/ ١١٤.

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [٢٧]، ١/ ١٤٠.

المجادلة

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [٢٢]، ١/ ٩٢، ١٦٠، ٢٦٥.

الحشر

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [٧]، ١/ ٧٠، ٥١٤.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [٩]، ١/ ٤١٥.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [١٠]، ١/ ٤١٦.

الصف

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [٣]، ١/ ٦٧، ١١٨، ١٣٧، ١٧٨، ٢/ ٥١٦.

الطلاق

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [٢- ٣]، ١/ ٢٢٢.

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [٧]، ٢/ ١٢٦.

التحريم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٦]، ١/ ٩٦.

الملك

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [١]، ٢/ ١٨١.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [٢٧]، ٢/ ١٨١، ٤٧٥.

الحاقة

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [١٥]، ١/ ٥٣٧.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [١٨]، ١/ ١٠٩.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [٤٠- ٤١]، ١/ ٢١٣.

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٤٢- ٤٣]، ١/ ٢١٣.

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الآثار

ما رأيت أحدًا أورع من أبي حنيفة، وقد جرب بالسياط والأموال (عبد الله بن المبارك): ٢/ ٩٧.
ما رأيت أحدًا قط أكثر ركوعًا وسجودًا من مصعب (يحيى بن مسكين): ١/ ٤٤٩.
ما رأيت أحدًا كان أشد تعظيمًا لحرمات الله عز وجل من ابن عباس (طاوس): ١/ ٣٨٩.
ما رأيت أحدًا يريد بهذا العلم وجه الله عز وجل غير هؤلاء الثلاثة: عطاء، وطاوس، ومجاهد (سلمة بن كهيل): ١/ ٤٦١.
ما رأيت أحدًا يطلب بالعلم وجه الله تعالى إلا يونس (هشام): ٢/ ١٨٥.
ما رأيت أحسن صلاة من أبي عبد الله المروزي (أبو بكر أحمد): ٢/ ٣٠٣.
ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز (يزيد بن حوشب): ٢/ ١٣٩.
ما رأيت أطول حزنًا من الحسن (إبراهيم اليشكري): ٢/ ١٣٨.
ما رأيت أعبد من السري (الجنيد): ١/ ٥١٧.
ما رأيت أعبد من شعبة (بكر البكراوي): ٢/ ٢١٠.
ما رأيت أعبد منه (أبو بكر النيسابوري): ١/ ٥٢٩.
ما رأيت أفضل من ميمون (أبو المليح): ٢/ ٣٣٧.
ما رأيت أفقه ولا أورع من أحمد (عبد الرزاق): ١/ ٥٠٣.
ما رأيت الليل على أحد من الناس أخف منه على أبي حيان (عبد الله بن إدريس): ٢/ ٧٧.
ما رأيت بالكوفة أفضل من حسين، كان يشبه بالراهب (أحمد بن حنبل): ٢/ ١١٤.
ما رأيت بيد إسحاق كتابًا قط، ما كان يحدث إلا حفظًا (أبو يحيى الشعراني): ٢/ ٢٧٩.
ما رأيت رجلًا أفقه في ورعه، ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين (مورق العجلي): ٢/ ١٤٥.
ما رأيت رجلًا أورع من ابن عمر رضي الله عنهما (طاوس): ١/ ٣٣٨.
ما رأيت رجلًا قط أحفظ من يزيد بن هارون (علي بن المديني): ٢/ ١٨.
ما رأيت شاميًّا أفضل من رجاء بن حيوة (مطر الوراق): ٢/ ٣٥١.
ما رأيت شعبة ركع قط إلا ظننت أنه نسي (أبو قطن): ٢/ ٢١٠.
ما رأيت شقيقًا يلتفت في صلاة ولا غيرها قط (عاصم): ٢/ ٢٨.
ما رأيت عالمًا قط أحسن صلاة من يزيد (أحمد بن سنان): ٢/ ١٨.

يقــول الله تعالى: لــو أن ابــن آدم قصدني فــي أول المصائــب لرأى منــي العجائب (الجنيد): ١/ ١٩٢.

ينبغي لحامل القرآن ألا يكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمــن دونهم (الفضيل بن عياض): ١/ ٧٣.

ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون (ابن مسعود): ١/ ٧٢.

ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار (إبراهيم التيمي): ٢/ ٦٠.

يوحي الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام: اسـلب عبـدي مـا رزقتـه (أبو سـليمان الداراني): ٢/ ٣٦١

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن



فهرس الشعر

البيت		القائل	الصفحة
أحسن بمولاك سعيد ظنا	هذا الذي كنت له تمنى		٢/ ٤٣٧
سليمى أزمعت بينا	وأين لقاؤها أينا		٢/ ٥٠٨
من يشتريني ومن يكن سكني	يأمن في ربحه من الغبنِ		٢/ ١٩٨
تودد الله في محبته	وطول فكر يشاب بالحزنِ		٢/ ١٩٨
لأبكين بدمع العين من أسف	لأبكين بكاء الواله الحزنِ		٢/ ٤٠٠
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدينِ		٢/ ٢٩٩
أين رواياتك في سردها	عن ابن عون وابن سيرينِ		٢/ ٢٩٩
أين رواياتك والقول في	لزوم أبواب السلاطينِ		٢/ ٢٩٩
إن قلت: أكرهت فماذا؟ كذا	زل حمار العلم في الطينِ		٢/ ٢٩٩
يا جاعل العلم له بازيًا	يصطاد أموال المساكينِ		٢/ ٢٩٩
فصرت مجنونًا بها بعدما	كنت دواء للمجانينِ		٢/ ٢٩٩
أنست به فلا أبغي سواه	مخافة أن أضل فلا أراهُ		٢/ ١١
من عامل الله بتقواه	وكان في الخلوة يرعاهُ		٢/ ٤٣٤
أفنيت عمرك فيما لست تدركه	تقول لله ماذا حين تلقاهُ؟		٢/ ١٢
فأبعد الخلق وأقصاهم	وانفرد العبد بمولاهُ		٢/ ٤٣٤
يا من تمتع بالدنيا وزينتها	ولا تنام عن اللذات عيناهُ		٢/ ١٢
فحسبك حسرة وضنى وسقمًا	بطردك عن مجالس أوليائهُ		٢/ ١١
سقاه كأسًا من صفا حبه	تسلبه لذة دنياهُ		٢/ ٤٣٤
ألا موت يباع فأشتريهِ	فهذا العيش ما لا خير فيهِ		١/ ٦٦
خليلي ما بال المطايا			٢/ ٥٠٥

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

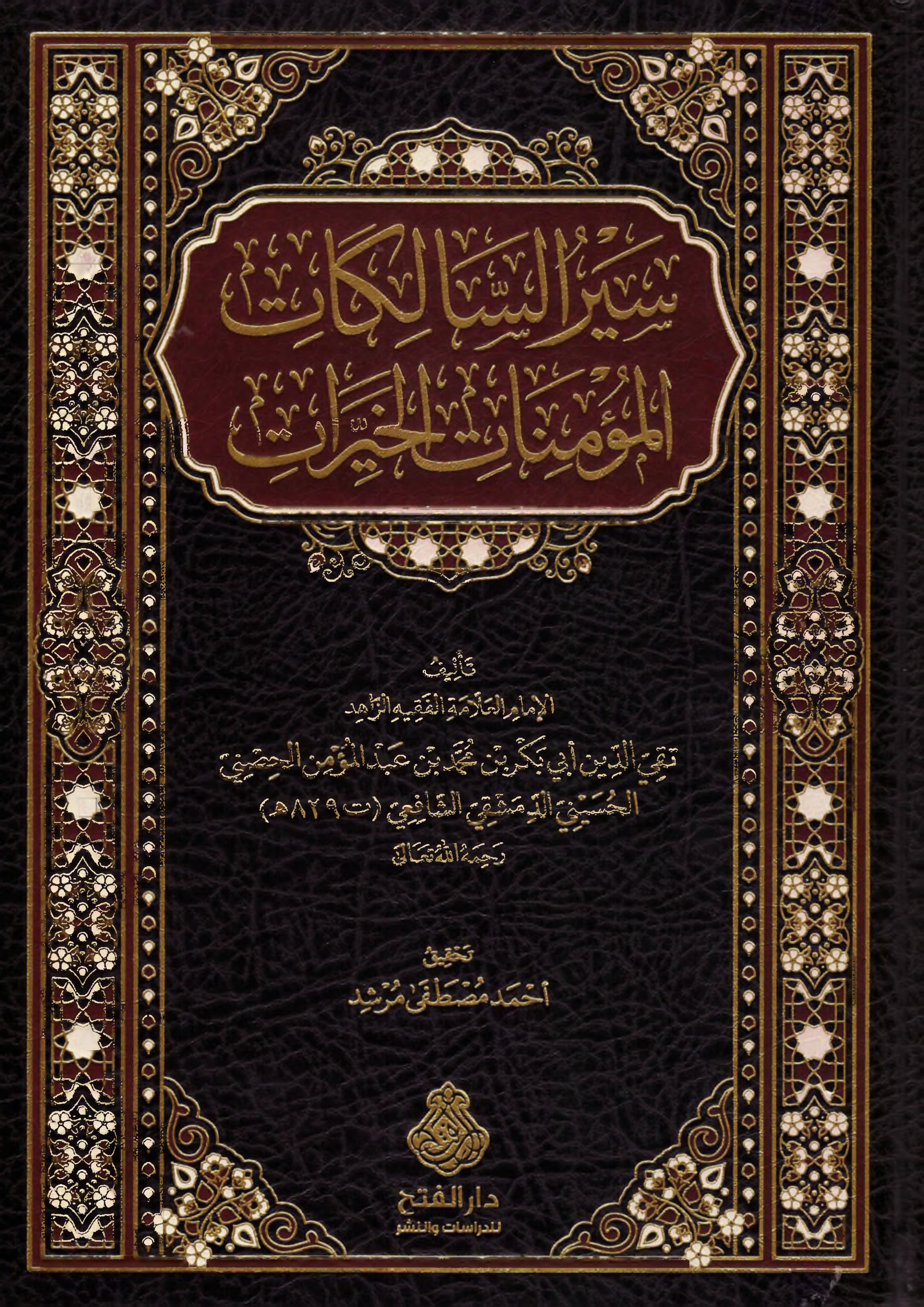
الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة




سير السالكات
المؤمنات الخيرات
تأليف
الإمام العلامة الفقيه الزاهد
تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني
الحسيني الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٩هـ)
رحمه الله تعالى
تحقيق
أحمد مصطفى مرشد
دار الفتح
للدراسات والنشر

بيانات الإيداع في دائرة المكتبة الوطنية بالمملكة الأردنية الهاشمية

الشافعي، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي (ت٨٢٩هـ).

سير السالكات المؤمنات الخيرات، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي (ت٨٢٩هـ)، تحقيق: أحمد مصطفى أبو الغيط، عمّان، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٢٣م.

٤٧٢ص، قياس القطع: ١٧×٢٤ سم.

الواصفات: الصحابة/ التابعون/ الصفوة/ التراجم/ السنة النبوية.

التصنيف العشري (ديوي): ٥, ٢٣٩

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٢٠٢٣/١١/٥٩٤٤)

الرقم المعياري الدولي (ISBN): ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-٦٧٦-٢



الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٤٥هـ = ٢٠٢٤م



أسسها سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م

د. إياد أحمد الغوج

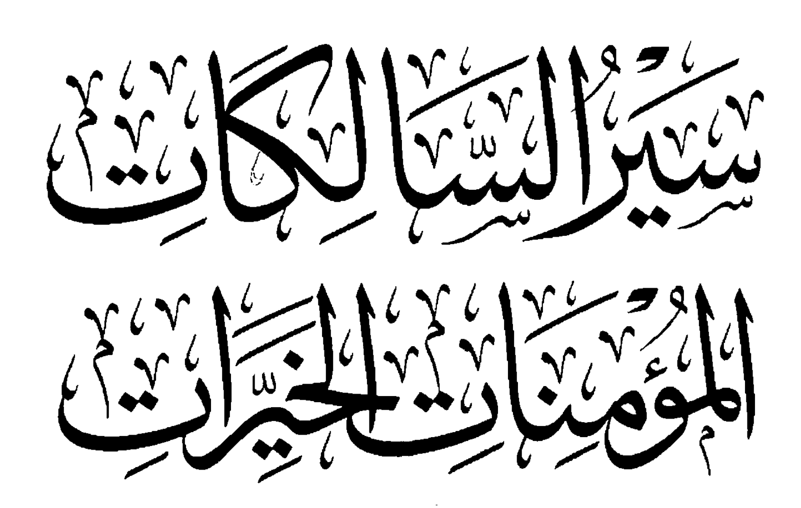
رقم الهاتف: ٦٤ ٣٥ ٥١٦٣٥ ٦ (٠٠٩٦٢)

رقم الجوال: ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)

ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن

البريد الإلكتروني: info@daralfath.com

الموقع الإلكتروني: www.daralfath.com



سير السالكات المؤمنات الخيرات

تأليف

الإمام العلامة الفقيه الزاهد

تقيّ الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحِصْنيّ

الحُسَينيّ الدمشقيّ الشافعيّ (ت ٨٢٩هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق

أحمد مصطفى مرشد



دار الفتح

للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله موفق من توكل عليه، القيوم الذي ملكوت كل شيء بيديه، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين، وخاتمًا للنبيين، وحرزًا للأميين، وإمامًا للمتقين، بأوضح دليل، وأفصح تنزيل، وأفسح سبيل، وأنفس تبيان، وأبدع برهان. اللهم آته الوسيلة، وابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المجاهدين وأزواجه أمهات المؤمنين[1].

وصلى الله وسلم وبارك على محمد النبي الأمي الأمين، الذي هدى الله به العباد، وفرق به بين الحق والضلال، والحق والباطل، والظلمات والنور، والغي والرشاد، فأوضح به السبيل، وأنار به الدليل، وهدى به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وبعدُ،

فبابان خطيران استطاع الأعداء أن ينفذوا من خلالهما؛ لتدمير الأمة الإسلامية: باب العقيدة، وباب الأسرة.

أما الباب الأول: فقد استطاع الأعداء أن ينشئوا مذاهب منحرفة وعقائد باطلة

---

(١) مقتبس من مقدمة الإمام الذهبي لكتابه «تاريخ الإسلام» (١: ١١).

ويدسوها في أصل ديننا؛ حتى أفسدت عقائد الكثيرين من أبناء المسلمين، فافترقوا فرقًا وصاروا شيعًا وأحزابًا، يكفر بعضهم بعضًا، ويضرب بعضهم رقاب بعض.

وأما الباب الثاني: فهو تدمير الأسرة من خلال ركنها الركين، وجانبها القوي، ألا وهو المرأة، والواقع أكبر شاهد يمكن الاستدلال به على ما نقول.

إن للأعداء وأتباعهم خُططًا عاتية في إفساد المرأة وإخراجها عن وضعها المستقيم، وقد تمكنوا من تنفيذها في بعض بلاد المسلمين، ويسعون جادّين لتنفيذها كُلًّا أو بعضًا في بلاد أخرى.

ومن جهة أخرى فقد نشأت حركة في الغرب قبل أكثر من قرن، تدعو للاعتراف بأن للمرأة حقوقًا وفرصًا مساوية للرجل، وقد كانت في الأساس تهدف إلى منح المرأة الحقوق الأساسية من التعليم والعمل التي حرمت منها في المجتمع الغربي قبل الثورة الصناعية، ثم تطورت فكرتها إلى المطالبة بالمساواة بالرجل في جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والفكرية ومماثلته في كل شيء.

ثم تسللت هذه الحركة إلى المجتمعات العربية إبان الاستعمار وحققت مكاسب خطيرة من نشر الثقافة الغربية، وضعف الولاء للإسلام، ونزع الحجاب، وانتشار الانحلال والتشكيك في الثوابت الدينية، والهجوم على القدوات الحسنة في المجتمع الإسلامي تحت شعار: العمل الحقوقي والنشاط الاجتماعي، وكان ذلك عن طريق رسالة الفن الهابط وغير ذلك.

وهذا الفكر سلاحٌ فتاك يستعمله الغرب؛ للقضاء على لُحمة المجتمعات الإسلامية وإشاعة الفوضى والانحلال الخلقي تحت شعار: حقوق المرأة ونبذ العنف.

لمثل هـذه الأمور كانت الحاجة ماسـة جدًّا؛ لإخـراج ما يُعنى ويهتم بصورة المرأة في الإسلام؛ ليكون أبرز دليل على رعاية الإسلام لحقوق المرأة وتقديره لها في كل مراحلها، أُمًّا أو زوجةً أو ابنةً كانت.

ومن هذه المصنفات التي عنيت بهذا الجانب: كتاب «**سير السالكات المؤمنات الخيِّرات**» للإمام الفقيه **تقي الدين الحصني** رحمه الله تعالى؛ فإنه قد عالج فيه كل ما يتعلق بالنساء، وقد أبان فيه مؤلفه عن شخصية ناقد بصير، يعالج معضلات الأمور وكبرياتها بجملة أو شطر جملة.

فها هو بين أيديكم أيها القرَّاء الكرام في مشارق الأرض ومغاربها، أقدمه اليوم بعد أن أصبحت الحاجة إليه ضرورية، وقد جمعتُ ما استطعتُ جمعه من نسخه، فتمت لنا ثلاث نسخٍ كاملة، وبذلتُ في خدمته ما أفاض الكريم على عبده الضعيف؛ فلم يضنّ عليه بجهد ولا وقت؛ حتى يخرج في أبهج حلة وأحسن صورة.

وقد قدَّمتُ له بدراسةٍ تحتوي على فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الإمام الفقيه تقي الدين الحصني رحمه الله تعالى.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب.

فالحمد لله أولًا وآخرًا على ما منَّ سبحانه وأسدى إليَّ من عظيم نعمه، ووافر عطاياه، ثم على ما منَّ به عليَّ من سلوك سبيل طلب العلم، والأخذ من ميراث النبي ﷺ، الذي مَن أخذ به أخذ بحظ وافر، فله الحمد والشكر على ذلك كثيرًا، ظاهرًا وباطنًا، كما أسأله سبحانه المزيد من فضله.

وعرفانًا بالجميل ووفاءً لأهل الفضل، وعملًا بقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وتأسِّيًا بهدي الحبيب محمد ﷺ في رد الجميل إلى

أهله في قوله: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله**»[1].

وقديمًا قال الشاعر فأجاد:

فَلَوْ كانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ ماجِدٌ لِعِـزّةِ مُلْـكٍ أَوْ عُلُـوِّ مَـكانِ
لَمـا أَمَـرَ الله العِـبادَ بِشُـكْرِهِ فَقالَ: اشْكُرُوا لِي أيُّها الثَّقَلانِ[2]

ـ أشكر بعد الله والديَّ الكريمين، امتثالًا لقول الحق سبحانه ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، جزاهما الله عني خيرًا وأحسن لهما العاقبة، بعد طول عمر وحسن عمل.

ـ كذلك لا أنسى من جعل الله بيني وبينها مودة ورحمة، زوجتي الكريمة: أم مصطفى بنت محمد رجب، بارك الله لها ولوالديها، وجعلها قرة عين لي في الدنيا والآخرة، فكم صبرت على بُعدي عنها وانشغالي، فكانت نعم الزوجة، بارك الله لها وأحسن إليها.

ـ وكذلك لا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الإخوة الأفاضل الذين شاركوني في نسخ الكتاب ومقابلته وضبطه، وحل الإشكالات الموجودة في نصه، وهم: الأستاذ: مصطفى كامل، والأستاذ: كرم مسعود، والأستاذ حاتم دسوقي، وفقهم الله جميعًا.

ولا أنسى شكر السادة الأفاضل **بدار الفتح** المباركة، بداية من مديرها فضيلة الدكتور: **إياد أحمد الغوج** حفظ الله مهجته، وأدام بهجته؛ الذي أبدى اهتمامه البالغ بهذا العمل، وأكثر من السؤال عنه وتتبع أطواره، حتى وصل إلى مراحله الأخيرة،

(١) «جامع الترمذي» (١٩٥٥). وقال: «هذا حديث حسن».

(٢) «عيون الأخبار» (٣: ١٦١) والبيت من الطويل، وهو للشاعر كلثوم بن عمر العتابي.

وتكبد في سبيل ذلك جهودًا عظيمة.

وكذلك الإخوة الكرام في هذه الدار؛ فقد قاموا بعمل عظيم في مراحل التصحيح والمراجعة والإخراج، باجتهادٍ ودأبٍ حثيثَيْن، دون فتورٍ أو مللٍ في خدمة هذا العمل العظيم.

وإلى الله أتوجه أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين أينما كانوا، وأن يثيب كل من ساعد في إخراجه خير ما يجزي الصالحين.

وختامًا: أسأل الله تعالى الذي منّ بإتمامه أن يَمُنّ بقبوله، وأن ينفع به، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا

وكتبه

أَحْمَدمُصْطَفَىٰمُرْشِد

في مصر بلد الأزهر الشريف

حفظه الله من كل مكروه وسوء

الفصل الأول
ترجمة الإمام تقي الدين الحصني
(٧٥٢-٨٢٩هـ)[١]
رحمه الله تعالى

المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ومولده

هو: العارف بالله المنقطع إليه، زاهد دمشق في زمانه، الأمّار بالمعروف، النهّاء عن المنكر، الشديد الغيرة لله[٢]، الإمام العالم، الناسك العابد، التقي الزاهد، الشيخ الصالح، الفقيه الورع، الحسيب النسيب، بقية السلف الصالحين[٣]، تقي الدين،

---

(١) انظر ترجمته في: «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٦)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦)، و«درر العقود الفريدة» للمقريزي (١: ١٤٢)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨)، و«كنوز الذهب في تاريخ حلب» (١: ٤٩٠)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨١)، و«نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦)، و«الأنس الجليل» (٢: ١٧٤)، و«سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (١: ٨٨)، و«شذرات الذهب» (٩: ٢٧٣)، و«البدر الطالع» (١: ١٦٦)، و«منادمة الأطلال» (٣٠١)، و«الزيارات بدمشق» لمحمود العدوي (٧٢-٧٣)، و«الأعلام» للزركلي (٢: ٦٩)، و«معجم المؤلفين» (٣: ٧٤)، و«هدية العارفين» (١: ٢٣٦)، و«معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١: ١١٠)، و«معجم تاريخ التراث الإسلامي» لبلوط (١: ١٣٩).

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨٣).

(٣) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨).

أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن[١] بن حَـرِيز بن مُعلَّى بن موسى بن حـريز بن سعيد بن داود بن قاسم بن علي بن علوي، بفتح المهملة واللام، اسم بلفظ النّسَب ابن ناشب ـ بنون ثم معجمة ـ بن جوهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبد الله ابن عمر بن موسى بن يحيى بن علي الأصغر بن محمد التقي بن حسن العسكري ابن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب التقي الحسيني الحصني ثم الدمشقي الشافعي ويعرف بالتقي الحصني[٢].

مولده: ولد في قرية (الحصن)[٣]، في أواخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة[٤].

المبحث الثاني: نشأته وحياته ورحلاته

قدم الشيخ تقي الدين الحصني إلى دمشق؛ وسكن المدرسة البادرائية؛ وبدأ في طلب العلم؛ فأخذ عن المشايخ الموجودين؛ وجدَّ في الطلب حتى بلغ في العلم مبلغًا حسنًا؛ ثم اشتغل بالتدريس؛ وأحبه الطلبة؛ وصاروا يخرجون معه إلى أماكن النزهة.

وقد تزوج الشيخ عدة نساء[٥]، ثم إنه أقبل على العبادة قبل الفتنة[٦]؛ وتخلى عن النساء؛ وانجمع عن الناس مع المواظبة على الاشتغال بالعلم، وبعد الفتنة زاد

---

(١) في «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤): «أبو بكر بن محمد بن عبد الله».

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨١). والحصني: نسبة إلى (الحِصْن)؛ وهي قرية من قرى حوران، وهذا هو ما ذكره معظم من ترجموا للمؤلف. وانظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٣).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (٣: ٧٤).

(٤) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٥) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٦) يعني: فتنة تيمورلنك. وانظر: «منادمة الأطلال» (٣٠١).

تقشفه وإقباله على الله عز وجل وانجماعه عن الناس[١]؛ ومع ذلك فقد كثر أتباعه؛ واشتهر اسمه، وامتنع من مكالمة أكثر الناس، لا سيما من يتخيل فيه شيئًا، وأطلق لسانه في الأمراء والقضاة ونحوهم من أرباب الولايات[٢].

قال ابن قاضي شهبة: «وله في الزهد والتقلل من الدنيا حكايات لعل أنه لا يوجد في تراجم كبار الأولياء أكثر منها، ولم يتقدموه إلا بالسبق في الزمان»[٣].

وقال الغزي: «وعمل في آخر عمره مواعيد بالجامع الأموي، وهرع إليه الناس، وكنت من جملة من سمعه، ويتكلم بكلام حسن مقبول منقول عن السلف الصالح كالحارث المحاسبي وبشر الحافي والجنيد والسري والشبلي ومشاهير أئمة الصوفية رضي الله عنهم»[٤].

هذا، وكان الشيخ قد سكن بالشاغور[٥] عند مسجد المزاز عدة سنين؛ بعد الفتنة إلى وفاته[٦].

وأصابه في آخر عمره وقر في سمعه، وضعف في بصره.

وقام في آخر حياته بعمارة رباط داخل باب الصغير، وساعده الناس في ذلك بأموالهم وأنفسهم، ثم شرع في عمارة خان السبيل في محلة المصلى؛ وفرغ من عمارته في مدة قريبة؛ ولم يبق فيه عند وفاته إلا تتمات.

---

(١) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨)، و«الزيارات بدمشق» للعدوي (٧٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦).

(٣) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦).

(٤) «بهجة الناظرين» (١٧٠).

(٥) الشاغور: بالغين المعجمة: محلّة بالباب الصغير من دمشق مشهورة وهي في ظاهر المدينة. انظر: «معجم البلدان» (٣: ٣١٠)، و«مراصد الاطلاع» (٢: ٧٧٤).

(٦) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩).

رحلاته: أما رحلاته فقد رحل الشيخ أول أمره إلى دمشق، وبها كان معظم إقامته. كما رحل الشيخ إلى القدس، وسكن فيها مدة؛ وألف فيها بعض مؤلفاته.

كما رحل إلى حلب في سنة عشرين وثمان مئة[١].

المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته

كان رحمه الله تعالى عابدًا، تقيًّا، زاهدًا، ورعًا، وكان خفيف الروح منبسطًا؛ وله نوادر؛ وقد حُببت إليه العزلة عن الناس في أخريات حياته، ومع ذلك كان خفيف الروح، ولذا كان الطلبة يخرجون معه إذا خرج إلى أماكن النزهة، وكان يحثهم على الانبساط واللعب؛ وذلك مع الدين المتين والتحرز في أقواله وأفعاله[٢].

قال الغزي: «وكان رحمة الله عليه من المهابة والأنس الكثير ما لا يخفى لمن له فطنة أنه وليّ الله في زمانه»[٣].

قال ابن خطيب الناصرية: «وكان إمامًا فاضلًا، آمرًا بالمعروف؛ ناهيًا عن المنكر، يحتقر أبناء الدنيا ويسبهم، وكان معظَّمًا عند الدماشقة إلى غاية ما يكون، وكانت ترد المراسيم الشريفة من السلطان: بأن لا يعترض عليه أحد، ولا يخالفه في أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر»[٤].

قال زين الدين الملطي: «وكان من أجلّ فقهاء الشافعية، وله علم وعمل وصلاح مشهور، وخير وعفة وديانة، بل كان من الأولياء. وكان دائمًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشدّدًا في ذلك»[٥].

---

(١) انظر: «الدر المنتخب» (٢: ٧٧٧).
(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨).
(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).
(٤) «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» (٢: ٧٧٧).
(٥) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦).

المبحث الرابع : طلبه العلم

قدم الإمام تقي الدين من قريته الحصن التي ولد بها إلى بلده الثاني دمشق، وسكن المدرسة البادرائية التي أنشأها نجم الدين عبد الله بن محمد البادرائي، وبدأ في الجد والاجتهاد، فنهل من علماء عصره الكبار، وظل مواظبًا على طلب العلم، حتى بلغ فيه مبلغًا حسنًا، فبرع في الفقه والأصول والزهد والعقيدة، وكتب الكثير بخطه مع خلوته[1]، وتذكر المصادر: أنه تشارك هو والعز عبد السلام المقدسي في الطلب[2].

وقد عاش الشيخ في حي الشاغور بدمشق سنين عدة، بالقرب من مسجد المزاز، وتزوج عدة نساء، وذلك قبل أن يقبل على العبادة والخلوة وينزوي عن الناس، وله في الزهد حكايات عدة.

المبحث الخامس : شيوخه

جلس رحمه الله بين يدي العلماء ينهل من علمهم، ويستفيد من بحر جودهم، فقد رحل رحمه الله عدة رحلات، وأخذ العلم على يد عدد من المشايخ من كبار علماء عصره، فأفاد منهم، ونهل من معينهم، ومن أبرزهم:

١ـ الإمام نجم الدين أبو العباس، أحمد بن عثمان بن عيسى المعروف بابن الجابي، أخذ الفقه عن الشرف الغزي، والعماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، والحديث عن البهاء الإخميمي، وبرع في الفروع والأصول، ودرس وأفتى، وكان سريع الإدراك حسن المناظرة، يتوقد ذكاء، توفي سنة (٧٨٧هـ)[3].

---

(١) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩). (٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨٢).

(٣) انظر ترجمته في: «توضيح المشتبه» (٣: ٣٥)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٤٧)، و«الدرر الكامنة» (١: ٢٣٥).

٢ـ الإمام صدر الدين أبو الفضل، سليمان بن يوسف بن مفلح الباسوفي، أخذ الأصول عن البهاء الإخميمي، ولازم العماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، وولي الدين المنفلوطي، ثم حبب إليه الحديث، فأخذ في السماع، ورحل إلى حلب والقاهرة، وكان سريع الحفظ، قوي الذاكرة، درس في العزيزية وغيرها، توفي سنة (٧٨٩هـ)[١].

٣ـ الإمام شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن سليمان الصرخدي، أخذ الفقه عن ابن قاضي شهبة، والعماد الحسباني، والنحو عن أبي العباس العنابي، وكان أجمع أقرانه للفنون، ولسانه دون قلمه، وصنف تصانيف بديعة، منها: «**شرح المختصر**»، و«**مختصر المهمات**»، و«**مختصر التمهيد**» للإسنوي، توفي سنة (٧٩٢هـ)[٢].

٤ـ الإمام شرف الدين أبو البقاء، محمود بن محمد بن أحمد البكري، أخذ عن والده، والتاج السبكي، والشمس ابن قاضي شهبة، وبرع في الأصول والنحو، والمعاني والبديع، ولازم الإفتاء والتدريس، وتخرج به خلق كثير من فقهاء البادرائية وغيرها، توفي سنة (٧٩٥هـ)[٣].

٥ـ الإمام شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن صالح بن أحمد البقاعي، أخذ عن الحافظ المزي، والنور الأردبيلي، وأبي البقاء السبكي، والبهاء الإخميمي، وغيرهم، وبرع في الفقه وغيره، وانتهت إليه رئاسة الشافعية بدمشق، وله:

---

(١) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (٢: ١١)، و«الرد الوافر» (١٠٠)، و«السلوك لمعرفة دول الملوك» (٥: ٢٠٣)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٥٢).

(٢) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (١: ١٢٨)، و«الدرر الكامنة» (٥: ١٩١)، و«سلم الوصول» (٣: ٢٩٦).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٨١).

«**حل المختصر**»، و«**المنهاج**» كلاهما في الأصول، و«**التمييز**» في الفقه، و«**العمـدة**»، توفي سنة (**٧٩٥هـ**)[١].

٦ـ الإمام بدر الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن مكتوم، أخذ الفقه عن العماد الحسباني، وعلاء الديـن حجي، وحفظ «**التنبيه**» و«**الحاوي**»، وأخـذ النحو عن أبـي العباس العنابـي، وبـرع فيه حتى تولى مشيختـه بالناصرية، وتوفـي سنة (**٧٩٧هـ**)[٢].

٧ـ الإمام شرف الدين أبو الروح، عيسى بن عثمان بن عيسى الغزي، أخذ الفقه عن التاج السبكي، والجمال الإسنوي، والعماد الحسباني، والشمس ابن قاضي شهبـة، وغيرهم، ودرس وأفـتى، وولي القضاء وصنف التصانيف، ومنـها: «**شرح المنهاج الكبير**»، و«**مختصر الروضة**»، و«**الجواهر والدرر**»، و«**الرد على المهمات**»، وتوفي سنة (**٧٩٩هـ**)[٣].

المبحث السادس: تلاميذه

كما ذكرنا في صفاته: أن الإمام تقي الدين كان له تلاميذ يخرج معهم إلى النزهات ويحثهم على الانبساط، وكانت له معهم نوادر، ولم نجد ممن ترجم له ذكر أسماء تلاميذه، غير أنهم صرحوا باسم ابن أخيه الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٤٤)، و«الدرر الكامنة» (١: ١٦٣)، و«بهجة الناظرين» (٢١٢)، و«سلم الوصول» (١: ١٥٢).

(٢) انظر ترجمته في: «إنباء الغمر» (١: ٥٠٢)، و«الدرر الكامنة» (٥: ٧٨)، و«شذرات الذهب» (٨: ٥٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٥٩)، و«الدرر الكامنة» (٤: ٢٤١)، و«البدر الطالع» (١: ٥١٥).

حسن بن محمد الحصني، وأنه تفقه على عمه وانتفع به انتفاعًا كبيرًا، ولزم طريقته في العبادة والتجرد، وقام في عمارة المدرسة البادرائية، وولي التدريس بها، ولم يقبض منها شيئًا مقابل ذلك، ودرس أيضًا بالمدرسة الشامية، وتوفي سنة (٨٣٤هـ).

وقال الإمام الغزي: «واجتمعت به مرات وكان يحبني ولي منه منزلة وترحّم على والدي، وعمل في آخر عمره مواعيد بالجامع الأموي وهرع إليه الناس وكنت في جملة من سمعه»[١].

المبحث السابع : ثناء العلماء عليه

قال ابن خطيب الناصرية: «الشيخ الإمام تقي الدين القدوة الرجل الصالح العالم»[٢].

وقال ابن قاضي شهبة: «الإمام العالم الرباني الزاهد الورع... والحاصل: أنه ممن جمع بين العلم والعمل»[٣].

وقال الغزي: «الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد الرباني العابد الورع تقي الدين بقية السلف الصالحين»[٤].

وقال السخاوي: «وترجمه بعضهم: بالإمام العلامة الصوفي العارف بالله تعالى، المنقطع إليه، زاهد دمشق في زمانه، الأمّار بالمعروف، النهّاء عن المنكر الشديد الغَيرة لله»[٥].

وقال العدوي: «الإمام العالم الرباني الزاهد الورع العابد القانت العامل الولي»[٦].

---

(١) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٢) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٦-٧٧٧).

(٣) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٤) «بهجة الناظرين» (١٦٨-١٦٩). (٥) «الضوء اللامع» (١١: ٨٣).

(٦) «الزيارات» (٧٢).

وقال زين الدين الملطي: «وكان من أجلّ فقهاء الشافعية، وله علم وعمل وصلاح مشهور، وخير وعفة وديانة، بل كان من الأولياء. وكان دائمًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشدّدًا في ذلك، وشهرته تغني عن مزيد التعريف به»(١).

وقال الشيخ ابن حجر في «**فتاويه**»(٢): «فإن قلتَ: أتقول بمنع خروج النساء إلى المساجد والمواعيد وزيارة القبور غير قبر النبي ﷺ؟ قلتُ: كيف لا أقول به وقد صار مُتَّفقًا عليه لعدم شرط جواز الخروج في زمنه ﷺ وهو التُّقى والعفاف. وقد ذكر ذلك من المتقدمين الشيخان الإمامان الزاهدان الورعان الشيخ تقي الدين الحصني وشيخنا علاء الدين محمد بن محمد بن محمد النجاري تغمدهما الله برحمته».

المبحث الثامن: مؤلفاته

إن مما يُبيِّن مكانة العالم بين أقرانه آثارَه التي يخلفها بعد موته شاهدةً على فعاله وتمكنه مما يخوض فيه من أصناف العلوم. والناظر في جريدة مؤلفات الإمام الحصني يلمح فيها ما يلي مما يجدر التنبيه إليه، والوقوف عليه.

لقد عاش الحصني طَوالَ حياته منهمِكًا بالعلم تعلمًا، وتعليمًا، وتصنيفًا، وانصرف إلى طلب العلم في فترة مبكرة من حياته وهو لا يزال طفلًا توفيقًا من الله تعالى؛ مما كان له الأثر الكبير في نبوغه العلمي.

لقد أثرى الإمام الحصني المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنفات العلمية الفائقة الحسن في بابها، وقد تنوعت هذه المؤلفات في شتى العلوم والمعارف.

---

(١) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦).
(٢) «الفتاوى الفقهية الكبرى» (١: ٢٠٢).

قال ابن قاضي شهبة: «والحاصل أنه ممن جمع بين العلم والعمل... وقد كتب بخطه كثيرًا قبل الفتنة وبعدها»[١].

وقال ابن حجر: «وجمع تواليف كثيرة في الزهد والفقه»[٢].

وقال الغزي: «وسكن في القدس مدة وصنف فيها بعض تصانيفه واشتهر اسمه»[٣].

وقال سبط ابن العجمي: «صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والتفسير والتصوف وغير ذلك»[٤].

وقال زين الدين الملطي: «وله عدة تصانيف جليلة في الفقه»[٥].

وقال الشوكاني: «وله في التصوف مصنفات»[٦].

أولًا: مؤلفاته في العقيدة

١ـ **«دفع شُبه من شَبَّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد»**[٧]، مجلد.

٢ـ **«شرح أسماء الله الحسنى»**[٨]، مجلد.

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤ : ٧٦-٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٢) «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤).

(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «كنوز الذهب في تاريخ حلب» (١ : ٤٩٠).

(٥) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤ : ١٩٦).

(٦) «البدر الطالع» (١ : ١٦٦).

(٧) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤ : ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤ : ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١ : ٨٨).

ثانيًا: مؤلفاته في التفسير

٣ـ «**التفسير**»[١]، وهو تفسير آيات متفرقات[٢]، مجلد.

ثالثًا: مؤلفاته في الحديث

٤ـ «**تلخيص أحاديث الإحياء**»[٣]، في مجلد.

٥ـ «**شرح الأربعين النووية**»[٤]، مجلد.

٦ـ «**شرح صحيح مسلم**»[٥]، في ثلاث مجلدات.

رابعًا: مؤلفاته في الفقه

٧ـ «**آداب الأكل والشرب**»[٦].

٨ـ «**جواب في الرد على ابن تيمية في مسألة شد الرحال للزيارة**»[٧].

٩ـ «**الفوائد**» في الفقه[٨].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٢) جاء في «معجم المفسرين» (١: ١١٠): «آيات متفرقة من أول القرآن إلى سورة الأنعام».

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥).

(٥) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٦) انظر: «هدية العارفين» (١: ٢٣٦). وذكر بروكلمان: أن له نسخة في مكتبة برلين برقم (٥٤٦٨).

(٧) رسالة في مجموع بمكتبة بشير أغا برقم (١٤٢).

(٨) ذكر بروكلمان: أن له نسخة بمكتبة جامعة هايدلبرج برقم (zs vi 221). انظر: «ذيل تاريخ الأدب العربي» (٢: ١١٢).

١٠ـ **«القواعد»**[١] في القواعد الفقهية، في مجلدين[٢].

١١ـ **«تلخيص المهمات»**[٣]، في مجلدين[٤].

١٢ـ **«شرح التنبيه»**[٥]، في خمس مجلدات[٦].

١٣ـ **«شرح النهاية»**[٧].

١٤ـ **«شرح الهداية»**[٨].

١٥ـ **«كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار»**[٩]، مجلد.

١٦ـ **«كفاية المحتاج في حل المنهاج»**[١٠]، في خمس مجلدات.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٢) في «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة: «مجلد».

(٣) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) قال ابن حجر في «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤): «في مجلد».

(٥) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٦) نسخه منتشرة بمكتبة آيا صوفيا بأرقام (١٢١٠-١٢١١-١٢١٢-١٢١٣).

(٧) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ٢٠٢٢). وقد ذكر حاجي خليفة: أنه شرح لهداية المرغيناني الحنفي، والظاهر: أنه سهو.

(٩) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ١٦٢٥)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(١٠) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

خامسًا: مؤلفاته في الزهد والسلوك

١٧ـ «أهوال القبور»[١]، مجلد.

١٨ـ «أهوال القيامة»[٢].

١٩ـ «تأديب القوم»[٣] مجلد.

٢٠ـ «تنبيه السالك على مظان المهالك»[٤]، في ست مجلدات.

٢١ـ «قمع النفوس ورقية المأيوس»[٥]، مجلد.

سادسًا: مؤلفاته في السيرة والتاريخ والتراجم

٢٢ـ «المولد»[٦] في السيرة[٧].

٢٣ـ «سير السالك في أسنى المسالك»[٨] في تراجم الرجال.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨٢)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«هدية العارفين» (١: ٢٣٦).

(٢) انظر: «منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨٢)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٦) انظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٥)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٧) له نسخة بجامعة الإمام برقم (٢٥٢٤)، وتقع في ثلاث ورقات.

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ١٠١٣).

٢٤ـ «سير السالكات المؤمنات الخيرات»[١] في تراجم النساء، وهو كتابنا، وسيأتي الكلام عليه في الفصل الثاني.

المبحث التاسع: ذريته

لم يُخلف الشيخ تقي الدين الحصني إلا بنات، وقد تزوج إحداهن ابن أخيه، واسمه: محمد بن حسن بن محمد الحصني، أبو عبد الله، المعروف بشمس الدين؛ ومنه تفرعت الأسرة المعروفة ببني تقي الدين الحصني؛ وقد اشتهر أفراد تلك الأسرة بالنسبة إلى عمهم؛ لجلالة قدره؛ وهذه الأسرة معروفة بدمشق إلى وقتنا الحاضر، وقد خرج منها علماء وفضلاء.

المبحث العاشر: وفاته

توفي الشيخ تقي الدين الحصني رحمه الله يوم الثلاثاء قبيل المغرب رابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمان مئة للهجرة[٢]، وذلك بخلوته بجامع المزاز بالشاغور في دمشق.

وصلى عليه بالمصلى: تلميذه وابن أخيه الإمام شمس الدين محمد بن حسن الحصني، كما صُلِّيَ عليه بحلب صلاة الغائب[٣].

وكانت جنازته مشهودة، وحضرها الخاص والعام، حتى بعض من كانت بينه وبينهم خلافات ومشاحنات.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٢) «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«الزيارات» للعدوي (٧٣).

(٣) «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧).

وكان دفنه يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس.

وقد دفن بالقُبَيبات[١] في أطراف العمارة على جادة الطريق عند البوابة نهاية محلة الميدان[٢]، عند والدته[٣]؛ لأنها كانت من محلة الميدان، وعلى قبره تابوت، وهو معلوم، وقبره يزار مشهور، ويتبرك به[٤]، وختم عند قبره ختمات كثيرة، وصلى عليه أمم ممن فاتتهم الصلاة على قبره، ورؤيت له منامات صالحة في حياته وبعد موته[٥].



---

(١) القبيبات: محلة جليلة بظاهر مسجد دمشق. انظر: «معجم البلدان» (٤: ٣٠٨).

(٢) انظر: «بهجة الناظرين» (١٧٠).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٤) انظر: «الزيارات» للعدوي (٧٣).

(٥) انظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٥).

الفصل الثاني
التعريف بالكتاب

المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب

على غير عادة المصنِّف في ذكره لأسماء كتبه، كان هذا الكتاب الذي تركه دون أن يدوّن في مقدمته على طريقته عنوانه، وبعد تتبع ونظر في الأصول الخطية وكذا في المصادر، تبين أن العنوان لا يخرج عن أربع صيغ:

الأولى: «**سير نساء السلف العابدات**»، وتكاد المصادر تتفق عليها؛ فقد ذكرها الإمام ابن قاضي شهبة[١]، والحافظ ابن حجر[٢]، والإمام الغزي[٣]، والحافظ السخاوي[٤]، والمؤرخ ابن العماد[٥].

الثانية: «**سير السالكات المؤمنات الخيرات**»، وقد وردت على صفحة العنوان في النسخة الألمانية والفرنسية.

الثالثة: «**سير المؤمنات**»، وقد ذكرها القاضي العدوي، في كتابه «**الزيارات بدمشق**»[٦].

---

(١) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).
(٢) «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥).
(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).
(٤) «الضوء اللامع» (١١: ٨٢).
(٥) «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٤).
(٦) «الزيارات» (٦٠).

الرابعة: «**الأسبابُ المُهلكات والإشارات الواضحات في مناقب المؤمنين والمؤمنات وما لهم من الكرامات والعلامات**»، وقد وردت على غلاف النسخة المصرية.

وباستبعاد الصيغة الثالثة والرابعة، فالثالثة التي ذكرها القاضي العدوي؛ لا يظهر إلا أنها مختصرة من الثانية، والرابعة تفردت بها النسخة المصرية، ولم ترد في شيء من المصادر، ويظهر أنه منظور فيها إلى موضوع الكتاب ومادته، لا إلى تسمية مؤلفه له.

يقع عنوان الكتاب تحت الصيغتين الأوليين.

وبعد النظر ترجح أن عنوان الكتاب: «**سير السالكات المؤمنات الخيرات**»، وهذا للأسباب التالية:

الأول: أنه متفق عليه في الأصلَيْن اللذين كان عليهما الاعتماد، وأحدهما قريب العهد من المؤلف(١).

الثاني: أن للمؤلف كتابًا آخر قريبًا من هذا العنوان، وهو: «**سير السالك في أسنى المسالك**»، وقد خصه بتراجم الرجال، فلا يستبعد أن يكون الكتاب المختص بتراجم النساء بعنوان: «**سير السالكات المؤمنات الخيرات**».

الثالث: أن المؤلف قد شحن كتابه بمفردات العنوان، فتراه يعبر ويقول: «ومن علامات صدق حال **السالكة**... ومن علامة طرد **السالكة**... وقد ذكرت في كتابي «**سير السالك**» جملة من الرجال، ولم أذكر ما يتعلق **بالخَيِّرات**... قد ذكرنا نبذة يسيرة من صفات هذه **الخيِّرات**» إلى آخره، مما يؤكد ما ذهبنا إليه.

---

(١) يعني: نسخة باريس، ورمزها (س)، وراجع وصفها وبياناتها في المبحث الخامس من هذا الفصل.

الرابع: أن عادة المؤرخين وأصحاب الطبقات: أنهم ينقلون عن بعضهم، فربما ترجم أحدهم لفقيه من الفقهاء، فلا إشكال أن يأتي إمامٌ بعده ويترجم لنفس الفقيه، فيأخذ الترجمة بنصها ممن ترجم قبله، وهذا واقع كثيرًا في طبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وعليه فلا يشكل إذا وجدناهم ذكروا كتابًا معينًا بلفظ معين على غير الموجود في الأصول الخطية؛ فإنما تناقلوه. والله أعلم.

المبحث الثاني: نسبة الكتاب إلى مؤلفه

لا ريب في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام التقي الحصني رحمه الله تعالى، وذلك لعدة **دلائل منها**:

أولًا: ثبوت اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه على صفحة العنوان في جميع النسخ.

ثانيًا: أحال المصنف فيه إلى كتابه الآخر: «**سير السالك**» في عدة مواضع.

ثالثًا: نسبه إليه بعض من ترجم له، كالإمام التقي ابن قاضي شهبة في «**طبقات الشافعية**»[١]، والحافظ ابن حجر في «**إنباء الغمر**»[٢]، والإمام الغزي في «**بهجة الناظرين**»[٣]، والحافظ السخاوي في «**الضوء اللامع**»[٤]، والمؤرخ ابن العماد في «**شذرات الذهب**»[٥].

رابعًا: هذا الكتاب هو تتمة اختصار المؤلف لكتاب «**صفة الصفوة**»، وقد اختصر الجزء المتعلق بتراجم الرجال في «**سير السالك**»، والجزء المتعلق بالنساء في كتابنا «**سير السالكات**».

---

(١) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٢) «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥).

(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «الضوء اللامع» (١١: ٨٢).

(٥) «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٤).

خامسًا: اتفاق الأسلوب والعبارات وطريقة العرض فيه مع غيره من كتب الإمام الثابتة المعروفة بـ: «**قمع النفوس**» و«**سير السالك**» و«**تنبيه السالك**» مما يؤكد على ثبوت هذا الكتاب للإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

سادسًا: عدم وجود أية نسبة للكتاب لغير الإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

وهذه الدلائل كافية لإثبات نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

المبحث الثالث : منهج المؤلف

ذكرنا في دراسة الكتاب الآخر للمؤلف أعني: «**سير السالك**» أن المؤلف عمد إلى كتاب «**صفة الصفوة**»، فجعله مادة تراجمه، فانتقى ما شاء أن ينتقي منه في تراجم الرجال، وفي كتابنا «**سير السالكات**»، رأى أن يتمم انتقاءه؛ لتعم الفائدة وتكمل المادة، فأخذ من «**صفة الصفوة**» الجزء المتعلق بتراجم النساء، فذكره هنا وعلق عليه.

ويمكن اختصار منهج المؤلف في تكوين مادة كتابه في الأمور التالية:

أولًا: بدأ المصنف بمقدمة للكتاب، ثم أشار إلى ما فعله في كتابه «**سير السالك**» من ذكر أخبار الرجال، فرأى أن يتمم الأمر فيذكر جملة من أخبار النساء الصالحات؛ ليُقتدى بهن، ويُقتفى أثرهن.

ثانيًا: أشار المصنف إلى بعض ما يصيب القلوب من الأمراض، فذكر الرياء، والعجب، وأكثر من سرد الأحاديث والآثار التي تبين عاقبتهما.

ثالثًا: ذكر نبذًا وأخبارًا من عَيْشِ النبي ﷺ وصبره على الجوع والفاقة.

رابعًا: مضى المصنف في تراجم الصحابيات، فأول ما بدأ به: ابنة النبي ﷺ، السيدة فاطمة الزهراء، ثم انتقل إلى زوجات النبي ﷺ، فذكر خديجة، ثم عائشة، ثم

حفصة، ثم أم سلمة، ثم أم حبيبة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حيي، ثم أم شريك، ثم مضى يذكر باقي النساء في زمن النبوة، ومن بعدهن، حتى انتهى من تراجمهن.

خامسًا: عقد المصنف بعد انتهاء التراجم فصلًا يتعلق بالمحبة في تعريفها وأسبابها ومراتبها وعلاماتها.

سادسًا: ثم عقد فصلًا طويلًا، فصل فيه: الأسباب المهلكات، فذكر فيه من الأسباب: الحسد، وحب الدنيا، والاحتقار، ولبس ثياب الظلمة، ووصل الشعر والوشم والوشر، وحقوق الآدميين، وأخذ أموال اليتامى، والذهاب إلى المنجمين، والنياحة، وسوء العشرة بين الزوجين، والتجسس، والنميمة، وآفات اللسان، والاستدراج والغفلة عن سكرات الموت وهول المطلع وأهوال القبر، فيذكر كل سبب، ويبين معناه، ومقصوده، وأقسامه، ويورد الأدلة الواردة في ذمه ويشرحها، ويعلق عليها.

سابعًا: انتقل المؤلف إلى الحديث عن حقارة الدنيا، وهول الموت والقبر وسؤال الملكين، وشدة الموقف يوم القيامة؛ فذكر الميزان والصراط وختم كتابه بذكر حوض النبي ﷺ.

المبحث الرابع: أثره في الكتب اللاحقة

لم أقف على من نقل عن المؤلف في كتابه هذا إلا الإمام القاضي محمود العدوي رحمه الله، المتوفى سنة (١٠٣٢هـ) في كتابه: «**الزيارات بدمشق**»؛ فقد نقل عنه في (٦٠-٦١).

ولعل عدم اشتهار الكتاب واعتماد العلماء عليه، راجع إلى وجود أصله أعني: «**صفة الصفوة**» وانتشاره، مع شهرة مؤلفه التي فاقت وعمت أرجاء البلاد.

المبحث الخامس: النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذا المصنف على ثلاث نسخ كاملة، لم أظفر بغيرها بعد بحث وطلب.

النسخة الأولى: ورمزها: «س».

وهي من محفوظات دار الكتب الوطنية بباريس، برقم حفظ **(٢٠٤٢)**.

وهي نسخة تامة[١] نفيسة متقنة، يقل فيها التصحيفات والتحريفات.

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكتبت العناوين الرئيسية والفرعية بالمداد الأحمر.

تقع في **(٨٣ لوحة)**، ومسطرتها: **(٢١ سطرًا)**، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من تسع كلمات إلى أربعة عشر كلمة.

جاء على صفحة العنوان: «كتاب سير السالكات المؤمنات الخيرات، تصنيف الإمام العالم العابد، الزاهد الورع، شيخ الإسلام، تقي الدين أبي بكر الحصني، السيد الجليل، الحسيني، أعاد الله تعالى علينا من بركاته، وجمعنا الله وإياه دار كرامته، بمنه وكرمه، آمين آمين آمين آمين».

وجاء في قيد الفراغ: «فرغ من كتابته: نهار الأحد سلخ شهر شوال سنة خمس وسبعين وثمان مئة.

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، يا رب العالمين، آمين آمين آمين».

جاء على الحواشي تعليقات عديدة، ومطالب وعناوين توضح ما في النص.

---

(١) سقطت اللوحة (٢١) من هذه النسخة، والظاهر أنها موجودة إلا أنها لم تصور؛ بدليل تغير الترقيم، فدل على أن اللوحة موجودة في أصل النسخة.

ولقد تميزت النسخة بأنها **قريبة العهد من زمن المؤلف** رحمه الله تعالى، وتميزت كذلك بأنها خالية عن الآفات، سليمة عما يعيبها مما يصيب النسخ القديمة عادة من تفكك وتمزق وأرضة، أو رطوبة تؤثر على حبرها أو ورقها.

جاء بعد نهايتها عبارات وأبيات منقولة عن المصنف، ومنتقى من كتاب «**سير السالك**» للمصنف في سبع لوحات.

النسخة الثانية: ورمزها: «ب».

وهي من محفوظات مكتبة لايبزيغ الألمانية، برقم حفظ **(٦٩٣)**.

وهي نسخة تامة متقنة، من أنفس نسخ الكتاب؛ لأنها منسوخة عن نسخة المصنف، كما صرح به في عدد من حواشيها.

كتب النص بالمداد الأسمر، وكذا العناوين الرئيسية والفرعية.

تقع في (١٣٤ لوحة)، ومسطرتها: (١٧ سطرًا).

جاء على صفحة العنوان: «كتاب سير السالكات المؤمنات الخيرات، تصنيف الشيخ العالم العلامة، والحبر الفهامة، الشيخ تقي الدين، أبي بكر الحصني، تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان، بمنه وكرمه».

جاءت عدة أخبار ونقول بعد انتهاء نص التقي الحصني.

جاءت عدة تملكات على صفحة العنوان، منها:

- «من فضل ربّ واهب... البركات ابن فتى الكيال».
- «ثم انتقل إلى ولده كمال الدين محمد، جمع الله بينهما في مقعد صدق، وحبذا ذلك المقعد».
- «ملكه المفتقر إلى... الهادي، أبو بكر بن محمد السكري في جمادى...».

- «ساقته يد المقادير حتى انتظم في سلك الحقير: زين العابدين بن أبي الجود الأنصاري الحنفي».

وجاءت عدة تملكات أخرى غير واضحة.

ولقد تميزت النسخة بأنها كاملة لا سقط فيها، وكتب الناسخ على حاشيتها بعض التعليقات والنقول التي كان يراها مناسبة لما في سياق المؤلف، وتميزت كذلك بأنها خالية عن الآفات، سليمة عما يعيبها مما يصيب النسخ القديمة عادة من تفكك وتمزق وأرضة، أو رطوبة تؤثر على حبرها أو ورقها عدا بعض البقع القليلة التي لم تؤثر على سلامة النص ووضوحه.

النسخة الثالثة: ورمزها: «د».

وهي من محفوظات دار الكتب المصرية حرسها الله، برقم حفظ (**٩٣** تصوف).

وهي نسخة تامة قيمة، لا يعيبها إلا كثرة السقط فيها، الذي كان سببه انتقال النظر غالبًا.

كُتب النص كاملًا بالمداد الأسمر.

تقع في (**١١٤** لوحة)، ومسطرتها: (**١٩** سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من عشر كلمات إلى ثلاث عشرة كلمة.

جاء على صفحة العنوان: «هذا كتاب الأسباب المهلكات والإشارات الواضحات في مناقب المؤمنين والمؤمنات، وما لهم من الكرامات والعلامات، ونسأل الله تعالى الثبات على طريقتهم للممات. آمين».

وجاء في قيد الفراغ: «وكان الفراغ من تعليقه في اليوم السبت المبارك في سابع يوم من شهر ربيع الثاني، من شهور سنة ألف ومائة وثمانية وأربعين، على يد كاتبه مصطفى بن محمد، أحسن الله عاقبتها. آمين آمين».

جاء على الحواشي عناوين ومطالب توضح ما في النص.

ولقد تميزت النسخة بوضوحها وحسن خطها وجودته، إضافة إلى سلامتها من الآفات والتفكك والتمزق وغيره.

المبحث السادس: منهج التحقيق

جهدت في ضبط نص الكتاب، من خلال التأمل الشديد في نسخه، والرجوع إلى «الأصل»[1] الذي نقل منه المصنف، وتخريج النصوص والأقوال المنقولة قدر الاستطاعة، وعلقت على بعض المواضع تعليقًا مختصرًا أحيانًا ومسهبًا في قليلٍ من المواضع، مشيرًا إلى المصادر لمن أراد أن يتوسع في البحث.

ويمكن اختصار منهج العمل في الأمور التالية:

أولًا: نسخنا الكتاب نسخًا دقيقًا متقنًا، ثم نسقنا فقراته، ووضعنا علامات الترقيم المناسبة.

ثانيًا: قابلنا الكتاب كاملًا على نسخه التي وقفنا عليها، ثم بعد الضبط أعدنا المقابلة مرةً ثانيةً على النسخة (س)، ووضعنا ترقيمها بين معقوفين [ ].

ثالثًا: اتبعنا منهج النص المختار في إثبات النص، حيث هو الأنسب في مثل هذه الحالة.

رابعًا: أثبتنا في النص كل ما يعين على تجليته وإيضاحه، من تقسيمه إلى فقرات، مع تحديد بداية الأسطر ونهايتها، وغير ذلك.

خامسًا: وضعنا الآيات التي ذكرها المصنف بالرسم العثماني المعروف، مع عزوها بجوارها.

---

(١) أعني: «صفة الصفوة».

سادسًا: خرجنا الأحاديث تخريجًا متوسطًا، فإذا كان الحديث في «**الصحيحين**» أو في أحدهما اكتفينا بذلك، ولم نتوسع إلا لحاجة، مع نقل أحكام العلماء على الأحاديث.

سابعًا: عزونا الآثار والنقول التي ذكرها المصنف إلى أصحابها من مصادرها الأصلية، فإن لم نقف على المصادر الأصلية، عزوناها لمصادر أخرى وسيطة تنقل عنها.

ثامنًا: خرجنا الأبيات الشعرية المذكورة.

تاسعًا: عرفنا معاني الكلمات الغريبة، واستعنا في ذلك بالرجوع إلى المصادر المعتمدة، من قواميس لغوية ومعاجم فقهية.

عاشرًا: قمنا بترقيم التراجم؛ ليسهل الرجوع إليها.

حادي عشر: وضعنا بعض العناوين المتعلقة برؤوس الأعلام والموضوعات بين معقوفين.

ثاني عشر: وضعنا مقدمة علمية للكتاب في فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب.

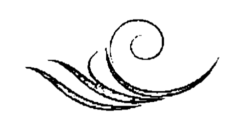
ثالث عشر: وضعنا في نهاية الكتاب فهارس علمية اشتملت على الآتي:

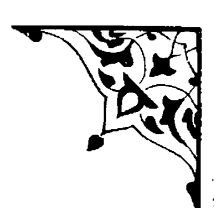
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأشعار.

ـ فهرس المحتويات.

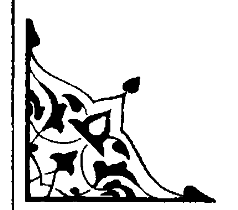
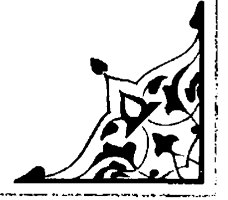
وبعدُ فهـذا جهدنا المتواضع الذي قمنا به فـي خدمة الكتـاب، والتعليق علـيه، راجيـن من الله عـز وجل الذي منَّ علينا بإخراجه على هذا النحو؛ أن يتقبله منا، إنه جواد كريم.

وعلى الله قصد السبيل



نماذج من صفحات
المخطوطات المعتمدة في التّحقيق

١

كتاب سير السالكات المؤمنات الخيرات

تصنيف الإمام العالم العابد الزاهد
الورع شيخ الإسلام الشيخ تقي الدين
أبي بكر الحصني السيد الجليل
الحسيني أعاد الله تعالى
علينا من بركاته
وجمعنا الله وإياه
دار كرامته
بمنه وكرمه
آمين
آمين
آمين



صفحة عنوان النسخة (س)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي خلق الأرضين والسموات، وبث فيهما من بدايع
المصنوعات، وجعل ذلك دليلا لوحدانيته فقبل ذلك ذوو الألباب
من المومنين والمومنات، وشرع شرعا اختاره لنفسه وارسل به
رسله وانزل به كتبه البينات، فانقاد له وللعمل به اهل السعادة
من القانتين والقانتات، وحاد عن اتباعه من خسر نفسه فوقع
في الخسران المهلك والحسرات، واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة أعدها ذخيرة ليوم الممات، واصلي على سيد السابقين
واللاحقين صلاة تملأ جميع المخلوقات، ورضي الله عن الصحابة وعمن
شمر خلفهم بصدق لنيل الدرجات العليات، وبعد فان الله عز وجل
لما خاطب الخلق بالانقياد الى الطاعات لم يخص الذكور
بل قال سبحانه وتعالى ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات
والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات، والايات في ذلك
كثيرة وليس بالخفيات، فلما سمعت الانفس الزكية كلام حبيبها
سمت الى الخلوة به في الظلمات، وتشعبت هممهن فمنهن من لزمت
في خلوتها ومنهن من لم يسعها الا الفلوات، وقد ذكرت في كتابي
تيسير السالك جملة من الرجال ولم اذكر ما يتعلق بالخيرات، فاردت
في هذه الورقات أن اذكر جملة يسيرة من سيرة الصالحات، لعل
بذكر ذلك يحصل لبعض من سمعت احوالهن التقفي خلفهن فان ذكر
احوالهم لا شك ولا ريب من المشوقات، وباعث على اللحوق بهن لمن
تسمع بما يحفز به من الكرامات، وههنا نكتة دقيقة ينبغي لطالبة

تعزا

الصفحة الأولى من النسخة (س)

الف عقرب ه رواه بعض الايمه حديثا عافانا الله عز وجل واحيانا من
ذلك ومن جميع الاهوال انه على ما يشاء قدير وبالاجابه جدير والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيد الاولين والاخرين واكرم السابقين
واللاحقين ورضي الله عن الصحابه اجمعين وعن التابعين لهم باحسان
الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

فرغ من كتابته نهار الاحد سلخ شهر
شوال سنه خمس وعشرين ...
والحمد لله وكفى وسلام
على عباده
الذين اصطفى
رب اغفر
وارحم
وانت
خير الراحمين
يا رب العالمين
امين
امين
امين

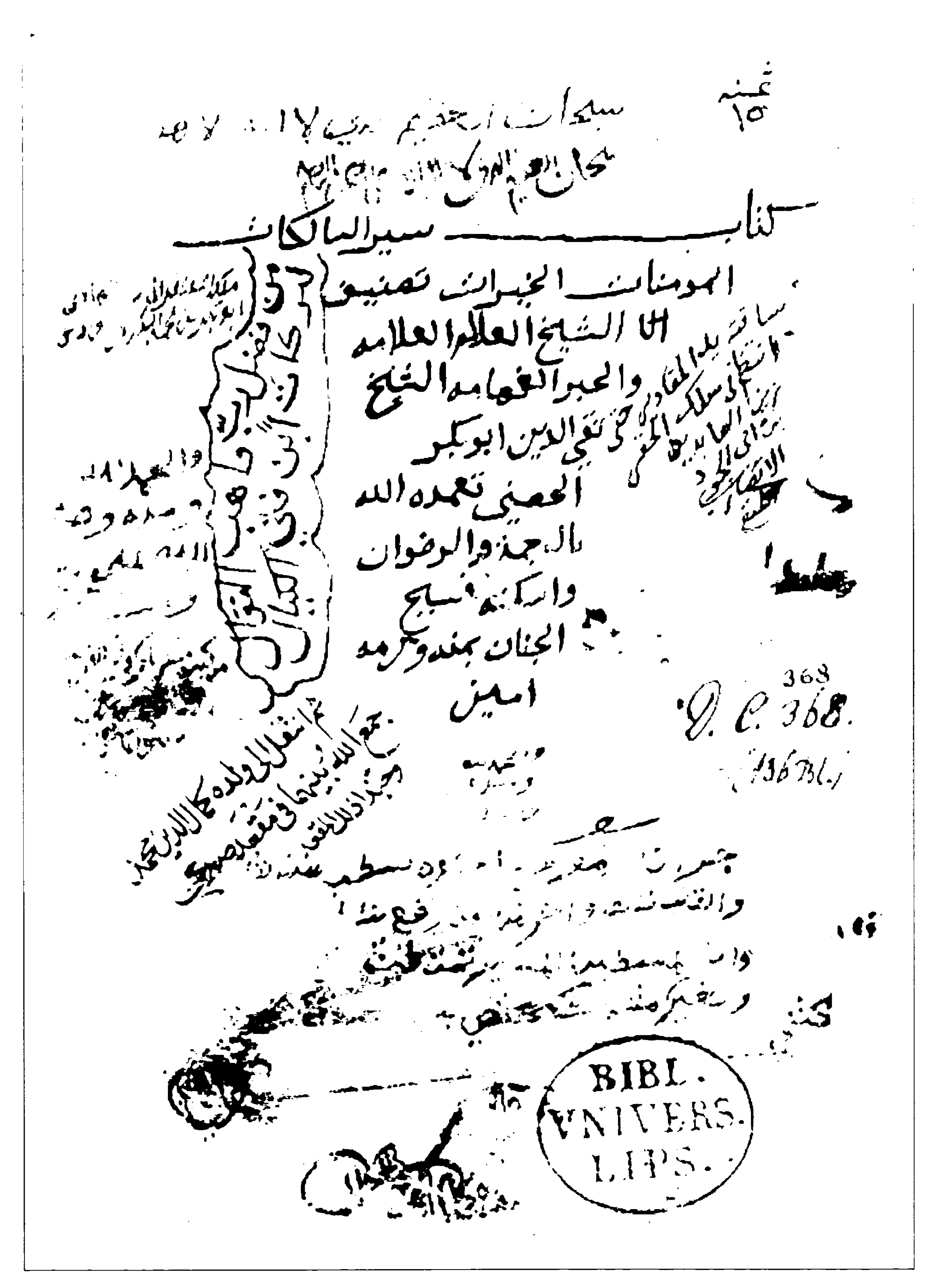
من كلام الشيخ الحصني
ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر
غيره
ان القناعه من حلل بساحتها
لم يلق في ظلها هما يورقه

بعض الاوليا
اذا ما عدت النفس عن الحق زجرناها
وان مالت الى الدنيا عن الاخرى منعناها
تخادعنا ونخدعها وبالصبر غلبناها
لها خوف من الفقر وفي الفقر اغناها

وما شئت في هواك اخترت نعيمي
يا سيدي في رضاكا ...

لعمري ان المدعيين لكثيرون وان النازلين بهذه المنزله لقليل ما هم
نزلوا بمكة في قبايل هاشم ونزلت بالبيدا ابعد منزل

الصفحة الأخيرة من النسخة (س)


كتاب سير السالكات
المومنات الخيرات تصنيف
الشيخ العالم العلامه
والحبر الفهامه الشيخ
تقي الدين ابو بكر
الحصني تغمده الله
بالرحمة والرضوان
واسكنه فسيح
الجنان بمنه وكرمه
امين

368

صفحة عنوان النسخة (ب)

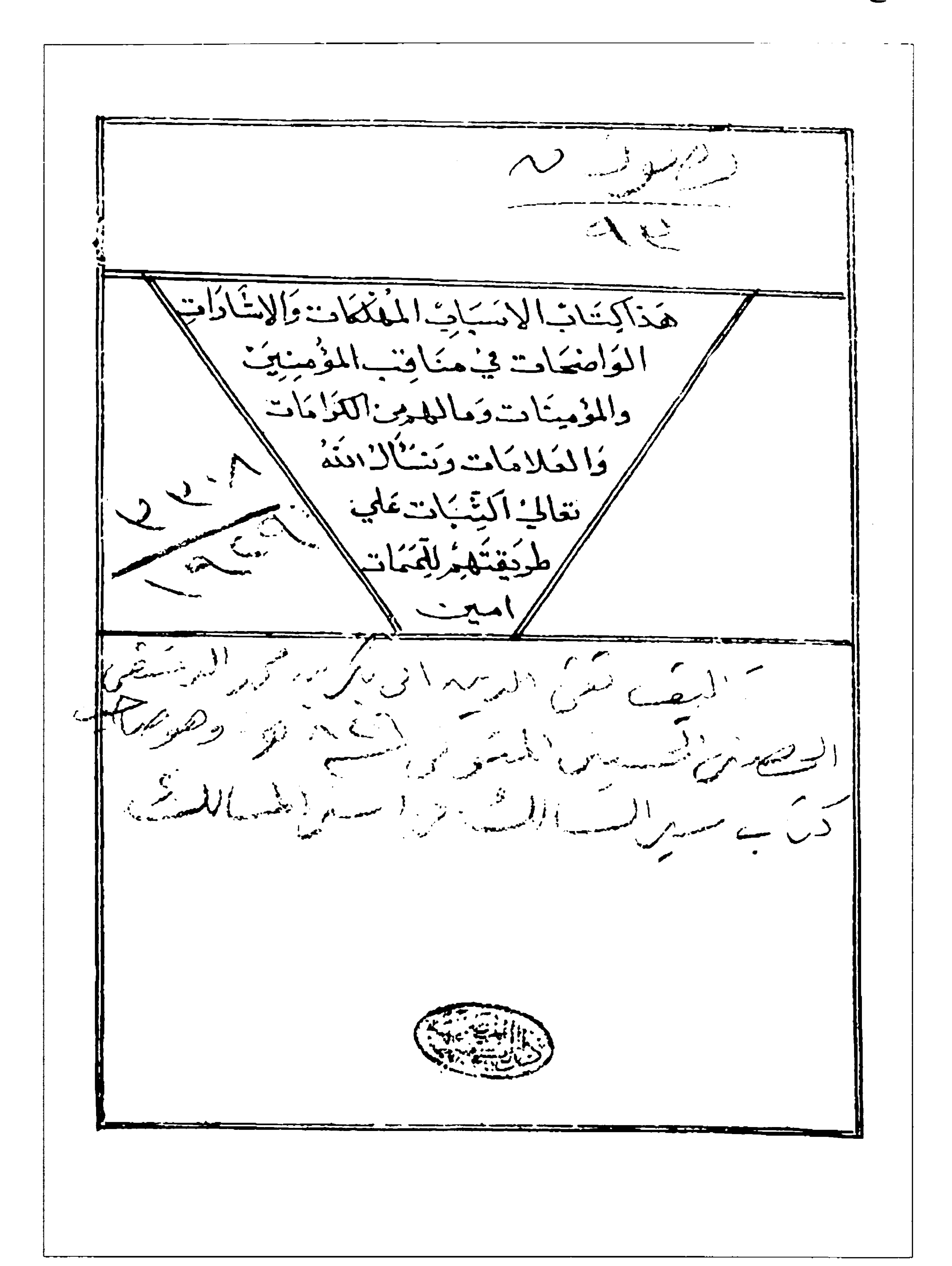
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خلق الارضين والسموات وبث فيهما من
بدايع المصنوعات وجعل ذلك دليلا لوحدانيته فقبل ذلك
الالباب من المومنين والمومنات وشرع شرعا اختاره
لنفسه وارسل به رسله وانزل به كتبه البينات فانقاد له
وللعمل به اهل السعادة من القانتين والقانتات
وحاد عن اتباعه من خسر نفسه فوقع في الخسارات المهلكات
والحسرات واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة اعدها ذخيرة ليوم الممات واصلي على سيد السابقين
واللاحقين صلاة تملأ جميع المخلوقات ورضي الله عن
الصحابة وعمن شمر خلفهم بصدق لنيل الدرجات العليات
وبعد فان الله سبحانه عز وجل لما خاطب الخلق بالانقياد
الى الطاعات لم يخص الذكور بل قال سبحانه وتعالى ان
المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والايات في ذلك كثيرة
وليست بالخفيات فلما سمعت الانفس الزكية كلام حبيبهم
سمت الى الخلوة به في الظلمات وتشعبت هممهن
فمنهم

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

والسابقين واللاحقين ورضي الله عن الصحابة اجمعين
وعن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وحسبنا الله
ونعم الوكيل

حج بعض المتقدمين فبات بمكة مع
قوم فهم بمعصية فسمع هاتفا يهتف يقول ويلك الم تهم
ثم فعصمه الله مما هم به وخرج بعضهم مع رفقة الى الغيضة
فلما هم بمواقعتها هتف به هاتف كل نفس بما كسبت
رهينة فتركها ودخل رجل غيضة ذات شجر فقال
لو خلوت هاهنا بمعصية من كان يراني فسمع صوتا
ملأ ما بين حافتي الغيضة الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير وهم رجل بمعصية فخرج اليها فمر في طريقه
بقاص يقص على الناس فوقف على حلقته فسمعه
يقول ايها الهام بالمعصية اما علمت ان خالق
الهمة مطلع على همتك فوقع مغشيا عليه فلما افاق
الا عن توبة كان بعض الملوك الصالحين قد تعلق
قلبه بمملوك له جميل فخشي على نفسه فقام ليلة
واستغاث الله فمرض المملوك من ليلته ومات بعد ثلاث

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)



هذا كتاب الاسباب المهلكات والاشارات
الواضحات في مناقب المؤمنين
والمؤمنات وما لهم من الكرامات
والعلامات ونسال الله
تعالى الثبات علي
طريقتهم للممات
امين

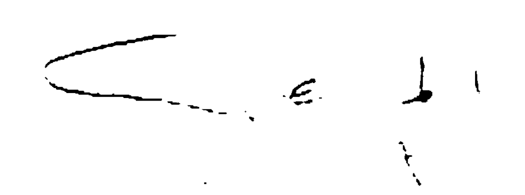
صفحة عنوان النسخة (د)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الأرضين والسموات وبث فيهما من
بدايع المصنوعات، وجعل ذلك دليلا لوحدانيته فعقل
ذلك الأولياء من المؤمنين والمؤمنات، وشرع شرعا
اختاره لنفسه، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه البينات
وانقاد له وللعمل به أهل السعادة من القانتين والقا
نتات، وحاد عن اتباعه من خسر نفسه فوقع
في المهالك والخسارات، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم الممات وأصلي
على سيد السابقين واللاحقين صلاة تملأ جميع
المخلوقات ورضي الله تعالى عن الصحابة وعمن سيخلفهم
بصدق لينال الدرجات العليات وبعد فإن الله عز وجل
لما خاطب الخلق بالانقياد إلى الطاعات لم يخص الذكور بل
قال سبحانه وتعالى إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والآيات في ذلك كثيرة وليس بالخفيات فلما سمعت الأنفس
الزكية كلام حبيبهم سمت إلى الخلوة به في الظلمات وتنشطت

همهم

الصفحة الأولى من النسخة (د)

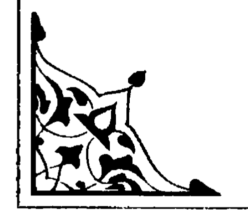
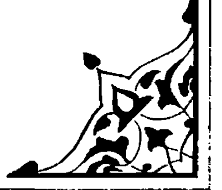


وفي كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب رواه
بعض الأئمة رحمه الله حديثاً عافانا الله سبحانه وتعالى
وأحبابنا من ذلك ومن جميع الأهوال إنه على ما يشاء قدير
وبالإجابة جدير إنه هو الغفور الرحيم • تواب • رحيم
جواد • كريم • رءوف • ودود • ذو العرش المجيد • فعال لما
يريد • والحمد لله رب العالمين تمت بعون الله سبحانه
وتعالى وصلى اللهم على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي
الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم تسليماً
ورضي الله تعالى عن كل الصحابة أجمعين
وكان الفراغ من تعليقه في اليوم السبت
المبارك في سابع يوم مضى من شهر ربيع
الثاني من شهور سنة ألف ومائة
وثمانية وأربعين على يد كاتبه
مصطفى بن محمد أحسن الله
عاقبتهما آمين
آمين

الصفحة الأخيرة من النسخة (د)




النّصّ المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي[1]

الحمدُ لله الذي خلَقَ الأرَضينَ والسَّماواتِ، وبثَّ فيهما مِن بدائعِ المَصنوعاتِ، وجعَلَ ذلكَ دليلًا لوَحدانيَّتِه، فَعَقلَ ذلك الأولياءُ[2] مِن المؤمنينَ والمُؤمناتِ، وشرَعَ شرعًا اختارَه لنفسِهِ، وأرسَلَ به رُسلَه، وأنزلَ به كُتبَه البيِّناتِ، فانقادَ[3] له وللعمَلِ به أهلُ السَّعادةِ مِن القانتينَ والقانتاتِ، وحادَ عنِ اتِّباعِه مَن خسِرَ نفْسَه فوقَعَ في الخُسرانِ المُهلِكِ والحَسراتِ[4].

وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أُعُدُّها ذَخيرةً[5] ليومِ المَماتِ، وأصلِّي على سيِّدِ السّابقينَ واللاحقينَ، صلاةً تملأُ جميعَ المخلوقاتِ، ورضِيَ الله تعالى عنِ الصَّحابةِ وعمَّنْ شمَّرَ خَلْفَهم بصدقٍ لنيلِ الدَّرجاتِ العَلِيّاتِ.

وبعدُ،

فإنّ الله عزَّ وجلَّ لمّا خاطَبَ الخلْقَ بالانقيادِ إلى الطّاعاتِ لم يخُصَّ الذُّكورَ،

---

(١) قوله: «وبه ثقتي» مثبت من (س).

(٢) قوله: «فعقل ذلك الأولياء» في (ب) و(س): «فقبل ذلك ذوو الألباب».

(٣) في (د): «وانقاد».

(٤) في (د): «فوقع في المهلك والخسارات».

(٥) «ذخيرة» ليس في (د).

بلْ قالَ سُبحانَه وتعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، والآياتُ في ذلكَ كثيرةٌ وليسَ بالخفيّاتِ، فلمّا سمِعَتِ الأنفُسُ الزَّكيّةُ كلامَ حَبيبِهم سمَتْ إلى الخلْوةِ به في الظُّلماتِ، وتشعَّبَتْ هِمَمُهُنَّ[1]؛ فمنهُنَّ[2] مَن ركَدَتْ في خلْوَتِها، ومنهُنَّ[3] مَن[4] لم يسَعْها إلا الفلَواتُ.

وقد ذكَرْتُ في كتابِي «**سيرِ السّالِكِ**» جملةً[5] مِن الرِّجالِ، ولم أذكُرْ ما يتعلَّقُ بالخَيِّراتِ، فأرَدْتُ في هذه الوَرَقاتِ أنْ أذكُرَ جملةً يسيرةً[6] مِن سِيرةِ الصّالحاتِ، لعلَّ بذكْرِ ذلكَ يحصُلُ لبعضِ مَن سمِعَتْ أحوالَهُنَّ التَّقفي خلْفَهُنَّ؛ فإنَّ ذِكْرَ أحْوالِهنَّ[7] لا شكَّ ولا ريبَ مِن المُشوِّقاتِ، وباعِثٌ على اللُّحوقِ بهِنَّ لمَنْ تسمَعُ[8] ممّا تُحِفْنَ[9] به مِن الكراماتِ.

[٢/أ] وهاهُنا نُكتَةٌ دقيقةٌ[10] ينبَغِي لطالبةِ[11] هذا الشَّأنِ أن تنتَبِهَ[12] لها، وهيَ: أنّها إذا سمِعَتْ ما فُتِحَ عَلى إحداهُنَّ مِن الفُتوحاتِ الخارقاتِ للعاداتِ، تهشُّ نفْسُها إلى أنْ تكونَ مثْلَها، فتشرَعُ تتعبَّدُ بهذا القصْدِ، وهوَ عيْنُ الحِرْمانِ والطَّرْدِ، بل ترْكُ التَّعبُّدِ لها[13] بهذا أحَبُّ إليها.

فإذا سَلِمَتْ مِن هذه الآفَةِ المُزمنَةِ[14] وفُتِحَ عليها بخيرٍ، فالوصيّةُ المتأكِّدَةُ

---

(١) في النسخ: «هممهم».
(٢) في (د): «فمنهم».
(٣) في (د): «وإن منهم».
(٤) «من» ليس في (د).
(٥) في (ب): «جمل».
(٦) قوله: «جملة يسيرة» في (د): «شيء».
(٧) في (س) و(ب): «أحوالهم».
(٨) في (د): «سمع».
(٩) في (ب): «تحضن»، وفي (د): «تحقق».
(١٠) في (د): «رقيقة».
(١١) في (د): «لطلبة».
(١٢) في (د): «تتنبه».
(١٣) «لها» ليس في (د).
(١٤) في (د): «الآفات المؤمنة».

لها: ألا تُعلِمَ أحدًا؛ فإنَّ الإعلامَ[١] أيضًا عيْنُ الحِرْمانِ، وما أخوَفَني على مَنْ فُتِحَ عليها أن يحْلُوَ لها ذكْرُ ذلكَ، فيتحَكَّمُ الشَّيطانُ منها فيضِلُّ سعْيُها معَ الأخسرينَ أعمالًا، وهيَ تظُنُّ أنّها تُحسِنُ صُنعًا، وحينئذٍ فهيَ بذلكَ ساعيةٌ في رِضا نفْسِها الأمّارَةِ ورِضا الشَّيطانِ، وقد حادَتْ عَن سَبيلِ الرَّحمنِ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ مِن هذه المُصيبةِ التي[٢] نزَلَتْ بهذه المِسكينةِ.

فينبَغِي المُبادرَةُ إلى التَّوبةِ مِن هذه العباداتِ المُهلكاتِ التي نزَلَتْ بهذه المِسكينةِ[٣] التي تؤدِّي إلى الموتِ على غيرِ دِينِ الإسلامِ، عافانا[٤] اللهُ عزَّ وجَلَّ من ذلكَ ومِن جَميعِ أسبابِ المهالِكِ، ففي الحديثِ الصَّحيحِ أنّه ﷺ قالَ: «**إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فيما يَبْدُو لِلنّاسِ، حَتَّى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَها إلا ذِراعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النّارِ فَيَدْخُلُها**»[٥]. وهذه الرِّوايةُ ساقَها مُسلمٌ في كتابِ (الإيمانِ)[٦].

وفي هذه الرِّوايةِ إشارةٌ[٧] إلى أنَّ الأعمالَ التي هيَ طاعةٌ إذا شِيبَتْ بالرِّياءِ تكونُ سَبَبًا للموْتِ على غيرِ الإسلامِ[٨]، فنسألُ[٩] اللهَ العليَّ[١٠] الحليمَ العافيةَ

---

(١) في (س) و(ب): «فالإعلام». (٢) في (د): «الذي».
(٣) قوله: «التي نزلت بهذه المسكينة» ليس في (د).
(٤) في (ب): «فأجارانا».
(٥) «صحيح البخاري» (**٣٣٣٢**)، و«صحيح مسلم» (**٢٦٤٣**).
(٦) كذا في جميع النسخ، والصواب: «في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته».
(٧) قوله: «إشارة» ليس في (س) و(ب)، ومثبت من (د).
(٨) في (د): «دين الإسلام». (٩) في (د): «نسأل».
(١٠) «العلي» مثبت من (د).

مِن أعمالٍ تؤدِّي بنا إلى ذلكَ؛ فإنّ عملًا يؤدِّي إلى عذابٍ لا آخِرَ له لمُصيبَةٌ عظيمَةٌ، والرِّياءُ سببُ ذلكَ، وهوَ مِن البلاءِ العامِّ الذي لا يكادُ ينجُو منه إلا ذاكَ وذاكَ، ولهذا قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ أخْوَفَ ما أخافُ عَلَى أُمَّتِي: الرِّياءُ، والشَّهْوَةُ الخَفيةُ**». رواه ابنُ ماجَه[1]، والحاكِمُ[2]، وابنُ المُبارَكِ في كتابِه «**الزُّهدِ**»[3]، والبيْهقِيُّ في «**شُعبِ الإيمانِ**»[4]. [٢/ب]

وفي بعضِ الرِّواياتِ: «**الشِّرْكُ**» بدَلَ «**الرِّياءُ**».

فقولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أخْوَفُ**» صيغةٌ تدُلُّ على أنّ الخوفَ مِن الرِّياءِ أعظَمُ مِن غيْرِه مِن المُهلكاتِ، فينبَغِي أن تَتنَبَّهَ لذلكَ[5]، وهذا كما تقولُ المرأةُ: أخافُ على ولَدِي مِن كذا وكذا، وأكثَرُ خَوفي عَلَيْهِ من كَذا.

ووجْهُ شدَّةِ الخوفِ مِنه: أنّه خفي، ولا يكادُ أحَدٌ يطَّلِعُ عليه إلا مَن وفَّقَه الله عزَّ وجَلَّ؛ لأنّه مِن قَبيلِ النَّفسِ الأمّارةِ، وهيَ الحاكِمةُ والنّاصحةُ، ومَنْ ركَنَ إلى حاكِمةٍ وناصحَةٍ وسلَّمَ انقيادَه إليها، كيفَ يُهدى[6] ويطَّلعُ على ما هو أخْفَى مِن دَبيبِ النَّملِ؟

ولهذا قالَ ﷺ: «**الشِّرْكُ أخْفَى في قَلْبِ[7] ابْنِ آدَمَ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْداءِ في الظُّلْمَةِ[8] الظَّلْماءِ عَلَى الصَّخْرَةِ**»[9].

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٢٠٤). وانظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٥: ١٣٧).
(٢) «مستدرك الحاكم» (٧٩٤٠).
(٣) «الزهد» لابن المبارك (١١١٤).
(٤) «شعب الإيمان» (٦٤٠٥).
(٥) في (د): «من ذلك».
(٦) في (د): «يهتدي».
(٧) في (د): «أقلب».
(٨) في (د): «الليل».
(٩) «مستدرك الحاكم» (٣١٤٨)، و«مسند أبي يعلى الموصلي» (٦٠)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٢٨٦)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٩٨١). وانظر: «علل الدارقطني» =

وفي رِوايـةٍ: «**في الرِّيـاءِ شَوائِبُ أخْفَى مِـنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**». خـرَّجَه الإمامُ أحمَدُ[١]، والطَّبرانِيُّ[٢].

وفـي رِوايةٍ: «**اتَّـقُوا هَـذا**[٣] **الشِّرْكَ؛ فإنَّهُ أخْفَى مِـن دَبِيبِ النَّمْـلِ**». رَواهُ[٤] ابنُ حِبّانَ[٥]، والدّارقُطنِيُّ[٦].

وقد سمّاهُ رَسولُ الله ﷺ: شِرْكًا.

قالَ الإمـامُ أحمَدُ رضِيَ الله عنه: «سَمَّى رَسولُ الله ﷺ الـرِّياءَ الشِّرْكَ الأصغَرَ». رَواهُ[٧] الطَّبرانِيُّ[٨]، والحاكِمُ[٩]، وقال: «إسنادُه صحيحٌ».

وقد جاءَ في الحديثِ: «**يقولُ الله عَزَّ وجَلَّ: مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أشْرَكَ فيهِ غَيْـرِي، فهُـوَ لَهُ كُلُّهُ**». رَواهُ مالِكٌ[١٠] رحمهُ الله.

وفـي رِوايةٍ: «**وَإنّهُ مِنْـهُ بَـرِيءٌ**». رَواهُ[١١] ابـنُ ماجَه[١٢]، ورَواهُ مُسلمٌ[١٣] مـعَ تَقديمٍ وتأخيرٍ في اللَّفظِ.

ولا فرْقَ في الرِّياءِ بينَ القليلِ والكثيرِ[١٤]، وإنْ كانَ[١٥] نَزْرًا يَسيرًا أم كثيرًا،

= (١٤: ١٩١) (٣٥٣٩).

(١) «مسند أحمد» (١٩٦٠٦).

(٢) «المعجم الأوسط» (٣٤٧٩).

(٣) «هذا» ليس في (د).

(٤) في (س): «ورواه».

(٥) «الثقات» لابن حبان (٥: ٣٤٢) (٥١٣٧).

(٦) «علل الدارقطني» (١: ١٩١) (١٥) و(١٤: ١٩١) (٣٥٣٩).

(٧) في (د): «ورواه».

(٨) «المعجم الكبير» (٤٣٠١).

(٩) «مستدرك الحاكم» (٧٩٣٧).

(١٠) «الموطأ» (٤٤).

(١١) في (س): «ورواه».

(١٢) «سنن ابن ماجه» (٤٢٠٤).

(١٣) «صحيح مسلم» (٢٩٨٥).

(١٤) «والكثير» مثبت من (د).

(١٥) «كان» ليس في (د).

ولهذا جاءَ في حديثِ مُعاذٍ رضِيَ الله عنه: «**أدْنَى الرِّياءِ شِرْكٌ**». كذا رَواهُ الطَّبرانِيُّ(١)، وكذا رَواهُ الحاكِمُ(٢)، ولفظُه: «**اليَسيرُ مِنَ الرِّياءِ شِرْكٌ**».

[٣/أ] وفي روايةٍ: «**لا يَقْبَلُ الله عَمَلًا فيهِ مِثْقالُ(٣) حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ رياءٍ**»(٤).

وفي الحديثِ: «**إنّ الله عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ: إنّ هَذا لَمْ يُرِدْني بعَمَلِهِ، فاجْعَلُوهُ في سِجِّينٍ**»(٥). رَواهُ ابنُ المُبارَكِ في كتابِه «**الزُّهد**»(٦)، وابنُ أبي الدُّنيا(٧)، وأبو الشَّيخِ(٨).

وفي الحديثِ: أنّه ﷺ قالَ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ، ومَنْ يُرائِي يُرائِي الله بِهِ**». رَواهُ البُخارِيُّ(٩) ومُسلمٌ(١٠).

---

(١) «المعجم الأوسط» (٤٩٥٠).

(٢) «المستدرك» للحاكم (٤). وقال: «هذا حديث صحيح، ولم يخرج في «الصحيحين»، وقد احتجا جميعًا بزيد بن أسلم، عن أبيه، عن الصحابة، واتفقا جميعًا على الاحتجاج بحديث الليث بن سعد، عن عياش بن عباس القتباني، وهذا إسناد مصري صحيح ولا يحفظ له علة».

(٣) في (س): «مثقال ذرة».

(٤) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٥١)، وابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٨١).

(٥) «المجالسة وجواهر العلم» (١٤٧٩)، و«حلية الأولياء» (٣: ٦٩)، وهو من كلام يحيى بن أبي كثير رحمه الله، وكذا في المصادر التالية.

(٦) «الزهد» لابن المبارك (٤٥٢). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٢٠٣): «أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص»، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة»، من رواية حمزة بن حبيب مرسلًا، ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات»».

(٧) «الإخلاص والنية» لابن أبي الدنيا (١٧).

(٨) «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٥٢٠).

(٩) «صحيح البخاري» (٦٤٩٩). (١٠) «صحيح مسلم» (٢٩٨٧).

ومَعْنى «**سَمَّعَ**» أي: مَنْ أظهَرَ عمَلَهُ للنّاسِ رِياءً؛ «**سَمَّعَ الله بِهِ**»، أي: فضَحَه يومَ القيامةِ[١].

ومَعْنى «**مَنْ يُرائِي يُرائِي[٢] الله بِهِ**»؛ أي: من أظهَرَ للنّاسِ العمَلَ الصّالحَ؛ ليعْظُمَ عندَهم، «**راءى الله عَزَّ وجَلَّ بِهِ**»، أي: أظهَرَ سريرَتَه على رُؤوسِ الخلائقِ[٣].

وفي روايةِ الطَّبرانِيِّ[٤] والبيْهقِيِّ[٥]: «**مَنْ سَمَّعَ النّاسَ سَمَّعَ الله بِهِ سامِعَ خَلْقِهِ، وحَقَّرَهُ وصَغَّرَهُ**».

وفي الحديثِ: «**إنّ المُرائِيَ يُنادَى عليهِ[٦] يَوْمَ القِيامَةِ: يا فاجِرُ، يا غادِرُ، يا مُرائِي، ضَلَّ عَمَلُكَ وحَبِطَ أجْرُكَ**»[٧]. رَواهُ ابنُ أبي الدُّنيا[٨]. وفي رِوايةٍ: «**يا كافِرُ، يا خاسِرُ**»[٩].

وفي هذا أحاديثُ كثيرَةٌ، معَ ما نطَقَ به كلامُ رَبِّنا عزَّ وجَلَّ مِن الأمْرِ بالإخلاصِ في غيرِ موضعٍ، فمَنْ راءَى، فقد خالَفَ القُرآنَ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ومَن راءَى لم يُخلِصْ.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨: ١١٦)، و«شرح المشكاة» للطيبي (١١: ٣٣٧٠)، و«فتح الباري» لابن حجر (١١: ٣٣٧).

(٢) في (س) و(د): «من رائى رائى».

(٣) انظر: «شرح المشكاة» للطيبي (١١: ٣٣٧٠)، و«التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢: ٤٤٨).

(٤) «المعجم الأوسط» (٤٩٨٤)، والحديث صحيح، انظر: «مجمع الزوائد» (١٠: ٢٢٢).

(٥) «شعب الإيمان» (٦٤٠٢).

(٦) «عليه» مثبت من (د).

(٧) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (١٦)، و«الفردوس بمأثور الخطاب» (٦٦١٩).

(٨) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٢٠٤): «أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يُسَمَّ وزاد: «يا كافر يا خاسر» ولم يقل: «يا مرائي» وإسناده ضعيف».

(٩) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (١٦)، و«إحياء علوم الدين» (٣: ٢٩٤).

وقد جاءَ في الحديثِ: «أنّ رجلًا قالَ: يا رَسولَ الله، إنّي أقِفُ الموقِفَ[١]؛ أبتَغِي به[٢] وجْهَ الله عزَّ وجَلَّ، وأحِبُّ أنْ يُرى موْطِنِي، فلم يرُدَّ عليه حتَّى نزلَتْ هذه الآيةُ الكريمَةُ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[٣]» [الكهف: ١١٠].

وإذا عرَفْتِ أيَّتها[٤] المؤمنَةُ الطّالبةُ للخيْرِ ما تقدَّم لكِ مِن هذه الأخبارِ[٥] والآياتِ، فلا بدَّ مِن معرفَةِ الإخلاصِ، وإلا فقد تُلَبِّسُ عليكِ النَّفسُ[٦] شيئًا تظنِّينَ أنّكِ مُخلصةٌ وأنتِ مُرائيَةٌ ولا تشعُرين[٧]، وللنّاسِ في الإخلاصِ أقاويلُ كثيرةٌ، وليسَ[٨] الغرَضُ في التَّطويلِ، فلنذكُر[٩] / نُبْذةً يسيرةً مِن ذلكَ؛ لتعرِفَ المتعبِّدةُ حالَها، أهيَ في النارِ أم في الجنَّةِ؟ [٣/ب]

ولتعلَمَ أيضًا قبلَ شُروعِها في العبادَةِ وفي شُروعِها في الطاعاتِ[١٠]: أنّ الله عزَّ وجَلَّ مُطَّلعٌ عليها وعلى سِرِّها؛ فإنْ أحسَّتْ بشيءٍ[١١] مِن الرِّياءِ فلتبادِرْ[١٢] إلى ترْكِه، وإلا فما أخوَفَنِي عليها مِن مُصيبةٍ وقعَتْ فيها، وقد قالَ العُلماءُ: «من تزيَّنَ للناسِ بما ليسَ فيه فقد سقَطَ مِن عيْنِ الله تعالى[١٣]، ولن

---

(١) في (ب) و(د): «المواقف».
(٢) «به» ليس في (د).
(٣) «المستدرك» للحاكم (٧٩٣٩)، و«الجهاد» لابن المبارك (١٢).
(٤) في (س) و(ب) و(د): «أيها».
(٥) «الأخبار» ليس في (ب).
(٦) في (د): «الشيطان والنفس».
(٧) في (س) و(ب) و(د): «تشعري».
(٨) في (ب): «ليس».
(٩) في (س) و(ب): «فنذكر».
(١٠) في (د): «الطاعة».
(١١) في (س) و(ب): «من شيء».
(١٢) في (د): «فيتبادر».
(١٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٣٦١)، و«إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك» (١٧٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨١).

يهلِكَ أحَدُ حتَّى يؤثِـرَ هَواهُ على دِينِه»[١]. فالحذَرَ الحذَرَ مِن ذلكَ.

قالَ أهْلُ التحقيقِ: «الإخلاصُ أنْ تكونَ حركَةُ الشخصِ وسُكونُه[٢] في سرِّه وعلانيتِه لله، لا يختلِطُ بذلكَ هوًى ولا دُنيا»[٣].

وقالَ بعضُهم: «الإخلاصُ: التوقِّي عن ملاحظَةِ الخَلْقِ، والصدقُ: التوقِّي عن مُطالعةِ النفسِ، فالمخلِصُ لا رِيـاءَ له، والصّادقُ والصّادقـةُ لا إعجابَ لهُما»[٤].

وقالَ بعضُهم: «الإخلاصُ أن يريدَ بطاعتِه التقرُّبَ إلى الله عزَّ وجَلَّ دُونَ التصنُّعِ للخَلْقِ، أو تَحصيلِ أنْ يُحمَدَ عندَ النّاسِ ويُثنَى[٥] عليه، أو قصْدِ معنًى مِن المعانِي غيْرِ التقرُّبِ إلى الله عزَّ وجَلَّ»[٦].

قالُوا: «وللإخلاصِ علاماتٌ[٧]:

منها: استواءُ المدْحِ والذمِّ.

ومنها: أن ينْسَى أن يرَى[٨] أنّه يعمَلُ في حالِ طاعتِه.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٧). (٢) في (ب): «وفي سكوته».

(٣) انظر: «أصول الوصول إلى الله تعالى» (٩٣)، و«الأذكار» للنووي (٧).

(٤) قوله: «وقال بعضهم: الإخلاص: التوقي عن ملاحظة الخلق، والصدق: التوقي عن مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق والصادقة لا إعجاب لهما» ليس في (ب). وانظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٣٦٠)، و«الأذكار» للنووي (٧)، و«بستان العارفين» للنووي (٢٧).

(٥) في (د): «أو يثنى».

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٣٥٩)، و«الأذكار» للنووي (٧).

(٧) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٣٦٠)، و«الغنيـة لطالبي طـريق الحق» (٢: ١١٢)، و«بستـان العارفين» للنووي (٢٧).

(٨) في (ب): «أيرى».

ومنها: طَلَبُ ثوابِ الآخرَةِ.

وقالَ(١) بعضُهم: الصادقُ هو الذي لا يُبالِي لو خرَجَ كلُّ قدْرٍ له في قُلوبِ الخلْقِ مِن أجْلِ صلاحِ قلْبِه، ولا يحِبُّ أن يطَّلعَ النّاسُ على مَثاقيلِ الذَّرِّ(٢) مِن حَسَنِ عمَلِه، ولا يكْرَهُ أن يطَّلِعَ النّاسُ على السيِّئِ مِن عمَلِه»(٣).

وهذا كلامٌ حَسنٌ؛ لأنّ مَن وصَلَ إلى ذلكَ فقَدْ أخلَصَ وماتَ عندَه(٤) ما سِوى الله عزَّ وجَلَّ، وهذا في الحقيقَةِ هو مَعْنى لا إلهَ إلا الله، فهذا هوَ الموحِّدُ بالله تعالى، والله أعلَمُ.



---

(١) في (د): «قال».

(٢) في (د): «الذرة».

(٣) قوله: «ولا يكره أن يطلع الناس على السيِّئ من عمله» ليس في (ب).

(٤) في (د): «عند».

فَصْلٌ

[في عيش النبي ﷺ][(١)]

نذكُرُ فيه شيئًا مِن عَيشِ سيِّدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ ﷺ؛ لأنّه المُشَرِّعُ، وقد قالَ[(٢)] الله عزَّ وجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾، الآية [الأحزاب: ٢١]. [٤/أ]

وإنما أذكُرُ[(٣)] ذلكَ؛ ليتبيَّنَ الحقُّ مِن الباطِلِ، ويُعلَمَ بذلكَ الموفي مِن المُماطِلِ، فأوَّلُ ما نذكُرُه[(٤)] سؤالُه لربِّه معَ ما أكرَمَه الله عزَّ وجَلَّ مِن فُتوحِ كُنوزِ الأرضِ عليه فأبَى ذلكَ، ثمَّ كانَ معَ هذا الإكرامِ يقولُ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**[(٥)]». كذا رَواهُ البُخارِيُّ[(٦)] ومُسلمٌ[(٧)]، مِن رِوايةِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

فكانَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يطلُبُ مِن ربِّه عزَّ وجَلَّ القُوتَ لا الشِّبعَ، والنّاسُ عكْسُ ذلكَ يطلُبونَ السَّعةَ، ويفرَحُونَ بما هوَ فتنةٌ، وهوَ المالُ والولَدُ، قالَ الله تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

قالَ أبو حازمٍ رحمه الله: رأيْتُ أبا هُريرةَ رضي الله عنه قالَ بإصبعِه مِرارًا[(٨)]:

---

(١) جاء في حاشية (د): «مطلب من عيش رسول الله ﷺ».

(٢) في (ب): «وقال».

(٣) في (د): «نذكر».

(٤) في (ب): «نذكر».

(٥) في (د): «كفافًا قوتًا».

(٦) «صحيح البخاري» (٦٤٦٠).

(٧) «صحيح مسلم» (١٠٥٥).

(٨) «مرارًا» ليس في (د).

«والذي نفْسُ أبي هُريرةَ بيدِه، ما شبِعَ نبيُّ الله ﷺ وأهْلُه ثلاثةَ أيّامٍ تِباعًا مِن خُبزِ حِنطةٍ حتَّى فارَقَ الدُّنيا». رَواهُ البُخارِيُّ[١] ومُسلمٌ[٢].

وقال عُمرُ بنُ الخطّابِ رضِيَ الله عنه: «كانَ رَسولُ الله ﷺ يظَلُّ اليومَ يلْتَوِي ما يجِدُ دَقَلًا يَمْلَأُ بَطْنَه». رَواهُ مُسلمٌ[٣].

والدَّقَلُ: رَديءُ التَّمرِ[٤].

وقالَ أنسٌ رضِيَ الله عنه: «ما أعلَمُ رَسولَ الله ﷺ رَأى رَغِيفًا مُرقَّقًا، ولا شاةً سَمِيطًا[٥]». رَواهُ البُخارِيُّ[٦].

ومرَّ أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه بقومٍ بينَ أيدِيهِم شاةٌ مَصْلِيّةٌ، فدَعَوْه فأبَى، ثمَّ قالَ: «خرَجَ رَسولُ الله ﷺ مِن الدُّنيا ولم يشبَعْ مِن خُبْزِ[٧] الشَّعيرِ»[٨].

وقالَ[٩] ابنُ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهما: «كانَ رَسولُ الله ﷺ يَبيتُ اللَّياليَ المُتتابعَةَ طاوِيًا هوَ وأهْلُه لا يَجِدونَ عَشاءً، وكانَ أكثَرُ خُبْزِهم الشَّعيرَ»[١٠].

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٣٧٤). (٢) «صحيح مسلم» (٢٩٧٦).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٧٨).

(٤) «الصحاح» (٤: ١٦٩٨)، و«لسان العرب» (١١: ٢٤٦)، و«المصباح المنير» (١: ١٩٧)، و«القاموس المحيط» (٩٩٩).

(٥) السميط: المنزوع منه شعره. انظر: «تهذيب اللغة» (٧: ١١٨)، و«الصحاح» (٣: ١١٣٥)، و«لسان العرب» (٧: ٢٩٦).

(٦) «صحيح البخاري» (٥٤٢١). (٧) في (س): «الخبز».

(٨) «صحيح البخاري» (٥٤١٤).

(٩) في (د): «وقال».

(١٠) «جامع الترمذي» (٢٣٦٠)، و«سنن ابن ماجه» (٣٣٤٧)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وانظر: «الأحكام الوسطى» (٤: ٢٨٤).

وقالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: «**كانَ يمُرُّ بنا**(١) **هِلالٌ وهِلالٌ**(٢) **ما يُوقَدُ في بيتٍ مِن بُيوتِ رَسولِ الله ﷺ نارٌ**». قال عُروةُ: قلْتُ: يا خالَةُ فعلى أيِّ شيءٍ كُنْتُم تَعِيشونَ؟ قالت: «عَلَى الأسودَينِ: التَّمرِ، والماءِ»(٣). [٤/ب]

وقالَ(٤) ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «**قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ وإنّ دِرْعَهُ لَمَرهونَةٌ**(٥) **عندَ رجلٍ مِن يهودَ على ثلاثينَ صاعًا مِن شَعيرٍ، أخَذَها رِزْقًا لعيالِه**»(٦).

وقالَ(٧) أنسٌ: «جاءَتْ فاطمَةُ رضِيَ الله عنها بكِسْرةِ خُبزٍ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: «**ما هَذِهِ الكِسْرَةُ يا فاطِمَةُ؟**» فقالَتْ: قُرْصٌ خبَزْتُه(٨) فلم تَطِبْ نفْسِي حتَّى أتيْتُكَ(٩) بهذه الكِسْرةِ(١٠)، فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أما إنّه أوَّلُ طَعامٍ دَخَلَ فمَ أبيكِ مُنْذُ ثَلاثَةِ أيّامٍ**»(١١).

وقالَ أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه: خـرَجَ رَسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، أو ليلةٍ، فإذا هوَ بأبي بكرٍ وعُمرَ رضِيَ الله عنهُما، فقالَ: «**ما أخْرَجَكُما مِـنْ بُيُوتِكُما هَـذِهِ السّاعَةَ؟**» قالا: الجـوعُ يا رَسولَ الله، فقالَ: «**وَأنا، والذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ،**

---

(١) في (د): «علينا».

(٢) جاء بعدها في (س): «وهلال»، وفي (د): «الهلال وهلال».

(٣) «صحيح البخاري» (٦٤٥٩)، و«صحيح مسلم» (٢٩٧٢).

(٤) في (د): «قال». (٥) «لمرهونة» ليس في (د).

(٦) «مسند أحمد» (٢١٠٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٢٠٠٢٢).

(٧) في (د): «قال». (٨) في (د): «خبزته قرصًا».

(٩) في «شعب الإيمان»: «آتيك».

(١٠) قوله: «فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة» إلى هنا ليس في (ب).

(١١) «مسند أحمد» (١٣٢٤٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٥٠)، و«شعب الإيمان» (٩٩٤٥)، والحديث ضعيف انظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٤: ١٦٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠: ٣١٢): «رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات».

لَأَخْرَجَنِي(١) **الذِي أَخْرَجَكُما، قُوما**(٢)»، فقامُوا معَه فأتَى(٣) رجُلًا مِن الأنصارِ فإذا هوَ ليسَ في بيتِه، فلمّا رأتْه المرأةُ، قالَتْ(٤): مَرْحبًا وأهلًا، فقالَ لها رَسولُ الله ﷺ: «**أيْنَ فُلانٌ؟**» قالَتْ: ذهَبَ؛ يَستعذِبُ لنا الماءَ؛ إذ جاءَ الأنصاريُّ فنظَرَ إلى رَسولِ الله ﷺ وصاحبَيْه، فقالَ: الحمْدُ لله ما أحدٌ(٥) اليومَ أكرَمَ أضيافًا منِّي، فانطلَقَ فجاءَهُم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ، فقالَ: كُلُوا، وأخَذَ المُدْيةَ(٦)، فقالَ له رَسولُ الله ﷺ: «**إيّاكَ والحَلُوبَ**» فذبَحَ لهم، فأكَلُوا(٧) مِن الشّاةِ ومِن ذلكَ العِذْقِ وشَرِبُوا، فلمّا أن شبِعُوا ورَوَوا، قالَ رَسولُ الله ﷺ لأبي بكرٍ وعُمرَ رضِيَ الله عنهُما: «**والذِي نَفْسِي بيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصابَكُمْ هَذا النَّعِيمُ**». رَواهُ مُسلمٌ(٨).

إذا كانَ هذا قولُه ﷺ في أكلَةٍ بعدَ هذا الجوعِ الشَّديدِ(٩)، فكيفَ حالُ سؤالِ مَن لم يزَلْ يأكُلُ ويترفَّهُ؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ على ما نفعَلُ/ بأنفُسِنا. [٥/أ]

والعِذْقُ: الغُصنُ(١٠)، والمُدْيةُ: السكِّينُ(١١)، والحَلُوبُ: ذاتُ اللَّبنِ(١٢).

---

(١) في (د): «أخرجني».
(٢) في (س) و(ب): «قوموا».
(٣) في (د): «فأتيا».
(٤) في (س): «قال»، وفي (د): «فقالت».
(٥) في (س): «أجد».
(٦) في (د): «المذية».
(٧) في (د): «وأكلوا».
(٨) «صحيح مسلم» (٢٠٣٨).
(٩) «الشديد» ليس في (د).
(١٠) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٣: ٢١٣)، و«شرح المشكاة» (٩: ٢٨٦٨)، و«مرقاة المفاتيح» (٧: ٢٧٣٤).
(١١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٣: ٢١٤)، و«مرقاة المفاتيح» (٧: ٢٧٣٤).
(١٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٣: ٢١٤)، و«شرح المشكاة» (٩: ٢٨٦٨)، و«مرقاة المفاتيح» (٧: ٢٧٣٤).

وهذا الأنصاريُّ الذي أتَوْه هوَ: أبو الهَيْثم بنُ التَّيِّهانِ رضِيَ الله عنه، ذكَرَه الترمذِيُّ[١] وغيْرُه[٢]، وجاءَ مُبيَّنًا في بعضِ الرواياتِ.

وقالَ أنسٌ رضِيَ الله عنه: «رهَنَ رَسولُ الله ﷺ دِرعَهُ على شعيرٍ، ومشَيْتُ إلى النَّبيِّ ﷺ بخُبزِ شعيرٍ وإهـالةٍ سَنِخَةٍ، ولقد سمِعْتُه يقـولُ: **«ما أَصْبَحَ لِآلِ مُحَمَّدٍ إلا صاعٌ، ولا أمْسَى، وإنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أبْياتٍ»**. رَواهُ البُخاريُّ[٣].

والإهالةُ بكسْرِ الهمزةِ: الشَّحمُ الذّائبُ[٤]، والسَّنِخَةُ: المتغيِّرةُ[٥].

وَيْحَكُنَّ، بل ويْلَكُنَّ يا نسـاءَ زَمانِنا، يا عـدوّاتِ أنفسِهِنَّ، تسمَعْنَ بحـالَةِ أزواجِ رَسولِ الله ﷺ، وما هُنَّ فيه مِن ضِيقِ العَيشِ، وهنَّ زوجاتُ[٦] رسولِ اللهِ ﷺ وهو أفضَلُ الخلْقِ، ولا تَتأَسَّيْنَ[٧] بهِنَّ، بل تطلُبُ إحداكُنَّ أنْ تكونَ في رغَدٍ مِن العيشِ، وإن فاتَها ثوابُ ما عندَ الله تَعالى مِن الخيْرِ.

بل مِن المُصيبةِ العَظيمةِ على الواحدَةِ منكُنَّ أنّ زوْجَها يأتِي بالشَّيءِ[٨] بعدَ أنْ كابَدَ المَشاقَّ فتُظْهِرُ الكراهيَةَ لِما[٩] أتَى به، وتعْبِسُ لذلكَ.

فكأنِّـي بها وقد تشنَّجَ وجْهُها في ظُلمةِ القبْرِ، وفي نارٍ لو نزَلَت[١٠] مِنها شرارَةٌ لأحرَقَتِ الدُّنيا وما عَلَيْها، وما أخوَفَني على الواحدَةِ منكُنَّ، وقد قالَتْ:

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٣٦٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».
(٢) «سنن النسائي» (٦٥٨٣)، و«مستخرج أبي عوانة» (٨٣٠٤)، و«شعب الإيمان» (٤٢٨٢).
(٣) «صحيح البخاري» (٢٥٠٨).
(٤) في (د): «المذاب». وانظر: «لسان العرب» (٣: ٢٧)، و«تاج العروس» (٣٢: ١٦).
(٥) انظر: «لسان العرب» (٣: ٢٧).
(٦) في (د): «أزوج».
(٧) في (د): «تتشبهن».
(٨) في (د): «بشيء».
(٩) في (س) و(ب): «كراهية ما».
(١٠) في (س): «نزل».

إنّ بيتَ فُلانٍ وفُلانٍ في عَيشٍ طيِّبٍ، ونحنُ يا خَيْتي في هذِهِ[١] الحالِ، فيقولُ لها زوْجُها: إنّ بيتَ فُلانٍ وفُلانٍ قد آثَرُوا دُنْياهُم على دِينِهم، واقتداؤُنا[٢] برَسولِ الله ﷺ وبنسائِهِ أمَّهاتِ المُؤمنينَ أحبُّ إلينا[٣] وأقرَبُ إلى رِضا[٤] الله عزَّ وجَلَّ علينا، فتقولُ في جوابِه: وأيُّ شيءٍ أعمَلُ بدينِكَ؟ اذهَبْ واقطَعْ رُؤوسَ الأحياءِ والأمواتِ وأطعِمْنِي طَيِّبًا، وألبسْنِي[٥] النّاعِمَ[٦] مِن الثِّيابِ، والآخِرَةُ مُؤخَّرةٌ، ونحْوَ ذلكَ مِن الكلامِ السيِّئ، فهذه [٥/ب] امرأةٌ قد أوقعَتْ نفْسَها في حُفرةٍ مِن[٧] حُفرِ جهنَّمَ بهذه الكلمَةِ الخبيثَةِ.

ففي حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنهُ أنّهُ قالَ: سمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: **«إنّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ ما يَتَبَيَّنُ فيها، يَزِلُّ بِها إلَى النّارِ أبْعَدَ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»**. رَواهُ البُخارِيُّ[٨] ومُسلمٌ[٩].

نعُوذُ باللهِ تعالى مِن بَطْنٍ تؤدِّي إلى هذه البليّةِ، وأيُّ شيءٍ أعظَمُ على العبْدِ مِن هذا؟

قالَ عبدُ الله بن مَسعودٍ رضِيَ الله عنه[١٠]: قالَ رَسولُ الله ﷺ: **«يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَها سَبْعُونَ ألْفَ زِمامٍ، مَعَ كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها»**. رَواهُ مُسلمٌ[١١].

---

(١) في (ب) و(د): «هذا».

(٢) في (د): «واقتدينا».

(٣) في (د): «النساء».

(٤) «رضا» ليس في (د).

(٥) في (س): «ولبسني».

(٦) في (د): «ناعمًا».

(٧) قوله: «حفرة من» ليس في (د).

(٨) «صحيح البخاري» (٦٤٧٧).

(٩) «صحيح مسلم» (٢٩٨٨).

(١٠) بعدها في (ب) و(س): «قال: قال».

(١١) «صحيح مسلم» (٢٨٤٢).

وقالَ أسامَةُ رضِيَ الله عنه: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**قُمْتُ عَلَى بابِ الجَنَّةِ، فكانَ عامَّةَ مَنْ دَخَلَها المَساكِينُ، وأصْحابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أنّ أصْحابَ النّارِ**[١] **قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إلَى النّارِ، وقُمْتُ عَلَى بابِ النّارِ فإذا عامَّةُ مَنْ دَخَلَها النِّساءُ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٢] ومُسلمٌ[٣].

والجَدُّ ـ بفتْحِ الجيمِ ـ: هوَ الحظُّ والغِنَى[٤].

فعليكِ أيَّتها[٥] المسكينةُ بالمُبادرةِ إلى التوبةِ مِن هذه الحالةِ الخبيثَةِ التي تـؤدِّي إلى هذه النارِ المَهولةِ، واحرصِي على أن تكونِـي[٦] ممَّنْ أخبرَ سَيِّدُ الأوَّلينَ والآخِرينَ بفلاحِهِ، ففي حديثِ عبدِ الله بنِ عُمرَ[٧] رضِيَ الله عنهُما، أنّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: «**قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ، وكانَ رِزْقُهُ كَفافًا، وقَنَّعَهُ الله بِما آتاهُ**». رَواهُ مُسلمٌ[٨].

وفي رِوايةِ فضالةَ الأنصارِيِّ رضِيَ الله عنه، أنّه سمِعَ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلْإسْلامِ، وكانَ عَيْشُهُ كَفافًا، وقَنَعَ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٩]، وقالَ: «حديثٌ صحيحٌ»[١٠].

وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**اطَّلَعْتُ عَلَى الجَنَّةِ فرَأيْتُ أكْثَرَ أهْلِها الفُقَراءَ،**

---

(١) «النار» ليس في (ب).
(٢) «صحيح البخاري» (٥١٩٦).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٧٣٦).
(٤) انظر: «المصباح المنير» (١: ٩٢)، و«تاج العروس» (٧: ٤٧٣).
(٥) في (س) و(ب) و(د): «أيها».
(٦) في (ب): «تكون».
(٧) «ابن عمر» ليس في (د).
(٨) «صحيح مسلم» (١٠٥٤).
(٩) «جامع الترمذي» (٢٣٤٩).
(١٠) في (د): «حديث حسن صحيح».

واطَّلَعْتُ عَلَى النّارِ فرَأيتُ أكْثَرَ أهْلِها الأغْنِياءَ[١]». رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[٢] بإسنادٍ جيِّدٍ[٣].

[٦/أ] واعلَمِي أيَّتها[٤] المُؤمنةُ الطّالبةُ للخيْرِ إن لم تتَّعظِي بما ذكَرْتُ لكِ، فاعلَمِي أنّكِ مَطرودَةٌ عنِ الخيْرِ، مُلقيةٌ نفْسَكِ في حُفرةٍ مِن حُفرِ النارِ؛ فإن لم تقْدِري على حبْسِ نفْسِكِ عن هذا البلاءِ الذي نزَلَ بكِ مِن حُبِّ المأكَلِ والملبَسِ والشَّهواتِ، فضَعِي يدَكِ في النارِ؛ تحصُلْ[٥] لكِ اليقظَةُ، واللهُ أعلَمُ.

وإذا عرَفْتُنَّ أيَّتها[٦] المُؤمناتُ الطّالباتُ للخيْراتِ ما تقدَّمَ، فعليكُنَّ بالاقتداءِ بمَنْ عِندَ ذكْرهِنَّ تتنَزَّلُ الرَّحمةُ والخَيْراتُ، وبالتأسِّي بهِنَّ يُنالُ رِضوانُ اللهِ عزَّ وجَلَّ[٧] والدَّرجاتُ السنيَّاتُ.

* * *

فأوَّلُ ما أبدَأُ بهِ:

[فاطمة بنت محمد ﷺ]

[١] فاطمَةُ رَضِيَ اللهُ عنها، بنتُ سيِّدِ السّابقينَ واللاحقينَ رَسولِ اللهِ ﷺ[٨].

---

(١) جاء بعدها في «مسند أحمد»: «والنساء».

(٢) «مسند أحمد» (٦٦١١).

(٣) انظر: «المطالب العالية» (١٨: ٦٢٨)، و«مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠: ٢٦١).

(٤) في (س) و(ب) و(د): «أيها». (٥) في (د): «ليحصل».

(٦) في (س) و(ب): «أيها».

(٧) في (د): «رضوان الله عليكن».

(٨) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٩)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٩٣)، و«المنتظم» (٤: ٩٥).

وأمُّها خديجةُ(١) رضِيَ الله عنها، ولدَتْها وقريشٌ تبْنِي البيتَ الحَرامَ(٢) قبلَ النبوَّةِ بخمْسِ سِنينَ، وهيَ أصغَرُ بَناتِه(٣).

وتزوَّجَها(٤) عليٌّ رضِيَ الله عنه في السنةِ الثانيةِ مِن الهجْرةِ في رَمضانَ، وبَنَى بها في ذي الحجَّةِ.

وقيلَ: تزوَّجَها في رَجبٍ، وقيلَ: في صَفرٍ، فولَدَتْ له الحسَنَ، والحُسينَ، وزينَبَ، وأمَّ كُلثومٍ(٥).

قالَ عليٌّ رضِيَ الله عنه: «لقد تزوَّجْتُ فاطمَةَ وما لي ولها فراشٌ غيْرَ جلْدِ كبشٍ ننامُ(٦) عليه باللَّيلِ، ونعلفُ عليه الناضِحَ بالنهارِ، وما لي ولها خادِمٌ غيْرُها»(٧).

قالَ عليٌّ رضِيَ الله عنه: «لمّا زوَّجَنِي رَسولُ الله ﷺ بفاطمَةَ رضِيَ الله عنها بعَثَ معَها خميلَةً، ووِسادَةَ أدَمٍ حشْوُها لِيفٌ، ورَحًى(٨)، وسِقاءً، وجَرَّتينِ».

والأدَمُ: الجلْدُ(٩)، والرَّحَى: الطّاحونَةُ(١٠).

---

(١) في (د): «خديجة الكبرى». (٢) «الحرام» ليس في (س).
(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٩)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٩٣)، و«المنتظم» (٤: ٩٥).
(٤) في (د): «تزوجها».
(٥) وولدت له أيضًا من الذكور: مُحسنًا، ولكنه مات صغيرًا. وانظر: «سيرة ابن إسحاق» (٢٤٧)، و«مسند أحمد» (٧٦٩)، و«المنتخب من ذيل المذيل» (٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٨).
(٦) في (د): «تنام».
(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٢)، و«المجالسة وجواهر العلم» (١٣٦١).
(٨) في «مسند أحمد»: «ورحيين».
(٩) انظر: «الصحاح» (٥: ١٨٥٨)، و«لسان العرب» (١٢: ١٠)، و«القاموس المحيط» (١٠٧٤).
(١٠) انظر: «لسان العرب» (١٣: ٢٦٤)، و«المصباح المنير» (٢: ٣٧٠)، و«تاج العروس» (٣٥: ٣٤٩).

قالَ[١] عليٌّ ذاتَ يومٍ لفاطمَةَ: لقد سَنَوْتُ حتَّى اشتكَيْتُ صَدْرِي، وقدْ جاءَ اللهُ تعالى أباكِ بسبْيٍ، فاذهَبِي فاستخْدِمِيهِ يعْنِي: اطلُبِي منه خادمًا، فقالَتْ فاطمَةُ رضي الله عنها: وأنا والله طحَنْتُ حتَّى مَجَلَتْ يَداي أي: نفطَتْ[٢]، فلمّا أتَتِ النَّبيَّ ﷺ، قالَ: «**ما جاءَ بِكِ أيْ بُنَيَّةُ؟**» فقالَتْ: جِئْتُ؛ لأسلِّمَ عَليكَ، [٦/ب] واسْتَحْيَتْ أنْ تسألَه، فرجَعَتْ، فقالَ عليٌّ: ما فعَلْتِ؟

فقالَتْ: استحيَيْتُ أنْ[٣] أسألَه، فأتياهُ[٤] جميعًا، فقالَ عليٌّ: يا رَسولَ الله، لقد سَنَوْتُ حتَّى اشتكَيْتُ صَدْرِي، وقالَتْ فاطمَةُ: قد[٥] طحَنْتُ حتَّى مجَلَتْ يَداي، وقدْ جاءَ اللهُ عزَّ وجَلَّ بهذا السَّبيِ وبسَعَةٍ فأخْدِمْنا، فقالَ ﷺ: «**لا والله، لا أُعْطِيكُما وأدَعُ أهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ، لا أجِدُ ما أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، ولَكِنِّي أبِيعُهُمْ وأُنْفِقُ عَلَيهِمْ أثْمانَهُمْ**». فرجَعا، فأتاهُما النَّبيُّ ﷺ وقد دَخَلا في قَطيفتِهما، وكانا إذا غَطَّيا رُؤوسَهما تكشَّفَتْ أقدامُهما، وإذا غَطَّيا أقدامَهُما تكشَّفَتْ رُؤوسُهما، فثارا، فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**مَكانَكُما**»، ثمَّ قالَ: «**ألا أُخْبِرُكُما[٦] بِخَيْرٍ مِمّا[٧] سَألْتُمانِي؟**» قالا: بَلَى، فقالَ: «**كَلِماتٌ[٨] عَلَّمَنِيهِنَّ[٩] جِبْرِيلُ: إذا أوَيْتُما إلَى فِراشِكُما، فسَبِّحا ثَلاثًا وثَلاثِينَ، واحْمَدا ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وكَبِّرا أرْبَعًا وثَلاثِينَ**»[١٠].

---

(١) في (د): «فقال».

(٢) في (د): «انقطعت». وانظر: «الصحاح» (٥: ١٨١٦)، و«لسان العرب» (١١: ٦١٦)، و«القاموس المحيط» (١٠٥٦).

(٣) في (ب): «أني».

(٤) في «مسند أحمد»: «فأتيناه».

(٥) في (د): «وقد».

(٦) في (د): «أخيركما».

(٧) في (ب): «ما».

(٨) في (د): «كلمتان».

(٩) في (د): «علمني».

(١٠) «صحيح البخاري» (٥٣٦١).

فقالَ عليٌّ رضِيَ اللهُ عنه: فواللهِ ما تركتُهُنَّ منذُ عَلَّمنِيهِنَّ رَسولُ اللهِ ﷺ، فقالَ له ابـنُ الكَوّاءِ[١]: ولا ليلةَ صِفيـنَ؟ فقالَ عليٌّ رضِيَ اللهُ عنه: قاتلَكُمُ اللهُ يا أَهْلَ العِراقِ، نعَمْ ولا لَيْلَةَ صِفينَ[٢].

وقـالَ عليٌّ رضِيَ اللهُ عنه: «لقَدْ كانَتْ فاطمَةُ بنتُ رَسولِ اللهِ ﷺ أكرَمَ أهْلِه عليه[٣]، وكانَتْ زوجَتِي، فجرَّتْ[٤] بالرَّحَى حتَّى أثَّرَتِ الرَّحا بيدِها[٥]، واستقَتْ[٦] بالقِرْبةِ حتَّى أثَّرَتِ القِرْبةُ بنَحْرِها، وقمَّتِ البيتَ أي: كنسَتْه[٧] حتَّى اغبَرَّتْ ثِيابُها، وأوقَدَتْ تحتَ القِـدْرِ حتَّى دنِسَتْ ثِيابُها، وأصابَها مِـن ذلكَ ضرٌّ»[٨]. واللهُ أعلَمُ.

ويْحَكُنَّ بل ويْلَكُنَّ يا نساءَ هذا الزمانِ! بمَنِ اقتديْتُنَّ في تكبُّرِكُنَّ وترفُّهِكُنَّ[٩] وأكلِكُنَّ الطَّيِّبَ ولُبْسِكُنَّ النّاعِمَ وإخـدامِكُنَّ الأرِقّـاءَ والأحـرارَ؟ وهذه بنـتُ سيِّدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ تفعَلُ هذه الأمورَ، وتقبَلُ وصيّةَ أبِيها مُعلِّمِ الخيرِ ﷺ [٧/أ] فـي التعوُّضِ عن هذه التـرفُّهاتِ بهذه الباقيـاتِ الصالحـاتِ، وهيَ التَّسبيـحُ والتَّحميـدُ والتَّكبيرُ، فكأنِّـي بِكُنَّ وقد ذهَبَتْ[١٠] عنكُنَّ هـذه الشَّهواتُ، وبقِيَتِ التَّبِعاتُ والمُطالَباتُ.

---

(١) في (د): «ابن اللاوي».
(٢) «مسند أحمد» (٨٣٨).
(٣) «عليه» ليس في (د).
(٤) في (ب): «فحدت».
(٥) في (د): «في يدها».
(٦) في (د): «واستقيت».
(٧) انظر: «الصحاح» (٥: ٢٠١٥)، و«لسان العرب» (١٢: ٤٩٣).
(٨) «سنن أبي داود» (٢٩٨٨)، و«الدعاء» للطبراني (٢٣٥).
(٩) «وترفهكن» ليس في (د).
(١٠) في (د): «ذهب».

ويْحَكُنَّ؛ اتَّقِينَ الله عزَّ وجَلَّ في أزواجِكُنَّ وفي أنفسِكُنَّ، فما أشدَّ أهوالِ الآخرَةِ، يا نساءَ المُؤمناتِ، انتصِحْنَ فإنّي والله لكُنَّ مِن النّاصحينَ، ولئنْ[١] أطعْتُنَّ ما نبَّهتُكُنَّ عليه واقتدَيْتُنَّ باللاتي[٢] أذكُرُهُنَّ لَتكونُنَّ مِن الفائزاتِ بالدَّرجاتِ العَلِيّاتِ[٣] في جنّاتِ النعيمِ.

وما هذه الدارُ الغرّارةُ التي وصَفَها الله تعالى بما وصَفَ به إبليسَ، عافانا[٤] الله تعالى وإيّاكُنَّ[٥] مِن شَرِّهَا[٦] وبلائِها، فلَكَمْ والله قد أهلَكَتْ مِن شَخصٍ، وكانَ يوَدُّ أنّه[٧] لم يشبَعْ يومًا؛ لِما رَأى مِنَ النَّعيمِ المُقيمِ للمُقِلِّينَ، والعذابِ الكبيرِ[٨] الأليمِ للمُترفِّهينَ، والله أعلَمُ.

قالَ رَسولُ الله ﷺ: **«مَنْ تَرَكَ اللِّباسَ؛ تواضُعًا لله عَزَّ وجَلَّ وهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعاهُ الله[٩] يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ أيَّ حُلَلِ الإيمانِ شاءَ يَلْبَسُها»**[١٠].

رَواهُ الترمذِيُّ[١١]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يُنْظَرْ الله[١٢] إلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ»**.

---

(١) في (ب): «ولأن».
(٢) في (س) و(د): «بالتي».
(٣) في (د): «العاليات».
(٤) في (د): «عافاكن».
(٥) في (د): «وإيانا».
(٦) «شرها» مثبت من (د).
(٧) في (ب): «أن».
(٨) «الكبير» ليس في (د).
(٩) لفظ الجلالة مثبت من (د).
(١٠) «مسند أحمد» (١٥٦٣١)، و«مستدرك الحاكم» (٧٣٧٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
(١١) «جامع الترمذي» (٢٤٨١).
(١٢) لفظ الجلالة مثبت من (د).

رَواهُ الترمذِيُّ[١]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

والأخبارُ بمثْلِ[٢] ذلكَ كثيرةٌ، والله أعلَمُ[٣].

قالَ عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ: «كانَتْ فاطمَةُ بنتُ رَسولِ الله ﷺ لَتعجِنُ وَإنّ قُصَّتَها[٤] تكادُ تضرِبُ الجَفْنَةَ»[٥].

تُوفيتْ فاطمَةُ رضِيَ الله عنها بعدَ رَسولِ الله ﷺ بستّةِ أشهُرٍ في ليلةِ الثلاثاءِ لثلاثٍ خلَوْنَ مِن رَمضانَ سنةَ اثنَتَي عشْرَةَ، وهيَ بنتُ ثمانٍ وعشرينَ سنَةً ونصْفٍ، وغسَّلَها عليٌّ رضِيَ الله تعالى عنهُما، وصلَّى عليها[٦]، وقيلَ: صلَّى عليها العبّاسُ رضي الله عنه، ودُفِنَتْ ليلًا، وقيلَ غيرُ ذلكَ[٧]، والله أعلَمُ.

* * *

[خديجة بنت خويلد]

[٢] **ومِنْهُنَّ**[٨]: خديجَةُ بنتُ خُويلدٍ رضي الله عنها[٩].

سافَرَ لها رَسولُ الله ﷺ في تجارةٍ، فرَأتْ عندَ قُدومِه غَمامةً تُظِلُّه، فتزوَّجَته،

---

(١) «جامع الترمذي» (١٧٣١).

(٢) في (د): «مثل».

(٣) قوله: «والأخبار بمثل ذلك كثيرة، والله أعلم» ليس في (ب).

(٤) في (س) و(ب): «قصبتها»، وفي (د): «قبضتها».

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٥١٥)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٣: ٣١٢).

(٦) قوله: «وصلى عليها» ليس في (د).

(٧) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣١٨٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ١٦١).

(٨) في (س): «ومنهم».

(٩) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٤)، و«الإصابة» (٨: ٩٩).

[٧/ب] وكانَتْ تزوَّجَتْ قبْلَه بزوجينِ[١]، ثمَّ تزوَّجَها رَسولُ الله ﷺ وهيَ بنتُ أربعينَ سنَةً، وجاءَتْه[٢] عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ النبوَّةُ فأسلَمَتْ، فهيَ أوَّلُ امرأةٍ آمنَتْ به، ولم ينكِحْ غيْرَها حتَّى ماتَتْ، وجميعُ أولادِه منها سِوى إبراهيمَ[٣].

قالَ أبو هُريرةَ: «أتَى جِبْريلُ النَّبيَّ ﷺ فقالَ: «يا رَسولَ الله هذه خديجَةُ قد أتَتْكَ بإناءٍ فيه إدامٌ، أو طعامٌ، أو شَرابٌ[٤]، فإذا هيَ أتَتْكَ فاقرَأْ عليها السَّلامَ مِن ربِّها ومِنِّي، وبشِّرْها ببيتٍ في الجنَّةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخبَ فيه ولا نَصَبَ».

رَواهُ البُخارِيُّ[٥] ومُسلِمٌ[٦].

وهذا الخيْرُ العظيمُ الَّذي حصَلَ لها، إنَّما كانَ بحُسنِ أدبِها معَه ﷺ، وبإيثارِها له بمالِها ونفْسِها، فعليكُنَّ بالإحسانِ إلى أزواجِكُنَّ الأخيارِ، ومَن كانَتْ معَ زوجٍ عَريفٍ أو نَقيبٍ أو ظالمٍ أو فاسقٍ فلتتخلَّصْ[٧] منه، وإلا فقد أوقَعَتْ نفْسَها في بلاءٍ عظيمٍ.

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**كلُّ[٨] جِسْمٍ نَبَتَ عَلَى حَرامٍ فالنّارُ أوْلَى بِهِ**»[٩].

عافانا الله تعالى وإيّاكُنَّ[١٠] مِن أسبابِ النارِ، والله أعلَمُ.

---

(١) «بزوجين» ليس في (د). (٢) في (د): «وجاءت».

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (٥: ٢٩٣)، و«الإصابة» (٨: ٩٩).

(٤) في (ب) و(د): «وطعام وشراب». (٥) «صحيح البخاري» (٣٨٢٠).

(٦) «صحيح مسلم» (٢٤٣٢).

(٧) في (د): «فلتخلص».

(٨) «كل» مثبت من (ب).

(٩) «جامع الترمذي» (٦١٤) بلفظ: «لا يربوا لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به»، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من هذا الوجه».

(١٠) في (د): «وإياك».

وقالَتْ[١] عائشَةُ رضِيَ الله عنها: كانَ رَسولُ الله ﷺ لا يكادُ يخْرُجُ مِن البيتِ حتَّى يذكُرَ خديجَةَ فيحْسِنُ عليها الثَّناءَ، فذكَرَها يومًا مِن الأيّام فأدركَتْنِي الغَيرَةُ، فقلْتُ: هل كانَتْ إلا عَجوزًا قد أخلفَكَ الله تعالى خَيرًا منها؟

فغضِبَ حتَّى اهتزَّ مقدَّمُ شعْرِه، ثمَّ قالَ: «**لا والله، ما أخْلَفَ الله خَيْرًا مِنْها؛ لَقَدْ آمَنَتْ إذْ[٢] كَفَرَ النّاسُ، وصَدَّقَتْنِي إذْ كَذَّبَنِي النّاسُ، وواسَتْنِي بمالِها إذْ حَرَمَنِي النّاسُ**»[٣]. قالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: فقُلْتُ بَيْنِي وبينَ نفْسِي[٤]: لا أذكُرُها بسُوءٍ[٥] أبدًا[٦].

تُوفيتْ خديجَةُ رضِيَ الله عنها بعَدْ أنْ مَضَى مِن النبوَّةِ عشْرُ سِنينَ، وهيَ بنتُ خمسٍ وستِّينَ سنَةً، ودُفِنَتْ بالحَجُونِ، ونزَلَ رَسولُ الله ﷺ في حُفْرتِها، والله أعلَمُ[٧].

* * *

---

(١) في (س): «قالت». (٢) في (د): «حين».

(٣) «مسند أحمد» (٢٤٩٠٨)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢١)، والحديث حسن، انظر: «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٩: ٢٢٤)، والحديث في «صحيح البخاري» (٣٨٢١)، و«صحيح مسلم» (٢٤٣٧) بمعناه.

(٤) في (د): «فقلت في نفسي».

(٥) في (د): «بشر».

(٦) انظر: «المنتظم» (٣: ١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٨)، قال ابن حجر في «الإصابة» (٨: ١٠٣): «قالت عائشة: فقلت في نفسي: لا أذكرها بعدها بسبة أبدًا. أخرجه أبو عمر أيضًا، رويناه في كتاب «الذرية الطاهرة» للدولابي من طريق وائل بن أبي داود، عن عبد الله البهي عن عائشة».

(٧) انظر: «مقاتل الطالبيين» (٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٨)، و«جامع الأصول» (١٢: ٩٧).

[عائشة بنت أبي بكر الصديق]

[٣] ومِنْهُنَّ: عائشَةُ بنتُ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضِيَ الله عنهُما[(١)].

[٨/أ] وكانَتْ مُسماةً لجُبيرٍ[(٢)] بنِ مُطعِمٍ، فخطَبَها رَسولُ الله ﷺ، فقالَ أبو بكرٍ رضِيَ الله عنه: «دعْنِي حتَّى أسُلَّها مِن جُبيرٍ سَلًّا رفيقًا»، ففعَلَ وتزوَّجَها[(٣)] رَسولُ الله ﷺ بمكَّةَ في شوّالٍ قبلَ الهجْرةِ بسنتينِ، وقيلَ: بثلاثٍ، وهيَ بنتُ ستِّ سِنينَ، وبَنَى بها بالمدينةِ أي: دخَلَ بها وهيَ بنتُ تِسعِ سِنينَ، ولم يتزوَّجْ بِكْرًا غيْرَها[(٤)].

قالَ[(٥)] هِشامُ بنُ عُروةَ: «كانَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها تسرُدُ الصَّومَ»[(٦)].

وقالَ عبدُ الرحمنِ بنُ القاسِمِ: قالَ أبي: «كانَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها تَصومُ الدَّهرَ، لا تفطِرُ إلا يومَ الأضْحَى أو يومَ الفِطْرِ»[(٧)].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها كثيرةَ الاجتهادِ في العبادَةِ.

قالَ القاسِمُ[(٨)]: «كنْتُ إذا غدَوْتُ أبدَأُ ببيتِ عائشَةَ رضِيَ الله عنها؛ أسلِّمُ عليها، فغدَوْتُ يومًا، فإذا هيَ تُصلِّي وتقرَأُ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، وتدْعُو وتبْكِي، وتُرَدِّدُها حتَّى مَلِلْتُ القيامَ، فذهبتُ إلى

---

(١) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٨٨١)، و«المنتظم» (٥: ٣٠٢).

(٢) في (س) و(ب): «بجبير».

(٣) في (د): «فتزوجها».

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٥٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٢).

(٥) قوله: «قال» مكررة في (س).

(٦) انظر: «الصيام» للفريابي (١٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩).

(٧) «مسند ابن الجعد» (٢٦٣٦)، و«الطبقات الكبرى» (٨: ٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩).

(٨) «القاسم» ليس في (د).

السُّوقِ لحاجَتِي وجئتُ[١]، فإذا هيَ قائمةٌ كما هيَ[٢] تُصلِّي وتبْكِي»[٣].

ومِن كلامِها النّافعِ رضِيَ الله عنها: «إنّكُم لنْ تلْقُوا الله تعالى بشيءٍ خيْرٌ لكُمْ مِن قلَّةِ الذُّنوبِ، فمَنْ سرَّهُ أن يسبِقَ الدّائبَ[٤] المُجتهِدَ فليكُفَّ عنِ الذنوبِ»[٥].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها زاهدَةً راغبَةً في الإيثارِ معَ كثرَةِ عِبادتِها.

قالَ عَطاءٌ رحمه الله: «بعَثَ مُعاويةُ رضِيَ الله عنه إليها بطوقٍ مِن ذهَبٍ فيه جوْهَرٌ قُوِّمَ بمئةِ ألفٍ، فقسَّمَتْه بينَ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ»[٦].

قالَ محمَّدُ بنُ المنكدِرِ: قالَتْ أمُّ ذرَّةَ[٧] وكانَتْ تخدُمُ عائشَةَ رضِيَ الله عنها: «بعَثَ[٨] إليها ابنُ الزُّبيرِ رضي الله عنهُ بمالٍ في غِرارتَيْنِ، قالَتْ: أراه ثمانينَ أو مئةَ[٩] ألفٍ، فدَعَتْ بطَبَقٍ، وهيَ يومئذٍ صائمةٌ، فجلَسَتْ تقسِّمُه بينَ

---

(١) «وجئت» ليس في (د).

(٢) قوله: «كما هي» ليس في (د) ومضروب عليه في (ب).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٥-٤٠٦)، وهذا الأثر في «شعب الإيمان» (١٩٢٤)، و«حلية الأولياء» (٢: ٤٨)، و«الزهد» لأحمد بن حنبل (٩٠٩)، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «أنها كانت إذا قرأت: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، قالت: «اللهم مُنَّ عليَّ وقني عذاب السموم».

(٤) في (د): «التائب».

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٧٣٨)، و«الزهد» لأبي داود (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٦).

(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٠٣٣٣)، و«الزهد» لهناد بن السري (٦١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).

(٧) في (د): «درة».

(٨) في (د): «فبعث».

(٩) في (د): «ومئة».

الناسِ، فأمسَتْ وما عندَها مِن ذلكَ دِرهمٌ، فلمّا أمسَتْ، قالَتْ: يا جاريةُ هلُمِّي فِطْري[(١)]، فجاءَتْها بخُبزٍ وزَيتٍ، فقالَت لها أمُّ ذرَّةَ: أما استطَعْتِ مِمّا قسَمْتِ اليومَ أن تشترِيَ لنا[(٢)] بدِرهمٍ لَحْمًا[(٣)] نفطِرُ عليه[(٤)]؟ فقالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: لا تعنِّفينِي؛ لـو كنْتِ ذكَّرتِنِي لفعَلْتُ»[(٥)]، والله أعلَمُ.

[٨/ب] هذا شأْنُ طالباتِ الآخرَةِ نسِيَتْ نفْسَها رضِيَ الله عنها، وآثَرَتْ بهذا المالِ العظيمِ رجاءَ ثوابِ الله عزَّ وجَلَّ ورِضاهُ.

وأنتُنَّ يا نساءَ هذا الزَّمانِ عكْسُ ذلكَ، تترُكْنَ ما يقرِّبُ[(٦)] إلى الله عزَّ وجَلَّ وتفعَلْنَ ما يُبعِدُكُنَّ عنه، وتخْشَينَ الفقْرَ، ولا تتَّقِينَ الله عزَّ وجَلَّ لا في مأكلٍ ولا مَلبَسٍ، أيُّ مُصيبةٍ أعظَمُ ممّا أنتُنَّ[(٧)] علَيْهِ[(٨)] مِن هذه الخِصالِ الخَبيثةِ؟ فعليكُنَّ بالتَّوبةِ والاقتداءِ بأمِّكُنَّ[(٩)] رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

قالَ عُروةُ: «لقد رأيتُ عائشةَ رضِيَ الله عنها تُقسِّمُ سَبعينَ ألفًا وهيَ ترقِّعُ دِرْعَها»[(١٠)].

وكانَتْ رضِيَ الله عنـها شديدَةَ الخوفِ مِـن الله عزَّ وجَلَّ، لمّا مـرِضَتْ جاءَ عبدُ الله بـنُ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما يستأذِنُ عليها وعندَ رأْسِها ابنُ أخِيها

---

(١) في (د): «أفطر». (٢) في (د): «لها».

(٣) كأنها في (س): «مما». (٤) في (د): «عليها».

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٦٧)، و«حلية الأولياء» (٢: ٤٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).

(٦) في (د): «يتقرب». (٧) في (ب) و(س): «أنتم».

(٨) في (د): «فيه». (٩) في (د): «بعائشة».

(١٠) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٧٤٠)، و«حلية الأولياء» (٢: ٤٧).

عبدُ الله بـنُ عبدِ الرحمنِ[١]، فقالَتْ: «دَعْنِـي مِنِ ابنِ عبّاسٍ»، فقالَ: «يا أمّاهُ، إنّ[٢] ابنَ عبّاسٍ مِن صالحِي بَنِيكِ، يُرِيدُ أنْ[٣] يُسلِّمَ عليكِ»، فقالَت: «ائذَنْ لهُ إنْ شئْتَ»، فأدْخَلْتُهُ، فلمّا جلَسَ، قالَ: «أبشِرِي فما بينَكِ وبينَ أنْ تلْقَيْ مُحمَّدًا ﷺ والأحِبَّةَ إلا أنْ تخرُجَ الرُّوحُ مِن الجسَدِ، كنْتِ أحَبَّ نِساءِ رَسولِ الله ﷺ إلـى رَسولِ الله، ولم يكُنْ رَسـولُ الله ﷺ يحِبُّ إلا طَيِّبًا، وسقَطَتْ قِـلادَتُكِ يومَ الأبواءِ[٤]، فأصبَحَ رَسولُ الله ﷺ حتَّى تصبَّحَ فـي المنزِلِ، وأصبَحَ النّاسُ وليسَ معَهُم ماءٌ، فأنزَلَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، فكانَ ذلكَ بسبَبِكِ، ومـا أنزَلَ الله تعالـى لهذه[٥] الأمَّةِ مِـن هذه الرُّخصةِ، وأنزَلَ الله عزَّ وجَلَّ براءَتَكِ مِن فوقِ سَبْعِ سَماواتٍ، جاءَ بها الرُّوحُ الأمينُ، فأصبَحَ ليسَ مسجِدٌ مِن مساجِدِ الله عزَّ وجَلَّ يُذكَرُ فيه الله عزَّ وجَلَّ إلا يُتْلَى فيه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ».

فقالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: «دَعْنِي مِنكَ يا ابنَ عبّاسٍ، فوالذي[٦] نفْسِي بيدِه، لودِدْتُ أنِّي كنْتُ نَسيًا مَنْسِيًّا»[٧].

قالَ الواقـدِيُّ: «تُوفيتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها ليلَةَ الثُّلاثاءِ لسبْعَ عشْـرَةَ مَضَتْ مِن رَمضانَ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ، وهيَ ابنةُ ستٍّ وستِّينَ سنَةً»[٨].

---

(١) جاء بعدها في «مسند أحمد»: «فقلت: هذا ابن عباس يستأذن».
(٢) «إن» ليس في (د).
(٣) «أن» مثبت من المصادر.
(٤) في (د): «الأنواء».
(٥) في (د): «بهذه».
(٦) في (ب): «فوالله الذي».
(٧) «مسند أحمـد» (٢٤٩٦)، و«المعجم الكبيـر» للطبرانـي (١٠٧٨٣)، وأصل الحديث فـي «صحيح البخاري» (٤٧٥٣).
(٨) انظر: «الطبقات الكبـرى» (٨: ٧٨)، و«الاستيعاب فـي معرفة الأصحاب» (٤: ١٨٨٥)، و«أسد الغابة» (٦: ١٩٢).

[٩/أ] وقالَ غيْرُه: «تُوفيتْ سنةَ سبعٍ وخمسينَ».

وأوصَتْ أنْ تُدفَنَ بالبقيعِ معَ صَواحِباتِها، وصلَّى عليها أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه، وكانَ خليفةَ مَرْوانَ بالمدينةِ[1]، واللهُ أعلم.

* * *

[حفصة بنت عمر بن الخطاب]

[٤] **ومنهُنَّ**: حفصةُ بنتُ عُمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ الله عنهُما.

وكانَتْ عندَ خُنَيْسِ بنِ حذافةَ السَّهمِيِّ، وهاجَرَتْ معَه إلى المدينةِ، فماتَ عنها بعدَ الهجْرةِ لمّا قدِمَ رَسولُ الله ﷺ مِن بدْرٍ[2].

قالَ عمرُ: «تأيَّمتْ حفصةُ مِن خُنيسٍ، وكانَ ممَّنْ شهِدَ بَدرًا، فلقِيتُ عُثمانَ ابنَ عفّانَ، فعَرَضْتُ عليه حفصةَ، فقلْتُ: إن شئْتَ أنكحْتُكَ حفصةَ، فقالَ: سأنظُرُ[3] في أمْرِي، فبقِيتُ لَيالِيَ، فلقِيَنِي، فقالَ: ما أريدُ أن أتزوَّجَ يومِي هذا.

قالَ عمرُ: فلقِيتُ أبا بكرٍ، فقُلْتُ: إن شئْتَ أنكحتُكَ حفصةَ، فلم يَرجِعْ إليَّ شيئًا، فكنْتُ أوجَدَ عليه منِّي على عُثمانَ، فلبِثْتُ ليالِيَ فخطَبَها إليَّ[4] رَسولُ الله ﷺ، فأنكَحْتُها إيّاهُ، فلقِيَنِي أبو بكرٍ، فقالَ: لعلَّكَ وجَدتَ عليَّ حينَ عرَضتَ عليَّ حفصةَ فلم أرجِعْ إليكَ شيئًا؟

---

(١) «بالمدينة» ليس في (ب). وانظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٢٠٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٢).

(٢) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٨١)، و«أسد الغابة» (٦: ٦٥).

(٣) في (ب): «سأنظري».

(٤) «إلي» ليس في (د).

قالَ: قلْتُ: نعَمْ، قالَ: فإنّه لم يمنَعْنِي أنْ أرجِعَ إليكَ شيئًا حينَ عرَضْتَها عليَّ، إلا أنِّي سمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يذْكُرُها، ولم أكُنْ لأفشِيَ سرَّ[١] رَسولِ الله ﷺ، ولو ترَكَها لنكَحتُها». رَواهُ البُخارِيُّ[٢].

وأخَذَ العُلماء رضِيَ الله عنهم مِن ذلكَ استحبابَ عرْضِ الرَّجلِ مُوليته على الرَّجلِ الصّالحِ[٣]؛ لأنّ الله تعالى يتولَّى الصّالحينَ، ومَن يتولاه الله عزَّ وجَلَّ فهوَ سعيدُ[٤] الدُّنيا والآخرَةِ، ولهذا كانَتِ الملوكُ تخطُبُ بناتِ واحدٍ منهم[٥] فيأبَى ذلكَ، ويحرِصُ على أنْ تكونَ مُوليتُه تحتَ مَن يعلِّمُها الخيرَ؛ ليسْلَمَ دينُها، وتفرَحُ بذلكَ، وتحزَنُ إذا كانَتْ تحتَ مَن هوَ مِن أبناءِ الدُّنيا؛ لأنّ السَّعةَ مفسدِةٌ للدِّينِ، والفقْرُ شِعارُ الأنبياءِ ودِثارُ الأولياءِ، أعادَ الله تعالى علَيْنا مِن بركاتِهم.

وقد ماتَ بينَ مكَّةَ والمدينةِ سبعون نبيًّا عليهم الصلاة والسلام بالقَمْلِ[٦]

---

(١) في (د): «بسر».
(٢) «صحيح البخاري» (٤٠٠٥).
(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧: ٢٢٩)، و«عمدة القاري» (٢٠: ١١٤)، و«شرح القسطلاني» (٨: ٤٥)، وقد وضعه البخاري تحت (باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير) «صحيح البخاري» (٧: ١٣).
(٤) في (د): «سيد».
(٥) في (د): «منهن».
(٦) أخرج الحاكم في «المستدرك» (٧٨٤٨)، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو محموم فوضعت يدي من فوق القطيفة فوجدت حرارة الحمى فقلت: ما أشد حماك يا رسول الله! قال: «إنا كذلك معشر الأنبياء، يضاعف علينا الوجع ليضاعف لنا الأجر» قال: فقلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء» قلت: ثم من؟ قال: «ثم الصالحون، إن كان الرجل ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباء فيحويها ويلبسها، وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل، وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وهو في: «الزهد» للإمام أحمد (٣٣٦)، و«المرض والكفارات» لابن أبي الدنيا (١).

والجُوعِ[١]؛ وذلكَ لكرامتِهم على الله عزَّ وجَلَّ.

قالَ[٢] ثابتٌ: «خطَبَ يزيدُ بنُ مُعاويةَ الدَّرداءَ، فردَّه أبو الدَّرداءِ، فخطَبَها شخْصٌ مِن ضُعفاءِ المُسلمينَ فأنكَحَه إيّاها، فتحدَّثَ النّاسُ في ذلكَ[٣] أنّه [٩/ب] ردَّ يزيدَ بنَ مُعاويةَ، وزوَّجَ شخصًا مِن ضُعفاءِ المُسلمينَ، فلمّا بلَغَ ذلكَ أبا الدَّرداءِ، قالَ أبو الدَّرداءِ: إنّي نظَرْتُ للدَّرداءِ، فما ظنُّكُم بالدَّرداءِ إذا قامَتْ على رأسِها الخِصْيانُ أي: الطَّواشيةُ[٤]، ونظَرَتْ في بُيوتٍ يلتمِعُ فيها بصَرُها، أينَ دِينُها منها يومئذٍ؟!»[٥]. والله أعلَمُ.

قالَ قيسُ بنُ زيدٍ[٦]: لمّا طلَّقَ رَسولُ الله ﷺ حفصةَ، قالَ له جِبْريلُ عليه السلام: «**راجِعْ حَفْصةَ؛ فإنّها صَوّامَةٌ قَوّامَةٌ، وإنّها زَوْجَتُكَ في الجَنَّةِ**»[٧].

وفي رِوايةِ عمّارِ بنِ ياسِرٍ: أرادَ رَسولُ الله ﷺ أنْ يطلِّقَ حفصةَ، فجاءَ جِبْريلُ عليه السَّلامُ، فقالَ: «**لا تُطَلِّقْها؛ فإنّها صَوّامَةٌ قَوّامَةٌ، وإنّها زَوْجَتُكَ في الجَنَّةِ**»[٨].

---

(١) انظر: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (١: ١٨٤)، و«بريقة محمودية» (٣: ١١٦).

(٢) في (د): «وقال».

(٣) في (س): «بذلك».

(٤) انظر: «تاريخ إربل» (١: ٤٨٨)، و«السلوك لمعرفة دول الملوك» (٧: ٣٥٦).

(٥) «الزهد» لأحمد بن حنبل (٧٦١)، و«شعب الإيمان» (١٠١٧٧)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢١٥).

(٦) في (د): «يزيد».

(٧) «مسند الحارث» (١٠٠٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٩٣٤)، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٦٧٥٣)، قال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧: ٢٥١): «رواه الحارث بن أبي أسامة مرسلًا، ورواته ثقات»، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٥: ٤١٨-٤١٩): «وفي سياق المتن وهم آخر؛ لأن عثمان بن مظعون مات قبل أن يتزوج النبي ﷺ حفصة».

(٨) «الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (٣٠٥٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٣٠٦)، و«معرفة =

قالَ الواقدِيُّ: «تُوفيتْ حفصةُ في شَعبانَ سنَةَ خمسٍ وأربعينَ في خلافةِ مُعاويةَ رضي الله عنه، وهيَ بنتُ[١] ستِّينَ سنَةً».

وقيلَ: ماتَتْ في خِلافةِ عُثمانَ بالمدينةِ[٢]، والله أعلَمُ.

* * *

[أم سلمة]

[٥] ومِنْهُنَّ: أمُّ سلمةَ رضي الله عنها[٣].

هندُ بنتُ أَبي أُميَّة، تَزوَّجَها النَّبيُّ ﷺ بعد وَفاةِ أبي سَلمةَ[٤]، وكانَتْ عندَ أبي سلمةَ، فهاجَرَ بها الهجْرتَينِ جميعًا، وماتَ أبو سلمةَ سنةَ أربعٍ مِن الهجْرةِ، فتزوَّجَها[٥] رَسولُ الله ﷺ[٦].

جاءَ أبو سلمَةَ يومًا إلى أمِّ سلمَةَ، فقالَ: لقَدْ سمِعْتُ مِن رَسولِ الله ﷺ

= الصحابة» لأبي نعيم (٧٤٠٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩: ٢٤٤): «وفي إسناديهما الحسن بن أبي الجعفر، وهو ضعيف».

(١) في (س): «ابنة».

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٨٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ٢٠٥).

(٣) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٨٦)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٩٥٦). جاء في (س): «أم المؤمنين هند بنت أبي أمية، حذيفة، وقيل: سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القرشية، المخزومية، كانت أولًا تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد، وكانت من حسان النساء وعابداتهن، رضي الله عنها». اهـ.

(٤) من قوله: «هند بنت أمية» إلى هنا ليس في (س) و(ب).

(٥) في حاشية (س): «تزوجها في شوال سنة اثنتين من الهجرة بعد وقعة بدر». اهـ.

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢١٧)، و«المنتخب من ذيل المذيل» (٩٥-٩٦)، و«تاريخ الطبري» (٣: ١٦٤).

حديثًا أحَبَّ إليَّ مِن كذا وكذا، سمِعْتُه يقولُ: «**لا يُصِيبُ أحَدًا مُصِيبَةٌ فيَسْتَرْجِعُ عِنْدَ ذَلِكَ، ويَقُولُ: اللَّهُمَّ أحْتَسِبُ عندك[1] مُصِيبَتِي هَذِهِ[2]، اللَّهُمَّ أخْلِفْنِي فيها خَيْرًا مِنْها، إلا أعْطاهُ الله عَزَّ وجَلَّ**».

قالَتْ أمُّ سلمةَ: فلمّا أُصِبْتُ بأبي سلمةَ، قلْتُ: اللَّهمَّ عندكَ أحتسِبُ مُصيبتِي هذه، ولم تطِبْ نفْسِي بقولِ: «أخلفْنِي فيها خيرًا[3] منها»، ثمَّ قلْتُ: مَن خيرٌ مِن أبي سلمةَ؟ أليسَ أليسَ[4]؟ ثمَّ قلْتُ ذلكَ، فلمّا انقَضَتْ عِدَّتِي أرسَلَ إليَّ أبو بكرٍ يخطُبُنِي، فأبَيْتُ، ثمَّ أرسَلَ إليَّ عُمرُ[5]، فأبَيْتُ، ثمَّ أرسَلَ إليَّ رَسولُ الله ﷺ يخطُبُنِي، فقلْتُ: مرحبًا برَسولِ الله ﷺ، إنّ فيَّ خِلالًا ثلاثًا؛ إنّي[6] امرأةٌ شديدَةُ الغَيرةِ، ولي صِبيةٌ، وليسَ لي أحَدٌ هاهنا[7] مِن أوليائِي فيزوِّجَنِي، فغضِبَ عُمرُ رضِيَ الله عنه لرَسولِ الله ﷺ حينَ ردَّتْه، فقالَتْ: يا ابنَ الخطّابِ فيَّ كذا وكذا، فأتاها رَسولُ الله ﷺ، فقالَ: «**أمّا ما ذَكَرْتِ مِن غَيرَتِكِ فإنّي أدْعُو الله عَزَّ وجَلَّ** [١٠/أ] **أنْ يُذْهِبَها عَنْكِ، وأمّا ما ذَكَرْتِ مِنْ صِبْيَتِكِ فإنّ الله عَزَّ وجَلَّ سَيَكْفيهِمْ، وأمّا ما ذَكَرْتِ مِنْ أوْلِيائِكِ فلَيْسَ أحَدٌ شاهِدٌ أوْ غائِبٌ يَكْرَهُنِي**»، ثمَّ قالَ: «**أما إنّي لَمْ أُنْقِصْكِ مِمّا أعْطَيْتُ فُلانَةً**»، وكانَ قد أعطاها جَرَّتينِ[8] تضَعُ فيهِما حاجتَها، ورَحًى، ووسادَةً مِن أدَمٍ حشْوُها لِيفٌ[9].

---

(١) «عندك» مثبت من المصادر. (٢) في (د): «هذا».
(٣) في (س): «بخير». ومن قوله: «اللهم أخلفني فيها خيرًا منها» إلى هنا ليس في (ب).
(٤) في (د): «الكيس الكيس». (٥) في (ب): «عثمان».
(٦) في (ب) و(د): «أنا».
(٧) في (د): «وليس هاهنا أحد».
(٨) في (د): «حجرتين».
(٩) «مسند أبي يعلى» (٦٩٠٨)، وأصله في «صحيح مسلم» (٩١٨).

قيلَ: إنها كانَتْ في النِّساءِ كأنّها ليسَتْ فيهِنَّ، لا تجِدُ ما يجِدْنَ مِن الغَيرةِ؛ ببركَةِ دعْوَةِ رَسولِ الله ﷺ[١].

تُوفيتْ أمُّ سلمَةَ رضِيَ الله عنها في سَنةِ تسعٍ وخمسينَ[٢]، وقُبِرَتْ بالبَقيعِ، وهيَ ابنةُ أربعٍ وثمانينَ سنةً[٣]، والله أعلَمُ.

* * *

[أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب]

[٦] **ومِنْهُنَّ**: أمُّ حبيبةَ رضي الله عنها.

واسمُها: رملةُ بنتُ أبي سُفيانَ بنِ حربٍ[٤].

وكانَتْ تحتَ عُبيدِ الله بنِ جحشٍ، وهاجَرَ بها إلى الحبشَةِ في الهجْرةِ الثّانيةِ، ثمَّ ارتَدَّ عنِ الإسلامِ وتنصَّرَ، وماتَ هناكَ، نسألُ الله عزَّ وجَلَّ العافيةَ من ذلكَ ومِن جَميعِ المعاصِي؛ فإنّها بريدُ[٥] الكفْرِ[٦]، وثبَتَتْ أمُّ حبيبَةَ على دِينِها، فبعَثَ رَسولُ الله ﷺ عَمْرَو بنَ أميّةَ[٧] الضَّمْريَّ إلى النَّجاشِيِّ؛ ليخطُبَها،

---

(١) «مسند أبي يعلى» (٦٩٠٨).

(٢) في حاشية (س): «وصلى عليها أبو هريرة. قال الواقدي: قال ابن أبي خيثمة: توفيت في أيام يزيد بن معاوية.
قلت: والأحاديث الواردة في مقتل الحسين تدل على أنها عاشت إلى ما بعد مقتله، والله أعلم». اهـ.

(٣) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٩٢١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٣٦٢).

(٤) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٩٦)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٤٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٣٠).

(٥) في (ب): «بريدة»، وفي (س): «بريدية». (٦) قوله: «فإنها بريد الكفر» ليس في (د).

(٧) في (د): «أبي أمية».

فزوَّجَها إيّاه، وأصدَقَ عنهُ النَّجاشِيُّ، وذلكَ في سنةِ سبعٍ مِن الهجْرةِ(١).

قالَ الزُّهرِيُّ: «لمّا قدِمَ أبو سُفيانَ بنُ حربٍ المدينةَ، جاءَ إلى رَسولِ الله ﷺ وهوَ يريدُ غزْوَ مكَّةَ، فكلَّمَه أنْ يزيدَ في هُدنةِ الحُديبيةِ، فلم يُقبِلْ عليه رَسولُ الله ﷺ، فقامَ فدخَلَ على ابنتِه أمِّ حبيبَةَ، فلمّا ذهَبَ؛ ليجلِسَ على فِراشِ رَسولِ الله ﷺ طوَتْه دُونَه، فقالَ: يا بنيّةُ، أرَغِبْتِ بهذا الفراشِ عنِّي، أم بي عنه؟ فقالت: بل هوَ فراشُ رَسولِ الله ﷺ، وأنتَ امرؤٌ نَجسٌ مُشرِكٌ»(٢).

قالَتْ عائشَةُ: «دعَتْنِي أمُّ حبيبَةَ عندَ موْتِها، فقالَتْ: قد كانَ بينَنا ما يكونُ بينَ(٣) الضَّرائرِ فغفَرَ(٤) الله لي ولكِ ما كانَ مِن ذلكَ، فقلْتُ: غفَرَ الله لكِ ذلكَ كلَّهُ وتجاوَزَ، حللْتُكِ(٥) مِن ذلكَ كلِّه [١٠/ب] فقالَتْ: سَرَرْتِنِي(٦) سرَّكِ الله عزَّ وجَلَّ، وأرسَلَتْ إلى أمِّ سلمةَ، فقالَتْ لها مثْلَ ذلكَ»(٧).

تُوفيتْ(٨) أمُّ حبيبةَ رضي الله عنها سنةَ أربعٍ وأربعينَ في خلافةِ مُعاويةَ(٩)، والله أعلَمُ.

---

(١) انظر: «المنتخب من ذيل المذيل» (٩٧)، و«تاريخ الطبري» (١١: ٦٠٥-٦٠٧)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤: ١٨٤٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٠٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٥٠)، و«الإصابة» (٨: ١٤٢).

(٣) «بين» ليس في (ب).

(٤) في (د): «يغفر».

(٥) في (ب) و(د): «خللك».

(٦) في (د): «سررتيني».

(٧) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢: ٢٢٣)، و«البداية والنهاية» (٨: ٢٨)، و«الإصابة» (٨: ١٤٢).

(٨) في (د): «وتوفيت».

(٩) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٠٠)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٩٥٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٣٥).

[زينب بنت جحش]

[٧] ومِنْهُنَّ: زينبُ بنتُ جَحشٍ[١].

أمُّها: أُمَيمةُ[٢] بنتُ عبدِ المطَّلبِ عمَّةُ رَسولِ الله ﷺ، زوَّجَها رَسولُ الله ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ، فلمّا طلَّقَها زيدٌ تزوَّجَها رَسولُ الله ﷺ في سنةِ خمسٍ مِن الهجْرةِ، وكانَتْ مِن المُهاجراتِ رضِيَ الله عنها[٣].

قالَ أنسٌ رضِيَ الله عنه: لما انقَضَتْ عِدَّةُ[٤] زينب، قالَ رَسولُ الله ﷺ لزيدِ ابنِ حارثةَ: «**اذْهَبْ فاذْكُرْني لَها**»، قالَ: فذهَبْتُ إليها[٥]، فجعَلْتُ ظَهْرِي إلى البابِ[٦]، وقلْتُ: يا زينَبُ بعَثَني إليكِ رَسولُ الله ﷺ يذْكُرُكِ، فقالَتْ: ما كنْتُ أُحْدِثُ شيئًا حتَّى أؤامِرَ ربِّيَ عزَّ وجَلَّ، فقامَتْ إلى مسجدٍ لها، فأنزلَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]، فجاءَ رَسولُ الله ﷺ فدخَلَ عليها بغيرِ إذنٍ. رَواهُ مُسلمٌ[٧].

وفي **البُخاريِّ**[٨] مِن حديثِ أنسٍ رضِيَ الله عنه: أنّ زينَبَ كانَتْ تفخَرُ على أزواجِ النَّبيِّ ﷺ وتقولُ: «زوَّجَكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوَّجَني الله عزَّ وجَلَّ مِن فوقِ سبْعِ سماواتٍ».

---

(١) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٠١)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٩٦٠)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٤٩).

(٢) في (د): «أمية».

(٣) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٨٤٩)، و«المنتظم» (٣: ٢٢٥).

(٤) في (س): «عدتها».

(٥) «إليها» ليس في (د).

(٦) في (د): «ظهري للباب».

(٧) «صحيح مسلم» (١٤٢٨).

(٨) «صحيح البخاري» (٧٤٢٠).

قالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: «كانَتْ زينبُ هيَ التي تُساميِنِي مِن أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، فعَصَمَها الله عزَّ وجَلَّ[١] بالوَرعِ، ولم أرَ امرأةً أكثَرَ خيرًا وأكثَرَ صدقةً وأوصَلَ للرَّحمِ وأبذَلَ لنفْسِها في كلِّ شيءٍ يُتقرَّبُ به إلى الله عزَّ وجَلَّ مِن زينبَ، ما عدا سَوْرةً مِن[٢] حِدَّةٍ كانَتْ فيها[٣] توشِكُ منها الفيئةُ»[٤].

قالَتْ بَـرْزةُ ابنةُ رافـعٍ: لمّا جاءَ العطاءُ، بعَثَ عمرُ إلى زينَبَ بالذي لها، فلمّا دخَـلَ عليها، قالَتْ: «غفَرَ الله عزَّ وجَلَّ لعُمـرَ، لَغيْرِي مِن أخَواتِي[٥] كانَ أقْـوَى على قَسْمِ هـذا منِّي»، فقالُـوا: هـذا كلُّه لكِ، فقالَتْ: «سُبحانَ الله»، ثمَّ قالَتْ: «صُبُّـوهُ واطْرَحُوا/ عليه ثوبًا»، ففعَلُوا، فقالَتْ لـي[٦]: «أدخِلِي يـدَكِ[٧] [١١/أ] واقبِضِي[٨] منه قبضَةً، فاذهَبِي بها إلى آلِ[٩] فُلانٍ، وآلِ فُلانٍ» مِن أيتامِها وذوي رحِمِها، فقسمَتْها[١٠] حتَّى بقِيَتْ منه بقيّةٌ، فقالَتْ لها بَرزةُ: غفَرَ الله لكِ، والله لقد كانَ لنا في هذا حظٌّ، قالَتْ: «فلَكُمْ ما تحتَ الثَّوبِ»، قالَتْ: فرفَعْنا الثَّوبَ، فوجَدْناه خمسًا وثمانينَ دِرْهمًا، ثمَّ رفعَتْ زينبُ يدَيْها، فقالَتْ: «اللَّهمَّ لا يدرِكْنِي عطاءٌ لعُمرَ بعدَ عامِي هذا، فماتَتْ»[١١].

قالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: قالَ رَسولُ الله ﷺ لأزواجِه: «**أَوَّلُكُنَّ تَتْبَعُنِي**

---

(١) قوله: «أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله عز وجل» ليس في (ب).

(٢) «من» ليس في (د). (٣) «فيها» ليس في (د).

(٤) في (د): «الفتنة»، وفي (ب): «الفته». والحديث في «صحيح مسلم» (٢٤٤٢).

(٥) في (ب) و(د): «إخواني». (٦) «لي» ليس في (د).

(٧) في (د): «أدخلني يديك». (٨) في (د): «فاقبضي».

(٩) «آل» ليس في (د) في الموضعين. (١٠) في (ب) و(د): «فقسمته».

(١١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٣٠٠)، و«كرامات الأولياء» للالكائي (٩: ١٧٧)، و«المنتظم» (٤: ٣٠٠).

أَطْوَلُكُنَّ يَدًا»، قالَتْ عائشَةُ: فكُنّا إذا اجتَمَعْنا بعدَ وفاةِ رَسولِ الله ﷺ نمُدُّ يدَيْنا في الحائطِ نتطاوَلُ، فلم نزَلْ نفعَلُ[1] ذلكَ حتَّى تُوفيتْ زينبُ، وكانَتِ امرأةً قَصِيرةً، ولم تكُنْ أطولَنا يدًا، فعرَفْتُ أنّ النبيَّ ﷺ أرادَ بطُولِ اليدِ الصدقةَ، وكانَتِ امرأةً صَناعًا، وكانَتْ تعمَلُ بيدِها[2] وتتصدَّقُ به في سبيلِ الله عزَّ وجَلَّ[3].

تُوفيتْ زينبُ في سنةِ عِشرينَ، وهيَ بنتُ ثلاثٍ وخمسينَ[4] سنةً[5]، والله أعلَمُ.

* * *

[جويرية بنت الحارث]

[٨] ومِنْهُنَّ: جُويريةُ[6] بنتُ الحارِثِ رضي الله عنها[7].

قالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: «أصابَ رَسولُ الله ﷺ نساءَ بني المُصطَلِقِ، فوقَعَتْ جُويريةُ[8] في سهمِ ثابتِ[9] بنِ قيسٍ، فكاتَبَها على تِسعِ أواقٍ، وكانَتِ

---

(١) قوله: «فلم نزل نفعل» في (ب): «فلم نفعل».

(٢) في (د): «بيديها».

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٣٣)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢: ٥٤)، وأصل الحديث في «صحيح مسلم» (٢٥٢) بمعناه.

(٤) في (د): «وستين».

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١١٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ٢١٣).

(٦) في (س): «جويرة».

(٧) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١١٦)، و«كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٣)، و«مرآة الزمان» (٧: ١٦٢).

(٨) في (س): «جويرة».

(٩) في: (س) و(ب) و(د): «ابن ثابت».

امرأةً حُلوةً[١] لا يكادُ يَراها أحَدٌ إلا أخذَتْ بنفْسِه، فَبَيْنا رَسولُ الله ﷺ عِنـدِي إذْ دخَلَتْ عليه جُويريةُ[٢] تسألُه عن كتابتِها، فوالله ما هوَ إلا أنْ رأيتُها فكرِهْتُ دُخولَها[٣] على رَسولِ الله ﷺ، وعرَفْتُ[٤] أنّه سيَرَى منها مثْلَ الذي[٥] رأيْتُ، فقالَتْ: يا رَسولَ الله، أنا جُويريةُ[٦] بنتُ[٧] الحارثِ سيِّدِ قومِه، وقد أصابَنِي مِـن الأمْرِ ما قـد علِمْتَ، ووقَعْتُ فـي سهمِ ثابتِ[٨] بنِ قيسٍ، فكاتَبَنِي على تِسعِ أواقٍ، فأعِنِّي على كِتابتِي، فقالَ[٩]: «**أَوَخَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟**» فقالَتْ: ما هوَ؟ فقـالَ: «**أُؤَدِّي عَنْكِ كِتابَـتَكِ وأَتَزَوَّجُكِ**» فقالَتْ: نَعَمْ يا رَسولَ الله، فقالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ**»، فخرَجَ الخبَرُ إلى الناسِ[١٠]، فقالُوا: أصهارُ رَسولِ الله ﷺ يُسترَقُّونَ، فأعتَقُوا ما كانَ في أيدِيهِم[١١] مِن نساءِ بني المُصطَلِقِ، فبلَغَ عتْقُهم مئةَ بيتٍ بتزويجِه إيّاها، فلا أعلَمُ امرأةً أعظَمَ بركةً على قومِها منها[١٢]. [١١/ب]

تزوَّجَ رَسولُ الله ﷺ جُويريةَ[١٣] وهيَ بنتُ[١٤] عشرينَ سنةً، وتُوفيتْ سنةَ خمسينَ، وهيَ بنتُ خمسٍ وستِّينَ سنةً[١٥]، والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (ب): «خلوة».

(٢) في (س) و(ب): «جويرة»، وقد تكرر قوله: «جويرة» مرتين في (ب).

(٣) في (ب): «دخلوها».

(٤) في (د): «وعلمت».

(٥) في (د): «ما».

(٦) في (س): «جويرة».

(٧) في (د): «ابنة».

(٨) في: (س) و(ب): «ابن ثابت».

(٩) «فقال» ليس في (د).

(١٠) في (د): «الخبر للناس».

(١١) في (د): «يديهم».

(١٢) «سنن أبي داود» (٣٩٣١).

(١٣) في (س): «جويرة».

(١٤) في (د): «ابنة».

(١٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٢٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ٢١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ١٦٤).

[صفية بنت حيي]

[٩] ومِنْهُنَّ: صفيّةُ بنتُ حُييٍّ[١].

مِن سبْطِ هارونَ بنِ عِمرانَ عليه السلام[٢]، سَباها[٣] النَّبيُّ ﷺ لنفْسِه، فأسلَمَتْ وأعتَقَها، وجعَلَ عِتْقَها صَداقَها[٤].

وقيلَ: وقعَتْ في سَهمِ دِحيةَ الكلبِيِّ، فاشْتَراها رَسولُ الله ﷺ بسبعةِ أرْؤُسٍ[٥].

قالَ جابِرٌ: أُتِيَ رَسولُ الله ﷺ بصفيّة[٦] يومَ خيبَرَ وقد قُتِلَ أخوها[٧] وزوجُها، وقالَ لبلالٍ: خُذْها، فأخَذَ بيدِها، ثمَّ دخَلَ عليها رَسولُ الله ﷺ، فنزَعَتْ شيئًا كانَتْ عليه جالسةً فألْقَتْه لرسولِ الله ﷺ، ثمَّ خيَّرَها بينَ أن يعتِقَها فترجِعَ إلى مَنْ بقِيَ مِن أهْلِها، أو تُسلِمَ فيتَّخِذَها لنفْسِه، فقالَتْ: أختارُ الله ورسولَه، فلمّا كانَ عندَ رحيله[٨] احتقب[٩] بعيرَه ثمَّ خرَجَتْ معَه تمشِي حتَّى ثَنى لها رُكبتَه[١٠]، فأجَلَّتْ رَسولَ الله ﷺ أنْ تضَعَ قدَمَها على فخِذِه، فوضَعَت رُكبتَها ثمَّ

---

(١) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٢٠)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٧١)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٥: ٢٣٤).

(٢) قوله: «ابن عمران» ليس في (ب).

(٣) في (د): «اصطفاها».

(٤) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (٢٦٥).

(٥) في (د): «رؤوس». وانظر: «المعارف» (١: ١٣٨)، و«تاريخ الطبري» (١١: ٦١٠)، و«التاريخ المعتبر» (١: ٢٠٩-٢١٠).

(٦) في (س): «لصفية».

(٧) في (س) و(ب): «أخاها».

(٨) في «صفة الصفوة»: «رواحه».

(٩) في (س) و(د): «أحقب»، وفي (ب): «أعقب».

(١٠) في (د): «ركبتيه».

ركِبَ رَسولُ الله ﷺ، فألْقَى عليها كِساءً، فقالَ المُسلمونَ: حجَبَها رَسولُ الله ﷺ، حتَّى إذا كانَ(١) على ستَّةِ أميالٍ مِن خيبَرَ مالَ(٢) يريدُ أن يعرِّسَ بها، فأبَتْ صفيّةُ، فلمّا كانَ بالصهباءِ مالَ إلى دُومةٍ هناكَ فطاوَعَتْه، فقالَ لها عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**ما حَمَلَكِ عَلى إبائِكِ مِنَ المنزلِ(٣) الأوَّلِ؟**».

قالَتْ(٤): يا رَسولَ الله خشِيتُ عليكَ قرْبَ يَهودَ(٥)، فأعرَسَ(٦) بها رَسولُ الله ﷺ بالصهباءِ، وباتَ أبو أيوبَ الأنصاري يحرُسُ رَسولَ الله ﷺ، فلمّا سمِعَ رَسولُ الله ﷺ الوطْءَ، قالَ: «**مَنْ هَذا؟**» قالَ: أنا خالِدُ [١٢/أ] بنُ زيدٍ، فقالَ: «**ما لَكَ؟**» فقالَ: ما نمْتُ هذه اللَّيلةَ مخافَةَ هذه الجاريةِ عليكَ(٧).

تُوفيتْ صفيّةُ سنةَ خمسينَ، وقيلَ: اثنينِ وخمسينَ، ودُفِنَتْ بالبقيعِ(٨). والله أعلَمُ.

* * *

[أم شريك]

[١٠] ومِنْهُنَّ: أمُّ شَريكٍ رضي الله عنها، واسمُها غُزَيَّةُ(٩).

---

(١) «كان» ليس في (ب). (٢) في (د): «قلب».

(٣) في (س) و(ب): «النزول». (٤) في (د): «فقالت».

(٥) في (د): «يهود خيبر». (٦) في (د): «فعرس».

(٧) «المعجم الكبير» للطبراني (١٢٠٦٨)، و«مسند أبي يعلى» (٣٤٧٩) بمعناه عن أنس بن مالك، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٠)، و«البداية والنهاية» (٤: ٢١٢).

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٢٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ٢٢٣)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٥: ٢٣٤).

(٩) انظر ترجمتها في «الطبقات الكبرى» (٨: ١٥٤)، و«الطبقات» لخليفة بن خياط (٦٢٦)، =

وهيَ التي وهَبَتْ نفْسَها للنبيِّ ﷺ فلم يقْبَلْها، على ما قالَه الأكثرونَ[١]، فلم[٢] تتزوَّجْ حتَّى ماتَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ[٣].

قالَ ابنُ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما: «وقَعَ في قلْبِ أمِّ شَريكٍ الإسلامُ وهيَ بمكَّةَ، فأسلَمَتْ، ثمَّ جعَلَتْ تدخُلُ على نِساءِ قُريشٍ سرًّا فتَدعوهُنَّ وترغِّبُهُنَّ في الإسلامِ، حتَّى ظهَرَ أمْرُها لأهْلِ مكَّةَ، فأخَذُوها، وقالُوا: لولا قومُكِ لفعَلْنا بكِ وفعَلْنا، ولكِنْ نُسيِّرُكِ إليهِم، قالَتْ: فحمَلُونِي على بَعيرٍ ليسَ تحْتِي شيءٌ، ثمَّ ترَكُونِي ثلاثًا لا يطْعِمُونِي ولا يسْقُونِي، وكانُوا إذا نـزَلُوا مَنزلًا أوثَقُونِي في الشمسِ، واستظَلُّوا هم منها، وحبَسُونِي عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ، فبينا[٤] هم قدْ نَزَلُوا مَنزلًا أوثَقُونِي في الشَّمسِ، إذا أنا بأبرَدِ شيءٍ على صدْرِي فتناوَلْتُه، فإذا هوَ دَلْوٌ مِن ماءٍ، فشرِبْتُ منه قليلًا، ثمَّ نُزِعَ منِّي ورُفِعَ ثمَّ عادَ، فتناوَلْتُه فشَرِبْتُ منهُ، ثمَّ رُفِعَ ثمَّ عادَ[٥]، ثمَّ رُفِعَ مِرارًا، فشرِبْتُ منهُ حتَّى رَوِيتُ، ثمَّ

= و«المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٤: ١٧٨٧)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٦)، قال أبو عمر في «الاستيعاب» (٤: ١٨٨٨): «ويقال: غزية، أم شريك الأنصارية، من بني النجار، والصواب غزيلة إن شاء الله تعالى»، وانظر: «المستخرج من كتب الناس» (٢: ٥٢٥)، و«أسد الغابة» (٦: ٢١١).

(١) قال الطبري في «تاريخه» (٣: ١٦٨): «وذكر عن ابن الكلبي أنه قال: غزية بنت جابر، هي أم شريك، تزوجها رسول الله ﷺ بعد زوج كان لها قبله، وكان لها منه ابن يقال له: شريك، فكنيت به، فلما دخل بها النبي ﷺ وجدها مسنة، فطلقها، وكانت قد أسلمت، وكانت تدخل على نساء قريش فتدعوهن إلى الإسلام».

(٢) في (د): «ولم».

(٣) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٣٦)، وفيه: «فلم تتزوج حتى ماتت»، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٠).

(٤) في (ب): «فبينما».

(٥) قوله: «فتناولته فشربت منه، ثم رفع ثم عاد» ليس في (ب).

أَفَضْتُ سائرَه على جسَدِي وثيابي، فلمّا استيقَظُوا إذا هم بأثَرِ الماءِ، ورأَوْنِـي[١] حسَنةَ[٢] الهيئةِ، فقالُوا لي: انحلَلْتِ فأخَذْتِ سِقاءنا فشَرِبْتِ، فقلْتُ: لا والله، ولكنَّه كانَ مِن الأمْرِ كذا وكذا، فقالُوا[٣]: لئِنْ كُنْتِ صادقةً لَدِينُكِ خيرٌ مِن دِينِنا، فلمّا نظَرُوا إلى أسقيتِهم وجَدُوها كما ترَكُوها، فأسْلَمُوا عندَ ذلكَ.

وأقبَلَتْ إلى النَّبيِّ ﷺ فوَهَبَتْ نفْسَها له بغيرِ مَهرٍ[٤]، فقَبِلَها ودخَلَ عَلَيْها»[٥]. والله أعلَمُ.

وفي قصَّتِها رضِيَ الله عنها فائدةٌ جَليلةٌ، وهيَ: أنَّ مَن صدَقَ فـي حُسنِ الاعتمادِ على الله تعالى، وقطَعَ طمَعَه عمّا سِواهُ، جاءَتْه الفُتوحاتُ مِن الغَيبِ، فسُبحانَ العزيزِ الوهّابِ. والله أعلَمُ.

* * *

[فاطمة بنت أسد]

[١١] ومِنْهُنَّ: فاطمَةُ بنتُ أسَدِ بنِ هاشمِ بنِ عبد منافٍ[٦].

[١٢/ب] وهيَ: أمُّ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضِيَ الله عنها، وكانَتِ امرأةً صالحةً، وكانَ رَسولُ الله ﷺ يَزُورُها ويَقيلُ في بيْتِـها[٧].

---

(١) في (د): «وزادني».
(٢) في (ب): «حسن».
(٣) «فقالوا» ليس في (ب).
(٤) في (ب): «مهرها».
(٥) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢: ٦٦)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٥١٨)، وانظر: «الإصابة» (٨: ٤١٨).
(٦) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٥١)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٩١)، و«أسد الغابة» (٦: ٢١٧).
(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٢٢)، و«المنتظم فـي تاريخ الملوك والأمم» (٣: ٢١٣)، =

قالَ لها عليٌّ[١]: «اكْفي فاطمَةَ بنتَ رَسولِ الله ﷺ سِقايةَ الماءِ والذهابَ إلى الحاجةِ، وتكْفيكِ خدمةَ الداخلِ والطحنَ والعَجينَ»[٢]، والله أعلَمُ.

هكذا كُنَّ رضِيَ الله عنهُنَّ، وأنتُنَّ يا نساءَ زَمانِنا تَرَينَ أنّ ذلكَ نقْصٌ في حقِّكُنَّ وتتشبَّهنَ بنساءِ الظَّلَمةِ في التَّرفُّعِ والتَّكبُّرِ، إنّ الله لا يحِبُّ المُتكبِّرينَ. والله أعلَمُ.

* * *

[أم أيمن]

[١٢] ومِنْهُنَّ: أمُّ أيمَنَ.

واسمُها: بَرَكَةُ رضِيَ الله عنها[٣].

وهيَ مولاةُ رَسولِ الله ﷺ وحاضِنتُه، ورِثَها مِن أبيهِ، وأعتَقَها حينَ تزوَّجَ خديجةَ[٤]، وهاجَرَتْ إلى رَسولِ الله ﷺ مِن مكَّةَ إلى المدينةِ، وهيَ ماشيةٌ، ليسَ مَعَها زادٌ، وكانَتْ صائمةً في يومٍ شديدِ الحرِّ، فأصابَها عطَشٌ شديدٌ حتَّى كادَتْ تموتُ وهيَ بالرَّوحاءِ أو قريبًا منها، قالَتْ: «فَلَمّا غابَتِ الشَّمْسُ إذا أنا

= و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٢٨).

(١) «علي» ليس في (ب).

(٢) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٣: ٢١٣)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٢٨).

(٣) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٢٣)، و«الاستيعاب» (٤: ١٧٩٣)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ٣٤٠).

(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٤٦٦)، و«أسد الغابة» (٦: ٣٠٣)، و«تهذيب الأسماء» (٢: ٣٥٧).

بِحَفيفِ[١] شيءٍ فوقَ رأسِي، فرفَعْتُ رأسِي، فإذا أنا بدَلوٍ مِن السَّماءِ مُدَلًّى برِشاءٍ[٢] أبيَضَ، فدَنا منِّي حتَّى إذا كانَ بحيثُ أستمكِنُ منه تناوَلْتُه[٣] فشرِبْتُ منه حتَّى رَويتُ، فلقد كنْتُ بعدَ ذلكَ في اليومِ الحارِّ أطوفُ في الشمسِ كي أعطَشَ فما عطِشْتُ بعدَها»[٤].

وحضَرتْ رضِيَ الله عنها غزوةَ أُحُدٍ، فكانَتْ تسْقِي الماءَ، وتُداوِي الجَرْحَى[٥]، وشهِدَتْ غَزوةَ خيبَرَ، وتُوفيتْ في آخِرِ خِلافةِ عُثمانَ رضِيَ الله عنها[٦].

* * *

[أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط]

[١٣] ومِنْهُنَّ: أمُّ كُلْثومٍ بنتُ عُقْبَةَ بنِ أبي مُعيطٍ لعَنَه الله تعالى[٧].

---

(١) في (س) و(ب) و(د): «بخفيق». قال ابن منظور في «لسان العرب» (٩: ٥١): «والحفيف: صوت الشيء تسمعه كالرنة أو طيران الطائر أو الرمية أو التهاب النار ونحو ذلك، حف يحف حفيفًا. وحفحف وحف الجعل يحف: طار، والحفيف صوت جناحيه، والأنثى من الأساود تحف حفيفًا، وهو صوت جلدها إذا دلكت بعضه ببعض. وحفيف الريح: صوتها في كل ما مرت به»، وانظر: «تاج العروس» (٢٣: ١٤٧).

(٢) في (ب): «برش».

(٣) في (د): «فتناولت».

(٤) «حلية الأولياء» (٢: ٦٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٥).

(٥) في (د): «الجروحات».

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٢٥)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ٣٤١)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٨: ٣٦١).

(٧) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٩٥٣)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٥: ١٨٠)، و«أسد الغابة» (٦: ٣٨٦).

أسلَمَتْ[١] وبايعَتْ قبلَ الهجْرةِ، وهيَ أوَّلُ مَن هاجَرَ[٢] مِن النساءِ بعدَ أن هاجَرَ رَسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ[٣].

قالَ قُدامَةُ: «لا نعلَمُ[٤] قرشِيّةً خرجَتْ مِن بينِ أبوَيْها مُسلمةً مِن أَبوَيْهَا[٥] مهاجِرةً إلا أمَّ كُلثومٍ رضِيَ الله عنها»[٦].

وخبَرُها في هجرتِها عَجيبٌ، قالَتْ: «كنْتُ أخرُجُ إلى باديةٍ لنا فيها أهْلٌ، فأقيمُ بِهَا[٧] الثَّلاثَ والأربَعَ، وهيَ ناحيةُ التنعيمِ، ثمَّ أرجِعُ إلى أهْلِي فلا يُنْكِرونَ ذهابِي إلى الباديةِ، حتَّى إذا جمَعْتُ[٨] على المَسيرِ خرَجْتُ يومًا مِن مكَّةَ كأنِّي أرِيدُ الباديةَ، فلمّا رجَعَ مَن يتَّبعُنِي إذا رَجلٌ مِن خُزاعةَ، فقالَ: أينَ [١٣/أ] تُريدينَ؟

فقلت: وما مسألَتُكَ، ومَنْ أنتَ؟ فقالَ: رَجلٌ مِن خُزاعةَ، فلمّا ذكَرَ خزاعةَ اطمأنّتْ نفْسِي إليه؛ لدُخولِ خُزاعةَ في عهْدِ رَسولِ الله ﷺ، فقلْتُ: إنّي[٩] امرأةٌ مِن قُريشٍ، وإنّي[١٠] أُريدُ اللُّحوقَ برَسولِ الله ﷺ، ولا علمَ لي[١١] بالطريقِ، فقالَ: أنا صاحِبُكِ حتَّى أُورِدَكِ المدينةَ، ثمَّ جاءَنِي ببعيرٍ فركِبْتُه، فكانَ يقودُ البعيرَ، ولا والله لا يكلِّمُني بكلمةٍ، حتَّى إذا أناخَ[١٢] البَعيرَ تنَحَّى عنِّي، فإذا

---

(١) في (د): «وهي أسلمت».
(٢) في (ب): «جاهر»، وفي (د): «هاجرت».
(٣) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٦٩٢٦).
(٤) في (د): «يعلم».
(٥) قوله: «من أبويها» مثبت من (د).
(٦) انظر: «المنتظم» (٥: ١٨١)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٢)، و«الإصابة» (٨: ٤٦٣).
(٧) في (س) و(د): «ثَمَّ».
(٨) في (د): «اجتمعت».
(٩) «إني» ليس في (د).
(١٠) في (د): «وأنا».
(١١) «لي» ليس في (س).
(١٢) في (ب): «ناخ».

نزَلْتُ[١] جاءَ إلى البعيرِ فقيَّدَه بالشجرِ، وتنَحَّى إلى فيءِ شجرةٍ، حتَّى إذا كانَ الرَّواحُ خَدَجَ البعيـرَ فقرَّبَه إلـيَّ، ووَلَّى عنِّي، فإذا ركِبْتُ أخَذَ برأسِه[٢] ولم يلتفِتْ وراءَه حتَّـى أنـزِلَ، فلم يـزَلْ كذلكَ حتَّـى قَدِمْنـا المدينـةَ، فجـزاهُ الله عزَّ وجَلَّ مِن صاحبٍ خَيْرًا.

فدخَلْتُ على أمِّ سلمَةَ رضي الله عنها وأنا مُتنقبةٌ فما عرَفَتْنِي حتَّى انتسَبْتُ وكشَفْتُ النقابَ، فالتزَمَتْنِي[٣] وقالَتْ: هاجَرْتِ إلى الله ورَسولِه؟ قلْتُ: نعَمْ، وأنا أخافُ أنْ يرُدَّنِي[٤] أهْلِي كما ردَّ أبا جَندلٍ وأبا بَصيرٍ، وحالُ الرِّجالِ ليسَ كحالِ النِّساءِ، والقومُ مُصبِحِيَّ، قد طالَتْ غَيْبَتِي عنهم اليومَ خمسَةَ أيّامٍ، فدخَـلَ رَسولُ الله ﷺ على أمِّ سلمةَ فأخبَرَتْه خَبَرِي، فرَحَّبَ بـي وسهَّلَ، فقلْتُ: إنِّي فرَرْتُ بدِينِـي فامنَعْنِـي ولا ترُدَّنِـي إليهِم؛ يفتِنُونـي ويعذِّبُونـي ولا صبْرَ لي على العذابِ، إنَّما أنا امرأةٌ، وضعْفُ النساءِ إلى ما تعرِفُ، فقالَ لي رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله قَدْ نَقَضَ العَهْدَ في النِّساءِ، وحَكَمَ في ذَلِكَ بِحُكْمٍ رَضُوهُ كُلُّهُمْ**»، وكانَ يرُدُّ النِّساءَ، فقدِمَ أخواها[٥]: الوليدُ[٦] وعُمارَةُ مِن الغدِ، فقالا: أوفِ لنا شرْطَنا وما عاهَدْتَنا عليه، فقـالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**قَدْ نَقَضَ الله تَعـالَى ذَلِكَ**[٧]» فانْصَرِفا.

ونَقَضُ العهْدِ فـي النساءِ آيةُ الامتحـانِ، فامتَحَنَها رَسولُ الله ﷺ وامتحَنَ [١٣/ب] النساءَ بعدُ؛ فكانَ يقولُ لهُنَّ: «**والله ما أخْرَجَكُنَّ إلا حُبُّ الله ورَسُولِـهِ والإسْلامِ،**

---

(١) في (ب): «نزل».
(٢) في (د): «بزمامه».
(٣) في (د): «فأكرمتني».
(٤) في (د): «يردوني».
(٥) في (ب): «أخوها».
(٦) في (د): «الوائل».
(٧) في (د): «قد نقضنا ذلك».

وما خَرَجْتُنَّ لِزَوْجٍ[(١)] **ولا مـالٍ؟»** فإذا قُلْنَ ذلكَ تركهُنَّ[(٢)] ولم يَرُدُّهُنَّ إلى أهليهِنَّ». رضِيَ الله عنهُنَّ[(٣)]. والله أعلَمُ.

* * *

[الحولاء بنت تويت]

[١٤] ومِنْهُنَّ: الحَوْلاءُ بنتُ تُوَيْتٍ رضي الله عنها[(٤)].

أسلَمَتْ وبايعَتْ.

قالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: مرَّتِ الحولاءُ وعندِي رَسولُ الله ﷺ، فقلْتُ: هذه الحولاءُ، زعَمُوا أنّها لا تنامُ الليلَ، فقالَ رَسول الله ﷺ: **«لا تَنامُ اللَّيْلَ؟! خُذُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ، فوالله لا يَسْأَمُ الله حَتَّى تَسْأَمُوا»**[(٥)].

* * *

[أسماء بنت أبي بكر الصديق]

[١٥] ومِنْهُنَّ: أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضِيَ الله عنهُما[(٦)].

---

(١) في (د): «وما خرجتن لا لحب زوج». (٢) في (د): «تركن».

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٢٢-٣٢٣)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٢)، وهو في «المستدرك» للحاكم (٦٩٢٧) بمعناه.

(٤) في (ب): «ثويب». وانظر ترجمتها في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٢٩٩)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨١٥).

(٥) «صحيح البخاري» (٤٣)، و«صحيح مسلم» (٧٨٥)، واللفظ لمسلم.

(٦) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٤٩)، و«الاستيعاب» (٤: ١٧٨١)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٦: ١٣٠).

أسلَمَتْ بمكَّةَ قديمًا، وبايعَتْ، وشقَّتْ نِطاقَها ليلةَ خرَجَ رَسولُ الله ﷺ إلى الغارِ، فجعَلَتْ واحِدًا لسُفرةِ رَسولِ الله ﷺ، والآخَرَ عِصامًا لقِرْبتِه، فسُمِّيَتْ: «ذاتُ النطاقينِ»، تزَوَّجَها الزُّبيرُ، وكانَتْ صالحَةً تُمرِّضُ المَرْضَى، وتعتِقُ كلَّ مَملوكٍ لها[١].

قالَ[٢] عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ رضي الله عنهما: «ما[٣] رأيْتُ امرأتينِ قطُّ أجوَدَ مِن عائشةَ وأسماءَ، وجُودُهُما مختلِفٌ، أمّا عائشةُ فكانَتْ تجمَعُ الشيءَ إلى الشيءِ ثمَّ تقْسِمُه، وأمّا أسماءُ كانَتْ لا تمسِكُ شيئًا»[٤].

لقد تُوفيتْ بَعْدَ[٥] قتْلِ ابنِها عبدِ الله بليالٍ[٦].

* * *

[أم عمارة نسيبة]

[١٦] ومِنْهُنَّ: أمُّ عِمارَةَ.

واسمُها نَسِيبَة، بفتْحِ النونِ وكسْرِ السينِ[٧].

---

(١) انظر: «المعارف» (١: ١٧٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ٢٣)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٩٨٢).

(٢) «قال» ليس في (د). (٣) «ما» ليس في (د).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٩)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٣٣٠)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٣٥٦).

(٥) كذا في المصادر، وفي (س) و(ب) و(د): «قبل». وفي حاشية (س): «قول المصنف: أن أسماء ماتت قبل موت ابنها عبد الله بن الزبير بليالٍ، وهم منه، والصحيح: أنها غسلته بعد صلبه سنة.. ثم ماتت». اهـ.

(٦) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٧٨٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ٩).

(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٦)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» =

وهـيَ أنصاريّةٌ رضـي الله عنها، أسلمَتْ وبايعَتْ وشهِـدَتْ غزاةَ أُحُدٍ[١] والحُديبيةِ وخيبَرَ وحُنينٍ، وعمرَةَ القضيّةِ، ويومَ اليمامةِ[٢].

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ما التَفَتُّ يَوْمَ أُحُدٍ[٣] يَمِينًا ولا شِمالًا إلا وأراها تُقاتِلُ دُونِي**»[٤].

قالَ الواقِديُّ: «قاتَلَتْ يومَ أُحُدٍ، وجُرِحَتِ اثنَتَي[٥] عشْرَةَ جراحةً، وداوَتْ جرحًا[٦] في عُنُقِها سَنةً، ثمَّ نادَى مُنادِي رَسولِ الله ﷺ إلى حَمراءِ الأسَدِ، فشدَّتْ عليها[٧] ثِيابَها فما استطاعَتْ مِن نَزفِ الدَّمِ»[٨].

قالَ ابنُ إسحاقَ: «خرَجَتْ في خِلافةِ أبي بكرٍ رضِيَ الله عنه في قِتالِ الردَّةِ، فباشَرَتِ الحرْبَ بنفْسِها حتَّى قتَلَ الله عزَّ وجَلَّ مُسيلمَةَ، ورجَعَتْ وبِها عشْرُ [١٤/أ] جِراحاتٍ مِن طعنةٍ وضرْبةٍ، رضِيَ الله عنها»[٩]. والله أعلَمُ.

* * *

= (٤: ١٨٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٨: ٤٤١).

(١) «أحد» ليس في (د).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٦)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ١٨٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٨: ٤٤١).

(٣) «يوم أحد» ليس في (د).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٤١٣)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ١٨٩)، و«مناقب النساء الصحابيات» لعبد الغني المقدسي (٥٧)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٨: ٤٤٢).

(٥) في (د): «ثنتي».

(٦) «جرحًا» مثبت من المصادر.

(٧) «عليها» مثبت من المصادر.

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٦)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ١٨٩).

(٩) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٨٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣٧).

[أم سليم بنت ملحان]

[١٧] ومِنْهُنَّ: أمُّ سُليم بنتُ مِلْحانَ.

واختُلِفَ في اسْمِها، فقيلَ: سهلةُ، وقيلَ: رُميلةُ، وقيلَ: رُميثةُ[١].

تزوَّجَها مالِكُ بنُ النضرِ، فولَدَتْ له أنسَ بنَ مالِكٍ، ثمَّ قُتلَ، فخَطَبَها أبو طلحةَ قبلَ أن يُسْلِمَ، فقالَتْ: «إنّي فيكَ لَراغبةٌ، ومَا[٢] مثْلُكَ يُرَدُّ، ولكنَّكَ رجلٌ كافِرٌ، وأنا امرأةٌ مُسلمةٌ، فإنْ تُسْلِمْ فذلكَ[٣] مَهْرِي لا أسألُكَ غيْرَه»، فأسلَمَ أبو طلحةَ، وتزوَّجَها رضِيَ الله عنهُما[٤].

وفي رِوايةٍ: قالَتْ: «يا أبا طلحةَ، ألسْتَ تعْلَمُ أنَّ إلهَكَ الذي[٥] تعبُدُ خشبةٌ[٦] نجَرَها حبشِيٌّ بني فُلانٍ؟» قالَ: «بلى»، قالَتْ: «أفلا تسْتَحِي أن تعبُدَ خشبةً مِن نباتِ الأرضِ؟ إنْ أنتَ أسلَمْتَ لم أُرِدْ منكَ صَداقًا غيْرَه»، فقالَ: «حتَّى أنظُرَ[٧] في أمْرِي»، فذهَبَ ثمَّ جاءَ فقالَ: «أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رَسولُ الله»، فقالَتْ: «يا أنسُ، زوِّجْ أبا طلحةَ»[٨].

قالَ ثابتٌ: «فما سمِعْنا بمهرٍ قطُّ كانَ أكرَمَ مِن مهرِ أمِّ سُليمٍ: الإسلامُ»[٩].

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٧)، و«جامع الأصول» (١٢: ٤٨٩).

(٢) في (س) و(ب): «ما».

(٣) في (ب): «فلك».

(٤) «سنن النسائي» (٣٣٤١).

(٥) في (ب): «التي».

(٦) في (د): «خشية».

(٧) في (ب): «انظري».

(٨) «السنن الكبرى» للنسائي (٥٣٧٤)، قال ابن حجر في «الإصابة» (٨: ٤٠٩): «ولهذا الحديث طرق متعددة».

(٩) «معجم الصحابة» للبغوي (٨٢٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٤٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣٨).

قالَ أنسٌ: «**كان النَّبيُّ ﷺ يدخُلُ على أمِّ سُليمٍ فتبسُطُ له النِّطْعَ فيَقِيلُ عندَها، فتأخُذُ من عَرَقِه فتجعَلُه في طِيبِها**»[١].

قالَ أنسٌ: جاءَ أبو طلحَةَ يومَ حُنينٍ يُضحِكُ رَسولَ[٢] الله ﷺ مِن أُمِّ سُليمٍ، فقالَ: يا رَسولَ الله ألمْ ترَ إلَى أمِّ سُليمٍ معَها خِنْجرٌ؟ فقالَ لها رَسولُ الله ﷺ: «**ما تَصْنَعِينَ بِهَذا يا أُمَّ سُلَيمٍ؟**» فقالَتْ: أَرَدْتُ إنْ دَنا مِنِّي[٣] أحَدٌ منهم طعَنْتُه[٤].

قالَ أنسٌ: «لمَّا كانَ يومُ أُحُدٍ رأيتُ عائشةَ وأمَّ سُليمٍ وإنَّهُما لمُشمِّرتانِ ينقلانِ القِربَ على مُتونِهما[٥] ثمَّ تُفْرِغَانِه[٦] في أفواهِ القومِ وتَرْجعانِ، وتَملآنِها وتُفْرغانِها في أفواهِ القومِ»[٧]، رضِيَ الله عنهُما.

قالَ أنسٌ: «كانَ ابنٌ لأبي طلحةَ مِن أمِّ سُليمٍ، فمرِضَ، فخرَجَ أبو طلحةَ، فقُبِضَ الصبيُّ، فقالَتْ لأهْلِها: لا تحدِّثُوا أبا طلحةَ بابنِهِ حتَّى أكونَ أنا أحدِّثُه، فلمّا رجعَ، قالَ: ما فعَلَ ابْنِي؟ قالَتْ: هوَ أسكَنُ ما كانَ/ ، ثُمَّ قرَّبَتْ له العَشاءَ [١٤/ب] فتعَشَّى وشرِبَ، ثمَّ تصنَّعَتْ له أحسَنَ ما كانَتْ تصَنَّعُ قبلَ ذلكَ، فوقَعَ بها، فلمّا رأتْه أنّه قد شبِعَ وأصابَ منها، قالَتْ: يا أبا طلحةَ، أرأيْتَ لو أنّ قومًا أعارُوا عارِيَتَهم أهْلَ بيتٍ فطَلَبوا عاريَتَهم؛ ألَهُمْ أن يمْنَعُوهم؟ قالَ: لا، قالَتْ: فاحتَسِبِ ابْنَكَ[٨]، فانطلَقَ حتَّى أتَى رَسولَ الله ﷺ فأخْبَرَه بما كانَ، فقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**بارَكَ الله لَكُما في لَيْلَتِكُما**»، فولَدَتْ له[٩] غُلامًا، وقالَتْ لي أمِّي: يا أنسُ،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٨).
(٢) في (د): «لرسول».
(٣) في (د): «منك».
(٤) «مسند أحمد» (١٣٠٦٥).
(٥) في (د): «ظهورهما».
(٦) في (د): «تفرغان».
(٧) «صحيح البخاري» (٢٨٨٠)، و«صحيح مسلم» (١٨١١).
(٨) «ابنك» ليس في (د).
(٩) «له» ليس في (د).

لا يرْضِعُه أحَدٌ حتَّى تغْدُوَ به إلى رَسولِ الله ﷺ، فانطلقْتُ به إلى رَسولِ الله ﷺ، فلمّا رَآنِي[١] قالَ: «**لَعَلَّ أُمَّ سُلَيمٍ ولَدَتْ؟**» قلتُ: نعَمْ، فوَضَعْتُه في حِجْرِه[٢]، فدَعا رَسولُ الله ﷺ بعجْوةٍ مِن عجْوةِ المدينةِ، فلاكَها في فيهِ حتَّى ذابَتْ، ثمَّ قذَفَها في في[٣] الصبيِّ، فجعَلَ الصبيُّ يتَلمَّظُ، فقالَ رَسولُ الله: «**انْظُرُوا إلَى حُبِّ الأنْصارِ[٤] التَّمْرَ**»، فمسَحَ وجْهَه وسمّاه: عبدَ الله[٥].

قالَ رجلٌ مِن الأنصارِ: فرأيْتُ تسعةَ أولادٍ[٦] كلُّهم قد قرَأ القُرآنَ مِن أولادِ عبْدِ الله المولودِ». رَواهُ البُخاريُّ[٧]، والله أعلَمُ.

* * *

[أم حرام أخت أم سليم]

[١٨] ومِنْهُنَّ: أمُّ حرامٍ أخْتُ أمِّ سُليمٍ رضي الله عنهما[٨].

أسلَمَتْ وبايعَتْ رَسولَ الله ﷺ، وكانَ يَقِيلُ في بيْتِـها، وتزَوَّجَها عُبادَةُ بنُ الصامتِ[٩].

قالَتْ[١٠]: سمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «**أوَّلُ جَيشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أوْجَبُوا**»، قالَتْ أمُّ حرامٍ: أنا فيهم[١١]؟ قالَ: «**أنْتِ فيهم**»[١٢].

---

(١) في (ب): «رآه».
(٢) في (د): «حجر النبي ﷺ».
(٣) في (د): «فم».
(٤) في (ب): «الأنصاري».
(٥) «صحيح مسلم» (٢١٤٤).
(٦) في (د): «تسعة من أولاده».
(٧) «صحيح البخاري» (١٣٠١).
(٨) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٩٣١)، و«المنتظم» (٥: ٢٨٨).
(٩) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٩٣١)، و«المنتظم» (٥: ٢٨٨).
(١٠) في (د): «فقالت».
(١١) في (ب) و(س) و(د): «منهم».
(١٢) في (ب) و(س) و(د): «منهم». والحديث في «صحيح البخاري» (٢٩٢٤).

قالَ هشامٌ: «قبْرُ أمٍّ حرامٍ بقُبرسَ، وهُم يقولونَ: هذا قبْرُ المرأةِ الصالحةِ»[١].
رضِيَ الله عنها. والله أعلَمُ[٢].

* * *

[امرأة من المهاجرات]

[١٩] ومِنْهُنَّ: امرأةٌ مِن المهاجراتِ[٣].

قالَ ابنُ سِيرينَ رحمه الله: «جاءَ أبا بكرٍ مالٌ، فقَسَمَه في الناسِ، فبعَثَ إلى تلكَ المرأةِ منه، فقالَتْ: ما هذا؟ فقالُوا: بعَثَه أبو بكرٍ لكِ كما في نُظرائِكِ، فقالَتْ: أتخافونَ أنْ أدَعَ الإسلامَ؟ قالُوا: لا، فقالَتْ: أفترشُونَنِي على دِينِي؟ قالُوا[٤]: لا، فقالَتْ[٥]: فلا حاجةَ لي فيه»[٦]، رضِيَ الله عنها.

هكذا كُنَّ يأتيهنَّ[٧] المالُ الحلالُ الطيِّبُ فلا يقبَلْنَهُ؛ مخافَةَ أن يتدنَّسَ[٨] دينُهُنَّ.

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٣١٦)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٤٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٠).

(٢) في حاشية (س): «تُوفيت أم حرام سنة سبع وعشرين في خلافة عثمان، وكانت هي وزوجها مع معاوية حين دخل قُبرس، وقصتها بغلتُها فماتت هناك».

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٣٤٢).

(٤) قوله: «أفترشونني على ديني؟ قالوا» ليس في (ب).

(٥) قوله: «لا، فقالت» ليس في (س).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٤٢).

(٧) في (س) و(ب): «يأتيهم»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٨) في (د): «يدنسن».

[١٥/أ] وأنتُنَّ ويْحَكُنَّ يا نساءَ زمانِنا ، تأخُذْنَ[١] المالَ الحرامَ وتتكثَّرْنَ بهِ[٢] وتتزيَّنَّ به، فكأنِّي بِكُنَّ وقـد صارَ ذلكَ نارًا على أجسادِكُنَّ[٣] وفي بُطونِكُنَّ، لا سيَّما امرأةُ العَريفِ والنقيبِ وجميعِ أعوانِ الظَّلَمةِ مِن المَكَسَةِ والمُحتسِبِ وقضاةِ البراطيلِ[٤] وشُهودِ القسمِ[٥]؛ فـإنّ ذلكَ تُكسَوْنَ[٦] به حُللًا مِـن النّارِ، بل هوَ عيْنُه، يُكوى[٧] ويلتهِبُ[٨] عليكُنَّ نارًا، كما في الحديثِ الصحيحِ مِن رِوايةِ عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ الله عنه، قالَ:

لمّا كانَ يومُ خَيبَرَ، أقبَلَ نفرٌ مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ فقالُوا: فلانٌ شهيدٌ، وفلانٌ شهيدٌ، حتَّى مَرُّوا على رجُلٍ، فقالُوا: فلانٌ شهيدٌ، فقالَ: «**كَلا؛ إنّي رَأيْتُهُ في النّارِ في بُرْدَةٍ غَلَّها أوْ عَباءَةٍ**». رَواهُ مُسلمٌ[٩].

ورَواهُ البُخاريُّ[١٠] مِن رِوايةِ عبدِ الله بنِ عمْرِو بنِ العاصِ رضِيَ الله عنهما، أنّه كانَ على ثَقَلِ النبيِّ ﷺ رجلٌ يقالُ له: كِرْكِرَةُ، فماتَ، فقالَ[١١] رَسولُ الله ﷺ: «**هُوَ في النّارِ**»، فذَهَبُوا يَنْظرونَ إليه فوَجَدُوا عباءةً غلَّها، وفي رِوايةٍ: «**إنّها لَتَشْتَعِلُ[١٢] عَلَيْهِ نارًا**»[١٣].

---

(١) في (د): «تأخذ».
(٢) «به» ليس في (ب).
(٣) في (س): «أجسامكن».
(٤) البراطيل: هي الأموال التـي تؤخذ من ولاة البلاد، ومحتسبيها وقضاتها وعمالها. انظر: «المصباح المنير» (١: ٤٢)، و«القاموس المحيط» (٩٦٦)، و«المواعظ والاعتبار» (١: ٢٠٩).
(٥) في (د): «القسمة».
(٦) في (ب): «يكتسون»، وفي (د): «ستكون».
(٧) في (ب): «يكون».
(٨) في (س) و(ب): «يلتهب» بدون الواو.
(٩) «صحيح مسلم» (١١٤).
(١٠) «صحيح البخاري» (٣٠٧٤).
(١١) في (د): «فقال له».
(١٢) في (ب): «لتشعل»، وفي (د): «تشعل».
(١٣) «صحيح البخاري» (٤٢٣٤).

وإذا كـانَ هذا شهيدٌ مِـن أصحابِ رَسـولِ الله ﷺ، قاتَلَ لتكُـونَ كلمـةُ الله عزَّ وجَلَّ هيَ العُلْيا، وله حقٌّ[(١)] في الغَنيمةِ، والذي أخَذَه كانَ للنبيِّ أنْ يعْطِيَه إيّاهُ، ومعَ هذا كلِّه فالشملةُ أو[(٢)] العباءَةُ تشتعِلُ عليه نارًا، فكيفَ حالُ الذي يأخُـذُ أموالَ الناسِ ولا حقَّ له البتَّةَ[(٣)]، وإنّما يأخُذُه على سَبيلِ الظُّلمِ والعُدوانِ؟

فهذا شخصٌ قد أوقَعَ[(٤)] نفْسَه الخبيثَةَ في حِبالٍ من نارٍ، وإذا عَلِمَتْ زوجتُه أو سُرِّيّتُه بذلكَ، أو مَن تخدُمُه وجَبَ عليها التَّبرُّؤُ منه ومن فعْلِه الخبيثِ، ولا يخلِّصُها عندَ الله تعالى إلا الفِرارُ والخَلاصُ منه.

وقولُ بعضِ الناسِ: أنا ما عليَّ في ذمَّةِ الذي يَجبِيه[(٥)] زوجِي أو سيِّدي[(٦)]، هذا ما يقولُه إلا مَن قدْ أتعَسَها الله وألْقاها في المهالِكِ وأسبابِها[(٧)]؛ فإنّ دِينَ الله حقٌّ وصدْقٌ لا شكَّ فيه ولا ريبَ، وقد نَهَى الله تعالى عنِ الظُّلمِ، وبعَثَ رَسـولَه ﷺ بذلكَ. / [١٥/ب]

وفعْلُ هؤلاءِ[(٨)] الظَّلَمةِ مِـن أخْذِهم أموالَ النّاسِ بالباطِلِ حرامٌ حتَّى في دِينِ اليَهودِ والنَّصارى المتعبِّدينَ بالقَذَرِ[(٩)]، وحتَّى في دِينِ[(١٠)] المَجوسِ، وعندَ كلِّ ملَّةٍ.

فالحذَرَ يا نساءَ المُؤمناتِ مِن ذلكَ، فما أقرَبَ الموتَ، وما أشدَّ أهوالَ الآخرةِ، وأنا والله لَكُنَّ ناصحٌ أمينٌ، والحمْدُ لله ربِّ العالمينَ.

---

(١) في (د): «جزء».
(٢) في (د): «و».
(٣) في (د): «ولا حق له فيه».
(٤) في (د): «أوقد».
(٥) في (س): «يجيبه».
(٦) في (س): «سيد».
(٧) في (د): «وأشبابها».
(٨) في (س) و(ب) و(د): «هذه».
(٩) في (ب) و(د): «بالقدر».
(١٠) قوله: «في دين» ليس في (ب).

وقد ذكَرْتُ في كتابِي «قمْعِ النُّفوسِ» شيئًا له وقْعٌ، فينبَغِي سماعُه؛ فإنّه إنْ شاءَ الله تعالى مُفيدٌ. والله أعلَمُ.

* * *

[مليكة بنت المنكدر]

[٢٠] ومِنْهُنَّ: مَلِيكَةُ بنتُ المُنكدِرِ[١].

وهيَ مِن عابداتِ المدينةِ النبويّةِ.

قالَ مالِكُ بنُ دِينار: «بيْنا أنا أطوفُ[٢] بالبيتِ إذا أنا بامرأةٍ في الحِجْرِ، وهيَ تقولُ: «أتيتُكَ مِن شُقَّةٍ بَعيدةٍ مؤمِّلةً[٣] لمعروفِكَ، فأنِلْنِي[٤] مَعروفًا مِن مَعروفِكَ تُغنيني[٥] به عن مَعروفِ مَن[٦] سِواكَ، يا معروفًا[٧] بالمعروفِ[٨]»، فعرَّفْتُ أيوبَ السَّخْتِيانِيَّ، وسَألْنا[٩] عن منزلِها وقصَدْناها، وسلَّمْنا عليها، فقالَ لها أيوبُ: «قُولِي خيرًا يرحَمُكِ الله عزَّ وجَلَّ»، فقالَتْ: «وما أقولُ؟ أشْكُو إلى الله عزَّ وجَلَّ قلْبِي وهوايَ، فقد أضرّا بِي[١٠] عن عبادَةِ ربِّي، قُوما فإنِّي أبادِرُ صَحيفتِي».

قالَ أيوبُ: «فما حدَّثْتُ نفسِي بامرأةٍ قبْلَها، فقلْتُ: لو تزوَّجْتِ رجلًا يُعينُكِ على ما أنتِ عليه؟»، فقالَتْ: «لو كانَ مالِكَ بنَ دِينارٍ أو أيوبَ السَّخْتِيانِيَّ ما

---

(١) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٥٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٠٩).
(٢) في (د): «في الطواف».
(٣) في (د): «متأملة».
(٤) في (د): «فأتني».
(٥) في (س): «تعينني».
(٦) «من» ليس في (س).
(٧) في (س): «يا معروف».
(٨) في (ب): «يا معروف المعروف».
(٩) في (س): «فسألناها»، وفي (ب): «فسألها».
(١٠) في (س): «أضراني».

أَرَدْتُه»، فقلتُ: «أنا مالِكُ بنُ دِينارٍ، وهذا أيوبُ»، فقالَتْ: «أفٍّ، لقد ظَنَنْتُ أنّه يشغَلُكُما ذكْرُ الله عزَّ وجَلَّ عنْ مُحادثةِ النساءِ، وأقبَلَتْ على صلاتِها».

قالَ البرّاد: «كلَّمْناها في تَخفيفِ بعضِ العبادَةِ، فقالَتْ: دَعُونـي أبادِرُ طيَّ صحيفتِي»، رضِيَ الله عنها[1].

* * *

[فاطمة بنت محمد بن المنكدر]

[٢١] ومِنْهُنَّ: فاطمَةُ بنتُ محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ[2].

قالَ إبراهيمُ بنُ مُسلمٍ القرشِيُّ: «كانَتْ فاطمَةُ هذه نَهارُها صائمةً، فإذا جنَّها اللَّيلُ تُنادِي بصوتٍ حَزينٍ: هذا اللَّيلُ قد اختلَطَ بالظَّلام[3] وأوَى كلُّ حَبيبٍ إلى حَبيبِه، وخلْوتي بكَ أيُّـها المحبوبُ أن تعتقَنِي مِن النارِ»[4]. رضِيَ الله عنها. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة كانت بمكة]

[٢٢] ومنهُنَّ: عابدةٌ/ كانَتْ بمكَّةَ[5]. [١٦/أ]

---

(١) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٥٧).

(٢) انظر ترجمتها في: «المنتظم» (٨: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٠٩).

(٣) في (س): «الظلام».

(٤) «شعب الإيمان» (٢٩٥٦)، و«المنتظم» (٨: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٠٩).

(٥) صرح ابن الجوزي باسمها في «صفة الصفوة» (١: ٤٤٧)، واسمها: «نقيش بنت سالم».

سُمِعَتْ وهيَ تقولُ: «يا سيِّدَ الأنامِ، هذا مقامُ العائذِ[١] بعفْوِكَ مِن سخَطِكَ، وبرحمَتِكَ مِن غضَبِكَ، يا حبيبَ الأوّابينَ[٢]، يا ذا المِننِ والآلاءِ[٣]، زِدْني بالثقةِ منكَ وصْلةً، واجعَلْ قِرايَ منكَ عتْقَ رقَبَتِي وإقرارَ عيْنِـي بِرضاكَ».

فلمّا كانَتْ بالموقِفِ قالَتْ: «بهظتني[٤] الآثامُ يا سيِّدَ الأنامِ، كحَلَتْ عينـي بملمولِ[٥] الحزْنِ، فوَعزَّتِـكَ لا نعِمْتُ بضحكٍ أبـدًا حتَّى أعلَمَ أينَ قرارِي، وإلى أينَ تصيرُ دارِي»[٦]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عائشة المكية]

[٢٣] ومِنْهُنَّ: عائشةُ المكيّةُ[٧].

قالَ أبو عُبيدٍ القاسِمُ بنُ سلَامٍ: «دخلْتُ مكَّةَ وربَّما كنْتُ أقعُدُ بحذاءِ الكعبةِ، وربَّما كنْتُ أستلْقِي وأمُدُّ رجْلِي، فجاءَتْني عائشةُ المكيّةُ[٨]، وكانَتْ مِن العابداتِ ممَّن صحِبَ الفُضيلَ بنَ عياضٍ، فقالَتْ لي: يا عبدَ الله، إنّكَ عالِمٌ اقبَلْ منِّي[٩] كلمـةً؛ لا تجالِسْه إلا بـأدَبٍ، وإلا فيمْحُـو[١٠] اسمَكَ مِـن دِيـوانِ القُـربِ»[١١]. واللهُ أعلَمُ.

---

(١) في (ب): «العائد».
(٢) في (ب): «الوابين».
(٣) في (د): «المن والإحسان».
(٤) في (ب): «هظتني»، وفي (د): «ثقلتني».
(٥) كذا في «صفة الصفوة»، وفي (س) و(د): «بملول»، وفي (ب): «بملوك».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٧).
(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٧).
(٨) في (ب): «الملكية».
(٩) «مني» ليس في (ب).
(١٠) في (د): «فيمحى».
(١١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٧)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٢: ٦٤)، و«قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» (٢: ٤٥٩).

[ابنة أبي الحسن]

[٢٤] ومنهُنَّ: ابنةُ أبي الحسَنِ[١].

وكانَتْ مُقيمةً[٢] بمكَّةَ، وكانَتْ لا تقتاتُ إلا بثلاثيـنَ دِرهمًا يبعَثُها إليها أبُوها في كلِّ سَنةٍ ممّا يستفضِلُه[٣] مِن ثَمنِ الخُوصِ، وكانَ التمّارُ جارًا له[٤]، فقالَ: «جئْتُ أودِّعُه للحجِّ، وأستعرِضُ حاجتَه، وأسألُه أن يدْعُوَ لي، فسلَّم إليَّ قِرطاسًا، وقالَ: اسألْ في مكَّةَ في الموضِعِ الفلانِيِّ عن فلانةٍ، وسلِّمْ إليها هذا، فعلِمْتُ أنّها ابنتُه[٥].

فلمّا جئْتُ مكَّةَ سألْتُ عنـها، فوجَدْتُها فـي العبادَةِ والزُّهدِ أشدَّ اشتهارًا مِن أنْ تخْفَى، فانبعَثَتْ نفْسِي أن يصِلَ إليها مِن مالِي شيءٌ[٦] يكونُ لي ثوابُه، وعلِمْتُ أنّنِي إن دفعْتُ إليها ذلكَ لم تأخُذْه[٧]، ففتَحْتُ القِـرطاسَ وجعَلْتُ الثَّلاثيـنَ خمسينَ دِرهمًا، وردَدْتُه كما كانَ، وسلَّمْتُه إليها، فقـالَتْ: أيُّ شيءٍ خبَرُ أبي؟

فقلْتُ: بسلامةٍ، فقالَتْ: قد خالَطَ أهْلَ الدُّنيا وترَكَ الانقطاعَ إلى الله عزَّ وجَلَّ، ثمَّ قالَتْ: أسألُكَ بالله وبمَنْ حجَجْتَ إليه، أسألُكَ عن شيءٍ فتصْدُقُني؟ قلت: نعَمْ، فقالَتْ: أخلَطْتَ هذه الدراهمَ بشيءٍ مِن عندِكَ؟

---

(١) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٤: ٧٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٧: ٢٦٦)، و«العقد الثمين» (٦: ٤٦٦).

(٢) كأنها في (ب): «فقيهة».

(٣) في (ب): «يستفضل».

(٤) في (د): «جارًا لوالدها فخرج حاجًّا».

(٥) في (ب): «بنته».

(٦) في (ب): «شيء من مالي».

(٧) في (د): «تقبله».

[١٦/ب] فقلْتُ: نعَمْ، فمِنْ أينَ علِمْتِ ذلكَ؟ فقالَتْ: ما كانَ أبي يزيدُ على الثَّلاثين شيئًا؛ لأنّ حالَه لا يحتمِلُ، ثمَّ قالَتْ: خُـذِ الجميعَ؛ فقدْ[١] عقَقْتَنِي من حيثُ ظنَنْتَ أنّكَ تبُرُّنِـي[٢]، فقلْتُ: ولِمَ؟

فقالَتْ: لا آكُلُ شيئًا ليسَ هوَ مِن كسْبِي ولا مِن كسْبِ أبي، ولا آخُذُ مِن مالٍ لا أعرِفُ كيفَ هوَ، فقلْتُ: خُذِي ما أنفَذَ[٣] أبوكِ، ورُدِّي الباقِيَ، فقالَتْ: لو عرَفْتُها بعيْنِـها لأخَذْتُها، وقد اختلَطَتْ فلا آخُذُ شيئًا، وأنا أقتاتُ إلى الموسِمِ الآخَرِ مِنَ المزابِلِ؛ لأنّها كانَتْ قُوتِـي طُولَ السَّنةِ، وقد أجعْتَنِي، ولولا أنّكَ ما قصَدْتَ أذايَ لدعَوْتُ عليكَ.

قالَ: فاغتمَمْتُ لذلكَ وعُدْتُ[٤] إلى البصرَةِ وجئْتُ إلى أبيها، فأخبَرْتُه واعتذَرْتُ إليه، فقالَ: لا آخُذُها وقد اختلَطَتْ بغيرِ مالِي، وقد عقَقْتَنِي وإيّاها، فقلْتُ[٥]: ما أصنَعُ بالدراهِمِ؟ فقالَ: لا أدْرِي، فما زِلْتُ مُدَّةً أعتذِرُ إليه، وأسأَلُه ما أعمَلُ بالدراهِمِ، حتَّى قالَ لي بعدَ مُدَّةٍ: تصدَّقْ بها»[٦] رضِيَ الله عنها وعن أبيها، والله أعلَمُ.

* * *

(١) «فقد» مثبت من (د).
(٢) في (ب): «ترني».
(٣) في (د): «أرسل».
(٤) في (د): «ورجعت».
(٥) في (د): «قلت».
(٦) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٤: ٧٠-٧١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٧: ٢٦٦)، و«العقد الثمين» (٦: ٤٦٦-٤٦٧).

[عابدة بمكة]

[٢٥] ومِنْهُنَّ: عابدَةٌ بمكَّةَ[١].

وكانَ قد فُتِحَ عليها بالكلامِ النّافعِ.

قالَ المَغازِليُّ: «قد دخَلْنا[٢] عليها ذاتَ يومٍ؛ لننتفِعَ بكلامِها، فبكَتْ بُكاءً طويلًا، ثمَّ أقبَلَتْ علينا، وقالَتْ: «يا إخوتِي، مَثِّلُوا القيامَةَ نُصْبَ أبصارِ قُلوبِكُم[٣]، ورُدُّوا على أنفسِكُم[٤] ما قد[٥] تقدَّمَ مِن أعمالِكم، فما ظَنَنْتُم أنّه يجوزُ في ذلكَ اليومِ، فارغَبُوا إلى السيِّدِ في قبولِه وتمامِ النِّعمةِ فيه، وما خِفْتُم أن يُرَدَّ في ذلكَ اليومِ عليكم فخُذُوا[٦] في إصلاحِه مِن اليومِ، ولا تغْفَلُوا عن أنفسِكُم فتُردَّ عليكم حيثُ لا يُؤخَذُ[٧] البدَلُ، ولا يُقدَرُ على الفداءِ».

ثمَّ بكَتْ طويلًا، ثمَّ أقبلَتْ علينا، وقالَتْ: «يا إخوانِي[٨]، إنّما صلاحُ الأبدانِ وفسادُها حُسنُ النيّةِ وسُوؤُها، إنّما نالَ المتَّقونَ المحبّةَ؛ لمحبَّتِهم له وانقطاعِهم إليه، ولولا الله ورسولُه ما نالُوا ذلكَ، ولكنَّهم أحَبُّوا الله ورسولَه فأحبَّهم، كَلَمَ الخوفُ قلوبَ أهلِهِ فاقتطعَهُم[٩] وشغَلَهم عنِ الشَّهواتِ واللَّذاتِ، وبقدْرِ ما تُعرِضُونَ عنِ الله عزَّ وجَلَّ يُعرِضُ عنْكُم،/ وبقدْرِ ما تُقْبِلُونَ عليه يُقْبِلُ عليكُم [١٧/أ] ويزيدُكُم مِن فضْلِه، إنّه واسِعٌ كريمٌ»[١٠]، والله أعلَمُ.

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٩).

(٢) في (س) و(ب): «فدخلنا».

(٣) في (س): «قوبكم»، وفي (ب): «قربكم».

(٤) في (د): «أنفسهم».

(٥) «قد» ليس في (د).

(٦) في (ب): «فجدوا».

(٧) في «صفة الصفوة»: «يوجد».

(٨) في (د): «يا إخواني».

(٩) في (د): «فأقطعهم».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٩).

[عابدة بمكة]

[٢٦] ومِنْهُنَّ: عابدَةٌ بمكَّةَ[١].

قالَ ابنُ أبي رَوّادٍ[٢]: «كانَتْ[٣] تسبِّحُ كلَّ يومٍ[٤] اثنَتي عشْرَةَ ألفَ تَسبيحةٍ، فماتَتْ، فلمّا بلَغَتِ القبْرَ اختُلِسَتْ مِن أيدِي الرِّجالِ»[٥]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة بمكة]

[٢٧] ومِنْهُنَّ[٦]: عابدةٌ بمكَّةَ[٧].

قالَ أبـو الحسَنِ الرامُّ وكانَ مِـن خيارِ النّـاس: قالَ: «كانَتِ امـرأةٌ بمكَّةَ يأتِيها العُبّادُ فيتحدَّثونَ عِندَها ويتواعَظُونَ، فقالَتْ لهُم: حجَبَتْ قُلوبَكم الدُّنيا عنِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، فلو خلَّيْتُمُوها لجالَتْ في مَلكوتِ السَّماواتِ، ولأتَتْكُم بطرائفِ الفوائدِ»[٨]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) انظر ترجمتها في: «العقد الثمين» (٦: ٤٦٧).

(٢) في (د): «داود».

(٣) في (د): «وكانت».

(٤) قوله: «يوم» ليست في (س).

(٥) انظر: «العقد الثمين» (٦: ٤٦٧).

(٦) «ومنهن» ليس في (س) و(ب).

(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٠).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٠).

[عابدة]

[٢٨] ومِنْهُنَّ[١]: عابدةٌ[٢].

قالَ محمَّدُ بنُ بكّارٍ: «دُلِلْتُ على امرأةٍ بمكَّةَ مِن قُريشٍ تأْوِي في سِربٍ ليسَ لها بيتٌ غيْرُه، فقيلَ لها: أترضينَ بهذا[٣]؟ فقالَتْ: أوَليسَ هذا لمَنْ يموتُ كثيرٌ»[٤]. والله أعلَمُ.

وقيلَ لما كانَتْ تقتاتُ الشَّعيرَ وتلْبَسُ خَشِنَ[٥] الثيابِ: ما هذا؟ فقالَتْ:

لَقَدْ نادَتِ الدُّنْيا بِأفْصَحِ[٦] مَنْطِقٍ ... لَقَدْ صَدَقَتْ فيما إلَيْهِ تُشِيرُ

ألا إنّ قُرْصًا مِن شَعِيرٍ وخِرْقَةً ... مِنَ الخامِ في عَبْدٍ يَمُوتُ كَثِيرُ

* * *

[خنساء بنت خدام]

[٢٩] ومِنْهُنَّ: خنساءُ[٧].

وليسَتِ الصحابيّةَ.

وكانَتْ مِن عابداتِ اليمنِ، وكانَتْ ذاتَ حُسنٍ وجمالٍ كأنّها بَدَنةٌ، فصامَتْ أربعينَ سنةً حتَّى لصِقَ جلْدُها بعظْمِها، وبكَتْ حتَّى ذهَبَتْ عَيناها، وقامَتْ حتَّى

(١) «ومنهن» ليس في (س) و(ب).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٠).

(٣) في (د): «بذلك».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٠).

(٥) في (س): «حسن».

(٦) في (ب): «بأفضح».

(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٦١).

أُقعدَتْ مِن رجلَيْها، وكانَ طاوسُ ووهبُ بْنُ مُنبِّهٍ رحمهما الله يُعظِّمانِ قدْرَها معَ علْمِها، وكانَتْ إذا جَنَّ عليها اللَّيلُ وهدَأتِ العُيونُ وسكَنَتِ الحَركاتُ تُنادِي بصوتٍ لها حزينٍ: «يا حبيبَ المُطيعينَ[1]، إلى كمْ تحبسُ[2] خُدودَ المُطيعينَ في التُّرابِ، ابعثهم[3] حتَّى تنجِزَ موعدَكَ[4] الصّادقَ الذي أتعَبُوا له أنفسَهم، ثمَّ أنصبُوها؟»، فيُسمَعُ البُكاءُ مِن الدُّورِ حوْلَها[5]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[سوية]

[٣٠] ومِنْهُنَّ: سويّةُ[6].

قالَ رجلٌ من قُريشٍ: «قدِمَتْ علينا امرأةٌ مِن أهْلِ اليمنِ يُقال لها: سويّةُ، فنزَلَتْ في بعضِ رِباعنا، فكنْتُ[7] أسمَعُ لها مِن اللَّيلِ نَحيبًا[8]، فقلْتُ للخادِمِ[9]: أشرِفي على هذه [١٧/ب] المرأةِ فانظُري ما تصنَعُ؟

فأشرَفَتْ[10]، فإذا هيَ قائمةٌ مستقبلةُ القبلَةِ، فقلْتُ: اسمَعِي ما تقولُ، فقالَتْ: ما أفهَمُ كثيرًا مِن قوْلِها، غيرَ أنِّي أسمَعُها تقولُ: «أراكَ خلقتَ سويّةَ مِن طينةٍ لازبةٍ، وغمَرْتَها[11] بنعمِكَ، وكلُّ أحوالِكَ لها حسنَةٌ، وكلُّ بلائِكَ عندَها

---

(١) في (د): «المنقطعين».
(٢) في (ب): «تجلس».
(٣) في (س) و(ب): «أبعتهم».
(٤) في (د): «وعدك».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦١).
(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٦١).
(٧) في (ب): «فنكت».
(٨) في (ب): «نحيبٌ».
(٩) في (ب): «للخدام»، وفي (د): «للخادمة».
(١٠) يعني: الخادمة.
(١١) في (ب): «وعمرتها».

جَميلٌ، وهيَ معَ ذلكَ متعرِّضةٌ لسخطِكَ بالتوثُّبِ على معاصِيكَ، فلتةً في إثرِ فلتةٍ، أتَرَى أنّها تظُنُّ أنك لا تَرَى سُوءَ فِعالِها؟ بَلَى وأنتَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ»، ثمَّ صرَخَتْ وسقَطَتْ، فنزَلَتِ الجاريةُ وأخبَرَتْنِي بِسُقوطِها[1]، فلمّا أصبَحْنا نظرْنا[2] فإذا هيَ قد ماتَتْ»[3].

رحمَةُ الله عزَّ وجَلَّ عليها وعلى نُظرائِها، والله أعلَمُ.

* * *

[جوهرة العابدة]

[٣١] ومِنْهُنَّ: جوهرَةُ، العابدَةُ البراثيّةُ[4].

نزَلَت بَراثا[5] معَ زوجِها، قالَت لزوجِها يومًا: «يا أبا عبدِ الله، النساءُ يُحَلَّينَ في الجنَّةِ إذا دخلْنَها؟».

قلْتُ: نعَمْ، فصاحَتْ صيحةً غُشِيَ عليها، فلمّا أفاقَتْ، قلْتُ: ما هذا الذي أصابَكِ؟ قالَتْ: «ذكَرْتُ حالِي تلكَ[6] وما كنْتُ أصبْتُ، فخشِيتُ والله حِرمانَ الآخرةِ»[7].

---

(١) في (س): «بسقطتها».

(٢) في (د): «فنظرنا».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦١).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٥).

(٥) بَراثا: بالثاء المثلثة والقصر؛ محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محوّل. انظر: «معجم البلدان» (١: ٣٦٢)، و«مراصد الاطلاع» (١: ١٧٤).

(٦) في (د): «ذلك».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٥).

أشارَتْ رضِيَ الله عنها إلى حالِها التي كانَتْ عليها مِن الترفُّهِ والسَّعةِ مِن الحُليِّ والأقمشةِ وغيْرِها، ففزِعَتْ أن يكونَ ذلكَ حظَّها وقد عُجِّلَ[1] لها ذلكَ في الدُّنيا، وهكذا كُنَّ وكانُوا.

ولهذا قالَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ رضِيَ الله عنه وهوَ مِن ساداتِ الصحابةِ، وقد قُرِّبَ له طعامٌ ليأكُلَ ـ وكانَ صائمًا[2] ـ: «قُتلَ مُصعبُ بنُ عُميرٍ وهوَ خيرٌ منِّي، فكُفِّنَ في بُردةٍ إن غُطِّيَ رأسُهُ بدَتْ رِجْلاهُ، وإن غُطِّيَ رِجْلاهُ بدَتْ رأسُه، وقُتلَ حمزَةُ وهوَ خيرٌ منِّي، فلم يُوجَد[3] له ما يُكفَّنُ فيه إلا بُردةٌ، ثمَّ بُسِطَ لنا مِن الدُّنيا ما بُسِطَ، وأُعطِينا مِن الدُّنيا ما أُعطِينا، وقد خَشِينا أنْ تكونَ حَسناتُنا قد عُجِّلَتْ لنا»، ثمَّ جعَلَ يَبْكي حتَّى ترَكَ الطَّعامَ»[4]، والله أعلَمُ.

قالَ زوْجُ جَوهرةَ[5]: «رأتْ جوهرةُ في منامِها خِيامًا[6] مضروبةً، فقالَتْ: لمَنْ هذه الخيامُ؟ فقيلَ: للمُجتهدينَ بالقُرآنِ، فكانَتْ بعدَ ذلكَ تقولُ: [١٨/أ]

أمّــا الخِيــامُ فإنّهــا كخِيامِهمْ وأرَى نِساءَ الحَيِّ غَيْرَ نِسائِها[7]

كانَ[8] زوْجُ جوهرَةَ مِن العُبّادِ الزُّهّادِ، وكانَ يجلِسُ على حَصيرةِ خوصٍ بحرانيَةٍ[9]، وكانَتْ زوجتُه جوهرةُ تجلِسُ بحذائِهِ[10] على أُخرى مثْلِها مستقبلَةَ القبلَةِ.

---

(١) في (د): «أعجل».
(٢) قوله: «وهو من سادات الصحابة، وقد قرب له طعام ليأكل» ليس في (ب).
(٣) في (ب): «يؤخذ».
(٤) «صحيح البخاري» (١٢٧٥).
(٥) «جوهرة» ليس في (ب).
(٦) في (ب): «خيامها».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٥).
(٨) في (د): «قال: كان».
(٩) في (ب): «بحراثية».
(١٠) في (ب): «بحذاه».

قالَ بعضُهم: فأتيناه يومًا فوجَدْناه جالسًا على الأرضِ، فقلْنا له: يا أبا عبدِ الله، ما فعَلَتِ الحصيرةُ التي كانَتْ تحتَكَ؟

فقالَ: إن جوهرةَ أيقظَتْنِي البارحَةَ فقالَتْ: أليسَ يقالُ: إنّ الأرضَ تقولُ[١] لابنِ آدمَ: تجعَلُ بينِي وبينَكَ سِترًا، وأنتَ غدًا في بطْنِي؟

فقلْتُ: نعَمْ، فقالَتْ: أخرِجْ عنّا هذه الحُصرَ لا حاجَةَ لنا فيها، فقمْتُ واللهِ[٢] فأخرَجْناها[٣]، والله أعلَمُ.

* * *

[زوجة أبي شعيب العابد]

[٣٢] ومِنْهُنَّ: زوجةُ أبي شُعيبٍ العابِدِ[٤].

قالَ الجُنيدُ: «كانَ أبو شُعيبٍ يتعبَّدُ في كُوخٍ، فمرَّتْ ببابِه جاريةٌ مِن بناتِ الكِبارِ مِن أبناءِ الدنيا، وكانَتْ قد ترَبَّتْ في قُصورِ المُلوكِ، فنظَرَتْ إلى أبي[٥] شُعيبٍ فاستحسَنَتْ حالَه وما كانَ[٦] عَلَيْهِ، فصارَتْ كالأسيرِ له، فعزَمَتْ على التَّجرُّدِ مِن الدُّنيا والاتصالِ بأبي شُعيبٍ، فجاءَتْ إليه، وقالَتْ: أريدُ أن أكونَ خادمَةً لكَ، فقالَ: إن أردْتِ ذلكَ فغيِّري مِن هيأتِكِ وتجرَّدِي عمّا أنتِ فيهِ؛ حتَّى تصْلُحِي لما أردْتِ.

---

(١) «تقول» ليس في (ب).

(٢) لفظ الجلالة ليس في (ب).

(٣) في (د): «وأخرجتها». وانظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٥).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٥)، و«التوابين» لابن قدامة (١١٨).

(٥) قوله: «أبي» ليس في (س).

(٦) في (د): «كانت».

فتجرَّدَتْ عن كلِّ ما تملِكُ[١]، ولبِسَتْ لُبسَةَ[٢] النُّسّاكِ ـ أي: العُبّادِ ـ وحضَرَتْهُ فتزوَّجَها[٣]، فلمّا رأتِ الكُوخَ[٤] رأَتْ قطعةَ خِصافٍ كانَ يجلِسُ عليها تقيه مِن النَّدَى، فقالَتْ: ما أنا بمُقيمةٍ في الخُصِّ حتَّى تُخْرِجَ ما تحتَكَ، فأخَذَ أبو شُعيبٍ الخِصافَ ورَمَى بها، فمكثَتْ معَه سِنينَ كثيرةً يتعبَّدانِ، رضِيَ الله عنهُما»[٥]. والله أعلَمُ.

هكذا كُنَّ يترُكْنَ الدُّنيا لآجِلِ الآخرةِ ونعيمِها المُقيمِ، ويترُكْنَ التَّرَفُّهَ ويعدِلْنَ إلى خُشونةِ العيشِ، بعكْسِ نِساءِ[٦] زَمانِنا الخَمِلاتِ اللاتي[٧] شأنُهُنَّ ودأْبُهُنَّ في التَّرفُّهِ والتَّوسُّعِ مِن هذه المَزبَلةِ، سواءٌ كانَ مِن حلالٍ أو حرامٍ.

[١٨/ب] فكأنِّي بكُنَّ وقد اسْتَلَّ ملَكُ الموتِ أرْواحَكُنَّ استلالًا عنيفًا، فذقْتُنَّ غُصصَ سَكراتِ الموتِ، وضيقَ القُبورِ، وشدائدَ الحسابِ، فنَدِمْتُنَّ حينَ لا ينفَعُ الندَمُ، فالبدارَ البدارَ يا نساءَ المُؤمناتِ إلى ما يحْمِي مِن عذابِ النارِ وغضَبِ الجبّارِ[٨]، ولا تستهْجِنَّ ما سلَفَ؛ فإنّه غفارٌ ستّارٌ، والله أعلَمُ.

* * *

[أخوات بشر: مضغة ومخة وزبدة]

[٣٣] ومِنْهُنَّ: أخواتُ بِشرٍ، رضِيَ الله عنه وعنهُنَّ، وكنَّ ثلاث: مضغةُ

---

(١) في (د): «تملكه».
(٢) في (ب) و(د): «لبس».
(٣) في (ب): «فتزوجتها».
(٤) في (د): «الكرخ».
(٥) «حلية الأولياء» (١٠: ٣٢٣)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٦٠١)، و«المنتظم» (٩: ١٥٢).
(٦) في (ب): «نسان».
(٧) في (س) و(ب): «الذي».
(٨) في (د): «القهار».

وهيَ الكُبْرى ، ومخةُ، وزبدةُ[١].

وكانَتْ مضغَةُ أكبَرُ مِن بشرٍ فماتَتْ قبْلَه، فتوجَّعَ عليها توجُّعًا شديدًا، فقيلَ له في ذلكَ، فقالَ: قرأْتُ في الكُتبِ: إنّ العبْدَ إذا قصَّرَ في خدمةِ ربِّه ـ وفي روايةٍ: في طاعةِ ربِّه ـ سلَبَه مَن يؤنِسُه[٢].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها صوّامةً قوّامةً وَرِعةً.

قالَ: «تعلَّمْتُ الورَعَ مِن أُختِي؛ فإنّها كانَتْ تجتهِدُ ألا[٣] تأكُلَ ما للمَخلوقِ فيه صنعٌ»[٤].

قالَ عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمَدَ رضِيَ الله عنه: «كنْتُ معَ أبي يومًا مِن الأيامِ في المنزلِ فدَقَّ داقٌّ البابَ، فقالَ لي أَبِي: اخرُجْ فانظُرْ مَن بالبابِ، فخرَجْتُ فإذا امـرأةٌ[٥]، فقالَتْ: استأذِنْ لي على أبي عبدِ الله، قالَ: فاستأذَنْتُه، فقالَ: أدخِلْها، قالَ: فدخَلَتْ، فقالَتْ: يا أبا عبدِ الله، أنا امرأةٌ أغزِلُ باللَّيلِ على السِّراجِ، فربَّما طُفِئَ[٦]، فأغزِلُ في القمرِ، فهل عليَّ أن أبينَ غزْلَ القمَرِ من غزْلِ[٧] السِّراجِ؟

فقالَ لهـا: إن كانَ عندَكِ بينَهما فرْقٌ فعليكِ أن تُبَيِّنِي ذلكَ، ثمَّ قالَتْ: يا أبا عبدِ الله، أنيـنُ المريضِ شَكْوَى؟ فقالَ: أرْجُـو ألا يكونَ شَكْوى، ولكنَّه

---

(١) انظر ترجمتهم في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١١: ١١٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٣)، و«البداية والنهاية» (١٠: ٢٩٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٦)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٣).

(٣) في (ب): «أن».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٦)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٤).

(٥) قوله: «فإذا امرأة» ليس في (ب).

(٦) بعدها في (د): «السراج».

(٧) قوله: «القمر من غزل» ليس في (ب).

اشتكاءٌ[١] إلى الله عزَّ وجَلَّ، ثمَّ ودَّعَتْه وخرَجَتْ، فقالَ لي: يا بُني ما سمِعْتُ إنسانًا قطُّ سألَ عن مثْلِ هذا، اتْبَعْ هذه المرأةَ فانظُرْ أينَ تَدْخُلُ[٢]؟

قالَ: فاتَّبعْتُها، فإذا هيَ قد دخلَتْ في بيتِ بشرِ بنِ الحارثِ، وإذا هيَ أختُه، فرجَعْتُ وقلْتُ له ذلكَ، فقالَ: مُحالٌ أنْ تكونَ مثْلُ هذه إلا أختَ بشرٍ، وكانَتْ هذه أختُه مخةُ»[٣]. [١٩/أ]

قالَ عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمَدَ: «جاءَتْ هذه مخةُ إلى أبي، فقالَتْ لَهُ: إنِّي امرأةٌ رأسُ مالي دانِقَيْنِ، أشترِي القطْنَ فأردِنُه فأبيعُه بنصْفِ درهمٍ، فأتقوَّتُ بدانقٍ مِن الجُمُعةِ إلى الجُمُعةِ، فمرَّ[٤] الطَّائفُ ومعَهُ مِشعلٌ، فوقَفَ يكلِّمُ أصحابَ المسالحِ[٥]، فاستغنمْتُ ضَوءَ المِشعلِ فغزَلْتُ طاقًا ثمَّ غابَ عنِّي المشعَلُ، فعلمْتُ أنّ لله[٦] فيَّ مطالبةً بذلكَ، فخلِّصْني خلَّصَكَ الله عزَّ وجَلَّ، فقالَ: تُخرجِينَ الدّانقينِ وتَبْقِينَ بلا رأسِ مالٍ حتَّى يعوِّضَكِ الله عزَّ وجَلَّ.

قالَ عبدُ الله: فقلْتُ لأبي: لو أمَرْتَها فأخرجَتِ الغزل[٧] الذي أدرَجَتْ فيه الطّاقاتِ؟ فقالَ: يا بُني، إنّ سُؤالَها لا يحتمِلُ التَّأويلَ»[٨].

---

(١) في (س): «شكو»، وقوله: «فقال: أرجو ألا يكون شكوى، ولكنه اشتكاء» ليس في (ب).

(٢) في (س): «ترحل».

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٦٢٣)، و«طبقات الحنابلة» (١: ٤٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٦-٥٧٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٤).

(٤) جاء بعدها في «صفة الصفوة»: «ابن الطاهر».

(٥) في (س) و(د): «المسالخ». (٦) في (د): «الله».

(٧) كذا في المصادر، وفي (س) و(ب) : «المغزل».

(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٦٢٣)، و«طبقات الحنابلة» (١: ٤٢٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٣).

قالَ عبدُ اللهِ البردانِيُّ: «كانَتْ هذه مخةُ تقصِدُ الإمامَ أحمَدَ، وتسألُه عنِ الورَعِ والتَّقشُّفِ، وكانَ الإمامُ أحمَدُ يعْجِبُه مَسائِلَها»[١].

وأما زبدةُ فلها كلامٌ حسَنٌ نافِعٌ.

قالَ السُّلمِيُّ: قالَت زبدةُ: «أثقَلُ شيءٍ على العبْدِ: الذُّنوبُ، وأخفُّ شيءٍ عليه: التَّوبةُ، فما لهُ لا يدفَعُ أثقَلَ شيءٍ بأخفِّ شيءٍ!»[٢]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[امرأة أبي الفرج العابد]

[٣٤] ومِنْهُنَّ: امرأةُ أبي الفرجِ العابِدِ[٣].

قالَ أبو بكرٍ الآجُرِيُّ: «بلغَنِي عن أبي الفرَجِ العابِدِ: أنّه لَمّا ماتَ لم تُعْلِمْ زوجتُه إخوانَـه بموتِه، وهُم جلـوسٌ بالبابِ ينتَظِـرونَ الدخولَ عليه في علَّتِه، فغسَّلَتْه وكفَّنَـتْه في كِساءٍ كانَ له، وأخَذَتْ فردةَ بابٍ مِن أبوابِ بيتِه وجعَلَتْه فوقَها وشَدَّتْهُ[٤] بشريطٍ، ثمَّ قالَتْ لإخوانِه: قد ماتَ، وقد فرغْتُ[٥] مِن جهازِه، فدخَلُوا واحتمَلُوه إلى قبْرِه وأغلَقَتِ البابَ خلْفَهم»[٦]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٧).

(٢) قوله: «بأخف شيء» ليس في (ب). وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٣).

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٧).

(٤) كذا في «صفة الصفوة»، وفي (س) و(ب): «وشرطه».

(٥) في (ب): «فغرت».

(٦) في (ب): «خلفه». وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٧).

[ميمونة أخت إبراهيم الخواص لأمه]

[٣٥] ومِنْهُنَّ: ميمونةُ أخْتُ إبراهيمَ الخوّاصِّ لأمِّه[١].

وكانَتْ سالكةً مسلَكَ أخِيها في الزُّهدِ والتَّقلُّلِ والورَعِ والتَّوكُّلِ[٢].

دقَّ يومًا داقٌّ بابَ إبراهيمَ، فقالَتْ ميمونةُ هذه: مَن تريدُ؟ فقالَ: إبراهيمَ الخوّاصَّ، فقالَتْ: قد خرجَ، فقالَ: متى يَعودُ؟ فقالَتْ: مَن رُوحُه بيدِ غيْرِه [١٩/ب] متى يعلَمُ متى يعودُ؟[٣] والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة كانت ببغداد]

[٣٦] ومنهُنَّ: عابدةٌ كانَتْ ببغدادَ[٤].

قالَ نوحٌ الأسوَدُ: «كانَتِ امرأةٌ تأتِي أبا عبْدِ الله البراثي[٥]، فتجلِسُ وتسمَعُ كلامَه، ولا تكادُ تتكلَّمُ، ولا تسألُ عن شيءٍ، فقيلَ لها في ذلكَ، فقالَتْ: قليلُ[٦] الكلامِ خيرٌ مِن كثيرِه[٧]، إلا ما كانَ من ذكْرِ الله عزَّ وجَلَّ، والمُنصِتُ[٨] أفهَمُ للموعظَةِ، ولن ينصحَكَ امرؤٌ لا ينصَحُ نفْسَه، وجملةُ الأمْرِ يا أخِي إن أردْتَ الله عزَّ وجَلَّ بطاعتِه أرادَكَ برحمتِه، وإن أردْتَ سَبيلَ المعرضينَ[٩] فلا تلُمْ إلا

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ بغداد» (١٦: ٦٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٨).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٦٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٨).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٩).

(٥) في (س) و(ب) و(د): «البرثاني».

(٦) في (د): «قلة».

(٧) في (د): «كثرته».

(٨) في (د): «والصمت».

(٩) في (س): «المعوضين».

نفسَكَ غدًا إذا حُشِرَتْ[١] في زُمرةِ الخاسرينَ، ثمَّ بكَتْ وقامَتْ»[٢].

قالَ: «وسمِعْتُها وهيَ تعِظُ لابنِها[٣] وتقولُ له: ويْحَكَ يا بُنيَّ، احذَرْ بطالاتِ اللَّيلِ والنَّهار، فتنقَضِي[٤] مهلاتُ الأعمارِ وأنتَ غيرُ ناظرٍ لنفسِكَ، ولا مستعِدٌّ لسفرِكَ، يا بُنيَّ، مهِّدْ لنفسِك قبلَ أن يُحالَ بينَكَ وبينَ ذلكَ، وجِدَّ قبلَ أن يجِدَّ الأمرُ بكَ، واحذَرْ سطواتِ الدهورِ[٥] وكيدَ الملعونِ عندَ هُجومِ الدُّنيا بالفتنِ وتقلُّبِها بالعِبَرِ[٦]، فعندَ ذلكَ يهتَمُّ التَّقِيُّ كيفَ ينجو مِن مصائبِها، بؤسًا لكَ يا بُنيَّ إن عصيْتَ الله عزَّ وجَلَّ وقدْ عرَفْتَه وعرفْتَ إحسانَه، وأطعْتَ إبليسَ وقد عرفْتَه وعرفْتَ طُغيانَه»[٧]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

هَكَذا كُنَّ، وأنتُنَّ ويحَكُنَّ يا نساءَ زمانِنا، تَرَينَّ أولادَكُنَّ يرتكِبونَ[٨] المَعاصِيَ[٩] والأهوالَ بحُبِّ هذه المَزبَلةِ، بَلْ والله ترينهم[١٠] يرتكِبونَ المعاصِيَ ولا تنكرن[١١] عليهم، بل فيكُنَّ والله مَن تُعْطِيهِ ما يتقَوَّى به على معاصِي الله عزَّ وجَلَّ بما أنعَمَ عليْكُنَّ بِهِ، فكأنِّي بكُنَّ وقد صارَ ما بذلْتُنَّه[١٢] لهم جمْرًا على أجسامِكُنَّ في قُبورِكُنَّ، لا سيَّما معَ علْمِكنَّ[١٣] بأنّ الأيتامَ والعجائزَ والزَّمِناتِ

---

(١) في «صفة الصفوة»: «صرت»، وفي (د): «خسرت».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٩).
(٣) في (د): «ابنها».
(٤) في (ب): «فتقضي».
(٥) في (د): «الدهر».
(٦) في (س) و(ب): «بالغير».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٩).
(٨) في (د): «يرتكبن».
(٩) «المعاصي» مثبت من (د).
(١٠) في (س) و(ب) و(د): «ترونهم»، ولعل المثبت هو الصواب.
(١١) في (س) و(ب): «تنكرون».
(١٢) في (ب): «تبذلينه».
(١٣) في (س) و(ب) و(د): «علمها»، ولعل المثبت هو الصواب.

لهم حاجَةٌ إلى ما يَقِيهم[1] مِن الحرِّ والبرْدِ والجُوعِ، فالويلُ لكُنَّ مِن مالِكِ يومِ الدِّينِ. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة ببغداد]

[٣٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بِبَغْدادَ.

[٢٠/أ] قالَ أبـو الحسَنِ البَحْرانِيُّ ـ صاحِبُ الخوّاصِ ـ: «جاءَتِ امرأةٌ إلى الخوّاصِ فسألَتْه عن تَغَيُّرٍ وجَدَتْه في قلْبِها وفي أحوالِها، فقالَ لها: عليكِ بالتفَقُّدِ، فقالَتْ: قد تفقَّدْتُ فما رأيتُ شيئًا، فأطرَقَ الخوّاصُ ساعةً ثمَّ رفَعَ رأسَه، وقالَ: أما تذكُرينَ ليلةَ المِشْعلِ؟

فقالَتْ: بَلَى، فقالَ: هذا التغيُّرُ مِن ذلكَ، فبكَتْ، وقالَتْ: نعَمْ كنْتُ أغزلُ فوقَ السَّطحِ فانقطَعَ خيْطِي، فمرَّ مِشعلُ السُّلطانِ فغزَلْتُ في ضَوْئِه خَيطًا ثمَّ أدخلْتُ الخيْطَ في غزْلِي ونسَجْتُه قَميصًا ولَبِسْتُه، ثمَّ قامَتْ إلى ناحيةِ البيتِ فنـزَعَتِ القميصَ، وقالَتْ: يا إبراهيمُ، إذا بعتُه وتصدَّقْتُ بثمَنِه يرجِعُ إليَّ الصفاءُ؟ فقالَ: إنْ شاءَ الله»[2]، والله أعلَمُ.

إذا كانَ هذا الجَفاءُ قد حصَلَ من خيطٍ غُزِلَ في ضَوءِ مِشْعلِ سُلطانِ ذلكَ الزمانِ، الذي كانَ العدْلُ فيه ظاهِرٌ والحدودُ تُقامُ فيه، وإذا ظُلِمَ فيه شخصٌ أزالَ الحُكّامُ مَظلمَتَه، فكيفَ الحالُ اليومَ، لا سيَّما المرأةُ المتزوِّجةُ مِن أعوانِ الظَّلَمةِ؛ كالعَرِّيفِ والنَّقيبِ، وامرأةِ المُحتسِبِ، وامرأةِ الحاجِبِ، ونائبِ البلَدِ،

---

(١) في (ب): «يقهم».

(٢) انظر: «قوت القلوب» (٢: ٤٧٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٨٠)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٩٥).

وقُضاةِ البراطيلِ الذين[١] أخَذُوا[٢] في السُّلوكِ في طريقِ اليَهودِ مِن الرِّشى والبراطيلِ وأخْذِ الأموالِ على وجْهِ الخَديعةِ.

وكذلكَ زوجةُ فُقراءِ هذا الزمانِ[٣]، لا سيَّما الفقيرُ الذي يأخُذُ جوائزَ هؤلاءِ[٤] الظَّلَمةِ، وقد نصَّبَ نفْسَه شَيخًا مُرَبيًا يعِظُ النّاسَ مِن كُتبِ القومِ، قبَّحَه الله وقاتَلَه؛ قُطّاعُ الطريقِ أحسَنُ حالًا منه؛ لأنّهم يأخُذونَ أموالَ الناسِ ويعتقِدونَ أنّهم عُصاةٌ، وهؤلاءِ يأخُذونَ أموالَ الناسِ بالباطِلِ، ويُظْهِرونَ أنّهم دعاةٌ إلى الله، كذَبُوا والله في ذلكَ.

وَلَقَد أجمَعَ المُسلمونَ على أنّ الشخصَ إذا كانَ يُظَنُّ به أنّه سالِكٌ وهوَ ليسَ[٥] كذلكَ، فالذي يأخُذُه حرامٌ لا نزاعَ في ذلكَ، ومَن ظنَّ منهم أنّهُ سالِكٌ فلينظُرْ في كتابِ الله عزَّ وجَلَّ وفي السُّنَّةِ الشَّريفةِ/ يَجِدِ[٦] الأمْرَ كَما ذَكَرْنا، [٢٠/ب] فإنْ كانَ لا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، فعَلَيْهِ بِكِتابِنا «**سَيْر السّالِك**»؛ ففيهِ ما أشَرْنا إلَيْهِ وزِيادة.

وَإذا عَرَفْتِ أيَّتُها[٧] المُؤْمِنَةُ الصادِقَةُ المُحِبَّةُ للخَيْرِ ما ذَكَرْناهُ[٨]، فبادِري أنْ تَخلصِي[٩] مِن هذِهِ الثِّيابِ القاطِعَةِ عَن التَّلَذُّذِ بالعِبادَةِ، بَل المانِعَةِ مِنْ[١٠] عَدَمِ قَبُولِها؛ ففي الحَدِيثِ مِن رِوايَةِ ابنِ عُمَر[١١] رَضِي الله عَنْهُما: أنّ رَسُولَ الله

---

(١) في (س) و(د): «الذي».
(٢) في (د): «يأخذون».
(٣) في (ب): «الزمنان».
(٤) في (س) و(ب) و(د): «هذه».
(٥) في (د): «وليس هو».
(٦) من هنا وقع سقط في (س) بمقدار لوحة كاملة.
(٧) في (ب) و(د): «أيها».
(٨) في (س): «ذكرنا».
(٩) في (ب): «تخلصكي».
(١٠) في (د): «عن».
(١١) في (د): «عبد الله بن عمر».

ﷺ قال: «**مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَراهِمَ، في ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ حَرامٌ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ صَلاتَه وعَلَيْهِ منهُ شيءٌ**». رَواهُ الإمامُ أحْمَدُ[1] رحمةُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ.

وَإذا كانَ هَذا في ثَوْبٍ فيهِ دِرْهَمٌ، فكَيْفَ الحالُ في ثَوْبٍ كُلّهُ حَـرامٌ، كَما يَفْعَلُهُ هَؤلاءِ الظَّلَمَة من الأخْذِ بالقَهرِ والغَلَبَةِ، وكَذا مـا يُرْسِلُهُ الشخْصُ عَلَى وجْهِ البَراطِيلِ[2]، أو يَبْعَثُهُ خَوفًا مِنْ أنْ يَطْلُبَ مِنْهُ شَيءٌ أكْثَرَ مِن ذَلِكَ، فكُلُّ هَذا وأشباهُه حَرامٌ لا نِزاعَ فيه بَيْنَ المُسْلِمِينَ، ومَن اعْتَقَد حِلَّ ذَلِكَ بَعْدَ العِلْمِ بِما ذَكَرْنا فهُو كافِـرٌ، وقَدْ خَرجَ بِذَلكَ عَن دِيـنِ الإسْلامِ، وإنْ صامَ، وصلَّى، وحجَّ، واعْتَمرَ.

وَفي الحَديثِ الصَّحيحِ: «**إنّ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَهُ**[3] **إلَى السَّماءِ: يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، وغُذِّيَ بِالحَرامِ، فأنّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ**». رواه مسلم[4]، أيْ: كَيفَ يُسْتَجابُ لَهُ!

وَفي الحَديثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أنّهُ قالَ: «**كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرامٍ، فالنّارُ أوْلَى بِهِ**»[5].

رَواهُ الترمِذيُّ[6] مِن حَدِيثِ كَعْبِ بن عُجْرَة، وحَسَّنَهُ، ورَواهُ أبو نُعَيمٍ[7]، وأصْلُهُ في البُخارِي من حديثِ عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها.

---

(١) «مسند أحمد» (٥٧٣٢).

(٢) في (ب) و(د): «البرطيل».

(٣) في (د): «يديه».

(٤) «صحيح مسلم» (١٠١٥).

(٥) «مسند أحمد» (١٤٤٤١).

(٦) «جامع الترمذي» (٦١٤)، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى».

(٧) «حلية الأولياء» (١: ٣١).

وفي الحديثِ أنّهُ[١] عليه الصلاة والسلام قال: «**مَن لَم يُبالِ مِن أينَ اكتسبَ المالَ، لَمْ يُبالِ الله تعالى من أينَ أدْخَلهُ النّارَ**»[٢].

وَعَنْ أبي بَرْزَةَ، واسمُه: نضْلةُ[٣] رَضِي الله عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَزُولُ قَدَما[٤] عَبْدٍ حَتَّى يُسْألَ عَنْ عُمُرِهِ فيما أفْناهُ، وعَن مالِه مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ[٥]، وفيما أنْفَقهُ، وعَن جِسْمِه فيما أبْلاهُ**». رواه الترمِذي[٦]، وقالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَرأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، قالَ: «**أتَدْرُونَ ما أخْبارُها؟**» قالُوا: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ. قالَ: «**فَإنَّ أخْبارَها أنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أوْ أمَةٍ بِما عَمِلَ عَلَى ظَهْرِها، تَقُولُ: عَمِلَ كَذا وكَذا يومَ كَذا وكَذا، فهَذِهِ أخْبارُها**»[٧].

---

(١) «أنه» ليس في (ب).

(٢) «أخبار الشيوخ وأخلاقهم» للمروذي (٢٠٥)، و«تاريخ أصبهان» (١: ٣٩٩). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٥٣٦): «أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث ابن عمر، قال ابن العربي في «عارضة الأحوذي شرح الترمذي»: إنه باطل لم يصح ولا يصح».

(٣) قيل اسمه: نضلة بن عبد الله، وقيل: عبد الله بن نضلة، وقيل: نضلة بن عبيد الله بن الحارث. انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٤: ٢٩٨)، و«الطبقات» لخليفة بن خياط (١٨٤)، و«التاريخ الكبير» (٨: ١١٨)، و«معجم الصحابة» لابن قانع (٣: ١٥٨) (١١٣٢).

(٤) في (ب): «قدم».

(٥) في (د): «اكتسب».

(٦) «جامع الترمذي» (٢٤١٦)، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه. وفي الباب عن أبي برزة، وأبي سعيد رضي الله عنهم».

(٧) «مسند أحمد» (٨٨٦٧)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٦٢٩)، و«صحيح ابن حبان» =

رواه الترمذي[١]، وقال: «هَذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»[٢].

وَمِمّا يَفْعَلُه الجَهَلَةُ، وأشَدُّهُم جَهْلًا الظَّلَمةُ الذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ أمْوالِ النّاسِ بِالباطِلِ، ثُمَّ يَتَصَدَّقُونَ مِنْهُ[٣]، هُمْ ونِساؤُهُم، وهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُثابُونَ[٤] عَلى ذَلِكَ، ولَعَمْرِي إنّهُم بِصَدَقَتِهِم يَزْدادُونَ عَذابًا؛ لِأنّهُم عَصَوُا الله عَزَّ وجَلَّ ورسولَه[٥] بِصَدَقَتِهِم، وآذَوا أنْفُسَهُم، وآذَوا الفُقَراءَ؛ لِأَنَّهُم أطْعَمُوهُمُ الحَرامَ.

وَقَد قالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَن اكْتَسبَ مالًا حَرامًا، فإنْ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وإنْ تَرَكَهُ وراءَهُ كانَ زادَهُ إلَى النارِ»**[٦].

رَواهُ الإمامُ أحمدُ[٧] من حديثِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنهُ.

وَرَواهُ ابنُ حِبّانَ[٨] مِن حَدِيثِ أبي هُرَيرةَ رَضِي الله عَنْهُ: **«مَنْ جَمعَ مالًا مِنْ حَرامٍ ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ فيهِ أجْرٌ، وكانَ إصْرُهُ[٩] عَلَيْهِ»**.

ثُمَّ إنَّ الفَقِيرَ والفَقِيرَةَ[١٠] تَدْعُو لِأجْلِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ الخَبِيثَةِ، ويُثْنى[١١] أَيْضًا[١٢] عَلَى المُتَصَدِّقِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فيَقَعُ الفَقِيرُ أيْضًا في أشَرِّ أعْمالِهِ؛ لِجَهْلِهِ[١٣].

= (٧٣٦٠)، و«مستدرك الحاكم» (٣٠١٢)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(١) «جامع الترمذي» (٣٣٥٣).
(٢) في (ب): «وقال: حديث حسن».
(٣) في (د): «به».
(٤) في (د): «يثابون».
(٥) «ورسوله» مثبت من (د).
(٦) «الزهد» لابن المبارك (١١٣٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٩٩٠).
(٧) «مسند أحمد» (٣٦٧٢).
(٨) «صحيح ابن حبان» (٣٣٦٧).
(٩) «إصره» ليس في (ب)، وموضعها بياض.
(١٠) في (د): «أو الفقيرة».
(١١) في (د): «ويثنيا».
(١٢) «أيضًا» مثبت من (د).
(١٣) في (د): «بجهله».

فَفي الحَديثِ: «**مَنْ دَعا لِظالِمٍ بِالبَقاءِ، فقَدْ أَحَبَّ أنْ يُعْصَى الله عَزَّ وجَلَّ في أرْضِهِ**». رَواهُ ابنُ أبي الدُّنْيا[١]، إلا أنَّهُ رَواهُ مِنْ قَوْلِ الحَسَن، وهُو الصَّواب[٢].

نَعَمْ؛ في الحديثِ الصَّحِيحِ: «**إنّ الله عزَّ وجَلَّ لَيَغْضَبُ إذا مُدحَ الفاسِقُ**». رَواهُ ابْنُ أبي الدُّنْيا[٣]، والبَيْهَقِيّ[٤]، وأبُو يَعْلَى[٥]، وابْنُ عَدِيٍّ[٦].

وَمِمّا يَتَعَلَّقُ بِما ذَكَرْنا مِن أخْذِ المالِ بِالباطِلِ: ما يَفعَلُهُ هَؤلاءِ[٧] التُّجّار والسُّوقَة مِن غِشِّهِم وحَلِفِهم الأيْمانَ الكاذِبَةَ لِيُرَوِّجُوا به سِلَعَهُم[٨]، ويَكْذِبُوا[٩] [٢١/ب] في الأخْذِ والعطاءِ، وهؤلاءِ لهم عذابٌ شديدٌ أليمٌ، والويلُ لهم مِن هذه الأفعالِ الخَبيثةِ؛ ففي الحديثِ عنِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه، أنّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى مالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ[١٠] لَقِيَ الله وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانُ**». رَواهُ البُخارِيُّ[١١] ومُسلمٌ[١٢].

وفي الحديثِ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فقَدْ أَوْجَبَ الله عَزَّ وجَلَّ لَهُ النّارَ، وحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»، فقالَ رجلٌ: وإن كانَ شيئًا يسيرًا يا رَسولَ الله؟ فقالَ

(١) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٦٠٠)، و«شعب الإيمان» (٨٩٨٦).

(٢) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢: ١٥١): «قلت غريبٌ مرفوعًا، وذكره الغزالي كذلك مرفوعًا في موضعين من كتابه «إحياء علوم الدين» ولم نجده إلا من قول الحسن، رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن عمر الرقي عن يونس بن عبيد سمعت الحسن يقول.. فذكره» وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (٥٣٢).

(٣) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٢٢٩).

(٤) «شعب الإيمان» (٤٥٤٣).

(٥) «معجم أبي يعلى الموصلي» (١٧٢).

(٦) «الكامل في ضعفاء الرجال» (٦: ٤٩٠).

(٧) في (ب) و(د): «هذه».

(٨) هنا انتهى السقط الواقع في (س).

(٩) في (د): «ويكذبون».

(١٠) في (د): «حقه».

(١١) «صحيح البخاري» (٢٣٥٦).

(١٢) «صحيح مسلم» (١٣٨).

عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**وَإنْ كانَ قَضِيبًا**[١] **مِنْ أراكٍ**». رَواهُ مُسلمٌ[٢].

وفي الحديثِ عنِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه، أنّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنا السِّلاحَ فلَيْسَ مِنّا**[٣]، **ومَنْ غَشَّنا فلَيْسَ مِنّا**». رَواهُ مُسلمٌ[٤].

وفي رِوايةٍ: أنّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مَرَّ على صُبْرَةِ طَعامٍ، فأدخَلَ يدَه الكريمَةَ فيها، فنالَتْ أصابِعُه بلَلًا، فقالَ: «**ما هَـذا يا صاحِـبَ الطَّعامِ؟**» فقالَ: أصابَتْه السَّماءُ يا رَسولَ الله، قالَ: «**أفَلا جَعَلْتَهُ فوْقَ الطَّعامِ حَتَّى يَراهُ**[٥] **النّاسُ؛ مَنْ غَشَّنا فلَيْسَ مِنّا**»[٦].

وهـذا وأمثالُه كثيـرةٌ، فالمرأةُ الموفَّقةُ تتَّعِظُ بدونِ ذلكَ؛ ولتحرِصْ على خَلاصِها وفِكاكِها[٧] مِن أسبابِ العذابِ، فالموتُ[٨] قريبٌ، والحسابُ شديدٌ، قالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، والله أعلَمُ.

❊ ❊ ❊

[عابدتان ببغداد]

[٣٨] ومِنْهُنَّ: عابِدتانِ ببغدادَ[٩].

---

(١) في (س): «قضيب».
(٢) «صحيح مسلم» (١٣٧).
(٣) في (د): «فليس هو منا».
(٤) «صحيح مسلم» (١٠١).
(٥) في (د): «ليراه».
(٦) «صحيح مسلم» (١٠٢).
(٧) في (د): «وانفكاكها».
(٨) في (س): «والموت».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٨٠).

كانَ رجلٌ تاجرٌ بها له ثروةٌ، فبينا[١] هوَ في حانوتِه إذ أقبلَتْ صبيّةٌ فطلَبَتْ[٢] منه شيئًا تشتَرِيه، ثمَّ كشفَتْ عن وجْهِها، فنظَرَ إليها فتحيَّرَ مِن حُسْنِها، ثمَّ قالَتْ له: واللهِ ما بي ريبةٌ، وإنّما أردْتُ أن أتزوَّجَ بخيِّرٍ، وقد وقعْتَ فِي[٣] قلْبِي، فهل لكَ في ذلكَ؟

فقالَ: إنّ لي ابنةَ عمٍّ وهيَ زوجَتِي، وقد عاهَدْتُها أنْ لا أغيِّرَها، ولي منها [٢٢/أ] ولَدٌ، فقالَتْ: رضِيتُ أن تَجيءَ إليَّ[٤] في الأسبوعِ نَوبتَينِ[٥]، فرضِيَ وقامَ معَها، وعقَدَ العقْدَ، ومَضَى إلى مَنزلِها، فدخَلَ[٦] بها، ثمَّ جاءَ إلى منزلِه، ثمَّ قالَ[٧] لابنةِ عمِّه: إنّ بعضَ أصدقائِي سألَنِي أنْ أكونَ اللَّيلةَ عندَه، وكانَ يمْضِي كلَّ يومٍ بعدَ الظُّهرِ إليها، فبقِيَ على هذا ثَمانيةَ أشهرٍ، فأنكَرَتِ ابنةُ عمِّه أحوالَه، فقالَتْ لجاريتِها: إذا خرَجَ فانظُرِي إلَى[٨] أينَ يمْضِي؟

فتبِعَتْه الجاريةُ، فجاءَ إلى الدُّكّانِ، فلمّا جاءَ[٩] الظُّهرُ قامَ فتبِعَتْهُ الجاريةُ وهوَ لا يدْرِي، إلى أنْ دخَلَ[١٠] بيتَ تلكَ المرأةِ، فجاءَتْ إلى الجيرانِ فسألَتْهم لمَنْ هذهِ المرأةُ[١١]؟ فقالُوا: قد تزوَّجَتْ برجلٍ بزّازٍ، فعادَتْ إلى سيِّدتِها فأخبَرَتْها الخبَرَ، ثمَّ قالَتْ للجاريةِ: إيّاكِ أن يَعْلَمَ[١٢] بهذا أحدٌ، ولم تُظْهِرْ لزوجِها شيئًا، فأقامَ الرَّجلُ تمامَ السَّنةِ على ذلكَ.

(١) في (د): «فبينما».
(٢) في (د): «تطلب».
(٣) في (س): «من».
(٤) في (د): «لي».
(٥) في (د): «يوم».
(٦) في (د): «ودخل».
(٧) في (د): «فقال».
(٨) «إلى» مثبت من (د).
(٩) في (س): «جاءت»، وكتب فوقها: «كذا».
(١٠) في (ب): «تدخل».
(١١) «المرأة» مثبت من (د).
(١٢) في (ب): «تُعْلِم».

ثمَّ مرِضَ وماتَ في بيتِ ابنةِ عمِّه، وخلَّفَ ثمانيةَ[١] آلافِ دِينارٍ، فقامَتِ ابنةُ عمِّه فأفرَدَتْ[٢] ما يستحِقُّه الولَدُ، وهوَ سبعةُ آلافِ دينارٍ[٣] وقسَّمَتِ الألْفَ الباقيةَ نِصفينِ، وجعَلَتِ النِّصفَ في كيسٍ، وقالَتْ للجاريةِ: خُذِي هذا الكيسَ واذهَبِي إلى المرأةِ، وأعلِمِيها أنّ الرَّجلَ قد ماتَ وخلَّفَ ثمانيةَ آلافِ دِينارٍ، وقد أخَذَ الابنُ سبعةً وبقِيَتْ ألفٌ قسَمْتُها بيني وبينكِ[٤]، وهذا حقُّكِ، فمضَتِ الجاريةُ فطرَقَتِ البابَ، ودخَلَتْ فأخبَرَتْها خبرَ الرَّجلِ وحدَّثَتْها بموتِه، وأعلَمَتْها الحالَ، فبكَتْ، ثمَّ فتحَتْ صُندوقًا وأخرجَتْ منه رُقعةً يعْنِي: ورقةً، وقالَتْ: عُودِي إلى سيِّدَتِكِ وسلِّمِي عليها منِّي[٥]، وأعْلِمِيها أنّ الرَّجلَ طلَّقَنِي وكتبَ لي[٦] براءةً، ورُدِّي عليها هذا المالَ؛ فإنّي ما أستحِقُّ منه شيئًا، فرجَعَتِ الجاريةُ وأخبَرَتْها بذلكَ[٧]. رضِيَ الله عنهُما، والله أعلَمُ.

* * *

[أم حسان الكوفية]

[٣٩] ومِنْهُنَّ: أمُّ حسّانَ[٨] الكُوفيّة[٩].

وكانَ سُفيانُ وابنُ المُباركِ وغيرُهما مِن السّاداتِ يزُورُونَها[١٠]، وكانَتْ صاحبةَ اجتهادٍ وعبادةٍ[١١].

---

(١) «وخلف ثمانية» في (ب): «وثمانية».
(٢) في (ب): «فأفرددت».
(٣) «دينار» مثبت من (د).
(٤) في (س) و(ب): «بينك وبينها».
(٥) في (ب): «عني».
(٦) «لي» ليس في (ب).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٨١).
(٨) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).
(٩) في (س): «الكوفة».
(١٠) في (د): «يزوروها».
(١١) في (د): «وعبادات». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).

قالَ ابنُ المُباركِ: «دخَلْتُ أنا وسُفيانُ بيتَها فلم نَرَ فيه شيئًا غيرَ قطعةِ حَصيرٍ خَلَقٍ، فقالَ لها سُفيانُ الثوريُّ: لو كتبْتِ[1] رُقعةً إلى[2] بعضِ بنـي أعمامِكِ [٢٢/ب] لغيَّرُوا مِن سُوءِ حالِكِ، فقالَتْ له: يا سُفيانُ، قد كنْتَ في عيني أعظَمَ، وفي قلْبي أكبَرَ منذُ ساعتِكِ هذهِ؛ إنّي ما أسألُ الدُّنيا مَن يقْدِرُ عليها ويملِكُها ويَحْكُمُ فيها، فكيفَ أسألُ مَن لا يقدِرُ ولا يقْضِي ولا يحْكُمُ فيـها؟ يا سُفيـانُ، والله ما أحِبُّ أن يأتـيَ عليَّ وقتٌ وأنا مُتشاغِلَةٌ فيه عنِ الله عزَّ وجَلَّ بغيرِ الله تعالى، فأبكَتْ سُفيانَ».

قالَ ابنُ المُبارِكِ: «فبلَغَني[3] أنّ سُفيانَ تزوَّجَ بها»[4]. والله أعلَمُ.

[أم سفيان الثوري]

[٤٠] ومِنْهُنَّ: أمُّ سُفيانَ الثوريِّ[5].

قالَ وكيعٌ: قالَتْ أمُّ سُفيانَ: «يا بُنيَّ، اطلُبِ العلْمَ وأنا أكْفيكَ بمِغـزلِي، يا بُنيَّ، إذا كتبْتَ عشرَةَ أحرفٍ؛ انظرْ هل تَرَى في نفْسِكَ زيادةً فـي مشْيِكَ وحلْمِكَ ووقارِكَ؟ فإن لم تَرَ ذاك، فاعلَمْ أنّه يضرُّكَ ولا ينفَعُكَ»[6]. والله أعلَمُ.

* * *

(١) في (ب): «كتب»، وفي (د): «كنت كتبت».
(٢) «إلى» ليس في (ب).
(٣) في (د): «بلغني».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).
(٥) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).
(٦) انظر: «تاريخ جرجان» (٤٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ١٧٤).

[أم الحسن وعلي]

[٤١] ومِنْهُنَّ: أمُّ الحسَنِ وعليٍّ[١].

وكانَتْ تقومُ ثُلُثَ اللَّيلِ، والآخَرُ الثُّلُثَ، والثّالثُ الثُّلُثَ الأخيرَ، وكانَتْ تبْكِي اللَّيلَ والنَّهارَ مِن خشيةِ الله تعالى[٢].

قالَ رجلٌ: «فرأيْتُ الحسَنَ بعدَ موتِه في المنامِ، فقلْتُ: ما فعَلَتِ[٣] الوالدَةُ؟ فقالَ: بُدِّلَتْ بذلكَ البُكاءِ سُرورَ الأبَدِ»[٤]. والله أعلَمُ.

* * *

[أخت فضيل بن عبد الوهاب]

[٤٢] ومِنْهُنَّ: أختُ فُضيلِ بنِ[٥] عبدِ الوهّابِ[٦].

قالَ فُضيلٌ: سمِعْتُ أختي تقولُ: «الآخرَةُ أقرَبُ مِن الدُّنيا، وذلكَ أنّ الرَّجلَ يَهُمُّ بطلَبِ الدُّنيا فلعَلَّه[٧] أنْ ينشِئَ لذلكَ سَفرًا يكونُ فيه قد تسبَّبَ لإتلافِ مالِه[٨]، ثمَّ لا[٩] ينالُ[١٠] بُغيتَه[١١]، والرَّجلُ يطلُبُ الآخرَةَ، فمُنتَهى طَلِبتِه

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠-١١١)، و«المنتظم» (٨: ٣١٣).
(٣) في (د): «بدلت».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١١)، و«المنتظم» (٨: ٣١٣)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٦٢).
(٥) في (د): «وهو ابن».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١١).
(٧) في (د): «فلعله بذلك».
(٨) في (د): «يكون نصب بدنه وهلاك ماله».
(٩) «لا» ليس في (ب).
(١٠) في (د): «يناله».
(١١) في (د): «بنيته».

في حُسنِ نيَّتِه حيثُ ما كانَ، مِن غيرِ أنْ يُنشِئَ سَفرًا، أو ينفِقَ مالًا، أو يُتعِبَ[١] بَدنًا، ما هوَ إلا أن يُجمعَ على طاعةِ الله عزَّ وجَلَّ، فإذا هوَ قد أدرَكَ ما عندَ الله عزَّ وجَلَّ»[٢].

وسمِعْتُها تقولُ: «ما بينَنا وبينَ أن نَرَى السُّرورَ أو يُنادَى بالويْلِ والثُّبورِ، إلا خُروجُ هذه الأرواحِ مِن هذهِ الأبدانِ، فانظُرُوا أيَّ عبيدٍ تكونونَ حينئذٍ»، قالَ: ثمَّ صرَخَتْ وغُشِيَ عليها، ثمَّ قالَ: «ما رأيْتُ رَجلًا ولا امرأةً أطولَ حُزنًا [٢٣/أ] منها»[٣]، يعْنِي: مِن خَوفِ الآخرةِ، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من نساء الكوفة]

[٤٣] ومنهُنَّ: عابدةٌ مِن نساءِ الكُوفةِ[٤].

وكانَتْ في زمنِ الرَّبيعِ بنِ خُثَيْمٍ[٥]، وكانَتْ ذاتَ جمالٍ بارعٍ، فقالَ لها قومٌ: لو تعرَّضْتِ للرَّبيعِ؛ لعلَّكِ تفْتِنيهِ، ولكِ إن فعَلْتِ ذلكَ ألْفُ درهمٍ، فقالَتْ: نَعَمْ، فلبِسَتْ أحسَنَ ما قدرَتْ عليه مِن الثيابِ الحِسانِ، وتطيَّبَتْ بأحسَنَ ما قدرَتْ عليه مِن الطِّيبِ، ثمَّ تعرَّضَتْ له حينَ خرَجَ[٦] مِن المسجدِ، فنظَرَ إليها فراعَه أمْرُها، فأقبَلَتْ عليه وهيَ سافِرةٌ عن وجْهِها، فقالَ لها الرَّبيعُ: كيفَ بكِ لو قد نزَلَتِ الحُمَّى[٧] بجسْمِكِ، فغيَّرَتْ ما أرَى مِن لونِكِ وبهجَتِكِ؟

---

(١) في (د): «ينصب».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١١).

(٣) في (س) و(ب): «منهما». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١١).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٢).

(٥) في (د): «خيثم».

(٦) في (د): «خروجه».

(٧) في (د): «الجمرة».

أم كيفَ بكِ لو قدْ نزَلَ بكِ ملَكُ الموْتِ فقطَعَ منكِ حبْلَ الوَتينِ؟
أم كيفَ بكِ لو قدْ سألَكِ مُنكرٌ ونَـكيرٌ؟

فصرَخَتْ صرخَةً سقَطَتْ مَغشيًّا عليها، فوالله لقد أفاقَتْ وشَـرعَتْ فـي العبادَةِ، حتَّى إنها بلغَتْ في عبادَةِ ربِّها أنّها يومَ ماتَتْ كأنّها عودٌ مُحترِقٌ[١]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة في الكوفة]

[٤٤] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ في الكُوفةِ[٢].

دخَلَ عليها شخصٌ مِن ولدِ ابنِ أبي[٣] لَيْلَى وهوَ يقرأُ في «سُورةِ هودٍ» عليه السَّلامُ، فقالَتْ: «أهكذا تقرأُ سُورةَ هودٍ! إنّي لَفيها منذُ ستَّةِ أشهرٍ ما فرَغْتُ مِن[٤] قراءتِها»[٥].

* * *

[عابدة أخرى]

[٤٥] ومِنْهُنَّ: عابدة[٦].

وكانَتِ[٧] امرأةٌ أُخرى مِن بني تميمٍ مجتهدةً في العبادةِ، وكانَتْ تفطِرُ في

---

(١) في (د): «محترقة». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٢)، و«التوابين» لابن قدامة (١٥٧).
(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٢).
(٣) «أبي» ليس في (ب). (٤) قوله: «من» ليست في (س).
(٥) «شعب الإيمان» (١٨٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٢).
(٦) قوله: «ومنهن عابدة» مثبت من (د). (٧) «وكانت» ليس في (د).

كلِّ ثلاثة أيام يوم(١)، ولا تخرُجُ مِن مسجدِ الحيِّ إلا لحاجةٍ، فقالَ لها إبراهيمُ التَّيمِيُّ: «صلاتُكِ في بيْتِكِ أفضَلُ مِن صلاتِكِ في مسجدِ الحيِّ»، ففعَلَتْ ولزِمَت بيتَها، فلم تزْدَدْ إلا خيرًا(٢). والله أعلَمُ.

[عابدتان أختان]

[٤٦] ومِنْهُنَّ: عابِدتانِ، وكانَتا أُختينِ.

قالَ أبو بشرٍ: «كانَتْ جارةٌ لمنصورِ بنِ المُعتمرِ، وكانَ لها ابنتانِ لا يَصعدانِ إلى السَّطحِ إلا بعدَ أنْ ينامَ النّاسُ، فقالَتْ إحداهُما ذاتَ ليلةٍ: يا أُمَّاهُ(٣) ما فعلَتِ القائمةُ التي كنْتُ أراها على سطحِ فُلانٍ؟

فقالَتْ: يا بنيّةُ لم تكُنْ تلكَ قائمةً؛ إنّما كانَ [٢٣/ب] ذلكَ منصورٌ يُحْيِي اللَّيلَ كلَّه في ركعةٍ لا يركَعُ فيها ولا يسجُدُ.

فقالَتْ: يا أمّاه بلَغَ به الفَرَقُ مِن النّارِ هذا، فما فعَلَ؟ فقالَتْ: يا بنيّةُ(٤) ماتَ، فقالَتْ: يا أمّاه انطلِقي(٥) فاشْتَري لي مِدْرعةً أتعبَّدُ فيها، فوالله لا يجتمِعُ رأْسِي ورأسُ رجلٍ أبدًا، رجلٌ(٦) لا ينامُ اللَّيلَ عِشرينَ سنةً فرَقًا(٧) من النّارِ، فاشترَتْ لها مِدْرعةً مِن شعرٍ، فدخلَتِ البيتَ ودخَلَتْ أختُها(٨) معَها في العبادَةِ فتعبَّدَتا بعدَ ذلكَ عشرينَ سنةً لا تَنامانِ اللَّيلَ، ولا تفطرانِ النَّهارَ(٩). رضِيَ الله

---

(١) في (س): «في كل ثلاث مرة».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٣).
(٣) في (س): «يا أمتاه».
(٤) قوله: «يا بنية» ليس في (ب).
(٥) في (ب): «أنطقي».
(٦) «رجل» ليس في (ب).
(٧) في (د): «خوفًا».
(٨) في (د): «بأختها».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٣)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٨٥).

عنهُما وعن أمِّهما التي أعانَتْهما على عبادَةِ ربِّهما[١].

فهـذه هيَ الأمُّ الحَنونَةُ المُساعدةُ على الخيـرِ، الدّافعةُ عن بناتِـها النّارَ، بخلافِ نساءِ زمانِنا الغاشّاتِ لأنفسِهِنَّ ولأولادِهِنَّ[٢]، فكأنِّي بهِنَّ وقد تناثَرَتْ لُحومُهُنَّ، وسعَتِ الدِّيدانُ في خُدُودِهِنَّ وشُعورِهِنَّ، وتتابَعَتْ عليهِنَّ الأفاعِي وغيرُ ذلكَ، فندِمْنَ[٣] حينَ لا ينفَعُهُنَّ النَّدمُ.

اللَّهمَّ سلِّمْ مِن ذلكَ، فما أصعَبَه وأشدَّ هوْلَه، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة]

[٤٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ[٤].

وكانَ قد فُتِحَ عليها في الكلامِ النافعِ، وكانَ سُفيانُ يذكُرُ عبادتَها وفضْلَها، قالَ له عبدُ الله بنُ الزُّبيـرِ[٥] ما تحفَظُ مِن كلامِها؟ فقـالَ: كانَتْ تقولُ: «طولُ الأمل بَطّأ بِي[٦] عن سَبيلِ النَّجاةِ»[٧]. والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (س) و(ب): «ربها».
(٢) في (د): «وأدولادهن».
(٣) في (ب): «فقدمن».
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٣).
(٥) لم يرد في أيِّ مصدر: أن السائل هو عبد الله بن الزبير، إضافة إلى أن سفيان لم يدرك عبد الله ابن الزبير رحمهما الله تعالى.
(٦) «بي» ليس في (س) و(ب).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٣).

[عابدة بالكوفة]

[٤٨] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بالكُوفةِ.

وكانَتْ مُوسِرةً، وكانَتْ لا تنامُ مِن اللَّيلِ إلا يَسيرًا، فعُوتِبَتْ في ذلكَ، فقالَتْ: «كَفَى بالموتِ[١] وطُولِ[٢] الرَّقدةِ في القُبورِ للمُؤمنينَ رُقادًا»[٣].

وكانَتْ تَصومُ في شدَّةِ الحرِّ حتَّى يسوَدَّ لونُها، ويتغيَّرَ[٤] وجْهُها، فيُقالُ لها في ذلكَ، فتقولُ: «إنَّما أدوِّرُ على طولِ الرِّيِّ والشِّبعِ في الآخرةِ»[٥].

وكانَتْ بكَتْ[٦] حتَّى اسوَدَّتْ مَجارِي دُموعِها مِن وجْهِها، وكانَ يأتِيها محمَّدُ بنُ النَّضرِ[٧] وأصحابُه، فتقولُ: «قُومُوا، فالحديثُ هنالكَ[٨] يَطِيبُ في دارٍ لا همَّ فيها ولا موتَ/ ولا تعبَ»[٩]، واللهُ أعلَمُ. [٢٤/أ]

* * *

[ميمونة السوداء]

[٤٩] ومِنْهُنَّ: ميمونةُ السَّوداءُ[١٠].

وكانَتْ بُهْلُولة.

---

(١) في (د): «بالموت واعظًا». (٢) في (د): «فطول».

(٣) انظر: «المدهش» (٤٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٤)، و«البحور الزاخرة» (٣: ١٥٧٨).

(٤) في (د): «وتغير». (٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٤).

(٦) قوله: «وكانت بكت» في (د): «وبكت».

(٧) في (ب): «النصر». (٨) في (د): «هناك».

(٩) في (ب): «ولا نعث». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٤).

(١٠) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٥).

قالَ الفُضيلُ بنُ عِياضٍ: قالَ عبدُ الواحد[١] بنُ زيدٍ: «سألْتُ الله عزَّ وجَلَّ ثلاثَ ليالٍ أنْ يريَنِي رَفيقِي في الجنَّةِ، فقيلَ لي: رفيقُكَ في الجنَّةِ ميمونةُ السَّوداءُ، فقلْتُ: وأينَ أجِدُها؟

فقيلَ: في آلِ فلانٍ بالكُوفةِ، فخرَجْتُ إلى الكُوفةِ، فسألْتُ عنها؟ فقيلَ: إنّها مَجنونةٌ تَرْعَى غُنيماتٍ لنا، فقلْتُ: أريدُ أنْ أراها، فقالُوا: اخرُجْ إلى الجَبّانِ، فخرَجْتُ فإذا بها قائمةٌ تُصلِّي وبينَ يدَيْها عكازةٌ، وعليها جُبّةٌ مِن صُوفٍ مكتوبٌ عليها: لا تُباعُ ولا تُشْترَى، وإذا الغنَمُ معَ الذِّئابِ، فلا الذِّئابُ تأكُلُ الغنَمَ، ولا الغنَمُ[٢] تخافُ مِن الذِّئابِ، فلمّا رأتْنِي أوجَزَتْ في الصَّلاةِ، ثمَّ قالَتْ: ارجِعْ يا ابنَ زيدٍ، ليسَ الموعِدُ هاهنا، إنّما الموعِدُ ثَمَّ.

فقلْتُ: يرحَمُكِ الله تعالى، ومَنْ أعلَمَكِ أنِّي ابنُ زيدٍ؟ فقالَتْ: أما علِمْتَ **أنّ الأرواحَ جُنودٌ مجنَّدةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلَفَ وما تناكَرَ منها اختلَفَ**[٣].

فقلْتُ لها: عِظِيني[٤]، فقالَتْ: واعجبًا؛ الواعظُ[٥] يُوعَظُ! ثمَّ قالَتْ: يا ابنَ زيدٍ، إنّه بلغَنِي[٦]: أنّه ما مِن عبدٍ أُعْطِيَ مِن الدُّنيا شيئًا فابْتَغَى إليه ثانيًا إلا سلَبَه الله عزَّ وجَلَّ حُبَّ الخَلْوةِ معَه، وبدَّلَه بعدَ القُرْبِ البُعدَ، وبعدَ الأنسِ الوحشَةَ، فقلْتُ: إنّي أرَى هذه الذِّئابَ معَ الغَنمِ، فأيُّ شيءٍ هذا؟ قالَتْ: إليكَ

---

(١) في (س): «عبد الرحمن».

(٢) قوله: «ولا الغنم» في (ب): «والغنم».

(٣) تشير رحمها الله إلى الحديث المروي في «صحيح البخاري» (٣٣٣٦)، و«صحيح مسلم» (٢٦٣٨).

(٤) في (د): «عظني».

(٥) في (س): «لواعظ».

(٦) قوله: «إنه بلغني» ليس في (ب).

عنِّي، فإنّي أصلَحْتُ ما بينِـي[١] وبينَ سيِّدِي، فأصلَحَ بينَ الذِّئابِ والغَنمِ»[٢].

والله أعلَمُ.

* * *

[معاذة بنت عبد الله العدوية]

[٥٠] ومِنْهُنَّ: مُعاذةُ بنتُ عبدِ الله العدويّةُ.

وتُكَنَّى: أمُّ الصَّهباءِ[٣] رحمة الله عليها.

وهيَ مِن عابِداتِ البصرةِ.

قالَ محمَّدُ بنُ فُضيلٍ: قالَ أبي: «كانَتْ مُعاذةُ العَدويّةُ إذا جاءَ[٤] النَّهارُ قالَتْ: هذا يومِي الذي أموتُ فيه، فلا تنامُ حتَّى تمْسِيَ، وإذا جاءَ اللَّيلُ، قالَتْ: هذه ليلتِي التي أموتُ فيها، فلا تنامُ حتَّى تصْبِحَ، وإذا جاءَ البرْدُ لبِسَتِ الثيابَ الرِّقاقَ حتَّى يمَنعَها البرْدُ مِن النَّومِ»[٥].

قالَ الحكَمُ بنُ سِنانٍ: حدَّثَتْنِـي امرأةٌ كانَتْ تخدُمُ مُعاذةَ، قالَتْ: «كانَتْ[٦]

---

(١) في (د): «بين».

(٢) «حلية الأولياء» (٦: ١٥٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٧: ٢٣٣-٢٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٥).

(٣) انظر ترجمتها في: «المنتظم» (٦: ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٠)، و«جامع الأصول» (١٢: ٩٢٣).

(٤) في (د): «جاءها النهار».

(٥) «الزهد» لأحمد بن حنبل (١١٥٦)، و«مختصر قيام الليل» (٦٢)، و«حفظ العمر» لابن الجوزي (٤٢).

(٦) «كانت» ليس في (د).

تحْيِي اللَّيلَ صلاةً، فإذا غلَبَها النَّومُ قامَتْ فجالَتْ في الدّارِ، وهيَ تقولُ: يا نفْسُ، النومُ أمامَكِ، لو قَدْ مُتِّ لطالَتْ رقدَتُكِ في القُبورِ على حسرَةٍ أو سُرورٍ، فهيَ كذلكَ حتَّى تصْبِحَ»[١]. [٢٤/ب]

وكانَتْ تصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ ستَّ مئةِ ركعةٍ، وتقرَأُ جُزْءَها مِن اللَّيلِ؛ تقومُ به، وكانَتْ تقولُ: عجبْتُ لعينٍ تنامُ وقد عرَفَتْ طُولَ الرُّقادِ في القُبورِ[٢].

وكانَتْ[٣] مُعاذةُ لها ابنٌ وزوجٌ[٤] فخرَجا إلى الغزاةِ، فقالَ له أبوه: «أيْ بنيَّ تقدَّمْ؛ فقاتِلْ حتَّى أحتَسِبَكَ»، فحمَلَ على الكفّارِ وقاتَلَ حتَّى قُتِلَ، ثمَّ تقدَّمَ أبوه فَقَاتَل[٥] فقُتِلَ[٦] كذلكَ، فاجتمَعَتِ النساءُ عندَ امرأتِه مُعاذةَ، فقالَتْ: «مرحبًا إن كنتُنَّ جئتُنَّ لتهنِّئنَنِي، وإن كنْتنَّ جئتُنَّ لغيرِ ذلكَ فارجِعْنَ»[٧]. رضِيَ الله عنها.

هكذا كُنَّ رضِيَ الله عنهُنَّ، يفرَحْنَ بما يحِبُّه الله تعالى ورسولُه، ويجعلنه[٨] فرحًا وسرورًا، وأنتُنَّ يا نِساءَ زمانِنا ترينَّ ذلكَ مصائبَ، فتجزَعْنَ لذلكَ جزعًا شديدًا حتَّى ترتكِبْنَ العظائمَ مِن أمْرِ الجاهليّةِ.

فلهذا كانَ جَزاؤكُنَّ ما حذَّرَ منه رَسولُ الله ﷺ؛ ففي الحديثِ الصحيحِ مِن رِوايةِ أبي مالِكٍ[٩] الأشعرِيِّ رضِيَ الله عنه، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**النّائِحَةُ إذا**

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٠)، و«مرآة الزمان» (٩: ٣٢٩).
(٢) انظر: المصدر السابق.
(٣) في (س): «كانت».
(٤) في (د): «زوج».
(٥) «فقاتل» مثبت من (د).
(٦) في (س) و(ب): «ففعل».
(٧) «الزهد» لأحمد بن حنبل (١١٥٥)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢: ٢٣٩).
(٨) في (س) و(ب) و(د): «ويجعلونه»، ولعل المثبت هو الصواب.
(٩) في (د): «أبي موسى».

لَمْ تَـتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقامُ يَوْمَ القِيامَةِ وعَلَيْها سِرْبالٌ مِنْ قَطِرانٍ، ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». رَواهُ مُسلمٌ(١).

وعن أبي بُردَةَ رضِيَ الله عنه، قالَ: وجِعَ(٢) أبو مُوسى الأشعرِيُّ، فغُشِيَ عليه، ورأسُه في حِجْرِ امرأةٍ مِن أهْلِه، فأقبلَتْ تَصِيحُ برَنَّةٍ، فلم يستَطِعْ(٣) أن يردَّ عليها شيئًا، فلمّا أفاقَ قالَ(٤): أنا بريءٌ ممَّن بَرِئَ منه رَسولُ(٥) الله ﷺ؛ إنّ رَسولَ الله ﷺ(٦) بَرِئَ مِن الصّالقةِ والحالقَةِ والشّاقَّةِ. رَواهُ البُخارِيُّ(٧) ومُسلمٌ(٨).

وأيُّ مُصيبةٍ أعظَمُ على المرأةِ مِن أنْ يتبَرَّأ منها رَسولُ الله ﷺ؟ هذه أعظَمُ مِن موتِ أولادِها، والمُصيبةُ بفواتِ الأجْرِ أيضًا عظيمةٌ، وربَّما تمادَى بها ذلكَ فوقَعَتْ في كلمةٍ هبطَتْ بها في النارِ سبعينَ خريفًا(٩)، وربَّما كانَتِ الكلمةُ تتضمَّنُ كفْرًا وهيَ لا تعلَمُها؛ لقلّةِ علْمِها، وتعلَمُها مِن الجهلةِ، فتكفُرُ، فتخسَرُ نفْسَها معَ مُصيبتِها،/ وتقَعُ بذلكَ في العذابِ الذي لا آخِرَ له، عافانا الله [٢٥/أ] عزَّ وجَلَّ مِن ذلكَ، واللهُ أعلَمُ.

---

(١) «صحيح مسلم» (٩٣٤).
(٢) في (د): «رجع».
(٣) في (ب): «يستطيع».
(٤) في (د): «فقال».
(٥) في (د): «برئ الله ورسوله منه».
(٦) قوله: «إن رسول الله ﷺ» ليس في (ب).
(٧) «صحيح البخاري» (١٢٩٦).
(٨) «صحيح مسلم» (١٠٤).
(٩) يشير إلى حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم». رواه البخاري (٦٤٧٨).

والصّالقَةُ: هيَ التي ترفَعُ صوْتَها بالنِّياحةِ والنَّدبِ[١]، كأنْ تقولَ: واعضُداهُ، وانَصْراهُ[٢]، ونحْوَ ذلكَ[٣]، ففي حديثِ أبي مُوسى رضِيَ الله عنه: أنّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: «**ما مِنْ ميِّتٍ يَموتُ فيَقُومُ باكِيهِم[٤]، فيَقولُ: واجَبَلاهُ واسيِّداهُ أو نحوَ ذلكَ، إلا وُكِّلَ به مَلَكانِ يَلْهَزانِه[٥]: أهَكَذا كنْتَ[٦]؟**» رَواهُ التِّرمذِيُّ[٧]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ غَرِيبٌ[٨]».

واللَّهزُ: اللَّكْمُ باليدِ مَطبوقةً في الصَّدْرِ[٩].

كـذا يفعلانِ الملكـانِ بالميِّتِ، فعـادَ شُؤمُ النّائحةِ عليـها وعلى ميِّتِـها، فالحذَرَ[١٠] الحذَرَ من ذلكَ يا نساءَ المُؤمناتِ، والله أعلَمُ.

والحالقَةُ: هيَ التي تحلِقُ رأْسَها عندَ المُصيبةِ[١١].

---

(١) في (د): «والندم». وانظر: «شرح صحيح البخاري» للخطابي (١: ٦٨٨)، و«المعلم بفوائد مسلم» للمازري (١: ٣٠٤)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ١١٠)، و«فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام» (٣١٥).

(٢) في (ب): «وأنصاراه».

(٣) قوله: «ونحو ذلك» تكرر مرتين في (ب).

(٤) في (د): «باكية».

(٥) في (ب) و(س): «ملكين يلهزمانه».

(٦) كذا في «جامع الترمذي» و(د)، وفي (س) و(د): «أنت».

(٧) «جامع الترمذي» (١٠٠٣)، وهو في «صحيح البخاري» (٤٢٦٧) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: أغمي على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي واجبلاه، واكذا واكذا، تعدد عليه، فقال حين أفاق: «ما قلت شيئًا إلا قيل لي: آنت كذلك؟».

(٨) «غريب» مثبت من «جامع الترمذي».

(٩) انظر: «العين» (٤: ١٤)، و«الجمهرة» (٢: ٨٢٧)، و«الصحاح» (٣: ٨٩٥)، و«لسان العرب» (٥: ٤٠٧)، و«تاج العروس» (١٥: ٣٢٥).

(١٠) في (د): «والحذر».

(١١) انظر: «شرح صحيح البخاري» للخطابي (١: ٦٨٨)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ١١٠)، و«العدة في شرح العمدة» لابن العطار (٢: ٧٨١)، و«فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث =

والشّاقّةُ: هيَ التي تشُقُّ ثَوبَها[١]، والله أعلَمُ.

وعن عمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ الله عنه، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: **«المَيِّتُ يُعَذَّبُ في قَبْرِهِ بِما نِيحَ عَلَيْهِ»**. رَواهُ البُخارِيُّ[٢] ومُسلمٌ[٣].

وقد أجمَعَ[٤] المُسلمونَ على تحريمِ النِّياحةِ والدُّعاءِ[٥] بدَعْوى الجاهليّةِ والدُّعاءِ بالويْلِ والثُّبورِ عندَ المُصيبةِ[٦].

ففي حديثِ عبدِ الله بنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه: أنّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: **«لَيْسَ مِنّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعا بِدَعْوَى الجاهِلِيّةِ»**[٧].

ولا خلافَ أنّه يحرُمُ نشْرُ الشَّعرِ، وضرْبُ الخدِّ[٨] والصدْرِ، وخمْشُ الوجْهِ، وتسود الحالِ بالرَّمادِ ونحْوِه، ومَن فعَلَ ذلكَ فهوَ[٩] ملعونٌ، وكذا مَن حضَرَه وأعانَ عليه، أوِ استمَعَ النِّياحةَ؛ ففي **«سُننِ أبي داودَ»**[١٠] مِن حديثِ أبي سعيدٍ الخدْريِّ رضِيَ الله عنه، أنّ رَسولَ الله ﷺ لعَنَ النّائحةَ والمُستمِعةَ.

= الأحكام» (٣١٥).

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٢٨٠)، و«المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٠٤)، و«رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام» للفاكهاني (٣: ٢٤٩)، و«فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام» (٣١٥).

(٢) «صحيح البخاري» (١٢٩٢). (٣) «صحيح مسلم» (٩٢٧).

(٤) في (س) و(ب) و(د): «أجمعت». (٥) في (ب): «والدعو».

(٦) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢: ٥٨٩)، و«شرح النووي على مسلم» (٦: ٢٣٦).

(٧) «صحيح البخاري» (١٢٩٤). (٨) في (د): «الخدود».

(٩) «فهو» ليس في (د).

(١٠) «سنن أبي داود» (٣١٢٨)، والحديث ضعيف، انظر: «مجمع الزوائد» (٣: ١٤)، و«البدر المنير» (٥: ٣٦٢).

وكما تحرُمُ النِّياحةُ(١) كذا يحرُمُ رفْعُ الصوتِ في البُكاءِ، ويلحَقُ الميِّتَ مِن ذلكَ عذابٌ أليمٌ(٢) إلا ألا يرْضَى(٣)، ففي الأحاديثِ(٤) الصحيحة: «**إنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»(٥)، وهيَ محمولةٌ على ما إذا أوْصَى، أو كانَ له سببٌ في ذلكَ(٦).

وأمّا دمْعُ العيْنِ وحزْنُ القلْبِ فهوَ معفوٌّ عنه؛ ففي الحديثِ الصحيحِ أنّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ [٢٥/ب] قالَ: «**إنَّ الله لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، ولا بِحُزْنِ القَلْبِ، ولكِنْ يُعَذِّبُ بِهذا أَوْ يَرْحَمُ**». وأشارَ إلى لسانِه. رَواهُ البُخارِيُّ(٧) ومُسلمٌ(٨).

وفي حديثِ أسامَةَ بنِ زيدٍ رضِيَ الله عنهُما: أنّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ رُفِعَ إليه ابنٌ لِبنتِه وهوَ في الموتِ، ففاضَتْ عَيْناهُ ﷺ، فقالَ له سعدٌ: ما هذا يا رَسولَ الله؟! فقالَ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَها الله عَزَّ وجَلَّ في قُلُوبِ عِبادِهِ، وإنَّما يَرْحَمُ الله مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ**»(٩). والله أعلَمُ.

ويجوزُ نصْبُ «**الرُّحَماءَ**» على أنّه مفعولُ «**يَرْحَمُ**»، ويجوزُ ضمُّها على أنّه خبَرُ «إنّ» وتكونُ «ما» بمَعْنى «الذي»، والله أعلَمُ.

---

(١) «النياحة» ليس في (د).
(٢) «أليم» مثبت من (د).
(٣) قوله: «إلا ألا يرضى» في (ب): «إلا أن يوصي».
(٤) في (د): «الحديث».
(٥) «صحيح البخاري» (١٣٠٤)، و«صحيح مسلم» (٩٢٧).
(٦) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٢٧٣)، و«الاستذكار» (٣: ٧٠)، و«المعلم بفوائد مسلم» (١: ٤٨٤)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (٤: ٣٩٣).
(٧) «صحيح البخاري» (١٣٠٤).
(٨) «صحيح مسلم» (٩٢٤).
(٩) «صحيح البخاري» (١٢٨٤)، و«صحيح مسلم» (٩٢٣).

ويجوزُ البُكاءُ على الميِّتِ بعدَ موتِه[١] وقبْلَه، وقبْلَه أوْلى؛ لقولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**فَإذا وجَبَتْ؛ فلا تَبْكِيَنَّ باكِيَةٌ**»[٢]؛ ولهذا الحديثِ قالَ أصحابُ الشافعيِّ: «إنّه يُكرَهُ البُكاءُ بعدَ الموتِ كراهةَ تنزيهٍ ولا يحرُمُ، وقد نصَّ الشافعيُّ رضِيَ الله عنه على الكراهةِ»[٣]. والله أعلَمُ.

وهذه مُعاذةُ تابعيّةٌ أدركَتْ عائشَةَ رضِيَ الله عنها، ورَوَى عنها الحسَنُ البصريُّ، وأبو قِلابةَ وغيرُهما[٤]، رضِيَ الله عنها[٥]، والله أعلَمُ.

* * *

[حفصة بنت سيرين]

[٥١] ومِنْهُنَّ: حفصةُ بنتُ سِيرينَ[٦].

---

(١) في (د): «الموت».

(٢) «سنن النسائي» (١٨٤٦)، و«سنن أبي داود» (٣١١١)، وهو حديث صحيح، انظر: «خلاصة الأحكام» (٢: ١٠٥٥-١٠٥٦)، و«البدر المنير» (٥: ٣٥٨-٣٥٩).

(٣) قال النووي في «المجموع» (٥: ٣٠٧): «ولفظ الشافعي في «الأم»: وأرخص في البكاء قبل الموت فإذا مات أمسكن، وقال صاحب «الشامل» وطائفة: يكره البكاء بعد الموت؛ لظاهر الحديث في النهي، ولم يقل الجمهور: ويكره؛ وإنما قالوا: الأولى تركه، قالوا: وهو مراد الحديث، ولفظ الشافعي محتمل هذا كله في البكاء بلا ندب ولا نياحة»، وانظر: «كفاية النبيه» (٥: ١٧٨)، و«كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار» (١٦٥).

(٤) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٦: ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٠)، و«جامع الأصول» (١٢: ٩٢٣).

(٥) في (ب): «عنهما».

(٦) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٤٨٤)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ١٧١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٤٨)، و«النجوم الزاهرة» (١: ٢٧٥).

وهيَ سيِّدةٌ جليلةٌ لم تزَلْ تُحَرِّضُ[١] الناسَ على الخَيْرِ والعِبادةِ، وقرأتِ[٢] القُرآنَ وهيَ ابنةُ اثنَتَي عشْرةَ سنةً[٣].

قالَ مهديُّ بنُ مَيمونٍ: «مكَثَتْ حفصَةُ في مُصلاها ثلاثينَ سنةً لا تخرُجُ إلا لحاجةٍ، وسُئلَتْ عنها امرأةٌ فارسيَّةٌ؟ فقالَتْ بلسانِها: إنّ حفصَةَ امرأةٌ صالحةٌ، إلا أنّـها كأنّها أذنَبَتْ ذنبًا عظيمًا، فقيلَ: لِـمَ؟ قالَ: لأنّها كانتْ[٤] تبكِي اللّيـلَ كلَّه وتصلِّي»[٥].

وكانَ وِرْدُها كلَّ ليلةٍ نصْفَ ختمةٍ، وكانَتْ تصومُ الدهرَ لا تفطِرُ إلا العيدينِ وأيّامَ التشريقِ، وكانَتْ إذا أسرَجَتْ سِراجَها وقامَتْ[٦] تتعبَّدُ فينطفِئُ، فيضِيءُ لها بيتُها حتَّى تُصبِحَ[٧].

ماتَتْ وهيَ بنتُ تسعينَ سنةً، رضِيَ اللهُ عنها[٨]، واللهُ أعلَمُ.

[٢٦/أ] وكان لحفصةَ ابنٌ يكرِمُها ويبالِغُ في إكرامِها وبرِّها، قالَتْ: «كنتُ أريدُ أن أقـولَ له: يا بُنـيَّ اذهَبْ إلى أهلِكَ، وأذكُـرُ[٩] ما يُـريدُ فأدَعُهُ، فلمّا ماتَ رزَقَ[١٠] اللهُ تعالى عليه مِن الصَّبرِ ما شاءَ اللهُ أن يرزُقَ، غيرَ أنّي كنْتُ أجِدُ غُصَّةً لا تذهَبُ، قالَتْ: فبيْنا أنا ذاتَ ليلةٍ أقرَأُ سُورةَ النَّحلِ؛ إذْ أتيتُ على هذه الآيةِ:

---

(١) في (ب): «تحرص». (٢) في (ب): «وقراءة».

(٣) انظر: «المنتظم» (٧: ١٧١). (٤) «كانت» ليس في (س).

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٢).

(٦) في (د): «وماتت».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٢-٢٤٣).

(٨) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ١٧١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٤٨)، و«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (١: ٢٧٥).

(٩) في (د): «فاذكر». (١٠) في (د): «رزقني».

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٥-٩٦] الآية» قالَتْ: «فأعدْتُها، فأذهَبَ الله عزَّ وجَلَّ عنِّي ما كنْتُ أجِدُ»[١].

وكانَ مِن جُملةِ بِرِّهِ بِوَالِدتِه[٢]: أنَّه كَانَ يَجمعُ الحطَبَ فينزِعُ القشورَ[٣] وييبِّسُ اللُّبَّ[٤]، فإذا جاءَ وقْتُ البرْدِ أوقَدَه عندَها؛ لئلا يؤذِيَها دُخانُ القشورِ[٥].

وكانَ لحفصةَ أختٌ اسمُها: كريمةُ[٦]، وكانَتْ خيِّرةً؛ جلسَتْ[٧] في مُصلاها خمس عشرة سنةً ما تخرُجُ منه إلا لحاجةٍ[٨]. والله أعلَمُ.

* * *

[رابعة العدوية]

[٥٢] ومِنْهُنَّ: رابِعةُ العدويّةُ[٩].

---

(١) انظر: «مختصر قيام الليل» (٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٢).

(٢) في (س): «من جملة برها».

(٣) في (س): «القشر».

(٤) في (د): «القلب».

(٥) في (س): «القشر». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٢).

(٦) انظر ترجمتها في: «الثقات» لابن حبان (٥: ٣٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٣)، و«ميزان الاعتدال» (٤: ٦٠٩).

(٧) في (د): «وجلست».

(٨) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٤: ١٩٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٣).

(٩) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٢٧)، و«تاريخ الإسلام» (٤: ٦١٨).

وكانَتْ بِالبَصرةِ[١]، وكانَتْ عجوزًا كبيرةً بنتَ ثمانينَ سنةً، كأنّها الشَّنُّ تكادُ تسقُطُ، وتحتَها بارِيّةٌ[٢]، وكانَ إذا ذكَرَتِ الموتَ انتفَضَتْ وأصابَتْها رِعدَةٌ[٣].

قالَ مِسمعٌ ورياحٌ[٤]: «أتاها رجلٌ بأربعينَ دِينارًا، فقالَ: استعِينِي بهذه الدَّنانيرِ على بعْضِ[٥] حوائجِكِ، فبكَتْ ثمَّ قالَتْ: هوَ يعلَمُ أنِّي أستحْيِي منه أنْ أسألَه الدُّنيا وهوَ يملِكُها، فكيفَ أريدُ أنْ آخُذَها[٦] ممَّن لا يملِكُها؟»[٧].

قالَ عبدُ الله بنُ عِيسى: «دخَلْتُ على رابعَةَ فرأيْتُ على وجْهِها النُّورَ، وكانَتْ كثيرةَ البُكاءِ، فقرَأَ رجلٌ آيةً فيها ذكْرُ النّارِ فسقَطَتْ، وسمِعْتُ وقْعَ دُموعِها على البارِيّةِ[٨] مثْلَ الوَكْفِ، وصاحَتْ، فقُمْنا وخرَجْنا»[٩].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها إذا مرَّتْ بقومٍ وعرَفُوا فيها العبادةَ، فقالَ لها رجلٌ: ادعي لي، تلتصِقُ[١٠] بالحائطِ، وتقولُ[١١]: «مَن أنا يرحَمُكَ الله عزَّ وجلَّ؟ أطِعْ ربَّكَ وادْعُه؛ فإنّه يُجِيبُ المضطَرَّ إذَا دعاهُ»[١٢].

---

(١) «وكانت بالبصرة» مثبت من (د). (٢) في (د): «بادية».
(٣) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٢٧-٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤).
(٤) في (د): «ورباح».
(٥) «بعض» ليس في (ب).
(٦) في (ب): «خذها».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٢٨٦).
(٨) في (د): «البادية».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٢٧).
(١٠) في (ب): «تلصق»، وفي (د): «فالتصقت».
(١١) في (د): «وقالت».
(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٢٩).

قالَ ابنُ مَنظورٍ[١]: «دخَلْتُ على رابعةَ وهيَ ساجدةٌ، فلمّا أحسَّتْ بمكانِي، رفَعَتْ رأسَها، فإذا موضِعُ سُجودِها كهيئةِ الماءِ المستنقَعِ مِن دُموعِها، فسلَّمَتْ ثمَّ أقبَلَتْ عليَّ، وقالَتْ: يا بُنيَّ أَلَكَ حاجةٌ؟ فقلْتُ[٢]: جئْتُ؛ لأسلِّمَ عليكِ، قالَ: فبكَتْ وقالَتْ: سِتْرَكَ اللَّهمَّ سِتْرَكَ[٣]، ودَعَتْ بدعواتٍ، ثمَّ قامَتْ إلى [٢٦/ب] الصَّلاةِ وانصرَفْتُ»[٤].

وقالَتْ: «أستغفِرُ الله عزَّ وجَلَّ مِن قلَّةِ صدْقِي في قولِي: أستغفِرُ الله عزَّ وجَلَّ»[٥].

لله[٦] درُّها مِن امرأةٍ ما أنوَرَ قلْبَها.

قالَ أزهَرُ بنُ هارونَ: «دخَلَ على رابعةَ رياحٌ[٧] القيسِيُّ، وصالحُ بنُ عبدِ الجليلِ، وكلابٌ، فتذاكَرُوا الدُّنيا فأقبَلُوا يذمُّونَها، فقالَتْ رابعةُ: إنّي لأرَى الدُّنيا بِتْرًا نَبْعُها في قُلوبِكم، فقالُوا: ومن[٨] أينَ توهَّمْتِ علينا ذلكَ؟ فقالَتْ: إنّكُم نظَرْتُم إلى أقرَبِ الأشياءِ مِن قُلوبِكم فتكلَّمْتُم فيه»[٩].

---

(١) هو: سجف بن منظور. انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٣٢٧)، و«الثقات» لابن حبان (٨: ٣٠٦)، و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» لابن قطلوبغا (٤: ٤١٤).

(٢) في (ب): «فقال». (٣) في (د): «ستره».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٢٩-٣٠).

(٦) لفظ الجلالة ليس في (ب).

(٧) في (د): «ورباح».

(٨) في (د): «من».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٢٩).

وقالَ(١) لَها(٢) شيخٌ من قُـريشٍ: «هل عملْتِ عملًا تـرَينَ أنّه يُقبَلُ منكِ؟»، فقالَتْ: «إنْ كانَ فمخافَتِي أن يُردَّ عليَّ»(٣).

قالَ جعفرُ بنُ سُليمانَ: «أخَذَ بيديَّ سُفيانُ الثَّوريُّ، وقالَ: مُرَّ بنا إلى المؤدِّبةِ التي لا أجِدُ مَن أستريحُ إليه إذا فارَقْتُها، فلمّا دخَلْنا عليها رفَعَ سُفيانُ يدَيْه، وقالَ: اللَّهمَّ إنّي أسألُكَ السَّلامةَ، فبكَتْ رابعةُ، فقالَ(٤) لها: ما يُبْكيكِ؟

فقالَتْ: أنْتَ عرَّضْتَنِي للبُكاءِ، فقالَ لها: وكيفَ ذَلِك(٥)؟ فقالَتْ: أما علِمْتَ أنَّ السَّلامةَ مِن الدُّنيا ترْكُ ما فيها، فكيفَ وأنتَ مُتلطِّخٌ بها، فقالَ سُفيانُ: واحزناهُ، فقالَتْ: لا تكذِبْ؛ قل: واقلَّةَ حُزناهُ؛ لو كنْتَ مَحزونًا ما هنَّأكَ(٦) العيشُ، قالَتْ: يا سُفيانُ، إنّما أنتَ(٧) أيّامٌ مَعدودةٌ، فإذا ذهَبَ يومٌ ذهَبَ بعضُكَ(٨)، ويوشِكُ إذا ذهَبَ البعضُ أن يذهَبَ الكلُّ، وأنتَ تعلَمُ فاعمَلْ»(٩).

كانَتْ(١٠) عبدةُ تخدُمُ رابعةَ وكانَتْ تقولُ عن رابعـةَ: إنّها تصلِّي اللَّيـلَ كلَّه، فإذا طلَعَ الفجْرُ هجَعَتْ في مُصلاها هجعَةً خفيفةً حتَّى يُسفِرَ(١١) الفجْرُ، فكنْتُ أسمَعُها تقولُ إذا وثبَتْ(١٢) مِن مرقدِها وهيَ فَزِعةٌ: «يا نفْسُ، كم تنامِينَ وإلى كمْ تَقومِينَ؟ يوشِكُ أن تنامِي نَومةً لا تقومِينَ عنها(١٣) إلا لصرخةِ يومِ النُّشورِ(١٤)».

---

(١) في (س): «قال».
(٢) «لها» ليس في (ب).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤).
(٤) في (د): «قال».
(٥) «ذلك» مثبت من (د).
(٦) في (ب) و(د): «هنأ لك».
(٧) في (د): «هي».
(٨) في (د): «حظك».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤-٢٥٥)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٢٩).
(١٠) في (د): «وكانت».
(١١) في (د): «يصفر».
(١٢) قوله: «إذا وثبت» ليس في (ب).
(١٣) في (د): «منها».
(١٤) في (د): «القيامة».

قالَت عبدَةُ: «وكانَ هذا دأْبَ رابعةَ دهْرَها حتَّى ماتَتْ، فلمّا حضَرَتْها الوفاةُ قالَتْ: يا عبدَةُ، لا تُؤذِنِي بموتِي أحدًا، وكفِّنِيني فِي جُبَّتِي هذه، وكانَتْ مِن شَعرٍ تقومُ فيها إذا هدَأتِ العُيونُ. [٢٧/أ]

قالَتْ: فكفَّنّاها في تلكَ الجُبَّةِ وخمارِ صوفٍ كانَتْ تلبَسُه».

قالَت عبدَةُ: «فرأَيْتُها بعدَ سنةٍ أو نحْوِها في منامِي وعليها حلَّةُ إستبرقٍ خضراءَ وخمارٌ مِن سُندسٍ أخضَرَ[١] لم أرَ شيئًا مثْلَهُ، فقالَتْ: يا رابعةُ، ما فعَلَتِ الجبَّةُ التي كفَّنّاكِ فيها والخمارُ الصُّوفُ؟

فقالَتْ: واللهِ نُزِعَ منِّي فأُبدِلْتُ به هذا الذي ترينَه[٢] عليَّ، وطُويَت أكفانِي وخُتِمَ عليها، ورُفعْتُ في عِلِّيينَ؛ ليكونَ لي ثوابُها يومَ القيامَةِ، فقلْتُ[٣]: لهذا[٤] كنتِ تَعْمَلينَ في الدُّنيا؟

فقالَتْ: وما هذا عندَ ما رأيتُ مِن كرامةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ لأوليائِهِ[٥]، فقلْتُ: فما فعَلَتْ عبدَةُ[٦] بنتُ أبي كِلابٍ؟ فقالَتْ: هَيْهاتَ هَيْهاتَ[٧] سبَقَتْنا واللهِ[٨] إلى الدَّرجاتِ العُلى، فقلْتُ: وبِمَ[٩] وقد كنْتِ عندَ الناسِ أكثَرَ[١٠] منها؟

فقالَتْ: لم تكُنْ تُبالِي على أيِّ حالةٍ أصبَحَتْ مِن الدُّنيا وأمسَتْ، فقلْتُ:

---

(١) في (د): «خضر». (٢) في (د): «ترين».
(٣) في (د): «قلت». (٤) في (د): «بهذا».
(٥) في (د): «لأولياء الله تعالى».
(٦) كذا في النسخ و«صفة الصفوة»، وهي: عبيدة بنت أبي كلاب، وستأتي ترجمتها برقم (٥٨).
(٧) قوله: «هيهات هيهات» ليس في (ب). (٨) في (س) و(د): «والله سبقتنا والله».
(٩) في (ب): «ولم».
(١٠) في (د): «أكبر».

ما فعَلَ[١] بشْرُ بنُ مَنصورٍ؟ فقالَتْ: بخٍ بخٍ أُعطِيَ واللهِ فوقَ ما كانَ يأمَلُ[٢]، قلْتُ: فمُرِينِي بأمْرٍ أتقرَّبُ به إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ، فقالَتْ: عليكِ بكثرةِ ذكْرِه، فيوشِكُ أن تغتبطِي[٣] بذلكَ في قبْرِكِ»[٤]، واللهُ تعالى أعلَمُ.

* * *

[عجردة العمية]

[٥٣] ومنهُنَّ: عَجْردَةُ العَمِّيةُ[٥].

من عابِداتِ البصرةِ.

قالَ رجاءُ بن مُسلمٍ العبدِيُّ: «كنّا نَكُونُ عِنْدَ عَجْردَةَ العَمِّيةُ[٦] في الدّارِ، قالَ[٧]: فكانَتْ تُحْيِي اللَّيلَ صلاةً، وربَّما تقومُ مِن أوَّلِ اللَّيلِ إلى السَّحَرِ، فإذا كانَ وقْتُ السَّحَرِ نادَتْ بصوتٍ لها مَحزونٍ: «إليكَ قطَعَ العابِدونَ دُجى اللَّيالي بتبكيرِ الدُّلَجِ[٨] إلى ظُلمةِ[٩] الأسحارِ، يسْتَبِقونَ إلى رحمَتِكَ وفضْلِ مَغفرتِكَ، فبكَ[١٠] إلهِي لا بغيْرِكَ أسألُكَ أن تجعَلَنِي في أوَّلِ زُمرةِ السابقينَ إليكَ، وأنْ ترفَعَنِي في دَرجةِ المقرَّبينَ، وأنْ تُلحقَنِي بعبادِكَ الصالحينَ، فأنتَ أكرَمُ الكُرماءِ، وأرحَمُ الرُّحماءِ، وأعظَمُ العُظماءِ، يا كريمُ».

---

(١) في (ب): «فعلت».
(٢) في (د): «يؤمل».
(٣) في (ب): «تغبطي».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٥)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٣٢-٣٣).
(٥) كأنها في (ب): «العجمية». وانظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٦) في (ب) و(س) و(د): «العبدية».
(٧) في (ب): «قالت».
(٨) في (ب) و(د): «الريح».
(٩) في (س) و(ب): «ظلم».
(١٠) في (د): «فيك».

ثمَّ تخِرُّ ساجِدةً، فلا تزالُ تبْكِي وتدْعُو في سُجودِها حتَّى يطلُعَ الفجْرُ، فكانَ ذلكَ دأْبَها ثلاثينَ سنةً رضِيَ الله عنها[١].

قالت[٢] دلالٌ: حدَّثَتْنِي أمِّي آمنةُ[٣]، قالَتْ: «كانَتْ عَجْردةُ تغْشانا فتظَلُّ عندَنا اليومَ واليومينِ، فكانَتْ إذا جاءَ اللَّيلُ لبِسَتْ ثِيابَها وتقنَّعَتْ[٤]، ثُمَّ قامَتْ [٢٧/ب] إلى المِحرابِ فتصلِّي إلى السَّحَرِ، ثمَّ تجلِسُ فتدْعُو إلى السَّحَرِ، فقلتُ لها أو قالَ[٥] لها بعضُ أهلِ الدّارِ: لو نمْتِ مِن اللَّيلِ شيئًا؟ فبكَتْ، وقالت: ذكْرُ الموتِ لا يدَعُنِي أنامُ»[٦].

قالَ جعفرُ بنُ سُليمانَ: حدَّثَنِي بعضُ نِسائِي[٧]، أمِّي أو غيْرُها مِن أهْلِي قالَتْ: «رأَيْتُ عَجْردةَ العميةَ في يومِ عيدٍ وعليها جُبَّةُ صوفٍ وقناعُ صوفٍ، قالَتْ: فنظَرْتُ إليها فإذا هيَ جلدةٌ وعظمةٌ.

قالَتْ[٨]: وسمِعْتُهم يَذْكرونَ عنها أنّها لم تفطِرْ ستِّينَ عامًا»[٩]. والله أعلَمُ.

[حبيبة العدوية]

[٥٤] ومِنْهُنَّ: حبيبةُ العدويّةُ[١٠].

من عابِداتِ البصرةِ.

---

(١) انظر: «مختصر قيام الليل» (٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).

(٢) في (س) و(ب) و(د): «قال».

(٣) في (د): «أمية».

(٤) في (س) و(ب): «وتصنعت».

(٥) في (د): «فقال».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).

(٧) في (ب): «فتياني»، وفي (د): «فتيان».

(٨) «قالت» ليس في (ب) و(د).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).

(١٠) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِي: قالَ عبدُ الله أبو محمَّدٍ: «كانَتْ حبيبَةُ العدويّةُ إذا صلَّتِ العَتَمَةَ قامَتْ على سطحٍ فشدَّتْ عليها دِرْعَها وخِمارَها، وقالَتْ: إلهي غارَتِ النُّجومُ، ونامَتِ العُيونُ، وغلَّقَتِ الملوكُ أبوابَها، وبابُكَ مَفتوحٌ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه، وهذا مقامِي بينَ يدَيْكَ، فإذا كانَ السَّحَرُ قالَتْ: اللَّهمَّ هذا اللَّيلُ قد أدبَرَ، وهذا النَّهارُ قد أسفَرَ، فليتَ شعْرِي، هل قبلْتَ منِّي ليلتِي فأُهنَّأُ، أمْ ردَدْتَها عليَّ فأُعَزَّى، فوعزَّتِكَ لهذا دأْبِي ودأْبُكَ أبدًا ما أبقَيْتَنِي، وعزَّتِكَ لو انتهَرْتَنِي[1] ما بَرِحْتُ مِن بابِكَ، ولا وقَعَ في قلْبِي غيرُ جُودِكَ وكرَمِكَ»[2]. والله أعلَمُ.

* * *

[أم الأسود العدوية]

[٥٥] ومِنْهُنَّ: أمُّ الأسودِ العدويّةُ[3].

قالَ السُّلمِيُّ: «وكانَتْ مُعاذةُ العدويّةُ قد أرضعَتْ أمَّ الأسودِ، وكانَتْ تقولُ لها: لا تُفسدِي عَلَيَّ[4] رَضاعي[5] بأكْلِ الحرامِ؛ فإنّي أجهَدْتُ[6] جهْدِي حينَ أرضعْتُكِ حتَّى أكلْتُ[7] الحلالَ، فاجتهدِي ألا تأكُلِي إلا الحلالَ، لعلَّكِ[8] أن توفَّقِي؛ لخدمةِ سيِّدِكِ والرِّضا بقضائِه، فكانَتْ أمُّ الأسودِ تقولُ: ما أكلْتُ شُبهةً

(١) في (د): «أنهرتني».
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٤) «علي» ليس في (س).
(٥) في (د): «رضاء».
(٦) في (ب) و(د): «اجتهدت».
(٧) في (د): «أرضعتك بأكل».
(٨) في (د): «لعلي».

إلا فاتَتْنِي[١] فريضةٌ، أو وِردٌ مِن أورادِي»[٢]. والله أعلَمُ.

* * *

[مريم البصرية]

[٥٦] ومِنْهُنَّ: مريمُ البصريّةُ[٣].

وكانَتْ تخدُمُ رابعةَ العدويّةَ، وكانَتْ إذا سمِعَتْ ذِكْرَ[٤] المحبّةِ طاشَتْ، [٢٨/أ] فحضَرَتْ بعضَ المذكِّرينَ: وتكلَّمَ[٥] في المحبّةِ، فماتَتْ في المجلسِ[٦].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحواريِّ: قالَ عبدُ العزيزِ: «قامَتْ مريمُ البصريّةُ مِن أوَّلِ اللَّيلِ، فقالَتْ[٧]: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]، فلم تَجُزْها حتَّى أصبَحَتْ، وتُكلِّمَ في الرِّزقِ، فقالَتْ: ما اهتممْتُ[٨] بالرِّزقِ، ولا تعبْتُ في طلَبِه منذُ سمِعْتُ الله[٩] تعالى يقولُ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣]»[١٠]. والله أعلَمُ.

قلْتُ: كانَ الحسَنُ البصريُّ رضِيَ الله عنه يقولُ: «لعَنَ الله مَن لمْ يُصَدِّقِ الله تعالى في قَسَمِه»[١١]. والله أعلَمُ.

---

(١) في (د): «نادتني».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦-٢٤٧).
(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧).
(٤) في (س) و(ب): «علم».
(٥) في (د): «فتكلم».
(٦) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٧) في (د): «فقرأت».
(٨) في (س): «أهممت».
(٩) في (د): «سمعت قول الله».
(١٠) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧).
(١١) «إحياء علوم الدين» (٤: ٢٠٠)، و«مجمع الآداب» (٥: ٧٧).

[عفيرة العابدة]

[٥٧] ومِنْهُنَّ: عُفَيْرةُ العابِدةُ[١].

قالَ رَوحُ بنُ سلمةَ[٢] الورّاقُ: قلْتُ لعُفيرةَ: «بلَغَنِي أنّكِ لا تنامِينَ باللَّيلِ[٣]، فبكَتْ، ثمَّ قالَتْ: ربَّما اشتَهَيْتُ النَّومَ فلا أقدِرُ عليه، وكيفَ يقدِرُ على النَّومِ مَن لا يَنامُ عنه حافِظاهُ ليلًا ولا نهارًا؟ قالَ: أبكتني[٤] والله، ثمَّ قلْتُ في نفْسِي: أرانِي في شيءٍ وأراكِ في شيءٍ»[٥].

قالَ يَحْيى بنُ بَسْطامٍ: «دخَلْتُ معَ نفرٍ مِن أصحابِنا على عُفَيرةَ، وكانَتْ قد تعبَّدَتْ وبكَتْ حتَّى عَمِيَتْ، فقالَ بعضُ أصحابِنا: ما أشدَّ العَمَى بعدَ البَصرِ، فسمِعَتْه عُفيرةُ، فقالَتْ: يا عبْدَ الله، عَمَى القلْبِ والله عنِ الله عزَّ وجَلَّ أشَدُّ مِن عَمَى البَصرِ[٦] عنِ الدُّنيا، والله لَوَدِدْتُ[٧] أنّ الله عزَّ وجَلَّ وهَبَ لي كُنْهَ محبَّتِه، وأنّهُ لم تبْقَ منِّي جارحَةٌ إلا أخَذَها»[٨].

قيلَ لها[٩]: «ادعي لنا، فقالَتْ: جعَلَ الله الموتَ منِّي ومنكُم على بالٍ»[١٠].

---

(١) انظر ترجمتها في: «المنتظم» (٩: ٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٣).

(٢) في (ب): «مسلم».

(٣) في (ب): «الليل».

(٤) في (ب): «قاتلني».

(٥) انظر: «مختصر قيام الليل» (٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧).

(٦) في (ب): «البصيرة».

(٧) في (س): «لو وددت».

(٨) انظر: «الترغيب والترهيب» لقوام السنة (١: ٣١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧)، و«نكت الهميان في نكت العميان» (٣٠-٣١).

(٩) في (د): «قلنا».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٣).

قالَ سعيدٌ العَمِّي: «أما تسْأمِينَ مِن طُولِ البُكاء؟ فبكَتْ، ثمَّ قالَتْ: يا بُنيَّ، كيفَ يسأمُ ذو داءٍ مِن شيءٍ يرْجُو أنّ له[١] فيه شفاءً؟ قالَ: ثمَّ بكَتْ، فقمْتُ فخرَجْتُ وترَكْتُها»[٢].

قالَ راشدٌ[٣]: «قدِمَ ابنُ أخٍ لها كانَتْ[٤] قَدْ طالَتْ غَيبتُه فبُشِّرَتْ بهِ، فبكَتْ، فقيلَ لَها: ما هذا البُكاءُ واليومُ[٥] يومُ سُرورٍ؟ فازدادَتْ بكاءً، ثُمَّ قالَتْ: واللهِ [٢٨/ب] ما أجِدُ للسُّرورِ في قلْبي مَسكنًا[٦] معَ ذكْرِ الآخرةِ، ولقد أذكَرَني قُدومُه[٧] يومَ القُدومِ[٨] على اللهِ عزَّ وجَلَّ، ثمَّ غُشِيَ عليها»[٩]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عبيدة بنت أبي كلاب]

[٥٨] ومنهُنَّ: عبيدةُ بنتُ أبي كِلابٍ[١٠].

قالَ شعيبُ بنُ محرزٍ: حدَّثَتْني[١١] سلامةُ العابدةُ[١٢]، قالَتْ: «بكَتْ عبيدةُ بنتُ أبي كلابٍ أربعينَ سنةً حتَّى ذهَبَ بصرُها، قيلَ لها: أما[١٣] تَشْتهِينَ شيئًا؟

---

(١) في (د): «كيف تسأم دواء ترجو أن لك».
(٢) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (٧٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧).
(٣) كذا في النسخ، وفي «صفة الصفوة»: «يحيى بن راشد».
(٤) في (د): «كان».
(٥) في (د): «اليوم».
(٦) في (د): «مسلكًا».
(٧) في (د): «في قدومه».
(٨) في (د): «يوم القيامة القدوم».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٣).
(١٠) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ٢٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٨).
(١١) في (د): «حدثني».
(١٢) في (ب): «العبادة».
(١٣) في (ب) و(د): «ما».

فقالَتْ: الموتَ، فقيلَ: لِمَ؟ فقالَتْ: لأنّي والله في كلِّ يومٍ أصبحُ أخْشَى أنْ أجنِيَ على نفْسِي جنايةً يكونُ فيها عطَبي[1] في الآخرةِ»[2].

وَيْحَكُنَّ يا نساءَ زمانِنا، وأنتُنَّ تُحببنَ[3] الحياةَ الدُّنيا؛ للتمتُّع بزهرَتِها ولا تتوقَّفْنَ[4] في مأكلٍ[5] ولا مَشربٍ[6] ولا كلامٍ سيئٍ[7]، وإن كانَ فيه غضَبُ الله تعالى ورسولِه، وتَنْسَيْنَ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] الآية، والله أعلَمُ.

وقالَت عبدةُ[8]: «رأيتُ رابعةَ في المنامِ[9]، فقلْتُ لها: ما فعلَتْ عبيدةُ[10] بنتُ أبي كلابٍ؟ فقالَتْ: هَيْهاتَ هَيْهاتَ، سبقَتْنا والله إلى الدَّرجات العُلى، قلْتُ: وبِمَ، وقد كنْتِ عندَ[11] الناسِ، أي: أكثَرَ منها؟ فقالَتْ: إنّها لم تكُنْ تُبالِي على ما أصبَحَتْ مِن الدُّنيا وأمسَتْ»[12]. والله أعْلَمُ.

* * *

(١) في (د): «عتبي».

(٢) «شعب الإيمان» (٨٧٧)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ٢٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٨).

(٣) في (س) و(ب): «تحبين».

(٤) في (ب): «ولا تتقفن».

(٥) في (د): «أكل».

(٦) في (د): «شرب».

(٧) في (س): «شيء».

(٨) في (د): «عبيدة».

(٩) في (د): «النوم».

(١٠) في (د): «بنت».

(١١) في (ب): «عبد».

(١٢) في (د): «أو أمست». وانظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ٢٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٨)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٣٣).

[عمرة امرأة حبيب العجمي]

[٥٩] ومِنْهُنَّ: عمرةُ امرأةُ حبيبٍ العجمِيِّ[١].

باتَ[٢] عندَهُما[٣] شخصٌ، فسمِعَها وقْتَ السَّحَرِ وهيَ تقولُ لزوجِها: قُمْ[٤] يا رجلُ، فقد ذهَبَ اللَّيلُ وجاءَ النَّهارُ، وبينَ يدَيْكَ طريقٌ بعيدٌ وزادُه[٥] قليلٌ، وقوافِلُ الصالحينَ قد سارَتْ قُدّامَنا ونحنُ قد بقِينا[٦].

وحصَلَ[٧] لها وجَعٌ في عينِها، فقيلَ لها: كيفَ تَجِدينكِ[٨]؟ فقالَتْ: وجَعُ قلْبِي أشدُّ مِن وجَعِ عيني[٩]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

[بردة الصريمية]

[٦٠] ومِنْهُنَّ: بردةُ[١٠] الصريميّةُ[١١].

وكانَتْ إذا قيلَ لها: كيفَ أصبحْتِ؟ تقولُ: أصبَحْنا أضيافًا مُنتجِعِينَ بأرضِ غُربةٍ ننتظِرُ إجابةَ الدّاعي[١٢].

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).

(٢) في (د): «قال: بات».

(٣) في (ب): «عندها».

(٤) في (د): «قل».

(٥) في (د): «وزاده».

(٦) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ١٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).

(٧) في (س): «حصل».

(٨) في (ب): «نجدك»، وفي (د): «ما تجدي».

(٩) انظر: «المخلصيات» (٢: ٣١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).

(١٠) في «إحياء علوم الدين»: «بريرة».

(١١) في (ب): «الصرمية». وانظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).

(١٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).

[٢٩/أ] وكانَتْ تكثِرُ البُكاءَ حتَّى فسَدَ[١] بصَـرُها، فقيلَ لها: اتَّـقِ الله تعالـى، أما تخافيـنَ على بصـرِكِ أنْ يذهَبَ؟ فقالَتْ: «دَعُونِـي فإنْ أكُنْ مِـن أهلِ النـارِ فأبعدَنِـي الله وأبعَـدَ بصَرِي، وإنْ أكُنْ مِـن أهلِ الجنَّةِ فسيبدِلُنِـي الله عزَّ وجَلَّ خيرًا مِن عَينِـي»[٢].

قالَ عطاءُ[٣] بنُ المُبارِكِ: «كانَتْ بردةُ تقومُ اللَّيلَ، فإذا هدأتِ العُيونُ نادَتْ بصوتٍ حزينٍ: هدأتِ العُيونُ، وغارَتِ النُّجومُ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه[٤]، وقد خلَوْتُ بكَ يا محبوبُ، أفتراكَ تعذِّبُني وحبُّكَ في قلْبِي، أتفعَلُ[٥] يا حَبيباهُ[٦]؟ وكانَتْ تبْكِي حتَّى يرحَمَها مَنْ يَراها»[٧].

قالَ سُفيانُ: «رحِمَ الله تعالى بردةَ، ما كانَ هُنا[٨] مِن النساءِ المُجاوِراتِ أشدُّ اجتهادًا منـها، بكَتْ حتَّى ذهَبَ بصَرُها، وكانَتْ إذا سمِعَتِ الصَّواعِـقَ صرخَتْ ولم تزَلْ تَصيحُ حتَّى يُغْشَى عليها»[٩]. والله أعلَمُ.

* * *

[أم طلق]

[٦١] ومِنْهُنَّ: أمُّ طَلْقٍ[١٠].

---

(١) في (د): «فسدت».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).
(٣) في (د): «عبد الله».
(٤) في (د): «بمحبوبه».
(٥) في (د): «لا تفعل».
(٦) قوله: «أتفعل يا حبيباه» ليس في (ب).
(٧) انظر: «المدهش» (٣٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).
(٨) في (د): «ما رأينا».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٠).
(١٠) انظر ترجمتها في: «ذكر النسوة المتعبدات» (٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٠).

كانَتْ تصلِّي كلَّ يـومٍ وليلةٍ أربـعَ مئةِ ركعةٍ، وتقرَأُ مِـن القُرآنِ ما شاءَ الله عزَّ وجَلَّ[١].

قالَ عاصمٌ الجحْدرِيُّ: كانَتْ أمُّ طلقٍ تقولُ: «ما ملَّكْتُ نفسِي ما تشتَهِي منـذُ جعَلَ الله عـزَّ وجَلَّ لـي عليها سُلطانًا[٢]، وكانَتْ تقـولُ: النَّفسُ مَلِكٌ إن أتْبَعتَها[٣]، ومملوكٌ[٤] إن أتْعَبتَها»[٥]، والله أعلَمُ.

* * *

[أم إبراهيم العابدة]

[٦٢] ومِنْهُنَّ: أمُّ إبراهيمَ العابِدةُ[٦].

كانَتْ لها دابّةٌ فضُرِبَتْ فكُسِرَتْ رجْلُها[٧]، فأتاها قومٌ يَحزَنونَ لها، فقالَتْ: «لولا مصائبُ الدُّنيا لورَدْنا الآخرةَ مفاليسَ»[٨].

قالَ أبو مُوسى[٩]: «كنتُ معَ أمِّ إبراهيمَ العابِدةِ، فلمّا صِرْنا عندَ الجَمراتِ رأتِ الناسَ وقد أقبَلُوا[١٠] على البيعِ والشِّراءِ، فقالَتْ: حبيبي أقبَلُوا على الدُّنيا وترَكُوكَ، ثمَّ صرَخَتْ، فاجتمَعَ النّاسُ فغطَّيْتُها بثَوبِي، ثمَّ قلْتُ للناسِ: أصابَها

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٠).

(٢) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٠).

(٣) في (س) و(ب) و(د): «تبعتها».

(٤) في (د): «ومملوكة».

(٥) في (س) و(ب): «اتبعتـها». وانظـر: «ذكـر النسوة المتعبدات» (٤٩)، و«صفة الصفـوة» (٢: ٢٥٠).

(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥١).

(٧) في (د): «رجليها».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥١).

(٩) في (د): «قال موسى».

(١٠) في (د): «كبوا».

شيءٌ، وأوهَمْتُهم أنّ بها عِلَّةً، ثمَّ أقمْتُ عليها حتَّى أفاقَتْ، فقلْتُ: يا أمَّ إبراهيمَ ما هذه الشُّهرةُ؟ فقالَتْ: يا بطّالُ، إذا كانَ هوَ[١] يَقسِمُ الثَّناءَ فلمَنْ نتصَنَّعُ؟»[٢] والله أعلَمُ.

* * *

[أم الحريش]

[٦٣] ومِنْهُنَّ: أمُّ الحريشِ[٣].

وكانَتْ مِن العابداتِ، قُدِّرَ عليها أنّها تزوَّجَتْ شخصًا[٤] مِن الجُندِ، فكانَتْ لا تأكُلُ مِن طعامِه، وتعِدُّ لنفسِها شيئًا تأكُلُه[٥]، فكانَ[٦] في بعضِ الأحيانِ يحمِلُها على الأكْلِ معَهُ[٧]، فكانَتْ تُرِيه أنّها تأكُلُ، وتضَعُ أصابِعَها خارِجَ القصْعةِ[٨]. والله أعلَمُ. [٢٩/ب]

* * *

[حسنة العابدة]

[٦٤] ومِنْهُنَّ: حسنةُ العابِدةُ[٩].

---

(١) «هو» ليس في (ب).
(٢) في (ب): «يتصنع»، وفي (د): «تتصنع». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥١).
(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).
(٤) في (س): «شخص»، وفي (ب) و(د): «بشخص».
(٥) في (د): «كأكله».
(٦) في (د): «فكانت».
(٧) في (س): «معها».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).
(٩) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

وكانَتْ كاسمِها ذاتًا ومَعْنًى.

قالَ محمَّدُ بنُ قُدامةَ: «تركَتْ حَسنةُ نعيمَ الدُّنيا وأقبَلَتْ على العبادةِ، فكانَتْ تصومُ النَّهارَ، وتقومُ اللَّيلَ، وليسَ في بيتِها شيءٌ، كلَّما[١] عطِشَتْ خرجَتْ إلى النهرِ فشَرِبَتْ[٢] منه بكفَّيْها[٣]، وكانَتْ جميلةً، فقالَتْ لها امرأةٌ: لو تزوَّجْتِ؟ فقالَتْ: هاتِ رجلًا زاهدًا[٤] لا يكلِّفُني مِن أمْرِ الدُّنيا شيئًا، وما أظنُّكِ تقدرينَ[٥] عليه، فوالله ما في نفْسِي أنْ أعبُدَ الدُّنيا ولا أتنعَّمَ معَ رجالِ الدُّنيا، وإنْ وجَدْتُ رجلًا يبْكِي ويُبْكِيني، ويصومُ ويأمُرُنِي به، ويتصدَّقُ ويحضُّنِي عليه فبها ونعمَتْ، وإلا فعلى الرِّجالِ السَّلامُ»[٦]. والله أعلَمُ.

ويحكُنَّ، بل ويْلَكُنَّ يا نساءَ هذا الزَّمانِ، أنتُنَّ عكسُ ذلكَ، ترغَبْنَ في أبناءِ الدُّنيا معَ ما هُم عليه مِن ترْكِ أُمورِ الآخرةِ، بل لو كانَ الزَّوجُ فاسقًا يشرَبُ المُسكِرَ ويتعاطَى غيْرَه مِن المُحرَّماتِ وله ثَرْوَةٌ، رغبْتُنَّ فيه، وإن كانَتْ مُخالطتُه تقتَضِي غضَبَ الله ورسولِه[٧]، وتزهَدْنَ في الرَّجلِ الخيِّرِ وإن كانَتْ مُجالستُه ومُخالطتُه تقتَضِي رِضا الله عزَّ وجَلَّ.

تبًّا لكُنَّ ما أقلَّ رغبَتَكُنَّ[٨] فيما يقرِّبُ مِن الله عزَّ وجَلَّ، وما أرغبَكُنَّ فيما يُبْعِدُ عنِ الله عزَّ وجَلَّ، ولهذا[٩] وأشباهِه قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**اطَّلَعْتُ عَلَى النّارِ، فوَجَدْتُ أَكْثَرَها النِّساءَ**»[١٠]. والله أعلَمُ.

---

(١) في (د): «وكلما».
(٢) في (د): «تشرب».
(٣) في (ب) و(د): «بكفها».
(٤) في (س): «زهدا».
(٥) في (د): «تقدري».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).
(٧) «ورسوله» مثبت من (د).
(٨) في (ب): «رعيتكن».
(٩) في (د): «فلهذا».
(١٠) «صحيح البخاري» (٣٢٤١).

[زجلة العابدة]

[٦٥] ومِنْهُنَّ: زُجْلةُ العابِدةُ[١].

مولاةُ مُعاويةَ[٢].

قالَ أحمَدُ بـنُ سهلٍ الأزديُّ: «دخَلَ على زُجلةَ العابِدةِ نفرٌ مِن القُـرّاءِ، فكلَّمُوها بالرِّفقِ بنفْسِها، فقالَتْ: ما لـي وللرِّفقِ بـها، إنّما هـيَ أيّامٌ مُبادرةٌ[٣]، فمَنْ فاتَه اليومَ شيءٌ لم يدرِكْه غـدًا[٤]، واللهِ يا إخـوتاهُ[٥] لأُصلِّيَنَّ ما أقلَّتْنِـي جوارِحِي، ولأصومَنَّ له أيّامَ حياتِي، ولأبكِيَنَّ له ما حمَلَتِ الماءُ عَيناي[٦]، ثمَّ قالَتْ: [٣٠/أ] أيُّكم يأمُرُ عبْدَه بأمرٍ فيحِبُّ أن يقصِّرَ فيه؟»[٧].

قالَ عبّادٌ الخوّاصُ: «دخَلْنا على زُجْلةَ العابِدةِ وكانَتْ قد صامَتْ حتَّى اسودَّتْ، وبكَتْ حتَّى عمِشَتْ[٨]، وصلَّتْ حتَّى أُقعِدَتْ، فكانَتْ[٩] صلاتُها[١٠] قاعدةً، فسلَّمْنا عليها[١١]، ثمَّ ذكَّرْناها[١٢] شيئًا مِن العفْوِ، أرَدْنا أن نُهوِّنَ عليها الأمْـرَ، فشهِقَتْ، ثمَّ قالَتْ: علْمِي بنفسِي قـرَّحَ[١٣] فُؤادِي، وكَلمَ قلْبِي، واللهِ

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٦٣)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٩٩)، و«تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» (٢: ٥٩٧).

(٢) انظر: «الإكمال في رفع الارتياب» (٤: ٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢)، و«الإصابة» (٨: ٢٩٨).

(٣) في (د): «أيام قلائل مبادرة».

(٤) «غدًا» ليس في (ب).

(٥) في (ب): «يا أختاه».

(٦) في (د): «عيني».

(٧) انظر: «حفظ العمر» لابن الجوزي (٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

(٨) «عمشت» ليس في (ب).

(٩) في (د): «وكانت».

(١٠) في (د): «تصلي».

(١١) في (ب): «علينا».

(١٢) في (د): «ذكرناه».

(١٣) في (ب) و(س): «فرح».

لودِدْتُ[١] أنّ الله عزَّ وجَلَّ لم يخلُقْنِي، ولم أكنْ شيئًا مذكورًا، ثمَّ أقبَلَتْ على صلاتِها وتركَتْنا، فخرَجْنا مِن عِندِها»[٢].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها تخرُجُ إلى السّاحلِ، فتغسِلُ ثِيابَ المُرابطينَ[٣]. والله أعلَمُ.

* * *

[مطيعة العابدة]

[٦٦] ومِنْهُنَّ: مطيعةُ العابِدةُ[٤].

بكَتْ أربعينَ عامًا فعُوتِبَتْ على كَثرةِ البُكاءِ[٥]، فقالَتْ: «لا أزالُ أبكِي حتَّى أعلَمَ أيَّ الحالينِ[٦] أنا عِندَ الله عزَّ وجَلَّ»[٧].

قالَ محمَّدُ بنُ الحُسينِ: «دخَلْنا على مُطيعةَ العابِدةِ في المقابرِ بالبصرةِ، فجعَلْنا نذاكِرُها شيئًا مِن القرآنِ[٨] والخيرِ، فلا نَستَبِينُ[٩] كثيرًا مِن كلامِها؛ من كثْرَةِ بُكائِها، فلمّا رَأيْناها كذلكَ ترَكْناها»[١٠].

أقامَتْ في المقابرِ أربعًا وخمسينَ سنةً تذكِّرُ نفْسَها الآخرةَ[١١]. والله أعلَمُ.

---

(١) في (س): «لو وددت».

(٢) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (٥٢-٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٣).

(٥) في (د): «بكائها».

(٦) في (د): «الحالتين».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٣).

(٨) «القرآن» مثبت من (د).

(٩) في (س): «تستبين».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٣).

(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٣).

[مسكينة]

[٦٧] ومِنْهُنَّ: مسكينةُ[١].

قالَ عمّارُ بنُ الرّاهبِ وكانَ مِن العامِلِينَ لله تعالى في دارِ الدُّنيا قالَ: «رأيْتُ مسكينةَ في منامِي، وكانَتْ مِن المُواظباتِ[٢] على حِلَقِ الذِّكرِ، فقلْتُ: مرحبًا يا مسكينةُ مرحبًا، فقالَتْ: هَيْهاتَ يا عمّارُ، ذهبَتْ تلك المَسكَنةُ وجاءَ الغِنى الأكبَرُ، فقلْتُ: هِيْه؟ فقالَتْ[٣]: ما تسألُ عَمَّن أُبيحَ له الجنَّةُ بِحذافيرِها؟

قلْتُ: وبِمَ ذاكَ[٤] يرحَمُكِ الله عزَّ وجَلَّ؟ فقالَتْ: بمجالسِ الذِّكرِ والصَّبرِ على الحقِّ، قالَ: وكانَتْ تحضُرُ مَعَنا مجلسَ عِيسى بنِ زاذانَ، فقلْتُ: فما فعَلَ عِيسى؟ فضحِكَتْ، فقالَتْ:

قَدْ كُسِيَ حُلَّةَ البَهاءِ وطافَتْ ... بِأباريقَ حَوْلَهُ الخُدّامُ
ثُمَّ حُلِّيَ وقِيلَ يا قارِئُ ارْقَ[٥] ... فلَعَمْرِي لَقَدْ بَراكَ[٦] الصِّيامُ[٧]

وكان عِيسى قد صامَ حتَّى انْحَنَى وانقطَعَ صوتُه»[٨]، والله أعلَمُ.

* * *

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٤).
(٢) في (د): «وكانت مواظبة». (٣) «فقالت» ليس في (ب).
(٤) في (د): «ذلك».
(٥) كذا في المصادر، وفي (س) و(د) و(ب): «اقرأ».
(٦) في (ب): «تراك».
(٧) انظر: «الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ١٢٨).
(٨) في (س) و(ب): «صومه». وانظر: «جامع بيان العلم وفضله» (٢٥٠)، و«إحياء علوم الدين» (١: ٣٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٤).

[امرأة الجوني]

[٦٨] ومنهُنَّ : امرأةُ الجَوْنِـيِّ[١]. [٣٠/ب]

قالَ ابنُها: «كانَتْ أمِّي تصلِّي حتَّى تعصِبَ ساقَيْها بالخِرقِ، فيقولُ لها زوجُها: دُونَ هذا؟ فتقولُ: هـذا عندَ طُولِ القيامِ فـي الموقفِ قليلٌ، فيسكُتُ[٢] عنها»[٣]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[امرأة رياح القيسي]

[٦٩] ومِنْهُنَّ: امرأةُ[٤] رياحٍ القيسِيِّ[٥].

قالَ البزّارُ: «تزوَّجَ رياحٌ القيسِيُّ امرأةً فبَنَى بها، فلمّا أصبَحَ قامَتْ إلى عَجينِـها، فقالَ[٦]: لو نظَرْتِ إلى امرأةٍ تكْفيكِ هذا؟

فقالَ: إنّما أُرانـي تزوَّجْتُ رِياحًا ولم أُرانـي تزوَّجْتُ جَبّارًا عَنيدًا، فلمّا كانَ اللَّيلُ نامَ؛ ليختبِرَها، فقامَتْ رُبُعَ اللَّيلِ، ثمَّ نادَتْه: قُمْ يا رِياحُ، فقالَ: أقومُ، فقامَتِ الرُّبُعَ الآخَرَ، ثمَّ نادَتْه، فقالَتْ: قُمْ يا رِياحُ، فقالَ: أقومُ، فقامَتِ الرُّبُعَ الآخَرَ، ثمَّ نادَتْه، فقالَتْ: قُمْ يا رِياحُ، فقالَ: أقومُ، فقالَتْ: مَضَى اللَّيلُ وعَسْكَرَ المُحْسِنُونَ وأنتَ نائمٌ، ليتَ شعْرِي مَن غرَّنـي بكَ؟ ثمَّ قامَتِ الرُّبُعَ الآخِرَ»[٧].

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).

(٢) في (ب): «فليسكت».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).

(٤) في (د): «أم».

(٥) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).

(٦) في (د): «فقالت».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).

قالَ رياحٌ: «تزوَّجْتُ امرأةً فكانَتْ إذا صلَّتِ العِشاءَ الآخرةَ تطيَّبَتْ ولبِسَتْ أحسَنَ ثِيابِها، ثمَّ تأتِينِي، فتقولُ[١]: ألكَ حاجةٌ؟ فإن قلْتُ: نعَمْ، كانَتْ مَعِي، وإن قلْتُ: لا، قامَتْ فنزَعَتْ ثِيابَها، ثمَّ صفَّتْ بينَ قدَمَيْها حتَّى تصبِحَ»[٢].

قالَ رياحٌ: «اغتمَمْتُ مرَّةً في شيءٍ مِن أمْرِ الدُّنيا، فقالَتْ: أراكَ تغتَمُّ لأمْرِ الدُّنيا؛ غرُّونِـي بكَ، ثمَّ أخذَتْ هُدبةً مِن مَقنعتِها، وقالَتْ: الدُّنيا أهوَنُ عليَّ مِن هذهِ»[٣]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

[ابنة أم حسان]

[٧٠] ومِنْهُنَّ: ابنةُ أمِّ حسّانَ[٤].

قالَ سُفيانُ الثوريُّ: «دخَلْتُ عليها فإذا في جَبْهَتِها مثْلُ رُكْبةِ العنزِ مِن أثَرِ السُّجودِ، ورأيْتُ مِن حالِها ما يحزِنُ، فقلْتُ لها[٥]: لو رفَعْتِ رُقعةً إلى فلانٍ لعلَّه يُعْطيكِ مِن زكاةِ مالِه ما تُغيِّرينَ[٦] به بعضَ هذه الحالةِ التي أراها بكِ[٧]؟

فقالَتْ: يا سُفيانُ، قد كانَ لكَ في قلْبِي رُجحانٌ كثيرٌ أو كبيرٌ، وقد أذهَبَ الله تعالى برُجْحانِكَ مِن قلْبِي، يا سُفيانُ، تأمُرُنِي أنْ أسألَ الدُّنيا مَن لا يملِكُها،

---

(١) في (د): «وتقول».

(٢) جاء على حاشية (س): «قال رياح: فقبحتني والله». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥)، و«المختار من مناقب الأخيار» لابن الأثير (٣: ٣٢٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).

(٥) «لها» ليس في (ب).

(٦) في (د): «تصيرين».

(٧) قوله: «أراك بها» في (ب): «أراك بها».

وعزَّتِه وجلالِه إنّي لأستَحْيِي أنْ أسألَه الدُّنيا وهوَ يملِكُها»[١].

قالَ سُفيانُ: «وكانَتْ إذا جنَّ اللَّيلُ دخَلَتْ مِحرابَها وأغلقَتْ عليها، ثمَّ [٣١/أ] نادَتْ: إلهي خلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه، وأنا خاليةٌ بكَ يا محبوبُ»[٢].

قال سُفيانُ: «دخَلْتُ عليها بعدَ ثلاثٍ[٣]، فإذا الجوعُ قد أثَّرَ في وجْهِها، فقلْتُ لها: إنّكِ لن تؤتَيْ أكثَرَ ممّا أُوتيَ مُوسى والخَضِرُ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ إذا أتَيا أهْلَ قريةٍ استطعَما أهْلَها فأَبَوا أنْ يُضَيِّفوهُما.

فقالَتْ[٤]: يا سُفيانُ، قلِ الحمْدُ لله، ثمَّ قالَتْ: اعترفْتَ له بالشُّكرِ؟ قلْتُ: نعَمْ، فقالت: وجَبَ عليكَ مِن معرفةِ الشُّكرِ شكْرٌ، وبمعرفةِ الشُّكرينِ شكرٌ لا ينقَضِي[٥] أبدًا، قالَ سُفيانُ: فقصُرَ واللهِ علْمِي وفـهَّ[٦] لسانِـي، فولَّيْتُ أريدُ الخروجَ، فقالَتْ: يا سُفيانُ، كَفَى بالمرْءِ جَهلًا أن يُعجَبَ بعمَلِه، وكَفَى بالمرْءِ عِلمًا أنْ يخْشَى اللهَ عزَّ وجَلَّ، اعلَمْ أنّه لَنْ تُنَقَّى القُلُوبُ مِنَ الرَّدِي[٧] حتَّى تكونَ الهُمومُ كلُّها في اللهِ عزَّ وجَلَّ همًّا واحدًا، قالَ سُفيانُ: فقصُرَتْ واللهِ إليَّ نفسِي»[٨]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٧: ٩)، و«ترتيب الأمالي الخميسية» للشجري (٩٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥-٢٥٦).

(٢) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٧: ٩).

(٣) في (د): «ثلاثة أيام».

(٤) في (ب): «قالت».

(٥) في (د): «ينقطع».

(٦) في (س) و(د): «وفقه».

(٧) في (س): «لم تُنق الذنوب من الردى».

(٨) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٧: ٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦).

[مملوكة لإبراهيم النخعي]

[٧١] ومِنْهُنَّ: مملوكةٌ لإبراهيمَ النَّخَعِي[١].

قالَ أبو الأحوصِ، عن مغيرةَ أو غيرِه: «كانَتْ مولاةٌ لإبراهيمَ النَّخعِيِّ تعمِدُ إلى[٢] اليومِ الشَّديدِ الحرِّ فتصومُه، فقيلَ لها: إنّكِ تعمِدينَ إلى اليومِ الشَّديدِ الحرِّ فتَصُوميه[٣]؟ فقالَتْ: إنّ السِّعرَ إذا رخُصَ اشْتراهُ كلُّ أحدٍ»[٤].

رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

[جارية عبيد الله قاضي البصرة]

[٧٢] ومِنْهُنَّ: جاريةُ عُبيدِ[٥] الله قاضِي البَصرةِ[٦].

قالَ سيِّدُها: «كانَتْ[٧] عِندي جاريةٌ أعجميّةٌ وضيئةٌ[٨]، وكنْتُ بِها[٩] مُعجبًا، وكانَتْ ذاتَ ليلةٍ نائمةً إلى جنْبِي، فانتبَهْتُ فلم أجِدْها، فالتمَسْتُها، فإذا هيَ ساجدةٌ تقولُ: بحبِّكِ لي اغفِرْ لي، فقلْتُ: يا جاريةُ، لا تَقولِي: بحبِّكَ لي، وقولِي: بحبِّي لكَ اغفِرْ لي، فقالَتْ: يا بطّالُ، حبُّه لي أخرجَنِي مِن الشِّركِ إلى الإسلامِ، وأيقَظَ عيْنِي وأنامَ عينَكَ.

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦).

(٢) في (س): «في».

(٣) في (س) و(د): «فتصومه».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦)، و«لطائف المعارف» لابن رجب (٣٢٢).

(٥) في (د): «عبد».

(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦).

(٧) في (د): «كان».

(٨) في (د): «وصبية».

(٩) «بها» ليس في (ب).

فقلْتُ لها: اذهَبِي فأنتِ حرَّةٌ لوجْهِ الله تعالى، فقالَتْ: يا مولاي أسأْتَ إليَّ، فقلت: ولِمَ؟ فقالَتْ: كانَ لي أجرانِ، فصارَ لي أجرٌ واحدٌ»[1]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

[جارية خالد الوراق]

[٧٣] ومِنْهُنَّ: جاريةُ خالدٍ الورّاقِ[2].

قالَ خالدٌ رضي الله عنه: «كانَتْ لي جاريةٌ شديدةُ الاجتهادِ/ ، فدخَلْتُ [٣١/ب] علَيْها يومًا فذكَّرْتُها بشيءٍ مِن رِفْقِ الله عزَّ وجَلَّ وقبُولِه يسيرَ[3] العمَلِ، فبكَتْ، ثمَّ قالَت: يا خالدُ، إنّي لأؤمِّلُ[4] مِن الله عزَّ وجَلَّ آمالًا لو حمَلَتْها الجبالُ لأشفَقَتْ مِن حِمْلِها كما ضعُفَتْ عن حمْلِ الأمانةِ، وإنّي لأعلَمُ أنَّ في كرَمِ الله عزَّ وجَلَّ مُستَغاثًا لكلِّ مُذنبٍ، ولكِنْ كيفَ لي بحسرَةِ السِّباقِ؟!

قلْتُ: وما حسرَةُ السِّباقِ؟ قالَتْ[5]: غداةُ الحشْرِ، إذا بُعثِرَ[6] ما في القُبورِ، وركِبَ الأبرارُ نَجائبَ الأعمالِ، فاستبَقُوا إلى الصِّراطِ، وعزَّةِ سيِّدي لا يسبقُ مُقصِّرٌ مُجتهدًا أبدًا ولو حَبا المُجِدُّ[7] حَبْوًا، أم كيفَ لي بموتِ الحُزنِ والكَمَدِ إذا رأيْتُ القومَ يتراكَضُونَ، وقد رُفِعَتْ أعلامُ المُحسنينَ، ثمَّ بكَتْ، وقالَتْ:

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦-٢٥٧).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٧).

(٣) في (ب): «بسير».

(٤) في (د): «أؤمل».

(٥) في (ب): «قال».

(٦) في (ب) و(د): «بعث».

(٧) في (د): «المجتهد».

يا خالدُ لا يقطَعْكَ قاطِعٌ عَنْ[١] سرعةِ المُبادرةِ بالأعمالِ؛ فإنّه ليسَ بينَ الدّارينِ دارٌ يُدرِكُ فيها الخُدّامُ ما فاتَهم مِن الخِدمةِ، فويلٌ لمَنْ قصَّرَ عن خدمةِ سيِّدِه، ومعَهُ الآمالُ، فهلا كانَتِ الآمالُ تُوقِظُهم إذا نامَ البَطّالونَ؟»[٢]. والله أعلَمُ.

* * *

[جارية مجهولة]

[٧٤] ومِنْهُنَّ: جاريةٌ مجهولةٌ.

ورَدَتِ الكعبةَ شرَّفَها الله، قالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: «رأَيْتُها وقد تعلَّقَتْ بأستارِ الكعبةِ، فجعَلَتْ تدْعُو وتبْكِي وتتضرَّعُ حتَّى ماتَتْ»[٣]. رحِمَها الله عزَّ وجَلَّ، والله أعلَمُ.

* * *

[جارية كانت لشخص يقال له: أبو محرز]

[٧٥] ومِنْهُنَّ: جاريةٌ كانَتْ لشخصٍ يقالُ له: أبو مُحْرِزٍ[٤].

قالَ: «شكَوْتُ إليها يومًا ضيقَ المكسَبِ عليَّ وأنا شابٌّ، فقالَتْ: يا بُنيَّ، استغْنِ[٥] بعزِّ القناعةِ مِن ذُلِّ[٦] المَطالبِ، ....

---

(١) «عن» مثبت من «صفة الصفوة».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٧).

(٣) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٤: ٢٧٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨)، و«تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٣: ٤٢٦).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٥) في (د): «استعن».

(٦) في (د): «ذلة».

فكثيرًا والله ما رأيْتُ القليلَ عادَ[١] سَليمًا.

قالَ أبو مُحْـرزٍ: فمـا زِلْتُ بعدَ قوْلِها أعرِفُ بركةَ كلامِها فـي قُنوعِي»[٢].
والله أعلَمُ.

[عابدة بالبصرة]

[٧٦] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بالبصرةِ[٣].

أرادَ ناسٌ يسلِّمونَ عليها، فقيلَ لهم: لا تَصِلون إليها، فقيلَ: ولِمَ ذلكَ[٤]؟ فقالُوا: قد أغلَقَتْ عليها البابَ منذُ ثلاثٍ تبْكِي، قلْنا: ومِمَّ ذاك؟ فقالُوا: قتلَتْ نملةً[٥]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة بالبصرة]

[٧٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بالبصرةِ[٦].

قالَ سعيدُ بـنُ عُطاردٍ: «ذُكِـرَ لـي امرأةٌ متعبِّدةٌ بالبصرةِ، فأتَيْتُها فوجَدْتُها [٣٢/أ] تصلِّي فانصـرَفْتُ، فلمّا فـرَغَتْ قالَت لـي: ما اسمُكَ؟ قلْتُ: سعيـدٌ، فقـالَتْ:

---

(١) قوله: «عاد» ليس في (ب).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٤) «ذلك» مثبت من (د).

(٥) في (ب): «قتلت بمكة». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

يا سعيدُ، كلُّ شيءٍ أشغَلَ عنِ الله عزَّ وجَلَّ فهوَ مَشؤومٌ، ثمَّ أقبَلَتْ على صلاتِها وترَكَتْني»[١]، والله أعلَمُ.

قلْتُ: هذه كلمةٌ فيها تنبيهٌ عظيمٌ، مَنْ أخَذَ بمُقْتضاها لا يجِدُ له فراغًا إلى غيرِ ما فيه رِضا الله عليه، فعليكِ بالتُّمسكِ بها، فما أبرَكَها مِن كلمةٍ، وفَّقَنا الله عزَّ وجَلَّ إلى العمَلِ بها، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة]

[٧٨] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ[٢].

كانَتْ إذا أصبحَتْ تقولُ لقلْبِها[٣]: «فقدْتُكَ مِن قلبٍ ما أقساكَ، أصبحْتَ لعظمةِ الله عزَّ وجَلَّ ناسيًا، إلهِي كيفَ لي بالقرْبِ منكَ غدًا وقاسِي القلبِ منكَ بعيدٌ؟»[٤] والله أعلَمُ.

أشارَتْ رضِيَ الله عنها إلى أسبابِ قَسوةِ[٥] القلْبِ، وهيَ كثيرةٌ جدًّا؛ منها: خوْفُ الفَقرِ، وقلَّةُ اليَقينِ، ومعاشرةُ أبناءِ الدُّنيا، والتَّشبُّهُ بهِنَّ.

وأقلُّ أسبابِ قَسوةِ القلْبِ: كثْرَةُ الكلامِ بغيرِ ذكْرِ الله عزَّ وجَلَّ، ففي[٦] حديثِ عبدِ الله بن عمرَ رضِيَ الله عنهُما قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله تَعالَى؛ فإنّ كَثْرَةَ الكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله تعالَى قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ،**

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٣) في (د): «لعلها».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٥) في (ب): «قوة».

(٦) في (س) و(ب): «في».

وإنّ[1] **أبْعَدَ النّاسِ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ القَلْبُ القاسِي**». رَواهُ الترمذِيُّ[2]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة]

[٧٩] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ.

قالَ حمّادُ بنُ سلمةَ رضِيَ اللهُ عنه: «خرَجْتُ في ليلةٍ مُظلمةٍ ذاتِ بردٍ وريحٍ ومَطرٍ، ومعي شيءٌ أريدُ أقسِمُه في جِيرانِي، فإذا أنا بامرأةٍ قد خرَجَتْ وهيَ تقولُ: يا رفيقُ يا رفيقُ ارفُقْ بنا، قالَ: قلْتُ: ما لكِ يرحَمُكِ اللهُ تعالى؟

فقالَتْ: يا حمّادُ إنّه دخَلَ هذا المطَرُ على أيتامِي[3] حتَّى تحتَ فُرُشِهم، فقلْتُ: يا رفيقُ يا رفيقُ ارفُقْ بنا، قالَ حمّادٌ: فدخَلْتُ فوجَدْتُه أيبَسَ ما كانَ، فقلْتُ: هاكِ رحِمَكِ[4] اللهُ عزَّ وجَلَّ هذا الشَّيءَ فأنفِقِيه على نفسكِ وعلى أيتامِكِ، فقالَتْ: إليكَ عنِّي يا حمّادُ؛ فإنّي إنّما أسألُ أجودَ الأجودِينَ»[5].

وفي روايةٍ، قالَ حمّادٌ: «ألحَّ علينا المطَرُ سنةً مِن السِّنينَ، وفي جِواري امرأةٌ مِن المُتعبِّداتِ لها بناتٌ أيتامٌ، فوكَفَ السَّقفُ عليهم أي: دلَفَ[6] فسمِعْتُها تقولُ:/ يا رفيقُ[7] ارفُقْ بي، فسكَنَ المطَرُ، فأخذْتُ صرَّةً فيها عشرةُ دنانيرَ [٣٢/ب]

---

(١) في (د): «فإن».

(٢) «جامع الترمذي» (٢٤١١) قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب».

(٣) في (ب): «يتامى». (٤) في (د): «يرحمك».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٩)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٣٧٢).

(٦) انظر: «تكملة المعاجم العربية» (٤: ٣٩٦).

(٧) في (د): «يا رفيق يا رفيق».

وقرَعْتُ البابَ، فقالَتْ: لعلَّكَ[١] حمّادُ بنُ سلمةَ؟

فقلْتُ: أنا حمّادٌ، وسمِعْتُكِ وقد تأذَّيْتِ[٢] بالمطرِ، فقلتِ: يا رفيقُ يا رفيقُ ارفُقْ بي، فما بلَغَ مِن رفْقِه بكِ؟ فقالَتْ[٣]: سكَّنَ المطَرَ، وأدفأَ الصِّبيانَ، وجفَّفَ البيتَ، فأخرَجْتُ الدَّنانيرَ، وقلتُ لها: انتفِعي بهذه، فإذا صَبيّةٌ عليها مِدرعَةٌ مِن صوفٍ تستبينُ خروقُها[٤] قد خرجَتْ عليَّ، وتقولُ: ألا[٥] تسكُتُ يا حمّادُ؛ تعترِضُ بينَنا وبينَ ربِّنا ومولانا، ثمَّ قالَتْ: يا أمّاهُ قد علِمْنا[٦] أنّا[٧] لما شكَوْنا مَولانا أنّه سيبعَثُ إلينا؛ ليطرُدَنا مِن بابِه، ثمَّ ألصقَتْ خدَّها بالتُّرابِ تقولُ[٨]: أنا وعزَّتِكَ لا أفارقُ[٩] بابَكَ وإنْ طرَدْتَني، ثمَّ قالَتْ: يا حمّادُ رُدَّ دَنانيرَكَ إلى الموضعِ الذي أخرَجْتَها منه؛ فإنا رفَعْنا حوائجَنا إلى مَن يقبَلُ الودائعَ ولا يبخَسُ العامِلينَ»[١٠].

وفي رِوايةٍ: «وكَفَ البيتُ عليها، فجعَلَتْ تنقِلُ أولادَها مِن موضعٍ إلى موضعٍ، فلا[١١] يزدادُ الوَكْفُ إلا شدَّةً، فلمّا أذلَقَها ذلكَ، قالَتْ: يا رفيقُ ارفُقْ بي، فما أصابَها مِن ذلكَ المطرِ قطرةٌ واحدةٌ»[١٢]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (س): «لعله»، وفي (د): «اجعله».
(٢) في (ب): «ناديت».
(٣) في (ب): «قالت».
(٤) في (س): «حروقها».
(٥) في (س): «اللا».
(٦) في (د): «علم».
(٧) «أنا» ليس في (ب).
(٨) في (د): «ثم قالت».
(٩) في (س): «زايلت»، وفي (ب): «لازلت».
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٩)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٣٧٢).
(١١) في (د): «ولا».
(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٠).

[شعوانة]

[٨٠] ومِنْهُنَّ: شعوانةُ[١].

قالَ مُعاذُ بنُ الفضْلِ[٢]: «بكَتْ شعوانةُ حتَّى خِفْنا عليها العَمَى، فقلْنا لها في ذلكَ، فقالَتْ: أعْمَى[٣] والله في الدُّنيا من البُكاءِ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أعْمَى في الآخرةِ مِن النارِ»[٤].

قالَ يَحْيى بن بِسْطام: «كنْتُ أشهَدُ مجلسَ شعوانة كثيرًا، فكنْتُ أرَى ما تصنَعُ بنفْسِها، فقلْتُ[٥] لصاحبٍ لي: لو أتَيْناها إذا خلَتْ[٦]؟ فقالَ[٧]: نَعَم، فانطلَقْنا فاستأذَنّا[٨] عليها، فأذِنَتْ، فدخَلْنا فإذا منزلٌ رثٌّ عليه أثَرُ الجَدبِ، فقالَ لها صاحِبي لو رفقْتِ بنفسِكِ فقَصَرْتِ عن هذا البُكاءِ شيئًا، كانَ أقْوى لكِ على ما تُريدينَ؟

قالَ: فبكَتْ، ثمَّ قالَتْ: والله لودِدْتُ أنِّي أبكِي حتَّى تنفَدَ دُموعِي، ثمَّ أبكِي الدِّماءَ حتَّى لا يبْقَى في جسَدِي جارحةٌ فيها قطرَةٌ مِن دم، وأنّى[٩] لي البُكاءُ، قالَ: فلم تزَلْ تردِّدْ ذلكَ[١٠] حتَّى انقلبَتْ حدَقتاها ثمَّ مالَتْ ساقطَةً مَغشِيًّا عليها، فقُمْنا وخرَجْنا عنها[١١] وترَكْناها على تلكَ الحالةِ»[١٢].

---

(١) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٩: ١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٦٣).

(٢) في (د): «الفضيل».

(٣) في (د): «عمى».

(٤) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٦٣).

(٥) في (س): «فقالت».

(٦) في (د): «دخلت».

(٧) في (د): «فقالت».

(٨) في (د): «فاستأذناها».

(٩) في (ب): «وأنا».

(١٠) في (د): «تزل كذلك».

(١١) في (د): «من عندها».

(١٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٦٣-٢٦٤).

[٣٣/أ] وكانَتْ تنادِي: «يا مَوْتَى وبني المَوْتَى وإخْوةَ المَوْتَى»[١]. رضِيَ الله عنها والله أعلَمُ.

* * *

[ريحانة]

[٨١] ومِنْهُنَّ: ريحانةُ[٢].

وكانَتْ تُرْمَى بالجنونِ.

قالَ ثابتٌ البُنانِي: «رأيتُ ريحانَةَ وقد قامَتْ مِن أوَّلِ اللَّيلِ، وهيَ تقولُ:

قامَ المُحِبُّ إلَى المُؤَمَّلِ قَوْمَةً ... كادَ الفُؤادُ مِنَ السُّرُورِ يَطِيرُ

فلمّا كانَ جوفُ اللَّيلِ قالَتْ:

لا تَأْنَسَنَّ[٣] بِمَنْ تُوحِشُكَ نَظْرَتُهُ ... فتُمْنَعَنَّ مِنَ التَّذْكارِ في الظُّلَمِ

واجْهَدْ[٤] وكُدَّ وكُنْ في اللَّيْلِ ذا شَجَنٍ ... يَسْقِيكَ كَأْسَ[٥] وِدادِ العِزِّ[٦] والكَرَمِ

ثُمَّ نادَتْ: واحزْناهُ واسَلْباهُ، فقلْتُ: مِمَّ[٧] ذا؟ فقالَتْ:

ذهَبَ الظَّلامُ بِأُنْسِهِ وبِإلْفِهِ ... لَيْتَ الظَّلامُ بِأُنْسِهِ يَتَجَدَّدُ»[٨]

* * *

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٤).
(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٦).
(٣) في (ب): «لا تأنس».
(٤) في (د): «واجتهد».
(٥) في (ب): «منه».
(٦) في (س) و(ب) و(د): «العزم».
(٧) في (ب): «مما».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٦)، و«البحور الزاخرة» (٣: ١٥٧٦).

[عابدة كانت بعبادان]

[٨٢] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ كانَتْ بعبّادانَ.

قالَ صالحُ بنُ عبدِ الله: «خرَجْنا إلى عَبّادانَ[١] ومَعَنا قارئٌ؛ فقرَأ، فإذا امرأةٌ على سطْحٍ فصرَخَتْ، ثمَّ سقَطَتْ مِن السطحِ، فحُمِلَتْ فأُدْخِلَتْ دارًا، ثمَّ ما برِحْنا حتَّى ماتَتْ، فنُودِيَ لها، فما رأيْتُ يومًا أحسَنَ ولا أكثَرَ جمْعًا مِن ذلكَ اليومِ»[٢]. والله أعلَمُ.

* * *

[منيفة]

[٨٣] ومِنْهُنَّ: منيفة[٣].

مِن عابِداتِ البحرينِ[٤].

قالَ مِسمَعُ بنُ عاصمٍ: «كانَتْ منيفةُ[٥] إذا هجَمَ اللَّيلُ عليها، قالَتْ: بخٍ بخٍ يا نفسُ، قد جاءَ سُرورُ المُؤمنِ، فتتحَزَّمُ[٦] وتتلبَّسُ وتقومُ إلى مِحرابِها، فكأنّها[٧] الجِذْعُ[٨] القائمُ حتَّى تصبِحَ، فإذا أصبَحَتْ وأمكَنَتِ الصَّلاةُ، فإنّما[٩] هيَ في صلاةٍ حتَّى[١٠] يُنادَى بالعصْرِ، فإذا صلَّتِ العصْرَ هجَعَتْ إلى غُروبِ

(١) في (س): «عبدان».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧١).
(٣) في «صفة الصفوة»: «منيفة بنت أبي طارق»، وفي (د) و(س) و(ب): «منية».
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩).
(٥) في (س) و(ب) و(د): «منية».
(٦) في (ب): «فتتحرم».
(٧) في (د): «فإنها».
(٨) في (د): «الجدعة».
(٩) في (د): «فإذا».
(١٠) في (ب): «حين».

الشَّمسِ[١]، فكانَ هذا دأْبَها، فقيل لها[٢]: لو جعَلْتِ هذه النَّومةَ في اللَّيلِ كانَ أهدَأ لبدَنِكِ؟

فقالَتْ: لا والله، لا أنامُ في ظُلمةِ اللَّيلِ ما دمْتُ في الدُّنيا.

قالَ أبـو سيّارٍ: فحدَّثَنِي[٣] رجلٌ مِـن أَهْلِها[٤] أنّها مكثَتْ كَذَلكَ[٥] أربعيـنَ سنةً، ثمَّ ماتَتْ.

قالَ سيّارٌ[٦]: فحدَّثَنِي رجلٌ مِن البحريـنِ يقالُ له: عامِـرٌ، أنّه رَأى منيفةَ[٧] بعدَ موْتِـها فـي المنام[٨]، فقالَ لها: يا منيفةُ[٩]، ما حـالُ النّاسِ هناكَ؟ فأقبَلَتْ عليَّ، وقالَتْ: عن أيِّ حالِهم تسألُ، الدّارُ واحدةٌ لأهلِ الطّاعةِ يتغالَوْنَ فيها بالأعمالِ، ولا تسألْ عن حالِ أهلِ النّارِ.

[٣٣/ب] قالَ: / فبكَيْتُ مِن[١٠] قـوْلِها: لا تسألْ عن حـالِ أهْلِ النّارِ، قالَ: ثمَّ ولَّيْـتُ فأتبَعَتنِي[١١] صوتًا: يا عامِـرُ[١٢] عليكَ بالجِـدِّ والاجتهادِ[١٣]، لَعلَّكَ تجْـرِي في مساعِي السّابقينَ غدًا، قالَ عامِرٌ: فمَرِضْتُ والله مِن هذهِ الرُّؤيا شهْرًا»[١٤].

---

(١) جاء في حاشية (ب): «وأما النوم بعد العصر؛ فإنه مذموم؛ لقوله ﷺ: «من نام بعد العصر، فأصابه لمم، فلا يلومنَّ إلا نفسه». واللمم: الجنون، سمي لممًا؛ لأنه يلم الشخص ويعتريه، وإن أراد الشخص أن ينام قبل الظهر. قال الزمخشري في قوله ﷺ: «قيلوا؛ فإن الشيطان لا يقيل»: إن القيلولة هي النومة قبل الظهر. ذكره ابن العماد في «آداب الأكل». وفي «بداية الهداية» للغزالي: إن القيلولة هي النوم قبل الظهر». اهـ.

(٢) «لها» ليس في (ب).

(٣) في (د): «حدثني».

(٤) في (د): «رجل من البحرين».

(٥) في (س): «لذلك».

(٦) قوله: «قال سيار» كذا في جميع النسخ، وفي «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩): «أبو سفيان» في الموضعين.

(٧) في (س): «منية».

(٨) قوله: «في المنام» مثبت من (د).

(٩) في (س): «منية».

(١٠) في (د): «فبكت عن».

(١١) في (س) و(ب): «فأتبعني».

(١٢) في (ب): «يا عمار».

(١٣) في (د): «والاجتهاد له».

(١٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩).

قالَ عامِرٌ: قالَ أبـي: «بتُّ عندَ منيفةَ[١] ليلةً، فما زادَتْ على هذه الآيةِ مِن أوَّلِ اللَّيلِ إلى آخِره تردِّدُها وتبْكِي: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]». رضِيَ الله عنها[٢]، والله أعلَمُ.

* * *

[ماجدة]

[٨٤] ومِنْهُنَّ: ماجدةُ[٣].

وهيَ سيِّدةٌ جليلةٌ.

من كلامِها النافع: «سكانُ دارٍ أُوذِنـوا بالنُّقلةِ وهم حَيارَى، يركُضُونَ في المُهلةِ[٤]، كأنَّ المُرادَ غيْرُهم، والتَّأْذينَ[٥] ليسَ لهم، والمعْنِيَّ بالأمْـرِ سِواهُم، بُؤسًا مِن عُقولٍ ما أنقصَها، ومِن جهالةٍ ما أتَمَّها، بُؤسًا لأهْلِ المعاصِي ما أُغْرُوا به مِن الإمهالِ والاستدراجِ»[٦].

وكانَتْ تقولُ: «بسَطُوا آمالَهم فأضاعُوا أعمالَهم، ولو نصَبُوا الآجالَ[٧]، وطَوَوا الآمالَ، خفَّتْ عليهم الأعمالُ»[٨].

(١) في (س): «منية». (٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩).
(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩).
(٤) في (د): «بالمهلة».
(٥) في (ب): «والتأديب».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩-٢٨٠).
(٧) في (س) و(ب): «الأحبال».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٠).

وكانَتْ تقولُ: «لَمْ ينَلِ المُطِيعونَ ما نالُوا مِن حُلولِ الجِنانِ ورِضا الرَّحمنِ إلا بتعبِ الأبدانِ، والقيامِ لله بحقِّهِ في المَنشَطِ والمَكْرَهِ»(١)، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات الموصل]

[٨٥] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ المُوصِلِ(٢).

خطَبَها رجلٌ، فقالَتْ للرَّسولِ: «قُلْ له: ما يسُرُّنِي أنَّكَ لي عبْدٌ وجميعُ ما تملِكُه(٣) لي، وأنَّك شغلتَنِي عنِ الله طرفَةَ عينٍ»(٤)، والله أعلَمُ.

* * *

[رقية، من عابدات الموصل]

[٨٦] ومِنْهُنَّ: رقيّةُ.

من عابِداتِ المُوصِلِ(٥).

قالَ فتحُ الموصِليُّ(٦): سمِعْتُها تقولُ: «إلهي وسيِّدي ومولايَ، لو أنَّكَ عذَّبْتَنِي بعذابِكَ كلِّه لكانَ ما فاتَنِي مِن قُرْبِكَ أعظَمَ عندِي مِن العذابِ، ولو نعَّمْتَنِي(٧) بنعيمِ أهْلِ الجنَّةِ كلِّهِم، كانَتْ لذَّةُ حُبِّكَ في قلْبِي أكثَرَ»(٨).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٠).

(٢) انظر ترجمتها في «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨)، وذكر أن اسمها ألوف.

(٣) في (د): «تملك».

(٤) انظر: «قوت القلوب» (٢: ٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).

(٥) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).

(٦) في (ب): «الموصل».

(٧) في (ب): «نعمتي».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).

وقالَتْ: «إنّي لأحِبُّ ربِّي حُبًّا شديدًا، فلو أمَرَ بي[١] إلى النّارِ ما وجَدْتُ للنارِ حرًّا معَ حبّه؛ لأنّ حبّه هوَ الغالِبُ عليَّ»[٢].

وكانَتْ تقولُ: «حرامٌ على قلْبٍ فيه رهبانيّةُ المَخلوقِينَ أنْ يذوقَ حلاوَةَ [٣٤/أ] الإيمانِ، شغَلُوا قُلوبَهم بالدُّنيا عنِ الله عزَّ وجلَّ، ولو ترَكُوها لجالَتْ في الملكوتِ، ورجَعَتْ إليهم بطُرَفِ[٣] الفوائدِ»[٤].

وكانَتْ تقولُ: «تفَقَّهُوا في مذاهبِ الإخلاصِ، ولا تفَقَّهُوا فيما يؤدِّيكُم[٥] إلى الرُّكوبِ على القلاصِ»[٦]. والله أعلَمُ.

* * *

[موافقة]

[٨٧] ومِنْهُنَّ: موافقةُ، وقيلَ: موفَّقةُ، من عابداتِ المُوصلِ[٧].

قالَ فتحُ الموصلِيُّ[٨]: «مرَّتْ بي موافقةُ، فعثرَتْ فسقَطَ ظفرُ إبهامِها، فضحِكَتْ، فقيلَ لها: يا موافقةُ، يسقُطُ ظفْرُ إبهامِك وتضحكِينَ؟! فقالَتْ: إنّ حَلاوةَ ثوابِه أزالَ عن قلْبي مرارةَ وجعِه»[٩]، والله أعلَمُ[١٠].

---

(١) في (س) و(ب): «أمرني».
(٢) انظر: «ذم الهوى» (٨٠)، «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).
(٣) في (د): «بظرائف».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).
(٥) في (س) و(ب): «يؤد بكم».
(٦) القلاص من الإبل: الفتية منها. انظر: «المحكم» (٦: ٢٠٤). وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).
(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).
(٨) «الموصلي» ليس في (ب).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).
(١٠) جاء بعدها في (د) وحاشية (س): «ووقع مثل ذلك لامرأة فتح الموصلي، قدس الله تعالى روحها». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).

[راهبة من عابدات الموصل]

[٨٨] ومِنْهُنَّ: راهبةٌ(١)، من عابِداتِ الموصلِ(٢).

قالَ أحمَد بنُ أبي الحوارِيِّ: «حدَّثَتْنِي امرأتِي رابعةُ أنّها دخَلَتْ على امرأةِ عاتقٍ، فقالَتْ لها: هل تدْرِينَ(٣) ما قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]؟ قالَتْ: قلْتُ: لا، فقالَتْ: القلْبُ السَّليمُ الذي يلْقَى الله عزَّ وجَلَّ وليسَ فيه غيرُ الله عزَّ وجَلَّ».

قالَ أحمَدُ: «فحَدَّثْتُ به أبا سُليمانَ الدّارانِيَّ، فقالَ: ليسَ هذا كلامُ الرّاهبةِ، هذا كلامُ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ»(٤). والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات الكوفة]

[٨٩] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ الكُوفةِ(٥).

قالَ عُبيدُ(٦) الله بنُ عبدِ الخالقِ: «سَبَى الرُّومُ نِساءً مُسلماتٍ، فبلَغَ الخبَرُ الرِّقَّةَ وبِها هارونُ الرَّشيدُ أميرُ المُؤمنينَ، فقيلَ لمنصورِ بنِ عمّارٍ: لوِ اتَّخذْتَ مَجلسًا بالقرْبِ مِن أميرِ المُؤمنينَ، فحرَّضتَ(٧) النّاسَ على الغزْوِ، ففعَلَ،

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).

(٢) في (د): «الموصلي».

(٣) في (د): «أتدري».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).

(٥) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٣).

(٦) في (د): «عبد».

(٧) في (د): «فخرصت».

فبيْنا[1] هوَ يذكِّرُهم ويحرِّضُهم إذا بخِرقةٍ مصرورةٍ مَختومةٍ قد طُرِحَتْ إلى منصورٍ، وإذا كتابٌ مَضمومٌ إلى الصرَّةِ، ففَكَّ الكتابَ، فقرَأه[2]، فإذا فيه:

إنّي امرأةٌ مِن أهلِ البيوتاتِ[3] مِن العربِ، بلَغَني ما فعَلَ الرُّومُ بالمُسلماتِ، وسمِعْتُ تحريضَكَ[4] النّاسَ على الغزْوِ وترغِيبَكَ في ذلكَ، فعمِدْتُ إلى أكرمِ شيءٍ مِن بدَني وهما ذُؤابتايَ، فقطَعْتُهما وصررْتُهما في هذه الورقةِ[5] المَختومةِ، وأنا أنشدُكَ باللهِ العظيمِ لما جعَلْتَهما قيدَ فرَسٍ[6] غازٍ[7] في سبيل الله عزَّ وجَلَّ ، فلعلَّ اللهَ العليّ العظيمَ أن ينظُرَ إليَّ على تلك الحالِ[8] [٣٤/ب] فيرحَمَني بها، فبَكَى وأبْكَى النّاسَ[9]، وأمَرَ هارونُ[10] أن يُنادَى بالنَّفيرِ، فغَزا بنفسِه، فأنْكَى[11] في العدوِّ، وفتحَ الله تعالى عليهِم»[12]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من أهل الشام]

[٩٠] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن أهلِ الشامِ[13].

نُقِلَ عنها مثْلُ ذلكَ.

---

(١) في (د): «فبينما».

(٢) في (د): «وقراه».

(٣) في (س): «البيتوتات»، وفي (د): «البيوقات».

(٤) في (د): «بتحريضك».

(٥) في (د): «الرقعة».

(٦) في (س): «قوس».

(٧) «غاز» ليس في (ب).

(٨) «الحال» ليس في (ب).

(٩) «الناس» ليس في (ب).

(١٠) في (د): «وأمر نادون».

(١١) في (د): «فأبكى».

(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٣).

(١٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٣).

قالَ أبو قُدامَـةَ الشامِيُّ: «كنت أميرًا على الجيشِ فـي بعضِ الغَـزواتِ[١]، فدخَلْتُ فـي بعضِ البلْدانِ فدعَوْتُ النّاسَ إلى الغزْوِ، ورغَّبْتُهم فـي الثوابِ، وذكَرْتُ فضْلَ الشَّهادةِ وما لأهْلِها، ثمَّ تفرَّقَ النّاسُ، فركِبْتُ فرَسِي وسِرْتُ إلى مَنزلِي، فإذا بامرأةٍ[٢] مِن أحسَنِ النّاسِ تنادي: يا أبا قُدامةَ، فقلْتُ: هذه مكيدةٌ مِن الشيطانِ، فمَضَيْتُ ولم أُجِبْها[٣]، فقالَتْ: ما هكذا كانَ الصالحونَ، فوقَفْتُ، فجاءَتْ فدفَعَتْ إليَّ رُقعةً وخِرقَةً مشدودَةً، وانصرَفَتْ وهي[٤] باكيةً، فنظَرْتُ في الرُّقعةِ فإذا فيها مكتوبٌ: إنّكَ دعَوْتَنا إلى الجهادِ، ورغَّبْتَنا في الثَّوابِ، ولا قُدْرَةَ لي على ذلكَ، فقطَعْتُ أحسَنَ ما فيَّ وهُما ضَفيرتاي، وأنفَذْتُهما إليكَ؛ لتجعَلَهما قيدَ فرَسِكَ، لعلَّ الله عزَّ وجَلَّ يَرَى شعْرِي قيدَ فرسِكَ في سبيلِه فيغفِرَ لي.

فلمّا كانَتْ[٥] صبيحةُ القتالِ، فإذا بغلامٍ بينَ يَدَي الصُّفوفِ فتًى[٦] يقاتِلُ، فتقدَّمْتُ إليْهِ وقلْتُ: يا فتـى، أنتَ غلامٌ، ولا آمَنُ أن تجولَ[٧] الخيلُ فتَطَأكَ بأرجُلِها، فارجَـعْ عن موضِعِك هـذا، فقالَ: أتأمُرُنـي بالرُّجوعِ[٨]، وقد قـالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

فحمَلْتُه على هَجِينٍ كانَ معِي، فقالَ: يا أبا قُدامةَ، أقرِضْنِي ثلاثةَ أسهمٍ،

---

(١) في (د): «غزوات الشام».
(٢) في (د): «بإمرأة خلفي».
(٣) في (س): «ولم أجب».
(٤) «وهي» مثبت من (د).
(٥) في (د): «كان».
(٦) «فتى» مثبت من (د).
(٧) في (د): «تحول».
(٨) في (د): «أن أرجع».

فقلْتُ: أهذا[١] وقْتُ قرضٍ؟ فما زالَ يلِحُّ عليَّ حتَّى قلْتُ: بشرطِ إنْ مَنَّ اللهُ عزَّ وجَلَّ بالشَّهادةِ أكونُ[٢] في شفاعتِكَ؟ فقالَ: نَعَمْ، فأعطيْتُه ثلاثةَ أسهمٍ، فوضَعَ سَهمًا[٣] في قوسِه، وقالَ: السَّلامُ عليكَ يا أبا قُدامةَ، ورَمَى به روميًّا[٤]، [٣٥/أ] ثمَّ رَمَى بالآخَرِ، وقالَ: السَّلامُ عليكَ يا أبا قُدامةَ، فقتَلَ رُوميًّا، ثمَّ رَمَى بالآخَرِ، وقالَ: السَّلامُ يا أبا قُدامةَ سلامُ مُودِّعٍ، فجاءَه سهمٌ فوقَعَ بينَ عينَيْه، فوضَعَ رأسَه على قَرَبوسِ[٥] سَرْجِه، فتقدَّمْتُ إليه، وقلْتُ: لا تنْسَها[٦]؟

قالَ: نَعَمْ، ولكِنْ لي إليكَ حاجةٌ، إذا دخَلْتَ المدينةَ فأْتِ والِدتِي وسلِّمْ خرْجِي إليها، وأخبِرْها، فهيَ التي أعطَتْكَ شعْرَها؛ لتقيِّدَ به فرسَكَ، وسلِّمْ عليها؛ فإنّ العامَ الأوَّلَ أُصيبَتْ بوالِدِي، وفي هذا العامِ أُصيبَتْ بي، ثمَّ ماتَ، فحفَرْتُ له ودفَنْتُه، فلمّا همَمْنا بالانصرافِ عن قبْرِهِ قَذفَتْه الأرضُ فألقَتْه على ظهرِها، فقالَ أصحابِي[٧]: إنّه غلامٌ غِرٌّ[٨]، ولعلَّه خرَجَ بغيرِ إذْنِ أمِّه[٩].

---

(١) في (د): «ما هذا».
(٢) في (د): «أن أكون».
(٣) «سهمًا» ليس في (ب).
(٤) في (س) و(ب): «لروميا»، وفي (د): «فقتيل روميًّا».
(٥) في (س) و(ب) و(د): «قربوص»، قال الصفدي في «تصحيح التصحيف» (٤٢٠): «ويقولون: قربوص السرج. والصواب قربوس، بالسين وفتح الراء». قال الزبيدي في «تاج العروس» (١٦: ٣٦١): «قال ابن دريد، في كتاب «السرج واللجام» ونقلته منه من غير واسطة: إن القربوس: حنو السرج، وهما قربوسان، وهما متقدم السرج ومؤخره، ويقال لهما: حنواه، وهما من السرج بمنزلة الشرخين من الرحل».
(٦) في (د): «تنسى».
(٧) في (ب): «أصحابه».
(٨) في (س) و(ب): «غزا»، وفي (د): «غمر».
(٩) في (د): «والدته».

فقلْتُ: إنّ الأرضَ لتقبَلُ مَن هوَ شرٌّ مِن هذا، فقمْتُ وصلَّيْتُ ركعتينِ، ودَعَوْتُ الله عزَّ وجَلَّ، فسمِعْتُ صوتًا يقولُ: يا أبا قُدامةَ اترُكْ وليَّ الله عزَّ وجَلَّ، فما برحْتُ حتّى نزلَتْ[1] عليه طيورٌ خضرٌ[2] فأكلَتْه، فلمّا أتيْتُ المدينةَ ذهَبْتُ إلى دارِ والدتِه، فلمّا قرَعْتُ البابَ، خرَجَتْ أختُه، فلمّا رَأتْني عادَتْ، وقالَتْ: يا أُمّاه هذا أبو قُدامةَ ليسَ معَهُ أخِي، قد أُصِبْنا[3] في العامِ الأوّلِ[4] بأبِي، وفي هذا العامِ بأخِي، فخرَجَتْ أمُّه، فقالَتْ: أمُعَزِّيًا؟

فقلْتُ: ما مَعْنى هذا؟ فقالت[5]: إن كانَ ماتَ فعزِّنِي، وإن كانَ استُشْهِدَ فهنِّئنِي، فقالَتْ: له علامةٌ فهل رَأيْتَها؟ قلْتُ: نَعَمْ، لم تقبَلْه الأرضُ ونزلَتِ الطُّيورُ فأكَلَتْ لحْمَهُ، وبقِيَتْ عِظامُه فدفَنْتُها، فقالَتْ: الحمْدُ لله، فسلَّمْتُ إليها الخرْجَ، ففتَحَتْه فأخرَجَتْ[6] مِسْحًا وغُلًّا مِن حديدٍ، وقالَتْ: إنّه كانَ إذا جنَّهُ اللَّيلُ لبِسَ هذا المِسْحَ وغَلَّ نفسَه بهذا الغُلِّ، وناجَى مَوْلاه، وقالَ في مُناجاتِه: احشُرْنِي في حواصِلِ الطُّيورِ، فقد استجابَ الله عزَّ وجَلَّ دعاءَهُ»[7]. والله أعلَمُ.

قلْتُ: فعْلُ هذه المرأةِ والتي قبْلَها بشعْرِهما ذلكَ إنّما حمَلَهُما على ذلكَ[8] حُسْنُ القَصْدِ [٣٥/ب]، إلا أنّهما[9] أخطَأتا في ذلكَ؛ فإنّ التَّقرُّبَ إلى الله عزَّ وجَلَّ إنّما يكونُ في الأمورِ المأذونةِ منه سُبحانَه وتعالَى ومِن رَسولِه ﷺ، فينبَغِي لمَنْ أرادَ أن يفعَلَ شيئًا على وجْهِ التقرُّبِ إلى الله عزَّ وجَلَّ أنْ لا يفعَلَ ذلكَ إلا بأنْ يقتَدِيَ بمَنْ يُرجَعُ إليه في الدِّينِ والعلْمِ[10].

---

(١) في (ب): «نزل».
(٢) «خضر» مثبت من (د).
(٣) في (د): «فقد أصابتنا».
(٤) في (د): «الماضي».
(٥) في (س): «فقلت».
(٦) في (د): «وأخرجت».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٣-٣٦٤).
(٨) «ذلك» ليس في (س) و(د).
(٩) في (د): «لأنهما».
(١٠) في (د): «في العلم والدين».

أما[١] الذينَ لا علْمَ لهم؛ كمشايـخِ هذا الزَّمـانِ مِن المُتصوِّفةِ فلا مُعوَّلَ عليهم؛ فإنّهم على جهلٍ وبدعةٍ وقلَّةِ دِينٍ، ألا تَرَى أنّه لو دَعاهُ مَكّاسٌ إلى وليمةٍ بادَرَ إلى أكْلِها، وإن كانَتْ[٢] مثل قَطْعِ الطَّريقِ، ولو أهْدَى إليه ظالمٌ شيئًا؛ وزيـرًا كانَ أو قاضي الرِّشَى أو غيـرَ ذلكَ قبـلَه وبشَّ[٣] له، وهذا عيـنُ الفسْقِ، ومثْلُ هذا لا يُقتَدَى به ولا يُعوَّلُ عليه؛ فإنّه مفسِدٌ لنفسِه ولغيْرِه مِن الجَهَلةِ.

وأمّا الفَقيهُ الذي لا يتوقَّفُ فيما يأكُلُ ولا[٤] يكتَسِي، ويجالِسُ الظَّلَمةَ ويوادِدُهُم، فهذا أيضًا لا يُسألُ ولا يُلتفَتُ إلى قولِه[٥]؛ فإنّه مُفسِدٌ للشَّريعةِ المُطهَّرةِ، وهوَ ملعونٌ بنصِّ القُرآنِ على لسانِ الأنبياءِ إن أنكَرَ عليهم ثمَّ استمَرَّ يُجالِسُهم ويُؤاكِلُهم، وإن لم ينكِرْ عليهم فأيُّ لعنٍ يلحَقُه؟ فإنْ أعانَهم على ما هُم عليه مِن الظُّلمِ فهذا فيهِ[٦] فتنتُه فتنةٌ عظيمةٌ.

ففي[٧] الحديثِ مِن روايةِ كعبِ بنِ عُجرةَ رضِيَ الله عنه، أنَّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: **«مَنْ دَخلَ عَلَى الظَّلَمَةِ، وصَدَّقَهُمْ في كَذِبِهِمْ، وأعانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فلَيْسَ مِنِّي ولَسْتُ مِنْهُ، ولا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، ومَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُصَدِّقْهُمْ فـي كَذِبِهِمْ، ولَمْ يُعِنْهُمْ[٨] عَلَى ظُلْمِهِمْ، فهُوَ مِنِّـي وأنا مِنْهُ، وسَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ»**[٩].

---

(١) في (د): «وأما».
(٢) في (د): «كان».
(٣) في (د): «وبشر».
(٤) في (د): «وما».
(٥) في (س): «قبوله».
(٦) «فيه» مثبت من (د).
(٧) في (س): «في».
(٨) في (س): «يعينهم».
(٩) «جامع الترمذي» (٦١٤)، و«سنن النسائي» (٤٢٠٨) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» (١: ٣٩٨-٣٩٩)، و«البدر المنير» (٩: ٣٥٥).

قالَ العُلماءُ: ولا أحَدَ أسوَأُ حالًا ممَّن تبرَّأ منه رَسولُ الله ﷺ.

وقولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «وَلا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ»، فيه إشارةٌ إلى أنّه يُسلَبُ الإيمانُ بسببِ دُخولِه عليهم وتصديقِهم على ظُلْمِهم؛ لأنّ المعاصِيَ بريدُ الكفرِ[1]، كما وقعَتْ إليه الإشارةُ في القُرآنِ العظيمِ [٣٦/أ] والسُّنَّةِ الشريفةِ[2] الصَّحيحةِ، وقد أجمَعَ على ذلكَ السَّلفُ، وقالُوا: إنّما يظهَرُ ذلكَ عندَ الموتِ[3]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[طافية من عابدات بيت المقدس]

[٩١] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ بيتِ المقدسِ، اسمُها طافيةُ[4].

قالَ عطاءٌ الخُراسانِيُّ: «كانَتْ طافيةُ تأتِي بيتَ المقدسِ؛ تتعبَّدُ فيه، وكانَ وهْبُ بنُ مُنبهٍ يقولُ: يا طافيةُ ما أشَدُّ العمَلِ عليكِ؟

---

(١) في (د): «يريد الاستحلال».

(٢) «الشريفة» مثبت من (د).

(٣) جاء في حاشية (ب): «قال إبراهيم بن أدهم: كنت سائرًا نحو بيت المقدس، فلقيت سبعة رجال، فسلمت عليهم، فقلت: أفيدوني شيئًا ينفعني الله تعالى به، فقالوا: انظر كل قاطع يقطعك عن الله فاقطعه عنك. قلت: زيدوني رحمكم الله، قالوا: لا ترج أحدًا غير الله تعالى، ولا تخف أحدًا سوى الله تعالى. قلت: زيدوني رحمكم الله، قالوا: عليك بالدعاء والتضرع، والبكاء في الخلوات، والتضرع والخشوع والرحمة للمسلمين، والنصح لهم. فقلت: زيدوني رحمكم الله، قالوا: اللهم حُل بيننا وبينه؛ فقد شغلنا عنك، فنظرت إليهم فلم أر أحدًا منهم نفعني الله بهم. من «طهارة القلوب» لعبد العزيز الديريني، ويقال: الدميري». اهـ. انظر: «طهارة القلوب» (١٣٤).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠).

فتقولُ: ما أجِدُنِي[1] أجِدُ شيئًا أشَدَّ عليَّ مِن طُولِ الفكْرِ، فقالَ: وكيفَ ذلكَ؟ فتقولُ: إنّي إذا تفكَّرْتُ في عَظمةِ الله عزَّ وجَلَّ وأمْرِ الآخرةِ طاشَ عقْلِي، وأظلَمَ عليَّ[2] بصَرِي، واسترخَتْ لذلكَ مفاصِلِي، فقالَ لها وهبُ بنُ مُنبهٍ: إذا أنتِ وجَدْتِ ذلكَ فافزَعِي إلى قراءةِ القُرآنِ في المُصحفِ»[3]، والله أعلَمُ.

* * *

[لبابة من عابدات بيت المقدس]

[٩٢] ومِنْهُنَّ: لبابةُ، من عابِداتِ بيتِ المقدسِ[4].

قالَ محمَّدُ بنُ رَوحٍ: قالَتْ لبابةُ المتعبِّدة: «إنّي لأستحْيِي منه أن يرانِي مُشتغلةً بغيْرِه»[5].

وقالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: قالَ محمَّدُ بنُ رَوحٍ: قالَتْ لي لبابةُ المتعبِّدةُ: «ما زلْتُ مُجتهدةً في العبادَةِ حتَّى صرْتُ أستروِحُ[6] بها، وإذا تعِبْتُ مِن لقاءِ الخلْقِ آنسَنِي بذكْرِه، وإذا أعيانِي الخلْقُ روَّحَنِي التفرُّغُ لعبادَةِ الله عزَّ وجَلَّ والقيامُ إلى خدمتِه»[7].

قالَ لها رجلٌ: «أريدُ الحجَّ فبماذا[8] أدْعُو في الموسمِ؟ فقالَتْ: سلِ الله

(١) «أجدني» ليس في (د). (٢) «علي» ليس في (ب).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠).
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠). (٦) في (ب): «أتروح».
(٧) في (ب): «والقيام لخدمته». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠).
(٨) في (د): «فماذا».

عزَّ وجَلَّ أنْ يَرْضَى عنكَ، ويبلِّغَكَ منزلَ الراضينَ عنه، وأن يجعَلَ ذكْرَكَ فيما بينَ أوليائِه»(١). والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات بيت المقدس]

[٩٣] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ بيتِ المقدسِ(٢).

قالَ أبو جعفرٍ السّائحُ: «رأيْتُ عَجوزًا في بيتِ المقدسِ تقولُ: حجَجْتُ ماشيةً اثنتي عشْرَةَ حجَّةً ما ركِبْتُ فيها، فقلْتُ لها: في بيتِ المقدسِ مثْلُكِ مِن المتعبِّداتِ؟ فذكَرَتْ نِسوةً يفعَلْن مثْلَ(٣) ما تفعَلُ(٤)، يحمِلْنَ مَغازلَنا إلى

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠). وجاء في حاشية (ب): «وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس، وهو ابن ثمان سنين، فرأى عُبّادَ بني إسرائيل قد لبسوا مدارع الصوف والشعر، ونظر إلى اجتهادهم وما هم يصنعون بأنفسهم، فهاله ذلك، فرجع إلى أبويه فسألهما، فألبساه مدرعة من شعر، ولزم بيت المقدس، فكان يخدمه نهارًا، وينقطع فيه ليلًا، حتى أتت عليه خمس عشر سنة، فخرج إلى البوادي والجبال والغدران والشعاب، فخرج أبواه في طلبه، فوجداه على بحيرة الأردن، ورجلاه في الماء، وقد كاد العطش أن يهلكه، وهو يقول: وعزتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك؟ فسألاه أبواه أن يفطر على قرص شعير كان معهما ويشرب الماء، ويرجع معهما، ففعل ذلك وكفر عن يمينه، فلذلك مدحه الله تعالى بالبر فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤]، فرجع إلى بيت المقدس فكان إذا قام يصلي يبكي حتى يبكي معه الشجر والمدر، ويبكي زكريا عليه السلام؛ لبكائه، حتى خرق الدمع في خديه طريقين، فقال له أبوه: يا بني سألت ربي أن يهبك لي؛ لتقر عيني بك، فما هذا البكاء؟ فقال: يا أبت، إن جبريل أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء، قال زكريا: فابك يا يحيى». اهـ. وانظر: «طهارة القلوب» (٨٦-٨٧).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١).

(٣) «مثل» ليس في (ب).

(٤) في (د): «فعل».

المسجدِ فلا يخرُجْنَ[١] منه إلا لحاجةٍ، فقلْتُ: فكَمْ بقِيَ مِن القومِ بهذِه[٢] الصِّفةِ؟ فقالَتْ: نحوٌ مِن عشرةٍ، قلْتُ: فمَنْ أعبَدُكُنَّ؟ فقالَتْ: امرأةٌ من قُريشٍ ما نَراها تكلِّمُ أحدًا؛ إنّما هيَ في الصَّلاةِ قائمةٌ وراكعةٌ وساجدةٌ، يأتِيها أهْلُها بما يُصْلِحُها»[٣]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات بيت المقدس]

[٩٤] **ومِنْهُنَّ عابِدَةٌ من عابِداتِ بيتِ المقدسِ.** [٣٦/ب]

قالَ أبو جعفر[٤] السّائحُ[٥]: «رأيْتُ امرأةً في بيتِ المقدسِ في بيتٍ متعبَّدة[٦]، عليها مِدْرعَةٌ مِن شعرٍ وخِمارٌ مِن شَعرٍ وسِوارٌ مِن حديدٍ، وكانَ لها سلسلةٌ تعلِّقُ نفْسَها بها باللَّيلِ، فقلْتُ لها: متى أخذْتِ فيما أنتِ فيه؟ فقالَتْ: منذُ ثمانِ سنينَ، قال: ورأيْتُ نسوةً كثيرةً عليهِنَّ مدارعُ مِن صوفٍ وخُمُرٌ معتكفاتٍ في المسجدِ لا يتكلَّمْنَ[٧] بالنَّهارِ»[٨]. والله أعلم.

---

(١) في (ب): «نخرج».
(٢) قوله: «بهذه» في (س) و(ب): «من هذه».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١).
(٤) في (س) و(د): «بكر»، وبعدها في (س) و(ب) و(د): «ابن».
(٥) في (ب): «المسامح».
(٦) في (س): «في متعبد لها».
(٧) في (د): «لا يتكلمون».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١). جاء في حاشية (ب): «وقال فرقد السبخي: دخل بيت المقدس خمس مئة عذراء من بني إسرائيل، لباسهن الصوف، فتذاكرن ثواب الله وعقابه، فمتن كلهن في يوم واحد. قال النووي في «تحريره على التنبيه»: البكر: العذراء الباقية على حالها الأول، وصاحبة البكارة، والجمع: أبكار، والمصدر: البكارة بالفتح». اهـ. وانظر: «تحرير ألفاظ التنبيه» للإمام النووي (٢٥١).

[عابدة من عابدات بيت المقدس]

[٩٥] ومنهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ بيتِ المقدسِ[١].

قالَ أبو سُليمانَ الدّارانـيُّ: حدَّثَني سعيدٌ الإفريقِيُّ قالَ: كنْتُ ببيتِ المقدسِ معَ أصحابٍ لي في المسجدِ، فإذا أنا بجاريةٍ عليها دِرْعٌ مِن شَعرٍ وخمـارُ صوفٍ، وإذا هيَ تقولُ: إلهي وسيِّدِي، ما أضيقَ الطـريقَ على مَـن لم تكُنْ دليلَه، ومَا[٢] أوحَشَ خَلوةَ مَـن لـم تكُنْ[٣] أنيسَـه، فقلْتُ: يا جـاريةُ ما قطَعَ الخلْقَ عـنِ الله عزَّ وجلَّ؟

قالَتْ: حبُّ الدُّنيا، إلا أنَّ لله عزَّ وجَلَّ عبادًا سَقاهُم مِن حُبِّهِ شربةً فولَهَتْ قُلوبُهُم، فلم يحِبُّوا معَ الله تعالى غيْرَه، ثمَّ قالَتْ[٤]:

تَـزَوَّدْ قَرِينًـا مِـنْ فِعالِـكَ إنّما ... قَرِينُ الفَتَى في القَبْرِ ما كانَ يَعْمَلُ[٥]

ألا إنّما الإنْســانُ ضَيْـفٌ لِأهْلِهِ ... يُقِيـمُ قَلِيلًا عِنْدَهُمْ ثُـمَّ يَرْحَلُ[٦]

* * *

[عابدة من عابدات بيت المقدس]

[٩٦] ومنهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ بيتِ المقدسِ[٧].

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١).

(٢) في (س): «و».

(٣) «تكن» ليس في (د).

(٤) هذه الأبيات للصلصال بن الدلهمس أنشد بها رسول الله ﷺ، انظر: «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» (٢: ١٦٩)، و«الدر الفريد وبيت القصيد» (٥: ٣٠٢)، و«البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (١: ٤٠٧).

(٥) في (د): «يفعل».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١).

(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٢).

قالَ عاصمٌ الرُّصافي: حدَّثَني عُثمانُ الرجاني[١]، قالَ: «خرَجْتُ مِن بيتِ المقدسِ أريدُ بعضَ القُرى في حاجةٍ، فلقيَتْني عجوزٌ عليها جُبَّةُ صوفٍ وخِمارُ صوفٍ، فسلَّمْتُ فرَدَّتْ عليَّ السَّلامَ، ثمَّ قالَتْ: يا فتى، مِن أينَ أقبَلْتَ؟

قلْتُ: مِن هذه القريةِ، فقالَتْ: وأينَ تُريدُ؟ قلْتُ[٢]: إلى بعضِ القُرى، فقالَتْ: كم بينَكَ وبينَ أهلِكَ؟ قلْتُ: ثمانيةَ عشَرَ مِيلًا، فقالَت: إنّ هذه لحاجةٌ[٣] مهمَّةٌ، قلْتُ: أجَل، قالَتْ: فما اسمُكَ؟

قلْتُ: عُثمانُ، قالَتْ: يا عُثمانُ، ألا سألْتَ صاحبَ القريةِ أن يوجِّهَ إليكَ بحاجتِكَ ولا تتعَنَّى، قالَ: ولم أعلَمِ الذي أرادَتْ، قلْتُ: يا عجوزُ، ليسَ بيني وبينَ صاحبِ القريةِ معرفةٌ.

فقالَتْ:/ يا عُثمانُ، ما الذي[٤] أوحَشَ بينَكَ وبينَ معرفتِه، وقطَعَ بينَكَ وبينَ الاتصالِ به؟ فعرَفْتُ الذي أرادَتْ، فبكَيْتُ، فقالَتْ: مِن[٥] أيِّ شيءٍ تبْكِي؟ مِن شيءٍ كُنتَ فعَلْتَه ثمَّ نسِيتَه، أم مِن شيءٍ أُنسِيتَه ثمَّ ذكَرْتَه؟ [٣٧/أ]

قالَ: مِن شيءٍ نسيتُه ثمَّ ذكَرْتُه، فقالَتْ: يا عُثمانُ، احمَدِ الله تعالى الذي لم يترُكْكَ في حيرتِكَ[٦]، أتحِبُّ الله عزَّ وجَلَّ؟ قلْتُ: نعَمْ، قالَتْ: اصدُقْني، قلْتُ: إي واللهِ إنّي لأحِبُّ الله عزَّ وجَلَّ، قالَتْ: فما الذي أفادَكَ مِن طرائفِ[٧] حِكمتِه إذ أوصلَكَ[٨] إلى محبَّتِه؟

---

(١) في (س) و(ب) و(د): «الوحامي»، وفي «صب الخمول»: «الوجافي».

(٢) في (د): «فقلت».

(٣) في (د): «لحاجته».

(٤) في (د): «للذي».

(٥) في (د): «عن».

(٦) بعدها في (د): «ثم قال».

(٧) في (ب): «ظريف»، وفي (د): «ظرائف».

(٨) في (س): «إذ أواصلك»، وفي (د): «إلى أن أوصلك».

قالَ: فبقِيتُ لا أدْرِي ما أقولُ، فقالَتْ: يا عُثمانُ، لعلَّكَ مِمَّن تحِبُّ أن تكتُمَ المحبّةَ[١]، قالَ: فبقِيتُ بينَ يدَيْها ولا أدْرِي ما أقولُ، فقالَتْ: يأْبَى الله عزَّ وجَلَّ أن يدنِّسَ طرائفَ[٢] حِكمتِه، وخفي معرفتِه، ومكنونَ محبَّتِه بممارسةِ[٣] قلوبِ البطّالينَ[٤].

قلْتُ: رحمَكِ الله عزَّ وجَلَّ، لو دعوْتِ الله عزَّ وجَلَّ أن يشغَلَنِي بمحبَّتِه، فنفَضَتْ يدَيْها في وجهِي، فأعدْتُ القولَ، فقالَتْ: يا عبدَ الله امْضِ لحاجتِكَ، فقد علِمَ المحبوبُ مناجاةَ الضَّميرِ مِن أجْلِكَ، ثمَّ ولَّتْ، وقالَتْ: لولا خوفُ السَّلبِ لَبُحْتُ بالعجَبِ، ثمَّ قالَتْ: أوه مِن شوقٍ لا يبرَأُ إلا بكَ، ومِن حنينٍ لا يسكُنُ إلا إليكَ، فأينَ لوجْهِي الحياءُ منكَ، وأينَ لعقْلِي الرُّجوعُ إليكَ، قالَ عُثمانُ: فوالله ما ذكَرْتُ ذلكَ إلا بكَيْتُ وغُشِيَ عليَّ»[٥]، والله أعلَمُ.

وقيلَ لفرْقدٍ السَّبَخِيِّ رحمه الله: «أخبِرْنا بأعجَبِ شيءٍ بلغَكَ عن بني إسرائيلَ؟ فقالَ[٦]: بلَغَنِي أنّه دخَلَ بيتَ المقدسِ خمسُ مئةِ عذراء، لباسُهُنَّ الصُّوفُ والمُسوحُ، فذكَرْنَ[٧] ثوابَ الجنَّةِ وعقابَ النَّارِ[٨]، فمُتْنَ جميعًا في يومٍ واحدٍ»[٩]. والله أعْلَمُ.

---

(١) قوله: «قال: فبقيت لا أدري ما أقول، فقالت: يا عثمان، لعلك ممن تحب أن تكتم المحبة» ليس في (ب).

(٢) في (ب): «ظرائف».

(٣) في (س) و(ب) و(د): «ممارسة»، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٤) في (ب): «الطالبين».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٢)، و«صب الخمول» (١٧١-١٧٣).

(٦) في (د): «فقالت».

(٧) في «الإحياء» للغزالي: «فتذاكرن»، وفي (د): «فذكرت».

(٨) «النار» مثبت من (د).

(٩) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ١٨٥)، و«المدهش» (٤٢٤).

[زينب، عابدة بثغر طبرية]

[٩٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بثغرِ طبريّةَ، اسمُها زينبُ[١].

قالَ سالمٌ الخوّاصُ رحمه الله: كانَتْ عندَنا جاريةٌ يقالُ لها: زينبُ، وكانَتْ تُحْسِنُ خِدمةَ[٢] مَوْلاها، فذهبتُ أسلِّمُ عليها، فقالَتْ: يا أبا محمَّدٍ، كنتُ منذُ ليالٍ قائمةً أخدُمُ فغَلَبَتْنِي عيناي فسمِعْتُ قائلًا يقولُ:

صَلاتُـكَ نُـورٌ والعِبـادُ[٣] رُقُودُ ... فقُومِي فصَلِّي فالعِبادُ[٤] رُقُودُ[٥] [٣٧/ب]

قـالَ: «وخرَجَتْ[٦] يومًا فـي حاجةٍ فعثـرَتْ فانقطَعَ أصبعٌ مِـن أصابعِها، فاجتمَعْنا رجالًا ونسـاءً نعزِّيها فـي أُصبعِها، فقالَتْ: يا إخوتِـي ويا أخوانِـي، أنسانِي لذَّةُ ثوابِها وجَعَها، فوهَبَ الله لي ولكم الرِّضا والعفْوَ عمّا مَضى، قُوموا حتَّى نخدُمَ مَن الطَّريقُ عليه غدًا»[٧]، والله أعلَمُ.

* * *

[أم الدرداء، من عابدات الشام]

[٩٨] ومِنْهُنَّ: أمُّ الدَّرداءِ، وهيَ من عابِداتِ الشامِ.

واعلَمْ أنّ أمَّ الدَّرداءِ اثنتانِ:

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٤).

(٢) «خدمة» ليس في (ب).

(٣) في (ب): «والعبادي».

(٤) في (د): «والعباد».

(٥) في «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٤): «للغفور الودود».

(٦) في (ب): «خرجت».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٤).

[١] **فالكُبْرى** تُسمَّى: خيـرةُ بنتُ أبـي حَدْرِدٍ[١]، زوجةُ أبـي الدَّرداءِ، ولها صحبةٌ وروايةٌ عنِ النبيِّ ﷺ[٢].

[٢] وأمُّ الدرداءِ **الصُّغرى**، ويقال[٣] لها: هجيمةُ[٤]، وهيَ التي خطَبَها مُعاويةُ بعدَ موتِ أبي الدَّرداءِ، فأبَتْ أن تتزوَّجَه[٥].

وسببُ امتناعِها أنّها قالَتْ: سمِعْتُ أبا الدَّرداءِ[٦] يقولُ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**المَرْأةُ لِآخِرِ أَزْواجِها**»[٧]، فلسْتُ أريدُ بأبي الدَّرداءِ بدَلًا[٨].

ولا صُحبةَ لها معَ النبيِّ ﷺ، ورَوَتْ عن أبي الدَّرداءِ، وكلتاهُما[٩] زوجةُ أبي الدَّرداءِ رضِيَ الله عنه[١٠].

قالَ صفوانُ: قدِمْتُ الشامَ، فأتيْتُ أبا الدَّرداءِ في منزِله فلم أجِدْه، ووجَدْتُ

---

(١) انظر ترجمتها في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩: ٤٦٢)، و«الاستيعاب» (٤: ١٩٣٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٤).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩: ٤٦٢)، و«الاستيعاب» (٤: ١٩٣٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٤).

(٣) في (د): «يقال».

(٤) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٩٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٨).

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٩٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٨).

(٦) قوله: «فأبت أن تتزوجه، وسبب امتناعها أنها قالت: سمعت أبا الدرداء» ليس في (ب).

(٧) انظر: «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤: ٣٦)، و«كشف الخفاء» (٢: ٣٥٨)، ورواه البيهقي عن حذيفة في «السنن الكبرى» (١٣٤٢١).

(٨) «تاريخ الرقة» (٣١٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ١٥٥)، و«التذكرة بأحوال الموتى» (٩٩٣).

(٩) في (د): «وكلاهما».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٨).

أَمَّ الدَّرداءِ، فقالَتْ: أتريدُ الحجَّ العامَ؟ قلْتُ: نعَمْ، قالَتْ: فادْعُ لنا بخيرٍ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يقولُ: «**دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لِأخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجابَةٌ، عِنْدَ**[١] **رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّما دَعا لِأخِيهِ بِخَيْرٍ، قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، ولَكَ بِمِثْلٍ**[٢]»، قالَ: فخرَجْتُ فلقِيتُ أبا[٣] الدَّرداءِ، فقالَ لي مثْلَ[٤] ذلكَ، يَرْوِيه عنِ النبيِّ ﷺ[٥].

قالَ البَرقانِيُّ: هذه أمُّ الدَّرداءِ الصُّغْرى، قالَتْ: «طَلَبْتُ العبادَةَ في كلِّ شيءٍ، فما وجَدْتُ شيئًا أشْفَى لصدْرِي ولا أحْرَى أنْ أُصيبَ به الذي أُريدُ مِن مجالسِ الذِّكرِ»[٦].

قال لها إبراهيمُ بنُ أبي عبلةَ[٧]: «ادْعي لنا، فقالَتْ: أَوَبلغْتُ أنا ذلكَ»[٨]. رضِيَ الله عنها.

قالَ ميمونُ بنُ مِهْرانَ: «ما دخَلْتُ على أمِّ الدَّرداءِ في ساعةِ صلاةٍ إلا وجَدْتُها مُصليةً»[٩].

قالَ يونسُ بنُ مَيسرةَ: «كانْ يحضُرُ أمَّ الدَّرداءِ الصُّغْرَى[١٠] نساءٌ مُتعبِّداتٌ

---

(١) في (د): «وعند».

(٢) في (س): «بمثله».

(٣) في (د): «أم».

(٤) «مثل» ليس في (ب).

(٥) «مسند أحمد» (٢١٧٥٥)، والحديث في «صحيح مسلم» (٢٧٣٢) بدون القصة.

(٦) «الزهد» لأحمد بن حنبل (٩٢١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (٦٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).

(٧) في (د): «عيلة».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).

(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ١٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).

(١٠) «الصغرى» ليس في (س) و(د).

يقمْنَ اللَّيلَ كلَّه، حتَّى إن أقدامَهُنَّ لَتَنْتَفِخُ[١] مِن طُولِ القيامِ»[٢].

[٣٨/أ] قالَ هزانُ[٣]: «قالَتْ أمُّ الدَّرداءِ: هل تدْرِي ما يقولُ الميِّتُ على سريرِه؟ فقلْتُ: لا، فقالَتْ: إنّه يقولُ: يا أهلاهُ، ويا جيـراناهُ[٤]، ويا حملةَ سريـراهُ، لا تغرنَّـكُمُ الدُّنيا كما غرَّتْـي، ولا تلْعَبَـنَّ بكُمُ الدُّنيا كما لعِبَتْ بـي؛ فإنَّ أهْلِي لا يحمِلُونَ عنِّي مِن وِزْري شيئًا، الدُّنيا لقُلوبِ العابِدينَ أسحَرُ مِن هاروتَ وماروتَ، وما آثَرَها أحَدٌ إلا أصرَعَتْ[٥] خدَّه»[٦].

قالَ سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ: «أشرَفَتْ أمُّ الدَّرداءِ على وادِي جهنَّمَ، ومعَها إسماعيلُ بنُ عُبيدٍ، فقالَتْ: يا إسماعيلُ اقْرَأْ، فقرَأَ[٧]: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فخَرَّتْ أمُّ الدَّرداءِ على وجْهِها، وخرَّ إسماعيلُ على وجْهِه، فما رَفَعا رُؤوسَهما حتَّى ابتلَّ ما تحتَ وُجوهِهما مِن دُموعِهما»[٨] رضِيَ اللهُ عنهُما.

هكذا[٩] كانوا إذا سمِعُوا كلامَ ربِّهم وجِلَتْ قلوبُهم، وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادَتْهم إيمانًا وعَلى رَبِّهم يتوكَّلُون[١٠].

---

(١) في (س) و(ب): «انتفخ».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).

(٣) في النسخ: «هزال»، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٤) في (د): «وا أهلاه، وا جيراناه». (٥) في (ب): «صرعت».

(٦) «الزهد» لأحمد بن حنبل (٩٢٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ١٦٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).

(٧) في (ب): «فقرأت».

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٨: ٤٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩-٤٣٠)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٤: ١٧٠٠).

(٩) في (د): «فهكذا». (١٠) قوله: «وعلى ربهم يتوكلون» مثبت من (د).

وأنْتُنَّ يا نساءَ هذا الزَّمانِ تُتْلى عليكُنَّ[١] آياتُ الله فلا تَجدنَ[٢] مِن الخشيةِ ما يزجُرُكُنَّ عن بعضٍ ما أنتُنَّ عليه مِن المصائبِ والمُخالفاتِ، وتتلذَّذُ إحداكُنَّ بمزاميرِ الشيطانِ[٣]، وبالغناءِ[٤] الذي هوَ[٥] قرآنُ الشيطانِ[٦]، أيُّ مُصيبةٍ عليكُنَّ أعظَمُ مِن ذلكَ.

وكأنِّي بِكُنَّ وقد اقتديْتُنَّ في ذلكَ بفُقراءِ زمانِنا هذا، الجُهّالِ الضُّلالِ[٧]، الذينَ إذا ذكَرْتَ لأحدِهم آيةً أو حديثًا عن رَسولِ الله ﷺ لم يجِدْ لذلكَ وقعًا في قلْبِه، ورُبَّما وقعَ في قَلْبِهِ كَراهيةُ ذلكَ، فهؤلاءِ وأشباهُهم فسَقَةٌ مبتدعةٌ، عليهم مِن الله عزَّ وجَلَّ ما يستحِقُّونَ على هذه الصِّفاتِ الخبائثِ.

وقد ذكَرْتُ فصلًا في كتابي «**سَيرِ السّالكِ في أسْنَى المَسالكِ**» يتعلَّقُ بذلكَ، وهوَ فصْلٌ مهِمٌّ، نبَّهْتُ فيه على نَزَغاتِ الشَّيطانِ لهم في ذلكَ، وغيرِ ذلكَ ممّا هوَ مفيدٌ ويرشِدُ إلى الخيرِ وإلى طريقِ السلامةِ[٨] إن شاءَ الله تعالى، والله أعلَمُ.

قالَ شهرُ بنُ حَوْشَبٍ: «قالَت أمُّ الدَّرداءِ: إنّما الوجَلُ في قلْبِ المُؤمنِ كاحتراقِ السَّعفةِ، أما تجِدُ له[٩] قشعريرةً؟ قالَ: بَلَى، قالَتْ: فادْعُ إذا وجَدْتَ ذلكَ؛ فإنّ الدُّعاءَ/ يُستجابُ[١٠] عندَ ذلكَ»[١١]، والله أعلَمُ. [٣٨/ب]

* * *

(١) في (س) و(ب): «عليكم».
(٢) في (س) و(ب): «تجدون».
(٣) في (س) و(ب): «الشياطين».
(٤) في (س): «وبلغنا».
(٥) «هو» ليس في (د).
(٦) انظر: «إغاثة اللهفان» (١: ٤٠٠)، و«غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (١: ١٥٤).
(٧) في (ب): «الضالين».
(٨) في (د): «الطريق المستقيم والسلامة».
(٩) في (د): «لها».
(١٠) في (د): «مستجاب».
(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٠).

[أم البنين بنت عبد العزيز]

[٩٩] ومِنْهُنَّ: أمُّ البنينَ، بنتُ عبدِ العزيزِ[١]، أختُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ.

كانَتْ تقولُ: «ما تحَلَّى المُتحلُّونَ بشيءٍ أحسَنَ عليهم مِن عِظمِ مَهابةِ الله عزَّ وجَلَّ في صُدورِهم»[٢].

وكانَتْ تقولُ: «أفٍّ للبُخلِ، لو كانَ قميصًا ما لبِسْتُه، ولو كانَ طريقًا ما سلَكْتُه»[٣].

وكان النساءُ ربَّما يجتمِعْنَ عندَها يتحدَّثْنَ وهيَ قائمةٌ تصلِّي، فإذا فرَغَتْ تقولُ: «أحِبُّ حديثَكُنَّ، فإذا قمْتُ إلى الصَّلاةِ نسيتُكُنَّ»، وكانَتْ تكسُوهُنَّ الثِّيابَ وتعطيهُنَّ[٤] الدَّنانيرَ، وتقولُ: «الكسْوةُ لكُنَّ، والدنانيرُ أَقْسِمْنَها[٥] بينَ فُقرائِكُنَّ»[٦].

وتقولُ: «واللهِ لَلمواساةُ[٧] أحَبُّ إليَّ مِن الطعامِ الطيِّبِ على الجوعِ، ومِن الشرابِ البارِدِ على الظمأِ»[٨].

وكانَتْ تقولُ: «ما حَسدْتُ أحدًا على شيءٍ إلا أن يكونَ مَعروفًا؛ فإنِّي أحِبُّ أن أكونَ شريكةً في ذلكَ»[٩]، واللهُ أعلَمُ.

---

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ٢٠٤)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ١٨٥)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٧١).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٧٢).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٧١).
(٤) في (س) و(ب): «وتعطهن».
(٥) في (س) و(ب): «أقسمها».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٧٢).
(٧) في (د): «المواساة».
(٨) انظر: المصدر السابق.
(٩) انظر: المصدر السابق.

[عبدة أخت أبي سليمان الداراني]

[١٠٠] ومِنْهُنَّ: عبدةُ، أخْتُ أبي سُليمانَ الدّارانِيِّ[١].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: قالَ أبو[٢] سُليمان الدّارانِيُّ: «وصَفْتُ لأختِي عبدةَ قنطرةً مِن قناطرِ جهنَّمَ، فأقامَتْ يومًا وليلةً في صيحةٍ واحدةٍ ما تسكُتُ، ثمَّ انقطَعَ عنها، فقلْتُ: مِن أيِّ شيءٍ كانَ صياحُها؟ فقالوا[٣]: مثَّلَتْ نفْسَها على القنطرَةِ»[٤].

وقالَ أبو سُليمانَ: سمِعْتُ أختِي تقولُ: «الفُقراءُ كلُّهم أمواتٌ، إلا مَن أحْياهُ الله عزَّ وجَلَّ بعزِّ القناعةِ، والرِّضا بفقْرِه»[٥].

وكانَ لأبي سُليمانَ أختانِ: عبدةُ وآمِنةُ، وكانَتا[٦] مِن العقلِ والدِّينِ بمَحلٍّ عظيمٍ[٧]. والله أعلم.

* * *

[رابعة بنت إسماعيل]

[١٠١] ومِنْهُنَّ: رابعةُ بنتُ إسماعيلَ[٨].

---

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ٢٦٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣١).

(٢) «أبو» ليس في (س).

(٣) في (س): «فقالت»، وفي (ب): «فقال».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣١)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٠: ١٧٨).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣١).

(٦) في (س) و(ب): «وكانت».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

(٨) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٥)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١١: ١٤٦). =

زوجةُ أحمَدَ ابنِ أبي الحوارِيِّ، خادِمِ أبـي سُليمانَ الدَّارَانِـي[١] رضِيَ الله عنهم.

وهذه رابعةُ شاميّةٌ، ورابعةُ العدويّةُ بصريّةٌ[٢].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ «قلْتُ لزوجَتِي رابعةَ وقد قامَتْ تصلِّي بليلٍ: قد رأيْنا أبا سُليمانَ وتعبَّدْنا[٣] معَه، فما رأيْنا مَن يقومُ مِن أوَّلِ اللَّيلِ، فقالَتْ: سُبحانَ الله! مثْلُكَ يتكلَّمُ بهذا، إنّما أقومُ إذا نُوديتُ»[٤].

[٣٩/أ] قالَ: «وجلسْتُ آكُلُ، فجعَلَتْ تذكِّرُني، فقلْتُ: دَعِينا نَتَهَنَّأ طعامَنا، فقالَتْ: ليسَ أنا وأنتَ ممَّن يتنغَّصُ عليه الطَّعامُ عندَ ذكْرِ الآخرةِ»[٥].

قالَ أحمَدُ: قالَت لـي: «أعلِمْتَ أنّ العبْدَ إذا عمِلَ بطاعةِ الله عـزَّ وجَـلَّ أطلَعَه الله[٦] الجبّارُ على مَساوئ عمَلِه، فتشاغَلَ به دُونَ خلْقِه؟»[٧].

= في حاشية (س): «رابعة الدمشقية، هي بنت إسماعيل، زوجة أحمد ابن أبي الحواري المذكور، كانت من الصالحات، القانتات، الصائمات، العابدات، الزاهدات، وهي التي قبرت باطن.. الكبرى، وكانت في الشام كرابعة العدوية البصرية، وهي مولاة، عابدة، ناسكة، صائمة، قائمة، قانتة، ماتت بالبصرة سنة خمس وثلاثين ومئة، وقد جاوزت الثمانين، وهذا رد لقول: أنها ماتت بمصر، ولقول أنها ماتت بالقدس ودفنت بجبل الطور؛ لأنها كانت من السياحات».

(١) «الداراني» مثبت من (د).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٥)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١١: ١٤٦).

(٣) في (د): «تطعمنا وتعبدنا».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٥: ١٧٤-١٧٥).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

(٦) لفظ الجلالة ليس في (س).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

وقالَ: قالَتْ لي: «إنّي لأضَنُّ[١] باللُّقمةِ الطَّيِّبةِ أنْ أطْعِمَها نفْسِي، وإنّي[٢] لأرَى ذِراعِي قد سمِنَ فأحزَنُ»[٣].

ومَعْنى أضَنُّ: أبخَلُ[٤] أنْ آكُلَها؛ نظرًا منها إلى قولِه عزَّ وجَلَّ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] الآية.

وأمّا خوفُ السِّمنِ في ذِراعِها فلأجْلِ أكْلِ الدُّودِ له، وخوفًا مِن وُقوفِ الحِسابِ لأجْلِ كثرَةِ الأكْلِ، رضِيَ الله عنها.

قالَ: «وكنْتُ إذا نظَرْتُ إلى وجْهِها ورقبَتِها فأحزَنُ لذلكَ»[٥].

قالَ: وكانَتْ تقولُ: «لسْتُ أُحِبُّكَ حُبَّ الأزواجِ، إنّما أحِبُّكَ حُبَّ الإخوانِ، وإنّما رغِبْتُ فيكَ رغبةً[٦] في خِدمتِكَ، وإنّما أحِبُّ وأتمَنَّى أنْ يأكُلَ مالِي مثْلُكَ ومثْلُ إخوانِكَ»[٧].

وكانَتْ إذا طبَخَتْ قِدْرًا، قالَتْ: كُلْه[٨] يا سيِّدي، فما نضجَتْ إلا بالتسبيحِ[٩].

وقالَتْ: لسْتُ أستحِلُّ أنْ أمنعَكَ نفْسِي وغيْرِي، اذهَبْ فتزوَّجْ، فتزوَّجْتُ ثلاثًا، فكانَتْ تطعِمُنِي اللحمَ، وتقولُ: اذهَبْ بقوَّتِكَ إلى أهْلِكَ، وكنْتُ إذا

---

(١) في حاشية (س): «أضن بالضاد: أي أبخل».

(٢) في (د): «ولأني».

(٣) في (س) و(د): «لأحزن». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

(٤) انظر: «الصحاح» (٦: ٢١٥٦)، و«لسان العرب» (١٣: ٢٦١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

(٦) قوله: «فيك رغبة» ليس في (ب).

(٧) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).

(٨) في (د): «كل».

(٩) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ٣٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).

أردْتُ[١] قرْبَها نهارًا، تقولُ: أسأَلُكَ باللهِ تعالى لا تفطرْنِي اليومَ، وإذا أردْتُها باللَّيلِ تقولُ: أسأَلُكَ باللهِ لَما[٢] وهَبْتَنِي للهِ عزَّ وجَلَّ هذه اللَّيلةَ، وكانَ معَها سبعَةُ آلافِ دِرهمٍ أنفقَتْها عليَّ»[٣].

وكانَتْ تقولُ لي: «ما سمِعْتُ الأذانَ إلا ذكَرْتُ مُنادِيَ يوم[٤] القيامةِ، ولا رأيْتُ الثَّلجَ إلا ذكَرْتُ تطايُرَ الصُّحفِ، ولا رأيْتُ الجرادَ إلا ذكَرْتُ الحَشرَ»[٥].

قالَ: وكانَتْ تقولُ: «ربَّما رأيْتُ الجنَّ يذهَبُونَ ويجِيئُونَ، وربَّما رأيْتُ الحُورَ العِينَ يستترْنَ[٦] منِّي بأكمامِهِنَّ، وقالَت بيدِها على رأْسِها، ودعَوْتُها يومًا فلم تجِبْنِي، فلمّا كانَ بعدَ ساعةٍ أجابَتْنِي، وقالَتْ: إنّما منعَنِي أنْ أُجيبَكَ أنّ قلْبِي كانَ قدْ امتلأَ فرحًا باللهِ عزَّ وجَلَّ فلم أقدِرْ أجيبَكَ»[٧]. [٣٩/ب]

قالَ أحمَدُ: «كانَتْ لرابعَةَ زوجَتِي أحوالٌ شتَّى؛ مرَّةٌ يغلِبُ عليها الخوفُ، ومرَّةٌ يغلِبُ عليها الأنسُ، ومرَّةٌ يغلِبُ عليها الحُبُّ، سمِعْتُها في حالِ الحُبِّ تقولُ[٨]:

حَبِيبٌ لَيْسَ يَعْدِلُهُ[٩] حَبِيبُ ... وَلا لِسِواهُ فِي قَلْبِي نَصِيبُ

حَبِيبٌ[١٠] غابَ عَنْ بَصَرِي وشَخْصِي ... ولَكِنْ عَنْ فُؤادِي لا يَغِيبُ

(١) في (د): «طلبت».

(٢) في (د): «إلا».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).

(٤) «يوم» ليس في (س).

(٥) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٦٠)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٣٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).

(٦) في (ب): «ليستترن».

(٧) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

(٨) في (د): «فتنشد وتقول».

(٩) في (س): «بعدك».

(١٠) جاء بعدها في (س): «عسى».

وسمِعْتُها في حالِ الأنسِ تقولُ:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فــي الفُؤادِ مُحَدِّثي   وأبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أرادَ جُلُوسِي
فالجِسْــمُ مِنِّي لِلْجَلِيــسِ مُؤانِسٌ   وحَبِيــبُ قَلْبِي في الفُؤادِ أنِيسِــي

وسمِعْتُها في حالِ الخوفِ تقولُ:

وَزادِي قَلِيــلٌ مــا أُراهُ مُبَلِّغِــي   ألِلزّادِ أبْكِي أمْ لِطُولِ[1] مَسافَتِي؟
أتَحْرِقُنِــي بالنار[2] يــا غايَةَ المُنَى   فأيْنَ رَجائِي فيكَ[3] أيْنَ مَحَبَّتِي؟[4]

رضي الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

[أم هارون]

[١٠٢] ومِنْهُنَّ: أمُّ هارونَ[5].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: «قالَ عبدُ العزيزِ: قالَتْ أمُّ هارونَ وكانَتِ امرأةً خيِّرةً، وكانَتْ مِن الخائفاتِ العابِداتِ، وقد أنزَلَتِ الدُّنيا مَنزلتَها، فكانَتْ تأكُلُ الخبْزَ وحْدَه، قالَتْ: بأبي الليل، اللَّيلُ ما أطيَبَه؛ إنِّي[6] لأَغتَمُّ بالنَّهارِ حتَّى

---

(١) في (د): «لبعد».   (٢) قوله: «بالنار» ليس في (س).

(٣) في (د): «منك».

(٤) في حاشية (ب): «أين مخافتي»، وأشار أنها في نسخة. وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٨)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٣٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

(٥) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ٢٦٥)، و«ذكر النسوة المتعبدات» (٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).

(٦) «إني» مثبت من المصادر.

يجِيءَ اللَّيلُ، فإذا جاءَ قمْتُ أوَّلَه، فإذا جاءَ السَّحَرُ دخَلَ الرَّوحُ قلْبِي»[١].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: «خرَجَتْ أمُّ هارونَ يومًا تريدُ[٢] حاجةً، فصاحَ صبِيٌّ بصبيٍّ[٣]: خذُوهُ، فسقَطَتْ، فوَقعَتْ[٤] على حَجَرٍ فدمِيَتْ، وظهَرَ[٥] الدَّمُ مِن مِقنَعتِها»[٦].

قالَ أبو سُليمانَ الدّارانِيُّ: «مَن أرادَ أن ينظُرَ إلى صَعقٍ صحيحٍ، فلينظُرْ إلى أمِّ هارونَ، ما كنتُ أظُنُّ أن يكونَ في الشامِ مثْلُ أمِّ هارونَ»[٧].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: قالَتْ لي رابعَةُ: «ما دهَنَتْ أمُّ هارونَ رأْسَها منذُ عشرينَ سنةً، فإذا كشَفْنا رُؤوسَنا كانَ شعْرُها أحسَنَ مِن شُعورِنا»[٨].

[٤٠/أ] وكانَتْ أمُّ هارونَ تأتِي بيتَ المقدسِ مِن دمشقَ في كلِّ شهرٍ مرَّةً على رجلَيْها، قالَتْ أمُّ هارونَ[٩]: «فبينا[١٠] أنا ببَيْسانَ[١١]، فإذا قدْ عرَضَ لي هذا الكلْبُ، يعْنِي الأسدُ، فمَشَى نحْوِي، فلمّا قرُبَ منِّي نظَرْتُ إليه، وقلْتُ: تعالَ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٢) في (د): «تريد لصبي».
(٣) في (س): «لصبي».
(٤) في (س): «فوضعت».
(٥) في (س): «فظهر».
(٦) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٧) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٦٤-٦٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٩) «أم هارون» مثبت من (د).
(١٠) في (د): «بينا».
(١١) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١: ٥٢٧): «بَيْسانُ: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، ونون: مدينة بالأردنّ بالغور الشامي، ويقال هي لسان الأرض، وهي بين حوران وفلسطين، وبها عين الفلوس يقال إنها من الجنة، وهي عين فيها ملوحة يسيرة، جاء ذكرها في حديث الجساسة».

يا كلْبُ، إن كـانَ لك رِزقٌ فكُلْ، فلـمّا سَمِـع كلامِي أقْعَى ثمَّ ولَّـى راجـعًا»[١] رضِيَ الله عنها.

قالَ لها أحمد بنُ أبي الحواريِّ: «يا أمَّ هارونَ، أتحبِّينَ الموتَ؟ قالَتْ: لا، قـالَ[٢]: ولِمَ؟ قالَتْ: لـو عَصَيْتُ آدميًا مـا أحبَبْتُ لقاءَهُ، فكيفَ أحِبُّ لقـاءَ الله عزَّ وجَلَّ وقد عصَيْتُه»[٣]، والله أعلَمُ.

* * *

[البيضاء من عابدات الشام]

[١٠٣] ومِنْهُنَّ: البيضاءُ، مِن عابِداتِ الشامِ[٤].

قالَ أحمَد بنُ أبي الحواريِّ: قالَتْ أسماءُ الرَّمليّةُ وكانَتْ مِن العابِداتِ تقولُ: «سألْتُ البَيضاءَ، فقلْتُ: يا أختِي، هلْ للمحِبِّ لله دلائلُ يُعرَفُ بها؟ فقالَتْ: يا أخْتِي والمحِبُّ للسيِّدِ يخْفَى؟

لو جهَدَ المحِبُّ أن يخْفَى ما خفي. قلْتُ: صِفيه لي؟ فقالَتْ: لو رأيْتِ المحِبَّ لله عزَّ وجَلَّ لرأيْتِ عَجبًا عَجيبًا مِن والِهٍ ما يقِرُّ على الأرضِ، طائرٌ مستوحِشٌ أنْسُه في الوحدةِ[٥]، قد مُنِـعَ مِن الراحةِ، طعامُه الحُبُّ عندَ الجـوعِ، وشرابُه الحُبُّ عندَ الظمأِ، ولا يمَلُّ مِن طُولِ[٦] الخدمَةِ لله عزَّ وجَلَّ»[٧]، والله أعلَمُ.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٢) في (د): «قلت».
(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٦: ١٣٥)، و«ذكر النسوة المتعبدات» (٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٤).
(٥) في (د): «الوحشة».
(٦) «طول» ليس في (ب).
(٧) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٤).

[آمنة الرملية]

[١٠٤] ومِنْهُنَّ: آمِنةُ الرَّمليّةُ[١].

قالَ جعفرُ بنُ محمَّدٍ صاحِبُ بشْرِ بنِ الحارِثِ: «اعتَلَّ بشْرٌ فعادَتْه آمِنةُ الرَّمليّةُ مِن الرَّملةِ، فإنّها كانتْ[٢] عندَه إذ دخَلَ الإمامُ أحمَدُ يعودُه، فقالَ: مَن هذهِ؟

فقالَ: آمنَةُ الرَّمليّةُ، بلَغَها علَّتِي فجاءَتْ مِن الرَّملةِ تعودُني، فقالَ: سلْها تدْعُو لنا، فقالَتْ: اللَّهمَّ إن بِشرًا وأحمَدَ يستجيرانِكَ مِن النارِ فأجِرْهُما، قالَ الإمامُ أحمَدُ فانصرفْتُ، فلمّا كانَ مِن[٣] اللَّيلِ طُرِحَتْ إليَّ[٤] رُقعةٌ فيها: بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ، قد فعَلْنا ولدينا مَزيدٌ»[٥]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[مولاة لأبي أمامة من عابدات الشام]

[١٠٥] ومِنْهُنَّ: مولاةٌ لأبي أمامَةَ، من عابِداتِ الشامِ[٦].

قالَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ يزيدَ[٧]: قالَتْ لي[٨] مولاةٌ لأبي أمامَةَ: «كانَ أبو أمامة يحِبُّ الصَّدقةَ ولا يرُدُّ سائلًا، ولو تصدَّقَ ببيضةٍ أو ثمرةٍ أو بشيءٍ ممّا يؤكَلُ،

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٤).
(٢) «كانت» مثبت من (د).
(٣) «من» ليس في (ب).
(٤) في (ب): «لي».
(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٣٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٤-٤٣٥).
(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦).
(٧) في (د): «مزيد».
(٨) «لي» ليس في (ب).

فأتاه سائلٌ ذاتَ يومٍ وقدْ أُفقِرَ من ذلكَ كلِّه، وما عندَه إلا ثلاثةُ دَنانيرَ، فسألَهُ[١] سائلٌ فأعْطاهُ دِينارًا، ثمَّ أتاهُ سائلٌ آخَرُ فأعطاهُ دِينارًا، ثمَّ أتاهُ ثالثٌ فأعطاهُ [٤٠/ب] الثالثَ.

قالَتْ: فغضِبْتُ، وقلْتُ: لم تترُكْ لنا شيئًا، قالَتْ: فوضَعَ رأسَه لوقْتٍ مِن القائلةِ، قالَتْ: فلمّا نُودِيَ للظُّهرِ أيقَظْتُه فتوضَّأ ثمَّ راحَ إلى المسجدِ، قالَتْ: فرَقَقْتُ[٢] عليه، أي: حزِنْتُ، وكانَ صائمًا، فاقترَضْتُ ما جعَلْتُه عَشاءً له وأسرَجْتُ له سِراجًا، وجِئْتُ إلى فِراشِه لأمهِّدَه له، فإذا بذهبٍ فعدَدْتُها، فإذا ثلاثُ مئةِ دِينارٍ.

قالَ: فقلْتُ: ما صنَعَ الذي صنَعَ إلا وقد وثِـقَ بالذي خلَّفَ، فأقبَلَ بعدَ العِشاءِ؛ فلمّا رأى المائدَةَ والسِّراجَ تبسَّمَ، وقالَ: هذا خيرٌ مِن غيرِه، قالَتْ: فلمّا تعَشَّى قلْتُ له: يرحَمُكَ[٣] الله عزَّ وجَلَّ خلَّفْتَ هذه النَّفقةَ في سبيلِ مَضيعةٍ ولم تخبِرْنِي فأرفَعْها؟

فقالَ: وأيُّ نفقةٍ، ما خلَّفْتُ شيئًا؟ قالَتْ: فرفَعَتِ الفِراشَ، فلمّا أن رَآهُ اشتَدَّ تعَجُّبُه، قالَت: فقمْتُ وقطعْتُ زُنّارِي، وأسلَمْتُ، قالَ عبدُ الرَّحمنِ: فأدركْتُها في مسجدِ حِمْصَ وهيَ تعلِّمُ النساءَ القُرآنَ والسُّننَ والفرائضَ وتُفقِّهُهُنَّ في الدِّينِ»[٤]، والله أعلَمُ.

* * *

(١) في (ب): «فسأل».
(٢) في (ب): «فوقفت»، وفي (د): «فرفعت».
(٣) في (د): «رحمك».
(٤) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ١٢٩)، و«البر والصلة» لابن الجوزي (٢٠٥-٢٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٨)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٢٢٩).

[امرأة عابدة من عابدات الشام]

[١٠٦] ومِنْهُنَّ: امرأةٌ عابِدةٌ مِن عابِداتِ الشامِ(١).

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: «بينا أنا(٢) ذاتَ يومٍ في بلادِ الشامِ في قُبَّةٍ مِن قِبابِ المقابرِ، ليسَ عليها بابٌ إلا كساءٌ قد أسبَلْتُه، فإذا أنا بامرأةٍ تدُقُّ الحائطَ، فقلْتُ: مَن هذا؟ فقالَت: امرأةٌ ضالةٌ دُلَّنِي على الطَّريقِ رحِمَكَ اللهُ عزَّ وجَلَّ، فقلْتُ: عن أيِّ الطَّريقِ تَسْألينَ؟ فبكَتْ، ثمَّ قالَتْ: عن طريقِ النجاةِ؟

فقلْتُ: هَيْهاتَ، إنَّ بينَنا وبينَ طريقِ(٣) النجاةِ عِقابًا(٤)، وتلك العِقابُ(٥) لا تُقْطَعُ إلا بالسيرِ الحثيثِ، وتصحيحِ المُعاملةِ، وحذْفِ العلائقِ الشّاغلةِ مِن أمْرِ الدنيا والآخرةِ، قالَ: فبكَتْ بُكاءً شديدًا، ثمَّ قالَت: يا أحمَدُ سُبحانَ مَن أمسَكَ عليكَ جوارحَكَ فلم تنقطِعْ، وحفِظَ عليكَ فُؤادَكَ فلم يتصدَّعْ(٦)، ثمَّ خرَّتْ مَغشِيًّا عليها، فقلْتُ لبعضِ النساءِ: انظرْنَ أيُّ شيءٍ حالُ هذه الجاريةِ(٧)؟

[٤١/أ] فقمْنَ إليها، فإذا وصيَّتُها في جَيبِها: كفِّنوني في أثوابي هذهِ؛ فإنْ كانَ لي عندَ اللهِ تعالى خيرٌ فهوَ أسعَدُ لي، وإن كانَ غيرُ ذلكَ فبُعدًا لنفسِي، فحرَّكُوها فإذا هيَ ميتةٌ، رحمةُ اللهِ عزَّ وجَلَّ عليها، فقلْتُ: لمَنْ هذه الجاريةُ؟

فقالُوا: جاريةٌ قرشيّةٌ(٨) كانَتْ تشْكُو إلينا وجعًا بجَوْفِها(٩)، فكُنّا نصِفُها

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦).
(٢) «أنا» مثبت من (د).
(٣) في (س) و(ب): «طرق».
(٤) في (د): «عقبات».
(٥) في (د): «العقبات».
(٦) في (س): «ينصدع».
(٧) في (د): «المرأة».
(٨) في (ب): «قريشية».
(٩) في (د): «في جوفها».

لأطباءِ الشامِ، وكانَتْ تقولُ: خلُّوا بينِـي وبينَ الطَّبيبِ الرّاهبِ تعْنِي أحمَدَ بنَ أبي الحواريِّ أشْكُو إليه بعضَ ما أجِدُ مِن بلائِي، لعلَّه يكونُ عندَه شِفائِي»[١]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات الشام]

[١٠٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ الشامِ[٢].

قالَ محمَّدُ بنُ سعدٍ التَّيمِيُّ: «رأيْتُ جاريةً سوداءَ في بعضِ مُدنِ الشامِ، وبيدِها[٣] خُوصٌ تَسُفُّه، وهيَ تقولُ:

لَـكَ عِلْمٌ[٤] بِما يَجِـنُّ فُؤادِي فارْحَمِ اليَوْمَ ذِلَّتِـي وانْفِرادِي

فقلْتُ: يا سوداءُ، ما علامَةُ المُحِبِّ؟ وإذا رجُلٌ قـد صرَخَ بالقرْبِ منها فنظرَتْ إليَّ وإلى الرَّجلِ، وقالَتْ: يا بطّالُ، علامَةُ المُحِبِّ الصّادقِ للهِ في حُبِّه أن يقولَ لهذا المجنونِ: قُمْ، فيقومُ[٥]، فإذا الرَّجلُ قد قامَ، وإذا الجنيّةُ تقولُ لها على لسانِه: وحقِّ صدْقِ حُبِّكِ لربِّكِ لا رجَعْتُ إليه أبدًا»[٦]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ١١)، و«شعب الإيمان» (٢: ٢٨٩).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٧).

(٣) في (د): «ومعها».

(٤) في (د): «قد علمت».

(٥) «فيقوم» ليس في (د).

(٦) انظر: «مصارع العشاق» (٢: ٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٧).

[فاطمة، من عابدات مصر]

[١٠٨] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ مصرَ، واسمُها فاطمةُ، وتُعرَفُ بالصوفيّةِ[١].

لأنّها كانَتْ لا تنامُ إلا في مُصلاها بلا وِطاءٍ، فوقَ ستِّينَ سنةً، وكانَ عمُرُها فوقَ ثمانينَ سنةً[٢]، والله أعلَمُ.

* * *

[عزيزة زوجة الروذباري]

[١٠٩] ومِنْهُنَّ: عزيزةُ[٣].

وزوْجُها السَّيِّدُ الجليلُ الرُّوذبارِيُّ المعروفُ بأبي عليٍّ[٤].

---

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ ابن يونس المصري» (١: ٥٢٨)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٦٣٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٦: ٥١٥).

(٢) انظر: «تاريخ ابن يونس المصري» (١: ٥٢٨)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٦٣٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٦: ٥١٥).

(٣) انظر ترجمتها في: «تاريخ بغداد» (٢: ١٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥)، ذكر السلمي في «ذكر النسوة المتعبدات» (٨٦) أن فاطمة زوجته، والصواب أن فاطمة أخته، وزوجته عزيزة.

(٤) اختلف في اسمه فقيل: أحمد بن محمد بن القاسم. انظر: «طبقات الصوفية للسلمي» (٢٦٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤: ٥٣٥)، و«طبقات الشافعيين» (١٩٧)، و«المقفى الكبير» (١: ٣٨٢)، ورجحه تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣: ٤٨)، وقيل: محمد بن أحمد بن القاسم. ورجحه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢: ١٨٠)، فقال: «أحمد بن عطاء يقول: كان اسم خالي أبو علي أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور ابن شهريار بن مهرقاذار بن فرغدذ بن كسرى. قلت: ولا أشك أن الذي حكى عن أحمد بن عطاء هو الواهم في اسم أبي علي، وذلك أن اسمه: محمد بن أحمد بن القاسم ذكره غير واحد، وحكت عنه أخته أم سلمة فاطمة بنت أحمد، وزوجته: أم اليمن عزيزة بنت محمد =

لها كلامٌ نافعٌ؛ منه: «كيفَ لا أرغَبُ في تَحصيلِ ما عندَكَ وإليكَ مرجِعِي، وكيفَ لا أحِبُّك وما لقِيتُ الخيرَ إلا منكَ، وكيفَ لا أشتاقُ إليكَ وقد شوَّقْتَنِي»[١].

وكانَتْ تقولُ: «لا ينتفِعُ العبْدُ بشيءٍ مِن أفعالِه كما ينتفِعُ بطلَبِ قُوتِه مِن حلالٍ».

وكانَتْ إذا أتَتْ[٢] عليها جِمالُ الحَجيجِ تبْكِي، وتقولُ: «واضعفاهُ»، وتنشِدُ وتقولُ:

وَما بالُ زَعْمِي لا يَهُونُ عَلَيْهِمُ   وقَدْ عَلِمُوا أنْ لَيْسَ لِي مِنْهُمُ بُدُّ

ثم تقولُ: «هذه حسرَةُ مَنِ انقطَعَ عنِ الوصولِ إلى البيتِ، فكيفَ تَرَى حسرَةَ مَنِ انقطَعَ عنِ الوُصولِ إلى ربِّ البيتِ؟»[٣]. [٤١/ب]

والله أعلَمُ[٤].

* * *

= ابن عمرو بن فارس، وحدثني محمد بن علي الصوري، قال: رأيت أجزاء بخط أبي علي الروذباري في آخرها مكتوب، وكتب: محمد بن أحمد بن القاسم. على أن شهرة اسمه تغني عن الاستشهاد بما ذكرته». وانظر: «مرآة الزمان» (١٧: ٨٦).

(١) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥).

(٢) في (د): «مر».

(٣) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٧: ٩١).

(٤) جاء بعدها في (د) وحاشية (س): «ومنهن: فاطمة أخرى يقال لها: بنت عمران. ويقال: إنها رابعة وقتها، وكانت مقيمة على تفقد الفقراء والمساكين، وأهل الحاجات والضرورات والغرباء، فأعطيت استجابة الدعوة، وماتت على ذلك، قدس الله تعالى روحها». اهـ. انظر ترجمتها في «ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات» (١١١).

[تحية النوبية]

[١١٠] ومِنْهُنَّ: تحيّةُ النوبيّةُ[١]، مِن عابِداتِ مصرَ[٢].

قالَ السُّلمِيُّ: سمِعْتُ المالينِيَّ[٣] الصُّوفي يقـولُ: «سمِعْتُ تحيّةَ، وهيَ تُناجِي ربَّها فتقولُ: يا مَن يحِبُّني وأحِبُّه، فقلْتُ لها: يا تحيّةُ، هَبِي أنّكِ تحبِّينَ اللهَ عزَّ وجَلَّ، فمِن أينَ تعلَمِينَ أنّه يحِبُّكِ؟

فقالَتْ: كنتُ في بلدِ النُّوبةِ، وأبوايَ كانا نصرانِيَّيْنِ، وكانَتْ أمِّي تحملنِي[٤] إلى الكنيسةِ وتجيءُ بي[٥] عندَ الصليبِ، وتقول: قبِّلي الصليبَ، فإذا همَمْتُ بذلكَ أرى كفًّا يخرُجُ فيرُدُّ وجْهِي حتَّى لا أقبِّلَه، فعلِمْتُ أنّ عنايتَه بي قديمةٌ»[٦]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات مصر]

[١١١] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ مصرَ.

قالَ محمَّدُ بنُ شجاعٍ الصُّوفي: «كنْتُ بمصْرَ أيّامَ سياحتِي، فتاقَتْ نفْسِي إلى النساءِ، فذكَرْتُ ذلكَ لبعْضِ إخوانِي، فقالَ لي: هنا امرأةٌ صوفيّةٌ لها ابنةٌ مثْلُها جميلةٌ، قد ناهزَتِ[٧] البُلوغَ.

---

(١) في (س): «النوتية».
(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥).
(٣) في (س) و(ب) و(د): «الهاليني».
(٤) في (د): «تعملني».
(٥) جاء بعدها في (س): «إلى».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥).
(٧) في (س): «باهرت».

قالَ: فخطبْتُها وتزوَّجْتُها، فلَمّا دخلْتُ إليها وجدْتُها مستقبلَةَ القبْلةِ، قالَ: فاستحيَيْتُ أنْ تكونَ صبيّةً في مثْلِ سنِّها تصلِّي وأنا لا أصلِّي، فاستقبَلْتُ القبلةَ وصلَّيْتُ ما قُدِّرَ لي حتَّى غلبَتْنِي عيناي فنمْتُ في مُصلاي، ونامَتْ في مُصلاها، فلمّا كانَ في اليومِ الثّاني كانَ مثْل ذلكَ[١] أيضًا، فلمّا طالَ عليَّ، قلْتُ: يا هذهِ، أما[٢] لِاجتماعِنا معْنًى؟

فقالَتْ لي[٣]: أنا في خِدمةِ مَولاي، ومَن له حقٌّ فما أمنَعُه، قالَ: فاستحيَيْتُ مِن كلامِها، وتمادَيْتُ على أمْري نحْوَ الشهرِ، ثمَّ بَدا لي في السفرِ، فقلْتُ لها: يا هذهِ؟ فقالَتْ: لبَّيكَ، قلْتُ: إنِّي أُريدُ السفرَ، فقالَتْ: مُصاحَبًا بالعافيةِ، فقمْتُ، فلمّا صرْتُ بالبابِ، قامَتْ، فقالَتْ لي: يا سيِّدِي، كانَ بينَنا عهْدٌ في الدُّنيا لم يُقْضَ بتمامِه عَسَى في الجنَّةِ إنْ شاءَ الله تعالى، فقلْتُ لها: عَسَى.

فقالَتْ: أستودِعُكَ الله خيرَ مُستودَعٍ، قالَ: فتودَّعْتُ منها وخرَجْتُ، ثمَّ جئْتُ إلى مصرَ بعدَ سنينَ، فسألْتُ عنها، فقيلَ لي: هيَ أفضَلُ ممّا ترَكْتَها عليه مِن العبادَةِ والاجتهادِ»[٤]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ[٥].

---

(١) في (س): «كان مثله». (٢) في (د): «ما».

(٣) «لي» ليس في (ب)، وفي (د): «إلي».

(٤) «التذكرة» للحميدي (٩)، و«جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» (٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٦).

(٥) جاء بعدها في (د) وحاشية (س): «وقال حجاج بن ريان: «دخلت أنا وابن أبي رفاعة مسجد الإسكندرية، فإذا أنا بامرأة قد اعتزلت الناس وعن النساء، وجعلت حولها حظيرة من حجارة، فتقدم إليها ابن أبي رفاعة، وقال لها: ما لي أراك قد اعتزلت النساء وجعلت حولك هذه الحجارة؟ فقالت: يا أبا عبد الرحمن، كلمة من هذه، وكلمة من هذه يضيع عليَّ الوقت ويفسد الصيام، وتبدل الطاعات بالآثام، فالتفتُّ إلى ابن أبي رفاعة، وقال: ترى هذه سمعت من مالكٍ شيئًا؟ يعني: أنّ الله تعالى هو الذي بصَّرَها. فشتان بين هذه الموفَّقةِ وبين =

[عابدة وجدت بعرفات]

[١١٢] ومنهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ بعرفاتٍ. [٤٢/أ]

قالَ عبدُ الله بنُ داودَ الواسطِيُّ: «بينا أنا واقِفٌ بعرفاتٍ إذا أنا بامرأةٍ وهيَ تقولُ: مَن يهْدِه[١] الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ[٢] فلا هاديَ له، فَقُلْتُ: مَنْ أنْتِ؟ فَقالَت[٣]: امرأةٌ ضالةٌ، فنزَلْتُ عن بَعيرِي، وقلْتُ لها: يا هذه ما قصَّتُكِ؟ فقالَتْ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فقلْتُ في نفسِي: حروريّةٌ لا تَرَى كلامَنا، فقلْتُ: مِن أينَ أنتِ؟ فقرأتْ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، فأركبْتُها بَعيرِي، وقدْتُ بها أريدُ رِحالَ[٤] بيتِ المقدسِ، فلمّا توسَّطْتُ، قلْتُ لها: يا هذه لمَنْ أصوِّتُ؟ فقرأتْ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، فناديْتُ: يا داودُ، يا زكريّا، يا يَحْيى، فخرَجَ إليَّ ثلاثةُ فتيانٍ مِن بينِ الرحالِ، فقالُوا: أمُّنا وربِّ الكعبةِ، ضلَّتْ منذُ ثلاثٍ[٥]، فأنزَلُوها، وأكرَمُوني، فقلْتُ: ما لها لا تتكلَّمُ؟ فقالُوا: ما تكلَّمَتْ منذُ ثلاثينَ سنةً؛ مخافَةَ أن تزِلَّ»[٦]. والله أعلَمُ.

= من لا تهتدي بنفْسِها حتى تأتي بنفسها إلى من تحادثها، وتطلق لسانها فما تقومُ إلا بكارهٍ من الآثام مع فساد الصيام». اهـ.

(١) في (د): «يهدي». (٢) في (ب): «يضل».

(٣) قوله: «من أنت فقالت» مثبت من «حلية الأولياء».

(٤) كذا في المصادر، وفي النسخ: «رجال». (٥) في (د): «ثلاثة».

(٦) في (د): «مخافة أن يزل لسانها رحمة الله عليها». وانظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ١٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٣).

[عابدة كانت بالطواف]

[١١٣] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ كانَتْ بالطَّوافِ.

قالَ مالِكُ بنُ دِينارٍ: «بينا[١] أنا أطوفُ بالبيتِ، وإذا[٢] أنا بجُويريَةٍ مُتعبِّدةٍ، وإذا هيَ تقولُ: يا ربِّ، كم مِن شهوةٍ قد ذهبَتْ لذَّتُها وبقِيَتْ تبِعَتُها، يا ربِّ ما كانَ لك[٣] عقوبةٌ ولا أدبٌ إلا النارَ، فوالله ما زالَتْ كذلكَ حتَّى طلَعَ الفجْرُ.

قالَ مالِكٌ: فوضَعْتُ يدي على رأسِي ثمَّ صرَخْتُ وجعَلْتُ أقولُ[٤]: ثَكِلَتْ مالِكًا أمُّه وعدِمَتْه، جُويريَةٌ منذُ اللَّيلةِ قد بطلتْهُ»[٥]، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة]

[١١٤] ومنهُنَّ: عابِدةٌ.

قالَ عبدُ العزيزِ بنُ أبي روّادٍ[٦]: «دخَلَ قومٌ حُجّاجٌ ومعَهم امرأةٌ، وهيَ تقولُ: أينَ بيتُ ربِّي؟ فنقولُ: السّاعةُ ترينَهُ، فلمّا رَأَوْه، قالُوا: هذا بيتُ ربِّكِ، فخرَجَتْ تشتَدُّ، وتقولُ: بيتُ ربِّي، / حتَّى وضَعَتْ جبْهَتَها على البيتِ[٧]، فوالله [٤٢/ب]

(١) في (ب): «بيتنا». (٢) في (د): «إذا».

(٣) في (س): «ذلك».

(٤) في (د): «وجعلت أقول: هذه هي الخاتمة»، وما بعدها لنهاية الترجمة ليس في (د).

(٥) «أخبار مكة» للفاكهي (٦٥٢)، و«فضائل مكة» لأبي سعيد الجندي (١١٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٣١)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٥: ٢٢٨٧).

(٦) في (ب) و(د): «داود».

(٧) في (د): «جبهتها عليه».

ما رُفِعَتْ إلا ميِّتةً»(١). والله أعلَمُ(٢).

* * *

[عابدة وجدت في البيت]

[١١٥] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ عند البيتِ(٣).

قالَ إبراهيمُ بنُ مُسلمٍ: «وقَفَتِ امرأةٌ متعبِّدةٌ في جوفِ اللَّيلِ فتعلَّقَتْ بأستارِ الكعبةِ، ثمَّ بكَتْ، وقالَتْ: يا كريمَ الصُّحبةِ، ويا حسَنَ المَعونةِ، أتيتُكَ مِن شُقَّةٍ(٤) بعيدةٍ، متعرِّضةً لمعروفِكَ الذي وسِعَ كُلَّ شَيءٍ مِن(٥) خلْقك، فأنلْنِي مِن مَعروفِكَ مَعروفًا تغْنِيني(٦) به عن معروفِ مَن سِواكَ، يا أهْلَ التَّقوى وأهلَ المَغفرةِ، ثمَّ صرخَتْ صرخَةً سقَطَتْ لوجْهِها»(٧). والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة وجدت عند الكعبة شرفها الله عز وجل]

[١١٦] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ عندَ الكعبةِ شرَّفَها الله عزَّ وجَلَّ.

---

(١) «أخبار مكة» للفاكهي (٢٣٦)، و«المدهش» (١٤٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٦).

(٢) جاء في حاشية (ب): «قال في «طهارة القلوب»: قال أبو طارق: شهدت ثلاثين رجلًا أتوا إلى مجلس الذكر صِحاحًا، فتصدعت قلوبهم من خشية الله فماتوا كلهم في مجلس واحد». اهـ.

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٧).

(٤) في (د): «مشقة».

(٥) قوله: «كل شيء من» مثبت من (د).

(٦) في (د): «فأغنني».

(٧) في (د): «على وجهها». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٧).

قالَ سعيدٌ[١] الأزرقُ: «دخَلْتُ الطَّـوافَ ليلًا، فبينا أنا أطوفُ وإذا بامـرأةٍ في الحِجْرِ ملتزمةَ البيتِ قد عَلا نشيجُها[٢]، فدنَوْتُ منها فسمِعْتُها وهيَ تقولُ: يا مَـن لا تـراهُ العُيونُ، ولا تخالِطُـه الأوهامُ والظُّنـونُ، ولا تغيِّـرُه الحـوادثُ، ولا يصِفُه الواصفونَ، يا عالمًا بمثاقيلِ الجبـالِ، ومكاييلِ البحـارِ، وعـددِ قطْـرِ الأمطـارِ، وورَقِ الأشجـارِ، وعـددِ ما أظلَمَ عليـه اللَّيلُ وأشـرَقَ عليه النَّهـارُ، أسألُكَ أن تجعل خيرَ عُمُري آخِرَه، وخيرَ عملِي خواتمَه[٣]، وخيرَ أيّامي يومَ لقائِكَ، وخيرَ ساعاتِي ساعةَ مُفارقةِ الأحبّاءِ[٤] مِن دارِ الفناءِ إلى دارِ البقاءِ، التي تكرِمُ فيها مَن أحبَبْتَ مِن أوليائِكَ[٥]، أسألُكَ يا إلهي عافيةً جامعةً لخيرَي[٦] الدُّنيا والآخرةِ، مَنًّا منكَ عليَّ وتطوُّلًا، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، ثمَّ صرَخَتْ وغُشِيَ عليها»[٧]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة رؤيت في الطواف]

[١١٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ رُؤيَتْ في الطوافِ.

قـالَ ذو النُّـونِ المصـريُّ رحمةُ اللهِ عليـه: «خـرَجْتُ حاجًّا إلـى بيتِ اللهِ الحرامِ، فبينا أنا أطوفُ إذا أنا بشخصٍ متعلِّقٍ[٨] بأستارِ الكعبةِ يبْكِي ويقولُ: كتمْتُ بلائـي مِن غيـرِكَ، وبحْتُ بسـرِّي إليكَ، واشتغَلْتُ بكَ عن سِـواكَ[٩]،

---

(١) في (د): «سعد».
(٢) في (د): «تسبيحًا».
(٣) في (س): «خواتيمه».
(٤) في (د): «الأحياء».
(٥) في (س): «أولئك».
(٦) في (ب) و(د): «بخيري».
(٧) «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (١٠٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٧).
(٨) في (د): «معلق».
(٩) في (ب): «عن من سواك».

عجِبْتُ لمَنْ عرَفَكَ كيفَ يسْلُو(١) عنكَ، ولمَنْ ذاقَ حُبَّكَ كيفَ يصبرُ عنكَ، ثمَّ أقبَلَ على نفْسِه فقالَ: أمْهَلَكِ فما ارعَوَيْتِ ، وسترَكِ فما استحيَيْتِ، وسلَبَكِ [٤٣/أ] حلاوةَ المُناجاةِ فما باليتِ(٢)، عزيزي ما لي إذا قمْتُ بينَ يديْكَ ألقيْتَ عليَّ النُّعاسَ، ومنعْتَنِي حلاوةَ الخدمَةِ، لِمَ قرَّةَ عيْنِي لمَهْ، ثمَّ أنْشدتْ تقولُ:

رَوَّعْتَ قَلْبِي بِالفِراقِ فلَمْ أجِدْ ... شَـيْئًا أمَرَّ مِنَ الفِراقِ وأوْجَعا
حَسْـبُ الفراقِ بأنْ يُفرِّقَ بَيْنَنا ... فلَطالَ(٣) ما قَدْ كُنْتُ مِنْهُ مُفَزَّعا

فلم أتمالَكْ أنْ أتيْتُ الكعبَةَ مُستَخفيًا، فلَمّا أحَسَّ بي تجلَّلَ بخِمارٍ كانَ عليه، ثمَّ قالَ: يا ذا النُّونِ غُضَّ بصرَكَ(٤) فإنِّي حرامٌ، فعلِمْتُ أنّها امرأةٌ، فقلْتُ: واللهِ، لقد شغَلَنِي قوْلُكِ عن كثيرٍ ممّا كنْتُ فيه.

فقالَتْ: ولِمَ عافاكَ اللهُ عزَّ وجَلَّ، أما علِمْتَ أنَّ للهِ عبادًا لا يشغَلُهم سِواه، ولا يمِيلونَ إلى ذكْرِ غيْرِه؟»(٥). واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة وجدت في الطواف]

[١١٨] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في الطوافِ(٦).

---

(١) في (د): «يسأل». (٢) في (س) و(ب): «بليت».

(٣) في (د): «فطال».

(٤) في (س): «برك».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٧-٥١٨)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٥: ١٨٨).

(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٨).

قالَ ذو النُّونِ المصريُّ: «كنْتُ في الطَّوافِ فسمِعْتُ صوتًا حزينًا، وإذا بجاريةٍ متعلِّقةٍ بأستارِ الكعبةِ وهيَ تقولُ:

أنْتَ تَـدْرِي يـا حَبِيبِي ... مَنْ حَبِيبِي أنْـتَ تَدْرِي

وَنُحُولُ الجِسْـمِ والدَّمْـ ... ـعِ يَبُوحَـانِ بِسِـرِّي

يا عَزِيـزِي قَدْ كَتَمْتُ الـ ... ـحُبَّ حَتَّى ضاقَ صَدْرِي

قالَ ذو النُّون: فشَجاني ما سمِعْتُ حتَّى انتحَبْتُ وبكَيْتُ، وقالَتْ: إلهي وسيِّدي ومولاي، بحُبِّكَ لي إلا ما غفَرْتَ لي، قالَ: فتعاظَمَنِي ذلكَ، وقلْتُ: يا جاريةُ، أما يكْفيكِ أن تقولِي: بحُبِّي لكَ، حتَّى تقولِي: بحُبِّكَ لي؟

فقالَتْ: إليكَ عَنِّي[1] يا ذا النُّونِ؛ أما علِمْتَ أنّ لله عزَّ وجَلَّ قومًا يحبُّهم قبلَ أن يحبُّونَه، أما سمِعْتَ الله عزَّ وجَلَّ يقولُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فسبَقَتْ محبَّتُه لهم قبلَ محبَّتِهم له.

فقلت: مِن أينَ علمتِ[2] أنِّي ذو النُّونِ؟ فقالَتْ: يا بطَّالُ، جالَتِ[3] القلوبُ في ميدانِ الأسرارِ فعرَفْتُكَ، ثمَّ قالَتْ: انظُرْ خلْفَكَ، فأدَرْتُ وجْهِي، فلا أدري السماءُ اقتلعَتْها[4] أمِ الأرضُ ابتلعَتْها؟»[5]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة أخرى رؤيت عند الكعبة]

[١١٩] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ أُخرى رُؤِيَتْ عندَ الكعبةِ شرَّفَها الله عزَّ وجَلَّ[6].

---

(١) «عني» مثبت من (د).

(٢) في (ب): «علمتي».

(٣) في (د): «حالت».

(٤) في (د): «اتلقتها».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٨).

(٦) انظر: المصدر السابق.

[٤٣/ب] قالَ أبو الأشهبِ السائحُ[١]: «بينا أنا في الطَّوافِ[٢] إذا بجاريةٍ[٣] متعلِّقةٍ بأستارِ الكعبةِ، وهيَ تقولُ: يا وحشَتِي بعدَ الأنسِ، ويا ذلّتِي[٤] بعدَ العزِّ، ويا فقْرِي بعدَ الغِنى، فقلْتُ لها[٥]: ما لكِ أذهَبَ لكِ مالٌ، أو أُصبْتِ بمصيبةٍ؟

فقالَتْ[٦]: لا، ولكن كانَ لي قلْبٌ فقَدْتُه، فقلْتُ: وهذه[٧] مُصيبتُكِ؟ فقالَتْ: وأيُّ مُصيبةٍ أعظَمُ مِن فقْدِ القلْبِ وانقطاعِه عنِ المَحبوبِ، فقلْتُ لها: إنّ حُسنَ[٨] صوتِكِ قد عطَّلَ على مَن سَمِعَ الكلامَ الطَّوافَ، فقالَتْ[٩]: يا شيخُ، البيتُ بيتُكَ أم بيتُه، والحرَمُ حرمُكَ أم حرَمُه؟

قلْتُ: بل حرَمُه، فقالَتْ: فدَعْنا نتدلَّلُ عليه على[١٠] قدْرِ ما استزارنا[١١] إليه، ثمَّ قالَتْ: بحُبِّكَ لي إلا ما ردَدْتَ قلْبي، فقلْتُ: من أينَ تعلمينَ أنّه يحِبُّكِ؟ فقالَتْ: جيَّشَ مِن أجلي الجُيوشَ، وأنفَقَ الأموالَ، وأخرجَنِي من دارِ الشِّركِ، وأدخلَنِي في التَّوحيدِ، وعرَّفَنِي نفْسَه بعد جهْلِي إيّاه، فهل هذا إلا لعنايةٍ[١٢]؟ فقلْتُ: كيفَ حُبُّكِ له؟

فقالَتْ: أعظَمُ شيءٍ وأجَلُّه[١٣]، قلْتُ: وتعرفينَ الحُبَّ؟ فقالت: إذا جهِلْتُ الحبَّ فأيُّ شيءٍ أعرِفُ؟! إنّه لحُلوُ المُجْتنى ما اقتصَرَ، فإذا فرطَ عادَ خَبَلًا قاتلًا

(١) في (د): «السباع».
(٢) في (د): «بينا أنا أطوف».
(٣) في (س) و(ب): «بجويرية».
(٤) في (س): «ذلي».
(٥) «لها» ليس في (ب).
(٦) في (د): «فقلت».
(٧) في (ب) و(س): «هذه».
(٨) «حسن» ليس في (د).
(٩) في (د): «فقال».
(١٠) في (س): «على ما».
(١١) في (د): «استزاره».
(١٢) في (د): «بعنايته».
(١٣) في (س) و(ب): «واجده».

وفسادًا[١] مُعْضِلًا، وهوَ شجرةٌ غرْسُها كريهٌ، ومَجْناها لذيذٌ، ثمَّ أنشدتْ[٢] بعدَ أنْ ولَّتْ تقولُ[٣]:

وذِي[٤] قَلَـقٍ لا يَعْرِفُ الصَّبْرَ والعَزا ... لَـهُ مُقْلَةٌ عَبْـرَى[٥] أضَرَّ بِهـا البُكا
وَجِسْمٌ نَحِيلٌ مِنْ شَجًى لاعِجِ الهَوَى ... فمَنْ ذا يُداوِي المُسْـتَهامَ مِنَ الضَّنا
وَلا سِـيَّما والحُـبُّ صَعْـبٌ مَرامُهُ ... إذا عَطَفَتْ مِنْـهُ العَواطِفُ بِالفَنا»[٦]

* * *

[عابدة وجدت بالطواف]

[١٢٠] ومِنْهُنَّ: عابدةٌ وُجِدَتْ في الطوافِ.

قالَ أبو القاسمِ الجُنيدُ رحمةُ الله عليه: «حجَجْتُ مرَّةً على الوحدةِ، فجاوَرْتُ بمكَّةَ، فكنْتُ إذا جنَّ اللَّيلُ دخلْتُ الطَّوافَ، فبينا أنا ليلةً إذا أنا بجاريةٍ تطوفُ، وتقولُ:

أَبَى الحُبُّ أنْ يَخْفَى وكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ ... فأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أنـاخَ وطَنَّبا[٧]
إذا اشْتَدَّ شَـوْقِي هامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ ... وإنْ رُمْـتُ قُرْبًا مِـنْ حَبِيبِي تَقَرَّبا
وَيَبْـدُو فأَفْنَـى ثُـمَّ أحْيـا بِـهِ لَهُ ... ويُسْـعِدُنِي حَتَّـى أَلَـذَّ وأطْرَبا [٤٤/أ]

فقلْتُ: يا جاريةُ، أما تتَّقِينَ الله عزَّ وجَلَّ! في مثْلِ هذا المكانِ تتكلَّمِينَ[٨] بمثْلِ هذا؟ فالتفَتَتْ إليَّ وقالَتْ: يا جنيدُ:

---

(١) في (ب): «وفاسدًا».
(٢) في (س): «أنشأت».
(٣) في (د): «تقول شعر».
(٤) في (د): «وذا».
(٥) في (س): «عبر».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٨-٥١٩).
(٧) في (س) و(ب): «وطيبا». وطَنَّبَ بالمكان: أقام به. انظر: «تاج العروس» (٣: ٢٨٠).
(٨) في (ب): «تتكلمي»، وفي (س): «يتكلمين».

لَــوْلا التُّقَى لَمْ تَرَنِــي أَهْجُــرُ طِيــبَ الوَسَــنِ
إنّ التُّقَــى شَــرَّدَنِي كَما تَــرَى عَــنْ وطَنِي
أفِـرُّ مِــنْ وجْـدِي لَــهُ فَــحُــبُّــهُ هَــيَّــمَــنِــي

ثمَّ قالَتْ: يا جنيدُ، تطوفُ بالبيتِ أم بربِّ البيتِ؟

فقلْتُ: أطوفُ بالبيتِ، فقالَتْ: سُبحانَك ما أعظَمَ مشيئَتَكَ في خلْقِك، خلْقٌ كالأحجارِ يطوفونَ بالأحجارِ، ثمَّ أنشدتْ[١] تقولُ:

يَطُوفُــونَ بِالأحْجارِ يَبْغُــونَ[٢] قُرْبَةً إلَيْكَ وهُمْ أَقْسَــى قُلُوبًا مِنَ الصَّخْرِ
وَتاهُوا فلَمْ يَدْرُوا مِــنَ التِّيهِ مَنْ هُمُ وحَلُّوا مَحَلَّ القُرْبِ في باطِنِ الفِكَرِ
فَلَوْ أخْلَصُوا في الوُدِّ غابَتْ صِفاتُهُمُ وقامَتْ صِفاتُ الوُدِّ لِلْحَقِّ بِالذِّكْرِ»[٣]

واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة وجدت في طريق السياحة]

[١٢١] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في طريقِ السياحةِ[٤].

قالَ ذو النونِ المصريُّ[٥] رحمه الله: «بَيْنا أنا أسيرُ في الباديةِ رأيْتُ امرأةً متعبِّدةً، فلمّا أنْ دنَتْ منِّي سلَّمَتْ عليَّ فرَدَدْتُ عليها السَّلامَ، فقالَتْ لِي[٦]: من

(١) في (س) و(ب): «أنشأت». (٢) في (د): «يبنون».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٢٧٢)، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه» (٤: ٢٥٣).
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٤).
(٥) في (ب): «قال ذو المصري». (٦) «لي» ليس في (س) و(د).

أينَ أقبلْتَ؟ فقلْتُ: مِن عندِ حكيمٍ لا يوجَدُ مثْلُه، فصاحَتْ وقالَتْ: ويْحَكَ[١]، وكيفَ فارقْتَه وهوَ أنيسُ الغُرباءِ؟

فأوجَعَ قلْبي كلامُها، فبكَيْتُ، فقالَتْ لي: مِمَّ بكاؤُكَ؟ فقلْتُ: وقَعَ الدَّواءُ على الدّاءِ، فأسرَعَ في نجاحِه، فقالَتْ: إنْ كنتَ صادقًا فلِمَ بكَيْتَ؟ فقلْتُ: والصّادقُ لا يبْكِي! فقالَتْ: لا[٢]؛ لأنّ البُكاءَ راحةٌ للقلْبِ، وهذا نقْصٌ عند ذَوي العقولِ يا بطّالُ، فقلْتُ: علِّمِيني شيئًا ينفَعُني الله عزَّ وجَلَّ به، فقالَتْ: ويْحكَ ما[٣] أفادَكَ الحكيمُ مِن الفوائدِ ما تستغْنِي به عن طلَبِ الزَّوائدِ[٤].

فقلْتُ: إنْ رأيتِ أنْ تُعلِّمِيني شيئًا فافعَلِي، فقالَتْ: اخدُمْ مولاكَ؛ شوقًا إلى لقائِه، فإنّ له يومًا يتجلَّى فيه لأوليائِه، وأنّه سُبحانَه وتعالَى سَقاهُم في الدُّنيا مِن محبَّتِه كأسًا[٥] لا يَظْمَؤُونَ بعدَها أبدًا، ثمَّ أقبَلَتْ تبْكِي، وتقولُ: سيِّدي[٦]، إلى كم تدَعُني في دارٍ لا أجِدُ فيها مَن يساعدُني على بلائِي؟ ثمَّ مضَتْ وهيَ تقولُ:

إذا كانَ داءُ العَبْـدِ حُـبَّ مَلِيكِـهِ فَمَنْ دُونَهُ يَرْجُو[٧] طَبِيبًا مُداوِيا»[٨] / [٤٤/ب]

* * *

[عابدة وجدت في السياحة]

[١٢٢] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في السياحةِ.

قالَ ذو النونِ: «كنْتُ في تيهِ بني إسرائيلَ ومعي صاحبٌ لي، فرأيْتُ امرأةً

(١) في (د): «ويلك».
(٢) «لا» ليس في (د).
(٣) في (د): «وما».
(٤) في (د): «الفوائد».
(٥) في (د): «كاسات».
(٦) «سيدي» ليس في (د).
(٧) في (د): «يرجى».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٤).

عليها مِدْرعةٌ مِن شَعرٍ وخِمارٌ مِن صوفٍ، وفي يدِها عكّازٌ مِن حديدٍ، فقلْتُ: السلامُ عليكِ ورحمةُ الله وبركاتُه، فقالَتْ: وعليكَ السلامُ؛ ما للرجالِ وخطابِ النساءِ عافاكَ الله عزَّ وجَلَّ، فقلْتُ: أخوكِ ذو النونِ المصريُّ، فقالَتْ: حيّاكَ الله تعالى بالسلامِ، فقلْتُ: فما تَصنعينَ ههنا؟

فقالَتْ: كلَّما أتيْتُ إلى بلدٍ يُعصَى فيها الحبيبُ ضاقَ عليَّ ذلكَ البلدُ، فأنا أطلُبُ بقعةً طاهرةً أخرُ[١] عليها ساجدةً أناجِيه، بقلبٍ[٢] ذابَ مِن شدَّةِ الشَّوقِ إلى لقائِه.

فقلْتُ: ما سمِعْتُ أحدًا يذكُرُ الحبيبَ أحسَنَ مِن ذكْرِكِ، فأيُّ شيءٍ المحبّةُ؟ فقالَتْ: سُبحانَ الله العظيمِ، وأنتَ الواعظُ الحكيمُ وتسألُني؟ ثمَّ قالَتْ: أوَّلُ المحبّةِ يبعَثُ على الكدِّ الدّائمِ، حتَّى إذا وصَلَتْ أرواحُهم إلى أعلى الصِّفاتِ جرَّعَهم مِن محبته لذيذَ الكؤوسِ، ثمَّ صرَخَتْ وخَرَّتْ مَغشيًّا عليها، ثمَّ أفاقَتْ وهيَ تقولُ:

أُحِـبُّـكَ حُـبَّـيْـنِ حُـبَّ الرِّضا ... وحُـبًّـا لِأَنَّـكَ أهْـلٌ لِـذاكـا[٣]

فَأَمّـا الذِي هُـوَ حُـبُّ الرِّضا[٤] ... فذِكْـرٌ شُـغِلْتُ بِـهِ عَنْ سِـواكا

وَأمّـا الـذِي أنْـتَ أهْـلٌ لَـهُ ... فكَشْـفُكَ لِلْحُجْبِ حَتَّـى أراكا

فَمـا الحَمْـدُ فـي ذا ولا ذاكَ لِي ... ولَكِنْ لَكَ الحَمْدُ في ذا وذاكا»[٥].

والله أعلمُ.

---

(١) في (د): «وأخر».
(٢) في (س): «فقلب»، وفي (د): «فقلبي».
(٣) في (س): «لذاك»، وكذا في باقي الأبيات بدون الإشباع.
(٤) في «الحلية»: «الهوى».
(٥) في (د): «ذاكا». وانظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩: ٣٤٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٢٥).

[عابدة وجدت في السياحة]

[١٢٣] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في السياحةِ.

قالَ ذو النـون رحمه الله: «بينا أنا أسيرُ[١] فـي جبالِ أنطاكيةَ إذا أنا بجاريةٍ كأنّها مجنونةٌ، وعليها جُبَّةٌ مِـن[٢] صوفٍ، فسلَّمْتُ عليها فردَّتْ عليَّ السلامَ، ثمَّ قالَتْ: ألسْتَ ذا[٣] النونِ؟ فقلْتُ: عافاكِ الله عزَّ وجَلَّ: كيفَ عرفتِيني[٤]؟

فقالَتْ: عرَفْتُكَ بمعرفةِ حُبِّ الحبيبِ، ثمَّ قالَتْ: أسأَلُكَ عن مسألةٍ، فقلْتُ: سَلِي، فقالَتْ: أيُّ شيءٍ السخاءُ؟ فقلْتُ: البذْلُ والعطاءُ، فقالَتْ: هذا في الدنيا، فما السخاءُ في الدِّينِ؟ فقلْتُ: المسارعَةُ إلى طاعةِ الله عزَّ وجَلَّ، فقالَتْ: فإذا سارَعْتُ إلى طاعةِ الله عـزَّ وجَلَّ[٥] / فهوَ أنْ يطَّلعَ على قلْبك وأنتَ لا تريدُ منه [٤٥/أ] شيئًا، ويْحَكَ يا ذا النونِ، إنِّي أريدُ أن أطلُبَ منه شهوةً منذُ عشرين سنةً فأستحْيي منه مخافةَ أن أكونَ كأجيرِ السُّوءِ إذا[٦] عمِلَ طلَبَ الأجرةَ، ولكِنْ أعمَلُ؛ تعظيمًا لهيبتِهِ وعزِّ جلالِه، ثمَّ مرَّتْ وتركَتْنِي»[٧]، رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة وجدت في السياحة]

[١٢٤] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في السياحةِ[٨].

---

(١) في (د): «سائر».
(٢) «من» ليس في (د).
(٣) في (ب): «ذو».
(٤) في (د): «عرفتني».
(٥) جاء بعدها في «حلية الأولياء»: «تحب منه خيرًا؟ قلتُ: نعم للواحد عشرة، قالت: مر يا بطال، هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة إلى طاعة المولى».
(٦) في (د): «وإذا».
(٧) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩: ٣٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٢٦).
(٨) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٦).

قالَ ذو النونِ المصريُّ: «بينا أنا أسيرُ في تيهِ بني إسرائيل إذا أنا بجاريةٍ سوداءَ قد استلَبَها[1] الوَلَهُ مِن حُبِّ الرَّحمنِ، فقلْتُ: السلامُ عليكِ يا أُختاهُ، فقال: وعليكَ السلامُ يا ذا النونِ، فقلْتُ: ومن[2] أينَ عرفتيني؟

فقالَتْ: يا بطّالُ، إنّ الله عزَّ وجَلَّ خلَقَ الأرواحَ قبلَ الأجسام[3] بألفَيْ عامٍ[4]، ثمَّ أدارَها حولَ العرشِ، فما تعارَفَ منها ائتلَفَ، وما تناكَرَ منها اختلَفَ[5]، فعرَفَتْ رُوحي روحَكَ في ذلكَ الجوَلانِ.

فقلْتُ: إنّي لأراكِ[6] حكيمةً فعلِّميني شيئًا ممّا علَّمَكِ الله عزَّ وجَلَّ، فقالَتْ: يا أبا الفيضِ، ضعْ على جوارِحِكَ ميزانَ القسْطِ حتَّى يذوبَ كلُّ ما كانَ لغيرِ الله عزَّ وجَلَّ، ويبْقَى القلْبُ مُصفًّى ليسَ فيهِ غيرُ الرَّبِّ عزَّ وجَلَّ، فعندَ ذلكَ يقِيمُكَ على البابِ، ويولِّيكَ ولايةً جديدةً، ويأمُرُ الخُزّانَ[7] لكَ[8] بالطّاعةِ،

---

(١) في (ب): «استقبلها». (٢) في (د): «من».

(٣) في (س) و(ب): «الاجساد».

(٤) ورد في معناه حديث عن النبي ﷺ، ذكره الديلمي في «الفردوس» (٢٩٣٧) عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «خلق الله عز وجل الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فأمرت بالطاعة لي والسلام علي، فأول روح آمن بي وصدقني من الرجال روح أبي بكر وأول روح آمن بي وسلم علي من النساء عائشة». وقال ابن عباس: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، وشهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر، فقالَ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾». وانظر: «تفسير البغوي» (٢: ١٨)، و«رسائل الإمام الغزالي» (١: ٣٦٦).

(٥) يشير إلى حديث أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت النبي ﷺ، يقول: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في (د): «أراك». (٧) في (د): «الجبان».

(٨) «لك» ليس في (ب).

فقلْتُ: زِيديني(١)، فقالَتْ: خُذْ مِن نفسِكَ لنفسِكَ، وأطِعِ الله عزَّ وجَلَّ إذا خلَوْتَ يجِبْك(٢) إذا دعَوْتَ»(٣)، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات السواحل]

[١٢٥] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ السواحِلِ.

قالَ ذو النونِ المصريُّ: «بينا أنا أسيرُ على ساحلِ البحرِ إذ أبصَرْتُ جاريةً عليها خِمارٌ مِن(٤) شعرٍ، وإذا هيَ ناحلةٌ ذابلةٌ، فدنَوْتُ منها؛ لأسمَعَ ما تقولُ، فرأيْتُها(٥) متَّصلةَ الأحزانِ بالأسحارِ، فعصَفَتِ الرِّياحُ واضطرَبَتِ الأمواجُ، فصرَخَتْ ثمَّ سقطَتْ إلى الأرضِ، فلمّا أفاقَتْ نَحِبَتْ(٦)، ثمَّ نادَتْ: يا سيِّدي، بكَ تفرَّدَ المتفرِّدونَ(٧) في الخلَواتِ، ولعظمَتِك سبَّحَتِ النينانُ(٨) في البحارِ الزّاخراتِ، ولجلالِ قدْسِكَ اصطفَقَتِ الأمواجُ المُتلاطماتُ، أنتَ الذي سجَدَ [٤٥/ب] لكَ سوادُ(٩) اللَّيلِ وضوءُ النَّهارِ، والفلَكُ الدَّوّارُ، والبحرُ الزَّخارُ، والقمرُ النَّوّارُ، وكلُّ شيءٍ عندكَ بمقدارٍ، ثمَّ أنشأَتْ(١٠) تقولُ:

---

(١) في (د): «زيدي».

(٢) في (ب): «بحبك»، وفي (د): «يجيبك».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٦).

(٤) «من» مثبت من (د).

(٥) في (د): «فرأيت».

(٦) في (د): «بكت».

(٧) في (د): «المنفردون».

(٨) في (د): «الحيتان». والنينان: جمع نونٍ، وهي الحيتان. انظر: «النهاية» (٢: ١٥٣)، و«لسان العرب» (٢: ٤٣٧)، و«تاج العروس» (٣٦: ٢٣٢).

(٩) في (د): «ظلام».

(١٠) في (د): «أنشدت».

يا مُؤْنِسَ الأبْرارِ في خَلَواتِهِمْ ... يا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ[١] بِه النُّزَّالُ»[٢]

والله أعلَمُ.

* * *

[هنيدة، عابدة مغربية]

[١٢٦] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مغربيّةٌ[٣].

قالَ عامرُ بنُ أسلَمَ: «كانَتْ لنا جاريةٌ في الحيِّ يقالُ لها: هُنيدةُ، فكانَتْ تقومُ إذا مَضَى مِن اللَّيلِ ثلُثُه أو نصْفُه، فتوقِظُ ولدَها وزوْجَها، فتقولُ: قُوما وصلِّيا، فستَغتَبِطانِ[٤] بكلامِي هذا، فكانَ هذا دأْبَها معَهما حتَّى ماتَتْ، فرَأى زوْجُها في منامِه: إن كنْتَ تحِبُّ أنْ تكونَ زوْجَها هناكَ فاخلُفْها في أهْلِها بمثْلِ فعْلِها[٥]، فلم يزَلْ ذلكَ دأْبَ الشَّيخِ حتَّى ماتَ، فرَأى أكبَرُ ولدِه في منامِه، فقيلَ له: إن كنْتَ تحِبُّ أن تجاوِرَ أبويكَ في درجتِهما في الجنَّةِ فاخلُفْهما في أهْلِهما بمثْلِ عملِهما، فلم يزَلْ ذلكَ دأبَه حتَّى ماتَ، فكانوا يُدعَوْن القوّامينَ»[٦]، والله أعلَمُ.

* * *

(١) في (د): «خطب».

(٢) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩: ٣٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩٠)، و«منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين» (٥٥).

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠١).

(٤) في (س): «فستغبطان»، وفي «صفة الصفوة»: «فستغتبطون».

(٥) في (د): «عملها».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠١). في (س) و(ب): «يدعون النوامين»، وفي (د): «القوامون».

[عابدة من عابدات الغرب]

[١٢٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ الغربِ[١].

قالَ أبو بكرٍ الهُذلـيُّ: «كانَتْ عابِدةٌ تقولُ: عامِلُوا الله عزَّ وجَلَّ على قدْرِ نعمِه عليكم وإحسانِه إليكم، فإن لم تُطِيقُوا فعلى قدْرِ سَتْرِه عليكم، فإن لم تُطِيقوا فعلى الحياءِ منه، فإن لم تُطِيقوا[٢] فعلى الرَّجاءِ لثوابِه[٣]؛ فإن لم تُطِيقوا فعلى خوفِ عقابِه»[٤]، والله أعلَمُ.

وكانَتْ إذا جـاءَ اللَّيلُ تحزَّمَتْ[٥]، ثمَّ قامَتْ إلـى المحرابِ، ثمَّ تقـولُ: «المحِبُّ لا يسأمُ مِن خدمةِ حَبيبِه»، فإذا جاءَ النَّهارُ خرَجَتْ إلى القُبورِ[٦].

قالَ أبو بكرٍ الهُذليُّ: «فعُوتِـبَتْ في كثرةِ إتيانِها المقابرَ، فقالَتْ: إنَّ القلْبَ القاسِيَ إذا جَفا لم يليِّنْه إلا رسومُ البِلَى، وإنّي لآتِـي[٧] القُبورَ فكأنِّي أنظُرُ وقد خرَجُوا مِن بينِ أطباقِها، وكأنِّـي أنظُرُ إلى تلك الوُجـوهِ المتعفِّرةِ، وإلـى تلك الأجسامِ المتغيِّرةِ[٨]، وإلى تلك الأكفانِ الدنسةِ[٩]، فيا له مِن منظرٍ لو أشربَه العبادُ قُلوبَهم[١٠] ما أثكَلَ مرارتَه للأنفسِ، وأشدَّ/ إتلافَه للأبدانِ»[١١]، والله أعلَمُ. [٤٦/أ]

(١) في (د): «المغرب». وانظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٣).

(٢) قوله: «فعلى قدر ستره عليكم، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا» ليس في (ب).

(٣) في (ب): «ثوابه». (٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٣).

(٥) في (ب) و«صفة الصفوة»: «تحرمت». (٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٣).

(٧) في (ب): «آتي».

(٨) في (س): «المتعبرة»، وفي (ب): «المغيرة».

(٩) في (س): «الدشمة»، وفي (ب): «الدسمة».

(١٠) بعدها في (د): «لذابوا».

(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٣).

[عابدة من عابدات البدو]

[١٢٨] ومنهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ البدوِ[١].

قالَ ابنُ السَّمّاكِ: «ورَدَ نفرٌ على عَجوزٍ فـي بعضِ البوادِي، فسألُوها بيـعَ شاةٍ، فقالَت: ما كنْتُ لأبيعَ لابـنِ سبيلٍ شيئًا، ولكِنْ خُذُوهـا على ما عنـدَ الله عزَّ وجَلَّ»، ثمَّ بَكَى ابنُ السَّمّاكِ، وقالَ: «رحِمَها الله عزَّ وجَلَّ، لقد فقُهَتْ في بدوِها»[٢]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات البوادي]

[١٢٩] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ البوادِي[٣].

قالَ أبو زكريّا الشِّيرازيُّ[٤]: «تُهْتُ[٥] في باديةِ العراقِ أيّامًا كثيرةً، فلم أجِدْ شيئًا أرتفِقُ به، فلمّا كانَ بعدَ أيّام رأيْتُ في الفَلاةِ خِباءَ شَعرٍ فقصَدْتُه، فإذا بيتٌ وعليه سِتْرٌ مُسبَلٌ، فسلَّمْتُ، فردَّتْ عليَّ السَّلامَ[٦] عجوزٌ مِن داخلِ الخِباءِ، وقالَتْ: يا إنسانُ، من أينَ أقبَلْتَ؟

قلْتُ: من مكَّةَ، قالَتْ: وأين تريدُ؟ قلْتُ: الشامَ، فقالَتْ: أرَى شبحَكَ شبَحَ إنسانٍ بطّالٍ، ألا لزِمْتَ زاويةً تجلِسُ فيها حتَّى يأتيَكَ اليقينُ، ثمَّ تنظُرَ هذه الكِسـرَةَ من أيـنَ تأكلُها، ثمَّ قالَتْ: أتقرَأُ القُرآنَ؟

---

(١) في (د): «البدوية». وانظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).

(٤) في (د): «الأنصاري الشيرازي».

(٥) في (د): «لهت».

(٦) «السلام» مثبت من (د).

قلْتُ: نعَمْ، فقالَتْ: اقـرأْ عليَّ آخِـرَ «سُورةِ الفـرقانِ»، فقرَأْتُها، فشهَقَتْ وأُغمِيَ عليها، فلمّا أفاقَتْ بعدَ هويٍّ[1] قرَأتْ هيَ الآياتِ، فأخَذَتْ قراءتُها منِّي أخذًا شديدًا، ثمَّ قالَتْ: يا إنسانُ، اقرَأْها ثانيةً[2]، فقرَأْتُها، فلحِقَها مثْلُ ما لحِقَها في الأوَّلِ، فصبَرْتُ أكثَرَ[3] من ذلكَ فلم تُفِقْ، فقلْتُ: كيفَ أستكشِفُ حالَها أماتَتْ أم لا؟

ثمَّ تركْتُ البيتَ على حالِه ومشيتُ أقلَّ مِن نصفِ ميلٍ فأشرفتُ[4] على وادٍ[5] فيـه أعـرابٌ، فأقبَلَ إلـيَّ غـلامانِ معَهُما جاريـةٌ، فقـالَ أحـدُ الغُلاميـنِ: يا إنسانُ، أتيتَ البيتَ الذي[6] في الفلاةِ؟ قلْتُ: نعَمْ، قالَ: وقرأت[7] القُـرآنَ؟ قلْتُ: نعَمْ، قالَ: قتلْتَ العجوزَ وربِّ الكعبةِ، فمَشَيتُ معَ الغلامينِ والجاريةِ حتَّى أتَيْنا البيتَ، فدخَلَتِ الجاريةُ فكشفَتْ عنها، فإذا هيَ ميِّتةٌ، فأعجَبَنِي خاطرُ الغلامِ، فقلْتُ للجاريةِ: مَن هذانِ الغُلامانِ؟

فقالَتْ: هذانِ جعافرةٌ، وهذه أختُهم منذُ/ ثلاثينَ سنةً ما تستأنِسُ بكلامِ [٤٦/ب] النّاسِ، إذا نزَلْنا تُواري[8] بيتَها في الفلاةِ، وتأكُلُ في كلِّ ثلاثةِ أيّامٍ أكلةً[9]، وتشربُ شَربةً»[10]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (د): «حين». قال الخليل: الهوى: الحين الطويل من الزمان. انظر: «المجموع المغيث» (٣: ٥١٨)، و«لسان العرب» (١٥: ٣٧٢).

(٢) في (د): «ثانيًا».

(٣) في (ب): «أكثره».

(٤) «فأشرفت» مثبت من المصادر.

(٥) في (س): «على واجد».

(٦) «الذي» ليس في (س).

(٧) في (د): «وتقرأ».

(٨) في (د): «بوادي تواري».

(٩) في (د): «أكلة واحد».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).

[عابدة من عابدات البوادي]

[١٣٠] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ البوادِي[١].

قالَ هشامٌ: «خرَجْنا حُجّاجًا[٢]، فنزَلْنا مَنزلًا في بعضِ الطريقِ، فقَرَأ رجلٌ معَنا هـذه الآيةَ[٣]: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] الآية، فسمِعَتِ امـرأةٌ القراءةَ[٤]، فقالَتْ: لـي سبعةُ أعبُدٍ أُشهِدُكم أنّهم أحـرارٌ، لكلِّ بابٍ واحدٌ منهم»[٥]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات البوادي]

[١٣١] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ البوادِي[٦].

قالَ أبانُ: «رأيتُ أعرابيّةً تُمرِّضُ ابنًا لها، فلمّا أفاضَ أغمَضَتْه ثمَّ تنحَّتْ عن[٧] مَقعدِها عندَ رأسِه، ورجَعَتْ إلى مَجلسِها تجاهَه ثمَّ قالَتْ: يا فلانُ، ما حقٌّ[٨] مَن أُلبسَ العافيةَ، وأُسبغَتْ عليه النِّعمةُ، وأُطيلَتْ له النَّظرةُ أن يعجَزَ عنِ التَّوثُّقِ لنفسِه قبلَ حلِّ عقدتِه والحِيالِ بينَه وبينَ نفْسِه[٩]؟

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).

(٢) في (د): «حاجًّا».

(٣) «الآية» ليس في (ب).

(٤) في (ب): «القرآن».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤)، و«التخويف من النار» (٨٢)، و«البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣: ١٣٣٠-١٣٣١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٥).

(٧) في (د): «عند».

(٨) في (د): «ما حتى».

(٩) انظر: «التعازي» لأبي الحسن المدائني (٨٠).

قالَ: فأجابَها أعرابيٌّ: إنّا لم نزَلْ نسمَعُ أنّ الجزعَ إنّما هوَ للنساءِ، فلا يجزَعَنَّ رجلٌ بعدَكِ بمُصيبةٍ، ولقد كرُمَ صبرُكِ، وما أشبَهْتِ النساءَ، فأقبَلَتْ عليه، وقالَتْ: ما ميَّزَ رجلٌ بينَ الصَّبرِ والجزَعِ إلا أصابَ بينَهما مَنهجَيْنِ[١] بَعيدَيِ التَّفاوتِ في حالَيْهِما: أمّا الصَّبرُ فحسَنُ العلانيةِ محمودُ العاقبةِ.

وأمّا الجزَعُ فغيرُ مُعوَّضٍ[٢] عنهُ[٣] معَ مأثمِه، ولو كانا رجلَيْنِ في صُورةٍ كانَ أَوْلاهُما بالغلَبَةِ وحُسنِ الصُّورةِ معَ كرمِ الطبيعةِ[٤] في عاجلِه مِن الدِّينِ وآجلِه، وكَفَى ما وعَدَ[٥] الله فيه لمَنْ ألهَمَه إيّاه»[٦]، والله أعلَمُ.

قد ذكَرْنا نبذَةً يسيرةً مِن صفاتِ هذه الخيِّراتِ، وهُنَّ بحمْدِ الله تعالى كثيراتٌ، ومَن يقدِرُ على حصْرِهِنَّ، وهُنَّ مُتفرِّقاتٌ في القُرى والفَلَواتِ، بل مِن دأْبِهِنَّ إخفاءُ أنفسِهِنَّ، وكتْمُ ما يحصِّلْنَه[٧] مِن الطّاعاتِ.

فلهذا فُتِحَ عليهِنَّ بهذه المزايا والكراماتِ، فتَرَى إحداهُنَّ لو قُطِّعَتْ ما أظهَرَتْ مِن سرِّها قدْرَ خَردلةٍ إلى المَماتِ؛ لأنّ سرَّ المَلِكِ في إظهارِه الطَّردُ، [٤٧/أ] هوَ[٨] والله أشدُّ مِن إراقةِ الدَّمِ؛ لأنّه سببُ توالِي الحَسراتِ.

ومِن علاماتِ صدْقِ حالِ السّالكةِ ألا ترمزَ[٩] بشيءٍ من ذلكَ ولو قُطِّعَتْ إرْبًا إرْبًا، ولو باللَّحَظاتِ.

ومِن علامةِ طرْدِ السّالكةِ بغيرِ صدقٍ: أن تتحلَّى بذكْرِ ما يصدُرُ منها لا سيَّما

---

(١) في (ب): «مهجين».
(٢) في (د): «معرض».
(٣) «عنه» ليس في (ب) و(س).
(٤) في (د): «الطيبة».
(٥) في (ب): «ما عند».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٥).
(٧) في (د): «يحصلهن».
(٨) في (د): «وهو».
(٩) في (د): «تؤمن».

عندَ مُجالسةِ المَخدوعاتِ، فأسألُ الله تعالى أن يوفِّقَنا وإيّاكُنَّ إلى ما فيه رِضا ربِّنا، إنّه ربُّ الظّاهرِ والطوِيّاتِ[1]، وأن يرزُقَنا الصدقَ في جميعِ الحركاتِ والسَّكَناتِ، إنّه على ما يشاءُ قديرٌ وبالإجابةِ جَديرٌ.



(١) في (د): «والمطويات».

فَصْلٌ

ما يتعلق بأسباب المحبة للمحبوب[١]

وهذا فيمَنْ لم يُرزَقْها إلا باكتسابٍ، أمّا مَن منَحَه الله عزَّ وجَلَّ بذلكَ، فهذا قد حصَلَتْ له العنايةُ[٢]، وقد سلَكَ والله بلا تكلُّفٍ في سَبيلِ النهايةِ، وكلا[٣] القسمينِ في القُرآنِ العظيمِ، يعني[٤] المحبّةَ الأصليّةَ والمحبّةَ المكتسبةَ.

فالأصليّةُ مثْلُ قولِه عزَّ وجَلَّ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، واسعُ القدرةِ والعطاءِ، عليم بكلِّ شيءٍ وبمَنْ هوَ أهلٌ لذلكَ[٥].

وهذه المـرتبةُ وهيَ عدمُ خوفِ لـومِ اللائمِ هيَ المرتبةُ العاليةُ؛ لأنّ مـا سِوى الله عزَّ وجَلَّ عندَهم مَحوٌ، فهوَ بمنزلةِ العَدَمِ، ومَن هوَ في حُكمِ العَدَمِ كيفَ يَتخيَّلُ ذو[٦] اللبِّ منه شيئًا، ولهذا تَراهُم يَعْجبونَ[٧] ممَّن يَتخيَّلُ[٨] من

(١) انظر في أسباب المحبة: «إحياء علوم الدين» (٤: ٣٢٧)، و«مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣: ١٨).

(٢) في (د): «الغاية».

(٣) في (د): «وكل».

(٤) في (ب): «معنى»، وفي (د): «بعين».

(٥) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤: ٣٠٠)، و«تفسير ابن كثير» (٣: ١٢٥).

(٦) في (س): «ذوو».

(٧) في (د): «يتعجبون».

(٨) في (س): «يتحيل».

ذلكَ شيئًا، ويقولونَ: الآدمِيُّ بمنزلةِ خشبةٍ[١]، بمَعْنى: أنّه لا ضرَرَ له لنفسِه ولا نفْعَ فيه[٢]، فكيفَ بالغيرِ، فلمّا ذاقُوا طعمَ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، ماتَ ما[٣] سِواه عندَهم، فزهَدُوا في هذا العالَمِ وفيما في[٤] أيدِيهم، فمكَّنَهُم فيما أرادَ مِن خزائنِ مِنَّتِه[٥]، فإذا حزَبَهم[٦] أمرٌ مِن جُوعٍ أو غيْرِه نزَلَتْ عليهم الموائدُ من حيثُ لا يَحتسِبونَ[٧]؛ لأنّ هذه ثمرةُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢]، [٤٧/ب] وحكاياتُهم في مثْلِ ذلكَ كثيرةٌ[٨]، وأشباهُه كثيرةٌ.

قالَ[٩] اللَّيثُ بنُ سعدٍ رحمه الله تعالى: «حجَجْتُ سنةَ ثلاثَ[١٠] عشرةَ ومئةٍ، فأتيتُ مكَّةَ، فلمّا صلَّيْتُ العصرَ رَقِيتُ أبا قبيسٍ[١١]، فإذا أنا برجلٍ جالسٍ وهوَ يدْعُو، فقالَ: يا ربِّ يا ربِّ، حتَّى انقطَعَ نفَسُه، ثمَّ قالَ: يا ربّاهُ يا ربّاهُ، حتَّى

---

(١) في (د): «خشية».
(٢) «فيه» ليس في (ب) و(د).
(٣) «ما» ليس في (د).
(٤) «في» ليس في (ب).
(٥) في (س) و(د): «مننه».
(٦) في (د): «حف بهم».
(٧) في (د): «يحتسب».
(٨) «كثيرة» ليس في (د).
(٩) في (د): «وقال».
(١٠) في (س): «ثلاثة».
(١١) جبل أبي قبيس: وهو الجبل الذي يشرف على الصفا إلى السويداء إلى الخندمة، وكان يسمى في الجاهلية الأمين؛ قال الزبير بن بكّار: وإنما سمي الأمين؛ لأنّ الركن الأسود كان مستودعًا فيه من الطوفان، فلما بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام البيت ناداهما أن الركن في موضع كذا وكذا. وسمي أبا قبيس؛ لأن أول من نهض للبناء فيه رجل من مذحج ويقال من إياد يقال له: أبو قبيس، ويقال: لأن الركن اقتبس منه. انظر: «المسالك والممالك» للبكري (١: ٤٠١)، و«معجم البلدان» (١: ٨٠)، و«العباب الزاخر» (١: ١٦٢)، و«مراصد الاطلاع» (١: ٢٠).

انقطَعَ نفَسُه، ثمَّ قالَ: يا ربِّ يا ربِّ[١]، حتَّى انقطَعَ نفَسُه[٢]، ثمَّ قالَ: يا حيُّ يا حيُّ، حتَّى انقطَعَ نفَسُه، ثمَّ قالَ: يا أرحمَ الرّاحمينَ، حتَّى انقطَعَ نفَسُه، ثمَّ قالَ: اللَّهمَّ إنِّي أشتهِي من هذا العِنبِ فأطعِمْنِيه، اللَّهمَّ إن بُرديَّ قد خَلقا!».

قالَ اللَّيثُ: «فوالله ما استتَمَّ كلامَه حتَّى نظَرْتُ إلى سلَّةٍ مملوءةٍ عِنبًا، وليسَ على وجْهِ الأرضِ يومئذٍ عِنبٌ، وبُردينِ مَوضوعينِ، فأرادَ أن يأكُلَ، فقلْتُ[٣]: أنا شريكك[٤]، فقالَ: ولِمَ؟ فقلْتُ: لأنَّكَ كنْتَ تدْعُو وأنا أُؤمِّنُ، فقالَ لي: تقدَّمْ وكُلْ، ولا تُخبِّئْ[٥] منه شيئًا، فتقدَّمْتُ فأكَلْتُ شيئًا لم آكُلْ مثْلَه قطُّ، وإذا عِنبٌ لا عَجَمَ له، فأكلتُ حتَّى شبِعْتُ والسلَّةُ لم تنقُصْ شيئًا.

ثمَّ قالَ: خُذْ أحبَّ[٦] البُردينِ إليكَ، فقلْتُ: أمّا البُردانِ فأنا غنيٌّ عنهُما، فقالَ لي[٧]: توارَ عنِّي حتَّى ألبَسَهما، فتوارَيْتُ عنه فاتَّزَرَ بأحدِهما وارتَدَى بالآخرِ[٨]، ثمَّ أخَذَ البُردينِ اللَّذينِ كانا عليه، فجعَلَهما على يدِه، فاتَّبعْتُه[٩] حتَّى إذا[١٠] كانَ بالمَسْعَى[١١] لقِيَه رجلٌ، فقالَ له: اكسُنِي كساكَ الله تعالى يا ابنَ رَسولِ الله، فدفَعَهما إليه، فلحِقْتُ الرَّجلَ، فقلتُ: مَن هذا؟ فقالَ: جعفرُ ابنُ محمَّدٍ»، قالَ اللَّيثُ: «فطلَبْتُه؛ لأسمَعَ منه فلم أجِدْه»[١٢]، رضِيَ الله عنه.

---

(١) في (س): «رب رب».
(٢) «نفسه» ليس في (ب).
(٣) في (ب): «فال».
(٤) في (س): «شريك».
(٥) في (ب): «وتخبئ».
(٦) في (د): «أحد».
(٧) «لي» ليس في (د).
(٨) في (د): «وتردى بالأخرى».
(٩) في (س): «فاتبعت»، وفي (ب): «فانبعث».
(١٠) قوله: «حتى إذا» في (د): «فلما».
(١١) في (س): «بالسعي».
(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤).

وقد ذكَرْتُ في أوَّلِ الكتابِ الكرامَةَ التي وقَعَتْ لأمِّ أيمنَ، ونزولَ الدَّلوِ مِن السماءِ عليها، وكراماتُ الأولياءِ كثيرةٌ لا[١] تكادُ تُحصَرُ، والله أعلَمُ.

ومن الآياتِ الدالّةِ على المحبّةِ الأصليّةِ قولُه تعالى في حقِّ مُوسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[٢] [طه: ٣٩] الآية، والله أعلَمُ.

[٤٨/أ] وأمّا المحبّةُ المكتسبَةُ: فقد ذكَرَها[٣] الله عزَّ وجَلَّ أيضًا في كتابِه العظيمِ، فقالَ عزَّ مِن قائلٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، فهذه المحبّةُ مكتسبةٌ[٤] بالعمَلِ الصالحِ، والمَتجَرِ الزكِيِّ الرابحِ[٥]، وهيَ بأعمالٍ ذكَرَها[٦] الرَّبُّ أيضًا سُبحانَه وتعالَى في كتابِه العزيزِ:

منها: العدْلُ، قالَ الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ومنها: الإحسانُ، قالَ الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ومنها: الجهادُ؛ قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ومنها: الصبرُ، قالَ الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

---

(١) في (ب): «ولا».
(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢: ٤٨)، و«البحر المحيط في التفسير» (٧: ٣٣١)، و«السراج المنير» (٢: ٤٦٢).
(٣) في (د): «ذكر».
(٤) في (ب): «المكتسبة».
(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٨: ٢٦١)، و«التفسير الوسيط» للواحدي (٣: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٥: ٢٥٧).
(٦) في (د): «ذكر».

ومنها: التطهيرُ، قالَ الله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، مَعْناه واللهُ أعلَمُ: إن أردْتُم محبَّتِي فتطَهَّرُوا لأداءِ خدمتِي[1].

ومنها: اتِّباعُ الرسولِ؛ قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومنها: الاتقاءُ؛ قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي الخبَرِ: «**عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله؛ فإنَّهُ[2] جِماعُ كُلِّ خَيْرٍ**»[3]. ولا بدَّ مِن ذكْرِ التقوى؛ ليعرفَ الشَّخصُ أينَ هوَ مِن التقوى، وقد ذكَرْتُه فيما بعدُ.

ومنها: قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فهذه الخصالُ وأشباهُها هيَ أسبابُ المحبّةِ؛ فإن وقَعَ منكم تقصيرٌ في فعْلِ هذه الأشياءِ فاجتَنِبوا الأشياءَ التي لا يحِبُّها[4] الله تعالى، وهيَ أيضًا مذكورةٌ في كتابِه العزيزِ:

منها: قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ومنها: الظلمُ، قالَ سُبحانَه وتعالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، والظلمُ أنواعٌ كثيرةٌ لا تكادُ تنحَصِرُ[5]، فالحذَرَ الحذَرَ منه.

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (١: ٧١٠). (٢) في (د): «فإن فيه».

(٣) «مسند أحمد» (١١٧٧٤)، و«المعجم الصغير» للطبراني (٩٤٩)، و«الآداب» للبيهقي (٨٣٥). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠: ٣٠١): «رواه الطبراني في «الصغير»، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وقد وثق هو وبقية رجاله».

(٤) في (س) و(ب): «أحبها». (٥) في (س): «تحصر».

ومنها: الاعتداءُ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، والاعتداءُ أنواعٌ[١] كثيرةٌ جدًّا لا تكادُ تنحَصِرُ.

ومنها: الخيانةُ، قالَ تبارَكَ وتعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

[٤٨/ب] ومنها: الفسادُ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

ومنها: الاستكبارُ، قالَ الله سُبحانَه وتعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

ومنها: الاختيالُ والفخْرُ[٢]، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

ومنها: الجهْرُ بالسُّوءِ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] الآية.

فهذه الأمورُ وأشباهُها[٣] مِن الأسبابِ المُهلِكةِ؛ فالحذَرَ الحذَرَ[٤] مِن تعاطِيها، والله أعلَمُ.

وإذا عُرِفَ[٥] ذلكَ فلا بدَّ من ذكْرِ المحبّةِ، فقد تُلبِّسُ النفسُ الأمّارةُ أنّ الشخصَ محِبٌّ، وليسَ كذلكَ، فالحذَرَ الحذَرَ من تلبيسِ[٦] النفسِ؛ فإنها أمّارةٌ بالسُّوءِ، وإنْ كانَتْ أمّارةً بالسُّوءِ فمن أينَ تحصُلُ المحبّةُ التي هيَ أعزُّ المكاسِبِ وأغْلَى المَطالبِ؟ وأنا أضرِبُ مثلًا يُقرِّبُ معرفةَ ذلكَ، ثمَّ أذكُرُ المحبّةَ.

---

(١) «أنواع» ليس في (ب).
(٢) «والفخر» ليس في (د).
(٣) في (د): «وأشباهه».
(٤) في (د): «ثم الحذر».
(٥) في (ب): «عرفت».
(٦) في (ب): «تلبس».

تَرَى الشَّخصَ إذا كانَ له ولدٌ قد آنَسَ به وتتابَعَ عليه برُّه يشغَفُ[١] به لأَجْلِ ذلكَ، فتَراه يتشوَّشُ به في غالبِ أحوالِه، ويغارُ عليه حتَّى مِن نومِه على غيرِ الحالةِ التي يكونُ فيها غيرَ مُستريحٍ، ويلهَجُ[٢] به ويذكُرُه عند الأحبّاءِ والأخلاءِ، ويقرَعُ بإحسانِه عندَ المُبغِضينَ والأعداءِ، ويجِدُ لذلكَ لذاذةً وحلاوةً، فباللهِ هل يجِدُ مُدَّعِي محبّةِ الله عزَّ وجَلَّ ذلكَ؟

وإذا علِمْتَ ذلكَ فليتَّقِ[٣] الله عزَّ وجَلَّ الشَّخصُ في دَعْوى محبَّةِ الله عزَّ وجَلَّ وهوَ يعلَمُ منه خلافَ ذلكَ، فإن الدَّعْوى مَعَ الكذبِ سببٌ مِن أسبابِ مقْتِ الله عزَّ وجَلَّ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، والمقْتُ: أشدُّ البُغضِ، وقيلَ: البُغضُ الشديدُ[٤]، نسأَلُ الله عزَّ وجَلَّ السَّلامةَ مِن ذلكَ.



(١) في (د): «ويشغف».

(٢) في (د): «وينهج».

(٣) في (د): «فيتق».

(٤) انظر: «تفسير الرازي» (٢٩: ٥٢٧)، و«التحرير والتنوير» (٢٨: ١٧٥).

[المحبة][١]

وقدِ اختلَفَت[٢] عباراتُ القومِ في المحبّةِ[٣]:

فقيلَ: المحبّةُ: فقْدُ النومِ، والعُزلةُ عنِ القومِ.

وقيلَ: المحبّة: سقوطُ كلِّ محبّةٍ مِن القلْبِ إلا محبّةَ الحَبيبِ، كذا قالَه محمَّدُ بنُ الفضْلِ[٤].

[٤٩/أ] ومن يقدِرُ على ذلكَ والقلْبُ محشوٌّ بمحبّةِ هذه / المَزبَلةِ؟

ويؤيِّدُ هذه المقالَةَ قولُ بعضِ السلفِ: إنّما سُمِّيتِ المحبَّةُ محبَّةً؛ لأنّها تمْحُو مِن القلْبِ[٥] ما سِوى المحبوبِ[٦].

وقيلَ: المحبَّةُ: استيلاءُ[٧] المَحبوبِ على السرِّ، وإسهارُ[٨] القلْبِ بدوامِ الذكرِ.

---

(١) ما بين المعقوفتين من حاشية (ب). (٢) في (ب): «اختلف».

(٣) انظر معانيها في: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨٧)، و«مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣: ١٣).

(٤) انظر: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (٨: ١٣٤).

(٥) قوله: «من القلب» ليس في (ب).

(٦) القائل هو الشبلي. انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨٧)، و«نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (١: ٥٣).

(٧) في (ب): «استواء».

(٨) في (د): «وإسرار».

وقيلَ: المحبّةُ: استواءُ الحُضورِ والغَيبةِ، وارتفاعُ القُربِ والبُعدِ.

وقيلَ: الحبُّ[١]: حاءٌ وباءٌ، فالحاءُ مِن الرُّوحِ، والباءُ[٢] مِن البدنِ، فمَنْ أحبَّ فليخرُجْ مِن[٣] رُوحِه وبَدنِه.

وليُعلَمْ أنّ المحبّةَ لها دليلٌ؛ فإنْ فُقِدَ الدليلُ فليَعرفِ الشَّخصُ أنّه غيرُ محبٍّ، وتكونُ حينئذٍ طمأنينةُ النفسِ بأنّ الشخصَ محِبٌّ مِن خديعةِ النفسِ.

ودليلُ المحبّةِ: حُصولُ الخَشيةِ، قالَ السَّيِّدُ الجليلُ المتَّفَقُ على توثيقِه وجلالتِه عبدُ الله بنُ المُباركِ: «مَن أُعطي شيئًا مِن المحبّةِ ولم يُعْطَ مثْلَه مِن الخشيةِ فهوَ مَخدوعٌ»[٤]. وما قالَه صحيحٌ؛ ألا تَرى أنّ الشَّخصَ إذا كانَ له مَن يحِبُّه يتخوَّفُ[٥] في كلِّ لحظةٍ منه لشدَّةِ محبَّتِه أن ينْأى عنه.

[علامات المحبة][٦]:

ومِن علاماتِ المحبّةِ[٧]: ألا يصُدَّ المحِبَّ عن محبوبِه صادٌّ[٨]، سواءٌ كانَ بالإحسانِ أو بالبَلْوى.

ألا تَرى لمّا دخَلَ على الشِّبلِيِّ رحمه الله جماعةٌ، فقالَ لهم: «مَن أنتُمْ؟» فقالُوا[٩]: نحنُ أحباؤُكَ، فأخَذَ يرْمِيهم بالحجارةِ، ففَرُّوا منه، فقالَ لهم: «تَهْربونَ؟

(١) في (ب): «المحبة».
(٢) في (ب): «والباب».
(٣) في (د): «عن».
(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٩١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٥: ٢٢٤).
(٥) في (د): «متخوف».
(٦) ما بين المعقوفتين من حاشية (ب).
(٧) انظرها في: «إحياء علوم الدين» (٤: ٣٢٩)، و«روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (٢٥٩).
(٨) «صاد»: ليس في «ب».
(٩) في (ب): «قالوا».

لو كنْتُم أحبّائِي ما فرَرْتم مِن بلائِي»[١].

واعلَمْ أنّ مَن فاتَه المحبَّةَ فقد فاتَه خيرٌ كثيرٌ، ومِن المصائبِ العظيمةِ فقدانُها، وأعظَمُ من ذلكَ عدَمُ السَّعي في تعاطِي أسبابِها، وأعظَمُ مِن ذلكَ كلِّه[٢]: التشاغلُ بغيرِها؛ فإنَّ ذلكَ يُلهِي ويُوقِعُ في الرَّدَى، فينبَغِي التَّنبُّهُ مِن سَكرةِ الغَفلةِ؛ فإنّ الطالبَ لا يفتُرُ وهوَ يقربُ كلَّ يومٍ منكَ منزلةً، وأنتَ تتقدَّمُ إليه مرحلةً، فبينا المرْءُ في سِنةِ غفلتِه غارَ عليه طالبُه، فطلَبَ المُهلةَ حينَ لاتَ حينَ مَناص.

فتفكَّرُوا[٣] في سَلفِكم قبلَ والله تَلَفِكم[٤]، وانظرُوا في أُمورِكم قبلَ حُلولِ قُبورِكم، [٤٩/ب] وتأهَّبُوا يا إخوانِي وأخواتِي[٥] لأجلِ رحيلِكم[٦] قبلَ[٧] أوانِ[٨] تحويلِكم، أينَ الأحبابُ والأخواتُ والإخوانُ؟ أين مَن كانَ والله زينَ الجماعةِ والمكانِ؟ أينَ مَن حصَّنَ وشيَّدَ وبَنَى وبانَ؟

رحَلُوا والله عن عامرِ الأوطانِ، وأَنزَلَهُم اللهُ[٩] في مكانٍ لا يصلُحُ لتلكَ[١٠] الوُجوهِ الحِسانِ، ورتَعَتْ والله في تلكَ الخُدودِ الدِّيدانُ، وتحَقَّقُوا[١١] والله صدْقَ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وأنشدوا[١٢]:

---

(١) في (د): «ما فررتم من يدي». وانظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٩١)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٧٣).

(٢) «كله» ليس في (ب) و(د).

(٣) في (س): «تفكروا».

(٤) في (د): «تلفهم».

(٥) في (د): «ويا أخواتي».

(٦) في (د): «لرحيلكم».

(٧) «قبل» ليس في (ب).

(٨) في (د): «أذان».

(٩) في (س): «وأنزلوا والله».

(١٠) في (ب): «لذلك».

(١١) في (د): «وتحقق».

(١٢) «وأنشدوا» مثبت من (د).

كَـمْ طَوَى المَوْتُ مِنْ نعيمٍ عَتِيدٍ ... ودِيـارٍ مِـنْ أَهْلِهـا أَخْلاهـا
وَجُـنُـودٍ أَذَلَّـهـا وخـدودٍ ... ووُجُـوهٍ[1] أحالَ مِنْهـا حُلاها
وَرَماهـا بِالبَيْنِ سَـهْمًا فأَصْمَى ... وعَنِ المُلْكِ والنَّعِيـمِ أَلْهاها[2]
أَيْنَ مَـنْ كانَ ناعِمًـا في قصورٍ ... بِعُلَى[3] المُكْرَماتِ شِيدَتْ عُلاها
قَدْ جَفاهـا مَن كانَ يَرْتـاحُ حَيًّا ... نَحْوَهـا بَعْـدَ أُنْسِـها وقَلاها[4]

واللهُ أعلَمُ.

غيرُه:

المَـرْءُ ضَيْفٌ بدارٍ لا مُقـامَ بِها[5] ... فيها الفَجائِعُ والرَّوْعاتُ تَرْتَدِفُ[6]
واذْكُرْ سَـبِيلًا فَظِيعًا[7] أنْتَ سالِكُهُ ... ما عَنْ وُرُودِ حِياضِ المَوْتِ مُنْصَرَفُ
واذْكُرْ تَجَرُّعَ كَأْسٍ أنْتَ شـارِبُها[8] ... وأنْـتَ مُنْجَدِلٌ فـي غَمْـرَةٍ دَنِفُ
والنَّفْسُ في سَكَراتِ المَوْتِ دائِبَةٌ[9] ... والقَلْبُ فـي قَلَقٍ والصَّدْرُ يَرْتَجِفُ
وَغـادَرُوكَ بِأَطْباقِ الثَّـرَى وغَدَوا ... ما آنَسُـوكَ ولا آسَـوا ولا صَرَفُوا
عَنْكَ الشَّـدائِدَ بَلْ خُلِّفْتَ مُنْجَدِلًا ... فَرْدًا وحِيدًا ووَلَّى القَوْمُ وانْصَرَفُوا
وَخَلَّفُـوكَ غَرِيبًـا لا وِسـادَ لَـهُ ... مُمَهَّدٌ مِـنْ صَعِيدِ القَبْـرِ مَلْتَحِفُ

واللهُ أعلَمُ.



(١) في (ب): «وجوه».
(٢) في (د): «لهاها».
(٣) في (س): «يعلى».
(٤) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ١٧٥).
(٥) في (د): «لا مقام له».
(٦) في (د): «ترتدف».
(٧) في (د): «مضيقًا».
(٨) في (ب): «شاريها».
(٩) في (ب): «ذائبة».

فَصْلٌ
في الأسباب المهلكات

وسنوضِّحها معَ أنّها ليسَتْ بالخفيّاتِ، إلا أنّ الذِّكْرى تنفَعُ المُؤمنينَ والمُؤمناتِ، وأمّا الغافِلُ والمتعامِي عنِ الأخبارِ والآياتِ فلا كلامَ معَه؛ لأنّه رهينُ الشهواتِ، وقد غرِقَ وغرِقَتْ في بحارِ المُوبقاتِ.

فنسألُ الله تعالى العفوَ والعافيةَ مِن ذلكَ؛ إنّه وليُّ النِّيّاتِ.

ولا شكَّ أنّ [٥٠/أ] أسبابَ الهَلكةِ كثيرةٌ جدًّا ولا تكادُ تنحصِرُ، فنذكُرُ نبذةً يسيرةً منها، ونذكُرُ ما تُوعِّدَ صاحبُها عليها مِن العقوباتِ؛ فإنّه أدْعَى إلى[١] التَّوبةِ والابتهالِ مِن التخَلُّصِ من ذلكَ إلى ربِّ السماواتِ والأرض.

[الحسد]:

[١] **فمِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**[٢]: الحسَدُ[٣]، عافانا الله تعالى مِنْهُ.

وهوَ صفةٌ خبيثةٌ، ذمَّ الله تعالى مُتعاطِيَها ذمًّا بليغًا، ويكْفي في ذمِّها معَ[٤] ما تُوِّعِدَ عليها مِن العذابِ على ما أذكُرُه أنّها صفةُ أهلِ الكتابِ مِن اليهودِ والنصارى، وأيُّ مُصيبةٍ أعظَمُ مِن ذلكَ، قالَ الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ

(١) «إلى» ليس في (د).
(٢) في (د): «أسباب المهلكة».
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٨٦).
(٤) «مع» ليس في (د).

ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] الآية.

فالحسَدُ[١] صِفَةُ المغضوبِ عليهم والضالِّينَ، نسألُ الله الكريمَ العافيةَ مِن ذلكَ.

وأشَدُّ مِن ذلكَ: ما ذكَرَهُ[٢] بعضُهم: أنّ الحسَدَ يؤدِّي إلى مَحذورٍ عظيمٍ؛ لأنّه مُنازَعةٌ في الرُّبوبيّةِ، وعدَمُ رِضًى بما قسَمَه الله سُبحانَه وتعالَى بعِلْمِه وحِكْمتِه[٣]، قالَ الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤] الآية.

وقد نَهَى رَسولُ الله ﷺ عن هذه الصفةِ الخبيثةِ، فقالَ: «**لا تَحاسَدُوا، ولَا تَباغَضُوا**[٤]». رَواهُ البُخارِيُّ[٥] ومُسلمٌ[٦].

فالحاسِدُ مُخالِفٌ لله ولرسولِه[٧]، وقد حذَّرَ رَسولُ الله ﷺ تَحذيرًا بليغًا منهُ[٨]، فقالَ: «**إيّاكُمْ والحَسَدَ؛ فإنّ الحَسَدَ يأكُلُ الحَسَناتِ كما تأكُلُ النّارُ الحَطَبَ** أو قالَ: **العُشْبَ**»[٩]. رَواهُ أبو داودَ مِن رِوايةِ أبي هُريرةَ، ورَواهُ ابنُ ماجَه مِن حديثِ أنسٍ رضي الله عنهم.

---

(١) في (د): «والحسد».
(٢) في (س): «ذكر».
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٨٩)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ١٠٠).
(٤) «ولا تباغضوا» مثبت من (د).
(٥) «صحيح البخاري» (٦٠٦٥).
(٦) «صحيح مسلم» (٢٥٥٩).
(٧) في (س) و(ب): «ورسوله».
(٨) «منه» مثبت من (د).
(٩) «سنن أبي داود» (٤٩٠٣)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢١٠). وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٥٦): «أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة، وقال البخاري: لا يصح. وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي «تاريخ بغداد» بإسناد حسن».

وقد سمَّى رَسولُ الله ﷺ الحسَدَ داءً؛ فقالَ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ داءُ الأُمَمِ: الحَسَدُ، والبَغْضاءُ**». رَواهُ التِّرمذِيُّ[١].

وسمَّى رَسولُ الله ﷺ الحُسّادَ أعداءً، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنَّ لِنِعَمِ الله تَعالَى أعْداءً**» قيلَ: مَن أولئكَ يا رسول الله؟ قالَ: «**الذينَ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ الله مِنْ فضْلِه**». رَواهُ الطَّبرانِيُّ[٢] من حديثِ ابنِ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما، وفيه: «**إنّ لِأهْلِ النِّعَمِ حُسّادًا فاحْذَرُوهُمْ**»[٣]. [٥٠/ب]

وفي حديثٍ: «**سِتَّةٌ يَدْخُلُونَ النّارَ قَبْلَ[٤] الحِسابِ**» قيلَ: يا رَسولَ الله، مَن هُمْ؟ فذكَرَ منهم[٥]: أُمراءَ الجَوْرِ، والحُسّادَ[٦].

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٥١٠)، و«مسند أحمد» (٣: ٢٩)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٢١٠٦٥)، و«مسند البزار» (٦: ١٩٢). وفي «تحفة الأحوذي» (٧: ١٨٠): «الحديث في سنده مولى للزبير وهو مجهول». وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣: ٢٨٥): «رواه البزار بإسناد جيد».

(٢) قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١٠٨٦): «رواه الطبراني في «الأوسط» من حديث ابن عباس: «إن لأهل النعم حسادًا فاحذروهم»». وقال ابن السبكي في: «طبقات الشافعية الكبرى» (٦: ٢٨٧-٣٤٤): «لم أجد له إسنادًا».

(٣) «المعجم الأوسط» (٧٢٧٧). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٨: ١٩٥): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي، وهو ضعيف وقد وثقه ابن حبان».

(٤) في (د): «قيل».

(٥) «منهم» ليس في (د).

(٦) قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١٠٨٦): «أخرجه أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين». وقال ابن السبكي في: «طبقات الشافعية الكبرى» (٦: ٢٨٧-٣٤٤): «لم أجد له إسنادًا».

والآياتُ والأخبارُ في ذمِّ الحسَدِ كثيرةٌ، وفيما ذكَرْناهُ[١] كفايةٌ لمن كانَ له قلْبٌ.

ولا بدَّ مِن معرفةِ الحسَدِ؛ ليتجَنَّبَه المُؤمنُ الطالبُ للخيرِ المُبعِدُ[٢] نفْسَه عن هذه الأسبابِ المُكِبّاتِ في النارِ.

والحسَدُ: عبارةٌ عن تمنِّي زوالِ النعمةِ عن صاحبِها، سواءٌ كانَتِ النعمةُ دِينًا أو دُنيا[٣].

وإذا عرَفْتِ أيَّتها[٤] المُؤمنةُ ذلكَ فطَرَأ عليكِ نوعٌ[٥] مِن الحسَدِ، فعليكِ بالمُبادَرةِ إلى التوبةِ، واحرِصِي على خلاصِكِ مِن وُقوعِكِ في حُفيرةٍ[٦] مِن حُفَرِ النارِ، ومَن يقدِرُ على النارِ؟

وليسَ مِن[٧] الحسَدِ المذموم أن يحِبَّ الشخصُ أن يكونَ له[٨] مِثلَ مَن أعطَى الله تعالى لأخيه المُؤمنِ مِن خيرٍ؛ ففي حديثِ عبدِ الله بنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتاهُ الله تَعالَى مالًا فسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورَجُلٍ آتاهُ الله عَزَّ وجَلَّ حِكْمَةً فهُوَ يَقْضِي بِها ويُعَلِّمُها**». رَواهُ البُخارِيُّ[٩] ومُسلِمٌ[١٠].

---

(١) في (س) و(ب): «ذكرنا».

(٢) في (ب): «المتعبد».

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٨٩)، و«الترغيب والترهيب» للمنذري (١: ٥٥).

(٤) في (س) و(ب): «أيها».

(٥) في (س) و(ب): «نوعا».

(٦) في (د): «حفرة».

(٧) «من» ليس في (د).

(٨) قوله: «له» ليس في (س) و(ب).

(٩) «صحيح البخاري» (٧٣).

(١٠) «صحيح مسلم» (٨١٦).

ومَعْناه: ينبَغِي أنْ لا يُغبَطَ أحَدٌ إلا على إحدى هاتينِ الخَصْلتين[١]، وهذا ليسَ مِنَ الحسَدِ في شيءٍ، بل ذلكَ قصْدٌ صالحٌ ونيّةٌ مُبارَكةٌ، يُثابُ الشخصُ عليها، ففي حديثِ أبي[٢] كبشَةَ عمرَ بنِ سعدٍ[٣] الأنماريِّ[٤] رضِيَ الله عنه: أنّه سمِعَ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «ثلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فاحْفَظُوهُ: ما نَقصَ مالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فصَبَرَ عَلَيْها إلا زادَهُ الله تَعالَى عليها عِزًّا، ولا فتَحَ عَبْدٌ[٥] بابَ مَسْأَلَةٍ إلا فتَحَ الله تعالَى عَلَيْهِ بابَ فقْرٍ أو كلمةً نَحْوَها[٦] وأُحَدِّثُكُمْ[٧] حَدِيثًا فاحْفَظُوهُ»، قالَ: «إنّما الدُّنْيا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مالًا[٨] وعِلْمًا فهُوَ يَتَّقِي فيهِ[٩] رَبَّهُ، ويَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ويَعْلَمُ للهِ[١٠] تَعالَى فيهِ حَقًّا[١١]، فهَذا بأَفْضَلِ المَنازِلِ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ الله تعالى عِلْمًا ولَمْ يَرْزُقْهُ مالًا [٥١/أ]، فهُوَ صادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أنّ لِي مالًا لَعَمِلْتُ بعَمَلِ فُلانٍ، فهُوَ بنِيَّتِهِ، فأَجْرُهُما سَواءٌ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ الله تَعالَى مالًا ولَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فهُوَ يَخْبِطُ في مالِهِ بغَيْرِ عِلْمٍ، لا يَتَّقِي فيهِ رَبَّهُ، ولا يَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ولا يَعْلَمُ للهِ[١٢] عزَّ وجَلَّ فيهِ حَقًّا، فهَذا بأَخْبَثِ المَنازِلِ، وعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ الله[١٣] مالًا ولا عِلْمًا، فهُوَ يَقُولُ:

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢: ٤٤٥)، و«شرح النووي على مسلم» (٦: ٩٧).

(٢) قوله: «أبي» ليس في (س) و(ب) و(د).

(٣) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٧٣٩)، و«المستخرج من كتب الناس» (٢: ٢٥٣)، و«أسد الغابة» (٣: ٧٢٦).

(٤) في (س) و(د): «الأنصاري».

(٥) «عبد» ليس في (د).

(٦) في (د): «نحوهما».

(٧) في (ب): «وأحذركم».

(٨) في (س): «عبد رزقه مالًا».

(٩) في (د): «فيهما».

(١٠) في (د): «أن الله».

(١١) في (ب): «حق».

(١٢) في (د): «أن لله».

(١٣) لفظ الجلالة ليس في (س) و(د).

لَوْ أنّ لِي مالًا لَعَمِلْتُ فيهِ بِعَمَلِ فُلانٍ، فهُوَ بِنِيَّتِهِ، فوِزْرُهُما سَواءٌ». رَواهُ الترمذِيُّ[١]، وقالَ: «إنّه حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، واللهُ أعلَمُ.

[حب الدنيا][٢]:

[٢] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**: حبُّ الدنيا[٣].

ومنه يُولَدُ الحسَدُ وكلُّ فتنةٍ، وبسببِ حبِّها ترِدُ المصائبُ، وينقطِعُ الشخصُ بحُبِّها عن كلِّ خيرٍ، ويوقِعُ نفسَه في كلِّ شرٍّ، والقرآنُ العظيمُ طافِحٌ بذمِّها وذمِّ أهلِها، وأمّا الأخبارُ فأكثَرُ من أن تُحصَرَ[٤] وأشهَرُ من أنْ تُذكَرَ.

والحامِلُ للناسِ على حبِّها فقهاءُ زَمانِنا وفُقراؤُهم؛ لأنّهم غارِقونَ[٥] فيها غرَقَ الحيتانِ البحريّةِ، حتَّى إنّ أحدَهم[٦] لو فترَ عنها كادَتْ نفسُه تزهَقُ؛ قبَّحَهم الله تعالى على ذلكَ، فإنّهم أهلَكُوا أنفسَهم، وصدُّوا الناسَ عنِ الخيرِ بتعاطِيهم ذلكَ، ومَنْ عرَفَ مِنَ العلمِ طَرَفًا يسيرًا قطَعَ بأنّهم على حالةٍ خبيثةٍ لا يرْضاها لنفسِه حيوانٌ نجسٌ، والجاهِلُ يغتَرُّ بأفعالِهم، ويَعْمى عن مَعْنى أقوالِهم، وبينَ الأقوالِ والأفعالِ مناقَضةٌ ظاهِرةٌ لا تخْفَى.

فتَرَى الفقيهَ منهم ينثُرُ[٧] مِن فيهِ دُررًا ويسيرُ[٨] بأفعالِه المخالفةِ لأقوالِه القَهْقَرَى، وتَرَى الصُّوفي قد صَفَّى قلْبَهُ نحوَ المَزبَلةِ، ويُظهِرُ بزيِّه وقولِه الزُّهدَ

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٣٢٥).
(٢) ما بين المعقوفتين على حاشية (ب).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ٢٠١)، و«مختصر منهاج القاصدين» (١٩٠).
(٤) في (د): «تنحصر».
(٥) في (س): «غارقين».
(٦) في (د): «أحدهما».
(٧) في (د): «ينشر».
(٨) في (س): «ويشير».

فيها، ولو جاءَه قدْرُ النَّقيرِ مِن غُلولٍ قبلَه، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

وقد كانَ بعضُ العُلماءِ إذا مرَّتْ هذه الآيةُ على ذكْرِه يَتمغَّصُ[1] بطْنُه أيّامًا مِن خوفِ المقْتِ، ويقولُ: المقْتُ: البغضُ الشديدُ، أو أشَدُّ[2]، لا حولَ ولا قوَّةَ مِن هذه المُصيبةِ الجسيمةِ، والله أعلَمُ.

[الاحتقار][3]:

[٣] ومِنَ الأسبابِ/ المُهلكاتِ: الاحتقارُ[4]. [٥١/ب]

وهوَ: حَرامٌ ومعصيةٌ شديدةٌ، لا سيَّما للضعفاءِ[5] مِن الأراملِ واليَتامَى والمساكينِ، فهوَ[6] أشدُّ تحريمًا وأعظَمُ شرًّا، قالَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١].

فمَنِ احتقرَتْ[7] مُسْلِمًا أوْ مُسْلِمَةً؛ تكبُّرًا وترفُّعًا؛ لجمالِها[8] أو[9] ثروتِها أو جاهِها، سواءٌ كانَ بقلْبِها أو قوْلِها كيا[10] شحاذةُ[11]، يا خملةُ، يا صفراءُ،

---

(١) في (ب): «يتمغض»، وفي (د): «يتغمص».

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٢٩: ٥٢٧)، و«التحرير والتنوير» (٢٨: ١٧٥).

(٣) ما بين المعقوفتين على حاشية (ب).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٣١)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٣٣).

(٥) «للضعفاء» ليس في (د).

(٦) في (ب): «هو».

(٧) في (ب) و(د): «احتقر».

(٨) في (د): «بجمالها».

(٩) في (س) و(ب): «و» وكذا في الموضع التالي.

(١٠) في (د): «يا».

(١١) في (ب): «شحادة».

يا[١] امرأةَ الفقيرِ[٢]، اشتغلِي بفقرِكِ، اشتغلِي بوحاشتِكِ[٣]، بعَورِكِ[٤]، بعَرَجِكِ، بفقْرِ زوجِكِ[٥]، بفقْرِ ولدِكِ، ونحْوِ ذلكَ، فقدْ خالَفَتْ ربَّ العزَّةِ، ووقعَتْ في شرٍّ عظيمٍ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ[٦] مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ**». رَواهُ مُسلمٌ في «**صحيحِه**»[٧].

وهذا[٨] الاحتقارُ المُهلِكُ سببُه الإعجابُ والتكبُّرُ، وذلكَ داءٌ مُهلِكٌ، وهوَ حرامٌ، وقدْ نَهَى الله تعالى عنهُ في كتابِه العزيزِ في غيرِ موضعٍ، وأخبَرَ بأنَّ مَن كانَ ذلكَ فيه لا يحِبُّه، وأخبَرَ رَسولُ الله ﷺ أنّه لا يدخُلُ الجنَّةَ[٩]، ويا لها مِن مُصيبةٍ عظيمةٍ، وفتنةٍ جسيمةٍ، قالَ الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

ومَعْنى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾، أي: تُميلُه وتُعرِضُ عنِ الناس تكبُّرًا عليهم، كما يفعَلُه أهلُ الثروةِ والجمالِ بالفقيرةِ والشَّوهاءِ، فتُميلُ وجْهَها عنِ الفقيرةِ؛ لحالِها، وتُميلُ وجْهَها عنِ الشَّوهاءِ؛ لجمالِها[١٠]، فهذه هيَ المُتكبرةُ[١١] الذي ذكَرَها الله تعالى في كتابِه، ونَهاها[١٢] عن فعْلِها ذلكَ، فمَنْ فعَلَتْ ذلكَ فقد خالَفَتِ الله

---

(١) في (د): «ويا».
(٢) في (د): «الفقراء».
(٣) في (ب): «بوحشاتك».
(٤) في (د): «وبعورك».
(٥) قوله: «بفقر زوجك» ليس في (د).
(٦) في (ب): «أمر».
(٧) «صحيح مسلم» (٢٥٦٤).
(٨) في (د): «وهذه».
(٩) يشير إلى ما أخرجه الإمام مسلم (٩١): عن عبد الله بن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».
(١٠) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤: ٦٩)، و«التحرير والتنوير» (٢١: ١٦٦).
(١١) في (س): «المنكرة».
(١٢) في (د): «ونهاه».

عزَّ وجَلَّ، وهذِهِ لا تأمَنُ على نفسِها أنّ الله تعالى يُفقِرُها ويَرُدُّها شَوهاءَ؛ لأنّها تكبَّرَتْ بنعمةِ[1] الله تعالى ولم تؤدِّ شُكْرَها، وقد وقَعَ ذلكَ كثيرٌ.

فكَمْ[2] مِن صاحبةِ مالٍ وجَمالٍ لم ترْعَ حقَّ نعمةِ الله تعالى عليها، وترفَّعَتْ على الفُقراءِ بذلكَ، فسلَبَها الله تعالى مالَها وجمالَها، فأصبحَتْ لا مالَ ولا جمالَ، بل رُبَّما زادَها الله تعالى بلِيّةً، وهيَ أنّها تَتسخَّطُ وتَشكُو حالَها، فيتراكَمُ عليها [٥٢/أ] المصائبُ: الفقْرُ والشَّوَهُ وشِكايةُ ربِّ السماواتِ والأرضِ، فيا لَها مِن فتنةٍ ما أعظَمَها، أصبَحَتْ لا دُنيا ولا دينَ، فهذه صارَتْ[3] مِن الخاسِرينَ.

وأمّا الأخبارُ: فقد قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ[4] مِنْ كِبْرٍ**» فقالَ رجلٌ يا رسولَ الله: إنّ الرَّجلَ يحِبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حَسنًا ونعلُه حسنةً[5]، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الله عَزَّ وجَلَّ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النّاسِ**». رَواهُ مُسلمٌ[6] من حديثِ عبدِ الله بنِ مَسعودٍ.

ومَعْنى «**بَطَرُ الحَقِّ**»: دفْعُه ورَدُّه على قائلِه[7].

وهذا كثيرٌ في الناسِ جدًّا، فكَمْ مِن شخصٍ يفعَلُ ما لا يجوزُ، فيُقالُ له[8]: لا تفعَلْ هذا، فلا يسمَعُ ولا يكترِثُ لذلكَ، بل ربَّما يقولُ: عِظْ نفسَكَ، وتأخُذُه العزَّةُ بالإثمِ؛ فحسْبُه جهنَّمُ.

---

(١) في (د): «بنعم».
(٢) في (ب) و(د): «كم».
(٣) في (د): «فهذه أصبحت صارت».
(٤) في (د): «خردلة».
(٥) في (د): «حسنًا».
(٦) «صحيح مسلم» (٩١).
(٧) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢: ٩٠)، و«الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» (١: ١٠٦).
(٨) «له» ليس في (د).

بل ربَّما يقولُ: ما أنتَ إلا كثيرُ[١] الفُضولِ، وهذه كلمةٌ عظيمةٌ في الشرعِ، ربَّما تؤدِّي إلى الكفْرِ والعياذُ بالله تعالى؛ لأنّه جعَلَ الأمْرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ اللَّذينِ أمَرَ الله تعالى ورسولُه ﷺ بهما فُضولًا، ومثْلُ هذا لا يصدُرُ إلا مِن جاهلٍ، أو زِنديقٍ؛ لأنّ الأمْرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ بِهما يقومُ الدِّينُ الذي تعبَّدَنا الله عزَّ وجَلَّ به.

وعدمُ الأمْرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ هوَ سببُ هلاكِ الأممِ قبْلَنا، وبعْثِ البلايا علينا؛ قالَ عبدُ الله بنُ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه: قالَ رَسولُ الله ﷺ: **«إنّ أوّلَ ما دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إسْرائِيلَ أنّهُ كانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يا هَذا[٢] اتَّقِ الله ودَعْ ما تَصْنَعُ، فإنّهُ لا يَحِلُّ ذَلِكَ[٣]، ثمَّ يَلْقاهُ مِنَ الغَدِ وهُوَ عَلَى حالِهِ، فلا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أنْ يَكُونَ أكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وقَعِيدَهُ[٤]، فلَمّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ الله تَعالَى قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ»**، ثُمَّ قالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩] الآيةَ. [٥٢/ب]

قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«كَلا والله، لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، ولَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ[٥] عَلَى الحَقِّ أطْرًا، ولَتَقْصُرُنَّهُ[٦] عَلَى الحَقِّ قَصْرًا، أوْ لَيَضْرِبَنَّ الله عَزَّ وجَلَّ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَّكُمْ كَما لَعَنَهُمْ»**. رَواهُ أبو داودَ[٧] والترمذِيُّ[٨]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

---

(١) في (د): «كثيرة».
(٢) بعدها في (س): «الرجل».
(٣) في (د): «لك».
(٤) في (د): «وقعده».
(٥) في (س) و(د): «ولتطرنه».
(٦) في (ب): «أو لتقصرنه».
(٧) «سنن أبي داود» (٤٣٣٦، ٤٣٣٧).
(٨) «جامع الترمذي» (٣٠٤٧)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٠٦).

ومَعْنى «**تَأْطُرُنَّهُ**[١]»، أي: تَعطِفونَه[٢].

«**وَلَتَقْصُرُنَّهُ**»، أي: لتَحبِسنَّه عنِ الظُّلمِ والجَورِ[٣].

وإذا كانَ هذا حالَ مَن أنكَرَ ثمَّ خالَطَ، فكيفَ حالُ مَن لم ينكِرْ، أيُّ لعنٍ يَلحَقُه!

وَبَيَّنَهُ[٤] أنّ هذا اللَّعنَ على لسانِ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام، وما أعظَمَ هذا الأمْرَ علينا وما أشدَّه؟!

قالَ[٥] حذيفةُ[٦] رضِيَ الله عنه: قالَ النبيُّ ﷺ: «**والذي نَفْسي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أوْ لَيُوشِكَنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجابُ لَكُمْ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٧] وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

ولا يَخْتَصُّ الأمْرُ بالمعروفِ بالرجالِ، بل النساءُ في ذلكَ كالرجالِ؛ لشُمولِ الأدلّةِ لهُنَّ، وههنا شيءٌ يُتَنَبَّهُ[٨] له، وهوَ أنّ كثيرًا مِن الناسِ يترُكُ الأمْرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكر، ويحتَجُّ بقولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وكذا يَحتَجُّ المُنكَرُ عليه، وهذا إنّما يقولُه الجهلَةُ والفسَقَةُ[٩].

---

(١) في (س): «تطرنه»، و(د): «تطرونه».

(٢) في (ب): «تعظونه». وانظر: «المحيط في اللغة» (٢: ٣٢٧)، و«شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٧: ١٩٦)، و«مرقاة الصعود» (٣: ١١٠٤).

(٣) انظر: «معالم السنن» (٤: ٣٥١)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨: ٣٢٢٠).

(٤) كذا في (س) و(ب) و(د)، وهي في (س) و(د): بهذا الضبط المذكور.

(٥) في (س): «وقال».

(٦) في (د): «حذيفة اليماني».

(٧) «جامع الترمذي» (٢١٦٩)، و«مسند أحمد» (٢٣٣٠١)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠١٩٩).

(٨) في (ب): «تنبيه»، وفي (د): «نبينه».

(٩) قوله: «الجهلة والفسقة» في (ب): «الجهلة أو أفسقه»، وفي (د): «الجهلة والسفهة».

قالَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضِيَ الله عنه: يا أيُّها النّاسُ إنّكُم تقرَؤونَ هذه الآيةَ، وإنّي سمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنّ النّاسَ إذا رَأوا الظّالِمَ فلَمْ يأْخُذُوا علَى يَدَيْهِ، أوْشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ الله عزَّ وجَلَّ بِعِقابٍ[1] مِنْهُ**». رَواهُ أبو داودَ[2] والنسائِيُّ[3] والترمذيُّ[4] بأسانيدَ صحيحةٍ.

ومَعْنى «**غَمْطُ النّاسِ**»: احتقارُهم[5].

والاحتقارُ إنّما ينشَأُ مِن العُجبِ، ومنه ينشَأُ الكِبرُ، وهوَ مِن السيئاتِ العظيمةِ.

سُئل سُليمانُ بنُ داودَ عليهما الصلاةُ والسلامُ عنِ السيئةِ التي لا تنفَعُ معَها الحسنةُ؟ فقالَ: «الكِبْرُ»[6].

لأنّ الكِبْرَ صفةٌ مِن صفاتِ الله عزَّ وجَلَّ، فمَنْ تَعاطاهُ فقد تعرَّضَ لمُنازَعةِ [٥٣/أ] مَولاهُ فيما هوَ له، وفي ذلكَ جُرأةٌ[7] عظيمةٌ، وعاقبتُه وَخيمةٌ، قالَ أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**يَقُولُ الله عَزَّ وجَلَّ: العِزُّ إزارُهُ، والكِبْرِياءُ رِداؤُهُ، فمَنْ[8] نازَعَنِي عَذَّبْتُهُ[9]**». رَواهُ مُسلمٌ[10].

وفي «**الصَّحيحينِ**»[11] مِن رِوايةِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه، أنّه عليه الصَّلاةُ

---

(١) في (د): «بهذاب».

(٢) «سنن أبي داود» (٤٣٣٨)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٠٥).

(٣) «السنن الكبرى» للنسائي (١١٠٩٢).

(٤) «جامع الترمذي» (٣٠٥٧)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢: ٩٠)، و«الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» (١: ١٠٦).

(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ٣٣٩)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ١١٧).

(٧) في (س): «جروة».

(٨) في (س): «فيما».

(٩) في (د): «نازعه عذبه».

(١٠) «صحيح مسلم» (٢٦٢٠).

(١١) «صحيح البخاري» (٥٧٨٩)، و«صحيح مسلم» (٢٠٨٨).

والسَّلامُ قالَ: «**بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي في حُلَّةٍ**[١]**، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلًا رَأْسَهُ، يَخْتالُ في مِشْيَتِهِ؛ إذْ خَسَفَ الله عَزَّ وجَلَّ بِهِ، فهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأرْضِ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ**».

ومَعْنى «**مُرَجِّلٌ**»: مُسرِّحٌ[٢].

ومَعْنى «**يَتَجَلْجَلُ**»: يَغوصُ ويَنزلُ[٣].

وعن سلمةَ بنِ الأكوعِ رضِيَ الله عنه، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لا يَزالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ في الجَبّارِينَ، فيُصِيبُهُ ما أصابَهُمْ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٤]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

ومَعْنى[٥] «**يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ**»: يَترفَّعُ ويَتكبَّرُ[٦].

والكبْرُ هوَ أوَّلُ معصيةٍ عُصِيَ الله عزَّ وجَلَّ بها[٧]، قالَ الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فمَنْ تكبَّرَ فقد شارَكَ[٨] إبليسَ في ذنبٍ[٩] أورَثَه الطردَ والبُعدَ والعذابَ الذي لا آخِرَ لهُ،

---

(١) في (د): «حلته».

(٢) في (س) و(ب) و(د): «يرجل يسرح». وانظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٧: ٣٠٥)، و«إحكام الأحكام» (١: ٩١)، و«شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٦: ٤٣٥)، و«عمدة القاري» (٣: ٣٠).

(٣) انظر: «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٢١: ٥٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠: ٢٦١).

(٤) «جامع الترمذي» (٢٠٠٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦٢٥٤).

(٥) في (د): «ومعناه».

(٦) انظر: «قوت المغتذي على جامع الترمذي» (١: ٤٧٨).

(٧) انظر: «تفسير ابن عطية» (١: ١٢٥)، و«تفسير القرطبي» (١: ٢٩٦).

(٨) في (د): «ساوى».

(٩) في (ب): «ذب».

فلا يأمَنُ على نفْسِه سُوءَ الخاتمةِ، وقد قالَ الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

[التقوى]:

وهذا حصْرٌ في أنّ العاقبةَ يعني الآخرةَ للمتَّقينَ، وما أكثَرَ ادِّعاءَ التَّقوى، وما أبعَدَ النّاسَ عنها؛ هَيْهات! إنّ التَّقوى لَمِنْ أعَزِّ المَطالبِ، ودَعْواها مِن[1] غيرِ معرفةِ ماهِيَّتِها لَمِنْ أعْظَمِ المَصائِبِ؛ ألم تعلَمْ أنّها[2] وصيّةُ الله عزَّ وجَلَّ في الأوَّلينَ والآخِرينَ، قالَ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] الآية.

وَقَدْ ذكَرَ الله عزَّ وجَلَّ التقوى وثمرتَها في غيرِ آيةٍ مِن كتابه العزيز، فقالَ عنِ الجنَّة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ❊ [٥٣/ب] فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١-٥٢]، إلى غيرِ ذلكَ، فهل تَرَى فيها موضعًا لغيرِ المتَّقينَ؟

ولأهلِ التقوى جُعلَ الأمْرُ في الآخرةِ، ولأهْلِها وُعِدَ قبولُ الأعمالِ، ووُسِمَ أهْلُها بالولايةِ، ورُفِعَ عنهم الحزْنُ والخوفُ يومَ الحُزنِ والإخافةِ، وجُعِلَ لأهْلِها المخرَجُ مِن كلِّ ما ضاقَ على العبادِ، ولأهْلِها ضُمِنَ الرزقُ مِن غيرِ الوُجوهِ التي يحتَسِبُونَها[3]، إلى[4] غيرِ ذلكَ.

ولمّا كانَتِ التَّقوى في المرتبةِ المَنيفةِ، كانَ جزاؤُها هذِهِ المِنَح الشريفةَ.

---

(١) في (د): «عن».
(٢) في (د): «أن».
(٣) في (د): «يكتسبونها».
(٤) في (د): «وإلى».

[حقيقة التقوى]:

وللعُلماءِ رضِيَ الله عنهم في حقيقةِ التقوى عباراتٌ، فقيلَ: التقوى العملُ بطاعةِ الله[١]، على نورٍ مِن الله، مخافةَ عقابِ الله عزَّ وجَلَّ[٢].

ومن أينَ يجِدُ القلبُ نورًا مِن الله عزَّ وجَلَّ وهوَ مُنغمِرٌ في بحارِ الشُّبهاتِ، وغارقٌ في لُجَجِ الشهواتِ، وذلكَ مَرتَعُ[٣] الشَّيطانِ ومَأواهُ؛ فمَن حدَّثَ نفسَه بأنّه مُتَّقٍ[٤] مِن غيرِ قطْعِ مادةِ الشبهاتِ والشهواتِ، فهوَ ضُحْكَةٌ للشيطانِ.

قيل[٥]: جاءَ سائلٌ يسألُ عبدَ الله بـنَ عُمرَ رضِيَ الله عنهُما، فقالَ لابنهِ[٦]: «أعْطِه دِينارًا»، فلمّا ذهَبَ السّائلُ قالَ له ابنُه: تقبَّلَ الله منكَ يا أبتاهُ، فقالَ: «لو علِمْتُ أنّ الله عزَّ وجَلَّ قبِلَ[٧] منِّي سجدةً واحدةً أو صدقةَ درهمٍ لم يكُنْ غائبٌ أحبَّ إليَّ مِنَ الموتِ، أتدرِي ممَّنْ يتقبَّلُ الله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]»[٨].

فإذا كانَ هذا السيِّدُ الجليلُ يقولُ ذلكَ، فكيفَ يَحسُنُ بأحدٍ يظُنُّ في نفسِه أنّه مِن المتَّقينَ، وهل ذلكَ إلا مِن الجهلِ، ولو نظرْتَ في سِيرتِهِ[٩] لرأيْتَ[١٠]

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ب) و(د).

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٤: ٢٥٦)، و«مدارج السالكين» (١: ٤٥٩)، و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (١: ٦١).

(٣) في (س) و(ب): «مربع».

(٤) في (س): «متقي».

(٥) «قيل» مثبت من (د).

(٦) «لابنه» مثبت من (د).

(٧) في (د): «تقبل».

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٩).

(٩) في (ب): «سريرته».

(١٠) في (س): «لقضيت».

العجَبَ مِن حُسنِ صَنيعِه مِن المعروفِ وجهادِ نفْسِه في العباداتِ[١].

قالَ نافعٌ: «كانَ ابنُ عُمر[٢] يُحْيي اللَّيلَ وما بينَ الظهرِ والعصرِ[٣]، وإذا قرَأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، يبْكِي حتَّى يغلِبَه البُكاءُ[٤]، وكانَ لا يعجِبُه شيءٌ مِن مالِه إلا خرَجَ عنه لله عزَّ وجَلَّ»[٥].

وأتَتْه يومًا عِشرون ألفَ دِينارٍ، فلم يقُمْ مِن مجلسِه حتَّى فرَّقَها[٦].

ودُفِعَ لهُ في نافعٍ عشرةُ آلافِ دينارٍ[٧]، فقيلَ له: ما تنتظِرُ[٨] في بيْعِه؟ فقالَ: «فهلا ما هوَ خيرٌ؟ هوَ حُرٌّ لوجْهِ الله عزَّ وجَلَّ»[٩]. [٥٤/أ]

وكانَ لا يأكُلُ طعامًا إلا وعلى مائدتِه يتيمٌ[١٠].

وسيرتُه في ذلكَ وأشباهِه كثيرٌ، حتَّى قالَ جابرٌ رضِيَ الله عنه: «ما رَأْينا

---

(١) في (د): «العبادة».

(٢) قوله: «ابن عمر» مثبت من (د).

(٣) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٣٠٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

(٤) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٣٠٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٣٩).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ١٦٦)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٣٩).

(٦) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٩٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٣: ٢١٨).

(٧) «دينار» ليس في (س) و(د).

(٨) في (د): «تنظر».

(٩) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٩٦)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٦: ١٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٤٦١).

(١٠) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٥٥)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٩٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٧).

أحدًا إلا قد مالَتْ به الدُّنيا ومالَ بها، إلا عبدَ الله بنَ عُمرَ رضي الله عَنْهُما»[١]. ومع هذا لا يعُدُّ نفسَه مِن المتَّقينَ.

وقيلَ: التقوى: مجانبةُ ما يبعِدُك عنِ الله عزَّ وجَلَّ[٢]. ومن يقدِرُ على ذلكَ؟

وقيلَ: التقوى لها ظاهرٌ وباطنٌ؛ فالظّاهرُ: محافظَةُ الحُدودِ، والباطنُ: النيّةُ والإخلاصُ[٣].

وهذا أمرٌ شديدٌ، ومن يقدرُ على مُحافظةِ الحُدودِ، والجوارحُ كلُّها مَشغولةٌ بالمُخالفةِ، لا سيَّما اللسانُ والنظرُ، والداءُ العُضالُ: البطْنُ!

وأمّا النيّةُ والإخلاصُ، فهذا شيءٌ لا يقدِرُ عليه إلا الصِّدِّيقونَ، ومَن شمَّ رائحةَ الإخلاصِ، ومِثْلُ الإمامِ أحمَدَ يقولُ: «أمّا لله فعزيزٌ»[٤].

وهو كما قالَ، ومن يقدِرُ على استواءِ السرِّ والعلانيةِ، ومَن يتخلَّصُ مِن الأوصافِ الردِيّةِ، وفي ابنِ آدمَ ثلاثونُ ألفَ وصفٍ رديءٍ، وقيلَ غيرُ ذلكَ.

والمقصودُ تعريفُ تكذيبِ[٥] مَنِ ادَّعى أو حدَّثَ نفْسَه بأنّه متَّقٍ[٦].

قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «المتَّقِي: هوَ الذي يتَّقِي الفواحشَ»[٧].

---

(١) انظر: «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢: ٨٩٤)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٧٠٦)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٣: ٩٥١).

(٢) انظر: «تفسير النيسابوري» (٢: ٧١).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣).

(٤) انظر: «البداية والنهاية» (١٠: ٣٣٠).

(٥) «تكذيب» ليس في (د).

(٦) في (س): «متقي».

(٧) انظر: «الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٠)، و«تفسير الثعلبي» (١: ١٤٢).

وقالَ الترمذِيُّ محمَّدُ بنُ عليٍّ[١]: «هوَ الذي لا خصْمَ له في الآخرةِ»[٢].

وقالَ السيِّدُ الجليلُ أبو سُليمانَ الدارانِيُّ: «المتَّقِي: هوَ الذي نزَعَ الله تعالى مِن قلْبِه حُبَّ الشهواتِ»[٣].

وهذا الذي قالَه، قيلَ: هوَ المرادُ في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]، يَعْني: نزَعَ منها حُبَّ الشهواتِ[٤].

[علاماتِ التقوى]:

واعلَمْ أنّ للتقوى علاماتٍ؛ نذكُرُها لئَلا نغتَرَّ[٥]:

[١] منها: الاشتياقُ إلى مُفارقـةِ الدُّنيا، ومصداقُه[٦] قـولُه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلۡأَخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] الآية؛ لأنّ المتَّقيَ يحِبُّ لقاءَ حَبيبِه، ولا

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، وقيل: الحسين بن بِشْر الزّاهد، الحكيم الترمذي المؤذّن، صاحب التصانيف في التصوف والطريق، سمع الحديث الكثير بخراسان والعراق، وروى عن أبيه، وقتيبة بن سعيد، والحسن بن عمر بن شقيق، وصالح بن عبد الله الترمذي، وغيرهم، وكان يقول: ما صنفت شيئًا لينسب إلي، لكن كنت إذا اشتد علي وقتي أتسلى بمصنفاتي، وعاش نحوًا من ثمانين سنة. انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢١٧-٢٢٠)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٣-٢٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٤)، و«طبقات علماء الحديث» (٢: ٣٥٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢١: ٢٧٦).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١: ١٤٣)، و«الرسالة القشيرية» (٢: ٣٨٠)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧١).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١: ١٦١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩: ٢٦٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٢٩).

(٥) في (د): «تغتر».

(٦) في (ب): «ومصادقة»، وفي (د): «ومضادته».

يمكِنُ اللقاءُ إلا بالموتِ، فكُلما[١] زادَ شوْقُه إلى لقاءِ حبيبِه، ضاقَ مِن العائقِ عنه، والعائقُ الحياةُ، وحينئذٍ يكرَهُ[٢] الحياةَ، ومَنْ كَرِهَها اشتاقَ إلى مُفارقةِ الدنيا[٣]. [٥٤/ب]

[٢] ومنها: أن يهونَ على قلْبه أعْراضُ الدنيا، فلا يفرَحُ بِحُصولِها[٤]، ولا يحزَنُ لذهابِها، فالمتَّقِي[٥] هوَ الذي لا يدنِّسُ ظاهرَه بالمُعارضاتِ[٦]، ولا باطنَه بالعَلالاتِ[٧].

قالَ عمرُ رضِيَ الله عنه: «لا أبالِي على أيِّ حالةٍ أصبَحْتُ أو أمسَيْتُ»[٨].

وقالَ[٩] عبدُ الله بنُ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه: «ما أُبالي إذا رجَعْتُ إلى أهْلِي على أيِّ حالٍ أراهُم بسَـرّاءَ أم بضرّاءَ، وما أصبَحْتُ على حالٍ فتمنَّيْتُ أنِّي على سِواها»[١٠].

فهذانِ رضِيَ الله عنهُما ومَن نَحا نَحْوَهما حقَّقُوا التقوى، ونزَلُوا في مَقامِ التفويضِ، فأخَذُوا بذِروةِ[١١] التقوى، فسُبحانَ مَن وهَبَهم ومَنَّ عليهم!

---

(١) في (س): «فلما».
(٢) في (س): «فيكره».
(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٨)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣).
(٤) في (س): «لحصولها».
(٥) في (س): «فالتقي».
(٦) في (د): «بالمعاوضات».
(٧) في (س) و(ب) و(د): «بالمعاملات». وانظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣).
(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٣٤٦)، و«مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١: ٤٩٧).
(٩) في (د): «قال».
(١٠) انظر: «الزهد والرقائق» لابن المبارك (٢: ٣٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٤).
(١١) في (د): «فأخذوا في بدروة».

وقالَ: «يُستدَلُّ على التقوى بثلاثِ خِصالٍ: بحُسنِ التوكُّلِ فيما لم يُنَلْ، وبحُسنِ الرضا فيما نِيلَ[(١)]، وبحُسنِ الصبرِ على ما فاتَ»[(٢)].

فأنتَ رحِمَنا الله تعالى وإيّاكَ، وحَمانا مِن التلبيسِ والتزويقِ إذا تأمَّلْتَ ما ذكَرْتُه لكَ[(٣)] وهوَ نقطةٌ مِن بحرٍ، قطَعْتَ بأنّا ما شَمَمْنا للتقوى رائحةً، فكيفَ يليقُ بالشخصِ أن يصِفَ نفسَه بما ليسَ فيه ويزكِّيها، والله سُبحانَه وتعالَى يقولُ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقالَ تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، والله أعلَمُ.

[الثياب التي يتعاطاها أعوان الظلمة]:

[٤] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**: لبْسُ ما اعتادَه نساءُ الظَّلَمةِ مِن الأمراءِ والقُضاةِ وأتباعِهم، وأصحابِ الوظائفِ التي يَتعاطاها أعوانُ الظَّلَمةِ، وكذا أصحابُ الثروةِ مِن التُّجّارِ وغيرِهم؛ كالثيابِ الرقيقةِ الشفّافةِ، وكذا الأُزُرِ[(٤)] الخَلابيةِ[(٥)] ونحوِ ذلكَ، وكالعصائبِ[(٦)] الناتئةِ، والطاراتِ، ونحوِ ذلكَ، لا سيَّما عندَ المُبالغةِ في اتساعِ[(٧)] التفصيلِ الذي هوَ عَينُ السَّرَفِ والبَطَرِ، وهذا حرامٌ شديدُ الحُرمةِ[(٨)]، ومُتعاطي ذلكَ له مِن الخِزْيِ ما أذكُرُه مِن الدليلِ[(٩)].

---

(١) في (د): «ينل».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١: ١٤٤)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٢).

(٣) «لك» مثبت من (د).

(٤) في (د): «الإزار».

(٥) في (س) و(ب): «اليزر الجلاية».

(٦) في (د): «وكل عصائب».

(٧) في (د): «اتباع».

(٨) في (س): «التحريم».

(٩) انظر: «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ٢٥٨).

قالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] الآية، فيا ذلَّ مَن لا يحِبُّه الله عزَّ وجَلَّ.

[٥٥/أ] وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**صِنْفانِ مِنْ أَهْلِ النّارِ لَمْ أَرَهُما، قَوْمٌ مَعَهُمْ**[(١)] **سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِها النّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ**[(٢)] **عارياتٌ مائِلاتٌ مُمِيلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ**[(٣)]**، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإِنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذا وكَذا**». رَواهُ مُسلمٌ[(٤)] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضي الله عنهُ.

ومعنى: «**كاسِياتٌ**» أي: مِن نِعمِ اللهِ عزَّ وجَلَّ[(٥)]، «**عارياتٌ**» مِن شُكْرِها[(٦)].

وقيلَ مَعْناهُ[(٧)]: تستُرُ بعضَ بدَنِها وتكشِفُ بعْضَهُ؛ إظهارًا لجمالِها وحُلِيِّها[(٨)] ونحْوِ ذلكَ، كما تفعَلُه المرأةُ تُظْهِرُ مِعصَمَها مُوهِمةً أنّها تُصلِحُ إزارَها أو غيْرَه، ومقصودُها: أنْ يَرَى الناسُ مِعْصَمَها وسِوارَها وخواتمَها وسَلاسِلَها ونحْوَ ذلكَ.

وهذه المسكينةُ قد تظاهَرَتْ بمُخالفةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ في قولِه تعالى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]، الآيةَ.

---

(١) في (د): «معهما».
(٢) في (ب): «كاسايات».
(٣) في (د): «المائل».
(٤) «صحيح مسلم» (٢١٢٨).
(٥) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٨: ٣٨٦)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٣: ٣٨٨)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣: ٥٦٧)، و«الميسر» للتوربشتي (٣: ٨٢٣).
(٦) انظر: المراجع السابقة.
(٧) «معناه» ليس في (ب).
(٨) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٣٦١)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٣: ٣٨٨)، و«فيض القدير» (٤: ٢٠٩).

فكأنِّي[١] بها وقد وُضِعَتْ في قبْرِها فأسرَعَتِ النارُ إليها، فأُوقِدَ[٢] مِعْصَمُها وأُوقِدَ حُليُّها زيادةً في العذابِ إن كانَ ثيابُها وحُليُّها حلالًا، وإلا اشتعَلَتْ معَ ذلكَ ثيابُها، فصارَتْ هذه المسكينةُ شعلةَ نارٍ مِن نارٍ، لو نزَلَ منها إلى الدنيا شرارةٌ أو فُتِحَ منها قدْرُ مَنْخِرٍ[٣] لأحرَقَتِ الدنيا وما فيها، اللَّهمَّ إنّا نسألُكَ العافيةَ مِن عذابِ النارِ.

وقيلَ: مَعْنى «**كاسِياتٌ عارِياتٌ**» يعني: تلبَسُ ثوبًا رقيقًا يصِفُ لونَ بدَنِها، وفي مَعْنى ذلك: الإزارُ الشَّفَّافُ، الذي يصِفُ ما تحتَه مِن الأقبِيةِ والعَصَبةِ[٤] وغيرِ ذلكَ[٥].

وهؤلاءِ وأزواجُهم لهم مِن العذابِ والخزْيِ ما لا يعلَمُ قدْرَه إلا الله عزَّ وجَلَّ، لا سيَّما إذا[٦] انضَمَّ إلى ذلكَ التفاخُرُ والتعاظُمُ، وحبُّ أن يقالَ عليها ولها، فهؤلاءِ لهم زيادةُ عذابٍ، لا سيَّما إن كانَ زوجُها مِن المُتصوِّفةِ[٧]؛ فإنّه يكونُ سببًا لوُقوعِ غيْرِه في هذه المصائبِ[٨].

فإن كانَ فقيهًا واعظًا فهوَ أشدُّ عقوبةً؛ لأنّه به يقتَدي العوامُّ، فهوَ أشدُّ فسادًا للخلْقِ مِن المُتصوِّفِ[٩]؛ لأنّ المتصوِّفَ منسوبٌ إلى الجهلِ؛ فإن [٥٥/ب] كانَ قاضيًا فهوَ أشدُّ عقوبةً؛ لأنّ القاضِيَ وظيفتُه الإنكارُ على مَن يَتعاطَى هذه

---

(١) في (د): «كأني».
(٢) في (د): «وأوقد».
(٣) في (ب): «منخرة».
(٤) في (د): «والأعصبة».
(٥) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٣٦١)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٣: ٣٨٨)، و«فيض القدير» (٤: ٢٠٩).
(٦) في (ب): «إذ».
(٧) في (ب): «التصوفة».
(٨) في (د): «الصفات».
(٩) في (د): «المتصوفة».

المَناكرَ، وردُّه إلى الحقِّ الذي نزَلَ به الكتابُ مِن ربِّ العالمينَ[١]، وبلَّغَهُ سيِّدُ الأوَّلينَ والآخِرينَ ﷺ، قالَ الله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ * كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١-٢]، فكلُّ مَن لم يتَّعِظْ به فليسَ بمُؤمنٍ.

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، وقالَ تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]؛ أي: بظاهِرِهم وباطنِهم، فكلُّ مَن دُعيَ إلى الحقِّ ووجَدَ في نفسِه حَرَجًا، أي: ضِيقًا، ولم يسلِّمْ لحُكمِ الله تعالى ظاهرًا وباطنًا فليسَ بمُؤمنٍ[٢]؛ فلْيُتَنَبَّه لذلكَ فإنّه مهِمٌّ مهِمٌّ[٣].

فالحذَرَ الحذَرَ مِنِ اتباعِ فُقهاءِ زمانِكَ الذين نصَبُوا أنفسَهم عبيدًا لهؤلاءِ الظَّلَمةِ، حتَّى إنّ القاضِيَ مِن دأْبِه أنْ يفكِّرَ[٤] في الأمْرِ الذي يحِبُّه هذا الظالمُ الغاشِمُ الذي قد طبقَ محلَّ ولايتِه بالظُّلمِ مِن المَكسِ، وأخْذِ ما لا يحِلُّ لا في دينِ المُسلمينَ، ولا في دينِ اليهودِ، ولا في دينِ النصارى الذي دينُهم مَبْناه على النجاسةِ التي[٥] يتوقّاها الكلْبُ برفْعِ[٦] رجْلِه، ولا في دينِ المجوسِ، ولا في دينِ الثنويّةِ والوثنيّةِ، التي عقولُهم في غايةِ العدَمِ، ولا في ملّةٍ مِن المِللِ؛ لأنّ ذلكَ مِن الخَمْسِ الكليّاتِ التي[٧] اتَّفقَ جميعُ المِللِ على منْعِها.

---

(١) في (س) و(د): «رب الأرباب».
(٢) انظر: «تفسير الرازي» (١٠: ١٢٨)، و«فتح القدير» للشوكاني (١: ٥٥٩).
(٣) قوله: «فإنه مهم مهم» في (ب): «فإنه هم هم».
(٤) في (د): «ينكر».
(٥) في (د): «الذي».
(٦) في (ب): «يرفع».
(٧) في (د): «الذي».

وكذا طبقَ محلَّ ولايتِه بتوليةِ أخسِّ النّاسِ وأرذلِهم مِن حمارٍ[١] جاهلٍ غَشومٍ، فيعمِدُ إلى موضعِ[٢] ولايتِه فيُغازي في الموحِّدينَ وغيرِهم بأخْذِ أموالِهم، وهتْكِ نِسائِهم وذراريهم، ولوِ امتنَعَ شريفٌ منه سفَكَ دمَه، وأخَذَ مَن أخَذَ وبَرْطَلَ به مَن ولاهُ.

وكذا طبقَ محلَّ ولايتِه بحمايةِ/ الحشّاشينَ والخمّارينَ والمُقامرينَ والمغانِي [٥٦/أ] والقَيْناتِ، وكلِّ فاحشةٍ نَهى اللهُ عزَّ وجَلَّ عنها، وهوَ مُتظاهِرٌ بالاستهزاءِ بكتابِ اللهِ عزَّ وجَلَّ وبرسولِه ﷺ، فقاضٍ هوَ قد نصبَ نفسَه عبدًا لمَن هذه صفتُه مِن ظالمٍ، حشّاشٍ، خمّارٍ، قوّادٍ، وغيرِ ذلكَ مِن الفواحشِ يُقتَدَى به وبمَنْ يتردَّدُ إليه مِن المُفتينَ؟! كلا واللهِ لا يفعلُ ذلكَ إلا جاهلٌ قد كبَّه الجهْلُ على أنفِه في النارِ، أو زِنديقٌ حُلوليٌّ، أو ملحدٌ، أو مفتونٌ بزهرةِ الدنيا التي هيَ رأْسُ كلِّ خطيئةٍ، كما قالَه[٣] عليه الصلاةُ والسلامُ. رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[٤] والبَيْهقِيُّ[٥].

فالحذَرَ الحذَرَ[٦] مِن الاقتداءِ بهؤلاءِ الفُقهاءِ الذينَ هُم على دينِ الإسلامِ أضرُّ مِن اليهودِ والنصارى، ولا يجوزُ استفتاؤُهم، ولا الاقتداءُ بهم في قولٍ ولا فعلٍ؛ لأنّهم على أقلِّ الدرجاتِ فُسّاقٌ، والفاسِقُ لا يُقبَلُ قوْلُه في فَلْسٍ، فكيفَ يُقبَلُ قولُ[٧] مَنِ اللهُ عزَّ وجَلَّ ورسولُه ﷺ[٨] أحقَرُ عِندَه مِن ظالمٍ هذه

---

(١) في (ب): «خمار».
(٢) في (د): «محل».
(٣) في (د): «قال».
(٤) «الزهد» لابن أبي الدنيا (٢٦).
(٥) «شعب الإيمان» للبيهقي (١٠٠١٩). وأورده الصغاني في «الموضوعات» (٣٧)، وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (١: ٣٤٤): «رواه البيهقي في «الشعب» بإسناد حسن إلى الحسن البصري، رفعه مرسلًا».
(٦) «الحذر» ليس في (س) و(د).
(٧) في (د): «قوله».
(٨) قوله: «ورسوله ﷺ» ليس في (ب).

صفتُه، بدليلِ عدَمِ تنفيذِ قولِ الله وتنفيذِ قولِه، وإن كانَ فيه غضَبُ الله وغضَبُ رَسولِه ﷺ، وهذا مِن الدليلِ الواضحِ ويُقتدَى[١] به في دينِ الله عزَّ وجَلَّ؟!

وكنتُ في بيتِ المقدسِ في وقْتِ مَجاعَةٍ، فشرِبَ بعضُ القُضاةِ الخمْرَ على قَينةٍ، فقالَ بعضُ أتباعِ الظَّلَمةِ: «قد[٢] حلَّ لنا الخمرُ، هذا القاضِي قد شرِبَ الخمرَ»، فكانَ فعلُ ذلكَ سببًا لكفرِ هذا القائلِ[٣]، أو لإظهارِ ما هوَ كامِنٌ في نفسِه الخبيثةِ.

وقولي: «إنّهم على دينِ الإسلامِ أضرُّ مِن اليهودِ والنصارى» في غايةِ الوُضوحِ؛ لأنّ المُسلمَ يعتقِدُ عَداوةَ اليهودِ والنصارى، وبطلانَ ما هم عليه فلا يَقتدِي بهم[٤]، بخلافِ فُقهاء المُسلمينَ؛ فإنّهم[٥] إنّما يقتدونَ بهم حتَّى متى وقعَ للمُسلمِ قضيّةٌ مُتديّنًا كانَ أو غيرَ مُتديّنٍ أسرَعَ إليهِ، واعتمَدَ في قضيَّتِهِ عليه؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعونَ مِن هذه المُصيبةِ الجسيمةِ. [٥٦/ب]

ولا حجّةَ في قولِ القائلِ: فلِمَنْ نسألُ وعمَّنْ نأخُذُ العلْمَ؟

إنّ لله تعالى رجالًا يحفَظونَ دِينَه، لا يضرُّهم مَن خذَلَهم إلى يومِ القيامَةِ، مَن طلَبَهم بصدقٍ وجَدَهم، ومَن وجَدَهم وتبِعَهم كانَ مِن النّاجين، والله أعلَمُ.

---

(١) في (د): «ولا يقتدى».

(٢) في (ب): «قل».

(٣) قال ابن قدامة في «المغني» (٩: ١١): «من اعتقد حِل شيء أجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه، كلحم الخنزير، والزنى، وأشباه هذا، مما لا خلاف فيه، كفر». وقال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (١٢٦): «إن استحلال المعصية صغيرة أو كبيرة كفر إذا ثبت كونها معصية بدلالة قطعية».

(٤) قوله: «فلا يقتدي بهم» ليس في (ب).

(٥) في (د): «فإنه».

ومَعْنى «**مائِلاتٌ**»، قيلَ: عن طاعةِ الله تعالى، وما يلزَمُهنَّ حفْظُه[١].

ومَعْنى «**مُمِيلاتٌ**»[٢]؛ أي: يعلِّمْنَ غيرَهُنَّ فعْلَهنَّ المَذمومَ[٣].

وقيلَ: «**مائِلاتٌ**»؛ أي: يمشِينَ مُتبختِراتٍ[٤] مُمِيلاتٍ لأكتافِهِنَّ، وهذه[٥] المِشيةُ التي نُهِيَ عنها، ففاعلةُ ذلكَ مُخالِفةٌ، والمُخالِفةُ لها عقوبةٌ على قدْرِ ذنْبِها[٦].

وقيلَ: «**مائِلاتٌ**»: يتمشَّطْنَ[٧] المِشطةَ المَيلاءَ، وهيَ مِشطةُ[٨] البَغايا[٩].

و«**مُمِيلاتٌ**»: يُمشِّطْنَ غيْرَهُنَّ تلكَ المِشطةَ[١٠].

ومَعْنى «**رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ**»؛ أي: يُكَبِّرْنَها ويُعَظِّمْنَها بلَفِّ عصائبَ[١١] ونحْوِها[١٢]، والله أعلَمُ.

---

(١) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣: ٥٦٨)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠).

(٢) في (ب): «مائلات».

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٨: ٢٤٩٠)، و«شرح السيوطي على مسلم» (٥: ١٦٤).

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٨: ٢٤٩٠)، و«شرح السيوطي على مسلم» (٥: ١٦٤).

(٥) في (د): «وهي».

(٦) انظر: «مطالع الأنوار» (٤: ٧٤)، و«المفاتيح في شرح المصابيح» (٤: ٢٢٣)، و«شرح المصابيح» لابن الملك (٤: ١٦٢).

(٧) في (ب): «يمشطن».

(٨) في (د): «المنشطة».

(٩) «شرح السيوطي على مسلم» (٥: ١٦٤)، و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨: ٤٧٣).

(١٠) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٣٦١)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠).

(١١) في (د): «عمائم».

(١٢) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٣٦١)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠).

[وصل الشعر والوشم والوشر]:

[٥] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكات**: وصْلُ الشَّعرِ والوشْمِ والوشْرِ، وهو تحديدُ الأسنانِ[١].

قالَ الله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ۞ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۞ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۞ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ الآية [النساء: ١١٧-١٢١].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لَعَنَ الله الواصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ، والواشِمَةَ والمُسْتَوْشِمَةَ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٢] ومُسلمٌ[٣] مِن حديثِ ابنِ عُمرَ رضِيَ الله عنهُما.

ولعَنَ[٤] ابنُ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه الواشِماتِ والمُستوشِماتِ، والمُتنمِّصاتِ، والمُتفلِّجاتِ للحُسنِ، المُغيِّراتِ خلْقَ الله عزَّ وجلَّ، فقالَتْ له امرأةٌ في ذلكَ، فقالَ: ما لي لا ألعَنُ مَن لعنَه رَسولُ الله ﷺ؟ هوَ[٥] في كتابِ الله عزَّ وجلَّ، قالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. [٥٧/أ] رَواهُ البُخارِيُّ[٦] ومُسلمٌ[٧].

---

(١) انظر: «معالم السنن» (٤: ١٩١)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١٠٦)، و«المفاتيح في شرح المصابيح» (٥: ٢٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٩٣٧).

(٣) «صحيح مسلم» (٢١٢٤).

(٤) في (د): «لعن».

(٥) في (د): «وهو».

(٦) «صحيح البخاري» (٤٨٨٦).

(٧) «صحيح مسلم» (٢١٢٥).

فيا ذلَّ وخزيَ مَن لعنَها[١] رَسولُ الله ﷺ.

والمتفلِّجةُ: هيَ التي تبرُدُ أسنانَها؛ ليتباعَدَ[٢] بعْضُها عن بعضٍ قليلًا، وتحسِّنُها، وهوَ الوشْرُ[٣].

والنامصة: هيَ التي تأخُذُ مِن شعْرِ حاجبِ غيْرِها وترقِّقُه[٤]؛ ليصيرَ حَسنًا[٥].

والمتنمِّصةُ: هيَ التي تأمُرُ مَن يفعَلُ بها ذلكَ[٦].

وعن حُميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ، أنّه سمِعَ مُعاويةَ رضِيَ الله عنه عامَ حجَّ على المنبرِ، وقد تناوَلَ قُصَّةً مِن شعرٍ كانَتْ في يدِ حَرَسِيٍّ، فقالَ: يا أهلَ المدينةِ، أينَ عُلماؤُكُم؟ سمِعْتُ رَسول الله ﷺ يَنْهَى عن مثْلِ هذا[٧]، ويقول: «**إنّما هَلَكَتْ بَنو إسْرائِيلَ حِينَ اتَّخَذَها نِساؤُهُمْ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٨] ومُسلمٌ[٩].

فتنبَّهي لذلكَ يا مُؤمنةُ، واحذَرِي سببَ الهلاكِ، ولا تغتَرِّي[١٠] بكثرةِ[١١] مَن يفعَلُ ذلكَ، ولا تستصغِري هذا الذنبَ، فإنّ غضَبَ الله عزَّ وجَلَّ مستورٌ في مُخالفتِه.

---

(١) في (س): «لعنه». (٢) في (د): «لتباعد».

(٣) انظر: «معالم السنن» (٤: ٢٠٩)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٥: ٢٤١)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١: ٢٧٣).

(٤) في (د): «وترفعه».

(٥) انظر: «الكواكب الدراري» (٢١: ١٢٩)، و«عمدة القاري» (٢٢: ٦٣)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ٢٣٤).

(٦) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤: ١٠٦)، و«المفاتيح في شرح المصابيح» (٥: ٤٣).

(٧) في (د): «هذه». (٨) «صحيح البخاري» (٣٤٦٨).

(٩) «صحيح مسلم» (٢١٢٧). (١٠) في (د): «تفتري».

(١١) «بكثرة» ليس في (ب).

وكيفَ يُستصغَرُ هذا الذنبُ، وقد حذَّرَ اللهُ عزَّ وجَلَّ منه، وكذا رَسولُه عليه الصلاةُ والسلامُ، وذكَرَ أنّه سببُ هلاكِ[1] مَن قبْلَنا، كما بيَّـنَ لنا أنّ مُجالسةَ الظَّلَمةِ والفسّاقِ سببُ هلاكِ مَن قبْلَنا، ونبَّهَ على التَّحذيرِ منه، ومعلومٌ أنّ ذلكَ ممّا يفعلُه العُلماءُ والمُتصوِّفةُ، فتنبَّهِي لذلكَ، ولا تغتَرِّي بكثرةِ الهالكينَ، فقد قامَتِ الحجَّةُ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ.

[حقوق الآدميين][2]:

[٦] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ:** أن يلزَمَ ذمَّتَكِ شيءٌ مِن دَينٍ أو قرضٍ، أو إتلافِ شيءٍ.

كما إذا استعَرْتِ حاجةً فانكسَرَتْ أو تلِفَتْ[3] ونحوَ ذلكَ؛ فإنّه يجِبُ المُبادرةُ إلى بَراءةِ الذمّةِ، إما بالوفاءِ أو البراءةِ[4]، أو الهبةِ، لا سيَّما إذا كانَ المستحِقُّ يستحْيي أنْ يُطالِبَ، أو كانَ قد ورِثَ الحقَّ صغيرًا أو صغيرةً، فمَنْ[5] أخَّرَتْ ذلكَ فهيَ ظالمةٌ عاصيةٌ معصيةً عظيمةً، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**». رَواهُ البُخاريُّ[6] ومُسلمٌ[7].

والغنيُّ: هوَ الذي يقدِرُ على الوفاءِ[8]، وكثيرٌ ممَّن يقدِرُ على الوفاءِ ويؤخِّرُ طَمَعًا في أنّه يُوفي مِن موضعٍ آخَرَ مِن غزلٍ[9] أو غيْرِه/ ، ومن فعَلَ[10] ذلكَ فهوَ [٥٧/ب]

---

(١) في (ب): «الهلاك».
(٢) كذا على حاشية (ب).
(٣) في (د): «أتلفت».
(٤) في (د): «بالبراءة».
(٥) في (د): «ممن».
(٦) «صحيح البخاري» (٢٢٨٧).
(٧) «صحيح مسلم» (١٥٦٤).
(٨) انظر: «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٦: ٣٠٢)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣: ٤٢٧).
(٩) في (س): «عزل».
(١٠) في (د): «يفعل».

عاصٍ، وإن كانَ قد أخَذَ ذلكَ على سَبيلِ المُخادعةِ أو المُهاياةِ[١] فهوَ آثمٌ إثمًا آخَرَ بسببِ ذلكَ.

فإن كانَ قد أخَذَ ذلكَ خُفيةً وجَبَ إعلامُ صاحِبِ الحقِّ، فإنْ[٢] أخَذَه غصْبًا فهوَ أشدُّ في المعصيةِ؛ لأنّه تجاهَرَ بمُخالفةِ الله عزَّ وجَلَّ، وذلكَ ذنبٌ عظيمٌ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يَحِلُ لِامْرِئٍ أنْ يَأْخُذَ عَصا أخِيهِ بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، وذلكَ لِشِدَّةِ ما حَرَّمَ الله عزَّ وجَلَّ مالَ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ**[٣]». رَواهُ البيْهقِيُّ[٤].

وفي القُرآنِ العظيمِ[٥] و«**الصَّحيحينِ**» النهيُ عن ذلكَ؛ فإن أنكرَتْ ما ادُّعِيَ عليها وقعَتْ في إثمِ الكذبِ زيادةً على ذلكَ، فإن حلَفَتْ وقعَتْ في معصيةٍ مِن الكبائرِ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى مالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ الله عَزَّ وجَلَّ وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانُ**». نسألُ الله عزَّ وجَلَّ العافيةَ مِن غضَبِه. رَواهُ البُخارِيُّ[٦] ومُسلمٌ[٧] مِن حديثِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه.

---

(١) في (س) و(ب) و(د): «أو المحاياه». ولعل ما أثبت أقرب للصواب. والمهاياة: هي أمر يتهايا القوم عليه فيتراضون. انظر: «المحيط في اللغة» (٤: ٩٣).

(٢) في (د): «فإنه».

(٣) جاء بعدها في (س): «حرام».

(٤) «مسند أحمد» (٢٣٦٠٥)، و«مسند الروياني» (١٤٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (٥٩٧٨)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦: ١٦٥). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤: ١٧١): «رواه أحمد، والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح».

(٥) «العظيم» ليس في (س).

(٦) «صحيح البخاري» (٢٣٥٦).

(٧) «صحيح مسلم» (١٣٨).

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ بِيَمِينِهِ فقَدْ**[١] **أَوْجَبَ الله عَزَّ وجَلَّ لَهُ النّارَ، وحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»، فقالَ رجلٌ: وإن كانَ شيئًا يسيرًا يا رَسولَ الله؟ فقالَ: «**وَإِنْ كانَ قَضِيبًا**[٢] **مِنْ أراكٍ**». رَواهُ مُسلمٌ[٣].

فالحذَرَ الحذَرَ مِن ذلكَ، فكأنِّـي[٤] بكِ وقد ندِمْتِ حينَ لا ينفَعُ[٥] الندَمُ.

ومِن الظُّلم: أنْ تدخُلَ المرأةُ على امرأةٍ أُخرى بغيرِ إذْنِ زوجِها أو سيِّدِها، وتدخلَ في هَواها وتحسِّنَ لها أمورًا كثيرةً[٦] يكرَهُها الزوجُ، فهذه عليها آثامٌ؛ منها: دخولُها منزلَ الزوجِ بغيرِ رِضاهُ، فهيَ عاصيةٌ بالقُعودِ وبالأكْلِ[٧] والشُّربِ، وبالخَديعةِ وبالإفسـادِ، فهذه كلُّها معاصٍ كبائرُ بمنزلةِ شرْبِ الخمْرِ[٨].

وقد يقولُ الزوجُ[٩] للدّاخلةِ كلامًا يُفهِمُ منهُ[١٠] أنّه لا يكرَهُ دُخولَها، إلا أنّه يَرَى أنّ[١١] دُخولَها وسكوتَه أهونُ عليه ممّا يترتَّبُ على التصريحِ بمنْعِها فسكتَ[١٢] مُكابرةً[١٣]، فهذه أيضًا مِن المعاصِي، فالمُؤمنةُ التي صدَّقَتْ رَسولَ الله ﷺ فيما جاءَ به عن / ربِّنا عزَّ وجَلَّ تتفَقَّدُ[١٤] ذلكَ، وإلا فهيَ مُوقِعةٌ نفْسَها في حُفرةٍ، بل حُفَرٍ مِن نارِ جهنَّم، عافانا الله تعالى منها. [٥٨/أ]

---

(١) «فقد» ليس في (د).
(٢) في (س) و(د): «قضيب».
(٣) «صحيح مسلم» (١٣٧).
(٤) في (د): «وكأني».
(٥) في (د): «ينفعك».
(٦) قوله: «لها أمورًا كثيرة» ليس في (ب).
(٧) في (د): «والأكل».
(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢: ٥٩)، و«الكبائر» للذهبي (١٧٥).
(٩) في (ب): «للزوج».
(١٠) «منه» مثبت من (د).
(١١) «أن» ليس في (د).
(١٢) كأنها في (س): «فتسكت»، وفي (د): «فيسكت».
(١٣) في (د): «مكاثرة».
(١٤) في (ب): «تفعل».

فعليكِ أيَّتُها[١] المسكينةُ بالمُبادرةِ إلى فِكاكِ نفْسِكِ من أمرٍ مَهولٍ في يومٍ لا تَدارُكَ فيه ولا قدرةَ، إلا عذابٌ وسحبٌ إلى النارِ.

قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنْ كانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأخيهِ مِنْ عِرْضِهِ أوْ مِنْ شَيْءٍ، فلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، مِنْ قَبْلِ ألا يَكُونَ دِينارٌ ولا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ لَهُ عَمَلٌ صالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَناتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئاتِ صاحِبِهِ، فحُمِلَ عَلَيْهِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٢] ومُسلمٌ مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أتَدْرُونَ ما**[٣] **المُفْلِسُ؟**» قالُوا: المفلِسُ فينا[٤] مَن لا دِرهمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنَّ**[٥] **المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ بِصَلاةٍ وصِيامٍ وزَكاةٍ، ويَأْتِي وقَدْ شَتَمَ هَذا، وقَذَفَ هَذا، وأكَلَ مالَ هَذا، وسَفَكَ دَمَ هَذا، وضَرَبَ هَذا، فيُعْطَى هَذا مِنْ حَسَناتِهِ، وهَذا مِنْ حَسَناتِهِ، فإنْ فنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يَقْضِيَ ما عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطاياهُمْ، فطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النّارِ**». رَواهُ مُسلمٌ[٦] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه.

وكان على ثَقَلِ النبيِّ ﷺ رجلٌ يقالُ له: كِرْكِرَةُ، فماتَ، فقالَ رَسولُ الله: «**هُوَ في النّارِ**»، فذهَبُوا يَنْظرونَ إليه فوجَدُوا عَباءةً قد غلَّها. رَواهُ البُخارِيُّ[٧] مِن حديثِ عبد الله بن عمرِو بنِ العاصِ[٨] رضِيَ اللهُ عنه.

---

(١) في (س) و(ب) و(د): «أيها».
(٢) «صحيح البخاري» (٢٤٤٩).
(٣) في (د): «من».
(٤) في (د): «منا».
(٥) «إن» ليس في (ب).
(٦) «صحيح مسلم» (٢٥٨١).
(٧) «صحيح البخاري» (٣٠٧٤).
(٨) في النسخ: «عمرو بن العاص». والمثبت موافق لما في مصادر التخريج.

ومَعْنى «**غلَّها**»: سرقَها(١).

وإذا كانَ هذا في عَباءةٍ، وفي رِوايةٍ: «شَمْلَةً أخَذَها مِن المَغنَم»(٢) وله فيه حقٌّ، فكيفَ حالُ مَن يأخُذُ شيئًا لا حقَّ له فيه؟! كما يفعَلُه الظَّلَمةُ مِن أخْذِ المقاطعِ واللُّحُفِ والفُرُشِ والبُسُطِ والمقاعدِ وغيْرِها.

فكأنِّي بهذه المسكينةِ زوجةِ هذا الظالمِ وقدِ التهَبَتْ عليها هذه الأمورُ في نارِ جهنَّمَ.

وقد كثُرَ في ألسنةِ النساءِ: أنّ المرأةَ ما عليها الذي يفعَلُه الزَّوجُ مِن الظُّلمِ، والبَلْصُ(٣) في ذمَّتِه، **وهذا كلامٌ باطلٌ خبيثٌ، لا يصدُرُ إلا مِن قلْبٍ خبيثٍ**، [٥٨/ب] فتجِبُ التَّوبةُ مِن ذلكَ.

ومَن عَرفَتْ أنّ ذلكَ حرامٌ، أو(٤) قالَتْ ذلكَ، أو سمِعَتْه ولم تنكِرْه، فهيَ عاصيةٌ؛ فإنِ اعتقَدَتْ جوازَ ذلكَ بعدَ معرفتِها بأنَّه حرامٌ، فهيَ كافرةٌ فتُستتابُ؛ فإن تابَتْ وإلا ضُرِبَتْ عنُقُها(٥) بسيفِ الشرعِ المحمَّديِّ، واستوجَبَتْ بذلكَ الخُلودَ في النارِ؛ لأنّها حلَّلَتْ ما حرَّمَ الله عزَّ وجَلَّ، وأخَذَتْه، واستعمَلَتْه بغيرِ حقِّه.

فكأنِّي(٦) بها وقد جاءَتْ يومَ القيامَةِ وهيَ تحمِلُ هذه الأمورَ، قالَ الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ الآيةَ [الأنعام: ٣١].

---

(١) في (س): «سارقها». انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ٣٨٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٧٠٧)، و«صحيح مسلم» (١١٥).

(٣) ومعناها: جباية الضرائب.

(٤) في (س): «و».

(٥) في (د): «رقبتها».

(٦) في (د): «كأني».

وقالَ[١] عليه الصلاةُ والسلامُ: «**والله لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلّا لَقِيَ اللهَ تَعالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيامَةِ، فلَأعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغاءٌ، أَوْ بَقَرَةً[٢] لَها خُوارٌ، أَوْ شاةً تَيْعَرُ[٣]**»، ثمَّ رفَعَ يدَيْه حتَّى رُئِيَ[٤] بياضُ إبْطَيْه، ثمَّ قالَ: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟**». رَواهُ البُخارِيُّ[٥] ومُسلمٌ[٦] مِن[٧] حديثِ أبي حُميدٍ الساعديِّ، واسمُه: عبدُ الرحمنِ رضِيَ الله عنه، وهذا بعضُ حديثِ ابنِ اللُّتبيّة[٨].

ومَنِ استعمَلَتْ شيئًا ممّا جاءَ به زوْجُها، فقد أخذَتْه بغيرِ حقِّه، وسواءٌ[٩] كانَ زوْجُها أميرًا، أو قاضيًا، أو مُتصوِّفًا، أو غيرَ ذلكَ، ويجِبُ عليها أنْ تسألَ عالمًا عاملًا بعلْمِه قد[١٠] عُرِفَ منه أنّه لا يقولُ إلا الحقَّ، ولا يتساهَلُ، أمّا مَن هوَ مِن[١١] هذه[١٢] الفُقهاءِ فلا يُسألُ ولا يُستَفْتى مِنهُم[١٣] كما قدَّمْناه.

وكذا لا يُسألُ هؤلاءِ الذين اتَّخَذوا قراءةَ «**البُخارِيِّ**» و«**مُسلمٍ**» وغيْرِهما[١٤] في الدَّكاكينَ؛ فإنّهم منهم، بل أنزَلُ درجةً؛ لأنّهم عوامّ بالنسبةِ إلى المُفتينَ[١٥]، اللَّهمَّ إلا أنْ يكونَ ممَّن عُرِفَ بالعلْمِ والتقوى.

---

(١) في (د): «قال».
(٢) في (د): «وبقرة».
(٣) في (د): «تبعر».
(٤) في (د): «رأينا».
(٥) «صحيح البخاري» (٦٩٧٩).
(٦) «صحيح مسلم» (١٨٣٢).
(٧) في (د): «في».
(٨) في (س) و(د): «ابن اللتية».
(٩) في (د): «سواء».
(١٠) في (د): «وقد».
(١١) «من» ليس في (ب).
(١٢) في (د): «هذا».
(١٣) «منهم» مثبت من (د).
(١٤) في (س): «وغيرها».
(١٥) في (د): «المتقدمين».

وعلامةُ التقوى: أنّه لو قالَ له واحدٌ مِن الظَّلَمةِ أو واحدةٌ مِن نسائِهم: اقرَأْ لي «البُخـاريَّ»؛ فإنّه لا يفعَلُ ذلكَ؛ تديُّنًا[١]، فمثْلُ هـذا[٢] يُقبَلُ قـولُه، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

[٥٩/أ] وممّا يتَّصلُ بذلكَ في[٣] تغليظِ العُقوبةِ: عدمُ إخراجِ الكفّاراتِ بالأيمانِ، وكذا عدمُ إخراجِ الزكاةِ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ما مِنْ صاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْها حَقَّها، إلا إذا كانَ[٤] يَوْمُ القِيامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفائِحُ مِنْ نارٍ في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَقْضِيَ الله عَزَّ وجَلَّ بَـيْنَ العِبادِ، فـيُـرَى سَبِيلُهُ إمّا إلَى الجَنَّةِ وإمّا إلَى النّارِ**»[٥].

وفي رِوايةٍ: «**وَلا صاحِبِ كَنْزٍ لا يَفْعَلُ فيه حَقَّهَ، إلا جاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ القِيامَةِ شُجاعًا أَقْرَعَ فاتِحًا فاهُ، فـإذا أَتاهُ فَرَّ مِنْهُ، فيُنادِيهِ: خُذْ كَنْـزَكَ الذِي خَبَّأْتَـهُ؛ فأنـا غَنِيٌّ عَنْهُ[٦]، فإذا رَأى أنّه لا بُدَّ لَهُ مِنه سَلَكَ يَدَهُ في فيهِ فيَقْضِمُها قَضْمَ الفَحْلِ**»، قيلَ: يا رَسـولَ الله، والإبلُ[٧]؟ قـالَ: «**وَلا صاحِبُ إبلٍ لا يُـؤَدِّي مِنْها حَقَّها، ومِنْ حَقِّها حَلْبُها[٨] يَوْمَ وِرْدِها إلا إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ بُطِحَ لَهُ بِقاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ ما كانَتْ لا يَفْقِدُ مِنْها فصِيلًا واحِـدًا، تَطَؤُهُ بأَخْفافِهـا، وتَعَضُّهُ بأَفْواهِهـا، كُلَّما مَـرَّ عَلَيْهِ أُولاها رُدَّ[٩] عَلَيْهِ أُخْراها، في يَوْمٍ كانَ مِقْـدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبادِ، فيَرَى سَبِيلَـه إمّا إلَـى الجَنَّةِ وإمّا إلَى النّارِ**»، قيلَ: يا رَسولَ الله، فالبقَرُ والغنَمُ؟

---

(١) في (د): «تداينًا».
(٢) في (د): «ذلك».
(٣) في (د): «من».
(٤) في (د): «كأنه».
(٥) «صحيح مسلم» (٩٨٧).
(٦) في (ب) و(د): «فأنا عنه غني».
(٧) في «صحيح مسلم» : «فالإبل».
(٨) في (د): «حليها».
(٩) في (د): «ردت».

قالَ: «**وَلا صاحِبُ بَقَرٍ ولا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي مِنْها**[١] **حَقَّها، إلا إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ بُطِحَ لَها بِقاعٍ قَرْقَرٍ، لا يَفْقِدُ مِنْها شَيْئًا، لَيْسَ فيها**[٢] **عَقْصاءُ، ولا جَلْحاءُ، ولا عَضْباءُ؛ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِها وتَطَؤُهُ بِأَظْلافِها، كُلَّما مَرَّ**[٣] **عَلَيْهِ أُولاها رُدَّ عَلَيْهِ أُخْراها، في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمّا إِلَى الجَنَّةِ، وإِمّا إِلَى النّارِ**». رَواهُ مُسلمٌ[٤] من حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وذكَرَ مُسلمٌ[٥] بعدَ هذا قولَ أبي ذرٍّ رضِيَ الله عنه: «بَشِّرِ الكانِزِينَ[٦] بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ[٧] في نارِ جَهَنَّمَ، فيوضَعُ على حَلَمَةِ ثَدْيِ أحدِهم حتَّى يخرُجَ من نُغْضِ كَتِفَيهِ[٨]، ويوضَعُ على نُغْضِ كَتِفَيْه حتَّى يخرُجَ من حَلَمَةِ ثَديَيْه[٩] يتزلزَلُ[١٠]». وقد ذهَبَ أبو ذرٍّ رضِيَ الله عنه إلى أنَّ الكَنْزَ لكلِّ ما[١١] فضَلَ عن حاجةِ الإنسانِ[١٢].

---

(١) «منها» ليس في (د).

(٢) قوله: «فيها» ليس في (س) و(ب) و(د).

(٣) في (د): «مرت».

(٤) «صحيح مسلم» (٩٨٧-٩٨٨).

(٥) «صحيح البخاري» (١٤٠٧)، و«صحيح مسلم» (٩٩٢).

(٦) في (س) و(ب) و(د): «الكنازين».

(٧) في (د): «عليها».

(٨) في (د): «كتفه» في الموضعين.

(٩) في (د): «ثديه».

(١٠) في (ب): «يتزلزلن».

(١١) في (د): «كلما».

(١٢) قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (٧: ٧٧): «قوله: (عن أبي ذر قال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم..)، أما قوله: (بشر الكانزين) فظاهره: أنه أراد الاحتجاج لمذهبه في أن الكنز كل ما فضل عن حاجة الإنسان، هذا هو المعروف من مذهب أبي ذر وروي عنه غيره. والصحيح الذي عليه الجمهور: أن الكنز هو المال الذي لم تؤد زكاته، فأما إذا أديت زكاته فليس بكنز، سواء كثر أم قل. وقال القاضي: الصحيح أن إنكاره إنما هو على السلاطين الذين يأخذون لأنفسهم من بيت المال، ولا ينفقونه في وجوهه، وهذا الذي قاله القاضي باطل؛ لأن السلاطين في زمنه لم تكن هذه صفتهم ولم يخونوا في بيت المال؛ إنما كان في زمنه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم». وانظر: «شرح صحيح البخاري» =

[٥٩/ب] فيا ذلَّ من جاءَ ذهبُه أو فضَّتُه[١] صفائحَ مِن نارٍ تُكْوَى بها جبهتُه وجنْبُه وظهْرُه، وإذا[٢] كانَ هذا عذاب مَن منَعَ زكاةَ مالِه الذي هوَ[٣] مِن تعبِه وتجارتِه، فكيفَ حالُ مَن أخَذَ المالَ بغيْرِ حقِّه؟!

وقولُه عليه الصلاةُ والسلامُ: «**شُجاعٌ أقرَعُ**»، الشُّجاعُ: الحيّةُ الذَّكرُ[٤]. والأقرَعُ: الذي تمعَّطَ شعْرُه مِن كَثرةِ سُمِّه، فيصيرُ مالُه شُجاعًا بهذه الصفةِ؛ ليعذَّبَ[٥] به[٦].

وقوله: «**فَيَسْلُكُ يَدَهُ في فيهِ**»؛ أي: يدْخِلُها في[٧] فمِ الشُّجاعِ فيقضِمُها، كما تقضِمُ الدّابَّةُ الشَّعيرَ[٨]. نسألُ[٩] الله عزَّ وجَلَّ العافيةَ.

وأمّا[١٠] «**الرَّضْفُ**»: فهيَ الحجارةُ المُحماةُ[١١].

وقوله: «**يُحْمَى عَلَيْهِ**» أي: يُوقَدُ في نارِ جهنَّم.

= لابن بطال (٣: ٤٠٥)، و«إكمال المعلم» (٣: ٥٠٦)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٠: ٢٥١).

(١) في (ب): «أو فضة».

(٢) في (د): «فإذا».

(٣) كذا في (ب) و(س) و(د)، وفي حاشية (س): «هي».

(٤) انظر: «شرح صحيح البخاري» للخطابي (١: ٧٤٧)، و«الاستذكار» (٣: ١٧٩)، و«الإفصاح عن معاني الصحاح» (٦: ٤٢٨).

(٥) في (د): «ويعذب».

(٦) انظر: «شرح مسند الشافعي» (٢: ٩٢)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤: ١٢٦٧).

(٧) «في» ليس في (د).

(٨) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٧: ٧١).

(٩) في (د): «فنسأل».

(١٠) في (د): «فأما».

(١١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٤٠٨)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٠: ٢٥٧).

وسُمِّيَتْ جهنَّمَ؛ قيلَ: لبُعدِ قعْرِها، وقيلَ: لغلَظِ أمْرِها في العذابِ[١].

وقوله: «**نُغْض**» هوَ بضمِّ النُّونِ وسُكونِ الغينِ المَنقوطةِ، وبعدَها ضادٌ منقوطةٌ: هوَ العظْمُ الرَّقيقُ الذي على طرفِ الكَتِفِ، وقيلَ: هوَ أعْلى الكَتِفِ[٢].

فالرَّضْفُ يتحرَّكُ مِن نُغْضِ كَتِفِه حتَّى يخرُجَ من حَلَمَةِ ثدْيِه[٣]، نسألُ[٤] الله عزَّ وجَلَّ العافيةَ مِن شُحٍّ يؤدِّي إلى هذه العُقوباتِ.

وقد كانَ بعضُ الناسِ يُخْرِجُ زكاتَه ثلاثَ مرّاتٍ فأكثَرَ، ويقولُ: يُحْتَمَلُ أنَّ الذي أخذَها غيرُ مُستحقٍّ. ومَن يقدِرُ على هذه العقوباتِ.

وكانَ بعضُ مشايخِ هذا[٥] يقولُ: لو أخرَجْتَ مِن الألفِ مائتينِ كانَ أحسَنَ، وقدِّرْ في نفسِكَ أنّك[٦] إنّما ملَكْتَ ثمانِ مئةٍ.

وأما السيِّداتُ الجليلاتُ المقدارِ، اللّواتي عرَّفَهُنَّ الله تعالى حقارَةَ هذه المَزبَلةِ، وكثرةَ ما أعـدَّ الله تعالى لهُنَّ؛ فإنّهنَّ يُخْرِجْنَ جميعَ مالِهِنَّ، ويُمْسِينَ ويصبِحْنَ مُتنعِّماتٍ بأنّهنَّ على خزائنِ الله عزَّ وجَلَّ التي لا يعلَمُ قدْرَها وعِظَمَها إلا الله تعالى، فهؤلاءِ هُنَّ أغْنَى[٧] الناسِ.

فمَنْ أحبَّتِ المقامَ الأسْنى فلتفعَلْ فعلَهُنَّ، ويكونُ ذلكَ على وفْقِ العلْمِ.

فكَمْ مِن امرأةٍ سمِعَتْ حالَهُنَّ فتشبَّهَتْ بهِنَّ، ثمَّ جاءَ الشيطانُ فوعَدَها الفقْرَ فندِمَتْ، وعادَتْ أنحَسَ ما كانَتْ ؛ لأنّها كانَتْ متعفِّفةً مُؤْثِـرةً، فأصبَحَتْ سائلةً [٦٠/أ]

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٧: ٧٧-٧٨).

(٢) انظر: «شرح القسطلاني» (٣: ١٣)، و«التحبير لإيضاح معاني التيسير» (١: ٦١١).

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٥٠٦)، و«شرح النووي على مسلم» (٧: ٧٨).

(٤) في (د): «فنسأل».

(٥) «هذا» ليس في (د).

(٦) «إنك» ليس في (د).

(٧) في (ب): «أعنى».

شَرِهةً، وسببُ ذلكَ جهْلُها، فلا داءَ أدوأُ مِن الجهلِ، وهوَ أُحبولةُ الشيطانِ، واللهُ المستعانُ وعليه التُّكلانُ، واللهُ أعلَمُ.

[الزواج لأخذ أموال اليتامى]:

[٧] وممّا يتَّصلُ بذلكَ وهوَ مِن الأسبابِ المُهلكاتِ في الدنيا والآخرةِ، وقد توعَّدَ اللهُ عزَّ وجَلَّ عليه عقوبةً عظيمةً:

أن يموتَ رجلٌ ويترُكَ أولادًا ورزقًا[١]، سواءٌ كانَ نقدًا أو عَقارًا أو هما أو غيرَهما، فتُحدِّثُ المرأةُ نفْسَها بالزواجِ[٢] أو غيْرِه، ويساعِدُها الشيطانُ على ذلكَ، ويُحسِّنُ لها ذلكَ، ويُرَغِّبُها فيه، ويدُسُّ لها أمورًا بحسبِ حالِها؛ فإن كانَتْ فالِتيّة[٣]، قالَ لها: قد خلوْتِ بنفسِكِ وقد أعطاكِ اللهُ تعالى مالًا، فعيشِي طيب وتلذَّذِي، وغدًا الموتُ، ولا تخلِّي في قلبِكِ شيئًا، ولولا[٤] أنّك تستأهلِي ما رزقَكِ اللهُ تعالى، وما في الأولادِ خيرٌ، إيش حصَلَ لفلانةٍ وفلانةٍ مِن أولادِها، ويحسِّنُ لها مثْلَ هذا وأشباهَه، فلا يزالُ بها حتَّى يكُبَّها في النارِ.

وإن[٥] كانَتِ امرأةً عاقلةً وتخْشَى العارَ والفضيحةَ، قالَ لها: تزوَّجي؛ فالزواجُ[٦] سُنَّةٌ.

وإن[٧] كانَتْ غيرَ متعبِّدةٍ، ومِن شأنِها التَّرفُّهُ سعَتْ في تَحصيلِ زوجٍ مِن جنْسِها، وتوسَّعَتْ هيَ وإيّاه بمالِ اليتامى حتَّى يفْنَى، فإذا فنِيَ فارَقَها هذا الخبيثُ، فأصبحَتْ لا دنيا ولا دينَ.

---

(١) في (د): «أو رزقًا».
(٢) في (د): «بالزوج».
(٣) كذا في (س) و(د)، وفي (ب): «مالتية».
(٤) في (د): «ولو».
(٥) في (د): «فإن».
(٦) في (د): «فالزوج».
(٧) في (د): «فإن».

وإن كانَتْ متعبِّدةً، قالَ لها الشَّيطانُ: أنتِ امرأةٌ متعبِّدةٌ، ومشغولةٌ باللهِ تعالى، فإن لم تتزوَّجِي واحتجْتِ[١] إلى القيامِ بأمْرِ الأولادِ والخُروجِ، فيفْنَى المالُ على الطولِ، وتفوتُكِ العبادَةُ، فَلا يَأْسَ بزوْجٍ دَيِّنٍ أَتسَاعدُ أنا وَإِيَّاهُ عَلى الأَوْلَادِ معَ بَقَائِي عَلى العِبَادَةِ[٢]، ويساعِدُها على ذلكَ مَن هوَ[٣] مِن جنسِها مِن المتعبِّداتِ اللَّواتي هُنَّ أفسَدُ مِن الشيطانِ الرجيم، وأكثَرُ غورًا في طريقِ المتحيِّلِ[٤] إلى الأعراضِ الدنيويّةِ منه، لا سيَّما التي طالَ سماعُها للأحاديثِ والمواعظِ[٥]، وهذه هيَ الداءُ العُضالُ؛ لأنّها تشيرُ عليها [٦٠/ب] بأمورٍ وهيَ[٦] في معرضِ الشفَقَةِ عليها وعلى أولادِها في معرضِ الدِّينِ، وقصْدُها بذلكَ التَّودُّدُ إلى خاطرِ أمِّ الأولادِ؛ لأنّ مَن أطاعَ شخصًا فيما يَهواهُ أحبَّه وركَنَ إليه، ولو كانَ في المعاصِي الظاهرةِ، فكيفَ في أمْرِ الطاعاتِ والقُرُباتِ التي تَرَى أنّها تتقرَّبُ[٧] إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ بِهَا[٨]؟

ثمَّ تزيِّنُ لها الزيادةَ في الجهازِ، فتؤمِّنُها على الشراءِ[٩]، وربَّما تقولُ: لو حضَرْتِ السُّوقَ[١٠] لكانَ أحسَنَ؛ لأنّ العيْنَ لها حقٌّ فيما تشتَهِي النفسُ ويليقُ بها، ولا تزالُ عليها حتَّى تخرُجَ إلى السُّوقِ[١١] ولو في العِدَّةِ، ثمَّ تحسِّنُ لها ما

---

(١) في (س): «احتجت».

(٢) قوله: «فلا يأس بزوج دين أتساعد أنا وإياه على الأولاد مع بقائي على العبادة» مثبت من (د).

(٣) في (د): «وهو».

(٤) في (ب): «المتحير»، وفي (د): «التخيل».

(٥) في (د): «للحديث والوعاظ».

(٦) في (د): «هي».

(٧) في (س): «تقرب».

(٨) «بها» مثبت من (د).

(٩) في (د): «الشر».

(١٠) «السوق» مثبت من (د).

(١١) في (س) و(ب): «الأسواق».

يقتَضِي إصلاحَ بدَنِها مِن المآكِلِ الشهيّةِ، والملابسِ السنيّةِ، حتَّى تَسْتَغْرِقَ[١] وقْتَها[٢] في الفكْرِ فيما يعودُ على بدَنِها مِنَ الملبَسِ والمأكَلِ، فتخرُجُ مِن طَورِ العبادَةِ إلى طورِ زهرةِ[٣] الدنيا التي حذَّرَ الله عزَّ وجَلَّ منها.

وربَّما لا يكونُ لها في الإرثِ حقٌّ؛ لأنّها ربَّما كانَتْ تأخُذُ[٤] مِن خلفِ زوجِها أكثَرَ مِن حقِّها، فيَبْقى المالُ كلُّه للأولادِ، فهذه ومَن قبْلَها يَستعدُّون لما أعدَّه[٥] الله عزَّ وجَلَّ لهُنَّ مِن العذابِ، وكذا الزوجُ الخبيثُ الطويّةِ، قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ**» قالُوا: يا رَسولَ الله وما[٦] هيَ؟ قالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ التِي حَرَّمَ الله إلا بِالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٧] ومُسلمٌ[٨] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

و«**المُوبِقاتُ**»: المُهلكاتُ[٩].

وأيُّ هلاكٍ أعظَمُ مِن أن يمتلئَ جوفُ الشخصِ نارًا مِن الأكْلِ، فإذا انضَمَّ إليه اللِّبسُ، انغمَرَ البدَنُ بالنارِ ظاهرًا وباطنًا، وإنْ[١٠] كانَ الأكْلُ والشُّربُ في

---

(١) في (س): «تسترق».
(٢) في (د): «وفيها».
(٣) في (د): «هذه».
(٤) في (د): «أخذها».
(٥) في (د): «أعدّ».
(٦) في (ب): «ما».
(٧) «صحيح البخاري» (٢٧٦٦).
(٨) «صحيح مسلم» (٨٩).
(٩) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠: ٢٠٢)، و«إكمال المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٥٦).
(١٠) في (د): «فإن».

آنيةِ الذهبِ أو[1] الفضَّةِ زادَ العذابُ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**الذي يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ إنّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نارَ جَهَنَّمَ**». رَواهُ البُخارِيُّ[2] ومُسلمٌ[3] مِن [٦١/أ] حديثِ أمِّ سلمةَ رضِيَ الله عنها.

وفي رِوايةٍ لمُسلمٍ[4]: «**إنّ الذي يَأْكُلُ أوْ[5] يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ[6]**».

وفي رِوايةٍ لمُسلمٍ[7]: «**مَنْ شَرِبَ في إناءٍ مِنْ ذَهَبٍ أوْ فِضَّةٍ؛ فإنّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نارًا مِنْ جَهَنَّمَ**».

ومَعْنى «**يُجَرْجِرُ**»: يصوِّتُ[8].

فيا ذلَّ مَن نارُ جهنَّمَ تصوِّتُ في بطْنِها، إنّ شرارةً لو نزَلَتْ مِن جهنَّمَ على جبلٍ لذابَ مِن شدَّةِ حرِّها.

فالحذَرَ الحذَرَ مِن ذلكَ، فقَدْ والله قد نزَلَ الكتابُ، وبلَّغَهُ سيِّدُنا رَسولُ الله ﷺ كما أمَرَ، وترَكَنا على البَيضاءِ النقِيّةِ ليلُها كنهارِها، لا يَزيغُ عنها[9] إلا هالكٌ[10].

وقالَ تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، يصِلُ ألمُه[11] إلى القُلوبِ[12].

---

(١) في (د): «و».

(٢) «صحيح البخاري» (٥٦٣٤).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٠٦٥).

(٤) «صحيح مسلم» (٢٠٦٥).

(٥) في (د): «و».

(٦) في (د): «الذهب والفضة».

(٧) المرجع السابق.

(٨) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ١٢٣)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٢: ١٠٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠: ٩٧).

(٩) في (د): «فيها».

(١٠) «مسند أحمد» (١٧١٤٢)، و«سنن ابن ماجه» (٤٣).

(١١) في (د): «إليه».

(١٢) انظر: «روح البيان» (١: ٥٦).

قيلَ[١]: الفِتنةُ: الموتُ على الكفْرِ[٢]، أعاذَنا الله تعالى منه، وذلكَ غيرُ بعيدٍ؛ لأنّ مخالفَةَ الأمْرِ معصيةٌ، فتُنكَتُ بسببِها في القلْبِ نُـكْتَةٌ سوداءُ[٣]، فإذا خالَفَ ثانيًا نُـكِتَ فـي قلْبه[٤] نكتةٌ أُخرى، وهكـذا[٥] حتَّى يُختَمَ ثمَّ يُـرانَ[٦] عليـه[٧]. قالَ الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] الآية.

وقد أجمَعَ السلفُ على أنّ المعاصِيَ بريدُ الكفْرِ[٨]، وقد صرَّحَ بذلكَ رَسولُ الله ﷺ[٩].

ولا شكَّ أنّ المعاصِيَ أكثَرُ مِن أنْ تُحصَرَ، وقد عدَّها بعضُهم، وقالَ: إنّها ثلاثونَ ألفًا. ومنهم من قالَ: هيَ[١٠] خمسونَ ألفًا.

وهذا كلُّه تحكُّمٌ، إلا أن يدُلَّ عليه دليلٌ أو[١١] يُخبِرَ بذلكَ وليٌّ لله عزَّ وجَلَّ قد أطلَعَه الله تعالى على ذلكَ، فنحنُ نؤمِنُ بقولِه؛ لأنّه[١٢] مِن أصحابِ أسرارِ الله عزَّ وجَلَّ، أعادَ الله عزَّ وجَلَّ علينا وعلى أحبابِنا مِن أنفاسِهم الطاهرةِ.

---

(١) في (د): «قبل».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٩: ٢٣١)، و«الهداية إلى بلوغ النهاية» (٨: ٥١٦٨)، و«تفسير الرازي» (٢٤: ٤٢٧).

(٣) في (د): «سواد».

(٤) قوله: «في قلبه» في (د): «فيه».

(٥) «وهكذا» ليس في (ب).

(٦) في (د): «يزاد».

(٧) انظر: «صحيح مسلم» (١٤٤).

(٨) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٠٤)، و«مدارج السالكين» (٢: ٢٧)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ٢١).

(٩) قال ابن حجر الهيتمي في «الفتح المبين» (٢٤٥): «هو معنى قول السلف، وقيل: إنه حديث». وانظر: «كشف الخفاء» (٢: ٢٥١).

(١٠) «هي» ليس في (د).

(١١) في (د): «أي».

(١٢) في (د): «لأن».

وكانَ لنا أخٌ في الله تعالى يأْوِي مغرَ[١] الجبالِ، فيشاهِدُ فيها الجِنَّ فيطردُهم منها ويختَلِي بربِّه ويتعبَّدُ، وكانَ إذا رَأى هؤلاءِ الشياطينَ الرَّقّاصةَ على مزمارِ الشيطانِ[٢]، وتواجَدَ واحدٌ منهم ودخَلَ الشيطانُ في دُبُرِه يَراهُ، وكانَ إذا أوَى [٦١/ب] إلى ديشٍ[٣] وغلبَه النومُ ولحِقَه[٤] بردٌ جاءَ سَبُعٌ وألصَقَ ظهْرَه إلى ظهْرِه وأدفَأه، وكانَ يقولُ: «الفقيرُ إن[٥] لم تكُنِ الدنيا في نظَرِه هكذا ويفتَحُ كَفَّه وإلا فلا».

ومن أنكَرَ هذا ونحْوَه فهوَ ممقوتٌ، وكيفَ ينكِرُ ذلكَ، وقد قالَ عمرُ رضِيَ الله عنه على المنبرِ في المدينةِ[٦]: «يا ساريةَ الجبَلَ»، وساريةُ بنهاوندَ[٧]، وغيرُ ذلكَ.

وقد خرَجْنا عمّا نحنُ بصدَدِه مِن ذكْرِ الأسبابِ المُهلكاتِ، والله أعلَمُ.

[الذهاب إلى المنجمين]:

[٨] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ:** الرَّواحُ[٨] إلى المُنجِّمينَ[٩] وأصحابِ الرَّملِ، والضاربينِ والضارباتِ بالحَصَى والشَّعيرِ، ونحوِ ذلكَ[١٠].

---

(١) في (د): «مغرب».
(٢) في (د): «الشياطين».
(٣) في (ب) و(د): «ديس».
(٤) في (د): «لحقه».
(٥) في (د): «إذا».
(٦) في (ب): «بالمدينة».
(٧) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٥٧٩)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦: ٣٧٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٣٢٤).
(٨) في (ب): «الرواج».
(٩) في (د): «للمنجمين».
(١٠) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٥٧٩)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦: ٣٧٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٣٢٤).

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أتَى عَرّافًا فسَألَهُ عَنْ شَيْءٍ فصَدَّقَهُ**[١]**، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أرْبَعِينَ يَوْمًا**». رَواهُ مُسلمٌ[٢] مِن حديثِ صفيّةَ بنتِ أبي عُبيدٍ، عن بعضِ أزواجِ النبيِّ ﷺ.

وقالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: سألَ رَسولَ الله ﷺ ناسٌ عنِ الكُهّانِ؟ فقالَ: «**لَيْسُوا بشيءٍ**»، فقالُوا: يا رَسولَ الله، إنّهم يحدِّثونَ أحيانًا بشيءٍ فيكونُ[٣] حقًّا، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُها الجِنِّيُّ، فيُقِرُّها في أُذُنِ ولِيِّهِ، فيَخْلِطُونَ مَعَها مِئَةَ كَذْبَةٍ**». رَواهُ البُخاريُّ[٤] ومُسلمٌ[٥].

فهذا رَسولُ الله ﷺ يقولُ عنهم[٦]: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**»، وأنتِ تجعلينَ لهم شأنًا[٧]، وتَعتقدِينَ صحَّةَ ما يقولون[٨]، وفي ذلكَ جُرْأةٌ عظيمةٌ، وافتِئاتٌ على أمينِ أهْلِ الأرضِ، وما مثلُكِ يا مسكينةُ إلا كمثْلِ[٩] هؤلاء[١٠] الفُقهاءِ، يُظْهِرونَ عظمةَ رَسولِ الله ﷺ، فإذا قالَ لهم ظالمٌ شيئًا أطاعُوه، وإن كانَ فيه غَضَبُ الله وغضبُ رَسولِ الله ﷺ.

وقولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**فَيُقِرُّها في أُذُنِ ولِيِّهِ**» أي: يُلْقِيها[١١]، وإذا كانَ وليُّه الجِنِّيَّ الكافرَ فهوَ مثْلُه، بل كثيرٌ مِن المنجِّمينَ يهودٌ، وهم أشدُّ

---

(١) في (د): «وصدقه».

(٢) «صحيح مسلم» (٢٢٣٠). وفيه «ليلة» بدلًا من «يوم».

(٣) في (د): «يكون».

(٤) «صحيح البخاري» (٥٧٦٢).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٢٢٨).

(٦) في (س): «عنهم إنهم».

(٧) في (د): «شيئًا».

(٨) في (س) و(ب): «يقولوا».

(٩) في (د): «مثل».

(١٠) في (س) و(ب) و(د): «هذه».

(١١) انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٣: ١٤)، و«شرح القسطلاني» (٨: ٤٠٠)، و«لمعات التنقيح» (٧: ٥٤٤).

عداوةً[١] لرسولِ الله ﷺ، فمَنْ أضلُّ ممَّن يصدِّقُ يهوديًا يُحَذِّرُ منه رَسولُ الله [٦٢/أ] ﷺ، ثُمَّ[٢] يمْشِي إليه ويعْطِيه على ذلكَ أجرةً!

قالَ أبو مسعودٍ[٣] البدريُّ رضِيَ الله عنه: «نَهَى رَسولُ الله ﷺ عن ثَمَنِ الكلْبِ، ومهْرِ البغِيِّ، وحُلوانِ الكاهِنِ». رَواهُ البُخاريُّ[٤] ومُسلمٌ[٥].

فكأنِّـي[٦] بكِ وقد شمَّ مُنكرٌ ونَـكيرٌ رِجليْكِ فوجداهُما[٧] قـد سعَيا إلى مُنجِّمٍ، فنفَخا فيهِما نفخةً فالتهَبا معَ جميـعِ[٨] جسمِكِ نارًا، وكأنِّـي بكِ وقـد شمّا سمْعَكِ الذي[٩] أصغَيْتِ به إليه فوجَدا فيه نتَنَ الإصغاءِ، فنفَخا فيه فالتهَبَ معَ جسْمِكِ نارًا، وكذا أطرافُ أصابعِكِ، ثمَّ جاءَتِ العَطِيّةُ وصارَتْ مُرَصَّعةً في أجنابِكِ نارًا، فيا ذلَّ وخيبَةَ مَن أطاعَ نفْسَه والشيطانَ، وترَكَ طاعةَ رَسولِ الرحمنِ، فالحذَرَ الحذَرَ من ذلكَ؛ فإنّه من أسبابِ المهالِكِ.

قال رَسولُ الله ﷺ: **«إنّ الله سُبحانَه وتعالَى يَغارُ، وغَيْرَةُ الله تَعالَى أنْ يَأْتِيَ المَرْءُ ما حَرَّمَ الله عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ»**[١٠]. والله أعلَمُ.

وهذا كلُّه إذا لم يحصُلْ معَه لا نظَرُه إليها ولا نظَرُها إليه، ولا خَلْوةٌ، ولا ريحةٌ طيِّبةٌ ولا حديثُ نفسٍ بسُوءٍ، ولا ظهورُ زينةٍ[١١]، ولا غيرُ ذلكَ مِن الأمورِ المُحرِّكةِ لما نُهِيَ عنه.

---

(١) في (س) و(ب): «أعداء».
(٢) في (س) و(ب): «و».
(٣) في (ب) و(د): «أبو سعيد».
(٤) «صحيح البخاري» (٢٢٣٧).
(٥) «صحيح مسلم» (١٥٦٧).
(٦) في (د): «فأنى».
(٧) في (ب) و(د): «فوجدهما».
(٨) «جميع» ليس في (س) و(د).
(٩) في (ب) و(س): «التي».
(١٠) «صحيح البخاري» (٥٢٢٣)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦١).
(١١) في (د): «أظهرت زينته».

قالَ الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، إلى قولِه تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، الآياتِ، وقالَ تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وقالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقالَ الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وغيرَ ذلكَ مِن الآياتِ.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**العَيْنانِ زِناهُما النَّظَرُ، والأُذُنانِ زِناهُما الاِسْتِماعُ، واللِّسانُ زِناهُ الكَلامُ، واليَدُ زِناها البَطْشُ، والرِّجْلُ زِناها الخُطا، والقَلْبُ يَهْوَى ويَتَمَنَّى، ويُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ**». رَواهُ البُخاريُّ[(١)] ومُسلمٌ[(٢)]، واللفظُ لمُسلمٍ، وهوَ[(٣)] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه. [٦٢/ب]

وقالَ جريرٌ رضِيَ الله عنه: سألْتُ رَسولَ الله ﷺ عنْ نظَرِ الفَجْأةِ؟ فقالَ: «**اصْرِفْ بَصَرَكَ**». رَواهُ مُسلمٌ[(٤)].

ولا فرْقَ بينَ كونِ[(٥)] المَنظورِ إليه بصيرًا أو أعْمى، قالَتْ أمُّ سلمةَ رضِيَ الله عنها: كنْتُ عندَ رَسولِ الله ﷺ وعندَه ميمونةُ رضِيَ الله عنها، فأقبَلَ ابنُ أمِّ مكتومٍ، وذلكَ بعدَ أنْ أُمِرْنا بالحجابِ، فقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**احْتَجِبا مِنْهُ**»، فقُلْنا: يا رَسولَ الله، أليسَ هوَ أعْمى لا يبْصِرُنا[(٦)] ولا يعرِفُنا؟! فقالَ عليه الصلاةُ

(١) «صحيح البخاري» (٦٦١٢).
(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٥٧).
(٣) «وهو» ليس في (ب).
(٤) «صحيح مسلم» (٢١٥٩). واللفظ لأبي داود (٢١٤٨).
(٥) «كون» ليس في (ب).
(٦) في (د): «لا يبصر».

والسلامُ: «**أفَعَمْياوانِ أنْتُما؛ أَلَسْتُما تُبْصِرانِهِ؟!**». رَواهُ أبو داودَ[١]، والترمذِيُّ[٢] وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

فهذه آياتٌ وأخبارٌ مانعةٌ من ذلكَ كلِّه.

ومن هنا ينبَغِي للمرأةِ الطالبةِ للآخرةِ[٣] ألا تخرُجَ مِن بيتِها لا للصلاةِ في المساجدِ ولا غيْرِها؛ لأنّها على تقديرِ أنْ تلبَسَ أوحشَ الثيابِ لا تقدِرُ على منْعِ غيْرِها مِن النظرِ؛ ولأنّها إن جلَسَتْ وحْدَها برزَتْ للرِّجالِ، وإنْ جلسَتْ معَ النساءِ فلا بدَّ وأنْ[٤] تجِدَ فيهِنَّ ما نُهِيَ عنه؛ فإن سكتَتْ مِن غيرِ إنكارٍ أثِمَتْ، وإن أنكَرَتْ رُبَّما استُطِيلَ عليها فتتأذّى بما يحدُثُ منهُنَّ مِن سوءِ المُخاطبةِ[٥] والاستهزاءِ بها، وبما نُورِدُه[٦] مِن الآياتِ والأخبارِ، وكلُّ ذلكَ محذورٌ، فتحصيلُ فضيلةٍ معَ وُقوعٍ في آثامٍ جهلٍ! معَ أنّ خُروجَ المرأةِ لأجْلِ العبادَةِ فقط في غايةِ البُعدِ، وإنّما تفعَلُ ذلكَ مِن السآمةِ[٧] في انحصارِها في بيتِها، ولأمورٍ أُخرَ كلُّها مُخبَثةٌ[٨]، تحِسُّ[٩] المرأةُ مِن نفسِها بذلكَ وتظْهِرُ خلافَه.

وقد علِمَت عائشةُ رضِيَ الله عنها ذلكَ مِن النساءِ اللاتي هُنَّ[١٠] في خيرِ القُرونِ، فقالَتْ: «**لو علِمَ رَسولُ الله ﷺ ما أحدَثَ النِّساءُ لمنعَهُنَّ المساجدَ**

(١) «سنن أبي داود» (٤١١٢).

(٢) «مسند أحمد» (٢٦٥٣٧)، و«جامع الترمذي» (٢٧٧٨). قال ابن الملقن في «البدر المنير» (٧: ٥١٢): «هذا الحديث صحيح».

(٣) في (د): «الطالبة للخير والآخرة».

(٤) في (د): «أن».

(٥) في (د): «المخالفة».

(٦) في (س): «توروده».

(٧) في (د): «السمامة».

(٨) في (د): «مخبتة».

(٩) في (د): «تحسن».

(١٠) «هن» ليس في (ب).

كما مُنعَتْ نساءُ[١] بني إسرائيلَ»[٢].

ووافَقَها[٣] على ذلكَ القاسِمُ، ويَحيى الأنصاريُّ، ومالكٌ، وغيرُهم[٤]، معَ أنّهنَّ كنَّ لا يبدِينَ زينتَهُنَّ، ويغضُضْنَ مِن أبصارِهِنَّ، وكذا الرِّجالُ. [٦٣/أ]

وأمّا زمانُنا هـذا، فخروجُهُنَّ؛ لأجْلِ إظهـارِ زينتهِنَّ، ولا يغضُضْنَ مِـن أبصارِهِنَّ، وكذا الرِّجالُ، بل الأمْرُ بعكسِ ذلكَ، ومفاسِدُ خُروجِهِنَّ محقَّقٌ لا يرتابُ فيه إلا غبيٌّ، أو مَن فـي قلبِه دسيسةٌ؛ فإن حصَلَ معَ ذلكَ خَلْوةٌ زادَتِ الآثامُ وتضاعفَتِ العُقوباتُ، قالَ الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآيةَ.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إيّاكُمْ والدُّخُولَ عَلَى النِّساءِ**»، فقالَ رجلٌ مِن الأنصارِ: أفرأيتَ الحَمْوَ؟ قالَ[٥]: «**الحَمْوُ المَوْتُ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٦] ومُسلمٌ[٧] مِن حديثِ عُقبةَ بنِ عامرٍ رضِيَ الله عنه.

و«**الحَمْوُ**»[٨]: قريبُ الزوجِ؛ كأخيه وابنِ أخيه وعمِّه، وسمّاه رَسولُ الله ﷺ بذلكَ؛ لِما كشَفَ الله تعالى ممّا يقَعُ منه، وقد شاهَدْنا ذلكَ، وهوَ مِن المعجزاتِ الباهرةِ[٩].

---

(١) قوله: «نساء» ليس في (س).
(٢) «صحيح البخاري» (٨٦٩)، و«صحيح مسلم» (٤٤٥).
(٣) في (د): «ووفقها».
(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٦: ١٧٩).
(٥) في (د): «فقال».
(٦) «صحيح البخاري» (٥٢٣٢).
(٧) «صحيح مسلم» (٢١٧٢).
(٨) «الحمو» ليس في (ب).
(٩) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٧: ٦٠-٦١)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١٥٤).

وقالَ[1] عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يَخْلُوَنَّ[2] أحَدُكُمْ بِامْرَأةٍ أجْنَبِيَّةٍ إلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**». رَواهُ البُخارِيُّ[3] ومُسلمٌ[4] مِن حديثِ ابنِ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما.

وهذا كلُّه إذا عَلِمَ الزوجُ والسيِّدُ ولم يتأذَّ بذلكَ؛ فإن لم يعلَمْ زادَ الإثمُ، وإن علِمَ ولم يرْضَ زادَ الإثمُ، معَ أنّه يحرُمُ عليه الإذْنُ والرضا؛ لأنّه إعانةٌ على معصيةٍ؛ ولأنّه في الغالِبِ يورِثُ الشَّحناءَ والتقاطُعَ، وذلكَ حرامٌ، قالَ الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ولا أذى[5] أعظَمُ مِن خُروجِ المرأةِ إلى المنجِّمينَ وإعطائِهم شيئًا على ذلكَ، وكذا الخروجُ[6] إلى مواطِنِ اجتماعِ الناسِ، التي هي[7] مواطِنُ الزُّورِ والفواحشِ، التي[8] هي سببُ عذابِ الله تعالى ومقتِهم، ومثلُ ذلكَ يؤدِّي إلى التباغُضِ والتقاطُعِ والتدابُرِ، وقد قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا تَقاطَعُوا، وكُونُوا عِبادَ الله إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فوْقَ ثَلاثٍ**». رَواهُ الشَّيخانِ[9] مِن حديثِ أنسٍ رضِيَ الله عنه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ/ مَنْ هَجَر ما نَهَى الله تَعالَى عَنْهُ**»[10]. [٦٣/ب]

---

(١) في (د): «قال».
(٢) في (د): «يخلوا».
(٣) «صحيح البخاري» (٥٢٣٣).
(٤) «صحيح مسلم» (١٣٤١).
(٥) في (د): «أدري».
(٦) في (د): «الزوج».
(٧) في (س): «الذي هو».
(٨) في (د): «الذي».
(٩) «صحيح البخاري» (٦٠٦٥)، و«صحيح مسلم» (٢٥٥٨-٢٥٥٩).
(١٠) «صحيح البخاري» (١٠)، و«صحيح مسلم» (٤٠).

ومفهومُ هذا الحديثِ: أنّ مَن لم يَسْلَمِ المُسلمونَ مِن لسانِه ويدِه أنّه ليسَ بمُسلمٍ[١]، ويا لها مِن مُصيبةٍ قد غرِقَ فيها الظَّلَمةُ وأتباعُهم مِن الرجالِ والنساءِ؛ ولعَمْرِي على هذا النّاجونُ قليلٌ، لا سيَّما آفاتُ اللسانِ؛ فإنّها أكثَرُ مِن القطْرِ[٢]، وسيأتِي ذكْرُها فيما بعدُ إن شاءَ الله تعالى.

[النياحة على الميت، ولطم الخدود، وشق الجيوب، ونتف الشعور وحلقها]:

[٩] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**: النِّياحةُ على الميِّتِ[٣]، ولطْمُ الخُدودِ، وشقُّ الجُيوبِ، ونتْفُ الشُّعورِ وحلْقُها، والدعاءُ بالويْلِ والثُّبورِ وعظائمِ الأمورِ.

وكلُّ ذلكَ مِن أمورِ الجاهليّةِ، وهوَ حرامٌ[٤]، وفاعلةُ ذلكَ لها مِن العقوبةِ ولِمَيِّتِها[٥] ما أذكُرُه:

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ في قَبْرِهِ بِما نِيحَ[٦] عَلَيْهِ**». وفي رِوايةٍ: «**بِما يُنَحُ عَلَيْهِ**»[٧]. رَواهُ البُخارِيُّ[٨] ومُسلمٌ[٩] مِن حديثِ عمرَ رضِيَ الله عنه.

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (٢: ١٠): «قالوا معناه: المسلم الكامل وليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة، بل هذا كما يقال: العلم ما نفع أو العالم زيد أي الكامل أو المحبوب، وكما يقال: الناس العرب والمال الإبل فكله على التفضيل لا للحصر». وقال السفيري في «شرح البخاري» (١: ٣٧١): «المفهوم من الحديث: أن من لم يسلم المسلمون من لسانه لا يكون مسلمًا، نعم يخرج عن الإسلام الكامل إذا لم يسلم المسلمون من لسانه ويده، ولم يخرج عن أصل الإسلام».

(٢) في (د): «النظر». (٣) في (د): «النياحة للميت».

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢: ٢٧٦)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ٢٦٢).

(٥) في (ب): «وميتها». (٦) في (د): «ينح».

(٧) «مسند أحمد» (٥٢٦٢)، و«معجم ابن الأعرابي» (١٦٨٦). وانظر: «تغليق التعليق» (٢: ٤٦٨).

(٨) «صحيح البخاري» (١٢٩٢). (٩) «صحيح مسلم» (٩٢٧).

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ما مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فيَقُومُ باكِيهِ**[١] **فيَقُولُ: واجَبَلاهُ واسَيِّداهُ**[٢] **أوْ نَحْوَ ذَلِكَ، إلا وُكِّلَ**[٣] **بِهِ مَلَكانِ يَلْهَزانِهِ**[٤]**: أهَكَذا كُنْتَ**[٥]**؟!**». رَواهُ الترمذِيُّ[٦] مِن حديثِ أبي مُوسى الأشعريِّ رضِيَ الله عنه، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ[٧]».

واللَهْزَمة: الدَّفعُ بجُمْعِ اليدِ في الصَّدرِ، يعني: لَكمُه بيدِه مَطبوقةً في صدرِ الميِّتِ[٨].

وقالَ رَسول الله ﷺ: «**النّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقامُ يَوْمَ القِيامَةِ وعَلَيْها سِرْبالٌ مِنْ قَطِرانٍ، ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**». رَواهُ مُسلمٌ[٩] مِن حديثِ أبي مالِكٍ الأشعريِّ رضِيَ الله عنه.

وقالَت امرأةٌ مِن المُبايعاتِ لرسولِ الله ﷺ: «كانَ فيما أخَذَ علينا[١٠] رَسولُ الله ﷺ في المعروفِ الذي أخذَ علينا[١١] ألا نعصِيَه فيه: ألا نخمِشَ

---

(١) في (س) و(ب): «يقوم باكيهم»، وفي (د): «باكيهم».
(٢) في (ب): «واسنداه»، و(د): «واسناداه».
(٣) في (د): «وكل الله».
(٤) في (ب) و(د): «يلهزمانه».
(٥) في (س) و(د): «يهلزمانه أهكذ أنت؟».
(٦) «جامع الترمذي» (١٠٠٣)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٩٤)، و«مستدرك الحاكم» (٣٧٥٥). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
(٧) «غريب» مثبت من «جامع الترمذي».
(٨) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤: ٢٨١)، و«تحفة الأحوذي» (٤: ٧٣).
(٩) «صحيح مسلم» (٩٣٤).
(١٠) في (د): «عليها».
(١١) في (د): «عليها».

وجهًا، ولا ندْعُوَ ويلًا، ولا نشُقَّ جَيبًا، وألا ننشُرَ[١] شعرًا». رَواهُ أبو داود[٢] بإسنادٍ حسنٍ[٣].

وكانَتْ هذه الأمورُ مِن أحوالِ الجاهليّةِ، والإسلامُ هدَمَ أمْرَ الجاهليّةِ، فمَنْ فعَلَ شيئًا من ذلكَ فقد أعادَ أمْرَ الجاهليّةِ، ويا لها مِن معصيةٍ ما أقبَحَها وأكثَرَ وِزْرَها.

[٦٤/أ] وقالَ رَسولُ الله ﷺ: **«لَيْسَ مِنّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وشَقَّ الجُيُوبَ، ودَعا بِدَعْوَى الجاهِلِيّةِ»**. رَواهُ البُخارِيُّ[٤] ومُسلِمٌ[٥] مِن حديثِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه.

وقالَ أبو بردَةَ: وَجِعَ أبو مُوسى فغُشِيَ عليه ورأسُه في حجْرِ امرأةٍ مِن أهْلِه، فأقبَلَتْ تصيحُ برنَّةٍ، فلم يستطِعْ أن يرُدَّ عليها شيئًا، فلمّا أفاقَ، قالَ: «أنا بريءٌ ممَّن برِئَ منه رَسولُ الله ﷺ؛ إنّ رَسولَ الله برِئَ مِن الصالقةِ والحالقةِ والشاقّةِ». رَواهُ البُخارِيُّ[٦] ومُسلمٌ[٧].

والصالقةُ: هي التي ترفَعُ صوْتَها بالنِّياحةِ والنَّدبِ[٨]، فتقولُ: يا وَلَداهُ، ويا حُسْنَهُ، ويا شبابَه، ويا شَعرَها، ويا حُسْنَها وقَدَّها[٩]، ونحوَ ذلك.

---

(١) في (د): «ينثر».
(٢) «سنن أبي داود» (٣١٣١)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٧١٢١).
(٣) قال ابن حجر في «المطالب العالية» (١٥: ٣٤١): «الحديث في درجة الحسن».
(٤) «صحيح البخاري» (١٢٩٧).
(٥) «صحيح مسلم» (١٠٣).
(٦) «صحيح البخاري» (١٢٩٦).
(٧) «صحيح مسلم» (١: ١٠٤).
(٨) في (د): «والندم».
(٩) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢: ١١٠)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٩: ٥٥٥)، و«فتح الباري» لابن حجر (٣: ١٦٥).

والحالقةُ: هيَ التي تحلِقُ شعرَ رأسِها عندَ المُصيبةِ[١].

والشاقّةُ: هيَ التي تشُقُّ ثوبَها أو جيبَها أو دِرْعَها ونحوَ ذلكَ[٢].

وسببُ عُقوبةِ هذه المسكينةِ بما تقدَّمَ وتبرؤِ رَسولِ الله ﷺ منها: أن هذه الأمورَ تفيدُ مَعْنى التظَلُّمِ، فكأنّها تقولُ بلسانِ الحالِ: ظلَمَني بموتِ وَلَدي أو زوجي أو أخي أو أختي، **والرَّبُّ سُبحانَه وتعالَى ليسَ بظلامٍ للعبيدِ**، فمَن نسبَه إلى الظلمِ فهوَ كافرٌ، وهوَ أسوأُ حالًا[٣] مِن اليهودِ والنصارى.

فالجاهلةُ[٤] تفعَلُ بنفْسِها أعظَمَ المصائبِ، ومعَ ذلكَ لا يحصُلُ لها عَودُ ميِّتِها، فهذه تتضاعَفُ[٥] مُصيبتُها، ويتضاعَفُ[٦] عذابُها، ومَن شارَكَها في ذلكَ كانَ عليه وزْرُ مُشاركتِها، وكذا مَن صنَعَ طعامًا فأكَلَ منه النائحاتُ يأثَمُ؛ لأنّه إعانةٌ على معصيةٍ[٧].

وعلاجُ هذه المسكينةِ: أن تذكُرَ[٨] ما أمامَها مِن سكراتِ الموتِ، وهولِ المَطْلَعِ، وظُلمةِ القبرِ وديدانِه[٩]، وهولِ مُنكرٍ ونكيرٍ، وفتْحِ طاقةٍ مِن جهنَّمَ، وتصوُّرِ أعمالِها في صورةٍ قبيحةٍ، النظرُ[١٠] إليها عذابٌ، وتذكُرَ الصِّراطَ ودقَّتَه، والعرْضَ على الله، وخفّةَ الميزانِ، والفِرارَ مِن الأخِ والأمِّ والصاحبةِ والابنِ،

---

(١) انظر: «أعلام الحديث» (١: ٦٨٨)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١: ٤٠٣)، و«العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام» لابن العطار (٢: ٧٨١).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٢٨٠)، و«المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٠٤)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ١١٠).

(٣) في (د): «الحال».

(٤) في (د): «والجاهلة».

(٥) في (س) و(ب): «تتضاعفت».

(٦) في (ب): «ويضاعف».

(٧) في (د): «معصيته».

(٨) في (س): «يذكر».

(٩) كأنها في (ب): «وديوانه».

(١٠) في (س) و(ب): «المنظر».

[٦٤/ب] وخفّةَ الميزانِ، ومَهبطَها بعدَ ذلكَ إلى النارِ؛ فإن لم تتَّعِظْ بذلكَ فتضَعُ يدَها في النارِ؛ فإنّها والله تُنْسِي كلَّ ما يَصدَعُ قلْبَها فراقُه، والله أعلَمُ.

تنبيه:

ما تقدَّمَ مِن عُقوبةِ الميِّتِ مَحلُّه إذا أَوْصى بأنْ يُناحَ عليه، وأن تُعدَّدَ شمائلُه، كما يفعَلُه الأعرابُ والجهلَةُ، وكانَتِ الجاهليّةُ تَتعاطاهُ، أمّا[١] إذا لم يوصِ بذلكَ وكانَ كارهًا له، فلا عقوبةَ عليه، والعقوبةُ والنَّكالُ خاصٌّ بالنائحةِ والمُعدِّدةِ، والله أعلَمُ[٢].

[سوء العشرة مع الزوج]:

[١٠] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ:** سوءُ العِشرةِ معَ الزوجِ.

لأنّ الزوجَ له حقٌّ واجبٌ بالشرعِ، وهوَ على الفوْرِ ما لم يكُنْ عذرٌ شرعِيٌّ، حتَّى لو أرادَتْ أن تحُجَّ حجَّةَ الإسلامِ، فللزوجِ منْعُها؛ لأنّ حقَّه على الفوْرِ[٣]، قالَ[٤] عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إذا دَعا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحاجَتِهِ، فلْتَأْتِهِ وإنْ كانَتْ عَلَى التَّنُّورِ**[٥]». رَواهُ ....

(١) في (ب): «أم».

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٢٧٣)، و«المعلم بفوائد مسلم» (١: ٤٨٤)، و«شرح النووي على مسلم» (٦: ٢٢٨).

(٣) انظر: «المهذب» للشيرازي (١: ٤٢٨)، و«نهاية المطلب» (٤: ٤٤٠).

(٤) في (ب): «وقال».

(٥) قال التوربشتي في «الميسر» (٣: ٧٧٠): «أي: وإن كانت تخبز، فإن التنور هو الذي يخبز فيه، وإنما علق الأمر بكونها على التنور؛ لأن شغلها بالخبز من الأشغال الشاغلة التي لا يتفرغ معها إلى غيرها، إلا بعد انقضائها والفراغ منها». وانظر: «تحفة الأبرار» (٢: ٣٧٧)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٧: ٢٣٣٣).

النسائيُّ[١] مِن حديثِ طلْقِ بنِ عليٍّ، وكذا الترمذِيُّ[٢]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يَحِلُّ لِلْمَـرْأةِ أنْ تَصُومَ وزَوْجُها شاهِـدٌ إلا بإذْنِهِ، ولا تَأْذَنَ فـي بَيْتِـهِ إلا بإذْنِهِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٣] ومُسلمٌ[٤] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه، واللفظُ للبُخاريِّ.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إذا دَعا الرَّجُلُ امْرَأتَهُ إلَى فِراشِهِ فلَمْ تَأْتِه، فباتَ غَضْبانًا عَلَيْها، لَعَنَتْها المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٥] ومُسلمٌ[٦].

وفي رِوايةٍ لهما: «**إذا باتَتِ المَرْأةُ هاجِرَةً فِراشَ زَوْجِها، لَعَنَتْها المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»[٧].

وفي رِوايةٍ: «**والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ما مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأتَهُ إلَى فِراشِها فتَأْبَى عَلَيْهِ، إلا كانَ الذِي في السَّماءِ ساخِطًا عَلَيْها حَتَّى يَرْضَى عَنْها**»[٨].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لِأحَدٍ، لَأمَرْتُ المَرْأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها**». رَواهُ الترمذِيُّ[٩] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه[١٠]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) «السنن الكبرى» للنسائي (٨٩٢٢).

(٢) «جامع الترمذي» (١١٦٠)، و«صحيح ابن حبان» (٩: ٤٧٣).

(٣) «صحيح البخاري» (٥١٩٥). (٤) «صحيح مسلم» (١٠٢٦).

(٥) «صحيح البخاري» (٣٢٣٧). (٦) «صحيح مسلم» (١٤٣٦).

(٧) «صحيح البخاري» (٥١٩٤)، و«صحيح مسلم» (١٤٣٦).

(٨) «صحيح مسلم» (١٤٣٦).

(٩) «جامع الترمذي» (١١٥٩)، و«صحيح ابن حبان» (٤١٦٢)، و«مستدرك الحاكم» (٢٧٦٨). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(١٠) هذا الحديث سقط من (ب).

[٦٥/أ] وهذا الحديثُ يدُلُّ على شدَّةِ حقِّ الرَّجلِ، وتَأكُّدِ الاعتناءِ به، فيا ويْحَ، بل يا ويْلَ مَن ربُّها ساخِطٌ عليها، والملائكةُ عليهم السلامُ تلعَنُها إلى الصباحِ، والحورُ يدعُونَ عليها.

قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَها في الدُّنْيا إلا قالَتِ الحُورُ العِينُ: لا تُؤْذِيهِ قاتَلَكِ الله عَزَّ وجَلَّ؛ فإنّما هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أنْ يُفارِقَكِ إلَيْنا**». رَواهُ الترمذِيُّ[١]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ثَلاثَةٌ لا يَقْبَلُ الله عَزَّ وجَلَّ لَهُمْ صَلاةً، ولا يَصْعَدُ لَهُمْ حَسَنَةٌ: العَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ إلَى مَوالِيهِ فَيَضَعُ يَدَهُ في أَيْدِيهِمْ، والمَرْأَةُ السّاخِطُ عَلَيْها زَوْجُها حَتَّى يَرْضَى، والسَّكْرانُ حَتَّى يَصْحو**[٢]». رَواهُ ابنُ خزيمةَ في «**صحيحِه**»[٣] عن محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ، عن جابرٍ رضِيَ الله عنه.

والأحاديثُ في ذلكَ كثيرةٌ، وحديثٌ واحدٌ يكْفِي نساءَ أهلِ الدنيا[٤] في الاتعاظِ، والتي غلَبَ عليها الشقاوةُ لا ترجِعُ عن غيِّها ولو قُرِئَ عليها مُجلَّداتٌ، فتتأهَّبُ للعذابِ الشَّديدِ.

ثمَّ هذا كلُّه إذا كانَ الزوجُ قائمًا بالحُقوقِ الواجبةِ عليه لها على الوضْعِ الشرعيِّ، لا على عادةِ أهْلِ الثروةِ مِن الظَّلَمةِ والقُضاةِ السُّوءِ، الذين يتوسَّعونَ[٥]

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٠١)، و«جامع الترمذي» (١١٧٤)، و«سنن ابن ماجه» (٢٠١٤). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٢) في (س) و(ب) و(د): «يصحى».

(٣) «صحيح ابن خزيمة» (٩٤٠)، و«صحيح ابن حبان» (٥٣٥٥)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٨٣٠). وقال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢: ٤٣٩): «قال أبي: هذا حديث منكر».

(٤) في (د): «زماننا».

(٥) في (د): «يتخولون».

في المآكلِ والمشاربِ والمساكنِ، ويتأنّقونَ في ذلكَ، ويتخوَّضونَ في مالِ الله عزَّ وجَلَّ، وفي أموالِ مَن جعَلَه الله تعالى لهم في كتابِه العزيزِ بغيرِ حقٍّ.

وكذا فيما أحدَثُوه مِن أخْذِ أموالِ الناسِ بالباطلِ؛ إمّا على وجْهِ القهرِ، أو على وجهِ الخديعةِ كما يفعَلُه المُتصوِّفةُ؛ فإنّهم يُظْهرونَ الدِّيانةَ والسُّلوكَ إلى الله عزَّ وجلَّ خديعةً لينالُوا من[1] عَرَضِ الدنيا، بدليلِ أنّهم لو دَعاهُم نقيبٌ أو والٍ أو مَكّاسٌ، أو ريّسٌ، أو عريفٌ، أو مُرابي، أو ظالمٌ قد عُرفَ جورُه وظلمُه، هرَعُوا إليه، فهؤلاءِ الفُقراءُ والقُضاةُ وأمراؤُهم في الدَّرَكِ الأسفلِ مِن النارِ[2]، وقد صرَّحَ بذلكَ العُلماءُ مِن نحوِ أربعِ مئةِ سنةٍ.

وأما مُتصوِّفةُ اليوم وقضاتُهم وفقهاؤهم[3]؛ فإنّهم لا يُؤمنونَ بيومِ الحسابِ، وإن قالُوا خلافَ ذلكَ كذَبُوا؛ فإنّ أفعالَهم عكسُ أفعالِ[4] مَن/ يؤمِنُ بيومِ [٦٥/ب] الحسابِ، ولا ينكِرُ ذلكَ إلا جاهلٌ، أو فاسِدُ العقيدةِ.

هذا الحسَنُ البصرِيُّ رضِيَ الله عنه يقولُ: «والله لقد رأيتُ سبعينَ بَدريًّا لباسُهم الصُّوفُ، لو رأيتمُوهم لقُلتُم: مجانينُ، ولو رَأوا خِيارَكم لقالُوا: ما لهؤلاءِ من خَلاقٍ[5] أي: نصيبٍ، ولو رَأوا شِرارَكم لقالُوا: لا يؤمِنُ[6] هؤلاءِ بيومِ الحسابِ»[7]، ومعلومٌ أنّ شِرارَ ذلكَ الزمانِ أحسَنُ حالًا مِن خيارِ هؤلاءِ، ولا ينازِعُ في ذلكَ إلا مُعاندٌ.

---

(١) في (ب): «منه»، وليس في (د).
(٢) في (د): «فهؤلاء القضاة والمتصوفة والأمراء الجور وهم في الدرك الأسفل من النار».
(٣) «وفقهاؤهم» مثبت من (د).
(٤) «أفعال» ليس في (ب).
(٥) في (د): «خلاف».
(٦) في (د): «هؤلاء لا يؤمن».
(٧) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢: ١٣٤)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٢٤٠-٢٤١)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٦: ١١٢).

ودَخَلَ الحسنُ[١] المسجدَ يومَ الجُمعةِ فلمّا جلسَ دمَعَتْ عَيناهُ، فقيلَ له: يا أبا سعيدٍ ما يُبكِيكَ؟

فقالَ: «وما لي لا أبكي، أرَى قولًا ولا أرَى فعلًا، أرَى رِجالًا ولا أرَى عُقولًا، دخَلُوا ثمَّ خَرَجُوا، حرَّموا ثمَّ حلَّلوا، إنّما دينُ أحدِهم لَعقَةٌ[٢] على لسانِه، لو سألْتَه: هل يؤمِنُ بيومِ الحسابِ؟ لقالَ: نَعَم، كذَبَ ومالكِ يومِ الدِّينِ، ما هذه أخلاقُ المُؤمنينَ»، وذكَرَ أخلاقَ المُؤمنينَ الذينَ يؤمِنونَ بيومِ الحسابِ[٣].

فإذا كانَ الحسَنُ معَ جلالتِه وعِظَمِ قَدرِه في العِلمِ والدِّينِ ربيبُ رَسولِ الله ﷺ[٤] يُقسِمُ بمالكِ يومِ الدِّينِ: أنّ[٥] فُقهاءَ زمانِه وعلماءَهم لا يؤمِنونَ بيومِ الحسابِ، وهم[٦] في خيرِ القُرونِ، فكيفَ بهؤلاءِ[٧] الأخباثِ[٨] الذين هُم في شرِّ القُرونِ، قد نَصَبوا أنفسَهم عَبيدًا[٩] لأراذلِ الناسِ مِن الظَّلَمةِ والمَكَسةِ، وإن كانَ فيه غضبُ الله عزَّ وجَلَّ وغضبُ رَسولِه ﷺ، وبهذا ونحوِه يتبيَّنُ صدْقُ ما ذكَرتُه.

فمَن كانَتْ تحتَ رجلٍ مِن الظَّلَمةِ وأتباعِهم كالنُّقباءِ والمشدينَ والوُكلاءِ ونحْوِهم[١٠] على الضِّياعِ، وكذا نقباءُ المُحتسِبِ ورُسُلُ القاضِي الذي لا يصلُحُ

---

(١) «الحسن» مثبت من (د). (٢) في (د): «لفقه».

(٣) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ٢٦١).

(٤) كانت أم الحسن البصري تخدم أم سلمة، فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها فتعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها فيشربه. انظر: «المعارف» لابن قتيبة (١: ٤٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٧).

(٥) في (د): «ما أن». (٦) في (د): «وهو».

(٧) في (د): «هؤلاء». (٨) في (س): «الأخيار».

(٩) في (س): «عبيد». (١٠) في (ب): «ونحوهما».

للقضاءِ؛ إما لعدمِ عِلمِه، أو لِفسقِه، وامتنعَتْ مِن قُربانِه وهَجَرتْه دِينًا بصدقٍ فليسَ عليها في ذلكَ؛ لأنّها تخلِّصُ نفْسَها مِن أنْ تكونَ وَقيدًا في جهنَّمَ.

وكذا امرأةُ المدرِّسِ الذي ليسَ هو أهلًا للوظيفةِ، وكذا امرأةُ المُتصوِّفِ، وأنّ ما يأكلُه حرامٌ، لا خلافَ في ذلكَ بينَ المُسلمينَ؛ لأنّه إنّما [٦٦/أ] يُعْطَى ذلكَ بناءً على أنّه صوفي، والصُّوفي مَن لبِسَ الصُّوفَ على الصَّفا، ورفَضَ الدنيا خَلفَ القَفا، وسلَكَ سبيلَ المُصطفى ﷺ[١]، وهذا عزيزٌ جدًّا، والسالِكُ لا يُظْهِرُ سُلوكَه؛ لأنّه سرٌّ من أسرارِ الله تعالى، وفي إظهارِه إفشاءُ سرِّ الله تعالى، وقد قالَ بعضهم[٢]: إنّه كفرٌ.

قالَ العُلماءُ رحمهم الله: وما يأخُذُه مَن ليس[٣] بصفةِ القومِ حرامٌ قطعًا، كمَنْ وقَفَ على حَسَنيٍّ أو عَلَويٍّ، أو أوصى له بشيءٍ وهو بخلافِ ذلك؛ فإنّه لا يحِلُّ له أخْذُه قَطْعًا؛ لعدَمِ وُجودِ صفةِ الاستحقاقِ.

فالحذَرَ الحذَرَ يا نساءَ المُؤمناتِ مِن نارٍ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

فمَنْ وجَبَ عليها حقٌّ فلتؤدِّه[٤] بطيبِ نفسٍ، وطلاقةِ[٥] وجهٍ، وحسنِ مُعاشرةٍ، ومن كانَتْ تحتَ واحدٍ من هؤلاءِ الأخباثِ فلتفِرَّ منه فرارَها مِن الأسدِ، ولا تَغترَّ بغيْرِها.

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ١٨٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣: ٤٩)، و«نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (٢: ٥٦).

(٢) في (س): «وقد قالوا».

(٣) «ليس» مثبت من (د).

(٤) في (د): «فلتؤدي».

(٥) في (د): «وطلاق».

فكأنِّي بها وقد نزَلَ بها[١] أمْرُ الله عزَّ وجَلَّ، فذهَبَت الشهواتُ، وبقِيَ التبعاتُ المُهلكاتُ، وتعاظَمَتِ الحَسراتُ، وتعذَّرَ الخلاصُ من حينَ لاتَ مَناص[٢].

وهذه نصيحةُ أخٍ مُحِبٍّ[٣] للناسِ ما يُحِبُّ لنفسه، والله[٤] ثمَّ والله ثمَّ والله، إنّ أنعَمَ الناسِ لو اشتدَّ[٥] صُداعُ رأسِه لذهَلَ عن جميعِ مَلاذِّ[٦] الدنيا، فكيفَ بمن يُغمَسُ في النارِ؟

قالَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ إلى قولِه: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

والصِّليُّ: غمْسُ الشخصِ في النارِ، لا التَّلويحُ[٧].

وقالَتْ[٨] خولةُ امرأةُ حمزَةَ رضِيَ الله عنها: سمِعْتُ رَسول الله ﷺ يقولُ: «**إنّ رِجالًا يَتخَوَّضُونَ[٩] في مالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ، فلَهُمُ[١٠] النّارُ يَوْمَ القِيامَةِ**». رَواهُ البُخاريُّ[١١].

فهذا كتابُ ربِّنا وسنّةُ نبيِّنا ﷺ ناطقانِ بما حذَّرْتُ منه ونبَّهْتُ عليه، وهُما الحجَّةُ والبرهانُ على الإنسانِ، لا فعْلُ فُقهاءِ السُّوءِ، وصوفيةِ[١٢] المَزبَلةِ[١٣]،

---

(١) «بها» ليس في (د).

(٢) في (س)، (ب): «وتعذر الخلاص حين لا تحين مناص».

(٣) في (د): «يحب».

(٤) في (د): «فو الله».

(٥) في (د): «أشد».

(٦) في (س): «بلاد».

(٧) انظر: «الصحاح» (٦: ٢٤٠٣)، و«القاموس المحيط» (١٣٠٣).

(٨) في (د): «وقال».

(٩) في (د): «يتحولون».

(١٠) في (د): «وهو في».

(١١) «صحيح البخاري» (٣١١٨).

(١٢) في (س): «وصوفة».

(١٣) في (د): «الرجس».

إخوانِ الشيطانِ، والله عزَّ وجَلَّ المستعانُ، وعليه التُّكلانُ. [٦٦/ب]

قالَ رَسول الله ﷺ: «**إنّ أهْوَنَ أهْلِ النّارِ عَذابًا يَوْمَ القِيامَةِ، لَرَجُلٌ يُوضَعُ في أخْمَصِ**[١] **قَدَمَيْهِ جَمْرَتانِ يَغْلِي مِنْهُما دِماغُهُ، ما يَرَى أحَدًا أشَدَّ مِنْهُ عَذابًا، وإنّهُ لَأهوَنُهُمْ عَذابًا**». رَواهُ البُخارِيُّ[٢] ومُسلمٌ[٣] مِن حديثِ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ رضِيَ الله عنه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**يُؤْتَى بِأنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِنْ أهْلِ النّارِ يَوْمَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقُولُ: لا، واللهِ يا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأشَدِّ النّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا، مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ**[٤]**، فيُقالُ لَهُ: يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ**[٥]**؟ فيَقُولُ: لا، واللهِ يا رَبِّ ما مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأيْتُ شِدَّةً قَطُّ**». رَواهُ مُسلمٌ[٦] مِن حديثِ أنسٍ رضِيَ الله عنه.

وعن عائشةَ رضِيَ الله عنها، قالَتْ: كانَ لأبي بكرٍ الصدِّيقِ غلامٌ يُخْرِجُ له الخَراجَ، وكانَ أبو بكرٍ يأكُلُ مِن خَراجِه، فجاءَ يومًا بشيءٍ فأكَلَ منه أبو بكرٍ، فقالَ له الغلامُ: أتدْرِي ما هذا؟ فقالَ[٧] أبو بكرٍ: وما هوَ؟ فقالَ: كنْتُ تكهَّنْتُ لإنسانٍ في الجاهليّةِ، وما أُحْسِنُ الكِهانَةَ إلا أنِّي خدَعْتُه، فلقِيَني فأعطاني

---

(١) في (ب): «خمص». (٢) «صحيح البخاري» (٦٥٦١).

(٣) «صحيح مسلم» (٢١٣).

(٤) قوله: «فيصبغ صبغة في الجنة» ليس في (س) و(ب) و(د).

(٥) قوله: «قط» ليس في (س) و(ب).

(٦) «صحيح مسلم» (٢٨٠٧).

(٧) في (د): «قال».

بِذَلكَ[1] هذا الذي أكلْتَ منه، فأدخَلَ أبو بكرٍ يدَهُ في فيهِ فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطْنِه. رَواهُ البُخاريُّ[2].

وفي رِوايةٍ: فجعَلَ يتقيَّأُ، فلا تخرجُ اللُّقمةُ، فقيلَ له: أكُلُّ هذا لأجلِ لُقمةٍ؟ فقالَ: لو لم تخرُجْ إلا بنفسِي[3] لأخرَجْتُها؛ سمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «**كلُّ[4] جَسَدٍ نَبَتَ عَلَى حَرامٍ، فالنّارُ أوْلَى بِهِ**»؛ خشِيتُ أن ينبُتَ شيءٌ مِن جَسَدِي مِن هذه اللُّقمةِ[5].

وإذا كانَ هذا مِن لُقمةٍ، فكيفَ حالُ[6] مَن غَداؤه وعَشاؤه مِنَ الحرامِ، وهوَ مستمِرٌّ على ذلكَ مدَّةً طويلةً والعياذ بالله تعالى!

[التجسس والتسمع لكلام من يكره استماعه]:

[١١] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**: التجسُّسُ والتَّسمُّعُ لكلامِ مَن يكرَهُ استماعَه[7].

وقد نَهَى الله تعالى ورسولُه عن ذلكَ، وأخبَرَ رَسولُ الله ﷺ بما له مِن العذابِ، قالَ الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، [٦٧/أ] وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا**». رَواهُ البخاريُّ[8].

فهذا نهيٌ مِن الله عزَّ وجَلَّ ومِن رَسولِه ﷺ، فأينَ امتثالُ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) في (س) و(د): «لذلك». (٢) «صحيح البخاري» (٣٨٤٢).
(٣) في (د): «مع نفسي». (٤) «كل» ليس في (س) و(د).
(٥) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٣١).
(٦) «حال» ليس في (د).
(٧) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٥٢)، و«الكبائر» للذهبي (٣١٥).
(٨) «صحيح البخاري» (٥١٤٣)، و«صحيح مسلم» (٢٥٦٣).

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]؟! فإذا تجرَّأْتِ على المُخالفةِ فاستعدِّي لوبالِ المُخالفةِ؛ قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وهُمْ لَهُ كارِهُونَ، صُبَّ في أُذُنَيْهِ الآنُكُ يومَ القيامَةِ**»[١]. رواهُ البخاريُّ من حديثِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

والآنك[٢] ـ بضمِّ النُّونِ والمدِّ والكافِ ـ، هوَ: الرَّصاصُ المُذابُ[٣]، نسألُ الله تعالى العافيةَ.

فإنِ انضافَ إلى ذلكَ نميمةٌ، وهيَ نقْلُ الكلامِ بينَ الناس على وجْهِ الإفسادِ[٤] زادَ الإثمُ والعقوبةُ.

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمّامٌ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٥] ومُسلمٌ[٦] مِن حديثِ حُذيفةَ رضِيَ الله عنه.

وقالَ ابنُ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما: مَرَّ رَسولُ الله ﷺ بقبرينِ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنَّهُما لَيُعَذَّبانِ، وما يُعَذَّبانِ في كَبِيرٍ، بَلَى[٧] إنَّهُ كَبِيرٌ[٨]؛ أمّا أحَدُهُما فكانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأمّا الآخَرُ فكانَ لا يَسْتَتِرُ[٩] مِنَ البَوْلِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[١٠] ومُسلمٌ[١١].

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٠٤٢).
(٢) من قوله: «رواه البخاري» إلى هنا مثبت من (د).
(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩: ٥٥٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٢: ٤٢٩).
(٤) انظر: «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٢١: ١٩٤)، و«شرح المصابيح» لابن الملك (٥: ٢٣٨)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧: ٣٠٢٩).
(٥) «صحيح البخاري» (٦٠٥٦).
(٦) «صحيح مسلم» (١٠٥).
(٧) «بلى» ليس في (س).
(٨) قوله: «بلى إنه كبير» ليس في (د).
(٩) في (د): «يستنزه».
(١٠) «صحيح البخاري» (٦٠٥٥).
(١١) «صحيح مسلم» (٢٩٢).

نعوذُ باللهِ مِن عذابِ القبرِ.

ومَعْنى «**وَما يُعَذَّبانِ في كَبِيرٍ**» يعني في زعْمِهما «**بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ**»؛ لما فيه مِن المُخالفةِ التي أوجبَتْ هذه العقوبةَ التي لا تطيقُها الجبالُ.

وقيلَ: كبيرٌ تَرْكُه عليهما؛ لأنّ النفسَ سرّاعةٌ[1] إلى الإفسادِ بطبْعِها، والحقُّ ثقيلٌ، فيثقُلُ ترْكُ النَّميمةِ عليهما[2]؛ فإنِ انضافَ إلى ذلكَ نقْلُ الكلامِ إلى وُلاةِ الأمورِ زادَ الإثْمُ والعذابُ، وإنِ انضافَ إلى ذلكَ التوجُّهُ[3] أنْ صارَتْ ذاتَ[4] الوجهينِ زادَ إثْمُها، وصارَتْ شرَّ النّاسِ.

قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**تَجِدُونَ شَرَّ النّاسِ ذا الوَجْهَيْنِ، الذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ**[5]». رَواهُ البُخارِيُّ[6] ومُسلمٌ[7] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه.

وقد ذمَّ اللهُ تعالى مُتعاطِيَ ذلكَ، فقالَ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

وفيه إشارةٌ إلى جهلِ مَن فعَلَ ذلكَ بربِّه وبُعْدِه عنه، فلا مُصيبةَ أعظَمُ ممَّن[8] الناسُ أعظَمُ في قلْبِه مِن ربِّه؛ حيثُ استخْفَى ممَّن لا يملِكُ لنفْسِه

---

(١) في (د): «نزاعة».

(٢) في (د): «عليها». وانظر: «شرح النووي على مسلم» (٣: ٢٠١)، و«العدة في شرح العمدة» (١: ١٤٠)، و«الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٣: ٦٨).

(٣) فوقها في (س): «لعله».

(٤) في (س) و(ب) و(د): «ذا».

(٥) في (د): «بوجه آخر».

(٦) «صحيح البخاري» (٣٤٩٤).

(٧) «صحيح مسلم» (٢٥٢٦).

(٨) في (ب): «من».

ضرًّا ولا نفعًا، ولم يستخْفِ ممَّن بيدِه الملْكُ والملكوتُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[١].

وقد كثُرَ ذو[٢] الوجْهيْنِ حتَّى لا تكادُ تجِدُ أحدًا خالصًا مِن ذلكَ، إلا مَن وفَّقَه الله تعالى وحَماهُ مِن هذه العقوباتِ، وذلكَ عزيزٌ.

وأكثَرُ ذوي[٣] الوجهينِ النساءُ؛ لضعْفِ عُقولِهنَّ ودِينِـهنَّ ويقينِـيهنَّ، ومَنْ هَذهِ صفتُها فإيمانُها[٤] مُزَلزَلٌ سريعُ التحوُّلِ، ولهذا كنَّ أكثَرَ أهلِ النارِ[٥].

تنبيه مهم يتعلق بالنميمة:

فكلُّ مَن حُمِلَتْ إليه نميمةٌ وقيلَ له: قالَ فلانٌ أو فلانةٌ فيكَ كذا، وجَبَ عليه ستَّةُ أُمورٍ[٦]، ولا تغفَلْ عن قولِي: (وجَبَ)؛ لأنّ الواجبَ هوَ الذي يعاقَبُ الشخصُ على ترْكِه[٧].

---

(١) انظر تفسير الآية في «تفسير القرطبي» (٥: ٣٧٩)، و«البحر المحيط في التفسير» (٤: ٥٨).

(٢) في (س): «ذوو»، وفي (د): «ذا».

(٣) في (ب): «ذي»، وفي (د): «ذو».

(٤) في (س) و(ب) و(د): «ومن هذه صفته فإيمانه».

(٥) أخرج البخاري (٢٩) ومسلم (٢٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط». واللفظ للبخاري.

(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٥٦)، و«الأذكار» للنووي (٣٤٨)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٣٨).

(٧) انظر: «البرهان في أصول الفقه» (١: ٢١٤)، و«قواطع الأدلة في الأصول» (١: ٢٣)، و«المستصفى» (٥٣)، و«المحصول» للرازي (٢: ٢٠٢).

الأَمْرُ الأَوَّلُ: ألا يصدِّقَ[١] النمّامَ؛ لأنّه فاسِقٌ بنصِّ القُرآنِ العظيمِ، والفاسِقُ لا يُقبَلُ قوْلُه، وقد أمَرَ الله تعالى بالتَّثبُّتِ في ذلكَ[٢]؛ فمَنْ صدَّقَه فقد خالَفَ الله تعالى.

الأَمْرُ[٣] الثاني: أنْ ينْهاهُ عن ذلكَ، ويُقَبِّحَ فعْلَه، وينصَحَه بتحذيرِ ما أعدَّ الله تعالى له مِن العُقوبةِ.

الأَمْرُ الثّالثُ: أن يبغضَه في الله تعالى؛ فإنّ النمّامَ بَغِيضٌ[٤] الله تعالى؛ لأنّه شيطانٌ، فما أجهَلَ مَن لا يبغضُ من[٥] أبغَضَه الله تعالى، والبغْضُ في الله تعالى واجبٌ، ومَن رَأى مِنَّةَ مَن نقَلَ إليه نميمةً، فقد ورَّطَ نفْسَه في مهلكةٍ عظيمةٍ.

قالَ مجاهِدٌ رحمه الله: قالَ لي عبدُ الله بنُ عُمرَ رضِيَ الله عنهما: «أحِبَّ في الله، وأبغِضْ في الله، وعادِ في الله؛ فإنّكَ لا تنالُ ولايةَ الله إلا بذلكَ، ولا يجِدُ رجلٌ طعْمَ الإيمانِ وإن كثُرَتْ صلاتُه وصيامُه حتَّى يكونَ كذلكَ، وصارَتْ مؤاخاةُ الناسِ في أمْرِ الدنيا، وذلكَ[٦] لا يُجزِئُ[٧] عن أهْلِه شيئًا»[٨].

الأَمْرُ الرّابعُ: ألا يظُنَّ[٩] المنقولُ إليه بالمنقولِ عنه السُّوءَ؛ لقولِه تعالى:

---

(١) في (ب): «يصدقه».

(٢) في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

(٣) «الأمر» ليس في (د) وكذا في المواضع التالية.

(٤) كذا في (ب) وحاشية (س)، وفي (س): «يبغضه».

(٥) في (س) و(د): «ما».

(٦) في (د): «وأن ذلك».

(٧) في (ب): «يجوز».

(٨) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٣١٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٥٧).

(٩) «يظن» ليس في (ب).

﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، تنبَّه[١] لذلك، فبادرةُ[٢] النفسِ إلى التصديقِ أسرعُ مِن البرْقِ، لا سيَّما إذا كانَ المنقولُ عنه عدوًّا؛ فإنْ [٦٨/أ] قوِيَ وازعُ الطبْعِ فاقمَعْه بوازعِ الشرعِ، وإلا فأنتَ هالكٌ.

الأمْـر الخـامسُ: ألا يحمِلَكَ مـا حُكِـيَ لكَ عنِ[٣] التجسُّسِ والبحثِ عـن تحقيقِ ذلكَ، فقد نَهَى الله تعالى ورسولُه عليه الصلاةُ والسلامُ عنِ التجسُّسِ كما تقدَّمَ.

الأمْرُ السّادسُ: ألا يرْضَى لنفسِه ما[٤] نَهَى النمّامَ عنه، فلا يحْكِي نميمتَه؛ لأنّه يصيرُ نمّامًا، وإذا صارَ نمّامًا فاتَه الثوابُ، وترتَّبَ عليه العقابُ، ومثْلُ هذا هوَ المُصابُ[٥].

قيلَ[٦]: دفَعَ شخصٌ إلَى الصاحبِ بنِ عبّاد[٧] رُقعةً يحثُّه فيها على أخْذِ مـالِ يتيـمٍ، وكانَ مالًا عظيمًا، فكتَبَ الصاحبُ بـن عبّاد[٨] على ظهْرِ الرُّقعةِ: «النَّميمةُ قبيحةٌ وإن كانَتْ صحيحةً، والميِّتُ رَحِمه الله، واليَتيمُ جبَرَه[٩] الله، والمالُ ثمَّره الله، والسّاعِي لعنَه الله عزَّ وجَلَّ»[١٠].

---

(١) في (د): «تنبيه».
(٢) في (د): «فمبادرة».
(٣) في (د): «علي».
(٤) في (د): «بما».
(٥) في (د): «المصائب العظام».
(٦) «قيل» مثبت من (د).
(٧) في (ب) و(د): «عبادة».
(٨) قوله: «ابن عباد» ليس في (س)، وفي (ب) و(د): «عبادة».
(٩) في (د): «خيره».
(١٠) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٥٧)، و«الأذكـار» للنووي (٣٤٨)، و«رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام» للفاكهاني (١: ٢٤٠). جاء في حاشية (ب): «يحكى أن تلميذ الفضيل ابـن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقـرأ سورة (يس)، فقال: =

[من الأسباب المهلكة: آفات اللسان][١]:

[١٢] **ومِنَ الأسبابِ المهلكةِ**: اللِّسانُ.

وله آفاتٌ لا تكادُ تنحصِرُ، وهوَ معَ كثرةِ آفاتِه سريعُ الحركةِ[٢]، هيِّنُ الانفعالِ، قليلُ الكَلِّ، يَكادُ ماءُ القطْرِ ينفدُ[٣] وحركاتُه لا[٤] تنفد[٥]، بكلمةٍ منه معَ قِلَّتِها يهلَكُ سائرُ الجسدِ، معَ ذهابِ النفسِ وحُصولِ غضَبِ الرَّبِّ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إذا أصْبَحَ ابْنُ آدمَ فإنّ الأعْضاءَ كُلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ، تَقُولُ لهُ[٦]: اتَّقِ الله تَعالَى فينا، فإنّما[٧] نَحْنُ بِكَ، فإن اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنا، وإن اعْوَجَجْتَ[٨] اعْوَجَجْنا**». رَواهُ الترمذِيُّ[٩].

= يا أستاذ لا تقرأ هذه؟ فسكت ثم لقنه، فقال له: قل لا إله إلا الله، فقال: لا أقولها؛ لأني منها بريء، ومات على ذلك. فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي أربعين يومًا ولم يخرج من البيت، ثم رآه في المنام وهو يسحب إلى جهنم أجارنا الله منها بمنّه، فقال: بأي شيء نزع الله المعرفة من قلبك، وكنت أعلم تلامذتي؟ فقال: بثلاثة أشياء: أولها: النميمة؛ فإني قلت لأصحابي بخلاف ما قلت لك. والثاني: بالحسد؛ فإني حسدت أصحابي. والثالث: كان بي علة فجئت إلى طبيب وسألته عنها فقال: تشرب في كل سنة قدحًا من خمر فإذا لم تفعل تبقى بك العلة، فكنت أشربه. نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به. ذكر هذه الحكاية: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في «منهاج العابدين»». اهـ. وانظر: «سراج الطالبين على منهاج العابدين» (٢: ٢٦٦-٢٦٧)، و«شرح صحيح البخاري» للسفيري (١: ٢٩٨)، و«فيض القدير» (١: ٥٢٦).

(١) ما بين المعقوفين جاء على حاشية (ب). (٢) في (د): «الحركات».

(٣) في (د): «ينفذه». (٤) «لا» ليس في (د).

(٥) في (د): «تنفذ». (٦) «له» مثبت من (د).

(٧) في (د): «فإنا».

(٨) في (ب): «اعوجت».

(٩) «جامع الترمذي» (٢٤٠٧)، قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد، ولم يرفعوه».

ومَعْنى «تُكَفِّرُ اللِّسانَ»: أيْ[١]: تَذِلُّ[٢] وتخضَعُ له[٣].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الشَّخْصَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله عزَّ وجَلَّ لا يُلْقِي لَها بالًا، يَهْوِي بِها في جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا**». رَواهُ البُخارِيُّ[٤] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وفي حديثٍ آخَرَ: «**إنّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ ما يَتَبَيَّنُ فيها، يَزِلُّ بِها إلَى النّارِ أبْعَدَ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٥] ومُسلمٌ[٦].

ومَعْنى «يَتَبَيَّنُ»: يفكِّرُ[٧] أنّها خيرٌ أم شر[٨].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله عَزَّ وجَلَّ ما كانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ، يَكْتُبُ الله عَزَّ وجَلَّ لَهُ بِها سَخَطَهُ إلَى يَوْمِ يَلْقاهُ**». [٦٨/ب]

رَواهُ مالكٌ رحمه الله في «**الموطَّأ**»[٩] مِن حديثِ أبي عبدِ الرحمنِ بلالِ بنِ الحارِثِ المُزنِيِّ، وكذا الترمذِيُّ[١٠]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) «أي» ليس في (س). (٢) في (س): «تنزل»، وفي (د): «تترك».

(٣) انظر: «المفاتيح في شرح المصابيح» (٥: ١٨٢)، و«قوت المغتذي على جامع الترمذي» (٢: ٥٨٤).

(٤) «صحيح البخاري» (٦٤٧٨). وفيه: «إن العبد». وقوله «سبعين خريفًا» ليس عند البخاري وإنما عند الترمذي (٢٣١٤).

(٥) «صحيح البخاري» (٦٤٧٧). (٦) «صحيح مسلم» (٢٩٨٨).

(٧) في (د): «ينكر».

(٨) في (س): «أم لا». وانظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨: ١١٧)، و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨: ٣٤٢).

(٩) «موطأ مالك» (٣٦١١).

(١٠) «جامع الترمذي» (٢٣١٩)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٦٩)، و«صحيح ابن حبان» (٢٨٠)، و«مستدرك الحاكم» (١٣٦). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح».

وقالَ سُفيانُ بنُ عبدِ الله رضِيَ الله عنه، قلْتُ: يا رَسولَ الله، حدِّثْنِي بأمرٍ أعتصِمُ به، قالَ: «**قُلْ رَبِّيَ الله ثُمَّ اسْتَقِمْ**»[١]، قلْتُ: يا رَسولَ الله، ما أخوَفُ ما تَخافُ عليَّ؟ فأخَذَ عليه الصلاةُ والسلامُ بلسانِ نفْسِه، ثمَّ قالَ: «**هَذا**». رَواهُ الترمذِيُّ[٢]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وإتيانُ[٣] السائلِ بصيغةِ (أخوفُ) التي هيَ صيغةُ (أفعَلِ التفضيلِ)، فإقرارُه[٤] عليه الصلاةُ والسلامُ له وجوابُه يفيدُ أنّ اللِّسانَ أخوفُ المَخوفاتِ، فلتنتبه لذلكَ.

وقالَ عقبةُ بنُ عامرٍ رضِيَ الله عنه: قلْتُ: يا رَسولَ الله، ما النَّجاةُ؟ فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أمْسِكْ عَلَيْكَ**[٥] **لِسانَكَ، ولْيَسَعْكَ**[٦] **بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٧]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وقالَ مُعاذٌ رضِيَ الله عنه: قلْتُ: يا رَسولَ الله، أخبرني بعملٍ يُدخِلُني الجنةَ ويُباعِدُني مِن النارِ؟ قالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وإنّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ الله ولا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكاةَ، وتَصُومُ رَمَضانَ**»، ثمَّ قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ألا أدُلُّكَ عَلَى أبْوابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ الماءُ النّارَ، وصَلاةُ الرَّجُلِ في**

---

(١) «صحيح مسلم» (٣٨).
(٢) «جامع الترمذي» (٢٤١٠)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٧٢)، و«مسند أحمد» (١٥٤١٨).
(٣) في (د): «فإتيان».
(٤) في (س): «وإقراره».
(٥) «عليك» ليس في (د).
(٦) في (س): «ويسعك».
(٧) «جامع الترمذي» (٢٤٠٦)، و«مسند أحمد» (١٧٣٣٤)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٧٨٤). وعند الترمذي: «أملك عليك..».

جَوْفِ اللَّيْلِ»، ثمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتَّى بلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

ثمَّ قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ألا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قلْتُ: بلى يا رَسولَ الله، فأخَذَ بلسانِه[١]، وقالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذا**»، قلْتُ: يا رَسولَ الله، وإنّا لمُؤاخَذونَ بما نتكلَّمُ به؟ فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النّاسَ في النّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٢]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وقالَ أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه: سُئِلَ رَسولُ الله ﷺ عن أكثَرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ؟ فقالَ: «**الفَمُ والفَرْجُ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٣]، وقالَ: «حديثٌ صحيحٌ»[٤].

وكثيرٌ مِن النساءِ، بل أكثَرُ النساءِ بهذه الصِّفةِ؛ لأنّهنَّ سريعاتُ الانفعالِ / [٦٩/أ] والانقيادِ، أسيراتُ الشبهاتِ والشهواتِ، يَمِلنَ[٥] معَ كلِّ ريحٍ، ولهنَّ[٦]

---

(١) جاء في حاشية (ب): «قال النووي في «أذكاره»: بلغنا أن قسَّ بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال: ما هي: قال: حفظ اللسان». اهـ. وانظر: «الأذكار» للنووي (٣٣٥).

(٢) «جامع الترمذي» (٢٦١٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٧٣)، و«مسند أحمد» (٢٢٠١٦)، و«مستدرك الحاكم» (٣٥٤٨). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٣) «جامع الترمذي» (٢٠٠٤)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢٤٦)، و«مسند أحمد» (٧٩٠٧)، و«صحيح ابن حبان» (٤٧٦)، و«مستدرك الحاكم» (٧٩١٩). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٤) في (ب): «حديث حسن صحيح»، وفي «جامع الترمذي»: «حديث صحيح غريب».

(٥) في (د): «يمكن».

(٦) في (س) و(ب): «ولهم».

أعوانٌ مِن جنسهِنَّ يفزعنَ[١] إلى كلِّ[٢] ناعقٍ، هنَّ[٣] أتباعُ[٤] الدَّجّالِ[٥]، لهنَّ[٦] مِن العذابِ والنَّكالِ ما يأتِي إن شاءَ الله تعالى.



---

(١) في (س) و(ب) و(د): «يفزعون».
(٢) «كل» ليس في (ب).
(٣) في (س) و(ب): «هم».
(٤) في (س) و(ب) و(د): «تباع».
(٥) في (ب): «الرجال».
(٦) في (س) و(ب) و(د): «لهم».

[آفات اللسان]

وقد تقدَّمَ أنّ آفاتِ اللِّسانِ لا تنحصِرُ، فنذكُرُ نبذةً يسيرةً منها.

[١] **منها**: كثرةُ الكلامِ.

قالَ رَسول الله ﷺ: «**لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله عَزَّ وجَلَّ؛ فإنّ كَثْرَةَ الكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله عَزَّ وجَلَّ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وإنّ أَبْعَدَ النّاسِ مِنَ الله عزَّ وجَلَّ القَلْبُ القاسِي**». رَواهُ الترمذِيُّ[١].

وسببُ ذلكَ: أنّ اللسانَ تَرْجُمانُ القلْبِ، والقلْبُ الخالي عنِ التلذُّذِ بالذِّكرِ وطيبِ المُناجاةِ والتمتُّعِ بالخلْوةِ بالحبيبِ مشحونٌ[٢] بالشهواتِ، متلوثٌ بالأخلاقِ المذمومةِ، يزخرِفُ له الشيطانُ لذَّةَ الاجتماعِ بالخلْقِ وطِيبَ المُناجاةِ معهم[٣]؛ ليصُدَّه عن ذكْرِ الله تعالى، الذي هوَ سببُ سعادةِ الدارينِ، فتنطَفِئُ مِن قلْبه أنوارُ[٤] الخوفِ، فيتصاعَدُ دُخانُ الهَوَى فتعْمَى[٥] عينُ القلْبِ، ويسدُّ[٦] سمْعَهُ، فيُصَمُّ[٧] عنِ الوعظِ، ويعْمَى عن موضعِ الخطأ[٨]، وهذا عينُ القَسوةِ، وبذلكَ

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٤١١)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٤٦٠٠). وقال الترمذي: «هذا حديث غريب».

(٢) في (د): «فمشحون».

(٣) في (س): «وطيب المنادمة».

(٤) في (د): «نور».

(٥) في (ب): «فتعم»، وفي (د): «فينعمي».

(٦) في (ب): «وسد».

(٧) في (د): «فينضم».

(٨) في (ب): «الحط»، وفي (د): «الحظ».

يحصُلُ الإبعادُ، نسألُ[١] الله عزَّ وجَلَّ العفوَ والعَافيةَ مِن طرْدِه وإبعادِه.

فما أشْقَى مَن تسبَّبَ في إبعادِه عمَّن بيدِه المُلكُ والملكوت، وتدلَّى بغُرورِ مَن أُبعدَ إبعادَ الأبدِ، فلا يأمَنُ مثْلَ أنْ يلحَقَ به فيَبْقَى في عذابٍ لا آخِرَ[٢] لَهُ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ[٣] سَقَطُهُ[٤]، ومَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، ومَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كانَتِ النّارُ أوْلَى بِهِ**». رَواهُ أبو حاتمٍ في «**رَوضةِ العُقلاءِ**»[٥]، ورَواهُ البيْهقِيُّ في «**شُعبِ الإيمانِ**»[٦]، والله أعلَمُ.

[من آفات اللسان : شهادة الزور][٧]

[٢] **ومنها** ـ أي: ومن آفاتِ اللِّسانِ ـ: **شهادةُ الزُّورِ**[٨].

وهي من المُهلكاتِ العظيمةِ، ولعِظمِ أمْرِها نَهى الله عنها غيرَ مرّةٍ، وبالَغَ رَسولُ الله ﷺ في أمْرِها، قالَ الله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الكَبائِرِ؟**» قلْنا: بَلَى يا رَسولَ الله، قالَ: «**الإشْراكُ[٩] بِالله، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ**»، وكانَ مُتَّكِئًا فجلَسَ،

---

(١) في (د): «فنسأل».
(٢) في (ب): «لآخر».
(٣) «كثر» ليس في (ب).
(٤) في (ب): «سقوطه».
(٥) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (٤٤). موقوفًا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٦) «المعجم الأوسط» (٢٢٥٩)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٤٦٤٠)، و«الضعفاء الكبير» للعقيلي (٣: ٣١٦).
(٧) ما بين المعقوفين على هامش (ب).
(٨) انظر: «الكبائر» للذهبي (١٩٧)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٣٢٠).
(٩) في (د): «الشرك».

فقالَ: «**ألا وقَوْلُ الزُّورِ وشَهادَةُ الزُّورِ**» فما زالَ يكرِّرُها حتَّى قلْنا: ليتَه سكَتَ. [٦٩/ب] رَواهُ البُخارِيُّ[١] ومُسلمٌ[٢] مِن حديثِ أبي بكْرةَ رضِيَ الله عنه، واسمُه: نُفَيعُ ابنُ الحارِثِ[٣].

فانظُر، كيفَ قرَنَها بالإشراكِ بالله عزَّ وجَلَّ، وجعَلَها مِن أكبرِ[٤] الكبائرِ كقتْلِ النفسِ، وشرْبِ الخمْرِ، وأكْلِ مالِ اليتيمِ.

وقولُهم: «حتَّى قلْنا: ليتَه سكَتَ»، رحمةً له مِن شدّةِ ما حصَلَ له مِن التحذيرِ منها[٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، يفيدُ أنّ ما ليسَ[٦] يتحقَّقُه الإنسانُ ويجزِمُ به فهوَ مِن شهادةِ الزُّورِ؛ لأنّ العلْمَ لا يقبَلُ التَّشكيكَ، حتَّى لو غلَبَ على ظنِّ الشخصِ شيءٌ، وقوِيَ ظنُّه قوةً شديدةً بحيثُ يجوزُ له[٧] الحلِفُ عليه، لا يجوزُ له أن يشهَدَ؛ فإنْ شهِدَ[٨] معَ قوَّةِ هذا الظنِّ، فهيَ شهادةُ الزُّورِ[٩].

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٩٧٦). (٢) «صحيح مسلم» (٨٧).

(٣) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٨٨)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٤٨٩)، و«معجم الصحابة» لابن قانع (٣: ١٤٢).

(٤) «أكبر» ليس في (ب).

(٥) «منها» ليس في (ب). وانظر: «شرح النووي على مسلم» (٢: ٨٨)، و«الكواكب الدراري» (١١: ١٧٥)، و«فتح الباري» لابن حجر (٥: ٢٦٣).

(٦) «ليس» ليس في (د).

(٧) «له» ليس في (د).

(٨) قوله: «فإن شهد» ليس في (ب).

(٩) انظر: «تفسير الطبري» (١٧: ٤٤٧)، و«تفسير القرطبي» (١٠: ٢٥٧).

ألا تَرَى إلى قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ مُشيرًا إلى الشمسِ: «**عَلَى مِثْلِـها فاشْهَدْ أوْ دَعْ**»(١).

ومِن شهادةِ الزُّور: ما يعتـادُه أهلُ الأسواقِ والحاراتِ مـن كلمةٍ يقولُها شخصٌ إمّا كذبًا أو ظنًّا؛ لاعتمادِه على شيءٍ، ثمَّ تفْشُو تلكَ الكلمةُ حتَّى تشيعَ في تلكَ السُّوقِ أو الحارةِ، فيشهَدُ الشخصُ بذلكَ، أو يقولُ(٢) ولدُه الصغيرُ: جَرَى كيتَ وكيتَ، فيعتقِدُ أبوه أو أمُّه صِدقَه؛ لفرْطِ محبَّتِه، فيشهَدُ بما يقولُه، وذلكَ شهادةُ زورٍ، وقِسْ على ذلكَ.

فالحذَرَ الحذَرَ مِن ذلكَ؛ فإنّ كثيرًا مِن الخلْقِ يَتساهلونَ في ذلكَ، فيَقَعونَ في هذه الكبيرةِ(٣) التي عاقبتُها وخيمةٌ.

[البذاءة]:

[٣] **ومنها** ـ أي: من آفاتِ اللِّسانِ ـ: البذاءةُ.

وهـيَ خَصلةٌ خبيثةٌ، وهيَ مـعَ خبْثِها أكثَرُ مِن القطْـرِ فـي ألسنةِ الرجـالِ فضلًا عنِ النساءِ والناقصاتِ العقْلِ والدِّيـنِ، وهيَ سببُ بُغضِ الله عزَّ وجَلَّ لمُتعاطِيها، فيا ذلَّ مَن أبغَضَه الله تعالى.

قال رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله يُبْغِضُ الفاحِشَ البَذِيءَ**». رَواهُ الترمذِيُّ(٤)، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (١٠٤٦٩)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠٥٧٩)، و«مستدرك الحاكم» (٧٠٤٥). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «واهٍ». وانظر: «نصب الراية» (٤: ٨٢)، و«البدر المنير» (٩: ٦١٧).

(٢) في (د): «ويقول». (٣) في (د): «المصيبة».

(٤) «جامع الترمذي» (٢٠٠٢)، و«صحيح ابن حبان» (١٢: ٥٠٦)، و«السنن الكبرى» للبيهقي =

و«**البَذِيءُ**»: هوَ الذي يتكلَّمُ بالفُحْشِ ورَديءِ الكلامِ(١).

وقالَ رَسولُ الله ﷺ : «**إيّاكُمْ والفُحْشَ، فإنّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ ولا** [٧٠/أ] **التَّفَحُّشَ**». رَواهُ النسائيُّ في «**سُننِه الكُبْرى**»(٢)، ورَواهُ الحاكِمُ(٣) مِن حديثِ عمرِو بنِ العاصِ رضِيَ الله عنه وصحَّحَه، ورَواهُ ابنُ حِبّانَ(٤) مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

فيا خزيَ مَن أحَبَّ وتلذَّذَ بما لا يحِبُّه الله تعالى، وقد كثُرَ هذا في الناسِ حتَّى إنّهم يفتخِرونَ به، وهذا يدُلُّ على طرْدِ الله تعالى لهم؛ لأنّهم أبدَلُوا منفعةَ اللِّسانِ مِن الذِّكرِ، وما خُلِقَ له مِن التوحيدِ والتهليلِ والتسبيحِ وغيرِ ذلكَ بما لا يحِبُّه الله تعالى، وفيه رِضا الشيطانِ، وهذا غايةُ الخِذلانِ والخُسرانِ.

وقال رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله لا يُحِبُّ الفاحِشَ المُتَفَحِّشَ الصَّيّاحَ في الأسْواقِ**». رَواهُ ابنُ أبي الدنيا(٥) مِن حديثِ جابرٍ رضِيَ الله عنه، ورَواهُ الطبرانِيُّ(٦) مِن حديثِ أسامةَ بنِ زيدٍ رضِيَ الله عنهُما بسندٍ جيِّدٍ(٧) دُونَ لفْظِ: «**الصَّيّاحَ في الأسْواقِ**».

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**الجَنَّةُ حَرامٌ عَلَى كُلِّ فاحِشٍ أنْ يَدْخُلَها**». رَواهُ

= (٢٠٧٩٨).

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧: ٣٠٤٤)، و«تحفة الأحوذي» (٦: ١١٨).

(٢) «مسند أحمد» (٩٥٦٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٥١٩).

(٣) «مستدرك الحاكم» (٢٦).

(٤) «صحيح ابن حبان» (٥١٧٧).

(٥) «الأدب المفرد» (٣١٠)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (١٩٠).

(٦) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٩٩).

(٧) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠١١).

ابنُ أبي الدنيا[١]، وأبو نُعيمٍ في «**الحِلْيةِ**»[٢] مِن حديثِ عبدِ الله بن عمرَ رضِيَ الله عنهُما.

وقال رَسولُ الله ﷺ: «**أرْبَعَةٌ يُؤْذُونَ أهْلَ النّارِ عَلَى ما بِهِمْ مِنَ الأذَى، يَسْعَوْنَ[٣] بَيْنَ الحَمِيمِ والجَحِيمِ، يَدْعُونَ بالوَيْلِ والثُّبُورِ، رَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ[٤] قَيْحًا ودَمًا فيُقالُ لَهُ: ما بالُ الأبْعَدِ قَدْ آذانا عَلَى ما بنا مِنَ الأذى؟ فيَقُولُ: إنّ الأبْعَدَ كانَ يَنْظُرُ إلَى كُلِّ كَلِمَةٍ بَذِيئةٍ[٥] خَبيثَةٍ فيَسْتَلِذُّها[٦]، كَما يَسْتَلِذُّ الرَّفَثَ**». رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[٧] مِن حديثِ شُفَيٍّ[٨] بْنِ ماتِعٍ[٩]، واختُلِفَ في صُحبتِه[١٠]، وذكَرَه أبو نعيمٍ[١١] في الصحابةِ رضِيَ الله عنهم.

---

(١) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٣٢٢).

(٢) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٨٨).

(٣) في (د): «يسعرون».

(٤) في (ب): «فاه»، وفي (د): «بدنه».

(٥) «بذيئة» ليس في (ب).

(٦) في (د): «فيستلذ بها».

(٧) «الزهد» لأسد بن موسى (٤٠)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٣٢٣)، و«مساوئ الأخلاق» للخرائطي (٦٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٢٢٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١: ٢٠٩): «رواه الطبراني في «الكبير»، وهو هكذا في الأصل المسموع، ورجاله موثقون».

(٨) «شفي» ليس في (ب).

(٩) في (س) و(ب) و(د): «رافع». وانظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٥١٣)، و«التاريخ الكبير» (٤: ٢٦٦)، و«الجرح والتعديل» (٤: ٣٨٩)، و«المنتظم» (٧: ١٠٠).

(١٠) قال مغلطاي: «قال أبو نعيم: مختلَف في صُحبته، وقال أبو موسى: أورده الطبراني، والحضرمي، وابن شاهين، وغيرهم في الصحابة، وقال الطبراني: مختلف في صحبته، وذكره في جملة الصحابة أيضًا الطبري، وأبو الفرج، والصغاني في «النقعة»، وذكره جماعة كثيرة في التابعين، منهم: العجلي، وابن يونس، وابن حبان، وابن سعد، وخليفة، والهيثم بن عدي، ومسلم». وانظر: «أسد الغابة» (٢: ٣٧٤)، و«الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة» لمغلطاي (١: ٢٨٧)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٥: ٢٠٧).

(١١) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٤٩١).

وقد تكونُ الكلمةُ معَ بذاءتِها مُضحكةً، وهوَ الغالِبُ على ألسنةِ السَّفلةِ[١]، فهذه[٢] تزدادُ عُقوبتُه.

قالَ رَسول الله ﷺ: «**إنّ الرَّجُلَ ليَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِها جُلَساءَهُ، يَهْوِي بِها في جَهَنَّمَ[٣] أبْعَدَ مِنَ الثُّرَيّا**». رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[٤] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه بسندٍ جيِّدٍ[٥].

فإنْ[٦] وقَعَ ذلكَ في الخِصامِ فقَدْ زادَتْ مُصيبتُهما؛ لاتِّصافِهما بأبعدِ [٧٠/ب] الخلْقِ عن رحمةِ الله تعالى؛ قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**المُسْتَبّانِ شَيْطانانِ يَتَعادَيانِ[٧] ويَتَهاتَرانِ**». رَواهُ أبو داود الطيالسي[٨] مِن حديثِ عِياضِ بنِ حمارٍ[٩] رضِيَ الله عنه، وأصْلُه رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[١٠] بزيادةٍ، وسندُهما صحيحٌ.

والأحاديثُ في ذلكَ كثيرةٌ، وفيما ذكَرْتُه تذكرةً وموعظةً لمَنْ أرادَ الله بها خيرًا، والشَّقِيُّ مَن لا يتَّعظُ، نعوذُ بالله تعالى مِن الشقاوةِ، والله أعلَمُ.

---

(١) في (د): «ألسنة الرجال السفلة». (٢) في (د): «فهذا».
(٣) في (د): «النار».
(٤) «مسند أحمد» (٩٢٢٠)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٧١)، و«صحيح ابن حبان» (٥٧١٦).
(٥) قال ابن القيسراني في «ذخيرة الحفاظ» (١: ٥٥٥): «الزبير بن سعيد من ولد مؤمل بن الحارث: عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة. يرويه عبد الله بن المبارك: عن الزبير. والزبير ليس بشيء في الحديث»، وانظر: «ميزان الاعتدال» (٢: ٦٧).
(٦) في (د): «فإذا». (٧) في (د): «يتعاونان».
(٨) «مسند أبي داود الطيالسي» (١١٧٦).
(٩) في (د): «حماد».
(١٠) «مسند أحمد» (١٨٣٤٢)، و«الأدب المفرد» (١٥٣)، و«صحيح ابن حبان» (٥٧٢٦). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨: ٧٥): «رجال أحمد رجال الصحيح».

[اللعن]:

[٤] ومنها ـ أي: ومن آفاتِ اللِّسان ـ: اللَّعنُ[١].

وهو كثيرٌ في ألسنةِ الأشرارِ، وكثيرٍ مِن الأخيارِ، لا سيَّما أهلُ الأسفارِ، ولعِظَمِ عُقوبتِه[٢]، وخزْيِ مُتعاطِيه، قدِ اعتَنَى الشيطانُ بدسِّه على الخلْقِ، حتَّى أجراهُ على ألسنةِ الكبارِ والصغارِ، ودمَنَ عليه حتَّى ينطِقَ العاقلُ اللبيبُ به معَ كمالِ عقْلِه وتحرُّزِه، وقد حذَّرَ منه رَسولُ الله ﷺ تحذيرًا بليغًا، بالفعلِ تارةً، وبالإخبارِ تارةً، وبالنهيِ تارةً.

قالَ عِمرانُ بنُ حُصينٍ رضِيَ الله عنه: بينَما رَسولُ الله ﷺ في بعضِ أسفارِه، وامرأةٌ مِن الأنصارِ رضي الله عنها على ناقةٍ، فضجِرَتْ فلعنَتْها، فسمِعَ رَسولُ الله ﷺ ذلكَ، فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**خُذُوا ما عَلَيْها ودَعُوها؛ فإنّها مَلْعُونَةٌ**».

قالَ عِمرانُ: فكأنِّي أراها الآنَ تمْشِي في الناسِ ما يعرِضُ لها أحدٌ. رَواهُ مُسلمٌ[٣].

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعّانِ، ولا اللَّعّانِ**[٤]**، ولا البَذِيءِ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٥]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

---

(١) انظر: «الكبائر» للذهبي (٣١٦)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٩٢).

(٢) في (د): «عقوبة».

(٣) «صحيح مسلم» (٢٥٩٥).

(٤) في (د): «واللعان».

(٥) «جامع الترمذي» (١٩٧٧)، و«مسند أحمد» (٣٨٣٩)، و«الأدب المفرد» (٣١٢)، و«صحيح ابن حبان» (١٩٢)، و«مستدرك الحاكم» (٢٩). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين».

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ العَبْدَ إذا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إلَى السَّماءِ، فتُغْلَقُ أبْوابُ السَّماءِ دُونَها، ثُمَّ تَهْبِطُ إلَى الأرْضِ، فتُغْلَقُ أبْوابُها دُونَها، ثُمَّ تأْخُذُ يَمِينًا وشِمالًا، فإذا لَمْ تَجِدْ مَساغًا رَجَعَتْ إلَى الذِي لُعِنَ، فإنْ كانَ أهْلًا لِذَلِكَ، وإلا رَجَعَتْ على قائِلِها**». رَواهُ أبو داودَ(١).

وكمْ مِن شخصٍ يلعَنُ دابّةً، ومَنْ باعَها، ومَنْ تسبَّبَ فيها، وغيرَ ذلكَ، وهـؤلاءِ ليْسُوا مِـن أهْلِها، لا سيَّما مَـن(٢) يلعَنُ أبا أولئكَ، وهُم مَوْتـى، فهذا شخصٌ قد تسبَّبَ في إهلاكِ نفْسِه؛ فإنّ اللَّعنَ عبارةٌ عنِ الطَّردِ والإبعـادِ [٧١/أ] عنِ الله عزَّ وجَلَّ(٣).

فإنْ كانَ الملعونُ مُؤمنًا فقد وقَعَ اللاعِنُ بهذه الكلمةِ الخبيثةِ في أمرٍ عظيمٍ؛ قالَ رَسول الله ﷺ: «**لَعْنُ المُؤمِـنِ كَقَتْلِهِ**». رَواهُ البُخاريُّ(٤) ومُسلمٌ(٥) مِن حديثِ ثابتِ بنِ الضحّاكِ الأنصاريِّ رضِيَ الله عنه، وهوَ مِن(٦) أهلِ بَيعةِ الرِّضوانِ(٧).

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٩٠٥)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٣٨١)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٤٧٩٩).

(٢) «من» ليس في (ب).

(٣) انظر: «إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم» (١: ٣٣٧)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤: ٢٥٥)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ٦٧).

(٤) «صحيح البخاري» (٦١٠٥).

(٥) «صحيح مسلم» (١١٠).

(٦) «من» ليس في (د).

(٧) انظر ترجمته في: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١: ٢٠٥)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٢: ٤٨).

وقالَ عبدُ الله بنُ عُمرَ رضِيَ الله عنهُما: «أبغَضُ عبادِ الله إلى الله عزَّ وجَلَّ كلُّ لَعّانٍ»[١].

فيا ذلَّ مَن رضِيَ لنفْسِه أن يكونَ أبغَضَ عبادِ الله إلى الله، وكثيرٌ مِن النّاسِ يغفَلُ عن هذا أو يجهَلُه[٢]، فإذا وقَعَ في ذلكَ وذكَّرَه شخصٌ؛ غَيرةً لله تعالى ونصيحةً له لِما أوقَعَ نفْسَه فيه، يقولُ[٣]: واللهِ من ألَمِ[٤] قلبي منه، فيقال له: لو علِمْتَ ما ترتَّبَ عليكَ مِن الآثامِ ومِن بُغْضِ الله عزَّ وجَلَّ لكَ ما قلْتَ ذلكَ، ولو قُرِضْتَ، وما نسبة غضبِ الله عليكَ مِن ألمِ قلْبِكَ[٥]، وما يدْرِيكَ أنّ هذه الكلمةَ سببُ ما ذكَرَه رَسولُ الله ﷺ.

قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إنّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله تَعالَى، ما يَظُنُّ أنّهُ يَبْلُغُ بِـهِ ما بَلَغَتْ، فَيُكْتَبُ عَلَيْهِ بِهـا سَخَطُهُ إلَى يَوْمِ يَلْقاهُ**»[٦]. حديثٌ صحيحٌ[٧]، وقد تقدَّمَ.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لا يَرَى بِها بَأْسًا، يَهْوِي بِها سَبْعِينَ خَرِيفًا في النّارِ**»[٨]. هذا لفْظُ الترمذِيِّ، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ[٩] غريب».

---

(١) «الزهد والرقائق» لابن المبارك (٦٨٠)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٦٦٧).

(٢) في (د): «وكثير من الناس يفعل هذا بجهله».

(٣) في (ب): «فيقول».

(٤) في (س): «والله انفقع».

(٥) قوله: «ما قلت ذلك، ولو قرضت، وما نسبة غضب الله عليك من ألم قلبك» ليس في (ب).

(٦) «جامع الترمذي» (٢٣١٩)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٦٩)، و«صحيح ابن حبان» (٢٨٠)، و«مستدرك الحاكم» (١٣٦). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح».

(٧) في (د): «حديث حسن».

(٨) «جامع الترمذي» (٢٣١٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٧٠)، و«مسند أحمد» (٧٢١٥)، و«مستدرك الحاكم» (٨٧٦٩). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٩) «حسن» ليس في (د).

ويكونُ التذكيرُ بلُطفٍ، وحُسنِ سياسةٍ؛ لئَلا يكرِّرَ[١] اللَّعنَ، أو[٢] يقعَ فيما هوَ أشدُّ منه؛ فإنْ تذكَّرَ فهوَ مُؤمنٌ، فإنّ الذِّكرى تنفعُ المُؤمنين، وإنْ لم يتذكَّرْ فهذا شخصٌ قد دخَلَ الشيطانُ في دماغِه يُخْشَى عليه من[٣] أنْ يقَعَ في كلمةٍ تؤدِّي إلى الكفْرِ والعياذُ بالله؛ فإنّ ألفاظَ الكفْرِ كثيرةٌ جدًّا، فكمْ مِن شخصٍ يتكلَّمُ بكلمةِ كفْرٍ وهوَ لا يشعُرُ؛ لجهْلِه، وهذه بُغيةُ الشيطانِ الذي حذَّرَنا اللهُ عزَّ وجَلَّ منه؛ فإنّه يودُّ أن لا يموتَ أحدٌ على التوحيدِ حتَّى [٧١/ب] يخلُدَ معَه في عذابِ الأبدِ، فالحذَرَ الحذَرَ مِن اللَّعنِ؛ فإنّه مِن المُهلكاتِ، واللهُ المستعانُ، وعليه التُّكلانُ، واللهُ أعلَمُ.

[من آفات اللسان: الكذب]

[٥] **ومنها** ـ أي: ومن آفات اللِّسان ـ: الكذبُ[٤].

وهو في ألسنةِ الخلْقِ أكثَرُ من القطْرِ، معَ شُؤمِه، وسوءِ عاقبتِه في الدنيا والآخرةِ، وهوَ بابٌ مِن أبوابِ النِّفاقِ، كما قالَه رَسولُ اللهِ ﷺ. رَواهُ ابنُ عدي في كتابِه «**الكاملِ**»[٥] مِن رِوايةِ أبي أُمامةَ رضِيَ اللهُ عنه.

وهو أحدُ أركانِ النفاقِ، كما قالَه عليه الصلاةُ والسلامُ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كانَ مُنافِقًا خالِصًا، ومَنْ كانَ فيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانَتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفاقٍ حَتَّى يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ**

(١) في (د): «يكون». (٢) في (د): «أن».

(٣) «من» ليس في (د).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٣٣).

(٥) «الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي (١: ٢٩). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٢٤): «أخرجه ابن عدي في «الكامل» بسند ضعيف».

غَـدَرَ، وإذا خاصَمَ فجَـرَ». رَواهُ البُخارِيُّ[١] ومُسلمٌ[٢] مِـن حديثِ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضِيَ الله عنه.

وهو مِن أكبرِ الخيانةِ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**كَبُرَتْ خِيانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أخاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وأَنْتَ فيهِ كاذِبٌ**». رَواهُ أبو داودَ[٣] مِن حديثِ سُفيانَ بـنِ أسدٍ، ورَواهُ الطبرانِـيُّ[٤]، والإمامُ أحمَدُ[٥] مِن حديثِ النوّاسِ بن سَمعانَ رضِيَ الله عنه بسندٍ جيِّدٍ[٦].

وهو دليلٌ إلى النارِ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الكَذِبَ يَهْدِي إلَى الفُجُورِ، وإنّ الفُجُورَ يَهْدِي إلَى النّارِ، وإنّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله عَزَّ وجَلَّ كَذّابًا**». رَواهُ البُخارِيُّ[٧] ومُسلمٌ[٨] مِن حديثِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه.

وقـالَ أوسَطُ بـنُ إسماعيلَ بـنِ أوسطَ: سمِعْتُ الصدِّيـقَ رضِيَ الله عـنه يخطُبُ بعدَ وفاةِ رَسولِ الله ﷺ، فقالَ: «قامَ فينا رَسولُ الله ﷺ مَقامِي هذا عامَ أَوَّلٍ»، ثمَّ بَكَى وقالَ: «إيّاكُمْ والكذبَ؛ فإنّه معَ الفجورِ، وهما في النارِ». رَواهُ ابنُ ماجَه[٩] وابن السُّنِّيِّ بسندٍ حسنٍ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٤). (٢) «صحيح مسلم» (٥٨).

(٣) «سنن أبي داود» (٤٩٧١)، و«الأدب المفرد» (٣٩٣)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠٨٤٦).

(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٦٤٠٢). (٥) «مسند أحمد» (١٧٦٣٥).

(٦) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٢٤): «أخرجه البخاري في كتاب «الأدب المفرد»، وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد، وضعفه ابن عدي، ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان بإسناد جيد». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨: ٩٨): «رواه أحمد والطبراني، وفيه: عمر بن هارون وهو ضعيف».

(٧) «صحيح البخاري» (٦٠٩٤). (٨) «صحيح مسلم» (٢٦٠٧).

(٩) «سنن ابن ماجه» (٣٨٤٩)، و«مسند أحمد» (٥)، و«مسند أبي داود الطيالسي» (٥)، و«مسند =

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**التُّجّارُ هُمُ الفُجّارُ**»، فقيلَ: يا رَسولَ الله، أليسَ الله عزَّ وجَلَّ أحلَّ البيعَ؟ فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**نَعَمْ، ولَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فيَأْثَمُونَ، ويُحَدِّثُونَ فيَكْذِبُونَ**». رَواهُ البيْهقِيُّ[١]، والإمامُ أحمَدُ[٢]، [٧٢/أ] والحاكِمُ[٣]، وقالَ: «صحيحُ الإسنادِ».

وهو ينقِصُ الرِّزقَ، كما قالَه رَسول الله ﷺ. رَواهُ أبو الشَّيخِ ابنُ حِبّانَ في «**طبقاتِ الأصبهانيِّينَ**»[٤]، ورَواهُ غيْرُه[٥].

وقالَ سمُرَةُ بنُ جُندبٍ رضِيَ الله عنه: كانَ رَسولُ الله ﷺ يكثِرُ أن يقولَ لأصحابِه: «**هَلْ رَأى أحَدٌ مِنكُمْ رُؤْيا؟**» فيقُصُّ عليه مَن شاءَ الله أن يقُصَّ، وأنّه قالَ لَنا[٦] ذاتَ غداةٍ: «**إنّه أتاني اللَّيْلَةَ آتيانِ**[٧]**، وأنّهُما قالا لِي: انْطَلِقْ، وإنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُما، وإنّا أتَيْنا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وإذا آخَرُ قائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وإذا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فيَثْلَغُ رَأْسَهُ فيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هاهُنا، فيَقَعُ الحَجَرُ فيَأْخُذُهُ، فلا يَرْجِعُ إلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَما كانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ما فعَلَ في المَرَّةِ الأُولَى**».

= الحميدي» (٧)، و«الأدب المفرد» (٧٢٤)، و«صحيح ابن حبان» (٥٧٣٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٩٤) عن معاوية. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١: ٩٣): «رواه الطبراني في «الكبير»، وإسناده حسن».

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (٤٥٠٥). (٢) «مسند أحمد» (١٥٥٣٠).

(٣) «مستدرك الحاكم» (٢١٤٥). (٤) «الفوائد» لأبي الشيخ الأصبهاني (٦١).

(٥) «مساوئ الأخلاق» للخرائطي (١١٣)، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٢٥): «إسناده ضعيف».

(٦) في (س) و(ب): «كنا».

(٧) في (ب): «اثنان».

قالَ: «قُلْتُ لَهُما: سُبْحانَ اللهِ ما هَذا؟ قالا لِي: انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا، فأتَـيْنا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفاهُ، وإذا آخَرُ قائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وإذا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ[١] شِقَّيْ وجْهِهِ فيُشَرْشِـرُ شِدْقَهُ إلَى قَفاهُ، ومَنْخِرَهُ إلَى قَفاهُ، وعَيْنَيْهِ إلَـى قَفاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إلَى الجانِبِ الآخَرِ، فما يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجانِبُ كَما كانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فيَفْعَلُ بِهِ[٢] مِثْلَ ما فعَلَ بِهِ المَرَّةَ الأولَى».

قالَ: «قُلْتُ: سُبْحانَ اللهِ ما هَذا؟ قالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا، فأتَـيْنا عَلَى مِثْلِ التَّنُّور، فأَحْسَبُ أَنّهُ قالَ: فإذا[٣] فيهِ لَغَطٌ وأَصْواتٌ، فاطَّلَعْنا فيهِ، فإذا فيـهِ رِجالٌ ونِساءٌ عُراةٌ، وإذا هُمْ[٤] يَأْتِيهِمْ لَهِيبٌ[٥] مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فإذا أتاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوا، قُلْتُ: ما هَؤُلاءِ؟ قالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا، فأتَـيْنا عَلَى نَهَر، حَسِبْتُ أَنّهُ قالَ[٦]: أَحْمَرَ، مِثْلِ الدَّم، وإذا في النَّهَرِ رَجُلٌ سابِحٌ يَسْبَحُ، وإذا عَلَى شَطِّ النَّهَـرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ[٧] عِنْدَهُ حِجارَةً كَثِيرَةً، وإذا ذَلِكَ السّابِحُ يَسْبَحُ ما يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِـي ذَلِكَ الذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجارَةَ، فيَفْغَرُ لَهُ فاهُ، [٧٢/ب] فيُلْقِمُهُ حَجَرًا فيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلَيْهِ، كُلَّما رَجَعَ إلَيْهِ فغَرَ لَهُ[٨] فاهُ فأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قُلْتُ لَهُما: ما هَذانِ؟ قالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا، فأتَـيْنا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآى، أَوْ كَأَكْرَهِ ما أَنْتَ راءٍ رَجُلًا مَـرْأًى[٩]، وإذا هُوَ عِنْدَهُ نارٌ يَحُشُّها ويَسْعَى حَوْلَها، قُلْتُ لَهُما: ما هَذا؟ قالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا[١٠]...» إلى أن قالَ:

«قُلْتُ لَهُما: فإنّي رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةَ عَجَبًا، فما هَذا الذِي رَأَيْتُ؟ قالا لِي:

---

(١) في (ب): «إحدى».
(٢) «به» ليس في (ب) و(د).
(٣) في (ب): «هذا».
(٤) في (ب): «هو».
(٥) في (ب) و(د): «لهب».
(٦) قوله: «أنه قال» في (ب) و(د): «أنه كان يقول».
(٧) في (د): «وضع».
(٨) «له» ليس في (ب).
(٩) «مرأى» ليس في (ب).
(١٠) جاء في حاشية (س): «هنا بياض نحو أربعة أسطر».

أما إنّا سَنُخْبِرُك؛ أمّا الرَّجُلُ الأوَّلُ الذي يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ، فإنّهُ الرَّجُلُ يأْخُذُ القُرْآنَ فيَرْفُضُهُ، ويَنامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ، وأمّا الرَّجُلُ الذي يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلَى قَفاهُ، ومَنْخِرُهُ إلَى قَفاهُ، وعَيْنُهُ إلَى قَفاهُ، فإنّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفاقَ، وأمّا الرِّجالُ والنِّساءُ العُراةُ الذينَ في مِثْلِ بناءِ التَّنُّور، فإنّهُمُ الزُّناةُ والزَّواني، وأمّا الرَّجُلُ الذي يَسْبَحُ في النَّهَرِ ويُلْقَمُ الحَجَرَ، فإنّهُ آكِلُ الرِّبا، وأمّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْأى، الذي عِندَ النّارِ يَحُشُّها ويَسْعَى حَوْلَها، فإنّهُ مالِكٌ خازِنُ[1] جَهَنَّمَ». رَواهُ البُخارِيُّ[2].

وفي رِوايةٍ: «فانْطَلَقْنا إلَى ثَقْبٍ[3] مِثْلِ التَّنُّورِ، أعْلاهُ ضَيِّقٌ وأسْفَلُهُ واسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نارٌ، فإذا ارْتَفَعَتِ ارْتَفَعُوا حَتَّى كادُوا أن[4] يَخْرُجُوا، فإذا خَمَدَتْ رَجَعُوا فيها، وفيها رِجالٌ ونِساءٌ عُراةٌ، والذي رَأَيْتَهُ يَشُقُّ[5] شِدْقَهُ فكَذّابٌ يُحَدِّثُ بالكَذْبَةِ[6] فتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفاقَ، فيُصْنَعُ بِهِ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ، والذي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ[7] رَأْسُهُ فرَجُلٌ عَلَّمَهُ الله تَعالَى القُرْآنَ فنامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، ولَمْ يَعْمَلْ بِهِ بِالنَّهارِ، فيُفْعَلُ بِهِ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ»[8].

قوله: «يُثْلَغُ رَأْسُهُ»، هوَ بالثّاءِ المُثلَّثةِ والغينِ المَنقوطةِ، معناه: يَشدَخه[9] ويشقُّه[10].

---

(١) في (ب): «خان».

(٢) «صحيح البخاري» (٧٠٤٧).

(٣) في (س) و(ب): «نقب».

(٤) «أن» مثبت من «صحيح البخاري».

(٥) في (س) و(ب): «يشد».

(٦) في (ب): «بالكذب».

(٧) في (ب): «يشرح».

(٨) «صحيح البخاري» (١٣٨٦).

(٩) في (س): «يشرحه»، وفي (ب): «شرحه»، والشدخ: كسر الشيء الأجوف. تقول: شدخت رأسه فانشدخ. وشدخت الرؤوس. انظر: «تهذيب اللغة» (٧: ٣٨)، و«الصحاح» (١: ٤٢٤)، و«تاج العروس» (٧: ٢٧٧).

(١٠) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩: ٥٦٤)، و«الكوثر الجاري» (١٠: ٥٠٩)، =

وقوله: «**يَتَدَهْدَهُ**»، يعني: يتدحرَجُ[(١)].

و«**الكَلُّوبُ**»: بفتْحِ الكافِ وضمِّ اللامِ المشدَّدةِ، هوَ هذا المعروفُ الذي تُسمِّيه العامّةُ: كُلابٌ[(٢)].

[٧٣/أ] وقولُه: «**يُشَرْشَرُ**»؛ أي: يُقطَعُ[(٣)].

وقولُه: «**ضَوْضَوا**»، بضادينِ مَنقوطتينِ، يعْنِي: صاحُوا[(٤)].

وقوله: «**فَيَفْغَرُ فاهُ**»، هوَ بالفاءِ والغينِ المَنقوطةِ، أي: يفتَحُ[(٥)].

وقوله[(٦)]: «**يَحُشُّها**»، هوَ بفتحِ الياءِ وضمِّ الحاءِ المُهملةِ وبالشينِ المَنقوطةِ: يعْنِي: يوقِدُها[(٧)].

[من آفات اللسان: الغيبة]

[٦] **ومنها** ـ أي: ومن آفاتِ اللِّسانِ ـ: **الغِيبةُ**[(٨)].

= و«شرح القسطلاني» (١٠: ١٦٣).

(١) انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٧: ٣١٣)، و«الكوثر الجاري» (١٠: ٥٠٩).

(٢) قال الحموي في «المصباح المنير» (٢: ٥٣٧): «الكلاب: خشبة في رأسها عقافة منها أو من حديد»، وانظر: «تاج العروس» (٤: ١٦٨).

(٣) انظر: «أعلام الحديث» (٤: ٢٣٢٢)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٢: ٤٤٢)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٤: ١٧٣).

(٤) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢: ٣٦)، و«الكواكب الدراري» (٢٤: ١٤٠)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣٢: ٢٦٤).

(٥) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢: ٣٦)، و«الكواكب الدراري» (٢٤: ١٤٠)، و«الكوثر الجاري» (١٠: ٥١٠).

(٦) «وقوله» ليس في (ب).

(٧) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩: ٥٦٤)، و«التوشيح شرح الجامع الصحيح» (٩: ٤١٢٠-٤١٢١).

(٨) انظر: «ذم الغيبة والنميمة» لابن أبي الدنيا (١٣)، و«إحياء علوم الدين» (٣: ١٤٣)، =

وهيَ من أقبحِ المعاصِي، ومعَ قبْحِها فهيَ فاشيةٌ في الخلْقِ، حتَّى لا يكادُ يسلَمُ منها أحدٌ، وقد جعَلُوها فاكهتَهم، حتَّى إنّ التّاليَ للقُرآنِ يَتعاطاها، وهوَ يقرأُ آيةَ النهيِ، وإن كانَ مُعتكفًا في الجامعِ وفي رمضانَ لا يكونُ بالقلْبِ[1] وحدَه، وهيَ حرامٌ بالكتابِ والسُّنّةِ وإجماعِ الأمّةِ[2].

وحدُّها: ذكْرُكَ أخاكَ بما فيه بما يكرَهُ[3]، سواءٌ كانَ في بدنِه؛ كقولِكَ[4]: أعمَشُ، أحوَلُ، أعْمَى، صغيرُ العَينينِ، كبيرُهما، أقرَعُ، أكتَعُ، أعرَجُ، أحدَبُ، أسوَدُ، أصفَرُ، أشقَرُ، رقيقٌ، بطينٌ، طويلٌ، قصيرٌ، وغيرِ ذلكَ ممّا يوصَفُ به[5].

= و«الأذكار» للنووي (٣٣٦).

(١) في (د): «في القلب».

(٢) انظر: «الأذكار» للنووي (٣٣٦).

(٣) انظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» (٧: ٤٦١)، و«شرح المشكاة» للطيبي (١٠: ٣١١٨)، و«شرح النووي على مسلم» (١٦: ١٤٢).

(٤) في (د): «كقوله».

(٥) قال الإمام النووي في «روضة الطالبين» (٧: ٣٣) و«الأذكار» (٣٤٢): «الغيبة تباح بستة أسباب: أحدها: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه ممن ظلمه، فيقول: ظلمني فلان وفعل بي كذا. الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه، ونحو ذلك. الثالث: الاستفتاء. بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي أو أخي بكذا، فهل له ذلك، أم لا؟ وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني؟ ونحو ذلك. الرابع: تحذير المسلمين من الشر، وذلك من وجوه. منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع، بل واجب؛ صونًا للشريعة. ومنها: الإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته، ومنها: إذا رأيت من يشتري شيئًا معيبًا، أو عبدًا سارقًا، أو زانيًا، أو شاربًا، تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة، لا بقصد الإيذاء والإفساد. ومنها: إذا رأيت متفقهًا يتردد إلى فاسق أو مبتدع؛ يأخذ عنه علمًا، وخفت عليه ضرره، فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدًا النصيحة. ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها؛ لعدم أهليته أو فسقه، فتذكره لمن عليه ولاية؛ ليستبدل به، أو يعرف حاله فلا يعتبر =

أو كانَ في دِينِه[١]؛ كقولِكَ: سارقٌ، خائنٌ، ظالمٌ، سُكَرِيٌّ، شاهدُ زورٍ، تاركٌ للصلاةِ[٢]، تاركٌ للزكاةِ، أو: يزكِّي ولكِنْ يخرِجُها في غيرِ محلِّها، متساهِلٌ بالصلاةِ، وغيرِها مِن العباداتِ، مثلَ[٣]: لا يتوقَّى النجاساتِ، متساهِلٌ[٤] بأمْرِ والدَيْه لا يزالُ يتجرَّأُ عليهما، نمّامٌ، مُغتابٌ، وغيرِ ذلكَ مِن الأوصافِ التي ترجِعُ إلى قلَّةِ الدِّينِ.

أو كانَ في دُنياه؛ كـ: قليلُ الأدبِ، يستهزئُ بالنّاسِ، كبيرٌ في نفسِه، لا يَرَى لأحدٍ عليه حقًّا، كثيرُ الكلامِ، كثيرُ الأكْلِ، كثيرُ النَّومِ، ينامُ في غيرِ وقْتِه، ويجلِسُ في غيرِ موضِعِه، ونحوِ ذلكَ.

أو كانَ في والدَيْه؛ كـ: أبوه فاسقٌ، هنديٌّ، زنجِيٌّ، نبطِيٌّ، فلاحٌ، زبّالٌ، حائكٌ، إسكافٌ، ونحوُ ذلكَ ممّا يشعِرُ بنقصٍ[٥].

أو كانَ في خُلُقِه؛ كـ: أحمقُ[٦]، سيئُ الخُلُقِ، شرِسٌ، صعْبُ المِراسِ،

= به أو يلزمه الاستقامة. الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، كالخمر، ومصادرة الناس، وجباية المكوس، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر. السادس: التعريف، فإذا كان معروفًا بلقب، كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير ونحوها، جاز تعريفه به، ويحرم ذكره به تنقصًا، ولو أمكن التعريف بغيره، كان أولى. هذا مختصر ما تباح به الغيبة». اهـ. بتصرف يسير.

(١) في (س): «بدنه».

(٢) في (د): «وتارك الصلاة».

(٣) «مثل» مثبت من (د).

(٤) في (د): «يتساهل».

(٥) قوله: «مما يشعر بنقص» ليس في (ب).

(٦) في (س): «كحمق»، وكتب في حاشيتها: «لعله: كأحمق».

نزقٌ[١]، متكبِّرٌ، عَجولٌ، عاجزٌ، جبانٌ، خالعٌ[٢]، عبوسٌ، مسخرةٌ[٣]، دنِيُّ النفسِ، خارجٌ، ونحوُ ذلكَ[٤].

أو كانَ في مَلبوسِه؛ كـ: طويلُ الذَّيلِ، طويلُ الكمِّ، واسِعُ الكمِّ، ضيِّقُ [٧٣/ب] الكمِّ، يلبَسُ ثوبَ الشُّهرةِ، وسِخُ الثِّيابِ، فعْلُه فعْلُ[٥] المُخَنَّثِينَ[٦]، أو الفلاحينَ[٧]، ونحوُ ذلكَ.

أو كانَ في مِشيتِه[٨]؛ كيتبختَرُ، يتمَشَّى، يبالِغُ[٩] في تحريكِ يدَيْه، يسرِعُ في مِشيتِه، بطيءُ المشيةِ، ونحوُ ذلكَ[١٠].

أو كانَ في رُكوبِه كَيتورَّكُ على الدابَّةِ، ويميلُ شقَّهُ، ويُظهِر صدرَهُ، ونحوُ ذلكَ[١١].

والحاصِلُ: أن يُذكَرَ الإنسانُ بما فيه بما يكرَهُ كما تقدَّمَ، سواءٌ كانَ في بدنِه، أو دِينِه، أو دُنياه، أو نفْسِه، أو خُلُقِه، أو مالِه، أو ولدِه، أو والدِه، أو زوجِه[١٢]، أو خادمِه، أو مملوكِه، أو عِمامَتِه، أو ثوبِه، أو مشْيِه[١٣]، أو حركتِه، أو بشاشتِه، أو خلاعتِه، أو عبوستِه، أو طلاقتِه، أو غيرِ ذلكَ ممّا يتعلَّقُ به.

---

(١) في (د): «ترف».
(٢) في (د): «جائع».
(٣) في (س): «مصخرة».
(٤) بعدها في (س) جملة غير واضحة، يشبه أن تكون: «كبلا طعم بمكثه قليل».
(٥) في (د): «نعله نعل».
(٦) في (س): «المخبثين».
(٧) في (د): «كالفلاحين».
(٨) بعدها في (د): «بطيء المشية التبخير».
(٩) في (د): «يتابع».
(١٠) انظر: «إحياء علوم الدين» (**٣: ١٤٣**)، و«الأذكار» للنووي (**٣٣٦**).
(١١) من قوله: «أو كان في ركوبه» إلى هنا مثبت من (د).
(١٢) في (د): «أو زوجته».
(١٣) في (د): «أو مشيته».

وسـواءٌ ذكَرَه باللفظِ الصـريحِ[١]، أو بالكنايـةِ[٢]، أو بالإشـارةِ باليـدِ، أو الـرأسِ[٣]، أو رمزٍ بالعيـنِ، أو الحاجبِ[٤]، ونحـوِ ذلكَ؛ كالمشْيِ بالتَّعـارجِ، والأكلِ بالتَّشدُّقِ[٥]، وتكبيرِ اللقمةِ وتصغيرِها، حتَّى مسكةِ القلمِ والقَدّومِ وغيرِ ذلكَ ممّا لا[٦] يكادُ ينحصِرُ.

والضابطُ: أن يوجَدَ منه كلُّ ما يُفْهِمُ المقصودَ، فهذا كلُّه مِن الغِيبةِ المحرَّمةِ؛ لأنّ الغِيبةَ بالنُّطقِ إنّما حُرِّمَتْ؛ لحُصولِ الأذى، وهذه الأمورُ تفيدُ ذلكَ[٧].

وقد ورَدَ النَّصُّ في بعضِها كما سيأتِي إن شاء الله تعالى.

وأفحَشُ الغِيبةِ: غِيبةُ القُرّاءِ والطَّلَبةِ والمُتصوِّفةِ مِن الرجالِ والنساءِ؛ فإنّهم يَفهمونَ المقصودَ مِن الغِيبةِ على صِفةِ أهلِ الدِّينِ والصلاحِ، معَ إظهارِ التعفُّفِ وحُصولِ الثَّناءِ على الله تعالى بما حَمَى منه ممّا يرتكِبُه غيْرُه؛ كقولِ أحدِهم: الحمْدُ لله الذي عافانا مِن الدُّخولِ على الأمراءِ والتبذُّلِ؛ لأجْلِ هذا الحُطامِ، ونحوِ ذلكَ.

وكقولِه: نعـوذُ بالله تعالى مِن قلَّةِ الحياءِ، ومِـن الشرِّ والتَّطلُّعِ إلى ما فـي أيدي الناسِ، ونحوِ ذلكَ.

ومنهم مَـن هوَ أغوصُ فـي المكْرِ؛ لأنّه يقدِّمُ مدْحَ مَـن يريدُ غِيبتَـه[٨]،

---

(١) «الصريح» ليس في (د).
(٢) في (د): «بالكتابة».
(٣) في (د): «بالرأس».
(٤) في (د): «بالحاجب».
(٥) في (د): «بالشره».
(٦) «لا» ليس في (د).
(٧) انظر: «الأذكار» للنووي (٣٣٨)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٢٦).
(٨) في (د): «غشه».

فيقولُ: لا إله إلا الله، سُبحانَ مُقلِّبِ القُلوبِ! قد كانَ فلانٌ له قوَّةٌ في العباداتِ والمُجاهداتِ، وقد حصَلَ له فتورٌ[١].

وبعضُهم أغوَصُ في المكرِ من هذا، فيذُمُّ[٢] نفْسَه أوَّلًا، فيقولُ: كُنّا على حالةٍ وصَلْنا فيها إلى أمورٍ ثمَّ فتَرْنا، وفلانٌ كانَ أقْوى حالًا منِّي، ولكِنْ نَرْجُو مِن الله تعالى العودَ علينا، وقد بُشِّرْتُ بذلكَ مِن[٣] بعضِ القومِ دُونَ فلانٍ، [٧٤/أ] وقد لاحَ الأمرُ.

وهؤلاءِ أشرُّ أهلِ الغِيبةِ؛ لأنَّهم جَمَعُوا بينَ الغِيبةِ ومدْحِ النَّفسِ والرِّياءِ ونقْصِ الغَيرِ، وغيرِ ذلكَ مِن المعاصِي الخبيثةِ؛ حتَّى إنّ بعضَهم يظهِرُ الحُرْقَةَ والاغتمامَ لمَنِ اغتابَه أو اغتيبَ عندَه، وهوَ كاذبٌ؛ لأنّه لو كانَ صادقًا لأخْفَى ذلكَ ولحسَمَ مادَّةَ ذلكَ، وهؤلاءِ بعضُهم لا يدْرِي أنّ مثْلَ ذلكَ غِيبةٌ؛ لجهْلِه، أو يدْرِي ولا يظهِرُ ذلكَ، وهذا متعرِّضٌ لمقْتِ الله عزَّ وجَلَّ[٤].

وإذا[٥] عرَفْتَ هذا فلنذكُرْ بعضَ الأدلَّةِ؛ لأنّ التطويلَ لا يفيدُ لمَنْ أشقاهُ الله عزَّ وجَلَّ، **ومَنْ أرادَ الله عزَّ وجَلَّ به خيرًا، دليلٌ واحدٌ يكْفيه طُولَ عُمُرِه**، ولا يفرَغُ مِن العملِ به، بل الخلْقُ كلُّهم في ذلكَ كواحدٍ، فعليكَ بالانقيادِ إلى الحقِّ ورفْضِ الباطِلِ، وبادِرْ إلى النجاةِ يا مغرورُ ولا تماطِلْ[٦]، وإذا قرَعَ سمْعَك قالَ الله عزَّ وجَلَّ، قالَ رَسولُ الله ﷺ، فأصغِ بقلْبِكَ، واستحضِرْ عظمَتَهما وسُوءَ مخالفتِهما، فإنْ حصَلَ لكَ واردُ[٧] الخوفِ فأبشِرِ بالنَّجاةِ[٨]، وإلا فاعلَمْ

---

(١) من قوله: «ومنهم من هو أغوص في المكر» إلى هنا ليس في (ب).

(٢) في (د): «فيقدم».

(٣) «من» ليس في (ب).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٤٥).

(٥) في (د): «فإذا».

(٦) من قوله: «ورفض الباطل» إلى هنا ليس في (د).

(٧) في (د): «زاد».

(٨) في (س): «النجاة».

أنّك[١] مَفتونٌ، واستعِدَّ لحفرةٍ مِن حُفرِ النّارِ؛ لسُوءِ لغَطِك ولفْظِك.

قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]؛ أي: حاضرٌ[٢].

وقالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وفي هذه الآيةِ دليلٌ على أنّ الغِيبةَ تكونُ بالقلْبِ[٣].

وقالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحجرات: ١٢]، نَهَى سُبحانَه وتعالَى عنِ الغِيبةِ[٤]، وأمَرَ بتَقْواه، فالمغتابُ مخالِفٌ لربِّه مِن وجهينِ؛ وذاكَ[٥] يفيدُ تكثيرَ العذابِ.

وقالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: «لا يَغْتَبْ[٦] أحدٌ أحدًا؛ فإني قلْتُ لامرأةٍ: إنّ[٧] هذه طويلةُ الذَّيلِ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**الفظِي**»، فلفظْتُ قطعةً أو بضعةَ[٨] لحمٍ».

[٧٤/ب] رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[٩] وابن مَرْدُويَه في «**تفسيره**»[١٠]، وفي سندِه امرأةٌ لا أعرِفُها.

---

(١) «أنك» ليس في (ب).

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٥: ٢٤٠)، و«تفسير القرطبي» (١٧: ١١).

(٣) في (د): «في القلب». وانظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٥٠)، و«الأذكار» للنووي (٣٤٤)، و«النجم الوهاج» (٩: ١٤٠)، و«الزواجر» (٢: ٢٨)، و«تحفة المحتاج» (٩: ١٢٠).

(٤) قوله: «عن الغيبة» ليس في (ب).

(٥) في (د): «ذلك».

(٦) في (ب) و(د): «لا يغتاب».

(٧) «إن» ليس في (د).

(٨) في (د): «مضغة».

(٩) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٢١٥)، و«مساوئ الأخلاق» للخرائطي (١٠١).

(١٠) انظر: «الدر المنثور» (٧: ٥٧١).

وقالَ أنسٌ رضِيَ الله عنه: أمَرَ رَسولُ الله ﷺ النّاسَ بصومِ يومٍ، وقالَ[١]: «**لا يُفْطِرَنَّ[٢] أحَدٌ حَتَّى آذَنَ لَهُ**»، فصامَ حتَّى أمْسَوا، فجعَلَ الرَّجلُ يَجِيءُ، فيقولُ: يا رَسولَ الله، ظلِلْتُ صائمًا فأْذَنْ لي لأفطِرَ، فيأذَنُ له، حتَّى جاءَ رجلٌ، فقالَ: يا رَسولَ الله، فتاتانِ مِن أهْلِكَ ظلَّتا صائمتينِ، وإنّهما مُستحييتانِ[٣] أن يأتيانِك، فأْذَنْ لهما أن يفطِرا، فأعرَضَ عنه، فعاوَدَه، فقالَ رَسول الله ﷺ: «**إنّهُما لَمْ يَصُوما، وكَيْفَ صامَ مَنْ ظَلَّ اليَوْمَ يَأْكُلُ لُحَومَ النّاسِ، اذْهَبْ فأْمُرْهُما إنْ كانَتا صائِمَتَيْنِ أنْ تَسْتَقِيئا**»، فرجَع إليهما فأمَرَهما فاسْتَقاءَتا، فقاءَتْ كلُّ واحدةٍ منهما علقَةً مِن دمٍ، فرجَعَ إلى النبيِّ ﷺ فأخبَرَه، فقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**والذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ بَقِيَتْ في بُطُونِهِما لأَكَلَتْهُما النّارُ**».

رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في «**كتابِ الصمتِ**»[٤]، ورَواهُ ابنُ مَرْدُويَه في «**التفسير**»[٥]، وخرَّجَه الطيالسِيُّ في «**مُسندِه**»[٦] بسندِه، والله تعالى أعلَمُ.

وفي رِوايةٍ: إنّه لما أعرَضَ عنه جاءَه بعدَ ذلكَ، فقالَ: يا رَسولَ الله، لقد ماتَتا أو كادَتا أن تَمُوتا، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ائْتُونِي بِهِما**» فجاءتا فدَعا بِعُسٍّ أو قَدَحٍ، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ لإحداهما: «**قِيئِي**»، فقاءَتْ مِن قيحٍ ودمٍ وصَديدٍ حتَّى ملأتِ القَدَحَ، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ للأُخرى:

---

(١) في (ب): «قال».
(٢) في (س) و(د): «لا يفطر»، وفي (ب): «ولا يفطر».
(٣) في (س) و(ب): «مستحيان»، وفي (د): «يستحيان».
(٤) «الصمت» لابن أبي الدنيا (١٢٢).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٧: ٥٧٤).
(٦) «مسند أبي داود الطيالسي» (٢٢٢١)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٦٢٩٦). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٣٤): «أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت»، وابن مردويه في «التفسير» من رواية يزيد الرقاشي عنه، ويزيد ضعيف».

«قِيئِـي»، فقاءَتْ مثْلَ ذلكَ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ هاتَيْنِ صامَتا عَمّا أحَلَّ الله تَعالَى، وأفْطَرَتا عَلَى ما حَرَّمَ الله عَلَيْهِما، جَلَسَتْ إحْداهُما إلَى الأُخْرَى فجَعَلَتا تأْكُلانِ لُحُومَ النّاسِ**[١]».

وهذه الرِّوايةُ رَواها الإمامُ أحمَدُ[٢] مِن حديثِ عُبيدٍ مَوْلى رَسولِ الله ﷺ، ورَواها أبو يَعْلى الموصلِيُّ[٣]، وخرَّجَها البيْهقِيُّ مِن طريقَينِ[٤].

فهذا يدُلُّ على أنّ الغِيبةَ بمنزلةِ الأكْلِ.

[٧٥/أ] وقد ذهَبَ بعضُ العُلماءِ[٥] إلى أنّها تفطِرُ الصائمَ[٦]، ولا يستفيدُ بذلكَ إلا الجوعَ؛ قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**رُبَّ صائمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيامِهِ إلا الجُوعُ، ورُبَّ قائمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيامِهِ إلا السَّهَرُ**». رَواهُ النسائيُّ[٧] وابنُ ماجَه[٨]، والحاكِمُ[٩]، وقالَ: «صحيحٌ[١٠] على شرط البُخارِيِّ».

---

(١) «الناس» ليس في (ب). (٢) «مسند أحمد» (٢٣٦٥٣).

(٣) «مسند أبي يعلى الموصلي» (١٥٧٦).

(٤) «دلائل النبوة» للبيهقي (٦: ١٨٦-١٨٧)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (١٧١)، و«مسند الروياني» (٧٢٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣: ١٧١): «فيه رجل لم يسم».

(٥) «العلماء» ليس في (ب).

(٦) قال بذلك الأوزاعي. انظر: «الحاوي» للماوردي (٣: ٤٦٥)، و«البيان في مذهب الإمام الشافعي» (٣: ٥٣٥)، و«المجموع» (٦: ٣٥٦)، و«أحكام القرآن» لابن الفرس (١: ٢٠٧)، و«المغني» لابن قدامة (٣: ١٢١).

(٧) «مسند أحمد» (٨٨٥٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٣٢٣٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٩٩٧).

(٨) «سنن ابن ماجه» (١٦٩٠).

(٩) «مستدرك الحاكم» (١٥٧١).

(١٠) في (س) و(د): «حديث صحيح».

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**خَمْسٌ يُفَطِّرْن الصّائِمَ: الغِيبَةُ، والنَّمِيمَةُ، والكَذِبُ، والقُبْلَةُ، واليَمِينُ الفاجِرَةُ**». رَواهُ الأزدِيُّ مِن حديثِ أنسٍ رضِيَ الله عنه[١].

وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**مَنْ أكَلَ لَحْمَ[٢] أخِيهِ في الدُّنيا قُرِّبَ إلَيْهِ لَحْمُهُ في الآخِرَةِ، وقِيلَ لَهُ: كُلْهُ مَيِّتًا كَما أكَلْتَهُ حَيًّا، فيَأْكُلُ ويَصِيحُ ويَكْلَحُ**». رَواهُ ابنُ مَرْدُويَه في «**تفسيره**»[٣]، ورَواهُ أبو يَعْلى الموصلِيُّ[٤].

وقالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها للنبيِّ ﷺ: حسْبُكَ مِن صفيّةَ كذا وكذا، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِماءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»[٥].

وقولُها: «كذا وكذا»، يعني قصيرةً، وقد ورَدَ بذلكَ في بعضِ الرِّواياتِ[٦].

قالَ الإمامُ العالِمُ المتَّفقُ على جلالتِه وصلاحِه[٧] أبو زكريّا مُحْيِي الدِّينِ النَّوويُّ: «مَعْنى «**مَزَجَتْهُ**»: خالطَتْه مخالطةً يتغيَّرُ بها طعْمُه أو ريحُه؛ لشدَّةِ نتْنِها وقبْحِها.

---

(١) «الفردوس بمأثور الخطاب» (٢٩٧٩)، و«الموضوعات» (٢: ١٩٥). قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٣: ١٤٤): «هذا حديث كذب، وميسرة بن عبد ربه كان يفتعل الحديث». وانظر: «الإكمال» (٢: ١١)، و«نصب الراية» (٢: ٤٨٣).

(٢) في (ب) و(د): «من لحم».

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧: ٣٨٤)، و«الدر المنثور» (٧: ٥٧٢). قال ابن كثير: «غريب جدًّا».

(٤) «الصمت» لابن أبي الدنيا (١٧٨)، و«مساوئ الأخلاق» للخرائطي (١٨٥)، و«المعجم الأوسط» (١٦٥٦)، و«مسند أبي يعلى الموصلي» (٦١٥١). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨: ٩٢): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه: ابن إسحاق وهو مدلس ومن لم أعرفه».

(٥) «مسند أحمد» (٢٥٥٦٠)، و«جامع الترمذي» (٢٥٠٢)، و«سنن أبي داود» (٤٨٧٥).

(٦) «ذم الغيبة والنميمة» لابن أبي الدنيا (٢٧).

(٧) في (ب): «وصلاحته».

فهـذا[١] الحديثُ مِـن أعظَمِ الزواجرِ عن[٢] الغِيبةِ، أو أعظَمِها، وما أعلَمُ شيئًا مِن الأحاديثِ يبلُغُ في الذَّمِّ لها هـذا المبلغَ، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٣] [النجم: ٣-٤]، فنسألُ الله الكريمَ لطْفَه، والعافيةَ مِن كُلِّ مكروهٍ»[٤]. انتهى كلامه.

وإذا كانَ هذا في كلمةٍ هيَ في وصْفٍ خلَقَها الله تعالى عليه، فكيفَ غيْرُها هيَ أبلَغُ في التَّأذِّي مِن لفْظِ «قصيرةٍ».

وكما تكونُ الغِيبةُ باللفظِ، كذا تكونُ بالإشارةِ كما تقدَّمَ، ويدُلُّ لذلكَ قولُ عائشةَ رضِيَ الله عنها: دخلَتْ علينا امرأةٌ، فلمّا ولَّتْ أومأْتُ بيدِي إنّها قصيرةٌ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**اغْتَبْتِيها**». رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[٥]، وابن مَرْدُويَه في «**تفسيره**»[٦]، ورجالُه ثقاتٌ، نعَمْ؛ في سندِه حسّانُ، وقد وثَّقَه ابـنُ حِبّانَ[٧]، [٧٥/ب] ورَواهُ الدعولِيُّ[٨]، وأنّها أشارَتْ بإبهامِها.

وفي «**الصحيحينِ**»[٩]: مِن حديثِ أبي بكرةَ رضِيَ الله عنه، أنّ رَسولَ الله ﷺ قالَ في خُطبتِه يومَ النَّحرِ بمنًى في حجَّةِ الوداعِ: «**إنّ دِماءَكُمْ وأمْوالَكُمْ وأعْراضَكُمْ**

---

(١) في (د): «وهذا».　　(٢) في (س): «من».

(٣) بعدها في (د): «﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]».

(٤) «الأذكار» للنووي (٣٣٨).

(٥) «مسند أحمد» (٢٥٠٤٩)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٢٠٧)، و«مساوئ الأخلاق» للخرائطي (١٩٧)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٦٣٠٤). وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (١٠٣٧).

(٦) انظر: «الدر المنثور» (٧: ٥٧١).　　(٧) «الثقات» لابن حبان (٦: ٢٢٣).

(٨) هو: أبو العباس، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، الفقيه، إمام عصره بخراسان. انظر ترجمته في: «تاريخ نيسابور» (١٤٨٧).

(٩) «صحيح البخاري» (٦٧)، و«صحيح مسلم» (١٦٧٩).

حَرامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذا، في شَهْرِكُمْ هَذا، في بَلَدِكُمْ هَذا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ؟».

فهذا نصُّ الكتابِ والسُّنّةِ وإجماعُ الأمةِ على تحريمِ الغِيبةِ وسُوءِ عاقبتِها، سواءٌ كانَتْ باللِّسانِ، أو بالإشارةِ[1]، أو بالرَّمزِ، أو بالخطِّ؛ لأنّه أحدُ اللِّسانينِ.

والضابطُ في حدِّها: ما نطَقَ به سيِّدُ الأوَّلينَ والآخِرينَ ﷺ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟**» قالُوا: الله ورسولُه أعلَمُ، قالَ: «**ذِكْرُكَ أخاكَ بِما يَكْرَهُ**» قيلَ: أفرأيتَ[2] إن كانَ في أخِي ما أقولُ؟ قالَ: «**إنْ كانَ فيهِ ما تَقُولُ فقَد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ ما تَقُولُ فقَدْ بَهَتَّهُ**». رَواهُ النسائيُّ[3] وأبو داودَ[4]، والترمذِيُّ[5]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، ورَواهُ مُسلمٌ في «**صَحيحِه**»[6].

واعلَمْ أنّه كما تحرُمُ الغِيبةُ، كذلكَ يحرُمُ استماعُها وإقرارُ المُغتابِ عليها؛ لأنّ المُستمِعَ أحَدُ المُغتابينَ[7]، وقد رَواهُ بعضُ الأئمَّةِ حديثًا[8]، ولا أعرِفُ مَن خرَّجَه[9].

---

(١) في (د): «أو الإشارة».

(٢) في (د): «أرأيت».

(٣) «السنن الكبرى» للنسائي (١١٤٥٤).

(٤) «سنن أبي داود» (٤٨٧٤).

(٥) «جامع الترمذي» (١٩٣٤).

(٦) «صحيح مسلم» (٢٥٨٩).

(٧) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٤٥)، و«الأذكار» للنووي (٣٣٩).

(٨) «حديثًا» ليس في (د).

(٩) «المعجم الكبير» للطبراني (١٤١٣٦)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣١٢٢) (٧١٩٥)، و«تاريخ بغداد» (٩: ١٢٥). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٣٨): «أخرجه الطبراني من حديث ابن عمر: نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة. وهو ضعيف».

وفـي القُرآن ما يُغْنِـي عنه؛ قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فيجِبُ على المُستمع الإنكـارُ عليه؛ لأنّ فـي الغِيبةِ إذلالًا لمَـنِ اغتيبَ، قـالَ رَسـولُ الله ﷺ: «مَـنْ أُذِلَّ عِنْـدَهُ مُؤْمِنٌ وهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أنْ يَنْصُـرَهُ فلَمْ يَنْصُـرْهُ، أذَلَّهُ الله عَـزَّ وجَلَّ يَـوْمَ القِيامَـةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِـقِ». رَواهُ الطبـرانِيُّ[1] مِـن حديثِ سهلِ بنِ حُنيفٍ[2] رضِيَ الله عنه.

ولأنّ الغِيبةَ معصيةٌ يجِبُ إنكارُها، فعدَمُ الإنكارِ معصيةٌ، وهذا في القادِرِ على الإنكارِ بلسانِه؛ فإن لم يقدِرْ بلسانِه وقدَرَ على قطْعِها بطريقٍ آخَـرَ كقطْعِ كلامِ المستغيبِ[3] بأمْـرٍ آخَـرَ وجَبَ عليه؛ لحُصولِ المقصودِ بذلكَ؛ فـإن لم يقدِرْ على ذلكَ وجَبَ عليه مفارقةُ المجلسِ، قالَ الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ [٧٦/أ] ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

فإن لم تقدِرْ على مُفارقةِ المجلسِ؛ لعُذرٍ وكانَ[4] عاجزًا عنِ الإنكارِ، أو أنكَرَ[5] فلم يفِدْ، فخلاصُه أن يسُدَّ سمْعَه ويشتغِلَ بذكْرِ الله عزَّ وجَلَّ، إلى أن يقدِرَ على الذَّهابِ[6].

---

(١) «مسند أحمد» (١٥٩٨٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥٥٥٤). ولفظه: «من أذل عنده مؤمن ولم ينصره، وهو يقدر على أن ينصره، أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧: ٢٦٧): «رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات».

(٢) في (ب): «حبيب».

(٣) في (ب): «المستعيب».

(٤) في (د): «فإن كان».

(٥) في (س) و(ب): «وأنكر».

(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٤٦)، و«الأذكار» للنووي (٣٣٩).

والحاصِلُ: أنّه يجبُ عليه الإنكارُ بلسانِه، أو بيدِه، أو بغيرِ[(١)] ذلكَ حتَّى بقلْبِه، وإلا وقَعَ في مَحذورٍ عظيمٍ.

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ما مِنْ نَبيٍّ بَعَثَهُ الله تَعالَى في أُمَّةٍ قَبْلِي إلا كانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ وأَصْحابٌ يَأْخُذُونَ بسُنَّتِهِ ويَقْتَدُونَ[(٢)] بأَمْرِهِ، ثُمَّ إنّها تَخْلُفُ من[(٣)] بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ، ويَفْعَلُونَ ما لا يُؤْمَرُونَ[(٤)]، فمَنْ جاهَدَهُمْ[(٥)] بيَدِهِ فهُوَ مُؤْمِنٌ، ومَنْ جاهَدَهُمْ[(٦)] بلِسانِهِ فهُوَ مُؤْمِنٌ، ومَنْ جاهَدَهُمْ بقَلْبِهِ فهُوَ مُؤْمِنٌ، ولَيْسَ وراءَ ذَلِكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**». رَواهُ مُسلمٌ[(٧)].

فتنبَّهْ لذلكَ، فخلْقٌ كثيرٌ لا[(٨)] يَهتدونَ لذلكَ، وربَّما يسمَعُ شخصًا يغتابُ آخَرَ وليسَ له تعلُّقٌ به فيصْغِي إليه، وربَّما يساعِدُه على ذلكَ، حتَّى إنّ المستغيبَ يقولُ: فعَلْتُ معَه[(٩)] كذا وكذا هذا الفاعِلِ، ويذكُرُ كلامًا فيه أنواعٌ مِن الغِيبةِ، وما يتضمَّنُ مدْحَ نفْسِه مِن جهةِ الإحسانِ إليه، فيقولُ المستمِعُ: هذا ولدُ زنا، فيقَعُ في المعاصي[(١٠)]؛ **منها**: سماعُ الغِيبةِ، وتحسينُها لهُ، وإقرارُه على مدْحِ نفسِه، والتعاونُ على الإثمِ والعُدوانِ، وقد نَهَى الله تعالى عنهُما[(١١)] في كتابِه العزيزِ، ووجوبُ حدِّ القذفِ عليه، قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

---

(١) في (د): «أو غير».
(٢) في (د): «ويعتقدون».
(٣) «من» مثبت من المصادر.
(٤) في (د): «يؤمنون».
(٥) في (ب): «جاهده».
(٦) قوله: «بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم» ليس في (ب).
(٧) «صحيح مسلم» (٥٠).
(٨) في (ب): «أبلا».
(٩) في (د): «مرة».
(١٠) في (س) و(ب) و(د): «معاصي».
(١١) في (د): «عنها».

وقد وصَفَه الله بأنّه عظيمٌ؛ فالله عزَّ وجَلَّ يعلَمُ قدْرَ عظمِه، فيا ذلَّ مَن أوقَعَ نفْسَه في هذه المُهلكاتِ(١)، وفوَّتَ نفسَه خيرًا عظيمًا.

[٧٦/ ب] قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخِيهِ، رَدَّ الله تَعالَى عَنْ وجْهِهِ النّارَ يَوْمَ القِيامَةِ**». رَواهُ الترمذِيُّ(٢)، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وفي رِوايةٍ للطَّبرانِيِّ(٣): «**كانَ لَهُ حِجابًا مِن النّارِ**». وكلاهُما رَواهُ مِن حديثِ أبي الدَّرداءِ رضِيَ الله عنه(٤).

ورَواهُ الطبرانِيُّ(٥) والإمامُ أحمَدُ(٦): «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخِيهِ بِالغَيْبةِ(٧)، كانَ حَقًّا عَلَى الله عَزَّ وجَلَّ أنْ يَعْتِقَهُ مِن النّارِ**». رَوياهُ مِن حديثِ أسماءَ بنتِ يزيدَ(٨).

ورَوَى ابنُ أبي الدنيا: «**رَدَّ الله عَنْ عِرْضِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**»(٩).

[من الأسباب المهلكة: الاستدراج والغفلة عن اليوم الآخر]

[١٣] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكةِ**(١٠): الاستدراجُ والغفلةُ عن سكراتِ الموتِ

---

(١) في (ب) و(د): «المهالك».

(٢) «جامع الترمذي» (١٩٣١)، و«مسند أحمد» (٢٧٥٤٣)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٧٢٢٩).

(٣) في (د): «الطبراني». وهو في: «مكارم الأخلاق» للطبراني (١٣٤).

(٤) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٣٨): «كلاهما ضعيف».

(٥) «المعجم الكبير» للطبراني (٤٤٣).

(٦) «مسند أحمد» (٢٧٦٠٩)، و«مسند أبي داود الطيالسي» (١٧٣٧)، ولفظ أحمد والطبراني: «من ذب عن لحم أخيه...»، وعند أحمد: «بالغيبة» وعند الطبراني: «في المغيب».

(٧) في (س): «بالغيب». (٨) في (د): «زيد».

(٩) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٢٣٩). ولفظه: «كان حقًّا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة».

(١٠) في (د): «المهلكات».

وهوْلِ المطْلعِ وأهوالِ القبرِ، ورُؤيا مُنكرٍ ونَـكيرٍ وسؤالِهما، والبعثِ والنُّشورِ والعرْضِ على الجبّارِ، والميزانِ، والصِّراطِ ودقَّتِه معَ حدَّتِه، ثمَّ فصْلِ القضاءِ، إلى غيرِ ذلكَ مِن الأمورِ المهولةِ.

ثم لا يدْرِي إلى أينَ مَهبطُه، فلعلَّه هبَطَ[1] إلى نارٍ[2] **«أمَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ أنْ يُوقَدَ عَلَيْها ألْفَ عامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْها ألْفَ عامٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ[3]، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْها ألْفَ عامٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فهِيَ سَوْداءُ مُظْلِمَةٌ»**[4]، قالَه عليه الصلاةُ والسلامُ.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: **«إنّ في النّارِ لَحَيّاتٍ مِثْلُ أعْناقِ البُخْتِ، يَلْسَعْنَ اللَّسْعَةَ، فيَجِدُ حَمْوَتَها أرْبَعِينَ خَرِيفًا»**. رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[5].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: **«لَوْ أنّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ في بِحارِ الدُّنْيا، لَأفْسَدَتْ عَلَى أهْلِ الدُّنْيا مَعايِشَهُمْ، فكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعامُهُ ذَلِكَ!»**.

رَواهُ ابنُ ماجَه[6] مِن حديثِ ابنِ عبّاسٍ رضِيَ اللهُ عنهُما، وكذا التِّرمذِيُّ[7]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) في (د): «يهبط».

(٢) في (د): «النار».

(٣) في (ب): «ابيض».

(٤) «جامع الترمذي» (٢٥٩١)، و«سنن ابن ماجه» (٤٣٢٠)، و«صفة النار» لابن أبي الدنيا (١٥٧)، و«المعجم الأوسط» (٢٥٨٣). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠: ٣٨٧): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سلام الطويل، وهو مجمع على ضعفه».

(٥) «مسند أحمد» (١٧٧١٢)، و«صحيح ابن حبان» (٧٤٧١)، و«مستدرك الحاكم» (٨٧٥٤). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ولفظ أحمد: «إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفًا».

(٦) «سنن ابن ماجه» (٤٣٢٥).

(٧) «جامع الترمذي» (٢٥٨٥)، و«مسند أحمد» (٣١٣٦)، و«صحيح ابن حبان» (٧٤٧٠)، =

وقالَ أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه: كنّا عندَ أو معَ رَسولِ الله ﷺ، إذ سمِعَ وَجْبَةً[١]، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**هَلْ تَدْرُونَ ما هَذا؟**» قلْنا[٢]: الله ورسولُه أعلَمُ، قالَ: «**هَذا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ في النّارِ مِنْ[٣] سَبْعِينَ خَرِيفًا، وهُوَ يَهْوِي في النّارِ الآنَ، حِينَ[٤] انْتَهَى[٥] إلَى قَعْرِها**». رَواهُ مُسلمٌ[٦].

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النّارِ يُعَذَّبُ سَبْعَةَ آلافِ سَنَةٍ**».

[٧٧/أ] رَواهُ بعضُ الأئمّةِ[٧]، ولم أعرِفْ مَن خرَّجَه! نعَمْ رَوَى الإمامُ أحمَدُ[٨] وأبو يَعْلى الموصلِيُّ[٩]: «**وَيَخْرُجُ[١٠] بَعْدَ أَلْفِ عامٍ، وأنّهُ يُنادِي: يا حَنّانُ**

= و«مستدرك الحاكم» (٣١٥٨). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١) قال الأزهري في: «تهذيب اللغة» (١١: ١٥١): «قال أبو إسحاق في قول الله جل وعز: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ [الحج: ٣٦]. أي سقطت إلى الأرض جنوبها، فكلوا منها. قال: ويقال: وجب الحائط يجب وجبة، أي سقط، ووجب القلب، يجب وجيبًا: إذا تحرك من فزع، ووجب البيع وجوبًا وجبة، والمستقبل في كله يجب». وانظر: «الصحاح» (١: ٢٣٢).

(٢) في (د): «قالوا».

(٣) في «صحيح مسلم»: «منذ».

(٤) في «صحيح مسلم»: «حتى».

(٥) في (د): «ينتهي».

(٦) «صحيح مسلم» (٢٨٤٤).

(٧) «نوادر الأصول» (٦٢٠). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٣٦٠): «أخرجه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» من حديث أبي هريرة بسند ضعيف».

(٨) «مسند أحمد» (١٣٤١١).

(٩) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٤٢١٠)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٣١٥). ولفظ الحديث: «إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة: يا حنان، يا منان». وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣: ٢٦٧)، وقال: «هذا حديث ليس بصحيح». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠: ٣٨٤): «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال «الصحيح» غير أبي ظلال، وضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان».

(١٠) في (د): «يخرج».

يا مَنّانُ»[١]. وكانَ الحسَنُ البصرِيُّ يقولُ: «يا ليتَنِي ذلكَ الرَّجلُ»[٢].

وإنما قالَ الحسَنُ هذا؛ خوفًا مِن سُوءِ الخاتمةِ التي تقتَضِي عذابَ الأبدِ في هذه النّارِ التي ذكَرْتُ بعضَ أوصافِها.

فمَنْ غفَلَ عن هذه الأهوالِ فقد ورَّطَ نفْسَه في أمرٍ عظيمٍ، لا سيَّما المُستدرَجُ بتوالِي النِّعمِ عليه، قالَ الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥]، قيلَ: كلَّما أحدَثُوا ذنبًا أحدَثَ لهم نعمةً[٣].

ولهذا قالَ عليٌّ رضِيَ الله عنه: «كمْ مِنْ[٤] مُستَدرَجٍ بالإحسانِ[٥] إليه، وكم مِن مغرورٍ بالسَّترِ عليه»[٦].

فالحذَرَ الحذر مِن الغُرورِ بالدنيا وزهرتِها، الحذَرَ الحذَرَ ممّا أمامَكَ، واستعِدَّ للموتِ وسكراتِه، ولعَمْري لو لم يكُنْ بينَ يَديِ[٧] العبْدِ كربٌ إلا سكراتُ

---

(١) جاء في حاشية (ب): «وقال حجة الإسلام الغزالي في كتابه «منهاج العابدين»: «وذكر عن الحسن: أن آخر من يخرُج من النار رجل يقال له: هنادٌ، عذب ألف عام، ينادي: يا حنان يا منان! فبكى الحسن، وقال: يا ليتني كنت هنادًا، فتعجبوا منه». اهـ. وانظر: «منهاج العابدين» (١٥٥)، و«سراج الطالبين على منهاج العابدين» (٢: ٢٩٠).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ١٨٨)، و«شرح مسند أبي حنيفة» (١: ٢٤).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١: ٢٠٩)، و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٣: ٦١٨).

(٤) «من» مثبت من المصادر. (٥) في (د): «الإحسان».

(٦) انظر: «الفنون» لابن عقيل (١: ٤٣). وورد في «الزهد» للإمام أحمد (١٥١٤)، و«الكشف والبيان» للثعلبي (١٠: ٢٣)، و«النكت والعيون» للماوردي (٦: ٧٢)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥: ٣٥٣)، و«التدوين في أخبار قزوين» (٢: ٤٥٧)، و«تفسير القرطبي» (١٨: ٢٥١)، على أنه من كلام الحسن البصري رحمه الله، وفي: «سير السلف الصالحين» (١٢٧٩)، و«المدخل» لابن الحاج (٣: ١٤٨)، من كلام أبي القاسم الحكيم السمرقندي.

(٧) في (د): «أيدي».

الموتِ فضلًا[١] عمّا بعدَه لكانَ جديرًا بأن يتنغَّصَ عيْشُه ويتكدَّرَ سُرورُه، وكانَ حقيقًا بأن يطولَ في ذلكَ فكْرُه[٢]، ويعظُمُ استعدادُه، لا سيَّما والعبْدُ في كلِّ نَفَسٍ بصددِ أن يُؤخَذَ، فيذيقُه ملَكُ الموتِ لطماتِ الموتِ وسكراتِه، الذي قيلَ: إنّها أشَدُّ مِن[٣] ضرْبٍ بالسَّيفِ، ونشْرٍ بالمِنشارِ، وقرْضٍ بالمَقاريضِ.

قالَ شدّادُ بنُ أوسٍ رضِيَ الله عنه: «الموتُ أشدُّ مِن نشْرٍ بالمَناشيرِ[٤]، وقرْضٍ بالمَقاريضِ، وغَلْيٍ بالقُدورِ، ولو أنّ الميِّتَ نُشِرَ فأخبَرَ أهلَ الدُّنيا بالموتِ لما انتفَعُوا بعيشٍ، ولا لذُّوا بنومٍ»[٥].

والبدَنُ تُجذَبُ منه الرُّوحُ مِن كلِّ عِرقٍ ومِن كلِّ[٦] عضوٍ، ولو كانَ المجذوبُ عِرقًا واحدًا لكان ألَمُه عظيمًا، فكيفَ بجميعِ العُروقِ، ولكلِّ عِرقٍ سَكرَةٌ، وكذا لكلِّ عُضوٍ سَكرَةٌ، فكَمْ مِن سَكرةٍ، ولهذا كانَ عليه الصلاةُ

---

(١) في (ب): «فضا».

(٢) في (د): «ذكره».

(٣) «من» ليس في (ب).

(٤) في (ب) و(د): «بالمنشار».

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٤١٦).
جاء في حاشية (ب): «قال حجة الإسلام الغزالي في كتابه «منهاج العابدين»: «وروي أن بعض الصالحين قال: كان لي ابن استشهد فلم أره في المنام إلا ليلة توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، إذا تراءى إليَّ تلك الليلة فقلت: يا بني ألم تك ميتًا؟ فقال: لا، ولكني استشهدت وأنا حي عند الله تعالى أرزق، فقلتُ: ما جاء بك فقال: نودي في أهل السماء ألا لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا وحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز، فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم. والآخر: ما رُوي عن هشام بن حسان أنه قال: مات لي ابنٌ حدثٌ فرأيتُه في النوم، فإذا هو أشيب، فقلت: يا بني ما هذا الشيب؟ قال: لما قدم علينا فلان زفرت جهنم؛ لقدومه زفرة لم يبق منا أحد إلا شاب. نعوذ بالله الرحيم من عذابه الأليم». اهـ. انظر: «سراج الطالبين على منهاج العابدين» (٢: ٢٧٧).

(٦) «كل» ليس في (ب).

والسلامُ يقولُ: «**اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ سَكَراتِ المَوْتِ**»[١].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ أهْوَنَ المَوْتِ بِمَنْزِلَةِ حَسَكَةٍ وقعت في صوف**[٢]، **فهَلْ تَخْرُجُ الحَسَكَةُ إلا ومَعَها صُوفٌ**»[٣]. رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في كتابِ «**الموتِ**».

[٧٧/ب] وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بعد أن ذكَرَ الموتَ وغُصَّتَه وألَمَه: «**هُوَ قَدْرُ ثَلاثِ مئةِ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ**». رَواهُ ابنُ أبي الدُّنيا في كتابِ «**الموتِ**» مِن رِوايةِ الحسَنِ، عنِ النبيِّ ﷺ، وهوَ مُرسَلٌ؛ لأنّ[٤] الحسَنَ لم يدرِكِ النبيَّ ﷺ، لكن رِجالُه كلُّهم ثقاتٌ، والحسَنُ رضِيَ الله عنه جليلُ القدرِ[٥]، عظيمُ العلْمِ والدِّينِ، لو لم يصِحَّ هذا عندَه لما قالَه.

قيل[٦]: ولمّا ماتَ إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلام قالَ الله عزَّ وجَلَّ لهُ[٧]: «كيفَ وجَدْتَ الموتَ يا خليلِي؟» فقالَ: «كسَفُّودٍ جُعِلَ في صُوفٍ رَطبٍ ثمَّ جُذِبَ»، فقالَ الله سُبحانَه وتعالَى: «أما إنّا قد هونّا عليكَ الموتَ»[٨].

---

(١) «جامع الترمذي» (٩٧٨)، و«سنن ابن ماجه» (١٦٢٣)، و«مسند أحمد» (٢٤٣٥٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٧٠٦٤)، و«مستدرك الحاكم» (٣٧٣١). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ولفظه: «اللهم أعني على سكرات الموت».

(٢) قوله: «وقعت في صوف» ليس في (س).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٢)، و«التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (١٥٣). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٨٤١): «أخرجه ابن أبي الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلاً».

(٤) في (ب): «كأن».

(٥) في (س): «المقدار».

(٦) «قيل» ليس في (س) و(ب).

(٧) «له» ليس في (ب).

(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٣)، و«التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (١٥١). جاء في حاشية (ب): «يحكى عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: أنه لما احتضر نظر =

وقالَ عمرُ لكعبِ الأحبارِ: «حدِّثْنا عنِ الموتِ»، فقالَ: «نَعَمْ، هوَ كغُصنٍ كثيرِ الشَّوكِ أُدخِلَ في جوفِ رجلٍ، وأخذَتْ[١] كلُّ شوكةٍ بعِرقٍ ثمَّ جذَبه رجلٌ شديدُ الجَذْبِ[٢]، فأخَذَ ما أخَذَ، وأبْقَى ما أبْقَى»[٣].

وكانَ عِيسى عليه الصلاةُ والسلامُ إذا ذكَرَ الموتَ يقطُرُ جلْدُه دمًا[٤].

وكانَ داودُ عليه الصلاةُ والسلامُ إذا ذكَرَ الموتَ والقيامةَ يبْكِي حتَّى تنخلِعَ أوصالُه[٥].

وكانَ رَسولُ الله ﷺ عندَه قَدَحٌ عندَ الموتِ يجعَلُ يدَه فيه، ثمَّ يمسَحُ وجْهَه، ويقولُ: «**اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ سَكَراتِ المَوْتِ**»[٦] وفاطمَةُ تقولُ: «واكرْبَ أبتاهُ». رَواهُ الشَّيخانِ[٧].

وفي رِوايةِ ابنِ خُزيمةَ[٨]: «واكرباهُ لكربِكَ يا أبتاهُ»، وهوَ يقولُ: «**لا كَرْبَ عَلَى أبيكِ بَعْدَ اليَوْمِ**[٩]». ....

= إلى السماء فضحك، فقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

(١) في (د): «فأخذت».

(٢) في (ب): «الحرب».

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٦٤٣)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٣).

(٤) في (س) و(ب): «ماء». انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٥١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ٤٦٩)، و«البداية والنهاية» (٢: ٥٠٦).

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٥١)، و«العاقبة في ذكر الموت» (٤٠).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) «صحيح البخاري» (٤٤٦٢). ولم أجده عند مسلم.

(٨) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٣٣٨٠). ولم أجده عند ابن خزيمة.

(٩) في (ب): «الموت».

وفي الترمذِيِّ[١]: «**اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَى غَمَراتِ المَوْتِ وسَكَراتِهِ**».

وإذا كانَتْ هذه سكراتِ الموتِ على أوليائِه وأصفيائه[٢]، فكيفَ حالُ المُنهمكِ في الذنوبِ والمعاصِي! لا سيَّما الظَّلَمةُ مِن الحُكّامِ[٣] وغيرِهم وأتباعِهم؟ فهؤلاءِ يَتوالَى عليهم معَ سكراتِ الموتِ آفاتُ الذنوبِ، ودواهي الموتِ.

ومن ذلكَ: مشاهدَةُ مَلَكِ الموتِ، ودخولُ الخوفِ منهُ، وروعةُ القلْبِ، ومشاهدةُ المَلَكينِ الحافظينِ، فيقولانِ لهُ[٤]: لا جزاكَ اللهُ عنّا خيرًا، كمْ مِن مجلسِ سُوءٍ أجلسْتَنا، وعملٍ غيرِ صالحٍ أحلَلْتَنا، وكلامٍ قبيحٍ قد أسمَعْتَنا[٥].

ومشاهدةُ العُصاةِ منازلَهم/ مِن النارِ، حتَّى إنَّ بعضَهم يتمَنَّى أن يبْقَى في [٧٨/أ] النَّزعِ معَ شِدَّتِه خوفًا مِن موتِه على غيرِ التوحيدِ، وفي هذه الحالةِ يحرِّضُ[٦] الشيطانُ جُنْدَه عليه، ويقولُ لهم[٧]: إنْ فاتَكم في هذه الحالةِ لا تدْرِكُوه أبدًا، فيأتُونَ إليه في صُورةِ أبٍ وأمٍّ وأخٍ[٨] وشيخٍ وصديقٍ، وغيرِ ذلكَ، ويقولونَ له: قد مُتْنا على دينِ كذا غيرِ دينِ الإسلامِ ووجَدْناهُ حقًّا، وخِفْنا عليكَ الموتَ على الإسلامِ فتهلِكُ، فلا يزالونَ بهِ كذلكَ حتَّى يفتِنُوه عنْ دينِ الإسلامِ، فيهلِكُ هلاكَ[٩] الأبدِ، إلا أن يكونَ قد سبَقَتْ له السعادةُ، فيموتُ على التوحيدِ،

---

(١) «جامع الترمذي» (٩٧٨). ولفظه: «اللهم أعني على غمرات الموت أو سكرات الموت».
(٢) «وأصفيائه» مثبت من (د).
(٣) في (ب): «الأحكام».
(٤) «له» ليس في (ب).
(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٤).
(٦) في (ب): «يحرص»، وفي (د): «يحضر».
(٧) «لهم» ليس في (د).
(٨) «وأخ» ليس في (س).
(٩) من قوله: «فلا يزالون به» إلى هنا ليس في (د).

وحينئذٍ يحْثُو الشيطانُ على رأسِه التُّرابَ، ويقولُ: ويْلَكُم كيفَ تفلَّتَ[١] هذا منكم؟

اللَّهمَّ إني أعوذُ بك أن يتخبَّطَنِيَ الشيطانُ عندَ الموتِ[٢].

«بكى[٣] رَسولُ الله ﷺ وجِبْريلُ عليه الصلاة والسلام؛ خوفًا مِن الله، فأوْحَى إليهما: لِمَ تبكيانِ[٤] وقد أمَّنْتُكُما؟ فقالا: ومَنْ يَأْمَنُ مَكْرَكَ»[٥]. رَواهُ ابنُ شاهينَ في «**شرحِ السُّنّةِ**»، وهوَ مذكورٌ في «**أمالي أبي سعيدٍ النَّقّاشِ**».

فإذا ماتَ أقبلَ أهْلُه بِرَنّةٍ وبكاءٍ، فيأخُذُ ملَكُ الموتِ[٦] بعُضادَتي البابِ ويقولُ: «ما أكَلْتُ له رزقًا، ولا أفنَيْتُ له عُمرًا، ولا أنقَصْتُ له أجلًا، وإنّ لي فيكم عودةً ثمَّ عودةً حتَّى لا أبقِيَ منكم أحدًا»[٧].

قالَ الحسنُ: «فوالله لو يرَوْنَ مقامَه ويسمعونَ كلامَه لَذهِلُوا عن ميِّتِهم وبكَوا على أنفسِهم»[٨].

فإذا غُسِّلَ وحُمِلَتْ[٩]، قالَ أبو سعيدٍ الخدْريُّ رضِيَ الله عنه: قالَ

---

(١) في (د): «فلت».

(٢) من دعاء النبي ﷺ. «مسند أحمد» (٨٦٦٧)، و«سنن أبي داود» (١٥٥٢)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٧٨١٤).

(٣) في (د): «فبكى».

(٤) في (د): «تبكيا».

(٥) انظر: «قوت القلوب في معاملة المحبوب» (١: ٣٨٢). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٥٢٠): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وابن شاهين في «شرح السنة» من حديث عمر، ورويناه في مجلس عن أمالي أبي سعيد النقاش، بسند ضعيف».

(٦) «الموت» ليس في (س).

(٧) انظر: «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٣: ٩٠٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٨).

(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٨).

(٩) في (د): «وحمل».

رَسولُ الله ﷺ: «**إذا وُضِعَتِ الجِنازَةُ، فاحْتَمَلَها[١] الرِّجالُ عَلَى أعْناقِهِمْ، فإنْ كانَتْ صالِحَةً قالَتْ: قَدِّمُونِي، وإنْ كانَتْ غَيْرَ صالِحَةٍ قالَتْ: يَا وَيْلَهَا[٢] أيْنَ تَذْهَبُونَ بِها؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلا الإنْسانَ، ولَوْ سَمِعَ الإنْسانُ لَصَعِقَ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٣].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أسْرِعُوا بِالجِنازَةِ، فإنْ تَكُ صالِحَةً فخَيْرٌ تُقَدِّمُونَها، وإنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقابِكُمْ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٤] [٧٨/ب] ومُسلمٌ[٥] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وفي رِوايةٍ لمُسلمٍ[٦]: «**فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَها عَلَيْه**».

فإذا وُضِعَ في القبْرِ رَأى شيئًا مهولًا، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ما رَأيْتُ مَنْظَرًا إلا والقَبْرُ أفْظَعُ[٧] مِنْهُ**». رَواهُ ابنُ ماجَه[٨]، والترمذِيُّ[٩] وحسَّنَه، والحاكِمُ[١٠] وصحَّحَه.

وكانَ عُثمانُ رضِيَ الله عنه إذا وقَفَ على قبرٍ يبْكِي حتَّى تبَلَّ لحيتُه، فقيلَ له: تذكُرُ النارَ فلا تبْكِي، وتبْكِي إذا وقَفْتَ على قبرٍ؟ فقالَ: سمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إنّ القَبْرَ أوَّلُ مَنازِلِ الآخِرَةِ؛ فإنْ نَجا مِنْهُ صاحِبُهُ فما بَعْدَهُ أيْسَرُ،**

---

(١) في (د): «واحتملها».
(٢) في (س): «لأهلها».
(٣) «صحيح البخاري» (١٣١٦).
(٤) «صحيح البخاري» (١٣١٥).
(٥) «صحيح مسلم» (٩٤٤).
(٦) «صحيح مسلم» (٩٤٤).
(٧) في (س): «أوضع».
(٨) «سنن ابن ماجه» (٤٢٦٧).
(٩) «جامع الترمذي» (٢٣٠٨).
(١٠) «مستدرك الحاكم» (٧٩٤٢). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وإنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فما بَعْدَهُ أَشَرُّ». رَواهُ الترمذِيُّ[1]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ»، ورَواهُ الحاكِمُ[2] وصحَّحَه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**القَبْرُ إمّا حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ[3] النّارِ، أوْ رَوْضَةٌ[4] مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ**». رَواهُ الترمذِيُّ[5].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**يَقُولُ القَبْرُ لِلْمَيِّتِ حِينَ يُوضَعُ فيهِ: ويْحَكَ[6] يا ابْنَ آدَمَ ما غَرَّكَ[7] بِي؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي بَيْتُ الفِتْنَةِ، وبَيْتُ الظُّلْمَةِ، وبَيْتُ الوَحْدَةِ، وبَيْتُ الدُّودِ؟ ما غَرَّكَ بِي؟ أَكُنْتَ تَمُرُّ بِي فِداداً؟**». رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في «كتابِ القُبورِ»، ورَواهُ الطبرانِيُّ والحاكِمُ[8].

والفِدادُ: الذي يقدِّمُ رِجلًا ويؤخِّرُ أُخرى[9].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنَّ المَيِّتَ يَقْعُدُ وهُوَ يَسْمَعُ خَطْوَ مشيعيهِ[10]**

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٣٠٨).

(٢) «سنن ابن ماجه» (٤٢٦٧)، و«مسند أحمد» (٤٥٤)، و«مستدرك الحاكم» (٧٩٤٢). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وفيهم: «أشد» بدلًا من «أشر».

(٣) «حفر» ليس في (ب).

(٤) في (ب): «روض».

(٥) «جامع الترمذي» (٢٤٦٠)، و«المعجم الأوسط» (٨٦١٣). ولفظه: «إنما القبر روضة...». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٣: ٤٦): «فيه محمد بن أيوب بن سويد، وهو ضعيف».

(٦) في (د): «ويلك».

(٧) في (ب): «عزك».

(٨) «المعجم الكبير» للطبراني (٩٤٢)، و«مسند أبي يعلى الموصلي» (٦٨٧٠). ولم أجده عند ابن أبي الدنيا ولا الحاكم.

(٩) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ٤٢٠). قال ابن الأثير: «وفيه: إن الأرض تقول للميت: ربما مشيت علي فَدّادًا، قيل: أراد ذا أَمَلٍ كثير وخيلاء وسعي دائم».

(١٠) في (س) و(ب): «مشيعه».

ولا يُكَلِّمُهُ إلا قَبْرُهُ، يَقُولُ: ويْحَكَ يا ابْنَ آدَمَ! أَلَيْسَ قَدْ حُذِّرْتَنِي، وحُذِّرْتَ ضِيقِي ونَتْنِي وهَوْلِـي ودُودِي، فما أَعْدَدْتَ لِي؟».

رَواهُ ابنُ أبـي الدُّنيـا فـي كتابِ «**القُبـورِ**» مُـرسَلًا، ورجالُه ثقـاتٌ، ورَواهُ ابنُ المُباركِ في كتابِ «**الزُّهدِ**»[١].

ويضمُّه[٢] القبرُ؛ قالَ[٣] عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ نَجا مِنْها أحَدٌ لَـنَجا سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ رَضِيَ الله عَنْهُ**». رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[٤] بسندٍ جيِّدٍ[٥].

[٧٩/أ] وقالَ أنسٌ: تُوفيتْ زينبُ بنتُ رَسولِ الله ﷺ وكانَتِ امرأةً مِسْقامةً[٦]، فتَبِـعَها[٧] رَسـولُ الله ﷺ، فلمّـا انتَهَيْنـا إلى القبـرِ دخَلَهُ عليه الصلاةُ والسلامُ فالتمَعَ وجْهُه صُفرةً، فلمّا خرَجَ أسفَرَ وجْهُه، فقُلْنا: يا رَسولَ الله، رَأيْنا منكَ شيئًا فمِمَّ ذلكَ؟

قالَ: «**ذَكَرْتُ ضَغْطَةَ ابْنَتِي زَينَبَ**[٨]**، فأُخْبِرْتُ أنّه قَدْ خُفِّفَ عَنْها، ولَـقَدْ**

(١) «الزهد والرقائق» لابـن المبارك (١٧٦٠). قـال العراقي فـي «تخريج أحاديث الإحياء» (١٨٨٢): «أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلًا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال بلغني ولم يرفعه».

(٢) في (د): «وتضميمة».

(٣) في (د): «وقال».

(٤) «مسند ابن الجعد» (١٥٤٨)، و«مسند أحمد» (٢٤٢٨٣)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٣٩٢).

(٥) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٣: ٤٦): «رواه أحمد، عن نافع، عن عائشة، وعن نافع، عن إنسان، عن عائشة، وكلا الطريقين رجالها رجال الصحيح».

(٦) في (د): «مستقامة». وجاء بعدها في (ب): كلمة غير واضحة. والمسقام: الممراض. أي المريض. انظر: «الصحاح» (٣: ١١٠٦)، و«لسان العرب» (٧: ٢٣١)، و«القاموس المحيط» (٦٥٤).

(٧) في (د): «فتبعتها».

(٨) في (س) و(ب): «فاطمة».

ضُغِطَتْ ضَغْطَةً سَمِعَ صَوْتَها ما بَيْنَ الخافِقَيْنِ»[١]. رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في كتابِ «الموتِ».

ثم يأتِي مُنكرٌ ونَكيرٌ بهولِهِما:

قالَ البراءُ بنُ عازبٍ رضِيَ الله عنه: خرَجْنا معَ رَسولِ الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ مِن الأنصارِ، فجلَسَ رَسولُ الله ﷺ على قبرِه مُنكِّسًا رأسَهُ، ثمَّ قالَ: «**اللَّهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ**»[٢] ثلاثًا.

وفي الحديثِ: «**وَإنّه يَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِهِمْ، إذا ولَّوا مُدْبِرينَ**»، وفيه: «**مَنْ رَبُّكَ؟ وما دِينُكَ؟ ومَنْ نَبيُّكَ؟ فيَقُولُ** - يعْني المُؤمنُ -: **رَبِّيَ الله، ودِينِيَ الإسْلامُ، ونَبِيِّي**[٣] **مُحَمَّدٌ، فيَنْتَهِرُونَهُ انْتِهارًا شَدِيدًا، وهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى المَيِّتِ، فإذا قالَ**[٤] **ذَلكَ نادَى مُنادٍ: أنْ**[٥] **صَدَقْتَ، وهُوَ مَعْنى قَوْلِه تَعالَى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، **ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ في أحْسَنِ وجْهٍ**[٦]**، طَيِّبُ الرّائِحَةِ، حَسَنُ الثِّيابِ، فيَقُولُ: أبْشِرْ بِرَحْمَةِ**[٧] **رَبِّكَ وجَناتٍ فيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ، فيَقُولُ: وأنْتَ بَشَّرَكَ الله بِخَيْرٍ، مَنْ أنْتَ؟**

---

(١) «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» (٢: ١٠٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢: ٤٣٣)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣: ٢٣٢): «هذا حديث لا يصح من جميع طرقه»، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٥): «أخرجه ابن أبي الدنيا في «الموت» من رواية سليمان الأعمش عن أنس ولم يسمع منه». وانظر: «علل الدارقطني» (١٢: ٢٥١) (٢٦٧٩)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢: ٣٦٠)، و«تنزيه الشريعة المرفوعة» (٢: ٣٧١).

(٢) «مستدرك الحاكم» (١٠٧)، و«مسند الروياني» (٣٩٢).

(٣) في (ب): «نبي».

(٤) «قال» ليس في (د).

(٥) في (د): «قد».

(٦) في (د): «صورة».

(٧) في (د): «بوجه».

فَيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ الصّالِحُ، واللهِ إنْ كُنْتَ لَسَرِيعًا فِي طاعَةِ اللهِ بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزاكَ اللهُ خَيْرًا، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: افْرِشُوا لَهُ مِنْ فُرُشِ الجَنَّةِ، وافْتَحُوا لَهُ بابًا إِلَى الجَنَّةِ، وأمّا غَيْرُهُ فيُقالُ لَهُ[١]: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دِينُكَ[٢]؟ ومَنْ نَبِيُّكَ؟

فَيَقُولُ: لا أَدْرِي، ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ آخر[٣] قَبِيحُ الوَجْهِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ[٤]، قَبِيحُ الثِّيابِ، فيَقُولُ لَهُ: أَبْشِرْ بِسَخَطِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وبِعَذابٍ أَلِيمٍ، فيَقُولُ لَهُ: بَشَّرَكَ اللهُ بِشَرٍّ، مَنْ أَنْتَ؟ فيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، واللهِ إنْ كُنْتَ لَسَرِيعًا[٥] في مَعْصِيَةِ اللهِ، بَطِيئًا عَنْ طاعَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، فَجَزاكَ اللهُ شَرًّا، فيَقُولُ: وأَنْتَ فَجَزاكَ[٦] اللهُ [٧٩/ب] شَرًّا، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَصَمُّ أَبْكَمُ أَعْمَى، مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْها الثَّقَلانِ عَلَى أَنْ يَنْقِلوها[٧] لَمْ يَسْتَطِيعُوا، لَوْ ضَرَبَ بِها جَبَلًا لَصارَ تُرابًا، فَيَضْرِبُهُ بِها ضَرْبَةً فيصير تُرابًا، ثُمَّ تَعُودُ فِيهِ الرُّوحُ فَيَضْرِبُ[٨] بِها عَيْنَيْهِ[٩]، فَيَسْمَعُها مَنْ عَلَى الأَرْضِ إلا الثَّقَلَيْنِ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: افْرِشُوا لَهُ لَوْحَيْنِ[١٠] مِنْ نارٍ، وافْتَحُوا لَهُ بابًا إِلَى النّارِ، فيُفْعَلُ ذَلِكَ».

رَواهُ أبو داودَ[١١] بأكمَلَ مِن ذلكَ، وكذا الحاكِمُ[١٢] وصحَّحَه، وقالَ: «إنّه على شرطِ الشَّيخينِ»، ورَواهُ ابنُ ماجَه[١٣]، والنسائيُّ[١٤] مُختصرًا.

---

(١) «له» ليس في (ب).

(٢) قوله: «وما دينك» ليس في (ب).

(٣) «آخر» مثبت من (د).

(٤) في (ب): «الرائحة».

(٥) في (د): «سريعًا».

(٦) في (د): «جزاك».

(٧) في (س): «ينقلونها»، وفي (ب): «يقلبوها»، وفي (د): «يقلوها».

(٨) في (د): «فيضربه».

(٩) في (د): «عينه».

(١٠) «لوحين» ليس في (د).

(١١) «سنن أبي داود» (٤٧٥٣).

(١٢) «مستدرك الحاكم» (١٠٧).

(١٣) «سنن ابن ماجه» (١٥٤٩).

(١٤) «سنن النسائي» (٢٠٠١).

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ لعُمرَ رضِيَ الله عنه: «**كَيْفَ بِكَ إذا أَنْتَ مِتَّ وانْطَلَقَ بكَ قَوْمُكَ، فقاسُوا**[١] **لَكَ ثَلاثَةَ أَذْرُعٍ في ذِراعٍ وشِبْرٍ، ورَجَعُوا إلَيْكَ وغَسَّلُوكَ وحَنَّطُوكَ**[٢]**، ثُمَّ احْتَمَلُوكَ حَتَّى يَضَعُوكَ فيهِ، ثُمَّ يُهِيلُوا عَلَيْكَ التُّرابَ ويَدْفِنُوكَ، فإذا انْصَرَفُوا عَنْكَ أتاكَ**[٣] **فَتّانا**[٤] **القَبْرِ مُنْكَرٌ ونَكِيرٌ، أصواتُهُما كالرَّعْدِ القاصِفِ، وأبْصارُهُما كالبَرْقِ الخاطِفِ، يَجُرّانِ أشْعارَهُما، ويَحْفُرانِ الأرْضَ بِأنْيابِهِما، فيلفانِ**[٥] **وراءَكَ، كَيْفَ بِكَ عِنْدَ ذَلِكَ يا عُمَرُ؟**».

رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في كتابِ «**القُبورِ**» مُرسلًا، ورجالُه ثقاتٌ[٦].

وقالَ البيْهقِيُّ[٧]: «رُوِّيناه مِن وجهٍ صحيحٍ». ووصَلَه ابنُ بطَّةَ في «**الإبانةِ**» من حديثِ ابن عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما.

فبينَما[٨] هم في قُبورهِم إذ[٩] قرَعَ سمْعَهم نفخةٌ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وأنت فيهم مُغبرًّا[١٠] مَبهوتًا من شدَّةِ الصَّعقةِ، شاخصًا نحْوَ النِّداءِ، قد أزعجَكَ الرُّعبُ مُضافًا إلى خوفِ عاقبتِكَ، فلو لم يكُنْ بينَ يديكَ إلا هولُ هذه النَّفخةِ لكانَ جديرًا بكَ ألا تلْهُوَ ولا تَنْعَمَ أبدًا.

ويكونُ ملوكُ أهلِ الأرضِ هم أذلُّ الجميعِ[١١] وأحقَرُهم؛ كأمثالِ الذَّرِّ[١٢] يُوطَئونَ بالأقدامِ[١٣].

---

(١) في (د): «وقاسوا».
(٢) في (س): «وحنوط».
(٣) في (س): «فأتاك».
(٤) في (س): «أتايا فتايا».
(٥) في (س): «فيليان».
(٦) «البعث» لابن أبي داود (٧).
(٧) «إثبات عذاب القبر» للبيهقي (١٠٥). وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (١٨٨٧).
(٨) في (د): «فبينا».
(٩) في (ب): «إن».
(١٠) في (د): «مغيرًا».
(١١) في (س): «الجمع»، و(د): «أهل الجمع».
(١٢) في (د): «الذرة».
(١٣) في (د): «الأقدام».

فسُبحانَ مَن قصَمَ بالموتِ رِقابَ الجبابرةِ، وكسَرَ به ظُهورَ الأكاسرةِ، وقصَّرَ به آمالَ القياصرةِ، لم تزَلْ قلوبُهم عنِ الموتِ نافرةً، حتَّى جاءَهم الوعدُ[١] [٨٠/أ] الحقُّ، فإذا[٢] هم بالسّاهرةِ، تَقلِبُهم[٣] مِن نُورِ المُهودِ إلى ظُلمةِ اللُّحودِ[٤]، ومِن مُلاعبةِ الجواري والغِلْمانِ إلى مُضاجعةِ الهوامِّ والدِّيدانِ، ومِن التنعُّمِ بالطعامِ والشرابِ إلى تَعفيرِ الخُدودِ بالترابِ، ومُشاهدةِ هولِ الحسابِ، ومِن أُنسِ العِشْرةِ إلى الأهوالِ والحَسرةِ.

فانظُرْ واعتبِرْ يا عاقِلُ[٥]، هل وجَدُوا مِن ذلكَ حِصنًا، أمِ اتَّخذُوا مِن دُونِه حِجابًا وحِرزًا، وهل تحسُّ منهم مِن أحدٍ أو تسمَعُ لهُ رِكزًا؟!

ثمَّ تقبِلُ الوُحوشُ مِن الجبالِ وغيرِها منكِّسةً رُؤوسَها، مختلِطةً بالخلائقِ بعدَ توحُّشِها، ذليلةً ليومِ النُّشورِ مِن غيرِ خطيئةٍ، لكِنْ حشَرَهم شدَّةُ الصَّعقةِ.

ثمَّ يُساقونَ[٦] حُفاةً عُراةً إلى أرضِ المَحشَرِ، وهوَ صعيدٌ واحدٌ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: **«يُحْشَرُ النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضاءَ عَفْراءَ كَقُرْصِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فيها[٧] مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»**. رَواهُ البُخارِيُّ[٨] ومُسلمٌ[٩].

فَإذا اجتمَعَ[١٠] الخلائقُ تناثَرَتْ مِن فوقِهم[١١] نُجومُ السماءِ، وطُمِسَتِ الشمسُ والقمَرُ، وأظلَمَتِ الأرضُ لِخُمودِ[١٢] سِراجِها، فبينَما هم كذلكَ إذ

---

(١) في (د): «الموعد».
(٢) في (س): «وإذا».
(٣) في (س) و(د): «نقلهم».
(٤) في (د): «القبور».
(٥) في (س): «غافل».
(٦) في (د): «يقامون».
(٧) في (ب): «فيهما».
(٨) «صحيح البخاري» (٦٥٢١).
(٩) «صحيح مسلم» (٢٧٩٠).
(١٠) في (ب) و(س): «اجتمعا».
(١١) في (د): «فوق رؤوسهم».
(١٢) في (ب) و(س): «بخمود».

تَزلزَلَتِ السماءُ مِن فوقِ رُؤوسِهم، وانشَقَّتْ معَ غِلَظِها[١] وهوَ[٢] خمسُ مِئةِ عامٍ، والملائكةُ قيامٌ على أرجائِها.

فيا هوْلَ انشقاقِها في سمْعِكَ، ثمَّ تتناثَرُ وتَصِرُّ[٣] وتشتبكُ[٤]، فتصيرُ كالفَراشِ المَبثوثِ، وهم: عُـراةٌ حُفاةٌ مُشاةٌ، وبعضُهم يمشِي على وجْهِه، فيزدَحِمُ في الموقْفِ أهلُ السماواتِ السبعِ وأهلُ الأرضينَ السبعِ من مَلَكٍ وإنسٍ وجنٍّ، ووحشٍ، وطائرٍ، وقد أشـرقَتْ عليهمُ الشَّمسُ وتضاعَفَ حرُّها، وأُدنِيَتْ مِـن رُؤوسِ العالَميـنَ قابَ قوسينِ أو أدْنى، فاشتَدَّ الغمُّ والكرْبُ مِن وهجِها معَ حرِّ الأنفاسِ واحتـراقِ القُلوبِ بنارِ الخوفِ، ففاضَ العـرَقُ حتَّى سالَ علـى صعيدِ القيامةِ، ثمَّ ارتفَعَ العـرقُ[٥] على أبدانِهم على قـدْرِ منازلِهم، فبعضُهم يبلُغُ رُكبتَيْه، [٨٠/ب] وبعضُهم يبلُغُ حقْوَه، وبعضُهم إلى شَحمةِ أُذنَيْه، وبعضُهم يكـادُ يغيبُ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**يَعْرَقُ[٦] النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ في الأَرْضِ سَبْعِينَ ذراعًا[٧]، ويُلْجِمُهُمْ حتى يَبْلُغَ[٨] آذانَهُمْ**».

رَواهُ البُخاريُّ[٩] ومُسلمٌ[١٠] مِن حديثِ[١١] أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الأَرْضِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيَعْرَقُ النّاسُ؛ فمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبَهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ نِصْفَ ساقَيْهِ[١٢]، ومِنْهُمْ مَنْ**

---

(١) في (د): «عظمها».
(٢) في (د): «وهي».
(٣) في (س) و(د): «وتصير».
(٤) كأنها في (س): «وتستفيك». وقوله: «وتصر وتشتبك» ليس في (ب).
(٥) «العرق» مثبت من (د).
(٦) في (س): «يغرق».
(٧) في (س) و(ب) و(د): «باعا».
(٨) في (س) و(ب): «ويبلغ».
(٩) «صحيح البخاري» (٦٥٣٢).
(١٠) «صحيح مسلم» (٢٨٦٣).
(١١) في (د): «رواية».
(١٢) في (د): «ساقه».

يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ فخِذَهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ خاصِرَتَهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ فاهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ»، وضرَبَ رَسولُ اللهِ ﷺ على رأسِه. رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[1].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**يُبْعَثُ النّاسُ حُفاةً عُراةً غُرْلًا، قَدْ أَلْجَمَهُمُ العَرَقُ، وبَلَغَ شُحُومَ الآذانِ**[2]»، قالَتْ سَودةُ رضِيَ اللهُ عنها زوجُ النبيِّ ﷺ، ـ وهيَ راويةُ الحديثِ ـ: قلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، واسَوْأتاهُ ينظُرُ بعْضُنا إلى بعضٍ؟ قالَ: «**شُغِلَ النّاسُ عَنْ ذَلِكَ؛ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**».

رَواهُ الثَّعْلَبيُّ[3] والبغويُّ[4]، وهوَ في «**الصَّحيحينِ**»[5] مِن حديثِ عائشةَ رضِيَ اللهُ عنها، وهيَ القائلةُ: «واسَوْأتاهُ».

ورَواهُ الطبرانيُّ في «**مُعجمِه الأوسَطِ**»[6] مِن حديثِ أمِّ سلمةَ رضِيَ اللهُ عنها، وهيَ القائلةُ: «واسَوْأتاهُ».

ثم يشتَدُّ الأمْرُ حتَّى إنّ منهم مَن يُنادِي: ربِّ ارحمْنِي مِن هذا الكرْبِ والانتظارِ ولو إلى النارِ، وكلُّ ذلكَ ولم يلْقَوا بعدُ حِسابًا ولا عِقابًا، وإنّما ذلكَ مِن شدَّةِ ذلكَ اليومِ وطولِه.

قالَ الحسَنُ: «ما ظنُّكَ بقومٍ[7] يَقومونَ على أقدامِهم خمسينَ ألفَ سنةٍ،

---

(١) «مسند أحمد» (١٧٤٣٩)، و«مسند الروياني» (٢٢٩)، و«صحيح ابن حبان» (٧٣٢٩)، و«مستدرك الحاكم» (٨٧٠٤). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) في (د): «آذانهم».

(٣) في (ب): «الثعالبي». وهو في: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (٢٨: ٤٥٣).

(٤) «تفسير البغوي» (٥: ٢١٣).

(٥) «صحيح البخاري» (٦٥٢٧)، و«صحيح مسلم» (٢٨٥٩).

(٦) «المعجم الأوسط» (٨٣٣).

(٧) في (د): «بيوم».

لا يأكلُـونَ أكلةً، ولا يشربـونَ شربةً، حتَّى تنقطِـعَ[١] أعناقُهم عَطشًا، وتحتـرِقَ أجوافُهم جوعًا»[٢].

وقالَ عبدُ الله بنُ عمرِو بنِ العاصِ رضِيَ الله عنه: تَلا رَسولُ الله ﷺ هذه [٨١/أ] الآيةَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، ثمَّ قالَ: «**كَيْفَ بِكُمْ إذا جَمَعَكُم الله عَزَّ وجَلَّ كَما[٣] يُجْمَعُ النَّبْلُ في الكِنانَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لا يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ**». رَواهُ الطبرانِيُّ في «**مُعجمِه الكبيرِ**»[٤].

فتفكَّرِي يا مسكينةُ طُولَ ذلكَ اليومِ وشدَّةَ أهوالِه، وطولَ الانتظارِ حتَّى يخِفَّ عليكِ[٥] الصَّبْرُ عنِ الشهواتِ والمعاصِي في عُمرِكِ القصيرِ المحتَقَرِ بالنِّسبةِ إلى ذلك[٦] اليومِ؛ يومَ يغضَبُ فيه الرَّبُّ غضبًا لنْ يغضَبَ قبْلَه مثْلَه ولن يغضَبَ بعدَه مثْلَه، يومَ تذهَلُ فيـه[٧] ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

يومَ[٨] يؤخَذُ فيه بالنَّواصِي والأقدامِ، يومَ[٩] ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ

---

(١) في (د): «تتقطع».

(٢) انظر: «البعث والنشور» للبيهقي (٢٤٧)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٥١٥).

(٣) في (د): «فقال كما».

(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٨٥)، و«مستدرك الحاكم» (٨٧٠٧). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٥) في (س): «عليكي».

(٦) في (ب) و(س): «تلك».

(٧) «فيه» ليس في (ب).

(٨) «يوم» ليس في (د).

(٩) «يوم» ليس في (ب).

ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، يومَ الحسرةِ، يومَ الخِـزي، يومَ المُحاسبةِ، قالَ الله تعالى[١]: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۞ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

يومَ العدْلِ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لَـتُؤَدُّنَّ[٢] الحُقُوقَ إلَى أهْلِها يَوْمَ القِيامَةِ، حَتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ مِنَ الشّاةِ القَرْناءِ**». رَواهُ مُسلمٌ[٣] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

فالويلُ كلُّ الويلِ لنا معشرَ الغافلينَ؛ يُرسَلُ إلينا[٤] سيِّدُ الأوَّلينَ والآخرينَ، وينـزَلُ علينا الكتابُ المُبيـنُ، ويخبِرُنا بهـذه الصفاتِ مِن نُعوتِ يوم الدِّيـنِ، فنتْلُوه بألسنتِنا ونحنُ عنه غافلونَ، فنعوذُ باللهِ مِن هذه الغفلةِ التي عاقبتُها هذه الأهوالُ والحَسرةُ[٥].

فبينَما هم فـي هذه الأهوالِ إذ نزلَتْ ملائكةٌ مِـن أرجاءِ السمـاءِ بأجسـامٍ عِظـامٍ، وأشخاصٍ ضخامٍ، غلاظٌ شـدادٌ، قد أُمِرُوا بأخْذِ النَّواصِي والأقدامِ[٦] إلى العرْضِ[٧] على الجبّارِ، وقد رَأوا ما بَدا[٨] مِن غَضبِ الجبّارِ، وعندَ نُزولِهم لا يَبْقى صالحٌ، ولا صدِّيقٌ، ولا نبيٌّ، إلا ويخِرُّ لذَقْنِه؛ خوفًا مِن أن يكونَ هوَ المأخوذُ، فإذا كانَ هذا حالَ المُقرَّبينَ، فكيفَ حالُ المُقصِّرينَ؟

---

(١) من قوله: «إلى مضاجعة الهوام» إلى هنا سقط من (د).

(٢) في (ب): «لتؤدي».

(٣) «صحيح مسلم» (٢٥٨٢).

(٤) في (ب): «لنا».

(٥) في (د): «الخسران».

(٦) «والأقدام» مثبت من (د).

(٧) في (د): «بالعرض».

(٨) في (ب): «بُدَّ».

[٨١/ب] فيُبدَأُ بالرُّسلِ ، فيقولُ اللهُ تعالى: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ فيقولونَ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩]، فيا شدَّةَ هولِ يومٍ تُذْهَلُ فيه عُقولُ الرُّسلِ حتَّى لا يدْرُونَ ماذا يُجِيبونَ.

ثمَّ تُقْبِلُ الملائكةُ فيُنادُونَ واحدًا واحدًا باسمِه(١): هُلَمَّ إلى موقْفِ العرْضِ، فعندَ ذلكَ ترتعِدُ الفرائصُ، وتضطرِبُ الجوارحُ، وتُبهَتُ العُقولُ، حتَّى يتمنَّى أقوامٌ أن يُذهَبَ بِهم إلى النارِ، ولا تُعرَضُ(٢) قبائحُ أعمالِهم على الجبّارِ، ولا تُكشَفُ أستارُهم على الخلائقِ، ويظُنُّ كلُّ واحدٍ أنّه المقصودُ دُونَ غيْرِه، فيقولُ الجبّارُ لجِبْريلَ عليه السلامُ: ائتِنِي بالنارِ، فيقولُ لها جِبْريلُ: أجيبِي الجبّارَ(٣)، ويُصادِفُها(٤) على غيْظِها وغضَبِها، فلا تلبَثُ بعدَ نِدائِه أن تَثُورَ وتزفَرَ(٥) إلى الخلائقِ، فيَسمَعُ الخلائقُ تغيُّظَها(٦) وزفيرَها، وتبثُّ(٧) خَرابَها إلى الخلائقِ(٨)؛ غَضَبًا(٩) على العُصاةِ، فتمتلئُ قلوبُ الخلائقِ رُعبًا، ويَتساقطونَ على رُكَبِهم(١٠)، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

---

(١) لعله يشير إلى قوله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم». «سنن أبي داود» (٤٩٤٨)، و«مسند أحمد» (٢١٦٩٣).

(٢) في (ب): «وتعرض».

(٣) انظر: «التوهم في وصف أحوال الآخرة» (١٧)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٥١٨).

(٤) في (س): «ويصادقها».

(٥) في (ب): «ونزفر».

(٦) في (س) و(د): «بغيظها».

(٧) قوله: «وتبث» غير واضح في (س).

(٨) قوله: «فيسمع الخلائق تغيظها وزفيرها، وتبث خرابها إلى الخلائق» ليس في (ب).

(٩) في (س) و(د): «غضاب».

(١٠) بعده في (د): «قوله تعالى».

وينـادِي الظَّلَمةُ وأعوانُهم وهم تحـتَ أرجلِ الخلْقِ بالويـلِ والثُّبورِ جـزاءً لهم مِـن جنسِ صَنيعِهم بالخلْقِ فـي الدنيا، وينادِي الصدِّيقونَ[1] كلٌّ منهم: نفْسِي نفْسِي.

فبينَما هُم كذلكَ إذ زفَرَتِ النارُ زفرةً ثانيةً، فيتضاعَفُ خوْفُهم، ويظنُّونَ أنّهم مَأخوذونَ[2]، ثمَّ تزفَرُ الثالثةَ فيتساقَطُ الخلائـقُ[3] لوُجوهِهم ويَشْخَصونَ بأبصارِهم ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، وتنهضِمُ عند ذلكَ قلوبُ الظالميـنَ، فتبلُـغُ لـدى الحناجـرِ كاظميـنَ، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[4] [غافر: ١٨].

ثمَّ يَسألُ كلَّ واحدٍ واحدٍ ربُّه شِفاهًا عن قليلِ عمَلِه وكثيرِه، وعنْ سِرِّه وعلانيتِه، وعن جميعِ جوارحِه وضمائرِه، فيقولُ: ألَم أنْعِمْ عليكَ بالشبابِ، فَفيمَ[5] ذا أبلَيْتَه؟ ألَم أمهِلْ[6] لك في العُمُرِ، فَفيمَ[7] أفنيْتَه؟ ألَم أرزُقْكَ الأموالَ، فمن أينَ اكتسبْتَها وفيمَ[8] ذا أنفقتَها؟ ألم أعلِّمْكَ العلْمَ فماذا عمِلْتَ فيه[9]؟

---

(١) في (ب): «الصديون».

(٢) في (ب): «مأخذون».

(٣) في (د): «الخلق».

(٤) في (س) و(ب): «ما لهم من ولي ولا حميم».

(٥) في (س) و(ب): «ففيما»، وفي (د): «وفيما».

(٦) في (ب): «أمهلك».

(٧) في (س) و(ب) و(د): «ففيما».

(٨) في (س) و(ب): «ففيما»، وفي (د): «وفيما».

(٩) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٥١٨). جاء في حاشية (س): «روى ابن حبيب بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ يومًا، فقال: يا أيها الناس، إذا عملتم سبعًا حل بكم سبع: إذا ظهر فيكم الزنى كثر الموت، وإذا جُرْتم في الحكم قحط المطر، وإذا خفرتم الذمة كانت الدولة لغيركم، وإذا منعتم الزكاة ماتت الماشية، وإذا فشت شهادة الزور كثر الجراد، وإذا طففتم المكيال والميزان، نقصت البركة، وإذا غللتم دخل =

[٨٢/أ] قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لا تَزُولُ قَدَما عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فيما أفْناهُ، وعَنْ عِلْمِهِ فيمَ**[(١)] **فعَلَ بِهِ، وعَنْ مالِهِ مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ وفيمَ**[(٢)] **أنْفَقَهُ، وعَنْ جِسْمِهِ فيمَ**[(٣)] **أبْلاهُ**».

رَواهُ الترمذِيُّ[(٤)] مِن حديثِ أبي برزةَ رضِيَ الله عنه، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ، فيَنْظُرُ أيْمَنَ مِنْهُ فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، ويَنْظُرُ أشْأَمَ مِنْهُ فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، ومِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ فلا يَرَى إلا النّارَ تِلْقاءَ وجْهِهِ، فاتَّقُوا النّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

رَواهُ البُخارِيُّ[(٥)] ومُسلمٌ[(٦)] مِن حديثِ عديِّ بنِ حاتمٍ رضِيَ الله عنه.

ويقولُ له سُبحانَه وتعالَى: أما[(٧)] استحَيْتَ منِّي! تبارِزُني بالقبيحِ، وتستحِي مِن خلْقِي، أكنْتُ أهونَ عليكَ مِن عبادِي، استخفَفْتَ بنظرِي إليكَ، واستعظَمْتَ[(٨)] نظَرَ غيْرِي، أظننْتَ أنّكَ لا تلْقانِي، ألم أُرسِلْ إليك رَسولًا يتْلو

= الرعب في قلوبكم. معنى خفرتم الذمة أي: نقضتم العهد، ومعنى طفاف المكيال: ما علاه. وروى مالك في «الموطأ» (١٦٧٠)، بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ما ظهر الغلول في قوم، إلا ألقي في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنى في قوم إلا فشا فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو». اهـ.

(١) في (س) و(ب): «ففيما».

(٢) في (س) و(ب): «ففيما»، وفي (د): «وفيما».

(٣) في (س) و(ب): «ففيما»، وفي (د): «فيما».

(٤) «جامع الترمذي» (٢٤١٧)، و«سنن الدارمي» (٥٥٤)، و«المعجم الأوسط» (٢١٩١).

(٥) «صحيح البخاري» (٧٥١٢).

(٦) «صحيح مسلم» (١٠١٦).

(٧) في (د): «ما».

(٨) في (د): «وأعظمت».

عليكَ كتابِي[١]؟ ومن يقدِرْ على هذا الخطابِ؟ فما أعظَمَ مُصيبةَ مَنْ فرَّطَ في طاعةِ مَوْلاه، واتَّبعَ هَواهُ.

ثم لا تغفَلِي عنِ الميزانِ وتطايُرِ الصُّحفِ، وحولَ الميزانِ زبانيةٌ[٢] عليهم ثيابٌ مِن نار، وبأيديهم مقامعُ مِن حديدٍ، قالَ الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فمن رجَحَتْ سيئاتُه أخذَتِ الزَّبانيةُ بناصيتِه وأُهوِيَ به[٣] في النارِ، قالَ الله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٩-١١].

[الميزان][٤]:

والميـزانُ أمْرُه[٥] خطرٌ، ولا ينْجُو مِن خطرِه إلا مَن[٦] حاسَبَ نفْسَه في هذه المغرارةِ الغرّارةِ، ووزَنَ أقوالَه وأعمالَه وخطراتِه في جميع لحظاتِه بميزانِ الشرعِ، فإنْ كانَ اقترَفَ[٧] ذُنوبًا تدارَكَها بالتَّوبةِ النَّصوحِ[٨] التي أمَرَ الله عزَّ وجَلَّ بها المُؤمنينَ في كتابِه العزيزِ، فيرُدُّ المظالِمَ ذرَّةً ذرَّةً؛ فإنْ ماتَ قبلَ ردِّ المظالِمِ

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٥١٩).

(٢) في (س) و(ب) و(د): «ملائكة».

(٣) في (س): «بها».

(٤) قوله: «الميزان» ورد على حاشية (ب).

(٥) في (د): «أمر».

(٦) في (د): «كل».

(٧) في (د): «قد غرق».

(٨) من قوله: «ويوم الخزي» إلى هنا ليس في (د). وجاء في حاشية (س): «بذنوب قوم تذهب البركات، وتغير النعماء والخيرات، ويزول عن أهل الضلال نعيمهم بعقابهم إن تعقب الأزمات، لم يشكروا الرزاق إذ والاهم أفضاله، بل ضيعوا أوقات خلواتهم وصلاتهم، وتعودوا أكل الربا، فهم له أدوات، والحنث في الإيمان أكثر فعلهم، والنجس أحيوا والحلال أماتُوا، لا تنكروا ما نحن فيه قومنا، بذنوب حلت بنا الآفات».

[٨٢/ب] أحاطَتْ به خُصماؤُه، فهـذا يأخُذُ بيدِه، وهـذا بعضُدِه، وكلُّ واحـدٍ متعلِّقٌ[١] به، ويذكُـرُ مَظلمتَه، فيقولُ: هذا شتَمَنِـي، ويقولُ الآخَـرُ: هـذا خذَلَنِـي، ويقولُ الآخَـرُ: سـاءَ مُعاملَتِـي، ويقولُ الآخَـرُ: هذا[٢] سـاءَ جُـوارِي، ويقولُ الآخَـرُ: هذا نظَرَ إلـيَّ فأرعبَنِي، ويقولُ الآخَـرُ: طفَّفَ عليَّ المكيالَ والميزانَ، ويقولُ الآخَرُ: هذا غشَّنِي في صنعَتِه، ويذكُرُ كلٌّ ما ظُلِمَ فيه، حتَّى سكوتَه عن نصرتِه، ولـو بكلمةٍ[٣]، وهذا يقولُ: وجدَنِي مُحتاجًا فلم يسُدَّ حاجتِي، إلى[٤] غيرِ ذلكَ ممّـا لا يكادُ ينحصِرُ[٥].

فبينَما أنتَ مبهوتٌ متحيِّرٌ من كثرتِهم، وقد حقَّتْ[٦] عليكَ الطّلبةُ، وضعُفْتَ عنِ المقاومةِ، مددْتَ عينَ الرَّجاءِ إلى مولاكَ، إذ قرَعَ سمْعَكَ نداءُ الجبّارِ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، فعِندَ ذلكَ ينْخَلِعُ قلبُكَ، وتُوقِنِ بالبَوارِ[٧]، وتَـتَذكَّرُ قولَه تعالى[٨]: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

---

(١) في (د): «يتعلق».
(٢) «هذا» ليس في (د).
(٣) قوله: «عن نصرته ولو بكلمة» في (د): «عمن يضربه ولو معلمه».
(٤) في (د): «وإلى».
(٥) جاء في حاشية (س): «روى الطلمنكي في كتابه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «للزاني ست عقوبات: ثلاثة في الدنيا، وثلاثة في الآخرة، أما التي في الدنيا: فذهاب بهاء الوجه، وطول الفقر، وقصر العمر، وأما التي في الآخرة: فسخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار». اهـ.
(٦) في (د): «خفت».
(٧) قوله: «بالبوار» غير واضح في (د)، ولعل ما أثبت هو الصواب.
(٨) من قوله: «فعند ذلك ينخلع قلبك» إلى هنا مثبت من (د).

[الصراط][1]:

ثمَّ بعدَ هذه الأحوالِ لا تنْسَي[2] الصِّراطَ، وهوَ جسرٌ ممدودٌ على متنِ جهنَّمَ؛ أحَدُّ مِن السَّيفِ، وأرقُّ مِن الشَّعرِ[3]، قالَ ﷺ: «**يُضْرَبُ الصِّراطُ[4] عَلَى ظَهْرانَي جَهَنَّمَ، فأكُونُ أوَّلَ مَنْ يُجِيزُ[5] بِأُمَّتِي مِنَ الرُّسُلِ، ولا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إلا الرُّسُلُ، ودَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: رَبِّ سَلِّمْ رَبِّ سَلِّمْ، وفي جَهَنَّمَ كَلالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدانِ، غَيْرَ أنَّهُ لا يَعْلَمُ[6] قَدْرَ عِظَمِها إلا الله عَزَّ وجَلَّ، تَخْطِفُ النّاسَ بِأعْمالِهِمْ، فمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ[7]، ومِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو**».

رَواهُ البُخارِيُّ[8] ومُسلمٌ[9] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

فالحذَرَ الحذَرَ مِن هذا الصراطِ وما عليه[10]، فمَنْ أرادَ النجاةَ فليستَقِمْ في الدنيا على الصراطِ المُحمَّديِّ، ومَن عدَلَ عنه وركِبَ بُنَيّاتِ[11] الطريقِ، وعدَلَ عنِ الاستقامةِ في الدنيا، وأثقَلَ الظهرَ بالأوزارِ، زَلَّ بأوَّلِ قدمٍ، فلو لم يكُنْ في الآخرةِ مِن الأهوالِ إلا خطَرُ الصراطِ لكانَ[12] جديرًا بأنْ يهتَمَّ الشخصُ له.

---

(١) قوله: «الصراط» ورد على حاشية (ب). (٢) في (د): «تنس».

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (١: ١١٥)، و«قواعد العقائد» (٢٢٣).

(٤) في (ب): «الطراب».

(٥) في (د): «يجوز».

(٦) قوله: «لا يعلم» ليس في (د).

(٧) في (ب) و(د): «يوثق».

(٨) «صحيح البخاري» (٨٠٦).

(٩) «صحيح مسلم» (١٨٢).

(١٠) في (د): «وما عليه من السؤال».

(١١) في (د): «ميزان».

(١٢) في (س): «فكان».

[الحوض][١]:

ومعَ هذا[٢] كلِّه لا تأمَنُ طرْدَكَ عنِ الحـوضِ، وسحْبَك إلى نارٍ فيـها[٣] سبعونَ ألفَ وادٍ، في كلِّ واحدٍ سبعونَ ألفَ شِعبٍ، في[٤] كلِّ شِعبٍ سبعونَ ألفَ ثعبانٍ وسبعونَ [٨٣/أ] ألفَ عقربٍ. رَواهُ بعضُ الأئمَّةِ حديثًا[٥].

عافانا الله عزَّ وجَلَّ وأحبابَنا مِـن ذلكَ، ومِـن جميعِ الأهـوالِ، إنّه على ما يشاءُ قديرٌ، وبالإجابةِ جَديرٌ.

* * *

(١) قوله: «الحوض» ورد على حاشية (ب). (٢) في (د): «ذلك».

(٣) في (د): «إلى النار وفيها».

(٤) في (د): «وفي».

(٥) «صفة النار» لابن أبي الدنيا (٧٤)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٣٩٠)، و«البعث والنشور» للبيهقي (٤٧٨).

جاء في حاشية (س): «روى الترمذي (٣٢٥٢) بسنده عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يصيب عبدًا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، ثم قال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]». وروى البزار (٦١٧٥) بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم، ولا نقصوا المكيال إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم، وأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وإذا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله جعل الله بأسهم بينهم». وروى الترمذي (٣٠٦١) بسنده عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال: قال رسول ﷺ: «أنزلت المائدة من السماء خبزًا ولحمًا، وأُمِرُوا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخانوا وادخروا لغد، فمسخوا قردةً وخنازير». اهـ.

[خاتمة المؤلف]

والحمْدُ لله ربِّ العالمينَ، وصلَّى الله على سيِّدِ[١] الأوَّلينَ والآخِرينَ، وأكرمِ السّابقينَ واللاحقينَ، ورضِيَ الله عنِ الصحابةِ أجمعينَ، وعنِ التابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وحسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ.

* * *

[خاتمة الناسخ]

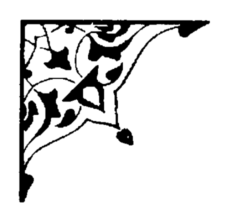
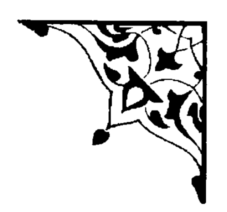
فرغَ من كتابتِه: نهارَ الأحدِ سلخَ شهرِ شوّالٍ سنةَ خمسٍ وسبعينَ وثمانِ مئةٍ.

والحمْدُ لله وكَفَى، وسلامٌ على عبادِه الذينَ اصْطَفَى، ربِّ اغفِرْ وارحَمْ وأنتَ خيرُ الراحمينَ، يا ربَّ العالَمينَ، آمينَ آمينَ آمينَ[٢].



(١) في (ب): «سيدنا».

(٢) قيد الفراغ من النسخة (س).

الفهارس العلميّة للكتاب

وتشتمل على:

١ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

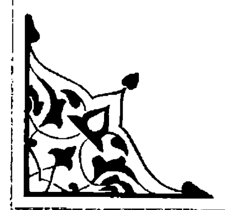
٢ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣ـ فهرس الأعلام.

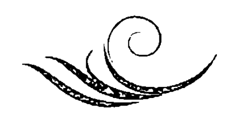
٤ـ فهرس الأشعار.

٥ـ فهرس المصادر والمراجع.

٦ـ فهرس المحتويات.




فهرس الآيات القرآنية الكريمة



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الراوي	الصفحة
من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، صب في أذنيه الآنك.		٣١٧
من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم، في ثمنه درهم حرام، لم يقبل الله صلاته وعليه منه شيء.	ابن عمر	١٢٨
من أعطي شيئًا من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع.	عبد الله بن المبارك	٢٥١
من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله عز وجل له النار.		١٣١، ٢٨٤
من اكتسب مالًا حرامًا، فإن تصدق به لم يقبل منه.	ابن مسعود	١٣٠
من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة.		٣٥١
من أنا يرحمك الله عز وجل؟	رابعة العدوية	١٥٢
من ترك اللباس؛ تواضعًا لله عز وجل وهو يقدر عليه، دعاه يوم القيامة على رؤوس الخلائق.		٧٢
من جر ثوبه خيلاء لم ينظر إليه يوم القيامة.		٧٢
من جمع مالًا من حرام ثم تصدق به لم يكن فيه أجر.	أبو هريرة	١٣٠
من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان.	ابن مسعود	١٣١، ٢٨٣
من حمل علينا السلاح فليس منا.	أبو هريرة	١٣٢
من دخل على الظلمة، وصدقهم في كذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني.	كعب بن عجرة	١٩٣
من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله عز وجل في أرضه.	الحسن البصري	١٣١
من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟		٣٦٨



فهرس الأعلام



فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

- **الإبانة الكبرى**، لعبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، المعروف بابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى عام: ١٤١٥هـ.
- **آثار البلاد وأخبار العباد**، للإمام زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٢هـ)، طبعة دار صادر، بيروت، عام: ١٣٨٩هـ.
- **الأحاديث الطوال**، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة الزهراء بالموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (ت٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **أخبار الشيوخ وأخلاقهم**، لأحمد بن محمد بن الحجاج، أبي بكر المروذي (ت٢٧٥هـ)، حقَّقه وقدَّم له وخرَّج نصوصه: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
- **الآداب**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، اعتنى به وعلَّق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- **الأدب المفرد**، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- **الأذكار**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

- **الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى**، لابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: عبد الله مرحول السوالمة، الناشر: دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **الاستيعاب**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت.
- **أصول السنة**، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، الناشر: دار المنار، الخرج، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **الأعلام**، للأستاذ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، حقَّقه: محمد عزير شمس، خرَّج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
- **الإفصاح عن معاني الصحاح**، للإمام يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبي المظفر، عون الدين (ت٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ.
- **إكمال المعلم**، للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **الأمثال للهاشمي**، لزيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبي الخير الهاشمي (ت بعد ٤٠٠هـ)، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **إنارة الفكر**، لبرهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: سليمان بن مسلم الحرش، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- **الأنساب المتفقة**، لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت٥٠٧هـ)، المحقِّق: دي يونج، طبعة: ليدن، بريل، ١٢٨٢هـ.
- **الأنساب**، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.

- **البحر المحيط**، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.

- **البحور الزاخرة**، لمحمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، المحقق: عبد العزيز أحمد بن محمد بن حمود المشيقح، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

- **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

- **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية**، لأبي سعيد الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، (ت١١٥٦هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، ١٣٤٨هـ.

- **بغية الطلب في تاريخ حلب**، لكمال الدين بن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت٦٦٠هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر.

- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لأبي الفيض محمد الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، بتحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: وزارة الإعلام، الكويت.

- **تاريخ أصبهان**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، المحقِّق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

- **تاريخ الإسلام**، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار النشر: دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

- **التاريخ الأوسط**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

- **التاريخ الكبير**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، طُبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

- **التاريخ المعتبر في أنباء من غبر**، للمؤرخ مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي (ت٩٢٨هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، إشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ = ٢٠١١م.

- **تاريخ بغداد،** للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- **تاريخ دمشق،** للإمام حمزة بن أسد بن علي بن محمد، التميمي، المعروف بابن القلانسي (ت٥٥٥هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

- **تاريخ دمشق،** للحافظ أبي القاسم بن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.

- **التبصرة،** لأبي الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

- **التبيان في آداب حملة القرآن،** لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة، الطبعة الثالثة، مزيدة ومنقحة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

- **التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،** لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

- **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة،** للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي،** لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

- **تخريج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار،** لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت٨٠٦هـ)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

- **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري،** لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

ـ **التذكرة الحمدونية**، لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبي المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

ـ **تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

ـ **تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن**، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، المحقق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

ـ **تفسير الجلالين**، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.

ـ **تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

ـ **تفسير السمعاني**، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

ـ **تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن**، لأبي جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

ـ **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

ـ **تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة**، لأبي منصور، محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

ـ **تلبيس إبليس**، لأبي الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

ـ **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، لأبي بكر الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (ت٤٠٣هـ)، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

ـ **التنوير شرح الجامع الصغير**، لأبي إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، الأمير (ت١١٨٢هـ)، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.

ـ **تهذيب الأسماء واللغات**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، عُنِيَت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، لأبي الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

ـ **تهذيب اللغة**، لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

ـ **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

ـ **الثقات**، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، الدارمي، البستي (ت٣٥٤هـ)، طُبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.

ـ **جامع الترمذي = الجامع الكبير**، لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

- **جامع بيان العلم وفضله**، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، طبعة: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.
- **الجرح والتعديل**، للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ.
- **جمهرة اللغة**، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- **حسن التنبه لما ورد في التشبه**، لنجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (ت١٠٦١هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشرة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.
- **الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرَّج أحاديثه: زائد ابن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- **الدر الفريد وبيت القصيد**، لمحمد بن أيدمر المستعصمي (ت٧١٠هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور = تفسير السيوطي**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.

ـ **دلائل النبوة**، لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

ـ **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

ـ **الرسالة القشيرية**، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

ـ **رفع الإصر عن قضاة مصر**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

ـ **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، الدارمي، البستي (ت٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

ـ **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، لأبي العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (ت٦٩٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

ـ **الزهد**، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

ـ **الزهد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

ـ **سنن ابن ماجه**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

- **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.
- **سنن الدارمي**، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ٢٠٠٠م.
- **السنن الكبرى**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت٣٠٣هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدَّم له: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.
- **السنن الكبرى**، للإمام أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، ومعه: الجوهر النقي لعلاء الدين علي الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.
- **سير السلف الصالحين**، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة (ت٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- **شرح السنة**، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- **شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- **شرح ديوان المتنبي**، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت٦١٦هـ)، المحقق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

- **شرح سنن أبي داود**، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (ت٨٤٤هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح، بإشراف: خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

- **شرح صحيح البخاري**، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ابن بطال (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

- **شرح مشكل الآثار**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

- **شعب الإيمان**، لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت٤٥٨هـ)، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، لأبي الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفيحاء، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

- **صحيح البخاري**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: ياسر حسن، وعز الدين ضلي، وعماد الطيار، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

- **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: ياسر حسن، وعز الدين ضلي، وعماد الطيار، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.

- **صفة الصفوة**، لأبي الفرج، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.
- **صيد الخاطر**، لأبي الفرج، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.
- **الضوء اللامع**، للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن عثمان بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ)، من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
- **طبقات الأولياء**، لأبي حفص بن الملقن سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: نور الدين شريبة، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.
- **طبقات الحنابلة**، لأبي الحسين بن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، للإمام تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- **طبقات الشافعية**، للإمام أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين بن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **طبقات الصوفية**، لأبي عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري (ت٤١٢هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
- **طبقات الفقهاء الشافعية**، للإمام عثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- **طبقات الفقهاء**، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

- **الطبقات الكبرى**، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، المعروف بابن سعد (ت٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
- **العاقبة في ذكر الموت**، لعبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت٥٨١هـ)، المحقق: خضر محمد خضر، الناشر: مكتبة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- **العبر في خبر من غبر**، للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام**، لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان ابن سليمان، علاء الدين بن العطار (ت٧٢٤هـ)، وقف على طبعه والعناية به: نظام محمد صالح يعقوبي، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **العين**، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- **غريب الحديث**، لأبي إسحاق، إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ)، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **غريب الحديث**، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي (ت٣٨٨هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر، دمشق، عام النشر: ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

- **الغنية لطالبي الحق**، لأبي محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، محيي الدين الجيلاني (ت٥٦١هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب = حاشية الطيبي على الكشاف**، لشرف الدين الحسين ابن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.

- **الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية**، لمحمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (ت١٠٥٧هـ)، الناشر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية.

- **الفردوس بمأثور الخطاب**، لأبي شجاع الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني (ت٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.

- **فوات الوفيات**، للإمام محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

- **الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية**، لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

ـ **فيض القدير**، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.

ـ **القاموس المحيط**، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

ـ **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، لأبي طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

ـ **الكاشف عن حقائق السنن = شرح المشكاة**، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت١١٦٢هـ)، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٣٥١هـ.

ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، المشهور باسم: حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، وصوَّرَتها عدة دُور نشر لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، تاريخ النشر: ١٩٤١م.

ـ **كشف اللثام شرح عمدة الأحكام**، لشمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، اعتنى به: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

ـ **كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح**، لصدر الدين أبي المعالي، محمد ابن إبراهيم بن إسحاق السلمي المناوي ثم القاهري، الشافعي (ت٨٠٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

ـ **كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**، لأبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى

الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي (ت٨٢٩هـ)، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي، الناشر: دار الخير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

ـ **لباب التأويل في معاني التنزيل = تفسير الخازن**، لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

ـ **لسان العرب**، للإمام محمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين بن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

ـ **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

ـ **لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح**، لعبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي (ت١٠٥٢هـ)، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.

ـ **مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن**، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، قدَّم له وحقَّقه: مصطفى محمد حسين الذهبي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

ـ **المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري**، لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت٩٥٦هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.

ـ **المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

ـ **مجمع الأمثال**، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، حقَّقه: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المأمون للتراث.

ـ **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، ليوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي (ت٩٠٩هـ)، المحقق: عبد العزيز ابن محمد بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

ـ **المحكم والمحيط الأعظم**، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

ـ **مختصر منهاج القاصدين**، لنجم الدين أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت٦٨٩هـ)، قدَّم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، للإمام أبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

ـ **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، للإمام شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله، المعروف بـ: سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: محمد بركات، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.

ـ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، للإمام عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفي الدين (ت٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

ـ **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت١٤١٤هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

ـ **المسالك في شرح موطأ مالك**، للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت٥٤٣هـ)، قرأه وعلَّق عليه: محمد بن الحسين السليماني وعائشة بنت الحسين السليماني، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

- **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

- **المستطرف في كل فن مستظرف**، لأبي الفتح، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي (ت٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

- **مسند ابن الجعد**، لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

- **مسند أبي داود الطيالسي**، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

- **مسند أبي يعلى**، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

- **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

- **مسند البزار = البحر الزخار**، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

- **مسند الشاميين**، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م.

- **مسند الشهاب**، لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون تاريخ.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، للإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **مصنف عبد الرزاق**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **المعارف**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
- **معاني القرآن وإعرابه للزجاج**، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (ت٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- **معجم الألفاظ الفارسية المعربة**، للسيد أدي شير، طبعة دار العرب للبستاني، الطبعة الثانية، عام: ١٩٨٨م.
- **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.
- **معجم البلدان**، لياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- **المعجم الصغير**، لأبي القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور محمود، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- **المعجم الكبير**، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.

- **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **معجم متن اللغة**، لأحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧-١٣٨٠هـ.
- **معرفة السنن والآثار**، لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.
- **معرفة الصحابة**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
- **المعرفة والتاريخ**، ليعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي (ت٢٧٧هـ)، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- **المعلم بفوائد مسلم**، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي (ت٥٣٦هـ)، المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الناشر: الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- **مفاتيح الغيب = تفسير الرازي**، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت٦٥٦هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه وقدَّم له: محيي الدين ديب مستو، وأحمد محمد السيد، وغيرهما، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
- **مقاتل الطالبيين**، لأبي الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي (ت٣٥٦هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

ـ **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

ـ **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، لأبي الحسن، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الداراني، عبده علي الكوشك، الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

ـ **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، للإمام أحمد بن علي بن عبد القادر، أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

ـ **المؤتلف والمختلف**، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان ابن دينار البغدادي الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، للإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبي المحاسن، جمال الدين (ت٨٧٤هـ)، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

ـ **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، للإمام المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبي علي (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، الناشر: دار صادر، عام النشر: ١٣٩١هـ.

ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب**، للإمام أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

ـ **النهاية في غريب الحديث**، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

- **هدية العارفين**، لإسماعيل باشا الباباني البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف، بإسطنبول، سنة ١٩٥١م.
- **الوافي بالوفيات**، للمؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وغيرهما، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، للحافظ أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر بن خلكان البرمكي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت.
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، لأبي منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.



فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**